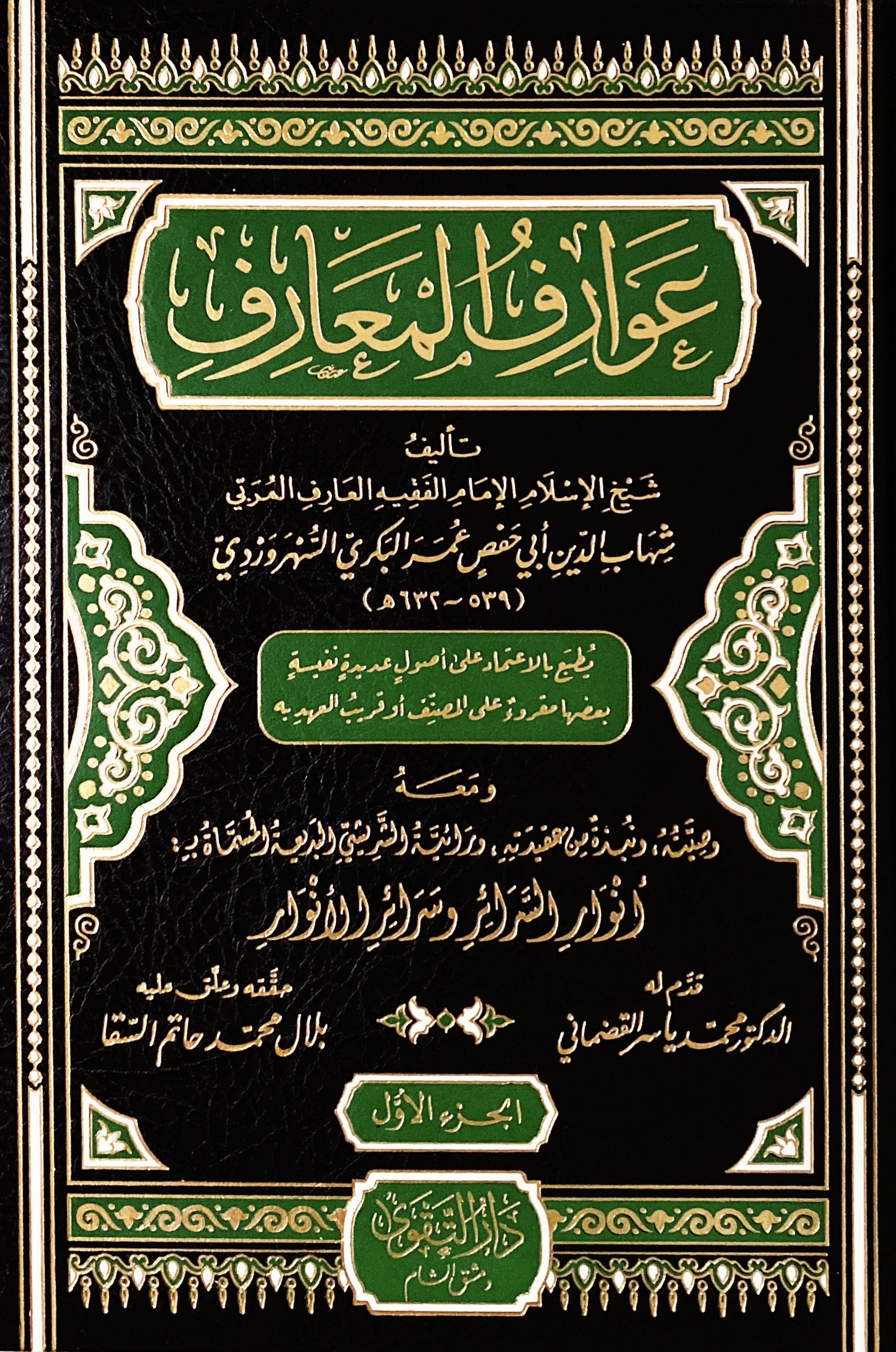
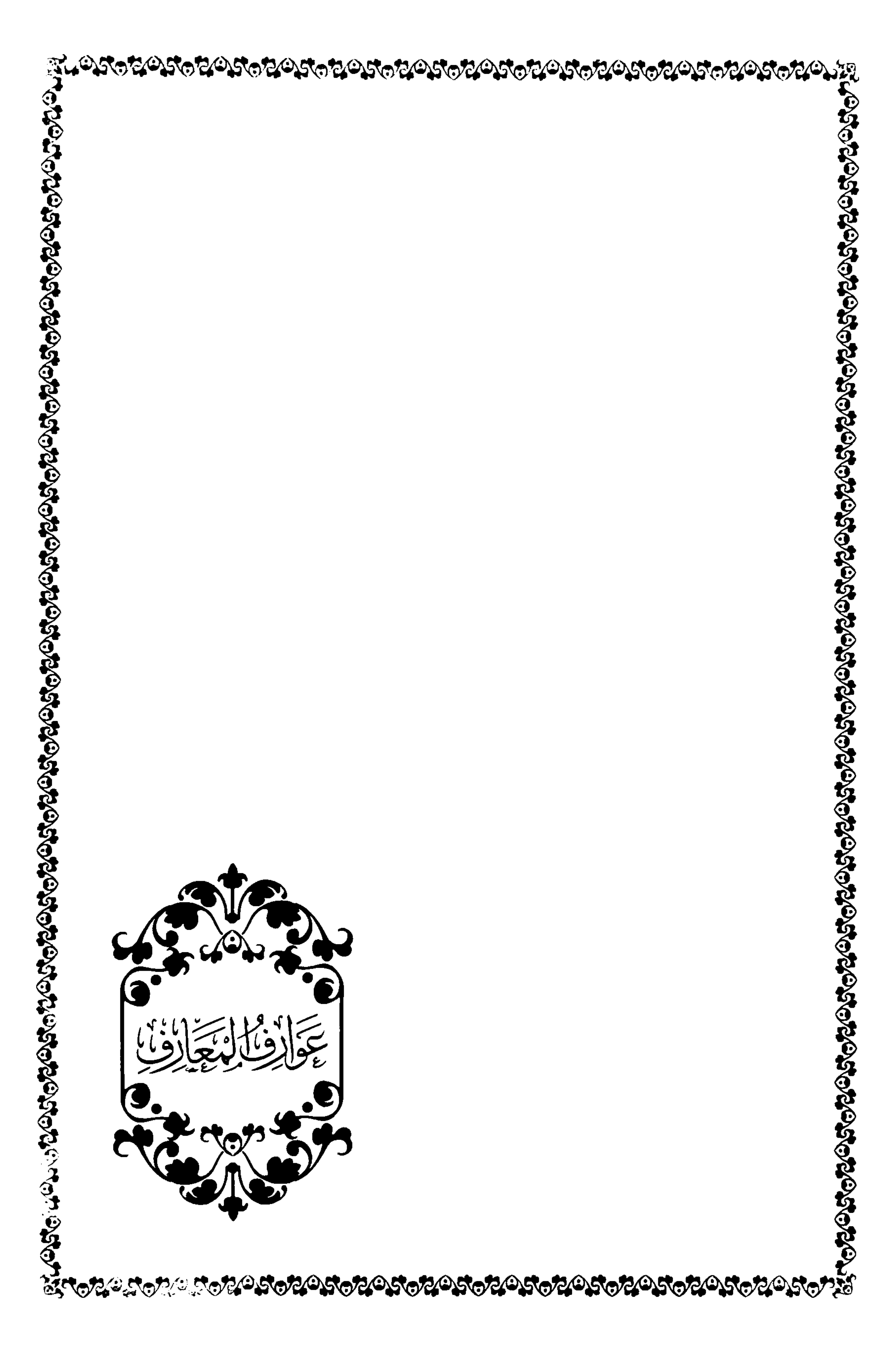
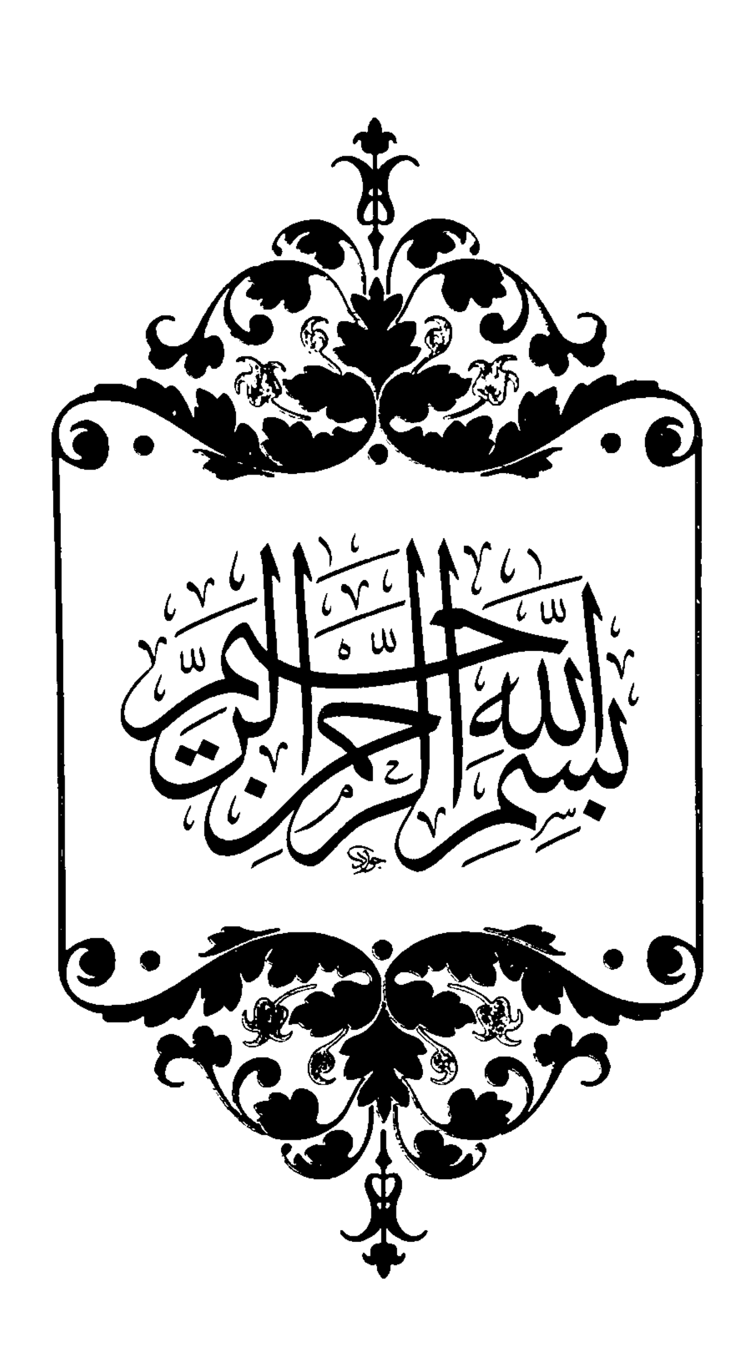


عوارف المعارف
تأليف
شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربي
شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهروردي
(٥٣٩ - ٦٣٢ هـ)
طبع بالاعتماد على أصول عديدة نفيسة
بعضها مقروء على المصنف أو قريب العهد به
ومعه
وصيته، ونبذة من عقيدته، ورائية الشريشي البديعة المسماة بـ:
أنوار السرائر وسرائر الأنوار
قدم له
الدكتور محمد ياسر القضماني
حققه وعلق عليه
بلال محمد حاتم السقا
الجزء الأول
دار التقوى
دمشق الشام


عوارف المعارف


بسم الله الرحمن الرحيم

عوارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربّي

شهاب الدين أبي حفص عمر البكريّ السُّهروردي

(٥٣٩-٦٣٢هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصول عديدة نفيسة، بعضها مقروء على المصنّف أو قريب العهد به

ومعه

وصيّتُه، ونُبذةٌ من عقيدتِه، ورائيّةُ الشّريشيّ البديعةُ المسمّاةُ بـ:

أنوار السّرائر وسرائر الأنوار

قدّم له
الدكتور محمّد ياسر القضماني

حقّقه وعلّق عليه
بلال محمّد حاتم السّقا

الجزء الأوّل

دار التّقوى
دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: عوارف المعارف

المؤلف: عمر البكري السهروردي

الطبعة الأولى: ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الرقم الدولي: 978-9933-610-35-7





هاتف: ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص. ب: ٣٠٧٢١
جوال: ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+
daraltaqwa.pu@gmail.com

مما قالوه في وصف مؤلفات السهروردي لا سيما « عوارف المعارف » :

السهروردي مصنف كتاب « العوارف » ، المشتمل على مكنونات المعارف ومصونات المحاسن واللطائف ، وغير ذلك من التصانيف الحسنة ، الجامعة من بلاغة الملاحة وبراعة الفصاحة وحلاوة العبارة ، المشتملة على درر المعارف ويواقيت الحكم وطلاوة الإشارة .

الإمام اليافعي

ومما قالوه في القصيدة الشريشية :

إن هذه القصيدة حجة عند أهل هذه الطريقة ، ولم يزل المشايخ رضي الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها .

الإمام ابن عجلات المراكشي

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المُحتجبِ بذاته ، الظاهرِ بنعوته وصفاته ، المُنعمِ بعطاياه وهباته ، المُكرِمِ مَنِ اصطفاه بعظيم تجلِّياته ، ولطيفِ إشاراته .

والصلاةُ والسلام علىٰ مَن شرب مِنْ قَدَح الحُبِّ فامتلىٰ ، وخاض في بحار شهود الأحديَّة فارتوىٰ ، وارتقى إلىٰ مقامات العِرْفان الربَّانية فاستوىٰ .

وعلىٰ عترته وأصحابه معادنِ الأسرار والمعارف ، ومنابعِ العلوم والعوارف ، وعلىٰ مَنْ لاح لهم معشوقُهُم بنعوت الجمال والجلال ، وأكرمهم بلذيذ مناجاته في سُدَف الليال .

وبعـد :

فإنَّ التصوُّفَ أساسٌ مِنْ أساسات الإسلام القَويمة ، وسبيلٌ واضح للنجاة من الفتن البَهِيمة ، وهو مقامُ الإحسان ، المشارُ إليه في كلام سيِّد الأكوان : « أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ ، فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ » .

وهو طريقٌ مُؤيَّدٌ ومُقيَّدٌ بكلام الله تعالى القديم ، ومُشبَّكٌ وممزوج بحديث رسوله صلى الله عليه وسلم العظيم ، وهو مبنيٌّ علىٰ ثلاث خصال : التمسُّك بالفقر والافتقار ، والتحقُّق بالبَذْل والإيثار ، وتَرْك التعرُّضِ والاختيار .

وهو عبارةٌ عن التسربل بالآداب المرضيَّات ، والدخولِ في الأخلاق السَّنِيَّات ، والخروجِ من الأوصاف الدَّنِيَّات ، والاكتناهِ بذلك في جميع الساعات والأوقات ، ولله دَرُّ سيِّدي أبي حفص النيسابوري الحدَّاد في قوله : (التصوُّفُ كلُّهُ آدابٌ ؛ لكلِّ وقتٍ أدب ، ولكلِّ حالٍ أدب ، ولكلِّ مقامٍ أدب ؛ فمَنْ لَزِمَ آدابَ الأوقات بَلَغَ مبلغَ الرجال ، ومَنْ ضيَّع الآدابَ فهو بعيدٌ مِنْ حيثُ يظنُّ القُرب ، ومردودٌ مِنْ حيثُ يرجو القَبول) .

❁ ❁ ❁

هـٰذا ؛ وقد اعتزى إلى التصوف أقوامٌ وقفوا علىٰ رسومه ، وانتسب إليه أصنافٌ لم يمتزجوا بعلومه ، فاكتفَوا باسمه وسُدَاه ، وابتعدوا عن جوهره ومُسمَّاه ، وجعلوه سُلَّماً يرتقون به إلى أعراضٍ فانية ، وأطلالٍ بالية ، ومُتَعٍ زائلة ، ونَسَوا قولَ إمام هـٰذه الطائفة سيِّدي أبي القاسم الجُنيد : (ما أَخَذْنا التصوُّفَ مِنَ القيل والقال ، ولـٰكن عن الجوع ، وتركِ الدُّنيا ، وقطعِ المألوفات والمُستحسَنات) .

ولله دَرُّ سيِّدي أبي سعيد الخَرْكُوشي في إبراز حقيقة التصوُّف عندما قال[1] :

ليس التصوُّفُ حِيلةً وبطالةً ... وتكلُّفاً وتواجُداً بصِياحِ

ليس التصوُّفُ كذبةً وتظالماً ... وجَهالةً ودُعابةً بمُزاحِ

---

(١) تهذيب الأسرار (ص٣٨) .

بـــل عِفَّـــةٌ وفُتُـــوَّةٌ ومـــروءةٌ وزَهـــادةٌ وطهـــارةٌ بصـــلاحِ

وتَيَقُّـــنٌ وتصبُّـــرٌ وتـــوكُّـــلٌ وتـــورُّعٌ وتخشُّـــعٌ بسمـــاحِ

مَـنْ قـام فيـه بحقِّـهِ وحقـوقِـهِ وخلا عنِ الحَدَثانِ والأشباحِ

تتشعشـعُ الأنـوارُ مِـنْ أسـرارِهِ كتشعشعِ المِشْكاةِ في المصباحِ

لـم تَخطُـرِ الـدُّنيا لـه في بـالِـهِ هانتْ عليه حُظُوظُ كلِّ مباحِ

❁ ❁ ❁

كما فَوَّق طَغَامٌ وأغتامٌ مِنَ الناس أَسِنَّةَ الطعنِ علىٰ هـٰذا الطريق المُنيف ، وطمسوا أساسه وتعاليمه التي لا تتعارضُ مع ديننا الحنيف ، وطعنوا في رجاله الذين حازوا كلَّ مقامٍ شريف ، وادَّعَوا أنَّ التصوُّفَ بقايا فلسفاتٍ بائدة ، وانحلالٌ عن الدِّين ورهبانيةٌ زائدة ، والتصاقٌ بزوايا الضعف والخمول ، وتلبُّسٌ بعقائد الاتحاد والحلول ، وهو ابتداعٌ في الدين ، وهجرةٌ لسنة سيِّد المرسلين .

وفـي سيـر الأعـلام النبـلاء ، وطبقـاتِ الأوليـاء الأصفيـاء ، ودواويـنِ المصادر التاريخيَّة ، وأُمَّاتِ الكتب التصوفيَّة . . نفيٌ لِمَا زعموه ، وتكذيبٌ لِمَا نسبوه ، وتبيينٌ بأنَّ التصوفَ ملازمةٌ لكتاب الله وسنة سيد الأنبياء ، وتركٌ للبدع والأهواء ، ومُداومةٌ على الأذكار والصلوات ، وتركٌ للرخص والتأويلات ، وبأنَّهُ طريقٌ للتحرُّر من أَسْر النفس وآفاتِها ، والتخلُّص من قيودها وشهواتها .

❁ ❁ ❁

هـٰذا ؛ وإنَّ من التصانيف المفيدة الرئيسة ، والتآليفِ السديدة النفيسة ، في علم التصوُّف والتزكية ، والسلوك والتربية . . كتابَ « عوارف المعارف » للإمام الصوفي الربَّاني ، والعارفِ الصَّمَداني ؛ سيِّدي أبي حفصٍ عمرَ السُّهْرُوردي البكري الصِّدِّيقي ، الذي نهله من معين « قوت سيدي أبي طالب المكي » ، وقد اشتمل الكتاب علىٰ بعض علوم الصوفيَّة وأحوالِهِم ومقاماتهم، وآدابِهِم وأخلاقهم ، ودقيقِ إشاراتهم ، ولطيفِ اصطلاحاتهم .

ونظراً لأهميَّته وقيمته ، وعمومِ نفعه ونفاسته ، واعتمادِهِ لدى الأئمَّة المُربِّين والعارفين ، وانتشاره في زوايا المريدين والعابدين . . جعله الإمامُ الفقيه المُحقِّقُ شيخُ الإسلام ابنُ حجر الهيتميُّ أحدَ الكتب الأربعة التي عليها المدارُ والمُعوَّل في طريق القوم ؛ فقال : (وعليكَ إن أردتَ أن يظهرَ لك الحقُّ ، وأنَّك تتحلَّىٰ بالصدق . . بمطالعة « إحياء الغزالي » رحمه الله تعالىٰ ، و« رسالة الإمام العارف القُشَيري » ، و« عوارف المعارف » للسُّهْرُوَرْديِّ ، و« القوت » لأبي طالب المكِّي ؛ فإنَّ هـٰذه هي الكتبُ النافعة المُبيِّنةُ لأحوال الصادقين ، وتلبيساتِ المُبطِلين ، والحاملةُ علىٰ معالي الأخلاق ، وإيثارِ الفقر والإملاق ، وإدمانِ الطاعات ، وملازمة العبادات ، سيَّما الجماعات ، والإعراضِ عن سفاسف أقوامٍ غَلَبَ عليهم الشيطان)[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) الفتاوى الحديثية (ص١٤٣) .

وقد حوتْ جوهرَ هٰذا الكتاب وثمرتَه ، وضمَّتْ مقاصدَهُ وعصارتَه . . القصيدةُ البديعة الرائقة للإمام الأديبِ العارف تاجِ الدين أبي العباس الشَّرِيشي ، المُسمَّاةُ بـ « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » ، والتي قال فيها صاحبُ « إثمد العينين » : (إنَّ هٰذه القصيدةَ حُجَّةٌ عند أهل هٰذه الطريقة ، ولم يَزَلِ المشايخُ رضي الله عنهم يَحضُّون عليها ويُوصُون تلامذتَهُم بالعمل بها)[١] ، وحثَّ عليها صاحبُ « الإبريز » بقوله : (وهٰذه القصيدةُ مِنْ أنفس ما يُسمَعُ ، وينبغي للمريد أن يحفظَ هٰذه القصيدةَ ؛ فإنَّها قصيدةٌ مُنوَّرة)[٢] .

۞ ۞ ۞

وقد عرا (دارالتقوىٰ) هِزَّةٌ وسرور ، وعلاها نشوة وحُبور ، عندما ارتأتْ إصدار هٰذا المَعْلَم النفيس « عوارف المعارف » ، فاستجلبتْ له أعتق النسخ الخطية ، وأولته في جميع مراحل تحقيقه العنايةَ العلمية الدقيقة ، وزيَّنته بما يُبهِرُ القلوبَ والسرائر ، وزركشته بما يُبهِجُ الألباب والخواطر .

ونظراً إلى أنَّ القصيدة الشَّريشيَّةَ شديدةُ اللصوق بكتابنا هٰذا ، ومن أنفس وأبدع ما نُظِمَ في علم السلوك . . فقد قامت الدار بإحيائها ونشرها مُحقَّقةً مُدقَّقة في هٰذا الإصدار ، والحمد لله علىٰ ذلك .

وفي الختام : فإنَّنا نسأل المولى الكريم أنْ يجعلَنا من الصُّوفيَّة

---

(١) انظر « شرح الفاسي على القصيدة الشريشية » (ص٣) .

(٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص٢١٤) .

المُتحقِّقين ، ويحشرَنا مع رجال الله المُقرَّبين ، ويُكرِمَنا بعلومهم وإمداداتهم ، وينفعَنا بأنفاسهم وإشاراتهم ، ويُذِقَنا من معارفهم ونفحاتهم .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

❁ ❁ ❁

تقريظ الكتاب

بقلم الدكتور الداعية محمد ياسر القضماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذين زيَّن من شاء مِنْ عباده بزينة المعارف ، وأَتْحفَ صَفْوةَ الصَّفْوةِ بأَزْهى العوارف .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك علىٰ مَنْ كان ولا يزالُ السَّببَ لكلِّ الكرامات واللطائف ، والمَدَدَ الأعظمَ لكلِّ عالم وعارف ، وعلىٰ كلِّ صادقٍ محبٍّ أو واصف أو ذائق أو غارف ، وعلى التابعين ومَنْ تبعهم بإحسان وعنَّا معهم إلىٰ يوم الأُنْس والأَمْن أو الهَول والمخاوف .

وبعد :

فإنَّ هـٰذا الكتابَ الذي بين يديك كتابٌ عظيم ؛ فقد كنَّا ولا نزالُ نسمع من شيوخنا وساداتنا ـ رحمنا الله بحُرْمتهم ـ بأنَّهُ من أهمِّ كتب السَّادة الصُّوفيَّة ، أهلِ المسالك السَّويَّة ، التي أصَّلتْ لمنهجهم ، ورَكزَت الصُّوىٰ علىٰ طريقهم .

ومن أشهر الإشادات والثناءات علىٰ هـٰذا الكتاب ـ ضمن جُمْلة من كُتُب السُّلوك ـ : ما قاله الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر الهَيْتَميُّ المكيُّ (٩٠٩ ـ ٩٧٤ هـ) في كتابه القيِّم الشهير : « الفتاوى الحديثية » : (وعليك إنْ أردتَ أن يَظْهر لك الحقُّ وأنَّك تتحلَّىٰ بالصِّدق . . بمطالعة « إحياء الغزالي » رحمه الله تعالىٰ ، و« رسالة الإمام العارف القُشَيري » ، و« عوارف المعارف » للسُّهْرُوَرْديِّ ، و« القُوت » لأبي طالب المكي ؛ فإنَّ هـٰذه هي الكتبُ النافعة المُبيِّنةُ لأحوال الصادقين ، وتلبيساتِ المُبْطِلين ، والحاملةُ علىٰ معالي الأخلاق ،

وإيثارِ الفقر والإملاق ، وإدمانِ الطاعات ، وملازمةِ العبادات ، سيَّما الجماعات ، والإعراضِ عن سفاسف أقوامٍ غَلَبَ عليهم الشيطان)[1] .

ومن ثناءات المتأخرين : ثناءُ الإمامِ عَيْدَرُوس بن عمر الحَبْشي ؛ يقولُ العلَّامةُ الحبيبُ زين بن إبراهيم ابن سُمَيط باعلوي الحُسَيني حفظه الله تعالىٰ في كتابه « المنهج السَّويّ » : (قال سيِّدُنا الإمام عَيْدَرُوسُ بنُ عمرَ الحَبْشيُّ رضي الله عنه « ١٢٣٧ ـ ١٣١٤هـ » : الأمهاتُ السِّتُّ في التصوف ستَّةُ كتب : « الإحياء » ، و« منهاج العابدين » ، و« الأربعين الأصل » للغزالي ، و« رسالة القُشَيري » ، و« عوارف السُّهْرُوَرْدي » ، و« القُوت » لأبي طالب المكيِّ)[2] .

سببُ تسمية الكتاب :

وقد تأمَّلتُ في سِرِّ اختيار الإمام أبي حفص السُّهْرُوَرْديِّ رحمه الله لكلمة (عوارف) في عنوان « كتابه » ، ثمَّ فرحتُ بقول الإمام الزَّبيدي في « التاج شرح القاموس » في مادة (عرف) : (و« العَارِفةُ » : المعروف ؛ كـ « العُرْف » بالضم ؛ يُقالُ : أَوْلاه عارفةً ؛ أي : معروفاً ، كما في « الصحاح » ، وجمعُها : « عوارف » ؛ ومنه سمَّى السُّهْرُوَرْديُّ كتابَهُ : « عوارف المعارف ») .

إذاً : بانَ لنا أنَّ إضافةَ (عوارف) إلىٰ (معارف) ؛ لِذِكْر غُرَرِ علومٍ ومعارف العارفين ، ومباحثِ السادة الصالحين .

والمُطالِعُ لفهرست الكتاب يجدُ أنَّهُ يَحْوي : زُبْدةَ الكلام عن ماهيَّة التصوف ، ومنشأ علومه ، ونماذج من رجاله ، وعن رِباطِهم ، وخِرْقتِهم ، ولباسهم ، وخصائصهم ، وأسفارهم ، وسَمَاعهم ، وأربعينيَّتِهم المُصَفِّية ، وآداب عباداتهم ، وتوزيع وظائفهم ، وأهمِّ حقوق صُحْبتهم ، وكُشُوفهم وخواطرهم ،

---

(١) الفتاوى الحديثية (ص ١٤٣) .

(٢) المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي (ص ٢٥٥) .

وأحوالهم ومقاماتهم ، وأهمِّ مصطلحاتهم الدائرةِ على ألسنتهم ، وغير ذلك ، رضي الله عنهم .

كلماتٌ في حقِّ الكاتب :

في نَسَب أبي حَفْصٍ السُّهْرُوَرْديِّ عند الإمام تاج الدين السُّبْكيِّ في كتابه العظيم « طبقات الشافعيَّة الكبرىٰ ».. نجدُ أنَّ الأبَ السادسَ عشرَ له هو الصدِّيقُ الأكبرُ لهـٰذه الأمة ؛ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ ولذا يقال له : (البَكْري) .

فبالله عليكم ؛ إذا قرأتم للسُّهْرُوَرْديِّ في « عوارفه ».. فاشهدوا نَبْرَةَ الصِّدق فيها ، واستشعروا قَدْرَها الغالي ، وشَرَفها العالي .

وأكتفي بكلماتٍ ممَّا في « طبقات السُّبْكيِّ » تُلْقي بظلالٍ عن حال هـٰذا العارف من أهل الكمال : (قال ابنُ النجَّار : كان شيخَ وقتِهِ في علم الحقيقة ، وانتهتْ إليه الرِّئاسةُ في تربية المريدين ، ودعاءِ الخلق إلى الله ، وتسليكِ طريقِ العبادة والزُّهد ، صَحِبَ عمَّهُ حتىٰ مات ، وسلك طريقَ الرياضات والمجاهدات ، وقرأ الفقهَ والخلافَ والعربيَّة ، وسمع الحديثَ ، ثمَّ انقطع ولازم الخَلْوة ، وداوم الصومَ والذِّكْر والعبادة .

ومات ولم يُخلِّفْ كَفَناً ، مع ما كان يدخل له)[1] .

شُجُوني مع الكتاب :

بعد عودتي من موسم حجِّ عام (١٤٢٧هـ).. بدأتُ بخدمة هـٰذا الكتاب ، وكانت الخدمةُ محصورةً في توضيحِ ما أَمْكَنَ من الغريب ، وشَكْلِ ما يُشكِلُ لغةً ، وتراجمَ موجزةٍ لبعض الأعلام ، وذلك بنَظَرِ ودعاء سيِّدي الحبيب عمرَ بن محمد بن سالم بن حفيظ ، أمتعنا الله بحياته .

وانتهيت من الخدمة المذكورة في ضُحَى الخميس (٥) من جُمادى الأُولى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٨/ ٣٣٨ـ٣٤١) .

(١٤٢٧هـ) ، الموافق (١/٦/٢٠٠٦م) ، وقد كنتُ مُغتبِطاً بإهدائي النسخةَ مع الخدمة لسيِّدي الحبيب عمرَ بن حفيظ ، وهي الآن بتريمَ الغنَّاء .

ومن الموافقات العجيبة : أنَّ الخامسَ من جُمادى الذي نحن فيه وافق أيضاً أنَّهُ يوم الخميس !! ووافقَ أنِّي أضعُ كلماتٍ في أوَّل هـٰذه الطبعة الجديدة المُتميِّزة للكتاب ، التي تشرَّفت (دار التقوىٰ) في دمشقَ بإخراجه في هـٰذه الحُلَّة القَشِيبة .

والشكرُ لكلِّ مَنْ ساهم بخدمةٍ لظهور هـٰذه الطبعة ؛ يُخَصُّ منهم : الأخُ محقق الكتاب الأستاذ بلال محمد حاتم السَّقَّا ، حفظه الله وزاده من فضله وتوفيقه ، والأستاذُ المبارك الأخ لؤي الأحمر ، حفظه الله وأيَّده وحَرَسَهُ ودارَهُ مِنْ كلِّ سوء ، وكنتُ قد شجَّعتُهُ على إخراج الكتاب ، فحالفه التوفيقُ وساعدتْهُ العناية حتىٰ برز لأهل العلم والسلوك .

ما تمتازُ به هذه الطبعة :

إنَّ ما يَسُرُّ خاطرَ كلِّ محبٍّ لهـٰذا الكتاب أنْ تجتمعَ له عشرُ مخطوطات ، وأن يُرىٰ فيه مُضافاً أوَّلَ مرَّة : « وصيةُ هـٰذا الإمام » بعد الرجوع إلىٰ ثلاث مخطوطات ، و« القصيدةُ الرائيةُ الشَّرِيشية » الناظمةُ لمسائل الكتاب ومُهِمَّاته ، وهـٰذا من عنايات الله تعالىٰ للدَّار العامرة .

هذا وبالله التوفيق وله الحمد أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً

حرر في دمشق الشام

ليلة الخميس (١٢) جمادى الأولى (١٤٤٣هـ)

الموافق (١٦) كانون الأول / ديسمبر (٢٠٢١م)

وكتبه

راجي الجود الرباني

محمد ياسر القضماني

ترجمة شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف الرباني
شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهروردي (١)

نسبه ومولده

هو الإمام الكبير ، والصوفيُّ الشهير ، قُدوةُ العارفين ، وعُمدةُ السالكين ، أستاذُ الشيوخ الأكابر ، الجامعُ بين علمَيِ الباطن والظاهر ،

---

(١) مصادر ترجمته : « مشيخة السهروردي » من مواضعَ متفرقة ، « التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد » (ص٣٩٨ـ ٣٩٩) ، « إكمال الإكمال » (٣/ ٥٥٥ـ ٥٥٦) ، « تاريخ دُنَيْسَر » (ص١٤٣ـ ١٤٧) ، « ذيل تاريخ بغداد » (١٥/ ٢٨٧) ، « تاريخ إربل » (١/ ١٩٢ـ ١٩٤) ، « مرآة الزمان » (٢٢/ ٣٢١ـ ٣٢٢) ، « ذيل الروضتين » (ص٢٤٨) ، « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٨٠ـ ٣٨١) ، « معجم البلدان » (٣/ ٢٩٠) ، « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٦ـ ٤٤٨) ، « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » (ص٧٤ـ٧٥) ، « نجم المهتدي ورجم المعتدي » (١/ ٥٩٥ـ ٥٩٦) ، « سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٣٧٣ـ ٣٧٨) ، « تاريخ الإسلام » (٤٦/ ١١٢ـ ١١٥) ، « المعين في طبقات المحدثين » (ص١٩٦) ، « العبر » (٣/ ٢١٣) ، « المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدُّبَيْثي » (ص٢٩٣) ، « تاريخ ابن الوردي » (٢/ ١٥٨ـ ١٩٥) ، « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/ ١١١ـ ١١٢) ، « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٣٨ـ ٣٤١) لابن السبكي ، « طبقات الشافعية » (١/ ٣٤٢) للإسنوي ، « مرآة الجنان » (٤/ ٧٩ـ ٨٢) ، « البداية والنهاية » (١٣/ ١٣٨ـ ١٣٩) ، « طبقات الشافعيين » (ص٨٣٥ـ ٨٣٦) لابن كثير ، « روضة الحبور ومعدن السرور » (ص١٧٨ـ ١٩١) ، « النجوم الزاهرة » (٦/ ٢٨٣ـ ٢٨٥) ، « طبقات الأولياء » (ص٢٦٢ـ ٣٦٥) ، « العقد المذهب في طبقات حملة=

شيخُ الإسلام ، وبركة الأنام ، الفقيهُ المُحدِّثُ المُحقِّق ؛ شهابُ الدين أبو حفص وأبو نصر وأبو القاسم وأبو عبد الله[1] ، عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن عَمُّويه ـ وهو عبد الله ـ بن سعد بن الحسين بن القاسم[2] بن النضر[3] بن القاسم بن محمَّد بن عبد الله بن فقيه المدينة وابن فقيهها عبد الرحمـٰن بن القاسم بن محمَّد بن الصحابي الجليل خليفةِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أبي بكر الصِّدِّيق عبد الله بن أبي قُحافةَ رضي الله عنهما ، القرشيُّ التَّيْميُّ البَكْريُّ السُّهْرُوَرْديُّ البغداديُّ الشافعي ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وأرضاه .

ويلتقي نسبه مع الإمام الحافظ المُؤرِّخ أبي الفرج ابن الجوزي . . في القاسم بن النضر بن القاسم[4] .

والسُّهرُوَرْديُّ : نسبةٌ إلىٰ (سُهرُوَرْد) بلدةٍ قريبة من زَنْجانَ ، وتقعُ الآن

= المذهب » (ص٣٥٧ـ ٣٥٨) ، « نزهة الأنام » (ص٦٠ـ ٦٢) ، « طبقات الشافعية » (٢/ ٨١ ـ ٨٢) لابن قاضي شهبة ، « المقفى الكبير » (٤/ ٣٧٩ـ ٣٨٠) ، « الفلاكة والمفلوكون » (ص١٢٠) ، « كنوز الذهب في تاريخ حلب » (١/ ٣٨٩ـ ٣٩١) ، « التاريخ المعتبر » (٣/ ٧٤) ، « شذرات الذهب » (٧/ ٢٦٨ـ ٢٧٠) ، « كشف الظنون » من مواضع متفرقة ، « هدية العارفين » (١/ ٧٨٥ـ ٧٨٦) ، « الأعلام » (٥/ ٦٢) ، « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » (ص٥٣ـ ٥٦) ، « معجم المؤلفين » (٢/ ٥٧٥) .

(١) أورد جميع هـٰذه الكُنى ابنُ كثير في « طبقات الشافعيين » (ص٨٣٥) ، ودون ذكر أبي القاسم ابنُ المستوفي في « تاريخ إربل » (١/ ١٩٢) ، وقال : (إن الأكثر : أبو نصر) ، والمشهور في كنيته : (أبو حفص) .

(٢) زاد السمعاني في « الأنساب » (٧/ ٣٠٧) : (بن علقمة) .

(٣) زاد السمعاني في « الأنساب » (٧/ ٣٠٧) : (بن معاذ) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٣٧٦) .

في الشمال الغربي من جمهورية إيران ، وهي على الأكثرِ والأشهرِ بضم السين وإسكان الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء ودال مهملة ، وضَبَطَ ابنُ نقطة الراء الأولىٰ بالضم[١] .

ويَخلِطُ بعضُ الباحثين بينه وبين شهاب الدين يحيى بن حَبَش السُّهْرُوَرْدي المقتولِ الفيلسوف المشهور (ت٥٨٧هـ) ؛ وذلك بسبب اتفاق اللقب والنسبة ، وكان الفيلسوفُ يقطن حلب ، فأفتىٰ علماؤها بقتله لأمور صدرت منه ليس هنا محلُّ عرضِها ، وكتب السلطان صلاح الدين الأيُّوبي بذلك[٢] .

وأمّا عن مولد إمامنا السُّهْرُوَرْدي : فقد سأله عنه تلميذه الإمام المُؤرِّخ أبو عبد الله الدُّبَيْثي ، فقال : (وُلِدتُ بسُهْرُوَرْدَ في أواخر رجبٍ أو أوائل شعبانَ من سنة تسع وثلاثين وخمس مئة)[٣] ، وظاهرٌ أنَّ الشكَّ منه رحمه الله تعالىٰ .

أسرته

ينتمي إمامُنا المُترجَم إلىٰ عائلةٍ كبيرة مشهورة بالعلم والولاية ، ولا شكَّ أنَّ هـٰذه العائلةَ الكريمة قد شَمِلَتْها أنفاسُ ونَفَحاتُ مَنْ ينتهي نسبُها إليه ؛ وهو إمامُ الصِّدِّيقين وسيِّدُ العارفين ، سيِّدُنا الصحابيُّ الجليل أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ، وكان مِنْ ذُرِّيَّة المُترجَم أيضاً فُضَلاءُ وكُبَراءُ .

---

(١) انظر « توضيح المشتبه » (٥/ ٣٧٣) .
(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٦/ ٢٦٨ـ ٢٧٤)، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٢٠٧ـ ٢١١).
(٣) انظر « تاريخ إربل » (١/ ١٩٣) .

ومِنْ أبرز رجالات هـٰذه الأسرة :

ـ والدُ جدِّ المُؤلِّف الشيخُ الصُّوفي المُعمَّر : محمَّد بن عبد الله المعروفِ بـ (عمُّويه) بن سعد ، تُوفِّيَ سنة (٤٦٨ هـ) وقد بلغ في العمر مئةً وعشرين سنة[١] .

ـ وعمُّ أبيه الشيخ الصُّوفي الواعظ : أبو حفص عمر بن محمَّد بن عمُّويه ، كان جميلَ الأمر ، مرضيَّ الطريقة ، سمع منه : الحافظُ السِّلَفيُّ ، ولبس منه الخرقةَ : ابن أخيه أبو النَّجيب ، ومنه إمامُنا المُترجَم ، تُوفِّيَ سنة (٥٣٢هـ)[٢] .

ـ وأبوه الفقيه الواعظ : أبو جعفر محمَّدٌ ، تفقَّهَ ببغدادَ : علىٰ أسعدَ المِيهَنيِّ ، وكانت تُعقد له مجالسُ الوعظ في جامع القصر وفي المدرسة النِّظَاميَّة ببغداد ، وتولَّىٰ قضاء سُهْرُوَرْدَ ، ومات مقتولاً سنة (٥٣٩هـ) .

ـ وعمُّ المؤلف وشيخُهُ ، الإمام الكبير ، والوليُّ الشهير ، نُخبة العلماء العاملين ، وصفوةُ الأولياء العارفين ، شيخ الإسلام ، ومُفتي الأنام : ضياء الدين أبو النَّجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمَّد البكري السُّهْرُوَرْدي الشافعي ، وهو من أشهر رجالات هـٰذه العائلةِ الكريمة المباركة بعدَ إمامنا المترجم .

ولد في صفر سنة (٤٩٠هـ) ، وأخذ العلم علىٰ كبار علماء عصره ؛

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣١/ ٢٦٨ـ ٢٦٩) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٦/ ٢٨٩ـ ٢٩٠) ، وسيأتي سند الخرقة من طريق إمامنا السهروردي في (٢/ ٦٠٨ـ ٦١٣) .

فسمع : أبا علي بن نبهان ، وعصام الدين أبا حفص الصفَّارَ ، وأبا منصور ابنَ خَيْرون ، وزاهر بن طاهر الشَّحَّاميَّ ، والقاضيَ أبا بكر الأنصاريَّ ، والشريفَ نور الهدىٰ أبا طالب الزَّينبيَّ ، وغيرَهُم رحمهم الله تعالىٰ ، وتفقَّه بالمدرسة النِّظَاميَّة : على الإمام أبي الفتح أسعد المِيهَني ، وتأدَّب : علىٰ أبي الحسن عليِّ بن محمد الفَصِيحيِّ ، وسَلَكَ الطريقَ : علىٰ يد الإمام القُدوة أبي عبد الله حمَّاد الدبَّاس ، والإمام المُربِّي أبي الفتوح أحمد الغزالي أخي الإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد ، وظهرت عليه أنوارُهُ ، وسَرَتْ إليه أسرارُهُ ، واشتَهَرَ اسمُهُ ، وبَعُدَ صِيتُهُ ، واستفاضت كراماتُهُ ، وبنىٰ رِباطاً ، وبنىٰ إلىٰ جانبه مدرسة ، فصار كعبةً للمريدين والسالكين ، وحِميً لمَنِ التجأ إليه من الخائفين ، يُجِيرُ من السلطان والخليفة وغيرهما ، وأفلح بسببه خلقٌ كثيرون ، وأملىٰ مجالسَ كثيرةً ، وصنَّف كتباً عديدةً .

وسمع منه : أبو القاسم ابن عساكر ، وابنه القاسم ابن عساكر ، وابن سعد السَّمْعاني ، وزين الأمناء أبو البركات ، وأحمد ابن سُكَينة ، وابنُ أخيه المُترجَمُ شهاب الدين السُّهْرَوَرْديُّ ، وخلقٌ سواهم رحمهم الله تعالىٰ .

وقد اتَّفق له في بدايته مجاهداتٌ كثيرة ؛ حكىٰ عن نفسه رضي الله عنه قال : (كنتُ أدخل علىٰ شيخي وربَّما يكون اعتراني بعضُ الفُتُور عمَّا كنت عليه من المجاهدة ، فيقول لي : أراك قد دخلتَ وعليكَ ظُلْمةٌ ، فأعلمُ سببَ ذلك وكرامةَ الشيخ .

وكنتُ أبقى اليومين والثلاثةَ لا أستطعمُ بزاد ، وكنتُ أنزل إلىٰ دِجْلةَ وأتقلَّب في الماء ليسكن جوعي ، حتىٰ دَعَتْني الحاجةُ إلىٰ أنِ اتَّخذتُ قِرْبةً

أستقي بها الماء للقوت ، فمن أعطاني شيئاً أخذته ، ومن لم يُعطِني تركته ، ولمَّا تعذَّر عليَّ ذلك في الشتاء خرجتُ يوماً إلىٰ بعض الأسواق ، فوجدتُ رجلاً وبين يديه طَبَرْزَدٌ وعنده جماعةٌ يدقُّون الأَرُزَّ[1] ، فقلت : هل لك أن تستأجرَني ؟ فقال : أَرِني يديك ، فأَرَيتُهُ ، فقال : هـٰذه يدٌ لا تصلح إلا للقلم ، ثمَّ ناولني قِرْطاساً فيه ذهب ، فقلت : ما آخذ إلا أجرةَ عملي ، فاستأجِرْني على النَّسْخ ؛ إن كان لك نَسْخٌ وإلا انصرفتُ ، وكان رجلاً يَقِظاً ، فقال : اصعد ، وقال لغلامه : ناوِلْهُ المِدَقَّةَ ، فناولَني فدققتُ معهم وليس لي عادةٌ وصاحبُ الدُّكَّان يَلحَظُني ، فلمَّا عملتُ ساعةً قال : تعالَ ، فجئت إليه فناولَني الذهبَ ، وقال : هـٰذه أجرتُكَ ، فأخذتُهُ وانصرفت .

ثمَّ أَوْقعَ اللهُ في قلبي الاشتغالَ بالعلم ، فاشتغلتُ حتىٰ أتقنتُ المذهب ، وقرأتُ أصولَ الدين وأصولَ الفقه ، وحفظتُ « وسيط الواحدي » في التفسير ، وسمعتُ كتبَ الحديثِ المشهورةَ)[2] .

تُوفِّيَ في جُمادى الآخرةِ سنة (٥٦٣هـ) .

وقد أسند عنه إمامُنا السُّهْرَُوَرْدي في كتابنا هـٰذا كثيراً من الأخبار والآثار ، وأورد له بعضَ الحكايات والقصص النافعة ، كما سيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالىٰ[3] .

---

(١) الطَّبَرْزَد : السُّكَّر ، أو نوع منه ، وهو فارسي مُعرَّب ، ويُقال بالذال والنون واللام بدل (الدال) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٧٥) .

(٣) انظر (١/ ٢٤-٢٦) .

نشأته ولمحة من سيرته العلمية والسلوكية والتربوية

وُلِدَ إمامُنا المُترجَم بسُهْرُوَرْدَ ونشأ بها ، ثمَّ قَدِمَ به عمُّهُ أبو النَّجيب عبدُ القاهر إلىٰ بغدادَ التي كانت في تلك الآونة كعبةَ المعارف ، ومنبعَ الأسرار والعوارف ، فصحبه بها وتَسَرْبَلَ بطريقته الصوفيَّة ، وارتوىٰ من إخاذاته الهنيَّة ، وصحب أيضاً الإمام القُطْبَ عبدَ القادر الجِيلانيَّ ، وانحدر إلى البَصْرة ، فأخذ بها عن الولي الكبير أبي محمَّد بن عبد البَصْري ، وقرأ الفقه والخلاف والعربية ، وسمع الحديث : من عمِّه ، وأبي المُظفَّر الشِّبْلي ، وأبي زُرْعة المقدسي ، ومعمر ابن الفاخر ، وأبي الفتح ابن البَطِّي ، وعبد الوهاب ابن سُكَينة ، وغيرِهِم رحمهم الله تعالىٰ ، وسيأتي الحديث عن بعض مرويَّاته بعد قليل إن شاء الله تعالىٰ .

ومن القصص العجيبة التي حَدَثَتْ له مع شيخه ابنِ عبد البَصْريِّ . . ما حدَّث به رضي الله عنه أنَّهُ قال : (انحدرتُ إلى البَصْرة لأزورَ الشيخَ أبا محمَّد البصريَّ بن عبد ، فمررتُ في طريقي بمواشٍ وزروع ونخيل كثيرة ، وكنتُ كلَّما اجتزتُ بشيء منها سألتُ عنه راعيَهُ ومن يقوم به ، فيقولون : هٰذا للشيخ [أبي] محمَّد بن عبد ، فخَطَرَ في نفسي أنَّ هٰذا حالُ الملوك ، فدخلتُ البَصْرة وأنا أتلو سورة « الأنعام » ، وقلت في نفسي : أي آية انتهيتُ إلىٰ دار الشيخ وأنا أقرأها . . فهي حالي معه ، قال : فوصلت إلىٰ باب داره ، ووضعت رِجْلي علىٰ باب عَتَبة داره وأنا أتلو : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] ، فخرج إليَّ خادمُهُ على الفور مُسرِعاً قبل

أن أستأذنَ وقال : إنَّ الشيخ يدعوك ، فدخلتُ عليه وقال لي ابتداءً : يا عمرُ ؛ جميعُ ما رأيتَهُ على الأرض هو على الأرض ، وليس في قلب عُبيدٍ منه شيءٌ ، فاشتدَّ تعجُّبي من علمه بحالي في شيء لم يعلمه إلا اللهُ تعالىٰ)[1] .

وأمَّا شيخُ فَتْحِهِ في الوعظ والتألُّهِ والسلوك ، إلىٰ حضرة ملك الملوك . . فهو عمُّهُ ومُربِّيه أبو النَّجيب السُّهْرُوَرْدي الذي سلك طريقَهُ واهتدىٰ بهديه ، وقد استنار من ضوء مِشْكاته ، واستجابتْ أعضاؤه إلىٰ نَظَراته ، ولانتْ نَفْسُهُ إلىٰ مُجاهداته ، وقد عاين بعَيْن رأسِهِ وقلبه منهجَهُ الربَّانيَّ في التربية والهداية والإرشاد ، وروىٰ في كتابنا هـٰذا نبذةً يسيرة منه .

فمن ذلك : أنَّهُ قال : (رأيتُ شيخَنا ضياءَ الدين أبا النَّجيب وكنتُ معه في سفره إلى الشام وقد بعث بعضُ أبناء الدنيا له طعاماً علىٰ رؤوس الأُسارىٰ من الإفرنج وهم في قُيُودهم ، فلمَّا مُدَّت السُّفْرةُ والأُسارىٰ ينتظرون الأوانيَ حتىٰ تَفرُغَ . . قال الشيخ للخادم : أَحضِرِ الأُسارىٰ حتىٰ يقعدوا على السُّفْرةِ مع الفقراء ، فجاء بهم وأقعدهم على السُّفْرةِ صفّاً واحداً ، وقام الشيخ من سَجَّادته ومشىٰ إليهم وقعد بينَهُم كالواحد منهم ، فأكل وأكلوا ، فظهر لنا علىٰ وجهه ما نازلَ باطنَهُ من التواضع لله ، والانكسارِ في نفسه ، وانسلاخِهِ من التكبُّر عليهم بإيمانه وعِلْمِهِ وعَمَله)[2] .

وقال أيضاً : (وقد كان شيخُنا أبو النَّجيب السُّهْرُوَرْديُّ لا يتقيَّدُ بهيئة من الملبوس ، بل كان يَلبَسُ ما يتَّفقُ من غير تعمُّلٍ وتكلُّف واختيار ، وقد كان

---

(١) انظر « خلاصة المفاخر » (ص١١٢) .

(٢) انظر (٢/ ٣٠) .

يَلبَسُ العِمامةَ بعشرة دنانيرَ ، ويَلبَسُ العِمامةَ بدانقٍ)[1] .

وقال أيضاً : (وقد كنتُ أُحَمُّ ، فيدخلُ عليَّ عمِّي وشيخي أبو النَّجيب السُّهْرُوَرْديُّ رحمه الله ، فيَرشَحُ جسدي عَرَقاً ، وكنتُ أتمنَّى العرقَ لتَخِفَّ عنِّي الحُمَّىٰ ، فكنتُ أجدُ ذلك عند دخول الشيخ عليَّ ، ويكونُ في قُدُومه بركةٌ وشفاء .

وكنتُ ذاتَ يومٍ في البيت خالياً ، وهناك منديلٌ وهبه لي الشيخ ، وكان يتعمَّمُ به ، فوقع قدمي على المنديل اتِّفاقاً ، وتألَّم باطني من ذلك ، وهالني وَطْئي بالقَدَم منديلَ الشيخ ، وانبعث من باطني من الاحترام ما أرجو بركتَهُ)[2] .

وقال أيضاً : (وسمعتُ شيخَنا يقول : لي سنينَ ما أكلت شيئاً بشهوةِ نَفْسٍ ابتداءً واستدعاء ، بل يُقدَّمُ لي الشيءُ فأرىٰ فضلَ الله ونعمتَهُ وفِعْلَهُ ، فأُوافِقُ الحقَّ في فعله .

وذَكَرَ أنَّهُ ذاتَ يومٍ اشتهى الطعام ولم يَحضُرْ مَنْ عادتُهُ تقديمُ الطعام إليه ، قال : ففتحتُ باب البيت الذي فيه الطعامُ ، وأخذتُ رُمَّانةً لآكلَها ، فدخلتِ السِّنَّورُ وأخذتْ دجاجةً كانت هناك ، فقلتُ : هـٰذا عقوبةٌ لي علىٰ تصرُّفي في أَخْذِ الرُّمَّان)[3] .

وقال أيضاً : (وقد كان شيخُنا يطوف في مسجد الخَيْف بمنىً ،

---

(1) انظر (٢/ ٢٥٣) .

(2) انظر (٢/ ٣٤٣ـ ٣٤٤) .

(3) انظر (٢/ ٢١٠) .

ويتفحَّصُ وجوه الناس ، فقيل له في ذلك ، فقال : للهِ عبادٌ إذا نَظَرُوا إلى الشخص أَكْسَبُوهُ سعادة ، فأنا أتطلَّب ذلك)[1] .

ثمَّ انقطع إمامُنا السُّهْرَوَرْدِيُّ ، ولازم الخلوة ، وداوم على الصوم والذكر والعبادة ، فلاحت له أسرارُ المعارف ، وغَرَفَ من بحار العوارف ، وارتوتْ نَفْسُهُ من الفيوضات الربَّانية ، وغُمرت بالمعاني العِرْفانيَّة ، وارتقىٰ أعلى المقامات ، ولاح له دقيقُ الإشارات .

وبعد تحقُّقِهِ بذلك بدأ بدعاء الخَلْق إلىٰ ربِّ الأرباب ، وتسليكهم طريقَ الزهد والعبادة ، وعَقَدَ مجالسَ الوعظ والإرشاد بمدرسة عمِّهِ أبي النجيب علىٰ شاطئ دِجْلَةَ ، وكان يتكلَّم بكلامٍ حديث العهد بربِّه من غير تكلُّف أو تزويق ، واشتَهَرَ اسمُهُ ، وقُصد من جميع الأقطار ، وظهرتْ بركاتُ أنفاسِهِ على المذنبين والعُصاة ، ووصل به خلقٌ إلى الله تعالىٰ ، وصار له أصحابٌ كالنجوم ، وكان مجلسُ وعظِهِ يَحضُرُهُ العلماءُ والصالحون ، والأولياءُ والعارفون ، والصغيرُ والكبير ، والعبد والأمير .

يُروىٰ : أنَّهُ أنشد يوماً على الكرسي : (من الكامل)

لا تَسْقِني وَحْدي فما عوَّدْتَني ... أنِّي أَشُحُّ بها علىٰ جُلَّاسي

أنتَ الكريمُ ولا يليقُ تكرُّماً ... أنْ يَعبُرَ النُّدَماءَ دَوْرُ الكاسِ

فتواجد الناسُ لذلك ، وقُطِّعتْ شعورٌ كثيرة ، وتاب خَلْقٌ عظيم[2] .

---

(١) انظر (١/ ٣٨٠) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٦) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ٨٠) .

ويُروىٰ أيضـاً : أنَّهُ جلـس يومـاً ببغدادَ ، فذَكَرَ أحوالَ القوم ، ثمَّ أنشد : (من البسيط)

ما في الصِّحابِ أخو وَجْدٍ نُطارِحُهُ حديثَ نَجْدٍ ولا صَبٌّ نُجارِيهِ

وجَعَلَ يُرَدِّدُ البيتَ ويَطرَبُ ، فصاح شابٌّ من أطراف المجلس ، وعليه قَبَاءٌ وكَلُوتَةٌ[1] ، وقال : يا شيخُ ؛ إلىٰ كم تَشطَحُ وتنتقصُ بالقوم ؟! واللهِ ؛ إنَّ فيهم مَنْ لا يرضىٰ أن يُجارِيَكَ ، ولا يصلُ فَهْمُك إلىٰ ما يقول ، هلَّا أنشدتَ : (من البسيط)

ما في الصِّحابِ وقد سارتْ حُمُولُهُمُ إلَّا مُحِبٌّ له في الرَّكْبِ محبوبُ
كأنَّما يوسفٌ في كلِّ راحلةٍ والحيُّ في كلِّ بيتٍ منهُ يعقوبُ

فصاح الشيخُ ، ونزل مِنْ على المنبر ، وقَصَدَ الشابَّ ليعتذرَ إليه ، فلم يَجِدْهُ ، ووَجَدَ موضعَهُ حُفْرةً فيها دمٌ ممَّا فَحَصَ بِرِجْلَيهِ عند إنشاد الشَّيخ البيتَ[2] .

وكان أربابُ الطريقِ من مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صورةَ فتاوىٰ يسألونه عن شيء من أحوالهم ؛ يُروىٰ : أنَّ بعضَهُم كتب إليه : يا سيِّدي ؛ إنْ تركتُ العملَ أخلدتُ إلى البَطَالة ، وإن عَمِلْتُ دَاخَلَني العُجْبُ ، فأيَّتُهُما أَوْلىٰ ؟ فكتب جوابَهُ : اعْمَلْ واستغفرِ اللهَ من العُجْب[3] .

وحجَّ مرَّاتٍ عديدةً ، وربَّما جاور في بعضها ، وهناك التقىٰ به بعضُ

---

(١) الكَلُوتَة : ضرب من القلانس ، وهي كلمة مُعرَّبة .
(٢) انظر « مرآة الزمان » (٢٢/ ٣٢٣) ، و« البداية والنهاية » (١٣/ ١٣٩) .
(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٧) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ٨٠ ـ ٨١) .

المريدين ، فأجازهم وألبسهم خِرْقتَهُ الشريفة ، ونُفِّذَ رسولاً إلى الشام مرّات ، وإلى السلطان خوارزم شاه ، وإلىٰ كثير من البلاد ، ورأىٰ من الحُرْمة والجاه ما لم يَرَهُ أحد ، وحَصَلَ له بذلك أموالٌ جزيلة ، ففرَّقها على الفقراء والمحتاجين ، ولم يأخذ منها شيئاً ، وحدَّث في أسفاره ووَعَظَ ، وانتفع بطريقته خَلْقٌ كثيرون ، ورُتِّب بالرِّباط المنصوريِّ ورِباط المأمونيَّة ورِباط البِسْطامي ، وأَضَرَّ وأُقعِدَ في آخر عمره ، فما أخلَّ بالأوراد ودوامِ الذِّكْر والعبادة وحضور الجُمَعِ في مِحَفَّتِهِ[1] ، إلىٰ أنْ دَخَلَ في عُشْر المئة وعَجَزَ وضَعُفَ ، فانقطع في منزله إلىٰ حينِ وفاته ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وأرضاه .

هـٰذا ؛ وقد كان الإمام السُّهْرُوَرْديُّ من أهل العلم بالحديث ، وهو معدودٌ في طبقاتهم ورُواتهم ، وله ذِكْرٌ طافحٌ في كتب الفهارس والأثبات ، وقد ذَكَرَ في كتابنا هـٰذا بعضَ أسانيده إلىٰ بعض المصادر والأجزاء الحديثيَّة وغيرها .

فنجد علىٰ سبيل المثال سندَهُ إلىٰ « صحيح البخاري » ، و« سنن أبي داود » ، و« سنن الدارمي » ، و« الزهد » لابن المبارك ، وبعضِ كتب السُّلَميِّ . . من طريق عمِّهِ أبي النَّجيب السُّهْرُوَرْدي رحمه الله تعالىٰ .

ونجد سندَهُ إلىٰ « سنن الترمذي » من طريق شيخه ضياء الدين عبد الوهاب ابن سُكَينة البغدادي .

وسندَهُ إلىٰ « حلية الأولياء » ، وبعضِ كتب السُّلَميِّ ، و« العُزْلة »

---

(١) المِحَفَّة : المركب .

للخطَّابي ، و« غريب الحديث » للحَرْبي . . من طريق شيخه أبي الفتح محمَّد بن عبد الباقي البغدادي .

وسندَهُ إلىٰ « صفوة التصوُّف » ، و« سنن ابن ماجه » ، وبعضِ كتب السُّلَميِّ ، و« مسند ابن الجَعْد » . . من طريق شيخه أبي زُرْعة طاهر المَقْدِسي .

وسندَهُ إلى « الكشف والبيان » للثعالبي ، و« الرسالة » للإمام القُشَيري . . من طريق شيخه رَضِيِّ الدين أحمد بن إسماعيل القَزْوِيني .

شيوخه

أخذ الإمامُ السُّهْرَوَرْديُّ عن كبار الأئمَّة والعلماء ، وأسند أُمَّاتِ كتبِ الحديث والرواية عن كبار المُحدِّثين النُّبلاء ، وله « مشيخة » رواها عنه أبو المعالي أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَبَرْقُوهيُّ ، ولم يستوعبْ فيها جميعَ شيوخِهِ ، بل إنَّما ذكر ستة عشر شيخاً[1] ، وسأذكرُ في هٰذه العُجالةِ أبرزَهُم وأشهرَهُم ؛ فمنهم :

ـ الإمامُ الفقيه الواعظ ذو الفنون : رضيُّ الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف القَزْوِينيُّ الطَّالْقَانيُّ الشافعي (ت ٥٩٠هـ) ، كان رئيسَ أصحابِ الشافعيِّ في وقته ، وكان إماماً في المذهب والخلاف والأصول والتفسير والوعظ والزهد ، وليس له ذِكْرٌ في « المشيخة » مع أنَّ إمامَنا

(١) وانظر خاتمة النسخة (هـ) ؛ ففيها ذكر بعض شيوخه في لبس الخرقة الشريفة .

السُّهْرُوَرْديِّ أسند عنه كثيراً في كتابنا هٰذا[1] .

ـ الإمامُ الصُّوفيُّ المسند : أبو الرشيد أحمد بن محمَّد بن أبي القاسم الخَفِيفيُّ الأَبْهَري الشافعي (ت٥٧٧هـ) ، كان من أعيان أصحاب أبي النَّجيب السُّهْرُوَرْدي ، وكان ذا مجاهدات وكرامات[2] .

ـ الإمامُ الفقيه المسندُ الثقة : أبو بكر أحمد بن المُقرب بن الحسين البغداديُّ الكَرْخي الشافعي (ت٥٦٣هـ) ، كان صدوقاً متواضعاً صحيحَ السماع ، وقرأ القراءاتِ وتصوَّف وحدَّث بالكثير[3] .

ـ الإمامُ المسند الصدوق الصُّوفيُّ : أبو زُرْعة طاهر بن الحافظ محمَّد بن طاهر الشَّيْبانيُّ المَقْدسي الهَمَذَاني (ت٥٦٦هـ) ، تفرَّد برواية الكتب والأجزاء ، وأسند عنه المُترجَمُ كثيراً في كتابنا هٰذا[4] .

ـ الإمامُ الكبير القُطْبُ المُربِّي ، عُمْدةُ المريدين والسالكين ، وقُدْوةُ الأولياء والعارفين : سيِّدي الشريفُ شيخُ الإسلام محيي الدين أبو محمَّد عبدُ القادر بنُ أبي صالح عبد الله الجِيلانيُّ الحَسَني البغدادي الحنبلي (ت٥٦١هـ) ، كان سلطانَ أولياءِ زمانه ، وملجأَ أهلِ أوانه ، تخرَّج علىٰ

(١) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٥٩ـ ٦١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ١٩٠ـ ١٩٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٧ـ ١٣) .
(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٧٠ـ ٧١) ، و« المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي » (ص١١٩) .
(٣) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (١٥/ ١٢٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٤٧٣) .
(٤) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٥٥ـ ٥٧) ، و« ذيل تاريخ بغداد » (١٥/ ٢٠٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٥٠٣ـ ٥٠٤) .

يديه كبارُ العلماء والنُّجَباء ، ونُخْبةُ الصُّلَحاء والأولياء ، ولعلَّ إمامَنا السُّهْرُوَرْديَّ أبرزُ مثالٍ علىٰ ذلك ، وقد ذكره في كتابنا هـٰذا في أكثرَ من موضع[1] .

ـعمُّ المؤلفِ الإمامُ الفقيه المفتي الواعظُ المُربِّي العابدُ القُدْوة : ضياء الدين أبو النَّجيب عبدُ القاهر بن عبد الله بن محمَّد البَكْريُّ السُّهْرُوَرْدي الشافعي (ت٥٦٣هـ) ، كان إماماً من أئمَّة الشافعيَّة ، وعَلَماً كبيراً من أعلام الصوفيَّة ، وهو ممَّنْ أخذ الطريقَ عن الإمام المُربِّي الصُّوفي أحمد الغزالي أخي حُجَّة الإسلام أبي حامد ، وهو من كبار شيوخ المُترجَم ، بل هو شيخُ فَتْحِهِ في علوم الظاهر والباطن ، وأسند عنه كثيراً في كتابنا هـٰذا ، وأورد له قصصاً عديدةً مفيدة قيِّمة ، وقد ترجمتُهُ ترجمةً موجزة أثناءَ الحديث عن هـٰذه الأسرة الكريمة المباركة[2] .

ـالإمامُ المُحدِّث الثقةُ : أبو المُعمَّر عبد الله بن سعد بن الحسين بن الهاطرا الوزَّانُ الأَزَجيُّ (ت٥٦٠هـ) المشهور بـ (خُزَيفة)[3] .

ـالإمامُ الفقيه الصُّوفيُّ شيخُ الإسلام مسندُ العراق ومُحدِّثُهُ : ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهَّاب بن علي بن علي ابنُ سُكَينةَ البغداديُّ الشافعي (ت٦٠٧هـ) ، كان شيخَ وقتِهِ في عُلُوِّ الإسناد والمعرفة والإتقان ، والزهدِ والمعرفة وحُسْنِ السَّمْت ، وموافقةِ الكتاب والسُّنَّة ، وسلوكِ طريق السلف

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٤٣٩ـ ٤٥٠) ، و« مرآة الزمان » (٢١/ ٧٧ـ ١٠٨) وترجمته فيه ترجمة حافلة ، و(١/ ٤٤٩ ، ٤٦٧ ، ٢/ ٢٥٣ ، ٣٤٩) .

(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٤٧ـ ٤٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٤٧٥ـ ٤٧٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٧٣ـ ١٧٤) ، و(١/ ٢٠ـ ٢٢) .

(٣) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٦٥ـ ٦٦) ، و« ذيل تاريخ بغداد » (١٥/ ٢١٥) .

الصالح ، أسند عنه سيِّدي السُّهْرُوَرْديُّ في كتابنا هـٰذا كثيراً من الأحاديث إلىٰ « سنن الإمام الترمذي »[1] .

ـ الإمامُ الصدوق مسندُ العراق : أبو الفتح محمَّد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان ابنُ البَطِّي البغداديُّ الحاجب (ت٥٦٤هـ) ، كان شيخَ أهلِ بغداد في وقته ، وكانتْ أكثرُ سماعاته علىٰ أبي الفضل ابن خَيْرون ، وحدَّث بكتبٍ عديدة ، وقد ذكر السُّهْرُوَرْدي أسانيدَهُ لبعضها في كتابنا هـٰذا[2] .

ـ الإمامُ المُحدِّث الثقةُ الواعظ الرحَّال : أبو أحمد معمر بن عبد الواحد ابن رجاء ابنُ الفاخر القرشيُّ الأَصْبهاني المُعدَّل (ت٥٦٤هـ) ، كان موسوماً بالحفظ والمعرفة والثقة والصلاح والمروءة والورع[3] .

ـ الإمام الفقيه : أبو القاسم واثق بن علي ابن فضلان الشافعي (ت٥٩٥هـ) ، كان من كبار الفقهاء وأعلام العلماء[4] .

ـ الإمامُ المسند المُعمَّرُ : أبو المُظفَّر هبة الله بن أحمد بن محمَّد الشِّبْليُّ البغدادي المُؤذِّن (ت٥٥٧هـ) ، وهو خاتمةُ مَنْ روىٰ عن الإمام الشريف

---

(١) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (١٦/ ٢١٢ـ ٢١٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٥٠٢ـ ٥٠٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٢٤ـ ٣٢٥) .

(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٥٣ـ ٥٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٤٨١ـ ٤٨٣) ، و« المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/ ١٦) .

(٣) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٧٦ـ ٧٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٤٨٥ـ ٤٨٧) ، و« المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/ ١٧٤ـ ١٧٥) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٧/ ٣٢٢) .

أبي نصر الزَّيْنبيِّ ، وهو أكبرُ شيخٍ روىٰ عنه إمامنا السُّهْرُوَرْدي[1] .

ـ الإمامُ المسند : أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بُنْدار الدِّينَوَريُّ البغدادي البقَّال (ت٥٦٦هـ)[2] .

ـ الإمام الفقيه الواعظ الصُّوفي : أبو الحجَّاج وأبو الفتح يوسف بن محمَّد بن مقلد الدمشقيُّ التَّنُوخي الشافعي (ت٥٥٨هـ) المشهور بـ (ابن الجماهري) ، وبـ (ابن بنت الدَّوَانِيقي)[3] .

ـ ومن شيوخه أيضاً : الوليُّ الكبير أبو محمَّد بن عبد البَصْريُّ ، وقد أوردتُ قبلَ قليل قصَّةً لطيفة جرت لإمامنا المُترجَم معه[4] .

ـ وممَّن روىٰ عنهم من النساء : المُحدِّثةُ بِشارةُ بنتُ أبي السعادات مسعودِ بن موهوب ، وكان سماعُ السُّهْرُوَرْديِّ منها سنة (٥٥٦هـ)[5] .

ثناء العلماء عليه

أجمع جميعُ مَنْ تَرْجَمَ لإمامنا السُّهْرُوَرْديِّ علىٰ أنَّهُ من كبار العارفين ، وقُدوةُ الزاهدين ، وبقيَّةُ السلف الصالحين ، وبُغيةُ المريدين السالكين ، وأنَّهُ بَلَغَ في الولاية والتربية مبلغاً كبيراً لم يَصِلْ إليه أحدٌ غيرُهُ في زمانه ، وسأكتفي بهٰذه العُجالة بذكرِ نزرٍ يسيرٍ جامع من كلامهم في مدحه والثناء عليه .

---

(١) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٥٠ـ ٥٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٩٣ـ ٣٩٤) .

(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٦١ـ ٦٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٥٠٥ـ ٥٠٦) .

(٣) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٦٨ـ ٧٠) ، و« تاريخ دمشق » (٧٤/ ٢٥٥) .

(٤) انظر (١/ ٢٣ـ ٢٤) .

(٥) انظر « مشيخة السهروردي » (ص٧٤ـ ٧٦) ، و« إكمال الإكمال » (٣/ ٢٦٨) .

فقال فيه تلميذُهُ الإمام الحافظ المُؤرِّخ ابنُ النجَّار : (كان شيخَ وقتِهِ في علم الحقيقة وطريق التصوُّف ، وإليه انتهتِ الرِّئاسةُ في تربية المريدين ودعاءِ الخَلْق إلى الله عزَّ وجلَّ ، وسلوكِ طريقِ العبادة والزهدِ في الدنيا)[1] .

وقال تلميذُهُ الإمام الحافظ المُؤرِّخ ابنُ نقطة : (شيخ العراق في وقته ، يرجعُ إلىٰ فضلٍ وإيثار ومُرُوءةٍ تامَّة ، وأورادٍ دائمة علىٰ كِبَرِ سِنِّهِ ، ووَعَظَ الناسَ مُدَّةً ببغدادَ وغيرِها ، فما أُخِذَ عليه شيءٌ ممَّا يُكرَهُ مِنْ قولٍ ولا حركة)[2] .

وقال تلميذُهُ الإمام الحافظ الفقيه المُحقِّق زَكِيُّ الدين المُنذريُّ : (كان شيخَ وقته في الطريقة وتربيةِ المريدين ، ودعاءِ الخلقِ إلى الله تبارك وتعالىٰ ، وكان مع عُلُوِّ سِنِّهِ كثيرَ العبادة. . . وكان له المحلُّ الرفيعُ عندَ الخاصِّ والعامِّ)[3] .

وقال الإمامُ قاضي القضاة المُؤرِّخ الأديب شمسُ الدينِ ابن خَلِّكان : (كان شيخاً صالحاً وَرِعاً كثيرَ الاجتهاد في العبادة والرياضة ، وتخرَّج عليه خَلْقٌ كثير من الصُّوفيَّة في المجاهدة والخَلْوة ، ولم يكن في آخر عُمُرِهِ في عصره مِثْلُهُ. . . وكان شيخَ الشيوخِ ببغداد ، وكان له مجلسُ وعظ ، وعلىٰ وعظه قَبولٌ كثير ، وله نَفَسٌ مبارك)[4] .

---

(١) ذيل تاريخ بغداد (٢٠/ ١١١) .
(٢) إكمال الإكمال (٣/ ٥٥٦) .
(٣) التكملة لوفيات النقلة (٣/ ٣٨٠ـ ٣٨١) .
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٦) .

وقال الإمامُ الحافظ المُؤرِّخ شمسُ الدين الذَّهَبي : (الشيخُ الإمام العالم ، القُدوةُ الزاهد العارف ، المُحدِّثُ شيخُ الإسلام ، أوحدُ الصُّوفيَّة)[1].

وقال الإمامُ الفقيه القاضي الأصوليُّ المُحقِّق تاج الدين السُّبْكي : (كان فقيهاً فاضلاً ، صوفيّاً إماماً وَرِعاً زاهداً عارفاً ، شيخَ وقتِهِ في علم الحقيقة ، وإليه المُنتهىٰ في تربية المريدين ، ودعاءِ الخَلْق إلى الخالق ، وتسليكِ طريقِ العبادة والخَلْوة)[2] .

وقال الإمامُ الفقيه المُؤرِّخ الصُّوفيُّ المُحقِّق الأديب الشاعر عفيفُ الدين اليافعي : (أستاذُ زمانه ، وفريدُ أوانه ، مَطلَعُ الأنوار ، ومَنبَعُ الأسرار ، دليل الطريقة ، وتَرْجُمانُ الحقيقة ، أستاذُ الشيوخ الأكابر ، الجامعُ بين علمَي الباطنِ والظاهر ، قُدوةُ العارفين ، وعُمدة السالكين ، العالمُ الربَّاني)[3] .

تلامذته

سَلَكَ على الإمام السُّهْرُوَرْديِّ جملةٌ وافرة من المريدين ، وغَرَفَ من بحر عوارفه ثُلَّةٌ من السالكين ، وتَسَرْبَلَ بخِرْقته الشريفة ثُبَةٌ من الصادقين ، وقد ذُكر في خاتمة النسخة (ب) و(هـ) أسماءُ كثيرٍ من المريدين الذين سمعوا منه كتابَنا هـٰذا « عوارف المعارف » ، وبعضٌ من الذين لَبِسُوا منه خِرْقة التصوُّف[4] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٧٣ـ ٣٧٤) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٨/ ٣٤٠) .

(٣) مرآة الجنان (٤/ ٧٩) .

(٤) انظر (٢/ ٦٠٢ـ ٦١٣) .

وَمِنْ أشهر هٰؤلاء التلاميذ وأبرزِهِم :

ـ الإمامُ الفقيه المُحدِّث المُقرِئُ الزاهد العابد : **عزُّ الدين أبو العبَّاس** أحمدُ بن إبراهيم بن عمر الواسطيُّ **الفارُوثي** الخطيب الشافعي (ت٦٩٤هـ)، كان له قَبولٌ تامٌّ من الخواصِّ والعوام ، ومحبَّةٌ في القلوب ووقعٌ في النفوس ، وكان حُلْوَ المجالسة طيِّبَ الأخلاق ، وأجازه السُّهْرُوَرْديُّ ، وألبسه الخِرْقة[1] .

ـ الإمامُ المسند الرحَّال الصُّوفي : شهابُ الدين **أبو المعالي** أحمدُ بن إسحاق بن محمَّد الهَمَذانيُّ المِصْري **الأَبَرْقُوهي** (ت٧٠١هـ) ، كان خيِّراً متواضعاً ، حَسَنَ القراءة للحديث الشريف ، قارئاً مُرتِّلاً لكتاب الله تعالىٰ ، ومات بمكَّة بسبب بِشارة وعِدَة نبويَّة بذلك[2] ، وكان يُعرف بين الصُّوفيَّة بالسُّهْرُوَرْدي ؛ لأنَّهُ كان يَلبَسُ عنه الخِرْقة[3] .

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٦ـ٨) ، و(٢/٦٠٨) .

(٢) ولا بأس بذكر هٰذه البشارة إفادةً للقارئ ؛ روى الذهبي في « معجم الشيوخ » (١/ ٧٤) عن شيخه تاج الدين أبي العباس المارديني قال : (ذهبنا إلىٰ شهاب الدين الأَبَرْقُوهِيِّ لنَلبَسَ منه الخِرْقةَ عن السُّهْرُوَرْدِيِّ ، فوَجَدْناهُ في مرضٍ شديد ، فقُمْنا وذهبنا ، فنفَّذ مَنْ ردَّنا ، وقال : ما تطلبونه تنالونه إن شاء الله ، وأنا فما أموتُ في مرضي هٰذا ، فأنكر باطني هٰذا منه ، فاستدرك وقال : لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وَعَدَني أنَّني أموت بمكَّةَ ، فلمَّا كان بعدَ مُدَّةٍ جاء إلىٰ مدرستنا اتِّفاقاً ، فرحَّب به الوالد ، فقال : لا تتكلَّفُوا ، قلنا : قد هيَّأنا طعاماً لنا ، ثم بعث أبي رجلاً يشتري طاقيَّاتٍ ، فقال : إلىٰ أين يذهبُ هٰذا ؟ قلنا : يا سيِّدي ؛ يُحضِرُ طاقيَّاتٍ لتُلبِسَنا ، فقال : اللَّهمَّ ؛ اجْعَلْنا ممَّنْ يُلبِسُ لنبيِّك صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فألْبَسَنا الخِرْقة ، وسمعنا منه شيئاً ، وسار من يومه إلى الحج ، فحَضَرَهُ أجلُهُ بمكَّةَ) .

(٣) انظر « معجم الشيوخ » للذهبي (١/ ٣٧ـ ٣٨ ، ٧٤) ، و« الدرر الكامنة » (١/ ١١٦ـ ١١٧) .

- الإمامُ الأصولي الصُّوفي النَّحْوي الشاعر : **تاجُ الدين أبو العبَّاس أحمدُ بن محمَّد بن العبَّاس البَكْريُّ الشَّرِيشي** المالكي (ت٦٤١هـ) ، دخل بغدادَ فلَقِيَ الإمامَ السُّهْرَوَرْديَّ وأخذ عنه ، وله رائيَّةٌ نفيسة أَوْدَعَ فيها زُبدةَ كتاب شيخه « عوارف المعارف » ، ونظراً لقيمتها الأدبيَّة والسُّلوكيَّة فقد أوردتُها تامَّةً قبل الشروع في كتابنا هـٰذا ، وعرَّفت بها وبمُؤلِّفها تعريفاً مُوجَزاً(١) .

- الإمامُ الفقيه الصُّوفي الأديب : نجمُ الدين أبو البقاء **ثابتُ بن تاوان بن أحمد التَّفْلِيسيُّ** (ت٦٣١هـ) ، كان صوفيّاً جليلاً مُعظَّماً نبيلاً ، وكان من كبار تلاميذ السُّهْرَوَرْدي ، وأَذِنَ له أن يُصلِحَ ما رأىٰ في تصانيفه من الخلل ، وسمع ثابتٌ عليه مُصنَّفَهُ « عوارف المعارف » ، وقال السُّهْرَوَرْديُّ في تقييد هـٰذا السماع : (**قَرَأَ عليَّ هـٰذا الكتابَ** : الولدُ الصالح العالم الزاهد العارف ، نجمُ المِلَّة والدِّين ثابتُ بنُ تاوانَ ، قراءةَ مَنْ تفهَّم ما فيهِ من المعاني والإشارات والغرائب التي يختصُّ بمعرفتها مَنْ سَلَكَ طريقَ مشايخ الصُّوفيَّة ، واللهُ تعالىٰ يَزِيدُهُ تأييداً وتوفيقاً)(٢) .

- الإمامُ الحافظ الكبير الفقيهُ المُحقق المُؤرِّخ شيخُ الإسلام : **زَكِيُّ الدين أبو محمَّد عبدُ العظيم** بن عبد القوي بن عبد الله **المُنذريُّ** الشامي المِصْري الشافعي (ت٦٥٦هـ) ، كان عديمَ النظير في علم الحديث على اختلاف فُنُونِهِ ، ثَبْتاً حُجَّة ، وَرِعاً مُتحرِّياً ، كَتَبَ إليه الإمام السُّهْرَوَرْديُّ

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٤٢٧ـ٤٢٨) ، و(١/ ١١٩ـ١٤٨) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٥٧ـ٥٨) ، و(٢/ ٥٩٦) .

بالإجازة غيرَ مرَّة ، منها في سنة (٦١٨هـ)[١] .

ـ الإمام الحافظ المؤرِّخ الطبيب : كمالُ الدين أبو حفص عمرُ بن الخضر بن اللَّمْش التُّرْكيُّ الدُّنَيْسَري الشافعي (ت٦٤٠هـ) ، قال في « تاريخه » : (حضرتُ له مجالسَ كثيرةً وشاهدت ذلك ، وكلامُهُ على الناس بغير سَجْع ، وهو مُطَّرِحُ التكلُّف في لُبْسِهِ)[٢] .

ـ الإمامُ المُحدِّث الصُّوفي المُعمَّر : ضياءُ الدين أبو الهدىٰ عيسى بنُ يحيى بن أحمد الأنصاريُّ السَّبْتي الشافعي (ت٦٩٦هـ) ، لَبِسَ خِرْقةَ التصوُّف من إمامنا المُترجَم بمكَّةَ سنة (٦٢٧هـ) ، ولَبِسَها منه بالقاهرة تلميذُهُ الإمام الذَّهَبي[٣] .

ـ الإمامُ الفقيه المُحدِّث الأديب الصُّوفي : قُطْبُ الدين أبو بكر محمَّدُ بن الولي الكبير أبي العبَّاس أحمدَ القَسْطلَّانيُّ التَّوْزري المكِّي الشافعي (ت٦٨٦هـ) ، كان ممَّن جَمَعَ العلمَ والعمل والهيبة والورع والكرم ، روىٰ عن الإمام السُّهْرُوَرْديِّ « عوارف المعارف » ، وأَلْبسه السُّهْرُوَرْديُّ طاقيةً أرسلها له من بغداد ، ثمَّ أَلْبسه إيَّاها مِنْ يده المباركةِ بالحرم الشريف تُجاهَ الكعبة المُكرَّمة عندما وَرَدَها حاجّاً[٤] .

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣/٣١٩ـ ٣٢٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٢٥٩ـ٢٦١) .

(٢) تاريخ دُنَيْسَر (ص١٤٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٤٦٤ـ ٤٦٥) .

(٣) انظر « معجم الشيوخ » (٢/ ٨٧ ـ ٨٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ١١٥) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٥١/ ٢٧٧ـ ٢٧٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٤٣ـ ٤٤) ، و(٢/ ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٠٩، ٦١٢) .

ـ الإمامُ الحافظ المُؤرِّخ : أبو عبد الله محمَّدُ بن سعيد بن يحيىٰ الدُّبَيْثيُّ الواسطي الشافعي (ت٦٣٧هـ) ، كان واحداً من الحُفَّاظ المُكثِرين مِنْ حفظ التواريخ والسِّيَر وأيَّام الناس[١] .

ـ الإمامُ الحافظ المُؤرِّخ المُتقن الرحَّال : مُعِينُ الدين أبو بكر محمَّدُ بن عبد الغنيِّ بن أبي بكر البغداديُّ الحنبلي (ت٦٢٩هـ) الشهير بـ (ابن نقطة) ، كان من كبار أئمَّة الحديث في زمانه ، ورحل في طلبه وتحصيله إلىٰ أماكنَ كثيرةٍ[٢] .

ـ الإمامُ الحافظ المُؤرِّخ الرحَّال : مُحِبُّ الدين أبو عبد الله محمَّدُ بن محمود بن الحسن ابنُ النجَّار البغداديُّ الشافعي (ت٦٤٣هـ) ، كان مُتبحِّراً في علم الحديث واسعَ الحفظ فيه ، وكان إماماً ثقة حُجَّة ، مُتواضِعاً صالحاً مُتنسِّكاً ، وقال مُؤرِّخاً أَخْذَهُ عن إمامنا السُّهْرَوَرْديِّ : (كتبتُ عنه ، وقرأت عليه كثيراً ، وصَحِبتُهُ مُدَّةً ، وكان صدوقاً نبيلاً)[٣] .

شذرة من شعره

ذكر الأستاذ الزِّرِكْلي أنَّ مِنْ مقتنياته شعراً حسناً للإمام السُّهْرَوَرْديِّ في كُنَّاش ، ولم يتيسَّر لي الوصولُ إليه ، وقد عثرتُ له علىٰ بعض الأشعار

---

(١) انظر « تاريخ إربل » (١/ ١٩٤ـ ١٩٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦١ـ ٦٢) .
(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٣٤٧ـ ٣٤٩) .
(٣) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/ ١١٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٢١٧ـ ٢٢٠) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (٢/ ٢٨٢) .

منثورةً ومُتفرِّقةً في مصادرِ ومراجع ترجمته .

فممّا قاله رضي الله عنه[1] : (من البسيط)

رَبْعُ الحِمىٰ مُذْ حَلَلْتُم مُعشِبٌ نَضِرُ ... تروقُ أكنافُهُ يَزْهُو بها النَّظَرُ

لا كانَ وادي الغَضَا لا ينزلونَ بهِ ... ولا الحِمىٰ سَحَّ في أرجائِهِ مَطَرُ

ولا الرِّياحُ وإنْ رَقَّتْ نسائمُها ... إنْ لم تُفِدْ نشرَكُم لا ضمَّها سَحَرُ

ولا خَلَتْ مُهْجَتي تشكو رَسِيسَ جَوىً ... وحَرُّ قلبي بِرَيَّا حُبِّكُم عَطِرُ

ولا رَقَتْ عَبْرَتي حتَّىٰ تكونَ لمَنْ ... ذاقَ الهوىٰ وَصِباً في عَبْرَتي عِبَرُ

ومِنْ بديعِ ما ترجمه لسانُهُ عن قلبه وحاله[2] : (من مخلع البسيط)

تصرَّمتْ وَحْشةُ اللَّيالي ... وأقبلتْ دَوْلةُ الوِصالِ

وصار بالوصلِ لي حَسُوداً ... مَنْ كانَ في هَجْرِكُم رثىٰ لي

وحقِّكُم بعدَ أنْ حَصَلْتُم ... بكُلِّ ما فاتَ لا أُبالي

أَحْيَيْتُمُوني وكنتُ مَيْتاً ... وبِعتمُوني بغيرِ غالي

تقاصرتْ عنكُمُ قلوبٌ ... فيا لهُ مَوْرِداً حَلَا لي

عليَّ ما للوَرَىٰ حرامٌ ... وحُبُّكُم في الحَشَا حَلَالي

تشرَّبتْ أَعظُمي هَوَاكُم ... فما لغيرِ الهوىٰ وما لي

فما علىٰ عادمٍ أُجاجاً ... وعندَهُ أعيُنُ الزُّلالِ

---

(١) انظر « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/ ١٥٧) ، و« المقفى الكبير » (٤/ ٣٨٠) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٧) ، و« تاريخ إربل » (١/ ١٩٤) .

وقيل : كان الشيخ جمال الدين الخُوزيُّ مُغرىً ـ أي : مُولعاً ـ بالسماع ، فلمَّا وَقَفَ علىٰ (باب السماع) من كتاب « العوارف » . . كتب إلى الإمام السُّهْرُوَرْديِّ هـٰذه الأبياتَ : (من الكامل)

يا مَنْ حَبَاهُ اللهُ صَفْوَ وِدادِهِ   وأنالَهُ مِنْ قُرْبِهِ مأمولَهُ
ماذا النَّكيرُ على السَّماعِ لعاشقٍ   جَعَلَ السَّماعَ إلى الحبيبِ رسولَهُ
ولقد عَلِمْتَ بأنَّ هـٰذا مَوقِفٌ   يشكو المُحِبُّ إلى الحبيبِ عَلِيلَهُ

فأجابه الإمام السُّهْرُوَرْديُّ بقوله :

إنِّي لَأَعلَمُ ما تقولُ وأَرتجِي   لكَ قُرْبَ مَنْ تختارُهُ ووصولَهُ
وأرى السَّماعَ مُحلَّلاً لكَ دائماً   لـٰكنْ لغيرِكَ لا أرىٰ تحليلَهُ
يا حبَّذا قُرْبُ الحبيبِ ووَصْلُهُ   لمُتيَّمٍ أضحىٰ لديهِ قتيلَهُ[1]

وممَّا قاله مُستدِلّاً علىٰ وجود المولىٰ وتوحيده[2] : (من المتقارب)

أَلَا أيُّها العابدُ الجاحدُ   عَصَيتَ إلـٰهَكَ يا راقدُ
عَمِيتَ فجاهدتَ في حقِّهِ   لكَ الويلُ يا للهوىٰ عابدُ
براهينُنا واضحٌ بيِّنٌ   دلائلُنا حاضرٌ شاهدُ
دليلُ صنائعِهِ كلِّها   علىٰ أنَّهُ واحدٌ ماجدُ

---

(١) وُجدت هـٰذه القصة علىٰ هامش من هوامش النسخة (ح) نقلاً عن « حاشية زين الدين الخَوَافي » ، وانظر (١/٥٠٨) .
(٢) رسالة الفقر في مخالفة النفس والقهر (ص١٢١) .

مؤلفاته

وَصَفَ الإمامُ اليافعيُّ تصانيفَ السُّهْرُوردي فقال : (له التصانيفُ الحَسَنةُ الجامعةُ من بلاغة الملاحة وبراعة الفصاحة وحلاوة العبارة ، المُشتمِلةُ علىٰ دُرَر المعارف ويواقيتِ الحِكَم وطَلاوة الإشارة ، المُحتوِيةُ علىٰ حياة القلوب وشفائها من السقم)[1] .

فمِنْ مُؤلَّفاته[2] :

ـ أجوبة علىٰ أسئلة بعض أئمَّة خراسان ، وهي عبارة عن ثمانيةَ عشرَ سؤالاً في التصوُّف والتزكية والسلوك ، وقد وقفتُ عليها ، وأوردت بعضاً منها في كتابنا هـٰذا ، ومضمونُ أغلبِ هـٰذه الأجوبةِ موجودٌ فيه مُفصَّلاً مُطوَّلاً .

ـ أدلة العِيان والبرهان .

ـ إرشاد المريدين وإنجاد الطالبين ، وهو مجموعٌ مختصر في بيان مذهب أصحاب السلوك ، وشرح بعض مصطلحاتهم المتداولة في كتب التصوُّف ؛ كـ (القبض والبسط ، والهيبة والأُنْس ، والتواجد والوجد والوجود) ، وغيرها .

ـ أعلام الهدىٰ وعقيدة أرباب التقىٰ ، وهي عقيدةٌ نفيسة مختصرة قال

---

(١) مرآة الجنان (٤/ ٧٩) .

(٢) انظر « معجم تاريخ التراث الإسلامي » (٣/ ٢٢٩٥ـ ٢٢٩٧) ، بالإضافة إلىٰ مصادر ترجمته السابقة .

عنها الإمامُ اليافعيُّ : (وعقيدتُهُ معروفةٌ مشهورة ، موصوفة مشكورة ، رَوَيْتُها عن غير واحدٍ من شيوخنا بسندهم العالي الذي بينهم وبين مُصنِّفه ، وأخذ في تصنيفها بمكَّةَ المُشرَّفة ، وكان إذا أشكل عليه شيءٌ منها يرجع فيه إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، ويستخيرُهُ حولَ بيته ، ويتضرَّعُ إليه في التوفيق ، لإصابة الحقِّ والتحقيق)[1] ، وعدَّها في « روض الرياحين » من مِلَاح عقائد الأولياء العارفين[2] ، وقد أوردتُ جزءاً منها في بداية الكتاب .

- جذب القلوب إلىٰ مواصلة المحبوب .

- رسالة إلى الإمام فخر الدين الرازي .

- رسالة السَّيْر والطَّيْر ، وهي رسالة في التصوُّف .

- رسالة الفتوح ، وهي رسالة في التصوُّف أيضاً .

- رسالة الفقر في مخالفة النفس والقهر ، وهي رسالةٌ مختصرة نفيسة في نصح الفقير الصُّوفي ، ومعرفةِ النَّفْس وعاداتها ، وتفضيلِ الفقر علىٰ ما سواه ، وغير ذلك .

- رسالة في خواصِّ أسماء الله الحسنىٰ .

- رسالة في فضل الدعاء أولَ السنة ويومَ عاشوراء .

- رشف النصائح الإيمانيّة وكشف الفضائح اليونانيّة ، وقد ألَّفه في أُخريات حياته .

---

(١) مرآة الجنان (٤/ ٧٩ـ٧٨) .

(٢) روض الرياحين (ص٥٨١) .

ـ زاد المسافر وأدب الحاضر .

ـ شرح كلمات لأبي محمَّد الجُريري ، وهي كلمات قالها في آداب الحضرة الإلـٰهيَّة .

ـ عوارف المعارف ، وهو من أنفس وأشهرِ كتبه على الإطلاق ، وقد اشتمل علىٰ مكنونات المعارف ، ومَصُونات المحاسن واللطائف ، وهو كتابنا هـٰذا ، وسيأتي الحديث عنه مختصراً إن شاء الله تعالىٰ[1] .

أ ـ وقام بشرحه والتعليق عليه جملةٌ من العلماء ؛ ومنهم[2] :

ـ الإمامُ الولي الصُّوفي فريدُ الدين مسعودُ بن سليمان بن شعيب الأجودهنيُّ (ت٦٦٤هـ) ، علَّق عليه تعليقاتٍ نفيسةً .

ـ والإمام الصُّوفيُّ صدرُ الدين جُنيدُ بن فضل الله بن عبد الرحمن الشِّيرازيُّ (ت٧٩١هـ) ، وهو شرح مختلط بالفارسيَّة والعربيَّة ، وقد وقفت عليه ونقلت منه بعض التعليقات المفيدة .

ـ والإمام الصوفي المُربِّي زين الدين أبو بكر محمَّد بن محمَّد بن علي الخَوَافيُّ (ت٨٣٨هـ) ، وهي حاشيةٌ نفيسة قيِّمة ، وقد نقلت منها النسخة (ح) كثيراً من التعليقات ، وانتقَيت بعضاً منها وأثبتُّها في مكانها .

ـ والإمامُ الولي الصُّوفي عبد القُدُّوس بن إسماعيل الكنكوهيُّ

---

(١) انظر (١/ ٤٨ـ ٦٥) .

(٢) انظر « جامع الشروح والحواشي » (٢/ ١٢٤٠ـ ١٢٤١) ، و« نزهة الخواطر » (١/ ١٢٨) .

(ت٩٤٤هـ) ، وسمَّىٰ شرحه بـ : « ذوارف اللطائف شرح عوارف المعارف » ، وقد وقفت عليه ونقلت منه بعض التعليقات المُهِمَّة .

ب ـ وقام باختصاره :

ـ الإمام الفقيه أبو العبَّاس مُحِبُّ الدين أحمدُ بن عبد الله بن محمد الطَّبَريُّ (ت٦٩٤هـ) ، وسمَّاه بـ : « غرر اللطائف مختصر عوارف المعارف » .

ـ والإمامُ الولي الشريفُ محمَّدُ بن زين بن سُمَيط باعلوي الحسينيُّ (ت١١٧٢هـ) ، وسمَّاه بـ : « الدرر واللطائف في اختصار عوارف المعارف » .

ج ـ وخرَّج أحاديثه :

ـ الإمامُ الفقيه المحدِّث زينُ الدين أبو العدل القاسم بن قُطْلُوبُغا السودونيُّ الجمالي (ت٨٧٩هـ) .

ـ والعلَّامة المُحدِّث أحمدُ ابن الصِّدِّيق الغُمَاريُّ المغربي (ت١٣٨٠هـ) ، وله عليه تخريجان ؛ مُطوَّلٌ سمَّاه بـ : « عواطف اللطائف من أحاديث عوارف المعارف » ، ومُختصَرٌ سمَّاه بـ : « غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف » .

د ـ ونَظَمَ زُبْدتَهُ وحوىٰ عُصارتَهُ :

ـ الإمامُ الأصوليُّ الصُّوفي النَّحْوي الشاعر : تاج الدين أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد البَكْريُّ الشَّرِيشي (ت٦٤١هـ) ، وسمَّىٰ نَظْمَهُ بـ : « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » ، وهو نظم بديع علىٰ بحر الطويل ، وقد أثبتُّهُ كاملاً في إصدارنا هـٰذا ، ولله الحمد علىٰ ذلك .

هـ ـ وتُرجم إلى الفارسيَّة والتركيَّة والإنكليزيَّة وغيرها .

ـ مشيخة السُّهْرُوَرْدي ، وهي برواية تلميذَيه ؛ الإمامِ عماد الدين أبي الفضل محمَّد بن محمَّد الشِّيرازي ، والإمامِ شهاب الدين أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأَبَرْقُوهي ، وتخريجِ الإمام الحسن بن محمَّد ابن جَرَوَيْه الشَّيْباني المَوصِلي .

ـ مغاني العاني[1] ، في التصوُّف وآداب القوم وأحوالهم ، وقد حدَّث به مراراً .

ـ نخبة البيان في تفسير القرآن .

ـ وصيَّة ، وهي لتلميذه نجم الدين ثابت بن تاوان التَّفْلِيسي .

ـ وصيَّة ، وهي لولده وتلميذه عماد الدين السُّهْرُوَرْدي ، وهي مختصرةٌ نفيسة نافعة ؛ ونظراً لقيمتها ونفاستها ونفعها أوردتُها تامَّةً في بداية الكتاب ، والحمد لله علىٰ ذلك .

وفاتـه

ارتقتْ روحُ إمامِنا السُّهْرُوَرْديِّ الزكيَّة ، وانتقلت إلىٰ ربِّها راضية مَرْضيَّة ، وكان ذلك في بغدادَ في أوائل سنة (٦٣٢هـ) ، ودُفن قريباً مِنْ سُور الرُّصَافة من الجانب الشرقي من بغدادَ في وسط المقبرة المعروفة بالوَرْديَّة ، وقد بُني بجانب قبره جامعٌ حَمَلَ اسمَهُ بعد ذلك .

---

(١) كذا في « المقفى الكبير » (٤/٣٧٩) ، ويحتمل : أنه (المعاني) بدل (العاني) ، والله تعالىٰ أعلم .

وبذلك طُوِيتْ صحيفتُهُ المضيئة المشرقة ، بعدَ حياةٍ حافلة قضاها في سلوك طريق العارفين ، وتربية المريدين ، وإرشاد السالكين ، ومات ولم يُخلِّفْ كفناً ، ولا شيئاً من متاع الدنيا الزائف ، مع كثرة الأموال التي كانت تأتيه وتُبذل له .

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار

❁ ❁ ❁

كلمة موجزة

عن التصوف، وكتاب «عوارف المعارف»

إنَّ التصوُّفَ ركنٌ مَتِين من أركان الإسلام ، وأساسٌ عظيم للنَّجاة يوم الزِّحام ، وحصنٌ حصين في وجوه الأراذل والطَّغَام ، وقلعةٌ منيعة يُلجأ إليها في ليالي الفِتَن والظلام ، وسبيلٌ مُمهَّد لمن أراد أن يصلَ إلىٰ حضرة الملك العلَّام ، ومَسْبأٌ مُذلَّلٌ لمَنِ ابتغىٰ أن يَرقىٰ إلىٰ أعلىٰ مَقام .

تعريفُ التصوُّف ، والمعنى الجامعُ في تحديده

وقد اختُلف في تحديده وبيانِ ماهيَّته ؛ فمِنْ قائلٍ : (إنَّهُ التمسُّكُ بالفقر والافتقار ، والتحقُّقُ بالبذل والإيثار ، وتركُ التعرُّضِ والاختيار)[1] .

ومِنْ قائلٍ : (إنَّهُ الأخذُ بالحقائق ، واليأسُ ممَّا في أيدي الخلائق)[2] .

ومِنْ قائلٍ : (إنَّهُ تصفيةُ القلب عن مُوافقة البَريَّة ، ومُفارقةُ الأخلاق الطبيعيَّة ، وإخمادُ الصفات البشريَّة ، ومُجانبةُ الدواعي النَّفْسانيَّة ، ومُنازلةُ الصفات الروحانيَّة ، والتعلُّقُ بالعلوم الحقيقيَّة ، واتِّباعُ الرسولِ في الشريعةِ الحَنيفيَّةِ)[3] .

---

(١) قائله رُوَيم رحمه الله تعالى . انظر (١/ ٢٤٦) .

(٢) قائله معروف الكرخي رحمه الله تعالى . انظر (١/ ٢٤٦) .

(٣) قائله الجنيد أو أبو عبد الله بن خَفيف رحمهما الله تعالى . انظر (١/ ٢٥٤) .

ومِنْ قائلٍ : (إنَّهُ لُبْسُ الصوفِ على الصَّفا ، وإذاقةُ الهوىٰ طعمَ الجَفَا ، ولزومُ طريق المُصطفىٰ ، وكونُ الدنيا على القَفَا)[1] .

وقال بعضهم : (أصلُ التصوُّف : مُلازمةُ الكتاب والسُّنَّة ، وتركُ الأهواء والبِدَع ، وتعظيمُ حُرُمات المشايخ ، ورؤيةُ أعذارِ الخَلْق ، والمُداومةُ على الأوراد ، وتركُ ارتكاب الرُّخَص والتأويلات)[2] .

وقد ذكر إمامُنا السُّهْرُوَرْديُّ أقوالاً عديدة في بيان ماهيَّته ، ثمَّ قال : (وأقوالُ المشايخ في ماهيَّة التصوُّف تزيد علىٰ ألف قول ، ويطولُ نقلُها ، ونذكرُ ضابطاً يجمعُ جُمَلَ معانيها ؛ فإنَّ الألفاظَ وإن اختلفتْ متقاربةُ المعاني ؛ فنقولُ :

الصُّوفيُّ : هو الذي يكونُ دائمَ التصفية ، لا يزالُ يُصفِّي الأوقاتَ عن شَوْبِ الأكدار ؛ بتصفية القلب عن شَوْبِ النَّفْس ، ويُعينُهُ علىٰ هـٰذه التصفية دوامُ افتقاره إلىٰ مَوْلاه ؛ فبدوام الافتقارِ يتفطَّنُ للكَدَر ، وكلَّما تحرَّكتِ النفسُ وظهرتْ بصفةٍ من صفاتها . أدركها ببصيرتِهِ النافذةِ ، وفرَّ منها إلىٰ ربِّهِ ، فبدوام تصفيتِهِ جَمْعِيَّتُهُ ، وبحركة نَفْسِهِ تفرقتُهُ وكَدَرُهُ ، فهو قائمٌ بربِّهِ علىٰ قَلْبه ، وقائمٌ بقَلْبه علىٰ نَفْسه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] ، وهـٰذه القَوَّاميَّةُ لله على النَّفْس هو التحقُّقُ بحقيقة التصوُّف)[3] .

---

(١) قائله أبو علي الرُّوذْباري رحمه الله تعالى . انظر « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص١٨) .

(٢) قائله أبو القاسم النصراباذي رحمه الله تعالى . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٢٦) .

(٣) انظر (١/ ٢٥٥ـ ٢٥٦) .

نعوتُ الصوفيّة في كلام بعض الأئمّة المُحقِّقين

فالصوفيّةُ هم الساداتُ البَرَرة ، المُصطفَون الخِيَرة ، الجامعون بين الشريعة والحقيقة ، المُؤيَّدون بعوارف المعارف الدَّقيقة ، الذين تُرتجى الرحمةُ بذكرهم ، ويُستنزَلُ الغيثُ بدعائهم .

ولله دَرُّ الإمامِ القُشَيريِّ عندما قال : (جَعَلَ اللهُ هٰذه الطائفةَ صَفْوةَ أوليائِه ، وفضَّلَهُم على الكافَّة من عباده بعدَ رُسُلِهِ وأنبيائه ، صلواتُ الله عليهم ، وجعل قلوبَهُم معادنَ أسراره ، واختصَّهُم من بين الأُمَّة بطوالع أنواره ، فهم الغِياثُ للخَلْق ، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحقِّ بالحقِّ ، صفَّاهُم مِنْ كُدُورات البشريَّة ، ورقَّاهُم إلىٰ مَحَالِّ المُشاهدات بما تجلَّىٰ لهم من حقائق الأَحَدِيَّة ، ووفَّقَهُم للقيام بآداب العُبُوديَّة ، وأشهدهم مَجارِيَ أحكام الرُّبُوبيَّة ، فقاموا بأداءِ ما عليهم مِنْ واجبات التكليف ، وتَحَقَّقُوا بما منه سبحانه لهم مِنْ التقليب والتصريف)[1] .

وقد أبدع إمامُنا السُّهْرُوَرْديُّ في الكشف عن بعض أوصافهم ؛ فقال : (ألبسَ قلوبَ الصَّفْوة من عباده ملابسَ العِرْفان ، وخصَّهُم من بين عباده بخصائص الإحسانِ ، فصارتْ ضمائرُهُم من مواهب الأُنْس مَمْلُوَّةً ، ومرايا قلوبِهِم بنور القُدْس مَجْلُوَّةً ، فتهيَّأتْ لقَبول الأمداد القُدْسيَّة ، واستعدَّتْ لوُرُود الأنوار العُلْويَّة ، واتَّخذتْ من الأنفاس العَطِرة بالأذكار جُلَّاساً ، وأقامتْ على الظاهر والباطن من التقوىٰ حُرَّاساً ، وأشعلتْ في ظُلَم البشريَّة

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٨٠) .

من اليقين نِبْراساً ، واستحقرتْ فوائدَ الدنيا ولذّاتِها ، وأنكرتْ مَصَايدَ الهوىٰ وتبعاتِها ، وامتطتْ غواربَ الرَّغَبُوت والرَّهَبُوت ، واستفرشتْ بعُلُوِّ همَّتِها بساطَ الملكوت ، وامتدَّتْ إلى المعالي أعناقُها ، وطَمَحَتْ إلى اللامع العُلْويِّ أحداقُها ، واتَّخذتْ من الملأ الأعلىٰ مُسامِراً ومُحاوِراً ، ومن النور الأعزِّ الأقصىٰ مُزاوِراً ومُجاوِراً . . . لا يزالُ في كلِّ عصرٍ وزمان منهم علماءُ قائمونَ بالحقِّ ، داعون للخَلْق ، مُنحوا بحُسْن المتابعة رتبةَ الدعوة ، وجُعلوا للمتقين قُدوةً ، فلا يزالُ تظهرُ في الخَلْق آثارُهُم ، وتُزهِرُ في الآفاق أنوارُهُم ، مَنِ اقتدىٰ بهم اهتدىٰ ، ومَنْ أنكرهم ضلَّ واعتدىٰ)[١] .

وقال الإمامُ الكَلاباذيُّ فيهم : (جَعَلَ فيهم صَفْوةً وأخياراً ، ونُجباء وأبراراً ، سبقتْ لهم من الله الحُسْنىٰ ، وألزمهم كلمةَ التقوىٰ ، وعَزَفَ بنفوسهم عن الدنيا ، صدقتْ مجاهداتُهُم فنالوا علومَ الدِّراسة ، وخَلَصَتْ عليها معاملاتُهُم فمُنحوا علومَ الوِراثة ، وصَفَتْ سرائرُهُم فأُكرموا بصِدْق الفِراسة)[٢] .

نشأةُ علم التصوُّف

والتصوُّف بثمراته وجوهرِهِ ولُبِّهِ قديمٌ نشأ مع الإسلام ؛ وهو عِلْمُ الحقيقةِ المشارُ إليه في حديث أمينِ الوحي جبريلَ عليه السلام ، عندما سأل سيِّدَ الأنام صلَّى الله عليه وسلَّم عن الإحسان ، فأجابه بقوله : « أنْ تعبدَ اللهَ

---

(١) انظر (١/ ١٥٢ـ ١٥٤) .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص٥ـ٦) .

كأنَّكَ تراهُ ، فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ »[1] .

ولم يكن التصوُّف ـ كمدرسة وطُرُق يُدعىٰ إليها ـ معروفاً في العصر الأوَّل ؛ لأنَّ أهلَهُ كانوا أهلَ تقوىٰ وورَعٍ ، وأربابَ مُجاهدةٍ وإقبالٍ على العبادة بطبيعتهم وقُرْب اتِّصالهم برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكانوا يتسابقُون ويتبارَون في الاقتداء به في جميع ما صَدَرَ منه ، فلم يكن ثَمَّةَ ما يدعو إلىٰ تلقينهم علماً يُرشِدُهُم إلىٰ أمرٍ هم قائمون به فعلاً .

فلمَّا تقادم العهدُ ، ودخل في حظيرة الإسلام أممٌ شتَّىٰ وأجناسٌ عديدة ، واتَّسعتْ دائرةُ العلوم ، وتقسَّمت وتوزَّعت بين أرباب الاختصاص . . قام كلُّ فريقٍ بتدوين الفنِّ والعلم الذي يجيده أكثرَ من غيره ، وحَدَثَ بعد هـٰذه الفترة أنْ أخذ التأثيرُ الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً ، وأخذ الناسُ يتناسَون ضرورةَ الإقبال على الله بالعبوديَّة والقلبِ والهمَّة ، ممَّا دعا أربابَ الرياضة والزهد إلىٰ تدوين علم التصوُّف والتأليف فيه[2] .

قال الإمامُ المُؤرِّخ الكبير ابنُ خلدون في « مُقدِّمته » الشهيرة : (عِلْمُ التصوُّفِ من العلوم الشرعيَّة الحادثة في المِلَّة ، وأصلُهُ : أنَّ طريقةَ هـٰؤلاء القوم لم تَزَلْ عند سلف الأمَّة وكبارِها من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدَهُم طريقةَ الحقِّ والهدايةِ ، وأصلُها : العُكُوف على العبادة ، والانقطاعُ إلى الله تعالىٰ ، والإعراضُ عن زُخْرُف الدنيا وزينتِها ، والزهدُ فيما يُقبِلُ عليه الجمهورُ من لذَّةٍ ومال وجاه ، والانفرادُ عن الخَلْق في الخَلْوة للعبادة ،

---

(١) رواه مسلم (٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) انظر « حقائق عن التصوف » (ص٢٢ـ ٢٣) .

وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف ، فلمَّا فشا الإقبالُ على الدنيا في القرن الثاني وما بعدَهُ ، وجَنَحَ الناسُ إلىٰ مخالطة الدنيا . . اختصَّ المُقبِلون على العبادة باسم « الصُّوفيَّة » و« المُتصوِّفة »)[1] .

نسبةُ عِلْمِ الحقيقة مِنْ عِلْمِ الشريعة

ونسبةُ علم التصوُّف والحقيقة إلىٰ علم الشريعة ـ كما قال الإمام السُّيُوطيُّ ـ كنسبة علم المعاني والبيان إلىٰ علم النحو ، فهو سرُّهُ ومبنيٌّ عليه ؛ فمَنْ أراد الخوضَ في علم الحقيقة مِنْ غير أنْ يعلمَ الشريعة . . فهو من الجاهلين ، ولا يحصلُ علىٰ شيء ، كما أنَّ مَنْ أراد الخوضَ في أسرار علم المعاني والبيان مِنْ غيرِ أنْ يُحكِمَ النحو . . فهو يَخبِطُ خَبْطَ عَشْواءَ ، وكيف يُدرِكُ أحوالَ الإسناد والمسند إليه والمسند ومُتعلِّقات الفعل مَنْ لم يعرفِ المبتدأَ من الخبر والفاعلَ من المفعول ؟! هـٰذا بيِّنٌ لكل أحد ، والحقيقةُ سِرُّ الشريعة ولُبَابُها الخالص ، كما أنَّ المعانيَ والبيانَ سِرُّ النحو ولطائفُهُ[2] .

ويُقوِّي هـٰذا الكلامَ ويُؤيِّدُهُ : ما قاله الإمام الحُجَّةُ أبو حامدٍ الغزاليُّ رحمه الله تعالىٰ : (أمَّا الإسلامُ : فيتكلَّمُ الفقيهُ فيما يصحُّ منه وما يفسد ، وفي شروطه ، وليس يلتفتُ فيه إلا إلى اللِّسان ، وأمَّا القلبُ فخارجٌ عن ولاية الفقيه . . . وأمَّا الصلاةُ : فالفقيهُ يُفتي بالصحَّة إذا أتىٰ بصورة الأعمال معَ ظاهرِ الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلاته مِنْ أوَّلها إلىٰ آخرها ،

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٦١١) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص١٠٠) ، وكتابنا هـٰذا في (١/ ١٦١ ، ١٦٧) وما بعدها .

(٢) تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية (ص٢١) .

مشغولاً بالتفكُّر في حساب معاملاتِهِ في السوق إلا عندَ التكبير ، وهٰذه الصلاةُ لا تنفعُ في الآخرة ، كما أنَّ القولَ باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولٰكنَّ الفقيهَ يُفتي بالصحَّة ؛ أي : أنَّ ما فَعَلَهُ حَصَلَ به امتثالُ صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتلُ والتعزير ، فأمَّا الخشوعُ وإحضارُ القلبِ الذي هو عملُ الآخرة وبه ينفعُ العملُ الظاهر . . لا يتعرَّضُ له الفقيه ، ولو تعرَّض له لكان خارجاً عن فَنِّهِ)[1] .

تبيين كذب المُفترِين والظالمين ، فيما نَسَبُوا إلى الأئمَّة الربَّانيِّين

أمَّا ما ينسبُهُ الزنادقةُ والمستشرقون والتنويريُّون وكثيرٌ من المبتدعة إلى التصوُّف والصُّوفيَّة دونَ تقييدٍ وتفصيل ، وبيان وتأويل ؛ مِنْ عقائد الاتِّحاد والحُلُول ، وروايةِ القصص والخُرافات بزعمهم التي تأباها العقول ، وهِجْرةِ الفروع والأصول ، وإيثارِ الضعف والخُمُول ، والابتعادِ عن شريعة سيِّد المرسلين ، والابتداعِ في المِلَّة والدِّين ، ومُوالاةِ الطُّغاة والظالمين ، إلىٰ غير ذلك من الأمور . . فهو كذبٌ وبُهْتان ، وظلم وعُدْوانٌ ، جرَّهم إليه جهلٌ فاضح ، وعُدْوانٌ لائح ، ودرايةٌ من بعضهم ويقينٌ أنَّ التصوُّفَ هو رُوحُ الإسلام وقلبُهُ ، وجوهرُهُ ولُبُّهُ ، وأنَّهُ الطريق الوحيد الذي يَصِلُ فيه العبد إلى الحُرِّية ، ويتخلَّصُ من رِقِّ الأغيار بالكُلِّية .

وفي كتب الصوفيَّة الكثيرةِ ـ وخصوصاً كتابَنا هٰذا « عوارف المعارف » ـ نفيٌ لجميع هٰذه المزاعم والأباطيل ، ودَحْضٌ لـزَغْبَـر الافتراءات

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٦٩ـ ٧٠) .

والأضاليل ، ويكفي في ردِّ جميع ذلك قولُ إمامِ الصُّوفيَّة وسيِّدِهم وهاديهم ومُرشِدِهم أبي القاسم الجُنيد البغدادي رحمه الله تعالىٰ : (مَنْ لم يحفظِ القرآنَ ، ولم يكتبِ الحديثَ . . لا يُقتدىٰ به في هـٰذا الأمر ؛ لأنَّ عِلْمَنا هـٰذا مُقيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة)[1] .

ويُروىٰ : أنَّ أبا يزيدَ البِسْطاميَّ قال ذاتَ يومٍ لبعض أصحابه : قُمْ بنا حتىٰ ننظرَ إلىٰ هـٰذا الرجلِ الذي قد شَهَرَ نفسَهُ بالولاية ، وكان الرجلُ في ناحيته مقصوداً مشهوراً بالزهد والعبادة ، قال : فمضَيْنا إليه ، فلمَّا خرج من بيته يَقصِدُ المسجدَ . . رمىٰ بُزَاقَهُ نحوَ القِبْلة ، فقال أبو يزيدَ : انصرفُوا ، فانصرفَ ولم يُسلِّم عليه ، وقال : هـٰذا رجلٌ ليس بمأمون علىٰ أدب من آداب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكيف يكون مأموناً علىٰ ما يدَّعيه من مقامات الأولياء والصِّدِّيقين ؟![2] .

وسُئل خادمُ الشِّبْليِّ : ماذا رأيتَ منه عندَ موته ؟ فقال : لمَّا أُمسك لسانُهُ ، وعَرِقَ جبينُهُ . . أشارَ إليَّ أنْ وضِّئْني للصلاةِ ، فوضَّأتُهُ ، فنسيتُ تخليلَ لِحْيته ، فقبض علىٰ يدي ، وأدخلَ أصابعي في لِحْيته يُخلِّلُها[3] .

وقد مَدَحَ الصوفيَّةَ وأشاد بهم كبارُ الأئمَّة والعلماء ، وعظماءُ المُحدِّثين والفقهاء ، وأقوالُهُم فيهم كثيرةٌ منثورة ، وثناءاتُهُم عليهم عديدةٌ مشهورة ، وما نُقل عن بعضهم من ظاهرِ ذمٍّ وقَدْح ، أو صريحِ نقد وجَرْح . . فإنَّما يعنون به بعضَ مَنْ لَبِسَ لباسَهُم ولم يُحكِمْ شيئاً من أساسِهِم ، ومَنْ جلَسَ علىٰ

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٥٥) .
(٢) انظر (١/ ٢٤٣) .
(٣) انظر (١/ ٢٤٣ـ ٢٤٤) .

أحلاسهم ولم يذُقْ رَشْفةً مِنْ كاسِهِم ، بل إنَّ الصُّوفيَّة أنفسَهُم ـ ومنهم إمامُنا السُّهْرُوَرْديُّ ـ نبَّهوا علىٰ ضلالاتهم ، وحذَّروا من جهالاتهم .

« قوتُ القلوب » من أوائل الكتب المُدوَّنةِ في علم التصوُّف

هٰذا ؛ ومِنْ أوائل الكتب التي دُوِّنت في التصوُّف تدويناً واضحَ المعالم ، مُحكَمَ الأساس ، مُشيَّدَ البُنيان . . كتابُ « قوت القلوب » للإمام الربَّانيِّ أبي طالبٍ المَكِّيِّ ، الذي قال فيه وفي كتابه تلميذُ السُّهْرُوَرْديِّ نجمُ الدين ابنُ تاوانَ التَّفْليسيُّ : (من المتقارب)

سقىٰ اللهُ تُربَ أبي طالبٍ ... مِنَ السَّلْسَبيلِ بمُزْنٍ سَكُوبِ
وجازاهُ بالفضلِ أَسْنى الجزاءِ ... علىٰ حُسْنِ تأليفِ « قوتِ القلوبِ »
ولقَّاهُ نضرةَ دارِ النعيمِ ... وأَسْكنَهُ في جِوارِ الحبيبِ
كما ضمَّنَ « القوتَ » سِرَّ العلومِ ... وأودعَهُ كلَّ معنىً عجيبِ
إشارتُهُ مِنْ وراءِ العُقُولِ ... وأسرارُهُ مِنْ مَطَاوِي الغُرُوبِ
ويكشفُ للمرءِ عن نفسِهِ ... مكانَ الهوىٰ وخفايا العيوبِ
متىٰ خُصَّ عبدٌ بهٰذا الكتابِ ... وفهَّمَهُ اللهُ فهمَ اللَّبيبِ
فلا مسَّهُ نَصَبٌ بعدَهُ ... ولا مسَّهُ أبداً مِنْ لُغُوبِ

كتابُ « عوارفِ المعارف » مِنْ أركان عِلْم التصوُّف

ومِنَ الكتب التي نَهَلَت مِنْ مَعِينِ « القوت » . . كتابُ « عوارف المعارف » للإمام الكبيرِ المُربِّي الصُّوفي المُحقِّق شيخ الإسلام شهاب الدين أبي حفصٍ عمرَ البَكْريِّ السُّهْرُوَرْديِّ ، الذي انتشر في حياته انتشاراً واسعاً ،

وحدَّث به مراراً ، وقرأه عليه المريدونَ والسالكون ، والأولياءُ والفقهاء والمُحدِّثون ، وانتفعوا به انتفاعاً كبيراً ، وغَرَفُوا من بحر عوارفه علماً غزيراً ، وانتشر بعدَ وفاته في كلِّ قُطْرٍ ومكان ، واستمرَّ ذلك وامتدَّ في كافَّة الأزمان ، وقُرئَ في الجوامع والمساجد ، واهتدىٰ به أصحابُ الزوايا والمعابد .

وقد جعله الإمامُ الفقيه المُحقِّقُ شيخُ الإسلام ابنُ حجر الهيتميُّ أحدَ الكتب الأربعة التي عليها المدارُ والمُعوَّل في طريق القوم ؛ فقال : (وعليكَ ـ إن أردتَ أن يظهرَ لك الحقُّ ، وأنَّك تتحلَّىٰ بالصدق ـ بمطالعة « إحياء الغزالي » رحمه الله تعالىٰ ، و« رسالة الإمام العارف القُشَيري » ، و« عوارف المعارف » للسُّهْرَوَرْديِّ ، و« القوت » لأبي طالب المكِّي ؛ فإنَّ هٰذه هي الكتبُ النافعة المُبيِّنةُ لأحوال الصادقين ، وتلبيساتِ المُبطِلين ، والحاملةُ علىٰ معالي الأخلاق ، وإيثارِ الفقر والإملاق ، وإدمانِ الطاعات ، وملازمة العبادات ، سيَّما الجماعات ، والإعراضِ عن سفاسف أقوامٍ غَلَبَ عليهم الشيطان ، فسوَّل لهم القبيحَ حَسَناً ، والمنكَرَ معروفاً ، والمذمومَ ممدوحاً ، فاستغرقوا في بحار شهواتهم ، وقبيحِ اعتقاداتهم وإراداتهم ، وهم مع ذلك يحسبون أنَّهُم يُحسِنون صنعاً ، أو يُحْكِمون وضعاً)[1] .

الحاملُ والباعثُ علىٰ تأليف « عوارف المعارف »

وكان داعيةُ إمامنا السُّهْرَوَرْديِّ إلىٰ تأليفه ، والنيةُ الحاملةُ له علىٰ ذلك . . ما ذكره بقوله : (ثمَّ إنَّ إيثاري لهَذْي هٰؤلاء القوم ، ومحبَّتي لهم ، عِلْماً

---

(١) الفتاوى الحديثية (ص١٤٣) .

بشرف حالهم ، وصحّةِ طريقتهم المبنيّةِ على الكتاب والسُّنَّة ، المُتحقِّقِ بها مِنَ اللهِ الكريم الفضلُ والمِنَّة . . حَدَاني أنْ أَذُبَّ عن هٰذه العِصابة بهٰذه الصُّبابة ، وأُؤلِّفَ أبواباً في الحقائق والآداب ، مُعرِبةً عن وجه الصواب فيما اعتمدوه ، مُشعِرةً بشهادةِ صريحِ العِلْمِ لهم فيما اعتقدوه ، حيثُ كَثُرَ المُتشبِّهون واختلفتْ أحوالُهُم ، وتستَّر بزِيِّهِم المُتستِّرونَ وفَسَدتْ أعمالُهُم ، وسَبَقَ إلىٰ قلبِ مَنْ لا يعرفُ أصولَ سلفهم سوءُ ظنٍّ ، وكاد لا يسلمُ مِنْ وقيعة فيهم وطَعْن ؛ ظنّاً منه أنَّ حاصلَهُم راجعٌ إلىٰ مُجرَّد رَسْم ، وتخصُّصَهُم عائدٌ إلىٰ مُطلَقِ اسم .

وممَّا حَضَرَني فيه مِنَ النيّة : أنْ أُكثِّرَ سوادَ القوم بالاعتزاء إلىٰ طريقهم ، والإشارةِ إلىٰ أحوالهم)[1] .

نظرةٌ موجزة علىٰ أهمِّ أبواب « عوارف المعارف »

وقد جعله الإمام السُّهْرُوَرْديُّ في ثلاثةٍ وستين باباً مُحرَّرة ، مُشتمِلةً علىٰ بعض علوم الصوفيّة وأحوالِهِم ومقاماتهم ، وآدابِهِم وأخلاقهم ، وغرائبِ مَوَاجيدِهِم ، وحقائقِ معرفتهم وتوحيدهم ، ودقيقِ إشاراتهم ، ولطيفِ اصطلاحاتهم[2] .

❁ ❁ ❁

وقد عَقَدَ الإمامُ السُّهْرُوَرْديُّ الأبوابَ الأُولىٰ للحديث عن ماهيَّة التصوُّف

---

(١) انظر (١/ ١٥٥) .

(٢) انظر (١/ ١٦١) .

واختلافِ الأقوال في تحديده ، ثمَّ ذَكَرَ كلاماً جامعاً في ذلك أوردتُهُ قبل قليل[1] ، وذَكَرَ سببَ تخصيصهم بهٰذا الاسم دون غيرهم .

كما تحدَّث عن فضيلة علم التصوُّف علىٰ غيره من العلوم ، وأنَّ الصُّوفيَّة رُزقوا سائرَ العلوم من المأمورات والمنهيَّات وغيرها ، ثمَّ تفرَّدوا بعلوم امتازوا بها عن غيرهم ، ومِنْ هٰذه العلوم : علمُ اليقين ، وعلم الإخلاص ، وعلمُ معرفة أقسام الدنيا ، ووجودِ دقائق الهوىٰ وخفايا شهوات النَّفْس ، وعلمُ المراقبة ، وعلم المَحَبَّة ، وعلومُ المشاهدات ؛ كعلم الهيبة والأُنْس ، والقَبْض والبَسْط ، والفناء والبقاء ، وغيرها ، وقد حوىٰ هٰذا المختصرُ مِنْ هٰذه العلوم علىٰ طَرَف صالح ، وقد ذكر المُؤلِّفُ أنَّ علومَ هٰؤلاءِ القوم لا تحصلُ مع محبَّة الدنيا ، ولا تنكشفُ إلَّا بمجانبة الهوىٰ ، ولا تُدرَّسُ إلَّا في مدرسة التقوىٰ ، وإنَّما حصلت لهم بسبب إقبالهم على الله تعالىٰ والانقطاع إليه ، وخُلُوصِ أرواحِهِم إلىٰ مَقام القرب منه ، فأفاضتْ أرواحُهُم علىٰ قلوبهم أنواراً تهيَّأت بها قلوبُهُم لإدراك العلوم .

وتكلَّم في هٰذه الأبواب أيضاً عن الفَرْق بينَ الصُّوفي والمُتصوِّفِ والفقير والمُتشبِّه ، وخصَّص باباً للحديث عن المَلَامَتيَّة ، وهي طائفةٌ مشهورة في زمان المؤلف كانت تعتني بالإخلاص اعتناء شديداً ، وذكر أنَّ حالَهُم حالٌ شريف ، ومقامٌ عزيز ؛ وهو عبارةٌ عن التمسُّك بالسُّنَن والآثار ، والتحقُّقِ بالصدق والإخلاص .

* * *

---

(١) انظر (١/ ٤٩) .

وأَفْرَدَ البابَ التاسعَ للكلام عن أقوام انتسبوا إلى الصُّوفيَّة وليسوا منهم ؛ كالقَلَنْدَريَّة الذين خرَّبُوا العادات ، وطَرَحُوا التقيُّد بآداب المُجالساتِ والمُخالطات، وساحوا في ميادين طِيبةِ قلوبهم ، فقلَّتْ أعمالُهُم من الصوم والصلاة إلا الفرائضَ، ولم يُبالُوا بتناول شيء من لذَّات الدنيا من كلِّ ما كان مُباحاً برخصة الشرع ، وربَّما اختصروا علىٰ رعاية الرخصة ، ولم يطلبوا حقائقَ العزيمة ، بل إنَّ بعضَهُم قد ينتهجُ مناهج أهل الإباحة ، ويزعُمُ أنَّ ضمائرَهُم خَلَصَتْ إلى الله تعالىٰ ، ويقولون : هـٰذا هو الظَّفَر بالمراد ، والارتسامُ بمراسم الشريعة رتبةُ العوامِّ ، وقاصِري الأفهام ، المُنحصِرينَ في مَضِيق الاقتداء تقليداً ، **وأَوْرَدَ المُؤلِّفُ ضابطاً نفيساً مُهِمّاً يزيل كثيراً من التُّهم عن هـٰذا الطريق بسبب بعض المُنتسِبين إليه رَسْماً ، لا حقيقةً وعَزْماً ؛ فقال** : (فإذا رَأَينا مُتهاوِناً بحدود الشرع ، مُهمِلاً للصلوات المفترَضات ، لا يعتدُّ بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ، ويدخلُ في المداخل المكروهةِ المُحرَّمة . . نردُّهُ ولا نقبلُهُ ، ولا نقبلُ دَعْواهُ أنَّ له سريرةً صالحة)[1] .

وذَكَرَ أيضاً أقواماً من الحُلُوليَّة والإباحيَّة ، وردَّ دعاويَهُم الكاذبة ، ومذاهبَهُم الفاسدة ، ونفىٰ عن أقوامٍ من أئمَّة التصوُّف عُرفوا بالاستقامة والولاية والزهد في الدنيا . . ما صَدَرَ عنهم في حال غَلَباتهم وسُكْرهم في حُبِّ الذَّات المُقدَّسة ، أو نُسب إليهم ؛ من عباراتٍ ظاهرُها الاتِّحاد والحلول ، ونزَّه مقامَهُم الشريفَ مِن اعتقاد هـٰذا الظاهر المُوهِم ، أو الانتسابِ إلىٰ هـٰذا المذهب المُظلِم .

❁ ❁ ❁

(١) انظر (١/ ٢٩٩) .

وعَقَدَ باباً مُهمّاً للكلام عن رُتْبة المَشْيخة ، وذَكَرَ أنَّ هـٰذه الرتبةَ هي أعلى الرُّتَب عند الصُّوفيّة ؛ لأنَّها نيابةٌ عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة الحقيقيَّة إلىٰ طريق الولاية ؛ لأنَّ الشيخَ يسلك بالمريد طريقَ الاقتداء برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

وعَقَدَ أبواباً مُهِمَّةً مُحقَّقةً في السماع وحُكْمِهِ وآدابه وشروطه ، وأنَّهُ لا يصحُّ إلا لعارفٍ مَكِين ، ولا يصلحُ لمُرِيدٍ مبتدئ ، وما اختاره مَنِ اختاره مِنْ أئمَّة التصوُّف إلا بشروطٍ وقيود وآداب ؛ يذكرون به الآخرة ، ويرغبون به في الجنَّة ، ويُحذِّرون من النار ، ويزدادُ به طلبُهُم ، وتَحسُنُ به أحوالُهُم .

❁ ❁ ❁

والأخلاقُ عندَ سادتِنا الصُّوفيّة من أهمِّ مدارج مقامات أرباب السلوك ، بل إنَّ سيِّدي المُربِّيَ أبا بكر الكتَّاني عرَّف التصوُّفَ بقوله : (التصوُّفُ خُلُقٌ ، فمَنْ زَادَ عليكَ في الخُلُقِ زادَ عليكَ في التصوُّفِ)[1] ؛ ولذلك عَقَدَ السُّهْرُوَرْديُّ باباً قيِّماً للكلام عن أخلاق الصُّوفيّة ، وشَرْحِ ماهيَّة الخُلُقِ عندهم ، وذَكَرَ فيه أنَّ الصُّوفيَّةَ هم أوفرُ الناس حظّاً من الاقتداء برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأحقُّهُم بإحياء سُنَّته ، والتخلُّقِ بأخلاقه ؛ لأنَّهُم وُفِّقُوا في بداياتهم لرعاية أقواله ، وفي وسط حالهم اقتدَوا بأعماله ، فأثمرَ لهم ذلك أنْ تحقَّقوا في نهاياتهم بأخلاقه ؛ والسببُ الجوهريُّ في ذلك أنَّهُم راضُوا نفوسَهُم بالمُكابدات والمُجاهدات حتىٰ أجابتْ إلىٰ تحسين الأخلاق الكريمةِ كلِّها .

---

(١) انظر (٢/ ٢٠) .

وأَتْبَعَهُ بباب مُطوَّل في تفصيل أخلاقِهِم المُستقاةِ من نور مِشْكاة النُّبُوَّة ؛ كالتواضع ، والمُداراة ، واحتمال الأذىٰ من الخَلْق ، والتجاوزِ عنهم والعفو ولِينِ الجانب لهم ، والإيثار والمواساة ، والإنفاق مِنْ غيرِ إقتارٍ وتركِ الادِّخار ، والقناعة باليسير من الدنيا ، وتركِ المراء والمجادلة . . . إلىٰ غير ذلك ، ودلَّل لجميع ذلك من الكتاب وسُنَّةِ سيِّد المرسلين ، وأقوالِ السلف والتابعين ، وأئمَّة التصوُّف المُعتبَرين ، وهـٰذا الباب يُبرِزُ التصوُّفَ العمليَّ الحقيقيَّ المُتجلِّيَ في مقام الإحسان ، ويَرُدُّ علىٰ أباطيل أهل الإفك والعدوان ، ومزاعمِ أُولي البغي والبُهْتان .

❁ ❁ ❁

وأَفْرَدَ المُؤلِّفُ أبواباً كثيرةً للحديث عن آداب الصُّوفيَّة مع الحضرة الإلـٰهيَّة ، وفي طهارتهم وصلاتِهِم وصيامهم ولباسهم وأَكْلِهِم وغيرِ ذلك ، وقد أَطْنَبَ المُؤلِّفُ في الحديث عن الآداب وأَوْلاه عنايةً كبيرة ؛ وذلك أنَّ الأدبَ أساسٌ مِنْ أساسات الوصول والمعرفةِ عند سادتنا الصُّوفيَّة ؛ ولذلك قال سيِّدي الصُّوفيُّ يوسف بن الحسين الرازي : (**بالأدب** يُفهَمُ العلم ، **وبالعلم** يصحُّ العمل ، **وبالعمل** تُنالُ الحكمة ، **وبالحكمة** يُقام الزهد ، **وبالزهد** تُترَكُ الدنيا ، **وبترك الدنيا** يُرغَبُ في الآخرة ، **وبالرغبة في الآخرة** تُنالُ الرتبةُ عند الله تعالىٰ)[1] .

وقال بعضهم : (**الزَمِ الأدبَ ظاهراً وباطناً** ، فما أساء أحدٌ الأدبَ في

---

(١) انظر (٢/ ١٠٥ـ١٠٦) .

الظاهر إلا عُوقب ظاهراً ، وما أساء أحدٌ الأدبَ باطناً إلا عُوقب باطناً)[1] .

❁ ❁ ❁

وتكلَّم في بعض الأبواب عن كيفيَّة وهيئة بعض العبادات التي تتكرَّر في حِلِّهم وتَرْحالهم ؛ كالصلاة وما يتقدَّمُها من الوضوء والتيمُّم والمسح على الخُفَّين ، وانتقىٰ من « قوت القلوب » وغيرِهِ بعضَ الأوراد والأذكار التي ينبغي أن يُحافِظَ عليها السالكُ ليلاً ونهاراً ، وهٰذه الأبوابُ من الأبواب المهمَّة التي انفرد بها كتابُنا هٰذا عن « رسالة الإمام القُشَيريِّ » رحمه الله تعالىٰ .

ومِنَ الأبواب المُهِمَّة في هٰذا الكتاب : أدبُ الصُّحبة والأُخُوَّةِ في الله ، وأدبُ المُرِيدِ مع شيخه المُربِّي ، وأدبُ الشيخ وما يعتمده مع الأصحاب والمريدين ، وقد أورد المُؤلِّفُ جملةً من الآداب المُهِمَّة في هٰذين البابَينِ ، وضمَّنها قصصاً ماتعة ، وتوجيهاتٍ نافعةً ، وحِكَماً مفيدة ، ووصايا سديدة .

❁ ❁ ❁

وتكلَّم في الأبواب الأخيرة من الكتاب عن الخواطر التي تَرِدُ على القلب وأنواعِها وتفصيلها ، وذَكَرَ أنَّ أقومَ الناس بتمييز الخواطر الإيمانيَّةِ من الخواطر الشيطانيَّة . . أقومُهُم بمعرفة النَّفْس التي لا تكاد تتيسَّر إلا بعد الاستقصاء في الزُّهْد والتقوىٰ ، وأنَّ مَنْ كان أكلُهُ من الحرام لا يُفرِّق بين الإلهام والوسوسة .

---

(١) انظر (٢/ ١١٠) .

وأَفْرَدَ بابَينِ مُهِمَّينِ للحديث عن بعض مقامات الصُّوفيّة وأحوالهم ، وشَرَحَ بعضَ المصطلحات التي يَكثُرُ دَوَرانُها في كتب سادتنا الصُّوفيّة .

السُّهْرَوَرْديُّ مِنْ مُحقِّقي علم التصوُّف والمُنظِّرين فيه

وإمامُنا السُّهْرَوَرْديُّ مِنْ مُحقِّقي الصُّوفيّة ، وإمامٌ كبير من أئمَّتهم ، وإليه انتهت رئاسةُ التصوُّف والوعظ والإرشاد ، ودلالة المريدين إلىٰ ربِّ العباد ؛ فلذلك نجدُ رأيَهُ طافحاً في هٰذا الكتاب في كثير من المسائل ؛ نقداً وتصحيحاً ، أو توجيهاً وترجيحاً .

ومن ذلك : ما اعتمده وحرَّره في تحديد العلم المُفترَض ؛ إذ قال بعدَ ذِكْرِ كثير من الأقوال : (وعندي في ذلك حدٌّ جامع لطلب العلم المُفترَض ، والله أعلم ؛ أقولُ : العلمُ الذي طَلَبُهُ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلم : علمُ الأمر والنهي ، والمأمورُ : ما يُثاب علىٰ فعله ويُعاقَب علىٰ تركه ، والمنهيُّ : ما يُعاقَب علىٰ فعله ويُثاب علىٰ تركه ، والمأموراتُ والمنهيّات منها : ما هو مُستمِرٌّ لازم للعبد بحُكْم الإسلام ، ومنها : ما يتوجَّه الأمرُ فيه والنهيُ عندَ وجود الحادثةِ ؛ فما هو لازمٌ مُستمِرٌّ لزومُهُ مُتوجِّهٌ بحُكْم الإسلام . . علمُهُ واجبٌ من ضرورة الإسلام ، وما يتجدَّدُ بالحوادث ويتوجَّهُ الأمرُ والنهيُ فيه . . علمُهُ عندَ تجدُّدِهِ فرضٌ لا يَسَعُ مسلماً على الإطلاق أنْ يجهلَهُ .

وهٰذا الحدُّ أعمُّ من الوجوه التي سبقت ، والله أعلم)[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر (١/ ٢٠٥ـ٢٠٦) .

وبالجملة : فالكتاب مَعْلَمٌ من معالم علم التصوُّف ، وركنٌ من أركانه الضروريَّة التي لا بدَّ للسالك من دراسته والاهتداءِ بتعاليمه وتوجيهاته التي تُمثِّل قلبَ الإسلام وروحَهُ ، وقد نال قَبولاً وشهرة واسعة في زمان مؤلِّفه وحتىٰ يومنا هـٰذا ؛ نَظَراً لما حواه من العلوم المُوصِلةِ إلىٰ ربِّ العالَمين ، وما بيَّنه ووضَّحه وفصَّله للمُريدين السالكين ، كلُّ ذلك بعباراتٍ سهلة رائقة ، ومعانٍ غزيرة فائقة .



منهج العمل في الكتاب

تمَّ بفضل الله تعالى استجلابُ أهمِّ النسخ الخطيَّة لهٰذا الكتاب النفيس ، واعتمادُها جميعِها في إخراج نصٍّ سليمٍ خالٍ من الأخطاء والتحريفات التي وقعتْ في نسخه المطبوعة التي وقفتُ عليها ، وممَّا تفرَّد به عملُنا زيادةً علىٰ ذلك : توثيقُ وتخريجُ أخبارِهِ وآثاره التي أَوْرَدَها المُؤلِّفُ أو أَسْنَدَها ، وتصحيحُ أسانيده والتحقُّقُ منها ، وضبطُ نصِّهِ وشكلُهُ بحيثُ يكون سهلَ التناولِ للقارئ ، ولله الحمد علىٰ ذلك .

وقد نَهَجْتُ في سبيل ذلك مراحلَ علميَّةً دقيقةً ، تمثَّلتْ فيما يأتي :

ـ مقابلةُ الكتاب علىٰ نسخه المعتمدةِ مقابلةً متأنِّية ، مع تَجَنُّب الفروقِ التي هي عبارةٌ عن تحريف وتصحيف وخطأٍ إملائي أو نحوي بعيد عن سياق المؤلف وأسلوبه ، ولا يندرج تحت وجه من الوجوه التي ذكرها أئمَّةُ النحو في كتبهم .

ـ ثمَّ اتَّبعتُ منهج التلفيق بين النسخ ، ورأيتُهُ أسلمَ وأَمْتَنَ وأوضح في توثيق النصِّ واعتماده ، وخصوصاً في مثل هٰذا الكتاب وكثرة النسخ المعتمدة فيه ؛ وذلك بعد مقارنتها وإجراء دراسة بينها ، وقد أَثْمَرَ اعتمادُ هٰذا المنهج نصّاً دقيقاً صحيحاً سليماً خالياً من التصحيف والتحريف والسقط ، وهٰذا مِنْ أهمِّ مراحل تحقيق كتاب ما ، بل لقد عُرِّفَ التحقيق ـ كما

ذكره الأستاذ الأديب محمود شاكر ـ بأنَّهُ إخراجُ النصِّ كما أراده مؤلفه ، فأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يكونَ قد وَفَّقَني لذلك وأعانني عليه .

ـ ذكرتُ في الهامش أهمَّ الفروق والمغايرات الخطِّية التي تُضفِي معنىً جديداً ، أو تندرجُ تحت وجهٍ لغوي أو نحوي أو صرفي .

ـ أثبتُّ أهمَّ التعليقات والحواشي الموجودةِ علىٰ هوامش بعض النسخ الخطِّيَّة ، وخصوصاً النسختين (ج) و(ح) ، وهي حواشٍ قيِّمةٌ نفيسة أَثْرَتِ النصَّ المُحقَّق ؛ بالبيان والتوضيح ، والشرح والتعليل ، والتقسيم والتفصيل ، وسأتكلَّم عن هـٰذه الحواشي قريباً أثناء وصفي للنسخ الخطية[1] .

ـ وكما هي عادتي غالباً أثناءَ تحقيق أيِّ كتاب . . حاولتُ الاهتداءَ إلىٰ مصادر مُؤلِّفه ومراجعِهِ ، وقد تحصَّلتُ بفضل الله ومَنِّه وعونه علىٰ كثير من ذلك ، وهـٰذه الخطوةُ من أهم الخطوات في تحقيق النصِّ وضبطه واعتماده ؛ إذ يظهرُ من خلالها تصويبُ بعض التحريفات ، وإثباتُ بعضِ الزيادات التي لا يستقيمُ ولا يتَّضحُ النصُّ إلا بها ، وتبيينُ ما تهرَّأ من أصله بسبب الرطوبة أو الأَرَضة أو غيرهما ، ومن المصادر التي أخذ منها إمامُنا السُّهْرُوَرْديُّ كثيراً : « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، و« إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي ، و« اللمع » لأبي نصر السرَّاج الطُّوسي ، و« تهذيب الأسرار » لأبي سعد الخَرْكوشي ، و« الرسالة القشيرية » للإمام أبي القاسم القُشيري ، و« التعرُّف » للكلاباذي .

---

(١) انظر (١/ ٧٧، ٨٣ ـ ٨٤) .

ـخرَّجتُ الآياتِ القرآنيةَ ؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب الكتاب ضمن معقوفين ، ومع حصر الآية ضمنَ قوسين مُزهَّرين ، ورسمِها برسم المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم ، وقد أرسمُها أحياناً برواية غيره من القُرَّاء .

ـخرَّجتُ الأحاديث والأخبار والآثار التي أوردها المُؤلِّفُ أو رواها بإسناده ؛ من أُمَّات المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك ، وقد استفدت كثيراً في تخريج الأحاديث المرفوعة من كتاب « غنية العارف » للعلامة المُحدِّث أحمد ابن الصِّدِّيق الغُماري ، وكان التخريج غالباً مختصراً مفيداً ، مع رعاية وتقديم كتب الأئمَّة الواردين في سند « العوارف » علىٰ غيرهم إن كان النقل مسنداً .

ـ وثَّقتُ ما صرَّح المؤلف بنقله عن العلماء والأئمَّة ، أو نسبه لبعضهم دون تصريح ؛ بالعزو إلىٰ مؤلفاتهم أو المصادر والمراجع التي نقلت كلامهم أو أشارت إليه ، ونادراً ما يُصرِّح المؤلف بالنقل عن العلماء والمُصنَّفات .

ـشرحتُ بعض الألفاظ الغامضة والمُبهَمة ، ورجعت في ذلك إلى الكتب المُختصَّة في ذلك دون التصريح غالباً بأخذي عنها والنقل منها ، وكان رجوعي في الغالب إلىٰ كتاب « الصحاح » و« مختاره » ، و« المصباح المنير » ، و« تاج العروس » ، وبعض شروح الصِّحاح والسنن وكتب الغرائب الحديثيّة ؛ كـ « إرشاد الساري » ، و« مرقاة المفاتيح » ، و« النهاية في غريب الحديث والأثر » ، وقد استفدت أحياناً في ذلك من هوامش بعض النسخ الخَطِّيّة .

ـضبطتُ الرِّجال الواردين في أسانيد الكتاب ، وعرَّفتُ ببعض منهم بشكلٍ لطيفٍ مختصر ، وصحَّحت وصوَّبت أسماء بعضهم ، وقد وفَّقني الله سبحانه وتعالىٰ للوقوف علىٰ كثير من ذلك ممَّا تحرَّف وتصحَّف في غالب النسخ المطبوعة .

ـخرَّجتُ الأبياتَ الشعرية ؛ بعزوها إلىٰ دواوين قائليها أو المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك ، ونِسْبَتِها إلىٰ بحورها الشعرية ، وقد كانت الأبياتُ قليلةً في كتابنا هـٰذا .

ـشَكَلْتُ الأحاديثَ المرفوعة والأبياتَ الشعرية شكلاً تامّاً ، وباقيَ الكتاب شكلاً إعرابيّاً ، وصرفيّاً لبعض الكلمات المشكلة والمُوهمة ، وهي خطوةٌ مفيدة ونافعة في هـٰذا الكتاب وأمثاله ؛ نَظَراً لتداوله من قِبَلِ كثير من الطلبة المُتنوِّعين في معارفهم وتحصيلهم العلمي ، وقد استفدتُ واستأنستُ من شَكْلِ بعض النسخ التي جاء الضبط فيها غالباً دقيقاً مستقيماً ، وقد أَشْكُلُ الكلمةَ بعضَ الأحيان بأكثرَ من وجه إفادةً للقارئ .

ـأحلتُ جميعَ ما صرَّح المؤلفُ بتقدُّمه أو تأخُّرِه ؛ بعزوه إلىٰ مكانه المُحدَّد والمناسب ، وهو علىٰ قلَّته في كتابنا هـٰذا مفيدٌ معين علىٰ ربط فقراته ومقاطعه .

ـليَّنتُ الكتابَ من خلال ترقيمه ترقيماً مُحكَماً دقيقاً ، ويدخلُ في ذلك تقسيمُهُ إلىٰ فقراتٍ ومقاطعَ تُيسِّر للقارئ الإلمامَ بأفكار الموضوع .

ـجعلتُ رقماً متسلسلاً لجميع الأحاديث والآثار والأخبار المرويَّة المسندة ، وهي خطوة مفيدة في كتابنا هـٰذا ؛ إذ تُيسِّر الوصول إلى الصنعة

الحديثية الموجودة فيه ، وتُعرِّف برواياته المسندة ، وتحصر ما انفردت به منها .

ـ وشَّيتُ الكتاب بإضافة اللون الأحمر العريض لعناوين الأبواب وبعض الجمل والعبارات المُهِمَّة والمفيدة ، كما أضفتُ اللون الأحمر لصيغ الأداء والتحمُّل الواردة في الأسانيد ، وقد نحوتُ في تلوين الكتاب عموماً مَنْحاً ذوقيّاً جماليّاً ، ولم أتَّبعْ منهجاً علميّاً مُحدَّداً ومُطَّرِداً في ذلك .

ـ ذكرتُ في بداية الكتاب ترجمةً متوسِّطة مُعرِّفة بمؤلِّفه ، تناولتُ فيها جانباً من الحديث عن أسرته ، وطلبه العلم ، ومراحل سلوكه طريق التصوُّف ، وذكرت بعضَ الشيوخ الذين أخذ عنهم ، وبعضَ المريدين الذين لبسوا خِرْقَتَهُ واهتدوا بطريقته ، وأهمَّ مؤلفاته في التصوُّف وغيره .

ـ وصفتُ النسخَ المعتمدة والمستأنس بها في تحقيق هـٰذا الكتاب . . وصفاً عامّاً كاشفاً مفيداً ، وابتعدتُ عن الوصف المُتعلِّق بماهيَّة الورق وطبيعة المِداد وغير ذلك .

ـ أوردتُ قبل الشروع بالنصِّ المُحقَّق عقيدةً مُختصَرة نفيسة للإمام السُّهرُوَرْديِّ ؛ وعمدت إلىٰ ذلك ؛ إشهاراً لعقائد أئمَّتنا الصُّوفيَّة ، واستئناساً بصنيع الإمام القُشَيري في بدئه « رسالتَهَ » بذكر اعتقاد أئمَّة التصوُّف في مسائل الأصول .

ـ كما أوردتُ له وصيَّةً نافعة أوصىٰ بها ولدَهُ عماد الدين ، وهي وصيَّة مُختصَرة قيِّمةٌ مشهورةٌ .

ـ وإتماماً للفائدة فإنَّني أوردتُ القصيدةَ البديعة البليغة للإمام الشاعر

الصُّوفي تاج الدين أبي العبَّاس الشَّرِيشيِّ المُسمَّاةَ بـ « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » مضبوطةً مُحقَّقة ، والشَّرِيشيُّ من تلاميذ السُّهْرُوَرْدي ، وقد ذكر في قصيدته زُبْدَةَ ما حوىٰ كتابُ شيخِهِ « عوارفُ المعارف » ، وذكرتُ قبل ذلك كلمةً موجزة عن فضل القصيدة وأهمِّيَّتِها ، وتعريفاً مختصراً بمؤلفها ، وقد ضبطتُها ضبطاً تامّاً ، وذكرتُ بعضَ رواياتها ، وأهملت الكثير منها ، وخصوصاً ما كان بعيدَ المعنىٰ ومُعقَّدَ اللفظ ، وشرحتُ بعض أبياتها شرحاً لطيفاً مختصراً يحُلُّ ألفاظَها ، ويفتح مُغلَقَها ، وقد رجعتُ في ذلك كثيراً إلىٰ « شرح الإمام الفاسي » لهـٰذه القصيدة المباركة .

ـ وإفادةً للباحث فقد تمَّ تزويد الكتاب ببعض الفهارس العلميَّة المهمَّة ؛ وهي :

ـ فهرس الآيات القرآنية .

ـ فهرس الأحاديث النبوية .

ـ فهرس الآثار والأقوال والأخبار .

ـ فهرس الأبيات الشعرية .

ـ فهرس القصص والمنامات والوصايا .

ـ فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق .

ولا يَسعُني بعدَ إتمام هـٰذا العمل المبارك إلا أن أتقدَّمَ بالشكر الجزيل إلىٰ فضيلة شيخِنا المُربِّي ياسر القضماني الذي شَمِلَتْنا عينُ عنايته في تحقيق هـٰذا الكتاب ، والذي كان له الفضلُ الكبير في تشجيعنا علىٰ إعادة نشره

وإحيائه ، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء .

كما أتقدَّم بالشكر الوافر إلىٰ صاحب (دار التقوىٰ) الأخِ الكريم لؤي الأحمر علىٰ بذله وتيسيره ما يُعين علىٰ تحقيقه ، وهمَّتِهِ العالية وخدمته الظاهرة والواضحة في طباعة كتب سادتنا الصوفيَّة وأئمَّتنا الأشاعرة رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم ، وإلىٰ جميع الإخوة الأفاضل العاملين في (دار التقوىٰ) ، وكلِّ مَنْ ساهم منهم في إفادتي ببعض التصويبات والملاحظات .

وفي الختام : فإنَّني أسأل المولى الكريم أن يشملَنا بلطفه وعنايته ، ويجعلَنا من أهل مرضاته ورعايته ، ويُمِدَّنا بأنظار الأولياء والمُقرَّبين ، ويحشرَنا مع السعداء والصالحين .

وصلى الله وسلم علىٰ سيدنا ونبينا محمد نور الأنوار
وزين المرسلين الأخيار

حرر في دمشق الشام
(١٢) ربيع الأنور (١٤٤٣هـ)
الموافق (١٩) تشرين الأول / أكتوبر (٢٠٢١م)

وكتبه
المفتقر إلى من هو خير وأبقى
بلال محمد حاتم السقا

وصف النسخ الخطية

تمَّ بعون الله وفضلِهِ الاعتمادُ علىٰ ثماني نسخ خطِّيّة في تحقيق الكتاب ، إحداها قريبة العهد بوفاة المؤلف ، وثلاثة منها مكتوبة في القرن الذي تُوفِّي فيه ، وجميع النسخ اتَّسمت عموماً بالنَّفاسة والعناية والجودة والدقَّة والضبط ، وتعانقت علىٰ نسجِ نصٍّ سليمٍ خالٍ من التحريف والتصحيف والسقط ، مشفوعٍ ببعض التعليقات القيِّمة الهامَّةِ المأخوذة من هامشها ، ولله الحمد والمِنَّة علىٰ ذلك ، ورتَّبْتُها علىٰ حسب قِدَمِها وتمامها ، وقد أُراعي الأهميّة بعضَ الأحيان .

وإليك وصفَ هـٰذه النسخ :

النسخة الأولىٰ

مخطوطة مكتبة حكيم أوغلو علي باشا (إستانبول ـ تركيا) ، وهي من محفوظات المكتبة السليمانية ، ذات الرقم : (٤٨٣) ، وتقع في : (٢٣٠) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٣) كلمة تقريباً .

وهي نسخة تامَّة في غاية النَّفاسة والضبط والصحَّة ، وخطُّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وقد اعتنىٰ بها ناسخها ومقابلها اعتناء كبيراً ، تجلَّىٰ ذلك :

في ضبط أغلب كلمات الكتاب ضبطاً صحيحاً دقيقاً ، وتلوين عناوينه وبعض العبارات والأفكار الرئيسة باللون الأحمر العريض ، وإثبات بعض المغايرات والفروق المهمَّة والتعليقات المفيدة والمطالب المتناثرة على الهامش .

وقبل طُرَّة المخطوط : أبياتٌ رقيقة عَذْبة كتبها أبو المعالي بن أبي حامد بن أبي بكر بن أبي عمر بن أبي بكر بن أبي غانم ، دون نسبتها إلىٰ قائلها ، ويحتمل أنها لكاتبها ؛ والأبيات هي :

يا لمعةَ البرقِ بل يا نسمةَ الرِّيحِ ... رُوحي برُوحي إلىٰ مَنْ عندَهُ رُوحِي

خُذي لهم مِنْ سلامي عنبراً عَبِقاً ... وأَوْقِـدِيـهِ بنـارِ مـن تَبَـارِيحِـي

هُبِّي لهم بالذي حُمِّلتُ مِنْ كُرَبٍ ... ففي هبوبِكِ تَفْرِيجي وتَفْرِيحِي

وعَرِّضِي لي بذكرٍ إنْ مررتِ بهم ... وَهناً وإيَّاك أنْ تأتيْ بتصريحِ

فإنَّ في الحي غَيراناً يغارُ إذا ... قَرُبْتِ منه على القَيْصُومِ والشِّيحِ

وكتب أسفل هٰذه الأبيات : فرع فقهي مفيد مأخوذ من « روضة الطالبين » للإمام النووي رحمه الله تعالىٰ ؛ وهو : (لا يجوز أن يضاجع الرجل الرجل ، ولا المرأة المرأة وإن كان كلُّ واحد في جانب من فراش ، وإذا بلغ الصبي والصبيَّة عشر سنين . . وجب التفريقُ بينه وبين أمِّه وأبيه وأخته وأخيه في المضجع) .

وقبل الطُّرَّة أيضاً : إجازةٌ عامَّة وإجازة خاصَّة بالخِرْقة الشريفة من قبل الشيخ عبد الصمد بن عبد السلام ، وقد كتبتُ نصَّ الإجازة بعد خواتيم النسخ الخطية آخر الكتاب[١] .

---

(١) انظر (٢/٦٠٨ـ٦٠٩) .

وعلىٰ طُرَّة المخطوط : عنوان الكتاب وعَزْوُهُ إلىٰ مؤلفه الإمام السُّهْرُوَرْدي ، مع ذِكْرِ نسبه تامّاً إلىٰ سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعليها أيضاً أسماءٌ لبعض المُتملِّكين للنسخة ، وختم باسم المكتبة الواقفة ، وتوسَّطها حديثان معزوَّان إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وهما : « إذا أحب الله عبداً لم يضرُّهُ الذنب » ، و : « كلُّ إناء يترشَّح بما فيه » .

وهي من أقدم النسخ التي اعتمدنا عليها أثناء تحقيق الكتاب ؛ إذ كان الفراغ من نسخها : عصر يوم السبت من شهر جمادى الآخرة سنة (٦٧٧هـ) ، وكان علىٰ يد : إسماعيل بن سالار بن زكي بن سالار الكازروني .

ورمزت لهٰذه النسخة بـ (أ) .

النسخة الثانية

مخطوطة المكتبة الأزهرية (القاهرة ـ مصر) ، ذات الرقم العام : (٩١٧٦١) ، والخاص : (٢٤٦٧) ، وتقع في : (٢١٣) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٣) كلمة تقريباً .

وهي نسخة تامَّة نفيسة ، وخطُّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وضُبط كثير من عبارات الكتاب ضبطاً متناثراً مفيداً ، وكُتبت عناوينه وبعض العبارات المُهِمَّة باللون الأحمر العريض .

وتظهر نفاسةُ هٰذه النسخة : بأنَّها مسموعة على الإمام علاء الدين

أبي الحسن القونوي ، كما قُيِّد ذلك في خاتمتها ، وقد ذكرتُ نصَّ السماع هناك[1] ، وبأنَّها مسموعة أيضاً على الإمام الحافظ المُحدِّث عبد الملك ، وكان هـٰذا السماع في مجالسَ عديدةٍ بقراءة مالك النسخة الإمام الفقيه المُحدِّث المُتفنِّن عز الدين عبد السلام بن داود المقدسي ، كما قُيِّد ذلك علىٰ هوامشِ كثيرٍ من ورقاتها ، وجميع هـٰذا يشير إلىٰ كثرة المُتملِّكين لهـٰذه النسخة .

وتظهرُ نفاستُها أيضاً : بأنَّها مُعتنىً بنصِّها من خلال مقابلتها مقابلةً تامَّةً كما نُصَّ علىٰ ذلك في هامشها[2] ، وكُتب في الخاتمة : (بلغ مقابلةً حسب الطاقة فوافق ، والحمد لله رب العالمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمَّد خاتم النبيِّين) .

وعلىٰ طُرَّة المخطوط : عنوانُ الكتاب مع إيراد زيادة لم توجد في النسخ الأخرىٰ ، **ونصُّ العنوان** : (كتاب عوارف المعارف في شرح أحوال المشايخ الصُّوفيَّة) ، ونسبةُ الكتاب إلىٰ مؤلِّفه وتفخيمُهُ وبيانُ قدرِهِ ومنزلته بأرقىٰ وأسمىٰ عبارات المدح والثناء ، وذكرُ نسبه تامّاً إلىٰ سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وذُيِّل الكتاب بشرحٍ مفيد وقيِّم للمُؤلِّف لبعض كلمات الإمام الصُّوفي المُربِّي أبي محمَّد الجُرَيري في آداب الحضرة الإلـٰهيَّة ، **وأتبع ذلك** بوصيَّة نفيسة مختصَرة للإمام السُّهْرُوَرْدي منقولة من خطه رحمه الله تعالىٰ .

---

(١) انظر (٢/ ٦٠٢ـ٦٠٣) .

(٢) وقد ذكرت أثناء التحقيق جميع ذلك في مكانه المناسب .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الأربعاء في التاسع عشر من شهر جمادى الأولىٰ سنة (٦٩٢هـ) ، وكان علىٰ يد : محمَّد بن يوسف بن عبد الرحمـٰن الحوراني .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ(ب) .

النسخة الثالثة

مخطوطة مكتبة تُرْخان والدة السلطان محمد الرابع (إستانبول ـ تركيا) ، وهي من محفوظات المكتبة السليمانية ، ذات الرقم : (١٨٦) ، وتقع في : (٤١٩) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (١٥) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (٧) كلمات تقريباً .

وهي نسخة تامَّة نفيسة ، وخطُّها نسخي واضح مقروء ، وكُتب غالب كلمات عناوين الكتاب وبعض العبارات المُهِمَّة بالخط الأحمر العريض .

وتتجلَّىٰ نفاستُها : في أنَّها تمَّ مقابلتها على النسخة المقابلة بالنسخة المقابلة علىٰ نسخة المؤلف المكتوبة بخطِّه والمقروءة عليه مراراً ، وفي أنَّها مقروءة ومُعتنىً بها ، كما يظهر ذلك في الحواشي والفروق والمغايرات المفيدة التي كُتبت على الهامش ، وقد كُتبت بعض الحواشي باللغة الفارسية ممَّا يشير إلىٰ كثرة المُتملِّكين لهـٰذه النسخة .

وعلىٰ طُرَّة الكتاب : عنوان الكتاب ، ونسبته إلىٰ مؤلفه ، وتصريحٌ بأنَّهُ من تلاميذ سيِّدي المربِّي الصُّوفي عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالىٰ ، وختمٌ باسم المكتبة التي تملَّكت الكتاب آخراً .

وكان الفراغ من نسخه : في مكَّة المكرَّمة في الربع الثاني لسنة (٧٦٨هـ) ، وكان على يد : محمَّد بن إسحاق بن أبي العباس بن إسحاق الأَبَرْقُوهي ، وقد قابله مع الإمام الفاضل علاء الدين محمود عرب الخراساني ، وقد كتب الأَبَرْقُوهي هٰذه النسخةَ للإمام أبي المكارم شهاب الدين أحمد بن محمَّد بن أحمد الدَّشْتي الكيلاني ، وفي خاتمة الكتاب وصف مُطوَّل لهٰذه المقابلة ، وأبيات في مدح « العوارف » ومؤلفه ، وقد أوردت جميع ذلك فيها[1] .

ورمزت لهٰذه النسخة بـ (ج) .

النسخة الرابعة

مخطوطة المكتبة الأزهرية (القاهرة ـ مصر) ، ذات الرقم العام : (٩٣٩٣٣) ، والخاص : (٢٥٥٦) ، وتقع في : (٢٢٩) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٢) كلمة تقريباً .

وهي نسخة مفيدة تامَّة ، خلا صفحة في بدايتها ، فتمَّ استكمالها من نسخة مغربية مجهولة ، وخطُّها نسخي واضح مقروء ، وكُتبت كلمة (الباب) بالخط الأسود العريض ، وهو كافٍ في التمييز وسرعة الوصول إلى المطلوب ، وضُبطت الأبيات ضبطاً تامّاً ، وبعض الكلمات ضبطاً بسيطاً غيرَ مُطَّرد في جميع الكتاب .

---

(١) انظر (٢/ ٥٩٣ـ ٥٩٨) .

وكُتب علىٰ هامشها بعض الفروق المفيدة المأخوذة من نسخة أخرىٰ ، ممَّا يَدُلُّ علىٰ أنَّ هـٰذه النسخة مقابلة ومُعتنىً بها .

وهـٰذه النسخة هي أقدمُ النسخ التي استطعنا تحصيلها والوصول إليها ؛ إذ كان الفراغ من نسخها : يومَ الأربعاء السابع من صفر سنة (٦٥٦هـ) ؛ أي : بعد وفاة المؤلف بثلاث وعشرين سنةً تقريباً ، وكان ذلك علىٰ يد : محمَّد بن عبد الله بن محمَّد السورباني بالمدرسة العادلية في دمشق ، ولولا التحريفُ أحياناً وبُعدُ بعض الكلمات والعبائر عن مراد المؤلف وسياقه . . لقُدِّمت علىٰ غيرها من النسخ .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ (د) .

النسخة الخامسة

مخطوطة الجامع الأحمدي (طنطا ـ مصر) ، الذي آلتْ مخطوطاته إلى المكتبة المركزيّة للمخطوطات الإسلاميّة في جامع السيدة زينب (القاهرة ـ مصر) ، ذات الرقم العام : (١١٣) ، والخاص : (١٤٣) ، وتقع في : (١٤٨) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين (٢١) و(٢٧) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٦) كلمة تقريباً .

وهي نسخة تامَّة نفيسة ، وقد تمَّ الاستفادة منها كثيراً في ضبط بعض الكلمات والعبارات ، وتصحيح بعض الأخطاء والتصحيفات ، وخطُّها نسخي واضح مقروء ، وكُتبت عناوين الكتاب بالخط الأحمر العريض ، ونَدَرَ أن نرى اللون الأحمر فيها لغير ذلك .

وعلىٰ طُرَّة المخطوط : عنوان الكتاب واسم مؤلفه مختصراً ، وختمٌ بمالك الكتاب ؛ وهو العلامة الشيخ محمَّد الإمام القصبي شيخ الجامع الأحمدي بطنطا ، وترجمةٌ موجزة للإمام السُّهْرُوَرْديِّ منقولةٌ من كتاب « شرح المواهب اللدنيَّة » للإمام الزرقاني رحمه الله تعالىٰ .

وتظهر نفاسةُ هـٰذه النسخة : بأنَّها تامَّة ومُعتنىً بها من حيثُ المقابلةُ ، وضبطُ كثير من كلمات وعبائر الكتاب ضبطاً تامّاً دقيقاً ، إلا ما شذَّ ونَدَرَ ، وبأنَّ عليها سماعاتٍ كثيرةً لكتابنا « عوارف المعارف » ، وهي للإمام المسند أحمد بن محمَّد بن محمَّد البخاري النجَّاري ، وقد تضمَّنت هـٰذه السماعاتُ إجازاتِهِ وإجازاتِ بعض أولاده بالكتاب المذكور وبالخِرْقة الشريفة[1] .

وكان الفراغ من نسخها : في ظهر يوم الخميس غُرَّة المحرَّم من سنة (٧٤٣هـ) ، علىٰ يد : خلف بن أبي زيد بن الحسين الصَّبَّاغي الكاشغري ، في خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ (هـ) .

النسخة السادسة

مخطوطة مكتبة هُدائي أفندي الرومي (إستانبول ـ تركيا) ، وهي من محفوظات المكتبة السليمانية ، ذات الرقم : (٣٨٧) ، وتقع في : (١٦٨) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢٩) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٢) كلمة تقريباً .

---

(١) وقد أوردت جميع هـٰذه السماعات والإجازات في خاتمة الكتاب . انظر (٢/ ٦٠٣ـ ٦٠٧ ، ٦٠٩ـ ٦١٤) .

وهي نسخة تامَّة نفيسة ، وخطُّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وعلىٰ هامشها فروقٌ مأخوذة من نسخةٍ أخرىٰ ، وبعضُ التصحيحات والتصويبات ، ممَّا يَدُلُّ علىٰ أنَّها نسخةٌ مصحَّحة ومقابلة ومُعتنىً بها ، بل إنَّهُ نُصَّ علىٰ ذلك في طُرَّتها ، وقد تمَّ الاستفادة والاستئناس من هـٰذا الهامش في تصحيح نصِّ الكتاب وضبطه .

وضُبط كثير من كلماتها ضبطاً صحيحاً دقيقاً غالباً ، وأُحيط متنُ الكتاب وعناوينُهُ بإطارٍ أحمرَ ، وكُتبت العناوينُ وبعضُ الكلمات ؛ كالصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وعبارةِ (قال الله تعالىٰ) ، وكلمة (قال) المتكررة في الأسانيد ، وغيرها . . باللون الأحمر العريض .

وعلىٰ طُرَّة المخطوط : عنوان الكتاب ، وكُتب بعده : (من فوائد شيخ الإسلام ، مرشد الأنام ، شهاب المِلَّة والدين ، إمام المُتَّقين ، كهف الطالبين ، قدَّس الله روحه العزيز ، أبي عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله السُّهْرُوَرْدي) ، وعليها أيضاً : تأريخ بولادة المؤلف ووفاته ، وسندُهُ بالخرقة الشريفة المباركة إلى الإمام الجنيد رحمه الله تعالىٰ وأعاد علينا من بركاته .

ويوجد قبل طُرَّة الكتاب : ختم باسم المكتبة المالكة ، ووقف باسم (محمود بن فضل الله بن محمود) ، وهو الشيخ الواعظ المشهور بـ (هدائي الرومي) صاحب المكتبة المأخوذِ منها كتابُنا هـٰذا ، وعلىٰ طُرَّته وفي خاتمته : فوائدُ نافعة ، ونِكاتٌ ماتعة ، وأشعار رائقة ، وأقوال فائقة .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان

المبارك ، سنة (٦٧٤هـ) ، وكان النسخ على يد : محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن عمر بن الحسين الدافري .

ورمزت لهٰذه النسخة بـ (و) .

النسخة السابعة

مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام فيض الله أفندي (إستانبول ـ تركيا) ، ذات الرقم : (١٢٦٢) ، وتقع في : (٢٤٠) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين (٢١) و(٢٣) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٣) كلمة تقريباً .

وهي نسخة جيدة عموماً ، وخطُّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وكُتبت العناوين والآيات بالخط الأسود العريض ، وأحياناً تُكتب العناوين باللون الأحمر ، وعلىٰ هامشها بعض الفروق المنقولة من نسخة أخرىٰ ، وهي قليلة جداً مقارنة ببعض النسخ السابقة .

ويوجد قبل الطُّرَّة كلام باللغة الأعجمية بحدود الورقة ، ولم يُعتن بالطُّرَّة كما هو العادة في هٰذا الكتاب وأمثاله ، ولم يُذكر فيها سوىٰ دعاء وفائدة في سبب تسمية الكتاب بـ « عوارف المعارف » .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الجمعة وقت الضحىٰ في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (٧٠٣هـ) ، ولم يُذكر فيها اسم الناسخ .

ورمزت لهٰذه النسخة بـ (ز) .

النسخة الثامنة

مخطوطة دار الكتب القطرية (الدوحة ـ قطر) ، ذات الرقم : (٩٧٩) ، وتقع في : (١٧٩) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين (٢٣) و(٢٤) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : ما بين (١٥) و(١٧) كلمة تقريباً .

وهي نسخة نفيسة مُتقَنة ، إلا أنَّها سقط منها قريب من ستة أبواب في بدايتها ، فتمَّ استدراكها من نسخة أخرىٰ ، وخطُّها نسخي معتاد في الأوراق المُستدرَكة وفارسي في باقي الكتاب ، وهو واضح ومقروء ، وكُتبت العناوين بالخط الأحمر العريض ، وضُبط غالب كلماتها ضبطاً صحيحاً مُتقَناً عموماً .

وتتجلَّىٰ نفاسةُ هـٰذه النسخة : في أنَّها مقروءةٌ ومقابلة ومُعتنىً بها مِنْ ناسخها ومَنْ تداولها وتملَّكها ، ويظهرُ ذلك جَلِيّاً من خلال الفروق المأخوذة من نسخ أخرىٰ ، وهي مفيدة ونافعة ، ومن خلال إرجاع الكثير من الضمائر الموهمة الموجود في ثنايا الأسطر ، والتعليقات العلميَّة الكثيرة التي تناثرت في جميع النسخة الأصلية علىٰ هامشها وبين سطورها ، وقد خُتِمَ كثير من هـٰذه التعليقات بالرمز (ح) ، ولعلَّ المراد بها : « حاشية الإمام زين الخَوَافي » كما صرَّح بذلك في بعض المواضع[1] ، وكاتب هـٰذه التعليقات

---

(١) وزين الدين الخَوَافي : هو من شيوخ الإمام المحقق الكمال بن الهمام . انظر ما كتبته عن هذه « الحاشية » في (١/ ٤٤) .

هو حنفي المذهب كما هو الظاهر من مضمونها في بعض الأماكن ، وكما نُصَّ علىٰ ذلك في بعضها ، وقد تمَّ انتقاء وإثبات كثير منها في هامش الكتاب ؛ نظراً لفائدتها وإيضاحها لكثير من عباراته .

ويوجد في بداية الكتاب وفي خاتمته حوالي ثلاث عشرة ورقة احتوت علىٰ بعض الفوائد المتنوِّعة وعلىٰ تفسير وشرح آيات قرآنية معزوٍّ إلىٰ بعض التفاسير ؛ كـ « تفسير أبي الليث السمرقندي » ، و« تفسير الكواشي » ، « وتفسير الوسيط » ، وغيرها ، كما احتوتْ هـٰذه الأوراق علىٰ شرح لديباجة الكتاب ، ولعلها للإمام زين الدين الخوافي المذكور آنفاً ، والله تعالىٰ أعلم .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الاثنين من شهر رمضان المبارك سنة (٨٦٦هـ) ، علىٰ يد : يعقوب بن بدر بن مصطفى بن خضر بن ميكائيل .

وكُتب في الخاتمة على الهامش : (بحمد الله ومَنِّه تمَّت مطالعته ومقابلته وقت الظهر من يوم الأحد في نصف شهر الله المبارك المُسمَّىٰ بـ « الرمضان » ، من شهور سنة أربع وسبعين وثمان مئة في بورسة المحروسة ، في أيام الجلوة للشيخ العالم العامل الكامل المُكمَّل المُحقَّق في الإرشاد والتحقيق شيخي عبد الله ، سلَّمه الله سلامة دائمة ، ثمَّ بعد ذلك إني قرأت هـٰذا الكتاب تماماً على الشيخ المذكور في أوقات الخدمة والمصاحبة) .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ (ح) .

وقد تمَّ أيضاً الاستئناس بنسختين أخريين ؛ وهما :

النسخة التاسعة

مخطوطة أكاديمية محمد الكبير (السند ـ باكستان) ، وتقع في : (٥٩٨) صفحة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين (١٥) و(١٩) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (٩) كلمات تقريباً .

وهي نسخة جيدة عموماً ، وخطُّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وكُتب على هامشها بعض التعليقات باللغة العربية والأعجمية ، وقد أوردت قليلاً منها في الهامش ، وتفرَّدت هـٰذه النسخة عن باقي النسخ بحذف ناسخها لأسانيد الكتاب ، هـٰذا من جملة أسباب عدم اعتمادها والرجوع إليها كثيراً أثناء التحقيق ، إلا أنَّهُ تمَّ الاستفادة منها أحياناً في تصويب بعض العبارات أو ترجيحها .

وكان الفراغ من نسخه : ضحىٰ يوم الخميس من شهر المُحرَّم الحرام سنة (١١٢٥هـ) ، علىٰ يد : أحمد بن عبد النبي ترك الغوري .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ(ي) .

النسخة العاشرة

نسخة المطبعة الأزهرية (القاهرة ـ مصر) ، المطبوعة في شهر رمضان سنة (١٣١٦هـ) ، والمكتوبة علىٰ هامش « إحياء علوم الدين » المُكوَّن من أربعة مجلدات ، وقد تمَّ الاستفادة من هـٰذه الطبعة في إثبات بعض

الزيادات ، وتصويب وترجيح بعض الألفاظ والعبارات .

ورمزت لهٰذه النسخة بـ (ط) .

❁ ❁ ❁

وأمّا « وصيّة الإمام السُّهْرُوَرْدي » : فقد تمَّ الرجوع إلىٰ ثلاث نسخ منها :

الأولىٰ : مخطوطة شيخ الإسلام فيض الله أفندي ، ذات الرقم : (١٢٦٣) ، وقد كُتبت هٰذه الوصية في بداية نسخةٍ من « العوارف » ، وتاريخ نسخها : سنة (٩٦٢هـ) ، ورمزت لها بـ (أ) .

والثانية : مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (١٣٢٩٠٥) ، والخاص : (٢٢٨١) ، وهي ضمن مجموع يحوي رسائل وكتباً لطيفة ، وتبدأ الوصية من الورقة (١٩) وتنتهي بالورقة (٢١) ، ورمزت لها بـ (ب) .

والثالثة : مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (٣٤٧٨٨) ، والخاص : (٧٤١) ، وهي ضمن مجموع أيضاً يحوي وصايا ورسائل في علم العقيدة ، وتبدأ الوصية من الورقة (٣٦) وتنتهي بالورقة (٣٧) ، ورمزت لها بـ (ج) .

❁ ❁ ❁

وأمّا « القصيدة الرائيّة الشَّرِيشيّة » . . فقد اعتمدتُ على النسخة التي شَرَحَ عليها الإمام أبو العباس أحمد الفاسي هٰذه القصيدةَ المباركة ، وهي

مطبوعة المكتبة العامرة التي صدرت في سنة (١٣١٦هـ) ، كما اعتمدت أيضاً علىٰ نسخة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (٩٧٥٨٦) ، والخاص : (٢٠٤٠) ، وتقع ضمن مجموع ، وتبدأ القصيدة من الورقة (١٩٠) وتنتهي بالورقة (١٩٦) ، وتمتاز هـٰذه النسخة بأنَّها جاءت معنونةً لجميع أفكار ومواضيع القصيدة .

* * *

ولا بدَّ من التنبيه : أنَّ غالب نسخ « العوارف » وخصوصاً (ج ، ح ، ي) قد كُتب كثير من هوامشها باللغة الأعجمية ، وأنَّ صيغ التحمل والأداء التي وردت في الأسانيد جاءت غالباً مختصرة مرموزة علىٰ حسب ما اصطلح وتواضع عليه أئمة الحديث في كتب الرِّواية ، وقد كتبتها تامَّةً حتىٰ لا تُشوِّشَ القارئ ولا تختلطَ بصيغ أخرىٰ ، وخصوصاً أنَّ هـٰذا الكتاب كثير التداول من كافَّة الاختصاصات والمستويات .

ولا بدَّ من التنبيه أيضاً : أنَّ بعض النسخ ـ وخصوصاً (أ ، و ، ح ، ي) ـ جاءت صيغة الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فيها مختصرةً مرموزة ؛ هـٰكذا : (صلعم) ، وذلك في كثير من المواضع ، وقد نصَّ أئمَّة الحديث ومنهم الإمام النووي علىٰ كراهة ذلك وعدم حسنه ، وقد أثبتُّها تامَّة علىٰ حسب الصيغة المتداولة كثيراً في الكتاب .

* * *

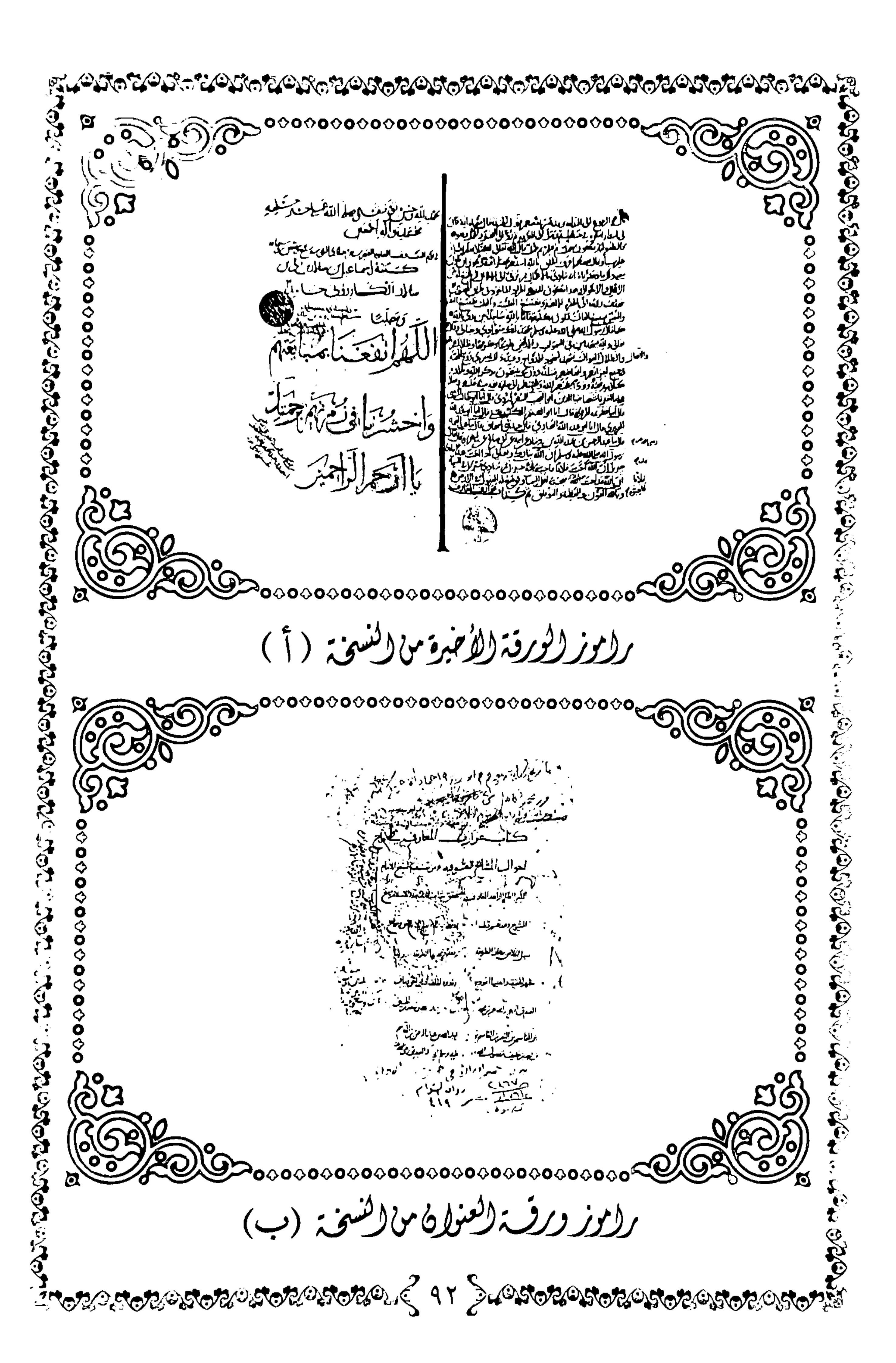


صور من المخطوطات المستعان بها



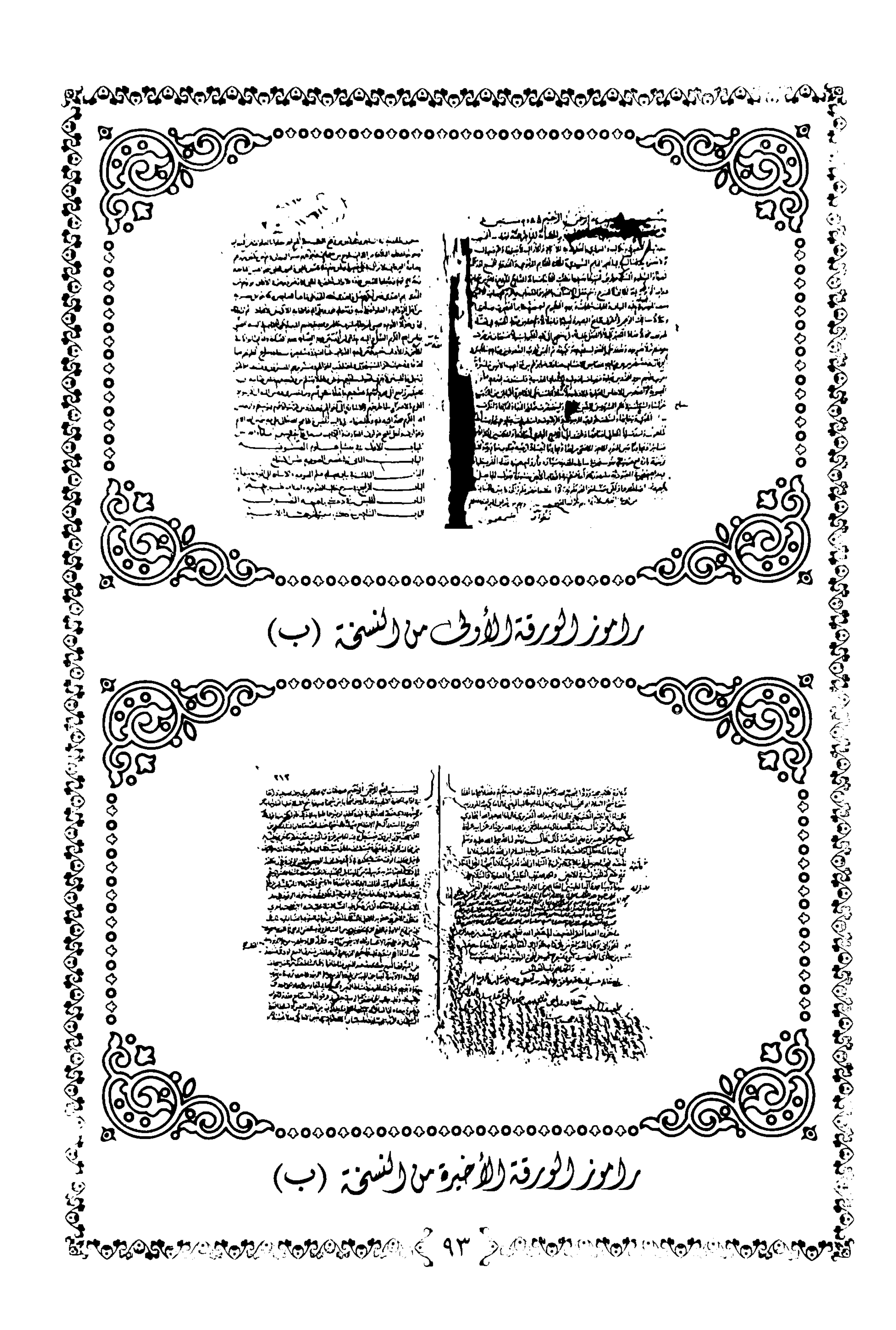
راموز ورقة العنوان من النسخة (أ)

راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)



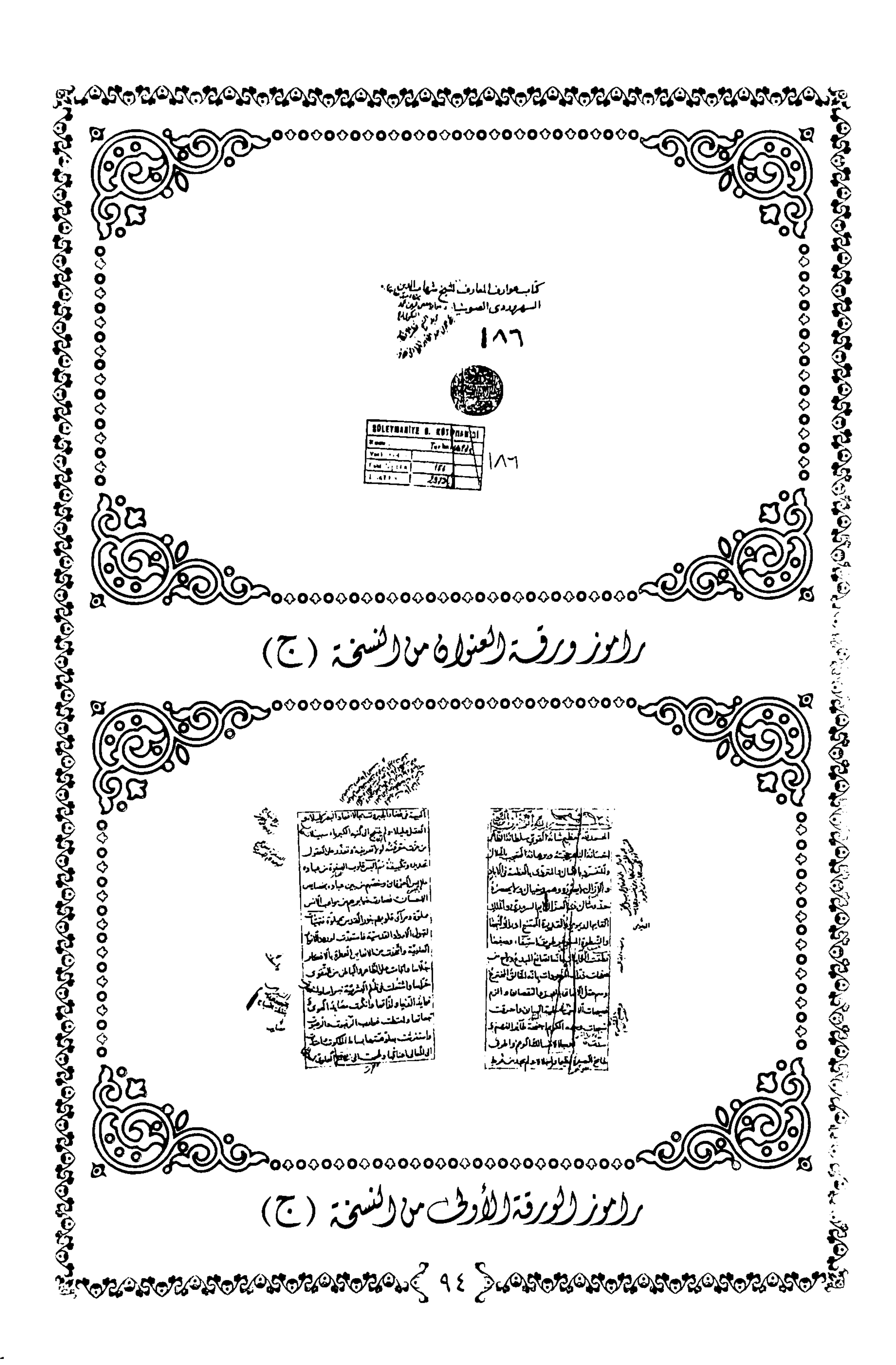
رواموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

رواموز ورقة العنوان من النسخة (ب)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



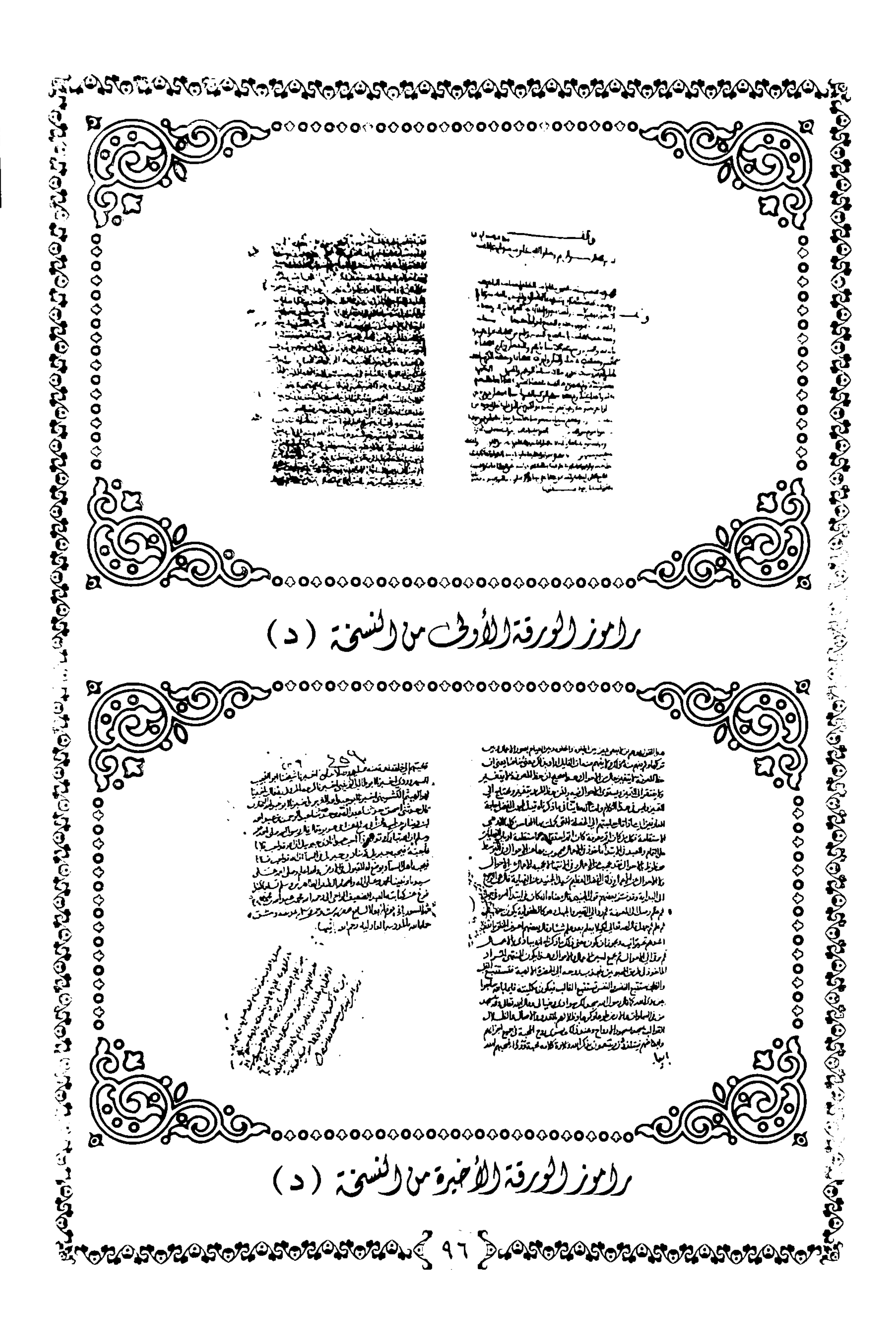
راموز ورقة العنوان من النسخة (ج)

راموز الورقة الأولى من النسخة (ج)


عوارف المعارف
للشيخ شهاب الدين
عمر السهروردي
رضي الله عنه

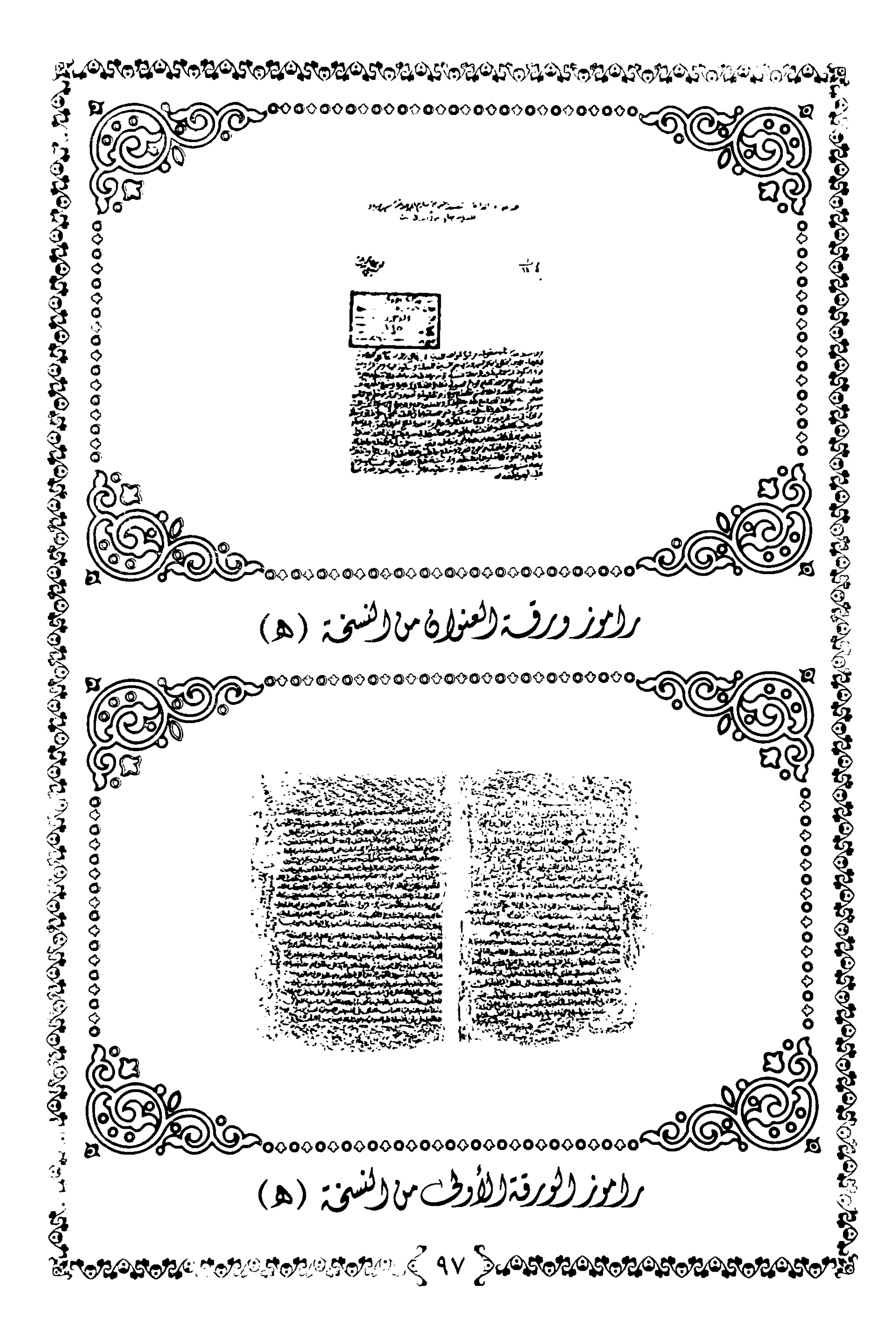
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ج)

راموز ورقة العنوان من النسخة (د)



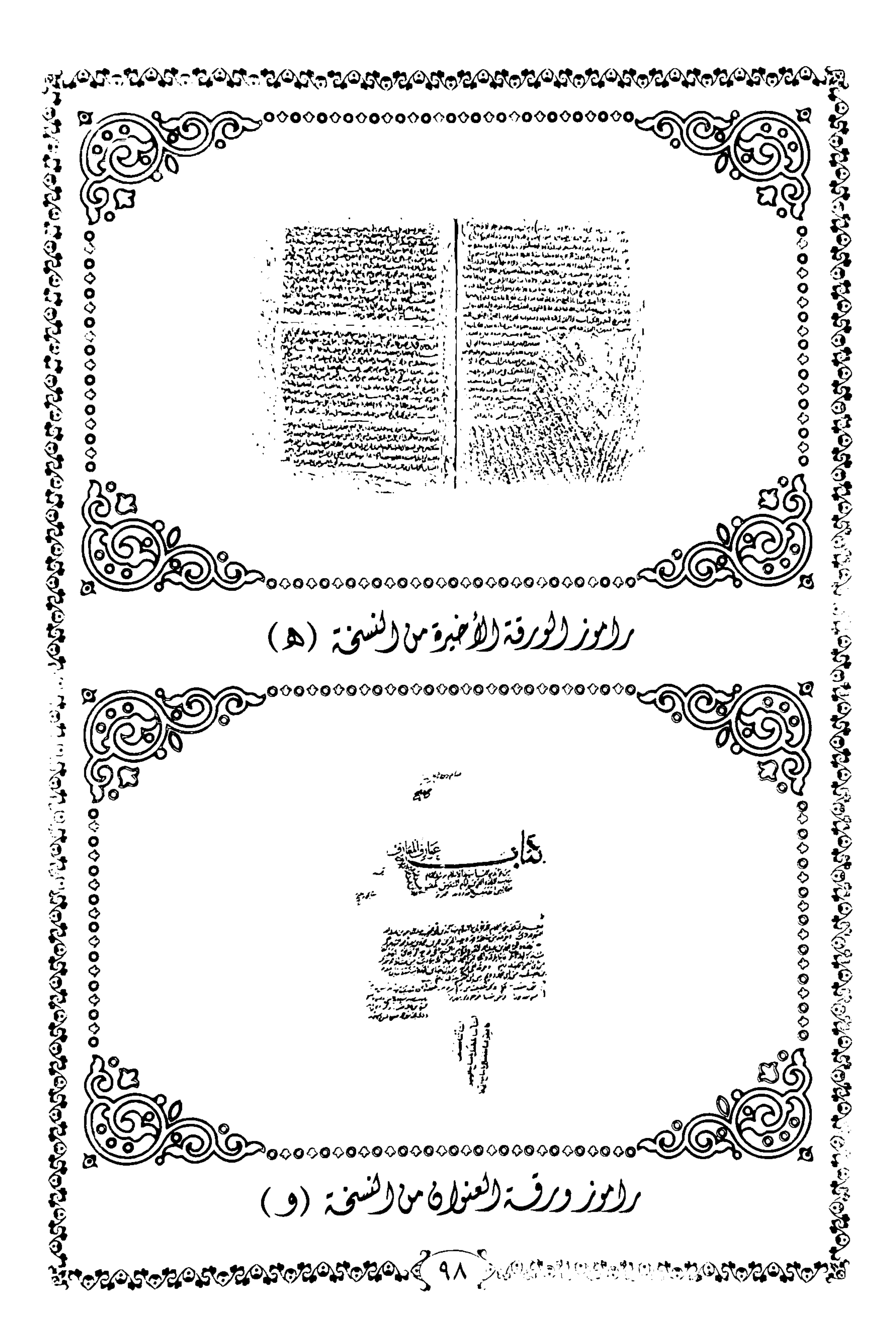
راموز الورقة الأولى من النسخة (د)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (د)



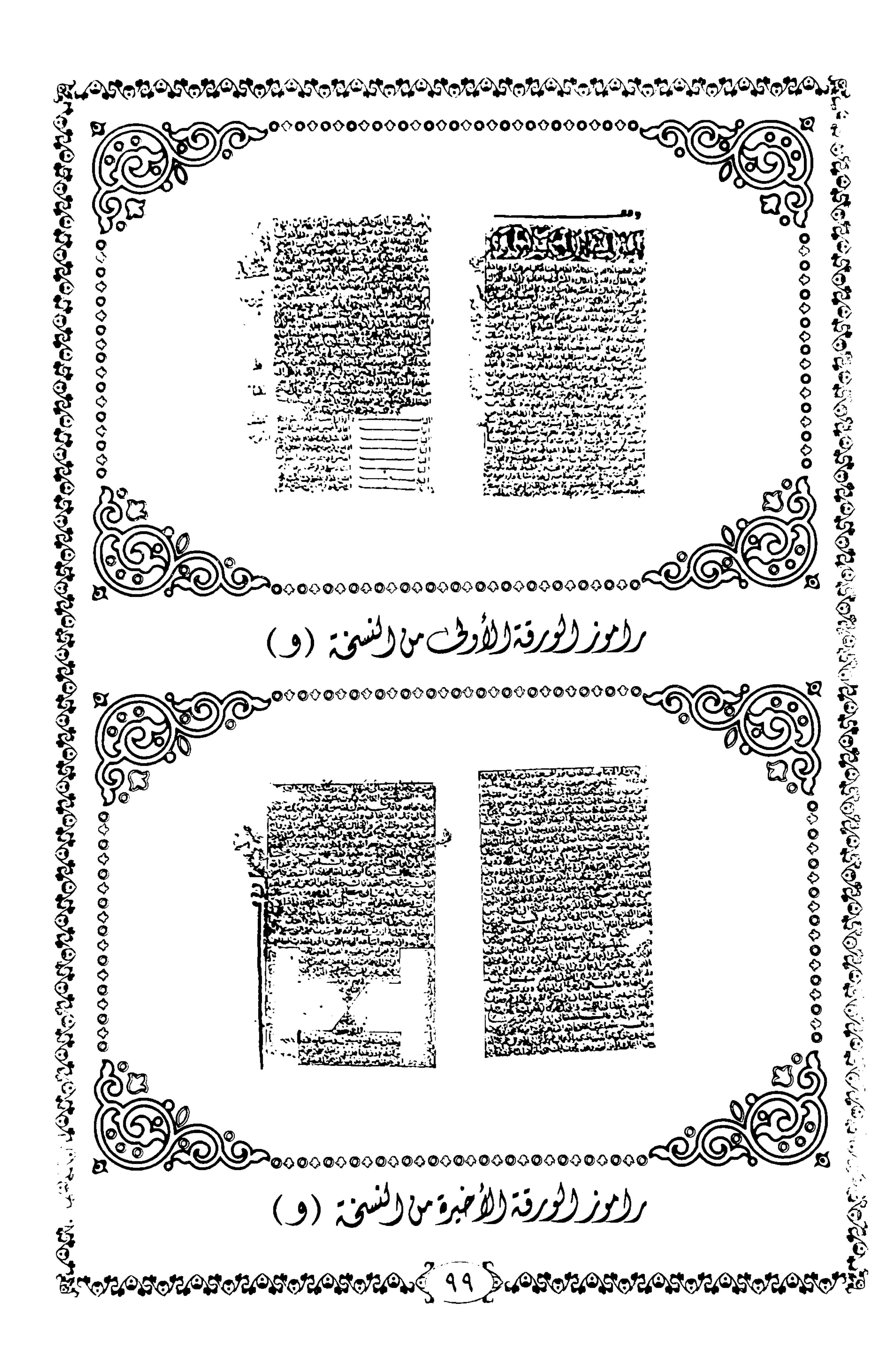
راموز ورقة العنوان من النسخة (هـ)

راموز الورقة الأولى من النسخة (هـ)



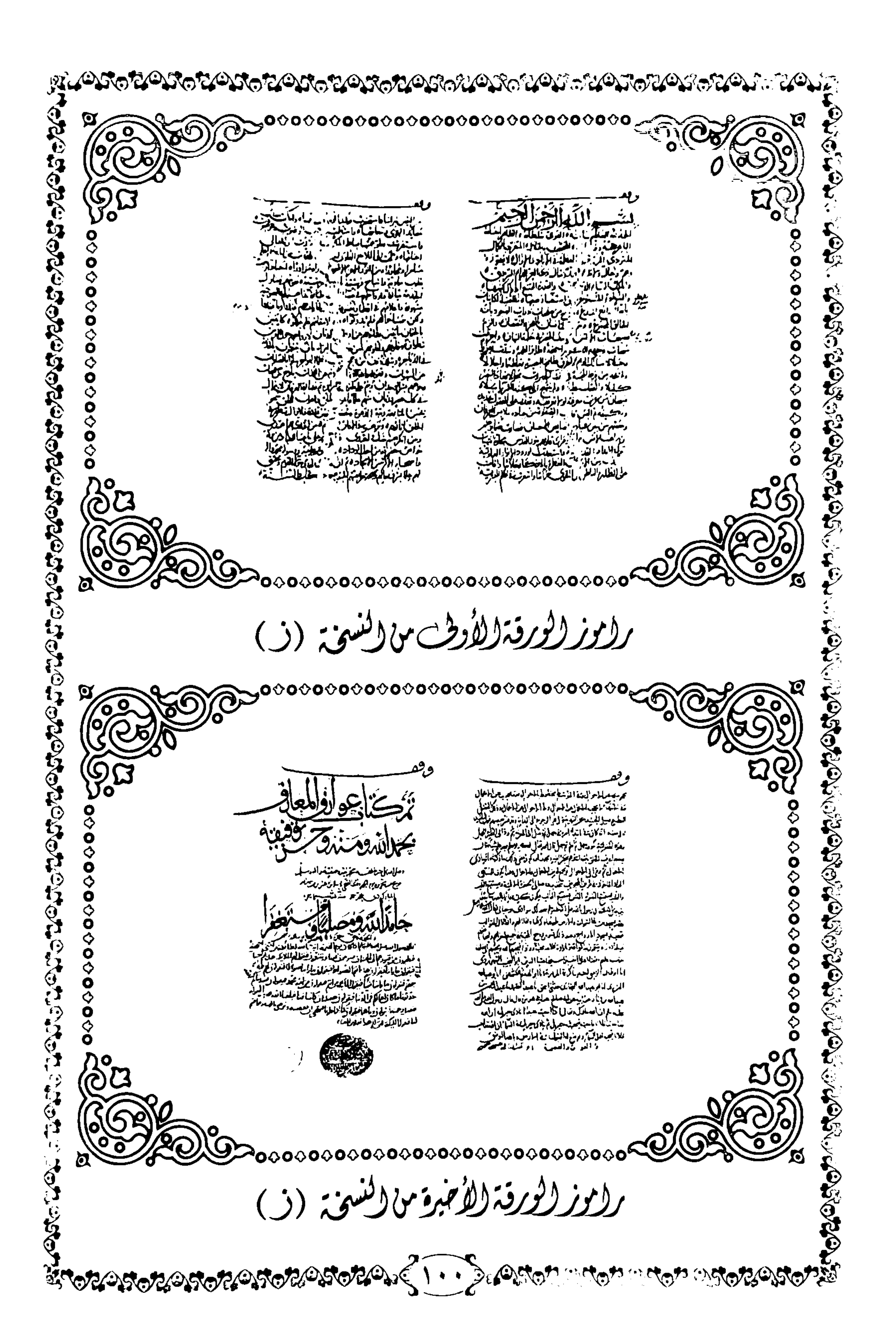
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)

راموز ورقة العنوان من النسخة (و)



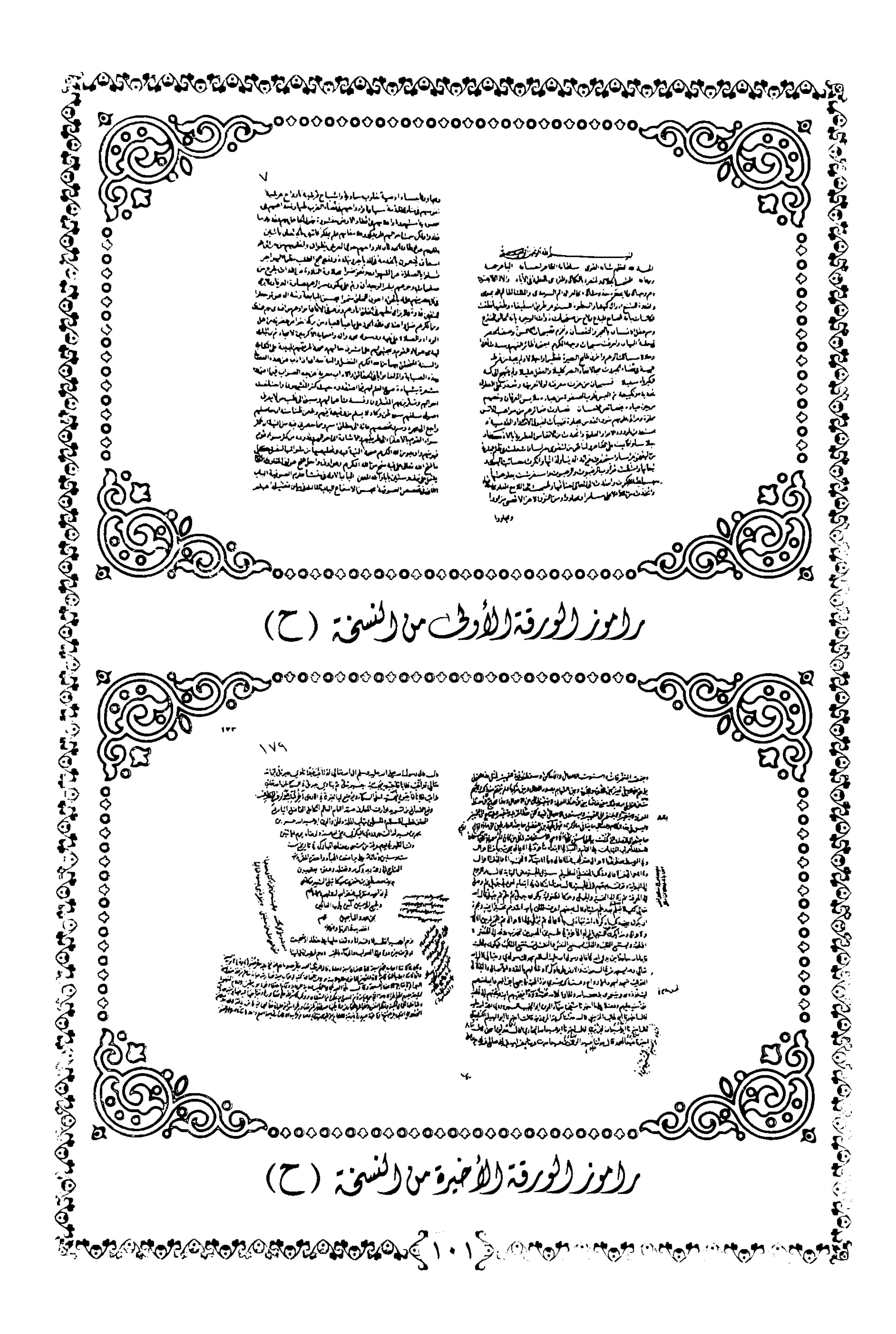
راموز الورقة الأولى من النسخة (و)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (و)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ز)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ز)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ح)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ح)



عقيدة السهروردي

المستلة من عقيدته النفيسة

«أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى»

[عقيدة السهروردي]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي (١)

تعالى اللهُ لا إلـهَ إلا هوَ ، لا ضدَّ لهُ ، ولا ندَّ لهُ ، ولا شَبَهَ لهُ ، ولا مِثْلَ لهُ ، ولا ولدَ لهُ ، ولا والدَ لهُ ، ولا وزيرَ لهُ ، ولا نظيرَ لهُ .

لا تُدرِكُ كُنْهَ عَظَمتِهِ الأوهامُ ، ولا تبلُغُ شَأْوَ كِبْريائِهِ الأفهامُ ، ولا يَعْترِي ذاتَهُ المُقدَّسَ التأثُّرُ والآلامُ ، والتغيُّرُ والأَسْقامُ ، والسِّنَةُ والمنامُ ، والافتراقُ والالتئامُ .

جَلَّ عمَّا يجولُ بهِ الوَسْواسُ ، وعَظُمَ عمَّا تتكيَّفُهُ الحواسُّ ، وكَبُرَ عمَّا يحكمُ بهِ القياسُ ، لا يُصوِّرُهُ خيالٌ ، ولا يُشاكِلُهُ مِثالٌ ، ولا يَنُوبُهُ زوالٌ ، ولا يَشُوبُهُ انتقالٌ ، ولا يلحقُهُ فِكْرٌ ، ولا يَحصُرُهُ ذِكْرٌ ، قَيُّومٌ أَزَليٌّ ، دَيْمُومٌ سَرْمَديٌّ ، لا تُحَدُّ أَزَلِيَّتُهُ بـ (متىٰ) ، ولا تُقيَّدُ أَبَدِيَّتُهُ بـ (حتَّىٰ) ، لا ينطلقُ عليهِ التعيينُ ، ولا يتطرَّقُ إليهِ التَّأْيينُ .

إنْ قلتَ : (أين) فقد سَبَقَ المكانَ ، وإنْ قلتَ : (متىٰ) فقد تَقَدَّمَ

---

(١) هـٰذه العقيدة مُستلَّةٌ من عقيدته النفيسة : « أعلام الهدىٰ وعقيدة أرباب التقىٰ » ، وهي عبارة عن الفصل الثاني منها ، الذي تناول الحديثَ عن شهادة (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) والتوحيدِ والتنزيهِ ونفي التشبيه ، وقد عدَّها الإمامُ العارف المُحقِّق عفيفُ الدِّين اليافعيُّ مِنْ مِلاح عقائد الأولياء العارفين ، واكتفىٰ في كتابه « روض الرياحين » (ص٥٧٦-٥٧٧) بإيراد هـٰذا الفصل منها ؛ نظراً لأهمِّيَّته ومدارِ علم التوحيد عليه .

الأزمانَ ، وإنْ قلتَ : (كيف) فقد جاوَزَ الأشباهَ والأمثالَ والأقرانَ ، وإنْ طلبتَ الدليلَ فقد غَلَبَ الخبرَ العِيانُ ، وإنْ رُمْتَ البيانَ فذرَّاتُ الكائناتِ بيانٌ وبُرْهانٌ .

أوَّلٌ آخِرٌ ، ظاهرٌ باطنٌ ، تفانتِ الأوائلُ والأواخرُ في أَزَليَّتِهِ وأَبَدِيَّتِهِ ، تَفَرَّدَ في الأَزَلِ بنَعْتِ العَظَمةِ والجلالِ قبلَ الكَوْنِ والمكانِ ، والدُّهُورِ والأَزْمانِ ، والحِينِ والأَوَانِ ، فالمكانُ جواهرُ وأجسامٌ خَلَقَها ، والدُّهُورُ أوقاتٌ وأزمانٌ قَدَّرَها ، كلُّ ذلكَ موسومٌ بالحَدَثِ .

عَرَفْنا المكانَ والزمانَ بتعريفِهِ إيَّانا ، وإنْ شاءَ كَوَّنَنا ولم نعرفْ زماناً ولا مكاناً ، وكوَّنَنا في المكانِ ، ولو شاءَ كَوَّنَنا ولا مكانَ ، فعِلْمُنا بأنَّنا لا نكونُ إلا في مكانٍ . . مِنْ قضايا عَقْلِنا ، وهـٰذهِ القضايا هيَّأَها لنا نعقلُ بها المعقولَ ونعلمُ بها المعلومَ ، ولو شاءَ هَيَّأَ لنا غيرَ هيئاتِنا .

فعَوَالِمُ قُدْرتِهِ غيرُ محصورةٍ ، وغرائبُ مَشيئتِهِ غيرُ منكورةٍ ، وما نحنُ فيهِ مِنَ العالَمِ بما نحنُ عليهِ مِنَ العقلِ والعِلْمِ . . عالَمٌ مِنْ عوالِمِهِ .

ولا تَستبعِدْ قولي : (لو شاءَ كوَّنَنا في غيرِ مكانٍ) ؛ فقد كَوَّنَ المكانَ لا في مَكَانٍ ؛ إذ لو كانَ في مكانٍ لَتَسَلْسَلَ .

فلا تَحصُرِ القُدْرةَ بعقلِكَ ؛ إذ العقلُ قُوَّتُهُ أنْ يَحصُرَ الحِكْمةَ ، فأمَّا القُدْرةُ فلا تَحصُرُها ، فحَدِّثْ عنِ البحرِ ولا حَرَجَ .

ومِنْ هـٰذا الأساسِ تَمَشَّتْ وتبيَّنتِ الأمورُ الأُخْرَوِيَّةُ ، وعَلِمَها مَنْ عَلِمَها ، وأنكرَها مَنْ عَجَزَ عقلُهُ عن إدراكِها .

فمَنْ يكونُ المكانُ والمُكوَّنُ فيهِ والزمانُ والمُقدَّرُ فيهِ عالَماً مِنْ عوالِمِهِ ،

ويسيراً مِنْ عَمِيمِ قُدْرتِهِ . . كيف يَحصُرُهُ الزمانُ والمكانُ ؟!

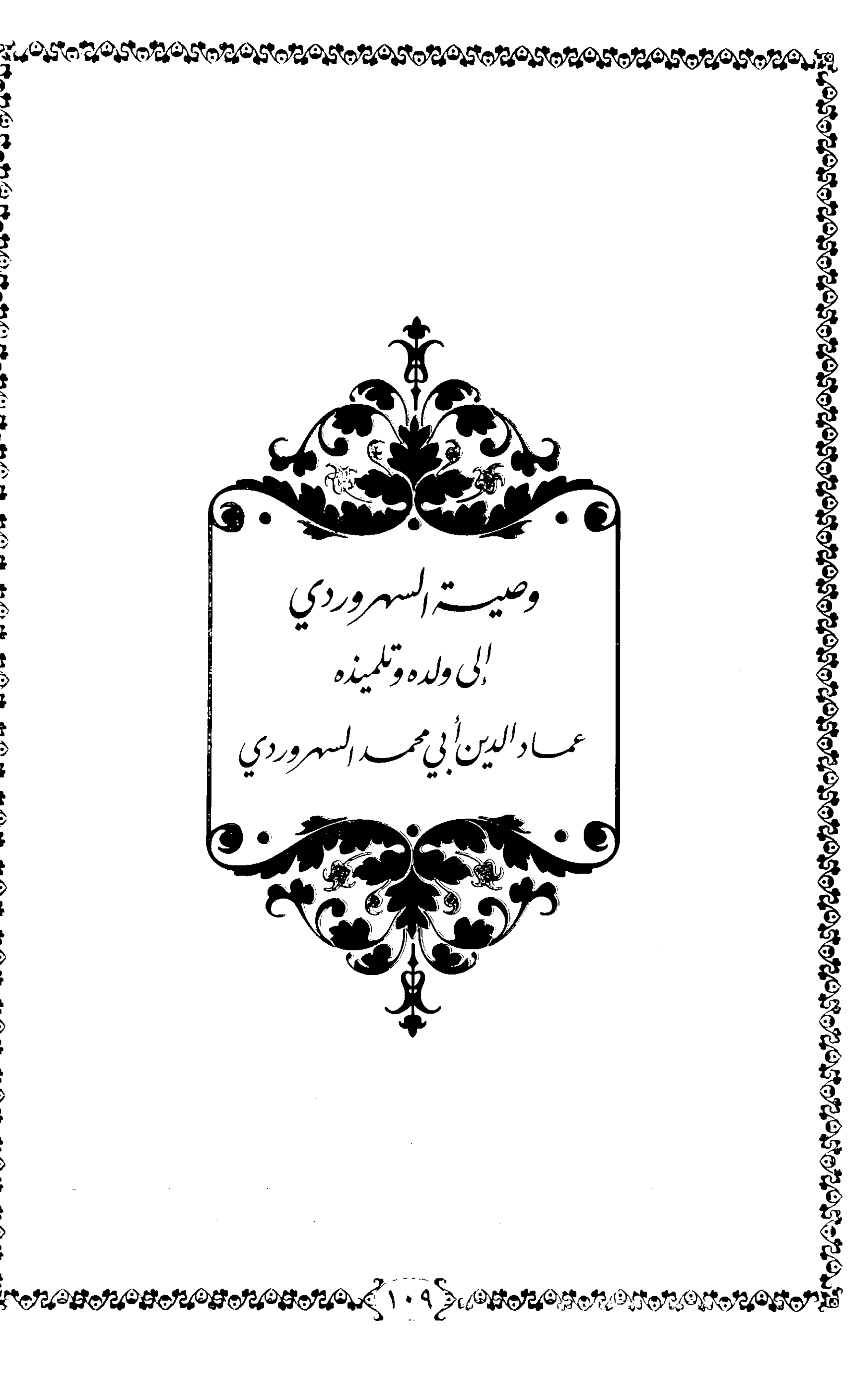
فما أُظْهِرَ في عالَمِ المُلْكِ والشهادةِ عالَمُ الحِكْمةِ ، والعقلُ الموهوبُ لنا مُوكَلٌ بهٰذا العالَمِ ، وهٰذا العالَمُ مِنَ العَرْشِ إلى الثَّرَىٰ . . عالَمٌ مِنْ عوالِمِهِ ، فصُوَرُ العالَمِ ، وكلُّ ما حواهُ ؛ مِنَ الأرضِ والسماءِ ، والماءِ والنارِ والهواءِ ، والعرشِ والكُرْسيِّ ، والجِنِّيِّ والإِنْسيِّ ، والأَفلاكِ والأَمْلاكِ ، والأَلْوانِ والأَكْوانِ ، والأَجْرامِ والاصْطِكاكِ ، والشمسِ والقمرِ والنجومِ ، إلىٰ أعماقِ أطباقِ التُّخُومِ ؛ بالنسبةِ إلى العَظَمةِ الإلٰهيَّةِ . . أقَلُّ وأَحْقرُ مِنْ خَرْدَلةٍ بالنسبةِ إلىٰ جميعِ العالَمِ .

ففَرِّغْ بالَكَ عندَ ذلكَ مِنْ قياسِكَ أنَّهُ سبحانَهُ داخلُ العالَمِ أو خارجُ العالَمِ ، فما أَحْقَرَكَ وأَحْقَرَ عِلْمَكَ !! فلو فتحتَ عينَ بصيرتِكَ . . استَحْيَيْتَ مِنْ قياسِكَ وفِكْرِكَ ، ووَهْمِكَ وخيالِكَ .

أيُّها المحدودُ المحصورُ ؛ لا ينتجُ فكرُكَ إلا محدوداً محصوراً ، وأيُّها المُحِيطُ بِهِ الجهاتُ ؛ لا يحكمُ علمُكَ إلا بالجهاتِ ؛ فالجهاتُ مِنْ جُمْلةِ العالَمِ ، وقد علمتَ نسبتَهُ إلىٰ عظمةِ اللهِ .

فتبارك الله رب العالمين

❁ ❁ ❁



وصية السهروردي
إلى ولده وتلميذه
عماد الدين أبي محمد السهروردي

[وصية السهروردي]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة(١)

يا بُنيَّ ؛ أُوصِيكَ بتقوى اللهِ تعالىٰ وخَشْيتِهِ في السرِّ والعلانيَةِ ، ولُزُومِ حُقُوقِ اللهِ تعالىٰ ، وحقِّ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وحقِّ والدَيكَ ، وحقِّ المشايخِ أجمعِينَ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يرضىٰ عنكَ ، واحْفَظِ اللهَ تعالىٰ في السِّرِّ والعلانيَةِ .

ولا تَدَعْ قراءةَ القرآنِ ظاهراً وباطناً ، وسِرّاً وعلانيَةً ؛ بالفهمِ والتدبُّرِ والتفكُّرِ ، والحُزْنِ والبكاءِ ، وارجعْ إلى القرآنِ في جميعِ الأحكامِ ؛ فإنَّ القرآنَ حُجَّةُ اللهِ تعالىٰ علىٰ خَلْقِهِ ، واحْفَظْ حقَّهُ .

ولا تَعدِلْ عنِ العِلْمِ خَطْوةً ، وتَعَلَّمِ الفقهَ ، ولا تَكُنْ مِنْ جُهَّالِ الصُّوفيَّةِ وعوامِّهِم ، وقُرَّاءِ الأسواقِ(٢) ؛ فإنَّهُم لُصُوصُ الدِّينِ ، وقُطَّاعُ الطريقِ على المسلمينَ .

---

(١) هـٰذه الوصيَّة من أنفس الوصايا لدىٰ سادتنا الصوفيَّة ، وهي مأخوذةٌ من مِشْكاة النبوَّة ، وتُلخِّص طريقَ القوم المُتجلِّيَ بمقام الإحسان الذي تميَّزوا ببيانه وشرحه وتفصيله ، وقد أوصىٰ بها إمامُنا السُّهْرُورديُّ ولدَهُ عماد الدين أبا محمَّد عبد الله السُّهْرُوردي ، قدَّس الله روحهما الطاهرة .

(٢) في (أ ، ب) : (واهجر أهل الأسواق) بدل (وقراء الأسواق) ، وفي (ج) : (وفِرَّ من الأسواق) ، والمثبت من نسخة مستأنس بها ، ويُؤيِّدُهُ : ما أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٥٨) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ أنَّهُ قال : (إيَّاكُم وجيرانَ الأغنياءِ ، وقُرَّاءَ الأسواق ، وعلماءَ الأمراء) .

وعليكَ بالسُّنَّةِ ، وكُنْ على اعتقادِ أهلِ التوحيدِ ، واجتنبِ المُحدَثاتِ ؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بِدْعةٌ ، وكلَّ بِدْعةٍ ضلالةٌ .

ولا تصحبِ الأحداثَ والنِّسْوانَ ، والمُبتدِعةَ والأغنياءَ وأهلَ الهوىٰ[1] ؛ فإنَّها تُذهِبُ دِينَكَ .

واقنَعْ مِنَ الدُّنيا باليسيرِ ، والْزَمِ الخَلْوةَ ، وابْكِ علىٰ خطيئتِكَ .

وكُلِ الحلالَ ؛ فإنَّهُ مِفْتاحُ الخيراتِ ، ولا تَمَسَّ الحرامَ ، فتَمَسَّكَ النارُ يومَ القيامةِ ، والْبَسِ الحلالَ تَجِدْ حلاوةَ الإيمانِ والعبادةِ ، وكُنْ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ علىٰ وَجَلٍ[2] ، ولا تنسَ مَوقِفَكَ بينَ يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وأَكْثِرْ مِنْ صلاةِ الليلِ وصيامِ النَّهارِ ، ولا تتخلَّفْ عنِ الجماعةِ غيرَ أنْ تكونَ إماماً ومُؤذِّناً .

ولا تَطلُبِ الرِّئاسةَ ؛ فإنَّ مَنْ أحبَّ الرِّئاسةَ لم يُفلِحْ أبداً ، ولا تُوقِعْ في القَبالةِ شهادةً[3] ، ولا تَحضُرْ مجالسَ القُضاةِ والسَّلاطينِ ، ولا تَدخُلْ في الوَصايا .

وفِرَّ مِنَ الناسِ كما تَفِرُّ مِنَ الأسدِ ، وعليكَ بالخَلْوةِ حتىٰ لا يذهبَ دِينُكَ .

---

(١) في (ج) : (والعوام) بدل (وأهل الهوىٰ) .

(٢) في (ب) : (وكن في الدنيا علىٰ وجل) .

(٣) القَبالة : الورقة التي يُكتَبُ فيها الحق والتوثُّق ، ورُوي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنَّهُ قال : (إيَّاكم والقَبالاتِ ؛ فإنَّها صَغارٌ وفضلُها رباً) ؛ وهو أن يتقبَّلَ بخراج أو جباية أكثرَ ممَّا أُعطي ، فذلك الفضل رباً . انظر « تحفة المحتاج » (٥/١٠٦) ، و« النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/١٠) .

وعليكَ بالسَّفرِ لتُذلِّلَ نفْسَكَ ؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قال : « صُومُوا تَصِحُّوا ، وَسَافِرُوا تَغْنَمُوا »[1] .

واحفَظْ قلوبَ المشايخِ ، ولا تغترَّ بقولِ مَنْ يمدحُكَ ، ولا تغتمَّ بقولِ مَنْ يَذمُّكَ ، ولْيَكُنِ المدحُ والذمُّ عندَكَ سواءً .

وحَسِّنْ خُلُقَكَ مَعَ الخَلْقِ أجمعَ ، والْزَمِ التواضعَ ؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ ٱللهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ ٱللهُ »[2] .

وعليكَ بالأدبِ في جميعِ الأحوالِ معَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ ، وارْحَمْ جميعَ الخلائقِ صغيرِهِم وكبيرِهِم ، ولا تَنظُرْ إليهِم إلا بعينِ الرحمةِ .

ولا تضحكْ ؛ فإنَّ الضَّحِكَ مِنَ الغفْلةِ ، وهوَ يُميتُ القلبَ ؛ فقد قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً »[3] ، ولا تأمنْ مِنْ مَكْرِ اللهِ ، ولا تَقنَطْ مِنْ رحمةِ اللهِ ، وعِشْ بينَ الخوفِ والرجاءِ .

يا بُنيَّ ؛ اتْرُكِ الدُّنيا ؛ فإنَّ في طَلَبِها ذهابَ دِينِكَ ، وعليكَ بالصومِ والصلاةِ ، وكُنْ معَ الفقرِ خفيفاً عَفِيفاً نَظِيفاً[4] ، مُتأدِّباً مُتواضِعاً مُتورِّعاً[5] ، عالماً مُتفقِّهاً ، بائناً عن جُهَّالِ الصُّوفيَّةِ وعوامِّهِم ، خادماً للمشايخِ بالمالِ

---

(1) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٣١٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) رواه ابن ماجه (٤١٧٦) ، وأحمد (٣/٧٦) ، وابن حبان (٥٦٧٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(3) رواه البخاري (٦٤٨٦) ، ومسلم (٢٣٥٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(4) في (ج) : (حنيفاً) بدل (خفيفاً) .

(5) في (أ) : (مُتديِّناً) بدل (مُتأدِّباً) .

والبدنِ والجاهِ ، واحْفَظْ قلوبَهُم وأوقاتَهُم وسِيرتَهُم ، ولا تُنكِرْ عليهِم شيئاً إلا ما خالفَ الجماعةَ ؛ فإنَّكَ إنْ أنكرتَ عليهِم لم تُفلِحْ أبداً .

ولا تَسْأَلْ عنِ الناسِ شيئاً أبداً ، ولا تَسْأَلِ الناسَ شيئاً ، ولا تُعارِضْهُم ، ولا تدَّخِرْ شيئاً لغدٍ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يأتي كلَّ يومٍ برزقٍ مقسومٍ[1] .

وكُنْ سَخِيَّ النَّفْسِ والقلبِ ، باذلاً ما رزقَكَ اللهُ تعالىٰ ، وإيَّاكَ والبُخْلَ والحسدَ والغِلَّ والغِشَّ ؛ فإنَّ البخيلَ والحَسُودَ في النارِ .

ولا تُظْهِرْ حالَكَ للخَلْقِ في جميعِ الأحوالِ[2] ، ولا تُزيِّنِ الظاهرَ ؛ فإنَّ تزيينَ الظاهرِ مِنْ خرابِ الباطنِ[3] ، وثِقْ بما وَعَدَ اللهُ تعالىٰ مِنْ أمرِ الرِّزْقِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ قد تكفَّلَ برِزْقِ كلِّ حيوانٍ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

وأْيَسْ مِنْ جميعِ الخلائقِ ، ولا تَأْنَسْ بهِم ، وقُلِ الحقَّ ولو كانَ مُرّاً ، ولا تَرْكَنْ إلىٰ المخلوقينَ ؛ فإنَّ الخالقَ يطردُكَ عن بابِهِ[4] ، وعليكَ بخاصَّةِ نَفْسِكَ ؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »[5] ، وكُنْ ناصحاً للخَلْقِ أجمعينَ .

وأَقْلِلْ مِنَ الطعامِ والشرابِ والنومِ والكلامِ ، ولا تأكلْ إلا عن فاقةٍ ،

---

(١) في (ب) : (يأتي برزق غد) ، ونحوه في (أ) .

(٢) في (ج) : (الأحكام) .

(٣) في (ب ، د) : (من خراب السر) ، وفي (أ) : (من خراب النفس) .

(٤) في (ج) : (المخلوق) بدل (الخالق) .

(٥) رواه الترمذي (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) ، وابن حبان (٢٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ولا تتكلَّمْ إلا عن ضرورةٍ ، ولا تَنَمْ إلا عن غَلَبَةِ النومِ .

والْزَمْ صلاةَ الليلِ وصومَ النهارِ ، ولا تُكثِرِ الجلوسَ في السَّماعِ ؛ فإنَّهُ يُنبِتُ النِّفاقَ ، ثمَّ يُميتُ القلبَ ، ولا تُنكِرْهُ ؛ فإنَّ لهُ أرباباً ، والسماعُ لا يَصلُحُ إلا لمَنْ قلبُهُ حيٌّ ، ونَفْسُهُ ميتةٌ ، فمَنْ كانَ علىٰ غيرِ هـٰذهِ الحالةِ . . فاشتغالُهُ بالصومِ والصلاةِ والأورادِ أَوْلىٰ .

وليَكُنْ قلبُكَ حزيناً ، وبدنُكَ عَليلاً ، وعيناكَ دامعةً ، وعَمَلُكَ خالصاً ، ودعاؤُكَ حَمْداً ، وثيابُكَ خُلْقاناً ، ورُفَقَاؤُكَ فقراءَ ، وبيتُكَ مسجداً ، ومالُكَ فِقْهاً ، وزِينَتُكَ زُهْداً ، ومُؤنِسُكَ ربّاً كريماً .

ولا تُوَاخِ أحداً حتىٰ يتبيَّنَ لكَ منهُ خمسُ خِصَالٍ : يختارُ الفقرَ على الغنىٰ ، ويختارُ العملَ على العلمِ ، ويختارُ الآخرةَ على الدُّنيا ، ويختارُ الذُّلَّ على العِزِّ ، ويكونُ بصيراً بعِلْمِ السِّرِّ والعلانيَةِ ، ويكونُ مُستعِدّاً للموتِ .

يا بُنيَّ ؛ لا تَغُرَّنَّكَ الدُّنيا بزُخْرُفِها ؛ فإنَّ الدُّنيا خَضِرةٌ نَضِرةٌ حُلْوةٌ ؛ مَنْ تعلَّقَ بها تعلَّقتْ بهِ ، ومَنْ رَفَضَها رفضتْهُ ؛ لأنَّهُ لا سبيلَ لإبقائِها ، وكُنْ في الليلِ والنهارِ مُستعِدّاً للارتحالِ ، مائلاً إلى الآخرةِ[1] .

يا بُنيَّ ؛ عليكَ بالخَلْوةِ ، وكُنْ وحيداً فَريداً مُنكسِرَ القلبِ مِنْ خوفِ اللهِ تعالىٰ حتىٰ تغرقَ في كراماتِ اللهِ تعالىٰ ، وكُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ ، وعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أصحابِ القبورِ ، واخرجْ منها كما دَخَلْتَها ؛ فإنَّكَ لا تدري ما اسمُكَ غداً يومَ القيامةِ .

---

(١) في (أ ، ب) : (وكن مستعداً للارتحال إلى الآخرة) بدل (وكن في الليل . . .) .

وفَّقَنا اللهُ تعالىٰ للعملِ بما فيهِ مِنَ الوصيَّةِ ، ويَعصِمُنا مِنْ خلافِهِ .
واللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ أعلمُ .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

❁ ❁ ❁

القصيدة الشريشية

المسمّاة بـ:

أنوار السرائر وسرائر الأنوار

للإمام العارف الصوفي

تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد البكري الشريشي

(٥٨١-٦٤١هـ)

حققها وعلّق عليها

بلال محمد حاتم السقا

دار التقوى

دمشق الشام

كلمة موجزة
عن « القصيدة الرائية »
ومؤلفها تاج الدين الشريشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمداً كثيراً يَجِلُّ عن العدِّ والحَصْر ، والصلاةُ والسلام علىٰ مَنِ ارتقىٰ مقاماتٍ كثيرةً دونها رُتْبةُ النَّسْر ، وعلىٰ آله وأصحابه الذين شَهِدُوا مَوْلاهم في السِّرِّ والجَهْر ، وعلىٰ أولياء الله وأصفيائه الذين غابوا عن كلِّ كَوْنٍ ومُكوَّن ولو كانوا بين المُثقَّفة السُّمْر .

وبعـد :

فإنَّ القصيدةَ النفيسةَ المُسمَّاةَ بـ : « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » . . مِنْ أجلِّ القصائد التي نُظِمتْ في تدريج السلوك ، إلىٰ حضرة مَلِك الملوك ؛ لكونها مع صِغَر جِرْمها . . غزيراً عِلْمُها ، مُضِيئاً نجمُها ، حُلْواً طعمُها ، بديعاً نظمُها ، ذاتَ عبارات رائقة ، وعُذُوبةٍ في لفظها ومعانٍ فائقة ، قد احتوتْ علىٰ جملةٍ من آداب الطريق ومُهِمَّاتِهِ ، وتدريجِ سلوكِهِ وذِكْرِ أحواله ومقاماتِهِ .

قال في « إثمد العينين في مناقب الأخوين » : (إنَّ هـٰذه القصيدةَ حُجَّةٌ عند أهل هـٰذه الطريقة ، ولم يَزَلِ المشايخُ رضي الله عنهم يَحضُّون

عليها ويُوصُون تلامذتَهُم بالعمل بها) .

ثمَّ نَقَلَ عن الشيخ أبي عبد الله محمَّد الهِزْمِيريِّ رضي الله عنه أنَّهُ كثيراً ما كان يُحرِّض عليها أصحابَهُ وجميعَ تلامذته ، وكان شديدَ العناية بها ، مُلتزِمَ الخيرِ للمُداوم عليها ، قال : (وكان هو يُدِيم الكلامَ عليها ، ويشرحُ بعضَ مقاماتها)(١) .

وقال الفاسيُّ في « شرحه لهـٰذه القصيدة » عند قوله : (وإنَّ اشتياقي . . .) البيتَ : (وهـٰذا شأنُهُ رضي الله عنه في هـٰذه القصيدة ؛ لا يكادُ يأتي بثلاثة أبياتٍ فأكثرَ علىٰ صفةٍ واحدة ، بل يُنوِّعُ الأسباب ، ويُخالف بين صفات التراكيب ، ويُبدِلُ الكلامَ فهو علىٰ أنواع ، فهي كروضةٍ مُتعدِّدة الأزاهير ، مُتنوِّعة النواوير ، تجذبُ داخلَها قهراً بجَوَلان جميعِها ، وهـٰذا المعنىٰ من المَقَال ، هو المُسمَّىٰ بالسِّحْر الحلال ، وأنَّىٰ يَفِي مِثْلي بوصف هـٰذا العجب العُجاب ؟!)(٢) .

وقال أيضاً عند قوله : (فلا تكُ إلا تالياً . . .) البيت : (إنَّ مِنْ جملة محاسن هـٰذه القصيدة : أنَّ مَنْ نظَرَها ببادئ الرأي هابها ، ومَنْ أَمْعنَ النَّظَرَ فيها أَلِفَها ، وبقَدْرِ مَضْغها تُستحلىٰ ، وهـٰذا شأنُ كلام الربَّانيِّين)(٣) .

وقال سيِّدي السِّجِلْمَاسيُّ في « الإبريز » في نهاية شرحه للأبيات المتعلِّقة

---

(١) انظر « شرح الفاسي على الرائية » (ص٣) ، و« الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز » (ص٢١٤) ، ووقع في « شرح الفاسي » : (الدميري) بدل (الهِزْميري) ، ولعلَّ الصواب ما أثبت من « الإبريز » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) شرح الفاسي (ص١٥١) .

(٣) شرح الفاسي (ص١٢٥) .

بالشيخ المربِّي وآدابِهِ وآداب المريد معه : (وهـٰذه القصيدةُ مِنْ أنفس ما يُسمَعُ ، وينبغي للمريد أن يحفظَ هـٰذه القصيدةَ ؛ فإنَّها قصيدةٌ مُنوَّرة ، فإن لم يُمكِنْهُ حفظُها كلِّها . . فليحفظِ الأبياتَ المُتعلِّقةَ بالشيخ المُربِّي)[1] .

وممَّا يَدُلُّ علىٰ عَظَمة هـٰذه القصيدةِ وأهمِّيتها . . أنَّها أتتْ بجوهر ومضمونِ كتابٍ أساس في علوم السلوك والتصوُّف ؛ وهو كتابنا هـٰذا « عوارف المعارف » ؛ فهي زُبْدةُ هـٰذا الكتاب وخُلاصتُهُ ، وفيها لُبُّهُ وعُصارتُهُ .

ومِنَ المَرائي والمُبشِّرات في قَبُول هـٰذه القصيدة الجليلة والعناية بها . . ما نقله الفاسيُّ أثناء شرح قول الناظم : (ففي التَّوب والزُّهدِ المقاماتُ كلُّها . . .) عن صاحب « إثمد العينين » ؛ وهو أنَّ أحدَ أكابر تلامذة الشيخ أبي عبد الله الهِزْميري ـ وهو الشيخ العارف أبو عثمانَ سعيدُ بنُ سليمان بن زاهد رضي الله عنه ـ قال : كنتُ ليلةً نائماً ، فرأيتُ كأنَّ الشيخَ ـ أعني : سيِّدي أبا عبد الله ـ في جامع الجزَّارين مِنْ مُرَّاكُشَ قاعداً علىٰ يسار الداخل من الباب الشرقي ، وعليه جماعةٌ من الناس جلوساً لأخذ العلم عنه ، فدخلتُ من الباب ، فلمَّا انتهيتُ إلى الحَلْقة وأنا أريدُ الجلوسَ معهم . . إذ رأيتُ جماعةً مُقبِلِينَ من جهة القِبْلة ولهم نورٌ ساطع وجمالٌ ظاهر ، فنظرتُ إليهم ، فإذا هم أربعةُ نَفَرٍ ؛ نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وإبراهيمُ صلواتُ الله عليه ، وموسىٰ صلواتُ الله عليه ، وعيسىٰ صلواتُ الله عليه وعليهم أجمعين .

فقام الشيخ رحمه الله وكلُّ مَنْ كان معه ، فلَقِيَهُم في نصف المسافة التي

---

(١) الإبريز (ص٢١٤) .

كانت بينهم ، فلَقِيَهُ صلَّى الله عليه وسلَّم بالبِشْر والسرورُ ظاهرٌ في وجهه ، فتعلَّقتُ به صلَّى الله عليه وسلَّم ، وجعلتُ أبكي وأتضرَّعُ وأُنادي : يا سيِّدي يا رسولَ الله ؛ عساك أنْ تُلقِّنَني شيئاً أنجو به مِنْ هـٰذه الدُّنيا ، وأتخلَّصُ به عند ربِّي ، فينظرُ إليَّ ويرجعُ إلىٰ إقباله على الشيخ مَرَّاتٍ ، ثمَّ التفتَ إليَّ وردَّ وجهَهُ للشيخ وقال له : أَلْقِ إليه يا فلانُ ، فقال له : يا رسولَ الله ؛ قد ألقيتُ إليهم ما عندي وبلَّغت حبَّهُم ، فردَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وجهَهُ إليَّ وإذا بهـٰذه القصيدة في يدي ، وكنتُ كثيراً ما أُلازِمُها ، فأخذها من يدي ، وجعل يتصفَّحُها إلىٰ أنْ وصل إلىٰ بيت من أبياتها ، فوضع عليه إصْبَعَهُ ، وناولني الكُرَّاسةَ ، وأَوْمأ إلى البيت وقال لي : عليك بهـٰذا ، والبيتُ قولُهُ رحمه الله تعالىٰ :

ففي التَّوبِ والزُّهدِ المقاماتُ كلُّها فرَوْضُهُما مِنْ طِيبِهِ عَبَقُ النَّشْرِ (١)

ثمَّ قال الفاسيُّ : (وأخبرني الأخ في الله ، والحبيبُ في ذاته ؛ الشيخ أبو عبد الله محمَّدُ بنُ علي النبجي الزروالي . . أنَّهُ وجد بخطِّ شيخِهِ الأوَّل الشيخ العارف أبي محمَّدٍ عبدِ الوارث بن عبد الله اليالصوتيِّ رضي الله عنه علىٰ حاشية هـٰذا البيت : رُوِي [أنَّ] الناظمَ رحمه الله لمَّا كَمَّلَ هـٰذه القصيدةَ رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم في المنام وقد وضع صلَّى الله عليه وسلَّم مُسبِّحتَهُ الكريمةَ علىٰ هـٰذا البيتِ وهو يقولُ له : لُبابُ قصيدتِكَ هـٰذا البيتُ)(٢) .

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح الفاسي (ص١١٩) .

(٢) شرح الفاسي (ص١١٩) .

وأمَّا الحائكُ لألفاظِ هـٰذه القصيدةِ الرفيعة ، والمُطرِّزُ لمعانيها البديعة . . فهو سيِّدي العارف المُربِّي الصُّوفي ، الأصولي النَّحْوي الشاعر الأديب ؛ تاج الدين أبو العبَّاس أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمد بن محمَّد بن خلفٍ القرشيُّ البكري الصِّدِّيقي السَّلَوي الشَّرِيشي المالكي .

وُلِد رضي الله عنه بـ (سَلَىٰ) بالمغرب سنة (٥٨١هـ) ، ونشأ بـ (مُرَّاكُشَ) ، واستوطن الفَيُّومَ من مصرَ ، وبها تُوفِّيَ في ربيع الأنور سنة (٦٤١هـ) ، وقيل : سنة (٦٤٠هـ) .

كان رضي الله عنه وافرَ الحظِّ من علم البيان نحواً وأدباً ، شاعراً مُحسِناً ، مُحقِّقاً لعلم الكلام ، بارعاً في أصول الفقه ، مُتقدِّماً في التصوُّف ، وإليه انقطع ، وعليه عوَّل ، وفيه صنَّف .

وأخذ بالمغرب : عن الإمام الأصوليِّ الزاهد أبي عبد الله محمَّدِ بن علي بن عبد الكريم الكتَّانيِّ (ت٥٩٥هـ) ، والإمامِ النَّحْويِّ أبي ذرٍّ مصعبِ بن محمَّد بن مسعود الخُشَنيِّ الأندلسي الجَيَّاني (ت ٦٠٤هـ) .

ثمَّ شرَّق وحجَّ ، فروىٰ ببغدادَ : عن الإمام قاضي القضاة عمادِ الدين أبي صالحٍ نصرِ بن عبد الرزَّاق بن القطب الكبير سيِّدي الشريف عبد القادر الجِيلانيِّ (ت ٦٣٣هـ) ، والإمامِ المُحدِّث المؤرِّخ أبي الحسن محمَّدِ بن أحمد ابن خَلَف القَطِيعيِّ (ت ٦٣٤هـ) .

وأخذ التصوُّفَ ذوقاً وإشراقاً : عن شيخ شيوخ وقته ، وقُدْوةِ أهل عصره ، الإمامِ الفقيه الصُّوفيِّ شهابِ الدين أبي حفصٍ عمرَ بن محمَّد بن

عبد الله السُّهْرُوَرْديِّ البَكْري الصِّدِّيقي (ت ٦٣٢هـ)[١] .

وأخذ علمَ الكلام : عن الإمام الأصوليِّ المُتكلِّم تقيِّ الدين أبي العِزِّ مُظفَّرِ بن عبد الله المعروف بـ (المُقترَح) .

وأصولَ الفقه : عن الإمام الأصوليِّ المُتكلِّم شمسِ الدين أبي الحسن عليِّ بن إسماعيل بن علي الأبياريِّ (ت ٦١٦هـ) .

ومن مؤلفاته غير « القصيدة الرائيَّة » : « أسرار أصول الدين » ، و« أسرار الرسالة » ، و« الأسرار » ، و« أسنى المواهب » ، و« صحبة المشايخ » ، و« عوارف الهدىٰ وهدى العوارف » ، وكتابٌ في السماع ، و« شرح المُفصَّل » في النحو ، و« شرح الجُزُوليَّة » في النحو أيضاً[٢] .

* * *

(١) وذكرت في (١/ ٤٥) أنه نَظَمَ لبَّ كتابه « عوارف المعارف » .

(٢) انظر ترجمة الشَّريشي : في « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٦٠٠) ، و« نجم المهتدي » (٢/ ٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٤٢٧ـ ٤٢٨) ، و« المقفى الكبير » (١/ ٤٣٢) ، و« بغية الوعاة » (١/ ٣٦٠ـ ٣٦١) ، و« شرح الفاسي على الشَّريشية » (ص٣ـ ٤) ، و« الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز » (ص٢١٤ـ ٢١٥) .

[القصيدة الشريشية]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قالَ الشيخُ الإمامُ المُحقِّقُ تاجُ الدِّينِ الشَّرِيشيُّ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ورضيَ عنهُ ونفعَنا به :

مُقدِّماتُ التوبةِ الأُولىٰ[1]

١ـ إِذَا مَا بَدَا مِنْ بَاطِنٍ حَالَةُ ٱلزَّجْرِ ... فَمَا هُوَ إِلَّا ٱلْبِرُّ مِنْ مِنَحِ ٱلْبَرِّ[2]

٢ـ وَمِنْ حُكْمِ حَالِ ٱلِٱنْتِبَاهِ إِذَا بَدَا ... شُهُودُكَ حَالَ ٱلنَّفْسِ فِي غَايَةِ ٱلْفَقْرِ

علامةُ الانتباهِ خمسٌ

٣ـ فَتَسْتَغْفِرُ ٱلرَّحْمَـٰنَ مِنْ كُلِّ زَلَّةٍ ... وَتَسْأَلُهُ عَفْواً يُرِي ٱلْبِشْرَ فِي ٱلنَّشْرِ[3]

٤ـ وَإِنْ ذُكِرَتْ دُنْيَا ٱعْتَبَرْتَ وَإِنْ جَرَىٰ ... لِأُخْرَاكَ ذِكْرٌ كُنْتَ مُنْشَرِحَ ٱلصَّدْرِ[4]

---

(١) جميع العناوين مُستلَّةٌ من المخطوطة الأزهرية ، مع تصرُّف يسير في بعضها ، ولعلَّها من وضع الناسخ ، والله تعالىٰ أعلم ، وأضفتُ بعض العناوين من عندي .

(٢) لم يبدأ الناظم بالبسملة والحمدلة خطّاً ، ولعلَّهُ فعل ذلك بلسانه أو في نَفْسه ، قال الفاسي في « شرحه » (ص٥) : (ولعلَّ الناظم رضي الله عنه لشِدَّة تعطُّشه إلىٰ ذكر ما بُيِّن من المسالك ، ومحبَّةِ سُرْعةِ [الائتمار] للأمر الوارد بذلك . . شَرَعَ في مقصوده من أوَّل وَهْلةٍ مُكتفياً بحمد الله في نفسه ؛ إذ ذاك كان بحُكْم وقته ؛ أي : لكونه مأخوذاً عن نفسه ، مُقتطَعاً عن دائرة حِسِّه ، ناطقاً لا بلسانه ، مُسطِّراً لا ببَنانه) .

(٣) أي : ومن حكم حال الانتباه أيضاً : استغفارُكَ الرحمـٰنَ من كلِّ زلَّة وخطيئة ، وسؤالُكَ منه عفواً يُرِيكَ السرورَ والفرح في الحياة الثانية يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ؛ بخلاصك من ألم العذاب ، وسقوطِ العقاب . « شرح الفاسي » (ص٨ـ ٩) .

(٤) في بعض النسخ : (اعتزلت) بدل (اعتبرت) ، والمعنىٰ عليهما واضح ، والمثبت أوفق لـ « العوارف » ، كما سيأتي في (٢/ ٤٦٢) .

٥ـ وَإِنْ ذُكِـرَ ٱلْجَبَّـارُ جَـلَّ جَـلَالُـهُ   نَشَرْتَ عَلَى ٱلْعَلْيَاءِ أَلْوِيَةَ ٱلْفَخْرِ[(١)]

حالُ اليَقظةِ

٦ـ وَمِنْ بَعْدِهِ ٱلْحَالُ ٱلَّذِي هُوَ يَقْظَةٌ   وُرُودٌ يَرُدُّ ٱلْكَسْرَ فِي غَايَةِ ٱلْجَبْرِ[(٢)]

٧ـ تُشَاهِـدُ أَنْحَـاءَ ٱلنُّحَاةِ فَتَنْتَحِي   عَلَىٰ ثِقَةٍ مَا لَيْسَ بِٱلْمَسْلَكِ ٱلْوَعْرِ[(٣)]

مَقامُ التوبةِ

٨ ـ فَيَبْدُو مَقَامُ ٱلتَّوْبِ وَهْوَ مُمَهَّدٌ   فَدُونَكَ فَٱقْرَعْ بَابَهُ قَرْعَ مُضْطَرِّ[(٤)]

٩ـ وَمِنْ بَعْدِهِ ٱلشَّيْخُ ٱلَّذِي هُوَ قُدْوَةٌ   يُلَقِّي مُرَادَ ٱلْحَقِّ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ[(٥)]

المُرادُ بالتوبةِ

١٠ـ فَقُمْ وَٱجْتَنِبْ مَا ذَمَّهُ ٱلشَّرْعُ وَٱجْتَلِبْ   لِمَا خَصَّهُ بِٱلْمَدْحِ فَهْوَ جَنَى ٱلدَّبْرِ[(٦)]

---

(١) ويُلخِّص هـٰذه الأبياتَ الثلاثةَ : قولُ سيِّدي العارف أبي يزيد البِسْطامي : (علامةُ الانتباه خمسٌ : إذا ذَكَرَ نفسه افتقر ، وإذا ذكر ذنبَهُ استغفر ، وإذا ذكر الدنيا اعتبر ، وإذا ذكر الآخرة استبشر ، وإذا ذكر المَوْلى افتخر) ، وسيأتي في (٢/ ٤٦٢) .

(٢) في النسخة الأزهرية : (يُريكَ الكسرَ عاريةَ الجبر) بدل (يَرُدُّ. . .) إلىٰ آخره ، وفي البيت روايات أخرىٰ ذكرها الفاسي ، والمعنىٰ على المثبت : وينزل بالعبد بعدَ حال الانتباه مِنْ رَقْدة الغفلة. . حالُ اليَقَظة ، وهو واردٌ من الحقِّ يهجم علىٰ قلبه ، فيَرُدُّ ما كان فيه مكسوراً بصدمة المخالفة في غاية الجبر والتلافي . انظر « شرح الفاسي » (ص١٠) .

(٣) أي : تشاهدُ وترىٰ بسبب هـٰذا الواردِ مقاصدَ القاصدين ـ أي : طُرُقَ المُتوجِّهين ـ فتقصدُ منها علىٰ بصيرة ومعرفة منك بما قصدته. . طريقاً ومسلكاً سهلاً للمرور فيه ، ليس فيه وُعُورةٌ ولا صعوبة . « شرح الفاسي » (ص١٠) .

(٤) أي : يظهر وينشأ مقامُ التوبة مُوطَّأً مُمهَّداً بعدَ المُقدِّمات السابقة ، فالزَمْ حِصْنَ هـٰذا المقام ، واقرَعْ بابَهُ قرعَ مُضطرٍّ صادقٍ في الولوج . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٠) .

(٥) قوله : (ومن بعده) : أي : ومن بعد مقام التوبة ، وفي بعض النسخ : (يُلقِي) من الإلقاء بدل (يُلقِّي)، وفي بعضها : (يُلاقي). انظر « شرح الفاسي » (ص ١١ـ ١٢).

(٦) في نسخة الشرح : (العلم. . . الدُّر) بدل (الشرع. . . الدَّبْر) ، والمُراد بالشرع : =

بدايةُ المُريدِ

١١ـ وَإِنْ تَسْمُ نَحْوَ ٱلْفَقْرِ نَفْسُكَ فَاطَّرِحْ هَـوَاهَـا وَجَـانِبْـهُ مُجَـانَبَـةَ ٱلشَّـرِّ

١٢ـ وَضَعْهَا بِحِجْرِ ٱلشَّيْخِ طِفْلاً فَمَا لَهَا خُرُوجٌ بِلَا فَطْمٍ عَنِ ٱلْحِجْرِ وَٱلْحَجْرِ(١)

١٣ـ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَلْبَ ٱلْإِرَادَةِ وَصْفُهُ فَلَا يَطْمَعَنْ فِي شَمِّ رَائِحَةِ ٱلْفَقْرِ(٢)

١٤ـ وَهَـٰذَا وَإِنْ كَانَ ٱلْعَزِيزَ وُجُودُهُ وَلَـٰكِنَّهُ فِي ٱلْحَزْمِ خَالٍ مِنَ ٱلْعُسْرِ(٣)

علامةُ الشيخِ

١٥ـ وَلِلشَّيْخِ آيَاتٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ فَمَا هُوَ إِلَّا فِي لَيَالِي ٱلْهَوَىٰ يَسْرِي

١٦ـ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ فَٱضْرِبْ بِهِ لُجَجَ ٱلْبَحْرِ(٤)

= الشارع ، وهو الله سبحانه وتعالىٰ حقيقةً ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم نائبٌ عنه ومُبلِّغ ، ويُطلَقُ ويُرادُ به : القواعد الدِّينيَّة والأحكام السمعيَّة ، ويجوز إرادته هنا أيضاً ، والدَّبْر : جماعة النحل والزنابير ، والمُراد به هنا : النحل ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٥ـ١٦) .

(١) الحجر الأوَّل : هو الحِجْر المعروف الذي هو مُقدَّم القميص ، والحجر الثاني : معناه المنع ؛ فالأوَّلُ : كنايةٌ عن نَظَر الشيخ وتصرُّفه ، والثاني : كناية عن منعه للمريد ما لا يليق به . « الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز » (ص٢٠١ـ ٢٠٢) .

(٢) قوله : (سلبَ الإرادة) ؛ أي : مسلوبَ الاختيار والتصرُّف مع الشيخ المُربِّي ، وهـٰذا السَّلْبُ لا يَجْري في الواجبات ولا في الضروريَّات ؛ لأنَّ الشيخَ معزولٌ عن النَّظَر فيها ، والمريدَ ممنوعٌ من الاختيار فيها ؛ للزومها له علىٰ كل حال ، فاستئذانُهُ جهل واشتراطه ضلال . انظر « شرح الفاسي » (ص٢١ـ ٢٢) .

(٣) قوله : (وهـٰذا) ؛ أي : الاتصافُ بسلب الإرادة .

(٤) أي : فانبِذْهُ وأَخرِجْهُ من دائرة سفينة المشيخة ، وأَلْقِهِ في لُجَجِ بحر النِّفاق ؛ بإيهامه وإظهارِهِ خلافَ ما هو به . « شرح الفاسي » (ص٢٣) .

١٧ـ وَإِنْ كَـانَ إِلَّا أَنَّـهُ غَيْـرُ جَـامِـعٍ　　لِوَصْفَيْهِمَا جَمْعاً عَلَىٰ أَكْمَلِ ٱلْأَمْرِ[١]

١٨ـ فَأَقْرَبُ أَحْوَالِ ٱلْعَلِيلِ إِلَى ٱلرَّدَىٰ　　إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا ٱلطَّبِيبُ عَلَىٰ خُبْرِ[٢]

١٩ـ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ٱلْوُجُودُ أَقَامَهُ　　وَأَظْهَـرَهُ مَنْشُـورُ أَلْـوِيَـةِ ٱلنَّصْـرِ[٣]

٢٠ـ فَـأَقْبَـلَ أَرْبَـابُ ٱلْإِرَادَةِ نَحْـوَهُ　　بِصِدْقٍ يُخَلِّي ٱلْهَشَّ فِي جَلَدِ ٱلصَّخْرِ[٤]

٢١ـ وَآيَتُـهُ أَلَّا يَمِيـلَ إِلَـىٰ هَـوىً　　فَدُنْيَاهُ فِي طَيٍّ وَأُخْرَاهُ فِي نَشْرِ[٥]

٢٢ـ وَإِنْ كَانَ ذَا جَمْعٍ لِأَكْلِ طَعَامِهِ　　مُرِيدُ فَلَا تَصْحَبْهُ يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ[٦]

---

(١) قوله : (وإن كان) ؛ أي : وُجد ، وفاعلُ (كان) : إمَّا الشيخ ، أو عِلْمُ الظاهر والباطن . انظر « شرح الفاسي » (ص٢٧) ، و« الإبريز » (ص١٩٩) .

(٢) العليل : المريض ، وفي بعض النسخ : (منه) بدل (منها) ؛ أي : من العليل ، وعلى التأنيث يرجع إلىٰ (أحوال العليل) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ٢٧) .

(٣) المراد بالوجود هنا : الناس ، وقولُهُ : (منشور ألوية النصر) فاعل (أظهره) إن قُرِئ بالرفع ، وإن قُرِئ بالنصب كان حالاً ، وفاعل (أظهره) ضمير يعود على (الوجود) . « شرح الفاسي » (ص٢٨) .

(٤) قوله : (فأقبلَ) معطوف علىٰ (أظهره) ، وجواب الشرط في البيت السابق محذوف ؛ أي : فهو كذلك ؛ أي : غير مقبول كالذي قبله ، وقوله : (يُخلِّي الهشَّ . . .) إلىٰ آخره ؛ أي : يترك الأثر في الصخر الشديد الصلابة ، وفي النسخ التي شرح عليها السِّجِلْماسي في « الإبريز » : (جَلْمَد) بدل (جَلَد) ، وفي نسخة أشار إليها الفاسي : (جامد) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص٢٨) ، و« الإبريز » (ص١٩٩) .

(٥) أي : تكون دنياه عنده في استتار ، وآخرتُهُ في انتشار ؛ فقوله : (فدنياه في طي) كنايةٌ عن الزهد فيها والإعراضِ عنها ، كما أنَّ قوله : (وأخراه في نشر) كنايةٌ عن الرغبة والإقبالِ عليها . « الإبريز » (ص١٩٩) .

(٦) في بعض النسخ : (لبيت طعامه) بدل (لأكل طعامه) ؛ أي : يجمع الناس عنده لأكل الطعام ولا أثَرَ له فيهم بتربية وسلوك وتزكية ، وقوله : (مريد) ؛ أي : يا مريد ، وفي بعض النسخ : (مريداً) علىٰ أنه لم يقصد مريداً مُعيَّناً ، وفي النسخ اختلاف ذكره الفاسي في « شرحه » (ص٣٣ـ ٣٤) .

٢٣ـ وَأَمَّا بَيَانُ ٱلشَّيْخِ عَيَّنَهُ لَنَا   وَتَعْيِينُهُ يُغْنِي عَنِ ٱلْبَحْثِ وَٱلسَّيْرِ (١)

مَنْ يُسأَلُ عنِ الشيخِ ويَدُلُّ عليهِ

٢٤ـ وَلَا تَسْأَلَنْ عَنْهُ سِوَىٰ ذِي بَصِيرَةٍ   خَلِيٍّ مِنَ ٱلْأَهْوَاءِ لَيْسَ بِمُغْتَرِّ

٢٥ـ فَمَنْ صَدِئَتْ مِرْآةُ نَاظِرِ فَهْمِهِ   أَرَتْهُ بِوَجْهِ ٱلشَّمْسِ مِنْ كَلَفِ ٱلْبَدْرِ (٢)

٢٦ـ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي ٱلْعَرُوضَ فَرُبَّمَا   يَرَى ٱلْقَبْضَ فِي ٱلتَّطْوِيلِ مِنْ أَظْهَرِ ٱلْكَسْرِ (٣)

حالُ المُرِيدِ معَ الشيخِ

٢٧ـ وَلَا تُقْدِمَنْ قَبْلَ ٱعْتِقَادِكَ أَنَّهُ   مُرَبٍّ وَلَا أَوْلَىٰ بِهَا مِنْهُ فِي ٱلْعَصْرِ

٢٨ـ فَإِنَّ رَقِيبَ ٱلْإِلْتِفَاتِ لِغَيْرِهِ   يَقُولُ لِمَحْبُوبِ ٱلسِّرَايَةِ لَا تَسْرِ

٢٩ـ وَلَا تَعْتَرِضْ يَوْماً عَلَيْهِ فَإِنَّهُ   كَفِيلٌ بِتَشْتِيتِ ٱلْمُرِيدِ عَلَىٰ هَجْرِ

٣٠ـ وَمَنْ يَعْتَرِضْ وَٱلْعِلْمُ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ   يَرَ ٱلنَّقْصَ فِي عَيْنِ ٱلْكَمَالِ وَلَا يَدْرِ

٣١ـ وَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ شَيْخَهُ فِي ٱعْتِقَادِهِ   يَظَلَّ مِنَ ٱلْإِنْكَارِ فِي لَهَبِ ٱلْجَمْرِ

٣٢ـ فَذُو ٱلْعَقْلِ لَا يَرْضَىٰ سِوَاهُ وَإِنْ نَأَىٰ   عَنِ ٱلْحَقِّ نَأْيَ ٱللَّيْلِ عَنْ وَاضِحِ ٱلْفَجْرِ (٤)

---

(١) فاعل (عيَّنه) يعود إلىٰ ما ذُكر في الأبيات قبله . « شرح الفاسي » (ص٣٥) .

(٢) أي : فمن صَدِئتْ عينُهُ يرى السوادَ في وسط القمر علىٰ وجه الشمس التي لا سواد فيها أصلاً ؛ لانعكاس الحقائق في حقِّهِ ، ومُرادُهُ : أنَّ مَنْ لم يكن ذا بصيرة فإنَّهُ يرى العيبَ في الشيخ الكاملِ فيُنفِّرُ عنه ، ويرى الكمالَ في السالك فيدلُّ عليه . « الإبريز » (ص٢٠٠) .

(٣) أي : ومن لم يكن يعرف علمَ ميزان الشعر . . فإنَّهُ ربَّما يظنُّ أنَّ القبضَ في (مفاعيلن) ـ وهو حذف الخامس الساكن منها ـ من أقبح العيوب ، وقوله : (في التطويل) ؛ أي : في البحر الطويل .

(٤) **قوله** : (**سواه**) ؛ أي : سوىٰ شيخه ، أو سوىٰ ما صدر منه ، **والمعنىٰ على الأوَّل** : فذو العقلِ الكاملِ السليم من آفات غلبة الهوىٰ وحكمِ الطبع السقيم . . لا يرضىٰ سوىٰ =

٣٣ـ وَلَا تَعْرِفَنْ فِي حَضْرَةِ ٱلشَّيْخِ غَيْرَهُ ... وَلَا تَمْلَأَنْ عَيْناً مِنَ ٱلنَّظَرِ ٱلشَّزْرِ (١)

٣٤ـ وَلَا تَنْطِقَنْ يَوْماً لَدَيْهِ فَإِنْ دَعَا ... إِلَيْهِ فَلَا تَعْدِلْ عَنِ ٱلْكَلِمِ ٱلنَّزْرِ (٢)

٣٥ـ وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ ... وَلَا تَجْهَرُوا جَهْرَ ٱلَّذِي هُوَ فِي قَفْرِ (٣)

٣٦ـ وَلَا تَرْفَعَنْ بِٱلضَّحْكِ صَوْتَكَ عِنْدَهُ ... فَلَا قُبْحَ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ فَٱسْتَقْرِ (٤)

٣٧ـ وَلَا تَقْعُـدَنْ قُـدَّامَـهُ مُتَـرَبِّعـاً ... وَلَا بَادِياً رِجْلاً فَبَادِرْ إِلَى ٱلسَّتْرِ

٣٨ـ وَلَا بَاسِطاً سَجَّادَةً بِحُضُورِهِ ... فَلَا قَصْدَ إِلَّا ٱلسَّعْيُ لِلْخَادِمِ ٱلْبَرِّ

٣٩ـ وَسَجَّادَةُ ٱلصُّوفِيِّ بَيْتُ سُكُونِهِ ... وَلَا وَكْرَ إِلَّا أَنْ يَطِيرَ عَنِ ٱلْوَكْرِ (٥)

= شيخِهِ صاحباً ، ولا تميلُ نفسُهُ لغيره ؛ لِمَا شاهد منه بِسرِّهِ ، وإن بَعُدَ شيخُهُ عن الحقِّ في بادئ الرأي بُعْدَ الليل عن الفجر الواضح البيِّن ، والمعنىٰ على الثاني : فذو العقل لا يرضىٰ سوىٰ ما صدر من شيخه بالتسليم وحُسْنِ الظنِّ وجميلِ الاعتقاد ، وإن بَعُدَ ما صدر عن الشيخ في الظاهر بُعْدَ الليل عن الفجر الواضح البيِّن ؛ لكونه لا يقفُ مع ظواهر الأشياء ، بل يتعدَّاها وينظرُ إلىٰ بواطنها ، ويستخرجُ الحقَّ والحقيقة من ذلك . « شرح الفاسي » (ص٤٦) بتصرف .

(١) قوله : (النَّظَر الشَّزْر) يُقال : شَزَرَهُ : نَظَرَ منه في أحد شِقَّيه ، أو نَظَرَ الغضبان بمُؤْخِرِ العين ، أو هو نَظَرٌ فيه إغضاءٌ ، أو النَّظَر عن يمين وشمال ، وكلُّها مُرادةٌ هنا إلا الأخير ؛ فإنَّهُ داخلٌ في قوله : (ولا تعرفن . . .) ؛ لأنَّهُ حثٌّ على الإقبال على الشيخ بالقلب والقالَب . « شرح الفاسي » (ص٤٧) بتصرف .

(٢) النَّزْر : القليل .

(٣) القَفْر : المفازة لا ماء بها ولا نبات .

(٤) أي : تتبَّعْ أنواع القبائح وصُوَرَها ؛ فإنَّكَ تجدُها دون هـٰذه القبيحة ؛ وهي الضَّحِكُ أمامَ الشيخ وفي حضرته .

(٥) أي : محلُّ سجَّادة الصُّوفيِّ بيتُ سُكْناه ، لا مجلسُ شيخِهِ ، بل ينبغي له في مجلس شيخه التواضعُ والتصاغرُ والاشتغالُ بالخدمة ، وقولُهُ : (ولا وَكْر . . .) الوَكْر : عُشُّ الطائر الذي يأوي إليه ، وأطلقه هنا علىٰ مجلس الشيخ الذي يأوي إليه المريدون . « الإبريز » (ص٢٠٧) . =

٤٠ـ وَمَا دُمْتَ لَمْ تُفْطَمْ فَلَا فَرَجِيَّةٌ	عَلَيْكَ وَلَا تُلْفَ عَلَيْهَا بِمُسْتَجْرِي[١]
٤١ـ وَلَا تُرَيَنْ فِي ٱلْأَرْضِ دُونَكَ مُؤْمِناً	وَلَا كَافِراً حَتَّىٰ تُغَيَّبَ فِي ٱلْقَبْرِ
٤٢ـ فَإِنَّ خِتَامَ ٱلْأَمْرِ عَنْكَ مُغَيَّبٌ	وَمَنْ لَيْسَ ذَا خُسْرٍ يَخَافُ مِنَ ٱلْمَكْرِ
٤٣ـ وَلَا تَنْظُرَنْ يَوْماً إِلَى ٱلْخَلْقِ إِنَّهُ	يُخَلِّي طَلِيقَ ٱلصَّفْوِ فِي كَدَرِ ٱلْأَسْرِ[٢]
٤٤ـ وَإِنْ نَظَمَ ٱلْحَقُّ ٱلْكَرَامَاتِ أَسْطُراً	فَلَا تُبْدِيَنْ حَرْفاً لِغَيْرِكَ مِنْ سَطْرِ
٤٥ـ سِوَى ٱلشَّيْخِ لَا تَكْتُمْهُ سِرّاً فَإِنَّهُ	بِسَاحَةِ كَشْفِ ٱلسِّرِّ يَجْرِي عَلَىٰ بَحْرِ
٤٦ـ وَفِي ٱلْكَشْفِ إِنْ كُوشِفْتَ رَاجِعْهُ إِنَّهُ	لِإِيضَاحِ سِرِّ ٱلْكَشْفِ مُبْتَسِمُ ٱلثَّغْرِ
٤٧ـ وَلَا تَنْفَرِدْ عَنْهُ بِوَاقِعَةٍ جَرَتْ	فَفِي عَشاً عَيْنَاكَ وَٱلسَّمْعُ فِي وَقْرِ[٣]
٤٨ـ وَفِرَّ إِلَيْهِ فِي ٱلْمُهِمَّاتِ كُلِّهَا	فَإِنَّكَ تَلْقَى ٱلنَّصْرَ فِي ذَٰلِكَ ٱلْفَرِّ
٤٩ـ وَلَا تَكُ مِمَّنْ يَحْسُنُ ٱلْفِعْلُ عِنْدَهُ	فَيَفْسُدَ إِلَّا أَنْ تَفِرَّ إِلَى ٱلْكَرِّ[٤]

= والمعنىٰ : أنَّهُ لا ينبغي للمريد أن يجلس مكانَ الشيخ ويصرفَ الوجوه إليه ، إلا إذا كَمَلَ أمرُهُ ووصله الفِطَام ، وطار عن شيخه واستقلَّ بنفسه ؛ كالفرخ الذي كَمَلَتْ تربيتُهُ وقَدَرَ على الطيران ؛ فإنَّهُ يستقلُّ بأمره ولا يحتاج إلىٰ مَنْ يُربِّيه ويُغذِّيه .

(١) الفَرَجيَّة : ثوبٌ واسع طويل الأكمام يتزيَّا به المشايخ ، وهـٰذا الحُكْمُ جارٍ في كلِّ زِيٍّ للشيوخ ؛ لأنَّ العِلَّة واحدة ، وهو يختلف باختلاف الأعراف ، والمُستجرِي : هو الذي له جرأة على الشيء . « الإبريز » (ص٢٠٨) بتصرف .

(٢) أي : لا تنظرَنْ لحظةً من اللَّحَظَات ووقتاً من الأوقات إلى الخَلْق فتُراعِيَهُم في أحوالك وأفعالك وأقوالك وشؤونك كلِّها من عبادات وعادات ؛ فإنَّ هـٰذا النظرَ يُخلِّي الطليقَ الصافيَ من العِلَل والآفات في كَدَرِ أسرِهما ؛ لأنَّكَ حيثُ نظرتَ إلى الخَلْق يدخل عليك الرياء والتصنُّع . « الإبريز » (ص٢١٠) بتصرف .

(٣) العَشَا : ضعف البصر ، والوَقْر : ثِقَلٌ في الأذن ، وقيل : ذهاب السمع كلِّهِ . « شرح الفاسي » (ص٦٦) ، والشطر الثاني غير موزون ، إلا إذا استبدلنا (عشاً) بـ(عَشْوَةٍ) ، والله تعالىٰ أعلم .

(٤) الكَر : الرجوعُ ضد الفَرِّ ؛ أي : لـٰكن إذا فررتَ من ذلك العُجْبِ والاستحسان إلى =

٥٠ـ وَمَنْ حَلَّ مِنْ صِدْقِ ٱلإِنَابَةِ مَنْزِلاً   يَرَ ٱلْعَيْبَ فِي أَفْعَالِهِ وَهْوَ مُسْتَبْرِي[(١)]

مَقَامُ المُجاهَدةِ

٥١ـ وَإِنَّ مَقَامَ ٱلتَّوْبِ فِيهِ لَحِفْظُهُ   مُجَاهَدَةً لَا تُنْتَحىٰ بِسِوَى ٱلصَّبْرِ[(٢)]

٥٢ـ فَصَبْرٌ عَلَى ٱلْمَفْرُوضِ وَقْتَ أَدَائِهِ   وَصَبْرٌ مَعَ ٱلْأَزْمَانِ عَنْ مَوْرِدِ ٱلْحَظْرِ[(٣)]

٥٣ـ وَصَبْرٌ عَلَى ٱلْمَنْدُوبِ فِي كُلِّ حَالَةٍ   وَصَبْرٌ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ مِنْ غَيْرِ مَا قَهْرِ

مَقَامُ المُحاسَبةِ

٥٤ـ وَفِيهِ بِذَاكَ ٱلْحِفْظِ حِفْظُ مَقَامِهِ   مُحَاسَبَةً لَا وِزْرَ تُبْقِي مَعَ ٱلْأَجْرِ[(٤)]

= الرجوع إلىٰ ربِّكَ . . فإنَّ فعلَكَ لا يفسد ؛ لأنك إذا رجعت إلى الله تعالىٰ تجدُهُ هو المُتصرِّفَ فيك والمُجرِيَ ذلك عليك ، وترىٰ نفسك فيما صدر منك كمَنْ يفتخرُ بفعل غيره ، فيتبدَّل العُجب بالحياء من الله ، والخوفِ من مَقْته ، والشكرِ له علىٰ جزيل نعمته . انظر « الإبريز » (ص٢١٣) ، و« شرح الفاسي » (ص٦٩ـ ٧٠) .

(١) أي : ومَنْ حلَّ ونزل من صدق الإنابة إلى الله تعالىٰ والرجوع إليه الرجوعَ الكُلِّيَّ منزلاً . . ير العيبَ في أفعاله التي تقرَّب إلىٰ مولاه بها وهو مُستبرِئٌ ؛ أي : وهو بريءٌ ، وإنَّما كان بريئاً من ذلك العيب الذي رآه ؛ لكونه قد أتىٰ به علىٰ ما ينبغي شريعةً وحقيقةً في ظاهره وفي باطنه ، لٰكنَّهُ يتَّهم نفسه ، ولا يأمنُ أن يكون قد خَفِيَ عليه شيءٌ من دسائسها . « الإبريز » (ص٢١٤) .

(٢) قوله : (**لَحِفْظُهُ مُجاهدةً**) ؛ أي : حفظُهُ كائن بمجاهدة فيه ؛ فـ (مجاهدة) منصوب علىٰ إسقاط الخافض ، وهو خبر المبتدأ ، والجملة خبر (إنَّ) . « شرح الفاسي » (ص٧٢) ويجوز صناعةً أن يُضبط : (لِحِفْظِهِ مجاهدةٌ) ؛ أي : فيه مجاهدةٌ لأجل حفظه ، **وقوله** : (**لا تُنتحىٰ**) ؛ أي : لا تُقصد ولا تُطلب .

(٣) أي : عن وُرُود الموضع المحظور والممنوع منه ؛ أي : أن يصبرَ مُدَّةَ حياته عما نُهي عنه .

(٤) أي : ويحتاجُ في مقام التوبة مع الحفظ المُتقدِّم بالمجاهدة إلىٰ حفظٍ ثانٍ يكونُ بمحاسبةٍ من صفتها أنَّها لا تُبقي وِزْراً بين عَيْنَيْ قلبِ صاحبها . « شرح الفاسي » (ص٧٥) .

٥٥ـ بِحِفْظِكَ لِلْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَوَصْفِ ٱلْحَوَاسِّ ٱلْخَمْسِ بِٱلضَّبْطِ وَٱلْحَصْرِ (١)

٥٦ـ وَأَنْ تَكُ لِلْأَوْقَاتِ رَاعٍ وَمُؤْثِراً ... لِكُلِّ مُهِمٍّ فِي ٱلسَّمَاحَةِ وَٱلْقَهْرِ (٢)

٥٧ـ وَفِي ٱلتَّوْبِ حَالُ ٱلْخَوْفِ وَٱلصَّبْرِ وَٱلرِّضَا ... فَـأَكْـرِمْ بِـهِ لِلْحَـقِّ مِـنْ تَـائِـبٍ بَـرِّ

٥٨ـ وَفِيهِ مَقَامُ ٱلْخَوْفِ وَٱلصَّبْرِ وَٱلرِّضَا ... كَذَاكَ ٱلرَّجَاءُ ٱلْمَدُّ أَوْلَىٰ مِنَ ٱلْقَصْرِ (٣)

مَقَامُ المُراقَبةِ

٥٩ـ وَيَلْـزَمُ عَنْـهُ أَنْ يُـرَاعِـيَ سِـرَّهُ ... فَلَا خَاطِرٌ مُزْرٍ عَلَيْهِ بِذِي أَمْرِ (٤)

---

(١) المُراد بالخمس هنا : الأذن ، والعين ، والفمِ ، واليد ، والرِّجْل . « شرح الفاسي » (ص٧٤) .

(٢) قوله : (وأنْ تكُ) الأصل : (وأنْ تكون) ، والجزمُ بـ (أنْ) ذكره بعضُ الكوفيِّين وأبو عبيدة عن بعض العرب ، ونقله اللِّحْياني عن بعض بني صباح من ضَبَّةَ ، وأنشدوا عليه : (من الطويل)

إذا مـا غَـدَوْنـا قـالَ وِلْـدانُ أهلِنـا ... تعالَوْا إلىٰ أنْ يأتِنا الصيدُ نَحطِبِ

وقوله : (راعٍ) هو خبر (تك) فحقُّهُ النصبُ بفتحة ظاهرة ، إلا أنَّهُ سكَّن الياء علىٰ لغة ؛ ومنه قول الشاعر : (من الطويل)

ولــو أنَّ واشٍ بــاليمــامــةِ دارُهُ ... وداري بأَعْلىٰ حَضْرَمَوتَ اهتدىٰ لِيَا

وهو جائزٌ في السَّعَة كما صحَّحه الصبَّان ؛ بدليل قراءة جعفر الصادق : (من أوسط ما تطعمون أهاليْكم) بسكون الياء . انظر « مغني اللبيب » (١/ ٤٣) ، و« حاشية الصبَّان » (١/ ١٧٤) .

(٣) قوله : (والمدُّ أَوْلىٰ من القصر) زيادةُ بيانٍ في مُعاد الإشارة ، علىٰ أنَّ فيه توريةً ؛ وهو أن يُطلقَ لفظٌ له معنيان قريبٌ وبعيدٌ ويُرادَ البعيدُ اعتماداً علىٰ قرينة [خفيَّة] ، وذلك موجود هنا ؛ فإنَّ المتبادرَ من سماع هـٰذا التركيبِ كونُ المدِّ والقصر من صفتَيِ اللفظ ، والمقصودُ أنَّ مقامَ الرجاء مدُّهُ وجَعْلُهُ حالاً ومقاماً في التوبة . . أَوْلىٰ مِنْ قَصْره على المقام فقط ، وقرينة [البسط] تُعيِّن هـٰذا المعنى البعيد . « شرح الفاسي » (ص٧٦ـ ٧٧) .

(٤) قوله : (ويلزم عنه) الضمير في (عنه) يعود على المحاسبة وعلى التوبة علىٰ ما هي =

٦٠- مُلَاحَظَةَ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَفِي لَفْظَةٍ لَوْ لَمْ يَفُهْ بِسِوَىٰ عَمْرِو[١]

مَقَامُ الوَرَعِ

٦١- وَهَـٰذَا مَقَامٌ لَا يَفُوزُ بِدَرْكِهِ سِوَىٰ وَرِعٍ فِي صَفْوِ بَاطِنِهِ يَسْرِي[٢]

٦٢- وَلاَ وَرَعٌ حَقٌّ وَلَا مُتَوَرِّعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِٱلصَّبْرِ مُعْتَضَدَ ٱلْأَزْرِ[٣]

٦٣- فَصَبْرٌ عَلَى ٱلنَّعْمَاءِ مِنْهُ إِذَا سَمَتْ إِلَيْكَ سُمُوَّ ٱلطَّيْرِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ[٤]

٦٤- وَصَبْرٌ عَلَى ٱلضَّرَّاءِ يَبْلُغُ أَنْ يَرَىٰ سَوَاءً إِلَيْهِ وَارِدَ ٱلنَّفْعِ وَٱلضُّرِّ

٦٥- فَمَا يَغْتَذِي إِلَّا بِمَا بَانَ أَصْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لَيَالِيَ فِي ٱلشَّهْرِ[٥]

٦٦- فَلَا تَكُ مِمَّنْ لَا يُفَارِقُ خُبْزَهُ فَدِيمَةُ جُودِ ٱلْحَقِّ دَائِمَةُ ٱلْقَطْرِ[٦]

= عليه . « شرح الفاسي » (ص٧٨) .

(١) يَفُهْ ؛ أي : ينطق .

(٢) قوله : (وهـٰذا) ؛ أي : مقامُ التوبة بمُقدِّماته ومُتمِّماته .

(٣) أي : ولا ثبوتَ لمُتَّصِفٍ بصريح الوَرَع ولا لمُحاوِلٍ له ومُتكلِّفٍ حصولَهُ إذا لم يكن الشخصُ مُعاناً بالصبر ومشدودَ الظهر به ؛ فقولُهُ : (ولا وَرَعٌ) ؛ أي : ولا ذو وَرَعٍ .

(٤) أي : وبيانُ كونِهِ مشدودَ الظهر بالصبر أن يصبرَ علىٰ أنواع الرِّفْق والإكرام ، وضروبِ الامتنان والإنعام ، ولا يزدريَ بسبب ذلك واحداً من الأنام ، وقَصَدَ بالبَرِّ : النعم الظاهرة ، وبالبحر : المنح الباطنة . انظر « شرح الفاسي » (ص٨٦) .

(٥) قوله : (فما يغتذي) الفاء فاء النتيجة بالصبرَينِ المذكورَينِ قبلُ ، وفي بعض النسخ : (فلا تَغْتَذِ) ، والفاء عليه فصيحةٌ ؛ وذلك أنَّهُ لمَّا ذكر الورع . . قدَّر سائلاً سأله عن بيان مُتعلَّقه ليستعملَهُ فيه ، فقال : إن أردتَ ذلك فلا تغتذِ . . . إلىٰ آخره ، واسمُ (يكن) يعود على الاغتذاء المفهوم من الفعل (يغتذي) . انظر « شرح الفاسي » (ص٨٨) .

(٦) أي : لا تكنْ أيُّها المريدُ من الذين همُّهُم بطنُهُم المُلازِمِينَ لخبزهم وغيره من المطعومات في كلِّ وقتٍ وأوان ، بل اقتدِ بنبيِّك صلَّى الله عليه وسلَّم في كونه كان لا يَدَّخِرُ لغدٍ وينهىٰ عنه ، ولا تلتفتْ إلى الخواطر التي تمنعُكَ من ذلك ؛ فإنَّ مطرَ عطاء الله وجودِهِ دائمٌ لا ينقطع ، وشاملٌ لجميع الخلائق .

٦٧ـ وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ لَا يَنْتَمِي لِتَوَرُّعٍ ... وَيَكْفِيهِ عِنْدَ ٱلْجُوعِ مَصُّ نَوَى ٱلتَّمْرِ (١)

٦٨ـ وَأَيُّ يَقِينٍ فِي ٱدِّخَارِكَ كِسْرَةً ... لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً عِيبَ مِنْ أَضْعَفِ ٱلذَّرِّ (٢)

٦٩ـ وَأَقْبَحُ مِنْهُ أَنْ تُقَدِّمَ لِلْقِرَىٰ ... سِوَاهَا وَتُبْدِي ٱلنُّكْرَ فِيمَا بِهِ تَقْرِي (٣)

٧٠ـ وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلْأَسْفَارِ كَانَ مَكَانُهَا ... أَمَامَكَ دُونَ ٱلْكُلِّ مِنْ سُفَرِ ٱلسَّفْرِ (٤)

٧١ـ وَهَـٰذَا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ مِنْكَ لِضِنَّةٍ ... فَلِلْبُخْلِ مِنْهُ جَانِبٌ غَيْرُ مُزْوَرِّ (٥)

---

(١) أي : وفي الناس مَنْ لا ينتسبُ لتَوَرُّعٍ ومع ذلك فإنَّهُ يكفيه عند الجوع مصُّ نوى التمر ، ويَقصِدُ بهم الأعرابَ وسكَّانَ القِفار والفيافي الذين اعتادوا ذلك بحكم العادة التي جُبِلوا عليها ، لا ثقةً بالرَّازق جلَّ جلاله ، فإذا كان هـٰؤلاء كذلك فالمريدُ أَوْلىٰ أن يُسارِعَ إلىٰ هـٰذه الخصلة .

(٢) الذَّر : صغار النمل ، وقد عدَّد الشيخ أبو طالب والإمامُ الغزاليُّ رضي الله عنهما مَنْ يدَّخر من الحيوانات ، وذكراهم في سياق الذمِّ ؛ فقالا : (وقد قيل : لا يدَّخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة ، والنملة ، وابن آدم). انظر « شرح الفاسي » (ص٩٢) .

(٣) أي : وأقبحُ من ادِّخار الكِسْرة ألَّا تُقدِّم للضيف سواها ؛ لكونك لا تجد في الوقت غيرَها ، ثمَّ تُظهِرَ التحقيرَ لما قدَّمتَهُ ؛ لكونه قليلاً أَنْزَلَ مِنْ قَدْرِ المُقدَّم إليه ، فـ (تقدم) علىٰ تقدير (لا) ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء : ١٧٦] ، أو دون تقدير ، ومعناه ذكره الفاسي في « شرحه » ، وقوله : (تُبْدي) حقُّهُ بفتح الياء ؛ لكونه معطوفاً على المنصوب ، إلا أنَّهُ سكَّنه للضرورة ، ودليل هـٰذا البيت : ما أورده السُّهْرُوَرْدي عن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهم كانوا يقولون : (ما ندري أيُّهم أعظمُ وِزْراً ؛ الذي يحتقرُ ما يُقدَّم إليه ، أو الذي يحتقرُ ما عنده أن يُقدِّمَهُ) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص٩٣) .

(٤) هـٰذا البيت داخلٌ في الأقبحيَّة أيضاً ، والسُّفَر : جمع (سُفْرة) ؛ وهي ما يُوضَع عليه الطعام ، والسَّفْر : جمع (سافر) ؛ كـ (رَكْب وراكب) ، والهاء في (مكانها) راجعة على السفرة ، وعلىٰ هـٰذا التفسير والبيانِ فمعنى البيت واضح .

(٥) أي : وكونُ مكانِ خبزك أمامَكَ دونَ مَنْ معك من رفقائك وإنْ فَرَضْنا أنَّهُ صَدَرَ منك [لا] لأجل بخل وشُحٍّ . . فللبخل فيه جانبٌ قائم معتدل غير مائل ؛ أي : هو فعلٌ صورتُهُ واضحةُ الدَّلالة على البخل وقِلَّة المروءة ، وهو كذلك . « شرح الفاسي » (ص٩٤) .

٧٢ـ وَلَنْ يَخْلُصَ ٱلْإِخْلَاصُ يَوْماً لِتَارِكٍ طَعَاماً لِمَا ضَاهَاهُ كَٱلْأُرْزِ وَٱلْبُرِّ[١]

٧٣ـ وَفِي كُلِّ مَطْعُومٍ وَفِي كُلِّ مَلْبَسٍ تَوَرَّعَ أَصْحَابُ ٱلتَّوَرُّعِ لَوْ تَدْرِي

٧٤ـ فَلَا تَكُ مِمَّنْ خَصَّ بِٱلْبَعْضِ حُكْمَهُ وَأَهْمَلَهُ فِيمَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ ٱلْقَدْرِ

٧٥ـ وَفِي ٱلْبَقْلِ يَجْرِي حُكْمُهُ وَهْوَ ظَاهِرٌ وَفِي ٱلْمِلْحِ وَٱلْكَمُّونِ وَٱلسَّعْتَرِ ٱلْبَرِّي

٧٦ـ وَفِي ٱلْخَلِّ وَٱلْمَاءِ ٱلَّذِي هُوَ لَازِمٌ وَلَا سِيَّمَا مَاءِ ٱلصَّهَارِيجِ فِي ٱلثَّغْرِ[٢]

٧٧ـ وَمَنْ كَانَ هَـٰذَا عَنْ يَقِينٍ مَقَامَهُ فَلَا يَشْتَرِي شَيْئاً بِنَقْدٍ وَلَا يَشْرِي[٣]

مَقَامُ الزُّهدِ

٧٨ـ وَقَدْ جَاءَ وَقْتُ ٱلزُّهْدِ أَهْلاً وَمَرْحَباً مَكَانُكَ بَيْنَ ٱلسَّحْرِ مِنِّيَ وَٱلنَّحْرِ[٤]

---

(١) الأُرُزُ : لغة في (الأَرُزّ) ، والبُر : القمح ؛ أي : ولن يَخلُصَ ويصفوَ ويثبتَ الإخلاصُ حيناً من الأحيان لمَنْ ترك طعاماً كان عنده من غير عُذْرٍ أَحْوجَهُ لتركه إلىٰ طعامٍ آخَرَ ، وتكلَّف إحضاره ؛ وذلك كترك الرُّزّ للبُر أو العكس . « شرح الفاسي » (ص٩٥) .

(٢) ذكر في هـٰذا البيت وما قبله بعضَ ما يُتورَّع عنه ؛ وهو ما ينبتُ بنفسه أو يُستنبَت ؛ لأنَّهُ قد يكون مجهولاً أربابُهُ ، أو معلوماً ولم يُصرِّحوا بالأخذ منه ، والخلُّ ؛ لأنَّهُ قد يكون أصلُهُ خمراً فتخلَّل بفعل الغير ، فيحصلُ فيه خلاف ، والماءُ الذي يُبنىٰ في الطرقات وخصوصاً ماءَ الصهاريج التي تكون في الثغور ؛ وهي ما يبنيها السلاطينُ غالباً ؛ لأنَّها قد تكون مغصوبة ، أو مجهولاً أصلُها، أو غير ذلك، فينبغي أن يحتاطَ في ذلك جميعِهِ.

(٣) ذكر في هـٰذا البيت مَنْ رسختْ في الورع قدمُهُ ، وصار يجري فيه مَجْرى الدم ، وهـٰذا النوع نادرٌ في خير القرون فضلاً عن زماننا هـٰذا ؛ ولذلك كان سيِّدي سَرِيٌّ السَّقَطيُّ رضي الله عنه يقول : (كان أهلُ الورع في وقتهم أربعةً : حُذيفة المرعشي ، ويوسف بن أسباط ، وإبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخوَّاص ، فنَظَرُوا في الورع ، فلمَّا ضاقت عليهم الأمورُ فَزِعُوا إلى التعلُّل) ، وقوله : (بنقد) خرج مخرجَ الغالب ، وإلا فالمُراد : أنَّهُ لا يبيع ولا يشتري مطلقاً ؛ لقلَّة الحلال المحض الخالص ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٠٠) .

(٤) السَّحْر : الرِّئة ، والنَّحْر : موضع القلادة من الصدر؛ أي : جاء وقتُ الزهد وحان=

٧٩ـ خَلَوْتُ عَنِ ٱلْأَمْلَاكِ طُرّاً فَلَا أُرَىٰ ... أَمِيلُ إِلَىٰ مَلْكٍ وَلَوْ كَانَ ذَا خَطَرِ[١]

٨٠ ـ لَكَ ٱلصَّبْرُ عَنْ حَمْدِ ٱلْوَرَىٰ وَلَكَ ٱلثَّنَا ... وَلَا خَيْرَ فِي عِزٍّ يُفَارِقُ فِي ٱلْحَشْرِ[٢]

مَقَامُ التَّوَكُّلِ

٨١ ـ وَإِنَّ مَقَامَ ٱلزُّهْدِ مَا حَلَّهُ سِوَىٰ ... بَرِيءٍ مِنَ ٱلتَّدْبِيرِ وَٱلْحَوْلِ وَٱلْجَبْرِ[٣]

٨٢ ـ يُشَاهِدُ وَعْدَ ٱلْحَقِّ عَيْنَ يَقِينِهِ ... فَلَا أَمْنَ فِي وَفْرٍ وَلَا خَوْفَ فِي فَقْرِ[٤]

٨٣ ـ فَفِي ٱلتَّوْبِ وَٱلزُّهْدِ ٱلْمَقَامَاتُ كُلُّهَا ... فَرَوْضُهُمَا مِنْ طِيبِهِ عَبَقُ ٱلنَّشْرِ[٥]

مَقَامُ العُبُودِيَّةِ

٨٤ ـ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُدَاوِمَ كُلَّ مَا ... تَكُونُ بِهِ عَبْداً إِلَىٰ آخِرِ ٱلْعُمْرِ

= أوانُهُ ، وصادف محلاً لقبوله ؛ لإحكام الركنِ الأوَّل ، والبلوغِ في الورع إلىٰ ترك الكلِّ والإقبالِ على الله تعالىٰ .

(١) الخَطْر ـ ويُحرَّك ـ : الشرف والمال والمنزلة .

(٢) الورىٰ : الخَلْق ، واللامُ في قوله : (لك) في كلا الموضعَينِ : بمعنىٰ (علىٰ) ؛ أي : يجب عليك الصبر عن حمد الخَلْق وثنائهم عليك اللذَينِ سيجلبان لك العِزَّ في الدنيا والشرف ؛ فإنَّهما لا خير فيهما ؛ لأنَّهما سيُفارقانك في الآخرة ، ولن ينفعَكَ فيها إلا عملُكَ ، وهـٰذا الصبر داخلٌ في الزهد ومُشتمِلٌ عليه .

(٣) الجَبْر : الاستطاعة والقوة وارتفاعُ القدر ، وأصل البيت : ما ذكره السُّهْرُوَرْدي في (٢/ ٤٨٥) عن سيِّدي الجُنيد رضي الله عنه أنَّهُ قال : (الزهدُ : خُلُوُّ الأيدي مِنَ الأملاك ، والقلوبِ من التتبُّع) .

(٤) الوَفْر : المال والمتاع الكثير الواسع ؛ أي : لا فرق عنده بين حالي الفقر والغنىٰ ؛ لوثوقِ قلبِهِ بما وعد الله ، واطمئنانِهِ بذلك .

(٥) الضمير في (طيبه) : يعود على الرَّوْض والمقامات بتأويل ما ذكر . « شرح الفاسي » (ص ١١٧) ، وعَبَقُ النَّشْر : ظهور وانتشار الرائحة الطيِّبة ، ولهـٰذا البيت بشارةٌ عظيمة ضمن قصَّةٍ بديعة ، وقد ذكرتُها في (١/ ١٢١ـ ١٢٢) .

٨٥ ـ وَتُكْمِلَ أَرْكَانَ ٱلْوِلَادَةِ فَٱخْتَرِقْ بِهَا مَلَكُوتَ ٱلسَّبْعِ مِنْ غَيْرِ مَا حَجْرِ[١]

٨٦ ـ وَمِنْ خَيْرِ مَا تُعْطَى ٱلدَّوَامُ فَلَا تَزَلْ تَطِيرُ إِلَى ٱلْعَلْيَا بِأَجْنِحَةِ ٱلشُّكْرِ[٢]

٨٧ ـ فَلَا تَكُ إِلَّا تَالِياً أَوْ مُصَلِّياً وَدَائِمَ ذِكْرِ ٱلْقَلْبِ أُيِّدَ مِنْ ذِكْرِ[٣]

٨٨ ـ وَأَفْضَلُ ذِكْرِ ٱلْمَرْءِ حِينَ لِقَلْبِهِ حُضُورٌ يَغِيبُ ٱلذِّكْرُ فِيهِ عَنِ ٱلذِّكْرِ[٤]

٨٩ ـ فَإِنْ يَكُ تَلْوِينٌ فَذُو ٱلْعِلْمِ حَسْبُهُ مُحَاضَرَةٌ مِنْ خَلْفِ مُنْسَدِلِ ٱلسِّتْرِ[٥]

٩٠ ـ وَإِنْ يَكُ ذَا عَيْنِ ٱلْيَقِينِ فَحَظُّهُ مُكَاشَفَةٌ جَلَّتْ عَنِ ٱلنَّظَرِ ٱلْفِكْرِ

---

(١) أركان الولادة : هي الإيمان ، والتوبة النصوح ، والزهد ، وتحقيقُ مقامِ العُبُوديّة بدوام العمل لله ، والمُراد بالولادة هنا : الولادة المعنويَّة ؛ وهي الخروج من مَشِيمة النَّفس وبطنِ العادة والتقييد بعالم المُلْك إلىٰ عالم الملكوت وفضاء القدرة . انظر « شرح الفاسي » (ص١٢١ـ ١٢٢) .

(٢) أي : الدوامُ علىٰ أسباب العبوديَّة لله في الظاهر والباطن . . من أفضل ما تُعطاه وتنالُهُ أيها السالكُ طريقَ الآخرة ، فابقَ مُستمِرَّ الصعود إلىٰ معالي الأمور بأجنحة شكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما أَوْلاك من المِنَن ، وأَسْدىٰ إليك من المِنَح ، وفي بعض النسخ : (النَّشر) بدل (الشكر) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٢٤) .

(٣) قوله : (أُيِّد من ذكر) كان أصل التركيب : (أَيَّده اللهُ مِنْ ذاكر) ؛ فـ (ذاكر) تمييزٌ لضمير المفعول أُظهرت معه (مِنْ) ، وذلك جائز في تمييز العدد والتمييزِ المنقول من الفاعل ، وليس هـٰذا منهما ، ثمَّ بُني لِمَا لم يُسمَّ فاعلُهُ . « شرح الفاسي » (ص١٢٥) .

(٤) أي : وأفضلُ ذِكرِ المرء حين يكونُ قلبُهُ حاضراً حضوراً يغيبُ فيه عن الذِّكْر نَفْسِهِ وعن غيره من المخلوقات ؛ فلا يبقىٰ له عن نَفْسه إخبار ، ولا مع غير الله قرار . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٢٧) .

(٥) التلوين : صفة أرباب الأحوال ، ومعناه : ما اقتضاه لفظُهُ من الانقلاب وعدمِ الثبات علىٰ صفةٍ واحدة ، بل كلُّ واردٍ يَرِدُ عليه يصرفه علىٰ مُوجَبه وحكمه ، وهو صاحبُ مقام علم اليقين ، فحسبُ صاحبِ هـٰذا المقام من حضوره المحاضرةُ التي هي النظرة من وراء حجابِ وجودِهِ المَرْخيِّ بينه وبين ربِّهِ . انظر « شرح الفاسي » (ص١٢٩ـ ١٣٠) .

٩١ـ وَإِنْ يَكُ تَمْكِينٌ فَذُو ٱلْحَقِّ حَقُّهُ مُشَاهَدَةٌ مِنْ غَيْرِ حَجْبٍ وَلَا سَتْرِ (١)

٩٢ـ يُشَاهِدُ أَنْوَارَ ٱلتَّجَلِّي حَقِيقَةً فَلَا خَوْفَ يَوْماً مِنْ حِجَابٍ ولَا سِتْرِ

٩٣ـ يُشَاهِدُهَا سِرُّ ٱلَّذِي ذِكْرُ قَلْبِهِ عَتِيدٌ وَإِنْ كَفَّ ٱللِّسَانَ عَنِ ٱلذِّكْرِ (٢)

مَقَامُ المحبَّةِ

٩٤ـ وَلِلْكُلِّ مِنْ كَأْسِ ٱلْمَحَبَّةِ شَرْبَةٌ سَرَتْ فِيهِ سَرْيَ ٱلْمَاءِ فِي ٱلْغُصْنِ ٱلنَّضْرِ (٣)

[المحبَّةُ عندَ صاحبِ علمِ اليقينِ]

٩٥ـ فَذُو ٱلْعِلْمِ طَوْعُ ٱلْحِبِّ وَٱلْحُبُّ عِنْدَهُ مُوَافَقَةُ ٱلْمَحْبُوبِ فِي ٱلْعُسْرِ وَٱلْيُسْرِ (٤)

٩٦ـ فَلَوْ قَالَ طَأْ فِي ٱلنَّارِ وَٱلنَّارُ جَمْرُهَا لَهُ لَهَبٌ يَرْمِي ٱلشَّرَارَةَ كَٱلْقَصْرِ

٩٧ـ لَمَا كَانَ لَمْحُ ٱلْبَرْقِ أَسْرَعَ مَا يُرَىٰ بِأَسْرَعَ مِنِّي فِي ٱمْتِثَالِيَ لِلْأَمْرِ (٥)

٩٨ـ وَلِي مِنْهُ بُشْرَىٰ لَوْ حَلَلْتُ بِقَعْرِهَا أَبَتْ لِيَ أَنْ أَدْرِيْ بِبَرْدٍ وَلَا حَرِّ (٦)

---

(١) التمكين : صفة أهل الحقائق والرسوخ الذين وصلوا إلىٰ مقام حق اليقين .

(٢) العَتِيد : الحاضر المُهيَّأ ، وفي بعض النسخ تقديمُ هـٰذا البيت علىٰ ما قبله ، والمثبت أَوْلىٰ وأنسب علىٰ ما وضَّحه الفاسي في « شرحه » (ص١٣٤) .

(٣) قوله : (للكل) ؛ أي : لكل واحد من المقامات الثلاثة السابقة ؛ وهي علمُ اليقين ، وعينُهُ ، وحقُّهُ ، والنَّضْر : الحُسْن والرَّوْنق .

(٤) قوله : (فذو العلم) ؛ أي : صاحب المقام الأوَّل ؛ وهو علم اليقين .

(٥) قوله : (أسرعَ) حال ، وقوله : (بأسرعَ) خبر (كان) ، وفي معنىٰ هـٰذا البيت : ما قاله سلطان العاشقين عمر بن الفارض رحمه الله تعالىٰ : (من الوافر)

ولـو عـذَّبتَنـي فـي النـارِ حَتْمـاً دخلـتُ مُطـاوِعـاً وَسَـطَ الجحيـمِ

إذا كـانَ الجحيـمُ رضـاكَ عنِّـي فمـا ذاكَ الجحيـمُ سـوى النعيـمِ

(٦) أي : لي من الله تعالىٰ بُشْرىٰ بإثابتي على العمل القليل بما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خَطَرَ علىٰ قلب بشر ، وهـٰذه البُشْرى استولتْ علىٰ أحاسيسي ؛ حتىٰ لو حللتُ معها بقعر جهنَّمَ لغيَّبتْني عن الإحساس بألمها ، والمبالاةِ ببرد زَمْهَريرها وحرِّ=

الفناءُ عندَ صاحبِ علمِ اليقينِ

٩٩- وَإِنَّ وُجُودِي أَنْ أُرَىٰ فِيكَ فَانِياً وَلَا حَظَّ لِي مِنْ دُونِ أَمْرِكَ فِي أَمْرِ

القُرْبُ والأُنْسُ

١٠٠- فَطَاعَتُهُ قُرْبِي وَأُنْسِي عِبَادَتِي فَلَا أُنْسَ إِلَّا فِي ٱلْعِبَادَةِ لِلْحُرِّ

التَّجلِّي بطريقِ الأفعالِ

١٠١- أَرَىٰ بِطَرِيقِ ٱلْفِعْلِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وُجُودَ يَقِينٍ مِنْ وُجُودِكَ فِي سِرِّي[١]

١٠٢- فَأَنْفِي صُدُورَ ٱلْفِعْلِ عَنْ كُلِّ مُمْكِنٍ وَأَبْقَىٰ عَلَىٰ حُكْمِ ٱلْمَشِيئَةِ فِي أَمْرِي[٢]

التَّجلِّي بطريقِ الصفاتِ

١٠٣- وَهَـٰذَا مَقَامٌ فِي ٱلْوُصُولِ وَفَوْقَهُ مَقَامَاتُ أَقْوَامٍ عَلَا قَدْرُهُمْ قَدْرِي

= لَهَبِها ، كما رُوي أنَّ امرأةَ فتحِ الموصليِّ عَثَرتْ فانقطع ظفرُها ، فضحكت ، فقيل لها : أَمَا تجدين الوجع ؟ فقالت : إنَّ لذَّةَ ثوابه أزالتْ عن قلبي مرارةَ وجعه ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٤٣) .

(١) أي : أرىٰ وأجدُ يا مولاي بطريق تجلِّي فعلِكَ وظهورِ أَثَرِكَ في كلِّ لحظةٍ وطَرْفة . . وجودَ يقين وزيادةَ اطمئنان في سِرِّي ؛ من أجل وجودك في ذلك الملحوظ بعموم التصرُّف ابتداءً ودواماً ، وفي تلك الطَّرْفة . « شرح الفاسي » (ص١٤٨) .

(٢) شطره الأوَّل واضح ، ومعنىٰ شطرِهِ الثاني : أنَّني أبقىٰ في شأني علىٰ حكم الإرادة الإلـٰهيَّة والمشيئة السابقة الأزليَّة ، مقطوعَ الاعتماد والاستناد لغيرك ، لا وقوفَ لي إلا ببابك ، ولا لواذَ إلا بجنابك ، غيرَ مُتطلِّعٍ لغيرك ، ناظراً لفضلك ، مُنتظِراً لأمرك ، راضياً بقضائك ، ساكناً تحت مجاري أقدارك ، مُستسلِماً لحكمك . « شرح الفاسي » (ص١٤٨) .

الشوقُ إلى اللهِ

١٠٤ـ وَإِنَّ ٱشْتِيَاقِي نَحْوَهَا لَيَطِيرُ بِي ... لِأَقْرَبِهَا مِنِّي بِأَجْنِحَةِ ٱلنَّسْرِ[١]

[المحبّةُ عندَ صاحبِ عينِ اليقينِ]

١٠٥ـ وَذُو ٱلْعَيْنِ لِٱسْتِيلَاءِ سُلْطَانِ حَالِهِ ... عَلَيْهِ لَهُ سُكْرٌ يَزِيدُ عَلَى ٱلسُّكْرِ[٢]

١٠٦ـ أَدَارَ عَلَيْهِ ٱلْحُبُّ كَأْسَ مُدَامِهِ ... فَلَا سُكْرَ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ مِنْ خَمْرِ[٣]

القبضُ والبسطُ

١٠٧ـ وَلَا بَسْطَ إِلَّا فِي أَوَائِلِ حَالِهِ ... فَلَا صَدْرَ فِي قَبْضٍ وَلَا قَبْضَ فِي صَدْرِ[٤]

الغَلَبةُ

١٠٨ـ وَفِي غَلَبَاتِ ٱلْوَجْدِ مَكْنُونُ سِرِّهِ ... مُذَاعٌ فَلَا سَدْلٌ بِسِتْرٍ عَلَىٰ سِرِّ[٥]

---

(١) في نسخة : (ليصيرني) بدل (ليطير بي) ، وفي أخرىٰ : (الشكر) بدل (النسر) ، وفي ثالثة : (النشر) ، وفي هـٰذا البيت نهي بغير صيغةٍ على الوقوف في مقام من المقامات ، أو حالة من الحالات ، أو تبَرُّجِ ظواهر كائنات ، وأمرٌ بغير صيغة أيضاً بالتسبُّب ما أمكن في الارتقاء وطلبِ المزيد ، والعبدُ لا يزال سائراً أبداً إلىٰ أخصِّ حَضَرات الوصول أو فيها . « شرح الفاسي » (ص١٥٠ـ ١٥١) .

(٢) أي : لصاحب عين اليقين سكرٌ يزيد علىٰ سكر صاحب علم اليقين ؛ وذلك بسبب ما فاجأه وسَطَعَ من نور جمال محبوبه ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٥٤) .

(٣) هـٰذا البيت بيانٌ لمنشأ الاستيلاء السابق ، ومعنىٰ شطره الثاني : أنَّهُ لا سكرَ حاصلٌ من شرب الخمر المعهودة وإن بلغ بصاحبه ما بلغ . . إلا دون السكر الحاصلِ لمَنْ شرب كأسَ المحبّة الناشئةِ عن شهود الجمال ونعوت الكمال . « شرح الفاسي » (ص١٥٥).

(٤) المراد بالصَّدْر هنا : قلب السائر إلى الله تعالىٰ ، والبسطِ : واردٌ من الحقِّ ينزل بالعبد فيُمازجه وينصبغ به انصباغاً بحيث لا يمكنه التخلُّفُ عن موجبه ، والقبض كذلك . « شرح الفاسي » (ص ١٥٦) .

(٥) أي : صاحبُ هـٰذا المقام مكنونُ سرِّ محبَّتِهِ مُذاعٌ عند غلبة الوجد عليه ، فلا سَدْلَ له=

١٠٩ـ وَمُظْهِرُ هَـٰذَا ٱلْحُبِّ يُوشِكُ أَنْ يُرَىٰ ... قَتِيلاً لِمَحْبُوبٍ يَغَارُ عَلَى ٱلسِّرِّ[1]

[الفناءُ عندَ صاحبِ عينِ اليقينِ]

١١٠ـ وَإِنَّ وُجُودِي فِي فَنَائِي فَإِنَّهُ ... فَنَاءُ صِفَاتِ ٱلنَّفْسِ عَنْ مَحْكَمِ ٱلْبَشْرِ[2]

المَحْوُ والإثباتُ

١١١ـ وَفِيهِ لَنَا مَحْوٌ وَإِثْبَاتُنَا لَدَىٰ ... طُلُوعِ كُؤُوسِ ٱلْحُبِّ كَٱلْأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ[3]

١١٢ـ تَجَرَّدْتُ عَنْ كُلِّي وَعَنْ كُلِّ خَاطِرٍ ... يُلِمُّ سِوَى ٱلْمَحْبُوبِ بِٱلْقَلْبِ وَٱلْفِكْرِ[4]

= ولا تغطية بسترٍ ما من الأستار ، كما يفعله الأصحَّاء أرباب التمكين علىٰ أسرار الحقِّ التي منحهم إيَّاها ، وهو معذور في تلك الإذاعة ؛ لسقوط التكليف عنه حينئذ .

(١) في بعض النسخ : (سر الحب) بدل (هـٰذا الحب) ؛ أي : ومُظهِرُ هـٰذا الحبِّ وهو قادرٌ علىٰ كتمانه يوشك ويَقرُبُ أن يُرىٰ قتيلاً حقيقةً ، أو معنىً بإبعاده وسَلْبه ، وقد يتفق له الاثنان والعياذ بالله تعالىٰ ، فيخسر الدنيا والآخرة ؛ وذلك لإظهاره أسرارَ الحقِّ التي يُودِعُها قلوبَ أوليائه ، وبَذْلِها لمن ليس من أهلها ، ومن النوع الأوَّل : الحسين بن منصور الحلَّاج الذي أظهر أسرار المحبَّة فأدَّىٰ إلىٰ صَلْبه وقتله ، وفي ذلك يقول بعضهم : (من الوافر)

فمَـــنْ شهـــدَ الحقيقـــةَ فليَصُنْهـــا ... وإلا ســـوفَ يُقتَـــلُ بـــالسِّنـــانِ

كحـــلَّاجِ المحبَّـــةِ إذ تبـــدَّتْ ... لـــهُ شمـــسُ الحقيقـــةِ بـــالتـــدانـــي

وكلامنا عن الحلَّاج سيأتي مُفصَّلاً في (١/ ٣٠١، ٢/ ٥٢٠) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٥٩ـ ١٦١) .

(٢) في بعض النسخ : (في فناء فنائه) بدل (في فنائي فإنه) ، والبَشْر : بإسكان الشين للوزن ؛ أي : إنَّ وجودي وبقائي ثابتٌ في عين فنائي ؛ وذلك بأنْ تفنىٰ صفاتُ نفسي وتضعفَ أن تكون حاكمةً عليَّ وقاهرةً لي ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٦٢) .

(٣) قوله : (وفيه) ؛ أي : في مقام عين اليقين ، والمَحْوُ عند القوم : عبارةٌ عن إزالة معلولات النَّفس ورفع أوصافها علىٰ مراتب أهلها ؛ فهو بمعنى التخلية ، والإثباتُ : كنايةٌ عن الإتيان بدلَ ذلك بالأوصاف الحميدة ؛ فهو بمعنى التحلية . انظر « شرح الفاسي » (ص١٦٤) .

(٤) التجرُّد : التعرِّي عن الشيء والخروجُ عنه ، وعن كُلِّي : عن دائرة حسِّي وحكمِ وجودي ، ويُلِمُّ : مضارع (أَلَمَّ) ؛ أي : نزل . « شرح الفاسي » (ص١٦٥) .

القُرْبُ

١١٣ـ تعَرَّفْتُ مِنْهُ ٱلْقُرْبَ وَهْوَ مُؤَيِّدٌ ... بِهِ فَوُجُوهُ ٱللُّطْفِ ظَاهِرَةُ ٱلْبِشْرِ[١]

التجريدُ والتفريدُ

١١٤ـ وَلِي مِنْهُ تَجْرِيدٌ وَتَفْرِيدُ غَائِبٍ ... عَنِ ٱلْكَسْبِ لَا يَدْرِي بِشَفْعٍ وَلَا وِتْرِ[٢]

الحُضُورُ والغَيبةُ

١١٥ـ وَهَـٰأَنَا مِنْهُ حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ ... وَلِي غَيْبَةٌ بِٱلْحَقِّ عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي[٣]

الجَمْعُ والفَرْقُ

١١٦ـ وَإِنِّي بِهِ فِي عَيْنِ جَمْعٍ فَإِنْ أَقِفْ ... لَدَيْهِ بِلَا فَرْقٍ فَإِنِّيَ فِي خُسْرِ[٤]

---

(١) أي : تعرَّفتُ من هـٰذا المقام قُربَ محبوبي منِّي علىٰ ما يليقُ به والحالُ أنَّهُ مُؤيِّد لي بذلك القُرب وناصرٌ لي به ؛ يتولَّاني ويُعينني حتىٰ لا يراني حيث نهاني ولا يفقدني حيث أمرني ، ومِنْ ثمرات هـٰذا التأييد أنَّهُ يمنُّ عليَّ بوجوه ألطافه الظاهرة ، وإنعاماته المتواترة .

(٢) التجريد : أن يتجرَّدَ العبدُ عن الأغراض ، فلا يأتيَ ما أُمر به ولا ينتهيَ عمَّا نُهي عنه نظراً إلى الأعواض في الدنيا والآخرة ، بل ما كُوشف به من حقِّ العَظَمة يُؤدِّيه حسبَ جهدِهِ عبوديَّةً وانقياداً ، والتفريدُ : ألَّا يرىٰ نفسَهُ فيما يأتي به ، بل يرىٰ منَّة الله عليه فيه ، وقوله : (بشفع ولا وِتْر) كَنَىٰ بهما عن كلِّ ما يجري بالعالم ؛ لاستغراق الزوج والفرد لذلك ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٧٠) .

(٣) الغَيْبة : عدمُ الإشعار بالخَلْق ، والحُضُور : حُضُور الحقِّ بالقلب . « شرح الفاسي » (ص١٧٢) .

(٤) الجمع : عين الفناء بالله ، والتفرقة : العبوديَّة مُتَّصِلٌ بعضُها بالبعض ، وهو حكم الرُّوح ، والتفرقةُ حكم القالَب ، قال السُّهْرُوَرْدي في : (٢/ ٥٥٥) : (وقد غَلِطَ قومٌ ، وادَّعَوا أنَّهم في عين جمع الجمع ، وأشاروا إلىٰ صِرْف التوحيد ، وعطَّلوا الأسباب ، فتزندقوا) ، وبهـٰذا البيان يتَّضح معنى البيت .

[نفيُ الاتِّحادِ]

١١٧ـ وَإِنَّ ٱعْتِقَادَ ٱلْإِتِّحَادِ جَهَالَةٌ فَسَلْ عَنْهُ مَنْ يَدْرِيهِ إِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي(١)

١١٨ـ إِذَا كَانَ مَنْ لَا تَقْبَلُ ٱلضِّدَّ ذَاتُهُ بِحَالٍ مُحَالٌ أَنْ يُرَىٰ قَابِلَ ٱلضَّرِّ(٢)

١١٩ـ فَلَيْسَ يُجِيزُ ٱلْإِتِّحَادَ بِرَبِّهِ سِوَىٰ فَاقِدٍ لِلْعَقْلِ أَوْ جَاهِلٍ غَمْرِ(٣)

التَّجَلِّي بطريقِ الصِّفاتِ

١٢٠ـ إِذَا طَالَعَ ٱلْقَلْبُ ٱلْكَرِيمُ صِفَاتِهِ فَلِي أُنْسُ ذِي أَمْنٍ وَهَيْبَةُ ذِي ذُعْرِ(٤)

١٢١ـ وَهَـٰذَا مَقَامٌ فِي ٱلْوُصُولِ وَفَوْقَهُ مَقَامُ مُحِبٍّ دُونَهُ رُتْبَةُ ٱلنَّسْرِ(٥)

---

(١) **الاتِّحاد لغةً** : صيرورة الذاتَينِ أو الذوات ذاتاً واحدة ، وهو المُراد هنا ؛ أي : وإنَّ اعتقادَ الاتِّحاد ، والاغترارَ في ذلك بظاهرِ ما وقع لمَنْ يَحسُنُ بهم الظنُّ ـ كما هو مسطور ـ . . جهالةٌ من مُعتقِدِهِ ، وخلافٌ للحقِّ نقلاً وعقلاً ؛ فإنَّهُ يُؤدِّي لنفي الأُلوهيَّة رأساً ، وإذا وقع ما ظاهرُهُ اتِّحادٌ . فسَلْ عنه مَنْ يدريه إن كنتَ جاهلاً ؛ ليُبيِّنَهُ لك ويُزيلَ عن عقلك اللَّبْسَ والوهم في ذلك . انظر « شرح الفاسي » (ص١٧٥) .

(٢) في بعض النسخ : (الضَّيْر) بدل (الضر) ، وكلاهما صحيح .

(٣) **الغَمْر** : الذي لم يُجرِّب الأمور ، ولا خَبَرَ شيئاً منها ؛ فأشار المؤلف بقوله : (فاقد للعقل) : إلىٰ مَن فَقَدَ العقلَ الوَهْبيَّ الذي يتفضَّل به الله سبحانه وتعالىٰ بلا تعمُّل من العبد ولا تسبُّب ، وأشار بقوله : (أو جاهلٍ غَمْر) : إلىٰ مَنْ عنده نُبْذةٌ من العقل الوَهْبيِّ ، إلا أنَّهُ عارٍ من العقل الكَسْبيِّ التجريبيِّ ، وانظر « شرح الفاسي » (ص١٧٦) .

(٤) **أشار بالصِّفات** : إلى الصِّفات الجماليَّة؛ من الكرم والفضل والحلم والرحمة واللطف وغيرها ، والجلاليَّة؛ من العزة والبطش والسطوة وغيرها ؛ يريد : أنَّهُ في حال مُطالعةِ صفاتِ جماله تعالىٰ لا يأمنُ بطشَهُ ومكره ، وفي حال مُطالعةِ صفاتِ جلاله لا يغيبُ عنه فضلُهُ ورحمته .

(٥) أي : وفوقَ مقام عين اليقين في الوصول والمحبَّة . . مقامُ حقِّ اليقين الذي ليس فوقَهُ مقامٌ إلا الزيادة منه والعروجُ في مراتبه ، وكلُّ مقامٍ ورتبة فهي دونه وتحته ، كمقام النَّسْر ورتبته في عُلُوِّهِ ؛ فإنَّهُ لا ينالُها ولا يرتقي إليها غيرُهُ من الطيور ، هـٰذا ما يتعلَّقُ بألفاظ البيت ، وأمَّا المعاني والأسرار ، وما تحملُهُ من الحِكَم والأنوار . . فدونك كتابَنا هـٰذا « العوارف » ، و« شرحَ الفاسي » علىٰ هـٰذه القصيدة ، ومثل ذلك يُقال في جميع أبيات=

[المحبَّةُ عندَ صاحبِ حقِّ اليقين]

١٢٢ـ وَذُو ٱلْحَقِّ لَمَّا طَالَعَ ٱلذَّاتَ صَاحِياً بِرُوحٍ سَمَاوِيٍّ لَدَىٰ عَالَمِ ٱلْأَمْرِ[1]

حالُ المَحبَّةِ

١٢٣ـ سَقَتْهُ بِرَاحَاتِ ٱلْمَحَبَّةِ رَاحُهَا فَلَوْلَا دَوَامُ ٱلشُّرْبِ لَمْ يَصْحُ مِنْ سُكْرِ[2]

١٢٤ـ وَلَمَّا سَرَتْ فِي ٱلنَّفْسِ زَكَّتْ وَطَهَّرَتْ وَطَارَتْ بِرُوحِ ٱلْبَرِّ فِي مَنْهَجِ ٱلْبَرِّ[3]

١٢٥ـ فَمَدَّتْ إِلَيْهِ رَحْمَةً يَدَ جَاذِبٍ فَنَاهِيكَ مِنْ بِرٍّ وَنَاهِيكَ مِنْ بِشْرِ[4]

تَجلِّي الذَّاتِ

١٢٦ـ هُنَالِكَ لِلْأَوْصَافِ أَشْرَفُ خِلْعَةٍ عَلَيْهِ وَلِلْأَخْلَاقِ فَخْرٌ عَلَىٰ فَخْرِ[5]

= هـٰذه القصيدة النفيسة المباركة .

(١) عالَم الأمر : عالَم الأرواح ، يُقالُ له باعتبار عدم الواسطة ، وهو احترازٌ عن عالَم الخَلْق الذي هو عالم الأشباح . انظر « شرح الفاسي » (ص١٨٢ـ ١٨٣) .

(٢) الراح : الخمر ، سُمِّيت بذلك : لأنَّها تُناوَل بالراحات ؛ وهي الأكفُّ ، وقوله : (سَقَتْهُ. . .) إلىٰ آخره ؛ أي : سقتِ الذاتُ الأقدسُ هـٰذا المحبَّ خمرةَ الحب وداومتْ علىٰ ذلك ؛ فلولا دوامُ الشرب المفرَّعُ عن دوام سَقْيها. . لم يصحُ ولم يُفِقْ من غَلَبات سكره الحاصلِ له قبل التدرُّب مع خمرها . انظر « شرح الفاسي » (ص١٨٥) .

(٣) قوله : (ولمَّا سَرَت)؛ أي: المحبَّة أو خمرها، والبَر : البار ؛ أي : الكثير الخير المتقرِّب إلىٰ مولاه بالنوافل الظاهرة والباطنة ، ومنهج البَر : طريق الله ؛ فالبَرُّ الأوَّل : هو العبد البارُّ المحب علىٰ حسب مقامه ، والبَرُّ الثاني : اسم من أسماء المولىٰ سبحانه وتعالىٰ .

(٤) قوله : (فمدَّت) ؛ أي : الذاتُ الكريمة ، والمُراد بمدِّ اليد : التنبيه علىٰ غاية التقريب والاصطفاء ، وهو من باب التمثيل الذي هو إبرازُ المعاني العقليَّة في الصُّوَر الحسِّيَّة قصداً إلىٰ كمال السائر ، وإلا فالمدُّ واليد والجَذْب الحِسِّيَّاتُ مُنتفِيةٌ في هـٰذا المقام ، وقوله : (فناهيك) كلمة تُستعمل في التفخيم والتعظيم ، ومعناها : أنَّ ما بَعْدَ لكماله في مقامه ينهاك عن تَطَلُّب غيره في ذلك المقام . انظر « شرح الفاسي » (ص١٨٦ـ ١٨٧).

(٥) قوله : (هنالك) ؛ أي : في هـٰذا الموطن والمقام ، وقوله : (للأوصاف. . .) ؛ =

١٢٧ـ وَهَـٰذَا مَقَامٌ فِي ٱلْوُصُولِ وَحِفْظُهُ ... بِبَاعِثِ شَوْقٍ مِنْ فُؤَادٍ عَلَىٰ جَمْرِ[1]

نفيُ الحُلُولِ

١٢٨ـ وَإِنَّ ٱعْتِقَادَاتِ ٱلْحُلُولِ ضَلَالَةٌ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ كُفْرٌ فَلَا يَخْلُ مِنْ كُفْرِ[2]

١٢٩ـ وَلَيْسَ يَحُلُّ ٱلْحَادِثَاتِ مُنَزَّهٌ ... عَنِ ٱلنَّقْصِ وَٱلتَّغْيِيرِ فَٱهْجُرْ ذَوِي ٱلْهُجْرِ[3]

١٣٠ـ وَلِلرُّوحِ إِطْرَاقٌ لِأَجْلِ جَلَالِهِ ... وَإِجْلَالِهِ إِنَّ ٱلْحَيَاءَ لَذُو حَصْرِ[4]

= أي : هنالك يكون للأوصاف القُدْسيَّة الكماليَّة ، والأخلاق الإلـٰهيَّة الربَّانيَّة . . أشرفُ خِلْعةٍ لهـٰذا المُحِبِّ ، ولمَّا كان في كلٍّ من خِلَع الأوصاف والأخلاق سُؤْدَدٌ وشرف لا يُسبَحُ له تيَّار ، ولا يُشَقُّ له غبار . . كان قولُهُ : (فخر علىٰ فخر) في غاية التمكُّن ؛ وهو خبر لمبتدأ محذوف ؛ أي : وذلك فخرٌ علىٰ فخر ؛ أي : سؤددٌ علىٰ سؤدد ، وشرفٌ علىٰ شرف . انظر « شرح الفاسي » (ص١٨٦ـ١٨٧) .

(١) قوله : (وهـٰذا) إشارةٌ إلىٰ مقام حقِّ اليقين ، وقوله : (وحفظُهُ) ؛ أي : حمايته وحراسته والثبوت فيه بحيثُ لا يرجع فيه صاحبُهُ القهقرىٰ ، وقوله : (بباعث شوق . . .) إلىٰ آخره ؛ أي : كائنٌ بباعثِ شوقٍ وطلبٍ ناشئ من فؤاد علىٰ جمرٍ مُتلهِّب من نار المحبَّة الخاصَّة الذاتيَّة . انظر « شرح الفاسي » (ص١٩٠) .

(٢) يُقال الحُلُول : بمعنى القيام بالغير ؛ كحلول اللون بالجسم ، وبمعنى الاستقرار ؛ كحلول الجسم في الحيِّز ، وقد يُقال على الاتِّصاف ؛ كحلول الصفة بالموصوف ، وقد يُقال على التقدُّم ؛ كحلول الصورة في المادَّة ، والجميعُ باطلٌ ومحال على الله سبحانه ، ولذلك جمع الناظم الاعتقادَ فقال : (اعتقادات) ، وقوله : (فلا يخلُ) بحذف الواو للضرورة ، وجعل الفاسيُّ (لا) ناهيةً ، فلا ضرورة حينئذ . انظر « شرح الفاسي » (ص١٩١ـ١٩٢) .

(٣) الهُجْر : الفُحْش والقبيح من الكلام ، وفي البيت تقديم وتأخير لضرورة الوزن ، والتقدير : (وليس مُنزَّهٌ عن النقص والتغيير يَحُلُّ الحادثات) . « شرح الفاسي » (ص ١٩٢) .

(٤) أي : لرُوحِ هـٰذا المُحِبِّ إطراقٌ وإغضاء لأجل عظمة الله وتعظيمه ؛ فإنَّ حياءَهُ وخجلَهُ حبساه ومنعاه عن المباسطة بالمشاهدة والمكالمة والإقدام إلى التقبُّض والإحجام . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٩٥ـ١٩٦) .

١٣١ـ وَإِنَّ لَدَيْهِ فِي كَمَالِ جَمَالِهِ لَلَذَّةَ أَمْنٍ أَمَّنَتْ طَارِقَ ٱلذُّعْرِ

مَقَامُ الفناءِ

١٣٢ـ وقَدْ كَانَ فِي كَشْفِ ٱلصِّفَاتِ فَنَاؤُهُ يَغِيبُ بِهِ عَنْ عَالَمِ ٱلْخَلْقِ وَٱلْأَمْرِ[١]

١٣٣ـ وَفِي ٱلنُّورِ مَهْمَا شَاهَدَ ٱلنُّورَ سِرُّهُ وَلَوْ أَنَّهُ بَيْنَ ٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلسُّمْرِ[٢]

مَقَامُ البقاءِ

١٣٤ـ وَهَـٰذَا لِأَهْلِ ٱلْقُرْبِ فِي ٱلْوَصْلِ رُتْبَةٌ وَلَـٰكِنَّهَا مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فِي ٱلْقَدْرِ[٣]

١٣٥ـ وَكَانَ وُجُودُ ٱلْهَجْرِ هَجْرَ ٱخْتِيَارِهِ فَنَاءً فَأَفْنَاهُ ٱلْبَقَاءُ عَنِ ٱلْهَجْرِ[٤]

١٣٦ـ فَلَا عَدَمٌ بَعْدَ ٱلْوُجُودِ فَإِنَّهُ بِمُودَعِ سِرِّ ٱلْعَيْنِ فِي بَاطِنِ ٱلسِّرِّ[٥]

---

(١) قوله : (وقد كان في كشف . . .) البيتَ : هو حكايةٌ لِمَا طَرَأ له في مقام عين اليقين . « شرح الفاسي » (ص١٩٨) ، وسبق في (١/ ١٤٥) الإلماح إلىٰ معنىٰ عالَم الخَلْق والأمر .

(٢) قوله : (وفي النور . . .) البيتَ : هو حكايةٌ لِمَا كان وقع في أوَّل مقام حق اليقين قبل أن يتدرَّب مع شربها ويتجوهرَ به ، والمُثقَّفة : الرماح المُقوَّمة المُسوَّاة ، والسُّمْر : المائلة إلى السواد ، وُصِفتْ بذلك ؛ لصفائها وقوَّة زُرْقتها ؛ لأنَّها إذا بلغتْ غايتَها يَقرُب لونها إلى السواد ، وهي أجود أنواع الرماح ؛ أي : يصلُ المُحِبُّ في هـٰذا الفناء إلىٰ أنَّهُ يغيب عن الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات ، ولا يشعر بشيء من ذلك ولو كان بين الرماح المُثقَّفة السمراء . انظر « شرح الفاسي » (ص١٩٨) .

(٣) قوله : (دون ذلك) ؛ أي : دون رتبة وصفة صاحب حقِّ اليقين .

(٤) أي : وكان صاحبُ هـٰذا المقام في مقام علم اليقين وتجلِّي الأفعال هاجراً اختياراته ، فانياً عن مُراداته ، فأَفْناه البقاءُ بالله الحاصلُ له عند تمكُّنه في مقام حقِّ اليقين بدوام شربه ، حتىٰ تَجَوْهَرَ به ، وتخلَّص من وجوده بنفسه عن ذلك الهَجْر الذي تقدَّم له في ذلك المقام المُتقدِّم . « شرح الفاسي » (ص١٩٩) .

(٥) في النسخة الأزهرية : (الكشف) بدل (العين) ، و(أل) في (الوجود) للعهد ، والمعهودُ ما تقدَّم في البيت قبله من ذكر البقاء ، والضميرُ في (فإنَّهُ) عائدٌ لـ(الوجود) ، والباء في (بمودع) سببيَّة ، وسرُّ العين : خالص الشهود ،=

١٣٧ـ وَإِنِّي بِهِ فِي جَمْعِ جَمْعٍ مُؤَيَّدٌ وَمَحْوٌ وَإِثْبَاتٌ إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ عُمْرِي[١]

ما للخواصِّ في الدُّنيا مِنْ حقِّ اليقينِ

١٣٨ـ وَلِلنُّورِ فِي كُلِّيَّةِ ٱلْعَبْدِ سَارِيٌ سِرَايَةَ مَاءِ ٱلزَّهْرِ فِي وَرَقِ ٱلزَّهْرِ[٢]

١٣٩ـ فَيَحْظَىٰ بِهِ رُوحاً وَقَلْباً وَقَالَباً وَنَفْساً أَلَا أَكْرِمْ بِذَٰلِكَ مِنْ بِرِّ

١٤٠ـ وَهَـٰذَا لِأَهْلِ ٱلْقُرْبِ أَشْرَفُ رُتْبَةٍ وَمِنْ فَوْقِهَا مَا لَمْ يَمُرَّ عَلَىٰ فِكْرِ[٣]

تمت الرائية المباركة

بحمد الله وتوفيقه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞ ۞ ۞

= وانظر « شرح الفاسي » (ص٢٠٠) .

(١) قوله : (به) ؛ أي : بالوجود بالله ، وقوله : (محو) بالجر ، وهو واضح ، وبالرفع علىٰ معنىٰ : (ولي محوٌ) ، ومقامُ جمع الجمع : هو شهود الحقِّ والخَلْق وإعطاءُ المراتب حقَّها ، والمَحْوُ هنا : رفع الأوصاف البشريَّة عيناً وأثراً وإذهابُ العِلَّة ، والإثبات : إثباتُها بالحق سبحانه وتعالىٰ ، وقوله : (إلىٰ منتهىٰ عمري) تنازع فيه المصادر السابقة ، وانظر « شرح الفاسي » (ص٢٠١) .

(٢) قوله : (وللنور) ؛ أي : نورِ المشاهدة ، وقوله : (العبد) هو صاحبُ مقام حق اليقين ، وقوله : (ساريٌ) ظهرت حركة الرفع على الياء لضرورة الوزن .

(٣) قوله : (وهـٰذا) ؛ أي : مقام حق اليقين ، وقال أبو طالب المكي رضي الله عنه في تقريب معنى الشطر الثاني : (ولا نهايةَ لعلم التوحيد ، ولا غايةَ لمزيد عطاء المُوحِّدين ، ولـٰكن لهم نهاياتٌ يُوقَفون تحتَها ، وغاياتٌ يَصدُرون عنها ، تُجعَلُ أماكنَ لمزيدهم ، ويزدادون في وسعها ، ويُمَدُّون بعلوم يطلبون بها ما يُكاشَفون به لما وراءها أبدَ الآباد ، بلا آخِرٍ ولا أمد) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص٢٠٣) .

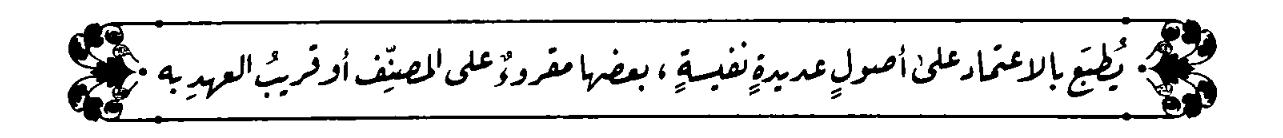
عوارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربّي

شهاب الدين أبي حفص عمر البكريّ السُّهْرَوَرْدِيّ

(٥٣٩-٦٣٢هـ)



حقَّقه وعلَّق عليه

بلال محمّد حاتم السّقا

الجزء الأوّل

دار التقوى

دمشق الشام

[خطبة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

الحمدُ للهِ العظيمِ شانُهُ ، القويِّ سلطانُهُ ، الظاهرِ إحسانُهُ ، الباهرِ حُجَّتُهُ وبُرهانُهُ ، المُحتجِبِ بالجلالِ(١) ، والمُتفرِّدِ بالكمالِ ، والمُتردِّي بالعظمةِ في الآبادِ والآزالِ(٢) ، لا يُصوِّرُهُ وَهْمٌ ولا خيالٌ ، ولا يحصُرُهُ حدٌّ ولا مثالٌ ، ذي العزِّ الدائمِ السَّرْمَديِّ ، والمُلْكِ القائمِ الدَّيْمُوميِّ ، والقدرةِ الممتنعِ إدراكُ كُنْهِها ، والسَّطوةِ المُستوعِرِ طريقُ استيفاءِ وصفِها .

نطقتِ الكائناتُ بأنَّهُ الصانعُ المُبدِعُ ، ولاحَ مِنْ صَفَحاتِ ذرَّاتِ الوجودِ بأنَّهُ الخالقُ المُخترِعُ .

---

(١) المُحتجب : الذي دخل الحجاب ؛ فالمُحتجب المستتر ، ويُقال في الله تعالىٰ : محتجب لا محجوب ؛ لأنَّ المحجوبَ ممنوع ، والممنوعَ مقهور للمانع ؛ لأنَّهُ ستره ، والمقهورُ يليق بالعبد ، وأيضاً : المحجوب مَنْ حجابُهُ من خارج ومن غير ، والمحتجبُ مَنْ حجابُهُ من نفسه ؛ فالله تعالىٰ محتجبٌ لا محجوب : لأنَّ صفاتِهِ حجابُهُ ، كما رُوي : « حجابُهُ النورُ ، لو كشفَهُ لأحرقتْ سُبُحاتُ وجهِهِ ما انتهىٰ إليه بصرُهُ مِنْ خلقِهِ » .

(٢) المُتردِّي : المُتَّصف ، والآباد : جمع (أَبَد) ؛ وهو ما لا آخر له ، والآزال : جمع (أَزَل) ؛ وهو ما لا أوَّل له .

وَسَمَ عقلَ الإنسانِ بالعجزِ والنُّقصانِ ، وألزمَ فصيحاتِ الأَلْسُنِ وصفَ الحَصَرِ في حَلْبةِ البيانِ[1] ، وأَحْرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ الكريمِ أجنحةَ طائرِ الفهمِ[2] ، وسدَّتْ تعزُّزاً وجلالاً مسالكَ الوَهْمِ ، وأَطْرقَ طامحُ البصيرةِ تعظيماً وإجلالاً ، ولم يجدْ مِنْ فَرْطِ الهَيبةِ في فضاءِ الجَبَروتِ مجالاً[3] ، فعادَ البصرُ كَليلاً ، والعقلُ عَليلاً ، ولم ينتهجْ إلىٰ كُنْهِ الكبرياءِ سبيلاً .

فسبحانَ مَنْ عزَّتْ معرفتُهُ لولا تعريفُهُ ، وتعذَّرَ على العقولِ تحديدُهُ وتكييفُهُ !!

ثمَّ ألبسَ قلوبَ الصَّفوةِ مِنْ عبادِهِ ملابسَ العِرْفانِ ، وخصَّهُم مِنْ بينِ عبادِهِ بخصائصِ الإحسانِ ، فصارتْ ضمائرُهُم مِنْ مواهبِ الأُنْسِ مَمْلُوَّةً ، ومَرَايا قلوبِهِم بنورِ القُدْسِ مَجْلُوَّةً ، فتهيَّأَتْ لقَبولِ الأمدادِ القُدْسيَّةِ ، واستعدَّتْ لوُرُودِ الأنوارِ العُلْويَّةِ ، واتَّخذتْ مِنَ الأنفاسِ العَطِرةِ بالأذكارِ جُلَّاساً ، وأقامتْ على الظاهرِ والباطنِ مِنَ التقوىٰ حُرَّاساً ، وأَشْعلَتْ في ظُلَمِ البشريَّةِ مِنَ اليقينِ نِبْراساً[4] ، واستحقرتْ فوائدَ الدنيا ولذَّاتِها ، وأنكرتْ مَصَايدَ الهوىٰ وتَبِعاتِها[5] ، وامتطتْ غواربَ الرَّغَبوتِ

---

(١) الحَصَر : العِيُّ ، وعدم القدرة على البيان .

(٢) سُبُحات وجهه : جلال الله وعظمته ونوره وبهاؤه .

(٣) أي : لم يجد في عالم الأسماء والصفات دخولاً يدرك به كنه حقائقها ، وفي هامش (ج) : (الجبروت : عالَم أفعال الحق الذي هو مظهر صفاته ، وسُمِّي به ؛ لأنه جبرٌ محضٌ خالٍ عن الوسائط والأسباب الملكية والملكوتية ، وهو في عالَم المَلَكوت الذي هو مَحَل تصرفات الملك ، وفوق الجَبَروت مَحَل الرَّغَبوت ؛ وهو عالَم الصفة) .

(٤) النِّبْراس : المصباح .

(٥) في (أ) ونسخة على هامش (ج) : (مصائب) بدل (مصايد) ، والمصايدُ هنا : =

والرَّهَبوتِ[1] ، واستفرشتْ بعلوِّ همَّتِها بِساطَ المَلَكوتِ ، وامتدَّتْ إلى المعالي أعناقُها ، وطَمَحَتْ إلى اللَّامعِ العُلْويِّ أحداقُها[2] ، واتَّخذتْ مِنَ الملأِ الأعلىٰ مُسامِراً ومُحاوِراً[3] ، ومِنَ النورِ الأَعَزِّ الأقصىٰ مُزاوِراً ومُجاوِراً[4] .

أجسادٌ أَرْضيَّةٌ بقلوبٍ سماويَّةٍ ، وأشباحٌ فَرْشيَّةٌ بأرواحٍ عَرْشيَّةٍ ، نفوسُهُم في منازلِ الخدمةِ سيَّارةٌ ، وأرواحُهُم في فضاءِ القُرْبِ طيَّارةٌ ، ومذاهبُهُم في العُبوديَّةِ مشهورةٌ ، وأعلامُهُم في أقطارِ الأرضِ منشورةٌ .

يقولُ الجاهلُ بهِم : فُقِدُوا ، وما فُقدوا ، ولـٰكن سَمَتْ أحوالُهُم فلمْ يُدرَكوا ، وعلا مقامُهُم فلمْ يُملَكوا[5] ، كائنينَ بالجُثْمانِ[6] ، بائنينَ بقلوبِهِم عن أوطانِ الحِدْثانِ .

= اللذَّات ؛ لأنَّها هي التي تصيدُ نفوساً بنصالها .

(١) امتطت : ركبت ، والغَوارب : جمع (غاربة) ؛ وهي في الأصل ما بين سنام الإبل وعنقها ، والرَّغَبُوت والرَّهَبُوت : الرجاء والخوف ، وتاؤهما زائدة ، ومثلهما : (الرَّحَموت) و(الجَبَروت) و(المَلَكوت) ، وانظر « تاج العروس » (١٠/ ٣٥٦) .

(٢) طَمَحَت : ارتفعت ، واللامعُ العُلْوي : النور الأزلي .

(٣) الملأ الأعلىٰ : الملائكة المقربون .

(٤) المراد بالنور : نور الذات ، وقوله : (مُزاوراً ومُجاوراً) ؛ أي : حالاً ومقاماً ، وإنَّما سُمِّي الحالُ حالاً ؛ لتحوُّله تحوَّلَ الزُّوَّار ، والمقامُ مقاماً ؛ لثبوته واستقراره استقرارَ المجاورين .

(٥) وفي ذلك يقول سيِّدي العارف الفقيه عبد الرحمـٰن بَلْفقيه باعلوي :

يقـولُ قـومٌ عـن هُـداهـمْ ضَلُّـوا ... قـد عُـدِمُـوا فـي عصـرِنـا أو قَلُّـوا
فقُـلْ لهُـم كـلَّا ولـٰكـنْ جَلُّـوا ... عـن أنْ تـراهُـمْ أَعْيُـنُ الجُهَّـالِ

(٦) في هامش (ج) : (أي : لا يعرفهم الجاهل ؛ لعدم استعداده ، فيقولُ : هم معدومون ، وما هم بمعدومين ؛ فإنهم لم يُدرَكوا لعُلُوِّ أحوالهم عن نظر الجاهل ، =

لِأَرواحِهِم حولَ العرشِ تَطْوافٌ ، ولقلوبِهِم مِنْ خزائنِ البِرِّ إسعافٌ ، يتنعَّمونَ بالخدمةِ في الدَّياجرِ[1] ، ويتلذَّذونَ مِنْ وَهَجِ الطلبِ بظَمَأِ الهواجرِ[2] ، تسلَّوْا بالصَّلَواتِ عنِ الشهواتِ ، وتعوَّضوا بحلاوةِ التِّلاوةِ عنِ اللذَّاتِ ، يلوحُ مِنْ صَفَحاتِ وجوهِهِم بِشْرُ الوِجْدانِ ، ويَنِمُّ على مكنونِ سرائرِهِم نَضَارةُ العِرْفانِ[3] .

لا يزالُ في كلِّ عصرٍ وزمانٍ منهُم علماءُ قائمونَ بالحقِّ ، داعونَ للخَلْقِ ، مُنِحُوا بحُسْنِ المتابعةِ رُتْبَةَ الدَّعْوةِ ، وجُعلوا للمتقينَ قُدْوةً ، فلا يزالُ تظهرُ في الخلقِ آثارُهُم ، وتُزهِرُ في الآفاقِ أنوارُهُم ، مَنِ اقتدىٰ بهِمُ اهتدىٰ ، ومَنْ أنكرَهُم ضلَّ واعتدىٰ .

فللّٰهِ الحمدُ علىٰ ما هيَّأَ للعبادِ ؛ مِنْ بركةِ خواصِّ حضرتِهِ مِنْ أهلِ

= وقولُهُ : « كائنين » نصب على المدح ، أو حال من الضمائر المتقدمة الراجعة إلى « الصفوة » وأمثالها فيما بعدها) .

(١) الدَّياجر : جمع (دَيْجُور) ؛ وهو الظلام أو الظُّلمة ، وخُصَّ بذلك ؛ لأنه وقت ارتفاع الموانع من رؤية الأشياء وسماع الأصوات ، فيتم بذلك الإخلاص والمناجاة مع الله تعالىٰ والأنس به .

(٢) أي : بالعطش في فصل الصيف في صومهم ، والهواجر : جمع (هاجرة) ؛ وهي نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٣) قوله : (يَنِمُّ) كذا ضبط في (ج) بالوجهين ، وهو بناء علىٰ ما أورده ابن سيده وابن مالك ، وقال الزَّبيدي في « تاج العروس » (٩/ ٣٤) نقلاً عن شيخه الطيب الفاسي : (ورأيت المِزِّيَّ قد تفقَّه فيه وفصَّل ؛ فقال : « يَنِمُّ » بالكسر في اللازم ؛ أي : يَظْهَرُ ، وبالضم في المتعدِّي ؛ أي : ينقل ، فتأمَّلْ) .

وفي هامش (ج) : (يُقال : « إبلٌ نمَّةٌ » : إذا لم تُبقِ في أجوافها ماءً ، والنَّمَّام منه ؛ لأنه لا يُبقي الكلامَ في جوفه ؛ يعني : ظواهرُهُم تحكي عن مكنونات سرائرهم) .

الوِدادِ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّهِ ورسولِهِ محمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الأكرمينَ الأمجادِ .

[الداعي إلىٰ تأليفِ الكتابِ]

ثمَّ إنَّ إيثاري لهَذْي هـٰؤلاءِ القومِ ، ومحبَّتي لهُم عِلْماً بشرفِ حالِهِم ، وصحَّةِ طريقتِهِمُ المبنيَّةِ على الكتابِ والسنَّةِ ، المُتحقِّقِ بها مِنَ اللهِ الكريمِ الفضلُ والمِنَّةُ[١] . . حَدَاني علىٰ أنْ أذُبَّ عن هـٰذهِ العِصابةِ بهـٰذهِ الصُّبابةِ[٢] ، وأؤلِّفَ أبواباً في الحقائقِ والآدابِ ، مُعرِبةً عن وجهِ الصوابِ فيما اعتمدُوهُ[٣] ، مُشعِرةً بشهادةِ صَريحِ العلمِ لهُم فيما اعتقدُوهُ[٤] ؛ حيثُ كثُرَ المُتشبِّهونَ واختلفتْ أحوالُهُم ، وتستَّرَ بزيِّهِمُ المُتستِّرونَ وفسدتْ أعمالُهُم ، وسبقَ إلىٰ قلبِ مَنْ لا يعرفُ أصولَ سلفِهِم سوءُ ظنٍّ ، وكادَ لا يسلمُ مِنْ وقيعةٍ فيهِم وطَعْنٍ ؛ ظنّاً منهُ أنَّ حاصلَهُم راجعٌ إلىٰ مُجرَّدِ رَسْمٍ ، وتخصُّصَهُم عائدٌ إلىٰ مُطلَقِ اسمٍ .

وممَّا حَضَرَني فيهِ مِنَ النيَّةِ : أنْ أُكثِّرَ سوادَ القومِ بالاعتزاءِ إلىٰ طريقِهِم[٥] ، والإشارةِ إلىٰ أحوالِهِم ، وقد وردَ : « مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ . . فَهُوَ مِنْهُمْ »[٦] ،

---

(١) في (أ ، ج ، و ، ز ، ي) : (ذي الفضل) بدل (الفضل) .

(٢) حَدَاني : دعاني وحرَّضني ، وأَذُبُّ : أدفع وأمنع ، والعِصابة : الجماعة ، والمراد : جماعة الصوفية المارُّ سَمْتُهم ، والصُّبابة في الأصل : البقيّة من الماء واللبن .

(٣) مُعرِبة : مُبيِّنة وكاشفة .

(٤) مُشعِرة : مُعلِنة .

(٥) الاعتزاء : الانتساب .

(٦) رواه أبو يعلىٰ وعلي بن معبد في « الطاعة والمعصية » ، كما في « كشف الخفاء » (٢/ ٢٧٤) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والديلمي في =

وأرجو مِنَ اللهِ الكريمِ صحَّةَ النيَّةِ فيهِ ، وتخليصَها مِنْ شوائبِ النَّفْسِ .

وكلُّ ما فتحَ اللهُ تعالىٰ عليَّ فيهِ . . مِنَحٌ مِنَ اللهِ الكريمِ وعَوارفُ ، وأَجَلُّ المِنَحِ عَوارفُ المعارفِ[1] .

[محتوى الكتاب]

والكتابُ يشتملُ علىٰ نيِّفٍ وستِّينَ باباً ، ومِنَ اللهِ تعالى العونُ والتوفيقُ .

البابُ الأوَّلُ : في مَنْشأِ علومِ الصُّوفيَّةِ .

البابُ الثاني : في تخصيصِ الصُّوفيَّةِ بحُسْنِ الاستماعِ[2] .

البابُ الثالثُ : في بيانِ فضيلةِ علومِ الصُّوفيَّةِ والإشارةِ إلىٰ أُنْمُوذجٍ منها .

البابُ الرابعُ : في شرحِ حالِ الصُّوفيَّةِ واختلافِ طريقِهِم .

البابُ الخامسُ : في ذكرِ ماهيَّةِ التصوُّفِ .

البابُ السادسُ : في ذكرِ تسميتِهِم بهـٰذا الاسمِ .

= « الفردوس » (٥٦٢١) ، وابن المبارك في « الزهد » (٤٢) ضمن « زيادات نعيم بن حماد » ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٢٧٤) ، و« غنية العارف » (١/ ٤) .

(١) العوارف : جمع (عارفة) ؛ يُقال : أَوْلاه عارفةً ؛ أي : معروفاً ، قال الزَّبيدي في « التاج » (٢٤/ ١٣٨) : (ومنه سمَّى السُّهْرُوَرْديُّ كتابَهُ « عوارف المعارف ») ، وإنَّما كانت أجلَّ المنح ؛ لأنَّ المعرفة أشدُّ عروةً وأحسنُ وسيلةً من غيرها من الأحوال والمقامات .

(٢) في (ب) هنا وفيما سيأتي : (في تخصص) بدل (في تخصيص) ، والمعنىٰ عليهما ظاهر .

البابُ السابعُ : في ذكرِ المُتصوِّفِ والمُتشبِّهِ بهِ .

البابُ الثامنُ : في ذكرِ المَلامَتِيِّ وشرحِ حالِهِ[1] .

البابُ التاسعُ : في ذكرِ مَنِ انتمىٰ إلى الصُّوفيَّةِ وليسَ منهُم .

البابُ العاشرُ : في شرحِ رُتبةِ المَشْيَخَةِ .

البابُ الحادي عَشَرَ : في شرحِ حالِ الخادمِ ومَنْ يتشبَّهُ بهِ .

البابُ الثاني عَشَرَ : في شرحِ خِرْقةِ المشايخِ الصُّوفيَّةِ .

البابُ الثالثَ عَشَرَ : في فضيلةِ سُكَّانِ الرُّبُطِ[2] .

البابُ الرابعَ عَشَرَ : في مشابهةِ أهلِ الرِّباطِ بأهلِ الصُّفَّةِ .

البابُ الخامسَ عَشَرَ : في خصائصِ أهلِ الرُّبُطِ فيما يتعاهدونَهُ بينَهُم .

البابُ السادسَ عَشَرَ : في اختلافِ أحوالِ المشايخِ بالسفرِ والمقامِ .

البابُ السابعَ عَشَرَ : فيما يحتاجُ المسافرُ إليهِ مِنَ الفرائضِ والفضائلِ .

البابُ الثامنَ عَشَرَ : في القدومِ مِنَ السفرِ ودخولِ الرِّباطِ والأدبِ فيهِ .

البابُ التاسعَ عَشَرَ : في حالِ الصُّوفيِّ المُتسبِّبِ[3] .

البابُ العشرونَ : في حالِ مَنْ يأكلُ مِنَ الفتوحِ[4] .

---

(١) الملامتي : هو الذي لا يُظهِر خيراً ولا يُضمِر شرّاً ، وهو الذي تشرَّبتْ عروقُهُ طعم الإخلاص ، وتحقَّقَ بالصدق ، فلا يحبُّ أن يطَّلع أحدٌ علىٰ حاله وأعماله ، وسيأتي أصل اشتقاقه وبيان أحواله وأقسامه في بابه في (١/ ٢٨٤ـ ٢٩٥) .

(٢) الرُّبُط : جمع (رِباط) ؛ وهو مُتعبَّد الصوفية ، وسيأتي شرحه مؤصَّلاً في (١/ ٣٤٦ـ ٣٥٤) .

(٣) وتكلَّم فيه عن اختلاف أحوال سادتنا الصوفية في الوقوف مع الأسباب والإعراض عنها .

(٤) وذَكَرَ فيه أنه إذا كَمَلَ شغل الصوفي بالله يُفتح له بابٌ من التعريف بطريق المقابلة علىٰ كل =

البابُ الحادي والعشرونَ : في شرحِ حالِ المُتجرِّدِ مِنَ الصُّوفيَّةِ والمُتأهِّلِ .

البابُ الثاني والعشرونَ : في القولِ في السماعِ قَبولاً وإيثاراً .

البابُ الثالثُ والعشرونَ : في القولِ في السماعِ ردّاً وإنكاراً .

البابُ الرابعُ والعشرونَ : في القولِ في السماعِ ترفُّعاً واستغناءً .

البابُ الخامسُ والعشرونَ : في القولِ في السماعِ تأدُّباً واعتناءً .

البابُ السادسُ والعشرونَ : في خاصِّيَّةِ الأَرْبعينيَّةِ التي يتعاهدُها الصُّوفيَّةُ[1] .

البابُ السابعُ والعشرونَ : في ذكرِ فتوحِ الأربعينيَّةِ .

البابُ الثامنُ والعشرونَ : في كيفيَّةِ الدخولِ في الأربعينيَّةِ .

البابُ التاسعُ والعشرونَ : في ذكرِ أخلاقِ الصوفيَّةِ وشرحِ الخُلُقِ .

البابُ الثلاثونَ : في ذكرِ تفاصيلِ أخلاقِ الصوفيَّةِ .

البابُ الحادي والثلاثونَ : في ذكرِ الأدبِ ومكانِهِ مِنَ التصوُّفِ .

البابُ الثاني والثلاثونَ : في آدابِ الحضرةِ الإلـهيَّةِ لأهلِ القُربِ .

البابُ الثالثُ والثلاثونَ : في آدابِ الطهارةِ ومُقدِّماتِها .

البابُ الرابعُ والثلاثونَ : في آدابِ الوضوءِ وأسرارِهِ .

= فعل يصدر منه ، ثم يتجرَّد له فعل الله تعالىٰ ، وأورد في ذلك قصصاً جليلة عجيبة .

(١) الأربعينيَّة : عبارةٌ عن خلوة بين العبد وربِّه يلتزمُها سادتنا الصوفية ، وتُقدَّر بأربعين يوماً .

فهـٰذهِ الأبوابُ تحرَّرتْ بعونِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ مُشتمِلةً علىٰ بعضِ علومِ الصُّوفيَّةِ وأحوالِهِم ومقاماتِهِم ، وآدابِهِم وأخلاقِهِم ، وغرائبِ مواجيدِهِم ، وحقائقِ معرفتِهِم وتوحيدِهِم ، ودقيقِ إشاراتِهِم ، ولطيفِ اصطلاحاتِهِم .

فعلومُهُم كلُّها إنباءٌ عن وِجْدانٍ ، واعتزاءٌ إلىٰ عِرْفانٍ ، وذوقٌ تحقَّقَ بصدقِ الحالِ ، ولم يَفِ باستيفاءِ كُنْهِهِ صريحُ المقالِ ؛ لأنَّها مواهبُ ربَّانيَّةٌ ، ومنائحُ حَقَّانيَّةٌ ، استنزلَها صفاءُ السرائرِ ، وخُلُوصُ الضمائرِ ، فاستعصَتْ بكُنْهِها على الإشارةِ ، وطَفَحَتْ على العبارةِ[1] ، وتهادَتْها الأرواحُ بدَلالةِ التَّشَامِّ والائتلافِ[2] ، وكَرَعَتْ حقائقُها مِنْ بحرِ الألطافِ[3] .

وقد اندرسَ كثيرٌ مِنْ دقيقِ علومِهِم ، كما انطمسَ كثيرٌ مِنْ حقائقِ رُسومِهِم ، وقد قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (عِلْمُنا هـٰذا قد طُوِيَ بِساطُهُ منذُ كذا

---

(١) طَفَحت : امتلأت حتىٰ فاضت ؛ أي : أنَّ علوم سادتنا الصوفية لا تدخل في العبارة ؛ لدقَّتها وغلبتها على الفهوم .

(٢) في هامش (ج) : (التهادي : مراسلة الهدية من الجانبين ، والتشامُّ : الشمُّ من الجانبين أيضاً ، لا تدخل تلك العلوم في العبارة ؛ [لدقَّتها] وغلبتها على الفهوم ، بل تهادتها الأرواح بدَلالة التشامِّ ، [والتشامُّ] ها هنا : عبارةٌ عن فتح مَشامِّ قلب الطالب لأخذ الأنفاس العَطِرَةِ من صفاء ضمائر أهل الله ، والمعنىٰ : أنَّ كلَّ روح من الأرواح قَبِلَ في القرب موهبةً خاصة من الله ، ثم أهدىٰ بعض الأرواح إلىٰ بعضها شيئاً من موهبته ؛ بدلالة تشامِّ كلِّ واحدٍ ذلك من الآخر عند الطلب ؛ بدلالة ائتلاف الرُّوحية فيهم .

والحاصل : أنَّ الأرواح شمَّت تلك العلومَ والمنائح من مقام القرب من الله ، ثم أهدتها إلىٰ قلوب أصحابها ، ولم تقدر الأرواح أن تأخذ المواهب منه بوصولها إليها وإحاطتها بها ، بل بطريق التشامِّ لقربها وائتلافِها ومناسبتها بذلك العلم ، والله أعلم) .

(٣) كَرَعتْ : شربت وتناولت .

سنةً ، ونحنُ نتكلَّمُ في حواشيهِ)[1] .

وبدا هـٰذا القولُ منهُ في وقتِهِ معَ قُرْبِ العهدِ بعلماءِ السلفِ وصالِحِي التابعينَ ، فكيفَ بنا ذلكَ معَ بُعْدِ العهدِ وقلَّةِ العلماءِ الزاهدينَ ، والعارفينَ بحقائقِ علوم الدِّينِ ؟!

واللهُ المأمولُ أنْ يُقابِلَ جُهدَ المُقِلِّ بحسنِ القَبولِ ؛ إنَّهُ خيرُ مسؤولٍ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ[2] .

۞ ۞ ۞

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/٤٤٨) ، وفيه : (منذ عشرين سنةً) ، وأورد عن الجنيد أيضاً قوله : (كنتُ أجالس قوماً سنين يتحاورون في علوم لا أفهمُها ، ولا أدري ما هي ، وما بُلِيتُ بالإنكار قط ، كنتُ أتقبَّلُها وأُحِبُّها من غير أن أعرفها) ، وكان يقول أيضاً : (كُنَّا نتجارىٰ مع إخواننا قديماً في علومٍ كثيرة ما تُعرَف في وقتنا هـٰذا ، ولا سألني عنها أحدٌ) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي الشافعي) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءةً على الشيخ جلال الدين (. . .) ، كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الأول

في ذكر منشأ علوم الصوفية

(١) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ السُّهْرُوَرْدِيُّ إملاءً مِنْ لفظِهِ في شوَّالٍ سنةَ ستينَ وخمسِ مئةٍ ، قالَ : أخبرَنا الشريفُ نورُ الهدىٰ أبو طالبٍ الحسينُ بنُ محمَّدٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَريمةُ بنتُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المَرْوَزِيَّةُ المُجاوِرةُ بمكَّةَ حرسَها اللهُ ، قالتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ محمَّدُ بنُ المكيِّ الكُشْمِيهَنيُّ[١] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ يوسفَ الفِرَبْريُّ[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ البُخاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو كُرَيبٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو أسامةَ ، عن بُرَيدٍ ، عن أبي بُرْدةَ ، عن أبي موسى الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ

---

(١) نسبة إلىٰ (كُشْمِيهَنَ) قرية بمرو ، وقد حدَّث الكُشْمِيهَني بـ « صحيح البخاري » عن الفَرَبري مراتٍ عديدةً حتى اشتهر بذلك ، توفي في يوم عرفة سنة (٣٨٩هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٩١) ، و« إكمال الإكمال » (٢/ ٦٥٠) .

(٢) نسبة إلىٰ (فِرَبْرَ) بُليدة بين جَيْحُونَ وبُخارىٰ ، قال ياقوت الحموي : (بكسر أوَّله ، وقد فتحه بعضهم) انظر « معجم البلدان » (٤/ ٢٤٥) ، و« تبصير المنتبه » (٣/ ١١٠١) ، و« تاج العروس » (١٣/ ٣١١) ، والفربريُّ من أشهر وأوثق مَنْ روى « الصحيح » عن البخاري رحمهما الله تعالىٰ ، توفي سنة (٣٢٠هـ) وقد أشرف على التسعين .

مَا بعَثَنِي ٱللهُ بِهِ . . كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْماً فَقَالَ : يَا قَوْمِ ؛ إِنِّي رَأَيْتُ ٱلْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ ، وَإِنِّي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْعُرْيَانُ ، فَٱلنَّجَاءَ ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا ، فَٱنْطَلَقُوا عَلَىٰ مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ ، فَصَبَّحَهُمُ ٱلْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَٱجْتَاحَهُمْ ـ أي : استأصلَهُمْ ، ومِنْ ذلكَ : الجائحةُ التي تُفسِدُ الثِّمارَ ـ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَٱتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحَقِّ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْعِلْمِ . . كَمَثَلِ ٱلْغَيْثِ ٱلْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ، فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهَا طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ ٱلْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ ٱلْكَلأَ وَٱلْعُشْبَ ٱلْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِخَاذَاتٌ أَمْسَكَتِ ٱلْمَاءَ ، فَنَفَعَ ٱللهُ تعالىٰ بِهَا ٱلنَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً ؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٣) ، ورواه مسلم (٢٢٨٣) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٢) ، وفي (أ ، ج) : (فالنجاء النجاء) مكرَّراً ، وهي رواية في « البخاري » (٦٤٨٢) ، وقوله : (أنا النذير العُرْيان) قال الملا علي القاري في « المرقاة » (١/ ٢٣١) : (مثل مشهور سائرٌ بين العرب ، يُضرب لشدة الأمر ودُنُوِّ المحذور ، وبراءة المُحذِّر عن التُّهمة ، وأصلُهُ : أنَّ الرجل إذا رأى العدوَّ قد هجم علىٰ قومه وأراد أن يُفاجئهم وكان يخشىٰ لحوقَهُم قبل لحوقه . . تجرَّد عن ثوبه وجعله علىٰ رأسِ خشبةٍ وصاح ليأخذوا حِذْرهم ، وقيل : هو الذي غَشِيَهُ العدوُّ وكان ربيئةَ قومِهِ ـ أي : جاسوسَهُم ـ فأخذوه وتعلَّقوا بثيابه ، فانسلَّ منها ولحق بقومه فأنذرهم ، فلمَّا رأوه علىٰ حالته تلك ارتحلوا عن آخرهم ، وقيل : إنه الذي سَلَبَ العدوُّ ما عليه من الثياب ، فأتىٰ قومه عُرْياناً يخبرهم ، فصدَّقوه ؛ لما عليه من آثار الصدق ، وخُصَّ العريان بالذكر ؛ لأنه أبينُ في العين ، وأغرُّ وأشنعُ عند البصر) ، وقوله : (فالنجاء) جاء في غالب النسخ مكرراً ، والمثبت موافق لـ« الصحيح » ، وجاء فيه مكرراً في (باب الانتهاء عن المعاصي) برقم : (٦٤٨٢) .

دِينِ ٱللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى ٱللهِ ٱلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »[1] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : أعدَّ اللهُ تعالىٰ لقَبولِ ما جاءَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسلم . . أَصْفى القلوبِ وأَزْكى النفوسِ ، وظهرَ تفاوتُ الصفاءِ والتزكيةِ في تفاوتِ الفائدةِ والنفعِ .

فمِنَ القلوبِ : ما هوَ بمثابةِ الأرضِ الطيِّبةِ التي أنبتتِ الكلأَ والعشبَ الكثيرَ ، وهـٰذا مثلُ مَنِ انتفعَ بالعلمِ في نفسِهِ واهتدىٰ ، ونفعَهُ علمُهُ ، وهداهُ إلى الطريقِ القويمِ مِنْ متابعةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ومِنَ القلوبِ : ما هوَ بمثابةِ الإخاذاتِ ؛ أيِ : الغُدْرانِ ؛ جمعُ (إخاذةٍ) ؛ وهوَ المصنعُ والغَديرُ الذي يجتمعُ فيهِ الماءُ[2] ؛ فنفوسُ العلماءِ الزاهدينَ مِنَ الصُّوفيَّةِ والشيوخِ تزكَّتْ ، وقلوبُهُم صَفَتْ ، فاختصَّتْ بمزيدِ الفائدةِ ، فصاروا إخاذاتٍ .

قال مسروقٌ : (صحبتُ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ،

---

(1) رواه بنحوه البخاري (٧٩) ، ومسلم (٢٢٨٢) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٣) ، وقوله : (إخاذات) في نسخة علىٰ هامش (ج) : (أجادب) ، وسيأتي شرح المثبت بعد قليل في كلام المؤلف ، وقيعان : جمع (قاع) ؛ وهي الأرض المستوية الملساء .

(2) وهـٰذا الشرح من المؤلف بناء علىٰ رواية أبي ذر الهروي للحديث ، والمثبت في « الصحيحين » وغيرهما : (أجادب) بدل (إخاذات) ، والأجادب : جمع (جَدَب) ؛ وهي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء . انظر « فتح الباري » (١/ ١٧٦) ، و« مرقاة المفاتيح » (١/ ٢٣٤) .

فوجدتُهُم كالإخاذِ)[1] ؛ لأنَّ قلوبَهُم كانتْ واعيةً ، فصارتْ أوعيةَ العلومِ ؛ بما رُزِقتْ مِنْ صفاءِ الفُهُومِ .

(٢) ـ أخبرَنا الشيخُ الإمامُ رَضِيُّ الدِّينِ أبو الخيرِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو سعدٍ محمَّدٌ الخَليليُّ[2] ، قالَ : أخبرَنا القاضي أبو سعيدٍ محمَّدٌ الفَرُّخزاديُّ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدٍ الثعالبيُّ[4] ، قالَ : أخبرَنا ابنُ فَنْجُويَهْ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ حيَّانَ ، قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبي ، قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ عيسىٰ ، قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ عليٍّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو حمزةَ الثُّماليُّ ، قالَ : حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ ، قالَ : حينَ نزلتْ هٰذهِ الآيةُ : ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٢] . قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « سَأَلْتُ ٱللهَ تَعالَىٰ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يا عَلِيُّ » ، قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : فما نسيتُ شيئاً بعدُ ، وما كانَ لي أنْ أنسىٰ[5] .

---

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٤٢) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٥٤٢) ، وزادا : (فالإخاذُ يُرْوي الرجل ، والإخاذ يُرْوي الرجلين ، والإخاذ يُرْوي العشرة ، والإخاذ يُرْوي المئة ، والإخاذ لو نَزَلَ به أهلُ الأرض لأَصْدَرَهُم ، فوجدتُ عبدَ الله بنَ مسعود من ذلك الإخاذ) .

(٢) هو النَّوْقاني . انظر (١/ ٣٤٢) تعليقاً .

(٣) في (أ ، ب ، و) : (الفرخزاذي) بالمعجمة ؛ وهو محمد بن سعيد بن محمد الطوسي القاضي (ت٤٧٧هـ) ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (١/ ٧٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٢/ ٢٠٦) .

(٤) هو المُفسِّر المشهور ، ويُقال له : الثعلبي ، كما جاء كذلك في (د)، وهو لقب له لا نسب. انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (١/ ٢٣٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٣٦) .

(٥) الكشف والبيان (٢٧/ ٢٨٨) ، والحديث مرسل ، ورواه ابن جرير الطبري في =

قالَ أبو بكرٍ الواسِطِيُّ : (آذانٌ وَعَتْ عنِ اللهِ أسرارَهُ)[1] .

وقالَ أيضاً : (واعيةٌ في معادنِها ، ليسَ فيها غيرَ ما شاهدَها شيءٌ ، فهيَ الخاليةُ عمَّا سواهُ ، فما اضطرابُ الطبائعِ إلا ضربٌ مِنَ الجهلِ)[2] .

فقلوبُ الصُّوفيَّةِ وَعَتْ ؛ لأنَّهُم زَهِدُوا في الدنيا بعدَ أنْ أَحْكَمُوا أساسَ التقوىٰ ، فبالتقوىٰ زَكَتْ نفوسُهُم ، وبالزُّهدِ صَفَتْ قلوبُهُم ، فلمَّا عَدِمُوا شواغلَ الدنيا بتحقيقِ الزهدِ . . انفتحتْ مَسامُّ بواطنِهِم ، وسمعتْ آذانُ قلوبِهِم ، وأعانَهُم علىٰ ذلكَ زهدُهُم في الدنيا .

فعلماءُ التفسيرِ ، وأئمَّةُ الحديثِ ، وفقهاءُ الإسلامِ . . أحاطُوا عِلْماً بالكتابِ والسنةِ ، واستنبطُوا منهُما الأحكامَ ، وردُّوا الحوادثَ المُتجدِّدةَ إلىٰ أصولٍ مِنَ النصوصِ ، وحمى اللهُ تعالىٰ بهمُ الدِّينَ .

وعرفَ علماءُ التفسيرِ وجهَ التفسيرِ ، وعلمَ التأويلِ ، ومذهبَ العربِ في اللغةِ ، وغرائبَ النحوِ والتصريفِ ، وأصولَ القصصِ ، واختلافَ وجوهِ القراءةِ ، وصنَّفُوا في ذلكَ الكتبَ ، فاتَّسعَ بطريقِهِم علومُ القرآنِ على الأُمَّةِ .

= « تفسيره » (٢٣/ ٥٧٩) مرسلاً عن مكحول رحمه الله تعالىٰ . وانظر « تخريج أحاديث الكشاف » للزيلعي (٤/ ٨٤) ، و« غنية العارف » (١/ ١٥) .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٧) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٧) ، وقوله : (فما اضطراب) ؛ أي : فما اضطراب الطبائع لبعض الناس في حفظ العهود والأسرار . . إلا بظهور النفس وصفاتها ؛ لأنها منبعُ الجهالات ؛ يعني : ليس نسيان البيان ، ومانع الوعي والتذكر لأسرار الرحمـٰن . . إلا لاضطراب الطبائع عند التقلُّب في الأطوار والأزمان . من هامش (ج) .

وأئمَّةُ الحديثِ ميَّزُوا بينَ الصِّحاحِ والحِسانِ ، وتفرَّدُوا بمعرفةِ الرُّواةِ وأسامي الرجالِ ، وحكمُوا بالجَرْحِ والتعديلِ ؛ ليتبيَّنَ الصحيحُ مِنَ السقيمِ ، ويتميَّزَ المُعْوَجُّ مِنَ المستقيمِ ، فيتحفَّظَ بطريقِهم طريقُ الروايةِ والسندِ حفظاً للسُّنَّةِ[1] .

وانتدبَ الفقهاءُ لاستنباطِ الأحكامِ ، والتفريعِ في المسائلِ ، ومعرفةِ التعليلِ ، وردِّ الفروعِ إلى الأصولِ بالعِلَلِ الجوامعِ ، واستيعابِ الحوادثِ بحكمِ النصوصِ .

وتفرَّعَ مِنْ علمِ الفقهِ والأحكامِ علمُ أصولِ الفقهِ ، وعلمُ الخلافِ ، وتفرَّعَ مِنْ علمِ الخلافِ علمُ الجَدَلِ ، وأَحْوجَ علمُ أصولِ الفقهِ إلىٰ شيءٍ مِنْ علمِ أصولِ الدِّينِ[2] .

وكانَ مِنْ علمِهم علمُ الفرائضِ ، ولزِمَ منهُ علمُ الحسابِ والجبرِ والمقابلةِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ .

فتمهَّدتِ الشريعةُ وتأيَّدتْ ، واستقامَ الدِّينُ الحَنيفيُّ ، وتفرَّعَ وتأصَّلَ الهديُ النبويُّ المُصطَفَويُّ ، فأنبتتْ أراضي قلوبِ العلماءِ الكلأَ والعشبَ ؛ بما قَبِلتْ مِنْ مياهِ الحياةِ مِنَ الهدىٰ والعلمِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد : ١٧] .

---

(١) في (ب ، د ، و) : (فينحفظ) بدل (فيتحفظ) ، وفي نسخة على هامش (د) : (فانحفظ) .

(٢) في نسخة على هامش (ج) : (واحتاج) بدل (وأحوج) .

قالَ ابنُ عباسٍ : (الماءُ : العلمُ ، والأوديةُ : القلوبُ)[1] .

وقالَ أبو بكرٍ الواسِطِيُّ : (خلقَ اللهُ تعالىٰ دُرَّةً صافيةً ، فلاحظَها بعينِ الجلالِ ، فذابتْ حياءً منهُ ، فسالتْ ، فقالَ : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ ، فصفاءُ القلوبِ مِنْ وصولِ ذلكَ الماءِ إليها)[2] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ هـٰذا مَثَلٌ ضربَهُ اللهُ تعالىٰ للعبدِ إذا سالَ السيلُ في الأوديةِ ، لا يبقىٰ في الأوديةِ نجاسةٌ إلَّا كَنَسَها وذهبَ بها ؛ كذلكَ إذا سالَ النورُ الذي قَسَمَ اللهُ تعالىٰ للعبدِ في نفسِهِ ؛ لا يبقىٰ فيهِ غفلةٌ ولا ظُلْمةٌ ؛ ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني : قسمةَ النورِ ، ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ يعني : في القلوبِ الأنوارُ علىٰ ما قَسَمَ لها في الأزلِ ، ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ ، فتصيرُ القلوبُ مُنوَّرةً لا يبقىٰ فيها جَفْوةٌ[3] ، ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تذهبُ البواطلُ وتبقى الحقائقُ)[4] .

وقال بعضهم : (﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ أنواعَ الكراماتِ ، فأخذَ كلُّ قلبٍ بحظِّهِ ونصيبِهِ ؛ فسالتْ أوديةُ قلوبِ علماءِ التفسيرِ والحديثِ والفقهِ . . بقَدَرِها ، وسالتْ أوديةُ قلوبِ الصُّوفيَّةِ مِنَ العلماءِ الزاهدينَ في الدنيا المُتمسِّكينَ بحقائقِ التقوىٰ . . بقَدَرِها)[5] .

---

(١) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٣/ ١٠٦) ، والراغب الأصفهاني في « الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة » (ص ٨٨) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٣٠) ، وفيه : (بعين الجمال) بدل (بعين الجلال) .

(٣) أي : صفة ذميمة من الغِلْظة وغيرها .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٣٠ـ٣٣١) .

(٥) انظر « تفسير السلمي » (١/ ٣٣١) .

فمَنْ كانَ في باطنِهِ لَوْثُ محبَّةِ الدنيا مِنْ فضولِ المالِ والجاهِ ، وطَلَبِ المناصبِ والرِّفْعةِ . . سالَ وادي قلبِهِ بقَدَرِهِ ، فأخذَ مِنَ العلمِ طَرَفاً صالحاً ولمْ يحظَ بحقائقِ العلومِ ، ومَنْ زَهِدَ في الدُّنيا اتَّسعَ وادي قلبِهِ ، فسالتْ فيهِ مياهُ العلومِ ، واجتمعتْ وصارتْ إخاذاتٍ .

قيلَ للحسنِ البَصْريِّ : هكذا قالَ الفقهاءُ ، فقالَ : وهلْ رأيتَ فقيهاً قطُّ ؟! إنَّما الفقيهُ الزاهدُ في الدنيا[1] .

فالصُّوفيَّةُ أخذُوا حظّاً مِنْ علمِ الدِّراسةِ ، فأفادَهُم علمُ الدِّراسةِ العملَ بالعلمِ ، فلمَّا عَمِلُوا بما عَلِمُوا . . أفادَهُمُ العملُ علمَ الوِراثةِ ، فهم معَ سائرِ العلماءِ في علومِهِم ، وتميَّزُوا عنهُم بعلومٍ زائدةٍ ؛ هيَ علومُ الوِراثةِ ، وعلمُ الوِراثةِ : هوَ الفقهُ في الدِّينِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

فصارَ الإنذارُ مُستفاداً مِنَ الفقهِ ، والإنذارُ : إحياءُ المُنذَرِ بماءِ العلمِ ، والإحياءُ بالعلمِ رُتبةُ الفقيهِ في الدِّينِ ، فصارَ الفقهُ في الدِّينِ مِنْ أكملِ الرُّتَبِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٣٣٦) ، والدارمي في « المسند » (٣٠٢) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣٠) ضمن « زوائد نعيم بن حماد » ، والطبراني في « الأوسط » (٢٠٨٥) ، فالفقه في العصر الأول إنما كان ينصرف إلىٰ علم طريق الآخرة ، والزهد في الدنيا ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وغير ذلك ، إلىٰ أنْ حُوِّرَ ونُقِلَ إلىٰ علم الفروع الفقهية وما يتعلَّق بها ، وراجع « إحياء علوم الدين » (١/ ١٢٠) وما بعدها ؛ ففيه بحث نفيس مُحرَّر في ذلك .

وأَعْلاها ؛ وهوَ علمُ العالمِ الزاهدِ في الدُّنيا المُتَّقي ، الذي يبلُغُ رُتبةَ الإنذارِ بعلمِهِ .

فمَوْرِدُ الهدىٰ والعلمِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أوّلاً ؛ وَرَدَ عليهِ الهدىٰ والعلمُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فارتوىٰ بذلكَ ظاهراً وباطناً ، فظَهَرَ مِنِ ارتواءِ ظاهرِهِ الدِّينُ .

والدِّينُ : هوَ الانقيادُ والخضوعُ ؛ مُشتقٌّ مِنَ الدُّونِ ، فكلُّ شيءٍ اتَّضعَ فهوَ دُونٌ ، والدِّينُ : أنْ يَضَعَ الإنسانُ نفسَهُ لربِّهِ عزَّ وجلَّ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ : ١٣] .

فبالتفرُّقِ في الدِّينِ يستولي الذُّبولُ على الجوارحِ ، ويذهبُ عنها نَضارةُ العلمِ ، والنَّضارةُ في الظاهرِ بتزيينِ الجوارحِ بالانقيادِ في النَّفْسِ والمالِ . . مُستفادٌ مِنِ ارتواءِ القلبِ ، والقلبُ في ارتوائِهِ بالعلمِ بمثابةِ البحرِ .

فصارَ قلبُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالعلمِ والهدىٰ . . بحراً مَوَّاجاً ، ثمَّ وصلَ مِنْ بحرِ قلبِهِ إلى النَّفْسِ ، فظهرَ علىٰ نفسِهِ الشريفةِ نَضارةُ العلمِ وريُّهُ ، فتبدَّلتْ نعوتُ النَّفْسِ وأخلاقُها ، ثمَّ وصلَ إلى الجوارحِ جدولٌ فصارتْ ريَّانةً ناضرةً ، فلمَّا استتمَّ نَضارةً وامتلأَ رِيّاً . . بعثَهُ اللهُ تعالىٰ إلى الخلقِ ، فأقبلَ على الأمَّةِ بقلبٍ مَوَّاجٍ بمياهِ العلومِ ، واستقبلتْهُ جداولُ الفُهُومِ ، وجرىٰ مِنْ بحرِهِ في كلِّ جدولٍ قِسْطٌ ونصيبٌ ، وذلكَ القِسْطُ الواصلُ إلى الفهومِ هوَ الفقهُ في الدِّينِ .

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَا

عُبِدَ ٱللهُ بِشَيءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ في ٱلدِّينِ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ ، وَعِمَادُ هَـٰذَا ٱلدِّينِ ٱلْفِقْهُ »[1] .

(٣) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ رحمةُ اللهِ عليهِ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو طالبٍ الزَّينبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَريمةُ بنتُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ المَرْوَزيَّةُ ، قالتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ ، قالَ : أخبرَنا الفَرَبْرِيُّ ، قالَ : أخبرَنا البُخاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا سعيدُ ابنُ [عُفيرٍ][2] ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ ، عن يونسَ ، عنِ ابنِ شهابٍ ، عن حُميدِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ معاويةَ خطيباً يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنْ يُرِدِ ٱللهُ بِهِ خَيْراً . يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَٱللهُ يُعْطِي »[3] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : إذا وصلَ ماءُ العلمِ إلى الفهمِ . انفتحَ بصرُ القلبِ ، فأبصرَ الحقَّ والباطلَ ، وتبيَّنَ لهُ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ .

ولمَّا قرأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على الأعرابيِّ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ـ٨] . .

---

(١) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ١٠٩) دون قوله : « ولَفقيهٌ واحد . . . » ، ورواه بلفظه الدارقطني في « السنن » (٣٠٨٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٦١٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٠) .

(٢) في النسخ : (سعيد بن حفص) ، والمثبت من « صحيح البخاري » ، وهو سعيد بن كثير بن عُفير أبو عثمان المصري . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٥٨٣) ، و« تهذيب الكمال » (١١/ ٣٦ـ٣٧) .

(٣) صحيح البخاري (٧١) ، ورواه مسلم (١٠٣٨) .

قالَ الأعرابيُّ : حَسْبي حَسْبي ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَقُهَ الرَّجُلُ »[1] .

وروى عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (**أفضلُ العبادةِ : الفقهُ في الدِّينِ**)[2] .

والحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ جعلَ الفقهَ صفةَ القلبِ ؛ فقالَ تعالىٰ : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، **فلمَّا فقُهُوا عَلِمُوا ، ولمَّا عَلِمُوا عَمِلُوا ، ولمَّا عَمِلُوا عَرَفُوا ، ولمَّا عَرَفُوا اهتدَوْا** ؛ **فكلُّ مَنْ كانَ أفقهَ** كانتْ نفسُهُ أسرعَ إجابةً وأكثرَ انقياداً لمعالمِ الدِّينِ ، وأوفرَ حظّاً مِنْ نورِ اليقينِ .

فالعلمُ جملةٌ موهوبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ للقلوبِ ، **والمعرفةُ** تمييزُ تلكَ الجملةِ ، **والهدىٰ** وِجْدانُ القلوبِ ذلكَ ؛ فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا قالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْعِلْمِ »[3] . . أخبرَ أنَّهُ وجدَ القلبُ النبويُّ الهدىٰ والعلمَ ، فكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هادياً مَهْدِيّاً ، وعلمُهُ

---

(١) قوله : (فقُه) يُقال بكسر القاف وضمها ، والضمُّ أشهر وأجود . انظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ٢٨٤) ، والحديث رواه أحمد (٥/ ٥٩) ، والحاكم (٣/ ٦١٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١١٦٣٠) ، وليس فيها زيادة : (فقال رسول الله . . .) ، **والأعرابي المذكور في الحديث** : هو صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس ، كما صوَّبه ابن حجر وغيره ، ووقع في « المسند » و« سنن النسائي » وغيرهما أنه عم الفرزدق . انظر « أسد الغابة » (٣/ ٢١) ، و« الإصابة » (٣/ ٣٤٦) ، و« غنية العارف » (١/ ٢١ـ ٢٢) .

(٢) رواه القضاعي في « المسند » (١٢٩٠) عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٩٢٦٤) عن ابن عمر وحده ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٢) .

(٣) سبق تخريجه (١/ ١٦٤ـ ١٦٥) .

صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ منها وراثةٌ معجونةٌ فيهِ مِنْ آدمَ أبي البشرِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ ؛ حيثُ عُلِّمَ الأسماءَ كلَّها ، والأسماءُ سِمَةُ الأشياءِ ، فكرَّمَهُ اللهُ تعالىٰ بالعلمِ فقالَ : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٥] .

فآدمُ عليهِ السلامُ بما رُكِّبَ فيهِ مِنَ العلمِ والحكمةِ . . صارَ ذا الفهمِ والمعرفةِ والفطنةِ ، والرَّأفةِ واللُّطفِ ، والحبِّ والبُغْضِ ، والفرحِ والغمِّ ، والغضبِ والرِّضا ، والكِياسةِ ، ثمَّ اقتضاهُ استعمالُ كلِّ ذلكَ[1] ، وجُعِلَ لقلبِهِ بصيرةٌ واهتداءٌ إلى اللهِ تعالىٰ بالنورِ الذي وُهِبَ لهُ ؛ فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بُعِثَ إلى الأمَّةِ بالنورِ الموروثِ والموهوبِ لهُ خاصَّةً .

وقيلَ : لمَّا خاطبَ اللهُ تعالى السماواتِ والأرضَ بقولِهِ سبحانَهُ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . . نطقَ مِنَ الأرضِ وأجابَ موضعُ الكعبةِ ، ومِنَ السماءِ ما يُحاذيها ، وقد قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (أصلُ طينةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . مِنْ سُرَّةِ الأرضِ بمكَّةَ) .

فقالَ بعضُ العلماءِ : هٰذا يُشعِرُ بأنَّ ما أجابَ مِنَ الأرضِ ذرَّةُ المُصطفىٰ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ومِنْ موضعِ الكعبةِ دُحِيتِ الأرضُ ، فصارَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هوَ الأصلَ في التكوينِ ، والكائناتُ تبَعٌ لهُ .

وإلىٰ هٰذا الإشارةُ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ » ، وفي روايةٍ : « بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ »[2] ، وقيلَ : لذلكَ سُمِّيَ

---

(١) اقتضاه ؛ أي : دلَّ عليه .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد (٥/ ٥٩) ، =

أُمِّيّاً ؛ لأنَّ مكَّةَ أمُّ القُرىٰ ، وذَرَّتَهُ أمُّ الخليقةِ .

وتُرْبةُ الشخصِ مَدْفنُهُ ، فكانَ يقتضي أنْ يكونَ مَدْفنُهُ بمكَّةَ حيثُ كانتْ تُرْبتُهُ منها ، ولـٰكن قيلَ : الماءُ لمَّا تموَّجَ رمى الزَّبَدَ إلى النَّواحي ، فوقعتْ جوهرةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ ما يُحاذي تُرْبتَهُ بالمدينةِ ، فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَكِّيّاً مدنيّاً ، حنينُهُ إلىٰ مكَّةَ ، وتُرْبتُهُ بالمدينةِ .

والإشارةُ فيما ذكرْناهُ مِنْ ذَرَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . هوَ ما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وردَ في الحديثِ : (أنَّ اللهَ تعالىٰ مسحَ ظهرَ آدمَ وأخرجَ ذُرِّيَّتَهُ منهُ كهيئةِ الذَّرِّ)[1] ، استخرجَ الذَّرَّ مِنْ مَسَامِّ شَعَرِ آدمَ عليهِ السلامُ ، فخرجَ الذَّرُّ كخروجِ العَرَقِ .

وقيلَ : كانَ المَسْحُ مِنْ بعضِ الملائكةِ ، فأضافَ الفعلَ إلى المُسبِّبِ .

وقيلَ : معنى القولِ بأنَّهُ مَسَحَ ؛ أي : أحصىٰ ؛ كما تُحصى الأرضُ بالمساحةِ .

وكانَ ذلكَ ببطنِ نَعْمانَ ؛ وادٍ بجنبِ عرفةَ بينَ مكَّةَ والطائفِ .

فلمَّا خاطبَ اللهُ تعالى الذَّرَّ وأجابُوا بـ (بلىٰ) . . كتبَ العهدَ في رَقٍّ

= والحاكم (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) عن ميسرة الفجر رضي الله عنه ، وأما الرواية الأولىٰ : فقال السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص٥٢١) : (وأمَّا الذي على الألسنة بلفظ : « كنتُ نبيّاً وآدمُ بين الماء والطين » . . فلم نقفْ عليه بهـٰذا اللفظ) .

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٤١) ، والبزار في « المسند » (٤١٤٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٤ ـ ٢٥) .

أبيضَ[1] ، وأشهدَ عليهِ الملائكةَ ، وألْقَمَهُ الحجرَ الأسودَ[2] ، فكانتْ ذَرَّةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هيَ المُجيبةَ مِنَ الأرضِ ، والعلمُ والهدىٰ فيهِ معجونانِ ، فبُعِثَ بالعلمِ والهدىٰ موروثاً لهُ وموهوباً .

وقيلَ : لمَّا بعثَ اللهُ جبريلَ وميكائيلَ ليقبِضا قبضةً مِنَ الأرضِ . . فأَبَتْ[3] ، حتىٰ بعثَ اللهُ عزرائيلَ ، فقبضَ قبضةً مِنَ الأرضِ ، وكانَ إبليسُ قد وَطِئَ الأرضَ بقدمَيْهِ ، فصارَ بعضُ الأرضِ بينَ قدمَيْهِ ، والبعضُ بينَ موضعِ أقدامِهِ ، فخُلِقَتِ النَّفْسُ ممَّا مسَّ قدمُ إبليسَ ، فصارتْ مأوى الشرِّ ، وبعضُها لم يصلْ إليهِ قَدَمُ إبليسَ ، فمِنْ تلكَ التُّرْبةِ أصلُ الأنبياءِ والأولياءِ .

وكانتْ ذَرَّةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ موضعَ نظرِ اللهِ تعالىٰ مِنْ قبضةِ عزرائيلَ ، لم تمسَّها قَدَمُ إبليسَ ، فلم يُصِبْهُ حظُّ الجهلِ ، بل صارَ منزوعَ الجهلِ ، مُوَفَّراً حظُّهُ مِنَ العلمِ ، فبعثَهُ اللهُ تعالىٰ بالهدىٰ والعلمِ ، وانتقلَ مِنْ قلبِهِ إلى القلوبِ ، ومِنْ نَفْسِهِ إلى النُّفوسِ ، فوقعتِ المناسبةُ في أصلِ طهارةِ الطِّينةِ ، ووقعَ التأليفُ بالتعارفِ الأوَّلِ .

فكلُّ مَنْ كانَ أقربَ مناسبةً بنسبةِ طهارةِ الطِّينةِ . . كانَ أوفرَ حظّاً مِنْ قَبولِ ما جاءَ بهِ ، فكانتْ قلوبُ الصُّوفيَّةِ أقربَ مناسبةً ، فأخذتْ مِنَ العلمِ حظّاً

---

(١) الرَّق في الأصل : جلدٌ رقيق يُكتب فيه ، وكسرُ الراء لغة قليلة فيه .

(٢) رواه الحاكم (١/٤٥٧) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٣٧٤٩) ، وانظر « تفسير الطبري » (١٣/ ٢٢٢_٢٥٠) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٥٩٨_٦٠٧) ، وفيهما روايات متعددة فيما يتعلَّق بتفسير الآية السابقة ، وفيما أورده المؤلف ها هنا .

(٣) كذا في النسخ بدخول الفاء على الجواب ، وهو جائز علىٰ قلَّة ، كما صرَّح به بدر الدين ابن مالك في « تكملة شرحه على التسهيل » (٤/ ١٠٣) .

وافراً ، وصارتْ بواطنُهُم إخاذاتٍ ، فعَلِمُوا وعَمِلُوا ؛ كالإخاذِ الذي يُسقىٰ منهُ ويُزرَعُ منهُ ، وجمعُوا بينَ فائدةِ علمِ الدِّراسةِ وعلمِ الوِراثة بإحكامِ أساسِ التقوىٰ .

ولمَّا تزكَّتِ النفوسُ انجلتْ مرايا قلوبِهِم بما صَقَلَها مِنَ التقوىٰ ، فانجلىٰ فيها صُوَرُ الأشياءِ علىٰ هيئتِها وماهيَّتِها ، فبانتِ الدُّنيا بقُبْحِها فرفضُوها ، وظهرتِ الآخرةُ بحُسْنِها فطلبُوها ، فلمَّا زَهِدُوا في الدنيا انصبَّتْ إلىٰ بواطنِهِم أقسامُ العلوم انصباباً ، وانضافَ إلىٰ علمِ الدِّراسةِ علمُ الوراثةِ .

واعلمْ : أنَّ كلَّ حالٍ شريفٍ نعزوهُ إلى الصُّوفيِّ في هـٰذا الكتابِ[1] . . هوَ حالُ المُقرَّبِ ، والصُّوفيُّ هوَ المُقرَّبُ ، وليسَ في القرآنِ اسمُ الصُّوفيِّ ، واسمُ الصُّوفيِّ تُرِكَ ووُضِعَ للمُقرَّبِ علىٰ ما سنشرحُ ذلكَ في بابِهِ[2] .

ولا يُعرَفُ في طَرَفَيْ بلادِ الإسلامِ شرقاً وغرباً هـٰذا الاسمُ لأهلِ القُرْبِ ، وإنَّما يُعرَفُ للمُترسِّمينَ ، وكم مِنَ الرجالِ المُقرَّبينَ في بلادِ المغربِ وبلادِ تُرْكستانَ وما وراءَ النهرِ وفَرْغَانةَ ولا يُسمَّونَ صُوفيَّةً !! لأنَّهُم لا يتزيَّونَ بزيِّ الصُّوفيَّةِ ، ولا مُشاحَّةَ في الألفاظِ .

فيُعلَمُ أنَّا نعني بالصُّوفيَّةِ : المُقرَّبينَ .

---

(١) في (أ ، و) ونسخة علىٰ هامش (د) : (نعزيه) بدل (نعزوه) ، وكلاهما صحيح ، إلا أنَّ الواو أفصحُ ، كما نصَّ عليه الإمام النووي في « تحرير ألفاظ التنبيه » (ص٣٤٤) .

(٢) انظر (١/٢٦٧ـ٢٦٩) .

فمشايخُ الصُّوفيّةِ الذينَ أسماؤُهُم في الطبقاتِ وغيرِ ذلكَ مِنَ الكتبِ[1] . . كلُّهُم كانُوا في طريقِ المُقرَّبينَ ، وعلومُهُم علومُ أحوالِ المُقرَّبينَ .

ومَنْ تطلَّعَ إلىٰ مقامِ المُقرَّبينَ مِنْ جملةِ الأبرارِ . . فهوَ مُتصوِّفٌ ، ما لم يتحقَّقْ بحالِهِم ، فإذا تحقَّقَ بحالِهِم صارَ صُوفياً ، ومَنْ عداهُما مِمَّنْ تميَّزَ بزيٍّ ونُسِبَ إليهِم . . فهوَ مُتشبِّهٌ ، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ ، واللهُ أعلمُ[2] .

۞ ۞ ۞

---

(١) يحتمل : أنه يريد بـ(الطبقات) « طبقات الصوفية » للسلمي ، ويحتمل العموم .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في الثاني للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءةً في الثاني علىٰ جلال الدين ، كاتبه عبد السلام) .

الباب الثاني

في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع

(٤) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو منصورٍ المُقرِئُ ، قالَ : أخبرَنا الإمامُ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ الهاشميُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ اللُّؤْلُؤيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو داودَ السِّجِسْتانيُّ ، قالَ : حدَّثَنا مُسدَّدٌ ، قالَ : حدَّثَنا يحيىٰ ، عن شُعبةَ ، قالَ : حدَّثَني عمرُ بنُ سليمانَ مِنْ ولدِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ أَبَانٍ ، عن أبيهِ ، عن زيدِ بنِ ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « نَضَّرَ اللهُ ٱمْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ »(١) .

قالَ الشيخُ : أساسُ كلِّ خيرٍ : حُسْنُ الاستماعِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٣] .

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٦٠) ، ورواه الترمذي (٢٦٥٦) ، والدارمي (٢٣٥) ، وفي الباب عن غير زيد بن ثابت رضي الله عنه . انظر « غنية العارف » (١/ ٢٨-٢٩) ، وقد أفرد مؤلفها المحدث الشريف أحمد ابن الصدِّيق الغماري رسالةً في طرق هٰذا الحديث سمَّاها : « المسك التبتي في طُرُق حديث نضَّر الله امرأ سمع مقالتي » .

يقولُ بعضُهُم : (علامةُ الخيرِ في السَّماعِ : أنْ يسمعَ العبدُ بفَناءِ أوصافِهِ ونُعُوتِهِ ، ويسمعَهُ بحقٍّ مِنْ حقٍّ)[1] .

وقالَ بعضُهُم : (لو عَلِمَهُم أهلاً للسماعِ لفتحَ آذانَهُم للاستماعِ)[2] ، فمَنْ تملَّكَتْهُ الوساوسُ ، وغلبَ علىٰ باطِنِهِ حديثُ النفسِ . . لا يقدِرُ علىٰ حُسْنِ الاستماعِ .

فالصُّوفيَّةُ وأهلُ القُرْبِ لمَّا عَلِمُوا أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ رسائلُهُ إلىٰ عبادِهِ ومخاطباتُهُ إيَّاهُم . . رأَوْا كلَّ آيةٍ مِنْ كلامِ اللهِ تعالىٰ بحراً مِنْ أَبْحُرِ العلمِ ؛ بما يتضمَّنُ مِنْ ظاهرِ العلمِ وباطِنِهِ ، وجَلِيِّهِ وخَفِيِّهِ ، وباباً مِنْ أبوابِ الجنةِ ؛ باعتبارِ ما تُنبِّهُ أو تدعو إليهِ مِنَ العملِ .

ورأَوْا كلامَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ الذي لا ينطِقُ عنِ الهوىٰ ، إنْ هوَ إلَّا وحيٌ يُوحىٰ ـ مِنْ عندِ اللهِ يتعيَّنُ الاستماعُ إليهِ ، فكانَ مِنْ أهمِّ ما عندَهُمُ الاستعدادُ للاستماعِ .

ورأَوْا أنَّ حُسْنَ الاستماعِ قَرْعُ بابِ المَلَكُوتِ ، واستنزالُ بركةِ الرَّغَبُوتِ والرَّهَبُوتِ .

ورأَوْا أنَّ الوساوسَ أَدْخِنةٌ ثائرةٌ مِنْ نارِ النفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ ، وقَتامٌ يتراكمُ مِنْ نَفْثِ الشيطانِ[3] ، وأنَّ الحظوظَ العاجلةَ والأقسامَ الدُّنيويَّةَ التي هيَ مَناطُ الهوىٰ ومَثارُ الرَّدىٰ . . بمثابةِ الحَطَبِ الذي تزدادُ النارُ بهِ تأجُّجاً ،

---

(١) انظر « تفسير السلمي » (١/ ٢٦٣) .

(٢) انظر « تفسير السلمي » (١/ ٢٦٤) .

(٣) القَتَام : الغبار .

ويزدادُ القلبُ بهِ تحرُّجاً ، فرفضُوا الدنيا وزَهِدُوا فيها ، فلمَّا انقطعتْ عن نارِ النفسِ أحطابُها ، وَفَترتْ نِيرانُها ، وقلَّ دُخانُها . . شَهِدتْ بواطنُهُم وقلوبُهُم مصادرَ العلومِ ، فهيَّؤوا مواردَها بصفاءِ الفُهُومِ ، فلمَّا شَهِدُوا سمعُوا ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

قالَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ : (موعظةُ القرآنِ لمَنْ قلبُهُ حاضرٌ معَ اللهِ لا يَغفُلُ عنهُ طَرْفةَ عينٍ)[١] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (القلبُ قلبانِ : قلبٌ قدِ احتشىٰ بأشغالِ الدُّنيا ؛ حتىٰ إذا حضرَ أمرٌ مِنْ أمورِ الطاعةِ[٢] . . لم يدرِ صاحبُهُ ما يصنعُ ؛ مِنْ شغلِ قلبِهِ بالدُّنيا ، وقلبٌ قدِ احتشىٰ بأحوالِ الآخرةِ ؛ حتىٰ إذا حضرَ أمرٌ مِنْ أمورِ الدُّنيا . . لم يدرِ صاحبُهُ ما يصنعُ ؛ لذهابِ قلبِهِ في الآخرةِ ، فانظرْ كم بينَ بركةِ تلكَ الأفهامِ الثابتةِ[٣] ، وشُؤْمِ هٰذهِ الأشغالِ الفانيةِ التي أقعدتْكَ عنِ الطاعةِ)[٤] .

قالَ بعضُهُم : (لمَنْ كانَ لهُ قلبٌ سليمٌ مِنَ الأغراضِ والأمراضِ)[٥] .

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/٢٦٩) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/٤٩١) .

(٢) وهي أمور الآخرة ، كما صُرِّح بذلك في « الكشف والبيان » بدل المثبت ، وجاء كذلك في نسخة علىٰ هامش (أ ، هـ) .

(٣) في (أ ، ب ، هـ ، و) : (الأوهام) بدل (الأفهام) ، وفي (ج) ونسخة علىٰ هامش (د) : (الأحوال) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/٢٦٩) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/٤٩١) .

(٥) انظر « تفسير السلمي » (٢/٢٦٩) ، وفيه وفي (ب) : (الأعراض) بدل (الأغراض) .

قالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : لمَنْ كانَ لهُ قلبٌ لا يخطرُ فيهِ إلا شهودُ الربِّ ، وأنشدَ : [من البسيط]

أَنْعِي إِلَيْكَ قُلُوباً طَالَمَا هَطَلَتْ سَحَائِبُ ٱلْوَحْيِ فِيهَا أَبْحُرَ ٱلْحِكَمِ[1]

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (قلبٌ لاحظَ الحقَّ بعينِ التعظيمِ ، فذابَ لهُ وانقطعَ إليهِ عمَّا سواهُ)[2] .

وقالَ الواسِطيُّ : (أي : لَذِكْرىٰ لقومٍ مخصوصينَ لا لسائرِ الناسِ ، لمَنْ كانَ لهُ قلبٌ ؛ أي : في الأَزَلِ ؛ وهمُ الذينَ قالَ اللهُ تعالىٰ فيهِم : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢])[3] .

وقالَ أيضاً : (المشاهدةُ تُذهِلُ ، والحَجْبَةُ تُفهِمُ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ إذا تجلَّىٰ لشيءٍ خضعَ لهُ وخشعَ) .

وهٰذا الذي قالَهُ الواسطيُّ صحيحٌ في حقِّ أقوامٍ ، وهٰذهِ الآيةُ تَحكُمُ بخلافِ هٰذا لأقوامٍ آخرينَ ؛ وهمْ أربابُ التمكينِ ؛ يجمعُ لهم بينَ المشاهدةِ والفهمِ ؛ فموضعُ الفهمِ مَحَلُّ المحادثةِ والمكالمةِ ؛ وهوَ سمعُ القلبِ ، وموضعُ المشاهدةِ بصرُ القلبِ .

وللسمعِ حُكْمُهُ وفائدتُهُ ، وللبصرِ حُكْمُهُ وفائدتُهُ ؛ فمَنْ هوَ في سُكْرِ الحالِ يغيبُ سمعُهُ في بصرِهِ ، ومَنْ هوَ في حالِ الصَّحْوِ والتَّمْكينِ لا يغيبُ سمعُهُ في بصرِهِ ؛ لتملُّكِهِ ناصيةَ الحالِ ، ويفهمُ بالوِعاءِ الوجوديِّ المُستعِدِّ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٩) ، والبيت في « أخبار الحلاج » (ص٦٥) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٩) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٩) .

لفهمِ المقالِ ؛ لأنَّ الفهمَ مَوْرِدُ الإلهامِ والسماعِ ، والإلهامُ والسماعُ يستدعيانِ وِعاءً وجوديّاً ، وهٰذا الوجودُ يكونُ موهوباً مُنْشَأً إنشاءً ثانياً للمُتمكِّنِ في مقامِ الصَّحْوِ ، وهوَ غيرُ الوجودِ الذي يتلاشىٰ عندَ لمَعَانِ نورِ المشاهدةِ لمَنْ جازَ علىٰ مَمَرِّ الفناءِ إلىٰ مَقَارِّ البقاءِ[1] .

وقالَ ابنُ سَمْعُونٍ[2] : (إنَّ في ذلكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لهُ قلبٌ يعرفُ آدابَ الخِدْمةِ ، وآدابُ القلبِ ثلاثةُ أشياءَ : فالقلبُ إذا ذاقَ طعمَ العبادةِ عَتَقَ مِنْ رِقِّ الشهوةِ ؛ فمَنْ وقفَ عن شهوتِهِ وجدَ ثُلُثَ الأدبِ ، ومَنِ افتقرَ إلىٰ ما لمْ يجدْ مِنَ الأدبِ بعدَ الاشتغالِ بما وَجَدَ . . فقدْ وجدَ ثُلُثي الأدبِ ، والثالثُ امتلاءُ القلبِ بالذي بدأَ بالفضلِ عندَ الوفاءِ تفضُّلاً)[3] .

وقالَ محمَّدُ بنُ عليٍّ الباقرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (موتُ القلبِ مِنْ شهواتِ النفسِ ، فكلَّما رفضَ شهوةً نالَ مِنَ الحياةِ بِقِسْطِها)[4] ، فالسماعُ للأحياءِ لا للأمواتِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل : ٨٠] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (القلبُ رقيقٌ تُؤَثِّرُ فيهِ الخَطَراتُ المذمومةُ ، وأَثَرُ القليلِ عليهِ كثيرٌ)[5] ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن

---

(١) في (أ) ونسخة علىٰ هامش (هـ) : (مقام) بدل (مقار) ، وفي (د) : (مقر) .

(٢) يجوز في (سَمْعون) الصرفُ وعدمه ، ومثله : (سمنون) و(سحنون) و(حمدون) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٧٠) ، وقوله : (عند الوفاء تفضُّلاً) ؛ أي : عند الوفاء بما يوجبه الاستحقاق . من هامش (ز) ، وفي بعض النسخ المطبوعة : (فالذي بدأ بالفضل عند الوفاء تفضُّلاً . . فقد وجد كلَّ الأدب) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٧٠) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٨٠) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٧٠) .

يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

فالقلبُ عَمَّالٌ لا يفترُ ، والنفسُ يَقْظَىٰ لا تَرقُدُ ، فإنْ كانَ العبدُ مُستمِعاً إلى اللهِ[١] ، وإلَّا فهوَ مُستمِعٌ إلى الشيطانِ والنفسِ ، فكلُّ شيءٍ سدَّ بابَ الاستماعِ فمِنْ حركةِ النفسِ ، وفي حركتِها يَطرُقُ الشيطانُ[٢] ، وقد وردَ : « لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَىٰ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ . . لَنَظَرُوا إِلَىٰ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ »[٣] .

وقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ الحلَّاجُ : (بصائرُ المُبصِرينَ ، ومعارفُ العارفينَ ، ونورُ العلماءِ الربَّانيِّينَ ، وطُرُقُ السابقينَ الناجينَ ، والأَزَلُ والأَبَدُ وما بينَهُما مِنَ الحَدَثِ . . لمَنْ كانَ لهُ قلبٌ أو ألقى السمعَ وهوَ شهيدٌ)[٤] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (هوَ القلبُ الذي يُلاحِظُ الحقَّ ويُشاهِدُهُ ، ولا يغيبُ عنهُ خَطْرةً ولا فَتْرةً ، فيسمعُ بهِ بل يسمعُ منهُ ، ويشهدُ بهِ بل يشهدُهُ ، فإذا لاحظَ القلبُ الحقَّ بعينِ الجلالِ . . فَزِعَ وارتعدَ ، وإذا طالعَهُ بعينِ الجمالِ . . هَدَأَ واستقرَّ)[٥] .

وقالَ بعضُهُم : (لمَنْ كانَ لهُ قلبٌ بصيرٌ يَقْوىٰ على التجريدِ معَ اللهِ تعالىٰ

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (ب) : (القلب) بدل (العبد) .
(٢) أو يُضبط : (تطَرُّقُ الشيطان) ، كما في بعض النسخ ، وفي بعضها : (يتطرَّق الشيطان) .
(٣) رواه بنحوه أحمد (٢/ ٣٥٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٧٧٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٣ـ ٣٤) .
(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٧٠) ، وفيه : (المناجين) بدل (الناجين) .
(٥) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٧٠) .

والتفريدِ لهُ ، حتىٰ يخرجَ مِنَ الدُّنيا والخَلْقِ والنَّفْسِ ، فلا يشتغلُ بغيرِهِ ، ولا يركَنُ إلىٰ سواهُ)[1] .

فقلبُ الصُّوفيِّ مُجرَّدٌ عنِ الأكوانِ ، أَلقَىٰ سمعَهُ ، وشَهِدَ بصرُهُ ؛ فسمِعَ المسموعاتِ ، وأَبْصرَ المُبصَراتِ ، وشاهدَ المشهوداتِ ؛ لتَخَلُّصِهِ إلى اللهِ تعالىٰ ، واجتماعِهِ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ ، والأشياءُ كلُّها عندَ اللهِ ، وهوَ عندَهُ ، فسَمِعَ وشاهدَ ، فأَبْصرَ وسَمِعَ جُمَلَها ، ولم يسمعْ ولم يُشاهِدْ تفاصيلَها ؛ لأنَّ الجُمَلَ تُدرَكُ لسَعَةِ عينِ الشهودِ ، والتفاصيلَ لا تُدرَكُ لضِيقِ وِعاءِ الوجودِ ، واللهُ تعالىٰ هوَ العالِمُ بالجُمَلِ والتفاصيلِ .

وقد مثَّلَ بعضُ الحُكَماءِ تفاوتَ الناسِ في الاستماعِ وقالَ : إنَّ الباذرَ خرجَ ببَذْرِهِ فملأَ منهُ كفَّهُ ، فوقعَ منهُ شيءٌ علىٰ ظهرِ الطريقِ ، فلمْ يلبَثْ أنِ انحطَّ عليهِ الطيرُ فاختطفَهُ .

ووقعَ منهُ شيءٌ على الصَّفْوانِ ـ وهوَ الحجرُ الأملسُ عليهِ ترابٌ يسيرٌ وندىً قليلٌ ـ فنبتَ ، حتىٰ إذا وصلتْ عُرُوقُهُ إلى الصَّفا . . لمْ تجدْ مَساغاً تَنفُذُ فيهِ ، فيَبِسَ .

ووقعَ منهُ شيءٌ علىٰ أرضٍ طَيِّبةٍ فيها شوكٌ نابتٌ ، فنبتَ ، فلمَّا ارتفعَ خَنَقَهُ الشوكُ فأفسدَهُ واختلطَ بهِ .

ووقعَ منهُ شيءٌ علىٰ أرضٍ طَيِّبةٍ ليسَ علىٰ ظهرِ الطريقِ ولا على الصَّفْوانِ ولا فيها شوكٌ ، فنبتَ ونما وصَلَحَ .

فمَثَلُ الباذرِ مَثَلُ الحكيمِ ، ومَثَلُ البَذْرِ كمَثَلِ صوابِ الكلامِ .

---

(1) عزاه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٧٠) إلىٰ ابن عطاء رحمه الله تعالىٰ .

ومَثَلُ ما وقعَ علىٰ ظهرِ الطريقِ . . مَثَلُ الرجلِ يستمعُ إلى الكلامِ وهوَ لا يريدُ أنْ يسمعَهُ ، فما يلبَثُ الشيطانُ أنْ يَخطَفَهُ مِنْ قلبِهِ فينساهُ .

ومَثَلُ الذي وقعَ على الصَّفْوانِ . . مَثَلُ الرجلِ يستمعُ إلى الكلامِ فيستحسنُهُ ، ثمَّ تُفضِي الكلمةُ إلىٰ قلبٍ ليسَ فيهِ عزمٌ على العملِ ، فيُنسَخُ مِنْ قلبِهِ .

ومَثَلُ الذي وَقَعَ في أرضٍ طَيِّبَةٍ فيها شوكٌ . . مَثَلُ الرجلِ يستمعُ إلى الكلامِ وهوَ ينوي أنْ يعملَ بهِ ، فإذا اعترضتْ لهُ الشهواتُ قيَّدتْهُ عنِ النهوضِ إلى العملِ ، فيتركُ ما نوىٰ عملَهُ لغلبةِ الشهوةِ ؛ كالزرعِ يختنقُ بالشوكِ .

ومَثَلُ الذي وَقَعَ في أرضٍ طَيِّبَةٍ لاشوكَ فيها . . مَثَلُ المُستمِعِ الذي ينوي عملَهُ ، فيفهمُهُ ويعملُ بهِ ويُجانبُ هواهُ .

وهـٰذا الذي جانبَ الهوىٰ ، وانتهجَ سُبُلَ الهدىٰ . . هوَ الصُّوفيُّ ؛ لأنَّ للهوىٰ حلاوةً ، والنفسُ تشرَّبَتْ حلاوةَ الهوىٰ ، فهيَ تَركَنُ إليهِ وتَستلِذُّهُ ، واستلذاذُ الهوىٰ هوَ الذي يَخنُقُ النَّبْتَ كالشوكِ ، وقلبُ الصُّوفيِّ نازلَهُ حلاوةُ الحُبِّ الصافي ، والحبُّ الصافي يُعلِّقُ الروحَ بالحضرةِ الإلـٰهيَّةِ[1] ، ومِنْ قُوَّةِ انجذابِ الروحِ إلى الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ بدَاعِيَةِ الحبِّ . . تستتبعُ القلبَ والنَّفْسَ[2] .

وحلاوةُ الحبِّ للحضرةِ الإلـٰهيَّةِ تَغلِبُ حلاوةَ الهوىٰ ؛ لأنَّ حلاوةَ الهوىٰ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّتْ مِنْ فوقِ الأرضِ ما لها مِنْ قرارٍ ؛ لكونِها لا ترتقي عن حدِّ النَّفْسِ ، وحلاوةَ الحبِّ كشجرةٍ طيِّبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ ؛

---

(١) قوله : (يُعلِّقُ الروحَ) ضُبط في بعض النسخ : (تَعلَّقُ الروحِ) .

(٢) في (ج) : (يستتبع القلب النفس) .

لأنَّها مُتأصِّلةٌ في الرُّوحِ ، فرعُها عندَ اللهِ وعروقُها ضاربةٌ في أرضِ النفسِ .

فإذا سمعَ الكلمةَ مِنَ القرآنِ أو مِنْ كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . يتشرَّبُها بالروحِ والقلبِ والنفسِ ، ويُفدِّيها بكُلِّيَّتِهِ ويقولُ[1] : [من البسيط]

أَشَمُّ مِنْكَ نَسِيماً لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَظُنُّ لَمْيَاءَ جَرَّتْ فِيكَ أَرْدَانَا

فتَعُمُّهُ الكلمةُ وتشملُهُ ، وتصيرُ كلُّ شعرةٍ منهُ سمعاً ، وكلُّ ذرَّةٍ منهُ بصراً ، فيسمعُ الكلَّ بالكلِّ ، ويُبصِرُ الكلَّ بالكلِّ ، ويقولُ[2] : [من الخفيف]

لِي حَبِيبٌ خَيَالُهُ نُصْبُ عَيْنِي سِرُّهُ فِي ضَمَائِرِي مَدْفُونُ
إِنْ تَأَمَّلْتُكُمْ فَكُلِّي عُيُونٌ أَوْ تَذَكَّرْتُكُمْ فَكُلِّي قُلُوبُ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ١٧ـ١٨] .

قالَ بعضُهُم : (اللُّبُّ والعقلُ مئةُ جزءٍ ؛ تسعةٌ وتسعونَ في النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وجزءٌ في سائرِ المؤمنينَ ، والجزءُ الذي في سائرِ المؤمنينَ أحدٌ وعشرونَ سهماً ؛ فسهمٌ تَساوَى المؤمنونَ كلُّهُم فيهِ ؛ وهوَ شهادةُ : « أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّداً رسولُ اللهِ » ، وعشرونَ سهماً يتفاضلونَ فيها علىٰ مقاديرِ حقائقِ إيمانِهِم)[3] .

قيلَ : في هٰذهِ الآيةِ إظهارُ فضيلةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛

---

(١) البيت للشريف الرضي في « ديوانه » (٢/ ٤٠٥) ، ولمياء : مؤنث (أَلْمىٰ) ، واللَّمَىٰ : سُمْرة في الشفة ، والأَرْدان : جمع (رُدْن) ؛ وهو أصل الكُمِّ .

(٢) أورد البيتين أسامة ابن منقذ في « البديع في نقد الشعر » (ص١٨٤) .

(٣) انظر « تفسير السلمي » (٢/ ١٩٥) .

أيِ : الأحسنُ ما يأتي بهِ ؛ لأنَّهُ لمَّا وقعتْ لهُ صُحْبةُ التمكينِ ، ومقارنةُ الاستقرارِ قبلَ خَلْقِ الكونِ . . ظهرتْ عليهِ الأنوارُ في الأحوالِ كلِّها ، وكانَ معَهُ أحسنُ الخطابِ ، ولهُ السَّبْقُ في جميعِ المقاماتِ ؛ أَلَا تراهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « نَحْنُ ٱلْآخِرُونَ ٱلسَّابِقُونَ »[1] ؛ أيِ : الآخِرونَ وجوداً ، السابقونَ في الخطابِ الأوَّلِ في الفضلِ في محلِّ القُدْسِ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

قالَ الحارثُ المُحاسِبيُّ : (مَنْ لم يسمعْ نداءَ اللهِ تعالىٰ . . كيفَ يُجيبُ داعيَ اللهِ ؟!)[2] .

قالَ الجُنَيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (تَنسَّمُوا رُوحَ ما دعاهُم إليهِ ، فأسرعُوا إلىٰ مَحْوِ العلائقِ الشاغلةِ ، وهَجَمُوا بالنفوسِ علىٰ مُعانقةِ الحَذَرِ ، وتَجرَّعُوا مرارةَ المُكابدةِ ، وصَدَقُوا اللهَ في المُعاملةِ ، وأَحْسَنُوا الأدبَ فيما تَوَجَّهُوا إليهِ ، وهانتْ عليهِمُ المصائبُ ، وعَرَفُوا قَدْرَ ما يَطلُبونَ ، وسَجَنُوا هُمومَهُم عنِ التقلُّبِ إلىٰ مذكورٍ سوىٰ وليِّهِم ، فحَيُوا حياةَ الأبدِ بالحيِّ الذي لم يَزَلْ ولا يزالُ)[3] .

---

(١) رواه البخاري (٢٣٨) ، ومسلم (٨٥٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٧٥ ـ ٧٦) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٦٢) ضمن كلام طويل ، وأورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٢٦٤) ، وفي (ب ، ج ، و) : (همهم) بدل (همومهم) ، وفي « الحلية » : (همومهم عن التلفُّت) .

وقالَ الواسِطِيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (حياتُها تصفيتُها عن كلِّ معلولٍ لفظاً وفعلاً)[1] .

وقالَ بعضُهُمْ : (استَجِيبُوا للهِ بسرائرِكُم ، وللرسولِ بظواهِرِكُم ؛ فحياةُ النفوسِ بمتابعةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وحياةُ القلوبِ بمُشاهدةِ الغيوبِ ؛ وهوَ الحياءُ مِنَ اللهِ تعالىٰ برؤيةِ التقصيرِ)[2] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (في هٰذهِ الآيةِ الاستجابةُ علىٰ أربعةِ أوجهٍ : أوَّلُها : إجابةُ التوحيدِ ، والثاني : إجابةُ التحقيقِ ، والثالثُ : إجابةُ التسليمِ ، والرابعُ : إجابةُ التقريبِ)[3] .

فالاستجابةُ علىٰ قَدْرِ السماعِ ، والسماعُ مِنْ حيثُ الفهمُ ، والفهمُ علىٰ قَدْرِ المعرفةِ بقَدْرِ الكلامِ ، والمعرفةُ بالكلامِ علىٰ قَدْرِ المعرفةِ والعلمِ بالمُتكلِّمِ ، ووجوهُ الفهمِ لا تَنحصِرُ ؛ لأنَّ وجوهَ الكلامِ لا تَنحصِرُ ؛ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

فللّهِ تعالىٰ في كلِّ كلمةٍ مِنَ القرآنِ كلماتُهُ التي يَنفَدُ البحرُ دونَ نَفادِها[4] ؛ فكلُّ الكلامِ كلمةٌ ؛ نظراً إلىٰ ذاتِ التوحيدِ ، وكلُّ كلمةٍ كلماتٌ ؛ نظراً إلىٰ سَعَةِ العلمِ الأزليِّ .

(٥) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٢٦٤) .
(٢) انظر « تفسير السلمي » (١/ ٢٦٤) .
(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٢٦٤) .
(٤) في (د) : (كلمات) بدل (كلماته التي) .

عليهِ ، قالَ : أخبرَنا الرئيسُ أبو عليٍّ بنُ نَبْهانَ ، قالَ : أخبرَنا الحسنُ بنُ شَاذانَ ، قالَ : أخبرَنا دَعْلَجُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ البغويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ، قالَ : حدَّثَنا حَجَّاجٌ ، عن حمَّادِ بنِ سلمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عنِ الحسنِ ، يرفعُهُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَا نَزَلَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ[١] ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ » ، قال : فقلتُ : يا أبا سعيدٍ[٢] ؛ ما المُطَّلَعُ ؟ قالَ : يطَّلِعُ قومٌ يعملونَ بهِ .

قالَ أبو عُبيدٍ : (أَحسَبُ أنَّ قولَ الحسنِ هـٰذا إنَّما ذهبَ إلىٰ قولِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ)[٣] .

قالَ أبو عُبيدٍ : حدَّثَني حَجَّاجٌ ، عن شُعبةَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ما مِنْ حرفٍ أو آيةٍ إلَّا وقدْ عَمِلَ بها قومٌ ، أو لها قومٌ سيعملونَ بها)[٤] .

فالمُطَّلَعُ : المَصعَدُ يُصعَدُ إليهِ مِنْ معرفةِ علمِهِ ، فيكونُ المُطَّلَعُ الفهمَ

---

(١) في (د) : (ظاهر وباطن) .

(٢) القائل : هو علي بن زيد التيمي الوارد في السند ، وأبو سعيد : كنية الحسن البصري التابعي الشهير رحمه الله تعالىٰ .

(٣) فضائل القرآن (ص٩٨) دون قول أبي عبيد آخراً، غريب الحديث (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩)، ورواه المؤلف في « مشيخته » (ص٤٩) بالسند نفسه ، والحسن : هو البصري ؛ فالحديث مرسل ، وروي مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . انظر « غنية العارف » (١/ ٣٨ ـ ٣٩) .

(٤) فضائل القرآن (ص٩٩) ، غريب الحديث (٢/ ٢٣٩) ، وانظر « مشيخة السهروردي » (ص٤٩) .

بفتحِ اللهِ علىٰ كلِّ قلبٍ بما يُرزَقُ مِنَ النورِ .

واختلفَ الناسُ في معنى الظهرِ والبطنِ :

فقالَ قومٌ : (الظهرُ : لفظُ القرآنِ ، والبطنُ : تأويلُهُ)[1] .

وقيلَ : الظهرُ : صورةُ القصَّةِ ممَّا أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن غضبِهِ علىٰ قومٍ وعقابِهِ إيَّاهُم ؛ فظاهرُ ذلكَ إخبارٌ عنهُم ، وباطنُهُ عِظَةٌ وتنبيهٌ لمَنْ يقرأُ ويسمعُ مِنَ الأُمَّةِ[2] .

وقيلَ : ظاهرُهُ : تنزيلُهُ الذي يجبُ الإيمانُ بهِ ، وباطنُهُ : وجوبُ العملِ بهِ[3] .

وقيلَ : ظهرُهُ : تلاوتُهُ كما أُنزِلَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : ٤] ، وبطنُهُ : التدبُّرُ والتفكُّرُ فيهِ ؛ قالَ اللهُ سبحانَهُ : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩] [4] .

وقيلَ : قولُهُ : « لكلِّ حرفٍ حدٌّ » ؛ أي : في التلاوةِ لا يُجاوَزُ المصحفُ الذي هوَ الإمامُ ، وفي التفسيرِ لا يُجاوَزُ المسموعُ المنقولُ[5] .

وفرقٌ بينَ التفسيرِ والتأويلِ :

فالتفسيرُ : عِلْمُ نزولِ الآيةِ وشأنِها وقصَّتِها والأسبابِ التي نزلتْ فيها ،

---

(١) انظر « غريب الحديث » لأبي عبيد (٢/ ٢٤٠ـ٢٤١) .

(٢) انظر « غريب الحديث » لأبي عبيد (٢/ ٢٤٠) .

(٣) انظر « شرح السنة » للبغوي (١/ ٢٦٤) .

(٤) انظر « شرح السنة » للبغوي (١/ ٢٦٤) .

(٥) انظر « شرح السنة » للبغوي (١/ ٢٦٤) .

وهـٰذا محظورٌ على الناسِ كافَّةً القولُ فيهِ إلَّا بالسماعِ والأثَرِ .

وأمَّا التأويلُ : فصَرْفُ الآيةِ إلىٰ معنىً تحتملُهُ إذا كانَ المُحتمِلُ الذي يراهُ يُوافِقُ الكتابَ والسنةَ[1] ؛ فالتأويلُ يختلفُ باختلافِ حالِ المُؤوِّلِ علىٰ ما ذكرْناهُ ؛ مِنْ صفاءِ الفهمِ ، ورُتْبةِ المعرفةِ ، ونصيبِ القُرْبِ مِنَ الله تعالىٰ .

قالَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يفقهُ الرجلُ كلَّ الفقهِ حتىٰ يرىٰ للقرآنِ وجوهاً كثيرةً)[2] .

فما أعجبَ قولَ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما مِنْ آيةٍ إلَّا ولها قومٌ سيعملونَ بها) !!

وهـٰذا الكلامُ مُحرِّضٌ لكلِّ طالبٍ صاحبِ همَّةٍ أنْ يُصفِّيَ مواردَ الكلامِ ، ويفهمَ دقيقَ معانيهِ وغامضَ أسرارِهِ مِنْ قلبِهِ .

فللصُّوفيِّ بكمالِ الزهدِ في الدُّنيا ، وتجريدِ القلبِ عمَّا سوى اللهِ عزَّ وجلَّ . . مُطَّلَعٌ مِنْ كلِّ آيةٍ ، ولهُ بكلِّ مرَّةٍ في التِّلاوةِ مُطَّلَعٌ جديدٌ وفهمٌ عتيدٌ ، ولهُ بكلِّ فهمٍ عملٌ جديدٌ ؛ ففهمُهُم يدعو إلى العملِ ، وعملُهُم يَجلِبُ صفاءَ الفهمِ ودقيقَ النَّظَرِ في معاني الخطابِ ؛ فمِنَ الفهمِ علمٌ ، ومِنَ

---

(١) انظر الفرق بين التفسير والتأويل في « البرهان في علوم القرآن » (٢/ ١٤٩ـ١٥٣) ، و« الإتقان في علوم القرآن » (٤/ ١٩٢ـ١٩٥) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٨٩) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٥٧) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥١٦) ، ورواه ابن عبد البر أيضاً مرفوعاً (١٥١٥) من حديث سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه ، وقال : (وهـٰذا حديث لا يصحُّ مرفوعاً ، وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء) .

العلمِ عملٌ ، والعلمُ والعملُ يتناوبانِ فيهِ .

وهـٰذا العملُ آنفاً إنَّما هوَ عملُ القلوبِ ، وعملُ القلوبِ غيرُ عملِ القالَبِ ، وأعمالُ القلوبِ للُطْفِها وصَقَالتِها مُشاكِلَةٌ للعلومِ[1] ؛ لأنَّها نيَّاتٌ وطَويَّاتٌ وتملُّقاتٌ رُوحيَّةٌ[2] ، وتأدُّباتٌ قلبيَّةٌ ، ومُسامراتٌ سِرِّيَّةٌ .

وكلَّما أَتَوا بعملٍ مِنْ هـٰذهِ الأعمالِ . . رُفِعَ لهم عَلَمٌ مِنَ العلمِ ، واطَّلعُوا على مُطَّلَعٍ مِنْ فهمِ الآيةِ جديدٍ .

ويُخالِجُ سِرِّي أنْ يكونَ المُطَّلَعُ ليسَ بالوقوفِ بصفاءِ الفهمِ على دقيقِ المعنى وغامضِ السرِّ في الآيةِ ، ولـٰكنَّ المُطَّلَعَ أنْ يَطَّلِعَ عندَ كلِّ آيةٍ على شهودِ المُتكلِّمِ بها ؛ لأنَّها مُستودَعُ وصفٍ مِنْ أوصافِهِ ونعتٍ مِنْ نعوتِهِ ، فيتجدَّدُ لهُ التجلِّياتُ بتلاوةِ الآياتِ وسماعِها ، وتصيرُ لهُ مَرَاءٍ مُنْبِئةٌ عن عظيمِ الجلالِ .

ولقد نُقِلَ عن جعفرٍ الصادقِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (**لقد تجلَّى اللهُ لعبادِهِ في كلامِهِ** ، ولـٰكنْ لا يُبصِرُونَ)[3] ، **فيكونُ لكلِّ آيةٍ مُطَّلَعٌ** مِنْ هـٰذا الوجهِ ؛ **فالحدُّ** حدُّ الكلامِ ، **والمُطَّلَعُ** الترقِّي عن حدِّ الكلامِ إلى شهودِ المُتكلِّمِ .

---

(١) في النسخ ما عدا (ي) : (وصلافتها) بدل (وصقالتها) ، وفي (ي) : (وصداقتها) ، والمثبت نسخة من هامش (ز) ؛ بمعنى جلائها وصفائها .

(٢) التملُّقات : التودُّدات ؛ يُقال : تملَّق له : إذا تودَّد ، وقال في « الذوارف » (١/ق٥٠) : (أي : تضرُّعات من الروح مع الحضرة الإلـٰهيَّة) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٤٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٣١٦) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٤/ ٥٢٣) .

وقد نُقِلَ عن جعفرٍ الصادقِ أيضاً : أنَّهُ خرَّ مَغْشِياً عليهِ وهوَ في الصلاةِ ، فسُئِلَ عن ذلكَ ، فقالَ : ما زلتُ أُرَدِّدُ الآيةَ حتىٰ سمعتُها مِنَ المُتكلِّمِ بها[1] .

فالصُّوفيُّ لمَّا لاحتْ لهُ ناصيةُ التوحيدِ ، وألقىٰ سمعَهُ عندَ سماعِ الوعدِ والوعيدِ ، وصفَّىٰ قلبَهُ بالتخلُّصِ عمَّا سوى اللهِ . . صارَ بينَ يَدَيِ اللهِ حاضراً شهيداً ، يرىٰ لسانَهُ أو لسانَ غيرِهِ في التِّلاوةِ كشجرةِ موسىٰ عليهِ السلامُ ؛ حيثُ أَسْمَعَهُ اللهُ منها خطابَهُ إيَّاهُ بأنِّي أنا اللهُ[2] ، فإذا كانَ سماعُهُ مِنَ اللهِ واستماعُهُ إلى اللهِ . . صارَ سمعُهُ بصرَهُ ، وبصرُهُ سمعَهُ ، وعلمُهُ عملَهُ ، وعملُهُ علمَهُ ، وعادَ آخرُهُ أوَّلَهُ ، وأوَّلُهُ آخرَهُ .

ومعنىٰ ذلكَ : أنَّ اللهَ تعالىٰ خاطبَ الذَّرَّ بقولِهِ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فسمعتِ النداءَ علىٰ غايةِ الصفاءِ ، ثمَّ لم تَزَلِ الذَّرَّاتُ تتقلَّبُ في الأصلابِ وتنتقلُ إلى الأرحامِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٨ ـ ٢١٩] ؛ يعني : تقلُّبَ ذرَّتِكَ في أصلابِ أهلِ السجودِ مِنْ آبائِكَ الأنبياءِ ، فما زالتْ تنتقلُ الذَّرَّاتُ حتىٰ برزتْ إلىٰ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/١٤٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/٣١٦) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٤/٥٢٣ـ٥٢٤) .

(٢) الذي كان مسموعاً من الشجرة : هو الصوت والحرف ، وهما مخلوقان ، وكلامُ اللهِ القديمُ القائم بذاته غيرُ مسموع ، وإلىٰ هٰذا ذهب أبو منصور الماتريدي في تفسير الآية ، وقال أبو الحسن الأشعري : إنَّ الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعاً ، كما أنَّ الذات التي ليست بجسم ولا عَرَض يمكن أن تكون مرئيَّة ، وعليه : فلا يَبعُدُ أن يكون قد سمع الحرف والصوت من الشجرة ، وسمع الكلام القديم من الله تعالىٰ لا منها ، فلا مُنافاةَ بين الأمرين . انظر « تفسير الرازي » (٢٤/٥٩٣) .

أجسادِها ، فاحتجبتْ بالحكمةِ عنِ القدرةِ ، وبعالَمِ الشهادةِ عن عالَمِ الغيبِ ، وتراكمَ ظُلْمتُها بالتقلُّبِ في الأطوارِ .

فإذا أرادَ اللهُ بالعبدِ حُسْنَ الاستماعِ بأنْ يُصيِّرَهُ صُوفيّاً صافياً .. لا يزالُ يُرقِّيهِ في رُتَبِ التزكيةِ والتحليةِ حتىٰ يَخلُصَ مِنْ مَضيقِ عالَمِ الحكمةِ إلىٰ فضاءِ القدرةِ ، ويُزالَ عن بصيرتِهِ النافذةِ سُجُفُ الحكمةِ[1] ، فيصيرُ سماعُهُ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ كشفاً وعِياناً ، وتوحيدُهُ وعِرْفانُهُ تِبْياناً وبُرْهاناً ، وتندرجُ لهُ ظُلَمُ الأطوارِ في لوامعِ الأنوارِ .

قالَ بعضُهُم : (أنا أذكرُ خطابَ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾) ؛ إشارةً منهُ إلىٰ هـٰذا الحالِ .

فإذا تحقَّقَ الصُّوفيُّ بهـٰذا الوصفِ .. صارَ وقتُهُ سَرْمداً ، وشهودُهُ مُؤبَّداً ، وسماعُهُ مُتوالياً مُتجدِّداً ، يسمعُ كلامَ اللهِ وكلامَ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حقَّ السماعِ[2] .

قالَ سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ : (أوَّلُ العلمِ : الاستماعُ ، ثمَّ الفهمُ ، ثمَّ الحفظُ ، ثمَّ العملُ ، ثمَّ النَّشْرُ)[3] .

وقالَ بعضُهُم : (تَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ كما تتعلَّمُ حُسْنَ الكلامِ)[4] .

---

(١) السُّجُفُ : جمع (سِجاف) ؛ وهو السِّتْر .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د) : (ليسمع) بدل (يسمع) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٧٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٥٨) ، وروي بنحوه عن ابن المبارك وسفيان الثوري والفضيل بن عياض وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ .

(٤) هو من جملة وصايا ابن المُقفَّع في « الأدب الكبير » (ص١٢٩) ، ورواه بنحوه =

وقيلَ : مِنْ حُسْنِ الاستماعِ : إمهالُ المُتكلِّمِ حتىٰ يقضيَ حديثَهُ ، وقِلَّةُ التلفُّتِ إلى الجواب[1] ، والإقبالُ بالوجهِ ، والنظرُ إلى المُتكلِّمِ ، والوعيُ[2] .

قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [طه : ١١٤] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة : ١٦] ، هٰذا تعليمٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ رسولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حُسْنَ الاستماعِ .

قيلَ : معناهُ : لا تُمْلِهِ على الصحابةِ حتىٰ تتدبَّرَ معانيَهُ ، حتىٰ تكونَ أنتَ أوَّلَ مَنْ يحظىٰ بغرائبِهِ وعجائبِهِ .

وقيلَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا نزلَ عليهِ جبريلُ عليهِ السلامُ وأوحىٰ إليهِ . . لا يَفتُرُ مِنْ قراءةِ القرآنِ ؛ مخافةَ الانفلاتِ والنِّسيانِ ، فنهاهُ اللهُ تعالىٰ عن ذلكَ[3] ؛ أي : لا تعجَلْ بقراءتِهِ قبلَ أن يَفرُغَ جبريلُ عليهِ السلامُ مِنْ إلقائِهِ إليكَ .

وقد تكونُ مُطالَعةُ العلومِ وأخبارِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمعنى السماعِ ، ويحتاجُ المُطالِعُ للعلومِ والأخبارِ وسِيَرِ أهلِ الصلاحِ وحكاياتِهِم وأنواعِ الحِكَمِ والأمثالِ التي فيها نجاةٌ مِنْ عذابِ الآخرةِ . . أنْ يكونَ في ذلكَ كلِّهِ مُتأدِّباً بآدابِ حُسْنِ الاستماعِ ؛ لأنَّهُ نوعٌ مِنْ ذلكَ ، وكما أنَّ القلبَ استعدَّ

= الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٣١) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(١) في (ي) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (إلى الجوانب) .

(٢) هو من جملة وصايا ابن المقفع في « الأدب الكبير » (ص١٢٩ـ ١٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٥) ، ومسلم (٤٤٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

بحُسْنِ الاستماعِ بالزَّهادةِ والتقوىٰ حتىٰ أخذَ مِنْ كلِّ ما سمعَ أحسنَهُ . . فيكونُ آخِذاً بالمُطالَعةِ مِنْ كلِّ شيءٍ أحسنَهُ .

ومِنَ الأدبِ في المطالعةِ : أنَّ العبدَ إذا أرادَ أن يُطالِعَ شيئاً مِنَ الحديثِ والعلمِ . . يعلمُ أنَّهُ قد تكونُ مطالبةُ ذلكَ[1] بداعيةِ النفسِ وقِلَّةِ صبرِها على الذِّكْرِ والتِّلاوةِ والعملِ ، فتَستروِحُ بالمطالعةِ ، كما تتروَّحُ بمجالسةِ الناسِ ومكالمتِهِم .

فليتفقَّدِ المُتفطِّنُ نفسَهُ في ذلكَ ، ولا يستحلي مطالعةَ الكتبِ إلىٰ حدٍّ يأخذُ ذلكَ مِنْ وقتِهِ ويُراعي الإفراطَ فيهِ ، وإذا أرادَ مطالعةَ كتابٍ أو شيءٍ مِنَ العلمِ . . لا يُبادِرُ إليهِ إلَّا بعدَ التثبُّتِ والإنابةِ والرجوعِ إلى اللهِ تعالىٰ ، وطلبِ التأييدِ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالىٰ فيهِ ؛ فإنَّهُ قد يُرزَقُ بالمطالعةِ ما يكونُ مَزيداً لحالِهِ ، ولو قدَّمَ الاستخارةَ لذلكَ كانَ حَسَناً ؛ فإنَّ اللهَ يفتحُ عليهِ بابَ الفهمِ والتفهيمِ موهبةً مِنَ اللهِ[2] ، زيادةً علىٰ ما يتبيَّنُ مِنْ صورةِ العلمِ ؛ فللعلمِ صورةٌ ظاهرةٌ ، وسرٌّ باطنٌ ؛ وهوَ الفهمُ .

واللهُ تعالىٰ نبَّهَ علىٰ شرفِ الفهمِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ؛ أشارَ إلى الفهمِ بمزيدِ اختصاصٍ وتميُّزٍ عنِ الحُكْمِ والعلمِ[3] .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر : ٢٢] ، فإذا كانَ المُسمِعُ

---

(١) كُتب علىٰ هامش (ب) : (لعله : « يطالعه ») ؛ أي : بدل (مطالبة ذلك) ، وعليه يكون الفعل قبله بالياء .

(٢) في بعض النسخ : (والتفهم) بدل (والتفهيم) .

(٣) في بعض النسخ : (وتمييز) بدل (وتميز) .

هوَ اللهَ تعالىٰ ؛ يُسمِعُ تارةً بواسطةِ اللِّسانِ ، وتارةً بما يرزقُ بمطالعةِ الكتبِ مِنَ التِّبْيانِ . . فصارَ ما يفتحُ اللهُ تعالىٰ بمطالعةِ الكتبِ علىٰ معنىٰ ما يرزقُ مِنَ المسموعِ ببركةِ حُسْنِ الاستماعِ .

فليتفقَّدِ العبدُ حالَهُ في ذلكَ[1] ، ويتعلَّمْ علمَهُ وأدبَهُ ؛ فإنَّهُ بابٌ كبيرٌ مِنْ أبوابِ الخيرِ ، وعملٌ صالحٌ مِنْ أعمالِ المشايخِ والصُّوفيَّةِ والعلماءِ الزاهدينَ المُتبتِّلينَ لاستفتاحِ أبوابِ الرحمةِ ، والمزيدُ مِنْ كلِّ شيءٍ ينفعُ لسلوكِ الآخرةِ ، واللهُ أعلمُ[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) قوله : (فليتفقد) جاءت في النسخ ما بين المثبت و(ليتفقدَ) و(فليفتقدْ) و(ليفتقدَ) ، والتعليل يكون لما سبق ، والمثبت أنسب مع السياق ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في الثالث للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الثالث

في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها

(٦) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ الصُّوفيُّ[1] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ ابنُ محمَّدٍ[2] ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ السَّرَخْسِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عِمْرانَ السَّمَرْقَنديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ : حدَّثَنا نُعَيمُ بنُ حمَّادٍ ، قالَ : حدَّثَنا بَقِيَّةُ ، عنِ الأحوصِ بنِ حَكيمٍ ، عن أبيهِ قالَ : سأَلَ رجلٌ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الشرِّ ، فقالَ : « لَا تَسْأَلُونِي عَنِ ٱلشَّرِّ ، وَٱسْأَلُونِي عَنِ ٱلْخَيْرِ » ، يقولُها

---

(١) هو الإمام شيخ الإسلام الزاهد الصوفي أبو عبد الرحمـٰن وأبو الوقت عبد الأوَّل أو محمد بن عيسى بن شعيب السِّجْزي الهروي المالِيني (ت ٥١٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/٣٠٣) .

(٢) هو الإمام الورع المسند أبو الحسن الدَّاوُدي البُوشَنْجي ، (ت٤٦٧هـ) ، وهو مِنْ أجلِّ مَنْ روىٰ عن أبي محمد السَّرَخْسي ، ومن شعره : (من السريع)

كـانَ اجتمـاعُ النـاسِ فيمـا مضىٰ ... يُـورِّثُ البهجـةَ والسَّلْـوهْ
فـانقلـبَ الأمـرُ إلـىٰ ضِـدِّهِ ... فصـارتِ السَّلْـوةُ فـي الخَلْـوهْ

وفي (د) : (عبد الرحمـٰن بن محمد السجزي) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٢٢٣) .

ثلاثاً ، ثمَّ قالَ : « إِنَّ شَرَّ ٱلشَّرِّ شِرَارُ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَإِنَّ خَيْرَ ٱلْخَيْرِ خِيَارُ ٱلْعُلَمَاءِ »[1] .

فـالعلمـاءُ أَدِلَّاءُ الأُمَّـةِ ، وعُمُـدُ الـدِّيـنِ ، وسُرُجُ ظُلُمـاتِ الجَهَـالاتِ الجِبِلِّيَّةِ ، ونُقَباءُ ديوانِ الإسلامِ ، ومَعادنُ حِكَمِ الكتابِ والسنةِ ، وأُمَناءُ اللهِ تعالىٰ في خَلْقِهِ ، وأَطِبَّاءُ العبادِ ، وجهابذةُ المِلَّةِ الحَنيفيَّةِ ، وحَمَلَةُ عظيمِ الأمانةِ ، فهم أحقُّ الخَلْقِ بحقائقِ التقوىٰ ، وأحوجُ العبادِ إلى الزهدِ في الدُّنيا ؛ لأنَّهُم يحتاجونَ إليها لنفسِهِم ولغيرِهِم ؛ ففسادُهُم فسادٌ مُتعَدٍّ ، وصلاحُهُم صلاحٌ مُتعَدٍّ .

قالَ سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ : (أجهلُ الناسِ : مَنْ تركَ العملَ بما يعلمُ ، وأعلمُ الناسِ : مَنْ عَمِلَ بما يعلمُ ، وأفضلُ الناسِ : أخشعُهُم للهِ سبحانَهُ)[2] .

وهـٰذا قولٌ صحيحٌ ، يَحكُمُ بأنَّ العالِمَ إذا لم يعملْ بعلمِهِ فليسَ بعالمٍ ، فلا يَغُرَّنَّكَ تشدُّقُهُ واستطالتُهُ وحَذاقتُهُ وقوَّتُهُ في المناظرةِ والمجادلةِ ؛ فإنَّهُ جاهلٌ وليسَ بعالمٍ ، إلَّا أنْ يتوبَ اللهُ عليهِ ببركةِ العلمِ ؛ فإنَّ العِلْمَ في الإسلامِ لا يُضيِّعُ أهلَهُ ، ويُرجَىٰ عَوْدُ العالمِ ببركةِ العلمِ .

والعلمُ : فريضةٌ وفضيلةٌ .

فالفريضةُ : ما لا بُدَّ للإنسانِ مِنْ معرفتِهِ ؛ ليقومَ بواجبِ حقِّ الدِّينِ .

---

(١) مسند الدارمي (٣٨٢) ، والحديث مرسل ؛ لأن حكيم بن عمير والد الأحوص تابعي ، ورُوي الحديث موصولاً من حديث سيدنا معاذ بن جبل ، كما في « مسند البزار » (٢٦٤٩) ، و« مسند الشاميين » للطبراني (٤٤٧) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦ـ٤٧) .

(٢) رواه الدارمي (٣٤٢) .

والفضيلةُ : ما زادَ علىٰ قدرِ حاجتِهِ ممَّا يُكسِبُهُ فضيلةً في النفسِ موافقةً للكتابِ والسُّنَّة ، وكلُّ علم لا يُوافِقُ الكتابَ والسُّنَّةَ ، وما هوَ مُستفادٌ منهُما ، أوْ مُعِينٌ علىٰ فهمِهِما ، أو مُستنِدٌ إليهِما كائناً ما كانَ . . فهوَ رذيلةٌ وليسَ بفضيلةٍ ، يزدادُ الإنسانُ بهِ هَواناً ورَذالةً في الدُّنيا والآخرةِ .

فالعلمُ الذي هوَ فريضةٌ لا يَسَعُ الإنسانَ جهلُهُ ؛ علىٰ ما :

(٧) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو القاسمِ المُستمْلِي ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ العالمُ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هَوَازِنَ القُشَيْرِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأَصْفَهانيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ عامرٍ العَسْكَريُّ ، قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ عطيَّةَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عاتكةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱطْلُبُوا ٱلْعِلْمَ وَلَوْ بِٱلصِّينِ ؛ فَإِنَّ طَلَبَ ٱلْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ »[1] .

واختلفَ العلماءُ في العلمِ الذي هوَ فريضةٌ[2] :

قالَ بعضُهُم : (هوَ طلبُ علمِ الإخلاصِ ، ومعرفةِ آفاتِ النفوسِ وما يُفسِدُ الأعمالَ ؛ لأنَّ الإخلاصَ مأمورٌ بهِ ، كما أنَّ العملَ مأمورٌ بهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] ؛ فإنَّ

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (١٥٤٣) ، و« المدخل » (١٤٤٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٠) ، وانظر « كشف الخفاء » (١/١٣٨ ـ ١٣٩) ، و« غنية العارف » (١/٤٨ ـ ٤٩) ، وانظر (١/٣٧٦) .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د) : (الذي طلبه فريضة) .

الإخلاصَ مأمورٌ بهِ ، وخُدَعُ النفسِ وغُرُورُها ودسائسُها وشهواتُها الخَفِيَّةُ . . تُخرِّبُ مبانيَ الإخلاصِ المأمورِ بهِ ، فصارَ عِلْمُ ذلكَ فرضاً حيثُ كانَ الإخلاصُ فرضاً ، وما لا يصلُ العبدُ إلى الفرضِ إلّا بهِ صارَ فرضاً)[1] .

وقالَ بعضُهُم : (معرفةُ الخواطرِ وتفصيلُها فريضةٌ ؛ لأنَّ الخواطرَ هيَ أصلُ الفعلِ ومَبْدؤُهُ ومَنْشؤُهُ ، وبذلكَ يُعلَمُ الفرقُ بينَ لَمَّةِ المَلَكِ ولَمَّةِ الشيطانِ[2] ، فلا يصحُّ الفعلُ إلا بصحَّتِها ، فصارَ علمُ ذلكَ فرضاً حتىٰ يصحَّ الفعلُ مِنَ العبدِ للهِ)[3] .

وقالَ بعضُهُم : (هوَ طلبُ علمِ الوقتِ)[4] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (هوَ طلبُ علمِ الحالِ)[5] ؛ يعني : حكمَ

---

(١) وهو مذهب عبد الرحيم بن يحيى الأُرْمَوي ومن تابعه . انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٢) ، و« إحياء علوم الدين » (١/ ٥٥) .

(٢) اللَّمَّة ـ بالفتح ـ : النزول والقرب والإصابة ، والمراد بها : ما يقع في القلب بواسطة المَلَك أو الشيطان ، وروى الترمذي (٢٩٨٨) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٩٨٥) ، وابن حبان (٩٩٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « إنَّ للشيطانِ لَمَّةً بابنِ آدمَ ، وللمَلَكِ لَمَّةً ؛ فأمَّا لَمَّةُ الشيطانِ : فإيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ ، وأمَّا لَمَّةُ المَلَكِ : فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحقِّ ، فمَنْ وَجَدَ ذلكَ فليعلمْ أنَّهُ مِنَ اللهِ ، فليحمَدِ اللهَ ، ومَنْ وَجَدَ الأخرىٰ فليتعوَّذْ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ » ، ثمَّ قرأ : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ١٤٣) .

(٣) وهو مذهب مالك بن دينار وفَرْقَد السَّبَخي وعبد الواحد بن زيد ، وكان أستاذهم الحسنُ البصري يتكلَّم في ذلك ، وعنه حملوا علوم القلوب . انظر « قوت القلوب » (١/ ٢٦٤) .

(٤) انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٣) .

(٥) تفسير التستري (ص٧٥) ، وفيه زيادة : (وما علم الحال ؟ قال : من الباطن =

حالِهِ التي بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ في دنياهُ وآخرتِهِ .

وقيلَ : هوَ طلبُ علمِ الحلالِ حيثُ كانَ أكلُ الحلالِ فريضةً[1] ، وقد وَرَدَ : « طَلَبُ ٱلْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ ٱلْفَرِيضَةِ »[2] ، فصارَ علمُهُ فريضةً مِنْ حيثُ إنَّهُ فريضةٌ .

وقيلَ : هوَ طلبُ علمِ الباطنِ ؛ وهوَ ما يزدادُ بِهِ العبدُ يقيناً ، وهـٰذا العلمُ هوَ الذي يُكتسَبُ بالصُّحْبَةِ ومُجالَسَةِ الصالحينَ ؛ مِنَ العلماءِ المُوقِنينَ ، والزُّهَّادِ المُقرَّبينَ ، الذينَ جعلَهُمُ اللهُ تعالىٰ مِنْ جنودِهِ ، يسوقُ الطالبينَ إليهِم ، ويُقوِّيهِم بطريقِهِم[3] ، ويُرشِدُهُم بهِم ، فهم وُرَّاثُ علمِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومنهُم يُتعلَّمُ علمُ اليقينِ[4] .

وقالَ بعضُهُم : (هوَ علمُ البيعِ والشراءِ ، والنكاحِ والطلاقِ ؛ إذا أرادَ الدخولَ في شيءٍ مِنْ ذلكَ يجبُ عليهِ طلبُ علمِهِ)[5] .

وقالَ بعضُهُم : (هوَ أنْ يكونَ العبدُ يريدُ عملاً يجهلُ ما للهِ عليهِ في

= الإخلاصُ ، ومن الظاهر الاقتداءُ ، فمن لم يكن ظاهرُهُ إمامَ باطنه ، وباطنُهُ كمالَ ظاهره . . فهو في تَعَبٍ من البدن . . .) ، وانظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٣) .

(١) ومال إلىٰ هـٰذا القول إبراهيمُ بن أدهم ويوسف بن أسباط وغيرهما . انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٤) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٩٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ١٢٨) ، و« الشعب » (٨٣٦٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٤٦ ، ١١٠) ، و« غنية العارف » (١/ ٥٠) .

(٣) في (ي) ونسخة علىٰ هامش (د) : (ويُقرِّبهم) بدل (ويقويهم) .

(٤) انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٤) ، و« إحياء علوم الدين » (١/ ٥٥) .

(٥) وذهب إلىٰ ذلك بعضُ فقهاء الكوفة ، ومال إليه سفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابهما . انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٥) ، و« إحياء علوم الدين » (١/ ٥٥) .

ذلكَ ، فلا يجوزُ لهُ أنْ يعملَ برأيهِ ؛ إذ هوَ جاهلٌ فيما لهُ وعليهِ في ذلكَ ، فيُراجِعُ عالماً يسألُهُ عنهُ ليُجيبَهُ على بصيرةٍ ولا يعملَ برأيهِ ، وهاذا علمٌ يجبُ طلبُهُ حيثُ جُهِلَ)[١] .

وقالَ بعضُهُم : (طلبُ علمِ التوحيدِ فرضٌ) ؛ فمِنْ ذلكَ قائلٌ يقولُ : إنَّ طريقَهُ النَّظَرُ والاستدلالُ ، ومِنْ قائلٍ يقولُ : إنَّ طريقَهُ النقلُ[٢] .

وقالَ بعضُهُم : (إذا كانَ العبدُ على سلامةِ الباطنِ ، وحُسْنِ الاستسلامِ والانقيادِ في الإسلامِ ، ولا يَحِيكُ في صدرِهِ شيءٌ . . فهوَ سالمٌ ، فإنْ حاكَ في صدرِهِ شيءٌ ، أو توسوسَ بشيءٍ يَقدَحُ في العقيدةِ ، أو ابتُليَ بشُبْهةٍ لا يُؤمَنُ غائلتُها أنْ تَجُرَّهُ إلى بدعةٍ أو ضلالةٍ . . فيجبُ عليهِ أنْ يستكشِفَ عنِ الاشتباهِ ، ويُراجِعَ أهلَ العلمِ ومَنْ يُفهِّمُهُ طريقَ الصوابِ)[٣] .

وقالَ الشيخُ أبو طالبٍ المكِّيُّ رحمَهُ اللهُ في « كتابِهِ » : (هوَ علمُ الفرائضِ الخمسِ التي بُنِيَ عليها الإسلامُ ؛ لأنَّها افتُرِضتْ على المسلمينَ ، وإذا كانَ عملُها فرضاً صارَ علمُ العملِ بها فرضاً) .

وذَكَرَ أنَّ علمَ التوحيدِ داخلٌ في ذلكَ ؛ لأنَّ أوَّلَها الشهادتانِ ، والإخلاصُ داخلٌ في ذلكَ ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ ضرورةِ الإسلامِ ، وعلمُ

---

(١) وقال هاذا القولَ بعضُ المتقدمين من علماء خراسان ، وحُكي عن عبد الله بن المبارك وبعض أصحاب الحديث . انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٥) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٥) ، و« إحياء علوم الدين » (١/ ٥٤) .

(٣) وهو مذهب أبي ثور وداود الظاهري والحسين الكرابيسي والحارث المحاسبي ، ومَنْ تابعهم من المتكلمين . انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) .

الإخلاصِ داخلٌ في صحّةِ الإسلامِ[1] .

وحيثُ أَخْبرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ . . يقتضي ألَّا يَسَعَ مسلماً جهلُهُ ، وكلُّ ما تقدَّمَ مِنَ الأقاويلِ أكثرُها ممَّا يَسَعُ المسلمَ جهلُهُ ؛ لأنَّهُ قد لا يعلمُ علمَ الخواطرِ ، وعلمَ الحالِ ، وعلمَ الحلالِ بجميعِ وجوهِهِ ، وعلمَ اليقينِ المُستفادَ مِنْ علماءِ الآخرةِ ، كما ترىٰ أكثرَ المسلمينَ على الجهلِ بهٰذهِ الأشياءِ ، ولو كانتْ هٰذهِ الأشياءُ فُرِضتْ عليهِم . . عَجزَ عنها أكثرُ الخلقِ إلَّا ما شاءَ اللهُ .

ومَيْلي في هٰذهِ الأقاويلِ : إلىٰ قولِ الشيخِ أبي طالبٍ المكِّيِّ رحمَهُ اللهُ . . أكثرُ ، وإلىٰ قولِ مَنْ قالَ : يجبُ عليهِ علمُ البيعِ والشراءِ والنكاحِ والطلاقِ إذا أرادَ الدخولَ فيهِ ، وهٰذا لَعَمْري فرضٌ على المسلمِ عِلْمُهُ ، وهكذا الذي قالَهُ الشيخُ أبو طالبٍ .

وعندي في ذلكَ حدٌّ جامعٌ لطلبِ العلمِ المُفترَضِ ، واللهُ أعلمُ :

أقولُ : العلمُ الذي طلبُهُ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ : علمُ الأمرِ والنهيِ ، والمأمورُ : ما يُثابُ علىٰ فعلِهِ ويُعاقَبُ علىٰ تركِهِ ، والمَنْهِيُّ : ما يُعاقَبُ علىٰ فعلِهِ ويُثابُ علىٰ تركِهِ ، والمأموراتُ والمَنهيّاتُ منها : ما هوَ مُستمِرٌّ لازمٌ للعبدِ بحُكْمِ الإسلامِ ، ومنها : ما يتوجَّهُ الأمرُ فيهِ والنهيُ عنهُ عندَ وجودِ الحادثةِ .

فما هوَ لازمٌ مُستمِرٌّ لزومُهُ مُتوجِّهٌ بحُكْمِ الإسلامِ . . علمُهُ واجبٌ مِنْ ضرورةِ الإسلامِ .

---

(١) انظر « قوت القلوب » (١/ ٣٦٧) .

وما يتجدَّدُ بالحوادثِ ويتوجَّهُ الأمرُ والنهيُ فيهِ . . علمُهُ عندَ تجدُّدِهِ فرضٌ لا يَسَعُ مسلماً على الإطلاقِ أنْ يجهلَهُ .

وهٰذا الحدُّ أعمُّ مِنَ الوجوهِ التي سبقتْ ، واللهُ أعلمُ[1] .

ثمَّ إنَّ المشايخَ مِنَ الصُّوفيَّةِ وعلماءِ الآخرةِ الزاهدينَ في الدُّنيا . . شمَّرُوا عن ساقِ الجِدِّ في طلبِ العلمِ المُفترَضِ حتىٰ عَرَفُوهُ ، وأقامُوا الأمرَ والنهيَ ، وخرجُوا مِنْ عُهْدةِ ذلكَ بحُسْنِ توفيقِ اللهِ ، فلمَّا استقامُوا في ذلكَ مُتابِعِينَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ أمرَهُ اللهُ تعالىٰ بالاستقامةِ فقال : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود : ١١٢] . . فتحَ اللهُ عليهِم أبوابَ العلومِ التي سَبَقَ ذكرُها .

قالَ بعضُهُم : (مَنْ يُطِيقُ مثلَ هٰذهِ المخاطبةِ بالاستقامةِ إلَّا مَنْ أُيِّدَ بالمشاهداتِ القويَّةِ ، والأنوارِ البيِّنةِ ، والآثارِ الصادقةِ ، ثمَّ عُصِمَ ببرٍّ عظيمٍ بالتثبيتِ[2] ؛ كما قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الإسراء : ٧٤] ، ثمَّ حُفِظَ في وقتِ المشاهدةِ ومشافهةِ الخطابِ ، وهوَ المُزيَّنُ بمقامِ القُرْبِ ،

---

(١) وسُئل المؤلف رضي الله عنه : ما الأَوْلىٰ بالمريد الاشتغالُ بالعلم ليعلم الأحكام ممَّا وجب عليه أو نُدِبَ إليه ، أو الانقطاعُ إلى الله بالتجرُّد عمَّا سواه ؟

فأجاب : بأنَّ المريد إذا علم من الأحكام ما لا بدَّ منه . . فالأَوْلىٰ به : الانقطاع إلى الله ودوامُ التبتُّل ، إلا أن يكونَ غيرَ صابر على الحقِّ الصِّرْف ، ونفسُهُ لا تُجيبُهُ على الدُّؤُوب على العمل والذكر ، وتُنازِعُهُ بالفُتُور ومطالبة البطالة ؛ فعند ذلك يشتغل بشيء من العلم من قبيل فروض الكفايات ؛ ليكون تبتُّلُهُ عزيمةَ حاله ، واشتغالُهُ رخصةَ حاله .
« أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٤) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ي) : (ببر عظيم بالتثبيت) ، بدل (ثم عصم . . .) ، وفي بعض النسخ المستأنس بها : (بالتثبيت ببرهان عظيم) .

والمُخاطَبُ علىٰ بِساطِ الأُنْسِ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبعدَ ذلكَ خُوطِبَ بقولِهِ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ ، ولولا هٰذهِ المُقدِّماتُ ما أطاقَ الاستقامةَ التي أُمِرَ بها)[1] .

قيلَ لأبي حفصٍ الحدَّادِ : أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قالَ : الاستقامةُ ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ٱسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا »[2] .

وقالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ في قولِهِ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ : (افتقرْ إلى اللهِ بصِحَّةِ العزمِ)[3] .

ورأىٰ بعضُ الصالحينَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ رُوِيَ عنكَ أنَّكَ قلتَ : « شَيَّبَتْنِي سُورَةُ (هُودٍ) »[4]، فقالَ : « نَعَمْ » ، فقلتُ لهُ : ما الذي شيَّبَكَ منها ؟ قَصَصُ الأنبياءِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ وهلاكُ الأممِ ؟ فقال : « لَا ، وَلَٰكِنْ قَوْلُهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ »[5] .

---

(١) انظر « عرائس البيان » (ص٤٠١) .

(٢) روىٰ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم ابنُ ماجه (٢٧٧) ، والدارمي (٦٨١) ، والحاكم (١/ ٣٠) من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وقوله : (لن تُحصُوا) ؛ أي : لن تطيقوا أن تستقيموا حقَّ الاستقامة لعُسْرها ، أو لن تطيقوها بقوَّتكم وحولكم وإن بذلتُم جهدَكم ، بل تكونُ توفيقاً من الله تعالى . انظر « فيض القدير » (١/ ٤٩٧) .

(٣) أورده الزمخشري في « الكشاف » (٢/ ٤٣٣)، والبقلي في « عرائس البيان » (ص٤٠١).

(٤) زاد في (ط) : (وأخواتها) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٧٣) ، وفيهما : أن الرائي هو أبو علي الشَّبُّوِيُّ رحمه الله تعالىٰ ، وقولُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم : « شيبتْني سورةُ (هودٍ) » رواه الترمذي (٣٢٩٧) ، والحاكم (٢/ ٣٤٣) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه . انظر « غنية العارف » (١/ ٥٤ـ٥٥) .

فكما أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَ مُقدِّماتِ المشاهداتِ خُوطِبَ بهٰذا الخطابِ ، وطُولِبَ بحقائقِ الاستقامةِ . . فكذلكَ علماءُ الآخرةِ الزاهدونَ ، ومشايخُ الصُّوفيَّةِ المُقرَّبُونَ ؛ منحَهُمُ اللهُ تعالىٰ مِنْ ذلكَ بِقِسْطٍ ونصيبٍ ، ثمَّ ألهمَهُم طَلَبَ النهوضِ بواجبِ حقِّ الاستقامةِ ، ورأَوُا الاستقامةَ أفضلَ مطلوبٍ وأشرفَ مأمولٍ .

قالَ أبو عليٍّ الجُوزْجَانيُّ[1] : (كُنْ طالبَ الاستقامةِ لا طالبَ الكرامةِ ؛ فإنَّ نفسَكَ مُتحرِّكةٌ في طلبِ الكرامةِ ، وربُّكَ يطلبُ منكَ الاستقامةَ)[2] .

وهٰذا الذي ذكرَهُ أصلٌ كبيرٌ في البابِ ، وسِرٌّ غَفَلَ عن حقيقتِهِ كثيرٌ مِنْ أهلِ السلوكِ والطلبِ ؛ وذلكَ أنَّ المُجتهدينَ والمُتعبِّدينَ سمعُوا بسِيَرِ الصالحينَ المُتقدِّمينَ ، وما مُنِحُوهُ مِنَ الكراماتِ وخوارقِ العاداتِ ، فأبداً نفوسُهُم لا تزالُ تَتطَلَّعُ إلىٰ شيءٍ مِنْ ذلكَ ، ويُحِبُّونَ أنْ يُرزَقُوا شيئاً مِنْ ذلكَ ، ولعلَّ أحدَهُم يبقىٰ مُنكسِرَ القلبِ ، مُتَّهِماً لنفسِهِ في صِحَّةِ عملِهِ ؛ حيثُ لمْ يُكشَفْ لهُ بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ولو علمُوا سِرَّ ذلكَ لهانَ عليهِمُ الأمرُ فيهِ .

فليُعلَمْ : أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ قد يفتحُ علىٰ بعضِ المُجتهدينَ الصادقينَ

---

(١) في النسخ ما عدا (ج ، و) : (الجرجاني) ، ولعل الصواب ما أثبت ، والجُوزْجاني : هو أبو علي الحسن بن علي ، من كبار مشايخ خراسان ، صحب الحكيم الترمذي ومحمد بن الفضل البلخي وغيرهما ، وجُوزْجان أو جُوزْجَانان : كُورةٌ واسعة من كُوَرِ بلخ بخراسان . انظر « طبقات الصوفية » (ص٢٤٦) ، و« معجم البلدان » (٢/ ١٨٢) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٧٣) .

مِنْ ذلكَ باباً ، والحكمةُ فيهِ : أنْ يزدادَ بما يرىٰ مِنْ خوارقِ العاداتِ وآثارِ القدرةِ يقيناً ، فيَقْوىٰ عَزْمُهُ على الزهدِ في الدنيا ، والخروجِ مِنْ دواعي الهوىٰ .

وقد يكونُ بعضُ عبادِهِ يُكاشَفُ بصِرْفِ اليقينِ[1] ، ويُرفَعُ عن قلبِهِ الحِجابُ ، ومَنْ كُوشِفَ بصِرْفِ اليقينِ أُغْنِيَ بذلكَ عن رؤيةِ خوارقِ العاداتِ ؛ لأنَّ المرادَ منها كانَ حُصولَ اليقينِ وقد حَصَلَ اليقينُ ، فلو كُوشِفَ هـٰذا المرزوقُ صِرْفَ اليقينِ بشيءٍ مِنْ ذلكَ . . ما ازدادَ يقيناً .

فلا تقتضي الحكمةُ كشفَ القدرةِ بخوارقِ العاداتِ لهـٰذا ؛ لمَوضِعِ استغنائِهِ ، وتقتضي الحكمةُ كشفَ ذلكَ للآخَرِ ؛ لمَوْضِعِ حاجتِهِ ، فكأنَّ هـٰذا الثانيَ يكونُ أتمَّ استعداداً وأصحَّ أهليَّةً مِنَ الأوَّلِ ؛ حيثُ رُزِقَ حاصلَ ذلكَ ـ وهوَ صِرْفُ اليقينِ ـ بغيرِ واسطةٍ مِنْ رؤيةِ قدرةٍ ؛ فإنَّ فيهِ آفةً ؛ وهوَ العُجْبُ ، فأُغنِيَ عن رؤيةِ شيءٍ مِنْ ذلكَ .

فسبيلُ الصادقِ مُطالَبةُ النفسِ بالاستقامةِ ؛ فهيَ كلُّ الكرامةِ .

ثمَّ إذا وقعَ في طريقِهِ شيءٌ مِنْ ذلكَ ، وسَلِمَ فيهِ مِنَ العُجْبِ بنفسِهِ . . جازَ وحَسُنَ ، وإنْ لم يقعْ فلا يُبالي ، ولا يَنقُصُ بذلكَ ، وإنَّما يَنقُصُ بالإخلالِ بواجبِ حقِّ الاستقامةِ .

فليُعلَمْ هـٰذا ؛ لأنَّهُ أصلٌ كبيرٌ للطالبينَ .

فالعلماءُ الزاهدونَ ومشايخُ الصُّوفيَّةِ المُقرَّبُونَ حيثُ أُكرِمُوا بالقيامِ

---

(١) أي : اليقين الصِّرْف الخالص من طلب خوارق العادات .

بواجبِ حقِّ الاستقامةِ . . رُزِقُوا سائرَ العلومِ التي أشارَ إليها المُتقدِّمونَ ـ كما ذكرْنا ـ وزعمُوا أنَّها فرضٌ .

فمِنْ ذلكَ : علمُ الحالِ[1] ، وعلمُ القيامِ[2] ، وعلمُ الخواطرِ ، وسنشرحُ علمَ الخواطرِ وتفاصيلَها في بابٍ إنْ شاءَ اللهُ[3] .

وعلمُ اليقينِ ، وعلمُ الإخلاصِ ، وعلمُ النفسِ ومعرفتِها ومعرفةِ أخلاقِها ، وعلمُ النفسِ ومعرفتِها مِنْ أعزِّ علومِ القومِ ، وأقوَمُ الناسِ بطريقِ المُقرَّبينَ والصُّوفيَّةِ أقوَمُهُم بمعرفةِ النفسِ .

وعلمُ معرفةِ أقسامِ الدنيا ، ووجودِ دقائقِ الهوىٰ ، وخفايا شهواتِ النفسِ وشِرْبِها[4] ، وعلمُ الضرورةِ ، ومطالبةِ النفسِ بالوقوفِ على الضرورةِ قولاً وفعلاً ولُبْساً وخَلْعاً وأَكْلاً ونوماً ، ومعرفةِ حقائقِ التوبةِ ، وعلمُ خَفِيِّ الذنوبِ ، ومعرفةِ سيئاتٍ هيَ حسناتُ الأبرارِ ، ومطالبةِ النفسِ بتركِ ما لا يَعْني ، ومطالبةِ الباطنِ بحَصْرِ خواطرِ المعصيةِ ، ثمَّ بحَصْرِ خواطرِ الفضولِ .

ثمَّ علمُ المراقبةِ ، وعلمُ ما يَقدَحُ في المراقبةِ ، وعلمُ المحاسبةِ والرِّعايةِ ، وعلمُ حقائقِ التوكُّلِ ، وذنوبِ المُتوكِّلِ في توكُّلِهِ ، وما يَقدَحُ في

---

(١) علم الحال : هو أن يتحوَّل العبد من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الحقِّيَّة ودرجات القُرب . انظر « ذوارف اللطائف » (١/ ق ٥٨) .

(٢) أي : علم القيام لله ؛ وهو الاستيقاظ من نوم الغفلة والنهوضُ عن سَنَة الفترة عند الأخذ في السير إلى الله تعالىٰ ، وأما علم القيام بالله : فهو الاستقامة عند البقاء بعد الفناء . انظر « ذوارف اللطائف » (١/ ق٥٨) ، و« التعريفات » (ص١٥٣) .

(٣) انظر (٢/ ٤٣٤ـ٤٤٨) .

(٤) الشِّرْب : الحظُّ والنصيب ، وفي (هـ) : (وشرهها) ، وفي نسخة مستأنس بها : (وشَرَهها وشَرِّها) .

التوكُّلِ وما لا يَقدَحُ ، والفرقِ بينَ التوكُّلِ الواجبِ بحُكْمِ الإيمانِ وبينَ التوكُّلِ الخاصِّ المُختَصِّ بأهلِ العِرْفانِ ، وعلمُ الرِّضا وذنوبِ مقامِ الرِّضا ، وعلمُ الزهدِ وتجديدِهِ بما يلزمُ مِنْ ضرورتِهِ وما لا يَقدَحُ في حقيقتِهِ ، ومعرفةِ الزهدِ في الزهدِ ، ومعرفةِ زهدٍ ثالثٍ بعدَ الزهدِ في الزهدِ ، وعلمُ الإنابةِ والالتجاءِ ، ومعرفةِ أوقاتِ الدعاءِ ، ومعرفةِ وقتِ السكوتِ عنِ الدعاءِ .

وعلمُ المحبَّةِ ، والفرقِ بينَ المحبَّةِ العامَّةِ المُفسَّرةِ بامتثالِ الأمرِ والمحبَّةِ الخاصَّةِ ـ وقد أنكرَ طائفةٌ مِنْ علماءِ الدنيا دعوىٰ علماءِ الآخرةِ المحبَّةَ الخاصَّةَ ، كما أنكروا الرِّضا وقالوا : ليسَ إلا الصبرُ ـ وانقسامِ المحبَّةِ الخاصَّةِ إلىٰ محبَّةِ الذاتِ وإلىٰ محبَّةِ الصفاتِ ، والفرقِ بينَ محبَّةِ القلبِ ، ومحبَّةِ الروحِ ، ومحبَّةِ العقلِ ، ومحبَّةِ النفسِ ، والفرقِ بينَ مقامِ المُحِبِّ والمحبوبِ ، والمريدِ والمُرادِ .

ثمَّ علومُ المشاهداتِ ؛ كعلمِ الهَيْبةِ والأُنْسِ ، والقبضِ والبسطِ ، والفرقِ بينَهُما ، والفرقِ بينَ القبضِ والهمِّ والبسطِ والنشاطِ ، وعلمِ الفناءِ والبقاءِ ، وتفاوتِ أحوالِ الفناءِ ، والاستتارِ والتَّجلِّي ، والجَمْعِ والفَرْقِ ، واللَّوامعِ والطَّوالعِ ، والبَوَادي والصَّحْوِ والسُّكْرِ . . . وإلىٰ غيرِ ذلكَ ، ممَّا لوِ اتَّسَعَ الوقتُ لَذَكَرْناها وشَرَحْناها في مُجلَّداتٍ ، ولـٰكنَّ العُمُرَ قصيرٌ ، والوقتَ عزيزٌ ، ولولا سهمُ الغفلةِ لضاقَ الوقتُ عن هـٰذا القَدْرِ أيضاً[1] .

---

(١) وقد لخَّص شرحَ جميع هـٰذه العلوم والمعارف صاحبُ « ذوارف اللطائف » ، وراجعِ البابَ الثاني في « رسالة الإمام القشيري » ؛ فقد شرح وبيَّن فيه بعضَ الألفاظ التي أوردها المؤلف ها هنا .

وهٰذا المُختصَرُ المُؤلَّفُ يحتوي مِنْ علومِ القومِ علىٰ طَرَفٍ صالحٍ ، نرجو مِنَ اللهِ تعالى الكريمِ أنْ ينفعَ بهِ ويجعلَهُ حُجَّةً لنا لا حُجَّةً علينا .

وهٰذهِ كلُّها علومٌ مِنْ ورائِها علومٌ عَمِلَ بمُقتضاها وظَفِرَ بها علماءُ الآخرةِ الزاهدونَ ، وحُرِمَ ذلكَ علماءُ الدنيا الراغبونَ ، وهيَ علومٌ ذوقيَّةٌ لا يكادُ النَّظَرُ يَصِلُ إليها إلَّا بذوقٍ ووِجْدانٍ ؛ كالعلمِ بكيفيَّةِ حلاوةِ السُّكَّرِ ؛ لا يحصُلُ بالوصفِ ، فمَنْ ذاقَهُ عَرَفَهُ .

ويُنْبِئُكَ عن شرفِ علمِ الصُّوفيَّةِ وزُهَّادِ العلماءِ : أنَّ العلومَ كلَّها لا يتعذَّرُ تحصيلُها معَ محبَّةِ الدنيا والإخلالِ بحقائقِ التقوىٰ ، وربَّما كانَ محبَّةُ الدنيا عَوْناً على اكتسابِها ؛ لأنَّ الاشتغالَ بها شاقٌّ على النفوسِ ، فجُبِلَتِ النفوسُ علىٰ محبَّةِ الجاهِ والرِّفعةِ ، حتىٰ إذا استَشْعَرَتْ حصولَ ذلكَ بحصولِ العلمِ . . أجابتْ إلىٰ تحمُّلِ الكُلَفِ وسَهَرِ الليلِ[1] ، والصبرِ على الغُرْبةِ والأسفارِ ، وتعذُّرِ المَلاذِّ والشهواتِ .

وعلومُ هٰؤلاءِ القومِ لا تحصُلُ معَ محبَّةِ الدنيا ، ولا تنكشِفُ إلَّا بمجانبةِ الهوىٰ ، ولا تُدرَّسُ إلَّا في مدرسةِ التقوىٰ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؛ جعلَ العلمَ ميراثَ التقوىٰ ، وغيرُ علومِ هٰؤلاءِ القومِ مُتيسِّرٌ مِنْ غيرِ ذلكَ بلا شكٍّ .

فعُلِمَ فضلُ علمِ علماءِ الآخرةِ ؛ حيثُ لمْ يُكشَفِ النِّقابُ إلَّا لأُولي الألبابِ ، وأُولو الألبابِ حقيقةً همُ الزاهدونَ في الدنيا .

---

(١) الكُلَف : جمع (كُلْفة) ؛ وهي ما يتكلَّفُهُ الإنسانُ من نائبةٍ أو حق .

قالَ بعضُ الفقهاءِ : (إذا أوصىٰ إنسانٌ بمالِهِ لأَعْقَلِ الناسِ . . يُصْرَفُ إلى الزُّهَّادِ ؛ لأنَّهُم أَعْقَلُ الخَلْقِ)[1] .

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رحمَهُ اللهُ : (للعقلِ ألفُ اسمٍ ، ولكلِّ اسمٍ منهُ ألفُ اسمٍ ، وأوَّلُ كلِّ اسمٍ منهُ تركُ الدنيا)[2] .

(٨) ـ حدَّثَنا الشيخُ الصالحُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدُ بنُ أحمدَ[3] ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ الأَصْفهانيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا العبَّاسُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عقيلٍ الوَصَّافيُّ[4] ، قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ الخَوَّاصُ ـ وكانَ مِنْ أصحابِ حاتِمٍ ـ قالَ : دخلتُ معَ أبي عبدِ الرحمـٰنِ حاتِمٍ الأصمِّ الرَّيِّ ومعَهُ ثلاثُ مئةٍ وعشرونَ رجلاً يُريدونَ الحجَّ ، وعليهِمُ الصوفُ والزُّرْمانِقاتُ[5] ، ليسَ معَهُم جِرابٌ ولا

---

(١) عزاه الماوردي في « الحاوي الكبير » (٨/ ٣٥٣) ، والعمراني في « البيان » (٨/ ٢٢٨) ، والنووي في « الروضة » (٦/ ١٦٩) إلى الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ السماع للجماعة في الرابع على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

(٣) هو الإمام الثقة أبو الفضل حمد بن أحمد بن الحسين الأصفهاني الحدَّاد (ت ٤٨٨هـ) ، حدَّث ببغداد بكتاب « الحلية » لأبي نعيم عنه أثناء مروره بها لأداء الحج ، وكان إماماً فاضلاً ، صحيح السماع ، محققاً في الأخذ . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٢٠ـ٢١) .

(٤) في هامش (ج) : (الرصافي) ، ولم يُرمز بشيء .

(٥) في النسخ ما عدا (ي) : (الزرنبانقات) ، والزُّرْمَانِقات : جمع (زُرْمانِقَة) ؛ وهي جُبَّة من صوف ، قال أبو عبيد : أُراها عبرانية ، وقيل : فارسيٌّ معرَّبُ (أشتُربانه) ؛ =

طعامٌ[1] ، فدخَلْنا الرَّيَّ ، ودخَلْنا علىٰ رجلٍ مِنَ التُّجَّارِ مُتنسِّكٍ يُحِبُّ المُتقشِّفينَ ، فأضافَنا تلكَ الليلةَ .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ قالَ لحاتِمٍ : يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ ؛ ألكَ حاجةٌ ؟ فإنِّي أُرِيدُ أنْ أَعُودَ فقيهاً لنا هوَ عَليلٌ[2] ، فقالَ حاتِمٌ : إنْ كانَ لكُم فقيهٌ عَليلٌ فعِيادةُ المريضِ الفقيهِ لها فَضْلٌ[3] ، والنَّظَرُ إلى الفقيهِ عبادةٌ ، وأنا أيضاً أَجيءُ معكَ ، وكانَ العَليلُ محمدَ بنَ مُقاتِلٍ قاضيَ الرَّيِّ ، قالَ : مُرَّ بنا يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ[4] .

فجاؤوا إلى الباب ، فإذا بابٌ مُشرِفٌ حَسَنٌ[5] ، فبقيَ حاتِمٌ مُتفكِّراً يقولُ : بابُ عالِمٍ علىٰ هـٰذا الحالِ ؟!

ثمَّ أَذِنَ لهُم فدخلُوا ، فإذا دارٌ قَوْراءُ[6] ، وإذا بِزَّةٌ ومَنَعَةٌ وسُتُورٌ وجَمْعٌ[7] ، فبقِيَ حاتِمٌ مُتفكِّراً !!

= أي : متاع الجمَّال . انظر « تاج العروس » (٢٥/ ٤٠٢) ، وفي « التكملة والذيل علىٰ درة الغواص » (ص٨٧٨) : (ويقولون للجبة من الصوف : « زرنبانقة » ، وإنما هي « زرمانقة ») .

(١) الجِرَاب : وِعاء الزَّاد .

(٢) عَليل : مريض .

(٣) في بعض النسخ دون ذكر (الفقيه) ، وفي بعضها دون ذكر (المريض) .

(٤) في (ح) : (سِرْ بنا) بدل (مر بنا) .

(٥) المُشْرِف : العالي .

(٦) القَوْراء : الدار الواسعةُ الجوفِ .

(٧) البِزَّة : الهيئة الحسنة ؛ يُقال : فلانٌ حسنُ البِزَّة ؛ أي : حسنُ اللباس والهيئة ، وقال في « الذوارف » (١/ ق ٦٩) : (البِزَّة : الثياب الفاخرة كانت مُعلَّقةً بالسقف والجُدْران) ، والمَنَعَة : جمع (مانع) ؛ وهو مَنْ يحمي غيره من الضَّيم ، والمراد هنا : الحُجَّاب .

ثمَّ دخلُوا إلى المجلسِ الذي هوَ فيهِ ، فإذا بفُرُشٍ وَطِيئةٍ[1] ، وإذا هوَ راقدٌ عليها ، وعندَ رأسِهِ غلامٌ وبيدِهِ مِذَبَّةٌ[2] ، فقعدَ الرَّازيُّ فسألَهُ وحاتِمٌ قائمٌ ، فأَوْمأَ إليهِ ابنُ مقاتلٍ ؛ أنِ اقعُدْ ، فقالَ : لا أقعُدُ ، فقالَ لهُ ابنُ مقاتلٍ : لعلَّ لكَ حاجةً ؟ قالَ : نعم ، قالَ : وما هيَ ؟ قالَ : مسألةٌ أسألُكَ عنها ، قالَ : سَلْني ، قالَ : فقُمْ فاستوِ جالساً حتىٰ أسألَكَها ، فأمرَ غِلْمانَهُ فأَسْنَدُوهُ .

فقالَ لهُ حاتِمٌ : عِلْمُكَ هـٰذا مِنْ أينَ جئتَ بهِ ؟ قالَ : الثِّقاتُ حدَّثُوني بهِ ، قالَ : عمَّنْ ؟ قالَ : عن أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قال : وأصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عمَّنْ ؟ قالَ : عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ أينَ جاءَ بهِ ؟ قالَ : عن جِبْريلَ عليهِ السلامُ عنِ اللهِ تعالىٰ ، قالَ حاتِمٌ : ففيمَ أدَّاهُ جِبْريلُ عنِ اللهِ تعالىٰ ، وأدَّاهُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأدَّاهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أصحابِهِ ، وأدَّاهُ أصحابُهُ إلى الثِّقاتِ ، وأدَّاهُ الثِّقاتُ إليكَ ؟ هل سمعتَ في العِلْمِ : مَنْ كانَ في دارِهِ أميراً ومَنَعَتُهُ أكثرَ . . كانتْ لهُ المنزلةُ عندَ اللهِ أكثرَ ؟ قالَ : لا .

قالَ : فكيفَ سمعتَ ؟ قالَ : مَنْ زَهِدَ في الدنيا ، ورَغِبَ في الآخرةِ ، وأحبَّ المساكينَ ، وقَدَّمَ لآخرتِهِ . . كانَ لهُ عندَ اللهِ المنزلةُ أكثرَ .

قالَ حاتِمٌ : فأنتَ بمَنِ اقتديتَ ؟ بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابِهِ

---

(١) الوَطِيئة : اللَّيِّنة ، والفراش الوَطيء : الذي لا يُؤذي جنب النائم .

(٢) المِذَبَّة : ما يُدفَع به الذبابُ .

والصالحينَ ، أم بفِرْعونَ ونُمْرُوذَ أوَّلِ مَنْ بنىٰ بالجِصِّ والآجُرِّ ؟[١] .

يا علماءَ السوءِ ؛ مِثْلُكُم يراهُ الجاهلُ الطالبُ للدنيا الراغبُ فيها فيقولُ : العالِمُ علىٰ مثلِ هـٰذهِ الحالةِ لا أكونُ أنا شرّاً منه[٢] ، وخرجَ مِنْ عندِهِ ، فازدادَ ابنُ مقاتلٍ مَرَضاً .

فبلغَ أهلَ الرَّيِّ ما جرىٰ بينَهُ وبينَ ابنِ مقاتلٍ ، فقالُوا لهُ : يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ ؛ بقَزْوِينَ عالمٌ أكثرُ شيءٍ مِنْ هـٰذا[٣] ، وأشارُوا بهِ إلى الطَّنافِسِيِّ .

قالَ : فسارَ إليهِ مُتعمِّداً ، فدخلَ عليهِ ، فقالَ : رَحِمَكَ اللهُ أنا رجلٌ أعجميٌّ ، أُحِبُّ أنْ تُعلِّمَني أوّلَ مُبتدَأِ دِيني ومِفْتاحَ صلاتي ؛ كيفَ أتوضَّأُ للصلاةِ ؟ قالَ : نَعَمْ وكرامةً ، يا غلامُ ؛ هاتِ إناءً فيهِ ماءٌ ، فأُتِيَ بإناءٍ فيهِ ماءٌ ، فقعدَ الطَّنافِسِيُّ فتوضَّأَ ثلاثاً ثلاثاً ، ثمَّ قالَ : هكذا فتوضَّأْ ، فقعدَ[٤] ، فتوضَّأَ حاتِمٌ ثلاثاً ثلاثاً ، حتىٰ إذا بلغَ غسلَ الذراعَينِ غسلَ أربعاً ، فقالَ لهُ الطَّنافِسِيُّ : يا هـٰذا ؛ أسرفتَ ، فقالَ لهُ حاتِمٌ : فيماذا ؟ قالَ : غسلتَ ذراعَيْكَ أربعاً ، قالَ حاتِمٌ : يا سبحانَ اللهِ !! أنا في كفِّ ماءٍ أسرفتُ وأنتَ في هـٰذا الجمعِ كلِّهِ لمْ تُسرِفْ ؟! فعَلِمَ الطَّنافِسِيُّ أنَّهُ أرادَهُ بذلكَ ولم يُرِدْ منهُ التعلُّمَ ، فدخلَ البيتَ ولم يخرجْ إلى الناسِ أربعينَ يوماً .

---

(١) في (أ ، د ، ي) : (ونمرود) بالمهملة ، ويجوز فيها الإهمال والإعجام ، وبعضُهُم رجَّح الإعجام . انظر « تاج العروس » (٩/ ٢٤٠) .

(٢) في بعض النسخ : (إلا أكون) بدل (لا أكون) .

(٣) في (ح) : (بقزوين عالم أكبر شأناً من هـٰذا) ، وفي « الحلية » : (بقزوين أكثر شيء من هـٰذا) .

(٤) في النسخ ما عدا (ح) سقط قوله : (فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً . . . فقعد) ، والظاهر أنه من الناسخ ، والله تعالىٰ أعلم .

وكتبَ تُجَّارُ الرَّيِّ وقَزْوِينَ ما جرىٰ بينَهُ وبينَ ابنِ مقاتلٍ والطَّنافِسِيِّ ، فلمَّا دخلَ بغدادَ اجتمعَ إليهِ أهلُ بغدادَ ، فقالوا لهُ : يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ ؛ أنتَ رجلٌ أَلْكَنُ أعجميٌّ ليسَ يُكلِّمُكَ أحدٌ إلَّا قطعتَهُ ؟![1] .

قالَ : معي ثلاثُ خِصالٍ بهِنَّ أَظْهَرُ علىٰ خَصْمي ، قالُوا : أيُّ شيءٍ هيَ ؟ قالَ : أفرحُ إذا أصابَ خَصْمي ، وأحزنُ إذا أخطأَ ، وأحفظُ نفسي ألَّا أجهلَ عليهِ .

فبلَغَ ذلكَ أحمدَ بنَ حنبلٍ ، فجاءَ إليهِ وقالَ : سبحانَ اللهِ ما أَعْقَلَهُ !! فلمَّا دخلَ عليهِ قالَ[2] : يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ ؛ ما السلامةُ مِنَ الدنيا ؟ قالَ حاتِمٌ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ لا تسلَمُ مِنَ الدنيا حتىٰ تكونَ معَكَ أربعُ خِصالٍ ، قالَ : أيُّ شيءٍ هيَ يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ ؟ قالَ : تغفرُ للقومِ جهلَهُم ، وتمنعُ جهلَكَ عنهُم ، وتبذُلُ لهُم شيئَكَ ، وتكونُ مِنْ شيئِهِم آيِساً ، فإذا كانَ هـٰذا سلمتَ .

ثمَّ سارَ إلى المدينةِ[3] .

---

(١) الأَلْكَن : الرجل الذي في لسانه عُجْمةٌ ، وقطعتَهُ : غلبتَهُ بالحُجَّة .

(٢) في (ب ، ج ، و ، ز) : (فلما دخلوا عليه قالوا) ، وفي (أ ، هـ) : (فلما دخلوا عليه قال) ، والعبارة في « الحلية » : (قوموا بنا حتىٰ نسير إليه ، فلما دخلوا عليه قالوا) .

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٨٠ ـ ٨٣) ، واستكمالاً للفائدة نورد ما جرىٰ معه في المدينة كما في « الحلية » : (ثم سار إلى المدينة ، فاستقبله أهلُ المدينة ، فقال : يا قوم ؛ أيُّ مدينة هـٰذه ؟ قالوا : مدينةُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : فأين قصرُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأُصلِّيَ فيه ركعتين ؟ قالوا : ما كان له قصرٌ ، إنَّما كان له بيتٌ لاطِئٌ ، قال : فأين قصورُ أصحابه بعدَهُ ؟ قالوا : ما كان لهم قصور ، إنَّما كان لهم=

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ذكرَهُ بكلمةِ (إنَّما) ، فينتفي العلمُ عمَّنْ لا يخشى اللهَ ؛ كما إذا قالَ : إنَّما يدخلُ الدارَ بغداديٌّ ؛ ينتفي دخولُ غيرِ البغداديِّ الدارَ ، فَلاحَ لعلماءِ الآخرةِ[1] أنَّ الطريقَ مسدودٌ إلىٰ أَنْصِبَةِ المعارفِ ومقاماتِ القُربِ إلا بالزهدِ والتقوىٰ .

قالَ أبو يزيدَ رحمَهُ اللهُ يوماً لأصحابِهِ : بَقِيتُ البارحةَ إلى الصباحِ أَجْهَدُ أنْ أقولَ : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ما قَدَرْتُ عليهِ ، قيلَ : ولِمَ ؟ قالَ : ذكرتُ

= بيوتٌ لاطئة ، قال حاتِمٌ : يا قوم ؛ هـٰذه مدينةُ فرعونَ وجنودِهِ ، فذهبوا به إلى السلطان ، فقالوا : هـٰذا العَجَميُّ يقولُ : هـٰذه مدينةُ فرعونَ وجنودِهِ ، قال الوالي : ولِمَ ذاك ؟ قال حاتِمٌ : لا تعجَلْ عليَّ ، أنا رجلٌ عجميٌّ غريب دخلتُ المدينة ، فقلت : فأينَ قصرُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأُصلِّيَ فيه ركعتين ؟ قالوا : ما كان له قصر ، إنَّما كان له بيت لاطئ ، قلت : فلأصحابه بعدَهُ ؟ قالوا : ما كان لهم قصور ، إنَّما كان لهم بيوتٌ لاطئة ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، فأنتم بمَنْ تأسَّيتم ؟! برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، أو بفرعونَ أَوَّلِ مَنْ بنىٰ بالجِصِّ والآجُرِّ ؟! فخلَّوا عنه وعَرَفُوه .

فكان حاتمٌ كلَّما دَخَلَ المدينةَ يجلسُ عندَ قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم يُحدِّث ويدعو ، فاجتمع علماءُ المدينة فقالوا : تعالوا حتىٰ نُخجِلَهُ في مجلسه ، فجاؤوه ومجلسُهُ غاصٌّ بأهله ، فقالوا : يا أبا عبد الرحمـٰن ؛ مسألة نسألك ، قال : سَلُوا ، قالوا : ما تقولُ في رجلٍ يقول : اللهمَّ ؛ ارزُقْني ؟ قال حاتِمٌ : متىٰ طلب هـٰذا الرزقَ ؟ في الوقت أم قبل الرزق ؟ قالوا : ليس يُفهَمُ هـٰذا يا أبا عبد الرحمـٰن ، قال : إن كان هـٰذا العبدُ طَلَبَ الرزق من ربِّهِ في وقت الحاجة . . فنِعْمَ ، وإلا فأنتم عندكم حَرْث ، ودراهمُ في أكياسكم ، وطعامٌ في منازلكم ، وأنتم تقولون : اللهمَّ ؛ ارزُقْنا !! قد رزقكم الله ، فكُلُوا وأَطْعِمُوا إخوانكم ، حتىٰ قالها ثلاثاً ، فسَلُوا الله حتىٰ يُعطيَكُم ، أنتَ عسىٰ تموتُ غداً وتُخلِّف هـٰذا على الأعداء وأنت تسألُهُ أن يرزقك زيادةً ، فقال علماءُ المدينة : نستغفرُ الله ، إنَّما أَرَدْنا بالمسألة تعنُّتاً) .

(١) أي : ظهر لهم من فَحْوىٰ هـٰذه الآية .

كلمةً قلتُها في صِباي ، جاءَتْني وَحْشةُ تلكَ الكلمةِ فمنعَتْني عن ذلكَ ، وأعجَبُ ممَّنْ يذكرُ اللهَ تعالىٰ وهوَ مُتَّصِفٌ بشيءٍ مِنْ صفاتِهِ !![1] .

فبصفاءِ التقوىٰ وكمالِ الزَّهادةِ يصيرُ العبدُ راسخاً في العلمِ .

قالَ الواسِطِيُّ : (الراسخونَ في العلمِ : همُ الذينَ رسخُوا بأرواحِهِم في غيبِ الغيبِ في سِرِّ السِّرِّ ، فعرَّفَهُم ما عرَّفَهُم ، وخاضوا في بحارِ العلمِ بالفهمِ لطلبِ الزياداتِ ، فانكشفَ لهُم مِنْ مذخورِ الخزائنِ تحتَ كلِّ حرفٍ مِنَ الكلامِ ؛ مِنَ الفهمِ وعجائبِ الخطابِ ، فنطقُوا بالحِكَمِ)[2] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الراسخُ : مَنِ اطَّلعَ علىٰ مَحَلِّ المرادِ مِنَ الخِطابِ)[3] .

وقالَ الخَرَّازُ : (همُ الذينَ كَمَلُوا في جميعِ العلومِ وعَرَفُوها ، واطَّلعُوا علىٰ هِمَمِ الخلائقِ كلِّهِم أجمعينَ)[4] .

وهـٰذا القولُ مِنْ أبي سعيدٍ لا يَعْني بهِ : أنَّ الراسخَ في العلمِ ينبغي أنْ يقفَ علىٰ جُزْئيَّاتِ العلومِ ويَكمُلَ فيها ؛ فإنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ مِنَ الراسخينَ في العلمِ ووقفَ في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٣١] ، وقالَ : ما الأَبُّ ؟ ثمَّ قالَ : إنْ هـٰذا إلَّا تكلُّفٌ[5] ، ونُقِلَ هـٰذا

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٩٠) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٨٧) ، وفي (ز ، ح) : (من مذخور) بدل (من مذخور) ، ومذخور الخزائن : ما ذُخِرَ وخُبِّئَ فيها ممَّا بيَّنه بقوله : (من الفهم. . .) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٨٧) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٨٧) .

(٥) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٤٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٨) .

الوقوفُ في معنى الأبِّ أنَّهُ كانَ مِنْ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

وإنَّما عَنَىٰ بذلكَ أبو سعيدٍ : ما يُفسِّرُ أوَّلُ كلامِهِ بآخرِهِ ؛ وهوَ قولُهُ : (اطَّلعُوا علىٰ هِمَمِ الخلائقِ كلِّهِم) ؛ لأنَّ المُتَّقيَ حقَّ التقوىٰ ، والزاهدَ حقَّ الزَّهادةِ في الدنيا . . صفا باطنُهُ ، وانجلتْ مِرْآةُ قلبِهِ ، ووقعتْ لهُ مُحاذاةٌ بشيءٍ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ ، فأدركَ بصفاءِ الباطنِ أُمَّهاتِ العلومِ وأصولَها ، فيعلمُ مُنْتهىٰ أقدامِ العلماءِ في علومِهِم ، وفائدةَ كلِّ علمٍ ، والعلومُ الجُزْئيَّةُ مُتجزِّئةٌ في النفوسِ بالتعلُّمِ والممارسةِ ، فلا يُغنيهِ علمُهُ الكُلِّيُّ أنْ يُراجِعَ في الجُزْئيِّ أهلَهُ الذينَ هم أوعيتُهُ ، فنفوسُ هـٰؤلاءِ امتلأَتْ مِنَ الجُزْئيِّ واشتغلتْ بهِ ، وانقطعتْ بالجُزْئيِّ عنِ الكُلِّيِّ .

ونفوسُ العلماءِ الزاهدينَ بعدَ الأخذِ ممَّا لا بدَّ لهُم منهُ في أصلِ الدِّينِ وأساسِهِ مِنَ الشرعِ . . أقبلُوا على اللهِ ، وانقطعُوا إليهِ ، وخَلَصتْ أرواحُهُم إلىٰ مقامِ القُربِ منهُ ، فأفاضتْ أرواحُهُم علىٰ قلوبِهِم أنواراً تهيَّأَتْ بها قلوبُهُم لإدراكِ العلومِ .

فأرواحُهُمُ ارتقتْ عن حدِّ إدراكِ العلومِ بعُكُوفِها على العالِمِ الأزليِّ ، وتجرَّدتْ عن وجودٍ يصلُحُ أنْ يكونَ وِعاءً للعلمِ ، وقلوبُهُم بنسبةِ وجهِها الذي يَلِي النفوسَ صارتْ أوعيةً وجوديَّةً ، تُناسِبُ وجودَ العِلْمِ بالنسبةِ الوجوديَّةِ ، فتألَّفتِ العلومَ وتألَّفَتْها العلومُ بمناسبةِ انفصالِ العلومِ باتِّصالِها باللوحِ المحفوظِ ، والمَعْنِيُّ بالانفصالِ : انتقاشُها في اللوحِ لا غيرُ ،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٣١) ، وأبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص٣٧٥) .

وانفصالُ القلوبِ عن مقامِ الأرواحِ ؛ لوجودِ انجذابِها إلى النفوسِ ، فصارَ بينَ المُنفصِلَينِ نسبةُ اشتراكٍ مُوجِبٍ للتآلُفِ ، فحصلتِ العلومُ لذلكَ ، وصارَ العالِمُ الربَّانيُّ راسخاً في العلمِ .

أَوْحى اللهُ تعالىٰ في بعضِ الكُتُبِ المُنْزَلةِ : (يا بَني إسرائيلَ ؛ لا تقولُوا : العلمُ في السماءِ مَنْ ينزلُ بهِ ؟ ولا في تُخُومِ الأرضِ مَنْ يصعَدُ بهِ ؟[1] ، ولا مِنْ وراءِ البحارِ مَنْ يَعبُرُ يأتي بهِ ؟ العلمُ مَجْعولٌ في قلوبِكُم ، تأدَّبُوا بينَ يَدَيَّ بآدابِ الرُّوحانيِّينَ ، وتخلَّقُوا لي بأخلاقِ الصِّدِّيقينَ . أُظْهِرِ العلمَ مِنْ قلوبِكُم حتىٰ يُغطِّيَكُم ويَغمُرَكُم)[2] .

فالتأدُّبُ بآدابِ الرُّوحانيِّينَ : حَصْرُ النفوسِ عن تقاضي جِبِلَّاتِها ، وقمعُها بصريحِ العلمِ في كلِّ قولٍ وفعلٍ ، ولا يصحُّ ذلكَ إلَّا لمَنْ عَلِمَ وقَرُبَ ، وتطرَّقَ إلى الحضورِ بينَ يدَيِ اللهِ ، فيتحفَّظُ بالحقِّ للحقِّ .

(٩) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورِ بنُ خَيْرُونَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ صاعدٍ ، قالَ : أخبرَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزِيُّ[4] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ،

---

(١) التُّخُوم : جمع (تَخْم) ؛ وهو منتهى الأرض .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٨٦)، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٢٦٥).

(٣) هو ابن حيُّويَه البغدادي الخزَّاز ، الإمام المحدث المسند الثقة (ت ٣٨٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٠٩) .

(٤) هو الإمام الحافظ الصادق أبو عبد الله السلمي المروزي (ت ٢٤٦هـ) صاحب=

قالَ : أخبرَنا الأَوْزاعيُّ ، عن حسَّانَ بنِ عطيَّةَ ، قالَ : بلغَني أنَّ شدَّادَ بنَ أَوْسٍ رضيَ اللهُ عنهُ نزلَ مَنْزِلاً فقالَ : ائتُونا بالسُّفْرةِ نَعبَثْ بها[1] ، فأُنكِرَ منهُ ذلكَ ، فقالَ : ما تكلَّمتُ بكلمةٍ منذُ أسلمتُ إلَّا وأنا أَخْطِمُها ثمَّ أَزُمُّها غيرَ هٰذهِ[2] ، فلا تحفظُوها عليَّ[3] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : فمثلَ هٰذا يكونُ التأدُّبُ بآدابِ الرُّوحانيِّينَ .

مكتوبٌ في الإنجيلِ : (لا تطلبُوا علمَ ما لم تعلمُوا حتىٰ تعملُوا بما قد عَلِمْتُم)[4] .

وقد وَرَدَ في خبرٍ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ رُبَّمَا سَبَقَكُمْ بِٱلْعِلْمِ » ، قُلْنا : يا رسولَ اللهِ ؛ كيفَ يسبقُنا بالعلمِ[5] ؟ قالَ :

= ابن المبارك ، وحدَّث عنه بشيء كثير . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ١٩٠) .

(١) السُّفْرة : طعام يُصنع للمسافر ، ثم استعملت للجلدة التي يُوضع فيها الطعام مجازاً .

(٢) الخَطْم في الأصل : ضرب أنف الدابة ، والزَّمُّ كذلك : تعليق الزِّمام عليها .

(٣) الزهد (٨٤٣) لابن المبارك ، ورواه أحمد (٤/ ١٢٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٧٧) ، ووصله ابن حبان (٩٣٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٣٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٦) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٨٦) ، والإمام الغزالي في « الإحياء » (١/ ٢٣٧) .

(٥) في (ح) : (يسوِّفكم . . . كيف يُسوِّفنا) بدل (سبقكم . . . كيف يسبقنا) ، وفي « الجامع لأخلاق الراوي » : (لَيَسبَعُكم . . . كيف يسبَعُنا) قال الزَّبيدي في « الإتحاف » (١/ ٣٧٦) : (ووجدتُ في نسخة « المغني » للحافظ العراقي التي قُرِئتْ عليه وعليها خطُّهُ : « ربَّما يسبعُكم » بالعين المهملة مكانَ القاف ، وعليه التصحيح ، ولم أجد له معنىً) ، وقال الغماري في « الغنية » (١/ ٦٧ـ ٦٨) : (تنبيه : المُتداوَلُ في كتب الصوفية ؛ كـ « القوت » و« الإحياء » و« العوارف » في هٰذا الحديث : « سبقكم » بالقاف ، وهو تحريف ، والصواب ـ كما وقع بخط الحافظ العراقي في =

« يَقُولُ : ٱطْلُبِ ٱلْعِلْمَ وَلَا تَعْمَلْ بِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ ، فَلَا يَزَالُ فِي ٱلْعِلْمِ قَائِلاً وَلِلْعَمَلِ مُسَوِّفاً حَتَّىٰ يَمُوتَ وَمَا عَمِلَ »(١) .

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ليسَ العِلْمُ بكثرةِ الروايةِ ، إنَّما العلمْ الخَشْيةُ)(٢) .

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ لا يَعْبأُ بذي علمٍ وروايةٍ ، إنَّما يعبأُ بذي فهمٍ ودرايةٍ)(٣) .

فعلومُ الوِراثةِ مُستخرَجةٌ مِنْ علمِ الدِّراسةِ .

ومثالُ علومِ الدِّراسةِ : كاللَّبَنِ الخالصِ السائغِ للشاربينَ ، ومثالُ علومِ الوِراثةِ : كالزُّبْدِ المُستخرَجِ منهُ ، فلو لم يكنْ لَبَنٌ لم يكنْ زُبْدٌ ، ولٰكنَّ الزُّبْدَ هوَ الدُّهْنيَّةُ المطلوبةُ مِنَ اللَّبَنِ ، والمائيَّةُ في اللبنِ جسمٌ قامَ بهِ روحُ الدُّهنيَّةِ ، والمائيَّةُ بها القِوَامُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ؛ أي : كانَ مَيْتاً

= « المغني » ـ : « سبعكم » بالعين المهملة ؛ أي : يسرقكم بالعلم ويغويكم به ، ويختطفكم من ميدان العمل والإقبالِ عليه إلى الاشتغال بالعلم والانهماك فيه إلى الممات) .

(١) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي » (٣٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١/ ٣٧٦) ، و« غنية العارف » (١/ ٦٦ـ٦٧) .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٨٦٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٣١) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٧٣) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٢٥٣) عن أبي محمد الجُريري ممَّا سمعه في منامه .

بالكفرِ فأحييناهُ بالإسلامِ ؛ فالإحياءُ بالإسلامِ هوَ القِوَامُ الأوَّلُ والأصلُ الأوَّلُ .

وللإسلامِ علومُهُ ؛ وهيَ علومُ مَباني الإسلامِ ، والإسلامُ بعدَ الإيمانِ نظراً إلىٰ مُجرَّدِ التصديقِ ، ولـٰكنْ للإيمانِ فروعٌ بعدَ التحقُّقِ بالإسلامِ ، وهيَ مراتبُ ؛ كعلمِ اليقينِ ، وعينِ اليقينِ ، وحقِّ اليقينِ ، وقد يُقالُ : التوحيدُ ، والمعرفةُ ، والمشاهدةُ ، وللإيمانِ في كلِّ فرعٍ مِنْ فروعِهِ علومٌ .

فعلومُ الإسلامِ علومُ اللسانِ ، وعلومُ الإيمانِ علومُ القلوبِ .

ثمَّ علومُ القلوبِ : لها وصفٌ خاصٌّ ، ووصفٌ عامٌّ :

فالوصفُ العامُّ : علمُ اليقينِ ، وقد يُتوصَّلُ إليهِ بالنظرِ والاستدلالِ ، ويشتركُ فيهِ علماءُ الدنيا معَ علماءِ الآخرةِ .

ولهُ وصفٌ خاصٌّ يختصُّ بهِ علماءُ الآخرةِ ؛ وهيَ السَّكينةُ التي أُنزِلتْ في قلوبِ المؤمنينَ ليزدادُوا إيماناً معَ إيمانِهِم(١) .

فعلىٰ هـٰذا : جميعُ الرُّتَبِ يشملُها اسمُ الإيمانِ بوصفِهِ الخاصِّ ، ولا يشملُها بوصفِهِ العامِّ ؛ فبالنظرِ إلى الوصفِ الخاصِّ : اليقينُ ومراتبُهُ مِنَ الإيمانِ ، وبوصفِهِ العامِّ : اليقينُ زيادةٌ على الإيمانِ ، والمشاهدةُ وصفٌ خاصٌّ في علم اليقينِ ؛ وهوَ عينُ اليقينِ ، وفي عينِ اليقينِ وصفٌ خاصٌّ ؛ وهوَ حقُّ اليقينِ ؛ فحقُّ اليقينِ إذاً فوقَ المشاهدةِ ، وحقُّ اليقينِ مَوْطِنُهُ

---

(١) قوله : (السَّكينة) ؛ أي : سكونُ النفس عن الميل إلىٰ شهوة ، واطمئنانُها بذكر الله تعالىٰ ، وقيل : مَلَكٌ يسكنُ قلبَ المؤمن . من هامش (ي) .

ومُستقَرُّهُ في الآخرةِ ، وفي الدنيا منهُ لَمْحٌ يسيرٌ لأهلِهِ ، وهوَ مِنْ أعزِّ ما يوجدُ مِنْ أقسامِ العلمِ باللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّهُ وِجْدانٌ .

فصارَ علمُ الصُّوفيَّةِ وزُهَّادِ العلماءِ نسبتُهُ إلىٰ علمِ علماءِ الدنيا الذينَ ظَفِرُوا باليقينِ بطريقِ النظرِ والاستدلالِ . كنسبةِ ما ذَكَرْناهُ مِنْ علمِ الوِراثةِ والدِّراسةِ ؛ علمُهُم بمثابةِ اللَّبَنِ ؛ لأنَّهُ اليقينُ والإيمانُ الذي هوَ الأساسُ ، وعلمُ الصُّوفيَّةِ باللهِ تعالىٰ مِنْ أَنْصِبةِ المشاهدةِ ، وعينُ اليقينِ وحقُّ اليقينِ كالزُّبْدِ المُستخرَجِ مِنَ اللَّبَنِ .

ففضيلةُ الإنسانِ بفضيلةِ العلمِ ، ورَزَانةُ الأعمالِ علىٰ قَدْرِ الحظِّ مِنَ العلمِ ، وقد وَرَدَ في الخبرِ : « فَضْلُ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أُمَّتِي »[1] .

والإشارةُ في هـٰذا العلمِ ليسَ إلىٰ علمِ البيعِ والشراءِ ، والطلاقِ والعَتاقِ ، وإنَّما الإشارةُ إلى العلمِ باللهِ تعالىٰ وقوَّةِ اليقينِ ، وقد يكونُ العبدُ عالماً باللهِ تعالىٰ ذا يقينٍ كاملٍ وليسَ عندَهُ علمٌ مِنْ فروضِ الكفاياتِ ، وقد كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أعلمَ مِنْ علماءِ التابعينَ بحقائقِ اليقينِ ودقائقِ المعرفةِ ، وقد كانَ علماءُ التابعينَ فيهِم مَنْ هوَ أقوَمُ بعلمِ الفتوىٰ والأحكامِ مِنْ بعضِهِم .

---

(١) رواه الحارث كما في « بغية الباحث » (٣٩) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٩٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورواه الترمذي (٢٦٨٥) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه بلفظ : « فضلُ العالِمِ على العابدِ كفضلي علىٰ أدْناكُم » ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٨٦) ، و« غنية العارف » (١/ ٦٩) .

رُوِيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما كانَ إذا سُئِلَ عن شيءٍ يقولُ : (سَلُوا سعيدَ بنَ المُسيِّبِ)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما يقولُ : (سَلُوا جابرَ بنَ عبدِ اللهِ ، لو نزلَ أهلُ البَصْرةِ علىٰ فُتياهُ لَوسِعَهُم)[2] .

وكانَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (سَلُوا مَوْلانا الحسنَ ؛ فإنَّهُ قد حَفِظَ ونَسِينا)[3] .

فكانُوا يَرُدُّونَ إليهِمُ الناسَ في علمِ الفتوىٰ والأحكامِ ، ويُعلِّمونَهُم حقائقَ اليقينِ ودقائقَ المعرفةِ ؛ وذلكَ لأنَّهُم كانُوا أَقْوَمَ بذلكَ مِنَ التابعينَ ، صادفَهُم طَرَاوةُ الوحيِ المُنزَلِ ، وغَمَرَهُم غزيرُ العلمِ المُجمَلِ والمُفصَّلِ[4] ، فتلقَّىٰ منهُم طائفةٌ مُجملَهُ ومُفصَّلَهُ ، وطائفةٌ مُفصَّلَهُ دونَ مُجمَلِهِ ، وطائفةٌ مُجملَهُ دونَ مُفصَّلِهِ ، والمُجمَلُ : أصلُ العلمِ ، ومُفصَّلُهُ[5] : المُكتسَبُ بطهارةِ

---

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٥/ ١٤٠) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٤٧٥ـ٤٧٦) .

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ١٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٨٥) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٤١٢) ، وفيها جميعها أنه قاله في حق جابر بن زيد أبي الشعثاء ، وهو الصواب ، كما هو الواضح من خلال السياق .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٧٤٥) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٧/ ١٧٦) ، والحسن : هو ابن يسار البصري التابعي الشهير رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه .

(٤) في النسخ ما عدا (ب ، هـ ، و ، ز) : (عزيز) بدل (غزير) ، وفي (و) : (الوحي) بدل (العلم) .

(٥) في النسخ ما عدا (ح) : (ومطلقه) .

القلوبِ وقوةِ الغريزةِ وكمالِ الاستعدادِ ، وهوَ خاصٌّ بالخواصِّ [1] .

قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، وقالَ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فلهٰذهِ السُّبُلِ سابلةٌ [2] ، ولهٰذهِ الدعواتِ قلوبٌ قابلةٌ ؛ فمنها نفوسٌ مُستعصِيةٌ جامدةٌ باقيةٌ علىٰ خُشُونةِ طبيعتِها وجِبِلَّتِها ، فليَّنَها بنارِ الإنذارِ والموعظةِ والحِذَارِ ، ومنها نفوسٌ زَكِيَّةٌ مِنْ تُرْبةٍ طيِّبةٍ موافقةٍ للقلوبِ قريبةٍ منها ؛ فمَنْ كانتْ نفسُهُ ظاهرةً علىٰ قلبِهِ . . دعاهُ بالموعظةِ ، ومَنْ كانَ قلبُهُ ظاهراً علىٰ نفسِهِ . . دعاهُ بالحكمةِ .

فالدعوةُ بالموعظةِ أجابَ بها الأبرارُ ؛ وهيَ الدعوةُ بذِكْرِ الجنةِ والنارِ .

والدعوةُ بالحكمةِ أجابَ بها المُقرَّبونَ ؛ وهيَ الدعوةُ بتلويحِ مِنَحِ القُرْبِ ، وصَفْوِ المعرفةِ ، وإشارةِ التوحيدِ ، فلمَّا وجدُوا التلويحاتِ الحَقَّانيَّةَ [3] ، والتعريفاتِ الربَّانيَّةَ . . أجابُوا بأرواحِهِم وقلوبِهِم ونفوسِهِم ، فصارتْ متابعةُ الأقوالِ إجابتَهُم نَفْساً ، ومتابعةُ الأعمالِ إجابتَهُم قلباً ، والتحقُّقُ بالأحوالِ إجابتَهُم رُوحاً ؛ فإجابةُ الصُّوفيَّةِ بالكلِّ ، وإجابةُ غيرِهِم بالبعضِ .

---

(١) في بعض النسخ : (خاص لخصوص) بدل (وهو خاص بالخواص) ، وفي بعضها : (خاص لخواص) ، وفي بعضها : (خاص بخصوص) .

(٢) السابلة في الأصل : جمع (سابل) ؛ وهي الجماعة المختلفة في الطرقات في حوائجهم .

(٣) وهي المنسوبة إلى الحقِّ جلَّ جلاله .

قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (رَحِمَ اللهُ صُهَيباً ؛ لو لم يَخَفِ اللهَ لم يَعصِهِ)[1] ؛ يعني : **لو كُتِبَ لهُ كتابُ الأمانِ مِنَ النارِ** . . حَمَلَهُ صِرْفُ المعرفةِ بعظيمِ أمرِ اللهِ تعالىٰ على القيامِ بواجبِ حقِّ العبوديَّةِ[2] ؛ أداءً لما عَرَفَ مِنْ حقِّ العَظَمَةِ .

فإجابةُ الصُّوفيَّةِ إلى الدعوةِ إجابةُ المُحِبِّ للمحبوبِ على اللَّذَاذةِ وذهابِ العُسْرِ ، **وإجابةُ غيرِهِم** على المُكابَدةِ والمُجاهَدةِ ، وهٰذهِ الإجابةُ يظهرُ معَ الساعاتِ أَثَرُها في القيامِ بحقائقِ الاستقامةِ والعبوديَّةِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ـ٧] .

قالَ بعضُهُم : (﴿ أَعْطَىٰ ﴾ الدَّارَينِ ولم يرَ شيئاً ، ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ اللغوَ والسيِّئاتِ ، ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أقامَ علىٰ طلبِ الزُّلْفىٰ)[3] .

---

(١) أورده أبو عبيد في « غريب الحديث » (٤/ ٢٨٤) ، وقال الإمام السيوطي في « جامع الأحاديث » (٣١٥٥٨) : (أورده أبو عبيد في « الغريب » ولم يسق إسناده ، وقد ذكر المُتأخِّرون من الحُفَّاظ أنَّهُم لم يقفوا له علىٰ إسناد ، وإنَّما ذكرته هنا وإن كان ليس من شرط الكتاب ؛ لشهرته ، ولأُنبِّه علىٰ أنَّ أبا عبيد أورده ، وأبو عبيد في الصدر الأول قريب العهد ، أدرك أتباعَ التابعين ؛ فالظاهر : أنَّهُ وصل إليه بإسناد ، ولم أذكر في هٰذا الكتاب شيئاً لم أقف علىٰ إسناده سوىٰ هٰذا فقط) ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٧٧) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّ سالماً شديدُ الحبِّ لله عزَّ وجلَّ ، لو كان لا يخافُ اللهَ عزَّ وجلَّ . . ما عصاه » ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٣٢٣) ، و« المقاصد الحسنة » (١٢٥٩) .

(٢) في (أ) : (وتعظيم) بدل (بعظيم) ، وفي (ي) : (بتعظيم) .

(٣) انظر « تفسير السلمي » (٢/ ٣٩٨) .

والآيةُ قيلَ : نزلتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

ويلوحُ في الآيةِ وجهٌ آخَرُ : ﴿أَعْطَىٰ﴾ بالمُواظَبةِ على الأعمالِ ، ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الـوَسْـاوسَ والهـواجسَ ، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ لازمَ البـاطـنَ بتصفيـةِ مـواردِ الشهودِ ، عن مُزاحَمةِ لَوْثِ الوجودِ . . ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ نفتحُ عليهِ بابَ السُّهُولةِ في العملِ والعيشِ والأُنْسِ ، ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بالأعمال ، ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ امتلأَ بالأحوالِ ، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ لم يكنْ في الملكوتِ بنُفُوذِ بصيرتهِ بالجوَّالِ . . ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل : ٥-١٠] نسُدُّ عليهِ بابَ اليُسْرِ في الأعمالِ .

قالَ بعضُهُم : (إذا أرادَ اللهُ تعالىٰ بعبدٍ سوءاً . . سدَّ عليهِ بابَ العملِ ، وفتحَ عليهِ بابَ الكسلِ) .

فلمَّا أجابتْ نفوسُ الصُّوفيَّةِ وقلوبُهُم وأرواحُهُمُ الدعوةَ ظاهراً وباطناً . . كانَ حظُّهُم مِنَ العلمِ أوفرَ ، ونصيبُهُم مِنَ المعرفةِ أكملَ ، فكانتْ أعمالُهُم أَزْكىٰ وأفضلَ .

جاءَ رجلٌ إلىٰ مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : **أَخْبِرْني عن رجلَينِ ؛ أحدُهُما مُجتهِدٌ في العبادةِ ، كثيرُ العملِ ، قليلُ الذنوبِ ، إلَّا أنَّهُ ضعيفُ اليقينِ ، يَعْتوِرُهُ الشكُّ** ، قالَ مُعاذٌ : لَيُحْبِطَنَّ شكُّهُ أعمالَهُ .

قالَ : فأَخْبِرْني عن رجلٍ قليلِ العملِ ، **إلَّا أنَّهُ قويُّ اليقينِ** ، وهوَ في ذلكَ كثيرُ الذنوبِ ، فسكتَ مُعاذٌ ، فقالَ الرجلُ : واللهِ ؛ **لئنْ أَحْبطَ شكُّ الأوّلِ أعمالَ برِّهِ** . . ليُحْبِطَنَّ يقينُ هـٰذا ذنوبَهُ كلَّها ، قالَ : فأخذَ مُعاذٌ بيدِهِ

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص٤٥٦) ، و« الدر المنثور » (٨/ ٥٣٨) .

وقالَ : ما رأيتُ الذي هوَ أفقهُ مِنْ هـٰذا !![1] .

وفي وصيَّةِ لقمانَ لابنِهِ : (يا بُنَيَّ ؛ لا يُستطاعُ العملُ إلَّا باليقينِ ، ولا يعملُ المرءُ إلَّا بقَدْرِ يقينِهِ ، ولا يُقصِّرُ عاملٌ حتىٰ يُقصِّرَ يقينُهُ)[2] .

فكانَ اليقينُ أفضلَ العلمِ ؛ لأنَّهُ أَدْعىٰ إلى العملِ ، وما كانَ أَدْعىٰ إلى العملِ كانَ أَدْعىٰ إلى العُبُوديَّةِ ، وما كانَ أَدْعىٰ إلى العُبُوديَّةِ كانَ أَدْعىٰ إلى القيامِ بحقِّ الرُّبُوبيَّةِ ، وكمالُ الحظِّ مِنَ اليقينِ والعلمِ باللهِ .. للصُّوفيَّةِ والعلماءِ الزاهدينَ ، فبانَ بذلكَ فضلُهُم وفضلُ علمِهِم .

ثمَّ إنِّي أُصوِّرُ مسألةً يستبينُ بها للمُعتبِرِ فضلُ العالِمِ الزاهدِ العارفِ بصفاتِ نفسِهِ علىٰ غيرِهِ :

عالِمٌ دخلَ مَجْلِساً وقعدَ ، وميَّزَ لنفسِهِ مَجْلِساً يجلسُ فيهِ ، كما في نفسِهِ مِنِ اعتقادِهِ في نفسِهِ لمَحَلِّهِ وعلمِهِ ، فدخلَ داخلٌ مِنْ أبناءِ جنسِهِ وقعدَ فوقَهُ ، فانعصرَ العالِمُ وأَظْلَمتْ عليهِ الدنيا ، ولو أمكنَهُ لَبَطَشَ بالداخلِ .

فهـٰذا عارضٌ عَرَضَ لهُ ، ومرضٌ اعتراهُ ، وهوَ لا يفطُنُ أنَّ هـٰذهِ عِلَّةٌ غامضةٌ ، ومرضٌ يحتاجُ إلى المُداواةِ ، ولا يتفكَّرُ في مَنْشَأِ هـٰذا المرضِ ، ولو تفكَّر أحدٌ لعَلِمَ أنَّ هـٰذهِ نفسٌ ثارتْ وظهرتْ بجَهْلِها[3] ، وجَهْلُها لوجودِ كِبْرِها ، وكِبْرُها برؤيةِ نفسِها خيراً مِنْ غيرِها ، فعلمُ الإنسانِ أنَّهُ أكبرُ مِنْ غيرِهِ كِبْرٌ ، وإظهارُهُ ذلكَ إلى الفعلِ تكبُّرٌ ، فحيثُ انعصرَ صارَ فعلاً بهِ تكبُّرٌ .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٨٠) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٨١)، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٢٦٩).

(٣) في النسخ ما عدا (و) : (ولو علم) بدل (ولو تفكَّر أحد لعلم) .

فالصُّوفيُّ العالِمُ الزاهدُ لا يُميِّزُ نفسَهُ بشيءٍ دونَ المسلمينَ ، ولا يرىٰ نفسَهُ في مقامِ تمييزٍ يُميِّزُها بمَجْلِسٍ مخصوصٍ مُميَّزٍ ، ولو قُدِّرَ لهُ أنْ يُبتلىٰ بمثلِ هٰذهِ الواقعةِ ، وينعصرَ مِنْ تقدُّمِ غيرِهِ عليهِ وترفُّعِهِ . . يرى النفسَ وظهورَها ، ويرىٰ أنَّ هٰذا داءٌ ، وأنَّهُ إنِ استرسلَ فيهِ بالإصغاءِ إلى النفسِ وانعصارِها . . صارَ ذلكَ ذنبَ حالِهِ ، فيرفعُ في الحالِ داءَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، ويشكو إليهِ ظهورَ نفسِهِ ، ويُحسِنُ الإنابةَ بقطعِ دابرِ ظهورِ النفسِ ، ويرفعُ القلبَ إلى اللهِ مُستغيثاً مِنَ النفسِ ، ويشغلُهُ اشتغالُهُ برؤيةِ داءِ النفسِ في طلبِ دوائِها عنِ الفِكْرِ فيمَنْ قعدَ فوقَهُ ، وربَّما أقبلَ علىٰ مَنْ قعدَ فوقَهُ بمَزِيدِ التواضعِ والانكسارِ ؛ تكفيراً لذنبِهِ الموجودِ ، وتداوِياً لدائِهِ الحاصلِ .

فيتبيَّنُ بهٰذا : الفرقُ بينَ الرجلَينِ .

فإذا اعتبرَ المُعتبِرُ ، وتفقَّدَ حالَ نفسِهِ في هٰذا المقامِ . . يرىٰ نفسَهُ كنفوسِ عوامِّ الخَلْقِ وطالِبِي المناصبِ الدُّنيويَّةِ ، فأيُّ فرقٍ بينَهُ وبينَ غيرِهِ ممَّنْ لا علمَ لهُ ؟!

ولو أكثَرْنا تصويرَ هٰذهِ المسائلِ لِنُبرهِنَ فضيلةَ الزاهدينَ ، ونُقصانَ الراغبينَ . . لَأَوْرَثَ المَلالَ ، وهٰذا مِنْ أوائلِ علومِ الصُّوفيَّةِ ، فما ظَنُّكَ بنفائسِ علومِهِم ، وشرائفِ أحوالِهِم ؟! واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ [1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً) ، وفيه : (بلغ السماع في الخامس للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) ، وفيه أيضاً : (بلغ في الثالث قراءةً على الشيخ جلال الدين ، كاتبه عبد السلام المقدسي الشافعي) .

الباب الرابع

في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم

(١٠) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضِياءُ الدِّينِ أبو أحمدَ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليِّ بنِ عليٍّ[١] ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ عبدُ الملكِ بنُ أبي القاسمِ الهَرَوِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ الجبَّارِ بنُ محمَّدٍ الجَرَّاحِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ أحمدَ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا مسلمُ بنُ حاتِمٍ الأنصاريُّ[٢] ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ ، عن أبيهِ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ قالَ : قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا بُنَيَّ ؛ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ . . فَٱفْعَلْ » ، ثمَّ قالَ : « يَا بُنَيَّ ؛ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا

---

(١) هو المُحدِّث المقرئ الفقيه ابنُ سُكَينةَ البغدادي ، شيخُ العراق في الحديث والزهد وحُسْن السَّمْت ، وموافقةِ السنة والسلف (ت٦٠٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٥٠٢ـ٥٠٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٢٤ـ٣٢٥) ، وهـٰذا الشيخ لم يذكره الحسن ابن أبي جَرُوْيَه الموصلي في « مشيخة السهروردي » .

(٢) في (ح) : (مسلمة) بدل (مسلم) ، ولعل الصواب ما أثبت من باقي النسخ ، وهو أبو حاتم البصري (ت بعد ٢٥٠هـ) انظر « تهذيب الكمال » (٢٧/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) ، و« الثقات » لابن حبان (١٥٧٥٨) .

سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي ، وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي ٱلْجَنَّةِ »[1] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : وهٰذا أتمُّ شرفٍ وأكملُ فضلٍ أخبرَ بهِ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حقِّ مَنْ أَحْيا سُنَّتَهُ .

فالصُّوفيَّةُ همُ الذينَ أحيَوْا هٰذهِ السُّنَّةَ ، وطهارةُ الصدورِ مِنَ الغِلِّ والغِشِّ عِمادُ أمرِهِم ، وبذلكَ ظهرَ جوهرُهُم ، وبانَ فضلُهُم .

وإنَّما قَدَرُوا علىٰ إحياءِ هٰذهِ السُّنَّةِ ، ونهضُوا بواجبِ حقِّها ؛ لزهدِهِم في الدنيا ، وتركِها علىٰ أربابِها وطُلَّابِها ؛ لأنَّ مَثارَ الغِلِّ والغِشِّ محبَّةُ الدنيا ، ومحبَّةُ الرِّفْعةِ والمنزلةِ عندَ الناسِ ، والصُّوفيَّةُ زَهِدُوا في ذلكَ كلِّهِ ، كما قالَ بعضُهُم : (طريقُنا هٰذا لا يصلُحُ إلَّا لأقوامٍ كُنِسَتْ بأرواحِهِمُ المزابلُ)[2] ، فلمَّا سقطَ عن قلوبِهِم محبَّةُ الدنيا وحُبُّ الرِّفعةِ . . أصبحُوا وأمسَوْا وليسَ في قلوبِهِم غِشٌّ لأحدٍ .

فقولُ القائلِ : (كُنِستْ بأرواحِهِم المزابلُ) إشارةٌ منهُ إلىٰ غايةِ التواضعِ ، وألَّا يرىٰ نفسَهُ تتميَّزُ علىٰ أحدٍ مِنَ المسلمينَ ؛ لحقارتِهِ عندَ نفسِهِ ، وعندَ هٰذا يَنسَدُّ بابُ الغِلِّ والغِشِّ .

وجَرَتْ هٰذهِ الحكايةُ ، فقالَ بعضُ الفقراءِ مِنْ أصحابِنا : وقعَ لي أنَّ

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٧٨) ، ولفظه : (. . . ومن أحيا سنتي فقد أحبَّني ، ومن أحبَّني كان معي في الجنة) من الإحباب ، والمثبت إحدىٰ نسخه ، كما في « تحفة الأحوذي » (٧/ ٣٧١) ، وكما هو في طبعة « جامع الأصول » (٧٣٢١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٧٥ـ ٧٦) .

(٢) أورده بنحوه القشيري في « رسالته » (ص٥٩١) ، وعزاه الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٧٦) إلىٰ أبي بكر الزقاق رحمه الله تعالىٰ .

معنىٰ : (كُنِستْ بأرواحِهِمُ المزابلُ) : أنَّ الإشارةَ بالمزابلِ إلى النفوسِ ؛ لأنَّها مَأْوىٰ كلِّ رِجْسٍ ونِجْسٍ كالمَزْبَلةِ[1] ، وكَنْسُها بنورِ الرُّوحِ الواصلِ إليها ؛ لأنَّ الصُّوفيَّةَ أرواحُهُم في مَحَالِّ القُرْبِ ، ونورُها يَسْري إلى النفوسِ ، وبوصولِ نورِ الروحِ إلى النفسِ تطمئنُّ النفسُ[2] ، ويذهبُ عنها المذمومُ مِنَ الغِلِّ والغِشِّ والحِقْدِ والحَسَدِ ؛ فكأنَّها تُكْنَسُ بنورِ الروحِ .

وهٰذا المعنىٰ صحيحٌ وإنْ لم يُرِدِ القائلُ بقولِهِ ذلكَ .

قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفِ أهلِ الجنةِ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

قالَ أبو حفصٍ : (كيفَ يبقى الغِلُّ في قلوبٍ ائتلفتْ باللهِ ، واتَّفقتْ علىٰ محبَّتِهِ ، واجتمعتْ علىٰ مودَّتِهِ ، وأَنِسَتْ بذكرِهِ ؟! إنَّ تلكَ القلوبَ قلوبٌ صافيةٌ مِنْ هواجسِ النفوسِ وظُلُماتِ الطبائعِ ، بل كُحِلَتْ بنورِ التوفيقِ ، فصارتْ إخواناً)[3] .

فالخَلْقُ حِجابُهُم عنِ القيامِ بإحياءِ سُنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قولاً وفعلاً وحالاً . . صفاتُ نفوسِهِم ، فإذا تبدَّلتْ نُعُوتُ النفسِ . . ارتفعَ

---

(١) قوله : (رِجْس ونِجْس) قال الزَّبيدي في « التاج » (١٦/ ٥٣٤) : (قال أبو عبيد : زعم الفرَّاء أنَّهم إذا بدؤوا بالنَّجَس ولم يذكروا الرِّجْس . . فتحوا النون والجيم ، وإذا بدؤوا بالرِّجْس ثم أتبعوه بالنجس . . كسروا النون ؛ فهم إذا قالوه مع الرِّجْس أتبعوه إيَّاه) ، والأكثرُ ـ كما في « التاج » أيضاً ـ : مجيءُ النَّجَس مقترناً ومتبوعاً بالرِّجْس ، وليس واجباً ، كما زعمه الحريري في « الدرة » .

(٢) في (ز ، ح) : (تطهر) بدل (تطمئن) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٥٥) ، وأبو حفص : هو عمر بن سَلْم النيسابوري الحدَّاد .

الحجابُ ، وصحَّتِ المتابعةُ[1] ، ووقعتِ الموافقةُ في كلِّ شيءٍ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ووجبتِ المحبَّةُ مِنَ اللهِ عندَ ذلكَ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

جعلَ متابعةَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ آيةَ محبَّةِ العبدِ ربَّهُ ، وجعلَ جزاءَ العبدِ علىٰ حُسْنِ متابعةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمِ مَحبَّةَ اللهِ تعالىٰ إِيَّاهُ ، فأوفرُ الناسِ حظّاً مِنْ متابعة الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أوفرُهُم حظّاً مِنْ محبَّةِ اللهِ تعالىٰ .

والصُّوفيَّةُ مِنْ بينِ طوائفِ الإسلامِ ظَفِرُوا بحُسْنِ المتابعةِ ؛ لأَنَّهُمُ اتَّبعُوا أقوالَهُ ، فقامُوا بما أمرَهُم ، ووقفُوا عمَّا نهاهُم ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر : ٧] .

ثمَّ اتَّبعُوهُ في أعمالِهِ[2] ؛ مِنَ الجِدِّ والاجتهادِ في العبادةِ ، والتهجُّدِ والنوافلِ مِنَ الصومِ والصلاةِ وغيرِ ذلكَ ، ورُزِقُوا ببركةِ المتابعةِ في الأقوالِ والأفعالِ التَّخلُّقَ بأخلاقِهِ ؛ مِنَ الحياءِ والحِلْمِ ، والصَّفْحِ والعَفْوِ ، والرَّأفةِ والشَّفَقَةِ ، والمُداراةِ والنصيحةِ والتواضعِ ، ورُزِقُوا قِسْطاً مِنْ أحوالِهِ ؛ مِنَ الخَشْيةِ والسَّكينةِ ، والهَيْبةِ والتعظيمِ ، والرِّضا والصبرِ ، والزهدِ والتوكُّلِ ، فاستوفَوْا جميعَ أقسامِ المتابعةِ ، وأَحْيَوْا سُنَّتَهُ بأَقْصى الغاياتِ .

قيلَ لعبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ : مَنِ الصُّوفيَّةُ عندَكَ ؟ قالَ : القائمونَ بعقولِهِم

---

(١) زاد في (ج) : (ورُفعت المتابعة) ، ولعلها : (الممانعة) بدل (المتابعة) .
(٢) في (د ، هـ ، ح) : (أعمالهم) .

علىٰ هِمَمِهِم[1] ، والعاكفونَ عليها بقلوبِهِم ، والمُعتصِمونَ بسيِّدِهِم مِنْ شَرِّ نفوسِهِم . . همُ الصُّوفيَّةُ[2] .

وهٰذا وصفٌ تامٌّ وصفَهُم بهِ ، فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دائمَ الافتقارِ إلىٰ مَوْلاهُ ؛ حتىٰ يقولُ : « لَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ »[3] ، ويقولُ : « ٱكْلَأْنِي كَلَاءَةَ ٱلْوَلِيدِ »[4] .

ومِنْ أَشْرفِ ما ظَفِرَ بهِ الصُّوفيُّ مِنْ متابعةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هٰذا الوصفُ ؛ وهوَ دوامُ الافتقارِ ودوامُ اللَّجَأِ[5] ، ولا يتحقَّقُ بهٰذا الوصفِ مِنْ صدقِ الافتقارِ إلَّا عبدٌ كُوشِفَ باطنُهُ بصفاءِ المعرفةِ ، وأَشْرقَ صدرُهُ بنورِ اليقينِ ، وخَلَصَ قلبُهُ إلىٰ بساطِ القُرْبِ ، وخلا سِرُّهُ بلَذاذةِ المُسامرةِ ، فبَقِيَتْ نفسُهُ بينَ هٰذهِ الأشياءِ كلِّها أسيرةً مأمورةً ، ومعَ ذلكَ كلِّهِ يراها مَأْوىٰ كلِّ شرٍّ ، وهيَ بمثابةِ النارِ لو بَقِيَتْ منها شرارةٌ أحرقتْ عالَماً ، وهيَ وشيكةُ الرجوعِ ، سريعةُ الانقلابِ والانفلاتِ .

فاللهُ تعالىٰ بكمالِ لُطْفِهِ عَرَّفَها إلى الصُّوفيِّ ، وكَشَفَها لهُ علىٰ شيءٍ مِنْ

---

(1) في (ح) : (علىٰ فهم السنة) بدل (علىٰ هممهم) ، وفي « تهذيب الأسرار » : (علىٰ همومهم) .

(2) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٥) .

(3) رواه أبو داود (٥٠٩٠) ، وابن حبان (٩٧٠) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦٥١) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

(4) رواه أحمد في « الزهد » (٥٠) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٥٥٢٧) ، والطبراني في « الدعاء » (١٤٤٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، ولفظه فيها : « اللهمَّ ؛ واقيةً كواقيةِ الوليدِ » ، والوليد : المولود ؛ فعيل بمعنىٰ مفعول .

(5) أي : الالتجاء ، وجاء كذلك في بعض النسخ ، وفي بعضها : (اللَّجَاء) .

معنىٰ ما كَشَفَها لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فهوَ دائمُ الاستغاثةِ إلىٰ مَوْلاهُ مِنْ شرِّها ، فكأنَّها جُعِلتْ سَوْطاً للعبدِ ، تسوقُهُ لمعرفتِهِ بشرِّها معَ اللَّحظات إلىٰ جَنابِ الالتجاءِ وصدقِ الافتقارِ والدعاءِ ، فلا يخلو الصُّوفيُّ عن مُطالعتِها أَدْنىٰ ساعةٍ ، كما لا يخلو عن ربِّه أَدْنىٰ ساعةٍ ، ورَبْطُ معرفتِها بمعرفةِ اللهِ تعالىٰ فيما وَرَدَ : (مَنْ عَرَفَ نفسَهُ فقدْ عرفَ ربَّهُ)[1] . . كرَبْطِ معرفةِ الليلِ بمعرفةِ النهارِ .

ومَنِ الذي يقومُ بإحياءِ هٰذهِ السُّنَّةِ مِنْ سُنَنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ غيرُ الصُّوفيِّ العالمِ باللهِ ، الزاهدِ في الدنيا ، المُتمسِّكِ مِنَ التقوىٰ بأوثقِ العُرا ؟ ومَنِ الذي يهتدي إلىٰ فائدةِ هٰذهِ الحالِ غيرُ الصُّوفيِّ ؟

فدوامُ افتقارِهِ إلىٰ ربِّهِ تمسُّكٌ بجَنابِ الحقِّ ولِياذٌ بهِ ، وفي هٰذا اللِّياذِ استغراقُ الروحِ ، واستتباعُهُ القلبَ إلىٰ محلِّ الدعاءِ ، وفي انجذابِ القلبِ إلىٰ محلِّ الدعاءِ بلسانِ الحالِ والكونِ فيهِ . . قَفْءُ النفسِ عن مُستقرِّها مِنَ الأقسامِ العاجلةِ[2] ، ونزولُها إليها في مدرجِ العلمِ ، محفوفةً بحراسةِ اللهِ تعالىٰ ورعايتِهِ ، والنفسُ المُدبَّرةُ بهٰذا التدبيرِ مِنْ حُسْنِ تدبيرِ اللهِ تعالىٰ . . مأمونةُ الغائلةِ مِنَ الغِلِّ والغِشِّ ، والحِقْدِ والحسدِ وسائرِ المذموماتِ .

---

(١) قال الإمام السيوطي في « القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه » (٢/ ٢٣٨ـ ٢٣٩) ضمن « الحاوي للفتاوي » : (إنَّ هٰذا الحديثَ ليس بصحيح ، وقد سُئل عنه النوويُّ في « فتاويه » ، فقال : إنَّهُ ليس بثابت ، وقال ابنُ تيمية : موضوعٌ ، وقال الزركشيُّ في « الأحاديث المشتهرة » : ذكر ابنُ السَّمْعاني : أنَّهُ من كلام يحيى بن معاذ الرازي) ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٢٦٢) .

(٢) قَفْءُ النفس : قطعُها وقلعها ، وفي (ج ، د ، ز) : (قفو النفس) ، وفي (و) : (قفول النفس) .

فهٰذا حالُ الصُّوفيِّ .

ويجمعُ جُمَلَ حالِ الصُّوفيَّةِ شيئانِ : هما وصفُ الصُّوفيَّةِ ، وإليهما الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورىٰ : ١٣] .

فقومٌ مِنَ الصُّوفيَّةِ خُصُّوا بالاجتباءِ الصِّرْفِ ، وقومٌ منهُم خُصُّوا بالهدايةِ بشرطِ مُقدِّمةِ الإنابةِ ، فالاجتباءُ المحضُ غيرُ مُعلَّلٍ بكَسْبِ العبدِ ، وهٰذا حالُ المحبوبِ المرادِ ؛ يُبادِئُهُ الحقُّ بمِنَحِهِ ومواهبِهِ مِنْ غيرِ سابقةِ كَسْبٍ منهُ ، يسبقُ كُشُوفُهُ اجتهادَهُ .

وفي هٰذا أُخِذَ بطائفةٍ مِنَ الصُّوفيَّةِ رُفِعَتِ الحُجُبُ عن قلوبِهِم ، وبادَأَهُم سُطُوعُ نورِ اليقينِ(١) ، فأثارَ نازلُ الحالِ فيهِم شهوةَ الاجتهادِ والأعمالِ ، فأَقْبلوا على الأعمالِ باللَّذاذةِ ، والعيشُ فيها قُرَّةُ أعينِهِم ، فسَهَّلَ الكشفُ عليهِمُ الاجتهادَ ، كما سَهَّلَ علىٰ سَحَرَةِ فرعونَ لَذاذةُ النازلِ بهِم مِنْ صَفْوِ العِرْفانِ تحمُّلَ وعيدِ فرعونَ ؛ فقالوا : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [طه : ٧٢] .

قالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (وجدُوا رياحَ العنايةِ القديمةِ بهِم ، فالتجؤُوا إلى السُّجُودِ شُكْراً وقالُوا : ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢١])(٢) .

---

(١) في (ز) : (ونادَاهم) بدل (وبادأهم) ، وفي (ي) : (وبادرهم) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٢٣٥) ، وفي (د ، هـ ، ح) : (أرياح) بدل (رياح) ، وفي (ب) : (ريح) ، و(أرياحٌ) جمعٌ شاذٌّ ، والقياس فيه : (أرواح) ، وانظر « تاج العروس » (٦/ ٤١٣) .

(١١) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ منصوراً يقولُ : سمعتُ أبا موسى الزَّقَّاقَ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدِ الخَرَّازَ يقولُ : (أهلُ الخالِصَةِ الذينَ همُ المُرادونَ ، تولَّاهُمُ اللهُ[١] ، وأَكْمَلَ لهُمُ النِّعمةَ ، وهَيَّأَ لهُمُ الكرامةَ ، فأَسْقطَ عنهُم حركاتِ الطَّلَبِ ، فصارتْ حركاتُهُم في العملِ والخِدْمةِ على الأُلْفةِ والذِّكْرِ ، والتَّنعُّمِ بمُناجاتِهِ ، والانفرادِ بقُربِهِ) .

(١٢) ـ وبهـٰذا الإسنادِ إلىٰ أبي عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ سعيدٍ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ الحُسينِ الحِمْصيَّ يقولُ[٢] : سمعتُ فاطمةَ المعروفةَ بجُوَيْرِيَةَ تلميذةَ أبي سعيدٍ تقولُ : سمعتُ الخَرَّازَ يقولُ : (المُرادُ محمولٌ في حالِهِ ، مُعانٌ علىٰ حركاتِهِ وسعيِهِ في الخِدْمةِ ، مَكْفِيٌّ مَصُونٌ عنِ الشواهدِ والنواظرِ) .

وهـٰذا الذي قالَهُ الشيخُ أبو سعيدٍ هوَ الذي اشتبهَ حقيقتُهُ علىٰ طائفةٍ مِنَ الصُّوفيَّةِ ، ولم يقولوا بالإكثارِ مِنَ النوافلِ ، وقد رأَوْا جَمْعاً مِنَ المشايخِ قَلَّتْ نوافلُهُم ، فظنُّوا أنَّ ذلكَ حالٌ مُستمِرٌّ على الإطلاقِ ، ولم يعلمُوا أنَّ الذينَ تركُوا النوافلَ واختصرُوا على الفرائضِ[٣] . . كانتْ بداياتُهُم بداياتِ المُريدينَ ، فلمَّا وصلُوا إلىٰ رَوْحِ الحالِ ، وأَدْرَكَتْهُمُ الكشوفُ بعدَ

---

(١) في (ج ، ي) : (الخاصة) بدل (الخالصة) .

(٢) في (د) : (الحسني) بدل (الحمصي) .

(٣) في (ح ، ي) : (واقتصروا) بدل (واختصروا) .

الاجتهادِ . امتلؤوا بالحالِ ، وطرحُوا نوافلَ الأعمالِ .

فأمّا المُرادونَ تبقىٰ عليهِمُ الأعمالُ والنوافلُ ، وفيها قُرَّةُ أعينِهِم ، وهٰذا أتمُّ وأكملُ مِنَ الأوَّلِ .

فهٰذا الذي أَوْضَحْناهُ أحدُ طريقَي الصُّوفيَّةِ ، فأمّا الطريقُ الآخَرُ طريقُ المُريدِينَ ـ وهمُ الذينَ شُرِطَ لهُمُ الإنابةُ ؛ فقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ : ١٣] ـ . فطُولِبُوا أوَّلاً بالاجتهادِ قبلَ الكُشُوفِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

يُدرِّجُهُمُ اللهُ تعالىٰ في مدارجِ الكَسْبِ بأنواعِ الرِّياضاتِ والمُجاهداتِ ، وسَهَرِ الدَّياجِرِ وظَمَأِ الهواجِرِ ، تتأجَّجُ فيهِم نِيرانُ الطَّلَبِ[1] ، وتَنحجبُ دونَهُم لوامعُ الأَرَبِ[2] ، يتقلَّبُون في رَمْضاءِ الإرادةِ ، وينخلعُونَ عن كلِّ مألوفٍ وعادةٍ ، وهي الإنابةُ التي شَرَطَها الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لهُم ، وجَعَلَ الهدايةَ معذوقةً بها[3] .

وهٰذهِ الهدايةُ آنفاً هدايةٌ خاصَّةٌ ؛ لأنَّها هدايةٌ إليهِ ، غيرُ الهدايةِ العامَّةِ التي هيَ التَّهَدِّي إلىٰ أمرِهِ ونهيِهِ بمُقتضى المعرفةِ الأَوَّلةِ[4] ، وهٰذا حالُ

---

(١) تتأجَّج : تتوقَّد ، ونيران الطلب : حرارة الشوق .

(٢) الأَرَب : الحاجة الدنيوية .

(٣) معذوقة ؛ أي : مربوطة ، كما في « الذوارف » (١/ق ٨٦) ، وفي « شرح المشكلات » (ق/ ٢٠) وهامش (و) : (أي : منوطة) .

(٤) في (ح) : (الأولىٰ) ، وفي (ي) : (الأوَّلية) ، وفي نسخة علىٰ هامش (و) : (الأزلية) ، ودخول التاء على المثبت جائز ، كما نصَّ عليه الخفاجي في « شرح درة الغواص » (ص٤٦٦) ، وذكر أنَّ تخطئتَها خطأٌ .

السالكِ المُحِبِّ المريدِ ، فكانتِ الإنابةُ عينَ الهدايةِ العامَّةِ ، فأثمرتْ هدايةً خاصَّةً ، واهتدَوْا إليهِ بعدَ أنِ اهتدَوْا له بالمُكابداتِ ، فخَلَصُوا مِنْ مَضيقِ العُسْرِ إلىٰ فضاءِ اليُسْرِ ، وبَرَزُوا مِنْ وَهَجِ الاجتهادِ إلىٰ رَوْحِ الأحوالِ ، فسَبَقَ اجتهادُهُم كشوفَهُم ، والمُرادونَ سَبَقَ كشوفُهُمُ اجتهادَهُم .

(١٣) ـ أخبرَنا الشيخُ الثِّقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ الأَصْفَهانيُّ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ موسىٰ ، قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمَّدٍ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ الجُنيدَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما أَخَذْنا التصوُّفَ مِنَ القِيلِ والقالِ ، ولـٰكن عنِ الجوعِ ، وتركِ الدُّنيا ، وقَطْعِ المألوفاتِ والمُستحسَناتِ)[1] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ خَفيفٍ الشِّيرازيُّ رحمَهُ اللهُ : (الإرادةُ : سُمُوُّ القلبِ لطلبِ المُرادِ، وحقيقةُ الإرادةِ : استدامةُ الجِدِّ وتركُ الراحةِ)[2] .

وقالَ أبو عثمانَ : (المُريدُ : الذي ماتَ قلبُهُ عن كلِّ شيءٍ دونَ اللهِ ؛ فيريدُ اللهَ وحدَهُ ، ويريدُ قُربَهُ ويشتاقُ إليهِ ، حتىٰ تذهبَ شهواتُ الدنيا عن قلبِهِ ؛ لشِدَّةِ شوقِهِ إلىٰ ربِّهِ) .

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٢٧٧) ، ورواه السلمي في « طبقاته » (ص١٥٨) ، ومن طريقه القشيري في « رسالته » (ص١٥٤) ، وفيها وفي (ح) : (عن القيل والقال) ، وفي « شرح المشكلات » (ق/ ٢٩) : (هـٰذا القول يدلُّ منه علىٰ أنَّهُ من المُحبِّين المريدين ، ويمكن أن يكون قولُهُ هـٰذا لإرشاد الطالبين ؛ حتىٰ لا يغترُّوا برَوْح الحال ويتركوا الرياضيات والمجاهدات) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٤٦٥) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص٢١٩) دون قوله : (الإرادة . . . المراد) .

وقالَ أيضاً : (عقوبةُ قلوبِ المُريدينَ : أنْ يُحجَبُوا عن حقيقةِ المُعاملاتِ والمقاماتِ إلىٰ أَضْدادِها) .

فهٰذانِ الطريقانِ يجمعانِ أحوالَ الصُّوفيَّةِ[1] ، ودونَهُما طريقانِ آخَرانِ ليسا مِنْ طُرُقِ التحقُّقِ بالتصوُّفِ :

أحدُهُما : مجذوبٌ أبترُ علىٰ جَذْبتِهِ ما رُدَّ إلى الاجتهادِ بعدَ الكشفِ[2] .

والثاني : مجتهدٌ مُتعبِّدٌ ما خَلَصَ إلى الكشفِ بعدَ الاجتهادِ .

والصُّوفيَّةُ في طريقتِهِما بابُ مَزيدِهِم وصِحَّةُ طريقِهِم بحُسنِ المُتابعةِ[3] ، ومَنْ ظَنَّ أنْ يبلُغَ غَرَضاً أو يَظْفَرَ بمُرادٍ لا مِنْ طريقِ المُتابعةِ . . فهوَ مخذولٌ مغرورٌ .

(١٤) ـ أخبرَنا شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا عصامُ الدينِ عمرُ بنُ أحمدَ الصفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمٰنِ ، قالَ : سمعتُ نصرَ بنَ أبي نصرٍ يقولُ : سمعتُ قُسَيماً غلامَ الزَّقَّاقِ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ السُّكَّريَّ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الخَرَّازَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كلُّ باطنٍ يُخالِفُهُ ظاهرٌ . . فهوَ باطلٌ)[4] .

---

(١) قوله : (فهٰذان الطريقان) ؛ أي : طريق المحبوب المراد ، والمحب المريد . « شرح المشكلات » (ق/ ١٩) .

(٢) قوله : (مجذوبٌ أبترُ علىٰ جذبته) ؛ أي : مقطوعٌ باقٍ علىٰ جذبته . « شرح المشكلات » (ق/ ١٩) .

(٣) في بعض النسخ : (وللصوفية في طريقهم) بدل (والصوفية في طريقتهما) .

(٤) طبقات الصوفية (ص٢٣١) ، وفيه : (قاسماً) بدل (قسيماً) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص١٧٦) .

وكانَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (علمُنا هـٰذا مُشبَّكٌ بحديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] .

وقالَ بعضُهُم : (مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ علىٰ نفسِهِ قولاً وفعلاً . . نَطَقَ بالحكمةِ ، ومَنْ أَمَّرَ الهوىٰ علىٰ نفسِهِ قولاً وفعلاً . . نَطَقَ بالبدعةِ)[2] .

حُكِيَ أنَّ أبا يزيدَ البِسْطاميَّ رحمَهُ اللهُ قالَ ذاتَ يومٍ لبعضِ أصحابِهِ : قُمْ بنا حتىٰ ننظرَ إلىٰ هـٰذا الرجلِ الذي قد شَهَرَ نفسَهُ بالولايةِ ، وكانَ الرجلُ في ناحيتِهِ مقصوداً مشهوراً بالزهدِ والعبادةِ ، قال : فمضَينا إليه ، فلمَّا خرجَ مِنْ بيتِهِ يقصدُ المسجدَ . . رمىٰ بُزَاقَهُ نحوَ القبلةِ ، فقالَ أبو يزيدَ : انصرِفُوا ، فانصرفَ ولم يُسلِّمْ عليهِ ، وقالَ : هـٰذا رجلٌ ليسَ بمأمونٍ علىٰ أَدَبٍ مِنْ آدابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكيفَ يكونُ مأموناً علىٰ ما يدَّعيهِ مِنْ مقاماتِ الأولياءِ والصِّدِّيقينَ ؟![3] .

وسُئِلَ خادمُ الشِّبْليِّ : ماذا رأيتَ منهُ عندَ موتِهِ ؟ فقالَ : لمَّا أُمسِكَ لسانُهُ ، وعَرِقَ جبينُهُ . . أشارَ إليَّ أنْ وضِّئْني للصلاةِ ، فوضَّأْتُهُ ، فنَسِيتُ

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص١٥٥) ، وفيها وفي نسخة علىٰ هامش (و) : (مُشيَّد) بدل (مشبك) ، ورواه أيضاً بلفظ : (مذهبُنا هـٰذا مُقيَّد بالأصول ؛ الكتابِ والسنة) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٤) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٣١٩ ، ٣٧٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٥٨) من كلام أبي عثمان الحيري النيسابوري رحمه الله تعالىٰ ، وزادوا بعده : (لأنَّ الله تعالىٰ يقول : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور : ٥٤]) .

(٣) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٤٤ـ١٤٥) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص١٢٨) .

تخليلَ لِحْيتِهِ ، فقَبَضَ علىٰ يدي ، وأدخلَ أصابعي في لِحْيتِهِ يُخلِّلُها[1] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ : (كلُّ وجدٍ لا يشهدُ لهُ الكتابُ والسُّنَّةُ . . فباطلٌ)[2] .

هٰذا حالُ الصُّوفيَّةِ وطريقُهُم ، وكلُّ مَنْ يدَّعي حالاً علىٰ غيرِ هٰذا الوجهِ . . فمُدَّعٍ مفتونٌ كذَّابٌ[3] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٤٨٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٣٢) ، والسائل : هو جعفر بن نُصَير الخُلْدي ، وعندما أُجيب بكىٰ وقال : (أيشٍ يتهيَّأُ أن يُقالَ في رجل لم يذهبْ عليه تخليلُ لحيته في الوضوء عند نزع روحه ، وإمساكِ لسانه ، وعَرَقِ جبينه ؟!) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٤٦) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٤/ ٥٢١) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في السادس على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الخامس

في ذكر ماهية التصوف

(١٥) - **أخبرَنا** الشيخُ أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ في « كتابِهِ » ، قالَ : **أخبرَنا** أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ إجازةً ، قالَ : **أخبرَنا** الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : **أخبرَنا** إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ رجاءٍ ، قالَ : **أخبرَنا** عبدُ اللهِ ابنُ أحمدَ البغداديُّ[1] ، قالَ : **حدَّثَنا** عثمانُ بنُ معبدٍ ، قالَ : **حدَّثنا** عمرُ بنُ راشدٍ ، **عن** مالكِ بنِ أنسٍ ، **عن** نافعٍ ، **عنِ** ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا ، قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحٌ ، وَمِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ حُبُّ ٱلْمَسَاكِينِ ، وَٱلْفُقَرَاءُ ٱلصُّبَّرُ هُمْ جُلَسَاءُ ٱللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ** »[2] .

الفقرُ كائنٌ في ماهيَّةِ التصوُّفِ ، وهوَ أساسُهُ ، وبهِ قِوامُهُ .

---

(١) هو الإمام الحافظ الثقة أبو العباس عبد الله بن جعفر بن أحمد بن خُشَيش الصَّيْرفي البغدادي (ت ٣١٨هـ) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٩/ ٤٣٤) .

(٢) قال الإمام العراقي في « المغني » (٣٩٤٨) : (رواه الدارقطني في « غرائب مالك » ، وأبو بكر بن لال في « مكارم الأخلاق » ، وابن عدي في « الكامل » ، وابن حبَّان في « الضعفاء » من حديث ابن عمر) ، ورواه الخركوشي في « تهذيبه » (ص١٥٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٧١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٨٧ ـ ٨٨) .

قالَ رُوَيمٌ : (التصوُّفُ مَبْنيٌّ علىٰ ثلاثِ خصالٍ : التمسُّكُ بالفقرِ والافتقارِ ، والتحقُّقُ بالبذلِ والإيثارِ ، وتركُ التعرُّضِ والاختيارِ)[1] .

وقالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ وقد سُئِلَ عنِ التصوُّفِ ؛ فقالَ : أنْ تكونَ معَ اللهِ بلا عَلاقةٍ[2] .

وقالَ معروفٌ الكَرْخيُّ رحمَهُ اللهُ : (التصوُّفُ : الأخذُ بالحقائقِ ، واليأسُ ممَّا في أيدي الخلائقِ)[3] .

فمَنْ لم يتحقَّقْ بالفقرِ لم يتحقَّقْ بالتصوُّفِ .

وسُئِلَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ عن حقيقةِ الفقرِ ، فقالَ : ألَّا يستغنيَ بشيءٍ دونَ الحقِّ[4] .

وقالَ أبو الحسينِ النُّوريُّ : (نعتُ الفقيرِ : السكونُ عندَ العدمِ ، والبذلُ والإيثارُ عندَ الوجودِ)[5] .

وقالَ بعضُهُم : (إنَّ الفقيرَ الصادقَ لَيحترزُ مِنَ الغِنَىٰ ؛ حَذَراً أنْ يدخلَ عليهِ الغِنىٰ فيُفسِدَ فقرَهُ ، كما أنَّ الغنيَّ يحترزُ مِنَ الفقرِ ؛ حَذَراً أنْ يدخلَ

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٨٦ـ ٥٨٧) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٦) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٧) ، وزاد الخركوشي بعد (بالحقائق) : (والكلام في الدقائق) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٧) دون نسبة ، ورواه القشيري في « رسالته » (ص٥٧٨) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٧٨ ، ٥٨٢) .

عليهِ الفقرُ فيُفسِدَ عليهِ غِناهُ)[1] .

(١٦) ـ وبالإسنادِ الذي سَبَقَ إلىٰ أبي عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ مُظفَّراً القِرْمِيسِينيَّ يقولُ : (الفقيرُ : الذي لا يكونُ لهُ إلى اللهِ حاجةٌ)[2] .

قالَ : وسمعتُهُ يقولُ : سألتُ أبا بكرٍ المصريَّ عنِ الفقيرِ ، فقالَ : الذي لا يملكُ ولا يُملَكُ[3] .

قولُه : (لا يكونُ لهُ إلى اللهِ حاجةٌ) معناهُ : أنَّهُ مشغولٌ بوظائفِ عُبوديَّتِهِ ، تامُّ الثقةِ بربِّهِ ، عالمٌ بحُسْنِ كلاءتِهِ بهِ ، لا يُحوِجُهُ إلىٰ رفعِ الحاجةِ ؛ لعلمِهِ بعلمِ اللهِ بحالِهِ ، فيرى السؤالَ في البينِ زيادةً[4] .

وأقوالُ المشايخِ تتنوَّعُ معانيها ؛ لأنَّهُم أشارُوا فيها إلىٰ أحوالٍ في أوقاتٍ دونَ أوقاتٍ ، ونحتاجُ في تفصيلِ بعضِها مِنَ البعضِ إلى الضوابطِ[5] ؛ فقد تُذكَرُ أشياءُ في معنى التصوُّفِ ذُكِرَ مثلُها في معنى الفقرِ ، وتُذكَرُ أشياءُ في

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٧٤) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤١٤) عن ابن الكرنبي رحمه الله تعالىٰ ، وفي (ح ، ي) : (من الغني . . . من الفقير) بدل (من الغنىٰ . . . من الفقر) ، وعليهما يجوز أن يُقرأ (يدخل) بضم أوله رباعياً ، أو بفتحه ثلاثياً ، مفعولاً أو فاعلاً .

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٧٩) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢) دون نسبة ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨١) .

(٤) وقال الإمام القشيري مُعقِّباً أيضاً علىٰ كلام القرميسيني : (وهـٰذا اللفظ فيه أدْنىٰ غموضٍ لمن سمعه علىٰ وصف الغفلة عن مرمى القوم ، وإنما أشار قائلُهُ إلىٰ سقوط المطالبات ، وانتفاءِ الاختيار ، والرضا بما يُجري الحقُّ سبحانه) .

(٥) في (ب ، د ، هـ) : (في تفضيل) بدل (في تفصيل) .

معنى الفقرِ ذُكِرَ مثلُها في معنى التصوُّفِ ، وتُذكَرُ أشياءُ في معنى الزهدِ ذُكِرَ مثلُها في معنى الفقرِ ، وحيثُ وَقَعَ الاشتباهُ فلا بدَّ مِنْ بيانٍ فاصلٍ ؛ فقد تشتبهُ الإشاراتُ في الفقرِ بمعاني الزهدِ تارةً ، وبمعاني التصوُّفِ تارةً ، ولا يتبيَّنُ للمُسترشِدِ بعضُها مِنَ البعضِ ؛ فنقولُ :

التصوُّفُ غيرُ الفقرِ ، والزهدُ غيرُ الفقرِ ، والتصوُّفُ غيرُ الزهدِ ؛ فالتصوُّفُ : اسمٌ جامعٌ لمعاني الفقرِ ومعاني الزهدِ ، معَ مزيدِ أوصافٍ وإضافاتٍ لا يكونُ بدونِها الرجلُ صُوفياً وإنْ كانَ زاهداً وفقيراً .

قالَ أبو حفصٍ : (التصوُّفُ كلُّهُ آدابٌ ؛ لكلِّ وقتٍ أدبٌ ، ولكلِّ حالٍ أدبٌ ، ولكلِّ مقامٍ أدبٌ ؛ فمَنْ لزِمَ آدابَ الأوقاتِ بَلَغَ مبلغَ الرجالِ ، ومَنْ ضَيَّعَ الآدابَ فهوَ بعيدٌ مِنْ حيثُ يظنُّ القُربَ ، ومردودٌ مِنْ حيثُ يرجو القَبولَ)[1] .

وقالَ أيضاً : (حُسْنُ أدبِ الظاهرِ عُنوانُ حُسْنِ أدبِ الباطنِ ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ »)[2] .

(١٧) ـ أخبرَنا الشيخُ رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو المُظفَّرِ عبدُ المنعمِ ، قالَ : أخبرَني والدي أبو القاسمِ القُشيريُّ ، قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ يحيى الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١١٩) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص١٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٠) ، والحديث رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٣٠٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٨٥٤) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٣٣٠٨ ، ٣٣٠٩) من قول سعيد بن المُسيِّب رحمه الله تعالىٰ .

عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سُئِلَ أبو محمَّدٍ الجُرَيريُّ عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : الدخولُ في كلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، والخروجُ عن كلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ[1] .

فإذا عُرِفَ هـٰذا المعنىٰ في التصوف ؛ مِنْ حصولِ الأخلاقِ وتبديلِها ، واعتُبِرَتْ حقيقتُهُ[2] . . يُعلَمُ أنَّ التصوُّفَ فوقَ الزهدِ وفوقَ الفقرِ ، وقيلَ : نهايةُ الفقرِ معَ شرفِهِ هوَ بدايةُ التصوُّفِ .

وأهلُ الشامِ لا يُفرِّقونَ بينَ التصوُّفِ والفقرِ ؛ يقولونَ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ، هـٰذا وصفُ الصُّوفيَّةِ ، واللهُ تعالىٰ سمَّاهُم فقراءَ[3] .

وسأُوضِّحُ معنىً يفترقُ الحالُ بهِ بينَ التصوُّفِ والفقرِ ؛ فأقولُ وباللهِ التوفيقُ :

الفقيرُ في فقرِهِ مُتمسِّكٌ بهِ ، مُتحقِّقٌ بفضلِهِ ، يُؤثِرُهُ على الغِنىٰ ، مُتطلِّعٌ إلىٰ ما تحقَّقَ مِنَ العِوَضِ عندَ اللهِ ؛ حيثُ يقولُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي ٱلْجَنَّةَ قَبْلَ ٱلْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ ؛ وَهُوَ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ »[4] .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٥٨٥) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٥) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٢) ، وبنحوه البيهقي في « الشعب » (٦٤٥٧) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ ، وعزاه الخركوشي في « التهذيب » (ص٣١) إلىٰ سمنون الخواص رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في (ز ، ي) : (حقيقتها) ، ويعود الضمير على (الأخلاق) .

(٣) انظر « اللمع » (ص٤٦) .

(٤) رواه الترمذي (٢٣٥٣) ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، وأحمد (٢/ ٤٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هـٰذا الحديث دليلٌ علىٰ أنَّ الفقير الصابر خير من الغني=

فكلَّما لاحظَ العِوَضَ الباقيَ . . أمسكَ عنِ الحاصلِ الفاني ، وعانقَ الفقرَ والقِلَّةَ ، وخَشِيَ زوالَ الفقرِ لفواتِ الفضيلةِ والعِوَضِ ، وهٰذا عينُ الاعتلالِ في طريقِ الصُّوفيِّ ؛ لأنَّهُ تطلَّعَ إلى الأَعْواضِ وتَرَكَ لأجلِها[1] .

والصُّوفيُّ يتركُ الأشياءَ لا للأعواضِ الموعودةِ ، بل للأحوالِ الموجودةِ ؛ فإنَّهُ ابنُ وقتِهِ .

وأيضاً : تركُ الفقيرِ الحظَّ العاجلَ واغتنامُهُ الفقرَ . . اختيارٌ منهُ وإرادةٌ ، والاختيارُ والإرادةُ عِلَّةٌ في حالِ الصُّوفيِّ ؛ لأنَّ الصُّوفيَّ صارَ قائماً في الأشياءِ بإرادةِ اللهِ تعالىٰ لا بإرادةِ نفسِهِ ، فلا يرىٰ فضيلةً في صورةِ فقرٍ ولا في صورة غِنىً ، وإنَّما يرى الفضيلةَ فيما يُوقِفُهُ الحقُّ فيهِ[2] ، ويُدخِلُهُ عليهِ ، ويعلمُ الإذنَ مِنَ اللهِ تعالىٰ في الدخولِ في الشيءِ .

وقد يدخلُ في صورةِ سَعَةٍ مُبايِنةٍ للفقرِ بإذنٍ مِنَ اللهِ ، ويرى الفضيلةَ حينئذٍ في السَّعَةِ ؛ لمكانِ إذنٍ مِنَ اللهِ فيهِ ، ولا يُفسَحُ في السَّعَةِ والدخولِ فيها للصادقينَ إلا بعدَ إحكامِهِم عِلْمَ الإذنِ ، وفي هٰذا مَزَلَّةٌ للأقدامِ ، وبابُ دعوىٰ للمُدَّعينَ ، وما مِنْ حالٍ يتحقَّقُ بهِ صاحبُ الحالِ إلا وقد يحكيهِ راكبُ المُحالِ ؛ ليَهلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بيِّنةٍ ، ويحيا مَنْ حَيَّ عن بيِّنةٍ .

فإذا اتَّضحَ ذلكَ : ظَهَرَ الفرقُ بينَ الفقرِ والتصوُّفِ ، وعُلِمَ أنَّ الفقرَ

= الشاكر ، كما ذهب إليه الصوفية وأكثر العلماء ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٨/ ٣١٢٨ ، ٩/ ٣٦٨٨) ، و« غنية العارف » (١/ ٩١-٩٢) .

(١) وتَرَكَ : أي : زَهِد . من هامش (و) ، والضبط في (هـ ، ي) : (لأنَّهُ تَطَلَّعٌ إلى الأعواضِ وتركٌ لأجلها) .

(٢) في (أ) : (يوافقه) بدل (يوقفه) ، وفي (ب ، و ، ز) : (يُوفِّقه) .

أساسُ التصوُّفِ وبهِ قِوامُهُ[1] ؛ على معنى : أنَّ الوصولَ إلى رُتَبِ التصوُّفِ طريقُهُ الفقرُ ، لا على معنى : أنَّهُ يلزمُ مِنْ وجودِ التصوُّفِ وجودُ الفقرِ .

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (التصوُّفُ : هوَ أنْ يُميتَكَ الحقُّ عنكَ ، ويُحيِيَكَ بهِ)[2] ، وهذا المعنى هوَ الذي ذكَرْناهُ ؛ مِنْ كونِهِ قائماً في الأشياءِ باللهِ لا بنفسِهِ .

فالفقيرُ والزاهدُ مُكوَّنانِ في الأشياءِ بنفسِهِما[3] ، واقفانِ معَ إرادتِهما ، مجتهدانِ مبلغَ علمِهِما ، والصُّوفيُّ مُتَّهِمٌ لنفسِهِ ، مُستقِلٌّ لعلمِهِ[4] ، غيرُ راكنٍ إلى معلومِهِ ، قائمٌ بمُرادِ ربِّهِ لا بمُرادِ نفسِهِ .

قالَ ذو النُّونِ المصريُّ رحمَهُ اللهُ : (الصُّوفيُّ : مَنْ لا يُتعِبُهُ طَلَبٌ ، ولا يُزعِجُهُ سَلَبٌ)[5] .

---

(١) في (ب ، ي) : (واعلم) بدل (وعُلم) .

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٨٥) ، ومن طريقه ابن العديم في « بغية الطلب » (٤٦١٧/١٠) .

(٣) جاء في بعض النسخ : (بنفوسهم) مجموعاً ، وكذلك في قوله الآتي : (إرادتهما) و(علمهما) ، والمختار صناعةً : (بنفوسهما) بالجمع ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ٤] . انظر « شرح التسهيل » (١٠٦/١) ، و« شرح الأشموني » (٤٠٣/٢ـ٤٠٤) .

(٤) أي : يعدُّهُ قليلاً .

(٥) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٥ـ٤٦) ، وعزاه الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٥) إلى أبي يعقوب السوسي ، وهو في « الرسالة القشيرية » (ص٥٨٩) دون نسبة ، وفيها : (سبب) بدل (سلب) ، والمعنى : أنَّ مَحبَّة الصوفي لربه تَحمِلُهُ على الطلب والعمل له ، لا يزعجه سبب من الأسباب ؛ لعلمه بحسن اختيار الله له ذلك ، فعلمُهُ بذلك يريحه من الفكرة والانزعاج عند تغيُّر الأسباب . انظر « إحكام الدلالة » (٩/٤) .

وقالَ أيضاً : (الصُّوفيَّةُ آثَرُوا اللهَ تعالىٰ علىٰ كلِّ شيءٍ ، فآثرَهُمُ اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ)[1] .

فكانَ مِنْ إيثارِهِم أنْ آثَرُوا علمَ اللهِ علىٰ علمِ نفوسِهِم ، وإرادةَ اللهِ علىٰ إرادةِ نفوسِهِم .

قيلَ لبعضِهِم : مَنْ أصحَبُ مِنَ الطوائفِ ؟ قالَ : الصُّوفيَّةَ ؛ فإنَّ للقبيحِ عندَهُم وجهاً مِنَ المعاذيرِ ، وليسَ للكثيرِ[2] مِنَ العملِ عندَهُم وَقْعٌ يرفعونَكَ بهِ فتُعجِبَكَ نفسُكَ[3] .

وهـٰذا عِلْمٌ لا يوجدُ عندَ الفقيرِ والزاهدِ ؛ لأنَّ الزاهدَ يستعظمُ التركَ ، ويستقبحُ الأخذَ ، وهـٰكذا الفقيرُ ؛ وذلك لضِيقِ وِعائِهِم ، ووقوفِهِم علىٰ حدِّ علمِهِم .

وقالَ بعضُهُم : (الصُّوفيُّ : مَنْ إذا استقبلَهُ حالانِ حَسَنانِ أو خُلُقانِ حَسَنانِ . . يكونُ معَ الأحسنِ)[4] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٩) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، د ، هـ) : (للكبير) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٦) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٨٧) إلىٰ حمدون القصَّار رحمه الله تعالىٰ ، وأورده بنحوه الكلاباذي في « التعرف » (ص٢٠) ، وعزاه إلىٰ سهل التستري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٠) ، وعزاه الخركوشي في « التهذيب » (ص٣٣) إلىٰ أبي الحسين الورَّاق رحمه الله تعالىٰ .

والفقيرُ والزاهدُ لا يُميِّزانِ كلَّ التمييزِ بينَ الخُلُقَينِ الحَسَنَينِ ، بل يختارانِ مِنَ الأخلاقِ أيضاً ما هوَ الأَدْعىٰ إلى التركِ ، والخروجِ عن شواغلِ الدنيا ، حاكمانِ في ذلكَ بعلمِهما ، والصُّوفيُّ هوَ المُستبِينُ الأحسنَ مِنْ عندِ اللهِ ؛ بصدقِ التجائِهِ ، وحُسْنِ إنابتِهِ ، وحَظِّ قُرْبِهِ ، ولطيفِ وُلُوجِهِ وخروجِهِ إلى اللهِ تعالى الكريمِ ؛ لعلمِهِ بربِّهِ ، وحظِّهِ مِنْ مُحادثتِهِ ومُكالمتِهِ .

قالَ رُوَيمٌ : (التصوُّفُ : استرسالُ النفسِ معَ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما يُرِيدُ)[1] .

وقالَ عمرُو بنُ عثمانَ المكِّيُّ : (التصوُّفُ : أنْ يكونَ العبدُ في كلِّ وقتٍ بما هوَ أَوْلىٰ في الوقتِ)[2] .

وقالَ بعضُهُمْ : (التصوُّفُ أوَّلُهُ عِلْمٌ ، وأوسطُهُ عملٌ ، وآخرُهُ موهبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ)[3] .

وقيلَ : التصوُّفُ : ذكرٌ معَ اجتماعٍ ، ووَجْدٌ معَ استماعٍ ، وعَمَلٌ معَ اتِّباعٍ[4] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٦) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٦) ، وفي (ح) : (مشغولاً بما) بدل (بما) .

(٣) عزاه الخركوشي في « التهذيب » (ص٢٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٧) إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) عزاه الخركوشي في « التهذيب » (ص ٢٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٧) إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

وقيلَ : التصوُّفُ : تركُ التصرُّفِ ، وبذلُ الرُّوحِ[1] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ : (الصُّوفيُّ : مَنْ صفا مِنَ الكَدَرِ ، وامتلأَ مِنَ الفِكَرِ ، وانقطعَ إلى اللهِ مِنَ البَشَرِ ، واستوىٰ عندَهُ الذَّهَبُ والمَدَرُ)[2] .

وسُئِلَ بعضُهُم عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : (تصفيةُ القلبِ عن مُوافقةِ البَرِيَّةِ ، ومُفارقةُ الأخلاقِ الطبيعيَّةِ ، وإخمادُ الصفاتِ البشريَّةِ ، ومُجانبةُ الدَّواعي النَّفْسانيَّةِ[3] ، ومُنازَلةُ الصفاتِ الرُّوحانيَّةِ ، والتعلُّقُ بالعلومِ الحقيقيَّةِ ، واتِّباعُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الشريعةِ الحَنيفيَّةِ)[4] .

قالَ ذو النُّونِ المصريُّ : رأيتُ ببعضِ سواحلِ الشامِ امرأةً ، فقلتُ : مِنْ أينَ أقبلتِ ؟ قالتْ : مِنْ عندِ أقوامٍ تتجافىٰ جنوبُهُم عنِ المضاجعِ يَدْعُونَ ربَّهُم خوفاً وطمعاً ، فقلتُ : وأينَ تُريدينَ ؟ قالتْ : إلىٰ رجالٍ لا تُلهيهِم

---

(١) عزاه الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٤١٢) إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ ، وفي (ح) : (ترك التكلف) بدل (ترك التصرف) ، وفي (ز ، ي) : (ترك التصوف) ، وعُلِّق علىٰ هامش (ي) : (أي : كمال التصوف : تركه ، [وهـٰذا] إشارة إلىٰ جمع الجمع ، كما قال الشِّبْليُّ : التصوُّفُ شركة ؛ لأنه صيانة القلب عن الغير ولا غير) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٣) عن أبي بكر الشبلي رحمه الله تعالىٰ ، والمَدَر : جمع (مَدَرَة) ؛ وهو التراب المُتلبِّد .

(٣) في (أ ، ج ، هـ ، ز) : (الدعاوي) بدل (الدواعي) .

(٤) عزاه الكلاباذي في « التعرف » (ص١٩ـ٢٠) إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٦) إلىٰ أبي عبد الله بن خفيف رحمه الله تعالىٰ .

تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللهِ ، فقلتُ : صِفيهِم لي ، فأنشأتْ تقولُ[١] : [من البسيط]

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِٱللهِ قَدْ عَلِقَتْ ... فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَىٰ أَحَدِ[٢]

فَمَطْلَبُ ٱلْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ ... يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلْوَاحِدِ ٱلصَّمَدِ[٣]

مَا إِنْ تُنَازِعُهُمْ دُنْيَا وَلَا شَرَفٌ ... مِنَ ٱلْمَطَاعِمِ وَٱللَّذَّاتِ وَٱلْوَلَدِ

وَلَا لِلُبْسِ ثِيَابٍ فَائِقٍ أَنِقٍ ... وَلَا لِرَوْحِ سُرُورٍ حَلَّ فِي بَلَدِ

إِلَّا مُسَارَعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ ... قَدْ قَارَبَ ٱلْخَطْوَ فِيهَا بَاعِدُ ٱلأَبَدِ

فَهُمْ رَهَائِنُ غُدْرَانٍ وَأَوْدِيَةٍ ... وَفِي ٱلشَّوَامِخِ تَلْقَاهُمْ مَعَ ٱلْعَدَدِ[٤]

وقالَ الجُنيدُ أيضاً رحمَهُ اللهُ : (الصُّوفيُّ كالأرضِ ؛ يُطرَحُ عليها كلُّ قبيحٍ ، ولا يخرجُ منها إلَّا كلُّ مَليحٍ)[٥] .

وقالَ : (هوَ كالأرضِ ؛ يَطَؤُها البَرُّ والفاجرُ ، وكالسَّحابِ ؛ يُظِلُّ كلَّ شيءٍ ، وكالقَطْرِ يَسقي كلَّ شيءٍ)[٦] .

وأقوالُ المشايخِ في ماهيَّةِ التصوُّفِ تزيدُ علىٰ ألفِ قولٍ ، ويطولُ

---

(١) في (ج ، د) : (فأنشدت) بدل (فأنشأت تقول) .

(٢) في (د) : (نفوسهم) بدل (همومهم) ، وعلىٰ هامشها نسخة كالمثبت .

(٣) في (د) : (الأحد) ، وعلىٰ هامشها نسخة كالمثبت .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٢١) ، وقال في « شرح المشكلات » (ق/ ٢٢) : (وفي جواب المرأة لذي النون نكتةٌ لطيفة ؛ وهي إنَّما أجابتْهُ بأوصافهم وبآية من القرآن ؛ حتىٰ لا يكونَ الاشتغالُ في الجواب بغير ذكر الله تعالىٰ) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٧) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٧) .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٧) .

نقلُها[1] ، ونذكرُ ضابطاً يجمعُ جُمَلَ معانيها ؛ فإنَّ الألفاظَ وإنِ اختلفتْ متقاربةُ المعاني ؛ فنقولُ :

الصُّوفيُّ : هوَ الذي يكونُ دائمَ التصفيةِ ، لا يزالُ يُصفِّي الأوقاتَ عن شَوبِ الأكدارِ[2] ؛ بتصفيةِ القلبِ عن شوبِ النَّفْسِ ، ويُعِينُهُ علىٰ هـٰذهِ التَّصفيةِ دوامُ افتقارِهِ إلىٰ مَوْلاهُ ؛ فبدوامِ الافتقارِ يتفطَّنُ للكَدَرِ ، وكلَّما تحرَّكَتِ النَّفْسُ وظهرتْ بصفةٍ مِنْ صفاتِها . . أدركَها ببصيرتِهِ النافذةِ ، وفرَّ منها إلىٰ ربِّهِ .

فبدوامِ تصفيتِهِ جمعيَّتُهُ ، وبحركةِ نَفْسِهِ تفرقتُهُ وكَدَرُهُ ، فهوَ قائمٌ بربِّهِ علىٰ قلبِهِ ، وقائمٌ بقلبِهِ علىٰ نفسِهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] ، وهـٰذهِ القَوَّاميَّةُ للهِ على النفسِ هوَ التحقُّقُ بحقيقةِ التصوُّفِ .

قالَ بعضُهُمْ : (التصوُّفُ كلُّهُ اضطرابٌ ، وإذا وَقَعَ السُّكونُ فلا تصوُّفَ)[3] .

والسرُّ فيهِ : أنَّ الرُّوحَ مجذوبةٌ إلى الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ ؛ يعني : أنَّ روحَ

---

(١) وقد ألَّف الإمام المُتفنِّن أبو منصور البغدادي التميمي كتاباً في ذلك ؛ قال الإمام ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٢/ ٥٥٤) : (ورأيت له كتاباً في معنىٰ لفظتي « التصوُّف » و« الصوفي » ، جمع فيه من أقوال الصوفيَّة زُهاءَ ألفِ قولٍ مُرتَّبَةً علىٰ حروف المعجم) ، وقد أوصلها بعضهم إلىٰ ألفي قول .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (و) : (عن شوائب الأكوان) .

(٣) عزاه السلمي في « الطبقات » (ص ٤٧٤) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (٢/ ٨٣٨) ، وابن الجزري في « المختار في مناقب الأخيار » (١/ ٥٠٠) إلىٰ أبي بكر الطَّمَسْتاني رحمه الله تعالىٰ .

الصُّوفيِّ مُتطلِّعةٌ مُنجذِبةٌ إلىٰ مواطنِ القُرْبِ ، وللنفسِ بوضعِها رُسُوبٌ إلىٰ عالمِها ، وانقلابٌ علىٰ عَقِبِها ، **ولا بدَّ للصُّوفيِّ مِنْ دوامِ الحركةِ** ؛ بدوامِ الافتقارِ ، ودوامِ الفرارِ ، وحُسْنِ التَّفقُّدِ لمواقعِ إصاباتِ النفسِ[١] .

ومَنْ وَقَفَ علىٰ هـٰذا المعنىٰ يجدُ في معنى الصُّوفيِّ جميعَ المُتفرِّقِ في الإشاراتِ[٢] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ج) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (إضافات) بدل (إصابات) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ السماع للجماعة في السابع على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءةً في الرابع علىٰ شيخنا الحافظ « . . . » ، كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب السادس

في ذكر تسميتهم بهذا الاسم

(١٨) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ محمَّدِ بنِ طاهرٍ ، قالَ : أخبرَني والدي ، قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ الشافعيُّ بمكَّةَ حرسَها اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : أخبرَنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ المَخْزُوميُّ ، قالَ : حدَّثَنا سُفْيانُ ، عن مسلمٍ : أنَّهُ سمعَ أنسَ بنَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُجيبُ دعوةَ العبدِ ، ويركبُ الحمارَ ، ويَلبَسُ الصُّوفَ)[1] .

فمِنْ هٰذا الوجهِ ذهبَ قومٌ : إلىٰ أنَّهُم سُمُّوا صُوفيَّةً ؛ نسبةً لهُم إلىٰ ظاهرِ اللِّبْسةِ ؛ لأنَّهُمُ اختارُوا لُبْسَ الصُّوفِ ؛ لكونِهِ أَرْفقَ ، ولكونِهِ كانَ لباسَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ؛ رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ :

---

(١) صفوة التصوف (١٨٠) ، ورواه الترمذي (١٠١٧) ، وابن ماجه (٤١٧٨) ، وليس فيه ذكر الصوف ، ورواه الحاكم (١/ ٦١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ٦٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٤٢٠) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بلفظ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يركبُ الحمارَ ، ويَلبَسُ الصُّوفَ ، ويعتقلُ الشاةَ ، ويأتي مُراعاةَ الضيفِ) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٩٧) .

« مَرَّ بِٱلصَّخْرَةِ مِنَ ٱلرَّوْحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيّاً حُفَاةً عَلَيْهِمُ ٱلْعَبَاءُ ، يَؤُمُّونَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ »[1] .

وقيلَ : إنَّ عيسىٰ عليهِ السلامُ كانَ يَلبَسُ الصُّوفَ والشَّعَرَ ، ويأكلُ مِنَ الشجرِ ، ويَبِيتُ حيثُ أمسىٰ[2] .

وقالَ الحسنُ البَصْريُّ رحمَهُ اللهُ : (لقد أدركتُ سبعينَ بدريّاً كانَ لباسُهُمُ الصُّوفَ)[3] .

ووصفَهُم أبو هريرةَ وفَضالةُ بنُ عُبيدٍ ؛ فقالا : (كانُوا يَخِرُّونَ مِنَ الجوعِ ؛ حتىٰ يَحسَبُهُمُ الأعرابُ مجانينَ ، وكانَ لباسُهُمُ الصُّوفَ ؛ حتىٰ إنَّ بعضَهُم كانَ يَعرَقُ في ثوبِهِ ، فيُوجدُ منهُ رائحةُ الضَّأْنِ إذا أصابَهُ الغيثُ)[4] .

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « المسند » (٤٢٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥٩ـ٢٦٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٩٨) .

(٢) أورده بلفظه الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٥٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٧٣) عن عبيد بن عمير رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٣٤)، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤).

(٤) أورده بلفظه الكلاباذي في « التعرف » (ص١٣) ، ورواه بنحوه مختصراً الترمذي (٢٣٦٨) ، وأحمد (٦/ ١٨) عن سيدنا فضالة رضي الله عنه ، وليس فيهما ذكر الصوف ، وروى الحاكم (٤/ ١٨٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٤١٩) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ـ واللفظ للبيهقي ـ : (يا بُنَيَّ ؛ لو شهدْتَنا ونحن مع نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أصابتنا السماء . . لحسبتَ ريحَنا ريحَ الضأن من لباسنا الصوفَ) ، ورواه الترمذي (٢٤٧٩) أيضاً عن سيدنا أبي موسىٰ رضي الله عنه دون ذكر الصوف ، وقال بعده : (ومعنىٰ هـٰذا الحديث : أنه كان ثيابُهُم الصوفَ ، فإذا أصابهم المطر يجيء من ثيابهم ريحُ الضأن) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٩٨ـ٩٩) .

وقالَ بعضُهُم : إنَّهُ لَيُؤذِيني ريحُ هـٰؤلاءِ ، أَمَا تُؤذِيكَ ريحُهُم ؟ يُخاطِبُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذلكَ[1] .

وكأنَّ اختيارَهُم للُبْسِ الصُّوفِ ؛ لتركِهِم زينةَ الدنيا ، وقناعتِهِم بسَدِّ الجَوْعةِ وسَتْرِ العورةِ ، واستغراقِهِم في أمرِ الآخرةِ ، فلم يتفرَّغُوا لمَلاذِّ النفوسِ وراحاتِها ؛ لشدَّةِ تحقيقِ إيمانِهِم ، وشُغْلِهِم بخدمةِ مَوْلاهُم[2] ، وانصرافِ هَمِّهِم إلىٰ أمرِ الآخرةِ .

وهـٰذا الاختيارُ يُلائِمُ ويُناسِبُ مِنْ حيثُ الاشتقاقُ ؛ لأنَّه يُقالُ : **تَصَوَّفَ** : إذا لَبِسَ الصُّوفَ ، كما يُقالُ : **تَقَمَّصَ** : إذا لَبِسَ القميصَ .

ولمَّا كانَ حالُهُم بينَ سَيْرٍ وطَيْرٍ ؛ لتقلُّبِهِم في الأحوالِ ، وارتقائِهِم مِنْ عالٍ إلىٰ أَعْلىٰ منهُ ، لا يُقيِّدُهُم وصفٌ ، ولا يَحبِسُهُم نعتٌ ، وأبوابُ المزيدِ عِلْماً وحالاً عليهِم مفتوحةٌ ، بواطنُهُم مَعدِنُ الحقائقِ ، ومجمعُ العلومِ ؛ **فلمَّا تعذَّرَ تقيُّدُهُم بحالٍ** ؛ لتنوُّعِ وُجْدانِهِم ، وتَجَنُّسِ مَزيدِهِم . . **نُسِبُوا إلىٰ ظاهرِ اللِّبْسةِ[3] ، فكانَ ذلكَ أَبْيَنَ في الإشارةِ إليهِم** ، وأَدْعىٰ إلىٰ حَصْرِ وصفِهِم ؛ لأنَّ لُبْسَ الصُّوفِ كانَ غالباً على المُتقدِّمينَ مِنْ سَلَفِهِم ، وأيضاً :

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٣) ، والبغوي في « تفسيره » (١٦٦/٥) ، وفيهما أنَّ القائل هو عُيينة بن حصن الفزاري أحد المؤلفة قلوبهم .

(٢) قوله : (تحقيق) كذا في (أ ، ز) ، وفي نسخة علىٰ هامش (أ) : (تحقق) بدل (تحقيق) ، والعبارة في باقي النسخ : (لشدة شغلهم بخدمة مولاهم) بدل (لشدة تحقيق . . .) .

(٣) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٢٢) : (قوله : « نُسبوا إلىٰ ظاهر اللِّبْسة » جوابُ « فلمَّا تعذَّر تقيدهم بحال » ، وهو مع جوابه جوابٌ لقوله : « ولمَّا كان حالُهُم بين سير وطير ») .

لأنَّ حالَهُم حالُ المُقرَّبينَ ، كما سَبَقَ ذكرُهُ[1] .

ولمكانِ أنَّ الاعتزاءَ إلى القُرْبِ[2] ـ وعِظَمُ الإشارةِ إلىٰ قُرْبِ اللهِ تعالىٰ أمرٌ صَلِفٌ يَعِزُّ كشفُهُ والإشارةُ إليهِ[3] ـ . . وقعتِ الإشارةُ إلىٰ زِيِّهِم ؛ سَتْراً لحالِهِم ، وغَيْرةً علىٰ عزيزِ مقامِهِم أنْ تكثرَ الإشارةُ إليهِ وتتداولَهُ الألسنةُ ، فكانَ هـٰذا أقربَ إلى الأدبِ ، والأدبُ في الظاهرِ والباطنِ ، والقولِ والفعلِ . . عِمادُ أمرِ الصُّوفيَّةِ .

وفيهِ معنىً آخَرُ ؛ وهوَ أنَّ نسبتَهُم إلى اللِّبْسةِ تُنبِئُ عن تقلُّلِهِم مِنَ الدنيا ، وزُهْدِهِم فيما تدعو النفسُ إليهِ بالهوىٰ مِنَ الملبوسِ الناعمِ ؛ حتىٰ إنَّ المُبتدِئَ المريدَ الذي يُؤثِرُ طريقَهُم ، ويُحِبُّ الدخولَ في أمرِهِم . . يُوطِّنُ نفسَهُ على التقشُّفِ والتقلُّلِ ، ويعلمُ أنَّ المأكولَ أيضاً مِنْ جنسِ الملبوسِ ، فيدخلُ في طريقِهِم علىٰ بصيرةٍ ، وهـٰذا أمرٌ مفهومٌ معلومٌ عندَ المُبتدِئِ ، والإشارةُ إلىٰ شيءٍ مِنْ حالِهِم وتسميتُهُم بذلكَ . . أبعدُ مِنْ فهمِ أربابِ البداياتِ ، فكانَ تسميتُهُم بهـٰذا أنفعَ وأَوْلىٰ .

وأيضاً : غيرُ هـٰذا المعنىٰ ـ ممَّا يُقالُ : إنَّهُم سُمُّوا صُوفيَّةً لذلكَ ـ يتضمَّنُ دَعْوىٰ ، وإذا قيلَ : سُمُّوا صوفيَّةً للُبْسِهِمُ الصوفَ . . كانَ أَبْعدَ مِنَ الدَّعْوىٰ ، وكلُّ ما كانَ أبعدَ مِنَ الدَّعْوىٰ كانَ أَلْيَقَ بحالِهِم .

وأيضاً : لأنَّ لُبْسَ الصُّوفِ حكمٌ ظاهرٌ على الظاهرِ مِنْ أمرِهِم ، ونسبتَهُم

---

(1) انظر (١/ ١٧٧) .

(2) في (ي) : (ولمَّا كان به الاعتزاء إلى القرب) ، ونحوه في (ح) .

(3) صَلِفٌ ؛ أي : ثقيل وصعب ، وفي نسخة علىٰ هامش (أ ، ج ، ز) : (صلب) بدل (صلف) ، وفي (ح) : (صعب) .

إلىٰ أمرٍ آخَرَ مِنْ حالٍ أو مقامٍ أمرٌ باطنٌ ، والحكمُ بالظاهرِ أَوْفقُ وأَوْلىٰ ؛ فالقولُ بأنَّهم سُمُّوا صوفيَّةً للُبْسِهِمُ الصوفَ . . أَلْيَقُ وأَقْرَبُ إلى التواضعِ .

ويَقرُبُ أنْ يُقالَ : لمَّا آثَرُوا الذُّبولَ والخمولَ ، والتواضعَ والانكسارَ ، والتخفِّيَ والتَّواريَ . . كانُوا كالخِرْقةِ المُلْقاةِ ، والصُّوفةِ المَرْميَّةِ التي لا يُرغَبُ فيها ولا يُلتفَتُ إليها ؛ فيُقالُ (صوفيٌّ) نسبةً إلى (الصُّوفةِ) ؛ كما يُقالُ (كُوفيٌّ) نسبةً إلى (الكُوفةِ) .

وهـٰذا ما ذكرَهُ بعضُ أهلِ العلمِ ، والمعنى المقصودُ بهِ قريبٌ ، ويُلائِمُ الاشتقاقَ ، ولم يَزَلْ لُبْسُ الصُّوفِ اختيارَ الصالحينَ ، والزُّهَّادِ والعُبَّادِ والمُتقشِّفينَ .

(١٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن أبيهِ قالَ : أخبرَنا عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ عبدِ الكريمِ ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ عرَفَةَ ، قالَ : حدَّثَنا خلفُ بنُ خليفةَ ، عن حُميدٍ الأعرجِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَوْمَ كَلَّمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانَ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، وَسَرَاوِيلُ مِنْ صُوفٍ ، وَكِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ ، وكُمَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، وَنَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ ذَكِيٍّ »[1] .

---

(١) صفوة التصوف (١٨١) ، ورواه الترمذي (١٧٣٤) ، والحاكم (١/ ٢٨) ، وقال الترمذي : (وحُميدٌ : هو ابن عليٍّ الكوفي ، منكر الحديث ، وحُميدُ بن قيسٍ الأعرجُ المكي صاحب مجاهد . . ثقةٌ) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٠٢ـ١٠٣) ، والكُمَّة : القلنسوة الصغيرة المُدوَّرة ، وفي (ح) : (غير مُذكىً) بدل (غير ذكي) .

وقيلَ : سُمُّوا صوفيّةً ؛ لأنَّهُم في الصفِّ الأوَّلِ بينَ يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ بارتفاعِ هِمَمِهِم ، وإقبالِهِم على اللهِ بقلوبِهِم ، ووقوفِهِم بسرائرِهِم بينَ يَدَيهِ[1] .

وقيلَ : كأنَّ هـٰذا الاسمَ في الأصلِ (صَفَوِيٌّ) ، فاستُثقِلَ ذلكَ وجُعِلَ (صُوفيّاً)[2] .

وقيلَ : سُمُّوا صوفيّةً ؛ نسبةً إلى (الصُّفَّةِ) التي كانتْ لفقراءِ المُهاجرينَ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الذينَ قالَ اللهُ تعالىٰ فيهِم : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣][3] .

وهـٰذا وإنْ كانَ لا يستقيمُ مِنْ حيثُ الاشتقاقُ اللُّغَويُّ . . ولـٰكنْ صحيحٌ مِنْ حيثُ المعنىٰ ؛ لأنَّ الصُّوفيّةَ تُشاكِلُ حالُهُم حالَ أولـٰئكَ ؛ لكونِهِم مجتمعينَ مُتألِّفينَ ، مُصاحِبينَ للهِ وفي اللهِ[4] ؛ كأصحابِ الصُّفَّةِ .

وكانُوا[5] نَحْواً مِنْ أربعِ مئةِ رجلٍ ، لم يكنْ لهُم مساكنُ بالمدينةِ ولا عشائرُ ، جعلُوا[6] أنفسَهُم في المسجدِ ، كاجتماعِ الصُّوفيّةِ قديماً

---

(١) انظر « التعرف » (ص١٠) .

(٢) انظر « اللمع » (ص٤٦) .

(٣) انظر « اللمع » (ص٤٧) ، و« التعرف » (ص٢١) .

(٤) في (ب ، هـ) : (متصاحبين) بدل (مصاحبين) .

(٥) أي : أصحابُ الصُّفَّة .

(٦) في (ح) : (جمعوا) .

وحديثاً في الزَّوايا والرُّبُطِ[1] ، وكانُوا لا يرجعُونَ إلىٰ زرعٍ ولا إلىٰ ضَرْعٍ ولا إلىٰ تجارةٍ ، كانُوا يحتطبُونَ ويَرضَخُونَ النَّوىٰ بالنهارِ[2] ، وبالليلِ يشتغلُونَ بالعبادةِ وتعلُّمِ القرآنِ وتلاوتِهِ[3] .

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُواسيهِم ، ويَحُثُّ الناسَ علىٰ مُواساتِهِم ، ويجلسُ معَهُم ، ويأكلُ معَهُم[4] .

وفيهِم نَزَلَ قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ . . . ﴾ الآيةَ [الأنعام : ٥٢] ، وقولُهُ سبحانَهُ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

---

(١) الرُّبُط : جمع (رباط) ؛ وهو المُتعبَّد الذي يربطون فيه نفوسهم على العبادة والطاعة .

(٢) يَرضَخُون : يكسرون .

(٣) وكان من أهل الصفة خِيرةُ الصحابة ؛ كأبي هريرة ، وأبي ذرٍّ ، وواثلة بن الأسقع ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، وبلال ، وابن أم مكتوم ، وصهيب الرومي ، وحذيفة بن اليمان ، وعقبة بن عامر ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين . انظر « إمتاع الأسماع » (١٠/ ١٥٧ـ١٦٠) ، و« شرح الشفاء » للقاري (١/ ٦١٠) ، و« الكشاف » للزمخشري (١/ ٣١٨) .

(٤) كما روي ذلك من أحاديث متعددة ؛ فروى البخاري (٦٤٥٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال له : « الحقْ إلىٰ أهل الصُّفَّة ، فادعُهُم لي » ، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلىٰ أهل ولا مالٍ ولا علىٰ أحد ، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتت هديةٌ أرسل إليهم ، وأصاب منها ، وأشركهم فيها .

وروى ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٢٥٥) من حديث يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : (كان أهل الصفة ناساً من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، لا منازل لهم ، فكانوا ينامون علىٰ عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في المسجد ويَظَلُّون فيه ، ما لهم مأوىً غيره ، فكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يدعوهم إليه بالليل إذا تعشَّىٰ ، فيُفرِّقُهُم علىٰ أصحابه وتتعشَّىٰ طائفةٌ منهم مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، حتىٰ جاء الله تعالىٰ بالغنىٰ) .

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ . . . ﴾ الآية [الكهف : ٢٨] [١] .

ونَزَلَ في ابنِ أمِّ مكتومٍ قولُهُ عزَّ وعلا : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس : ١-٢] ، وكانَ مِنْ أهلِ الصُّفَّةِ ، فعُوتِبَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأجلِهِ [٢] .

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا صافحَهُم لا يَنزِعُ يدَهُ مِنْ أيديهِم [٣] ، وكانَ يُفرِّقُهُم علىٰ أهلِ الجِدَةِ والسَّعَةِ [٤] ، ويبعثُ معَ واحدٍ ثلاثةً ، ومعَ الآخرِ أربعةً ، وكانَ سعدُ بنُ [عُبادةَ] [٥] يحملُ إلىٰ بيتِهِ منهُم ثمانينَ رجلاً يُطعِمُهُم [٦] .

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٣١٨٥) ، والبزار في « المسند » (٢١٣٠) عن سيدنا خبَّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٠٤) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٣١) ، وابن حبان (٥٣٥) ، والحاكم (٢/ ٥١٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وانظر كلام القاضي عياض النفيس في « الشفاء » (ص٦٩١-٦٩٢) حول هـٰذه الآية .

(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٠) ، وابن ماجه (٣٧١٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وليس فيهما تخصيصٌ بأهل الصُّفَّة .

(٤) الجِدَة : الغنىٰ .

(٥) في النسخ : (معاذ) ، والتصويب من « الحلية » ، ولم يُنبِّه عليه الغماري في تخريجه .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٤١) مرسلاً عن ابن سيرين رحمه الله تعالىٰ ، وروى البخاري (٦٠٢) ، ومسلم (٢٠٥٧) عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : إنَّ أصحاب الصُّفَّة كانوا أناساً فقراءَ ، وإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « مَنْ كانَ عندَهُ طعامُ اثنينِ فليذهبْ بثالثٍ ، وإنْ أربعٌ فخامسٌ أو سادسٌ . . . » الحديث .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (لقد رأيتُ سبعينَ مِنْ أهلِ الصُّفَّةِ يُصلُّونَ في ثوبٍ واحدٍ ، منهُم مَنْ لا يبلغُ ركبتَيهِ ، فإذا ركعَ أحدُهُم قبَضَ بيدَيهِ مخافةَ أنْ تبدوَ عورتُهُ)[1] .

وقالَ بعضُ أهلِ الصُّفَّةِ : جِئْنا جماعةً إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقُلْنا : يا رسولَ اللهِ ؛ أَحْرقَ بطونَنا التمرُ ، فسمعَ ذلكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فصَعِدَ المنبرَ ، ثمَّ قالَ : « ما بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ : أَحْرَقَ بُطُونَنَا ٱلتَّمْرُ ؟! أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ هَـٰذَا ٱلتَّمْرَ هُوَ طَعَامُ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ، وَقَدْ وَاسَوْنَا بِهِ ، وَوَاسَيْنَاكُمْ مِمَّا وَاسَوْنَا بِهِ ؟! وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ إِنَّ مُنْذُ شَهْرَيْنِ لَمْ يَرْتَفِعْ مِنْ بَيْتِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُخَانٌ لِلْخَبْزِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا ٱلأَسْوَدَانِ : ٱلْمَاءُ ، وَٱلتَّمْرُ »[2] .

(٢٠) ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي في « كتابِهِ » ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو بكرِ ابنُ زكريَّا الطُّرَيْثِيثِيُّ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ سعيدٍ الأَنْماطيُّ ، قالَ : حدَّثَنا الحسنُ ابنُ يحيى بنِ سلامٍ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَني سعيدُ بنُ حاتِمٍ البَلْخيُّ ، قالَ : حدَّثَنا سهلُ بنُ أسلمَ ، عن خلَّادِ بنِ محمَّدٍ ، عن أبي [حمزةَ] السُّكَّريِّ[3] ،

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٣٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٤٠ـ٣٤١) ، وبنحوه البخاري (٤٤٢) .

(٢) رواه بنحوه أحمد (٣/ ٤٨٧) ، والحاكم (٣/ ١٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٤٤٥) عن سيدنا طلحة النضري رضي الله عنه .

(٣) في النسخ : (عبد الرحمـٰن) بدل (حمزة) ، والتصويب من « الأربعين في=

عن يزيدَ النَّحْويِّ ، عن عكرمةَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : وقفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يوماً علىٰ أهلِ الصُّفَّةِ ، فرأىٰ فقرَهُم وجُهدَهُم وطِيبَ قلوبِهِم ، فقالَ : « أَبْشِرُوا يَا أَصْحَابَ ٱلصُّفَّةِ ؛ فَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ عَلَى ٱلنَّعْتِ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ٱلْيَوْمَ رَاضِياً بِمَا هُوَ فِيهِ . . فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[1] .

وقيلَ : كانَ منهُم طائفةٌ في خُراسانَ يَأْوُونَ إلى الكهوفِ والمغاراتِ ، ولا يسكُنُونَ القُرىٰ والمُدُنَ ، يُسمُّونَهُم في خُراسانَ : (شَكْفَتِيَّةَ) ؛ لأنَّ (شَكْفَتاً) اسمُ الغارِ ؛ يَنسُبونَهُم إلى المَأْوىٰ والمُستقَرِّ ، وأهلُ الشامِ يُسمُّونَهُم : (جُوعِيَّةً)[2] .

واللهُ تعالىٰ ذَكَرَ في القرآنِ ـ زادَهُ اللهُ مَجْداً ـ طوائفَ الخيرِ والصلاحِ ؛ فسمَّىٰ قوماً : (أبراراً) ، وآخَرينَ : (مُقرَّبينَ) ، ومنهُمُ : (الصابرينَ) ، و(الصادقينَ) ، و(الذَّاكرينَ) ، و(المُخْبِتينَ)[3] ، واسمُ الصُّوفيِّ يشملُ جميعَ المُتفرِّقِ في هٰذهِ الأسماءِ المذكورةِ .

= التصوف » ، والسُّكَّري : هو محمد بن ميمون المروزي (ت ١٦٧هـ) ، يروي عن يزيد النحوي وأبي إسحاق السَّبيعي وعاصم الأحول وغيرهم . انظر « تهذيب الكمال » (٢٦/ ٥٤٤ـ٥٤٥) .

(١) الأربعين في التصوف (ص١ـ ٢) ، ورواه من طريق السلمي الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٢٧٦) ، والرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (١/ ١٧٣) .

(٢) والسببُ في ذلك ـ كما قال الكلاباذي في « التعرف » (ص١١) ـ : أنَّهم كانوا ينالون من الطعام قَدْرَ ما يُقيم الصُّلْبَ للضرورة ، وفي هامش (ح) : (لكثرة الجوع ، ولكثرة صيامِهم ، وقِلَّةِ الأكل عند الإفطار ، مع الطي في بعض الليالي) .

(٣) في النسخ ما عدا (ج ، ح ، ي) : (والمُحبِّين) .

وهٰذا الاسمُ لم يكنْ في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقيلَ : كانَ في زمنِ التابعينَ .

ونُقِلَ عنِ الحسنِ البَصْريِّ رحمةُ اللهِ عليهِ أنَّهُ قالَ : رأيتُ صُوفيّاً في الطوافِ ، فأعطَيتُهُ شيئاً ، فلم يأخذْ وقالَ : معي أربعةُ دوانيقَ ، يكفِيني ما معي[١] .

ويُشيِّدُ هٰذا[٢] : ما رُوِيَ عن سُفْيانَ أنَّهُ قالَ : (لولا أبو هاشمٍ الصُّوفيُّ ما عَرَفْتُ دقيقَ الرِّياءِ)[٣] .

وهٰذا يَدُلُّ : علىٰ أنَّ هٰذا الاسمَ كانَ يُعرَفُ قديماً .

وقيلَ : لم يُعرَفْ هٰذا الاسمُ إلى المئتينِ مِنَ الهجرةِ العربيّةِ ؛ لأنَّ في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُسمُّونَ الرجلَ صحابيّاً ؛ لشرفِ صُحْبةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكونِ الإشارةِ إليها أَوْلىٰ مِنْ كلِّ إشارةٍ ، وبعدَ انقراضِ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ أَخَذَ منهُمُ العِلْمَ سُمِّيَ تابعيّاً .

ثمَّ لمَّا تقادمَ زمانُ الرِّسالةِ ، وبَعُدَ عهدُ النُّبُوَّةِ ، وانقطعَ الوحيُ السماويُّ ، وتوارى النورُ المُصطَفَويُّ ، واختلفتِ الآراءُ ، وتنوَّعتِ الأنحاءُ[٤] ، وتفرَّدَ كلُّ ذي رأيٍ برأيِهِ ، وكَدَّرَ شِرْبَ العلومِ شَوْبُ

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٢) .

(٢) أي : يُؤيِّد هٰذا القولَ .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٢) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أي : الطُّرُق .

الأَهْواءِ[1] ، وتزعزعتْ أبنيةُ المُتَّقينَ ، واضطربتْ عزائمُ الزاهدينَ ، وغَلَبَتِ الجَهالاتُ وكَثُفَ حِجَابُها ، وكَثُرتِ العاداتُ وتملَّكتْ أربابُها[2] ، وتزخرفتِ الدنيا وكَثُرَ خُطَّابُها . تفرَّدَتْ طائفةٌ بأعمالٍ صالحةٍ ، وأحوالٍ سَنِيَّةٍ ، وصدقٍ في العزيمةِ ، وقُوَّةٍ في الدِّين ، وزُهدٍ في الدنيا ومحبَّتِها ، واغتنمُوا العُزْلةَ والوَحْدةَ ، واتَّخذُوا لنفوسِهِم زَوايا ؛ يجتمعونَ فيها تارةً ، ويتفرَّدونَ أُخْرىٰ ؛ أُسوةً بأهلِ الصُّفَّةِ ، تاركينَ للأسبابِ ، مُتبتِّلينَ إلىٰ ربِّ الأربابِ .

فأَثْمرَ لهُم صالحُ الأعمالِ سَنِيِّ الأحوالِ ، وتهيَّأَ لهُم صفاءُ الفهومِ لقَبولِ العلومِ ، وصارَ لهُم بَعْدَ اللِّسانِ لسانٌ ، وبَعْدَ العِرْفانِ عِرْفانٌ ، وبَعْدَ الإيمانِ إيمانٌ ، كما قالَ حارثةُ : (أصبحتُ مُؤمناً حقّاً)[3] ؛ حيثُ كُوشِفَ برُتْبةٍ في الإيمانِ غيرِ ما يتعاهدُها .

فصارَ لهُم بمُقتضىٰ ذلكَ علومٌ يعرفُونَها ، وإشاراتٌ يتعاهدُونَها ، فحرَّرُوا لنفوسِهِمُ اصطلاحاتٍ تُشِيرُ إلىٰ معانٍ يَعرِفُونَها ، وتُعرِبُ عن أحوالٍ يَجِدُونَها .

فأَخَذَ ذلكَ الخَلَفُ عنِ السَّلَفِ ، حتىٰ صارَ ذلكَ رَسْماً مُستمِرّاً وخيراً

---

(١) العبارة في بعض النسخ : (وتكدَّر شرب العلوم بشوب الأهوية) ، **والأهوية** : جمع (هواء) ، وهو غير مراد هنا . انظر « تحرير ألفاظ التنبيه » (ص٢٠٣) ، و« تصحيح التصحيف » (ص١٣٧) .

(٢) ويجوز أن يُضبط (أربابها) بالنصب ، كما في بعض النسخ .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٣٠٢) ، والسلمي في « الأربعين في التصوف » (ص٥ـ٦) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (١٠١٠٧) ، وروراه أيضاً في « الشعب » (١٠١٠٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

مُستقِرّاً في كلِّ عصرٍ وزمانٍ ، فظَهَرَ هـٰذا الاسمُ بينَهُم ، وتسمَّوا بهِ ، وسُمُّوا بهِ[1] .

فالاسمُ سِمَتُهُم ، والعِلْمُ باللهِ صِفَتُهُم ، والعبادةُ حِلْيَتُهُم ، والتقوىٰ شِعارُهُم ، وحقائقُ الحقيقةِ أَسْرارُهُم ، نُزَّاعُ القبائلِ[2] ، وأصحابُ الفضائلِ ، سُكَّانُ قِبابِ الغَيْرةِ ، وقُطَّانُ دِيارِ الحَيْرةِ ، لهُم معَ الساعاتِ مِنْ إمدادِ فَضْلِ اللهِ مَزِيدٌ ، ولهيبُ شوقِهِم يتأجَّجُ ويقولُ : هل مِنْ مَزِيدٍ ؟[3] .

اللهمَّ ؛ احشُرْنا في زُمْرتِهِم ، وارزُقْنا حالاتِهِم ، واللهُ أعلمُ[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) ضبط في (ح) : (وسَمَوْا به) .

(٢) النُّزَّاع : جمع (نَزِيع) ؛ وهو الغريب الذي نَزَعَ عن أهله وعشيرته ، وروىٰ أحمد (١/ ٣٩٨)، وابن ماجه (٣٩٨٨)، والدارمي (٢٧٩٧) من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّ الإسلامَ بدأَ غريباً وسيعودُ غريباً ، فطوبىٰ للغُرَباءِ » ، قيل : ومَنِ الغُرَباءُ ؟ قال : « النُّزَّاعُ مِنَ القبائلِ » .

(٣) وقد أتىٰ أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٢ـ٤٣) ، والإمام القشيري في « الرسالة » (ص١٠٠) بلُمَعٍ يسيرة من هـٰذا البحث .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في الثامن للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب السابع

في ذكر المتصوف والمتشبه به

(٢١) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ العالمُ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو منصورِ بنُ خَيرُونَ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ زكريَّا ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ محمَّدِ بنِ صاعدٍ ، قالَ : أخبرَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزيُّ ، قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، قالَ : أخبرَنا المُعتمِرُ بنُ سليمانَ[١] ، قالَ : أخبرَنا حُميدٌ الطويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ متىٰ قيامُ الساعةِ ؟ فقامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الصلاةِ ، فلمَّا قضى الصلاةَ قالَ : « أَيْنَ ٱلسَّائِلُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ؟ » ، فقالَ الرجلُ : أنا يا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : « مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ » ، قالَ : ما أعددتُ لها كثيرَ صلاةٍ ولا صيامٍ ـ أو قالَ : ما أعددتُ لها كثيرَ عَمَلٍ ـ إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ،

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وعبد الله بن المبارك يروي عن المعتمر بن سليمان التيمي ، وعن حميد الطويل مباشرة دون واسطة ، وقد جاء كذلك في « الزهد » (٧١٨) ، وانظر تخريج الحديث الآتي .

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ، أو : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » .

قالَ أنسٌ : (فما رأيتُ المسلمينَ فَرِحُوا بشيءٍ بعدَ الإسلامِ فرحَهُم بها)[1] .

فالمُتشبِّهُ بالصُّوفيَّةِ ما اختارَ التشبُّهَ بِهِم دونَ غيرِهِم مِنَ الطوائفِ. . إلَّا لمحبَّتِهِ إيَّاهُم ، وهوَ معَ تقصيرِهِ عنِ القيامِ بما هم فيهِ. . يكونُ معَهُم ؛ لموضعِ إرادتِهِ ومحبَّتِهِ .

وقد وردَ بلفظٍ آخَرَ أوضحَ مِنَ الخبرِ الذي رَوَيْنَاهُ في المعنىٰ : روىٰ [عبدُ اللهِ] بنُ الصَّامتِ[2] ، عن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ الرجلُ يُحِبُّ القومَ ولا يستطيعُ أنْ يعملَ كعملِهِم ، قالَ : « أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ، قالَ : قلتُ : فإنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ، قالَ : « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ، قالَ : فأعادَها أبو ذَرٍّ ، فأعادَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[3] .

قالَ الشيخُ : فمحبَّةُ المُتشبِّهِ إيَّاهُم لا تكونُ إلَّا لتنبُّهِ روحِهِ لِمَا تنبَّهتْ لهُ أرواحُ الصُّوفيَّةِ ؛ لأنَّ محبَّةَ اللهِ وما يُقرِّبُ إليهِ ومَنْ يَقرُبُ منهُ. . تكونُ بجاذبِ

---

(١) الزهد (٧١٨ ، ١٠١٩) ، ورواه البخاري (٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٣٩) ، وروي عن جماعة بلغ الحديثُ بهم حدَّ التواتر . انظر « غنية العارف » (١/ ١١١ـ١١٢) .

(٢) في النسخ : (عبادة) بدل (عبد الله) ، والتصويب من كتب الحديث الآتية .

(٣) رواه أبو داود (٥١٢٦) ، والدارمي (٢٨٢٩) ، وأحمد (٥/ ١٥٦) ، وفي هامش (ح) : (إنَّما كان بهـٰذا أوضحَ ؛ لأنه قال : « يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم » ، فدلَّ : أنَّ المحبَّةَ تنتج المصاحبة مع مَنْ يحبه) .

الرُّوحِ ، غيرَ أنَّ المُتشبِّهَ تَعَوَّقَ بظُلْمةِ النفسِ ، والصُّوفيَّ تخلَّصَ مِنْ ذلكَ ، والمُتصوِّفَ مُتطلِّعٌ إلىٰ حالِ الصُّوفيِّ ، وهوَ مُشارِكٌ ببقاءِ شيءٍ مِنْ صفاتِ نفسِهِ عليهِ للمُتشبِّهِ .

وطريقُ الصُّوفيَّةِ أوَّلُهُ إيمانٌ ، ثمَّ عِلْمٌ ، ثمَّ ذوقٌ ؛ فالمُتشبِّهُ صاحبُ إيمانٍ ، والإيمانُ بطريقِ الصُّوفيَّةِ أصلٌ كبيرٌ ؛ قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (الإيمانُ بطريقِنا هٰذا ولايةٌ) .

ووجهُ ذلكَ : أنَّ الصُّوفيَّةَ تميَّزُوا بأحوالٍ عزيزةٍ ، وإشارات عليَّةٍ ، وآثارٍ مُستغرَبةٍ عندَ أكثرِ الخَلْقِ ؛ لأنَّهُم مُكاشَفُونَ بالقُدَرِ وغرائبِ العلومِ ، وإشاراتُهُم إلىٰ عظيمِ أمرِ اللهِ تعالىٰ والقُرْبِ منهُ ، والإيمانُ بذلكَ إيمانٌ بالقدرةِ .

وقد أنكرَ قومٌ مِنْ أهلِ المِلَّةِ كراماتِ الأولياءِ[1] ، والإيمانُ بذلكَ إيمانٌ بالقدرةِ ، ولهُم علومٌ مِنْ هٰذا القَبيلِ ؛ فلا يُؤمِنُ بطريقِهِم إلَّا مَنْ خَصَّهُ اللهُ تعالىٰ بمزيدِ عنايةٍ .

فالمُتشبِّهُ صاحبُ إيمانٍ ، والمُتصوِّفُ صاحبُ علمٍ ؛ لأنَّهُ بعدَ الإيمانِ اكتسبَ مزيدَ علمٍ بطريقِهِم ، وصارَ لهُ مِنْ ذلكَ مواجيدُ يستدلُّ بها علىٰ سائرِها ، والصُّوفيُّ صاحبُ ذوقٍ .

فللمُتصوِّفِ الصادقِ نصيبٌ مِنْ حالِ الصُّوفيِّ ، وللمُتشبِّهِ نصيبٌ مِنْ حالِ المُتصوِّفِ .

وهكذا سنةُ اللهِ تعالىٰ ؛ جاريةٌ أنَّ كلَّ صاحبِ حالٍ لهُ ذوقٌ فيهِ لا بُدَّ أنْ

---

(١) ومنهم : الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني والحَليميُّ وجمهورُ المعتزلة . انظر « تحفة المريد » (ص٢٥٣) .

يُكشَفَ لهُ علمٌ بحالٍ أَعْلىٰ ممَّا هوَ فيهِ[1] .

فيكونُ في حالِهِ الأوَّلِ صاحبَ ذوقٍ ، وفي الحالِ الذي كُوشِفَ بهِ صاحبَ علمٍ ، وبحالٍ فوقَ ذلكَ صاحبَ إيمانٍ ؛ حتىٰ لا يزالُ طريقُ الطلبِ مسلوكاً ، فيكونُ في حالِ الذوقِ صاحبَ قَدَمٍ ، وفي حالِ العلمِ صاحبَ نَظَرٍ ، وفي حالٍ فوقَ ذلكَ صاحبَ إيمانٍ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٢ـ٢٦] ؛ وَصَفَ الأبرارَ ووَصَفَ شرابَهُم ، ثمَّ قالَ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢٧ـ ٢٨] ؛ فكانَ لشرابِ الأبرارِ مَزْجٌ مِنْ شرابِ المُقرَّبينَ ، وللمُقرَّبينَ ذلكَ صِرْفٌ .

فللصُّوفيِّ شرابٌ صِرْفٌ ، وللمُتصوِّفِ مِنْ ذلكَ مَزْجٌ في شرابِهِ ، وللمُتشبِّهِ مَزْجٌ مِنْ شرابِ المُتصوِّفِ .

فالصُّوفيُّ سَبَقَ إلىٰ مَقَارِّ الرُّوحِ مِنْ بساطِ القُرْبِ ، والمُتصوِّفُ بالنسبةِ إلى الصُّوفيِّ كالمُتزهِّدِ بالنسبةِ إلى الزاهدِ ؛ لأنَّهُ تفعُّلٌ وتَعَمُّلٌ وتَسبُّبٌ ؛ إشارةً إلىٰ ما بَقِيَ عليهِ مِنْ وصفِهِ ، مجتهدٌ في طريقِهِ ، سائرٌ إلىٰ ربِّهِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سِيرُوا ، سَبَقَ ٱلْمُفَرِّدُونَ »[2] ،

---

(١) فمَنْ لم يُكاشف بحالٍ هو أعلىٰ ممَّا هو فيه . . دلَّ علىٰ أنَّهُ لم يَذُقْ ما هو فيه ، وما وصل إلىٰ حقيقته . من هامش (ح) .

(٢) أي : فرَّدوا الحق بالقصد عمَّا سواه ، وتولَّعوا بذكره ، وتركوا ذكر غيره . من هامش (ح) .

قيلَ : مَنِ المُفرِّدُونَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « ٱلْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ ٱللهِ ، وَضَعَ ٱلذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ ، فَوَرَدُوا ٱلْقِيَامَةَ خِفَافاً »[١] .

فالصُّوفيُّ في مقامِ المُفرِّدينَ ، والمُتصوِّفُ في مقامِ السَّائرينَ واصلٌ في سيرِهِ إلىٰ مَقَارِّ القلبِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ومُراقبتِهِ بقلبِهِ ، وتلذُّذِهِ بنظرِهِ إلىٰ نَظَرِ اللهِ إليهِ .

فالصُّوفيُّ في مَقَارِّ الرُّوحِ صاحبُ مُشاهدةٍ ، والمُتصوِّفُ في مَقَارِّ القَلْبِ صاحبُ مُراقبةٍ ، والمُتشبِّهُ في مُقاومةِ النفسِ صاحبُ مُجاهدةٍ وصاحبُ مُحاسبةٍ .

فتلوينُ الصُّوفيِّ بوجودِ قلبِهِ[٢] ، وتلوينُ المُتصوِّفِ بوجودِ نَفْسِهِ[٣] ، والمُتشبِّهُ لا تلوينَ لهُ[٤] ؛ لأنَّ التلوينَ لأربابِ الأحوالِ ، والمُتشبِّهَ مجتهدٌ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦) ، والترمذي واللفظ له (٣٥٩٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والمُسْتَهْتَرون : المُولَعون بذكر الله تعالىٰ وتسبيحه .

(٢) لأنَّ سيرَهُ بعدم الروح ، وسفرَهُ من الله إليه ؛ فهو في هـٰذا الحال مُتمكِّن ، ولـٰكن لكلِّ صاحبِ تمكينٍ تلوينٌ بالضرورة ؛ لأداء حقِّ النفس وبقاء الوجود ، فتلوينُ مَنْ تمكَّن في سير الروح في عالم البقاء باللهِ بعوده إلىٰ سماء القلب لتدبير أرض القالَب ورعايةِ الحواسِّ والقوىٰ ، كما قال عليه السلام : « إنَّهُ لَيُغانُ علىٰ قلبي ، وإنِّي لَأستغفرُ اللهَ في اليومِ مئةَ مرَّةٍ » ، وإنَّما أمره بالاستغفار في قوله : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر : ٥٥] ؛ لذلك . من هامش (ج) .

(٣) لأنَّ سيرَهُ بالقلب ، وسفره في طريقه الذي هو عالَم الأحوال ، وتمكينه فيه ما دام في عالَم الأحوال ، فتلوينُهُ بظهور النفس في عالم الأعمال والسير الإسلامي . من هامش (ج) .

(٤) لأنَّهُ لم يصل بعدُ إلى الأحوال ، ولأنَّهُ يسيرُ بالنفس في طريق الإسلام ، وصورةِ العبادة المُجرَّدة عن الأحوال ، فلا تمكينَ له ولا تلوينَ ؛ لأنَّهُما لأصحاب الأحوال وهو لم يصل بعدُ إليها . من هامش (ج) .

سالكٌ لم يَصِلْ بعدُ إلى الأحوالِ ، والكلُّ تجمعُهُم دائرةُ الاصطفاءِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

قالَ بعضُهُم[١] : (**الظالمُ** : الزاهدُ ، **والمُقتصِدُ** : العارفُ ، **والسَّابقُ** : المُحِبُّ)[٢] .

وقالَ بعضُهُمُ : (**الظالمُ** : الذي يَجْزَعُ مِنَ البلاءِ ، **والمُتقصِدُ** : الذي يصبرُ عندَ البلاءِ ، **والسَّابقُ** الذي يتلذَّذُ بالبلاءِ)[٣] .

وقالَ بعضُهُمُ : (**الظالمُ** يعبدُ على الغَفْلةِ والعادةِ ، **والمُقتصِدُ** يعبدُ على الرَّغْبةِ والرَّهْبةِ ، **والسَّابقُ** يعبدُ على الهَيْبةِ والمِنَّةِ)[٤] .

وقالَ بعضُهُمُ : (**الظالمُ** يذكرُ اللهَ بلسانِهِ ، **والمُقتصِدُ** يذكرُ اللهَ بقلبِهِ ، **والسَّابقُ** لا ينسىٰ ربَّهُ)[٥] .

---

(١) أي : في تفسير الآية .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٦٨)، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ٢٠١).

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٦٨) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ٢٠١) ، وفي هامش (ح) : (قيل : اجتمع ثلاثةٌ من العارفين عند رابعةَ ، وتكلَّم كلُّ واحدٍ بما ذاق في حاله ؛ **فقال أحدُهُم** : ليس بصادقٍ في دعواه مَنْ لم يصبر علىٰ ضرب مَوْلاه ، **وقال الآخرُ** : ليس بصادقٍ في دعواه مَنْ لم يشكر ضربَ مَوْلاه ، **وقال الآخر** : ليس بصادقٍ في دعواه مَنْ لم يتلذَّذ بضرب مولاه ، **فقالت رابعةُ** رحمها الله : ليس بصادقٍ مَنْ لم ينسَ الضربَ في مشاهدة مَوْلاه ، **فانظروا كم بين المقامات !!**) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٦٩)، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ٢٠١).

(٥) عزاه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ٢٠٢) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٤/ ٤٣٩) إلىٰ ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

وقالَ أحمدُ بنُ عاصمٍ الأَنْطاكيُّ رحمَهُ اللهُ : (الظالمُ : صاحبُ الأقوالِ ، والمُقتصِدُ : صاحبُ الأفعالِ ، والسَّابقُ : صاحبُ الأحوالِ)[١] .

وكلُّ هٰذهِ الأقوالِ قريبةُ التناسُبِ مِنْ حالِ الصُّوفيِّ والمُتصوِّفِ والمُتشبِّهِ ، وكلُّهُم مِنْ أهلِ الفلاحِ والنجاحِ ، تجمعُهُم دائرةُ الاصطفاءِ ، وتُؤلِّفُ بينَهُم نسبةُ التخصيصِ بالمَنْحِ والعطاءِ[٢] .

(٢٢) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ رَضِيُّ الدِّينِ أبو الخيرِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ[٣] ، قالَ : أخبرَنا القاضي محمَّدُ بنُ سعيدٍ[٤] ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ ، قالَ : أخبرَني الحسينُ بنُ محمَّدِ ابنِ فَنْجُويَهْ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ رِزْمَةَ ، قالَ : حدَّثَنا يوسفُ بنُ عاصمٍ الرازيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو أيُّوبَ سليمانُ بنُ داودَ ، قالَ : حدَّثَنا حُصَينُ بنُ نُمَيرٍ ، عنِ [ابنِ] أبي ليلىٰ[٥] ، عن أخيهِ ، عن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ قالَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم

---

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/٢٠٣) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٤/٤٣٩) .

(٢) ضُبط في بعض النسخ : (بالمِنَح) ، وفي بعضها : (والعطايا) بدل (والعطاء) .

(٣) هو الخليلي النَّوْقاني . انظر (١/٣٤٢) .

(٤) هو أبو سعيد الفُرَّخزادي الطوسي . انظر (١/١٦٦) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من « الكشف والبيان » ، وابن أبي ليلىٰ : هو الإمام القاضي مفتي الكوفة محمد بن عبد الرحمـٰن الأنصاري الكوفي (ت١٤٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٦/٣١٠) .

مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ : « كُلُّهُمْ فِي ٱلْجَنَّةِ »[1] .

قالَ ابنُ عطاءٍ : (الظالمُ : الذي يُحِبُّ اللهَ مِنْ أجلِ الدنيا ، والمُقتصِدُ : الذي يُحِبُّ اللهَ مِنْ أجلِ العُقْبىٰ ، والسَّابقُ : هوَ الذي أَسْقَطَ مُرادَهُ بمُرادِ الحقِّ فيهِ)[2] .

وهـٰذا هوَ حالُ الصُّوفيِّ .

فالمُتشبِّهُ تَعَرَّضَ لشيءٍ مِنْ أمرِ القومِ ، ويُوجِبُ لهُ ذلكَ القُرْبَ منهُم ، والقُرْبُ منهُم مُقدِّمةُ كلِّ خيرٍ .

سمعتُ شيخَنا رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ[3] : جاءَ بعضُ أبناءِ الدنيا إلى الشيخِ أحمدَ الغزاليِّ رحمةُ اللهِ عليهِ ونحنُ بأَصْفهانَ يُريدُ منهُ الخِرْقةَ[4] ، فقالَ لهُ الشيخُ : اذهبْ إلىٰ فلانٍ ـ يُشِيرُ إليَّ ـ حتىٰ يُكلِّمَكَ في معنى الخِرْقةِ ، ثمَّ احضُرْ حتىٰ أُلبِسَكَ الخِرْقةَ .

قالَ : فجاءَ إليَّ ، فذكرتُ لهُ حقوقَ الخِرْقةِ ، وما يَجِبُ مِنْ رعايةِ

---

(١) الكشف والبيان (٢٢/ ٢٠٣ـ٢٠٤) ، ورواه الترمذي (٣٢٢٥) ، وأحمد (٣/ ٧٨) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١١٦ـ١١٧) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٦٧) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ٢٠١) .

(٣) هو شيخ الإسلام أبو النَّجيب السُّهرُوردي ، وهو المراد حيثُ أُطلقَ .

(٤) وأحمد الغزالي : هو الإمام العارف الواعظ أبو الفتوح بن محمد بن محمد الغزالي (ت نحو ٥٢٠هـ) ، وهو أخو الإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي ، رحمهما الله تعالىٰ ورضي عنهما .

حقِّها ، وآدابَ مَنْ يَلبَسُها ، ومَنْ يُؤهَّلُ للُبْسِها ، فاستعظمَ الرجلُ حقوقَ الخِرْقةِ وجَبُنَ أنْ يَلبَسَها .

فأُخْبِرَ الشيخُ بما تجدَّدَ عندَ الطالبِ مِنْ قولي لهُ ، فاستحضرَني وعاتبَني علىٰ قولي لهُ ذلكَ ، وقالَ : بعثتُهُ إليكَ حتىٰ تُكلِّمَهُ بما يَزيدُ رغبتَهُ في الخِرْقةِ ، فكلَّمْتَهُ بما فتَّرتَ عزيمتَهُ !! ثمَّ الذي ذكرتَهُ كلُّهُ صحيحٌ ، وهوَ الذي يجبُ مِنْ حقوقِ الخِرْقةِ ، ولـٰكنْ إذا أَلْزَمْنا المُبتدِئَ بذلكَ . . نفرَ وعَجَزَ عنِ القيامِ بهِ ، فنحنُ نُلبِسُهُ الخِرْقةَ حتىٰ يتشبَّهَ بالقومِ ويتزيَّا بزيِّهم ، فيُقرِّبُهُ ذلكَ مِنْ مَجالسِهم ومَحافلِهم ، وببركةِ مُخالطتِهِ معَهُم ، ونَظَرِهِ إليهِم وإلىٰ أحوالِهم وسِيَرِهِم . . يُحِبُّ أنْ يَسلُكَ مَسْلكَهُم ، ويصلَ بذلكَ إلىٰ شيءٍ مِنْ أحوالِهِم .

ويُوافِقُ هـٰذا القولَ مِنَ الشيخِ أحمدَ الغزاليِّ :

(٢٣) ـ ما أخبرَنا شيخُنا رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا عصامُ الدِّينِ عمرُ بنُ أحمدَ الصَّفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الجُنيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (إذا لَقِيتَ الفقيرَ فلا تبدأْهُ بالعلمِ ، وابدأْهُ بالرِّفْقِ ؛ فإنَّ العلمَ يُوحِشُهُ ، والرِّفْقَ يُؤنِسُهُ)[1] .

---

(١) طبقات الصوفية (ص١٦٠) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٣) ، ورواه القشيري في « رسالته » (ص٥٧٩) بإسناد آخر عن السلمي ، وزاد : (فقلت ـ والقائل : عبد الله المرتعش الزاهد صاحب الجنيد ـ : يا أبا القاسم ؛ وهل يكونُ فقيرٌ يُوحِشُهُ العلمُ ؟ فقال : نعم ، الفقيرُ إذا كان صادقاً في فقره ، فطرحتَ عليه علمَكَ . . =

وبرِفْقِ الصُّوفيّةِ بالمُتشبِّهينَ بهِم ينتفعُ المُبتدِئُ الطالبُ ، وكلُّ مَنْ كانَ منهُم أكْملَ حالاً وأَوْفرَ عِلْماً . كانَ أكْثرَ رِفقاً بالمُبتدِئِ الطالبِ .

حُكِيَ عن بعضِهِم : أنَّهُ صَحِبَهُ طالبٌ ، فكانَ يأخذُ نفسَهُ بكثرةِ المُعاملاتِ والمُجاهداتِ ، ولم يَقصِدْ بذلكَ إلَّا نَظَرَ المُبتدِئِ إليهِ ، والتأدُّبَ بأدبِهِ ، والاقتداءَ بهِ في عملِهِ .

وهٰذا هوَ الرِّفْقُ الذي ما دَخَلَ في شيءٍ إلَّا زانَهُ[1] .

فالمُتشبِّهُ الحقيقيُّ لهُ إيمانٌ بطريقِ القومِ ، وعَمَلٌ بمُقتضاهُ ، وسلوكٌ واجتهادٌ ، علىٰ ما ذكرْناهُ أنَّهُ صاحبُ مُجاهَدةٍ ومُحاسَبةٍ[2] ، ثمَّ يصيرُ مُتصوِّفاً صاحبَ مُراقَبةٍ ، ثمَّ يصيرُ صُوفيّاً صاحبَ مُشاهَدةٍ .

فأمَّا مَنْ لم يتطلَّعْ إلىٰ حالِ المُتصوِّفِ والصُّوفيِّ بالتشبُّهِ ، ولا يقصدْ أوائلَ مقاصدِهِم[3] ، بل هوَ علىٰ مُجرَّدِ تشبُّهٍ ظاهرٍ مِنْ ظاهرِ اللِّبْسةِ والمُشارَكةِ في الزِّيِّ والصُّورةِ ، دونَ السِّيرةِ والصِّفَةِ . . فليسَ بمُتشبِّهٍ بالصُّوفيّةِ ؛ لأنَّهُ غيرُ مُحاكٍ لهُم بالدخولِ في بداياتِهِم[4] ؛ فإذاً هوَ مُتشبِّهٌ بالمُتشبِّهِ ، يَعْتزِي إلى

= ذاب كما يذوبُ الرَّصاصُ في النار) ، وقوله : (وابدأْهُ بالرفق . . .) قال العروسي في « نتائج الأفكار » (٣/ ٢٤٤) : (أي : بالتسليم ؛ حتىٰ تستكشفَ حكمة الحكيم ، ولا تَلْقَهُ بالعلم ؛ بأن تعارضه بالمنقول في علم الشريعة) ، وفي هامش (ح) عند قوله : (بالرفق) : (أي : بالسفرة والإطعام) .

(١) كما رواه مسلم (٢٥٩٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) انظر (١/ ٢٧٤) .

(٣) مِنْ تركِ العادات ، والتزام المجاهدات . من هامش (ح) .

(٤) غيرُ مُحاكٍ ؛ أي : غير مُشابهٍ .

القومِ بمُجرَّدِ لُبْسِهِ ، ومعَ ذلكَ همُ القومُ لا يَشْقىٰ بهِم جليسُهُم ، وقد وَرَدَ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »[(١)] .

(٢٤) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الفتحِ محمَّدُ ابنُ سَلْمانَ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدٌ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ الأَصْفَهانيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عمرِو بنِ أبي عاصمٍ ، قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ الشافعيُّ [ح][(٢)] .

قالَ : وحدَّثَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ المَقْدِسيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عبدِ ابنِ عامرٍ ، قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ الأشعثِ ، قالَ : حدَّثَنا فُضَيلُ بنُ عياضٍ ، عن سليمانَ الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فُضُلاً عَنْ كُتَّابِ ٱلنَّاسِ[(٣)] ،

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) ، وأحمد (٢/ ٥٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٩٧٤٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفي الباب عن غيره أيضاً . انظر « غنية العارف » (١/ ١١٩) .

(٢) إشارة التحويل زيادة من « الحلية » .

(٣) قوله : (فُضُلاً) كذا ضبط في (ب ، هـ) ونسخة علىٰ هامش (و) ، وضُبط في (أ ، ج ، د ، و ، ح) : (فَضْلاً) ، وفي (ي) : (فُضَلاء) ، وقال القاري في « المرقاة » (٤/ ١٥٤٨) : (فُضُلاً : صفةٌ بعد صفة للملائكة ، وهو بضمتين وسكون الثاني تخفيفاً ؛ جمع « فاضل » ؛ كـ « بُزْل وبازل » ، و« نُشْر وناشر » ؛ وهو مَنْ فاق أصحابَهُ وأقرانه عِلْماً وشرفاً ، وفي نسخة : بفتح فسكون ، وفي نسخة : « فُضَلاء » علىٰ وزن « عُلَماء » . . . وفي « شرح مسلم » : قوله : « فضلاً » ضبطناه علىٰ أوجه : أحدُها ـ وهو أرجحُها وأشهرُها في بلادنا ـ : « فُضُلاً » بضم الفاء والضاد ، الثاني : بضم الفاء وإسكان الضاد ، ورجَّحه بعضهم وادَّعىٰ أنه أكثرُ وأصوبُ ، والثالث : بفتح الفاء وإسكان الضاد ، قال القاضي : هٰكذا الرواية عند جمهور مشايخنا في « البخاري » =

يَطُوفُونَ فِي ٱلطُّرُقِ ، وَيَتَتَبَّعُونَ ٱلذِّكْرَ[1] ، فَإِذَا رَأَوْا قَوْماً يَذْكُرُونَ ٱللهَ تَنَادَوْا[2] : هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ ، فَتَحُفُّهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ عَنَانِ ٱلسَّمَاءِ .

فَيَقُولُ ٱللهُ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ ـ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا : يَحْمَدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقُولُ : كَيْفَ وَلَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالُوا : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ تَسْبِيحاً وَتَحْمِيداً وَتَمْجِيداً .

فَيَقُولُ : مَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ ٱلْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَا ، فَيَقُولَ : كَيْفَ وَلَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَباً وَعَلَيْهَا أَكْثَرَ حِرْصاً .

قَالُوا : وَيَتَعَوَّذُونَ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَا ، فَيَقُولُ : كَيْفَ وَلَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذاً ، وَأَشَدَّ فِرَاراً ، فَيَقُولُ : أُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ .

فَيَقُولُ ٱلْمَلَكُ : فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُم ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ !! فَيَقُولُ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : « هُمُ ٱلْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[3] .

= و« مسلم » ، والرابع : بضم الفاء والضاد ورفع اللام علىٰ أنه خبر مبتدأ محذوف ، والخامس : « فُضَلاء » بالمدِّ جمعُ « فاضل » ، قال العلماء : معناه علىٰ جميع الروايات : أنهم زائدون على الحفظة وغيرهم ، لا وظيفةَ لهم إلا حِلَقُ الذكر . انتهىٰ) .

(١) في « الحلية » : (ويبتغون) بدل (ويتتبَّعون) ، وفي بعض النسخ : (ويتتبعون مجالس الذكر) .

(٢) أي : نادىٰ بعضهم بعضاً . من هامش (ح) .

(٣) حلية الأولياء (٨/١١٧) ، ورواه البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) ، وفي =

فلا يَشْقَىٰ جَلِيسُ الصُّوفيَّةِ ، والمُتشبِّهُ بِهِم ، والمُحِبُّ لهُم[1] .

* * *

= نسخة علىٰ هامش (و) : (أشهدكم أني قد غفرت لهم ، هم السعداء) بدل (هم الجلساء) .

(١) في هامش (ب) : (بلغ في الخامس على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الثامن

في ذكر الملامتي وشرح حاله[1]

قَالَ بعضُهُمْ : (المَلامَتِيُّ : هوَ الذي لا يُظهِرُ خيراً ، ولا يُضمِرُ شراً)[2] .

وشرحُ هٰذا : هوَ أنَّ المَلامَتيَّ تشرَّبتْ عروقُهُ طعمَ الإخلاصِ ، وتحقَّقَ بالصِّدْقِ ؛ فلا يُحِبُّ أنْ يَطَّلِعَ أحدٌ علىٰ حالِهِ وأعمالِهِ[3] .

---

(١) وشيخ المَلاميَّة ـ ويُقال : الملامتية ، وهي لغة ضعيفة ـ : هو أبو صالح حمدون القصَّار النيسابوري ، وعنه اشتهرت وانتشرت ، وقد أفرد الملاميَّةَ بالبحث الإمامُ أبو سعد الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٩ـ٤٢) ، وانظر « الفتوحات المكية » (١٦/٢) .

(٢) في (أ ، ز) : (خيراً من نفسه . . .) .

(٣) ومن المناسب إيراده في هٰذا المقام : ما سُئل عنه إمامنا المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أنَّ المريد إذا كان مع الناس يجد من نفسه نشاطاً للعمل ، وإذا كان وحدَهُ يجد فُتُوراً عن العمل وتأبىٰ عليه نفسُهُ ؛ فما الأَوْلىٰ به ؟

فأجاب : بأنَّهُ لا ينبغي للمريد أن يدع العمل لأجل الخلق ، ولا يأتي به لأجلهم ، فإذا ابتُلي بشيء من ذلك واسترقت النفسُ الغرضَ بالالتفات ، واستحلتْ نظرَهُم لمحبَّة الثناء وخوفِ المَذَمَّة . . فليرجعْ إلى الله تعالىٰ بحسن اللَّجَأ ، ويرغبْ إليه بالتضرُّع والدعاء ، ويستغفر الله من ذلك الاستحلاءِ ، ويعلم علم اليقين أنَّهُم لا يستطيعون له نفعاً ولا ضرّاً ، فيُلقي الأوهام علىٰ نفسه ، ويُقدِّر اطلاع الله تعالىٰ عليه ، ولا يدع العمل رأساً ؛ فببركة العمل يزول الرِّياء إن شاء الله تعالىٰ ، والله حفيظ عليم . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٥) .

(٢٥) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعَةَ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ المَقْدِسيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ سعيدٍ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ما هوَ[١] ؟ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ إبراهيمَ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ جعفرٍ الخصَّافَ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ أحمدَ بنَ بشَّارٍ عنِ الإخلاصِ ما هوَ[٢] ؟ قالَ : سألتُ أبا يعقوبَ الشُّرُوطيَّ عنِ الإخلاصِ ما هوَ[٣] ؟ قالَ : سألتُ أحمدَ بنَ غسَّانَ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ أحمدَ بنَ [عطاءٍ] الهُجَيْمِيَّ عنِ الإخلاصِ ما هوَ[٤] ؟ قالَ : سألتُ عبدَ الواحدِ بنَ زيدٍ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ الحسنَ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ حُذيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) ورواه السلمي أيضاً عن أبي العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي كما في « الكشف والبيان » (٤/ ١٦٤) ، و« الرسالة القشيرية » (ص٤٧٧) .

(٢) وفي « الكشف والبيان » (٤/ ١٦٥) وبعض النسخ : (يسار) بدل (بشار) ، قال الزَّبيدي في « الإتحاف » (١٠/ ٤٤) بعد أن ذكر رواية الحافظ أبي مسعود الأصفهاني في « مسلسلاته » : (هكذا هو في سياق الحافظ أبي مسعود ، وهي النسخة التي بخطه : « أحمد بن دينار » بدل « أحمد بن بشار ») .

(٣) الشُّرُوطي : نسبة إلى (الشُّرُوط) ؛ وهي كتابة الوثائق بالديون والمبيعات وغير ذلك . انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (٢/ ١٩٣) ، ووقع في « مسلسلات الأصفهاني » : (البوطي) بدل (الشروطي) انظر « الإتحاف » (١٠/ ٤٤) .

(٤) في النسخ : (علي) بدل (عطاء) ، والهُجَيمي : هو أبو عمرو البصري (ت ٢٠٠هـ) ، وهي نسبة إلى محلة بالبصرة نزلها بنو الهُجَيم بن عمرو بن تميم . انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (٣/ ٣٨١ـ٣٨٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤٠٨).

عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : « سَأَلْتُ جِبْرَائِيلَ عَنِ ٱلْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ رَبَّ ٱلْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ ٱلْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : هُوَ سِرٌّ[1] مِنْ سِرِّي ٱسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي »[2] .

فالمَلامَتِيَّةُ لهُم مَزِيدُ اختصاصٍ بالتمسُّكِ بالإخلاصِ ، يَرَونَ كَتْمَ الأحوالِ والأعمالِ[3] ، ويتلذَّذُونَ بكَتْمِها ؛ حتىٰ لو ظهرتْ أعمالُهُم وأحوالُهُم لأحدٍ . لاستوحشُوا مِنْ ذلكَ كما يستوحشُ العاصي مِنْ ظهورِ مَعْصيتِهِ .

فالمَلامَتِيُّ عَظَّمَ وَقْعَ الإخلاصِ وموضعَهُ ، وتمسَّكَ بهِ مُعتدّاً بهِ .

---

(١) السرُّ : هو الذي يُكتَمُ ؛ أي : معنىً مكتوم ؛ من السَّراري المكتومة التي لم يطلع عليها غيري . من هامش (ح) .

(٢) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٤/ ١٦٤ـ١٦٧) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٧٧) عن شيخهما أبي عبد الرحمـٰن محمد بن الحسين السلمي به ، وقال العراقي في « المغني » (٤٢٦٢) : (رَوَيْناه في « جزء من مسلسلات القزويني » مسلسلاً ، يقولُ كلُّ واحد من رواته : « سألت فلاناً عن الإخلاص فقال » ، وهو من رواية أحمد بن عطاء الهُجَيمي عن عبد الواحد بن زيد عن حذيفة عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم عن جبريل عن الله تعالىٰ ، وأحمدُ بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك ، وهما من الزُّهَّاد ، ورواه أبو القاسم القشيري في « الرسالة » من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف) ، كذا قال ، والذي في مطبوع « الرسالة » عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، ورواه الديلمي في « الفردوس » (٤٥١٣) عن سيدنا علي وابن عباس رضي الله عنهم ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٢١ـ١٢٢) ، و« إتحاف السادة المتقين » (١٠/ ٤٣ـ ٤٥) .

وفي هامش (ح) تعليقاً على الحديث : (**فعُلِمَ** : أنَّ مَنْ رزقه اللهُ الإخلاصَ فهو محبوبُ الله ، واعلَمْ : أن الإخلاصَ صفةُ القلب ليس صفةَ النفس ، فصاحبُ النفس بمعزل عن الإخلاص ؛ لأنَّ وجهَ النفس إلى الخلق ، كذا قال المشايخ ؛ النفسُ مرائيةٌ في جميع الأحوال ، منافقةٌ في أكثر الأحوال ، مُشرِكةٌ في بعض الأحوال) .

(٣) قوله : (يَرَون) ؛ أي : يعتقدون . من هامش (و) .

والصُّوفيُّ غابَ في إخلاصِهِ عن إخلاصِهِ ؛ قالَ أبو يعقوبَ السُّوسيُّ : (متىٰ شَهِدُوا فـي إخـلاصِهِـمُ الإخـلاصَ . . احتـاجَ إخـلاصُهُـم إلـىٰ إخلاصٍ)[1] .

وقالَ ذو النُّونِ : (ثلاثٌ مِنْ علاماتِ الإخلاصِ[2] : استواءُ المدحِ والذَّمِّ مِنَ العامَّةِ[3] ، ونِسْيانُ رُؤْيَةِ الأعمالِ في الأعمالِ ، وعدمُ اقتضاءِ ثوابِ العملِ في الآخرةِ)[4] .

(٢٦) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ إجازةً[5] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (الإخلاصُ : ما لا يكونُ للنفسِ فيهِ حَظٌّ بحالٍ[6] ، وهـٰذا إخلاصُ العوامِّ ، وإخلاصُ الخواصِّ : ما يجري عليهِم لا بهِم ،

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٩٤) ، والخركوشي في « تهذيبه » (ص١٧٩) ، والقشيري في « رسالته » (ص٤٧٨) .

(٢) أي : إخلاص الخواص . من هامش (ح) .

(٣) قوله : (من العامة) إشارةٌ : إلىٰ أنَّ الذمَّ إذا كان من الخاصَّة وأهلِ الله . . فلِعَيبٍ فيه ونقصٍ ، فلا بُدَّ من الحزن علىٰ ذلك والتفتيشِ عن ذلك العيب ، والقيامِ بالرَّفعِ والإزالة . من هامش (ح) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٦١) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٤٧٨) ، وفي النسخ ما عدا (أ ، هـ ، ز) : (واقتضاء) بدل (وعدم اقتضاء) ، وهو كذلك في « الحلية » ، وعلى المثبت شَرَحَ شيخُ الإسلام زكريا الأنصاري كما في « إحكام الدلالة » (٣/ ١٣٤) ، وقال : (بألا يخطر لك علىٰ عملك جزاء دينوي ولا أخروي) .

(٥) سقط التصريح بالإجازة في (و ، ز) .

(٦) فإذا لاحظ النَّفس خرج من دائرة الإخلاص . من هامش (ح) .

فتبدو منهُمُ الطاعاتُ وهم عنها بمَعْزِلٍ ، ولا يقعُ لهُم عليها رؤيةٌ ، ولا بها اعتدادٌ ؛ فذلكَ إخلاصُ الخواصِّ)[1] .

وهـٰذا الذي فصَّلَهُ الشيخُ أبو عثمانَ المغربيُّ . . يُفرِّقُ بينَ الصُّوفيِّ والمَلامَتِيِّ؛ لأنَّ المَلامَتِيَّ أخرجَ الخَلْقَ عن عملِهِ وحالِهِ، ولـٰكن أثبتَ نفسَهُ ؛ فهوَ مُخلِصٌ، والصوفيَّ أخرجَ نفسَهُ عن عملِهِ وحالِهِ كما أخرجَ غيرَهُ ؛ فهوَ مُخلَصٌ، وشتَّانَ ما بينَ المُخلِصِ والمُخلَصِ !![2] .

قالَ أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ : (نقصانُ كلِّ مُخلِصٍ في إخلاصِهِ . . رُؤْيةُ إخلاصِهِ ، فإذا أرادَ اللهُ أن يُخلِصَ إخلاصَهُ . . أَسْقطَ عن إخلاصِهِ رؤيتَهُ لإخلاصِهِ ، فيكونُ مُخلَصاً لا مُخلِصاً)[3] .

قالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (رياءُ العارفينَ أفضلُ مِنْ إخلاصِ المُريدينَ)[4] .

ومعنىٰ قولِهِ ذلكَ : لأنَّ الإخلاصَ معلولٌ برُؤْيَةِ الإخلاصِ ، والعارفَ مُنزَّهٌ عنِ الرِّياءِ الذي يُبطِلُ العملَ ، ولـٰكنْ لعلَّهُ يُظهِرُ شيئاً مِنْ حالِهِ وعَمَلِهِ بعِلْمٍ كاملٍ عندَهُ فيهِ[5] ؛ لجَذْبِ مُريدٍ ، أو مُعاناةِ خُلُقٍ مِنْ أخلاقِ النَّفْسِ في

---

(1) تفسير السلمي (١/ ٢٩٩) ، ورواه القشيري في « رسالته » (ص٤٧٨) .

(2) وشتَّان ما هما ، وشتَّان ما عمرٌو وأخوه ؛ أي : بَعُدَ ما بينهما ، [وأبى] الأصمعي : (شتَّانَ ما بينهما) ، وشتَّان : مصروفٌ عن (شتَّت) ، فالفتحةُ التي في النون هي الفتحةُ التي [كانت] في التاء ؛ لتَدُلَّ علىٰ أنَّهُ مصروفٌ عن الفعل الماضي . « صحاح » . من هامش (ح) .

(3) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٧٨) .

(4) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٤٧٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٩٧) ، ومن طريقه البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٢٩) عن رُوَيم رحمه الله تعالىٰ .

(5) أي : في الإظهار .

إظهارِهِ الحالَ والعملَ[1] ، وللعارفينَ في ذلكَ عِلْمٌ دقيقٌ لا يعرفُهُ غيرُهُم ، فيرىٰ ذلكَ ناقصُ العِلْمِ صورةَ رياءٍ وليسَ برياءٍ ، وإنَّما هوَ صريحُ العلمِ للهِ باللهِ مِنْ غيرِ حضورِ نَفْسٍ ووجودِ آفةٍ فيهِ[2] .

قالَ رُوَيمٌ رحمةُ اللهِ عليهِ : (الإخلاصُ : ألَّا يرضىٰ صاحبُهُ عليهِ عِوَضاً في الدَّارَينِ ، ولا حظّاً مِنَ المَلَكَينِ)[3] .

وقالَ بعضُهُم : (صِدْقُ الإخلاصِ : نِسْيانُ رؤيةِ الخَلْقِ بدوامِ النَّظَرِ إلى الحقِّ)[4] ، والمَلامَتِيُّ يرى الخَلْقَ ، فيُخفي عملَهُ وحالَهُ .

وكلُّ ما ذكرْناهُ مِنْ قبلُ وَصْفُ إخلاصِ الصُّوفيِّ ؛ ولهـٰذا قالَ الزَّقَّاقُ : (لا بدَّ لكلِّ مُخلِصٍ مِنْ رُؤْيةِ إخلاصِهِ)[5] ، وهوَ نُقْصانٌ عن كمالِ الإخلاصِ ، والإخلاصُ هوَ الذي يتولَّى اللهُ تعالىٰ حِفْظَ صاحبِهِ حتىٰ يأتيَ بهِ على التَّمامِ .

---

(1) أي : ربَّما يظهرُ في نفوس بعضِ الكاملين امتلاءُ قلب وكبرُ مقام وشرفُ حال من كتمانه الأعمالَ وإخفائِهِ الأحوالَ ، وهـٰذا عين الاعتلال في طريق أهل الكمال ، فيظهرُ العمل علىٰ خلاف مراد النفس ؛ ليزول عنها هـٰذه الصفة المذمومة ، والعارفُ مأذونٌ فيه مأمور به ، غيرُ مختارٍ منه أو مختار فيه ، ولـٰكنَّ اختيارَهُ باختيار إلـٰهه . من هامش (ج) .

(2) وذلك العلم : هو أنَّهُ ليس عندهم إلا الحقُّ ، وإذا عُدِمَ الغيرُ عُدِمَ الرياء ، فافهم . من هامش (ح) .

(3) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٨٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٠) .

(4) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٧٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٤٧٩) ، وعزواه إلىٰ أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالىٰ .

(5) انظر قوله في (١/٢٨٨) .

قالَ جعفرٌ الخُلْدِيُّ[1] : سألتُ أبا القاسمِ الجُنيدَ رحمَهُ اللهُ قلتُ لهُ : أَبَيْنَ الإخلاصِ والصِّدْقِ فَرْقٌ ؟ قالَ : نعمِ ، الصِّدْقُ أصلٌ وهوَ الأوَّلُ ، والإخلاصُ فَرْعٌ وهوَ تابعٌ[2] ، وقالَ : بينَهُما فرقٌ ؛ لأنَّ الإخلاصَ لا يكونُ إلَّا بعد الدخول في العمل ، ثمَّ قالَ : إنَّما هوَ إخلاصٌ ، ومُخالَصةُ الإخلاصِ ، وخالِصةٌ كائنةٌ في المُخالَصةِ[3] .

فعلىٰ هـٰذا : الإخلاصُ حالُ المَلامَتيِّ ، ومُخالَصةُ الإخلاصِ حالُ الصُّوفيِّ ، والخالِصةُ الكائنةُ في المُخالَصةِ ثمرةُ مُخالَصةِ الإخلاصِ ؛ وهوَ فناءُ العبدِ عن رسومِهِ ، بُرؤْيةِ قيامِهِ بقيُّومِهِ ، بل غَيْبَتُهُ عن رُؤْيةِ قيامِهِ ؛ وهوَ الاستغـراقُ فـي العَيـنِ عـنِ الآثـارِ[4] ، والتخلُّـصُ عـن لَـوْثِ

---

(١) هو الزاهد الورع العابد أبو محمد جعفر بن محمد بن نُصير الخُلْدي الخوَّاص البغدادي (ت ٣٤٨هـ) ، إمام الصوفية في زمانه ، روى الخطيب البغدادي بإسناده عنه أنه قال : (كنت يوماً عند الجنيد بن محمد وعنده جماعة من أصحابه يسألونه عن مسألة ، فقال لي : يا أبا محمد ؛ أَجِبْهمُ ، فأجبتُهُم ، فقال : يا خُلْديُّ ؛ من أين لك هـٰذه الأجوبة ؟ فجرى اسمُ الخُلْدي عليَّ إلىٰ يومي هـٰذا ، وواللهِ ؛ ما سكنت الخُلْد ، ولا سكنه أحدٌ من آبائي) ، والخُلْد : قصر كان للمنصور العبَّاسي علىٰ شاطئ دجلة ، فخرب وبُنيت حواليه منازلُ ، والسؤال هو : أنَّهُم قالوا له : أنطلب الرِّزقَ ؟ فقال : إن علمتُم أنَّهُ نسيكم فذكِّرُوه ، فقالوا : أندخل البيتَ ونتوكَّلُ على الله ؟ فقال : أتُجرِّبون اللهَ بالتوكُّل ؟ فهـٰذا شكٌّ ، قالوا : فكيف الحيلة ؟ فقال : تركُ الحيلة . انظر « تاريخ بغداد » (٧/ ٢٣٥) .

(٢) لأنَّهُ إذا استوىٰ ظاهرُهُ وباطنه ولسانه وقلبه في العمل . . فقد أتىٰ بالصدق ، وهو الواجبُ عليه أوَّلاً ، ثمَّ إذا جعَلَ ما يأتي به لله من غير قصدِ حظٍّ . . فقد أتىٰ بالإخلاص ؛ فهو يترتَّب على الصدق . من هامش (ح) .

(٣) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٠ـ ٤١١) .

(٤) يُشيرُ : إلىٰ تجلِّي الذَّات المُخلِّصِ عن مُزاحمة الاستتار ؛ لغلبة الأنوار . من هامش (ح) .

الاستتارِ[1] ، وهوَ نقدُ حالِ الصُّوفيِّ[2] .

والمَلامَتِيُّ مُقِيمٌ في أوطانِ إخلاصِهِ ، غيرُ مُتطلِّعٍ إلىٰ حقيقةِ خَلاصِهِ[3] .

وهـٰذا فرقٌ واضحٌ بينَ المَلامَتِيِّ والصُّوفيِّ .

ولم يَزَلْ في خُراسانَ منهُم طائفةٌ ، ولهُم مشايخُ يُمهِّدُونَ أساسَهُم ، ويُعرِّفُونَهُم شروطَ أحوالِهِم ، وقد رأَيْنا في العراقِ مَنْ يسلُكُ هـٰذا المَسْلَكَ ، ولـٰكن لم يَشتهِرْ بهـٰذا الاسمِ ، وقلَّما تتداولُ ألسنةُ أهلِ العراقِ هـٰذا الاسمَ .

حُكِيَ : أنَّ بعضَ المَلامَتِيَّةِ استُدعِيَ إلىٰ سماعٍ ، فامتنعَ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، قالَ : لأنِّي إنْ حضرتُ يظهرُ عليَّ وَجْدٌ ، ولا أُوثِرُ أنْ يعلمَ أحدٌ حالي .

وقيلَ : إنَّ أحمدَ بنَ أبي الحَوارِيِّ قالَ لأبي سليمانَ الدَّارانيِّ[4] : إنِّي

---

(١) الاستتار إشارةٌ : إلىٰ غيبة صفات النفس بكمال قوّة صفات القلب ، وبه يرجع إلىٰ مصالح النفوس والعوق عن الاستغراق في جمع الجمع . من هامش (ح) .

(٢) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٢٥) : (اعلَمْ : أنَّ الصفاتِ آثارُ الذات والأفعال ؛ أي : الكائناتُ والموجودات آثارُ الصفات ، فهم المستغرقون في عين الذات عن الصفات والأفعال ، وفي الصفات عن الأفعال ؛ كمن يستغرق بظلِّ جسمٍ فلمَّا رأىٰ ذلك الجسمَ استغرق في الجسم عن الظل ، أو كمَنْ رأىٰ مثالَ شخص فلمَّا رأىٰ ذلك الشخصَ استغرق فيه عن التمثال ، أو كمن رأى الشمس وضوءها واستغرق فيها فلمَّا رأى الشمسَ استغرق فيها عن العكس وضوئها ، ومَنْ رأىٰ عكسَ جمالٍ في المرآة فلما رأىٰ صاحب الجمال استغرق فيه عن الفكر) .

(٣) في (أ) : (إلى الحقيقة الخالصة) ، وفي (هـ ، ح ، ي) : (إلىٰ حقيقة إخلاصه) ، وفي (ج ، ز) : (إلى الحقيقة خالصةً) .

(٤) الحَوَارِي : هو واحد (الحَوَارِيِّين) ، وضبطه بعضُ الحُفَّاظ كـ (سَكَارىٰ) ، وبعضُهم كـ (سُمَّانىٰ) ، وابن أبي الحواري : هو الإمام الحافظ القدوة الزاهد أبو الحسن بن =

إذا كنتُ في الخَلْوةِ أَجِدُ لمُعاملتي لذَّةً لا أَجِدُها بينَ الناسِ ، فقالَ لهُ : إنَّكَ إذاً لَضعيفٌ[1] .

فالمَلامَتِيُّ وإنْ كانَ مُتمسِّكاً بعُرْوةِ الإخلاصِ ، مُستفرِشاً بِساطَ القُرْبِ والصِّدْقِ . . ولٰكنْ عليهِ بَقِيَّةُ رُؤْيةِ الخَلْقِ ، وما أَحْسنَها مِنْ بقيّةٍ تُحقِّقُ الإخلاصَ والصِّدْقَ !!

والصُّوفيُّ صُفِّيَ مِنْ هٰذهِ البقيَّةِ في طَرَفَيِ العملِ والتركِ للخلقِ ، وعَزَلَهُم بالكُلِّيَّةِ ، ورآهُم بعينِ الفناءِ والزَّوالِ ، ولاحَ لهُ ناصيةُ التوحيدِ[2] ، وعاينَ سِرَّ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، كما قالَ بعضُهُم في بعضِ غَلَبَاتِهِ : (ليسَ في الدَّارَينِ غيرُ اللهِ)[3] .

وقد يكونُ إخفاءُ المَلامَتِيِّ الحالَ علىٰ وجهَينِ[4] :

فأحدُ الوجهَينِ : لتحقيقِ الإخلاصِ والصِّدْقِ .

والوجهُ الآخَرُ ـ وهوَ الأتمُّ ـ : لسَتْرِ الحالِ عن غيرِهِ ، بنوعِ غَيْرةٍ ؛ فإنَّ مَنْ خلا بمحبوبِهِ يكرهُ اطِّلاعَ الغيرِ عليهِ ، بل يبلُغُ في صِدْقِ المحبّةِ أنْ يكرهَ

= عبد الله بن ميمون الثعلبي (ت ٢٤٦هـ) شيخ أهل الشام ، ومن كبار تلاميذ أبي سليمان الداراني رحمهما الله تعالىٰ ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٨٥ ـ ٩٤) ، و« بستان العارفين » (ص١١٤) ، و« تاج العروس » (١١/ ١٠٦) .

(١) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٨) ، وفي (أ ، ز) ونسخة علىٰ هامش (ج ، د) : (لضعيف الحال) .

(٢) ذكرُ الناصيةِ يُشيرُ : إلىٰ أنَّ ملاحظةَ التوحيد بكلِّهِ غيرُ مُمكِنٍ . من هامش (ح) .

(٣) انظر « الإملاء علىٰ مشكل الإحياء » (ص٢٩٧) .

(٤) في نسخة علىٰ هامش (د ، و ، ز) : (العمل) بدل (الحال) .

اطِّلاعَ أحدٍ علىٰ حُبِّهِ لمحبوبِهِ ، وهٰذا وإن علا ففي طريق الصُّوفيِّ عِلَّةٌ ونقصٌ .

فعلىٰ هٰذا : يتقدَّمُ المَلامَتِيُّ على المُتصوِّفِ ، ويتأخَّرُ عنِ الصُّوفيِّ .

وقيلَ : إنَّ مِنْ أصولِ أهلِ المَلامَةِ : أنَّ الذِّكْرَ علىٰ أربعةِ أقسامٍ : ذِكرٍ باللِّسانِ ، وذِكْرٍ بالقلبِ ، وذِكرٍ بالسِّرِّ ، وذِكْرٍ بالرُّوحِ[١] .

فإذا صحَّ ذِكْرُ الرُّوحِ سَكَتَ السِّرُّ والقلبُ واللِّسانُ عنِ الذِّكرِ ؛ وذلكَ ذِكْرُ المُشاهَدةِ .

وإذا صحَّ ذِكْرُ السِّرِّ سَكَتَ القلبُ واللِّسانُ عنِ الذِّكرِ ؛ وذلكَ ذِكْرُ الهَيْبَةِ .

وإذا صحَّ ذِكْرُ القلبِ فتَرَ اللِّسانُ عنِ الذِّكْرِ ؛ وذلكَ ذِكْرُ الآلاءِ والنَّعْماءِ .

وإذا غَفَلَ القلبُ عنِ الذِّكرِ أَقْبَلَ اللِّسانُ على الذِّكرِ ؛ وذلكَ ذِكْرُ العادةِ .

ولكلِّ واحدٍ مِنْ هٰذهِ الأذكارِ عندَهُم آفةٌ :

فآفةُ ذِكْرِ الرُّوحِ : اطِّلاعُ السِّرِّ عليهِ .

وآفةُ ذِكْرِ السِّرِّ : اطِّلاعُ القلبِ عليهِ .

---

(١) اعلم : أنَّ للقلب سرّاً ، وللرُّوح سرّاً ، فسِرُّ القلب : فَيْضُ نورِ الولاية العُلْويَّة ، وسرُّ الرُّوح : فيضُ نور النبوَّة النبويَّة ، فإثباتُ السِّرِّ فوقَ القلب بالنظر إلى الفيض العُلْوي ، وإثباتُ السِّرِّ فوق الرُّوح بالنظر إلى الفيض النبوي ، وكلا السِّرَّينِ [يُشاهدُهما] السالكُ ؛ فإطلاقُ السِّرِّ علىٰ كليهما صحيحٌ ، ولا اختلافَ في الحقيقة بينَ مَنْ يُثبِتُ السِّرَّ فوقَ القلب ، وبينَ مَنْ يُثبِتُ فوق الروح ؛ لأنَّ كلا السِّرَّينِ واقعانِ يُشاهِدُهما السالكُ ويعرف منشأهما . من هامش (ح) .

وآفةُ ذِكْرِ القلبِ : اطِّلاعُ النَّفْسِ عليهِ .

وآفةُ ذِكْرِ النَّفْسِ[1] : رُؤْيةُ ذلكَ وتعظيمُهُ ، أو طلبُ ثوابٍ بهِ ، أو ظَنٌّ أنَّهُ يصلُ إلىٰ شيءٍ مِنَ المقاماتِ بهِ ، وأقلُّ الناسِ قيمةً عندَهُم : مَنْ يُرِيدُ إظهارَهُ وإقبالَ الخَلْقِ عليهِ بذلكَ .

وسِرُّ هـٰذا الأصلِ الذي بَنَوْا عليهِ : أنَّ ذِكْرَ الرُّوحِ ذِكْرُ الذَّاتِ ، وذِكْرَ السِّرِّ ذِكْرُ الصِّفاتِ بزعمِهِم[2] ، وذِكْرَ القلبِ مِنَ الآلاءِ والنَّعْماءِ ذكرُ أثَرِ الصِّفاتِ ، وذِكْرَ النَّفْسِ مُتعرِّضٌ للعِلَّاتِ .

فمعنىٰ قولِهِم : (اطِّلاعُ السِّرِّ على الرُّوحِ) يُشيرُونَ : إلى التحقُّقِ بالفناءِ عندَ ذِكْرِ الذَّاتِ[3] .

وذِكْرُ الهَيْبَةِ في ذلكَ الوقتِ ذكرُ الصِّفاتِ ؛ وهوَ وجودُ الهَيْبَةِ ، ووجودُ الهَيْبَةِ يَسْتدعي وجوداً وبَقِيَّةً ، وذلكَ يُناقِضُ حالَ الفناءِ .

وهكذا ذِكْرُ السِّرِّ وجودُ هَيْبَةٍ وهوَ ذِكْرُ الصِّفاتِ . . مُشعِرٌ بنصيبِ القُرْبِ .

وذكرُ القلبِ الذي هوَ ذِكْرُ الآلاءِ والنَّعْماءِ . . مُشعِرٌ ببُعْدٍ ما ؛ لأنَّهُ اشتغالٌ بذِكْرِ النِّعْمةِ وذُهُولٌ عنِ المُنعِمِ ، والاشتغالُ برُؤْيةِ العطاءِ عن رُؤْيةِ المُعطِي . . ضربٌ مِنْ بُعْدِ المنزلةِ ، واطِّلاعُ النَّفْسِ نظراً إلى الأَعْواضِ . .

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (أ) : (اللسان) .

(٢) لا في مذهب الصُّوفيّة ؛ لأنَّ ذكر السِّرِّ عندهم المشاهدة . من هامش (ح) .

(٣) أي : إذا كان الرُّوحُ ذاكراً يظهرُ أنوار الذات منه ؛ بحيثُ ينمحي عند لَمَعَانها جميعُ الكائنات في نَظَره . من هامش (ج) .

اعتدادٌ بوجودِ العملِ ، وذلكَ عينُ الاعتلالِ حقيقةً .

وهٰذهِ أقسامُ هٰذهِ الطائفةِ ، وبعضُها أَعْلىٰ مِنْ بعضٍ ، واللهُ أعلمُ[1] .

❁ ❁ ❁

(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً) ، وفي هامشه أيضاً : (بلغ السماع لهم في التاسع علىٰ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب التاسع

في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم

فَمِنْ أولئكَ : قومٌ يُسمُّونَ نفوسَهُم : قَلَنْدَرِيَّةً تارةً[1] ، ومَلامَتِيَّةً أُخرىٰ .

وقد ذَكَرْنا حالَ المَلامَتِيِّ ، وأنَّهُ حالٌ شريفٌ ، ومَقامٌ عزيزٌ ، وتمسُّكٌ بالسُّنَنِ والآثارِ ، وتَحقُّقٌ بالإخلاصِ والصِّدْقِ ، وليسَ ممَّا يَزعُمُ المفتونونَ بشيءٍ .

فأمَّا القَلَنْدَرِيَّةُ : فهوَ إشارةٌ : إلىٰ أقوامٍ مَلكَهُم سُكْرُ طِيبةِ القلوبِ ؛ حتىٰ خرَّبُوا العاداتِ ، وطرحُوا التقيُّدَ بآدابِ المُجالَساتِ والمُخالَطاتِ ، وساحُوا في ميادينِ طِيبةِ قلوبِهِم ، فقَلَّتْ أعمالُهُم مِنَ الصَّومِ والصلاةِ إلا الفرائضَ ، ولم يُبالُوا بتَناوُلِ شيءٍ مِنَ الدُّنيا ولذَّاتِها مِنْ كلِّ ما كانَ مُباحاً برُخْصةِ الشَّرعِ ، وربَّما اختصَرُوا علىٰ رعايةِ الرُّخْصةِ ، ولم يطلُبُوا حقائقَ العزيمةِ .

ومعَ ذلكَ هم مُتمسِّكُونَ بتَرْكِ الادِّخارِ ، وتَرْكِ الجَمْعِ والاستكثارِ ، لا يترسَّمُونَ بمراسمِ المُتقشِّفينَ والمُتزهِّدينَ والمُتعبِّدينَ[2] ، وقَنِعُوا بطِيبةِ

---

(١) قال محمد كرد علي في « خطط الشام » (٦/١٣٨) : (وقلندر : لفظة فارسية معناها : الدرويش الذي نفض يده من الدنيا ، وزَهِدَتْ نفسُهُ في زخارفها) .

(٢) المُتقشِّف : الذي يتبلَّغ بالقوت والمُرقَّع . « صحاح » . من هامش (ح) .

قلوبِهِم معَ اللهِ تعالىٰ[1] ، واقتصرُوا علىٰ ذلكَ ، وليسَ عندَهُم تطلُّعٌ إلىٰ طَلَبِ مَزيدٍ سوىٰ ما هم عليهِ مِنْ طِيبةِ القلوبِ .

والفَرْقُ بينَ المَلامَتِيِّ والقَلَنْدَرِيِّ : أنَّ المَلامَتِيَّ يعملُ في كَتْمِ العباداتِ ، والقَلَنْدَرِيَّ يعملُ في تخريبِ العاداتِ .

والمَلامَتِيُّ يتمسَّكُ بكلِّ أبوابِ البِرِّ والخيرِ ويرى الفضلَ فيهِ ، ولٰكن يُخفِي الأعمالَ والأحوالَ ، ويُوقِفُ نفسَهُ مَوقِفَ العوامِّ في هيئَتِهِ وملبوسِهِ وحركاتِهِ وأمورِهِ ؛ سَتْراً للحالِ لئلا يُفطَنَ لهُ ، وهوَ معَ ذلكَ مُتطلِّعٌ إلىٰ طلبِ المزيدِ ، باذلٌ مجهودَهُ في كلِّ ما يتقرَّبُ بهِ العبيدُ .

والقَلَنْدَرِيُّ لا يتقيَّدُ بهيئةٍ ، ولا يُبالي بما يُعرَفُ مِنْ حالِهِ وما لا يُعرَفُ ، ولا ينعطفُ إلَّا علىٰ طِيبةِ القلوبِ[2] ، وهوَ رأسُ مالِهِ .

والصُّوفيُّ يضعُ الأشياءَ مواضعَها ، ويُدبِّرُ الأوقاتَ والأحوالَ كلَّها بالعِلْمِ ، يُقِيمُ الخَلْقَ مُقامَهُم ، ويُقِيمُ أمرَ الحقِّ مُقامَهُ ، ويَستُرُ ما ينبغي أنْ يُستَرَ ، ويُظهِرُ ما ينبغي أنْ يُظهَرَ ، ويأتي بالأمورِ في مواضعِها بحضورِ عَقْلٍ ، وصِحَّةِ توحيدٍ ، وكمالِ معرفةٍ ، ورعايةِ صدقٍ وإخلاصٍ .

فقَوْمٌ مِنَ المفتونينَ سَمَّوا أنفسَهُم : مَلامَتِيَّةً ، ولَبِسُوا لِبسةَ الصُّوفيَّةِ ؛ ليُنسَبُوا بها إلى الصُّوفيَّةِ ، وما هم مِنَ الصُّوفيَّةِ بشيءٍ ، بل هم في غرورٍ وغَلَطٍ ، يتستَّرُونَ بلِبْسةِ الصُّوفيَّةِ توقِّياً تارةً ودعوىٰ أُخرىٰ[3] ، وينتهجُونَ

---

(١) في (ز) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (وتقنَّعوا) بدل (وقَنِعُوا) .

(٢) ولا ينعطف ؛ أي : لا يقوم ولا يثبت . من هامش (و) .

(٣) قوله : (توقِّياً) ؛ أي : تحرُّزاً عن الناس . من هامش (ح) .

مناهجَ أهلِ الإباحةِ ، ويَزعُمُونَ أنَّ ضمائرَهُم خَلَصَتْ إلى اللهِ تعالىٰ ، ويقولُونَ : هـٰذا هوَ الظَّفَرُ بالمُرادِ ، والارتسامُ بمراسمِ الشريعةِ رُتْبةُ العوامِّ ، وقاصِري الأفهامِ ، المُنحصِرينَ في مَضِيقِ الاقتداءِ تقليداً[1] .

وهـٰذا هوَ عينُ الإلحادِ والزَّندقةِ والإبعادِ ؛ فكلُّ حقيقةٍ رَدَّتْها الشريعةُ فهيَ زندقةٌ[2] .

وجَهِلَ هـٰؤلاءِ المغرورونَ أنَّ الشريعةَ حقُّ العُبُوديَّةِ ، والحقيقةَ هيَ حقيقةُ العُبُوديَّةِ ، ومَنْ صارَ مِنْ أهلِ الحقيقةِ تقيَّدَ بحقوقِ العُبُوديَّةِ وحقيقةِ العُبُوديَّةِ ، وصارَ مُطالَباً بأمورٍ وزياداتٍ لا يُطالَبُ بها مَنْ لم يَصِلْ إلىٰ ذلكَ ، لا أنَّهُ يخلَعُ عن عُنُقِهِ رِبْقَةَ التكليفِ[3] ، ويُخامِرُ باطنَهُ الزيغُ والتحريفُ[4] .

(٢٧) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الخطيبُ ، قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عمرَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبي داودَ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ صالحٍ ، قالَ : حدَّثَنا عَنْبَسَةُ ، قالَ : حدَّثَنا يونسُ بنُ يزيدَ ، قالَ : قالَ محمَّدٌ ـ يعني : الزُّهْريَّ ـ : أخبرَني حُميدُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عُتْبَةَ بنِ مسعودٍ حدَّثَهُ ،

---

(١) ويقولون : مقامُنا فوق هـٰذا . من هامش (ج) ، ولعلَّ هـٰؤلاءِ المنتسبين إلى الملامتية همُ الذين قصدهم ابنُ الجوزي في كتابه « تلبيس إبليس » (ص٣٢٠) .

(٢) الزنديق معروفٌ ، وزندقَتُهُ : أنَّهُ لا يؤمن بالآخرة ووحدانيَّةِ الخالق جلَّ جلالُهُ ، وقيل : مُلحِدٌ ودهري . « مغرب » . من هامش (ح) .

(٣) الرِّبْقُ : حبلٌ فيه عدَّة عُراً ، يُشدُّ به البَهْم الصغار من أعناقها أو يدها لئلا ترضع ، كلُّ عروة منها رِبْقة ، وهنا استعارها للتكليف ؛ أي : ما يشُدُّ به نفسه من عُرا التكليف .

(٤) الزَّيغُ : الميل ؛ زاغت الشمس : مالت ؛ أي : عدلت يميناً وشمالاً . من هامش (ح) .

قالَ : سمعتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (إنَّ أُناساً كانُوا يُؤخَذُونَ بالوحيِ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، وإنَّ الوحيَ قدِ انقطعَ ، وإنَّما نأخذُكُمُ الآنَ بما ظَهَرَ مِنْ أعمالِكُم ؛ فمَنْ أَظْهرَ لنا خيراً أَمِنَّاهُ وقَرَّبْناهُ ، وليسَ إلينا مِنْ سريرتِهِ شيءٌ ، اللهُ تعالىٰ يُحاسِبُهُ في سريرتِهِ ، ومَنْ أَظْهرَ لنا سوىٰ ذلكَ لم نَأْمَنْهُ وإنْ قالَ : سَرِيرتي حسنةٌ)[2] .

وعنهُ أيضاً رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (مَنْ عَرَّضَ نفسَهُ للتُّهَمِ فلا يلومَنَّ مَنْ أساءَ بهِ الظنَّ)[3] .

فإذا رأَيْنا مُتهاوِناً بحدودِ الشرعِ ، مُهمِلاً للصَّلواتِ المُفترَضاتِ ، لا يعتدُّ بحلاوةِ التِّلاوةِ والصومِ والصلاةِ ، ويدخلُ في المداخلِ المكروهةِ المُحرَّمةِ . نردُّهُ ولا نقبلُهُ ، ولا نقبلُ دَعْواهُ أنَّ لهُ سريرةً صالحةً .

(٢٨) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ إجازةً ، عن عمرَ بنِ أحمدَ ، عنِ ابنِ خلفٍ الشِّيرازيِّ ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ الرَّازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمَّدٍ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ الجُنيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ لرجلٍ ذَكَرَ المعرفةَ ، فقالَ الرجلُ : أهلُ المعرفةِ باللهِ يَصِلُونَ إلىٰ تركِ الحَرَكاتِ مِنْ بابِ البِرِّ والتقوىٰ إلى اللهِ تعالىٰ[4] .

---

(١) أي : ما ينزل من الآيات في شأنهم يعرفون بها حقيقة أحوالهم ويُؤخذونَ بذلك . من هامش (ح) .

(٢) صفوة التصوف (٤) ، ورواه البخاري (٢٦٤١) .

(٣) رواه أبو داود في « الزهد » (٨٩) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٧٧) .

(٤) في نسخة علىٰ هامش (أ ، و) : (والتقرب) بدل (والتقوىٰ) ، وهي كذلك في « الحلية » و« الرسالة » .

فقالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : إنَّ هٰذا قولُ قومٍ تكلَّمُوا بإسقاطِ الأعمالِ ، وهٰذهِ عندي عظيمةٌ ، والذي يسرقُ ويَزْني أحسنُ حالاً مِنَ الذي يقولُ هٰذا ، وإنَّ العارفينَ باللهِ أَخَذُوا الأعمالَ عنِ اللهِ تعالىٰ وإليهِ يرجعُونَ فيها ، ولو بَقِيتُ ألفَ عامٍ لم أَنقُصْ مِنْ أعمالِ البرِّ ذرَّةً ، إلا أنْ يُحالَ بي دونَها ، وإنَّها لآكدُ في مَعْرفتي وأَقْوىٰ لحالي[1] .

ومِنْ جملةِ أولٰئكَ : قومٌ يقولُونَ بالحُلُولِ ، خَذَلَهُمُ اللهُ ، ويَزعُمُونَ أنَّ اللهَ تعالىٰ يَحُلُّ فيهِم ، ويَحُلُّ في أجسامٍ يَصْطفِيها ، ويَسبِقُ إلىٰ فُهُومِهِم معنىً مِنْ قولِ النَّصارىٰ في اللَّاهُوتِ والنَّاسُوتِ[2] .

ومِنْهُم : مَنْ يستبيحُ النَّظَرَ إلى المُستحسَناتِ[3] ؛ إشارةً إلىٰ هٰذا الوَهْمِ ، ويتخايلُ لهُ أنَّ مَنْ قالَ كلماتٍ في بعضِ غَلَباتِهِ كانَ مُضمِراً لشيءٍ ممَّا زعمُوهُ ؛ مثلُ قولِ الحلَّاجِ رحمةُ اللهِ عليهِ : (أنا الحقُّ)[4] ، وما يُحكىٰ عن أبي يزيدَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ قولِهِ : (سُبْحاني) .

---

(١) طبقات الصوفية (ص١٥٨ـ١٥٩) ، ورواه من طريقه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٧٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٥٤ـ١٥٥) .

(٢) **اللاهوت** : مُشتقٌّ من (الإلٰه) ، والناسوتُ : مشتقٌّ من الإنسان ؛ يعني : قالتِ النصارى : اللهُ في جسد عيسىٰ . من هامش (ح) .

(٣) هم قومٌ يقولون بالشاهد ، وسمعت من بعض الأصحاب : أنَّ بعضاً من هٰؤلاء القوم كان ضيفاً لي ، وكان لي مملوكٌ أمردُ ذو صورة حسنةٍ ، فلمَّا رآه قام وسجد لذلك المملوك ، فكفر في دعوى المعرفة . من هامش (ح) .

(٤) هٰذه مَزَلَّةٌ للمغلوب حالةَ تجلِّي الروح الذي انعكس عليه نور تجلِّي الحق ولم يُذِبْهُ ، والروح المغلوب الذي فيه بقيَّةٌ من الوجود يتكلَّمُ بما يتكلَّمُ به الحقُّ والفرقُ بين تجلِّي الروح وتجلِّي الحقِّ صعبٌ عسير علىٰ مَنْ لم يكن تحت نَظَرِ مرشدٍ ذي تجربة . من هامش (ح) .

حاشا للهِ أنْ يُعتقَدَ في أبي يزيدَ أنَّهُ يقولُ ذلكَ إلَّا علىٰ معنى الحكايةِ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ[1] !! وهكذا ينبغي أنْ يُعتقَدَ في الحلَّاجِ قولُهُ ذلكَ[2] ، ولو عَلِمْنا أنَّهُ ذَكَرَ ذلكَ القولَ مُضمِراً لشيءٍ مِنَ الحُلُولِ . . رَدَدْناهُ كما نردُّهُم[3] .

---

(١) أو أنَّهُ يُسبِّحُ اللهَ تعالىٰ ويصفُهُ بما وَصَفَ به نفسَهُ ، وهـٰذا إن صحَّ عنه ذلك ، وقد قال أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٧٣) في سياق ردِّه على ابن سالم البصري الذي كان يقدح في أبي يزيد : (وقد قصدتُ بسطامَ ، وسألت جماعةً من أهل بيت أبي يزيد رحمه الله عن هـٰذه الحكاية ، فأنكروا ذلك وقالوا : « لا نعرفُ شيئاً من ذلك » ، ولولا أنَّهُ شاع في أفواه الناس ودوَّنوه في الكتب . . ما اشتغلتُ بذكر ذلك) .

(٢) ومثل ذلك ينبغي أن يُعتقد في أكثر المشايخ المُحقِّقين من سادتنا الصوفية ؛ كالإمام العارف محيي الدين بن عربي ، والإمام العارف الشاعر شرف الدين بن الفارض ، وغيرهما ، وقال ابن الفارض في « تائيته الكبرىٰ » : (من الطويل)

وهـا دِحْيـةٌ وافـى الأميـنُ نبيَّنـا ... بصـورتـهِ فـي بَـدْءِ وَحْـيِ النُّبُـوَّةِ
أجبريلُ قُلْ لي كانَ دِحْيةَ إذْ بدا ... لِمُهْدي الهُدىٰ في هيئةٍ بشـريَّـةِ
وفـي علمِـهِ عـن حاضـريـهِ مَـزِيَّـةٌ ... بمـاهيَّـةِ المَـرْئـيِّ مِـنْ غيـرِ مِـرْيـةِ
يـرىٰ مَلَكـاً يـوحـي إليـهِ وغيـرُهُ ... يرىٰ رجلاً يُدْعىٰ لديهِ بصُحبةِ
ولـي مِـنْ أتـمِّ الـرُّؤيتيـنِ إشـارةٌ ... تُنـزِّهُ عـن رأيِ الحُلـولِ عقيـدتـي

انظر « ديوانه » (ص٧٣) ، وما سيأتي تعليقاً (٢/ ٥٢٠) عن الحلاج .

(٣) **وتحقيقُهُ** : أنَّ العبدَ إذا وصل إلىٰ مقامِ « فإذا أحببتُهُ كنتُ لهُ سمعاً وبصراً ولساناً ويداً » ، وكان في غلبات غليان المحبة ، فصار فانياً بنفسه قائماً بربه ؛ وذلك عند ظهور نور التجلِّي في باطنه . . فالحقُّ سبحانه في تلك الحال يتولَّىٰ أمرَهُ وينطق بلسانه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « الحقُّ ينطقُ علىٰ لسانِ عمرَ » ، فما جرىٰ [علىٰ] لسان الحسين وأبي يزيد إخبارُ الحقِّ سبحانه عن حقيقته وتنزيهه . **من هامش (ج)** ، وانظر تحرير قول الحلَّاج وأبي يزيد البسطامي فيما أورده الإمام الحافظ الزَّبيدي في « إتحافه » (٦/ ٥٣٩ـ٥٤٠) نقلاً عن الغزالي في « مشكاة الأنوار » و« المقصد الأسنىٰ » ، وخيرُ مَنْ تكلَّم فيما ورد عن أبي يزيد الإمام أبو نصر الطوسي في « اللمع »؛ إذ أورد في آخره أبواباً عديدة في تحقيق وتحرير ما نُقل عنه ونُسب إليه .

وقد أتانا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بشريعةٍ بيضاءَ نقيَّةٍ ، يستقيمُ بها كلُّ مُعْوَجٍّ ، وقد دلَّتْنا عقولُنا علىٰ ما يجوزُ وصفُ اللهِ تعالىٰ بهِ وما لا يجوزُ .

واللهُ تعالىٰ مُنزَّهٌ أنْ يَحُلَّ بهِ شيءٌ ، أو يَحُلَّ بشيءٍ ؛ حتىٰ لعلَّ بعضَ المفتونينَ[1] يكونُ عندَهُ ذكاءٌ وفِطْنةٌ غَريزيَّةٌ ، ويكونُ قد سَمِعَ كلماتٍ تعلَّقَتْ بباطنِهِ ، فيتألَّفُ لهُ في فِكْرِهِ كلماتٌ يَنسُبُها إلى اللهِ تعالىٰ ، وأنَّها مكالمةُ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ[2] ؛ مثلُ أنْ يقولَ : (قالَ لي ، وقلتُ لهُ) .

وهٰذا إمَّا رجلٌ جاهلٌ بنفسِهِ وحديثِها ، جاهلٌ بربِّهِ وبكيفيَّةِ المُكالمةِ والمُحادثةِ ، وإمَّا عالِمٌ ببُطْلانِ ما يقولُ ، يحملُهُ هواهُ على الدَّعْوىٰ بذلكَ ؛ ليُوهِمَ أنَّهُ قد ظَفِرَ بشيءٍ ، وكلُّ هٰذا ضلالٌ .

ويكونُ سببُ تجرُّئِهِ علىٰ هٰذا : ما سَمِعَ مِنْ كلامِ بعضِ المُحقِّقينَ مُخاطباتٍ وَرَدَتْ عليهِم مِنَ اللهِ تعالىٰ بعدَ طُولِ مُعاملاتٍ لهُم ظاهرةٍ وباطنةٍ ، وتمسُّكِهِم بأصولِ القومِ ؛ مِنْ صِدْقِ التقوىٰ ، وكمالِ الزُّهْدِ في الدُّنيا ، فلمَّا صَفَتْ أسرارُهُم تشكَّلَتْ في سرائرِهِم مُخاطَباتٌ مُوافِقةٌ للكتابِ والسُّنَّةِ ، نَزَلَتْ بهِم تلكَ المُخاطَباتُ عندَ استغراقِ السَّرائرِ ، ولا يكونُ ذلكَ كلاماً يسمعُونَهُ ، بل كحديثٍ في النَّفْسِ يَجِدُونَهُ[3] ، يَرَوْنَهُ مُوافِقاً للكتابِ والسُّنَّةِ ، مفهوماً عندَ أهلِهِ ، مُوافِقاً للعِلْمِ .

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (د) : (المفترين) .

(٢) بالتصوُّر والتقليد ، فتوهَّم الوصول إلىٰ مقام المُحدَّثين والمُكلَّمين ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ في أمتي مُحدَّثينَ ومُكلَّمينَ ، وإنَّ عمرَ منهُم » . من هامش (ج) .

(٣) أي : يُشبِهُ حديثَ النفس في أنَّهُ ليس بكلامٍ لفظيٍّ يَرِدُ على القلب حين تميُّز القلب عن الروح المُستغرِق في اليقظة ، أو بين النوم واليقظة . من هامش (ح) .

ويكونُ ذلكَ مُناجاةً لسرائرِهِم ، ومُناجاةَ سرائرِهِم إيَّاهُم ، فيُثبِتُونَ لنفوسِهِم مَقامَ العُبُوديَّةِ ولمَوْلاهُمُ الرُّبُوبيَّةَ ، فيُضِيفُونَ ما يجدونَهُ إلىٰ نفوسِهِم وإلىٰ مَوْلاهُم ، وهم معَ ذلكَ عالِمُونَ بأنَّ ذلكَ ليسَ كلامَ اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما هوَ عِلْمٌ حادثٌ أَحْدَثَهُ اللهُ في بواطِنِهِم[1] .

فطريقُ الأصحَّاءِ في ذلكَ : الفِرارُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ كلِّ ما تُحدِّثُ نفوسُهُم بهِ ، حتىٰ إذا بَرِئَتْ ساحتُهُم مِنَ الهوىٰ ، وأُلهِمُوا في بواطِنِهِم شيئاً . يَنسُبونَهُ إلى اللهِ تعالىٰ نِسْبةَ الحادثِ إلى المُحدِثِ ، لا نسبةَ الكلامِ إلى المُتكلِّمِ ؛ ليُصانُوا عنِ الزَّيغِ والتحريفِ[2] .

ومِنْ أولـئكَ : قومٌ يَزعُمُونَ أنَّهُم يغرقُونَ في بحارِ التوحيدِ[3] ، ولا يُثبِتُونَ لنفوسِهِم حركةً وفِعْلاً ، ويَزعُمُونَ أنَّهُم مجبُورونَ على الأشياءِ ، وأنْ لا فِعْلَ لهُم معَ فِعْلِ اللهِ تعالىٰ[4] ، ويسترسِلُونَ في المعاصي وكلِّ

---

(١) كما أحدث النطقَ علىٰ ألسنتهم . من هامش (ج) .

(٢) يعني : ما يجدونه في بواطنهم إلهامُ الحقِّ لهم بعد طُول المجاهدات ، وصفاء قلوبهم بالرِّياضات ، وهم يعلمون حيثيَّته بعناية الرَّب وصفاء القلب ، وينسُبونه إليه نِسْبةَ ما حَدَثَ إلىٰ مُحدِثه ؛ لتُصان به أنفسُهُم عن قول ما لا يجوزُ إلى الحق تعالىٰ شأنه . من هامش (ج) .

(٣) أي : يهلكون فيها ظنّاً منهم أنْ ليس في الوجود سوى الله ، وتصوُّراً أنَّ التوحيد نفيُ كلِّ فعلٍ سوىٰ فعل الله . من هامش (ج) ، وبحار التوحيد ؛ أي : توحيد الأفعال . من هامش (ح) .

(٤) والحقُّ : أنَّ الإنسانَ مختارٌ في فعله ، أعطاه الله مِنْ فَيْضِ اختياره اختياراً ، كما أعطاه من فيض علمِهِ علماً ، ومن فيض سمعِهِ سمعاً ، ومن بصره بصراً ، وكذا أعطاه من وجوده وجوداً ، لـكن لمَّا كان الاختيارُ صفةً تقتضي استعلاءً واستبداءً . يظنُّ مَنْ ينظر بالنظر القاصر عن مشاهدة نور القدرة في الحكمة أنَّ الأفعالَ الاختيارية تَصدُرُ عن العباد=

ما تدعو النفسُ إليهِ ، ويركُنونَ إلى البَطالةِ ودوامِ الغَفْلةِ ، والاغترارِ باللهِ تعالىٰ، والخروجِ مِنَ المِلَّةِ ، وتَرْكِ الحُدُودِ والأحكامِ ، والحلالِ والحرامِ .

وقد سُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ عن رجلٍ كانَ يقولُ : أنا كالبابِ لا أتحرَّكُ إلَّا إذا حُرِّكتُ[1] ، فقالَ : هـٰذا لا يقولُهُ إلَّا أحدُ رجلَينِ : إمَّا صِدِّيقٌ ، أو زِنْديقٌ .

لأنَّ الصِّدِّيقَ يقولُ هـٰذا القولَ إشارةً إلىٰ أنَّ قِوامَ الأشياءِ باللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، معَ إِحْكامِ الأصولِ ، ورعايةِ حُدُودِ العُبُوديَّةِ ، والزِّنْديقَ يقولُ ذلكَ ؛ إحالةً للأشياءِ على اللهِ تعالىٰ ، وإسقاطاً للَّائمةِ عن نفسِهِ ، وانخلاعاً عنِ الدِّينِ ورَسْمِهِ .

فأمَّا مَنْ كانَ مُعتقِداً للحلالِ والحرامِ ، والحدودِ والأحكامِ ، مُعترِفاً بالمعصيةِ إذا صَدَرَتْ منهُ ، مُعتقِداً وجوبَ التوبةِ منها . . فهوَ سليمٌ صحيحٌ ، وإنْ كانَ تحتَ القصورِ بما يَركُنُ إليهِ مِنَ البَطَالةِ ، ويستروحُ بهوى النَّفْسِ إلى الأَسْفارِ والتردُّدِ في البلادِ ، مُتوصِّلاً إلىٰ تناولِ اللَّذائذِ والشَّهَواتِ ، غيرَ مُتمسِّكٍ بشيخٍ يُؤدِّبُهُ ويُهذِّبُهُ ، ويُبصِّرُهُ بعيبِ ما هوَ فيهِ ، واللهُ المُوفِّقُ والمُعِينُ[2] .

❁ ❁ ❁

= فقط ؛ وهم المعتزلةُ ، أو القاصرِ عن نور الحكمة في ظهور نور القدرة . . يظنُّ أنَّ الفعلَ لا يصدُرُ إلا من الله بلا واسطةِ اكتسابِ العباد ؛ وهم الجَبْرية ، والعارفُ البصيرُ يعرفُ أنَّ الله حكيمٌ قادر تقتضي حكمتُهُ ترتيبَ الأسباب ، وتقتضي قدرتُهُ تخريبَها ؛ يفعلُ ما يشاء ، ويحكم ما يريد . من هامش (ح) .

(١) في نسخة علىٰ هامش (د) : (كالبان) بدل (كالباب) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ في السادس على الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب العاشر

في شرح رتبة المشيخة (١)

وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَئِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ(٢) ؛ أَنَّ أَحَبَّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَى ٱللهِ : ٱلَّذِينَ يُحَبِّبُونَ ٱللهَ إِلَىٰ عِبَادِهِ ، وَيُحَبِّبُونَ عِبَادَ ٱللهِ إِلَى ٱللهِ ، وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِٱلنَّصِيحَةِ »(٣) .

وهـٰذا الذي ذَكَرَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هوَ رُتْبَةُ المَشْيَخَةِ والدَّعوةِ إلى اللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ الشيخَ يُحبِّبُ اللهَ إلىٰ عبادِهِ حقيقةً ، ويُحبِّبُ عبادَ اللهِ إلى اللهِ تعالىٰ .

ورُتْبةُ المَشْيَخَةِ مِنْ أَعْلى الرُّتَبِ في طريقِ الصُّوفيَّةِ ، ونيابةِ النُّبُوَّةِ في الدعاءِ إلى اللهِ تعالىٰ .

---

(١) المَشْيَخَة : جمع (الشيخ) ، والمشايخ : جمع الجمع . من هامش (ح) .

(٢) قوله : (لئن شئتُم لأُقسِمَنَّ لكم) هي إشارةٌ : إلىٰ أنَّ المسلم لا يُقسِمُ بالله إلا في ضرورة . من هامش (ح) .

(٣) رواه أبو الشيخ في « التنبيه والتوبيخ » (ص٢٢) مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ ، والبيهقي في « الشعب » (٤٠٥) موصولاً عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي الدنيا في « الأولياء » (٣٦) عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والذي نفسي بيده . . .) .

فأمَّا وجهُ كونِ الشيخِ يُحبِّبُ عبادَ اللهِ إلى اللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ الشيخَ يسلُكُ بالمريدِ طريقَ الاقتداءِ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومَنْ صحَّ اقتداؤُهُ برسولِ اللهِ واتِّباعُهُ أحبَّهُ اللهُ تعالىٰ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

ووجهُ كونِهِ يُحبِّبُ اللهَ تعالىٰ إلىٰ عبادِهِ ؛ لأنَّهُ يسلُكُ بالمريدِ طريقَ التَّزْكيةِ والتحليةِ ، وإذا تزكَّتِ النفسُ انجلَتْ مِرْآةُ القلبِ ، وانعكسَ فيهِ أنوارُ العَظَمةِ الإلـٰهيَّةِ ، ولاحَ فيهِ جمالُ التوحيدِ ، وانجذبَتْ أَحْداقُ البصيرةِ إلىٰ مُطالَعةِ جلالِ أنوارِ القِدَمِ[1] ، ورُؤْيةِ الكمالِ الأَزَليِّ ، فأَحَبَّ العبدُ ربَّهُ لا محالةَ ، وذلكَ ميراثُ التَّزْكيةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩] ، وفلاحُها[2] بالظَّفَرِ بمعرفةِ اللهِ تعالىٰ .

وأيضاً : مِرْآةُ القلبِ إذا انجلَتْ لاحتْ فيها الدُّنيا بقُبْحِها وحقيقتِها وماهيَّتِها ، ولاحتِ الآخرةُ ونفائسُها بكُنْهِها وغايتِها ، فتَنكشِفُ للبصيرةِ حقيقةُ الدَّارَينِ ، وحاصلُ المنزلَينِ ، فيُحِبُّ العبدُ الباقيَ ، ويزهدُ في الفاني ، فتظهرُ فائدةُ التَّزْكيةِ ، وجَدْوى المَشْيَخَةِ والتَّربيةِ .

فالشيخُ مِنْ جنودِ اللهِ تعالىٰ ؛ يُرشِدُ بهِ المُريدِينَ ، ويَهْدي بهِ الطَّالِبينَ .

(٢٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ عبدُ الواحدِ بنُ عليٍّ بهَمَذَانَ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ

---

(١) انجذبتْ ؛ أي : امتدَّت . من هامش (و) ، وفي النسخ ما عدا (ي) : (جلال القدم) بدل (جلال أنوار القدم) ، وفي (ط) : (أنوار جلال القدم) .

(٢) أي : فلاح النفس . من هامش (و) .

عليِّ بنِ أحمدَ الطُّوسيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ يعقوبَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عُتْبةَ[1] ، قالَ : حدَّثَنا بَقيَّةُ ، قالَ : حدَّثَنا صفوانُ بنُ عمرٍو ، قالَ : حدَّثَني الأزهرُ بنُ عبدِ اللهِ ، قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ بُسْرٍ صاحبَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : (كانَ يُقالُ : إذا اجتمعَ عشرونَ رجلاً أو أكثرُ : فإنْ لم يكنْ فيهِم مَنْ يُهابُ للهِ عزَّ وجلَّ . . فقد حَضَرَ الأمرُ)[2] .

فعلى المشايخِ وَقارُ اللهِ تعالىٰ ، وبهِم يتأدَّبُ المُريدُونَ ظاهراً وباطناً ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

فالمشايخُ لمَّا اهتدَوْا أُهِّلُوا للاقتداءِ بهِم ، وجُعِلُوا أئمَّةَ المُتَّقِينَ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حاكياً عن ربِّهِ تعالى : « إِذَا كَانَ ٱلْغَالِبُ عَلَىٰ عَبْدِي ٱلِٱشْتِغَالَ بِي . . جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي[3] ، فَإِذَا جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي[4] . . عَشِقَنِي وَعَشِقْتُهُ ، وَرَفَعْتُ ٱلْحِجَابَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، لَا يَسْهُو إِذَا سَهَا ٱلنَّاسُ ، أُولَـٰئِكَ كَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، أُولَـٰئِكَ ٱلْأَبْدَالُ حَقّاً[5] ،

---

(١) في بعض النسخ : (أبو عيينة) ، والصواب المثبت ، وأبو عتبة : هو الإمام المُعمَّر المُحدِّث أحمد بن الفَرَج بن سليمان الكندي الحمصي الحجازي المُؤذِّن (ت ٢٧١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٥٨٤) .

(٢) أي : أشرف علىٰ موجب الهلاك . من هامش (ج) ، والحديث أسنده عن الحافظ المقدسي في « صفوة التصوف » (١٢٦) ، ورواه أحمد (٤/ ١٨٨) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٠٠٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٦٥٨) .

(٣) في (د) : (همومه) بدل (همه) ، وفي (ي) : (همته) .

(٤) في (د ، هـ) : (همته) بدل (همه) .

(٥) في (د ، ح ، ي) : (الأبطال) بدل (الأبدال) ، وكذلك هو في « الحلية » ، =

أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ بِأَهْلِ ٱلْأَرْضِ عُقُوبَةً أَوْ عَذَاباً . . ذَكَرْتُهُمْ فَصَرَفْتُهُ بِهِمْ عَنْهُمْ »[1] .

والسِّرُّ في وصولِ السَّالكِ إلىٰ رُتْبةِ المَشْيَخَةِ : أنَّ السَّالكَ مأمورٌ بسياسةِ النَّفْسِ[2] ، مُبتلىً بصفاتِها ، لا يزالُ يسلُكُ بصِدْقِ المُعاملةِ حتىٰ تطمئنَّ نفسُهُ[3] ، وبطُمَأْنينتِها يُنتزَعُ عنها البُرُودةُ واليُبُوسةُ التي استصحبَتْها مِنْ أصلِ خِلْقتِها ، وبها تستعصي علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ والانقيادِ للعُبُوديَّةِ .

فإذا زالتِ اليُبُوسةُ عنها ، ولانتْ بحرارةِ الرُّوحِ الواصلةِ إليها[4] ، وهـٰذا اللِّينُ هوَ الذي ذكرَهُ اللهُ تعالىٰ في قولِهِ : ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر : ٢٣] . تُجِيبُ إلى العبادةِ ، وتلينُ للطاعةِ عندَ ذلكَ .

وقلبُ العبدِ مُتوسِّطٌ بينَ الرُّوحِ والنَّفْسِ ، ذو وجهينِ ؛ أحدُ وجهَيهِ إلى النَّفْسِ ، والوجهُ الآخَرُ إلى الرُّوحِ ، يستمدُّ مِنَ الرُّوحِ بوجهِهِ الذي يليهِ ،

= والأبطال : جمع (بَطَل) ؛ وهو الشجاع ، فهـٰؤلاء الموصوفون هم الشجعان في محاربة النفس والشيطان ، ولا يُبالون ببَذْل الرُّوح لنيل الغنيمة والفتوح من المشاهدة والمواصلة ، ليس لهم جُبْنٌ وإحجام ، ولا انصرافٌ وانهزام . من هامش (ح) .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٦٥) مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ ، وقال أبو نعيم : (كذا رواه عبد الواحد عن الحسن مرسلاً ، وهـٰذا الحديث خارج من جملة الأحاديث المراسيل المقبولة عن الحسن ؛ لمكان محمد بن الفضل وعبد الواحد ، وما يرجعان إليه من الضعف) ، وذكر الغماري في « غنية العارف » (١/ ١٣٦) أنه لم يجده .

(٢) السياسة : المحافظة ؛ تقولُ : سُسْتُ القومَ أَسُوسُهم سياسةً : إذا وُلِّيت تدبيرَهم وأمرهم . من هامش (ج) .

(٣) وتذهبَ عنها الأخلاق الذميمة . من هامش (ج) .

(٤) في بعض النسخ : (الواصل إليها) .

ويُمِدُّ النَّفْسَ بوجهِهِ الذي يليها ؛ حتىٰ تطمئنَّ النفسُ ، فإذا اطمأنَّتْ نفسُ السالكِ ، وفَرَغَ مِنْ سياستِها . . انتهىٰ سلوكُهُ ، وتمكَّنَ مِنْ سياسةِ النَّفْسِ ، وانقادَتْ نفسُهُ ، وفاءَتْ إلىٰ أَمْرِ اللهِ تعالىٰ .

ثمَّ القلبُ يَشْرئبُّ إلى السياسةِ[1] ؛ لما فيهِ مِنَ التوجُّهِ إلى النَّفْسِ ، فتقومُ نُفُوسُ المُريدينَ والطَّالبينَ والصَّادقينَ عندَهُ مَقامَ نَفْسِهِ ؛ لوجودِ الجِنْسيَّةِ في عينِ النَّفْسيَّةِ مِنْ وجهٍ ، ولوجودِ التألُّفِ بينَ الشيخِ والمُرِيدِ مِنْ وجهٍ بالتأليفِ الإلـٰهيِّ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

فيَسُوسُ[2] نُفُوسَ المُريدينَ كما كانَ يَسُوسُ نفسَهُ مِنْ قبلُ ، ويكونُ في الشيخِ حينئذٍ معنى التخلُّقِ بأخلاقِ اللهِ تعالىٰ ؛ مِنْ معنىٰ قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حاكياً عن ربِّهِ : « أَلَا طَالَ شَوْقُ ٱلْأَبْرَارِ إِلَىٰ لِقَائِي ، وَإِنِّي إِلَىٰ لِقَائِهِمْ لَأَشَدُّ شَوْقاً »[3] ، وبما هَيَّأَ اللهُ تعالىٰ مِنْ حُسْنِ التأليفِ بينَ الصاحبِ والمصحوبِ . . يصيرُ المُرِيدُ جزءَ الشيخِ ، كما أَنَّ الولدَ جزءُ

---

(١) يُقال : اشرأبَّ للشيء : مدَّ عُنُقَهُ لينظر . من هامش (ج ، و) .

(٢) أي : يُصلح بالرعاية . من هامش (ح) .

(٣) يعني : هم يحبُّونني ويُعظِّمُونني ويُثْنُون عليَّ مع عجزهم وقصورهم ، وإنِّي أُحبُّهُم وأُعظِّمُهُم وأُثني عليهم في ملائكتي ، وإنَّ صنيعي بهم أبلغُ لهم وأكثر ؛ لأنِّي قادر علىٰ ما أشاء . من هامش (ح) ، والحديث رواه الديلمي في « الفردوس » (٨٠٦٧) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٩٣) عن سهل بن عبد الله التستري يحكيه عن الله تعالىٰ ، ورواه البخاري (٦٥٠٧) ، ومسلم (٢٦٨٣) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، بلفظ : « مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَهُ » ، وانظر « غنية العارف » (١/١٣٨) .

الوالدِ في الولادةِ الطبيعيَّةِ ، وتصيرُ هـٰذهِ الولادةُ آنفاً ولادةً معنويَّةً ، كما وَرَدَ عن عيسىٰ عليهِ السلامُ : (لن يَلِجَ ملكوتَ السماءِ مَنْ لم يُولَدْ مرَّتَينِ) .

فبالوِلادةِ الأُولىٰ[1] يصيرُ لهُ ارتباطٌ بعالَمِ المُلْكِ ، وبهـٰذهِ الوِلادةِ يصيرُ لهُ ارتباطٌ بالمَلَكُوتِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام : ٧٥] .

وصِرْفُ اليقينِ على الكمالِ يَحصُلُ في هـٰذهِ الوِلادةِ ، وبهـٰذهِ الوِلادةِ يستحقُّ ميراثَ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم ، ومَنْ لم يَصِلْهُ ميراثُ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ . . ما وُلِدَ[2] وإنْ كانَ علىٰ كمالٍ مِنَ الفِطْنةِ والذَّكاءِ[3] ؛ لأنَّ الفِطْنةَ والذَّكاءَ نتيجةُ العقلِ[4] ، والعقلُ إذا كانَ يائساً مِنْ نورِ الشَّرْعِ لا يدخلُ المَلَكُوتَ ، ولا يزالُ مُتردِّداً في المُلْكِ ؛ ولهـٰذا وَقَفَ[5] علىٰ بُرْهانٍ مِنَ العلومِ الرِّياضيَّةِ[6] ؛ لأنَّهُ تصرَّفَ في المُلْكِ ولم يرتقِ إلى المَلَكُوتِ .

والمُلْكُ ظاهرُ الكونِ، والمَلَكوتُ باطنُ الكونِ ، والعقلُ لسانُ الرُّوحِ[7]،

---

(١) أي : ولادة المريد مع الشيخ . من هامش (ح) .

(٢) أي : ولادة معنوية . من هامش (ح) .

(٣) كحكماء الفلاسفة مثلاً .

(٤) يحتمل في (ب) : (منحة) بدل (نتيجة) .

(٥) أي : العقل .

(٦) أي : المصطلحة المُسمَّاة عند الناس : (رياضية) ؛ وهي المعقولات نتائج الأفكار ، وثمرات الأنظار العَرِيَّة عن الأنوار . من هامش (ح) .

(٧) قال الشيخ رحمه الله : العقل قسمان : عقلٌ حال بنور الهداية ، وعقلٌ مكحلٌ بنور الهداية ومنزلِ العقل الأول وخلاصتِهِ ، وأولو الألبابِ أصحابُ هـٰذا العقل ، وهو لسانُ=

والبصيرةُ التي تنبعثُ منها أَشِعَّةُ الهدايةِ قلبُ الروحِ[(١)] ، واللِّسانُ تَرْجُمانُ القلبِ ، فكلُّ ما ينطقُ بهِ التَّرْجُمانُ[(٢)] معلومٌ عندَ مَنْ يُترجِمُ عنهُ ، وليسَ كلُّ ما عندَ مَنْ يُترجِمُ عنهُ يبرزُ إلى التَّرْجُمانِ .

فلهـٰذا المعنىٰ حُرِمَ الواقفونَ معَ مُجرَّدِ العقولِ العَرِيَّةِ عن نورِ الهدايةِ الذي هوَ موهبةُ اللهِ تعالىٰ عندَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ وأَتْباعِهِم . . الصوابَ[(٣)] ، وأُسبِلَ دونَهُمُ الحجابُ ؛ لوقوفِهِم معَ التَّرْجُمانِ ، وحِرْمانِهِم غايةَ التِّبْيانِ .

وكما أنَّ في الولادةِ الطبيعيَّةِ ذَرَّاتُ الأولادِ في صُلْبِ الأبِ مُودَعةٌ ، ينتقلُ إلىٰ أَصْلابِ الأولادِ بعددِ كلِّ ولدٍ ذَرَّةٌ ، وهيَ الذَّرَّاتُ التي خاطبَها اللهُ تعالىٰ يومَ المِيثاقِ بـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ؛ حيثُ مَسَحَ ظهرَ آدمَ عليهِ السلامُ وهوَ مُلقىً ببطنِ نَعْمانَ بينَ مَكَّةَ والطائفِ ، فسالتِ الذَّرَّاتُ مِنْ مَسامِّ جسدِهِ ـ كما يسيلُ العَرَقُ ـ بعددِ كلِّ ولدٍ مِنْ ولدِ آدمَ ذرَّةٌ ، ثمَّ لمَّا خُوطِبَتْ وأجابتْ رُدَّتْ إلىٰ ظهرِ آدمَ[(٤)] ؛ فمِنَ الآباءِ مَنْ تَنفُذُ الذَّرَّاتُ في

= الروح ، فكلُّ إدراكٍ يكونُ لهـٰذا العقل فذلك من نور الروح المنوَّرِ بنور الحق .

وكذلك البصيرة قسمان : الأول : بصيرة القلب ؛ وهو ما قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، ووجدانُ التوحيدِ والدِّينِ بهـٰذه البصيرة ، الثاني : بصيرةٌ يظهر منها أشعَّةُ الهدايةِ إلىٰ ذاتِ الحقِّ وحقيقةِ التوحيد ومعرفة الصفات ؛ وهي قلبُ الروح وخُلاصتُهُ ولُبُّهُ . من هامش (ح) .

(١) لمَّا كانتِ البصيرةُ صفةَ القلب . . سمَّاها قلباً ؛ تسميةً للصفة باسم الموصوف . من هامش (ح) .

(٢) أي : العقل أو اللسان . من هامش (ح) .

(٣) قوله : (الصوابَ) هو مفعولٌ ثانٍ لقوله : (حُرِم) ، ومفعولُهُ الأوَّل هو (الواقفون) نائب الفاعل .

(٤) انظر ما سبق (١/ ١٧٥ـ ١٧٧) .

صُلْبِهِ ، ومنهُم مَنْ لم تُودَعْ في صُلْبِهِ ، فينقطعُ نسلُهُ .

هكذا في المشايخِ ؛ منهُم مَنْ يكثُرُ أولادُهُ[١] ، ويأخذُونَ منهُ العلومَ والأحوالَ ، ويُودِعُونَها غيرَهُم كما وَصَلَتْ إليهِم مِنَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بواسطةِ الصُّحْبةِ[٢] ، ومنهُم مَنْ تَقِلُّ أولادُهُ[٣] ، ومنهُم مَنْ ينقطعُ نسلُهُ .

وهٰذا النَّسْلُ هوَ الذي رَدَّ اللهُ على الكفارِ ؛ حيثُ قالُوا : محمَّدٌ أبترُ لا نسلَ لهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٣] [٤] ، وإلَّا فرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نسلُهُ باقٍ إلىٰ أنْ تقومَ الساعةُ .

وبالنسبةِ المعنويَّةِ يَصِلُ ميراثُ العِلْمِ إلىٰ أهلِ العِلْمِ .

(٣٠) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ المَالِينيُّ[٥] ، قالَ : أخبرَنا

---

(١) أي : المعنوية ؛ وهي الولادة الثانية ، أُودع في صُلْب معناه ذرَّاتُ الأولاد المعنويَّة . من هامش (ج) .

(٢) أي : الصحبةِ المتصلة بالوسائط إلىٰ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . من هامش (ح) .

(٣) لأنَّهُ لم تُودع في صُلْب معناه الذَّرَّات المعنوية إلا قليلاً . من هامش (ج) .

(٤) انظر « تفسير الطبري » (٢٤/ ٦٥٧ـ ٦٥٨) ، وفي هامش (ج) : (شانئك ؛ أي : مبغضك هو المنقطع لا نسلَ له معنوياً ولا صُورياً ؛ لانقطاعه بالإسلام ، وانقطاعِ ذِكْرِهِ بين الأنام ، وأن يُذكرَ باللعنة والانصرام) .

(٥) المالِيني : نسبة إلىٰ (مالِينَ)؛ وهي قرىً مجتمعةٌ من أعمال هَرَاةَ إحدىٰ أُمَّات مدن خراسان ، والمالِيني : هو مسند الدنيا الإمام أبو عبد الرحمـٰن أو أبو الوقت محمد أو عبد الأول بن أبي عبد الله عيسى بن شعيب السِّجْزي الهروي المالِيني (ت٥٥٣هـ) ، وسيُبَيَّنُ على الاختلاف في كنيته واسمه في (٢/ ٤٤) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣٠٣) ، =

أبو الحسنِ الدَّاوُديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحَمُّويُّ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو عِمْرَانَ السَّمَرْقَنْديُّ[2] ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الدَّارِميُّ ، قالَ : أخبرَنا نصرُ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ داودَ ، عن عاصمِ [بنِ] رجاءِ بنِ حَيْوَةَ[3] ، عن داودَ بنِ جَميلٍ ، عن كَثيرِ بنِ قيسٍ قالَ : كنتُ جالساً معَ أبي الدَّرْداءِ في مسجدِ دمشقَ ، فأتاهُ رجلٌ فقالَ : يا أبا الدَّرْداءِ ؛ إنِّي أَتيتُكَ مِنَ المدينةِ مدينةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لحديثٍ بَلَغَني عنكَ أنَّكَ تُحدِّثُهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : فما جاءَ بكَ تجارةٌ ؟ قالَ : لا ، قالَ : ولا جاءَ بكَ غيرُهُ ؟ قالَ : لا .

قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْماً . . سَلَكَ ٱللهُ بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ ٱلْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ ، وَإِنَّ طَالِبَ ٱلْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ

= و« معجم البلدان » (٥/ ٤٤) ، و« اللباب في تهذيب الأنساب » (٣/ ١٥٥) .

(١) الحَمُّويُّ : هو الإمام المُحدِّث المسند أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حَمُّويَه السَّرَخسي (ت ٣٨١هـ) ، والحَمُّويُّ : نسبة إلىٰ جده (حَمُّويَه) ، وجاء في النسخ ما عدا (و) : (الحموي) ، وضُبط في بعضها بفتح الميم والواو ، وهو خطأ والصواب المثبت ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٩٢) ، و« اللباب في تهذيب الأنساب » (١/ ٣٩٢) .

(٢) هو الإمام المُحدِّث المسند عيسى بن عمر صاحبُ أبي محمد الدارمي صاحب « المسند » ، كان حيّاً بسمرقند سنة (٣٢٠هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٤٨٧) .

(٣) هو الكندي الفلسطيني (ت بعد ١٤١هـ) ، يروي عن داود بن جميل وغيره ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٣/ ٤٨٣) ، وفي النسخ : (عن رجاء) بدل (بن رجاء) ، والمثبت من مصادر تخريجه الآتية .

وَٱلْأَرْضِ حَتَّى ٱلْحِيتَانُ فِي ٱلْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ ٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَابِدِ كَفَضْلِ ٱلْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلنُّجُومِ ، وَإِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ ٱلْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً ، إِنَّمَا وَرَّثُوا ٱلْعِلْمَ[1] ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظِّهِ » ، أو « بِحَظٍّ وَافِرٍ »[2] .

فأوَّلُ ما أُودِعَتِ الحِكْمةُ والعلمُ : عندَ آدمَ أبي البشرِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ثمَّ انتقلَ منهُ ، كما انتقلَ منهُ النِّسْيانُ والعِصْيانُ ، وما تدعو إليهِ النَّفْسُ والشيطانُ ، كما وَرَدَ : أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَمَرَ جبريلَ حتىٰ أَخَذَ قبضةً مِنْ أجزاءِ الأرضِ[3] .

واللهُ تعالىٰ نَظَرَ إلى الأجزاءِ الأَرْضيَّةِ التي كوَّنَها مِنَ الجوهرةِ التي خَلَقَها أوَّلاً ، فصارَ مِنْ مواقعِ نَظَرِ اللهِ إليها فيها خاصِّيَّةُ السَّماعِ مِنَ اللهِ تعالىٰ والجوابِ ؛ حيثُ خاطبَ السماواتِ والأَرَضِينَ بقولِهِ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] .

فحَمَلَتْ أجزاءُ الأرضِ بهٰذا الخطابِ خاصِّيَّةً[4] ، ثمَّ انتُزِعَتْ هٰذهِ الخاصِّيَّةُ منها بأَخْذِ أجزائِها لتركيبِ صورةِ آدمَ عليهِ السلامُ ، فرُكِّبَ جسدُ آدمَ صلواتُ اللهِ عليهِ مِنْ أجزاءٍ أَرْضيَّةٍ مُحتويةٍ علىٰ هٰذهِ الخاصِّيَّةِ .

---

(١) في (أ ، د ، ز) : (أورثوا) بدل (ورَّثوا) .

(٢) مسند الدارمي (٣٥٤) ، ورواه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) ، وابن ماجه (٢٢٣) .

(٣) رواه أبو داود (٤٦٩٣) ، والترمذي (٢٩٥٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وانظر (١/ ١٧٦) ، و« غنية العارف » (١/ ١٤١-١٤٢) .

(٤) أي : خاصِّية السماع والجواب . من هامش (ج) .

فمِنْ حيثُ نسبةُ أجزاءِ الأرضِ تَرَكَّبَ فيهِ الهوىٰ ؛ حتَّىٰ مَدَّ يدَهُ إلىٰ شجرةِ الفناءِ ؛ وهيَ شجرةُ الحِنْطةِ في أكثرِ الأقاويلِ[1] ، فتطرَّقَ إلىٰ قالَبِهِ الفناءُ ، وبإكرامِ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ بَنفْخِ الرُّوحِ الذي أخبرَ عنهُ بقولِهِ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر : ٢٩] . . نالَ العلمَ والحكمةَ ؛ فبالتسويةِ صار ذا نَفْسٍ مَنْفُوسةٍ ، وبنفخِ الرُّوحِ فيهِ صارَ ذا رُوحٍ رُوحانيٍّ ، وشرحُ هـٰذا يطولُ .

فصارَ قلبُهُ مَعدِنَ الحِكْمةِ ، وقالَبُهُ مَعدِنَ الهوىٰ ، فانتقلَ منهُ العِلْمُ والهوىٰ ، وصارَ ميراثُهُ في ولدِهِ ؛ فصارَ مِنْ طريقِ الوِلادةِ الظاهرةِ أباً بواسطةِ الطبائعِ التي هيَ مَحتِدُ الهوىٰ[2] ، ومِنْ طريقِ الوِلادةِ المعنويَّةِ أباً بواسطةِ العِلْمِ .

فالوِلادةُ الظاهرةُ تطرَّقَ إليها الفناءُ ، والوِلادةُ المعنويَّةُ مَحْمِيَّةٌ مِنَ الفناءِ ؛ لأنَّها وُجِدَتْ مِنْ شجرةِ الخُلْدِ ، وهيَ شجرةُ العِلْمِ ، لا شجرةُ الحِنْطةِ التي سمَّاها إبليسُ شجرةَ الخُلْدِ ، فإبليسُ يُري الشيءَ بضدِّهِ .

فتبيَّنَ : أنَّ الشيخَ هوَ الأبُ معنىً .

وكثيراً كانَ شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ

---

(١) وهو قول سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر الأقوال في ذلك في « تفسير الطبري » (١/٥١٦ـ٥٢٠) ، و« النكت والعيون » (١/١٠٥) ، وقال الطبري بعد ذكره الأقوال : (فالصواب في ذلك أن يُقال : إنَّ الله جلَّ ثناؤه نهىٰ آدمَ وزوجته عن أكل شجرةٍ بعينها من أشجار الجنَّة دون سائر أشجارها ، فخالفا إلىٰ ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما اللهُ جلَّ ثناؤه به ، ولا علمَ عندنا أيُّ شجرة كانت على التعيين ؛ لأنَّ الله لم يضع لعباده دليلاً علىٰ ذلك في القرآن ولا في السُّنَّة الصحيحة ، فأنَّىٰ يأتي ذلك ؟!) .

(٢) المَحْتِد : الأصل .

يقولُ : (ولدي : مَنْ سَلَكَ طريقي واهتدىٰ بهَدْيي) .

فالشيخُ الذي يُكتسَبُ بطريقِهِ الأحوالُ : قد يكونُ مأخوذاً في ابتدائِهِ في طريقِ المُحبِّينَ ، وقد يكونُ مأخوذاً في طريقِ المحبوبينَ ؛ وذلكَ أنَّ أمرَ الصالحينَ والسالكينَ ينقسمُ أربعةَ أقسامٍ : سالكٌ مُجرَّدٌ ، ومجذوبٌ مُجرَّدٌ ، وسالكٌ مُتدارَكٌ بالجَذْبةِ ، ومجذوبٌ مُتدارَكٌ بالسُّلوكِ .

فالسالكُ المُجرَّدُ : لا يُؤهَّلُ للمَشْيَخَةِ ولا يبلُغُها ؛ لبقاءِ صفاتِ نفسِهِ عليهِ ، فيقفُ عندَ حظِّهِ مِنْ رحمةِ اللهِ في مقامِ المُعاملةِ والرِّياضةِ ، ولا يرتقي إلىٰ حالٍ يُروِّحُ بها عن وَهَجِ المُكابدةِ[1] .

والمجذوبُ المُجرَّدُ مِنْ غيرِ سلوكٍ : يُبادِئُهُ الحقُّ بآياتِ اليقينِ ، ويرفعُ عن قلبِهِ شيئاً مِنَ الحجابِ[2] ، ولا يُؤخَذُ في طريقِ المُعاملةِ ، وللمعاملةِ أثرٌ تامٌّ سوفَ نشرحُهُ في موضعِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

وهٰذا أيضاً لا يُؤهَّلُ للمَشْيَخَةِ ، ويقفُ عندَ حظِّهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، مُرَوَّحاً بحالِهِ ، غيرَ مأخوذٍ في طريقِ أعمالِهِ ، ما عدا الفريضةَ .

والسالكُ الذي تُدُورِكَ بالجَذْبة[3] : هوَ الذي كانتْ بدايتُهُ المُجاهدةَ والمُكابدةَ والمُعاملةَ بالإخلاصِ والوفاءِ بالشُّروطِ ، ثمَّ أُخرِجَ مِنْ وَهَجِ

---

(١) الوَهَجُ في الأصل : حرُّ النار .

(٢) وإنَّما قال : (شيئاً من الحجاب) ؛ لأنَّ ارتفاع الحجاب بالكُلِّية مُترتِّبٌ علىٰ تصحيح المقامات التي بها يستعدُّ السالكُ لفيضان أنوار الصفات ، وبها يتهيَّأُ لتجلِّي الذات الرافع عن سرِّ القلب الحجاب من جميع الجهات . من هامش (ح) .

(٣) في (د) : (تداركه الله تعالىٰ) بدل (تُدُورك) .

المُكابدة إلىٰ رَوْحِ الحالِ ، فوَجَدَ العسلَ بعدَ العَلْقمِ ، وتَروَّحَ بنَسَماتِ الفَضْلِ ، وبرَزَ مِنْ مَضِيقِ المُكابدةِ إلىٰ مُتَّسَعِ المُساهلةِ ، وأُونِسَ بنَفَحاتِ القُرْبِ ، وفُتِحَ لهُ بابٌ مِنَ المُشاهدةِ .

فوَجَدَ دواءَهُ ، وفاضَ وِعاؤُهُ ، وصَدَرَتْ منهُ كلماتُ الحِكْمةِ ، ومالَتْ إليهِ القلوبُ ، وتوالىٰ عليهِ فتوحُ الغيبِ ، وصارَ ظاهرُهُ مُسدَّداً وباطنُهُ مُشاهَداً ، وصَلَحَ للجَلْوةِ[1] ، وصارَ لهُ في جَلْوتِهِ خَلْوةٌ ، فيَغلِبُ ولا يُغلَبُ ، ويفترسُ ولا يُفترَسُ .

ومثلُ هٰذا يُؤهَّلُ للمَشْيَخَة ؛ لأنَّهُ أُخِذَ في طريقِ المُحبِّينَ ، ومُنِحَ حالاً مِنْ أحوالِ المُقرَّبينَ ، بعدَما دَخَلَ مِنْ طريقِ أعمالِ الأبرارِ والصالحينَ ، ويكونُ لهُ أتباعٌ ينتقلُ منهُ إليهِم علومٌ ، ويظهرُ بطريقِهِ بركةٌ ، ولٰكن قد يكونُ محبوساً في حالِهِ ، مُحكَّماً حالُهُ فيهِ ، لا يُطلَقُ مِنْ وَثَاقِ الحالِ ، ولا يبلُغُ كمالَ النَّوَالِ[2] ، يقفُ عندَ حظِّهِ ؛ وهوَ حظٌّ وافرٌ سَنِيٌّ ، والذينَ أُوتوا العلمَ درجاتٌ .

ولٰكنَّ المقامَ الأكملَ في المَشْيَخَةِ : القسمُ الرابعُ ؛ وهوَ المجذوبُ المُتدارَكُ بالسُّلوكِ ، يُبادِئُهُ الحقُّ بالكُشُوفِ وأنوارِ اليقينِ ، ويرفعُ عن قلبِهِ

---

(١) الجَلْوة : ضد الخَلْوة ؛ وهي خروجُ العبد من الخلوة بالنُّعوت الإلٰهيَّة ؛ إذ عينُ العبد وأعضاؤه ممحوَّةٌ عن الأنانيَّة ، والأعضاءُ مضافةٌ إلى الحقِّ بلا عبد ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠] . انظر « التعريفات » (ص٦٩) .

(٢) بأن يكون حاكماً على الحال مُتمكِّناً من الجمع في التفرقة ، لا يشغلُ سرَّهُ عن المشاهدة شيءٌ ، يكون حاله في جلوته كحاله في خلوته . من هامش (ح) .

الحُجُبَ ، ويستنيرُ بأنوارِ المُشاهدةِ ، وينشرحُ وينفسحُ قلبُهُ ، ويتجافىٰ عن دارِ الغُرورِ ، ويُنيبُ إلىٰ دارِ الخُلودِ[1] ، ويرتوي مِنْ بحرِ الحالِ ، ويتخلَّصُ مِنَ الأَعْلالِ والأَغْلالِ ، ويقولُ مُعلِناً : لا أعبدُ ربّاً لم أَرَهُ .

ثمَّ يُفيضُ مِنْ باطنِهِ علىٰ ظاهرِهِ ، وتجري عليهِ صورةُ المُجاهدةِ والمُعاملةِ مِنْ غيرِ مُكابدةٍ وعناءٍ ، بل بلَذَاذةٍ وهناءٍ ، ويصيرُ قالَبُهُ بصفةِ قلبِهِ ؛ لامتلاءِ قلبِهِ بحُبِّ ربِّهِ ، ويلينُ جلدُهُ كما لانَ قلبُهُ .

وعلامةُ لِينِ جلدِهِ : إجابةُ قالَبِهِ للعملِ كإجابةِ قلبِهِ ؛ فيزيدُهُ اللهُ تعالىٰ إرادةً خاصَّةً ، ويرزقُهُ محبَّةً خاصَّةً مِنْ محبَّةِ المحبوبينَ المُرادينَ ؛ ينقطعُ فيُواصَلُ ، ويُعرِضُ فيُراسَلُ[2] ، يذهبُ عنهُ جمودُ النَّفْسِ ، ويَصْطَلِي بحرارةِ الرُّوحِ[3] ، وينكمشُ عن قلبِهِ عُرُوقُ النَّفْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

---

(١) قال في « شرح المشكلات » (ق/٢٦) : (هـٰذه الألفاظ مأخوذةٌ من قول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « إذا دخلَ النورُ الصدرَ . . انشرحَ وانفسحَ » ، قيل : هل لذلك مِنْ علامة ؟ قال : « نعمْ ، التجافي عن دارِ الغرورِ ، والإنابةُ إلىٰ دارِ الخلودِ ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ نزولِهِ ») ، والحديث رواه الحاكم (٤/ ٣١١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٤٣١٥) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « تخريج أحاديث الكشاف » (٣/ ٢٠١ـ ٢٠٣) .

(٢) يُشير : إلى التنبيهات الإلـٰهيَّة في مواقع ظهور الطبع ؛ صوناً له عن الانقطاع ، والإلهاماتِ الملكيَّة في مواضع الغَفَلات ؛ عوناً له على الاستدراك بالمنامات الصادقة ، والواقعات الصحيحة ، والمخاطبات الصريحة . من هامش (ح) .

(٣) يصطلي : يستدفئ .

أخبرَ : أنَّ الجلودَ تلينُ ، كما أنَّ القلوبَ تلينُ ، ولا يكونُ هـٰذا إلا حالَ المحبوبِ المرادِ .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : أنَّ إبليسَ سألَ السبيلَ إلى القَلْبِ ، فقيلَ لهُ : يحرمُ عليكَ ، ولـٰكنَّ السبيلَ لكَ في مجاري العُرُوقِ المُشتبِكةِ بالنَّفْسِ إلىٰ حَدِّ القلبِ ، فإذا دخلتَ العُرُوقَ عَرِقتَ فيها مِنْ ضِيقِ مَجارِيها ، وامتزجَ عَرَقُكَ بماءِ الرحمةِ المُترشِّحِ مِنْ جانبِ القلبِ في مَجْرىً واحدٍ ، ويصلُ بذلكَ سلطانُكَ إلى القلبِ .

ومَنْ جعلتُهُ نبيّاً أو وليّاً قلعتُ تلكَ العُرُوقَ مِنْ باطنِ قلبِهِ ، فيصيرُ القلبُ سليماً ، فإذا دخلتَ العروقَ لم تَصِلْ إلى المُشتبِكةِ بالقلبِ ؛ فلا يَصِلُ إلى القلبِ سلطانُكَ .

فالمحبوبُ المُرادُ الذي هوَ أهلٌ للمَشْيَخَةِ[1] .. سَلِمَ قلبُهُ ، وانشرحَ صدرُهُ ، ولانَ جلدُهُ ، فصارَ قلبُهُ بطَبْعِ الرُّوحِ ، ونَفْسُهُ بطَبْعِ القلبِ ، ولانتِ النفسُ بعدَ أنْ كانتْ أَمَّارةً بالسُّوءِ مُستعصِيةً ، ولانَ الجلدُ للِينِ النَّفْسِ ، ورُدَّ إلىٰ صُوَرِ الأعمالِ بعدَ وِجْدانِ الحالِ .

ولا تزالُ روحُهُ تنجذبُ إلى الحَضْرةِ الإلـٰهيّةِ ؛ فيستتبعُ الرُّوحُ القلبَ ، ويستتبعُ القلبُ النفسَ ، وتستتبعُ النَّفْسُ القالَبَ ، فامتزجتِ الأعمالُ القلبيَّةُ والقالَبيَّةُ ، وانخرقَ الظاهرُ إلى الباطنِ ، والباطنُ إلى الظاهرِ ، والقُدْرةُ إلى الحكمةِ ، والحكمةُ إلى القُدْرةِ ، والدُّنيا إلى الآخرةِ ، والآخرةُ إلى الدُّنيا ،

---

(١) في (ب ، د) : (الذي أُهِّلَ) بدل (الذي هو أهل) .

ويصحُّ لهُ أنْ يقولَ : (لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً)[1] .

فعندَ ذلكَ يُطلَقُ مِنْ وَثَاقِ الحالِ ، ويكونُ مُسيطِراً على الحالِ ، لا الحالُ مُسيطِراً عليهِ ، ويصيرُ حُرّاً مِنْ كُلِّ وجهٍ .

والشيخُ الأوَّلُ الذي أَخذَ في طريقِ المُحبِّينَ . . حُرٌّ مِنْ رِقِّ النَّفْسِ ، ولـٰكن ربَّما كانَ باقياً في رِقِّ القلبِ ، وهـٰذا الشيخُ في طريقِ المحبوبينَ حُرٌّ مِنْ رِقِّ القلبِ ، كما هوَ حُرٌّ مِنْ رِقِّ النَّفْسِ ؛ وذلكَ أَنَّ النَّفْسَ حجابٌ ظُلْمانيٌّ أرضيٌّ أُعتِقَ منهُ الأوَّلُ[2] ، والقلبَ حجابٌ نُورانيٌّ سماويٌّ أُعتِقَ منهُ الآخَرُ ، فصارَ لربِّهِ لا لقلبِهِ ، ولمُوَقِّتِهِ لا لوقتِهِ ، فعَبَدَ اللهَ حقّاً ، وآمنَ بهِ صِدْقاً .

ويسجدُ للهِ تعالىٰ سوادُهُ وخيالُهُ ، ويُؤمِنُ بهِ فؤادُهُ ، ويُقِرُّ بهِ لسانُهُ ، كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بعضِ سجودِهِ[3] ، ولا يتخلَّفُ عنِ العُبُوديَّةِ منهُ شعرةٌ ، وتصيرُ عبادتُهُ مُشاكِلةً لعبادةِ الملائكةِ ؛ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] .

فالقوالِبُ هيَ الظِّلالُ الساجدةُ ، ظلالُ الأرواحِ المُقرَّبةُ ؛ ففي عالَمِ الشهادةِ الأصلُ كثيفٌ والظِّلُّ لطيفٌ ، وفي عالَمِ الغيبِ الأصلُ لطيفٌ والظِّلُّ

---

(١) ورد هـٰذا القول في « اللمع » (ص١٠٢) ، و« الرسالة القشيرية » (ص٤٣٤) عن عامر بن عبد القيس رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي : الشيخ الأول .

(٣) رواه البزار في « المسند » (٢٠٣٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، والطبراني في « الدعاء » (٦٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٥٥٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

كثيفٌ ، فيسجدُ لَطِيفُ العبدِ وكثيفُهُ[1] .

وليسَ هـٰذا لمَنْ أُخِذَ في طريقِ المُحبِّينَ ؛ لأنَّهُ يستبشعُ صُورَ الأعمالِ[2] ، ويمتلئُ بما أُنِيلَ مِنْ وِجْدانِ الحالِ ، وذلكَ قصورٌ في العِلْمِ ، وقِلَّةٌ في الحَظِّ ، ولو كَثُرَ العلمُ رأى ارتباطَ الأعمالِ بالأحوالِ كارتباطِ الرُّوحِ بالجسدِ ، ورأىٰ أنْ لا غَنَاءَ عنِ الأعمالِ ، كما لا غَنَاءَ في عالَمِ الشهادةِ عنِ القوالبِ ؛ فما دامتِ القوالبُ باقيةً فالعملُ باقٍ .

ومَنْ صَحَّ في المقامِ الذي وَصَفْناهُ . . هوَ الشيخُ المُطلَقُ ، والعارفُ المُحقَّقُ ، والمحبوبُ المُعتَقُ ، نظرُهُ دواءٌ ، وكلامُهُ شفاءٌ[3] ، باللهِ يَنطِقُ ، وباللهِ يسكتُ ، كما وَرَدَ : « لَا يَزَالُ ٱلْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً ، وَيَداً وَمُؤَيِّداً ، بِي يَنْطِقُ ، وَبِي يُبْصِرُ . . . » الحديثَ[4] .

فالشيخُ يُعطِي باللهِ ، ويمنعُ باللهِ ، فلا رغبةَ لهُ في عطاءٍ ومَنْعٍ بعينِهِ لعينِهِ[5] ، بل هوَ معَ مُرادِ الحقِّ ، والحقُّ يُعرِّفُهُ مُرادَهُ ، فيكونُ في الأشياءِ

---

(١) في هامش (أ) : (رأى أفلاطون موسىٰ عليه السلام ، قال : ما رأيتُ أحداً غَلَبَ لطيفُهُ علىٰ كثيفه إلا هـٰذا) .

(٢) قوله : (يستبشع) استبشع الشيءَ ؛ أي : عدَّه بَشِعاً ، وشيءٌ بَشِعٌ ؛ أي : كريه الطعم . من هامش (ح) .

(٣) في النسخ ما عدا (ج ، د ، ي) : (دواء) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأولياء » (١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٣١٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه بسياق آخر البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/١٤٧ـ١٤٨) .

(٥) الهاء راجعةٌ في (عينه لعينه) إلى العطاء . من هامش (أ) .

بمُرادِ اللهِ تعالىٰ لا بمُرادِ نَفْسِهِ ؛ فإنْ عَلِمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ يُرِيدُ منهُ الدخولَ في صورةٍ محمودةٍ[1] . . دَخَلَ فيها بمُرادِ اللهِ تعالىٰ ، لا لكونِ الصُّورةِ محمودةً ، بخلافِ الخادمِ القائمِ بواجبِ خِدْمةِ عبادِ اللهِ تعالىٰ وتقدَّسَ[2] ، واللهُ أعلمُ[3] .

* * *

(١) فإنَّهُ يدخل في الصورة المحمودة ؛ لإعانة عباد الله باختياره وإرادته . من هامش (ح) .

(٢) يعني : أنَّ الخادمَ يدخلُ في كلِّ صورةٍ محمودة بحسب رؤيته إيَّاها محمودةً ، بخلاف هـٰذا الشيخ . من هامش (و) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ سماعهم في العاشر بقراءة الكاتب) ، وفيها : (بلغ في السابع على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب الحادي عشر

في شرح حال الخادم ومن يتشبه به[1]

أَوْحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ السلامُ وقالَ : (يا داودُ ؛ إذا رأيتَ لي طالباً فكُنْ لهُ خادِماً)[2] .

فالخادمُ يدخلُ في الخِدْمةِ راغباً في الثوابِ ، وفيما أَعَدَّ اللهُ تعالىٰ للعبادِ ، ويتصدَّىٰ لإيصالِ الراحةِ ، ويُفرِّغُ خاطرَ المُقبِلينَ على اللهِ تعالىٰ عن مَهامِّ معاشِهِم ، ويفعلُ ما يفعلُهُ للهِ تعالىٰ بنيَّةٍ صالحةٍ .

فالشيخُ واقفٌ معَ مُرادِ اللهِ ، والخادِمُ واقفٌ معَ نيَّتِهِ ؛ فالخادمُ يفعلُ

---

(١) الخادم الحقيقي : مقصودُهُ من الخدمة : إمَّا ثوابُ الآخرة ، وإمَّا جَذْبُ قلوبِ أهل الصلاح إليه ليكون له فتحُ باب الخير والبركة ، وبركة نظرهم إليه . من هامش (ج) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٤٨٢) عن عبد العزيز بن عمير رحمه الله تعالىٰ ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٩٣) عن سهل التستري رحمه الله تعالىٰ ، وفي هامش (ح) : (لِينظُرِ الطالبُ في تقديم « لي » ، ولْيعلَمْ أنَّه إنما يستحقُّ أن يُخدَمَ إذا كان طلبُه محصوراً على الله ؛ لا يطلب سواه ، ولا يتَّبع هواه) ، وقال في « شرح المشكلات » (ق/ ٢٧) : (في هـٰذا الخبر فائدتان : الأولىٰ : أنَّ الخدمةَ لها محلٌّ ومنزلةٌ ؛ حيثُ أمر اللهُ تعالىٰ نبيَّه بها ، الثانية : أنَّ الخدمة ينبغي أن تكون لأجل طالبي الحقِّ ؛ حيث قال : « إذا رأيتَ طالباً لي فكُنْ لهُ خادماً » ، وما يُؤيِّدُ ذلك : قولُ النبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم : « واللهُ تعالىٰ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيهِ المسلمِ » ، فحرَّض الأمةَ علىٰ معاونة المسلم المستجمع لجميع الصفات الحسنة السَّنِيَّة) .

الشيءَ للهِ ، والشيخُ يفعلُ الشيءَ باللهِ ؛ فالشيخُ في مقامِ المُقرَّبينَ ، والخادمُ في مقامِ الأبرارِ .

فيختارُ الخادمُ البَذْلَ والإيثارَ ، والارتفاقَ مِنَ الأغيارِ للأغيارِ[1] ، ووظيفةُ وقتِهِ تَصَدِّيهِ لِخدْمةِ عبادِ اللهِ تعالىٰ ، وفيهِ يعرفُ الفضلَ ويُرجِّحُهُ علىٰ نوافلِهِ وأعمالِهِ .

وقد يُقِيمُ مَنْ لا يعرفُ الخادمَ مُقامَ الشيخِ ، وربَّما جَهِلَ الخادمُ أيضاً حالَ نَفْسِهِ ؛ فيَحسَبُ نَفْسَهُ شيخاً[2] ؛ لقِلَّةِ العِلْمِ ، واندراسِ علومِ القومِ في هٰذا الزمانِ[3] ، وقناعةِ كثيرٍ مِنَ الفقراءِ مِنَ المشايخِ باللُّقْمةِ دونَ العلمِ والحالِ ؛ فكلُّ مَنْ كانَ أكثرَ إطعاماً فهوَ عندَهُم أَحَقُّ بالمَشْيَخَةِ ، ولا يعلمُونَ أنَّهُ خادمٌ وليسَ بشيخٍ .

والخادمُ في مقامٍ حَسَنٍ ، وحَظٍّ صالحٍ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

وقد وَرَدَ ما يَدُلُّ علىٰ فَضْلِ الخادمِ فيما :

(٣١) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ بنُ الحافظِ أبي الفضلِ محمَّدِ بنِ طاهرٍ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ [عُبيدِ] اللهِ المُقرِئُ[4] ، قالَ : حدَّثَنا أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ داودَ العَلَويُّ ،

---

(١) يعني : الخادم يأخذ شيئاً من الأجنبي ، ويتصرَّف للأجنبي ، ولا يأخذ لنفسه . من هامش (ح) .

(٢) في (د) : (فينظر أنه شيخ) بدل (فيحسب نفسه شيخاً) .

(٣) المراد بالقوم : الفقراء والصادقون . من هامش (ح) .

(٤) في النسخ : (عبد الله) بدل (عبيد الله)، والمثبت من « صفوة التصوف »، وأبو الفضل المقرئ : هو الشيخ العابد المسند محمد بن عبيد الله بن محمد النيسابوري الصَّرَّام =

قالَ : حدَّثَنا أبو حامدٍ الحافظُ[1] ، قالَ : حدَّثَنا العبَّاسُ بنُ محمَّدٍ الدُّوريُّ وأبو الأزهرِ ، قالا : حدَّثَنا أبو داودَ[2] ، قالَ : حدَّثَنا سُفْيانُ[3] ، عنِ الأَوْزاعيِّ ، عن يحيى بنِ أبي كَثيرٍ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُتِيَ بطعامٍ وهوَ بمَرِّ الظَّهْرانِ[4] ، فقالَ لأبي بكرٍ وعُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما : « كُلَا » ، فقالا : إنَّا صائمانِ ، فقالَ : « ٱرْحَلُوا لِصَاحِبَيْكُمْ ، ٱعْمَلُوا لِصَاحِبَيْكُمْ ، ٱدْنُوَا فَكُلَا »[5] .

يعني : أنَّكُما ضَعُفْتُما بالصومِ عنِ الخدمةِ ، فاحتجتُما إلىٰ مَنْ يَخدُمُكُما ، فكُلا واخدُما أنفسَكُما[6] .

= (ت ٤٧٩هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٨٣) .

(١) هو الإمام الثقة حافظُ خراسان وتلميذُ مسلمٍ صاحبِ « الصحيح » أحمدُ بن محمد بن الحسن النيسابوري ابنُ الشَّرْقي ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٣٧ـ ٣٩) .

(٢) هو الإمام الثقة الثَّبْت العابد عمر بن سعد الحَفَريُّ الكوفي (ت ٢٠٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤١٦ـ٤١٧) .

(٣) هو الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) مَرُّ الظَّهْران : اسم مكان قريب من مكة . من هامش (ح) .

(٥) صفوة التصوف (١٤٣) ، ورواه أحمد (٢/ ٣٣٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٠٦٦) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٢٥٨٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ٢٤٦) ، وفي هامش (ح) : (قيل : في الكلام إضمار تقديره : « إنْ صمتما يلتفت خواطر أصحابكما إليكما ؛ فيقول بعضهم لبعض : ارحلوا الدوابَّ لصاحبيكم ، اعملوا لصاحبيكم ما يحتاجان إليه » ، وقيل : إنَّهما أجابا النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم بأنَّهما صائمان ، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم لأصحابه : « ارحلوا لصاحبيكم » ؛ يعني : أبا بكر وعمرَ ، وقال لهما : « ادنوا فكُلا » ؛ ليكون مناسباً للخدمة) ، وفي هامش (ج) : (وهٰذا دليلٌ علىٰ فضل الخدمة وإن كانتْ لنفسه على النافلة) .

(٦) انظر « صفوة التصوف » تحت رقم : (١٤٣) .

فالخادمُ يَحرِصُ علىٰ حِيازةِ الفضلِ ، فيتوصَّلُ بالكسبِ تارةً ، وبالاسترفاقِ والدَّرْيُوزةِ تارةً[١] ، وباستجلابِ الوقفِ إلىٰ نَفْسِهِ تارةً ؛ لعلمِهِ أنَّهُ قَيِّمٌ بذلكَ ، صالحٌ لإيصالِهِ إلى الموقوفِ عليهِم ، ولا يُبالي أنْ يدخلَ في كلِّ مَدْخَلٍ لا يذمُّهُ الشرعُ ؛ لحيازةِ الفضلِ بالخدمةِ ، ويرى الشيخُ بنفوذِ البصيرةِ وقُوَّةِ العِلْمِ أنَّ الإنفاقَ يحتاجُ إلىٰ عِلْمٍ تامٍّ ، ومُعاناةٍ في تخليصِ النِّيَّةِ عن شوائبِ النَّفْسِ والشهوةِ الخفيَّةِ ، ولو خَلَصَتْ نيَّتُهُ ما رَغِبَ في ذلكَ أيضاً ؛ لوجودِ مُرادِهِ فيهِ ، وحالُهُ تركُ المُرادِ ، وإقامةُ مُرادِ الحقِّ .

(٣٢) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ [الحسنِ] ابنِ الخَشَّابِ يقولُ[٢] : سمعتُ جعفرَ بنَ محمَّدٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السَّرِيَّ يقولُ : أعرفُ طريقاً مُختصَراً قَصْداً إلى الجنَّةِ ، فقلتُ لهُ : ما هوَ ؟ قالَ : لا تسأَلْ أحداً شيئاً[٣] ، ولا تأخذْ مِنْ أحدٍ شيئاً ، ولا يكنْ معَكَ شيءٌ تُعطِي منهُ أحداً شيئاً[٤] .

والخادمُ يرىٰ أنَّ مِنْ طريقِ الجنَّةِ الخِدْمةَ والبَذْلَ والإيثارَ ، ويُقدِّمُ الخِدْمةَ على النوافلِ ، ويرىٰ فضلَها ، وللخدمةِ فضلٌ على النافلةِ التي يأتي بها العبدُ

---

(١) الاسترفاق : طلب الرِّفْق من الأغنياء للفقراء ليترفَّق به الناسُ ، والدَّرْيُوزة : التسوُّل والكُدْية ، وهي لفظة فارسية .
(٢) في النسخ : (الحسين) بدل (الحسن) ، والمثبت من المصادر والمراجع .
(٣) هـٰذا يَدُلُّ على الكسب قدرَ إقامة البنية للطاعة فحسب . من هامش (ح) .
(٤) طبقات الصوفية (ص٤٩) ، ورواه من طريق السلمي القشيري في « رسالته » (ص١١٣ـ١١٤) .

طالباً بها الثوابَ ، غيرَ النافلةِ التي يتوخَّىٰ بها صِحَّةَ حالِهِ معَ اللهِ تعالىٰ[1] ؛ لوجودِ نَقْدٍ قبلَ وَعْدٍ[2] .

ومِمَّا يَدُلُّ علىٰ فضلِ الخِدْمةِ على النافلةِ :

(٣٣) ـ ما أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، قالَ : أخبرَني والدي الحافظُ المَقْدِسيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ السِّمْسارُ بأَصْفَهانَ ، قالَ : أخبرَنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ خُرَّشِيذَ قُولَهْ[3] ، قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ إسماعيلَ المَحامِلِيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو السائبِ ، قالَ : حدَّثَنا أبو مُعاويةَ ، قالَ : حدَّثَنا عاصمٌ ، عن مُورِّقٍ ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كُنَّا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فمِنَّا الصائمُ ، ومِنَّا المُفطِرُ ، فنزلْنا مَنزِلاً في يومٍ حارٍّ شديدِ الحرِّ ، فمِنَّا مَنْ يتَّقي الشمسَ بيدِهِ ، وأكثرُنا ظِلّاً صاحبُ الكِساءِ يستظلُّ بهِ ، فنامَ الصائمونَ ، وقامَ المُفطِرُونَ ، فضربُوا الأبنيةَ وسَقَوُا الرِّكابَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ذَهَبَ ٱلْمُفْطِرُونَ ٱلْيَوْمَ بِٱلْأَجْرِ »[4] .

---

(١) قوله : (صحة حاله) ؛ وهي تخليص النية عن شوائب النفس . من « شرح المشكلات » (ق/ ٢٧) .

(٢) من محبّة الله إيّاه ، المشار إليها بقوله : « حتىٰ أحبَّهُ » المبتني عليها الخصوصياتُ من لذائذ المسامرات والمناجاة والمشاهدات ، والخادم المُتفطِّن يعرف ما يُصحِّح به حاله مع الله من النوافل ، فلا يتركها لنيل الحظ الموجود قبل نيل الموعود . من هامش (ح) .

(٣) قال الزَّبيدي في « تاج العروس » (٣٠/ ٣٠٠) : (قُولَه ـ بالضم ـ : لقب ابن خُرَّشِيذَ ، بضم الخاء وتشديد الراء المفتوحة وكسر الشين ، وأصله : « خُورْشِيذ » بالتخفيف ، فارسية بمعنى الشمس) ، وهو من شيوخ الإمام القشيري رحمهما الله تعالىٰ .

(٤) صفوة التصوف (١٤١) ، ورواه البخاري (٢٨٩٠) ، ومسلم (١١١٩) .

وهـٰذا حديثٌ يَدُلُّ علىٰ فضلِ الخِدْمةِ على النافلةِ ، والخادمُ لهُ مقامٌ عزيزٌ يُرغَبُ فيهِ .

فأمَّا مَنْ لم يعرفْ تخليصَ النيَّةِ مِنْ شوائبِ النَّفْسِ ، ويتشبَّهُ بالخُدَّامِ ، ويتصدَّىٰ لخِدْمةِ الفقراءِ ، ويدخلُ في مداخلِ الخُدَّامِ بحُسْنِ الإرادةِ يطلبُ التأسِّيَ بالخُدَّام. . تكونُ خِدْمتُهُ مَشُوبةً ؛ منها ما يُصِيبُ فيها ؛ لموضعِ إيمانِهِ ، وحُسْنِ إرادتِهِ في خِدْمةِ القومِ ، ومنها ما لا يُصِيبُ فيها ؛ لما فيهِ مِنْ مَزْجِ الهوىٰ ، فيضعُ الشيءَ في غيرِ موضعِهِ .

وقد يَخدُمُ بهواهُ في بعضِ تصاريفِهِ ، ويَخدُمُ مَنْ لا يستحقُّ الخِدْمةَ في بعضِ أوقاتِهِ ، ويُحِبُّ المَحْمَدةَ والثناءَ مِنَ الخَلْقِ ، معَ ما يُحِبُّ مِنَ الثوابِ ورضا اللهِ تعالىٰ ، وربَّما خَدَمَ للثناءِ ، وربَّما امتنعَ مِنَ الخِدْمةِ ؛ لوجودِ هوىً يُخامِرُهُ في حَقِّ مَنْ يلقاهُ بمكروهٍ ، ولا يُراعي واجبَ الخِدْمةِ في طَرَفَيِ الرِّضا والغضبِ ؛ لانحرافِ مِزَاجِ قلبِهِ بوجودِ الهوىٰ ، والخادمُ لا يَتَّبِعُ الهوىٰ في الخِدْمةِ في الرِّضا والغضبِ ، ولا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، ويضعُ الشيءَ مواضعَهُ .

فإذاً : الشخصُ الذي ذَكَرْناهُ ووَصَفْناهُ آنفاً . . مُتخادِمٌ وليسَ بخادمٍ ، ولا يُميِّزُ بينَ الخادمِ والمُتخادِمِ إلا مَنْ لهُ عِلْمٌ بصحَّةِ النِّيَّاتِ وتخليصِها مِنْ شوائبِ الهوىٰ .

والمُتخادِمُ النَّجيبُ يَبلُغُ ثوابَ الخادمِ في كثيرٍ مِنْ تصاريفِهِ ، ولا يَبلُغُ رتبتَهُ ؛ لتخلُّفِهِ عن حالِهِ بوجودِ مَزْجِ هواهُ .

وأمَّا مَنْ أُقِيمَ لخدمةِ الفقراءِ بتسليمِ وَقْفٍ إليهِ ، أو توفيرِ رِفْقٍ عليهِ ، وهوَ

يَخدُمُ لمَنالٍ يُصِيبُهُ ، أو حظٍّ عاجلٍ يُدرِكُهُ . . فهوَ في الخدمةِ لنفسِهِ لا لغيرِهِ ، فلو انقطعَ رِفْقُهُ ما خَدَمَ ، وربَّما استخدمَ مَنْ يَخدُمُ ، فهوَ معَ حظِّ نفسِهِ ؛ يَخدُمُ مَنْ يَخدُمُهُ ، ويحتاجُ إليهِ في المحافلِ يتكثَّرُ بهِ ، ويُقِيمُ جاهَ نَفْسِهِ بكثرةِ الأَتْباعِ والأَشْياعِ .

فهوَ خادمُ هواهُ ، وطالبُ دنياهُ ، يَحرِصُ نهارَهُ وليلَهُ في تحصيلِ ما يُقِيمُ بهِ جاهَهُ ، ويُرضِي نَفْسَهُ وأهلَهُ وولدَهُ ، فيتَّسِعُ في الدنيا ، ويتزيَّا بغيرِ زِيِّ الخُدَّامِ والفقراءِ ، وتنتشرُ نَفْسُهُ بطلبِ الحُظُوظِ ، ويستولي عليهِ حُبُّ الرِّياسةِ .

وكلَّما كَثُرَ رِفْقُهُ كَثُرَتْ موادُّ هواهُ ، واستطالَ على الفقراءِ ، ويُحوِجُ الفقراءَ إلى التملُّقِ المُفرِطِ لهُ ؛ تطلُّباً لرضاهُ ، وتَوَقِّياً لضَيْمِهِ ومَيْلِهِ عليهِم بقَطْعِ ما يَنُوبُهُم مِنَ الوقفِ[1] .

فهٰذا أحسنُ حالِهِ أنْ يُسمَّىٰ مُستخدَماً[2] ، فليسَ بخادمٍ ولا مُتخادِمٍ .

ومعَ ذلكَ كلِّهِ : ربَّما نالَ بركتَهُم ؛ باختيارِهِ خِدْمتَهُم علىٰ خِدْمةِ غيرِهِم ، وبانتمائِهِ إليهِم ، وقد أَوْرَدْنا الخبرَ المُسندَ الذي في سياقِهِ : « هُمُ ٱلْقَوْمُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[3] ، جَعَلَنا اللهُ بكمالِ فضلِهِ منهُم ، واللهُ المُوفِّقُ والمُعِينُ[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ب) : (لضرره) بدل (لضيمه) ، والضيم : الظلم .

(٢) ضُبطت في بعض النسخ بالفتح كما هو السياق ، وفي بعضها بالكسر ، نظراً لكونه يستخدم مَنْ يخدمه أحياناً ، وفي بعضها بالوجهين .

(٣) انظر (١/ ٢٨١ـ ٢٨٢) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثاني عشر

في شرح خرقة المشايخ الصوفية

لُبْسُ الخِرْقةِ ارتباطٌ بينَ الشيخِ والمُرِيدِ ، وتحكيمٌ مِنَ المُرِيدِ الشيخَ في نفسِهِ ، والتحكيمُ سائغٌ في الشرعِ لمصالحَ دُنْيويَّةٍ ، فماذا يُنكِرُ المُنكِرُ للُبْسِ الخِرْقةِ علىٰ طالبٍ صادقٍ في طلبِهِ ، يقصدُ شيخاً بحُسْنِ ظنٍّ وعقيدةٍ ، يُحكِّمُهُ في نَفْسِهِ لمصالحِ دينِهِ ، يُرشِدُهُ ويُهذِّبُهُ[1] ، ويُعرِّفُهُ طُرُقَ المواجيدِ ، ويُبصِّرُهُ بآفاتِ النفوسِ ، وفسادِ الأعمالِ ، ومداخلِ العدوِّ ؟!

فيُسلِّمُ نَفْسَهُ إليهِ ، ويستسلمُ لرأيِهِ واستصوابِهِ في جميعِ تصاريفِهِ ، فيُلبِسُهُ الخِرْقةَ ؛ إظهاراً للتصرُّفِ فيهِ ، فيكونُ لُبْسُ الخِرْقةِ علامةَ التفويضِ والتسليمِ ، ودخولُهُ في حكمِ الشيخِ دخولُهُ في حكمِ اللهِ تعالىٰ وحكمِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإحياءُ سُنَّةِ المُبايعةِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] .

(٣٤) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، قالَ : أخبرَني والدي الحافظُ المَقْدِسيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسينِ أحمدُ بنُ مُحمَّدٍ البزَّازُ ، قالَ : أخبرَنا [محمَّدُ بنُ

(١) في النسخ ما عدا (ب ، د ، و) : (ويهديه) .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (و) : (المتابعة) بدل (المبايعة) ، وقال في « شرح المشكلات » (ق/ ٢٧) : (اعلَمْ : أنَّ إلباسَ الخرقةِ المشايخُ للمُريدين في الابتداء علامةُ الإرادة والدخولِ فيها ، وفي الانتهاء علامةُ الولايةِ والوصولِ إلى المَقصِد) .

عبدِ اللهِ] ابنُ أخي مِيميٍّ[1] ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ محمَّدِ بنِ صاعدٍ ، قالَ : حدَّثَنا عمرُو بنُ عليٍّ مِنْ حفظِهِ[2] ، قالَ : سمعتُ عبدَ الوهَّابِ الثَّقفيَّ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ سعيدٍ يقولُ : حدَّثَني عُبادةُ بنُ الوليدِ بنِ عُبادةَ بنِ الصامتِ ، قالَ : أخبرَني أبي ، عن أبيهِ قالَ : (بايَعْنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على السَّمْعِ والطاعةِ ؛ في العُسْرِ واليُسْرِ ، والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ ، وألَّا نُنازِعَ الأمرَ أهلَهُ ، وأنْ نقولَ بالحقِّ حيثُ كُنَّا ، ولا نخافَ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ)[3] .

ففي الخِرْقةِ معنى المُبايعةِ ، والخِرْقةُ عَتَبَةُ الدُّخُولِ في الصُّحْبةِ[4] ، والمقصودُ الكُلِّيُّ هوَ الصُّحْبةُ ، وبالصُّحْبةِ يُرجى للمُرِيدِ كلُّ خيرٍ .

رُوِيَ عن أبي يزيدَ أنَّهُ قالَ : (مَنْ لم يكنْ لهُ أستاذٌ فإمامُهُ الشيطانُ)[5] .

---

(1) في النسخ ما عدا (ب) : (أحمد بن محمد) بدل (محمد بن عبد الله) ، وفي (ب) : (محمد بن أحمد) ، وسيأتي في (١/ ٤٥٩) على الصواب كالمثبت ، وابنُ أخي ميمي : هو الإمام المسند الصدوق أبو الحسين البغدادي الدَّقَّاق (ت٣٩٠هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٦٤) .

(2) في النسخ ما عدا (ب) : (بن حفظة) ، وهو تحريف ، وفي (ج) : (الحفظة) دون (بن) ، وعمرُو بن علي : هو الإمام الحافظ الناقد المُجوِّد أبو حفص الباهلي الصَّيْرَفي الفَلَّاس (ت٢٤٩هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٤٧٠) .

(3) صفوة التصوف (١٥٧) ، ورواه البخاري (٧١٩٩) ، ومسلم (١٧٠٩) .

(4) أي : مقدمة الدخول ؛ وذلك لأنَّ الشيخ إذا أراد أن يُدخِلَ المريدَ في زُمْرة المعتنين ألبسه أوَّلاً الخرقة ، فيُميِّزُهُ بها عمَّنْ سواه ، كما أنَّ الملوكَ إذا أرادوا قَبول طائفة يكسوهم أوَّلاً الحُلَلَ تطييباً لقلوبهم وتعظيماً لهم في أعين الناس . من « شرح المشكلات » (ق/ ٢٧) .

(5) أورده القشيري في « رسالته » (ص٧٧٣) .

وحكى الأستاذُ أبو القاسمِ القُشَيْريُّ رحمَهُ اللهُ ، عن شيخِهِ أبي عليٍّ الدَّقَّاقِ : أنَّهُ قالَ : (الشجرةُ إذا نَبَتَتْ بنفسِها مِنْ غيرِ غارسٍ . . فإنَّها تُورِقُ ولا تُثمِرُ)[١] .

وهوَ كما قالَ ، ويجوزُ أنَّها تُثمِرُ كالأشجارِ التي في الأوديةِ والجبالِ ، ولـٰكن لا يكونُ لفاكهتِها طعمُ فاكهةِ البساتينِ .

والغَرْسُ إذا نُقِلَ مِنْ موضعٍ إلىٰ موضعٍ آخَرَ . . يكونُ أحسنَ وأكثرَ ثمرةً ؛ لدخولِ التصرُّفِ فيهِ .

وقدِ اعتبرَ الشرعُ وجودَ التعليمِ في الكلبِ المُعلَّمِ ، وأحلَّ ما يقتلُهُ ، بخلافِ غيرِ المُعلَّمِ .

وسمعتُ كثيراً مِنَ المشايخِ يقولُونَ : (مَنْ لم يرَ مُفلِحاً لا يُفلِحُ) .

ولنا في رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُسْوةٌ حسنةٌ ؛ فأصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تلقَّوُا العلومَ والآدابَ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، كما رُوِيَ عن بعضِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم : (عَلَّمَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلَّ شيءٍ ؛ حتى الخِرَاءَةَ)[٢] .

فالمُرِيدُ الصادقُ إذا دخلَ تحتَ حُكْمِ الشيخِ وصَحِبَهُ ، وتأدَّبَ بآدابِهِ . . يَسْري مِنْ باطنِ الشيخِ حالٌ إلىٰ باطنِ المُرِيدِ ؛ كسراجٍ يقتبسُ مِنْ سراجٍ ،

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٧٧٣) ، وزاد : (كذلك المريدُ إذا لم يكن له أستاذٌ يأخذُ منه طريقتَهُ نَفَساً فنَفَساً ؛ فهو عابدُ هواه ، لا يجدُ منه نفاذاً) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٢) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، والخِراءةُ : اسم لهيئة الحدث ، والمراد : أنه علَّمهم آداب قضاء الحاجة .

وكلامُ الشيخِ يُلقِّحُ باطنَ المُرِيدِ ، ويكونُ مَقَالُ الشيخِ مُستودَعَ نفائسِ الحالِ ، وينتقلُ الحالُ مِنَ الشيخِ إلى المُرِيدِ بواسطةِ الصُّحْبةِ وسماعِ المَقَالِ .

ولا يكونُ هٰذا إلَّا لمُرِيدٍ حَصَرَ نَفْسَهُ معَ الشيخِ ، وانسلخَ مِنْ إرادةِ نَفْسِهِ ، ويَفْنىٰ في الشيخِ بتركِ اختيارِ نَفْسِهِ ، فبالتأليفِ الإلٰهيِّ يصيرُ بينَ الصاحبِ والمصحوبِ امتزاجٌ وارتباطٌ بالنسبةِ الرُّوحيَّةِ ، والطهارةِ الفِطْريَّةِ .

ثمَّ لا يزالُ المُرِيدُ معَ الشيخِ كذلكَ مُتأدِّباً بتركِ الاختيارِ ، حتىٰ يرتقيَ مِنْ تركِ الاختيارِ معَ الشيخِ إلىٰ تركِ الاختيارِ معَ اللهِ سبحانَهُ ، ويفهمُ مِنَ اللهِ كما كانَ يفهمُ مِنَ الشيخِ .

ومبدأُ هٰذا الخيرِ كلِّهِ : الصُّحْبةُ والمُلازمةُ للشُّيوخِ ، والخِرْقةُ مُقدِّمةُ ذلكَ .

ووجهُ لُبْسِ الخِرْقةِ مِنَ السُّنَّةِ :

(٣٥) ـ ما أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ الحافظِ أبي الفضلِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ الأديبُ بنَيْسابُورَ ، قالَ : أخبرَنا الحاكمُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ ، قالَ : أخبرَنا [أحمدُ] بنُ إسحاقَ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو مسلمٍ إبراهيمُ بنُ

---

(١) في النسخ و« صفوة التصوف » : (محمد) بدل (أحمد) ، والمثبت من « المستدرك » ، وهو الإمام الفقيه المفتي المُحدِّث أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الصِّبْغي (ت٣٤٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٨٣) .

عبدِ اللهِ البَصْريُّ[1] ، قالَ : حدَّثَنا أبو الوليدِ[2] ، قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ سعيدٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبي ، قالَ : حدَّثَتْني أمُّ خالدٍ بنتُ خالدٍ ، قالتْ[3] : أُتِيَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بثيابٍ فيها خَمِيصةٌ سوداءُ صغيرةٌ[4] ، فقالَ : « مَنْ تَرَوْنَ أَكْسُو هَـٰذِهِ ؟ » ، فسكتَ القومُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱئْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ » ، قالتْ : فأُتِيَ بي ، فأَلْبَسَنِيها بيدِهِ وقالَ : « أَبْلِي وَأَخْلِقِي » ، يقولُها مرَّتينِ ، وجعلَ ينظرُ إلىٰ عَلَمٍ في الخَميصةِ أصفرَ

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ) : (المصري) ، والصواب المثبت ، وأبو مسلم البَصْري : هو الإمام المُعمَّر الحافظ الكَجِّي أو الكشي صاحب « السنن » (ت ٢٩٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٤٢٣) .

(٢) هو الإمام الحافظ الناقد هشام بن عبد الملك الباهلي البصري الطيالسي (ت ٢٢٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٣٤١ـ٣٤٢) .

(٣) وإنَّما أسند الشيخُ قدَّس اللهُ سرَّهُ إلباسَ الخرقة من رسول الله عليه الصلاة والسلام إلىٰ أم خالد ، دون أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ، معَ أنَّ المشهورَ المعتمدَ عليه عند المشايخ ذلك ؛ لأنَّ أئمَّةَ الحديث إذا نظروا إلى العنعنة المعتبرة عندهم وفي اصطلاحهم في تحقُّق الإسناد . . يكونُ ذلكَ المستندُ عندهم أقوىٰ ثبوتاً وأوقعَ في قلوبهم تمكُّناً ، فالإسنادُ علىٰ وجهٍ يكون مُلزِماً لمن يُتوهَّمُ منه الإنكارُ . . أَوْلىٰ من الإسناد إلىٰ مَنْ هو مُحقَّقٌ مُقرَّر عند المعتقدين ، وقد صحَّ واشتهَرَ بنقل الأولياء كابراً عن كابر علىٰ ما هو مسطورٌ في إجازات المشايخ رحمهم الله تعالىٰ . . أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَلْبسَ علياً كرَّم الله وجهه الخرقةَ الشريفة ، وهو أَلْبسَ الحسنَ البَصْريَّ وكُميلَ بن زيادٍ وغيرَهُما رضي الله عنهم . من هامش (ح) .

وللإمام السيوطي رسالةٌ نفيسة في ذلك سمَّاها : « إتحاف الفرقة برَفْوِ الخرقة » ، وهي ضمن « الحاوي للفتاوي » .

(٤) الخَمِيصة : كساءٌ أسودُ مُربَّع له عَلَمانِ ، فإن لم يكن مُعْلَماً فليس بخَمِيصة . من هامش (ح) .

وأحمرَ ويقولُ : « يَا أُمَّ خَالِدٍ ؛ هَـٰذَا سَنَا »[1] ، والسَّنا : هو الحَسَنُ بلسانِ الحبشةِ .

ولا خفاءَ بأنَّ لُبْسَ الخِرْقةِ على الهيئةِ التي يعتمدُها الشُّيُوخُ في هـٰذا الزمانِ.. لم يكنْ في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهـٰذهِ الهيئةُ والاجتماعُ لها والاعتدادُ بها مِنِ استحسانِ الشيوخِ ، وأصلُهُ مِنَ الحديثِ : ما رَوَيْناهُ ، والشاهدُ لذلك أيضاً : التحكيمُ الذي ذَكَرْناهُ[2] ، وأيُّ اقتداءٍ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أتمُّ وآكدُ مِنَ الاقتداءِ بهِ في دعاءِ الخَلْقِ إلى الحَقِّ ؟!

وقد ذَكَرَ اللهُ تعالىٰ في كلامِهِ القديمِ تحكيمَ الأُمَّةِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتحكيمُ المُريدِ شيخَهُ إحياءُ سُنَّةِ ذلكَ التحكيمِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وسببُ نزولِ هـٰذهِ الآيةِ : أنَّ الزُّبيرَ بنَ العَوَّامِ رضيَ اللهُ عنهُ اختصمَ هوَ وآخَرُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في شِرَاجٍ مِنَ الحَرَّةِ ـ والشِّرَاجُ : مَسِيلُ الماءِ[3] ـ كانا يَسْقيانِ بهِ النخلَ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للزُّبيرِ : « أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ ٱلْمَاءَ إِلَىٰ جَارِكَ » ، فغضِبَ الرجلُ

---

(١) صفوة التصوف (١٥٦) ، المستدرك (٢/ ٦٣) ، ورواه البخاري (٥٨٢٣) ، وسيأتي هـٰذا الحديث في خاتمة النسخة (هـ) مروياً عن أحمد بن محمد البُخاري النجّاري مسنداً إلى السهروردي به . انظر (٢/ ٦٠٩ـ ٦١٠) .

(٢) انظر (١/ ٣٢٩) .

(٣) والحَرَّة : موضع بالمدينة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام .

وقالَ : قضىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لابنِ عمَّتِهِ ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ هـٰذهِ الآيةَ يُعلِّمُ فيها الأدبَ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[١] .

وشَرَطَ عليهِم في الآيةِ التسليمَ ؛ وهوَ الانقيادُ ظاهراً ، ونَفْيَ الحَرَجِ ؛ وهوَ الانقيادُ باطناً ، وهـٰذا شَرْطُ المُرِيدِ معَ الشيخِ بعدَ التحكيمِ .

فلُبْسُ الخِرْقةِ يُزِيلُ اتِّهامَ الشيخِ عن باطنِهِ في جميعِ تصاريفِهِ ، ويَحذَرُ الاعتراضَ على الشيوخِ ؛ فإنَّهُ السُّمُّ القاتلُ للمُريدينَ ، وقَلَّ أنْ يكونَ مُريدٌ يعترضُ على الشيخِ بباطنِهِ فيُفلحَ .

ويذكرُ المُرِيدُ في كلِّ ما أَشْكلَ عليهِ مِنْ تصاريفِ الشيخِ قِصَّةَ موسىٰ معَ الخَضِرِ عليهِما السلامُ ؛ كيفَ كانَ يَصدُرُ مِنَ الخَضِرِ تصاريفُ يُنكِرُها موسىٰ عليهِ السلامُ ، ثمَّ لمَّا كَشَفَ لهُ عن معناها بانَ لموسىٰ عليهِ السلامُ وجهُ الصوابِ في ذلكَ .

فهكذا ينبغي للمُرِيدِ أنْ يعلمَ أنَّ كلَّ تَصرُّفٍ أَشْكلَ عليهِ صِحَّتُهُ مِنَ الشيخِ . . عندَ الشيخِ فيهِ بيانٌ وبُرْهانٌ للصِّحَّةِ[٢] .

ويدُ الشيخِ في لُبْسِ الخِرْقةِ تنوبُ مَنَابَ يدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتسليمُ المُرِيدِ تسليمٌ للهِ ورسولِهِ[٣] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري (٢٣٥٩) ، ومسلم (٢٣٥٧) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وقوله : (أَسْقِ) يجوز فيه أيضاً (اسْقِ) بهمزة وصل ؛ مِنْ (سقى) الثلاثي ، وانظر « إرشاد الساري » (٤/ ١٩٨) ، و« غنية العارف » (١/ ١٦٠) .

(٢) لأنَّهُ لا يعملُ شيئاً ولا يقولُ إلا بما يعلمُ بالعلم الظاهرِ المفهوم ، أو بالعلم الباطنِ المكشوف ، فإذا لم يُسلِّمِ المريدُ أمرَهُ إلى الشيخ ويعملْ برأيه واختياره . . لا يسري إليه الأحوالُ ، ولا يبلغُ مَبْلغَ الرجال . من هامش (ح) .

(٣) لأنَّ سلسلةَ التسليم تنتهي إلىٰ رسول الله وإلى الله ، فقلبُ المريدِ بمنزلة حلقة به انتظمت=

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [الفتح : ١٠] (١) .

ولْيأخذِ الشيخُ على المُريدِ عهدَ الوفاءِ بشرائطِ الخِرْقةِ ، ويُعرِّفُهُ حقوقَ الخِرْقةِ ؛ فالشيخُ للمُريدِ صورةٌ يَستشِفُّ المُريدُ مِنْ وراءِ هٰذهِ الصُّورةِ المُطالَباتِ الإلٰهيَّةَ ، والمَراضيَ النبويَّةَ (٢) .

ولْيَعتقدِ المُريدُ أنَّ الشيخَ بابٌ فَتَحَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ جَنَابِ كرمِهِ ؛ منهُ يدخلُ ، وإليهِ يرجعُ ، ويُنزِلُ بالشيخِ سوانحَهُ ومَهامَّهُ الدِّينيَّةَ والدُّنْيويَّةَ ، ويعتقدُ أنَّ الشيخَ يُنزِلُ باللهِ الكريمِ ما يُنزِلُ بهِ المريدُ ، ويرجعُ في ذلكَ

= في سلسلة التسليم لله ولرسوله . من هامش (ح) .

(١) اعلَمْ : أنَّ بعضَ المشايخ كانوا يُلبِسُونَ الخرقةَ للمريد بعدَ التربية لهم في الابتداء بالخدمة لعباد الله الصالحين ، وفي الأوساط بإخلاص المعاملة مع الله ، والوفاءِ بالعهود والعزائم علىٰ منهج الصِّدق ، وفي الانتهاء بجمع الهَمِّ والهِمَّة على الله وعدمِ الالتفات إلىٰ ما سواه ، فهٰذا الإلباسُ بعدَ التربية في المراتب الثلاث إلباسُ خِلْعَةِ الولاية والتشريفِ والتأهيل للإرشاد .

وبعضُهُم يُلبِسُون الخرقةَ قبلَ التربية أوانَ التسليم والتحكيم ؛ أي : تسليمِ المريدِ للشيخ وتحكيمِهِ إيَّاه ؛ ليكون في إلباس الخِرْقةِ الظاهرةِ وتغييرِ الهيئة الصُّوريَّة والتميزِ عن الأشكال . علامةُ التصرُّف في تغيير الباطن وإلباسِ ملابسِ الأحوال ، ولقد عُرِفَ بالتجربة والوِجْدان أنَّ الشخص إذا تغيَّر لباسُهُ المعهود الذي كان يتزيَّنُ له لنظر الخلق بلباسِ غيرِ معهودٍ ممَّا يَلبَسُهُ الصالحون لطاعة الحقِّ . يَجدُ في باطنه تغيُّراً وهِمَّةً ونهضةً إلىٰ نيلِ مقامات الأولياء والتخلُّقِ بأخلاقهم ، فالإلباسُ في الابتداء علىٰ ما ذكره الشيخ قدَّس الله سرَّهُ أَوْلىٰ . من هامش (ح) .

(٢) أي : الشيخُ للمريد الصادقِ كمرآةٍ شفَّافة صافية يُبصِرُ فيها ويظهرُ له منها أحكامُ الله وأحكامُ رسوله في شأنه ؛ فإنَّهُ في مطالعة ضمير الشيخ يُدرِكُ ما يطلبُهُ الله منه وما يرضىٰ به الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم . من هامش (ج) .

إلى اللهِ للمُرِيدِ كما يرجعُ المُرِيدُ إليهِ .

وللشيخِ بابٌ مفتوحٌ مِنَ المُكالَمةِ والمُحادَثةِ في النومِ واليقظةِ ، فلا يتصرَّفُ الشيخُ في المُرِيدِ بهواهُ ؛ فهوَ أمانةُ اللهِ تعالىٰ عندَهُ ، ويستغيثُ إلى اللهِ تعالىٰ لحوائجِ المُرِيدِ كما يستغيثُ لحوائجِ نَفْسِهِ ومَهَامِّ دِينِهِ ودُنياهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورىٰ : ٥١] .

فإرسالُ الرسولِ يختصُّ بالأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ، والوحيُ كذلكَ ، والكلامُ مِنْ وراءِ حجابٍ بالإلهامِ والهواتفِ والمنامِ وغيرِ ذلكَ . . للشيوخِ والرَّاسخينَ في العِلْمِ .

واعلَمْ : أنَّ للمُرِيدينَ معَ الشيوخِ أَوَانَ ارتضاعٍ ، وأَوَانَ فِطَامٍ ، وقد سبقَ شرحُ الولادةِ المعنويَّةِ(١) .

فأوانُ الارتضاعِ : أوانُ لزومِ الصُّحْبةِ ، والشيخُ يعلمُ وقتَ ذلكَ ، فلا ينبغي للمُرِيدِ أنْ يُفارِقَ الشيخَ إلا بإذنِهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ تأديباً للأُمَّةِ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ [النور : ٦٢] ، وأيُّ أمرٍ جامعٍ أعظمُ مِنْ أمرِ الدِّينِ ؟!

فلا يأذنُ الشيخُ للمُرِيدِ في المُفارَقةِ إلَّا بعدَ عِلْمِهِ بأنْ آنَ لهُ أَوَانُ الفِطامِ ،

---

(١) انظر (١/ ٣١٠) وما بعدها .

وأنَّهُ يَقدِرُ أنْ يستقلَّ بنَفْسِهِ ، واستقلالُهُ بنَفْسِهِ أنْ ينفتحَ لهُ بابُ الفهمِ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

فإذا بلغَ المُرِيدُ رُتْبَةَ إنزالِ الحوائجِ والمَهامِّ باللهِ سبحانَهُ ، والفهمِ مِنَ اللهِ تعالىٰ بتعريفاتِهِ وتنبيهاتِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ . . لعبدِهِ السائلِ المُحتاجِ[١] . . فقد بَلَغَ أَوَانُ فِطَامِهِ ، ومتىٰ فارقَ قبلَ أَوَانِ الفِطَامِ ينالُهُ مِنَ الإعلالِ في الطريقِ بالرُّجوعِ إلى الدنيا ومُتابعةِ الهوىٰ ما ينالُ المفطومَ لغيرِ أَوَانِهِ في الولادةِ الطبيعيَّةِ .

وهـٰذا التَّلَزُّمُ بصُحْبَةِ المشايخِ للمُرِيدِ الحقيقيِّ ، والمُرِيدُ الحقيقيُّ يَلبَسُ خِرْقَةَ الإرادةِ .

واعلَمْ : أنَّ الخِرْقةَ خِرْقتانِ : خِرْقةُ الإرادةِ ، وخِرْقةُ التبرُّكِ .

والأصلُ الذي قَصَدَهُ المشايخُ للمُرِيدينَ : خِرْقةُ الإرادةِ ، وخِرْقةُ التبرُّكِ تَشَبُّهٌ بخِرْقةِ الإرادةِ[٢] ؛ فخِرْقةُ الإرادةِ للمُرِيدِ الحقيقيِّ ، وخِرْقةُ التبرُّكِ للمُتشبِّهِ ، ومَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهُم[٣] .

وسِرُّ الخِرْقةِ : أنَّ الطالبَ الصادقَ إذا دَخَلَ في صُحْبَةِ الشيخِ ، وسَلَّمَ نَفْسَهُ إليهِ ، وصارَ كالولدِ الصغيرِ معَ الوالدِ . . يُربِّيهِ الشيخُ بعِلْمِهِ المُستمَدِّ مِنَ اللهِ تعالىٰ بصِدْقِ الافتقارِ ، وحُسْنِ الاستقامةِ .

ويكونُ للشيخِ بنفوذِ بصيرتِهِ الإشرافُ على البواطنِ ؛ فقد يكونُ المُرِيدُ

---

(١) قوله : (لعبده) متعلق بـ (إنزال الحوائج) .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د) : (ولخرقة) بدل (وخرقة) .

(٣) إشارة إلىٰ حديث سبق تخريجه في (١/ ٢٨١) .

يَلبَسُ الخَشِنَ ـ كثيابِ المُتقشِّفينَ المُتزهِّدينَ[1] ـ ولهُ في تلكَ الهيئةِ مِنَ الملبوسِ هوىً كامنٌ في نَفْسِهِ ؛ ليُرىٰ بعينِ الزَّهادةِ ، فأَشَدُّ ما علىٰ هٰذا لُبْسُ الناعمِ ، وللنَّفْسِ هوىً واختيارٌ في هيئةٍ مخصوصةٍ مِنَ الملبوسِ في قِصَرِ الكُمِّ والذَّيلِ وطُولِهِ ، وخُشونتِهِ ونُعومتِهِ ، علىٰ قَدْرِ حِسْبانِها وهواها ، فيُلبِسُ الشيخُ لمثلِ هٰذا الزاهدِ الراكنِ إلىٰ تلكَ الهيئةِ ثوباً يَكسِرُ بذلكَ علىٰ نَفْسِهِ هواها وغَرَضَها .

وقد يكونُ على المُريدِ ملبوسٌ ناعمٌ ، أو هيئةٌ في الملبوسِ ، تَشَرَّبَتِ النَّفْسُ تلكَ الهيئةَ بالعادةِ ، فيُلبِسُهُ الشيخُ ما يُخرِجُ النَّفْسَ مِنْ عادتِها وهواها .

فتَصَرُّفُ الشيخِ في الملبوسِ كتصرُّفِهِ في المطعومِ ، وكتصرُّفِهِ في صومِ المُريدِ وإفطارِهِ ، وكتصرُّفِهِ في أَمْرِ دِينِهِ ودنياهُ ، إلىٰ ما يَرىٰ لهُ مِنَ المصلحةِ ؛ مِنْ دوامِ الذِّكْرِ ، أو دوامِ التنفُّلِ بالصلاةِ ، أو دوامِ التلاوةِ ، أو دوامِ الخِدْمةِ ، وكتصرُّفِهِ فيهِ بردِّهِ إلى الكَسْبِ أوِ الفتوحِ أو غيرِ ذلكَ .

فللشيخِ إشرافٌ على البواطنِ وتنوُّعِ الاستعداداتِ ؛ فيأمرُ كلَّ مُريدٍ مِنْ أمرِ مَعاشِهِ ومَعادِهِ بما يصلُحُ لهُ ، ولتنوُّعِ الاستعداداتِ تَنَوَّعَتْ مراتبُ الدعوةِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فالحِكْمةُ رُتْبةٌ في الدعوةِ ، والموعظةُ كذلكَ ، والمُجادَلةُ كذلكَ[2] ؛

---

(١) التقشُّف : التقلُّلُ في الطعام واللباس . من هامش (ي) .

(٢) الحكمة : النبوَّة ، والموعظة الحسنة : القول الرقيق ، والمجادلة بالأحسن : القرآن =

فمَنْ يُدعىٰ بالحِكْمةِ لا يُدعىٰ بالموعظةِ ، ومَنْ يُدعىٰ بالموعظةِ لا يصلُحُ دعوتُهُ بالحكمةِ .

فهكذا الشيخُ ؛ يعلمُ مَنْ هوَ علىٰ وَضْعِ الأبرارِ ، ومَنْ هوَ علىٰ وَضْعِ المُقرَّبينَ ، ومَنْ يصلُحُ لدوامِ الذِّكْرِ ومَنْ لا يصلُحُ ، ومَنْ يصلُحُ لدوامِ الصلاةِ ومَنْ لا يصلُحُ ، ومَنْ لهُ هوىً في التخشُّنِ أو في التنعُّمِ ، فيخلَعُ المُريدَ مِنْ عادتِهِ ، ويُخرِجُهُ مِنْ مَضيقِ هوىٰ نَفْسِهِ ، ويُطعِمُهُ باختيارِهِ ، ويُلبِسُهُ باختيارِهِ ثوباً يصلُحُ لهُ ، وهيئةً تصلُحُ لهُ ، يُداوِي بالخِرْقةِ المخصوصةِ والهيئةِ المخصوصةِ داءَ هواهُ ، ويتوخَّىٰ بذلكَ تقريبَهُ إلىٰ رضا مَوْلاهُ .

فالمُريدُ الصادقُ المُلتهِبُ باطنُهُ بنارِ الإرادةِ في بُدُوِّ أمرِهِ وحِدَّةِ إرادتِهِ . . كالمَلْسُوعِ الحريصِ علىٰ مَنْ يَرْقِيهِ ويُداوِيهِ ، فإذا صادفَ شيخاً انبعثَ مِنْ باطنِ الشيخِ صدقُ العنايةِ بهِ ؛ لاطِّلاعِهِ عليهِ ، وينبعثُ مِنْ باطنِ المُريدِ صدقُ المحبَّةِ بتألُّفِ القلوبِ وتَشَامِّ الأرواحِ[1] ، وظهورِ سِرِّ السابقةِ فيهما باجتماعِهِما للهِ في اللهِ باللهِ ، فيكونُ القميصُ الذي يُلبِسُ الشيخُ المُريدَ خِرْقةً تُبشِّرُ المُريدَ بحُسْنِ عنايةِ الشيخِ بهِ[2] ، فتعملُ عندَ المُريدِ عَمَلَ قميصِ يوسفَ عندَ يعقوبَ عليهِما السلامُ .

= من هامش (ج) ، وانظر « النكت والعيون » (٣/ ٢٢٠) .

(١) أي : الائتلافِ السابق في عالم الأرواح ؛ لما قال عليه السلام : « الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ . . . » الحديثَ ؛ أي : باجتماع الشيخ والمريد في مقام الإخلاص ، ثمَّ في مقام الفناء ، ثمَّ في مقام البقاء . من هامش (ج) .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د) : (الله) بدل (الشيخ)

وقد نُقِلَ أنَّ إبراهيمَ الخليلَ عليهِ السلامُ حينَ أُلقِيَ في النَّارِ . . جُرِّدَ مِنْ ثيابِهِ ، وقُذِفَ في النارِ عُرْياناً ، فأتاهُ جبريلُ عليهِ السلامُ بقميصٍ مِنْ حريرِ الجنَّةِ وأَلْبسَهُ إيَّاهُ ، وكانَ ذلكَ عندَ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ، فلمَّا ماتَ وَرِثَهُ إسحاقُ عليهِ السلامُ ، فلمَّا ماتَ وَرِثَهُ يعقوبُ عليهِ السلامُ ، فجعلَ يعقوبُ عليهِ السلامُ ذلكَ القميصَ في تعويذٍ وجعلَهُ في عُنُقِ يوسفَ عليهِ السلامُ ، فكانَ لا يُفارِقُهُ ، فلمَّا أُلقِيَ في البئرِ عُرْياناً جاءَهُ جبريلُ عليهِ السلامُ وكانَ عليهِ التعويذُ ، فأَخْرَجَ القميصَ منهُ وأَلْبسَهُ إيَّاهُ[١] .

(٣٦) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ[٢] ، قالَ : أخبرَنا القاضي محمَّدُ بنُ سعيدٍ[٣] ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : أخبرَني ابنُ فَنْجُويَه الحسينُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا مَخْلَدُ بنُ جعفرٍ ، قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ عَلُّويَه ، قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عيسىٰ ، قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ بِشْرٍ ، عنِ ابنِ السُّدِّيِّ ، عن أبيهِ ، عن مُجاهِدٍ قالَ : (كانَ يوسفُ عليهِ السلامُ أعلمَ باللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ أَلَّا يعلمَ أنَّ قميصَهُ لا يَرُدُّ علىٰ يعقوبَ بصرَهُ ، ولٰكنَّ ذلكَ كانَ قميصَ إبراهيمَ

---

(١) سيأتي تخريجه (١/٣٤٣) .

(٢) في (ب ، هـ ، ز) : (أبو سعيد) بدل (أبو سعد) ، وأبو سعد : هو الإمام الفقيه الأديب الشاعر محمد بن أحمد بن محمد بن الخليل الخليلي النَّوْقاني (ت ٥٤٨هـ) ، وسيأتي مصححاً دون تنبيه ، وانظر « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (١/١٣٧٠) .

(٣) هو أبو سعيد الفَرُّخزادي الطوسي (ت ٤٧٧هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٢/٢٠٦) .

عليهِ السلامُ) ، وذَكَرَ ما ذكرْناهُ ، قالَ : (فأمرَهُ جبريلُ عليهِ السلامُ أنْ أَرْسِلْ بقميصِكَ ؛ فإنَّ فيهِ ريحَ الجنَّةِ ، لا يقعُ علىٰ مُبتلىً أو سقيمٍ إلَّا صحَّ وعُوفِيَ)[1] .

فتكونُ الخِرْقةُ عندَ المُريدِ الصادقِ مُتحمِّلةً إليهِ عَرْفَ الجنَّةِ ؛ لِمَا عندَهُ مِنَ الاعتدادِ بالصُّحْبةِ للهِ تعالىٰ ، ويرىٰ لُبْسَ الخِرْقةِ مِنْ عنايةِ اللهِ تعالىٰ بهِ وفَضْلِهِ عليهِ .

فأمَّا خِرْقةُ التبرُّكِ فيطلُبُها مَنْ مقصودُهُ التبرُّكُ بزِيِّ القومِ ، ومثلُ هٰذا لا يُطالَبُ بشرائطِ الصُّحْبةِ ، بل يُوصىٰ بلزومِ حدودِ الشرعِ ، ومُخالَطةِ هٰذهِ الطائفةِ ؛ ليعودَ عليهِ بركتُهُم ، ويتأدَّبَ بآدابِهِم ، فسوفَ يُرقِّيهِ ذلكَ إلى الأهليّةِ لخِرْقةِ الإرادةِ .

فعلىٰ هٰذا : خِرْقةُ التبرُّكِ مبذولةٌ لكلِّ طالبٍ ، وخِرْقةُ الإرادةِ ممنوعةٌ إلَّا مِنَ الصادقِ الراغبِ .

ولُبْسُ الأزرقِ مِنِ استحسانِ الشيوخِ في الخِرْقةِ ، فإنْ رأىٰ شيخٌ أنْ يُلبِسَ مُريداً غيرَ الأزرقِ . . فليسَ لأحدٍ أنْ يعترضَ عليهِ ؛ لأنَّ المشايخَ آراؤُهُم فيما يفعلونَ بحكمِ الوقتِ .

وكانَ شيخُنا رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (كانَ الفقيرُ يَلبَسُ قصيرَ الأكمامِ ؛ ليكونَ أَعْونَ على الخِدْمةِ) .

---

(١) الكشف والبيان (١٥/١٤٧ـ ١٤٨) ، ورواه بنحوه الواحدي في « الوسيط » (٢/ ٦٣١) مرفوعاً عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١١٩٥٦) عن سيدنا المطلب بن عبد الله بن حنطب رضي الله عنه ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٥٧٩ـ٥٨٠) .

ويجوزُ للشيخِ أنْ يُلبِسَ المُرِيدَ خِرَقاً في دَفَعاتٍ على قَدْرِ ما يتلمَّحُ مِنَ المصلحةِ للمُرِيدِ في ذلكَ ، على ما أَسْلَفْناهُ مِنْ مُداواةِ هواهُ في الملبوسِ .

والمُلوَّنَ ؛ فيختارُ الأزرقَ ؛ لأنَّهُ أرفقُ للفقيرِ ؛ لكونِهِ يحملُ الوسخَ ، ولا يُحوِجُ إلى زيادةِ الغَسْلِ ؛ لهٰذا المعنى فحسبُ ، وما عدا هٰذا مِنَ الوجوهِ التي يذكرُها بعضُ المُتصوِّفةِ في ذلكَ . . فهوَ كلامٌ إقناعيٌّ مِنْ كلامِ المُتصنِّعينَ ، ليسَ مِنَ الدِّينِ والحقيقةِ بشيءٍ .

سمعتُ الشيخَ سديدَ الدِّينِ أبا الفخرِ الهَمَذانيَّ رحمَهُ اللهُ قالَ[1] : كنتُ ببغدادَ عندَ أبي بكرٍ الشُّرُوطيِّ ، فخرجَ إلينا فقيرٌ مِنْ زاويتِهِ وعليهِ ثوبٌ وَسِخٌ ، فقالَ لهُ بعضُ الفقراءِ : لِمَ لا تغسلُ ثوبَكَ ؟ فقالَ : يا أخي ؛ ما أتفرَّغُ ، فقالَ الشيخُ أبو الفخرِ : لا أزالُ أتذكَّرُ حلاوةَ قولِ الفقيرِ : (ما أتفرَّغُ) ؛ لأنَّهُ كانَ صادقاً في ذلكَ ، وأَجِدُ لذَّةً لقولِهِ ، وبركةً بتَذْكاري ذلكَ .

فاختارُوا المُلَوَّنَ ؛ لهٰذا المعنى ؛ لأنَّهُم مِنْ رعايةِ وقتِهِم في شُغْلٍ شاغلٍ ، وإلَّا فأيَّ ثوبٍ أَلْبَسَ الشيخُ المُرِيدَ مِنْ أبيضَ وغيرِ ذلكَ . . فللشيخِ ولايةُ ذلكَ ؛ لحُسْنِ مَقصِدِهِ ، ووُفُورِ علمِهِ .

وقد رأَيْنا مِنَ المشايخِ مَنْ لا يُلبِسُ الخِرْقةَ ، ويسلُكُ بأقوامٍ مِنْ غيرِ لُبْسِ الخِرْقةِ ، ويُؤخَذُ منهُ العلومُ والآدابُ ، وقد كانَ طبقةٌ مِنَ السلفِ الصالحينَ لا يعرفُونَ الخِرْقةَ ، ولا يُلبِسُونَها المُرِيدينَ .

---

(١) في أكثر النسخ : (الهَمْداني) بالمهملة .

فمَنْ يُلبِسُها فلهُ مَقصِدٌ صحيحٌ ، وأصلٌ مِنَ السُّنَّةِ ، وشاهدٌ مِنَ الشرعِ ، ومَنْ لا يُلبِسُها فلهُ رأيُهُ ، ولهُ في ذلكَ مَقصِدٌ صحيحٌ ، وكلُّ تصاريفِ المشايخِ محمولةٌ على السَّدادِ والصوابِ ، ولا تخلو عن نيَّةٍ صالحةٍ فيها[1] ، فاللهُ تعالىٰ ينفعُ بهِم وبآثارِهِم إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ؛ إنَّهُ قديرٌ ، وبالإجابةِ جديرٌ ، واللهُ أعلمُ بالصوابِ[2] .

❁ ❁ ❁

(١) وسُئل المؤلف عن استدعاء الخِرْقة وطلبها من الشيوخ ، فأجاب : بأنَّهُ جائز ؛ بدليل الحديث الذي رواه الصحابيُّ سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ امرأةً أتتِ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ببردةٍ منسوجٍ في حاشيتها حريرٌ ، فقالت : إنِّي نسجت هٰذه بيدي أكسوكَها ، فأخذها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم محتاجاً إليها ، فخرج علينا وإنَّها لإزارُهُ ، فجسَّها رجلٌ من القوم ، فقال : يا رسول الله ؛ اكسُنِيها ، قال : نعم ، فجلس في المجلس ما شاء الله ، ثمَّ رجع فطواها وأرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنتَ ، سألتَها إيَّاه وقد عرفتَ أنَّهُ لا يَرُدُّ سائلاً !! فقال الرجل : والله ؛ ما سألتُها إلا لتكون كفني يومَ أموت ، قال سهل : فكانت كفنَهُ ، [رواه البخاري (٢٠٩٣)] ؛ فيجوزُ استدعاء الخرقة ممَّن يُعتقد فيه الخير من السَّادة الفضلاء تبرُّكاً بهم وبلباسهم . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٤) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً في الثامن على الشيخ الحافظ جلال الدين ، كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) ، وفيه أيضاً : (بلغ سماعهم في الحادي عشر بقراءة الكاتب) .

الباب الثالث عشر

في فضيلة سكان الرُّبُط (١)

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور : ٣٦ـ٣٧] (٢) .

---

(١) ومن المناسب إيرادُهُ ها هنا : ما سُئِلَ عنه إمامنا المُؤلِّف ؛ وهو أنَّهُ هل يجوز للمريد أن يسكن الرُّبُطَ والخوانقَ أو الزوايا المبنيَّةَ من أموال السلاطين والولاة ويأكَلَ من أوقافها ؟
فأجاب : بأنَّهُ يجوز له أن يسكنها ، ولكن بشرط ألَّا يأكل من مال الوقف ، إلا إذا كَمَلَ شُغْلُهُ بالله تعالىٰ ولم يبقَ للبطالة عليه طريقٌ ، فيكونُ ما يتناولُهُ من القربة بمثابة المداراة للعليل للرفق به وإبقاءِ الرمق عليه عند الضرورة ، وإلا فالكسبُ به أَوْلىٰ ، وربَّما كان سُكْنى الرباط أبعدَ له من الآفات والشهوة ؛ لأنَّ أربابَ الزوايا [يستهترون] أعجل من أرباب الرُّبُط ، ولكن بشرط ألَّا يسترسلَ في الاختلاط وكثرة المعاشرة ؛ فإنَّهُ الداء العُضالُ المهلك ؛ فإنَّ باسترساله في المعاشرة تسترقه النفسُ ؛ لما لها في ذلك من اللَّذَّة والراحة ، فلا تزالُ به حتىٰ تُوقِعَهُ في المُحرَّمات من حيثُ لا يعلم ، فينبغي له أن يُوزِّع أوقاتَهُ ، فيعمرَ كلَّ وقت بما يصلح له ؛ لتكونَ أوقاتُهُ محفوظةً عليه بأنواع العبادات ، فكفىٰ بالعبادة شغلاً ، ويستعين بالله فهو خير معين . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٥) .

(٢) قوله : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ . . . ﴾ ؛ أي : بالبناء والتعظيم . « أنوار » ، قيل : يُرفع فيها الحوائج إلى الله ، وقيل : الحوائج من القلوب ، وشغلُ القلوب بالذكر .
وقوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ ﴾ ؛ أي : يُصلَّىٰ له فيها بالغداة ؛ صلاة الفجر ، وبالآصال : صلاة الظهر والعصر والعشاءين ، وإنَّما وحَّد الغداة ؛ لأنَّ صلاته واحدة ، =

قيلَ : إنَّ هـٰذهِ البُيُوتَ هيَ المساجدُ[1] ، وقيلَ : هيَ بُيُوتُ المدينةِ[2] ، وقيلَ : بُيُوتُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[3] .

وقيلَ : لمَّا نزلتْ هـٰذهِ الآيةُ قامَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ هـٰذهِ البُيُوتُ منها بيتُ عليٍّ وفاطمةَ رضيَ اللهُ عنهُما ؟ قالَ : « نَعَمْ ، مِنْ أَفاضِلِهَا »[4] .

وقالَ الحسنُ : (هيَ بِقَاعُ الأرضِ كلُّها ؛ جُعِلَتْ مسجداً لرسولِ اللهِ

= وفي الآصال صلوات ، والآصال : جمع (أصيل) ؛ وهو العشي . « مدارك » .

وقوله : ﴿رِجَالٌ﴾ قال بعضهم : (رجالٌ قلوبُهم مُعلَّقةٌ بالسوابق والخواتم ، أَشْغلهم ما جرىٰ عليهم في الأزل ، وحزنُ ما يَرِدُون إليه من العاقبة . . عن الاشتغالِ بالدنيا ، والتقلُّبِ فيها ، والتمتُّع بها) ، وقال بعضهم : (رجالٌ أسقط عنهم المُكوِّنُ ذكرَ المُكوَّنات ، فلا تشغلُهُم الأسبابُ عن المُسبِّب) .

وقوله : ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ ؛ أي : بالشخوص ، [أو] الزرقة ؛ أي : تتقلَّب القلوبُ إلى الإيمان بعد الكفران ، والأبصارُ إلى العِيان بعد إنكاره الطغيان ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ٢٢] . « مدارك » .

وقال الحسين : (إذا علمتَ تقلُّبَ القلوب والأبصار . . فليكنْ شغلُكَ في النظر إلىٰ أفعاله فيك ، وتَوَقَّ الخلافَ والغفلة) « حقائق » . من هامش (ح) .

(١) قاله ابن عباس ومجاهد والحسن . انظر « تفسير الطبري » (١٩/ ١٨٩ـ١٩٠) ، و« تفسير القرطبي » (١٢/ ٢٦٥) .

(٢) قاله السُّدِّي ، كما في « الكشف والبيان » (١٩/ ٢٧٥) ، وجعله الكرماني في « غرائب التفسير » (٢/ ٧٩٩) من الغريب .

(٣) قاله مجاهد . انظر « تفسير القرطبي » (١٢/ ٢٦٥) ، و« الدر المنثور » (٦/ ٢٠٣) .

(٤) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٩/ ٢٧٣ـ٢٧٤) ، وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٦/ ٢٠٣) عن سيدنا أنس وبريدة رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٦٨) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] .

فعلىٰ هٰذا : الاعتبارُ بالرجالِ الذَّاكرينَ لا بصُوَرِ البِقَاعِ ، وأيُّ بُقْعةٍ حَوَتْ رجالاً بهٰذا الوصفِ هيَ البُيُوتُ التي أَذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ .

روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ما مِنْ صباحٍ ولا رَوَاحٍ إلَّا وبِقَاعُ الأرضِ يُنادي بعضُها بعضاً : هل مرَّ بكِ اليومَ أحدٌ صلَّىٰ عليكِ أو ذَكَرَ اللهَ عليكِ ؟ فمِنْ قائلةٍ : نعم ، ومِنْ قائلةٍ : لا ، فإذا قالَتْ : نعم . . عَلِمَتْ أنَّ لها عليها بذلكَ فضلاً .

وما مِنْ عبدٍ ذَكَرَ اللهَ تعالىٰ علىٰ بُقْعةٍ مِنَ الأرضِ ، أو صلَّىٰ للهِ تعالىٰ عليها . . إلَّا شَهِدَتْ لهُ بذلكَ يومَ القيامةِ عندَ ربِّهِ ، وبَكَتْ عليهِ يومَ يموتُ)[2] .

وقيلَ : في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ . . . ﴾ [الدخان : ٢٩] : تنبيهٌ علىٰ فضيلةِ أهلِ اللهِ تعالىٰ مِنْ أهلِ طاعتِهِ[3] ؛ لأنَّ الأرضَ تبكي عليهِم ، ولا تبكي علىٰ مَنْ رَكَنَ إلى الدُّنيا واتَّبعَ الهوىٰ .

---

(١) أورده الثعلبي في « تفسيره » (٢٧/ ٤٤٥) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ٢٤٢) عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن : ١٨] .

(٢) رواه إلىٰ قوله : (بذلك فضلاً) ابن المبارك في « الزهد » (٣٣٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٦٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وروىٰ باقيَهُ ابن المبارك في « الزهد » (٣٣٩) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤١١٠) ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٤٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٦١) عن عطاء الخراساني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في (أ ، ح) : (أهل ذكر الله) بدل (أهل الله) .

فسُكَّانُ الرِّباطِ همُ الرجالُ[1] ؛ لأنَّهُم رَبَطُوا نفوسَهُم على طاعةِ اللهِ تعالىٰ ، وانقطعُوا إلى اللهِ تعالىٰ ، فأقامَ اللهُ تعالىٰ لهمُ الدُّنيا خادمةً .

روىٰ عِمْرانُ بنُ الحُصينِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ٱنْقَطَعَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ كَفَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مُؤْنَتَهُ ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنِ ٱنْقَطَعَ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَكَلَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهَا »[2] .

وأصلُ الرِّباطِ : ما تُربَطُ فيهِ الخُيُولُ ، ثمَّ قيلَ لكلِّ ثَغْرٍ يدفعُ أهلُهُ عمَّنْ وراءَهُم : رِباطٌ ؛ فالمُجاهِدُ المُرابِطُ يدفعُ عمَّنْ وراءَهُ ، والمُقِيمُ في الرِّباطِ علىٰ طاعةِ اللهِ يُدفَعُ بهِ وبدعائِهِ البلاءُ عنِ العبادِ والبلادِ .

(٣٧) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ رَضِيُّ الدِّينِ أبو الخيرِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ الخَلِيليُّ ، قالَ : أخبرَنا القاضي محمَّدُ بنُ سعيدٍ الفَرُّخْزاديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : أخبرَنا الحسينُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ ابنُ خُرْجَةَ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، قالَ : حدَّثَني أبو حُمَيدٍ الحِمْصيُّ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ [العطَّارُ][3] ، قالَ : حدَّثَنا حَفْصُ بنُ سليمانَ ، عن محمَّدِ بنِ سُوقَةَ ، عن وَبَرَةَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ ،

---

(١) أي : المذكورون في قوله تعالىٰ : ﴿رِجَالٌ﴾ [النور : ٣٧] . من هامش (و) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٣٥٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٤٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/ ٢٠٥) .

(٣) في النسخ : (القطان) ، والمثبت من المصادر الآتية ، والعطَّار : هو أبو زكريا الأنصاري الشامي الحمصي . انظر « تهذيب الكمال » (٣١/ ٣٤٣ـ٣٤٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤٧٢) .

عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ عزَّ وجلَّ لَيَدْفَعُ بِٱلْمُسْلِمِ ٱلصَّالِحِ عَنْ مِئَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ ٱلْبَلَاءَ »(١) .

ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَوْلَا عِبَادٌ لِلهِ رُكَّعٌ ، وَصِبْيَةٌ رُضَّعٌ ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ . لَصُبَّ عَلَيْكُمُ ٱلْعَذَابُ صَبّاً ، ثُمَّ يُرَضُّ رَضّاً »(٢) .

وروىٰ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَيُصْلِحُ بِصَلَاحِ ٱلرَّجُلِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ ، وَأَهْلَ دُوَيْرَتِهِ ، وَدُوَيْرَاتٍ حَوْلَهُ ، وَلَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ ٱللهِ مَا دَامَ فِيهِمْ »(٣) .

وروىٰ داودُ بنُ صالحٍ قالَ : قالَ لي أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ : يا بنَ أخي ؛ هل تدري في أيِّ شيءٍ نَزَلَتْ هـٰذهِ الآيةُ : ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣٨ـ٣٩) ، ورواه الطبري في « تفسيره » (٥/ ٣٧٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٣/ ٢١٥) ، و« المعجم الأوسط » (٤٠٨٠) ، وفي النسخ ما عدا (د ، ب ، هـ) : (من أهل بيته ومن جيرانه البلاء) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٧١) .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٩٦٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢/ ٣٠٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٥) عن سيدنا مسافع الدِّيلي رضي الله عنه ، وقوله : (رُتَّع) يُقالُ : رَتَعَتِ الماشيةُ رَتْعاً : رَعَتْ كيف شاءت ، وفي « الآحاد والمثاني » : (ثم رُصَّ رصّاً) بالصاد ، قال ابن الأثير في « النهاية » (٢/ ٢٢٩) علىٰ رواية الضاد : (هكذا جاء في رواية ، **والصحيح** بالصاد المهملة) ، وفي هامش (ح) : (الرضُّ : الدقُّ الجريش ؛ **جَرَشْتُ الشيء** : إذا لم تُنعِمْ دقَّهُ ، فهو جريش) ، ورُصَّ رصّاً ؛ أي : ضُمَّ بعضُهُ إلىٰ بعض .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٥/ ٣٧٤ـ٣٧٥) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٦٦) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣٣٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٥٦٤) من قول محمد بن المنكدر رحمه الله تعالىٰ .

وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؟ قلتُ : لا ، قالَ : يا بنَ أخي ؛ لم يكنْ في زَمَنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ غَزْوٌ يُربَطُ فيهِ الخيلُ ، ولـٰكنَّهُ انتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ[١] .

فالرِّباطُ لجهادِ النَّفْسِ ، والمُقيمُ في الرِّباطِ مُرابِطٌ مُجاهِدٌ نَفْسَهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَـادِهِ﴾ [الحج : ٧٨] .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (هوَ مُجاهَدةُ النَّفْسِ والهوىٰ ، وذلكَ حقُّ الجهادِ ، وهوَ الجهادُ الأكبرُ)[٢] ؛ علىٰ ما رُوِيَ في الخبرِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ حينَ رَجَعَ مِنْ بعضِ غَزَواتِهِ : « رَجَعْنَا مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلْأَصْغَرِ إِلَى ٱلْجِهَادِ ٱلْأَكْبَرِ »[٣] .

وقيلَ : إنَّ بعضَ الصالحينَ كَتَبَ إلىٰ أخٍ لهُ يستدعيهِ إلى الغزوِ ، فكَتَبَ إليهِ : يا أخي ؛ كلُّ الثُّغورِ مجتمعةٌ لي في بيتٍ واحدٍ ، والبابُ عليَّ مردودٌ .

فكَتَبَ إليهِ أخوهُ : لو كانَ الناسُ كلُّهم لَزِمُوا ما لَزِمْتَهُ . . اختلَّتْ أمورُ المسلمينَ وغَلَبَ الكُفَّارُ ، ولا بُدَّ مِنَ الغزوِ والجهادِ .

فكَتَبَ إليهِ : يا أخي ؛ لو لَزِمَ الناسُ ما أنا عليهِ . . لقالوا في زواياهُم

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٠٨) ، ومن طريقه الطبري في « تفسيره » (٧/ ٥٠٤) ، والحاكم (٢/ ٣٠١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٧٣) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٨/ ٤١٣) ، والبغوي في « تفسيره » (٥/ ٤٠٢) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٧٣) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٤٩٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٧٣) .

علىٰ سَجّاداتِهِم : (اللهُ أكبرُ) انهدمَ سُورُ قُسطَنْطِينيّةَ !![1] .

وقالَ بعضُ الحُكَماءِ : (ارتفاعُ الأصواتِ في بُيُوتِ العباداتِ ، بحُسْنِ النِّيّاتِ وصفاءِ الطَّوِيّاتِ . . يَحُلُّ ما عَقَدَتْهُ الأفلاكُ الدّائراتُ)[2] .

فاجتماعُ أهلِ الرُّبُطِ إذا صحَّ على الوجهِ الموضوعِ لهُ الرُّبُطُ[3] ، وتحقَّقَ أهلُ الرُّبُطِ بحُسْنِ المُعاملةِ ، ورعايةِ الأوقاتِ ، وتَوَقِّي ما يُفسِدُ الأعمالَ ، واعتمادِ ما يُصحِّحُ الأحوالَ[4] . . عادتِ البركةُ على العبادِ والبلادِ[5] .

وقالَ سَرِيٌّ السَّقَطيُّ رحمَهُ اللهُ في قولِهِ تعالى : ﴿ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ : (اصبِرُوا عنِ الدُّنيا رجاءَ السلامةِ ، وصابِرُوا عندَ القتالِ بالثَّباتِ والاستقامةِ ، ورابطُوا أهواءَ النَّفْسِ اللَّوّامةِ ، واتَّقُوا ما يُعقِبُ لكُم مِنَ النَّدامةِ ؛ لعلَّكُم تُفلِحُونَ غداً علىٰ بِساطِ الكرامةِ)[6] .

---

(١) في (ي) ونحوها في (ج) : (فقالوا . . . لانهدم) .

(٢) أورده أبو بكر الخوارزمي في « مفيد العلوم » (ص٤٤٩) ، وعزاه ابن تيمية في « الرد على المنطقيين » (ص٢٧٢) إلىٰ بطليموس .

(٣) من الاجتماع لله في الله ، والاشتغالِ بطاعة الله علىٰ موافقة أصحاب الصُّفَّة ، وتركِ الدنيا علىٰ أربابها وطُلّابها . من هامش (ح) ، وستأتي بعد قليل شروط ساكني الرُّبُط .

(٤) في نسخة علىٰ هامش (و) : (يصلح) بدل (يصحح) .

(٥) أي : عاد نزولُ البركة بعدَ الانصراف بالثبات والاستقامة ، وعدمِ الانصراف والفرار . من هامش (ح) .

(٦) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/ ٥٩٧) ، وفي هامش (ح) : (اصبروا على الدِّين وتكاليفه ، قال الجنيد : « الصبر : حَبْسُ النَّفْس على المكروه بنفي الجزع » . « مدارك » ، وصابروا ؛ أي : أعداءَ الله في الجهاد ؛ أي : غالبوهم في الصبر علىٰ شدائد الحرب ، ولا تكونوا أقلَّ صبراً منهم وثباتاً . « مدارك ») ، وفي هامشه أيضاً : (الفلاح : البقاء مع المحبوب بعدَ الخلاص عن المكروه . « مدارك ») .

وقيلَ : (اصبِرُوا علىٰ بلائي ، وصابِرُوا علىٰ نَعْمائي ، ورابِطُوا في دارِ أَعْدائي ، واتَّقُوا محبَّةَ مَنْ سِوَائي ؛ لعلَّكُم تُفلِحُونَ غداً بلِقَائي)[١] .

وهـٰذِهِ شرائطُ ساكنِ الرِّباطِ ؛ قَطعَ المُعاملةَ معَ الخَلْقِ ، وفَتحَ المُعاملةَ معَ الحقِّ ، وتَركَ الاكتسابَ اكتفاءً بكفالةِ مُسبِّبِ الأسبابِ ، وحَبسَ النَّفْسَ عنِ المُخالَطاتِ اجتنابَ التَّبِعاتِ ، وعَانَقَ ليلَهُ ونهارَهُ العبادةَ[٢] ، مُتعوِّضاً بها عن كلِّ مألوفٍ وعادةٍ[٣] ، شُغْلُهُ حِفْظُ الأوقاتِ ، ومُلازَمةُ الأَورادِ ، وانتظارُ الصَّلَواتِ ، واجتنابُ الغَفَلاتِ ؛ ليكونَ بذلكَ مُرابِطاً مُجاهِداً[٤] .

(٣٨) ـ حدَّثَنا شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا ابنُ نَبْهانَ محمَّدٌ الكاتبُ ، قالَ : أخبرَنا الحسنُ بنُ شاذانَ ، قالَ : أخبرَنا دَعْلَجٌ ، قالَ : أخبرَنا البَغَويُّ ، عن أبي عُبيدٍ القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، قالَ : حدَّثَنا صفوانُ ، عنِ الحارثِ ، عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِسْبَاغُ ٱلْوُضُوءِ فِي ٱلْمَكَارِهِ ، وَإِعْمَالُ ٱلْأَقْدَامِ إِلَى ٱلْمَسَاجِدِ ، وَٱنْتِظَارُ ٱلصَّلَاةِ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ . . يَغسِلُ ٱلْخَطَايَا غَسْلاً »[٥] .

---

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/٥٩٧) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٢٢) إلىٰ أبي بكر الواسطي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في (و) : (للعبادة) ، والعبارة في نسخة علىٰ هامش (أ) : (ومعانقة العبادة ليلاً ونهاراً) .

(٣) زاد في (ب ، هـ ، ح) : (فمَنْ فَعَلَ ذلك) .

(٤) قوله : (بذلك) ؛ أي : ما مرَّ من الشرائط .

(٥) الطهور (١٤) لأبي عبيد القاسم بن سلام، ورواه المؤلف في « مشيخته » (ص٤٨) ، =

وفي روايةٍ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو ٱللهُ بِهِ ٱلْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ ٱلدَّرَجَاتِ ؟ » ، قالوا : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « إِسْبَاغُ ٱلْوُضُوءِ فِي ٱلْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ ٱلْخُطَا إِلَى ٱلْمَسَاجِدِ ، وَٱنْتِظَارُ ٱلصَّلَاةِ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ ؛ فَذَٰلِكُمُ ٱلرِّبَاطُ ، فَذَٰلِكُمُ ٱلرِّبَاطُ ، فَذَٰلِكُمُ ٱلرِّبَاطُ »[1] .

* * *

= والحاكم (١/١٣٢) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤٨٨) ، والبزار في « المسند » (٥٢٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٤٨٤) .

(١) رواه مالك (١/١٦١) ، والنسائي (١/٨٩) ، وأحمد (٢/٣٠٣) ، وابن حبان (١٠٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الباب الرابع عشر

في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

وَصَفَ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قيلَ لهُم : ماذا كنتُم تصنعُونَ حتىٰ أَثْنى اللهُ تعالىٰ عليكُم بهٰذا الثناءِ ؟ قالوا : كُنَّا نُتْبِعُ الماءَ الحَجَرَ[١] .

وهٰذا وأشباهُهُ مِنَ الآدابِ وظيفةُ صُوفيَّةِ الرُّبُطِ[٢] ، يُلازِمُونَهُ ويتعاهدُونَهُ .

والرِّباطُ بيتُهُم ومنزلُهُم ، ولكلِّ قومٍ دارٌ ، والرِّباطُ دارُهُم ، وقد

---

(١) يعني : نستنجي بالحجر أوَّلاً ثم بالماء ، وهو سنَّة . من هامش (ح) ، والحديث رواه أحمد (٣/ ٤٢٢) ، وابن خزيمة (٨٣) عن سيدنا عُويم بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أتىٰ قُباءَ فقال لأهله : « إنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ قد أحسنَ عليكُمُ الثناءَ في الطهورِ في قصَّةِ مسجدِكُم ، فما هٰذا الطهورُ الذي تَطَهَّرونَ بهِ ؟ » ، قالوا : واللهِ يا رسول الله ؛ ما نعلمُ شيئاً ، إلا أنَّهُ كان لنا جيرانٌ من اليهود ، فكانوا يغسلون أدبارَهُم من الغائط ، فغَسَلْنا كما غسلوا ، وانظر « تفسير الطبري » (١٤/ ٤٨٤-٤٩٠) .

(٢) في (د) : (وظيفة الصوفية من أهل الرباط) .

شابهُوا أهلَ الصُّفَّةِ في ذلكَ ؛ على ما :

(٣٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ محمَّدٍ البزَّازُ ، قالَ : أخبرَنا عيسى بنُ عليٍّ الوزيرُ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ البَغَويُّ ، قالَ : حدَّثَنا وهبُ بنُ بَقِيَّةَ[١] ، قالَ : حدَّثَنا خالدُ بنُ عبدِ اللهِ ، عن داودَ بنِ أبي هندٍ ، عن أبي حربِ بنِ أبي الأسودِ ، عن طلحةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (كانَ الرجلُ إذا قَدِمَ المدينةَ وكانَ لهُ بها عَرِيفٌ . . ينزلُ على عَرِيفِهِ ، فإنْ لم يكنْ لهُ بها عَرِيفٌ نَزَلَ الصُّفَّةَ ، وكنتُ فيمَنْ نَزَلَ الصُّفَّةَ)[٢] .

فالقومُ في الرِّباطِ مُرابِطونَ ، مُتَّفِقونَ على قَصْدٍ واحدٍ ، وعَزْمٍ واحدٍ ، وأَحْوالٍ مُتناسِبةٍ ، ووُضِعَ الرِّباطُ لهـٰذا المعنىٰ ؛ أنْ يكونَ سُكَّانُهُ بوَصْفِ ما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، والمُقابلةُ باستواءِ السِّرِّ والعلانيَةِ ، ومَنْ أَضْمرَ لأخيهِ غِلّاً فليسَ بمُقابِلِهِ وإنْ كانَ وجهُهُ إليهِ .

فأهلُ الصُّفَّةِ هـٰكذا كانُوا ؛ لأنَّ مَثَارَ الغِلِّ والحِقْدِ وجودُ الدنيا ، وحُبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ[٣] .

---

(١) في (ب ، و ، ح) : (وهبان) بدل (وهب) ، ووهب بن بقية : هو أبو محمد بن بقية بن عثمان بن سابور الواسطي (ت٢٣٩هـ) ، و(وَهْبان) لقبٌ له ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣١/ ١١٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/ ٤٦٢) .

(٢) صفوة التصوف (٥٢٦) ، ورواه الحاكم (٣/ ١٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٤٤٥) .

(٣) كما رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠١٩) =

فأهلُ الصُّفَّةِ رَفَضُوا الدُّنيا ؛ فكانُوا لا يرجعُونَ إلىٰ ضَرْعٍ ولا إلىٰ زرعٍ ، فزالَتِ الأحقادُ والغِلُّ عن بواطنِهِم ، وهكذا أهلُ الرُّبُطِ ؛ مُتقابِلُونَ بظواهرِهِم وبواطنِهِم ، مُجتمِعُونَ علىٰ الأُلْفةِ والمَودَّةِ ، يجتمعُونَ للكلامِ[1] ، ويجتمعُونَ للطعامِ ، ويتعرَّفُونَ بركةَ الاجتماعِ .

رویٰ وَحْشِيُّ بنُ حَرْبٍ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ أنَّهُم قالوا[2] : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّا نأكلُ ولا نشبعُ ، قالَ : « لَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَىٰ طَعَامِكُمْ ، ٱجْتَمِعُوا وَٱذْكُرُوا ٱللهَ تَعَالَىٰ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ »[3] .

وروىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : ما أَكَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ خِوانٍ ، ولا في سُكُرُّجَةٍ ، ولا خُبِزَ لهُ مُرقَّقٌ ، فقيلَ : فعلىٰ أيِّ شيءٍ كانُوا يأكلُونَ ؟ قالَ : على السُّفَرِ[4] .

فالعُبَّادُ والزُّهَّادُ طلبُوا الانفرادَ ؛ لدخولِ الآفاتِ عليهِم بالاجتماعِ ، وكونِ نفوسِهِم تُفِيقُ للأَهْويةِ والخَوْضِ فيما لا يعني[5] ، فرَأَوُا السلامةَ في الوَحْدةِ .

= مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٤٤ـ٣٤٥).

(١) أي : للتعلُّم والتعليم والمناقرة ، والاستصلاح والتشاور . من هامش (ح) .

(٢) أي : أصحابُ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم .

(٣) رواه أبو داود (٣٧٦٤) ، وابن ماجه (٣٢٨٦) ، وأحمد (٣/ ٥٠١) ، وابن حبان (٥٢٢٤) ، وروىٰ معناه البخاري (٥٣٩٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم (٢٠٥٩) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٥٣٨٦) ، والخُوان : المائدة ، أو هو ما يُؤكل عليه من نحو كرسي علىٰ عادة المُترفِّهين ؛ لئلا يفتقروا إلى الانحناء حال أكلهم ، والسُّكُرُّجة : قِصَاعٌ صغار يُؤكل فيها ، منها الكبير والصغير ، والكبير يحمل ست أواق ، والمعنىٰ : أنَّ العجم كانت تستعمله وتضع فيه بعضَ الجوارش من الموادِّ التي تُستخدم للتشهِّي والهضم .

(٥) في نسخة علىٰ هامش (أ) : (تتوق) بدل (تُفيق) ، وتُفيق : تستيقظ ، وقوله : =

والصُّوفيّةُ لقُوَّةِ علمِهِم ، وصِحَّةِ حالِهِم.. نُزِعَ عنهُم ذلكَ ؛ فرَأَوُا الاجتماعَ في بيوتِ الجماعةِ على السَّجَّادةِ ، فسَجَّادةُ كلِّ واحدٍ زاويتُهُ ، وهَمُّ كلِّ واحدٍ مُهِمُّهُ ، ولعلَّ الواحدَ منهُم لا يتخطَّىٰ هِمَّةُ سَجَّادتَهُ .

ولهُم في اتِّخاذِ السَّجَّادةِ وجهٌ منَ السُّنَّةِ ؛ روىٰ أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : (كنتُ أجعلُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حَصيراً مِنَ اللِّيفِ يُصلِّي عليهِ مِنَ اللَّيلِ)[1] .

ورَوَتْ ميمونةُ زوجةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَتْ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تُبسَطُ لهُ الخُمْرةُ في المسجدِ حتىٰ يُصلِّيَ عليها)[2] .

والرِّباطُ يحتوي : علىٰ شُبَّانٍ ، وشيوخٍ ، وأصحابِ خِدْمةٍ ، وأربابِ خَلْوةٍ .

فالمشايخُ بالزَّوايا أَلْيَقُ ؛ نَظَراً إلىٰ ما تدعو إليهِ النَّفْسُ مِنَ النومِ والراحةِ ، والاستبدادِ بالحركاتِ والسَّكَناتِ ، فللنَّفْسِ شوقٌ إلى التفرُّدِ والاسترسالِ في وجوهِ الرِّفْقِ .

= (للأهوية) كذا في جميع النسخ ، والصواب : (للأهواء) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/٢٦٩) .

(١) رواه البخاري (٥٨٦١) عن أبي سلمة عن سيدتنا عائشة بلفظ : (إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يَحتجِرُ حصيراً بالليل فيُصلِّي عليه ، ويبسُطُهُ بالنهار فيجلسُ عليه. . .) الحديث ، ويَحتجِرُ حصيراً ؛ أي : يَتَّخذُهُ كالحُجْرة .

(٢) رواه بلفظه ابن راهويه في « مسنده » (٢٠١٠) ، وبنحوه البخاري (٣٧٩) ، ومسلم (٥١٣) ، والنسائي (١/١٤٧) ، وأحمد (٦/٣٣١) ، والخُمْرة : سجادة صغيرة من سَعَف النخل تُزمَّل بخيوط ، وسُمِّيتْ خُمْرةً ؛ لأنَّها تستر وجه المُصلِّي عن الأرض ؛ كتسمية الخمار لسترة الرأس .

والشابُّ يُضيَّقُ عليهِ مجالُ النَّفْسِ ؛ بالقعودِ في بيتِ الجماعةِ ، والانكشافِ لنَظَرِ الأغيارِ ؛ لتكثُرَ العيونُ عليهِ ، فيتقيَّدَ ويتأدَّبَ ، ولا يكونُ هـٰذا إلا إذا كانَ جمعُ الرِّباطِ في بيتِ الجماعةِ مُهتمِّينَ بحفظِ الأوقاتِ ، وضبطِ الأنفاسِ ، وحِراسةِ الحواسِّ ، كما كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لكلِّ امرئٍ منهُم يومَئذٍ شأنٌ يُغنِيهِ ؛ كانَ عندَهُم مِنْ هَمِّ الآخرةِ ما يشغلُهُم عنِ اشتغالِ البعضِ بالبعضِ .

وهكذا ينبغي لأهلِ الصِّدْقِ والصُّوفيَّةِ ؛ أنْ يكونَ اجتماعُهُم غيرَ مُضِرٍّ بوقتِهِم .

فإذا تخَلَّلَ أوقاتَ الشُّبَّانِ اللَّغْوُ واللَّغَطُ[1] . . فالأَوْلىٰ : أنْ يلزمَ الشابُّ الطالبُ الوَحْدَةَ والعُزْلَةَ ، ويُؤثِرَ الشيخُ الشابَّ بزاويتِهِ ومَوضِعِ خَلْوتِهِ ؛ ليَحبِسَ الشابُّ نَفْسَهُ عن دَواعي الهوىٰ والخَوْضِ فيما لا يَعْني ، ويكونَ الشيخُ في بيتِ الجماعةِ ؛ لقُوَّةِ حالِهِ ، وصَبْرِهِ علىٰ مُداراةِ الناسِ ، وتخلُّصِهِ مِنْ تَبِعاتِ المُخالَطةِ ، وحضورِ وَقارِهِ بينَ الجَمْعِ ، فينضبطُ بهِ الغيرُ ، ولا يتكدَّرُ هوَ .

وأمَّا الخِدْمةُ : فشأنُ مَنْ دَخَلَ الرِّباطَ مُبتدِئاً ، ولم يَذُقْ طَعْمَ المُعاملةِ ، ولا تنبَّهَ لنفائسِ الأحوالِ ، فيُؤمَرُ بالخِدْمة ؛ لتكونَ عبادتُهُ خِدْمتَهُ ، ويَجذِبَ بحُسْنِ الخِدْمةِ قلوبَ أهلِ اللهِ إليهِ ، فتشملَهُ بركةُ ذلكَ ، ويُعِينَ الإخوانَ المُشتغِلِينَ بالعبادةِ .

---

(١) في (ي) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (والغلط) بدل (واللغط) ، وزاد في (ز) : (والغلط) .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْحَوَائِجَ ، فَيَقْضِي بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ٱلْحَوَائِجَ ، يَقْضِي ٱللهُ لَهُمْ حَاجَاتِهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » .

فيُحفَظُ بالخِدْمةِ عنِ البَطَالةِ التي تُميتُ القلبَ .

والخِدْمةُ عندَ القومِ مِنْ جملةِ العَمَلِ الصالحِ ، وهيَ طريقٌ مِنْ طُرُقِ المواجيدِ ، تُكسِبُهُمُ الأوصافَ الجميلةَ ، والأحوالَ الحَسَنَةَ ، ولا يَرَونَ استخدامَ مَنْ ليسَ مِنْ جنسِهِم ، ولا مُتطلِّعاً إلى الاهتداءِ بهَدْيِهِم .

(٤٠) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ ، قالَ : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ[(١)] ، قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عُبيدٍ[(٢)] ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، عن شَرِيكٍ ، عن أبي هلالٍ الطائيِّ ، عن وثيقٍ الرُّوميِّ قالَ : كنتُ مملوكاً لعمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فكانَ يقولُ لي : أَسْلِمْ ؛ فإنَّكَ إنْ أسلمتَ استعنتُ بكَ علىٰ أمانةِ المسلمينَ ؛ فإنَّهُ لا ينبغي أنْ أستعينَ علىٰ أمانتِهِم بمَنْ ليسَ منهُم ، قالَ : فأَبَيتُ ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : لا إكراهَ في الدِّينِ ، فلمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ أَعْتَقَني ؛ فقالَ : اذهبْ حيثُ شئتَ[(٣)] .

---

(١) هو الإمام الطبراني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) هو القاسم بن سلَّام رحمه الله تعالىٰ .

(٣) حلية الأولياء (٣٤/٩) ، الأموال (٩٠) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، الناسخ والمنسوخ (٥١٧) له أيضاً ، ورواه سعيد بن منصور في « سننه » (٤٣١) قسم (التفسير) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (١٥٨/٦) ، وقوله : (وثيق =

فالقومُ يكرهُونَ خِدْمةَ الأغيارِ ، ويَأْبونَ مُخالطتَهُم أيضاً ؛ فإنَّ مَنْ لا يُحِبُّ طريقَهُم ربَّما استضرَّ بالنظرِ إليهِم أكثرَ ممَّا ينتفعُ ؛ فإنَّهُم بَشَرٌ ، وتبدو منهُم أمورٌ بمُقتضىٰ طَبْعِ البَشَرِ ، ويُنكِرُها الغَيرُ لقِلَّةِ عِلْمِهِ بمقاصدِهِم ، فيكونُ إباؤُهُم لموضعِ الشَّفقَةِ على الخَلْقِ ، لا مِنْ طريقِ التعزُّزِ والترفُّعِ علىٰ أحدٍ مِنَ المسلمينَ .

والشابُّ الطالبُ إذا خَدَمَ أهلَ اللهِ والمشغولينَ بطاعتِهِ . . يُشارِكُهُم في الثوابِ ، وحيثُ لم يُؤهَّلْ لأحوالِهِمُ السَّنِيَّةِ . . يَخدُمُ مَنْ أُهِّلَ لها ، فخِدْمتُهُ لأهلِ القُرْبِ علامةُ حُبِّ اللهِ تعالىٰ .

(٤١) ـ أخبرَنا الثقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ ابنُ سلمانَ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ خلَّادٍ ، قالَ : حدَّثَنا الحارثُ بنُ أبي أسامةَ ، قالَ : حدَّثَنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، قالَ : حدَّثَنا أبو إسحاقَ ، عن حُميدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لمَّا انصرفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ تبوكَ . . قالَ حينَ دنا مِنَ المدينةِ : « إِنَّ بِٱلْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ ، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً . . إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ » ، قالوا : وهم في المدينةِ ؟ قالَ : « نَعَمْ ، حَبَسَهُمُ ٱلْعُذْرُ »[2] .

= الرومي) كذا في جميع النسخ ، وفي « الطبقات الكبرىٰ » : (أسق) ، وفي « الناسخ والمنسوخ » : (وشق) ، وفي باقي المصادر : (وسق) .

(١) هو الإمام الجليل مسند العراق محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان البغدادي الحاجب ، ابن البَطِّيّ (ت ٥٦٤هـ) ، وانظر ما تقدم في (١/ ٣٢) .

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٢٦٤) ، بغية الباحث (٦٦٣) ، وهو في « البخاري » (٢٨٣٩) ، =

فالقائمُ بخِدْمةِ القومِ تَعَوَّقَ عن بلوغِ دَرَجتِهِم بعُذْرِ القُصُورِ وعَدَمِ الأهليَّةِ ، فحامَ حولَ الحِمىٰ باذلاً مجهودَهُ في الخدمةِ ، يتعلَّلُ بالأثَرِ[1] ، حيثُ مُنِعَ النَّظَرَ ، فجزاهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ ذلكَ أحسنَ الجزاءِ ، وأنالَهُ مِنْ جَزيلِ العطاءِ .

وهكذا كانَ أهلُ الصُّفَّةِ ؛ يتعاونُونَ على البِرِّ والتقوىٰ ، ويجتمعُونَ على المصالحِ الدِّينيَّةِ ، ومُواساةِ الإِخْوان بالمالِ والبدنِ، واللهُ المُوفِّقُ والمُعِينُ[2] .

❁ ❁ ❁

= ورواه مسلم (١٩١١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(١) يتعلَّل : يتلهَّىٰ ويتجزَّأ .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ قراءةً على الحافظ ، كاتبه عبد السلام) ، وفيه : (بلغ لهم في الثاني عشر على الشيخ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الخامس عشر
في خصائص أهل الرُّبُط والصوفية
فيما يتعاهدونه ويختصون به

اعلَمْ : أنَّ تأسيسَ هٰذهِ الرُّبُطِ مِنْ زينةِ هٰذهِ المِلَّةِ الهاديةِ المَهْدِيَّةِ[1] ، ولسُكَّانِ الرُّبُطِ أحوالٌ تميَّزُوا بها عن غيرِهم مِنَ الطوائفِ ، وهم علىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِم ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وما يُرىٰ مِنَ التقصيرِ في حقِّ البعضِ مِنْ أهلِ زمانِنا ، والتخلُّفِ عن طريقِ سَلَفِهِم . . لا يقدحُ في أصلِ أمرِهم وصِحَّةِ طريقِهِم ، وهٰذا القَدْرُ الباقي مِنَ الأَثَرِ ، واجتماعِ المُتصوِّفةِ في الرُّبُطِ ، وما هيَّأَهُ اللهُ تعالىٰ لهُم مِنَ الرِّفْقِ . . بركةُ جَمْعِيَّةِ بواطنِ المشايخِ الماضينَ ، وأَثَرٌ مِنْ آثارِ مِنَحِ الحَقِّ في حقِّهِم[2] .

وصورةُ الاجتماعِ في الرُّبُطِ الآنَ علىٰ طاعةِ اللهِ والتَّرسُّمِ بظاهرِ الآدابِ . .

---

(١) لأنَّها إذا تأسَّستْ واجتمعتْ فيها جماعةٌ من المسلمين بالتقوىٰ والزهد في الدنيا . . تأيَّد الدِّينُ ، وتزيَّنتْ مِلَّةُ الإسلام بمزيد اهتمامِهِم برعايتهم الفرائضَ والسننَ والمُستحبَّاتِ والآدابَ في جميع الأبواب . من هامش (ح) .

(٢) إذ كلُّ مَنْ يتشبَّه بهم بنوعٍ ما . . يحصلُ له الإكرام والإنعام ، ويصلُ إلىٰ أرواحهم أنوارُ الأدعية لهم ، وآثار الميراث لأجلهم . من هامش (ح) .

عَكْسُ نُورِ الجَمْعيَّةِ مِنْ بواطنِ الماضينَ ، وسلوكُ الخَلَفِ في نِياحِ السَّلَفِ[1] ، فهم في الرُّبُطِ كجسدٍ واحدٍ بقلوبٍ مُتَّفِقةٍ وعزائمَ مُتَّحِدةٍ ، ولا يوجدُ هٰذا في غيرِهِم مِنَ الطوائفِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ في وَصْفِ المؤمنينَ : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ، وبعكسِ ذلكَ وَصَفَ الأعداءَ فقالَ : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ١٤] .

روى النُّعمانُ بنُ بَشيرٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ إِذَا ٱشْتَكَىٰ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ ٱشْتَكَىٰ جَسَدُهُ أَجْمَعُ ، وَإِذَا ٱشْتَكَىٰ مُؤْمِنٌ ٱشْتَكَى ٱلْمُؤْمِنُونَ »[2] .

فالصُّوفيَّةُ مِنْ وظيفتِهِمُ اللَّازمةِ : حِفْظُ اجتماعِ البواطنِ ، وإزالةُ التَّفرقةِ بإزالةِ شَعَثِ البواطنِ[3] ؛ لأنَّهُم بنسبةِ الأرواحِ اجتمعُوا ، وبرابطةِ التأليفِ الإلـٰهيِّ اتَّفقُوا ، وبمُشابهةِ القلوبِ تواطؤُوا ، ولتهذيبِ النفوسِ وتصفيةِ القلوبِ في الرِّباطِ رابطُوا ، فلا بُدَّ لهُم مِنَ التآلُفِ والتودُّدِ والنُّصْحِ .

روىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ :

---

(١) قوله : (في نياح السلف) النِّياح : من لغةِ أهل بغداد ، ومن اصطلاح الملَّاحين ؛ وهو إتيان السفينة الصغيرة خلفَ الكبيرة مرتبطةً بها . من هامش (ح) ، ومثله في هامش (ج) ، وفي هامش (أ) : (النِّياح : المقابلة ، قيل : السفينة في نِياح السفينة) ، وفي (ب) : (نتاج) بدل (نياح) ، وفي (د) : (منهاج) .

(٢) رواه بلفظه البيهقي في « الشعب » (١٠٦٢٩) ، وبنحوه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) ، ولفظه فيه : « مَثَلُ المؤمنينَ في تَوادِّهِم وتراحمِهِم وتعاطفِهِم . . مَثَلُ الجسدِ ، إذا اشتكىٰ منهُ عُضْوٌ تداعىٰ لهُ سائرُ الجسدِ بالسَّهَرِ والحُمَّىٰ » ، وسيأتي مسنداً في (٢/ ٩٤ـ٩٥) .

(٣) الشَّعَثُ : الوسخ ، أو الانتشار والتفرُّق ، وفي الدعاء : (لَمَّ اللهُ شَعَثَكُم) ؛ أي : جَمَعَ ما تفرَّقَ من أمركم .

« ٱلْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ »[١] .

(٤٢) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ الحافظِ أبي الفضلِ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ الفضلُ بنُ أبي حربٍ ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ الحسنِ الحِيريُّ[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو سهلٍ ابنُ زيادٍ القطَّانُ ، قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ مُكْرَمٍ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ الواسِطيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عمرٍو ، عن أبي سلمةَ ، عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَفَ »[٤] .

فهم باجتماعِهِم تجتمعُ بواطنُهُم ، وتتقيَّدُ نفوسُهُم ؛ لأنَّ بعضَهُم عينٌ على البعضِ ؛ على ما وردَ : « ٱلْمُؤْمِنُ مِرْآةُ ٱلْمُؤْمِنِ »[٥] .

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٠٠) ، والحاكم (١/ ٢٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٣٦) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٨٧) .

(٢) في (أ ، هـ ، ز ، ح) : (الحسين) بدل (الحسن) ، والصواب المثبت من باقي النسخ ، والحِيريُّ : هو الإمام الثقة مسند خراسان قاضي القضاة أبو بكر الحَرَشي الحِيري النيسابوري الشافعي (ت٤٢١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٣٥٨) .

(٣) في (أ ، ج ، هـ ، و ، ز) : (الحسين) بدل (الحسن) ، والصواب المثبت من باقي النسخ ، والحسن بن مُكْرَم : هو الإمام الثقة أبو علي البغدادي البزَّاز (ت٢٧٤هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ١٩٢ـ ١٩٣) .

(٤) صفوة التصوف (٩١٢) ، ورواه مسلم (٢٦٣٨) ، وهو في « البخاري » (٣٣٣٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٨٧ـ١٨٨) ، وجنودٌ مُجنَّدة ؛ أي : جموعٌ مُجمَّعة وأنواعٌ مختلفة .

(٥) رواه أبو داود (٤٩١٨) ، والترمذي (١٩٢٩) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٨٨) .

فأيَّ وقتٍ ظَهرَ مِنْ أحدِهِم أثرُ التفرقةِ . . ناقرُوهُ[1] ؛ لأنَّ التفرقةَ تظهرُ بظهورِ النفوسِ ، وظهورُ النفوسِ مِنْ تضييعِ حقِّ الوقتِ .

فأيَّ وقتٍ ظَهرَتْ نفسُ الفقيرِ . . عَلِمُوا منهُ خروجَهُ مِنْ دائرةِ الجَمْعيَّةِ ، وحكمُوا عليهِ بتضييعِ حُكْمِ الوقتِ ، وإهمالِ السِّياسةِ وحُسْنِ الرِّعايةِ ، فيُقادُ بالمُناقرةِ إلىٰ دائرةِ الجَمْعيَّةِ .

(٤٣) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ العالِمُ عصامُ الدِّينِ أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ الصَّفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ[2] : سمعتُ رُوَيماً رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لا تزالُ الصُّوفيَّةُ بخيرٍ ما تناقرُوا ، فإذا اصطلحُوا هَلَكُوا)[3] .

---

(١) ناقروه : خاصموه ونازعوه ، وفي هامش (ح) : (المناقرة بين الإخوان : هي تفقُّدُ بعضِهِم أحوالَ البعض ؛ لئلَّا يقعوا في إهمال دقائق الأدب) ، وفي هامش (و) : (الظاهر : « نافروه » ؛ أي : حاكموه ، وهو المراد باصطلاحهم) ، وجميع المعاني مناسبة هنا ، إلا أنَّ الأقرب ما في هامش (ح) ، كما سيأتي بعد قليل .

(٢) محمد بن عبد الله : هو أبو بكر ابن شاذان الرازي الصوفي (ت ٣٧٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٣٦٤) .

(٣) طبقات الصوفية (ص١٨١) ، وفيه : (تنافروا) بدل (تناقروا) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص٥٨٩) ، وفي هامش (ح) تعليقاً علىٰ قول رُويم : (فإنَّهم إذا كانوا بصَدَدِ المُناقرة ، وتفتيشِ الأحوال ، والبحثِ عن الجِدِّ والإهمال . . ينضبطُ الأصاغرُ بالسمع والطاعة ، والأكابرُ باستعمال ما يقولون وينهون عليه ؛ حذراً عن وعيدِ ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] ؛ فهم في خير وترَقٍّ ما داموا علىٰ هـٰذا الوصف) .

وهـٰذا إشارةٌ من رُوَيم رحمةُ اللهِ عليهِ : إلىٰ حُسْنِ تفقُّدِ بعضِهم أحوالَ البعضِ إشفاقاً مِنْ ظهورِ النفوسِ ؛ يقولُ : إذا اصطلحُوا ورفعُوا المُناقرةَ مِنْ بينِهِم . . يُخافُ أنْ تُخامِرَ البواطنَ المُساهلةُ والمُراءاةُ ، ومُسامحةُ البعضِ للبعضِ في إهمالِ دقيقِ آدابِهِم ، وبذلكَ تظهرُ النفوسُ وتستولي ، وقد كانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (رَحِمَ اللهُ امرأً أَهْدىٰ إليَّ عُيُوبي)[1] .

(٤٤) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ العزيزِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ ابنُ أبي شُرَيحٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ البَغَويُّ ، قالَ : حدَّثَنا مصعبُ بنُ عبدِ اللهِ الزُّبيريُّ ، قالَ : حدَّثَني إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن صالحٍ[2] ، عنِ ابنِ شهابٍ : أنَّ محمَّدَ بنَ النُّعمانِ أخبرَ بأنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضوانُ اللهِ عليهِ

---

(١) رواه الإسماعيلي والذهبي في « مناقب عمر » ، كما في « إتحاف السادة المتقين » (٧/ ٣٤٩) ، ورواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٢٩٣) بلفظ : (أحبُّ الناس إليَّ مَنْ رَفَعَ إليَّ عيوبي) ، وفي هامش (ح) تعليقاً علىٰ قول سيدنا عمر رضي الله عنه : (هـٰذا علامةُ الصِّدق والصَّلابة في الدِّين ؛ فإنَّ الصادقَ يريدُ دائماً أن يترقَّىٰ في المراتب ، ويعلمُ يقيناً مع وجود الرذائلِ لا تحصلُ الفضائل ، فلا يترقَّىٰ ، فيمتنُّ بالتنبيه علىٰ عيبه ورذيلتِهِ ، ويدعو لمَنْ نبَّهه وأَعْلَمَهُ بذلك .
ونُقِلَ أنَّ الشيخَ أبا يزيدَ أراد سفراً ، فاستدعىٰ واحداً من أصحابه المرافقةَ ولم يُعيِّن ، فقام واحدٌ منهم وقال : أنا أُرافِقُ ، فقال الشيخ : أَيْشٍ تعملُ في مُرافقتي ؟ فقال : أضبطُ الإبريقَ لوضوء الشيخ ، قال : لا ، أنا أضبطُ بنفسي ، وقام آخرُ ، فسأله ، فعيَّن خدمةً أخرىٰ ، فقال الشيخ : لا ، وهـٰكذا إلىٰ أنْ قام الأعرفُ منهم بحال الشيخ ، فسأله ، فقال : إذا خرج الشيخُ عنِ الطريق ونَسِيَ . . أُذكِّرُهُ وأُنبِّهُهُ ، فقال الشيخ : أنتَ صاحبي في السفر ، واسترفقه) .

(٢) هو ابن كَيْسانَ المدني رحمه الله تعالىٰ .

قالَ في مجلسٍ فيهِ المُهاجِرُونَ والأنصارُ : أرأيتُم لو ترخَّصْتُ في بعضِ الأمورِ ماذا كنتُم فاعلينَ ؟ قالَ : فسَكَتْنا ، قالَ : فقالَ ذلكَ مرَّتَينِ أو ثلاثاً ؛ أرأيتُم لو ترخَّصتُ في بعضِ الأمورِ ماذا كنتُم فاعلينَ ؟ قالَ بَشيرُ بنُ سعدٍ[1] : لو فعلتَ ذلكَ قوَّمْناكَ تقويمَ القِدْحِ ، فقالَ عمرُ : أنتُم إذاً أنتُم[2] .

وإذا ظهرتْ نَفْسُ الصُّوفيِّ بغضبٍ وخصومةٍ معَ بعضِ الإخوانِ . . فشَرْطُ أخيهِ : أنْ يُقابِلَ نَفْسَهُ بالقلبِ ؛ فإنَّ النَّفْسَ إذا قُوبِلَتْ بالقلبِ انحسمتْ مادَّةُ الشَّرِّ ، وإذا قُوبِلَتِ النَّفْسُ بالنَّفْسِ ثارتِ الفِتْنةُ ، وذهبتِ العِصْمةُ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤-٣٥] .

ثمَّ الشيخُ أوِ الخادمُ إذا شكا إليهِ فقيرٌ مِنْ أخيهِ . . فلهُ أنْ يُعاتِبَ أيَّهُما شاءَ ؛ فيقولَ للمُتعدِّي : لِمَ تعدَّيتَ ؟ وللمُعتدىٰ عليهِ : ما الذي أذنبتَ حتىٰ تُعُدِّيَ عليكَ وسُلِّطَ عليكَ ؟ وهلَّا قابلتَ نَفْسَهُ بالقلبِ رِفْقاً بأخيكَ ، وإعطاءً للفُتُوَّةِ والصُّحْبةِ حقَّها .

---

(١) هو والد النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٢) صفوة التصوف (٤٦٨) ، ورواه البخاري في « التاريخ الكبير » (١٨٢٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٢٩٢) ، عن محمد بن النعمان عن أبيه النعمان بن بشير ، والمثبت رواية ابن أبي شريح كما نصَّ عليه ابن عساكر ، والقِدْح : اسمُ السهم قبل أن يُراش ويُركَّبَ نصلُهُ ، وقولُهُ : (أنتم إذاً أنتم) في هامش (ح) : (أي : أنتم الأصحابُ المُعتمَدُ عليهم والموثوقُ بهم في المحبّة والموافقةِ والمؤالفة ، إذا أعنتُم على التقوىٰ والأخذِ بالأحوط والأَوْلىٰ . . فأنتم الأخِلَّاء في الدنيا والعُقْبىٰ ؛ قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧]) .

فكلٌّ منهُما جانٍ ، وخارجٌ عن دائرةِ الجَمْعيَّةِ ، فيُرَدُّ إلى الدائرةِ بالنِّقَارِ[1] ، فيعودُ إلى الاستغفارِ[2] ، ولا يسلُكُ طريقَ الإِصْرارِ .

رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانَ يقولُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا ٱسْتَبْشَرُوا ، وَإِذَا أَسَاؤُوا ٱسْتَغْفَرُوا »[3] .

فيكونُ الاستغفارُ ظاهراً معَ الإِخْوانِ ، وباطناً معَ اللهِ تعالىٰ ، ويَرَوْنَ اللهَ في استغفارِهِم ؛ فلهـٰذا المعنىٰ يَقِفُونَ في صَفِّ النِّعالِ علىٰ أقدامِهِم تواضعاً وانكساراً .

وسمعتُ شيخَنا أبا النَّجيبِ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ للفقيرِ إذا جرىٰ بينَهُ وبينَ بعضِ إخوانِهِ وَحْشةٌ : قُمْ واستغفِرْ ، فيقولُ الفقيرُ : ما أرىٰ باطني صافياً ، ولا أُوثِرُ القيامَ للاستغفارِ ظاهراً مِنْ غيرِ صفاءِ الباطنِ ، فيقولُ : أنتَ قُمْ ؛ فببركةِ سَعْيِكَ وقيامِكَ تُرزَقُ الصفاءَ ، فكانَ يَجِدُ ذلكَ ، ويُرىٰ أثَرُهُ عندَ الفقيرِ ، وتَرِقُّ القلوبُ ، وترتفعُ الوَحْشةُ .

وهـٰذا مِنْ خاصِّيَّةِ هـٰذهِ الطائفةِ ، لا يَبِيتُونَ والبواطنُ مُنطوِيةٌ علىٰ وَحْشةٍ ، ولا يجتمعُونَ للطعامِ والبواطنُ تُضمِرُ وَحْشةً ، ولا يَرَوْنَ الاجتماعَ ظاهراً في شيءٍ مِنْ أمورِهِم إلَّا بعدَ الاجتماعِ بالبواطنِ ، وذهابِ التفرقةِ والشَّعَثِ .

---

(١) أي : بالمُناقرة التي سبق شرحها قريباً .

(٢) أي : طلب الغفران والعفو من الإخوان .

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٢٠) ، والطبراني في « الدعاء » (١٤٠١) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٥٩٦) .

وإذا قامَ الفقيرُ للاستغفارِ لا يجوزُ ردُّ استغفارِهِ بحالٍ ؛ روىٰ عبدُ اللهِ بنُ [عَمْرٍو] رضيَ اللهُ عنهُما[1] ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱرْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَٱغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ »[2] .

وللصُّوفيَّةِ في تقبيلِ يدِ الشيخِ بعدَ الاستغفارِ . . أصلٌ مِنَ السُّنَّةِ ؛ وهوَ ما روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : كنتُ في سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فحاصَ الناسُ حَيْصَةً ، فكنتُ فيمَنْ حاصَ ، فقُلْنا : كيفَ نصنعُ وقد فَرَرْنا مِنَ الزَّحْفِ وبُؤْنا بالغَضَبِ ، ثمَّ قُلْنا : لو دَخَلْنا المدينةَ فبِتْنا فيها ، ثمَّ قُلْنا : لو عَرَضْنا أنفسَنا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإنْ كانَ لنا توبةٌ ، وإلَّا ذَهَبْنا .

فأَتَيْناهُ قبلَ صلاةِ الغَداةِ[3] ، فخرجَ فقالَ : « مَنِ ٱلْقَوْمُ ؟ » ، فقُلْنا : نحنُ الفَرَّارُونَ ، قالَ : « لَا ، بَلْ أَنْتُمُ ٱلْعَكَّارُونَ ، أَنَا فِئَتُكُمْ ، أَنَا فِئَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ » ـ يُقالُ : عَكَرَ الرجلُ : إذا تولَّىٰ ثمَّ كرَّ راجعاً ، والعَكَّارُ : العَطَّافُ والرَّجَّاعُ ـ قالَ : فأَتَيْناهُ حتىٰ قبَّلْنا يدَهُ[4] .

ورُوِيَ أنَّ أبا عُبيدةَ بنَ الجَرَّاحِ قَبَّلَ يدَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما عندَ قدومِهِ[5] .

---

(1) في النسخ : (عمر) ، والتصويب من المصادر الآتية .

(2) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٨٠) ، وأحمد (٢/ ١٦٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٨٤٤) .

(3) أي : الفجر .

(4) رواه أبو داود (٢٦٤٧) ، والترمذي (١٧١٦) ، وأحمد (٢/ ٧٠) ، وحاصت الناسُ حَيْصةً ؛ أي : جالوا جولةً يطلبون الفِرَار ، وفي هامش (ح) : (يُقال في الأولياء : حاصُوا ، وفي الأعداء : انهزموا) ، وانظر « تاج العروس » (١٧/ ٥٤٠) .

(5) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٧٣٢) .

ورُوِيَ عن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ أنَّهُ قالَ[1] : أَتَيْنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنزلتُ إليهِ فقبَّلتُ يدَهُ[2] .

فهٰذا رُخصةٌ في جوازِ تقبيلِ اليدِ ، ولٰكنَّ أدبَ الصُّوفيِّ : أنَّهُ متىٰ رأىٰ نفسَهُ تتعزَّزُ بذلكَ ، أو تظهرُ بوصفِها . . أنْ يمتنعَ مِنْ ذلكَ ، فإنْ سَلِمَ مِنْ ذلكَ فلا بأسَ بتقبيلِ اليدِ .

ومعانقتُهُم للإخوانِ عَقِيبَ الاستغفارِ لرجوعِهِم إلى الأُلْفةِ بعدَ الوَحْشةِ ، وقدومِهِم مِنْ سَفْرةِ الهَجْرةِ بالتَّفْرقةِ إلىٰ أوطانِ الجَمْعِيَّةِ[3] ، فبظهورِ النفسِ تغرَّبُوا وبَعُدُوا ، وبغيبةِ النَّفْسِ والاستغفارِ قَدِمُوا ورَجَعُوا .

ومَنِ استغفرَ واعتذرَ إلىٰ أخيهِ ولم يقبَلْهُ . . فقد أَخْطأَ ؛ فقد وَرَدَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في ذلكَ وعيدٌ ؛ رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنِ ٱعْتَذَرَ إِلَىٰ أَخِيهِ مَعْذِرَةً فَلَمْ يَقْبَلْهَا . . كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ ٱلْمُكُوسِ »[4] .

---

(١) كذا في جميع النسخ : (عن أبي مرثد الغنوي) ، ولعلَّ الصواب : (عن مزيدة العبدي) ، كما نبَّه عليه الغماري في « غنية العارف » (١/ ١٩٣) .

(٢) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٨٥٠) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٦٩٠) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٣٤٥) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦٣١٩) .

(٣) في بعض النسخ : (من سفر) بدل (من سفرة) ، وفي بعضها : (من سفر الهجر) ، ويجوز ضبط الهاء في (الهجرة) بالكسر والفتح .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٦٤٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٨٥) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وابن ماجه (٣٧١٨) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٧٠٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢/ ٢٧٥ـ٢٧٦) عن سيدنا جودان العَبْدي رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ١٩٣) ، =

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ أيضاً عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ تُنُصِّلَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَقْبَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ ٱلْحَوْضَ »[1] .

ومِنَ السُّنَّةِ : أنْ يُقدِّمَ للإخوانِ شيئاً بعدَ الاستغفارِ ؛ رُوِيَ أنَّ كعبَ بنَ مالكٍ قالَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ مِنْ توبتي أنْ أنخلعَ مِنْ مالي كُلِّهِ ، وأَهجُرَ دارَ قومي التي فيها أتيتُ الذَّنبَ ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يُجْزِئُكَ مِنْ ذَلِكَ ٱلثُّلُثُ »[2] .

فصارتْ سُنَّةُ الصُّوفيَّةِ المُطالبةَ بالغرامةِ بعدَ الاستغفارِ والمُناقرةِ ، وكلُّ قَصْدِهِم رعايةُ التآلُفِ ؛ حتىٰ تكونَ بواطنُهُم على الاجتماعِ ، كما أنَّ ظواهرَهُم على الاجتماعِ ، وهـٰذا أمرٌ تفرَّدُوا بهِ مِنْ بينِ طوائفِ الإسلامِ .

ثمَّ شرطُ الفقيرِ الصادقِ إذا سَكَنَ الرِّباطَ ، وأرادَ أنْ يأكلَ مِنْ وَقْفِهِ أو ممَّا يُطلَبُ لسُكَّانِهِ بالدَّرْيوزَةِ[3] . . أنْ يكونَ عندَهُ مِنَ الشُّغْلِ باللهِ ما لا يَسَعُهُ الكَسْبُ .

وإلَّا إذا كانَ للبَطَالةِ والخوضِ فيما لا يَعْني عندَهُ مَجالٌ ، ولا يقومُ بشروطِ أهلِ الإرادةِ مِنَ الجِدِّ والاجتهادِ . . فلا ينبغي لهُ أنْ يأكلَ مِنْ مالِ الرِّباطِ ، بل يكتسبُ ويأكلُ مِنْ كسبِهِ ؛ لأنَّ طعامَ الرِّباطِ لأقوامٍ كَمَلَ شُغْلُهُم

= وصاحبُ المُكُوس : هو الذي يأخذ العشر من الناس ، ويغلب عليه الظلم وعدم العمل بالعلم ، أو المراد : الذي يأخذ أموال الناس ظلماً .

(١) رواه الحاكم (٤/ ١٥٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٠٢٩) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧٠٣١) إلىٰ أبي الشيخ عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، والتنصُّل : الاعتذار .

(٢) رواه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) ، وأبو داود (٣٣١٩) ، ويُروىٰ أنَّ قائلَ ذلك هو سيدنا أبو لبابة رضي الله عنه . انظر « غنية العارف » (١/ ١٩٤ـ١٩٥) .

(٣) سبق شرح هـٰذه الكلمة في (١/ ٣٢٦) .

باللهِ ، فخَدَمَتْهُمُ الدنيا لشُغْلِهم بخدمةِ مَوْلاهُم .

إلا أنْ يكونَ تحتَ سياسةِ شيخٍ عالمٍ بالطريقِ ، ينتفعُ بصُحْبتِهِ ، ويَهْتدي بهَدْيِهِ ؛ فيرى ذلكَ الشيخُ أنْ يُطعِمَهُ مِنْ مالِ الرِّباطِ ، فلا يكونُ تصرُّفُ الشيخِ إلا بصِحَّةٍ بصيرةٍ[1] ، ومِنْ جملةِ ما يكونُ للشيخِ في ذلكَ مِنَ النيَّةِ : أنْ يَشغلَهُ بخدمةِ الفقراءِ ، فيكونَ ما يأكلُهُ في مقابلةِ خدمتِهِ .

رُوِيَ عن أبي عمرٍو الزُّجَاجيِّ قالَ[2] : أقمتُ عندَ الجُنيدِ رحمَهُ اللهُ مُدَّةً ، فما رآني قطُّ إلَّا وأنا مُشتغِلٌ بنوعٍ مِنَ العبادةِ ، فما كلَّمَني ، حتىٰ كانَ يومٌ مِنَ الأيَّامِ خلا المَوضِعُ مِنَ الجماعةِ ، فقمتُ ونزعتُ ثيابي ، وكنستُ المَوضِعَ ونظَّفْتُهُ ، ورَشَشْتُهُ وفَرَشْتُهُ ، وغسلتُ مَوضِعَ الطهارةِ ، فرجعَ الشيخُ ورأىٰ عليَّ أثَرَ الغبارِ ، فدعا لي ورَحَّبَ بي ، وقالَ : أحسنتَ ، عليكَ بها ، ثلاثَ مرَّاتٍ .

ولا تزالُ مشايخُ الصُّوفيَّةِ يَندُبُونَ الشُّبَّانَ إلى الخدمةِ ؛ حِفْظاً لهُم عنِ البَطَالةِ ، وكلُّ واحدٍ يكونُ لهُ حظٌّ مِنَ المُعاملةِ ، وحظٌّ مِنَ الخدمةِ .

روىٰ أبو مَحْذُورةَ قالَ : جَعَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لنا الأذانَ ، والسِّقايةَ لبني هاشمٍ ، والحِجابةَ لبني عبدِ الدارِ[3] .

وبهـٰذا يقتدي مشايخُ الصُّوفيَّةِ في تفريقِ الخَدَمِ على الفقراءِ .

---

(١) في بعض النسخ : (وبصيرة) .

(٢) قوله : (الزُّجاجي) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (١/ ٢٠٢) : (بضم الزاي وتخفيف الجيم ، ويُقال : بفتح الزاي وتشديد الجيم ؛ نسبة إلىٰ عمل الزجاج وبيعه) .

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٠١) ، والحاكم (٣/ ٥١٤ـ٥١٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٢٠٨) .

ولا يُعذَرُ في تركِ نوعٍ مِنَ الخدمةِ إلَّا كاملُ الشُّغْلِ بوقتِهِ ، ولا نعني بكمالِ الشُّغْلِ : شُغْلَ الجوارحِ ، ولـٰكنْ نعني بهِ : دوامَ الرِّعايةِ والمُحاسبةِ ، والشُّغْلَ بالقلبِ والقالَبِ وقتاً ، وبالقلبِ دونَ القالَبِ وقتاً ، وتَفَقُّدَ الزيادةِ مِنَ النُّقْصانِ ؛ فإنَّ قيامَ الفقيرِ بحقوقِ الوقتِ شُغْلٌ تامٌّ ، وبذلكَ يُؤدِّي شكرَ نِعْمةِ الفراغِ ونِعْمةِ الكفايةِ ، وفي البَطَالةِ كُفْرانُ نِعْمةِ الفراغِ والكفايةِ .

(٤٥) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ اللهِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ بنَ حَمْدونٍ يقولُ[1] : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الحميدِ الغَضَائِريَّ يقولُ : سمعتُ السَّرِيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ لا يعرفُ قَدْرَ النِّعَمِ سُلِبَها مِنْ حيثُ لا يعلمُ)[2] .

وقد يُعذَرُ الشيخُ العاجزُ عنِ الكسبِ في تناولِ طعامِ الرِّباطِ ، ولا يُعذَرُ الشابُّ ، وهـٰذا في شرطِ طريقِ القومِ على الإطلاقِ .

فأمَّا مِنْ حيثُ فتوى الشرعِ . . إنْ كانَ شرطُ الواقفِ : على المُتصوِّفةِ وعلىٰ مَنْ تزيَّا بزيِّهِم ولَبِسَ خِرْقَتَهُم . . فيجوزُ أكلُ ذلكَ لهُم على الإطلاقِ فتوىً ، وفي ذلكَ القناعةُ بالرُّخْصةِ دونَ العزيمةِ التي هيَ شُغْلُ أهلِ الإرادةِ .

---

(١) ابن حَمْدون : هو الإمام الحافظ الرحَّال أحمد بن محمد بن حمدون بن بندار الخُراساني الشَّـرْمَقَـانـي (ت ٣٦٦هـ) ، وانظـر « سيـر أعـلام النبـلاء » (١٦/ ٢٨٦ـ٢٨٧) ، وحمدون : يجوز صرفه وعدمه .

(٢) طبقات الصوفية (ص٥٢) ، ورواه من طريقه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٢٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ١٩٢) .

وإنْ كانَ شرطُ الواقفِ : علىٰ مَنْ يسلُكُ طريقَ الصُّوفيَّةِ عملاً وحالاً . . فلا يجوزُ أكلُهُ لأهلِ البَطَالاتِ والرَّاكنِينَ إلىٰ تضييعِ الأوقاتِ ، وطرائقُ أهلِ الإرادةِ عندَ مشايخِ الصُّوفيَّةِ . . مشهورةٌ معروفةٌ .

(٤٦) ـ أخبرَنا الشيخُ الثِّقةُ أبو الفتحِ محمَّدٌ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدٌ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ يوسفَ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرٌ الفِرْيابيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ [الحسنِ] البَلْخيُّ بسَمَرْقَنْدَ[1] ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، قالَ : حدَّثَنا سعيدُ بنُ أبي أيُّوبَ الخُزَاعيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ الوليدِ ، عن أبي سُليمانَ اللَّيْثيِّ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ ٱلْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ ، يَجُولُ وَيَرْجِعُ إِلَىٰ آخِيَّتِهِ ، وَإِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى ٱلْإِيمَانِ ، فَأَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ ٱلْأَتْقِيَاءَ ، وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ »[2] ، واللهُ أعلمُ .

❁ ❁ ❁

---

(١) في النسخ : (الحسين) بدل (الحسن) ، والمثبت من « الحلية » ، وانظر « الثقات » لابن حبان (١٥٢٩٦) .

(٢) حلية الأولياء (٨/ ١٧٩) ، الزهد (٧٣) لابن المبارك ، ورواه أحمد (٣/ ٥٥) ، وابن حبان (٦١٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٤٦٠) ، والآخِيَّةُ ـ بالمد والتشديد ـ : واحدةُ (الأواخي) ، قال ابن السِّكِّيت : وهو أن يُدفَنَ طرفا قطعةٍ من الحبل في الأرض ، وفيه عُصَيَّةٌ أو حُجَيرٌ ، ويظهر منه مثل عِرْقٍ تُشَدُّ إليه الدابَّة . « صحاح » . من هامش (ح) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ سماعاً في الثالث عشر على أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب السادس عشر

في اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام[1]

اختلفَ أحوالُ مشايخِ الصُّوفيّةِ ؛ فمنهُم : مَنْ سافرَ في بدايتِهِ وأقامَ في نهايتِهِ[2] ، ومنهُم : مَنْ أقامَ في بدايتِهِ وسافرَ في نهايتِهِ ، ومنهُم : مَنْ أقامَ ولم يُسافِرْ[3] ، ومنهُم : مَنِ استدامَ السفرَ ولم يُؤثِرِ الإقامةَ[4] .

ونشرحُ حالَ كلِّ واحدٍ منهُم ومَقصِدَهُ فيما رامَ :

فأمَّا الذي سافرَ في بدايتِهِ وأقامَ في نهايتِهِ . . فقصدُهُ بالسفرِ لمعانٍ :

منها : تعلُّمُ شيءٍ مِنَ العلمِ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱطْلُبُوا ٱلْعِلْمَ وَلَوْ بِٱلصِّينِ »[5] .

وقالَ بعضُهُم : (لو سافرَ رجلٌ مِنَ الشامِ إلىٰ أَقْصى اليمنِ في كلمةٍ تَدُلُّهُ

---

(١) في (د) : (والحضر) بدل (والمقام) .

(٢) ومن هٰؤلاء : سيِّدي أبو عثمان الحِيري وسيِّدي أبو بكر الشِّبْلي رحمهما الله تعالى . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٦٠٢) .

(٣) إلا لفرض ؛ كحَجَّة الإسلام ، ومن هٰؤلاء : السادة ؛ أبو القاسم الجنيد والتستري وأبو يزيد البسطامي وأبو حفص الحدَّاد ، رحمهم الله تعالى . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٦٠١) .

(٤) ومن هٰؤلاء : سيِّدي أبو عبد الله المغربي وسيِّدي إبراهيم بن أدهم رحمهما الله تعالى . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٦٠٢) .

(٥) سبق مسنداً في (١/ ٢٠١) .

علىٰ هُدىً . . ما كانَ سفرُهُ ضائعاً)[1] .

ونُقِلَ أنَّ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ رَحَلَ مِنَ المدينةِ إلىٰ مصرَ في شهرٍ لحديثٍ بَلَغَهُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ أُنيسٍ يُحدِّثُ بهِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] .

وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ . . فَهُوَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ »[3] .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] : إنَّهم طُلَّابُ العِلْمِ[4] .

(٤٧) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْدِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ إملاءً[5] ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ عبدُ الملكِ الهَرَوِيُّ ، قالَ : أخبرَنا

---

(١) عزاه أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٢٤ـ١٥٢٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٣٣٤) إلىٰ عامر الشعبي رحمه الله تعالىٰ ، وزاد بعد قوله : (هدىً) : (أو تردُّهُ عن ردىً) .

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٩٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٧٠) ، والحاكم (٢/ ٤٣٧ـ ٤٣٨) ، والخطيب البغدادي في « الرحلة في طلب الحديث » (ص١٠٩ـ ١١٨) ، وفيه ذكرُ طرقه .

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤٧) ، والبزار في « مسنده » (٦٥٢٠) ، والبيهقي في « المدخل » (١٤٨٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٠٠) .

(٤) وهو قول عكرمة ، وأكثر الأقوال : علىٰ أنَّهم الصائمون . انظر « تفسير الطبري » (١٤/ ٥٠٢ـ٥٠٦) ، و« النكت والعيون » (٢/ ٤٠٨) .

(٥) يروي الإمام السُّهْرُوَرْديُّ « سننَ الترمذي » في كتابنا هـٰذا من طريق شيخه ضياء الدين عبد الوهاب ابن سُكَينة ، وجاءت الرواية هنا في جميع النسخ عن شيخه ضياء الدين أبي النجيب ، فليُعلَمْ وليُتنبَّه .

أبو نَصْرِ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجرَّاحيُّ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا [سفيانُ بنُ] وَكيعٍ[2] ، قالَ : حدَّثَنا أبو داودَ[3] ، عن سفيانَ[4] ، عن أبي هارونَ قالَ[5] : كُنَّا نأتي أبا سعيدٍ ، فيقولُ : مرحباً بوصيَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱلنَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَإِنَّ ٱلرِّجَالَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ فِي ٱلدِّينِ ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَٱسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً »[6] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « طَلَبُ ٱلْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ »[7] .

وروَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) هو الإمام الثقة أبو محمد عبد الجبار بن عبد الله المَرْزُباني الجَرَّاحي المَرْوَزي (ت ٤١٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٥٧) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من « سنن الترمذي » .

(٣) هو الإمام الثبت العابد القدوة عمر بن سعد الحَفَري الكوفي (٢٠٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤١٥) .

(٤) هو الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٥) هو العَبْدي عُمارة بن جُوينٍ البصري . انظر « تهذيب الكمال » (٢١/ ٢٣٢ـ٢٣٣) .

(٦) سنن الترمذي (٢٦٥٠) ، ورواه ابن ماجه (٢٤٩) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٤٠٥) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٠٠ـ٢٠١) ، وقولُهُ : (فاستوصُوا) ؛ أي : أوصوا الناسَ بالإحسان إليهم ، وتفقَّدوا أحوالَهُم وكفايةَ مهامِّهم ، وإيصالَ الخير والنفع إليهم ، ودفعَ الضَّررِ عنهم ، وفي ضمن الأمر بالإيصاء للفقير يحصل الأمرُ لهم علىٰ أبلغ وجه . من هامش (ح) ، وفيه أيضاً : (أي : اطلُبوا من أنفسكم وصيةَ الخير للناس ، في هـٰذا اللفظ مبالغةٌ ليست في قولنا : « أوصوا ») .

(٧) رواه ابن ماجه (٢٢٤) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٢٨٣٧) ، والبزار في « المسند » (٦٧٤٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٥٤٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَىٰ إِلَيَّ : أَنَّهُ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكاً فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ . . سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى ٱلْجَنَّةِ »[1] .

ومِنْ جملةِ مقاصِدِهِم في البدايةِ : لقاءُ المشايخِ والإخْوانِ الصادقينَ ؛ فللمُريدِ بلِقاءِ كلِّ صادقٍ مَزِيدٌ ، وقد ينفعُهُ لَحْظُ الرجالِ ، كما ينفعُهُ لَفْظُ الرجالِ ، وقد قيلَ : (مَنْ لا ينفعُكَ لَحْظُهُ لا ينفعُكَ لَفْظُهُ) .

وهٰذا القولُ فيهِ وجهانِ :

أحدُهُما : أنَّ الرجلَ الصِّدِّيقَ يُكلِّمُ الصادقينَ بلِسانِ فعلِهِ أكثرَ ممَّا يُكلِّمُهُم بلِسانِ قولِهِ[2] ، فإذا نَظَرَ الصادقُ إلىٰ تصاريفِهِ في مَوْرِدِهِ ومَصْدَرِهِ ، وخَلْوتِهِ وجَلْوتِهِ ، وكلامِهِ وسكوتِهِ . . ينتفعُ بالنظرِ إليهِ ، فهوَ نَفْعُ اللَّحْظ ، ومَنْ لا تكونُ أفعالُهُ هٰكذا فلفظُهُ أيضاً لا ينفعُ[3] ؛ لأنَّهُ يتكلَّمُ بهواهُ ، ونُورانيَّةُ القولِ علىٰ قَدْرِ نُورانيَّةِ القلبِ ، ونُورانيَّةُ القلبِ بحَسَبِ الاستقامةِ والقيامِ بواجبِ حقِّ العُبُوديَّةِ وحقيقتِها[4] .

والوجهُ الثاني : أنَّ نَظَرَ العلماءِ الرَّاسخينَ في العِلْمِ والرِّجالِ البالغينَ . .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٣٦٧) ، ورواه مسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وسبق مسنداً في (١/ ٣١٢ـ ٣١٤) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٠٢) .

(٢) في (أ ، ز) : (بلسان الحال . . . بلسان المقال) بدل (بلسان فعله . . . بلسان قوله) .

(٣) المراد : النفع التام ، وليس نفعاً ما . من هامش (ح) .

(٤) حقُّ العبودية : دوامُ الطاعة والخدمة للمعبود ، وحقيقةُ العُبُوديَّة : دوامُ الخضوع والتذلُّلِ والتَّمسكُنِ ، وحسن الافتقار والتضرُّع ، ورعاية حسن الأدب في جميع المواقع . من هامش (ح) .

تِرْياقٌ نافعٌ ، ينظرُ أحدُهُم إلى الرجلِ الصادقِ فيَستشِفُّ بنفوذِ بصيرتِهِ حُسْنَ استعدادِ الصادقِ ، واستئهالَهُ لمواهبِ اللهِ الخاصَّةِ ، فيقعُ في قلبِهِ محبَّةُ الصادقِ المُرِيدِ ، وينظرُ إليهِ نَظَرَ محبَّةٍ عن بصيرةٍ ، وهم مِنْ جنودِ اللهِ تعالىٰ ، فيُكسِبُونَ بنظرِهِم أحوالاً سَنِيَّةً ، ويَهبُونَ آثاراً مَرْضِيَّةً .

وماذا يُنكِرُ المُنكِرُ مِنْ قدرةِ اللهِ تعالىٰ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ كما جَعَلَ في بعضِ الأفاعي مِنَ الخاصِّيَّةِ أنَّهُ إذا نَظَرَ إلىٰ إنسانٍ يُهلِكُهُ بنظرِهِ[1] . . بأنْ يجعلَ[2] في نَظَرِ بعضِ خواصِّ عبادِهِ أنَّهُ إذا نَظَرَ إلىٰ طالبٍ صادقٍ يُكسِبُهُ حالاً وحياةً ؟!

وقد كانَ شيخُنا رحمةُ اللهِ عليهِ يطوفُ في مسجدِ الخَيْفِ بمِنىً[3] ، ويتصفَّحُ وجوهَ النَّاسِ[4] ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّ للهِ سبحانَهُ وتعالىٰ عباداً إذا نَظَرُوا إلىٰ شخصٍ أَكْسَبُوهُ سعادةً ، فأنا أتطلَّبُ ذلكَ .

ومِنْ جملةِ المقاصدِ في السَّفَرِ : ابتداءُ قَطْعِ المألوفاتِ ، والانسلاخُ مِنْ رُكُونِ النَّفْسِ إلىٰ معهودٍ ومعلومٍ ، والتحاملُ على النَّفْسِ بتجرُّعِ مرارةِ فُرْقةِ الأُلَّافِ والخِلَّانِ ، والأهلِ والأَوْطانِ ، فمَنْ صَبَرَ عن تلكَ المألوفاتِ مُحتسِباً عندَ اللهِ تعالىٰ أَجْراً . . فقد حازَ فَضْلاً عظيماً .

---

(١) ومن هـٰذه الأفاعي : (الأَصَلَة) ، كما في « حياة الحيوان الكبرىٰ » (١/ ٢٤ـ٢٥ ، ٢٥٠) .

(٢) متعلق بقوله : (من قدرة) .

(٣) الخَيْفُ : ما ارتفع من مسيل الماء ، وانحدر عن غلظ الجبل ، ومنه سُمِّي : مسجد الخَيف . من هامش (ح) .

(٤) في (د) : (ويتفحَّص) بدل (ويتصفَّح) ، وسقطت هـٰذه الجملة في بعض النسخ .

(٤٨) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ بنُ أبي الفضلِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ قالَ : أخبرَنا القاضي أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ الفقيهُ الأَصْفَهانيُّ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ خُرَّشِيذَ قُولَهْ ، قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ زيادٍ النَّيْسابُوريُّ[2] ، قالَ : حدَّثَنا يونسُ بنُ عبدِ الأَعْلىٰ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ وَهْبٍ ، قالَ : حدَّثني حُيَيُّ بنُ عبدِ اللهِ ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ[3] ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ قالَ : ماتَ رجلٌ بالمدينةِ ممَّنْ وُلِدَ بها ، فصلَّىٰ عليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ قالَ : « لَيْتَهُ مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ » ، قالوا : ولِمَ ذاكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَىٰ مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ مِنَ ٱلْجَنَّةِ »[4] .

---

(١) في (أ) : (بن محمد) بدل (محمد) ، والصواب المثبت من باقي النسخ ، وأبو منصور الأصفهاني : هو الإمام المُعمَّر ابن شكرويه (ت ٤٨٢هـ) ، وهو آخر من حدَّث عن ابن خرشيذ قُولَه ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٩٣ـ ٤٩٤) .

(٢) في النسخ ما عدا نسخة علىٰ هامش (و) : (أبو بكر محمد) بدل (أبو بكر عبد الله بن محمد) ، وفي (ز) : (أبو بكر عبد الله) ، والنيسابوري : هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون الأموي النيسابوري الشافعي (ت ٣٢٤هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٦٥ـ ٦٦) .

(٣) هو عبد الله بن يزيد المعافري الحُبُلِيُّ المصري (ت ١٠٠هـ) ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٦/ ٣١٦) .

(٤) صفوة التصوف (٥٢٤) ، ورواه النسائي (٤/ ٧) ، وابن ماجه (١٦١٤) ، وأحمد (٢/ ١٧٧) ، وابن حبان (٢٩٣٤) ، وقوله : (ليتهُ مات بغير مولدِهِ) قال السِّنْدي في « حاشيته علىٰ سنن ابن ماجه » (١/ ٤٩١) : (لعلَّهُ صلَّى الله عليه وسلَّم لم يُرِدْ بذلك : يا ليته مات بغير المدينة ، بل أراد : يا ليته كان غريباً مهاجراً بالمدينة ومات بها ؛ فإنَّ الموت في غير مولدِ منْ مات بالمدينة كما يتصور . . بأن يُولد في المدينة ويموت في غيرها ، كذلك يتصور بأن يُولدَ بغير المدينة ويموتَ بها ، فليكن راجعاً إلىٰ هـٰذا الشق=

ومِنْ جملةِ المقاصدِ في السفرِ : استكشافُ دفائنِ النفوسِ[1] ، واستخراجُ رُعُوناتِها ودَعاوِيها[2] ؛ لأنَّهُ لا يكادُ تتبيَّنُ حقائقُ ذلكَ بغيرِ السفرِ ، وسُمِّي السَّفَرُ سَفَراً ؛ لأنَّهُ يُسفِرُ عنِ الأخلاقِ ، فإذا وَقَفَ علىٰ دائِهِ يتشمَّرُ لدوائِهِ .

وقد يكونُ أَثَرُ السفرِ في نفسِ المُبتدِئِ . . كأَثَرِ النوافلِ مِنَ الصلاةِ والصومِ والتهجُّدِ وغيرِ ذلكَ ؛ وذلكَ أنَّ المُتنفِّلَ سائحٌ ، سائرٌ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ أوطانِ الغَفَلاتِ إلىٰ مَحَالِّ القُرُباتِ ، والمُسافِرَ بقطعِ المسافاتِ ، والتقلُّبِ في المفاوزِ والفَلَواتِ ، بحُسْنِ النِّيَّةِ للهِ . . سائرٌ إلى اللهِ تعالىٰ بمُراغَمَةِ الهوىٰ ، ومُهاجَرةِ مَلَاذِّ الدنيا .

(٤٩) ـ أخبرَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْدِيُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكرٍ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الرحيمِ يقولُ : سمعتُ النُّوريَّ يقولُ : (التصوُّفُ : تَرْكُ كلِّ حَظٍّ للنَّفْسِ)[3] .

فإذا سافرَ المُبتدِئُ تاركاً حظَّ النَّفْسِ . . تطمئِنُّ النَّفْسُ ، وتَلِينُ كما تَلِينُ

= حتىٰ لا يخالف الحديثُ حديثَ فضل الموت بالمدينة المنورة) .

(١) في نسخة علىٰ هامش (أ) : (دقائق) بدل (دفائن) .

(٢) الرُّعُونة : الحمق والاسترخاء ، والرُّعُونة أيضاً : إظهار ما ليس عندك بتكبُّر . من هامش (ح) .

(٣) طبقات الصوفية (ص١٦٦) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٩) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٥٩) .

بدوامِ النافلةِ ، ويكونُ لها بالسفرِ دِباغٌ يُذهِبُ عنها الخُشُونةَ واليُبُوسةَ الجِبِلِّيَّةَ والعُفُونةَ الطبيعيَّةَ[1] ؛ كالجلدِ يعودُ مِنْ هيئةِ الجلودِ إلىٰ هيئةِ الثِّيابِ ، فتعودُ النَّفْسُ مِنْ طبيعةِ الطُّغْيانِ إلىٰ طبيعةِ الإيمانِ .

ومِنْ جملةِ المقاصدِ في السفرِ : رُؤْيةُ الآثارِ والعِبَرِ ، وتسريحُ النَّظَرِ في مسارحِ الفِكَرِ ، ومُطالَعةُ أجزاءِ الأرضِ والجِبالِ ، ومَواطئِ أقدامِ الرجالِ ، واستماعُ التسبيحِ مِنْ ذَرَّاتِ الجماداتِ ، والفَهْمُ مِنْ لسانِ حالِ القِطَعِ المُتجاوِراتِ ؛ فقد تتجدَّدُ لهُ اليقظةُ بتجدُّدِ مُستودَعِ العِبَرِ والآياتِ ، ويتوفَّرُ بمُطالَعةِ المَشاهدِ والمواقفِ الشواهدُ والدَّلالاتُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

وقد كانَ السَّرِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ للصُّوفيَّةِ : (إذا خَرَجَ الشتاءُ قد خَرَجَ آذارُ ، وأَوْرَقَتِ الأشجارُ ، وطابَ الانتشارُ)[2] .

ومِنْ جملةِ المقاصدِ بالسَّفَرِ : إيثارُ الخُمُولِ ، وطَرْحُ حَظِّ القَبولِ ؛ فصِدْقُ الصادقِ يَنِمُّ علىٰ حُسْنِ الحالِ ، ويرزقُ مِنَ الخُلُقِ حُسْنَ الإقبالِ ، وقلَّما يكونُ صادقٌ ، مُتمسِّكٌ بعُرْوةِ الإخلاصِ ، ذو قَلْبٍ عامرٍ . . إلَّا ويُرزَقُ قَبولَ الخَلْقِ .

حتىٰ سمعتُ بعضَ المشايخِ يَحْكي عن بعضِهِم أنَّهُ قالَ : (أُرِيدُ إقبالَ الخَلْقِ عَلَيَّ ، لا أنِّي أُبلِّغُ نَفْسي حَظَّها مِنَ الهوىٰ ؛ فإنِّي لا أُبالي أَقْبلُوا أم

---

(١) قوله : (يُذهِب) ضبطه في (ح) من الثلاثي والرباعي ، وعلى الأول يكون (الخشونة) وما عُطف عليه مرفوعين .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٣/ ١٥٢٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٣٤٣) .

أَدْبرُوا ، ولـٰكنْ لكونِ قَبولِ الخَلْقِ علامةٌ تَدُلُّ علىٰ صِحَّةِ الحالِ) .

فإذا ابتُلِيَ المُرِيدُ بذلكَ لا يَأمَنُ نَفْسَهُ أنْ تدخلَ عليهِ بطريقِ الرُّكُونِ إلى الخَلْقِ .

وربَّما يُفتَحُ عليهِ بابٌ مِنَ الرِّفْقِ ، وتدخلُ النَّفْسُ عليهِ مِنْ طريقِ البِرِّ والدخولِ في الأسبابِ المحمودةِ ، وتُرِيهِ فيهِ وجهَ المصلحةِ والفَضيلةِ في خدمةِ عبادِ اللهِ وبَذْلِ الموجودِ ، ولا تزالُ النَّفْسُ بهِ والشيطانُ حتىٰ تَجُرَّاهُ إلى السُّكونِ إلى الأسبابِ ، واستحلاءِ قَبولِ الخَلْقِ ، وربَّما قَوِيَا عليهِ فجرَّاهُ إلى التصنُّعِ والتَّعَمُّلِ ، ويَتَّسِعُ الخَرْقُ على الرَّاقعِ[1] .

وسمعتُ أنَّ بعضَ الصالحينَ قالَ لمُريدٍ لهُ : (أنتَ الآنَ وصلتَ إلىٰ مقامٍ لا يدخلُ عليكَ الشيطانُ مِنْ طريقِ الشَّرِّ ، ولـٰكنْ يدخلُ عليكَ مِنْ طريقِ الخيرِ) .

وهـٰذا مَزَلَّةٌ عظيمةٌ للأقدامِ .

فاللهُ تعالىٰ يُدرِكُ الصادقَ إذا ابتُلِيَ بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ويُزعِجُهُ بالعنايةِ السابقةِ والمَعُونةِ اللاحقةِ إلى السَّفَرِ ، فيُفارِقُ المَعارِفَ والمَوضِعَ الذي فَتَحَ اللهُ عليهِ هـٰذا البابَ فيهِ ، ويتجرَّدُ للهِ تعالىٰ بالخروجِ إلى السَّفَرِ ، وهـٰذا مِنْ أحسنِ المقاصدِ في الأَسْفارِ للصادقينَ .

فهـٰذهِ جُمَلُ المقاصدِ المطلوبةِ للمشايخِ في السفرِ في بداياتِهم ، ما عدا

---

(١) بحيث لا يستطيعُ إصلاحه وتداركه ، وهو مَثَلٌ يُضرب لمَنْ خرج الأمر من يده بحيثُ لا يقدر علىٰ تداركه ، وانظر « جمهرة الأمثال » (١/ ١٦٠) ، و« المستقصى في أمثال العرب » (١/ ٣٥) .

الحجَّ ، والغَزْوَ ، وزيارةَ بيتِ المقدسِ ؛ فقد نُقِلَ أنَّ ابنَ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما خَرَجَ مِنَ المدينةِ قاصداً إلىٰ بيتِ المقدسِ ، وصلَّىٰ فيهِ الصَّلَواتِ الخَمْسَ ، ثمَّ أَسْرعَ راجعاً إلى المدينةِ مِنَ الغَدِ[1] .

ثمَّ إذا مَنَّ اللهُ تعالىٰ على الصادقِ بإحكامِ أمورِ بدايتِهِ ، وقَلَّبَهُ في الأَسْفارِ ، ومَنَحَهُ الحَظَّ مِنَ الاعتبارِ ، وأَخَذَ نصيبَهُ مِنَ العِلْمِ بقَدْرِ حاجتِهِ ، واستفادَ مِنْ مُجاوَرَةِ الصالحينَ[2] ، وانتقشَ في قلبِهِ فوائدُ النَّظَرِ إلىٰ حالِ المُتَّقِينَ ، وتَعَطَّرَ باطنُهُ باستنشاقِ عَرْفِ معارفِ المُقرَّبينَ ، وتَحَصَّنَ بحمايةِ نَظَرِ أهلِ اللهِ وخاصَّتِهِ ، وسَبَرَ أحوالَ النَّفْسِ ، وأَسْفَرَ السَّفَرُ عن دقائقِ أَخْلاقِها وشَهَوَاتِها الخَفِيَّةِ ، وسَقَطَ عن باطنِهِ نَظَرُ الخَلْقِ ، وصارَ يَغلِبُ ولا يُغلَبُ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ إخباراً عن موسىٰ صلواتُ اللهِ عليهِ : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١] . . فعندَ ذلكَ يَرُدُّهُ الحقُّ إلىٰ مقامِهِ[3] ، ويَمُدُّهُ بجزيلِ إنعامِهِ ، ويجعلُهُ إماماً للمُتَّقينَ بهِ يُقتدىٰ ، وعَلَماً للمُؤمنينَ بهِ يُهتدىٰ .

وأمَّا الذي أقامَ في بدايتِهِ ، وسافرَ في نهايتِهِ[4] . . يكونُ ذلكَ شخصاً يَسَّرَ اللهُ تعالىٰ لهُ في بدايةِ أمرِهِ صُحْبةً صحيحةً ، وقَيَّضَ لهُ شيخاً عالِماً يسلُكُ بهِ الطريقَ ، ويُدرِّجُهُ إلىٰ منازلِ التحقيقِ ، فيُلازِمُ موضعَ إرادتِهِ ،

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٢٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/٣٤٠) .

(٢) في (أ ، ز) : (الصادقين) .

(٣) قوله : (فعند ذلك) هو جواب الشرط لقوله : (ثم إذا مَنَّ) صدرَ الفقرة .

(٤) وهـٰذا هو القسم الثاني من أحوال مشايخ الصوفية في السفر .

ويلتزمُ بصُحبةِ مَنْ يَرُدُّهُ مِنْ عادتِهِ[1] .

وقد كانَ الشِّبْلِيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ للحُصْريِّ في ابتداءِ أمرِهِ : (إنْ خَطَرَ ببالِكَ مِنَ الجُمُعَةِ إلى الجُمُعَةِ غيرُ اللهِ . . فحرامٌ عليكَ أنْ تحضُرَني)[2] .

فمَنْ رُزِقَ مثلَ هـٰذهِ الصُّحْبَةِ يحرُمُ عليهِ السفرُ ؛ فالصُّحْبَةُ خيرٌ لهُ مِنْ كلِّ سفرٍ وفضيلةٍ يَقْصِدُها .

(٥٠) ـ أخبرَنا رَضِيُّ الدِّينِ أبو الخيرِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو المُظفَّرِ عبدُ المُنعِمِ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ هَوَازِنَ القُشَيْريُّ ، عن والدِهِ الأُستاذِ أبي القاسمِ القُشَيْريِّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ عيَّاشَ بنَ أبي الصخرِ يقولُ[3] : سمعتُ أبا بكرٍ الزَّقَّاقَ يقولُ : (لا يكونُ المُريدُ مُريداً حتىٰ لا يكتبَ عليهِ صاحبُ الشِّمالِ شيئاً عشرينَ سنةً)[4] .

فمَنْ رُزِقَ صُحْبَةَ مَنْ يَندُبُهُ إلىٰ مِثْلِ هـٰذهِ الأحوالِ السَّنِيَّةِ ، والعزائمِ القَوِيَّةِ . . يَحرُمُ عليهِ المُفارقةُ واختيارُ السَّفَرِ .

ثمَّ إذا أَحْكمَ أمرَهُ في الابتداءِ ؛ بلُزُومِ الصُّحْبَةِ وحُسْنِ الاقتداءِ ، وارتوىٰ مِنَ الأحوالِ ، وبَلَغَ مَبْلَغَ الرجالِ ، وانبجسَ مِنْ قلبِهِ عُيُونُ ماءِ الحياةِ ،

---

(١) في النسخ ما عدا (د ، ي) : (ويتلزَّم) بدل (ويلتزم) .
(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٧٧٣) .
(٣) في « الرسالة » : (عباس) بدل (عيَّاش) .
(٤) الرسالة القشيرية (ص٤٦٨) ، وفي هامش (ح) : (هـٰذا بأن يكون المريدُ حاضرَ القلب لِمَا يصدُرُ عن جوارحه من المآثم ، فيزيلُها بالاستغفار والتوبة إن غَفَلَ زماناً ونسي زماناً آخر ، ويستدرك فلا يكتب كاتب الشمال عليه شيئاً) .

وصارتْ نَفْسُهُ مُكسِبةً للسعاداتِ . . يستنشقُ نَفَسَ الرحمـٰنِ ، مِنْ صدورِ الصادقينَ مِنَ الإخوانِ ، في أقطارِ الأرضِ وشاسعِ البُلْدانِ ، يَشْرَئِبُّ إلى التَّلاقِ ، وينبعثُ إلى التَّطْوافِ في الآفاقِ ، يُسيِّرُهُ اللهُ تعالىٰ في البلادِ ، لفائدةِ العبادِ ، ويستخرجُ بمِغْناطِيسِ حالِهِ خِبْءَ أهلِ الصِّدْقِ ، والمُتطلِّعينَ إلىٰ مَنْ يُخبِرُ عنِ الحقِّ ، ويَبذُرُ في أراضي القلوبِ بَذْرَ الفلاحِ ، ويَكثُرُ ببركتِهِ ونَفَسِهِ وصُحْبتِهِ أهلُ الصلاحِ .

وهـٰذا مَثَلُ هـٰذهِ الأُمَّةِ الهاديةِ في الإنجيلِ : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح : ٢٩] ؛ تعودُ بركةُ البعضِ على البعضِ ، وتسري الأحوالُ مِنَ البعضِ إلى البعضِ ، ويكونُ طريقُ الوِراثةِ معموراً ، وعِلْمُ الإفادةِ منشوراً .

(٥١) ـ أخبرَنا شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا الإمامُ عبدُ الجبَّارِ البَيْهَقيُّ في « كتابِهِ » ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ البَيْهَقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ ابنُ داسَهْ ، قالَ : حدَّثَنا أبو داودَ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ أيُّوبَ ، قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ ، قالَ : أخبرَني العلاءُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ ، عن أبيهِ ، عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ ٱتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ ٱتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً »[1] .

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرىٰ (١٤٧٣) ، سنن أبي داود (٤٦٠٩) ، ورواه مسلم (٢٦٧٤) .

فأمَّا مَنْ أقامَ ولم يُسافِرْ : فيكونُ ذلكَ شخصاً كاملاً ربَّاهُ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ وتولَّاهُ ، وفتَحَ عليهِ أبوابَ الخيرِ ، وجَذَبَهُ بعنايتِهِ ، وقد وَرَدَ : (جَذْبةٌ مِنْ جَذَباتِ الحقِّ تُوازِي عملَ الثَّقَلَينِ)[1] .

ثمَّ لمَّا عَلِمَ منهُ الصدقَ ، ورأىٰ حاجتَهُ إلىٰ مَنْ ينتفعُ بهِ . . ساقَ إليهِ بعضَ الصِّدِّيقينَ حتىٰ أيَّدَهُ بلُطْفِهِ ولَفْظِهِ ، وتداركَهُ بلَحْظِهِ ، ولَقَّحَهُ بقُوَّةِ حالِهِ ، وكفاهُ يسيرُ الصحبةِ لكمالِ الأهليَّةِ في الصاحبِ والمصحوبِ ، وإجراءُ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ في إعطاءِ الأسبابِ حقَّها لإقامةِ رَسْمِ الحِكْمةِ . . يُحوِجُ إلىٰ يسيرِ الصُّحْبةِ ، فيتنبَّهُ بالقليلِ للكثيرِ ، ويُغنيهِ اليسيرُ مِنَ الصُّحْبةِ للحظِّ الكبيرِ ، ويكتفي بوافرِ حَظِّ الاستبصارِ عنِ الأسفارِ ، ويتعوَّضُ بأَشِعَّةِ الأنوارِ عن مُطالعةِ العِبَرِ والآثارِ[2] ، كما قالَ بعضُهُمْ : (الناسُ يقولونَ : افتحُوا أعينكُم وأَبْصِرُوا ، وأنا أقولُ : غَمِّضُوا أعينكُم وأَبْصِرُوا) .

وسمعتُ بعضَ الصالحينَ يقولُ : (للهِ عبادٌ طُورُ سِيناهُم رُكَبُهُم ، تكونُ رؤوسُهُم علىٰ رُكَبِهِم وهم في مَحالِّ القُرْبِ ، فمَنْ نَبَعَ لهُ مَعِينُ الحياةِ في

---

(١) قال الغماري في « الغنية » (١/ ٢١٠) : (ليس بحديث ، وقولُ بعض الحفاظ : « إنه موضوع » . . تجوُّزٌ في التعبير ؛ لأنَّ الموضوع إنَّما يُقال اصطلاحاً لما وُضع لإسنادٍ مُركَّبٍ مقصود ، لا ما يُضاف إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم جهلاً وغلطاً كهـٰذا) ، ورواه السلمي في « طبقاته » (ص٤٨٨) عن شيخه أبي القاسم النصراباذي رحمه الله تعالىٰ ، وفيه : (تُرْبي) بدل (توازي) .

(٢) أي : كانتْ فائدةُ الأسفار مطالعةَ العِبَر لمن مضىٰ وبقيتْ منازلُهُم خاوية خَرِبةً حتىٰ يزهدَ في الدنيا ، ومشاهدةَ آثارِ قدرةِ الله تعالىٰ في أقطار الأرض في شواهد الجبال وأمواج البحار ، فلمَّا فتَحَ اللهُ تعالىٰ عينَ قلبه ، وتشعشع عليه الأنوارُ . . استغنىٰ بها عن العِبَرِ والآثار ، وأَخَذَ عِوَضاً خيراً منها ؛ إذ ثمرةُ المعرفة بالله خيرٌ من ثمرة الزهد في الدنيا . من هامش (ح) .

ظُلْمةِ خَلْوتِه . . ماذا يصنعُ بدخولِ الظُّلُماتِ ؟! ومَنِ اندرجتْ لهُ أطباقُ السماواتِ في طَيِّ شهودِهِ . . ماذا يصنعُ بتقلُّبِ طَرْفِهِ في السماواتِ ؟! ومَنْ جمعتْ أَحْداقُ بصيرتهِ مُتفرِّقاتِ الكائناتِ . . ماذا يستفيدُ مِنْ طَيِّ الفَلَواتِ ؟! ومَنْ خَلَصَ بخاصِّيَّةِ فِطْرتِهِ إلىٰ مَجْمَعِ الأرواحِ . . ماذا يُفِيدُهُ زيارةُ الأشباحِ ؟!

قيلَ : أَرْسلَ ذو النُّونِ المصريُّ إلىٰ أبي يزيدَ رحمَهُما اللهُ رجلاً وقالَ : قُلْ لهُ : إلىٰ متى النومُ والراحةُ وقد سارتِ القافلةُ ؟! فقالَ للرسولِ : قُلْ لأخي : الرجلُ مَنْ ينامُ اللَّيلَ كلَّهُ ثمَّ يُصبحُ في المنزلِ قبلَ القافلةِ ، فقالَ ذو النُّونِ : هنيئاً لهُ ، هـٰذا كلامٌ لا تَبلغُهُ أحوالُنا[1] .

وكانَ بِشْرٌ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (يا معشرَ القُرَّاءِ ؛ سِيحُوا تَطِيبُوا ؛ فإنَّ الماءَ إذا كثُرَ مُكْثُهُ في موضعٍ تغيَّرَ)[2] .

وقيلَ : قالَ بعضُهُم عندَ هـٰذا الكلامِ : (صِرْ بَحْراً حتىٰ لا تتغيَّرَ) .

فإذا أدامَ المُرِيدُ سَيْرَ الباطنِ ؛ بقَطْعِ مسافةِ النَّفْسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ ؛ حتىٰ قَطَعَ منازلَ آفاتِها ، وبَدَّلَ أخلاقَها المذمومةَ بالمحمودةِ ، وعانقَ الإقبالَ على اللهِ تعالىٰ بالصِّدْقِ والإخلاصِ . . اجتمعَ لهُ المُتفرِّقاتُ ، واستفادَ في حَضَرِهِ أكثرَ مِنْ سَفَرِهِ ؛ لكونِ السَّفَرِ لا يخلو مِنْ متاعبَ وكُلَفٍ ومُشوِّشاتٍ ، وطوارقَ ونوازلَ تتجدَّدُ يَضعُفُ عن سِياستِها بالعِلْمِ الضُّعَفاءُ ، ولا يَقدِرُ علىٰ

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٧١) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (١/ ١٩٩ـ٢٠٠) ، ورواه الرافعي بنحوه في « التدوين » (٤/ ٤٣ـ٤٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٢٤) ، ورواه بنحوه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٢٠٧) ، وبِشْرٌ : هو ابن الحارث الحافي رحمه الله تعالىٰ وقُدِّس سرُّهُ ، والقُرَّاء ؛ أي : العلماء .

تسليطِ العِلْمِ علىٰ مُتجدِّداتِ السَّفَرِ وطوارِقِهِ إلّا الأقوياءُ .

قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ للذي زكَّىٰ عندَهُ رجلاً : هل صَحِبْتَهُ في السَّفَرِ الذي يُستدَلُّ بهِ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ ؟ قالَ : لا ، قالَ : ما أراكَ تعرِفُهُ[1] .

فإذا حَفِظَ اللهُ تعالىٰ عبدَهُ في بدايةِ أَمْرِهِ مِنْ تشويشِ السَّفَرِ ، ومَتَّعَهُ بجَمْعِ الهَمِّ وحُسْنِ الأخلاقِ والإقبالِ في الحَضَرِ ، وساقَ إليهِ مِنَ الرجالِ مَنِ اكتسبَ بهِ صلاحَ الحالِ . . فقد أَحْسنَ إليهِ .

قيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] : هوَ الرجلُ المُنقطِعُ إلى اللهِ تعالىٰ ، يُشكِلُ عليهِ شيءٌ مِنْ أمرِ الدِّينِ ، فيبعثُ اللهُ تعالىٰ إليهِ مَنْ يَحُلُّ إشكالَهُ[2] .

فإذا ثَبَتَ قدمُهُ علىٰ شروطِ البدايةِ . . رُزِقَ وهوَ في المقامِ مِنْ غيرِ سَفَرٍ ثمراتِ النهايةِ ، فيستقرُّ في الحَضَرِ ابتداءً وانتهاءً ، وأُقِيمَ في هٰذا المَقامِ جَمْعٌ مِنَ الصالحينَ .

وأمَّا الذي أدامَ السَّفَرَ ولم يُقِمْ : فرأىٰ صلاحَ قلبِهِ وصِحَّةَ حالِهِ في ذلكَ .

يقولُ بعضُهُمْ : (اجْتهِدْ أنْ تكونَ كلَّ ليلةٍ ضيفَ مسجدٍ ، ولا تموتَ إلّا بينَ منزلَينِ)[3] .

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٦٠٣) ، وأورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٢٩) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/٣٣٦) ، وعزاه إلىٰ بعض السلف .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٠٣) عن أبي بكر الكتاني رحمه الله تعالىٰ ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/٢٥٥) .

وكانَ مِنْ هـٰذهِ الطبقةِ إبراهيمُ الخَوَّاصُ رحمَهُ اللهُ ؛ ما كانَ يُقِيمُ في بلدٍ أكثرَ مِنْ أربعينَ يوماً ، وكانَ يَرَىٰ إنْ أقامَ أكثرَ مِنْ أربعينَ يوماً . يفسدُ عليهِ توكُّلُهُ[1] ، فكأنَّ عِلْمَ الناسِ بهِ ومعرفتَهُم إيَّاه يراهُ سبباً ومعلوماً .

وحُكِيَ عنهُ أنَّهُ قالَ : مكثتُ في الباديةِ أحدَ عَشَرَ يوماً لم آكلْ ، وتطلَّعَتْ نَفْسي أنْ آكُلَ مِنْ حشيشِ البَرِّ ، فرأيتُ الخَضِرَ مُقبِلاً نَحْوي ، فهربتُ منهُ ، ثمَّ التفتُّ فإذا هو قد رَجَعَ عنِّي ، فقيلَ لهُ : لِمَ هربتَ منهُ ؟ قالَ : تَشَرَّفَتْ نَفْسي أنْ يُغِيثَني[2] .

فهـٰؤلاءِ الفَرَّارونَ بدِينِهِم .

(٥٢) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ الحافظِ أبي الفضلِ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ ابنِ بامُويَهْ[3] ، قالَ : حدَّثَنا أبو محمَّدٍ الزُّهْريُّ القاضي ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ [عُبَيدِ] بنِ أسباطٍ[4] ، قالَ : حدَّثَنا أبو نُعيمٍ[5] ، قالَ : حدَّثَنا

---

(١) في (ج ، د ، ز ، ح) : (ينفسد) بدل (يفسد) ، ولم يُسمع (انفسد) ، والقياسُ لا يأباه . انظر « تاج العروس » (٨/ ٤٩٦) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٣٠) عن بعض الشيوخ ، وفيه : (يقيتني) بدل (يغيثني) ، ولعلها ضُبطت في (أ) بالوجهين ، وفي (ب) : (تشوَّفت) بدل (تشرَّفت) .

(٣) في (ب ، هـ) : (تامويه) ، والصواب المثبت ، وهو الإمام المُحدِّث شيخ الصوفية أبو محمد الأَرْدَستاني الأصبهاني (ت ٤٠٩هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٣٩) ، و« تبصير المنتبه » (١/ ٥٦) .

(٤) في النسخ : (عبد الله) بدل (عبيد) ، والمثبت من « الكنىٰ والأسماء » لأبي أحمد الحاكم (٣/ ٨٢) ، وهو أبو جعفر القرشي الكوفي .

(٥) هو الحافظ الكبير الفضل بن دُكَين رحمه الله تعالىٰ .

محمَّدٌ ـ يعني : ابنَ مُسلِمٍ ـ عن عثمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أوسٍ ، عن سليمانَ بنِ هُرْمُزَ ، عن عبدِ اللهِ[1] ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى ٱللهِ ٱلْغُرَبَاءُ » ، قيلَ : وما الغُرباءُ ؟ قالَ : « ٱلْفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ ، يَجْتَمِعُونَ إِلَىٰ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

وهـٰذهِ كلُّها أحوالٌ اختلفتْ ، واتَّبعَ أربابُها الصِّحَّةَ وحُسْنَ النِّيَّةِ معَ اللهِ ، وحُسْنُ النِّيَّةِ يقتضيهِ الصِّدْقُ ، والصِّدْقُ لعينِهِ محمودٌ كيفَ تقلَّبتِ الأحوالُ .

فمَنْ سافرَ ينبغي أنْ يفتقدَ حالَهُ ، ويُصحِّحَ نِيَّتَهُ ، ولا يقدرُ علىٰ تخليصِ النِّيَّةِ مِنْ شوائبِ النَّفْسِ إلا كثيرُ العِلْمِ ، تامُّ التقوىٰ ، وافرُ الحَظِّ مِنَ الزُّهْدِ في الدنيا .

ومَنِ انطوىٰ علىٰ هوىً كامنٍ ، ولم يستقصِ في الزُّهْدِ . . لا يقدرُ علىٰ تصحيحِ النِّيَّةِ ؛ فقد يدعوهُ إلى السفرِ نشاطٌ جِبِلِّيٌّ نَفْسانيٌّ وهوَ يَظُنُّ أنَّ ذلكَ داعيةُ الحقِّ ، ولا يُميِّزُ بينَ داعي الحقِّ وداعي النَّفْسِ .

ويحتاجُ الشخصُ في عِلْمِ صِحَّةِ النِّيَّةِ إلى العلمِ بمعرفةِ الخواطرِ ، وشرحُ الخواطرِ وعِلْمُها يحتاجُ إلىٰ بابٍ مفردٍ لنَفْسِهِ ، ونُومِئُ الآنَ إلىٰ ذلكَ برمزٍ يُدرِكُهُ مَنْ نازلَهُ شيءٌ مِنْ ذَلكَ ؛ فأكثرُ الفقراءِ مِنْ عِلْمِ ذلكَ ومعرفتِهِ علىٰ بُعْدٍ[3] :

---

(١) هو ابن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) صفوة التصوف (٥٢٥) ، ورواه أحمد في « الزهد » (٤٠٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٢٠٤) .

(٣) زاد في (د) : (في زماننا) ، وانظر (٢/ ٤٣٤ـ ٤٤٨) .

اعلَمْ : أنَّ ما ذكرْناهُ مِنْ نشاطِ النَّفْسِ واقعٌ للفقيرِ في كثيرٍ مِنَ الأمورِ ؛ فقد يجدُ الفقيرُ الرَّوْحَ بالخروجِ إلىٰ بعضِ الصَّحاري والبساتينِ ، ويكونُ ذلكَ الرَّوْحُ مُضِرّاً بهِ في ثاني الحالِ وإنْ كانَ تتراءىٰ لهُ طِيبةُ القلبِ في الوقتِ ، وسببُ طِيبةِ قلبِهِ في الوقتِ : أنَّ النَّفْسَ تنفسحُ وتتَّسِعُ ببلوغِ غَرَضِها وتيسيرِ يسيرِ هَواها[1] بالخروجِ إلى الصحراءِ والتنزُّهِ ، وإذا اتَّسعتْ بَعُدتْ عنِ القلبِ ، وتنحَّتْ عنهُ مُتشرِّفةً إلىٰ مُتعلَّقِ هَواها ، فيتروَّحُ القلبُ لا بالصحراءِ ، بل ببُعْدِ النَّفْسِ منهُ ؛ كشخصٍ تباعدَ عنهُ قَرينٌ يستثقلُهُ .

ثُمَّ إذا عادَ الفقيرُ إلىٰ زاويتِهِ ، واستفتحَ ديوانَ مُعاملتِهِ ، ومَيَّزَ دُسْتُورَ حالتِهِ . . يجدُ النَّفْسَ مُقارِنةً للقلبِ بمَزيدِ ثِقَلٍ مُوجِبٍ لتبرُّمِهِ بها ، وكلَّما ازدادَ ثِقَلُها تكدَّرَ القلبُ ، وسببُ زيادةِ ثِقَلِها : استرسالُها في تناولِ هَواها ، فيصيرُ الخروجُ إلى الصحراءِ عينَ الداءِ ، ويَظُنُّ الفقيرُ أنَّهُ ترويحٌ ودواءٌ ، فلو صَبرَ على الوَحْدةِ والخَلْوةِ ازدادتِ النفسُ ذَوَباناً ، وخَفَّتْ ولَطُفَتْ وصارتْ قَريناً صالحاً للقلبِ لا يستثقلُها .

وعلىٰ هـٰذا : يُقاسُ التروُّحُ بالأسفارِ ؛ فللنفسِ وَثَباتٌ إلىٰ تَوَهُّمِ التَّرَوُّحاتِ ؛ فمَنْ فَطِنَ لهـٰذهِ الدَّقيقةِ لا يَغْتَرُّ بالتَّرَوُّحاتِ المُستعارةِ التي لا تُحمَدُ عاقبتُها ولا تُؤمَنُ غائلتُها ، ويتثبَّتُ عندَ ظهورِ خاطرِ السفرِ ، ولا يكترثُ بالخاطرِ ، بل يطرحُهُ بعدمِ الالتفاتِ ، مُسيئاً ظَنَّهُ بالنَّفْسِ وتَسْويلاتِها .

ومِنْ هـٰذا القَبيلِ ـ واللهُ أعلمُ ـ : قولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) في (د) : (وتتسيَّر بسير) بدل (وتيسير يسير) .

« إِنَّ ٱلشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ بَيْنِ قَرْنَيِ ٱلشَّيْطَانِ »[1] ، فتكونُ للنفسِ عندَ طلوعِ الشمسِ وَثَباتٌ ، تستندُ تلكَ الوَثْبةُ والنَّهضةُ مِنَ النَّفْسِ إلى المِزاجِ والطبائعِ ، ويطولُ شرحُ ذلكَ ويَعمُقُ .

ومِنْ ذلكَ القَبيلِ : خِفَّةُ مرضِ المريضِ غُدْوةً بخلافِ العَشِيَّاتِ ، فيتشكَّلُ اهتزازُ النَّفْسِ بنَهَضاتِ القَلْبِ ، ويدخلُ على الفقيرِ مِنْ هـٰذا القبيلِ آفاتٌ كثيرةٌ[2] ، ويدخلُ في مداخلَ باهتزازِ نَفْسِهِ ظنّاً منهُ أنَّ ذلكَ حكمُ نهوضِ قلبِهِ ، وربَّما يتراءىٰ لهُ أنَّهُ باللهِ يَصُولُ ، وباللهِ يقولُ ، وباللهِ يتحرَّكُ ، وقدِ ابتُلِيَ بنَهْضةِ النَّفْسِ ووُثُوبِها .

ولا يقعُ هـٰذا الاشتباهُ إلَّا لأربابِ القلوبِ وأربابِ الأحوالِ ، وغيرُ أربابِ القلوبِ والأحوالِ عن هـٰذا بمَعْزِلٍ ، وهـٰذهِ مَزَلَّةُ قدمٍ مُختصَّةٌ بالخواصِّ دونَ العوامِّ ، فاعلَمْ ذلكَ ؛ فإنَّهُ عزيزٌ علمُهُ .

وأَقَلُّ مراتبِ الفقراءِ في مبادئِ الحركةِ للسَّفَرِ لتصحيحِ وَجْهِ الحَرَكةِ : أنْ يُقدِّمُوا صلاةَ الاستخارةِ ، وصلاةُ الاستخارةِ لا تُهمَلُ وإنْ تبيَّنَ للفقيرِ صِحَّةُ خاطرِهِ ، أو تبيَّنَ لهُ وجهُ المصلحةِ في السفرِ ببيانٍ واضحٍ مِنَ الخاطرِ ؛

---

(1) رواه البخاري (٣٢٧٣) ، ومسلم (٨٢٨/ ٢٩٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال النووي في « شرح مسلم » (٦/ ١١٢) : (قيل : المراد بقرني الشيطان : حزبه وأتباعه ، وقيل : قوَّته وغلبته وانتشار فساده ، وقيل : القرنان : ناحيتا الرأس ، وإنَّهُ علىٰ ظاهره ، وهـٰذا هو الأقوىٰ ، قالوا : ومعناه : أنَّهُ يُدني رأسه إلى الشمس في هـٰذه الأوقات ؛ ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة ، وحينئذٍ يكونُ له ولبنيه تسلُّطٌ ظاهر وتمكُّنٌ من أن يُلبِّسوا على المُصلِّين صلاتَهُم ، فكُرِهتِ الصلاةُ حينئذ صيانةً لها ، كما كُرِهتْ في الأماكن التي هي مأوى الشيطان) .

(2) في (أ ، ز) : (الطريق) بدل (القبيل) .

فللقومِ مراتبُ في التِّبْيانِ مِنَ العلمِ بصِحَّةِ الخاطرِ وبما فوقَ ذلكَ ؛ ففي ذلكَ كُلِّهِ لا تُهمَلُ صلاةُ الاستخارةِ ؛ اتِّباعاً للسُّنَّةِ ؛ ففي ذلكَ البَرَكةُ .

وهوَ مِنْ تعليمِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ علىٰ ما :

(٥٣) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ السُّهْرُوَرْدِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ بنُ أبي عبدِ الرحمٰنِ في « كتابِهِ »[١] : أنَّ أبا سعيدٍ الكَنْجَرُوذيَّ أخبرَهُم[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرٍو بنُ حَمْدانَ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ الحسنِ الصُّوفيُّ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا منصورُ بنُ أبي مُزاحِمٍ[٤] ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمٰنِ بنُ أبي الموالي ، عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُعلِّمُنا الاستخارةَ كما يُعلِّمُنا السورةَ مِنَ القرآنِ ؛ قالَ : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِٱلْأَمْرِ أَوْ أَرَادَ ٱلْأَمْرَ . فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ ٱلْفَرِيضَةِ[٥] ، ثُمَّ لْيَقُلِ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ

---

(١) هو الإمام المُحدِّث المُعمَّر مسند خراسان زاهر بن طاهر النيسابوري الشَّحَّامي الشُّرُوطي (ت ٥٣٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٩) .

(٢) هو الإمام الفقيه الأديب النحوي الطبيب مسند خراسان محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد النيسابوري (ت ٤٥٣هـ) ، والكَنْجَرُوذيُّ : نسبةٌ إلىٰ (كَنْجَرُوذَ) قرية من قرىٰ نيسابور ، وجاءت كنيته في كثير من المصادر والمراجع : (أبو سعد) بدل (أبو سعيد) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٠١) .

(٣) هو الإمام الصوفي الكبير المُحدِّث الثقة المُعمَّر أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبَّار البغدادي (ت ٣٠٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ١٥٢) .

(٤) هو الإمام المُحدِّث أبو نصر منصور بن بشير التركي الكاتب (ت ٢٣٥هـ) ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٣/ ٨٠ ـ ٨١) .

(٥) يقرأ في الأولىٰ : (فاتحة الكتاب) و(قل يا أيها الكافرون) ، وفي الثانية : (الفاتحة)=

بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ ٱلْعَظِيمِ ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ، ٱللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَـٰذَا ٱلأَمْرَ ـ يُسمِّيهِ بعينِهِ ـ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَمَعَادِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ أو قالَ : عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ـ . فَٱقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ شَرّاً لِي ـ مِثْلَ ذَلِكَ[1] ـ . فَٱصْرِفْهُ عَنِّي وَٱصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَٱقْدُرْ لِيَ ٱلْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ »[2] .

* * *

= و(قل هو الله أحد) من « الإحياء » . من هامش (و) .

(1) في نسخة علىٰ هامش (و) : (في ديني ومعاشي وعاقبة أمري) بدل (مثل ذلك) .

(2) رواه البخاري (٦٣٨٢) ، وزاد في (د) آخرَهُ : (برحمتك يا أرحم الراحمين) ، وفي نسخة علىٰ هامشها : (ثم رَضِّني به) ، وكذلك في (و) ، إلا أن فيها : (أَرْضني) بدل (رضِّني) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ قراءةً في الرابع عشر للجماعة على الشيخ عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب السابع عشر

فيما يحتاج إليه المسافر في سفره من الفرائض والفضائل[1]

فأمَّا مِنَ الفقهِ وإنْ كانَ هـٰذا يُذكَرُ في كتبِ الفقهِ ، وهـٰذا الكتابُ غيرُ موضوعٍ لذلكَ ، ولـٰكن نقولُ علىٰ سبيلِ الإيجازِ تيمُّناً بذكرِ الأحكامِ الشرعيَّةِ التي هيَ الأساسُ الذي يُبنىٰ عليهِ كلُّ شيءٍ[2] :

لا بُدَّ للصُّوفيِّ المُسافِرِ مِنْ عِلْمِ التيمُّمِ ، والمسحِ على الخُفَّينِ ، والقَصْرِ ، والجَمْعِ في الصلاةِ .

أمَّا التيمُّمُ : فجائزٌ للمريضِ والمُسافِرِ في الجنابةِ والحَدَثِ عندَ عدمِ الماءِ[3] ، أوِ الخوفِ مِنِ استعمالِهِ تَلَفاً في النَّفْسِ[4] أوِ

---

(١) العنوان موافق لما جاء في مقدمة الكتاب ، وفي النسخ ما عدا (أ ، ج) : (الصوفي) بدل (المسافر) .

(٢) قوله : (كل شيء) زيادة من (ي) ، وزاد في نسخة علىٰ هامش (أ) : (الإسلام) .

(٣) وإن كان الماء حاضراً ؛ كماء البئر ، لـٰكن تتنازعُ عليه الواردون ، وعلم أنَّ النوبة لا تنتهي إليه إلا بعدَ الوقت . . صلَّىٰ علىٰ حسب حاله ولا يعيد ، وكذا يُصلِّي قاعداً في السفينة في الوقت إذا علم أنَّ النوبة فيها ـ وهي نوبة القيام ـ لا تنتهي إليه إلا بعد الوقت ، ولو وُهب منه أو أُعير منه الدلو . . لزمه القَبولُ ، بخلاف ما إذا وهب منه ثمن الماء أو الدلو ؛ فإنَّ المِنَّة ثقيلةٌ ، ولو وَجَدَ من الماء ما لا يكفيه لوضوء . . يلزمُهُ استعمالُهُ ، وإذا صبَّ الماء في الوقت ثم تيمَّم . . . أساءَ وأجزأه . « مصباح » . من هامش (ح) .

(٤) أو فساداً في العضو . من هامش (ح) .

المالِ[1] ، أو زيادةً في المرضِ على القولِ الصحيحِ مِنَ المذهبِ[2] ، أو عندَ حاجتِهِ إلى الماءِ الموجودِ لعَطَشِهِ ، أو عَطَشِ دابَّتِهِ أو رفيقِهِ .

ففي هـٰذهِ الأحوالِ كلِّها يُصلِّي بالتيمُّمِ ولا إعادةَ عليهِ .

والخائفُ مِنَ البردِ يُصلِّي بالتيمُّمِ ويُعِيدُ الصلاةَ على الأصحِّ .

ولا يجوزُ التيمُّمُ إلا بشَرْطِ الطَّلَبِ للماءِ في مواضعِ الطَّلَبِ ، ومواضعُ الطَّلَبِ : مواضعُ يتردَّدُ المُسافِرُ إليها في منزلِهِ للاحتشاشِ والاحتطابِ[3] ، ويكونُ الطلبُ بعدَ دخولِ الوقتِ .

والسفرُ القصيرُ في ذلكَ كالطويلِ .

وإنْ صلَّىٰ بالتيمُّمِ في أوَّلِ الوقتِ معَ تَيَقُّنِ الماءِ في آخرِ الوقتِ . . جازَ على الأصحِّ[4] ، ولا يُعِيدُ مهما صلَّىٰ بالتيمُّمِ وإنْ كانَ الوقتُ باقياً ، ومهما

---

(١) بأن كان يُباع الماء بالغبن الفاحش ، ولو بِيعَ بثمن له وقعٌ لم يلزمه شراؤه ، وبثمن المثل يلزم ، إلا إذا كان عليه [دين] مستغرق ، أو احتاج إليه لنفقة سفره ، وثمنُ المثلِ نقلُهُ من المكان الذي يُوجد فيه هـٰذا الماءُ إلىٰ هـٰذا المكان ؛ إذ لو فسَّرناه بقيمته في هـٰذا المكان كلَّفناه شراء الماء بدنانيرَ كثيرةٍ لوضوء واحد ، وذلك لا يجوز . « مصباح » . من هامش (ح) .

(٢) أي : مذهب السادة الشافعية ، والمؤلف من علماء الشافعية رحمه الله تعالىٰ ، ومن أبرز شيوخه في الفقه : عمُّهُ أبو النجيب ، وأبو القاسم بن فضلان .

(٣) بأن يتوهَّمَ وجودَهُ حواليَهُ ، فيلزمُهُ التردُّدُ يمنة ويسرة ، وقُدَّاماً ووراء ، إلىٰ حيثُ يلحقه غوثُ الرفقة عند الحاجة ، إلا إذا كان قاعداً مستوياً لا حائلَ دون نظره ؛ فيكفيه النظر ، ولو كان في رفقة فليُنادِ فيهم : مَنْ يجودُ بالماء أو يبيعُ الماء ؟ ولو وكَّل غيرَهُ في الطلب جاز ، ولو طلب عنه غيرُهُ بغير إذنه لم يجز . « مصباح » . من هامش (ح) .

(٤) وانتظاره أفضلُ ، ولو ظنَّهُ فتعجيلُ التيمم أفضل . انظر « منهاج الطالبين » (ص٨٢) .

تَوَهَّمَ وجودَ الماءِ بَطَلَ تيمُّمُهُ ، كما إذا طَلَعَ ركبٌ أو غيرِ ذلكَ .

وإنْ رأى الماءَ في أثناءِ الصلاةِ . . لا تَبطُلُ صلاتُهُ ، ولا يلزمُهُ الإعادةُ ، ويُستحَبُّ لهُ الخروجُ منها واستئنافُها بالوضوءِ على الأصحِّ .

ولا يتيمَّمُ للفرضِ قبلَ دخولِ الوقتِ ، ويتيمَّمُ لكلِّ فريضةٍ ، ويُصلِّي ما شاءَ مِنَ النوافلِ بتيمُّمٍ واحدٍ ، ولا يجوزُ أداءُ الفرضِ بتيمُّمِ النافلةِ .

ومَنْ لم يَجِدْ ماءً ولا تراباً . . يُصلِّي ويُعِيدُ عندَ وجودِ أحدِهِما ، ولٰكنْ إنْ كانَ مُحدِثاً لا يَمَسُّ المصحفَ ، وإنْ كانَ جُنُباً لا يقرأُ القرآنَ في الصلاةِ ، بل يذكرُ اللهَ تعالىٰ عِوَضَ القراءةِ .

ولا يتيمَّمُ إلا بترابٍ طاهرٍ غيرِ مُخالِطٍ للرَّمْلِ والجِصِّ ، ويجوزُ بالغبارِ علىٰ ظَهْرِ الحيوانِ والثوبِ .

ويُسمِّي اللهَ تعالىٰ عندَ التيمُّمِ ، وينوي استباحةَ الصلاةِ قبلَ ضَرْبِ اليدِ على الترابِ ، ويَضُمُّ أصابعَهُ لضَرْبةِ الوجهِ ، ويمسحُ جميعَ الوجهِ ، فلو بَقِيَ شيءٌ مِنْ مَحَلِّ الفرضِ غيرُ ممسوحٍ . . لا يصحُّ التيمُّمُ .

ويضربُ ضربةً لليدَينِ مبسوطةَ الأصابعِ ، ويُعمِّمُ الترابَ مَحَلَّ الفرضِ ، وإنْ لم يَقدِرْ إلَّا بضربتَينِ فصاعداً كيفَ أمكنَهُ . . لا بدَّ أنْ يُعمِّمَ الترابَ مَحَلَّ الفرضِ ، ويمسحُ إذا فَرَغَ إحدى الراحتَينِ بالأُخْرىٰ حتىٰ تصيرا ممسوحتَينِ ، ويُمِرُّ اليدَ علىٰ ما نَزَلَ مِنَ اللِّحيةِ مِنْ غيرِ إيصالِ الترابِ إلى المَنابتِ .

فأمَّا المسحُ : فيمسحُ على الخُفِّ ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليَهُنَّ في السفرِ ، والمقيمُ يوماً وليلةً .

وابتداءُ المُدَّةِ : مِنْ حينِ الحَدَثِ بعدَ لُبْسِ الخُفِّ ، لا مِنْ حينِ لُبْسِ الخُفِّ ، ولا حاجةَ إلى النِّيَّةِ عندَ لُبْسِ الخُفِّ ، بل يحتاجُ إلىٰ كمالِ الطهارةِ ؛ حتىٰ لو لَبِسَ إحدى الخُفَّينِ قبلَ غَسْلِ الرِّجْلِ الأُخْرىٰ . . لا يصحُّ أنْ يمسحَ على الخُفِّ .

ويُشترَطُ في الخُفِّ : إمكانُ مُتابعةِ المشيِ عليهِ ، وسَتْرُ مَحَلِّ الفرضِ ، ويكفي مَسْحُ يسيرٍ مِنْ أَعْلى الخُفِّ ، والأَوْلىٰ : مسحُ أَعْلاهُ وأسفلِهِ مِنْ غيرِ تَكرارٍ .

ومتى ارتفعَ حُكْمُ المسحِ بانقضاءِ المُدَّةِ ، أو ظهورِ شيءٍ مِنْ مَحَلِّ الفرضِ[1] وإنْ كانَ عليهِ لِفَافةٌ وهوَ على الطهارةِ . . يغسلُ القدمينِ دونَ استئنافِ الوضوءِ على الأَصَحِّ .

والماسحُ في السفرِ إذا أقامَ يمسحُ للمُقِيم ، وهكذا المُقِيمُ إذا سافرَ ؛ يمسحُ للمُقيمِ[2] .

واللِّبْدُ إذا رُكِّبَ جَوْرَباً ونُعِّلَ يجوزُ المسحُ عليهِ[3] ، ويجوزُ المسحُ على المُشرَّجِ إذا سَتَرَ مَحَلَّ الفرضِ[4] ، ولا يجوزُ على المنسوجِ وجهُهُ الذي يُستَرُ بعضُ القدمِ بهِ والباقي باللِّفافةِ .

فأمَّا القَصْرُ والجَمْعُ : فيجمعُ بينَ الظهرِ والعصرِ في وقتِ إحداهُما ،

---

(١) زاد في (د) : (غسل القدمين في أصحِّ القولين ، واستأنف في الآخر) .

(٢) في (ب ، هـ) : (للمسافر) ، ولعل الصواب ما أثبت ، وفي بعض النسخ هنا والموضع قبله : (كالمقيم) ، واللام على المثبت وقتية .

(٣) اللِّبْدُ : ما تلبَّد ولَصِقَ ببعضه من شعر أو صوف .

(٤) الخُفُّ المُشرَّج : المشقوق في مُقدَّمه .

ويتيمَّمُ لكلِّ واحدةٍ ، ولا يفصلُ بينَهُما بكلامٍ وغيرِهِ ، وهٰكذا يجمعُ بينَ المغربِ والعِشاءِ .

ولا قَصْرَ في المغربِ ، والصُبْحُ كهيئتِها مِنْ غيرِ قَصْرٍ وجَمْعٍ .

والسُّنَنُ الرواتبُ يُصلِّيها بجمعِ بينَ السُّنَّتَينِ قبلَ الفريضتَينِ للظهرِ والعصرِ[1] ، وبعدَ الفراغِ مِنَ الفريضتَينِ يُصلِّي ما يُصلَّى بعدَ الفريضةِ مِنَ الظهرِ ركعتَينِ أو أربعاً ، وبعدَ الفراغِ مِنَ المغربِ والعشاءِ يُؤدِّي السُّنَنَ الرواتبَ لهُما ، ويُوتِرُ بعدَها .

ولا يجوزُ أداءُ الفرائضِ على الدابَّةِ بحالٍ إلَّا عندَ التحامِ القتالِ للغازي ، ويجوزُ ذلكَ في السُّنَنِ الرواتبِ والنوافلِ .

ويكْفيهِ للصلاةِ علىٰ ظهرِ الدابَّةِ في الركوعِ والسجودِ الإيماءُ ، ويكونُ إيماءُ السجودِ أَخْفضَ مِنَ الركوعِ ، إلَّا أنْ يكونَ قادراً على التمكُّنِ ؛ مثلُ أنْ يكونَ في كَجَاوةٍ وغيرِ ذلكَ[2] ، ويقومُ توجُّهُهُ إلى الطريقِ مَقامَ استقبالِ القِبْلةِ ، فيُصلِّي كيفَ تَوَجَّهَ في الطريقِ[3] ، فأمَّا أنْ يكونَ لا مُستقبِلَ القِبْلةِ

---

(١) فيُصلِّي سنة الظهر أوَّلاً أربع ركعات ، ثمَّ سنةَ العصر أربع ركعات ، ثمَّ فريضة الظهر ، ثمَّ فريضة العصر ، وقولُه : (بين) متعلق بـ (جمع) .

(٢) الكَجَاوة : لفظٌ فارسي ؛ وهو الهودج يُوضع علىٰ بغل ويقعد فيه رجلان كلُّ واحد منهما في جانب .

(٣) ولا يَضُرُّ انحرافُ الدابّة عن القبلة حالة افتتاح الصلاة ، إلا إذا تيسَّر عليه توجُّهُها إلى القبلة ، وتخالفُها عن صوب الطريق ناسياً بها في أثنائها كاستقبال القبلة ناسياً في الصلاة ؛ قصيرُ ذلك لا يضُرُّ بحديث ذي اليدين ، وطويلُهُ مُبطِلُهُ ؛ كالكلام الطويل ناسياً ، وإن كان لجماح الدابّة فهو كالمصروف عن القبلة قَهراً ؛ بطلت صلاتُهُ إن طال الزمان ، ولا تبطل صلاتُهُ إن قصر الزمان ، سواء كان عالماً بالحال أو لم يكن . =

ولا مُتوجِّهاً إلى الطريقِ . . فلا[1] ؛ حتىٰ لو حَرَفَ دابَّتَهُ عنِ الصَّوْبِ المُتوجَّهِ إليهِ لا إلىٰ نَحْوِ القِبْلةِ . . بطلتْ صلاتُهُ .

والماشي يتنفَّلُ في السفرِ[2] ، ويُقنِعُهُ[3] استقبالُ القِبْلةِ عندَ الإحرامِ[4] ، ولا يُجزِئُهُ في الإحرامِ إلَّا الاستقبالُ ، ويُقنِعُهُ الإيماءُ للرُّكوعِ والسجودِ ، وراكبُ الدابَّةِ لا يحتاجُ إلى استقبالِ القِبْلةِ للإحرامِ أيضاً .

وإذا أصبحَ المُسافِرُ مُقيماً ثمَّ سافرَ . . فعليهِ إتمامُ ذلكَ اليومِ في الصومِ ، وهـٰكذا إنْ أصبحَ مُسافِراً ثمَّ أقامَ .

والصومُ في السفرِ أَفْضلُ مِنَ الفِطْرِ ، وفي الصلاةِ القَصْرُ أَفْضلُ مِنَ الإتمامِ .

وهـٰذا القَدْرُ كافٍ للصُّوفيِّ أنْ يعلمَهُ مِنْ حُكْمِ الشرعِ في مَهامِّ سفرِهِ .

وأمَّا المندوبُ والمُستحَبُّ : فينبغي أنْ يطلبَ لنَفْسِهِ رفيقاً في الطريقِ يُعِينُهُ علىٰ أمرِ الدِّينِ ؛ فقد قيلَ : (الرفيقُ ثمَّ الطريقُ)[5] ، ونهىٰ رسولُ اللهِ

= « مصباح » . من هامش (ح) .

(1) زاد في (ط) : (ولا يوجهها إلىٰ غير الطريق إلا للقبلة) .

(2) سواء أكان طويلاً أو قصيراً . « مصباح » . من هامش (ح) .

(3) أي : يكفيه .

(4) المُتنفِّلُ الماشي يجب استقبالُهُ القبلةَ في ثلاث أحوال : الافتتاحِ ، والركوع ، والسجودِ ، ويسجدُ مُتَّكِئاً ـ أي : لا مُومِئاً ـ على الأرض ، وله أن يتشهَّد ماشياً ؛ لأنَّ القعودَ ينوبُ عن القيام في النفل سفراً وحضراً ، فلا يَبعُدُ أن ينوب القيام عن القعود في النفل سفراً ، ولو مشىٰ في نجاسةٍ قصداً . . بطلت صلاته ، بخلاف ما لو سيَّر فرسه فيها ، ولا يلزمُه المبالغة في التحرُّز من النجاسات عند كثرتها في الطُّرُق . « مصباح » . من هامش (ح) .

(5) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٢٣٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » =

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُسافِرَ الرجلُ وحدَهُ[1] ، إلَّا أنْ يكونَ صُوفياً عالِماً بآفةِ نفْسِهِ ، يختارُ الوَحْدةَ على بصيرةٍ مِنْ أمرِهِ ؛ فلا بأسَ بالوَحْدةِ .

وإذا كانُوا جماعةً ينبغي أنْ يكونَ فيهِم مُتقدِّمٌ أميرٌ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي سَفَرٍ . . فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ »[2] ، والذي يُسمِّيهِ الصُّوفيَّةُ (بيشْ رَوْ) هوَ الأميرُ .

وينبغي أنْ يكونَ الأميرُ أَزْهدَ الجماعةِ في الدنيا ، وأَوْفرَهُم حَظّاً مِنَ التقوىٰ ، وأَتَمَّهُم مُرُوءةً وسَخَاوةً ، وأكثرَهُم شَفَقَةً ؛ روىٰ عبدُ اللهِ بنُ [عمرٍو] رضيَ اللهُ عنهُما[3] ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « خَيْرُ ٱلْأَصْحَابِ عِنْدَ ٱللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ »[4] .

نُقِلَ عن عبدِ اللهِ المَرْوَزيِّ : أنَّ أبا عليٍّ الرِّبَاطيَّ صَحِبَهُ ، فقالَ : علىٰ أنْ أكونَ أنا الأميرَ أو أنتَ ؟ فقالَ : بل أنتَ ، فلم يَزَلْ يحملُ الزادَ لنَفْسِهِ ولأبي

= (٤/ ٢٦٨ـ ٢٦٩) ، والخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي » (١٧٠٨) مرفوعاً عن سيدنا رافع بن خديج رضي الله عنه ، ولفظ الطبراني : « التمسوا الجارَ قبلَ الدارِ ، والرفيقَ قبلَ الطريقِ » ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ١٧٩) .

(١) رواه أحمد (٢/ ٩١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » كما في « مجمع الزوائد » (١٣٢٠٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٢٢) .

(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٠٩٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٢٥٧) عند سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورواه أبو داود أيضاً (٢٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٢٢) .

(٣) في النسخ : (عمر) ، والمثبت من المصادر الآتية .

(٤) رواه الترمذي (١٩٤٤) ، والدارمي (٢٤٨١) ، وأحمد (٢/ ١٦٧ـ١٦٨) ، وابن حبان (٥١٩) .

عليٌّ علىٰ ظَهْرِهِ ، وأَمْطرَتِ السماءُ ذاتَ ليلةٍ ، فقامَ عبدُ اللهِ طُولَ الليلِ علىٰ رأسِ رفيقِهِ يُغطِّيهِ بكِسائِهِ عنِ المطرِ ، وكلَّما قالَ : لا تفعلْ . . يقولُ : ألستُ الأميرَ وعليكَ الانقيادُ والطاعةُ ؟[1] .

فأمَّا أنْ يكونَ الأميرُ يستصحبُ الفقراءَ لمَحَبَّةِ الاستتباعِ وطَلَبِ الرِّياسةِ والتعزُّزِ ؛ ليتسلَّطَ على الخُدَّامِ في الرِّباط ، ويُبلِّغَ نَفْسَهُ هَواها . . فهـٰذهِ طريقُ أربابِ الهوى الجُهَّالِ المُبايِنينَ لطريقِ الصُّوفيَّةِ ، وهوَ سبيلُ مَنْ يُرِيدُ جَمْعَ الدُّنيا ، فيتَّخِذُ لنَفْسِهِ رُفَقَاءَ مائِلينَ إلى الدنيا ، يجتمعُونَ لتحصيلِ أغراضِ النَّفْسِ ، والدخولِ علىٰ أبناءِ الدنيا والظَّلَمةِ للتوصُّلِ إلىٰ تحصيلِ مآربِ النَّفْسِ ، ولا يخلو اجتماعُهُم هـٰذا عنِ الخوضِ في الغِيبةِ ، والدخولِ في المداخلِ المكروهةِ ، والتَّنقُّلِ في الرُّبُطِ ، والاستمتاعِ والنُّزْهَةِ ، وكلَّما كَثُرَ المعلومُ في الرِّباطِ . . أطالوا المقامَ وإنْ تعَذَّرَتْ أسبابُ الدِّينِ ، وكلَّما قَلَّ المعلومُ في الرِّباطِ . . رحلُوا وإنْ تَيَسَّرَتْ أسبابُ الدِّينِ ، وليسَ هـٰذهِ طريقَ الصُّوفيَّةِ .

ومِنَ المُستحَبِّ : أنْ يُودِّعَ إخوانَهُ إذا أرادَ السفرَ ، ويدعوَ لهُم بدعاءِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

يقولُ بعضُهُم : صَحِبْتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما مِنْ مَكَّةَ إلى المدينةِ ، فلمَّا أردتُ مُفارَقَتَهُ شيَّعَني وقالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(1) أورده بنحوه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص٢٣٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٠٤ـ٦٠٥) ، ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/ ٣٨٢) .

وسلَّمَ يقولُ : « قَالَ لُقْمَانُ[1] : إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا ٱسْتُودِعَ شَيْئاً حَفِظَهُ ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ »[2] .

وروىٰ زيدُ بنُ أَرْقَمَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَراً فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ جَاعِلٌ لَهُ فِي دُعَائِهِمُ ٱلْبَرَكَةَ »[3] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أيضاً : أنَّهُ كانَ إذا وَدَّعَ رجلاً قالَ : « زَوَّدَكَ ٱللهُ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ »[4] .

وينبغي أنْ يعتقدَ إخوانُهُ أنَّهُ إذا دعا لهُم وأَوْدَعَهُمُ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ . . أنَّ اللهَ يستجيبُ دعاءَهُ ؛ فقد رُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يُعطي الناسَ

---

(١) زاد في بعض النسخ : (لابنه : يا بني) ، وعليه : يكون قوله : (وإني أستودع . . .) من كلام سيدنا لقمان عليه السلام ، والمثبت هو الرواية .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٢٧٣) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٢٨) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٠) ، ورواه دون قوله : (وإني أستودع . . .) النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٢٧٤) ، وأحمد (٢/ ٨٧) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٢٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٠٧٣) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٢٤_٢٢٥) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/ ٣٧٢) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٢٥) .

(٤) رواه بلفظه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٦) ، والمحاملي في « الدعاء » (٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وبنحوه الترمذي (٣٤٤٤) ، والدارمي (٢٧١٣) ، وابن خزيمة (٢٥٣٢) ، والحاكم (٢/ ٩٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٢٥_٢٢٦) .

عطاياهُم إذ جاءَهُ رجلٌ معَهُ ابنٌ لهُ ، فقالَ لهُ عمرُ : ما رأيتُ أحداً أَشْبَهَ بأحدٍ مِنْ هـٰذا بِكَ !!

فقالَ الرجلُ : أُحدِّثُكَ عنهُ يا أميرَ المؤمنينَ : إنِّي أردتُ أنْ أخرجَ إلىٰ سفرٍ وأُمُّهُ حاملٌ بهِ ، فقالتْ : تخرجُ وتَدَعُني علىٰ هـٰذهِ الحالةِ ؟! فقلتُ : أستودعُ اللهَ ما في بطنِكِ ، فخرجتُ ثمَّ قَدِمتُ وإذا هي قد ماتَتْ ، فجَلَسْنا نتحدَّثُ ، فإذا نارٌ علىٰ قَبْرِها[1] ، فقلتُ للقومِ : ما هـٰذهِ النارُ ؟ فقالُوا : هـٰذهِ مِنْ قبرِ فُلانةَ نراهُ كلَّ ليلةٍ ، فقلتُ : واللهِ ؛ إنَّها كانتْ صَوَّامةً قَوَّامةً ، فأخذتُ المِعْوَلَ حتى انتهَيْنا إلى القبرِ ، فحَفَرْنا فإذا سِراجٌ ، وإذا هـٰذا الغلامُ يَدِبُّ ، فقيلَ : إنَّ هـٰذهِ وديعتُكَ ، ولو كنتَ اسْتَودَعْتَنا أمَّهُ لوجدتَها .

فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : لَهو أَشْبهُ بكَ مِنَ الغُرابِ بالغُرابِ[2] .

وينبغي أنْ يُودِّعَ كلَّ مَنزِلٍ يرحلُ عنهُ بركعتَينِ ويقولَ : (اللَّهُمَّ ؛ زَوِّدْني التقوىٰ ، واغْفِرْ لي ذُنُوبي ، ووَجِّهْني للخيرِ أينَما توجَّهتُ) .

وروىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا ينزلُ مَنزِلاً إلَّا وَدَّعَهُ بركعتَينِ)[3] .

فينبغي أنْ يُودِّعَ كلَّ مَنزِلٍ ورِباطٍ يرحلُ عنهُ بركعتَينِ .

وإذا رَكِبَ الدابَّةَ فلْيقُلْ : (سبحانَ الذي سخَّرَ لنا هـٰذا وما كُنَّا لهُ

---

(١) في (ي) : (تلوح من قبرها) ، والمثبت هو الرواية .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٩٩) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٢٤) .

(٣) رواه الحاكم (١/ ٣١٥ـ ٣١٦) ، وابن خزيمة (١٢٦٠) ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٤٤٧) .

مُقرنينَ ، باسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ ، توكَّلتُ على اللهِ ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العظيمِ ، اللَّهُمَّ ؛ أنتَ الحاملُ على الظهرِ ، وأنتَ المُستعانُ على الأمورِ) .

والسُّنَّةُ : أنْ يرحلَ مِنَ المنازلِ بُكْرةً ، ويبتدئَ بيومِ الخميسِ ؛ روىٰ كعبُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (قلَّما كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخرجُ إلىٰ سفرٍ إلَّا يومَ الخميسِ)[1] .

وكانَ إذا أرادَ أنْ يبعثَ سَرِيَّةً بعثَها أَوَّلَ النهارِ[2] .

ويُستحَبُّ كلَّما أَشْرفَ علىٰ مَنزِلٍ أنْ يقولَ : (اللَّهُمَّ ، ربَّ السماواتِ وما أَظْلَلْنَ ، ورَبَّ الأَرَضِينَ وما أَقْلَلْنَ ، وربَّ الشياطينِ وما أَضْلَلْنَ ، وربَّ الرِّياحِ وما ذَرَيْنَ ، وربَّ البحارِ وما جَرَيْنَ ؛ أسأَلُكَ خيرَ هـٰذا المَنزِلِ وخيرَ أهلِهِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ هـٰذا المَنزِلِ وشرِّ أهلِهِ) ، وإذا نَزَلَ فلْيُصلِّ ركعتَينِ .

وممَّا ينبغي للمُسافِرِ : أنْ تصحبَهُ آلةُ الطهارةِ .

قيلَ : كانَ إبراهيمُ الخَوَّاصُ رحمَهُ اللهُ لا تُفارِقُهُ أربعةُ أشياءَ في الحَضَرِ والسَّفَرِ : الرَّكْوةُ ، والحَبْلُ ، والإبرةُ وخُيوطُها ، والمِقْراضُ[3] .

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٩) .

(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٦) ، والترمذي (١٢١٢) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٧٨٢) ، وابن ماجه (٢٢٣٦) عن سيدنا صخر الغامدي رضي الله عنه .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٤١٤ـ٤١٥) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٦) ، وأورده الغزالي في « الإحياء » (٣٦٨/٤) ، وزاد في « الرسالة » : (فقيل له : يا أبا إسحاقَ ؛ لِمَ تحملُ هـٰذا وأنت تمتنعُ من كل شيء ؟=

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا سافرَ حَمَلَ معَهُ خمسةَ أشياءَ : المِرْآةَ ، والمُكْحُلَةَ ، والمِدْرَىٰ ، والسِّواكَ ، والمُشْطَ[1] ، وفي روايةٍ : المِقْراضَ[2] .

والصُّوفيَّةُ لا تُفارِقُهُمُ العصا ، وهوَ أيضاً مِنَ السُّنَّةِ ؛ روىٰ معاذُ بنُ جَبَلٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنْ أَتَّخِذْ مِنْبَراً فَقَدِ ٱتَّخَذَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَإِنْ أَتَّخِذِ ٱلْعَصَا فَقَدِ ٱتَّخَذَهَا إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ »[3] .

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : (التَّوكُّؤُ على العصا مِنْ أخلاقِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ؛ كانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عصاً يتوكَّأُ عليها ، ويأمرُ بالتوكُّؤِ على العصا)[4] .

= فقال : مثلُ هـٰذا لا ينقض التوكُّل ؛ لأنَّ لله تعالىٰ علينا فرائضَ ، والفقير لا يكون عليه إلا ثوبٌ واحد ، فربَّما يتخرَّق ثوبُهُ ، فإذا لم يكن معه إبرةٌ وخيوط . . تبدو عورته ، فتفسد عليه صلاته ، وإذا لم يكن معه رَكْوة . . يفسد عليه طهارته ، فإذا رأيتَ الفقيرَ بلا ركوة ولا إبرة وخيوط . . فاتَّهمه في صلاته) ، وقال في « إحكام الدلالة » (٣/ ٥٥) : (وإذا لم يكن مِقْراضٌ . . فيطولُ شاربُهُ فيفوتُهُ قصد المأمور به) ، والرَّكْوة : دَلْو صغير .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٢٤٢) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٢٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٠٧٢) .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٢٩) ، وابن عدي في « الكامل » (٨/ ٤٧١).

(٣) رواه البزار في « مسنده » (٢٦٣٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ١٦٧) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ١٤٥) ، وليس فيها ذكر سيدنا موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، وفي النسخ ما عدا (د ، ي) سقط ذكر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

(٤) رواه ابن عدي في « الكامل » (٨/ ١٠١)، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٥٢٧) .

وأَخْذُ الرَّكْوةِ أيضاً مِنَ السُّنَّةِ ؛ روىٰ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : بينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتوضَّأُ مِنْ رَكْوةٍ . . إذ جَهَشَ الناسُ نَحْوَهُ ـ أي : أَسْرَعُوا نحوَهُ ، والأصلُ فيهِ : البكاءُ ؛ كالصَّبِيِّ يَتَلَزَّمُ بالأمِّ ويُسرِعُ إليها عندَ البكاءِ ـ قالَ : فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا لَكُمْ ؟! » ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ ما نَجِدُ ماءً نشربُ ولا نتوضَّأُ إلَّا ما بينَ يَدَيكَ ، فَوضَعَ يَدَهُ في الرَّكْوةِ[1] ، فنظرتُ وهوَ يَفُورُ مِنْ بينِ أصابعِهِ مِثْلَ العُيُونِ ، قالَ : فتوضَّأَ القومُ منهُ .

قلتُ : كم كنتُم ؟ قالَ : لو كُنَّا مئةَ ألفٍ لَكَفَانا ؛ كُنَّا خمسَ عَشْرَةَ مئةً في غزوةِ الحُدَيْبِيَةِ[2] .

ومِنْ سُنَّةِ الصُّوفيَّةِ : شَدُّ الوَسَطِ ، وهوَ مِنَ السُّنَّةِ ؛ روىٰ أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : حجَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابُهُ مُشَاةً مِنَ المدينةِ إلىٰ مَكَّةَ وقالَ : « ٱرْبِطُوا عَلَىٰ أَوْسَاطِكُمْ بِأُزُرِكُمْ » ، فرَبَطْنا ومَشَيْنا خِلْطَ الهَرْوَلَةِ[3] .

ومِنْ ظاهرِ آدابِ الصُّوفيَّةِ عندَ خروجِهم مِنَ الرُّبُطِ : أنْ يُصلِّيَ ركعتَينِ في أوَّلِ النهارِ يومَ السفرِ بُكْرةً كما ذَكَرْنا[4] ؛ يُودِّعُ البُقْعةَ بالركعتَينِ ، ويُقدِّمَ

---

(١) في (أ ، ز) : (يده الكريمة) بدل (يده) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٧٦) .

(٣) رواه ابن ماجه (٣١١٩) ، وابن خزيمة (٢٥٣٥) ، والحاكم (١/٤٤٢) ، ومَشَيْنا خِلْطَ الهَرْوَلة ؛ أي : مَشْياً مُختلِطاً بالهرولة ؛ بأن يمشوا حيناً ويُهرولوا أخرىٰ ، أو مُعتدِلاً .

(٤) انظر (١/٤٠٦) .

الخُفَّ وينفُضَهُ ، ويُشمِّرَ الكُمَّ اليُمْنىٰ ثمَّ اليُسْرىٰ ، ثمَّ يأخذَ المِيَانْ بَنْدَ الذي يَشُدُّ بهِ وَسَطَهُ[1] ، ويأخذَ خَرِيطةَ المَدَاسِ وينفُضَها[2] .

ويأتيَ الموضعَ الذي يُرِيدُ أنْ يَلْبَسَ الخُفَّ فيهِ ، فيَفرُشَ السَّجَّادةَ طاقَينِ ، ويَحُكَّ نعلَ أحدِ المَداسَينِ بالآخَرِ ، ويأخذَ المَداسَ باليسارِ والخَرِيطةَ باليمينِ ، ويَضَعَ المَداسَ في الخَرِيطةِ أعقابُهُما إلىٰ أَسْفلَ ، ويَشُدَّ رأسَ الخَرِيطةِ ، ويُدخِلَ المَداسَ بيدِهِ اليُسْرىٰ مِنْ كُمِّهِ الأيسرِ ، ويَضَعَهُ خلفَ ظهرِهِ .

ثمَّ يقعدَ على السَّجَّادةِ ، ويُقدِّمَ الخُفَّ بيسارِهِ ويَنفُضَهُ ، ويبتدئَ باليُمْنىٰ فيَلْبَسَ ، ولا يَدَعَ شيئاً مِنَ الرَّانَينِ أوِ المِنْطَقَةِ يقعُ على الأرضِ[3] .

ثمَّ يغسلَ يديهِ ، ويجعلَ وجهَهُ إلى الموضعِ الذي يخرجُ منهُ ، ويُودِّعَ الحاضرينَ ، **فإنْ أَخَذَ بعضُ الإخوانِ زاويتَهُ إلىٰ خارجِ الرِّباطِ**[4] . . لا يمنعْهُ ، وهٰكذا العصا والإبريقُ ، ويُودِّعَ مَنْ يُشيِّعُهُ .

ثمَّ يَشُدَّ الزوايةَ ، ويرفعَ يدَهُ اليُمْنىٰ ويُخرِجَ اليُسْرىٰ مِنْ تحتِ إبْطِهِ

---

(١) المِيَانْ بَنْدَ : لفظ فارسي ؛ وهو الحزام والنِّطاق .

(٢) الخَرِيطة : وعاء من أَدَم وغيره يُشرَجُ علىٰ ما فيه ، والمَداس : ما يُلبَسُ في الرِّجْل .

(٣) الرَّانَينُ : خُفٌّ يُلبَس للساق ليس له قدم ، بل يكون ما بين الركبة والكعبين ، والمِنْطَقَة : ما يُشدُّ به الوسط .

(٤) الزاوية : وعاء يُوضع فيه آلات سفر المسافر . من هامش (و) بتصرف ، وفي هامش (ح) : (هي اللِّفافة التي جمع فيها حوائجه) ، ولعلها مأخوذة من زَوَيتُ الشيءَ : إذا جمعتَهُ ؛ لكونها تجمع ما يُوضع فيها ، والله تعالىٰ أعلم ، وجاءت في (ج) بالراء ، وكتب علىٰ هامشها : (قيل : الراوية : الجمل يُستسقى الماء به ، وبه سُمِّي المزادةُ راويةً ، وفي نسخة الأصل : « زاوية » بالزاء المنقوطة) .

الأيمنِ ، ويَشُدَّ الزاويةَ على الجانبِ الأيسرِ ، ويكونَ كتفُهُ الأيمنُ خالياً ، وعُقْدَةُ الزاويةِ مِنْ جانبِ اليُمْنىٰ .

وإذا وَصَلَ في طريقِهِ إلىٰ موضعٍ شريفٍ ، أوِ استقبلَهُ جمعٌ مِنَ الإخوانِ ، أو شيخٌ مِنَ الطائفةِ . . يَحُلُّ الزاويةَ ويحطُّها ، ويستقبلُهُم ويُسلِّمُ عليهِم ، ثمَّ إذا جاوزوهُ يَشُدُّ الزاويةَ ، وإذا قَرُبَ مِنَ المَنزِلِ رِباطاً كانَ أو غيرَهُ . . يَحُلُّ الزاويةَ ويحملُها تحتَ إِبْطِهِ الأيسرِ ، وهٰكذا العصا والإبريقُ يُمسِكُهُما بيسارِهِ .

وهٰذِهِ الرُّسُومُ استحسنَها فقراءُ خُراسانَ والجَبَلِ[١] ، ولا يعتمدُها أكثرُ فقراءِ العراقِ والشامِ والمغربِ ، وتجري بينَ الفقراءِ مُشاحَّةٌ في رِعايتِها[٢] .

فمَنْ لا يتعاهدُها يقولُ : هٰذِهِ رُسُومٌ لا تلزمُ ، والتَّلَزُّمُ بها وقوفٌ معَ الصُّوَرِ وغَفْلَةٌ عنِ الحقائقِ .

ومَنْ يتعاهدُها يقولُ : هٰذِهِ آدابٌ وضَعَها المُتقدِّمونَ[٣] ، وإذا رأَوْا مَنْ يُخِلُّ بها أو بشيءٍ منها ينظرُونَ إليهِ نَظَرَ الازدراءِ والحَقَارةِ ، ويُقالُ : هٰذا ليسَ بصُوفيٍّ .

وكلا الطائفتَينِ في الإنكارِ يَتعدَّونَ الواجبَ ، والصحيحُ في ذلكَ : أنَّ مَنْ يتعاهدُها لا يُنكَرُ عليهِ ؛ فليسَ بمُنكَرٍ في الشرعِ ، وهوَ أَدَبٌ حَسَنٌ ، ومَنْ

---

(١) الجَبَل : يُطلَق على البلاد التي بين أَصْبَهانَ إلىٰ زَنْجانَ وقَزْوِينَ وهَمَذَانَ والدِّينَوَرِ وقِرْمِيسينَ والرَّيِّ وما بين ذلك . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٩٩) .

(٢) المُشاحَّة : المنازعة .

(٣) واستحسنوها ، وما يراه المؤمنون حَسَناً فهو عند الله حَسَن ، مع أنَّ في كلٍّ واحدٍ منها فوائدَ . من هامش (ح) .

لم يلتزمْ بذلكَ فلا يُنكَرُ عليهِ ؛ فليسَ بواجبٍ في الشرعِ ولا مندوبٍ إليهِ .

وكثيراً ما يُبالغُ فقراءُ خُرَاسانَ والجَبَلِ في رعايةِ هٰذهِ الرُّسُومِ إلىٰ حَدٍّ يُخرِجُ إلى الإفراطِ ، وكثيراً ما يُخِلُّ بها فقراءُ العراقِ والشامِ والمغاربةِ إلىٰ حَدٍّ يُخرِجُ إلى التفريطِ .

والأَلْيَقُ : أنَّ ما لا يُنكِرُهُ الشرعُ لا يُنكَرُ ، ويُجعَلُ لتصاريفِ الإخوانِ الصادقينَ أعذارٌ ، ما لم يكنْ فيهِ مُنكَرٌ أو إخلالٌ بمندوبٍ إليهِ ، واللهُ المُوفِّقُ[1] .

❁ ❁ ❁

(١) في هامش (ب) : (بلغ السماعُ للجماعة على الشيخ أمين الدين بقراءة الكاتب) ، وفيه : (بلغ قراءةً كاتبه على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

الباب الثامن عشر

في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه

ينبغي للفقيرِ إذا رَجَعَ مِنَ السفرِ أنْ يستعيذَ باللهِ تعالىٰ مِنْ آفاتِ المُقَامِ ، كما يستعيذُ بهِ مِنْ وَعْثاءِ السفرِ[1] .

ومِنَ الدُّعاءِ المأثورِ : « اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ ٱلسَّفَرِ ، وَكَآبَةِ ٱلْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ ٱلْمَنْظَرِ فِي ٱلأَهْلِ وَٱلْمَالِ وَٱلْوَلَدِ »[2] .

وإذا أَشْرفَ علىٰ بلدةٍ يُرِيدُ المُقامَ بها . يُشِيرُ بالسلامِ علىٰ مَنْ بها مِنَ الأحياءِ والأمواتِ ، ويقرأُ مِنَ القرآنِ ما تيسَّرَ ، ويجعلُهُ هديَّةً للأحياءِ والأمواتِ ، ويُكبِّرُ ؛ فقد رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أو حَجٍّ كانَ يُكبِّرُ علىٰ كلِّ شَرَفٍ مِنَ الأرضِ ثلاثَ مرَّاتٍ[3] ، ويقولُ : « لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ ٱللهُ وَعْدَهُ ،

---

(١) وَعْثاء السفر : مشقَّتُهُ وشدَّتُهُ ، وأصلُهُ : من (الوَعْث) ؛ وهو الدَّهس من الرمال الرقيقة ، والمشيُ يشتدُّ فيه علىٰ صاحبه ، فجُعِلَ مَثَلاً لكل ما يَشُقُّ علىٰ صاحبه .

(٢) رواه مسلم (١٣٤٢ ، ١٣٤٣) عن سيدنا ابن عمر وعبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنهم ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٣٣ـ٢٣٤) .

(٣) الشَّرَف : العلو والمكان العالي . من هامش (ح) .

وَنَصرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ ٱلأَحْزَابَ وَحْدَهُ »[١] .

ويقولُ إذا رأى البلدَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَاراً وَرِزْقاً حَسَناً »[٢] .

ولوِ اغتسلَ كانَ حَسَناً ؛ اقتداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ حيثُ اغتسلَ لدخولِ مكَّةَ[٣] ، ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا رَجَعَ مِنْ طلبِ الأحزابِ ونزَلَ المدينةَ . . نَزَعَ لأْمَتَهُ واغتسلَ واستحمَّ[٤] ، وإلَّا فَلْيُجدِّدِ الوضوءَ .

ويتنظَّفُ ويتطيَّبُ ، ويستعدُّ للقاءِ الإخوانِ بذلكَ ، وينوي التبرُّكَ بمَنْ هنالكَ مِنَ الأحياءِ والأمواتِ ، ويزورُهُم .

روى أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخاً لَهُ فِي ٱللهِ ، فَأَرْصَدَ ٱللهُ بِمَدْرَجَتِهِ مَلَكاً وَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَزُورُ فُلَاناً ، قَالَ : أَلِقَرَابَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَلِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ تَشْكُرُهَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فِيمَ تَزُورُهُ ؟ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُ فِي ٱللهِ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ »[٥] .

---

(١) رواه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٣١١) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٢٥) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (١٥٧٣) ، ومسلم (٢٢٧/١٢٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه البخاري (٢٨١٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وفي هامش (ح) : (الحميم : الماء الحارُّ ، والحميمة مثله ، وقد استحممت : إذا اغتسلت به ، هـٰذا هو الأصل ، ثمَّ صار كلُّ اغتسال استحماماً بأيِّ ماء كان حارّاً أو بارداً) .

(٥) رواه مسلم (٢٥٦٧) ، وأحمد (٢/٢٩٢) واللفظ له ، وأَرْصَدَهُ : أقعدَهُ يرقُبُهُ ، =

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِذَا عَادَ ٱلرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ فِي ٱللهِ . . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ : طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ مَنْزِلاً »[1] .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ ٱلْقُبُورِ فَزُورُوهَا[2] ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ ٱلآخِرَةَ »[3] .

فيحصُلُ للفقيرِ فائدةُ الأحياءِ والأمواتِ بذلكَ .

فإذا دَخَلَ البلدَ يبتدئُ بمسجدٍ مِنَ المساجدِ يُصلِّي فيهِ ركعتَينِ ، وإنْ قَصَدَ الجامعَ كانَ أَكْملَ وأَفْضلَ ؛ فقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قَدِمَ دَخَلَ المسجدَ أوَّلاً وصلَّىٰ ركعتَينِ ، ثم دخلَ البيتَ[4] ، والرِّباطُ للفقيرِ بمنزلةِ البيتِ .

= والمَدْرَجةُ : الطريق ، سُمِّيت بذلك ؛ لأنَّ الناس يَدرُجون عليها ؛ أي : يمضون ويمشون .

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٨) ، وابن ماجه (١٤٤٣) ، وأحمد (٢/ ٣٤٤) ، وابن حبان (٢٩٦١) .

(٢) الأمر بعد النهي يدل على اهتمام بشأن المأمور به . من هامش (ح) .

(٣) رواه ابن ماجه (١٥٧١) ، والحاكم (١/ ٣٧٥) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه الترمذي (١٠٥٤) ، وأحمد (٥/ ٣٥٥) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه ، ورواه أحمد (٣/ ٢٣٧) ، والحاكم (١/ ٣٧٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو في « مسلم » (١٩٧٧) عن سيدنا بريدة دون قوله : « فإنَّها تُذكِّر الآخرة » ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٣٧ـ٢٣٨) .

(٤) رواه البخاري (٣٠٨٨) ، وأبو داود (٢٧٨١) ، وأحمد (٦/ ٣٨٨) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه ، وليس فيها ذكر دخوله إلى البيت ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٣٨ـ ٢٣٩) .

ثمَّ يَقصِدُ الرِّباطَ ؛ فقَصْدُهُ الرِّباطَ مِنَ السُّنَّةِ ؛ على ما رَوَيْناهُ عن طلحةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (كانَ الرجلُ إذا قَدِمَ المدينةَ وكانَ لهُ بها عَرِيفٌ . . يَنزِلُ علىٰ عَرِيفِهِ ، وإنْ لم يكنْ لهُ بها عَرِيفٌ . . نزلَ الصُّفَّةَ ، فكنتُ فيمَنْ نزلَ الصُّفَّةَ)[1] .

فإذا دخلَ الرِّباطَ يمضي إلى الموضعِ الذي يُرِيدُ نزعَ الخُفِّ فيهِ ، فيَحُلُّ وَسَطَهُ وهوَ قائمٌ ، ثمَّ يُخرِجُ الخَرِيطةَ بيسارِهِ مِنْ كُمِّهِ اليسارِ ، ويَحُلُّ رأسَ الخَرِيطةِ باليمينِ ، ويُخرِجُ المَداسَ باليسارِ ، ثمَّ يضعُ المَداسَ على الأرضِ ، ويأخذُ المِيانْ بَنْدَ ويَلُفُّها في وَسَطِ الخَرِيطةِ ، ثمَّ يُخرِجُ خُفَّهُ اليسارَ ، ويضعُ قدمَهُ علىٰ ظهرِ المَداسِ ، ثمَّ يُخرِجُ خُفَّهُ اليمينَ[2] ، فإنْ كانَ على الوضوءِ يغسلُ قدمَيهِ بعدَ نَزْعِ الخُفِّ مِنْ ترابِ الطريقِ والعَرَقِ .

وإذا قَدِمَ على السَّجَّادةِ يَطْوي السَّجَّادةَ مِنْ جانبِ اليسارِ ، ويمسحُ قدمَيهِ بما انطوىٰ منها ، ثمَّ يستقبلُ القِبْلةَ ويُصلِّي ركعتَينِ ، ثمَّ يُسلِّمُ ، ويحفظُ القَدَمَ أنْ يطأَ بها موضعَ السجودِ مِنَ السَّجَّادةِ .

وهٰذهِ الرُّسُومُ الظاهرةُ التي استَحْسَنَها بعضُ الصُّوفيَّةِ . . لا يُنكَرُ علىٰ مَنْ يتقيَّدُ بذلكَ ؛ لأنَّهُ مِنِ استحسانِ الشيوخِ ، ونِيَّتُهُم في ذلكَ تقييدُ المُرِيدِ في كلِّ شيءٍ بهيئةٍ مخصوصةٍ ؛ ليكونَ أبداً مُفتقِداً لحركاتِهِ ، غيرَ قادمٍ علىٰ حركةٍ بغيرِ قَصْدٍ وعزيمةٍ وأدبٍ .

ومَنْ أَخَلَّ مِنَ الفقراءِ بشيءٍ مِنْ ذلكَ . . لا يُنكَرُ عليهِ ، ما لم يُخِلَّ

---

(١) سبق مسنداً في (١/٣٥٦) .

(٢) في (و) : (ويحل وسطه وهو قائم) بدل (ويضع قدمه . . .) .

بواجبٍ أو مندوبٍ ؛ لأنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما تَقَيَّدُوا بكثيرٍ مِنْ رُسُومِ المُتصوِّفةِ .

وكونُ الشُّبَّانِ يُطالِبُونَ الواردَ عليهِم بهـٰذهِ الرُّسُومِ مِنْ غيرِ نَظَرٍ لهُم إلى النِّيَّةِ في الأشياءِ . . غَلَطٌ ؛ فلعلَّ الفقيرَ يدخلُ الرِّباطَ غيرَ مُشمِّرٍ أكمامَهُ ، وقد كانَ في السفرِ لم يُشمِّرِ الأكمامَ ، فنيَّتُهُ ألَّا يتعاطىٰ ذلكَ لنَظَرِ الخَلْقِ ؛ حيثُ لم يُخِلَّ بمندوبٍ إليهِ شرعاً .

وكونُ الآخَرِ يُشمِّرُ الأكمامَ يَقِيسُ ذلكَ علىٰ شَدِّ الوَسَطِ ، وشَدُّ الوَسَطِ مِنَ السُّنَّةِ كما ذَكَرْنا مِنْ شَدِّ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أوساطَهُم في سفرِهِم بينَ المدينةِ ومكَّةَ[1] ، فتشميرُ الأكمامِ في معناهُ ؛ مِنَ الخِفَّةِ والارتفاقِ بهِ في المشيِ .

فمَنْ كانَ مشدودَ الوَسَطِ مُشمِّراً . . يدخلُ الرِّباطَ كذلكَ ، ومَنْ لم يكنْ في السفرِ مشدودَ الوَسَطِ ، أو كانَ راكباً لم يَشُدَّ وَسَطَهُ . . فمِنَ الصِّدْقِ أنْ يدخلَ الرِّباطَ كذلكَ ، ولا يتعمَّدَ شدَّ الوَسَطِ وتشميرَ الأكمامِ لنظرِ الخَلْقِ ؛ فإنَّهُ تكلُّفٌ ونَظَرٌ إلى الخَلْقِ ، ومَبْنى التَّصَوُّفِ على الصِّدْقِ ، وسقوطِ نَظَرِ الخَلْقِ .

وممَّا يُنكَرُ على المُتصوِّفةِ : أنَّهُم إذا دخلُوا الرِّباطَ لا يَبتدِئُونَ بالسلامِ ، ويقولُ المُنكِرُ : إنَّ هـٰذا خلافُ المندوبِ ؛ فلا ينبغي للمُنكِرِ أنْ يُبادِرَ إلى الإنكارِ دونَ أنْ يعلمَ مقاصدَهُم فيما اعتمدُوهُ .

---

(١) انظر (١/ ٤٠٩) .

وتركُهُمُ السلامَ يحتملُ وجوهاً :

أحدُها : أنَّ السلامَ اسمٌ مِنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ ، وقد روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : مَرَّ رجلٌ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يبولُ ، فسلَّمَ عليهِ ، فلم يَرُدَّ عليهِ[1] ، حتىٰ كادَ الرجلُ أنْ يتوارىٰ ، فضَرَبَ بيدِهِ على الحائطِ ومَسَحَ بها وجهَهُ ، ثمَّ ضَرَبَ ضربةً أُخرىٰ فمَسَحَ بها ذراعَيهِ ، ثمَّ رَدَّ على الرجلِ السلامَ ، وقالَ لهُ : « إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ ٱلسَّلَامَ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَىٰ طُهْرٍ »[2] .

ورُوِيَ أنَّهُ لم يَرُدَّ عليهِ حتىٰ توضَّأَ ، ثمَّ اعتذرَ إليهِ وقالَ : « إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ إِلَّا عَلَىٰ طُهْرٍ »[3] .

وقد يكونُ جمعٌ مِنَ الفقراءِ مُصطحِبِينَ في السفرِ ، وقد يَتَّفِقُ لأحدِهِم حَدَثٌ ، فلو سَلَّمَ المُتوضِّئُ وأَمْسَكَ المُحدِثُ . . ظَهَرَ حالُهُ ، فيتركُ السلامَ حتىٰ يتوضَّأَ مَنْ يتوضَّأُ ويغسلَ قدمَهُ مَنْ يغسلُ ؛ سَتْراً للحالِ علىٰ مَنْ أَحْدَثَ ، حتىٰ يكونَ سلامُهُم على الطهارةِ ؛ اقتداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) في (أ ، ز ، ح) : (فلم يرد جوابه عليه) .

(٢) رواه أبو داود (٣٣٠) ، والدارقطني (٦٧٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٧٨٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٢١٥) ، وقال أبو داود : (لم يُتابَعْ محمد بن ثابت في هـٰذه القصة علىٰ « ضربتين » عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، ورووه فعلَ ابن عمر) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٤١) .

(٣) رواه أبو داود (١٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٣٤) ، وابن ماجه (٣٥٠) ، وأحمد (٤/ ٣٤٥) عن سيدنا المهاجر بن قنفذ رضي الله عنهما .

وقد يكونُ بعضُ المُقيمينَ أيضاً علىٰ غيرِ طهارةٍ ، فيستعدُّ لجوابِ السلامِ أيضاً بالطهارةِ ؛ لأنَّ السلامَ اسمٌ مِنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ .

وهٰذا مِنْ أَحْسنِ ما يُذكَرُ مِنَ الوجوهِ في ذلكَ .

ومنها : أنَّهُ إذا قَدِمَ يُعانِقُهُ الإخوانُ ، وقد يكونُ معَهُ مِنْ آثارِ السفرِ والطريقِ ما يُكرَهُ ، فيستعدُّ بالوضوءِ والنظافةِ ، ثمَّ يُسلِّمُ ويُعانِقُهُم .

ومنها : أنَّ جَمْعَ الرِّباطِ أربابُ مُراقَبةٍ وأحوالٍ ، فلو هَجَمَ عليهِم بالسلامِ قد ينزعجُ منهُ مُراقِبٌ ويتشوَّشُ مُحافِظٌ ، والسلامُ يتقدَّمُهُ استئناسٌ بدخولِهِ واشتغالِهِ بغَسْلِ القَدَمِ والوضوءِ والصلاةِ ركعتَينِ ، فيتأهَّبُ الجَمْعُ لهُ كما يتأهَّبُ لهُم بعدَ سابقةِ الاستئناسِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ﴾ [النور : ٢٧] ، واستئناسُ كلِّ قومٍ علىٰ ما يَليقُ بحالِهِم .

ومنها : أنَّهُ لم يدخلْ علىٰ غيرِ بيتِهِ ، ولا هوَ بغريبٍ منهُم ، بل هم إخوانُهُ وأُلَّافُهُ بالنسبةِ المعنويَّةِ الجامعةِ لهُم في طريقٍ واحدٍ ، والمَنزِلُ مَنزِلُهُ ، والمَوضِعُ مَوضِعُهُ ، فيرى البركةَ في استفتاحِ المَنزِلِ بمُعاملةِ اللهِ تعالىٰ قبلَ مُعاملةِ الخَلْقِ[1] .

وكما يُمهِّدُ عُذْرَهُم في تَرْكِ السلامِ . . ينبغي لهُم أَلَّا يُنكِرُوا علىٰ مَنْ يدخلُ ويبتدئُ بالسلامِ ، فكما أنَّ مَنْ تَرَكَ السلامَ لهُ نيةٌ صالحةٌ . . فالذي سَلَّمَ لهُ أيضاً نيةٌ صالحةٌ .

وللقوم آدابٌ وَرَدَ بها الشرعُ ، ومنها آدابٌ استَحْسَنَها شيوخُهُم ، فمِمَّا

---

(١) كما كان يفعلُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الافتتاح بالصلاة في المسجد قبل دخول المنزل . من هامش (ح) .

وَرَدَ بِهِ الشرعُ : ما ذَكَرْنا مِنْ شَدِّ الوَسَطِ والعصا والرَّكْوةِ ، والابتداءِ باليمينِ في لُبْسِ الخُفِّ وفي نَزْعِهِ باليسارِ[1] .

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا ٱنْتَعَلْتُمْ فَٱبْدَؤُوا بِٱلْيَمِينِ ، وَإِذَا خَلَعْتُمْ فَٱبْدَؤُوا بِٱلْيَسَارِ ، وَٱخْلَعْهُمَا جَمِيعاً ، وَأَنْعِلْهُمَا جَمِيعاً »[2] .

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يخلعُ اليُسْرىٰ قبلَ اليُمْنىٰ ، ويَلْبَسُ اليُمْنىٰ قبلَ اليُسْرىٰ[3] .

وبَسْطُ السَّجَّادةِ وَرَدَتِ بهِ السُّنَّةُ ، وقد ذَكَرْناهُ[4] ، وكونُ أحدِهِم لا يجلسُ علىٰ سَجَّادةِ الآخرِ إلا بإذنِهِ . . فمشروعٌ ومسنونٌ ، وقد وَرَدَ في حديثٍ طويلٍ : « لَا يَؤُمُّ ٱلرَّجُلُ ٱلرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا فِي أَهْلِهِ ، وَلَا يَجْلِسُ عَلَىٰ تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ »[5] .

وإذا سَلَّمَ على الإخوانِ يُعانِقُهُم ويُعانِقُونَهُ ؛ فقد روىٰ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (لمَّا قَدِمَ جعفرٌ مِنْ أرضِ الحَبَشَةِ . . عانقَهُ النبيُّ

---

(١) انظر (١/ ٤٠٧ـ ٤١١) .

(٢) رواه البخاري (٥٨٥٥) ، ومسلم (٢٠٩٧) .

(٣) انظر « عواطف اللطائف » رقم : (١٣٠) .

(٤) انظر (١/ ٣٥٨) .

(٥) رواه مسلم (٦٧٣) عن سيدنا أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، والتَّكْرِمةُ : الفِراش ونحوه ممَّا يُبسَط لصاحب المنزل ويُخَصُّ به ، وفي (ي) : (لا يُؤمَّر الرجل) بدل (لا يؤمُّ الرجلُ الرجلَ) ، وفي نسخة علىٰ هامش (و) : (لا يَؤُمَّنَّ) بدل (لا يؤم) ، وفي نسخة أشار إليها في (أ) : (علىٰ سجَّادته) بدل (علىٰ تكرمته) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] ، وإنْ قَبَّلَهُم فلا بأسَ بذلكَ ؛ لِمَا رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا قَدِمَ جعفرٌ قَبَّلَ بينَ عينَيهِ وقالَ : « مَا أَنَا بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَسَرَّ مِنِّي بِقُدُومِ جَعْفَرٍ »[2] .

ويُصافحُ إخوانَهُ ؛ فقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قُبْلَةُ ٱلْمُسْلِمِ أَخَاهُ ٱلْمُصَافَحَةُ »[3] .

وروىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ الرجلُ يَلْقَىٰ صديقَهُ وأخاهُ أَيَنْحَني لهُ ؟ قالَ : « لَا » ، قيلَ : يلتزمُهُ ويُقبِّلُهُ ؟ قالَ : « لَا » ، قيلَ : فيُصافِحُهُ ؟ قالَ : « نَعَمْ »[4] .

ويُستحَبُّ للفقراءِ المُقيمينَ في الرِّباطِ أنْ يتلقَّوُا الفقيرَ بالتَّرْحيبِ ؛ روىٰ عكرمةُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ جِئْتُهُ : « مَرْحَباً بِٱلرَّاكِبِ ٱلْمُهَاجِرِ » مَرَّتَينِ[5] .

---

(١) انظر التخريج الآتي .

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٢١١) ، ورواه أبو داود (٥٢٢٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٢٤٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ١٠١) مرسلاً عن الشَّعْبي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٥٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٦/ ٢٤٢) ، والديلمي في « الفردوس » (٤٦٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي (٢٧٢٨) ، وابن ماجه (٣٧٠٢) ، وأحمد (٣/ ١٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٧/ ٣٧٣ـ٣٧٤) ، ورواه الترمذي (٢٧٣٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٧/ ٣٧٣) دون تكرار الترحيب ، والحاكم (٣/ ٢٤٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٤٩٧) مُكرَّراً ثلاث مرات ، وورد الترحيب=

وإنْ قامُوا إليهِ فلا بأسَ ، وهوَ مسنونٌ ؛ رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قامَ لجعفرٍ يومَ قُدُومِهِ[١] .

ويُستحَبُّ للخادمِ أنْ يُقدِّمَ لهُ الطعامَ ؛ روىٰ لَقِيطُ بنُ صَبِرَةَ قالَ : وَفَدْنا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلم نُصادِفْهُ في مَنزِلِهِ ، وصادَفْنا عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، فأَمَرَتْ لنا بالخَزِيرةِ فصُنِعَتْ لنا ، وأُتِينا بقِناعٍ فيهِ تمرٌ ـ والقِناعُ : الطَّبَقُ[٢] ـ فأَكَلْنا ، ثمَّ جاءَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « أَصَبْتُمْ شَيْئاً ؟ » ، قُلْنا : نعمْ يا رسولَ اللهِ ، صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[٣] .

ويُستحَبُّ للقادمِ أنْ يُقدِّمَ للفقراءِ شيئاً لحَقِّ القُدُومِ ؛ رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا قَدِمَ المدينةَ نَحَرَ جَزُوراً[٤] .

وكراهيتُهُم لقُدُومِ القادمِ بعدَ العصرِ وجهُهُ مِنَ السُّنَّةِ : مَنْعُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن طُرُوقِ الليلِ[٥] ، والصُّوفيَّةُ بعدَ العصرِ يستعدُّونَ لاستقبالِ

= مطلقاً في أكثرَ من حديث ؛ ومنها : ما رواه البخاري (٦١٧٦) ، ومسلم (١٧/ ٢٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٤٦ـ٢٤٧) .

(١) سبق تخريجه قريباً .

(٢) من عُسُب النخل .

(٣) رواه أبو داود (١٤٢) ، والحاكم (٤/ ١١٠) ، وفيه : (بحريرة) بدل (بالخزيرة) ، وبنحوه النسائي في « الكبرىٰ » (٦٦٦٥) ، وأحمد (٤/ ٣٣) ، وفي (د ، هـ) : (بالحريرة) ، **والخَزِيرةُ** : لحم يُقطَّع صغاراً ويُصَبُّ عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق ، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ، **وقيل** : هي حساء من دقيق ودَسَم ، **وقيل** : إذا كان من دقيق فهي حَرِيرةٌ ، وإذا كان من نُخالة فهو خَزِيرةٌ .

(٤) رواه البخاري (٣٠٨٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٥) كما سيأتي بعد قليل من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه .

الليلِ بالطهارةِ والانكبابِ على الأذكارِ والاستغفارِ .

رَوىٰ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ سَفرٍ فَلَا يَطْرُقَنَّ أَهْلَهُ لَيْلاً »[1] .

ورَوىٰ كعبُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ لا يَقْدَمُ مِنْ سفرٍ إلا نهاراً في الضُّحىٰ[2] .

فيَستحِبُّونَ القُدُومَ في أوَّلِ النهارِ ، فإنْ فاتَ مِنْ أوَّلِ النهارِ فقد يَتَّفِقُ تعويقٌ مِنْ ضَعْفِ بعضِهِم في المشيِ أو غيرِ ذلكَ ، فيُعذَرُ الفقيرُ بقيَّةَ النهارِ إلى العصرِ ؛ لاحتمالِ التعويقِ ، فإذا صارَ العصرُ يُنسَبُ إلىٰ تقصيرِهِ في الاهتمامِ بالسُّنَّةِ وقُدُومِ أوَّلِ النهارِ ؛ فلذلكَ يكرهونَ الدخولَ بعدَ العصرِ ، واللهُ أعلمُ .

فإذا صارَ العصرُ يُؤَخِّرُ القُدُومَ إلى الغَدِ ؛ ليكونَ عاملاً بالسُّنَّةِ في القدومِ ضَحْوةً .

وأيضاً فيهِ معنىً آخَرُ ؛ وهوَ أنَّ الصلاةَ بعدَ العصرِ مكروهةٌ ، ومِنَ الأدبِ أنْ يُصلِّيَ القادمُ ركعتَينِ ؛ فلذلكَ يكرهونَ القُدُومَ بعدَ صلاةِ العصرِ .

وقد يكونُ مِنَ الفقراءِ القادمينَ مَنْ يكونُ قليلَ الدُّرْبةِ بدخولِ الرِّباطِ وينالُهُ دَهْشَةٌ ؛ فمِنَ السُّنَّةِ : التَّقَرُّبُ إليهِ ، والتودُّدُ وطَلاقةُ الوجهِ ؛ حتىٰ ينبسطَ وتذهبَ عنهُ الدَّهْشَةُ ؛ ففي ذلكَ فضلٌ كثيرٌ[3] .

---

(1) رواه البخاري (٥٢٤٤) ، ومسلم (٧١٥/ ١٨٢) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٠٩٨) ، وأحمد (٣/ ٣٩١) .

(2) رواه البخاري (٤٦٧٧) ، ومسلم (٧١٦) .

(3) في (ب) : (كبير) .

رویٰ أبو رِفاعةَ قالَ : أَتَيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يَخطُبُ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ رجلٌ غريبٌ جاءَ يسألُ عن دِينِهِ ، لا يدري ما دِينُهُ ، قالَ : فأَقْبلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليَّ وتَرَكَ خُطْبَتَهُ ، ثمَّ أتىٰ بكُرْسِيٍّ قوائمُهُ مِنْ حديدٍ ، فقعدَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليهِ ، ثمَّ جَعَلَ يُعلِّمُني ممَّا علَّمَهُ اللهُ تعالىٰ ، ثمَّ أتىٰ خُطْبَتَهُ وأتمَّ آخِرَها(١) .

فأَحْسَنُ أخلاقِ الفقراءِ : الرِّفْقُ بالمسلمينَ ، واحتمالُ المكروهِ منهُم مِنَ المسموعِ والمَرْئِيِّ .

وقد يدخلُ فقيرٌ بعضَ الرُّبُطِ ، ويُخِلُّ بشيءٍ مِنْ مراسمِ المُتصوِّفةِ ، فيُنهَرُ ويُخرَجُ ، وهـٰذا خطأٌ كبيرٌ ؛ فقد يكونُ خَلْقٌ مِنَ الصالحينَ والأولياءِ لا يعرفُونَ هـٰذا الترسُّمَ الظاهرَ ، ويَقصِدُونَ الرِّباطَ بنيَّةٍ صالحةٍ ، فإذا استُقبِلُوا بالمكروهِ يُخشىٰ أنْ يتشوَّشَ بواطنُهُم مِنَ الأذىٰ ، ويدخلَ على المُنكِرِ عليهِم ضَرَرٌ في دِينِهِ ودُنْياهُ ، فلْيُحذَرْ ذلكَ ، ويُنظَرْ إلىٰ أخلاقِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وما كانَ يعتمدُهُ معَ الخَلْقِ مِنَ المُداراةِ والرِّفْقِ .

وقد صَحَّ أنَّ أعرابياً دَخَلَ المسجدَ وبالَ ، فأمرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ أُتِيَ بذَنُوبٍ مِنَ الماءِ ، فصُبَّ علىٰ ذلكَ الموضعِ ، ولم يَنْهَرِ الأعرابيَّ ، بل رَفَقَ بهِ ، وعرَّفَهُ الواجبَ بالرِّفْقِ واللِّينِ(٢) .

---

(١) رواه مسلم (٨٧٦) .

(٢) رواه البخاري (٢٢١) ، ومسلم (٢٨٤/ ٩٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والبخاري (٢٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والذَّنُوب : الدَّلْو المملوءةُ ماءً .

والفَظَاظةُ والغِلَظُ والتَّسَلُّطُ على المسلمينَ بالقولِ والفعلِ . . مِنَ النفوسِ الخبيثةِ ، وهوَ ضدُّ حالِ المُتصوِّفةِ .

ومَنْ دَخَلَ الرِّباطَ مِمَّنْ لا يَصلُحُ للمُقامِ بهِ رأساً . . يُصرَفُ مِنَ الموضعِ علىٰ أَلْطفِ وجهٍ بعدَ أنْ يُقدَّمَ لهُ طعامٌ ، ويُحسَّنَ لهُ كلامٌ ، فهٰذا الذي يَليقُ بسُكَّانِ الرُّبُطِ .

وما يعتمدُهُ الفقراءُ مِنْ تغميزِ القادمِ . . فخُلُقٌ حَسَنٌ ومعاملةٌ صالحةٌ وَرَدَتْ بها السُّنَّةُ ؛ روىٰ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : دخلتُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وغُلامٌ لهُ حَبَشِيٌّ يَغمِزُ ظَهْرَهُ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ ما شأنُكَ ؟ فقالَ : « إِنَّ ٱلنَّاقَةَ ٱقْتَحَمَتْ بِي »[1] .

وقد يَحسُنُ الرِّضا مِمَّنْ يُغمَّزُ بذلكَ في وقتِ تَعَبِهِ وقُدُومِهِ مِنَ السفرِ ، وأمَّا مَنْ يتَّخِذُ ذلكَ عادةً ويُحِبُّ التغميزَ ، ويستجلبُ بهِ النومَ ، ويُساكِنُهُ حتىٰ لا يفوتَهُ . . فلا يَليقُ بحالِ الفقراءِ وإنْ كانَ مُباحاً في الشرعِ .

وكانَ بعضُ الفقراءِ إذا استرسلَ في التغميزِ واستلذَّهُ واستدعاهُ . . يحتلمُ ، ويرىٰ ذلكَ الاحتلامَ عقوبةَ استرسالِهِ في التغميزِ ، ولأربابِ العزائمِ أمورٌ لا يَسَعُهُم فيها الرُّكُونُ إلى الرُّخَصِ .

ومِنْ آدابِ الفقيرِ إذا استقرَّ وقَعَدَ بعدَ قُدُومِهِ : ألَّا يبتدئَ بالكلامِ دونَ أنْ يُسأَلَ .

ويُستحَبُّ أنْ يمكثَ ثلاثةَ أيَّامٍ لا يَقصِدُ زيارةً ومَشْهَداً وغيرَ ذلكَ مِمَّا هوَ

---

(١) رواه البزار في « المسند » (٢٨٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٠٧٧) ، وأبو نعيم في « الطب النبوي » (٤١٩) .

مقصودُهُ مِنَ المدينةِ . . حتىٰ يذهبَ عنهُ وَعْثاءُ السفرِ ، ويعودَ باطنُهُ إلىٰ هيئتِهِ ؛ فقد يكونُ بالسفرِ وعوارضِهِ تَغَيَّرَ باطنُهُ وتكَدَّرَ ، حتىٰ يجتمعَ في ثلاثةِ أيَّامٍ هَمُّهُ ، وينصلحَ باطنُهُ ، ويستعدَّ للقاءِ المشايخِ والزِّياراتِ بتنويرِ الباطنِ ؛ فإنَّ باطنَهُ إذا كانَ مُنوَّراً يستوفي حظَّهُ مِنَ الخيرِ مِنْ كلِّ شيخٍ وأخٍ يزورُهُ .

وقد كنتُ أسمعُ شيخَنا رحمَهُ اللهُ يُوصِي الأصحابَ ويقولُ : (لا تُكلِّمُوا أهلَ هـٰذا الطريقِ إلَّا في أَصْفىٰ أوقاتِكُم) .

وهـٰذا فيهِ فائدةٌ كبيرةٌ ؛ فإنَّ نورَ الكلامِ علىٰ قَدْرِ نورِ القلبِ ، ونورَ السمعِ علىٰ قَدْرِ نورِ القلبِ .

فإذا دَخَلَ علىٰ شيخٍ أو أخٍ وزارَهُ . . ينبغي أنْ يستأذنَهُ إذا أرادَ الانصرافَ ؛ فقد روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ . . فَلَا يَقُومَنَّ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنَهُ »[1] .

وإنْ نوىٰ أنْ يُقِيمَ[2] أيَّاماً وفي وقتِهِ سَعَةٌ ، ولنفسِهِ إلى البَطَالةِ وتَرْكِ العملِ شوقٌ[3] . . يطلبُ خدمةً يقومُ بها[4] وإنْ كانَ دائمَ العملِ لربِّهِ ، فكفىٰ

---

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (١٢٠٠) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٥٤٥) .

(٢) زاد في نسخة علىٰ هامش (د) : (في الرباط) .

(٣) في (أ) : (شَوْف) ؛ أي : تَشَوُّف ، كما هو في (و ، ز) ، والتشوُّف : التطلُّعُ ، وفي (ي) : (شرف) .

(٤) زاد في نسخة علىٰ هامش (أ) : (مقام العبادة) .

بالعبادةِ شُغْلاً ؛ لأنَّ الخِدْمةَ لأهلِ العبادةِ تقومُ مَقامَ العبادةِ .

ولا يخرجُ مِنَ الرِّباطِ إلَّا بإذنِ المُتقدِّمِ فيهِ ، ولا يفعلُ شيئاً دونَ أنْ يأخذَ رَأْيَهُ فيهِ .

فهٰذهِ جُمَلُ أعمالٍ يعتمدُها الصُّوفيَّةُ وأربابُ الرُّبُطِ ، واللهُ تعالىٰ بفضلِهِ يَزيدُهُم توفيقاً وتأييداً ، واللهُ أعلمُ[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً ، بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ السماع على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة عبد السلام) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب التاسع عشر

في حال الصوفي المتسبب

اختلفتْ أحوالُ الصُّوفيّةِ في الوقوفِ معَ الأسبابِ ، والإعراضِ عنِ الأسبابِ .

فمنهُم : مَنْ كانَ على الفُتُوحِ لا يَركَنُ إلىٰ معلومٍ ، ولا يتسبَّبُ بكسبٍ ولا سؤالٍ .

ومنهُم : مَنْ كانَ يكتسبُ .

ومنهُم : مَنْ كانَ يسألُ في وقتِ فاقتِهِ .

ولهُم في كلِّ ذلك أدبٌ وحدٌّ يُراعُونَهُ ولا يتعدَّوْنَهُ[1] .

وإذا كانَ الفقيرُ يَسُوسُ نَفْسَهُ بالعلمِ يأتيهِ الفهمُ مِنَ اللهِ تعالىٰ في الذي يدخلُ فيهِ مِنْ سببٍ أو تَرْكِ سببٍ . . لا ينبغي للفقيرِ أنْ يسألَ مهما أَمْكَنَ ؛ فقد حَثَّ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ تَرْكِ السؤالِ بالترغيبِ والترهيبِ .

---

(١) ومن المناسب إيرادُهُ ها هنا : ما سُئل عنه المُؤلِّف ؛ وهو أنَّهُ ما قولُكُم في فقير لا يُبالي ممَّا أكل ولا يَرُدُّ شيئاً ، من غير فاقةٍ ولا مجاهدة ولا رياضة ولا ضرورة .

فأجاب : بأنَّهُ لا يجوز له ذلك من غير ضرورة ، والصادقُ في فقره يأنفُ من ذلك ؛ لوجود غنائه بالله ، وأمَّا إذا لم يُبالِ ما أكل ولم يتورَّع في مطعمه . . لم يُبالِ اللهُ تعالىٰ أن يُهلِكَهُ ، أعاذنا الله من نقمه . « أجوبة السهروردي » (ق/٢٦) .

فأمَّا الترغيبُ : فما روىٰ ثَوْبانُ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ يَضْمَنُ لِي وَاحِدَةً أَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ » ، قالَ ثَوْبانُ : قلتُ : أنا ، قالَ : « لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئاً » ، فكانَ ثَوْبانُ تسقطُ عِلَاقةُ سَوْطِهِ فلا يأمرُ أحداً يُناوِلُهُ ، وينزلُ هوَ ويأخذُها[1] .

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلاً فَيَحْتَطِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ . . خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ »[2] .

(٥٤) ـ أخبرَنا الشيخُ الصالحُ أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَني والدي ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الصَّرِيفِينيُّ ببغدادَ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عُبَيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ[4] ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ[5] ، قالَ : أخبرَنا عليُّ بنُ الجَعْدِ ، قالَ :

---

(١) رواه أبو داود (١٦٤٣) ، وابن ماجه (١٨٣٧) ، وأحمد (٥/ ٢٨١) ، وفي (هـ ، ح) ونسخة علىٰ هامش (د) : (أتكفَّل) بدل (أتقبَّل) ، وكلاهما مروي .

(٢) رواه البخاري (١٤٧٠) ، ومسلم (١٠٤٢) ، واللفظ له .

(٣) هو الإمام الثقة الخطيب عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن هَزَارْمَرْدَ (ت ٤٦٩هـ) ، والصَّرِيفِيني : نسبة إلىٰ (صَرِيفِينَ) قرية كبيرة غنَّاء شَجْراء في سواد العراق قرب عُكْبَراء . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٣٣٠) ، و« معجم البلدان » (٣/ ٤٠٣) .

(٤) في (ب ، د ، و) : (عبد الله) بدل (عبيد الله) ، والصواب المثبت ، **وأبو القاسم** : هو الإمام الثقة المسند ابن حَبَابَة ـ نسبة إلىٰ أحد أجداده ـ البغدادي المَتُّوثي البزَّاز (ت ٣٨٩هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٤٨) .

(٥) هو أبو القاسم البغوي الإمامُ الحُجَّة المُعمَّر المسند (ت ٣١٧هـ) ، وهو صاحب كتاب « الجَعْديات » الذي جمعه من مسند شيخه الإمام الثبت أبي الحسن علي بن الجَعْد =

أخبرَنا شُعْبَةُ ، عن أبي جَمْرةَ[1] ، قالَ : سمعتُ هلالَ بنَ [حِصْنٍ] قالَ[2] : أتيتُ المدينةَ فنزلتُ دارَ أبي سعيدٍ ، فضمَّني وإيَّاهُ المجلسُ ، فحدَّثَ أنَّهُ أصبحَ ذاتَ يومٍ وليسَ عندَهُم طعامٌ ، فأصبحَ وقد عَصَبَ علىٰ بطنِهِ حَجَراً مِنَ الجوعِ ، فقالتْ ليَ امرأتي : ائتِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فقد أتاهُ فلانٌ فأعطاهُ ، وأتاهُ فلانٌ فأعطاهُ .

قالَ : فأَتَيتُهُ وقلتُ : ألتمسُ شيئاً ، فذهبتُ أطلبُ ، فانتهَيتُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يَخطُبُ ويقولُ : « مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ ٱللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ ٱللهُ ، وَمَنْ سَأَلَنَا شَيْئاً فَوَجَدْنَاهُ أَعْطَيْنَاهُ وَوَاسَيْنَاهُ ، وَمَنِ ٱسْتَعَفَّ عَنْهُ وَٱسْتَغْنَىٰ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ سَأَلَنَا » .

قالَ : فرجعتُ وما سألتُهُ ، فرَزَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ[3] ؛ حتىٰ ما أعلمُ أهلَ بيتٍ مِنَ الأنصارِ أكثرَ أموالاً مِنَّا[4] .

وأمَّا مِنْ حيثُ الترهيبُ والتحذيرُ : فقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ

= الجوهري ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٤٤٠ـ ٤٤٢) .

(١) في غالب النسخ : (أبو حمزة) ، والصواب المثبت ، وأبو جمرة : هو نصر بن عمران الضُّبَعي البصري أحد الأئمة الثقات (ت ١٢٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٢٤٣) .

(٢) في النسخ : (حصين) ، والتصويب من المصادر الآتية ، وهو أخو بني مرَّة بن عباد البصري . انظر « الجرح والتعديل » (٩/ ٧٣) .

(٣) في بعض النسخ : (فرزقني الله) بدل (فرزق الله) ، والمثبت موافق لمصادر تخريجه .

(٤) صفوة التصوف (٢٩٠) ، الجعديات (١٣٢١) ، ورواه أحمد (٣/ ٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٠٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٢٨) ، ورواه بنحوه مختصراً البخاري (١٤٦٩) ، ومسلم (١٠٥٣) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٥٥ـ ٢٥٦) .

عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَا تَزَالُ ٱلْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَلْقَى ٱللهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ »[1] .

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ ٱلْمِسْكِينُ ٱلَّذِي تَرُدُّهُ ٱلْأُكْلَةُ وَٱلْأُكْلَتَانِ ، وَٱلتَّمْرَةُ وَٱلتَّمْرَتَانِ ، وَلَـٰكِنَّ ٱلْمِسْكِينَ ٱلَّذِي لَا يَسْأَلُ ٱلنَّاسَ ، وَلَا يُفْطَنُ بِمَكَانِهِ فَيُعْطَىٰ »[2] .

هـٰذا حالُ الفقيرِ الصادقِ ، والمُتصوِّفُ المُحقِّقُ لا يسألُ الناسَ شيئاً .

ومنهم : مَنْ يلزمُ الأدبَ حتىٰ يُؤدِّيَهُ إلىٰ حالٍ يستحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يسألَهُ شيئاً مِنْ أمرِ الدنيا ، حتىٰ إذا هَمَّتِ النفسُ بالسؤالِ تَرُدُّهُ الهيبةُ ، ويرى الإقدامَ على السؤالِ جُرْأةً ، فيُعطِيهِ اللهُ تعالىٰ عندَ ذلكَ مِنْ غيرِ سؤالٍ .

كما نُقِلَ عن إبراهيمَ الخليلِ عليهِ السلامُ أنَّهُ جاءَهُ جبريلُ عليهِ السلامُ وهوَ في الهواءِ قبلَ أنْ يَصِلَ إلى النارِ ، فقالَ لهُ : هَلْ لكَ مِنْ حاجةٍ ؟ فقالَ : أمَّا إليكَ فلا ، فقالَ لهُ : فاسألْ ربَّكَ ، فقالَ : حَسْبي مِنْ سؤالي عِلْمُهُ بحالي[3] .

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٤) ، ومسلم (١٠٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والمُزْعة : القطعة من اللحم ، وفي (د) : (مضغة) بدل (مزعة) ، وفي هامش (ح) : (وهو كنايةٌ عن ذهاب وجهه ووَجَاهته عند الله ، [ولم] يبق في باطنه الاعتمادُ علىٰ رزَّاقية الله تعالىٰ ، حتىٰ أدام السؤالَ عن الخلق) .

(٢) رواه البخاري (١٤٧٩) ، ومسلم (١٠٣٩) ، والأُكْلة : اللُّقْمة .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٨/١٥٢) ، والبغوي في « تفسيره » (٥/٣٢٧) ، وروى البخاري (٤٥٦٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (حسبنا اللهُ ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم حين قالوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا =

وقد يَضعُفُ عن مثلِ هـٰذا ، فيسألُ اللهَ تعالىٰ عبوديَّةً ولا يرىٰ سؤالَ المخلوقين ، فيسوقُ اللهُ تعالى القِسْمَ إليهِ مِنْ غيرِ سؤالِ مخلوقٍ .

بَلَغنا عن بعضِ الصالحينَ أنَّهُ كانَ يقولُ : إذا وجدَ الفقيرُ نَفْسَهُ مُطالِبةً بشيءٍ . . لا تخلو تلكَ المطالبةُ : إمَّا رزقٌ يريدُ اللهُ أنْ يسوقَهُ إليهِ ، فتتنبَّهُ النَّفْسُ لهُ ؛ فقد تتطلَّعُ نفوسُ بعضِ الفقراءِ إلىٰ ما سوفَ يحدثُ ، وكأنَّها تُخبِرُ بما يكونُ[1] ، وإمَّا أنْ يكونَ ذلكَ عقوبةً لذنبٍ وُجِدَ منهُ[2] .

فإذا وَجَدَ الفقيرُ ذلكَ ، وألحَّتِ النَّفْسُ بالمُطالبةِ . . فَلْيَقُمْ ولْيُسْبِغِ الوضوءَ ، ويُصلِّيَ ركعتَينِ ويقولَ : يا ربِّ ؛ إنْ كانتْ هـٰذهِ المُطالَبةُ عقوبةَ ذنبٍ . . فأستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ ، وإنْ كانَ رِزْقٌ قدَّرتَهُ لي . . فعَجِّلْ وصولَهُ إليَّ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يسوقُهُ إليهِ إنْ كانَ رزقَهُ ، وإلَّا فيُذهِبُ المُطالَبةَ عن باطنِهِ .

فشأنُ الفقيرِ : أنْ يُنزِلَ حوائجَهُ بالحقِّ ؛ فإمَّا أنْ يرزقَهُ الشيءَ أوِ الصبرَ ، أو يُذهِبَ ذلكَ عن قلبِهِ ؛ فللّٰهِ سبحانَهُ وتعالىٰ أبوابٌ مِنْ طريقِ الحِكْمةِ ، وأبوابٌ مِنْ طريقِ القُدْرةِ ، فإنْ فَتَحَ باباً مِنْ طريقِ الحِكْمةِ ، وإلَّا فيفتحُ باباً مِنْ طريقِ القُدْرةِ ، ويأتيهِ الشيءُ بخَرْقِ العادةِ ، كما كانَ يأتي مريمَ عليها

= ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ٢٥٠) .

(١) فإن المُقدَّر إذا قَرُبَ زمانُ وقوعه . . تحسُّ النفسُ فيه إذا صارت لطيفة صافية . من هامش (ح) ، ويجوز أن يُقرأ (تخبر) بفتح الباء ، كما ضبط كذلك في (د ، هـ) .

(٢) فإنَّ تهييجَ النفس للمطالبة وتحريكَها من غير سابقة تقدير ما تطلب . . عقوبةٌ . من هامش (ح) .

السلامُ ؛ ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

حُكِيَ عن بعضِ الفقراءِ قالَ[١] : جُعْتُ ذاتَ يومٍ ، وكانَ حالي ألَّا أسألَ ، فدخلتُ بعضَ المَحَالِّ ببغدادَ مُجتازاً مُتعرِّضاً ؛ لعلَّ اللهَ تعالىٰ يفتحُ لي علىٰ يدِ بعضِ عبادِهِ شيئاً ، فلم يُقدَّرْ ، فنِمْتُ جائعاً ، فأتاني آتٍ في منامي فقالَ لي : اذهبْ إلىٰ موضعِ كذا ـ وعَيَّنَ الموضعَ ـ فثَمَّ خِرْقةٌ زَرْقاءُ فيها قُطَيعاتٌ أَخْرِجْها في مصالحِكَ .

فمَنْ تجرَّدَ عنِ المخلوقينَ وتفرَّدَ باللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ . . فقد تفرَّدَ بغنيٍّ قادرٍ لا يُعجزُهُ شيءٌ ، يفتحُ عليهِ مِنْ أبوابِ حِكْمتِهِ وقُدْرتِهِ كيفَ شاءَ ، وأَوْلىٰ مَنْ سألَ نَفْسَهُ أنْ يسألَها الصبرَ الجميلَ ؛ فإنَّ الصادقَ تُجيبُهُ نَفْسُهُ .

وحكىٰ شيخُنا رحمةُ اللهِ عليهِ : أنَّ ولدَهُ جاءَ إليهِ ذاتَ يومٍ وقالَ لهُ : أريدُ حَبَّةً[٢] ، قالَ : فقلتُ لهُ : ما تَحضُرُ الحَبَّةُ[٣] ، وذكرَ شهوةً يَشْتريها بالحبَّةِ[٤] ، فقالَ : عن إِذْنِكَ أذهبُ وأستقرضُ الحَبَّةَ ، قالَ : فقلتُ : نعم اسْتقرِضْها مِنْ نَفْسِكَ ؛ فهيَ أَوْلىٰ مَنْ أَقْرضَ .

وقد نَظَمَ بعضُهُم هٰذا المعنىٰ وقالَ[٥] : [من الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ ٱلْمَالَ مُنْفِقاً ... عَلَىٰ شَهَوَاتِ ٱلنَّفْسِ فِي زَمَنِ ٱلْعُسْرِ

---

(١) في (أ ، ز) : (الصالحين) بدل (الفقراء) .
(٢) الحَبَّةُ : سُدُسُ ثُمُن الدرهم .
(٣) في (د ، هـ ، ح ، ي) : (تحضرني) بدل (تحضر) .
(٤) في (ي) : (وكان ذكر) بدل (وذكر) .
(٥) الأبيات للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في « ديوانه » (ص٨٩) .

فَسَلْ نَفْسَكَ ٱلإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا عَلَيْكَ وَإِرْفَاقاً إِلَىٰ زَمَنِ ٱلْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلَتْ كُنْتَ ٱلْغَنِيَّ وَإِنْ أَبَتْ فَكُلُّ مَنُوعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ ٱلْعُذْرِ

فإذا استنفدَ الفقيرُ الجُهْدَ مِنْ نَفْسِهِ ، وأَشْرفَ على الضَّعفِ ، وتحقَّقتِ الضرورةُ ، وسأَلَ مَوْلاهُ ولم يُقدِّرْ لهُ بشيءٍ ، ووقتُهُ يَضِيقُ عنِ الكسبِ مِنْ شُغْلِهِ بحالِهِ . . فعندَ ذلكَ يَقرَعُ بابَ السببِ ويسألُ ؛ فقد كانَ الصالحونَ يفعلُونَ ذلكَ عندَ فاقاتِهم .

نُقِلَ عن أبي سعيدٍ الخَرَّازِ رحمةُ اللهِ عليهِ أَنَّهُ كانَ يَمُدُّ يدَهُ عندَ الفاقةِ ويقولُ : ثَمَّ شيءٌ للهِ ؟[1] .

ونُقِلَ عن أبي جعفرٍ الحدَّادِ وكانَ أستاذاً للجُنيدِ رحمةُ اللهِ عليهِ أَنَّهُ كانَ يخرجُ بينَ العِشاءَينِ ويسألُ مِنْ بابٍ أو بابَينِ ، ويكونُ ذلكَ معلومَهُ علىٰ قَدْرِ الحاجةِ بعدَ يومٍ أو يومَينِ[2] .

ونُقِلَ عن إبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمةُ اللهِ عليهِ أَنَّهُ كانَ مُعتكِفاً بجامعِ البَصْرةِ مُدَّةً ، وكانَ يُفطِرُ في كلِّ ثلاثِ ليالٍ ليلةً ، وليلةَ إفطارِهِ يطلبُ مِنَ الأبوابِ .

ونُقِلَ عن سُفْيانَ الثَّوْريِّ أَنَّهُ كانَ يُسافِرُ مِنَ الحجازِ إلىٰ صنعاءِ اليمنِ ، ويسألُ في الطريقِ ، وقالَ : كنتُ أذكرُ لهُم حديثاً في الضِّيافةِ ، فيُقدَّمُ إليَّ الطعامُ ، فأتناولُ حاجتي ، وأتركُ ما يبقىٰ[3] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٢٨) .
(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٢٨) .
(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٢٩) .

وقد وَرَدَ : (مَنْ جاعَ ولم يسألْ فماتَ . . دَخَلَ النارَ)[1] .

ومَنْ عندَهُ عِلْمٌ ولهُ معَ اللهِ تعالىٰ حالٌ . . لا يُبتلىٰ بمثلِ هٰذا[2] ، بل يسألُ بالعِلْمِ[3] ، ويُمسِكُ عنِ السؤالِ بالعِلْمِ[4] .

وحكىٰ بعضُ مشايخِنا رحمَهُمُ اللهُ عن شخصٍ كانَ مُصِرّاً على المعاصي ، ثمَّ انتبهَ وتابَ وحَسُنَتْ توبتُهُ ، وصارَ لهُ حالٌ معَ اللهِ ، قالَ : عزمتُ أنْ أَحُجَّ معَ القافلةِ ، ونَوَيتُ ألا أسألَ أحداً شيئاً ، وأكتفيَ بعِلْمِ اللهِ بحالي .

قالَ : فبَقِيتُ أيَّاماً في الطريقِ يفتحُ اللهُ تعالىٰ عليَّ الماءَ والزادَ في وقتِ الحاجةِ ، ثمَّ وَقَفَ الأمرُ ولم يفتحِ اللهُ تعالىٰ عليَّ بشيءٍ ، فجُعْتُ وعَطِشْتُ حتىٰ لم يَبْقَ لي طاقةٌ ، فضَعُفْتُ عنِ المَشْيِ ، وبَقِيتُ أتأخَّرُ عنِ القافلةِ قليلاً قليلاً حتىٰ مَرَّتِ القافلةُ ، فقلتُ في نَفْسي : هٰذا الآنَ مِنِّي إلقاءُ النَّفْسِ إلى التَّهْلُكَةِ وقد مَنَعَ اللهُ تعالىٰ مِنْ ذلكَ ، وهٰذهِ مسألةُ الاضطرارِ أسألُ ، فلمَّا هَمَمْتُ بالسؤالِ انبعثَ مِنْ باطني إنكارٌ لهٰذهِ الحالةِ ، وقلتُ : عزيمةٌ عَقَدْتُها معَ اللهِ تعالىٰ لا أَنقُضُها ، وهانَ عليَّ الموتُ دونَ نَقْضِ عزيمتي ، فقَصَدْتُ شجرةً وقَعَدتُ في ظِلِّها ، وطرحتُ رأسي استطراحاً للموتِ ، وذهبتِ القافلةُ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٩٠) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ من قوله ، وورد مرفوعاً ما يخالفه . انظر « غنية العارف » (١/ ٢٦١) .

(٢) في (ب ، ج ، د ، هـ ، و) : (يُبلىٰ) بدل (يُبتلىٰ) .

(٣) بأنْ يعلمَ أنَّ الحقَّ تعالىٰ يسوقُ إليه المُقدَّر ولا يُحوِجُهُ إلى السؤال . من هامش (ح) .

(٤) بأنْ يعلمَ أن الحقَّ تعالىٰ يريدُ منه ألا يُباشِرَ قانون الحكمة بطريق السؤال ، وتصغيرِ النفس والإذلال . من هامش (ح) .

فبينا أنا كذلكَ إذ جاءَني شابٌّ مُتقلِّدٌ بسيفٍ ، وحرَّكَني ، فقُمْتُ وفي يدِهِ إداوةٌ فيها ماءٌ ، فقالَ لي : اشربْ ، فشَرِبتُ ، ثمَّ قدَّمَ لي طعاماً وقالَ لي : كُلْ ، فأكلتُ ، ثمَّ قالَ لي : تريدُ القافلةَ ؟ فقلتُ لهُ : ومَنْ لي بالقافلةِ وقد عبَرَتْ ؟ فقالَ لي : قُمْ ، وأَخَذَ بيدي ومشىٰ معي خَطَواتٍ ثمَّ قالَ لي : اجْلِسْ فالقافلةُ إليكَ تجيءُ ، فجلستُ ساعةً فإذا أنا بالقافلةِ ورائي مُتوجِّهةً إليَّ .

هـٰذا شأنُ مَنْ يُعامِلُ مَوْلاهُ بالصدقِ .

وذَكَرَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَةُ اللهِ عليهِ أنَّ بعضَ الصُّوفيَّةِ أَوَّلَ قولَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَحَلُّ مَا أَكَلَ ٱلْمَرْءُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ »[1] . . أنَّهُ المسألةُ عندَ الفاقةِ .

وأنكرَ الشيخُ أبو طالبٍ هـٰذا التأويلَ مِنْ هـٰذا الصُّوفيِّ ، وذَكَرَ أنَّ جعفراً الخُلْدِيَّ رحمةُ اللهِ عليهِ كانَ يحكي هـٰذا التأويلَ عن شيخٍ مِنْ مشايخِ الصُّوفيَّةِ[2] .

ووَقَعَ لي واللهُ أعلمُ : أنَّ الشيخَ الصُّوفيَّ لم يُرِدْ بكَسْبِ اليدِ ما أنكرَ الشيخُ أبو طالبٍ منهُ ، وإنَّما أرادَ بكَسْبِ اليدِ رَفْعَها إلى اللهِ تعالىٰ عندَ الحاجةِ ، فهوَ مِنْ أَحَلِّ ما يأكلُهُ إذا أجابَ اللهُ تعالىٰ سؤالَهُ ، وساقَ إليهِ رزقَهُ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ حكايةً عن موسىٰ عليهِ السلامُ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] .

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٨) ، والترمذي (١٣٥٨) ، والنسائي (٧/ ٢٤٠) ، وابن ماجه (٢١٣٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٦٢_٢٦٣).

(٢) قوت القلوب (٣/ ١٥٢٧_١٥٢٨) .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (قالَ ذلكَ وإنَّ خُضْرةَ البَقْلِ لَتتراءىٰ في بطنِهِ مِنَ الهُزَالِ)[١] .

وقالَ محمَّدٌ الباقرُ رحمَهُ اللهُ : (قالَها وإنَّهُ لَيحتاجُ إلىٰ شِقِّ تمرةٍ)[٢] .

ورُوِيَ عن مُطَرِّفٍ أنَّهُ قالَ : (أمَا واللهِ ؛ لو كانَ عندَ نبيِّ اللهِ موسىٰ شيءٌ . . ما اتَّبعَ المرأةَ ، ولٰكن حَمَلَهُ علىٰ ذلكَ الجُهْدُ)[٣] .

وذَكَرَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلَميُّ عن النَّصْرَاباذيِّ أنَّهُ قالَ في قولِهِ : ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ : (لم يسألِ الكليمُ الخَلْقَ ، وإنَّما كانَ سؤالُهُ مِنَ الحقِّ ، ولم يسألْ غِذاءَ النَّفْسِ ، إنَّما أرادَ سكونَ القَلْب)[٤] .

وقالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (الخَلْقُ مُتردِّدُونَ بينَ ما لهُم وبينَ ما إليهِم ؛ مَنْ نَظَرَ إلىٰ ما لهُ تكلَّمَ بلسانِ الفَقْرِ ، ومَنْ شاهدَ ما إليهِ تكلَّمَ بلسانِ الخُيَلاءِ والفَخْرِ ؛ أَلَا ترىٰ حالَ الكليمِ عليهِ السلامُ لمَّا شاهدَ خواصَّ ما خاطبَهُ بِهِ الحقُّ كيفَ قالَ : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، ولمَّا نَظَرَ إلىٰ نَفْسِهِ كيفَ أَظْهرَ الفقرَ وقالَ : ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾)[٥] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (نظَرَ مِنَ العُبُوديَّةِ إلى الرُّبُوبيَّةِ فخَشَعَ وخَضَعَ ، وتكلَّمَ

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٩/ ٥٥٧) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٦٨٠٩) ، وأورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٠/ ٤٣٠) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٠/ ٤٣٠_٤٣١) ، والبغوي في « تفسيره » (٦/ ٢٠١) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٩/ ٥٦٠) ، وأورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٠/ ٤٣٢) .

(٤) تفسير السلمي (٢/ ١٠٤) .

(٥) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٠٣) .

بلسانِ الافتقارِ بما وَرَدَ علىٰ سِرِّهِ مِنَ الأنوارِ ، وافتقارُهُ افتقارُ العبدِ إلىٰ مَوْلاهُ في جميعِ أحوالِهِ ، لا افتقارُ سؤالٍ وطَلَبٍ)[1] .

وقالَ الحسينُ : (فقيرٌ ـ لِمَا خَصَصْتَني بهِ مِنْ عِلْمِ اليقينِ ـ أنْ تُرقِّيَني إلىٰ عَينِ اليقينِ وحَقِّهِ)[2] .

قالَ الشيخُ رحمةُ اللهِ عليهِ : ووَقَعَ لي واللهُ أعلمُ : أنَّ قولَهُ : ﴿ لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ أنَّ الإنزالَ مُشعِرٌ ببُعْدِ رُتْبتِهِ عن حقيقةِ القُرْبِ ، فيكونُ الإنزالُ عينَ الفقرِ ، فما قَنِعَ بالمُنزَلِ ، وأرادَ قُرْبَ المُنزِلِ ، ومَنْ صحَّ فقرُهُ ففقرُهُ في أمرِ آخرتِهِ كفقرِهِ في أمرِ دُنْياهُ ، ورجوعُهُ إليهِ في الدارَينِ ، وإيَّاهُ يسألُ حوائجَ المَنْزِلَينِ ، ويُساوي عندَهُ الحاجتَينِ[3] ، وما لهُ معَ غيرِ اللهِ شُغْلٌ في الدارَينِ[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٠٣) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٠٣) .

(٣) في (هـ ، ح) : (وتساوى عنده الحاجتان) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ السماع للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب العشرون

في ذكر من يأكل من الفتوح

إذا كَمَلَ شُغْلُ الصُّوفيِّ باللهِ ، وكَمَلَ زهدُهُ لكمالِ تَقْواهُ . . يحكمُ الوقتُ عليهِ بتَرْكَ التسبُّبِ ، وينكشفُ له صريحُ التوحيدِ وصِحَّةُ الكَفَالةِ مِنَ اللهِ الكريمِ ، فيزولُ عن باطِنِهِ الاهتمامُ بالأَقْسامِ ، ويكونُ مُقدِّمةُ هٰذا أنْ يفتحَ اللهُ تعالىٰ لهُ باباً مِنَ التعريفِ بطريقِ المُقابلةِ علىٰ كلِّ فعلٍ يَصدُرُ منهُ[1] ؛ حتىٰ لو جرىٰ عليهِ يسيرٌ مِنْ ذنبِ حالِهِ ، أوِ الذنبِ مُطلقاً ممَّا هوَ مَنهِيٌّ عنهُ في الشرعِ . . يَجِدُ غِبَّ ذلكَ في وقتِهِ أو يومِهِ[2] .

كانَ بعضُهُم يقولُ : (إنِّي لَأَعرفُ ذنبي في سُوءِ خُلُقِ غُلامي)[3] .

وقيلَ : إنَّ بعضَ الصُّوفيَّةِ قَرَضَ الفأرُ خُفَّهُ ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ تألَّمَ

---

(١) يعني : مقدمةُ تمامِ شغل الصوفي بالله بالتبرُّؤِ ، وكمالُ الزهد في الدنيا . . أن يُعرِّفه حسنَ فعلِهِ وقبحَهُ بصريح فعلِ الحقِّ معه في مقابلة فعلِهِ في بداية أمره ، فإن أظهرَ الله عليه ما هو مُوجِبٌ لفرحه وطِيبِ قلبه ممَّا يتعلَّقُ بدنياه أو بآخرته . . عَرَفَ أنَّ ذلك في مقابلة خيره وطاعته ، وإنْ أظهرَ عليه ما هو مُوجِبُ الكراهية ووَحْشَةِ قلبه . . عَرَفَ أنَّ ذلك من ذنب حاله ؛ كالحرص على الجمع في حال الزهد ، والاعتمادِ على الغير في حال التوكُّل وغير ذلك . من هامش (ج) .

(٢) غِبُّ كل شيء : عاقبتُهُ . من هامش (ح) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٠٩) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص١٠٨) عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ .

وأنشدَ[1] : [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

إشارةً منهُ : إلىٰ أنَّ الداخلَ عليهِ مُقابَلةٌ لهُ علىٰ شيءٍ استوجبَ بهِ ذلكَ .

فلا تزالُ بهِ المقابلاتُ مُتضمِّنةً للتعريفاتِ الإلـٰهيَّةِ ، حتىٰ يتحصَّنَ بصدقِ المُحاسبةِ وصفاءِ المُراقبةِ عن تضييعِ حقوقِ العبوديَّةِ ، ومُخالفةِ حُكمِ الوقتِ ، ويتجرَّدَ لهُ فعلُ اللهِ تعالىٰ ، وينمحيَ عندَهُ أفعالُ غيرِ اللهِ ، فيرى المُعطيَ والمانعَ هوَ اللهَ سبحانَهُ ذَوْقاً وحالاً لا عِلْماً وإيماناً ، ثمَّ يتداركُهُ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ بالمعونةِ ، ويُوقِفُهُ علىٰ صريحِ التوحيدِ وتجريدِ فعلِ اللهِ تعالىٰ[2] .

كما حُكِيَ عن بعضِهِم : أنَّهُ خطرَ لهُ خاطرُ الاهتمامِ بالرِّزْقِ ، فخَرَجَ إلىٰ بعضِ الصَّحاري ، فرأىٰ قُنْبُرَةً عَمْياءَ عَرْجاءَ ضعيفةً[3] ، فوقفَ مُتعجِّباً منها ، مُتفكِّراً فيما تأكلُ معَ عَجْزِها عنِ الطَّيَرانِ والمَشْيِ والرُّؤْيةِ ، فبينا هوَ كذلكَ إذا انشقَّتِ الأرضُ وخرجتْ سُكُرُّجَتانِ[4] ، في إحداهُما سِمْسِمٌ نَقِيٌّ ، وفي الأخرىٰ ماءٌ صافٍ ، فأكلتْ مِنَ السِّمْسِمِ وشَرِبَتْ مِنَ الماءِ ، ثمَّ انشقَّتِ الأرضُ وغابتِ السُّكُرُّجَتانِ .

---

(1) البيت لقُرَيط بن أُنيف كما في « ديوان الحماسة » (١/٩) ، والمراد من تمثُّلِ هـٰذا الصوفي بهـٰذا البيت : أنَّهُ لو كان من المستقيمي الأحوال مع الكبير المتعال . . لم يتسلَّطِ الفأرُ علىٰ قَرْض خُفِّه .

(2) في (ب ، ج ، و ، ز) : (ويُوفِّقه) بدل (ويوقفه) .

(3) القُنْبُرَة : ضرب من الطيور ، والأصحُّ فيها : (القُبَّرَة) .

(4) سبق شرحها في (١/٣٥٧) .

قالَ : فلمَّا رأيتُ ذلكَ سقطَ عن قلبي الاهتمامُ بالرِّزْقِ[1] .

فإذا أَوْقَفَ الحقُّ عبدَهُ في هـٰذا المقامِ . . يُزِيلُ عن باطِنِهِ الاهتمامَ بالأَقْسامِ ، ويرى الدخولَ في التسبُّبِ والتكسُّبِ بالسؤالِ وغيرِهِ رتبةَ العوامِّ ، ويصيرُ مسلوبَ الاختيارِ ، غيرَ مُتطلِّعٍ إلى الأغيارِ ، ناظراً إلىٰ فعلِ اللهِ تعالىٰ ، مُنتظِراً لأمرِ اللهِ تعالىٰ ، فتُساقُ إليهِ الأقسامُ ، ويُفتَحُ عليهِ بابُ الإنعامِ ، ويكونُ بدوامِ مُلاحظتِهِ لفعلِ اللهِ ، وترصُّدِهِ ما يحدثُ مِنْ أمرِ اللهِ تعالىٰ . . مُكاشَفاً لهُ تَجلِّياتٌ مِنَ اللهِ الكريمِ بطريقِ الأفعالِ ، والتجلِّي بطريقِ الأَفْعالِ أوَّلُ رتبةٍ في القُرْبِ[2] ، ومنهُ يُرقىٰ إلى التَّجَلِّي بطريقِ الصفاتِ[3] ، ومِنْ ذلكَ يُرقىٰ إلىٰ تَجلِّي الذاتِ[4] ، والإشارةُ في هـٰذهِ التَّجلِّياتِ إلىٰ رُتَبٍ في اليقينِ ، ومقاماتٍ في التوحيدِ ؛ شيءٌ فوقَ شيءٍ ، وشيءٌ أَصْفىٰ مِنْ شيءٍ .

فالتجلِّي بطريقِ الأفعالِ يُحدِثُ صفوَ الرِّضا والتسليمِ ، والتجلِّي بطريقِ الصفاتِ يَكسِبُ الهيبةَ والأُنْسَ[5] ، والتجلِّي بالذَّاتِ يَكسِبُ الفناءَ والبقاءَ .

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص١٠٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٠٣) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) **التجلِّي بطريق الأفعال** : هو ألَّا يرىٰ فعلَ الغير ، بل يرى الفاعل واحداً سبحانه وتعالىٰ . من « شرح المشكلات » (ق/ ٣١) .

(٣) **التجلِّي بطريق الصفات** : هو أَلَّا يرى العلمَ والإرادة والسمع والبصر وغيرها من الصفات من غير الله ، بل يرىٰ متصفاً واحداً لصفات مختلفةٍ ؛ وهو الله سبحانه وتعالىٰ . من « شرح المشكلات » (ق/ ٣١) .

(٤) **تجلِّي الذات** : هو ألَّا يرى الذوات من زيد وعمرو وغيرهما ، ولا يرىٰ إلا ذاتاً واحداً ؛ وهو الله تعالىٰ . من « شرح المشكلات » (ق/ ٣١) .

(٥) **الهيبة** من الصفات الجلالية ؛ كالقهَّار والمنتقم ، **والأُنس** من الصفات الجمالية ؛ كالرحيم والغفور .

وقد يُسمَّىٰ تركُ الاختيارِ والوقوفُ معَ فعلِ اللهِ تعالىٰ . . فناءً ؛ يعنونَ بهِ : فناءَ الإرادةِ والهوىٰ ، والإرادةُ ألطفُ أقسامِ الهوىٰ[1] ، وهٰذا الفناءُ هوَ الفناءُ الظاهرُ .

فأمَّا الفناءُ الباطنُ ـ وهوَ مَحْوُ آثارِ الوجودِ عندَ لَمَعَانِ نورِ الشهودِ ـ . . يكونُ في تَجَلِّي الذاتِ ، وهوَ أكملُ أقسامِ اليقينِ في الدنيا .

فأمَّا تَجَلِّي حُكْمِ الذَّاتِ : فلا يكونُ إلا في الآخرةِ ، وهوَ المقامُ الذي حَظِيَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليلةَ المعراجِ ، ومُنِعَ عنهُ موسىٰ عليهِ السلامُ بـ ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

فليُعلَمْ : أنَّ قولَنا : (في التَّجَلِّي) إشارةٌ إلىٰ رُتَبِ الحظِّ مِنَ اليقينِ ورؤيةِ البصيرةِ ، فإذا وصلَ العبدُ إلىٰ مبادئِ أقسامِ التَّجَلِّي ـ وهوَ مُطالعةُ الفعلِ الإلٰهيِّ مُجرَّداً عن فعلِ ما سوى اللهِ تعالىٰ ـ . . يكونُ تناولُهُ الأقسامَ مِنَ الفُتُوحِ .

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ وُجِّهَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَـٰذَا ٱلرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ . . فَلْيَأْخُذْهُ وَلْيُوَسِّعْ بِهِ فِي رِزْقِهِ ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ غِنىً فَلْيَدْفَعْهُ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَيْهِ »[2] .

---

(١) يعني : للهوىٰ مراتبُ ؛ وهي : الإرادة ، والمودَّة ، والخُلَّة ، والمحبَّة ، والعشق ، وألطفُها الإرادة التي هي مبدؤها ؛ لأنَّها ضعيفةٌ ما قَوِيتْ بعدُ وما تمكَّنت ، كما رُوي أنَّ قارئاً [كان] يقرأ عند أبي بكر رضي الله عنه القرآن ، فكان شابٌّ يبكي ، فقال أبو بكر : هٰكذا كُنَّا في بداية أمرِنا حتىٰ قَسَتْ قلوبُنا ، وتمكَّنتِ المحبَّةُ فيها . من هامش (ج) .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٦٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/ ١٩) عن سيدنا عائذ بن عمرو رضي الله عنهما ، وانظر حديث سيدنا عمر رضي الله عنه الآتي قريباً .

وفي هـٰذا دَلالةٌ ظاهرةٌ : علىٰ أنَّ العبدَ يجوزُ أنْ يأخذَ زيادةً علىٰ حاجتِهِ بنيَّةِ صَرْفِهِ إلىٰ غيرِهِ ، وكيفَ لا يأخذُهُ وهوَ يرىٰ فعلَ اللهِ تعالىٰ ؟!

ثمَّ إذا أخذَ فمنهُم : مَنْ يُخرِجُهُ إلى المحتاجِ ، ومنهُم : مَنْ يقفُ في الإخراجِ أيضاً حتىٰ يَرِدَ عليهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ عِلْمٌ خاصٌّ ؛ ليكونَ أخذُهُ بالحقِّ وإخراجُهُ بالحقِّ .

(٥٥) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعَةَ طاهرٌ ، قالَ : أخبرَنا والدي الحافظُ أبو الفضلِ المَقْدِسيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الحبَّالُ[١] ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ سعيدٍ[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرٍو[٣] ، قالَ : أخبرَنا يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ ، قالَ : أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قالَ : أخبرَنا عمرُو بنُ الحارثِ ، عنِ ابنِ شهابٍ ، عنِ السائبِ بنِ يزيدَ ، عن حُوَيطِبِ بنِ عبدِ العُزَّىٰ ، عن عبدِ اللهِ بنِ السَّعْديِّ[٤] ، عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ

---

(١) في النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (بن إبراهيم) بدل (إبراهيم) ، والصواب المثبت ، والحبَّال : هو الإمام الحافظ المتقن الصالح أبو إسحاق النُّعْماني المصري الكتبي الفرَّاء (ت ٤٨٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨ـ ٤٩٥ـ ٥٠١) .

(٢) في هامش (د) : (أبو محمد) بدل (محمد) ، وفي « صفوة التصوف » : (أبو محمد عبد الرحمـٰن) .

(٣) هو الإمام المُحدِّث الصدوق المُعمَّر أبو طاهر المَدِيني المصري الخامي (ت ٣٤١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٣٠ـ ٤٣١) .

(٤) في (د) : (عبيد الله) بدل (عبد الله) ، والصواب المثبت ، وابن السعدي : هو سيدنا أبو محمد عبد الله بن عمرو بن السعدي وَقْدان بن عبد شمس القرشي العامري رضي الله عنه (ت٥٧هـ) ، والحديث من رواية الصحابي عن الصحابي ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٥/ ٢٤ـ ٢٥) .

قالَ(١) : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُعطِيني العطاءَ ، فأقولُ : أَعْطِهِ يا رسولَ اللهِ مَنْ هوَ أَفْقَرُ إليهِ منِّي ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَـٰذَا ٱلْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُتَشَرِّفٍ وَلَا سَائِلٍ . فَخُذْهُ ، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » ، قالَ سالمٌ : فمِنْ أجلِ ذلكَ كانَ ابنُ عمرَ لا يسالُ أحداً شيئاً ، ولا يَرُدُّ شيئاً أُعطِيَهُ(٢) .

دَرَّجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأصحابَ بأوامرِهِ إلىٰ رؤيةِ فِعْلِ اللهِ تعالىٰ ، والخروجِ مِنْ تدبيرِ النَّفْسِ إلىٰ حُسْنِ تدبيرِ اللهِ تعالىٰ .

سُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رحمَهُ اللهُ عن علمِ الحالِ ، فقالَ : هوَ تركُ التدبيرِ ، ولو كانَ هـٰذا في واحدٍ لكانَ مِنْ أوتادِ الأرضِ(٣) .

وروىٰ زيدُ بنُ خالدٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ جَاءَهُ مِنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ . فَلْيَقْبَلْهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ »(٤) .

وهـٰذا العبدُ الواقفُ معَ فعلِ اللهِ تعالىٰ في قَبولِ ما ساقَ الحقُّ إليهِ . آمِنٌ

---

(١) كما رواه سالم عن أبيه ابن عمر عنه رضي الله عنهم . انظر « صفوة التصوف » (٢٧٦) .

(٢) صفوة التصوف (٢٧٦) ، ورواه البخاري (١٤٧٣) دون قول سالم ، ومسلم (١٠٤٥/ ١١١) .

(٣) انظر « تفسير التستري » (ص٦٦) .

(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٣٠٩) ، وابن حبان والطبراني وابن عساكر كما في « كنز العمال » (١٦٥٦٠) ، ورواه أحمد (٤/ ٢٢٠ـ٢٢١) ، وابن حبان (٣٤٠٤) ، والحاكم (٢/ ٦٢) عن سيدنا خالد بن عدي الجهني رضي الله عنه .

ما يُخشىٰ علىٰ مَنْ يَرُدُّ ؛ لأنَّ مَنْ رَدَّ لا يأمنُ مِنْ دخولِ النَّفْسِ عليهِ أنْ يُرىٰ بعينِ الزهدِ ؛ ففي أخذِهِ إسقاطُ نَظَرِ الخَلْقِ تحقُّقاً بالصِّدقِ والإخلاصِ[1] ، وفي إخراجِهِ إلى الغيرِ إثباتُ حقيقةِ الزهدِ[2] ، فلا يزالُ في كلا الحالَينِ زاهداً يراهُ الغيرُ بعينِ الرَّغْبةِ ؛ لقِلَّةِ العلمِ بحالِهِ ، وفي هـٰذا المقامِ يتحقَّقُ الزهدُ في الزهدِ .

ومِنْ أهلِ الفتوحِ مَنْ يعلمُ دخولَ الفُتُوحِ عليهِ ، ومنهُم : مَنْ لا يعلمُ دخولَ الفُتُوحِ عليهِ .

فمنهُم : مَنْ لا يتناولُ مِنَ الفُتُوحِ إلا إذا تقدَّمَهُ علمٌ بتعريفٍ مِنَ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ ، ومنهُم : مَنْ يأخذُ غيرَ مُتطلِّعٍ إلىٰ تقدُّمِ العِلْمِ حيثُ تجرَّدَ لهُ الفعلُ .

ومَنْ لا ينتظرُ تَقْدِمةَ العِلمِ فوقَ مَنْ ينتظرُ تَقْدِمةَ العلمِ ؛ لتمامِ صِحَّتِهِ معَ اللهِ تعالىٰ وانسلاخِهِ مِنْ إرادتِهِ[3] ، وعِلْمِ حالِهِ في تركِ الاختيارِ .

ومنهُم : مَنْ يدخلُ الفُتُوحُ عليهِ لا بتَقْدِمةِ العِلْمِ ولا برؤيةِ تجرُّدِ الفعلِ مِنَ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، ولـٰكن يُرزَقُ شِرْباً مِنَ المَحَبَّةِ بطريقِ رُؤيةِ النعمةِ ، وقد يتكدَّرُ شِرْبُ هـٰذا بتغيُّرِ معهودِ النعمةِ ، وهـٰذا حالٌ ضعيفٌ بالإضافةِ إلى الحالَينِ الأوَّلَينِ ؛ لأنَّهُ علَّةٌ في المحبَّةِ ووليجةٌ في الصدقِ عندَ الصِّدِّيقينَ .

وقد ينتظرُ صاحبُ الفُتُوحِ العلمَ في الإخراجِ أيضاً كما انتظرَ في الأخذِ ؛

---

(١) قوله : (إسقاطُ نَظَرِ الخَلْقِ) يعني : هو في قَبول ما بَعَثَ الله إليه من الفتوح حتىٰ تَرَكَ اختيارَهُ في العطاء والمنع والقَبولِ والرَّدِّ . . كان مع اختيار الحقِّ آمناً من فتنة الردِّ ودخولِ الآفة فيه ؛ لأنَّ مَنْ يَرُدُّ ربَّما تطيب نفسُهُ بالردِّ لنظر الخلق إليه بعين الزهد . من هامش (ج) .

(٢) لأنَّ الصَّرْفَ دليلُ عدم الرغبة . من هامش (ح) .

(٣) في (د) : (صحبته) بدل (صحته) .

لأنَّ النَّفْسَ تظهرُ في الإخراجِ كما تظهرُ في الأخذِ .

وأتَمُّ مِنْ هٰذا : مَنْ يكونُ في إخراجِهِ مُختاراً ، وفي أَخْذِهِ مُختاراً ، بعدَ تحقُّقِهِ بصحةِ التصرُّفِ ؛ فإنَّ انتظارَ العِلْمِ إنَّما كانَ لموضعِ اتِّهامِ النَّفْسِ ببقيَّةِ هوىً موجودٍ ، فإذا زالَ الاتِّهامُ بوجودِ صريحِ العِلْمِ . . يأخذُ غيرَ مُحتاجٍ إلىٰ علمٍ مُتجدِّدٍ ، ويُخرِجُ كذلكَ ، وهٰذهِ حالُ مَنْ تحقَّقَ بقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حاكياً عن ربِّهِ : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً ؛ بِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ، وَبِي يَنْطِقُ . . . » الحديثَ[1] .

فلمَّا صحَّ تَعَرُّفُهُ صحَّ تَصَرُّفُهُ ، وهٰذا أعزُّ في الأحوالِ مِنَ الكِبْريتِ الأحمرِ[2] .

وكانَ شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرَوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ يَحْكي عنِ الشيخِ حمَّادٍ الدَّبَّاسِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ كانَ يقولُ[3] : (أنا لا آكلُ إلَّا مِنْ طعامِ

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٢١) .

(٢) أي : الذي يُضرَبُ على النحاس فيصيرُ ذهباً ؛ لأنَّ هٰذا الحالَ يجعلُ حركاتِ العبد وسكناتِهِ التي كانتْ منه وبه وله . . من الله وبالله ولله ، وكذا يجعلُ الفانيَ الموصوف بالصفات الفانية باقياً مُتَّصِفاً بصفات الحقِّ الباقية . من هامش (ج) .

(٣) **حمَّاد الدَّبَّاس** : هو الإمام القدوة العارف المُربِّي صاحب الكرامات أبو عبد الله حمَّاد بن مسلم بن ددُّوْ الدَّبَّاس الرَّحَبي (ت ٥٢٥هـ) ، وهو شيخ الإمام العارف عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالىٰ وقُدِّس سِرُّهُ ، ولا يُلتفتُ إلىٰ ثَلْبِ ابن الجوزيِّ له ؛ فقد فنَّده سِبْطُهُ في « مرآة الزمان » (٢٠/ ٢٣٦) ، وردَّه ابن الأثير في « الكامل » (٩/ ٣١) ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : (ورأيتُ الشيخ أبا الفرج بنَ الجوزيِّ قد ذمَّهُ وثَلَبَهُ ، ولهٰذا الشيخ أسوةٌ بغيره من الصالحين ؛ فإنَّ ابنَ الجوزيِّ قد صنَّف كتاباً سمَّاه « تلبيس إبليس » لم يُبقِ فيه علىٰ أحد من سادات المسلمين وصالحيهم) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٥٩٤) .

الفضلِ)[1] ، فكانَ يرى الشخصُ في المنامِ أنِ احْمِلْ إليهِ شيئاً ، وقد كانَ يُعيِّنُ للرائي في المنامِ أنِ احْمِلْ إلىٰ حمَّادٍ كذا وكذا .

وقيلَ : إنَّهُ بَقِيَ زماناً يرىٰ هوَ في واقعتِهِ أو منامِهِ أنَّكَ أُحِلْتَ علىٰ فلانٍ بكذا وكذا[2] .

وحُكِيَ عنهُ أنَّهُ كانَ يقولُ : (كلُّ جسمٍ تربَّىٰ بطعامِ الفَضْلِ . . لا يتسلَّطُ عليهِ البِلىٰ) ؛ ويعني بطعامِ الفَضْلِ : ما يشهدُ لهُ صحَّةُ الحالِ مِنْ فُتُوحِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، ومَنْ كانتْ هـٰذهِ حالتَهُ فهوَ غنيٌّ باللهِ .

قالَ الواسطيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (الافتقارُ إلى اللهِ تعالىٰ أَعْلىٰ درجةِ المُريدينَ ، والاستغناءُ باللهِ أَعْلىٰ درجةِ الصادقينَ) .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (العارفُ فَنِيَ تدبيرُهُ في تدبيرِ الحقِّ)[3] .

فالواقفُ معَ الفتوحِ واقفٌ معَ اللهِ تعالىٰ ، ناظرٌ إلى اللهِ تعالىٰ .

وأحسنُ ما حُكِيَ في هـٰذا[4] : أنَّ بعضَهُم رأى النُّوريَّ يَمُدُّ يدَهُ ويسألُ الناسَ ، قالَ : فاستعظمتُ ذلكَ واستقبحتُهُ لهُ ، فأتيتُ الجُنيدَ فأخبرتُهُ ، فقالَ لي : لا يَعظُمُ هـٰذا عليكَ ؛ فإنَّ النُّوريَّ لم يسألِ الناسَ إلا ليُعطِيَهُم ،

---

(١) سيأتي المراد من (طعام الفضل) قريباً في كلام المؤلف .

(٢) انظر « المنتظم » لابن الجوزي (١٧/ ٢٦٦) ، والواقعة : ما كانت بين النوم واليقظةِ أو في اليقظة ؛ أي : عند زوال الخيال ، والمنامُ معلومٌ . من هامش (ح) .

(٣) يعني : العارف يُدبِّر ويراعي الصورة ويتصرَّفُ بالأسباب ، ولـٰكنَّ تدبيرَهُ وتصرُّفَهُ يكونُ بالحقِّ لا بنفسه ، فيتلاشىٰ أسبابُهُ في عين الأسباب ؛ لأنَّ ذلك من تقدير الحقِّ واختياره له ، كما ذكر مِنْ قبلُ أنَّ رياء العارفين الذي هو [من] قسم التدبير . . أفضل من إخلاص المريدين الذي هو من قسم الأحوال . من هامش (ج) .

(٤) أي : في طعام الفضل . من هامش (ح) .

سألَهُم ليَقِيَهُم في الآخرةِ[1] ، فيُؤجَرُونَ مِنْ حيثُ لا يَضُرُّهُ[2] .

وقولُ الجُنيدِ : (ليُعطِيَهُم) كقولِ بعضِهِم : (اليدُ العُلْيا يدُ الآخِذِ ؛ لأنَّهُ يُعطِي الثوابَ) .

قالَ : ثمَّ قالَ الجُنيدُ : هاتِ الميزانَ ، فوزنَ مئةَ درهمٍ ، ثمَّ قبضَ قبضةً فألْقاها على المئةِ ، ثمَّ قالَ : احْمِلْها إليهِ ، فقلتُ في نَفْسي : إنَّما يُوزَنُ الشيءُ ليُعرَفَ مقدارُهُ ، فكيفَ خَلَطَ المجهولَ بالموزونِ وهوَ رجلٌ حكيمٌ ؟! واستحْيَيتُ أنْ أسألَهُ .

فذهبتُ بالصُّرَّةِ إلى النُّوريِّ ، فقالَ : هاتِ الميزانَ ، فوزنَ مئةَ درهمٍ وقالَ : رُدَّها عليهِ وقُلْ لهُ : أنا لا أقبلُ منكَ شيئاً ، وأَخَذَ ما زادَ على المئةِ .

قالَ : فزادَ تعجُّبي ، فسألتُهُ عن ذلكَ ، فقالَ : الجُنيدُ رجلٌ حكيمٌ ، يُريدُ أنْ يأخذَ الحبلَ بطرَفَيهِ ؛ وزنَ المئةَ لنَفْسِهِ طلباً للثوابِ ، وطَرَحَ عليها قبضةً بلا وزنٍ للهِ تعالىٰ ، فأخذتُ ما كانَ للهِ تعالىٰ ورَدَدتُ ما جعلَهُ لنَفْسِهِ .

قالَ : فرددتُها على الجُنيدِ ، فبكىٰ وقالَ : أَخَذَ ما لهُ ، ورَدَّ ما لنا[3] .

ومِنْ لطائفِ ما سمعتُ مِنْ أصحابِ شيخِنا رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ قالَ ذاتَ يومٍ لأصحابِهِ : نحنُ مُحتاجُونَ إلىٰ شيءٍ مِنَ المعلومِ ، فارْجِعُوا إلىٰ خَلَوَاتِكُم

---

(١) في (د) : (ليبقيهم) بدل (ليقيهم) ، وفي (و) : (ليقينهم) ، وفي « القوت » و« الإحياء » : (ليثيبهم) .

(٢) في نسخة على هامش (أ) : (فيؤجر) بدل (فيُؤجرون) .

(٣) أورد هـٰذه القصة أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥١٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٨/ ٩٥ـ ٩٦) ، وقولُهُ : (ما له ، ما لنا) يجوز أن يضبط (مالَه ، مالَنا) كما في « الإحياء » ، إلا أنَّ المثبت أنسب ، والله تعالىٰ أعلم .

واسألُوا اللهَ تعالىٰ ، وما يفتحُ اللهُ تعالىٰ عليكُمُ ائتوني بهِ ، ففعلوا ، ثمَّ جاءَهُ مِنْ بينِهِم شخصٌ يُعرَفُ بإسماعيلَ البَطَائِحيِّ ومعَهُ كاغَدٌ عليهِ ثلاثونَ دائرةً ، وقالَ : هـٰذا الذي فَتَحَ اللهُ لي في واقعتي ، فأخذَ الشيخُ الكاغَدَ ، فلم يكنْ إلا ساعةً فإذا بشخصٍ دَخَلَ ومعَهُ ذهبٌ ، فقدَّمَهُ بينَ يَدَيِ الشيخِ ، ففَتَحَ القِرْطاسَ فإذا هوَ ثلاثونَ صحيحاً ، فتَرَكَ الشيخُ كلَّ صحيحٍ علىٰ دائرةٍ ، وقالَ : هـٰذا فتوحُ الشيخِ إسماعيلَ ، أو كلاماً هـٰذا معناهُ .

وسمعتُ أنَّ الشيخَ عبدَ القادرِ الجِيليَّ رحمَهُ اللهُ بَعَثَ إلىٰ شخصٍ وقالَ : لفلانٍ عندَكَ طعامٌ وذهبٌ ، ائتِني مِنْ ذلكَ بكذا ذهباً وكذا طعاماً ، فقالَ الرجلُ : كيفَ أتصرَّفُ في وديعةٍ عندي ولوِ استفتَيْتُكَ في هـٰذا ما أَفْتَيْتَني في التصرُّفِ ؟! فألْزَمَهُ الشيخُ بذلك ، فأَحْسنَ الظنَّ بالشيخِ وجاءَ إليهِ بالذي طَلَبَهُ .

فلمَّا وَقَعَ التصرُّفُ منهُ جاءَهُ مكتوبٌ مِنْ صاحبِ الوديعةِ وهوَ غائبٌ في بعضِ نواحي العراقِ : أنِ احْملْ إلى الشيخِ عبدِ القادرِ القَدْرَ ، وهوَ القَدْرُ الذي عَيَّنَهُ الشيخُ عبدُ القادرِ ، فعاتبَهُ الشيخُ بعدَ ذلكَ علىٰ تَوَقُّفِهِ وقالَ : ظننتَ بالفقراءِ أنَّ إشاراتِهِم تكونُ علىٰ غيرِ صحَّةٍ وعلمٍ ؟!

فالعبدُ إذا صحَّ معَ اللهِ تعالىٰ ، وأَفْنىٰ هواهُ مُتطلِّباً رضا اللهِ تعالىٰ . . يرفعُ اللهُ تعالىٰ عن باطنِهِ همومَ الدنيا ، ويجعلُ الغِنىٰ في قلبِهِ ، ويفتحُ عليهِ أبوابَ الرِّفْقِ .

وكلُّ الهمومِ المُتسلِّطةِ علىٰ بعضِ الفقراءِ . . لكونِ قلوبِهِم ما استكملتِ الشُّغْلَ باللهِ والاهتمامَ برعايةِ حقائقِ العُبُوديَّةِ ، فعلىٰ قَدْرِ ما خَلَتْ مِنْ هَمِّ اللهِ

تعالىٰ ابتُلِيتْ بهَمِّ الدنيا ، ولوِ امتلأتْ مِنْ هَمِّ اللهِ تعالىٰ ما عُذِّبَتْ بهمومِ الدنيا ، ووُفِّقَتْ وأُرْفِقتْ[1] .

رُوِيَ أنَّ عونَ بنَ عبدِ اللهِ المَسْعُوديَّ كانَ لهُ ثلاثُ مئةٍ وستُّونَ صديقاً ، وكانَ يكونُ عندَ كلِّ واحدٍ يوماً[2] ، وآخَرُ كانَ لهُ ثلاثونَ صديقاً ، فكانَ عندَ كلِّ واحدٍ يوماً[3] ، وآخَرُ كانَ لهُ سبعةُ إخوانٍ ، فكانَ كلَّ يومٍ مِنَ الأسبوعِ عندَ واحدٍ ، فكانَ إخوانُهُم معلومَهُم[4] ، والمعلومُ إذا أقامَهُ الحقُّ للناظرِ إلى اللهِ تعالى الكاملِ توحيدُهُ . . يكونُ نعمةً هنيئةً .

جاءَ رجلٌ إلى الشيخِ أبي السُّعودِ رحمَهُ اللهُ[5] ـ وكانَ مِنْ أربابِ الأحوالِ السَّنِيَّةِ ، والواقفينَ في الأشياءِ معَ فعلِ اللهِ تعالىٰ ، مُتمكِّناً في حالِهِ ، تاركاً لاختيارِهِ ، لعلَّهُ سَبَقَ كثيراً مِنَ المُتقدِّمينَ في تحقيقِ تَرْكِ الاختيار ، رأَيْنا منهُ وشاهدْنا أحوالاً صحيحةً عن قُوَّةٍ وتمكينٍ ـ فقالَ لهُ الرجلُ : أريدُ أنْ أُعيِّنَ

---

(١) في (ب) : (وقنعت) بدل (ووفقت) .

(٢) أي : علىٰ مدار السنة .

(٣) أي : علىٰ مدار الشهر .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٥٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤١) ، وقال أبو طالب رحمه الله تعالىٰ : (ولم يكن هـٰؤلاء يتكسَّبون ولا يدَّخرون ، وكانت لإخوانهم فيهم نيَّةٌ صالحة ، يسألونهم ذلكَ ويقسمون عليهم فيه ، ويرونه من أفضل أعمالهم ، وكان هـٰؤلاءِ الأضيافُ يُكرِمون إخوانهم بإجابتهم وكونِهم عندهم ، ومنهم مَنْ كان منقطعاً في منزل أخيه قد أفرده بمكانٍ يقوم بكفايته ، ولا يبرحُ في منزله على الدوام ، يحكم فيه ويتحكَّم كما يكون في منزل نفسه) .

(٥) أبو السعود : هو الإمام العارف أبو السعود بن شبل البغدادي أجلُّ أتباع الإمام العارف المُربِّي سيِّدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى . انظر « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » (٢/ ٢٠٨ـ٢١٠) .

شيئاً كلَّ يومٍ مِنَ الخبزِ أحملُهُ إليكَ ، ولـٰكنِّي قلتُ : الصُّوفيَّةُ يقولونَ : المعلومُ شُؤْمٌ ، قالَ الشيخُ : نحنُ ما نقولُ : المعلومُ شُؤْمٌ ؛ فإنَّ الحقَّ تعالىٰ يُصفِّي لنا ، وفِعْلَهُ نرىٰ ، فكلُّ ما يُقيمُ لنا نراهُ مُباركاً ولا نراهُ شُؤْماً[1] .

(٥٦) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرٌ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ شاذانَ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ الكَتَّانيَّ قالَ : (كنتُ أنا وعمرٌو المَكِّيُّ وعيَّاشُ بنُ المَهْديِّ نصطحبُ ثلاثينَ سنةً ، نُصلِّي الغَدَاةَ علىٰ طُهْرِ العصرِ ، وكنَّا قُعُوداً بمكَّةَ على التجريدِ ، ما لنا على الأرضِ ما يُساوي فَلْساً ، وربَّما كانَ يُصِيبُنا الجوعُ يوماً ويومَينِ وثلاثةً وأربعةً وخمسةً ولا نسألُ أحداً ، فإنْ ظَهَرَ لنا شيءٌ عَرَفْنا وجهَهُ مِنْ غيرِ سؤالٍ ولا تعريضٍ . قَبِلْناهُ وأَكَلْناهُ ، وإلَّا طَوَيْنا ، فإذا اشتدَّ بنا الأمرُ وخِفْنا علىٰ أنفسِنا النُّقْصانَ في الفرائضِ . قَصَدْنا أبا سعيدٍ الخَرَّازَ ، فيتَّخِذُ لنا ألواناً مِنَ الطعامِ ، ولا نَقصِدُ غيرَهُ ، ولا ننبسِطُ إلَّا إليهِ ؛ لِمَا نعرفُ مِنْ تَقْواهُ وورعِهِ) .

وقيلَ لأبي يزيدَ رضيَ اللهُ عنهُ : ما نراكَ تشتغلُ بكسبٍ ، فمِنْ أينَ معاشُكَ ؟ فقالَ : مَوْلايَ يرزقُ الكلبَ والخنزيرَ ، تراهُ لا يرزقُ أبا يزيدَ ؟![2] .

---

(١) في (د) : (يقسم) بدل (يقيم) .

(٢) رواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٤٠٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ١٢) عن أبي أُسيد الفزاري رحمه الله تعالىٰ .

قالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ مُظفَّراً القِرْمِيسِينيَّ يقولُ : (الفقيرُ : الذي لا يكونُ لهُ إلى اللهِ حاجةٌ)[1] .

وقيلَ لبعضِهِم : ما الفقرُ ؟ قالَ : وقوفُ الحاجةِ على القلبِ ، ومَحْوُها مِنْ كلِّ أحدٍ سوى الرَّبِّ .

وقالَ بعضُهُم : (أَخْذُ الفقيرِ الصدقةَ مِمَّنْ يُعطِيهِ ، لا مِمَّنْ تصلُ إليهِ علىٰ يدِهِ ، ومَنْ قَبِلَ مِنَ الوسائطِ فهوَ المُترسِّمُ بالفقرِ معَ دناءةِ هِمَّتِهِ)[2] .

(٥٧) ـ أنبأَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا عصامُ الدِّينِ أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ الصفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خلفٍ الشِّيرازيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ أنَّ أبا سليمانَ الدَّارانيَّ كانَ يقولُ : (آخِرُ أقدامِ الزاهدينَ أوَّلُ أقدامِ المُتوكِّلينَ)[3] .

رُوِيَ أنَّ بعضَ العارفينَ زَهِدَ[4] ، فبلغَ مِنْ زُهْدِهِ أنْ فارقَ الناسَ وخَرَجَ

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٧٩) ، وقال الأستاذ القشيري مُعقِّباً : (وهـٰذا اللفظ فيه أدنىٰ غموضٍ لِمَنْ سمعه علىٰ وصف الغفلة عن مرمى القوم ، وإنَّما أشار قائله : إلىٰ سقوط المطالبات ، وانتفاءِ الاختيار ، والرِّضا بما يُجري الحقُّ سبحانه وتعالىٰ) ، وسبق قول القرميسيني في (١/ ٢٤٧) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٢٧٩) .

(٣) طبقات الصوفية (ص٨٠) ، وقال في « شرح المشكلات » (ق/ ٣١) : (فيكون مقامُ التوكُّل أعلىٰ من مقام الزهد بمراتبَ) .

(٤) يحتملُ أن يكون المرادُ من العارف : أنَّهُ رَجَعَ من مقامه وعاد إلىٰ مقام الزهد ، ويحتملُ=

مِنَ الأمصارِ وقالَ : لا أسألُ أحداً شيئاً حتىٰ يأتيَني رِزْقي ، فأَخَذَ يَسِيحُ ، فأقامَ في سَفْحِ جَبَلٍ سَبْعاً لم يأتِهِ شيءٌ حتىٰ كادَ أنْ يَتْلَفَ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ إنْ أحييتَني فَأْتِني برزقي الذي قسمتَ لي ، وإلّا فاقبِضْني إليكَ ، فأَلْهمَهُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ في قلبِهِ : وعِزَّتي وجلالي ؛ لا أرزقُكَ حتىٰ تدخلَ الأمصارَ وتُقِيمَ بينَ الناسِ .

فدخلَ المدينةَ وأقامَ بينَ ظَهْرَانَي الناسِ ، فجاءَهُ هـٰذا بطعامٍ ، وهـٰذا بشرابٍ ، فأكلَ وشرِبَ ، فأَوْجسَ في نَفْسِهِ مِنْ ذلكَ ، فسَمعَ هاتفاً : أردتَ أنْ تُبطِلَ حكمتَهُ بزهدِكَ في الدنيا ، أَمَا علمتَ أنَّهُ ما يرزقُ العبادَ بأيدي العبادِ أحبُّ إليهِ مِنْ أنْ يرزقَهُم بأيدي القُدْرةِ[1] .

فالواقفُ معَ الفُتُوحِ استوىٰ عندَهُ أيدي الآدميِّينَ وأيدي الملائكةِ ، واستوىٰ عندَهُ القُدْرةُ والحكمةُ[2] ، وطلبُ القِفَارِ ، والتوصُّلُ إلىٰ قَطْعِ الأسبابِ . . للارتهانِ برؤيةِ الأسبابِ ، وإذا صَحَّ التوحيدُ تلاشَتِ الأسبابُ في عينِ الأسبابِ[3] .

= أن يكونَ المرادُ : أنَّهُ كان في مقام الزهد الذي هو طريقٌ وواسطة لمعرفة حكمة الحقِّ سبحانه في سَعْي العبد وكَسْبه ، ثمَّ جاءه الجَذْبة من عالم القدرة قبل تمام مقام الزهد ، فعَرَفَ بقدر زهده حكمةَ الكسب ، فاقتضتِ المعرفةُ أن يرجع بعد الجذبة إلى السلوك وإتمام مقام الزهد لاستكمال حصول معرفة الحكمة ، كما أشار إلىٰ ذلك بقوله تعالىٰ ـ كما سيأتي في القصة ـ : (تريد أن تُبطِلَ حكمتي بزهدك في الدنيا) . من هامش (ج) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٠٢ـ١٥٠٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٨/ ٢٧٠ـ٢٧١) .

(٢) القدرة : الرزق بلا واسطة ، والحكمة : الرزق بواسطة . من هامش (ج) .

(٣) في نسخة علىٰ هامش (د) : (في رؤية مسبب الأسباب) بدل (في عين الأسباب) ، =

(٥٨) ـ أخبرَنا شيخُنا رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : أخبرَنا أبو حَفْصٍ عمرُ ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ خلفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : أخبرَنا [عُبيدُ اللهِ بنُ] محمَّدِ بنِ [محمَّدِ] بنِ حَمْدانَ العُكْبَرِيُّ بها[١] ، قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمودِ بنِ البُسْريِّ يقولُ[٢] : سمعتُ محمَّداً الإسكافَ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ مُعاذٍ الرازيَّ يقولُ : (مَنِ استفتحَ بابَ المَعَاشِ بغيرِ مفاتيحِ الأقدارِ . . وُكِلَ إلى المخلوقينَ)[٣] .

قالَ بعضُ المُنقطعِينَ : كنتُ ذا صنعةٍ جليلةٍ ، فأُرِيدَ منِّي تركُها ، فحاكَ في صَدْري : مِنْ أينَ المعاشُ ؟ فهَتَفَ بي هاتفٌ لا أراهُ[٤] : تنقطعُ إليَّ وتتَّهِمُني في رزقِكَ ؟! عليَّ أنْ أُخدِمَكَ وليّاً مِنْ أوليائي ، أو أُسخِّرَ لكَ عدوّاً مُنافِقاً مِنْ أعدائي[٥] .

فلمَّا صَحَّ حالُ الصُّوفيِّ ، وانقطعتْ أَطْماعُهُ ، وسكنتْ عن كلِّ تَشَرُّفٍ وتطلُّعٍ[٦] . . خَدَمَتْهُ الدنيا ، وصَلَحَتْ لهُ الدُّنيا خادمةً ، وما رَضِيَها مخدومةً .

= وفي (و) : (في غير الأسباب) .

(١) في النسخ : (محمد بن أحمد بن حمدان) بدل (عبيد الله . . . حمدان) ، والتصويب من « طبقات الصوفية » ، وابن حمدان : هو الإمام الفقيه المُحدِّث أبو عبد الله ابن بطَّة الحنبلي صاحب « الإبانة الكبرىٰ » (ت ٣٨٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/٥٢٩) .

(٢) كذا في غالب النسخ ، وفي بعضها : (اليسري) ، وجاء اسمه في « طبقات الصوفية »: (أحمد بن محمد السري) .

(٣) طبقات الصوفية (ص١٠٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٦٣) .

(٤) في (و ، ي) : (لا أراك) ، فيكون من ضمن المهتوف به .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٠٣) .

(٦) في (أ) ونسخة على هامش (د) : (وسكنت نفسه) .

فصاحبُ الفُتُوحِ يرىٰ حركةَ النَّفْسِ بالتشرُّفِ جنايةً وذنباً .

رُوِيَ أنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ خَرَجَ ذاتَ يومٍ إلىٰ شارعِ بابِ الشامِ ، فاشترىٰ دقيقاً ، ولم يكنْ في ذلكَ الموضعِ مَنْ يحملُهُ ، فوافىٰ أيُّوبَ الحَمَّالَ رحمةُ اللهِ عليهِ ، فحَمَلَهُ ودَفَعَ إليهِ أحمدُ أُجرتَهُ ، فلمَّا دَخَلَ الدارَ بعدَ إذنِهِ لهُ . . اتَّفَقَ أنَّ أهلَ الدارِ قد خَبَزُوا ما كانَ عندَهُم مِنَ الدقيقِ ، وتركُوا الخبزَ على السريرِ يَنشَفُ ، فرآهُ أيُّوبُ وكانَ يصومُ الدهرَ ، فقالَ أحمدُ لابنِهِ صالحٍ : ادفَعْ إلىٰ أيُّوبَ مِنَ الخبزِ ، فدَفَعَ إليهِ رغيفَينِ ، فردَّهُما ، قالَ أحمدُ : ضَعْهُما ، ثمَّ صَبَرَ قليلاً ، ثمَّ قالَ : خُذْهُما فالحقْهُ بهِما ، فلَحِقَهُ فأخذَهُما .

فرجعَ صالحٌ مُتعجِّباً ، فقالَ لهُ أحمدُ : عَجِبتَ مِنْ ردِّهِ وأَخْذِهِ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : هـٰذا رجلٌ صالحٌ ، فرأى الخبزَ الحارَّ ، فاستشرفَتْ نَفْسُهُ إليهِ ، فلمَّا أَعْطَيْناهُ معَ الاستشرافِ ردَّهُ ، ثمَّ أَيِسَ ، فرَدَدْناهُ إليهِ بعدَ الإياسِ فقَبِلَ[1] .

هـٰذا حالُ أربابِ الصدقِ ؛ إنْ سألُوا سألُوا بعلمٍ ، وإنْ أمسكُوا عنِ السؤالِ أمسكُوا بحالٍ ، وإنْ قَبِلُوا قَبِلُوا بعلمٍ ، فمَنْ لم يُرزَقْ حالَ الفُتُوحِ . . فلهُ حالُ السؤالِ والكسبِ بشرطِ العلمِ ، فأمَّا السائلُ مُستكثِراً فوقَ الحاجةِ ولا في وقتِ الضرورةِ . . فليسَ مِنَ الصُّوفيَّةِ بشيءٍ .

سَمِعَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ سائلاً يسألُ ، فقالَ لمَنْ عندَهُ : ألم أَقُلْ لكَ :

---

(١) أورد هـٰذه القصة بنحوها مختصرةً أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٩٠٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٨/ ٢٧٩) .

عَشِّ السائلَ ؟ فقالَ : قد عشَّيْتُهُ ، فنظرَ عمرُ فإذا تحتَ إبْطِهِ مِخْلاةٌ مملوءةٌ خُبْزاً ، فقالَ[١] : لستَ بسائلٍ ، ولـٰكنَّكَ تاجرٌ !! ثمَّ نثرَ مِخْلاتَهُ بينَ يَدَيْ إبلِ الصدقةِ[٢] ، وضربَهُ بالدِّرَّةِ[٣] .

ورُوِيَ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ في خَلْقِهِ مَثُوباتِ فَقْرٍ ، وعُقُوباتِ فَقْرٍ .

فمِنْ علامةِ الفقرِ إذا كانَ مَثُوبةً : أنْ يَحسُنَ خُلُقُهُ ، ويُطِيعَ ربَّهُ ، ولا يشكوَ حالَهُ ، ويشكرَ اللهَ تعالىٰ علىٰ فقرِهِ .

ومِنْ علامةِ الفقرِ إذا كانَ عقوبةً : أنْ يسوءَ خُلُقُهُ ، ويعصيَ ربَّهُ ، ويُكثِرَ الشِّكايةَ ، ويتسخَّطَ للقضاءِ)[٤] .

فحالُ الصُّوفيِّ حُسْنُ الأدبِ في السؤالِ والفُتُوحِ ، والصدقُ معَ اللهِ علىٰ كلِّ حالٍ كيفَ تَقلَّبَ[٥] .

۞ ۞ ۞

---

(١) في (ي) : (فقالَ عُمَرُ : ألك عيال ؟ فقال : لا ، فقال) .
(٢) في (أ ، و) : (أهل الصدقة) ، وفي (هـ) : (أهل الصُّفَّة) .
(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٩٥ـ ١٤٩٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٨/ ٧٩) .
(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٩٦) .
(٥) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب الحادي والعشرون
في شرح حال المتجرد والمتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم

الصُّوفيُّ يتزوَّجُ للهِ كما يتجرَّدُ للهِ ، فلتجرُّدِهِ مَقصِدٌ وأوانٌ ، ولتأهُّلِهِ مَقصِدٌ وأوانٌ .

والصادقُ يعلمُ أوانَ التجرُّدِ والتأهُّلِ ؛ لأنَّ الطبعَ الجَمُوحَ للصُّوفيِّ مُلجَمٌ بلِجامِ العلمِ ، مهما يصلُحُ لهُ التجرُّدُ لا يستعجلُهُ الطَّبْعُ إلى التزوُّجِ[1] ، ولا يُقدِمُ على التزوُّجِ إلا إذا انصلحتِ النفسُ واستحقَّتْ إدخالَ الرِّفْقِ عليها ؛ وذلكَ إذا صارتْ مُنقادةً مِطْواعةً مُجِيبةً إلىٰ ما يُرادُ منها ؛ بمثابةِ الطِّفْلِ الذي يُتعاهَدُ بما يروقُ لهُ ، ويُمنَعُ عمَّا يَضُرُّهُ .

فإذا صارتِ النفسُ محكومةً مِطْواعةً . فقد فاءَتْ إلىٰ أمرِ اللهِ ، وتنصَّلَتْ عن مُشاحَنةِ القلبِ[2] ، فيُصلَحُ بينَهُما بالعدلِ ، ويُنظَرُ في أمرِهِما بالقِسْطِ .

ومَنْ صَبرَ مِنَ الصُّوفيَّةِ على العُزُوبةِ هٰذا الصبرَ إلىٰ حينِ بلوغِ الكتابِ أجلَهُ . تُنتخَبُ لهُ الزوجةُ انتخاباً ، ويُهيِّئُ اللهُ لهُ أعواناً وأسباباً ، ويُنعَّمُ برِفْقٍ يُدخَلُ عليهِ ، ورِزْقٍ يُساقُ إليهِ .

---

(١) في (د) : (لا يستفزُّه) بدل (لا يستعجله) .

(٢) في (ب ، ج) : (مُشاحة) .

ومتى استعجلَ المُريدُ ، واستفزَّهُ الطبعُ ، وخامرَهُ الجهلُ ، بثَوَرَانِ دُخانِ الشهوةِ المُغطِّيةِ لشُعاعِ العلمِ[1] ، وانحطَّ مِنْ أَوْجِ العزيمةِ الذي هوَ قضيَّةُ حالِهِ ومُوجَبُ إرادتِهِ ، وشريطةُ صدقِ طلبِهِ ، إلىٰ حَضِيضِ الرُّخْصةِ التي هيَ رحمةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ لعامَّةِ خَلْقِهِ . . يُحكَمُ عليهِ بالنُّقصانِ ، ويُشهَدُ لهُ بالخُسْرانِ ، ومثلُ هـٰذا الاستعجالِ هوَ حيضُ الرِّجالِ .

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (إذا كانَ للمُريدِ حالٌ يتوقَّعُ بهِ زيادةً[2] ، فدَخَلَ عليهِ الابتلاءُ . . فرجوعُهُ للابتلاءِ إلىٰ حالٍ دونَ ذلكَ نُقصانٌ وحَدَثٌ) .

وسمعتُ بعضَ الفقراءِ وقد قيلَ لهُ : لمَ لا تتزوَّجُ ؟ فقالَ : المرأةُ لا تصلحُ إلا للرجالِ ، وأنا ما بلغتُ مبلغَ الرِّجالِ كيفَ أتزوَّجُ ؟!

فالصادقونَ لهُم أَوانُ بلوغٍ عندَهُ يتزوَّجُونَ .

وقد تعارَضَتِ الأخبارُ ، وتماثلَتِ الآثارُ في فضيلةِ التجريدِ والتزويجِ ، وتنوَّعَ كلامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في ذلكَ لتنوُّعِ الأحوالِ ؛ فمنهُم مَنْ فضيلتُهُ في التجرُّدِ ، ومنهُم مَنْ فضيلتُهُ في التأهُّلِ .

وكلُّ هـٰذا التعارضِ في حقِّ مَنْ نارُ تَوَقانِهِ بردٌ وسلامٌ ؛ لكمالِ تَقْواهُ ، وقَهْرِهِ هواهُ ، وإلا ففي غيرِ هـٰذا الرجلِ الذي يُخافُ عليهِ الفتنةُ . . يجبُ النكاحُ في حالِ التَّوَقانِ المُفرِطِ ، ويكونُ الخلافُ بينَ الأئمَّةِ في غيرِ التائقِ .

فالصُّوفيُّ إذا صارَ مُتأهِّلاً يتعيَّنُ على الإخوانِ مُعاونتُهُ بالإيثارِ ،

---

(١) في نسخة على هامش (د ، و) : (المطفئة) بدل (المغطِّية) .

(٢) ضُبط في بعض النسخ : (يُتوقَّعُ به زيادةٌ) .

ومُسامحتُهُ في الاستكثارِ ، إذا رُئِيَ ضعيفَ الحالِ ، قاصراً عن رتبةِ الرجالِ ، كما وَصَفْنا مِنْ قبلُ مِنْ صَبْرِ مَنْ صَبرَ حتىٰ ظَفِرَ لمَّا بَلَغَ الكتابُ أجلَهُ[١] .

(٥٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن والدِهِ أبي الفضلِ المَقْدِسيِّ الحافظِ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الخطيبُ[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسينِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ أخي مِيمِي ، قالَ : حدَّثَنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ هارونَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو المغيرةِ[٤] ، قالَ : حدَّثَنا صفوانُ بنُ عمرٍو ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ جُبَيرٍ ، عن أبيهِ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا جاءَهُ فَيْءٌ قَسَمَهُ مِنْ يومِهِ[٥] ، فأَعْطى الآهِلَ حظَّينِ[٦] ، والأعزبَ حظّاً واحداً[٧] ، فدُعِينا وكنتُ أُدعىٰ قبلَ عمَّارِ بنِ ياسرٍ ، فأَعْطاني حظَّينِ ، وأعطاهُ حظّاً واحداً ، فسَخِطَ حتىٰ عَرَفَ ذلكَ

---

(١) في (أ ، د) : (من قبل) بدل (مِنْ صَبْر) ، وانظر (١/ ٤٥٧) .

(٢) هو الصَّرِيفِينيُّ ، وقد سبق في (١/ ٤٢٩) .

(٣) هو البغوي ، وقد سبق في (١/ ٤٢٩ـ ٤٣٠) .

(٤) هو الإمام المُحدِّث الصادق مسند حمص عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي (ت ٢١٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٢٢٣) .

(٥) الفيء : الغنيمة والخراج ، وفي هامش (ح) : (الفَيْءُ : ما لم يُوجَفْ عليه بخيل ولا ركاب ، والغنيمةُ : ما أُوجف عليه بالخيل والركاب) .

(٦) في (ي) ونسخة علىٰ هامش (و) : (المتأهل) بدل (الآهل) ، والآهِلُ : الذي له أهلٌ ؛ أي : زوجة .

(٧) في (ب ، ج) : (العَزَب) بدل (الأعزب) ، وكلاهما مروي ، وانظر ما سيأتي تعليقاً في (١/ ٤٧٨) .

رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في وجهِهِ ومَنْ حَضَرَهُ ، فبَقِيتْ معَهُ سِلْسِلَةٌ مِنْ ذهبٍ ، فجَعَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يرفعُها بطَرَفِ عصاهُ وتسقطُ وهوَ يقولُ : « كَيْفَ أَنْتُمْ يَوْمَ يَكْثُرُ لَكُمْ مِنْ هَـٰذَا ؟ » ، فلم يُجِبْهُ أحدٌ ، فقالَ عمَّارٌ : وَدِدْنا يا رسولَ اللهِ لو قد أُكثِرَ لنا مِنْ هـٰذا[1] .

فالتجرُّدُ عنِ الأزواجِ والأولادِ أَعْونُ على الوقتِ للفقيرِ ، وأَجْمعُ لهَمِّهِ ، وأَلَذُّ لعيشِهِ .

ويَصلُحُ للفقيرِ في ابتداءِ أمرِهِ قَطْعُ العلائقِ ، ومَحْوُ العوائقِ ، والتنقُّلُ في الأسفارِ ، وركوبُ الأخطارِ ، والتجرُّدُ عنِ الأسبابِ ، والخروجُ عن كلِّ ما يكونُ حجاباً ، والتزوُّجُ انحطاطٌ مِنَ العزيمةِ إلى الرُّخَصِ ، ورجوعٌ مِنَ التَّرَوُّحِ إلى التَّنَغُّصِ ، وتَقَيُّدٌ بالأولادِ والأزواجِ ، ودَوَرانٌ حولَ مَظَانِّ الاعوجاجِ ، والتفاتٌ إلى الدنيا بعدَ الزَّهَادةِ ، وانعطافٌ على الهوىٰ بمُقتضى الطَّبيعةِ والعادةِ .

قالَ أبو سليمانَ الدَّارانيُّ : (ثلاثٌ مَنْ طَلَبَهُنَّ فقد رَكَنَ إلى الدنيا : مَنْ طَلَبَ مَعَاشاً ، أو تزوَّجَ امرأةً ، أو كتبَ الحديثَ)[2] .

---

(١) صفوة التصوف (٣١٤) ، ورواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/ ٤٥ـ ٤٦) ، و« مسند الشاميين » (٩٤٧) ، وأحمد (٦/ ٢٥ـ ٢٦) دون قوله : (فلم يجبه أحد . .) ، وأبو داود (٢٩٥٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ٣٤٦) إلىٰ قوله : (وأعطاه حظّاً واحداً) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٧٩) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٢٢٧) ، وليس المرادُ من ذلك الدعوةَ إلى الرهبانية أو التنفيرَ من طلب الحديث والتكسُّب ، كما فَهِمَ ذلك بعضُ ضيِّقي العَطَن ، بل المراد : أن يطلب هـٰذه الأمور حتىٰ تكون شاغلةً له عن الله تعالىٰ ، وقد أشار إلىٰ ذلك أبو سليمان بقوله : (ما شَغَلَكَ =

وقالَ : (ما رأيتُ أحداً مِنْ أصحابِنا تزوَّجَ فثبتَ علىٰ مرتبتِهِ) .

(٦٠) ـ أخبرَنا الشيخُ طاهرٌ ، قالَ : أخبرَنا والدي أبو الفضلِ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ إسماعيلَ المُقرئُ[١] ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ الحسنِ[٢] ، قالَ : أخبرَنا حاجبٌ الطُّوسيُّ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحيمِ[٤] ، قالَ : حدَّثَنا الفَزاريُّ ، عن سليمانَ التَّيْميِّ ، عن أبي عثمانَ النَّهْديِّ ، عن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ »[٥] .

وروىٰ رجاءُ بنُ حَيْوَةَ عن مُعاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ابتُلِينا بالضرَّاءِ فصَبَرْنا ، وابتُلِينا بالسَّرَّاءِ فلم نَصبِرْ[٦] ، وإنَّ أَخْوفَ ما أخافُ عليكُم

= عن الله مِنْ أهلٍ ومال وولد . . فهو عليك شؤم) ، وكثيرٌ من رجال التصوُّف كانوا من كبار أئمَّة الحديث ، وكثيرٌ منهم أيضاً اشتَهروا بمِهَنٍ كانوا يحترفونها ويتكسَّبون منها ؛ كأيوب الحمَّال ، وإبراهيم الخوَّاص ، وأبي حمزة البزَّاز ، وأبي سعيد الخرَّاز ، وأبي حفص الحدَّاد ، وحَمْدون القصَّار ، وغيرهم الكثير رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم .

(١) هو الإمام الصوفي أبو بكر التَّفْليسي النيسابوري (ت ٤٨٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ١١) .

(٢) هو الإمام قاضي القضاة المُحدِّث مسند خراسان أبو بكر بن أبي علي بن أحمد الحِيري النيسابوري (ت٤٢١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٣٥٦) .

(٣) هو الإمام المُحدِّث مسند نيسابور أبو محمد بن أحمد بن يَرْحُمَ الطوسي النيسابوري (ت ٣٣٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٣٣٦ـ٣٣٧) .

(٤) هو ابن منيب المروزي .

(٥) صفوة التصوف (٧٧١) ، ورواه البخاري (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) .

(٦) في هامش (ح) : (الطُّغيان عند الاستغناء من طبع البشر ؛ ولذا اختار رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الفقرَ ولم يختر المُلْكَ والخزائن مُذْ خيَّره الله تعالىٰ ، فكانتِ الصحابةُ رضي الله عنهم مقودين بالفقر والقِلَّة ، فلمَّا وقع الابتلاءُ بالاستغناء والنَّعْماء . . =

فتنةُ النساءِ إذا تَسَوَّرْنَ بالذهبِ ، ولَبِسْنَ رِيَطَ الشامِ وعَصْبَ اليمنِ ، وأَتْعَبْنَ الغنيَّ ، وكَلَّفْنَ الفقيرَ ما لا يجدُ)[1] .

وقالَ بعضُ الحُكَماءِ : (مُعالَجةُ العُزْبةِ خيرٌ مِنْ مُعالَجةِ النساءِ)[2] .

وسُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ عنِ النساءِ ، فقالَ : الصبرُ عنهُنَّ خيرٌ مِنَ الصبرِ عليهِنَّ ، والصبرُ عليهِنَّ خيرٌ مِنَ الصبرِ على النارِ[3] .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ؛ لأنَّهُ لا يصبرُ عنِ النساءِ[4] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] : الغُلْمةُ[5] ؛ وهوَ ثَوَرَانُ الطبعِ .

= لم يكن حالُ بعضهم كما كان في الضرَّاء ، وهـٰذا الكلامُ مِنْ معاذ رحمه الله تعالىٰ تنبيهٌ وعِظَةٌ وتحضيضٌ على اختيار الفقر والتجرُّد) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٤٣٦) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٨٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٣٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٤٦) ، والرِّيَط : جمع (رَيْطة) ؛ وهي كلُّ ثوب ليِّن رقيق ، والعَصْب : بُرُودٌ يمنية يُعصَب غَزْلُها ـ أي : يُجمَع ويُشَدُّ ـ ثمَّ يُصبغ ويُنسج فيأتي موشيّاً لبقاء ما عُصِبَ منه أبيضَ ، أو هي برودٌ مُخطَّطة ، وفي النسخ ما عدا (هـ) : (وابتغين الغنىٰ) بدل (وأتعبن الغني) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦٠٨) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦٠٨) ، وعزاه الغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٠٢ـ١٠٣) إلىٰ أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ ، والمعنىٰ : أنَّ مَنْ لم يتزوَّج عند التَّوَقان حتىٰ وقع في الزنىٰ . . فقد استحقَّ النار ؛ فالأَوْلىٰ : أنْ يتزوَّج ويصبرَ علىٰ ما يَرِدَ عليه من قِبَلِها من العوارض والمصائب . من هامش (ح) .

(٤) روي عن طاووس ومجاهد . انظر « تفسير الطبري » (٨/ ٢١٦) .

(٥) روي عن مكحول وسالم بن شابور . انظر « تفسير الطبري » (٦/ ١٣٩) ، و« تفسير ابن أبي حاتم » (٣١٠٥) .

فإنْ قَدَرَ الفقيرُ علىٰ مُقاوَمةِ النَّفْسِ ، ورُزِقَ العلمَ الوافرَ بحُسْنِ المُعامَلةِ في مُعالَجةِ النَّفْسِ ، وصَبَرَ عنهُنَّ . . فقد حازَ الفَضْلَ ، واستعملَ العقلَ ، واهتدىٰ إلى الرِّفْهِ السَّهْلِ[1] .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَيْرُكُمْ بَعْدَ ٱلْمِئَتَيْنِ رَجُلٌ خَفِيفُ ٱلْحَاذِ » ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ وما خفيفُ الحاذِ ؟ قالَ : « ٱلَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ »[2] .

وقالَ بعضُ الفقراءِ لمَّا قيلَ لهُ : تزوَّجْ ؛ فقالَ : أنا إلىٰ أنْ أُطلِّقَ نَفْسي أَحْوجُ منِّي إلى التَّزَوُّجِ .

وقيلَ لبِشْرِ بنِ الحارثِ : إنَّ الناسَ يتكلَّمُونَ فيكَ ، فقالَ : ما يقولونَ ؟ قيلَ : يقولونَ : إنَّهُ تاركٌ للسُّنَّةِ ـ يعني : النكاحَ ـ فقالَ : قولُوا لهُم : أنا مشغولٌ بالفرضِ عنِ السُّنَّةِ[3] .

وكانَ يقولُ : (لو كنتُ أَعُولُ دجاجةً خِفْتُ أنْ أكونَ جلَّاداً على الجِسْرِ)[4] .

---

(١) الرِّفْه : أصلُهُ : مِنْ رَفَهَتِ الإبلُ ـ بالفتح ـ تَرْفَهُ رِفْهاً ورُفُوهاً : إذا وردتِ الماءَ كلَّ يوم متىٰ شاءت ، والاسم : (الرِّفْهُ) بالكسر . من هامش (ح) .

(٢) رواه الخطابي في « العزلة » (ص٣٦) ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٢/ ٦٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٨٦٧) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، والحاذُ والحالُ واحد ، وأصلُ الحاذ : طريقة المتن ؛ وهو ما يقع عليه اللبد من ظهر الفرس ؛ أي : خفيف الظهر من العيال ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٨٦) ، و« غنية العارف » (١/ ٢٨٤) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦٠٣)، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٠٠).

(٤) رواه بنحوه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي » (٦٢) ، وأورده بلفظه =

والصُّوفيُّ مُبتلىً بالنَّفْسِ ومُطالَبتِها ، وهوَ في شُغْلٍ شاغلٍ مِنْ نَفْسِهِ ، فإذا انضافَ إلىٰ مُطالَباتِ نَفْسِهِ مُطالَباتُ زوجتِهِ . . يَضعُفُ طلبُهُ ، وتكِلُّ إرادتُهُ ، وتَفتُرُ عزيمتُهُ .

والنَّفسُ إذا أُطمِعَتْ طَمِعَتْ ، وإذا قُنِّعَتْ قَنِعَتْ ، فيستعينُ الشابُّ الطالبُ علىٰ حَسْمِ موادِّ خواطرِ النكاحِ بإدامةِ الصَّومِ ؛ فإنَّ للصومِ أَثَراً ظاهراً في قَمْعِ النَّفْسِ وقَهْرِها .

وقد وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَرَّ بجماعةٍ مِنَ الشُّبَّانِ وهم يَرْبَعُونَ حَجَراً[1] ، فقالَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلشُّبَّانِ ؛ مَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمُ ٱلْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُجَاهِدْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَصُمْ ؛ فَإِنَّ ٱلصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ »[2] .

وأصلُ الوِجاءِ : رَضُّ الخُصْيتَينِ ، كانتِ العربُ تَجَأُ الفَحْلَ مِنَ الغنمِ ؛ لتذهبَ فُحُولتُهُ ويَسمَنَ ، ومنهُ الحديثُ : (ضحَّىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكَبْشَينِ أَمْلَحَينِ مَوجُوءَينِ)[3] .

= أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦٠٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٤٢) ، وفي هامش (ح) : (قال بعضُ الإخوان : إنَّ الجسرَ ببغدادَ هو موضع سياسة الجُناة) .

(١) في (ب ، ج ، ح) : (يرفعون) بدل (يربعون) ، وفي (هـ) ونسخة علىٰ هامش (و ، ح) : (الحجارة) بدل (حجراً) ، والرَّفْعُ والرَّبْع بمعنىً .

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥) ، ومسلم (١٤٠٠/ ٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وليس فيهما ذكرُ رفع الحجارة والمجاهدة ، والباءةُ والمَباءة : المنزل ، ثم قيل لعقد النكاح : باءة ؛ لأنَّ مَنْ تزوَّج امرأةً بوَّأها منزلاً . من هامش (ح) .

(٣) رواه ابن ماجه (٣١٢٢) ، وأحمد (٦/ ٢٢٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/ ٤٤٨) عن سيدتنا عائشة أو سيدنا أبي هريرة رضي الله عنهما ، ورواه البيهقي في=

وقد قيلَ : (هيَ النَّفْسُ إنْ لم تَشغَلْها شَغَلَتْكَ)[١] .

فإذا أدامَ الشابُّ المُرِيدُ العملَ ، وأَذْأَبَ نَفْسَهُ في العبادةِ[٢] . . يَقِلُّ عليهِ خواطرُ النَّفْسِ .

وأيضاً : شُغْلُهُ بالعبادةِ يُثمِرُ لهُ حلاوةَ المعاملةِ ، ومَحبَّةَ الإكثارِ منها ، ويفتحُ عليهِ بابَ السُّهُولةِ والعيشِ في العملِ ، فيغارُ علىٰ حالِهِ ووقتِهِ أنْ يتكدَّرَ بهَمِّ الزوجةِ .

ومِنْ حُسْنِ أدبِ المُرِيدِ في عُزُوبتِهِ : أَلَّا يُمكِّنَ خواطرَ النساءِ مِنْ باطنِهِ ، وكلَّما خَطَرَ لهُ خاطرُ النساءِ والشهوةِ . . يَفِرُّ إلى اللهِ تعالىٰ بحُسْنِ الإنابةِ ، فيتداركُهُ اللهُ تعالىٰ حينئذٍ بقُوَّةِ العزيمةِ ، ويُؤيِّدُهُ بمُراغَمةِ النَّفْسِ[٣] ، بل ينعكسُ علىٰ نَفْسِهِ نورُ قلبِهِ ثواباً لحُسْنِ إنابتِهِ ، فتسكنُ النَّفْسُ عنِ المُطالَبةِ .

ثمَّ يَعرِضُ علىٰ نَفْسِهِ ما يدخلُ عليهِ بالنكاحِ ؛ مِنَ الدخولِ في المداخلِ المذمومةِ المُؤدِّيةِ إلى الذُّلِّ والهَوَانِ ، وأَخْذِ الشيءِ مِنْ غيرِ وجهِهِ ، وما يُتوقَّعُ مِنَ القواطعِ بسببِ التفاتِ الخاطرِ إلىٰ ضَبْطِ المرأةِ وحِراستِها وكُلَفٍ لا تنحصرُ .

وقد سُئِلَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما عن جَهْدِ البلاءِ ، فقالَ : كثرةُ العِيالِ ، وقِلَّةُ المالِ[٤] .

= « السنن الكبرىٰ » (٩/ ٢٦٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ١٢٨) عن الحسين بن منصور الحلَّاج .

(٢) في (ز) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (وأذاب) بدل (وأَذْأَب) .

(٣) أي : مخاصمتها .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (٢/ ٤٤٣) عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، =

وقد قيلَ : (كثرةُ العِيالِ أحدُ الفقرَينِ ، وقِلَّةُ العِيالِ أحدُ اليسارَينِ)[1] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (مَنْ تَعَوَّدَ أفخاذَ النساءِ لا يُفلحُ)[2] .

ولا شكَّ أنَّ المرأةَ تدعو إلى الرَّفاهيَةِ والدَّعَةِ[3] ، وتمنعُ عن كثرةِ الاشتغالِ باللهِ وقيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ، ويتسلَّطُ على الباطنِ خوفُ الفقرِ ومَحَبَّةُ الادِّخارِ ، وكلُّ هـٰذا بعيدٌ عنِ المُتجرِّدِ .

وقد وردَ : « إِذَا كَانَ بَعْدَ ٱلْمِئَتَيْنِ أُبِيحَتِ ٱلْعُزُوبَةُ لِأُمَّتِي »[4] .

فإنْ توالتْ على الفقيرِ خواطرُ النكاحِ ، وزاحمَتْ باطنَهُ لا سيَّما في الصلاةِ والأذكارِ والتلاوةِ . . فليستعِنْ باللهِ تعالىٰ أوَّلاً ، ثمَّ بالمشايخِ والإخوانِ ، ويشرحُ الحالَ لهُم ، ويسألُهُم مسألةَ اللهِ تعالىٰ لهُ في حُسْنِ الاختيارِ ، ويطوفُ على الأحياءِ والأمواتِ والمساجدِ والمشاهدِ ، ويستعظمُ الأمرَ ، ولا يدخلُ فيهِ بقِلَّةِ الاكتراثِ ؛ فإنَّهُ بابُ فتنةٍ كبيرةٍ وخطرٌ عظيمٌ ، وقد

= وفي « إصلاح المال » (٤٦٦) ، والحاكم في « تاريخ نيسابور » كما في « كنز العمال » (٤٤٤٩١) .

(١) روى الجملة الثانية ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (١/ ٢٤٩) عن سعيد بن المُسيِّب رحمه الله تعالىٰ ، والقضاعي في « مسنده » (٣٢) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٩٤) عن جعفر الصادق رحمه الله تعالىٰ ، واللفظ بتمامه في « القوت » (٣/ ١٦٠٥) ، و« الإحياء » (٣/ ١٠٢) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي » (٦٣) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦٠٦) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٢) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٣٤) .

(٣) الدَّعَة : الراحة ، وخفض العيش .

(٤) انظر حديث سيدنا حذيفة السابق في (١/ ٤٦٣) .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] ، ويُكثِرُ الضَّراعةَ إلى اللهِ تعالىٰ ، والبكاءَ بينَ يديهِ في الخَلَواتِ ، ويُكرِّرُ الاستخارةَ .

وإنْ رُزِقَ القُوَّةَ والصبرَ حتىٰ يستبينَ لهُ مِنْ فضلِ اللهِ الخِيَرَةُ في ذلكَ . . فهوَ الكمالُ والتَّمامُ ؛ فقد يَكشِفُ اللهُ للصادقِ ذلكَ مَنْعاً أو إطلاقاً في منامِهِ ويقظتِهِ ، أو علىٰ لسانِ مَنْ يَثِقُ إلىٰ دينِهِ وحالِهِ أنَّهُ إذا أشارَ لا يُشِيرُ إلا علىٰ بصيرةٍ ، وإذا حَكَمَ لا يحكمُ إلَّا بحقٍّ ؛ فعندَ ذلكَ يكونُ تَزَوُّجُهُ مُدبَّراً مُعاناً فيهِ .

وسَمِعْنا أنَّ الشيخَ عبدَ القادرِ الجِيليَّ رحمَهُ اللهُ قالَ لهُ بعضُ الصالحينَ : لِمَ تزوَّجْتَ ؟ فقالَ : ما تزوَّجْتُ حتىٰ قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : تزوَّجْ ، فقالَ لهُ ذلكَ الرجلُ : الرسولُ لا يأمرُ إلَّا بالرُّخْصةِ ، وطريقُ القومِ التَّلَزُّمُ بالعزيمةِ .

فلا أعلمُ ما قالَ الشيخُ في جوابِه ، ولـٰكنِّي أقولُ : رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأمرُ بالرُّخْصةِ ، وأَمَرَ بها علىٰ لسانِ الشرعِ ، فأمَّا مَنِ التجأَ إلى اللهِ وافتقرَ إليهِ ، واستخارَهُ فكاشفَهُ اللهُ تعالىٰ بتنبيهِهِ إيَّاهُ في منامِهِ وأَمَرَهُ . . لا يكونُ هـٰذا الأمرُ أمرَ رخصةٍ ، بل هوَ أمرٌ يَتَّبِعُهُ أربابُ العزيمةِ ؛ لأنَّهُ مِنْ علمِ الحالِ لا مِنْ علمِ الحُكْمِ .

ويَدُلُّ علىٰ صِحَّةِ ما وَقَعَ لي : ما نُقِلَ عنهُ أنَّهُ قالَ : كنتُ أريدُ الزوجةَ مُدَّةً مِنَ الزمانِ ولا أتجرَّأُ على التزوُّجِ خوفاً مِنْ تكديرِ الوقتِ ، فلمَّا صَبَرتُ إلىٰ

أنْ بَلَغَ الكتابُ أجلَهُ . . ساقَ اللهُ إليَّ أربعةَ أزواجٍ ما فيهِنَّ إلَّا مَنْ تُنفِقُ عليَّ إرادةً ورغبةً(١) .

فهٰذهِ ثمرةُ الصبرِ الجميلِ الكاملِ .

فإذا صَبَرَ الفقيرُ وطَلَبَ الفرجَ مِنَ اللهِ تعالىٰ . . يأتيهِ الفرجُ والمخرجُ ؛ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ـ٣] .

فإذا تَزوَّجَ الفقيرُ بعدَ الاستقصاءِ والإكثارِ مِنَ الضَّراعةِ والدعاءِ ، ووَرَدَ عليهِ واردٌ مِنَ اللهِ بإذنٍ . . فهوَ الغايةُ والنهايةُ .

وإنْ عَجَزَ عنِ الصبرِ إلىٰ وُرُودِ الإذنِ ، واستنفدَ جُهدَهُ في الدعاءِ والضَّراعةِ . . فقد يكونُ ذلكَ حظَّهُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ويُعانُ عليهِ بحُسْنِ نيَّتِهِ(٢) ، وصِدْقِ مَقْصِدِهِ ، وحُسْنِ رجائِهِ واعتمادِهِ علىٰ ربِّهِ ، وقد نُقِلَ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : (لا يَتِمُّ نُسُكُ الشابِّ حتىٰ يتزوَّجَ)(٣) .

ونُقِلَ عن شيخٍ مِنْ مشايخِ خُراسانَ أنَّهُ كانَ يُكثِرُ التزوُّجَ ؛ حتىٰ لم يكنْ يخلو عن زوجتَينِ وثلاثٍ ، فعُوتِبَ في ذلكَ ، فقالَ : هل يعرفُ أحدٌ منكُم أنَّهُ جَلَسَ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ جَلْسةً ، أو وَقَفَ وَقْفةً في مُعاملتِهِ ، فخَطَرَ علىٰ قلبِهِ خاطرُ شهوةٍ ؟

---

(١) في (ب ، د) : (تتفق) بدل (تنفق) .

(٢) في بعض النسخ : (لحسن) بدل (بحسن) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٦٠٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/٩٧) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/٦) عن طاوس بن كيسان رحمه الله تعالىٰ .

فقالوا : قد يُصيبُنا ذلكَ ، فقالَ : لو رَضِيتُ في عُمْري كلِّهِ بمثلِ حالِكُم في وقتٍ واحدٍ . . ما تزوَّجتُ قطُّ ، ولـٰكنِّي ما خَطَرَ علىٰ قلبي خاطرُ شهوةٍ قطُّ يشغلُني عن حالي . . إلَّا نَفَّذتُهُ لأستريحَ منهُ ، وأرجعَ إلىٰ شُغْلي ، ثمَّ قالَ : منذُ أربعينَ سنةً ما خَطَرَ علىٰ قلبي خاطرُ معصيةٍ[1] .

فالصادقونَ ما دخلُوا في النكاحِ إلَّا علىٰ بصيرةٍ ، وقصدُوا حَسْمَ موادِّ النَّفْسِ .

وقد يكونُ للأقوياءِ والعلماءِ الراسخينَ أحوالٌ في دخولِهِم في النكاحِ تختصُّ بهِم ؛ وذلكَ أنَّهُم بعدَ طولِ المُجاهداتِ والرِّياضاتِ والمُراقباتِ تَطمئِنُّ نفوسُهُم ، وتُقبِلُ قلوبُهُم ، وللقلوبِ إقبالٌ وإدبارٌ .

يقولُ بعضُهُم : (إنَّ للقلوبِ إقبالاً وإدباراً ؛ فإذا أَدْبَرَتْ رُوِّحتْ بالإرفاقِ ، وإذا أَقْبَلَتْ رُدَّتْ إلى المِيثاقِ)[2] .

فتبقىٰ قلوبُهُم دائمةَ الإقبالِ إلا اليسيرَ[3] ، ولا يدومُ إقبالُها إلا لطُمَأْنينةِ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٦٠٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٢١ـ١٢٢) ، وقال الزَّبيدي في « الإتحاف » (٥/ ٣٠٤) مُعقِّباً : (وهو الذي أوصىٰ به مشايخُنا السادة النقشبنديَّة ؛ قالوا : إذا وَقَعَ للسالك في أثناء الذكر أو المراقبة تفرقةٌ من خاطرٍ خَطَرَ بقلبه بسبب وقوع بصره علىٰ فرسٍ أعجبته أو جارية ، أو تحرَّكتْ نفسه للتزويج أو شراءِ ثوبٍ أو غيرِ ذلك . . فليدفعْ هـٰذا الخاطرَ بالذكر مهما أَمْكَنَهُ ، وإلا فليُنفِّذْهُ سريعاً إن قَدَرَ عليه ثمَّ يرجع إلىٰ شُغْله ، وبهـٰذا يَسلَمُ القلبُ عن توارد الخواطر المذمومةِ عليه) .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٢٩) ، وأورده مجد الدين الجزري في « المختار » (١/ ٣٣٧) ، وفيهما وفي (و) : (المشاق) بدل (الميثاق) .

(٣) يعني : قلوبُ أهل الله تميل إلى الدنيا في وقتٍ قليل . من هامش (ح) .

النُّفوسِ ، وكَفِّها عنِ المُنازعةِ ، وتَرْكِ التشبُّثِ بالقلوبِ .

فإذا اطمأنَّتِ النُّفُوسُ ، واستقرَّتْ عن طَيْشِها ونُفُورِها وشَراستِها . . يُوفَّرُ عليها حُقُوقُها ، وربَّما يصيرُ مِنْ حقوقِها حُظُوظُها ؛ لأنَّ في أداءِ الحقِّ إقناعاً ، وفي أَخْذِ الحظِّ اتِّساعاً .

وهٰذا مِنْ دقيقِ علمِ الصُّوفيَّةِ ؛ فافهَمْ ؛ فإنَّهُم يتَّسِعُونَ بالنكاحِ المُباحِ إيصالاً إلى النَّفْسِ حُظُوظَها ؛ لأنَّها ما زالتْ تُخالِفُ هواها حتىٰ صارَ داؤُها دواءَها ، وصارتِ الشهواتُ المباحةُ واللَّذَّاتُ المشروعةُ لا تَضُرُّها بحالٍ أبداً ، ولا تُفتِّرُ عليها عزائمَها .

بل كلَّما وصلتِ النُّفُوسُ الزَّكيَّةُ إلىٰ حُظُوظِها . . ازدادَ القلبُ انشراحاً وانفساحاً ، وتصيرُ بينَ القلبِ والنَّفْسِ مُوافقةٌ يَعطِفُ أحدُهُما على الآخَرِ ، ويزدادُ كلُّ واحدٍ منهُما بما يدخلُ على الآخَرِ مِنَ الحظِّ ؛ كلَّما أَخَذَ القلبُ حظَّهُ مِنَ اللهِ . . خَلَعَ على النَّفْسِ خِلَعَ الطُّمَأْنينةِ ، فيكونُ مَزِيدُ السكينةِ للقلبِ مَزِيدَ الطُّمَأْنينةِ للنَّفْسِ ، ويُنشِدُ : [من الكامل]

إِنَّ ٱلسَّمَاءَ إِذَا ٱكْتَسَتْ كَسَتِ ٱلثَّرَىٰ حُلَلاً يُدَبِّجُهَا ٱلْغَمَامُ ٱلرَّاهِمُ[1]

وكلَّما أخذتِ النَّفْسُ حظَّها تَرَوَّحَ القلبُ تَرَوُّحَ الجارِ المُشفِقِ براحةِ الجارِ .

---

(١) والرِّهْمة : المطر الضعيف الدائم الصغير القطر ، وأَرْهَمتِ السماءُ : أَتَتْ به ، وفي هامش (ح) : (فسماء القلب إذا لبست ثيابَ سُبُحات فيض الوهَّاب . . أمطرت أمطار الأنوار علىٰ أرض النفس ، فنبتت منها أزهارُ مكارمِ الأخلاق ، ورياحينُ من مزيد الاهتمام التي هي حُلَل كمال الإيمان ، وخِلَع نوال القُرب والعِرْفان) .

سمعتُ بعضَ الفقراءِ يقولُ : (النَّفْسُ تقولُ للقلبِ : كُنْ معي في الطعامِ أَكُنْ معَكَ في الصلاةِ) .

وهٰذا مِنَ الأحوالِ العزيزةِ لا تصلُحُ إلا لعالمٍ ربَّانيٍّ[1] ، وكم مِنْ مُدَّعٍ يَهلِكُ بتوهُّمِهِ هٰذا في نَفْسِهِ !! ومثلُ هٰذا العبدِ يزدادُ بالنكاحِ ولا يَنقُصُ .

والعبدُ إذا كَمَلَ علمُهُ يأخذُ مِنَ الأشياءِ ولا تأخذُ الأشياءُ منهُ ، وقد كانَ الجنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (أنا أحتاجُ إلى الزوجةِ كما أحتاجُ إلى الطعامِ)[2] .

وسمعَ بعضُ العلماءِ بعضَ الناسِ يَطعُنُ في الصُّوفيَّةِ ، فقالَ : يا هٰذا ؛ ما الذي يَنقُصُهُم عندَكَ ؟ فقالَ : يأكلونَ كثيراً ، فقالَ : وأنتَ أيضاً لو جُعْتَ كما يجوعُونَ أكلتَ كما يأكُلونَ ، فقالَ : ويتزوَّجُونَ كثيراً ، فقالَ : وأنتَ أيضاً لو حَفِظْتَ فرجَكَ كما يحفظُونَ تزوَّجْتَ كما يتزوَّجُونَ ، قالَ : وأيُّ شيءٍ أيضاً ؟ قالَ : يسمعُونَ القولَ ، قالَ : وأنتَ أيضاً لو نَظَرْتَ كما ينظُرُونَ سمعتَ كما يسمعُونَ[3] .

---

(١) أذاب نفسَهُ بالمجاهدات ، وصفَّاها بكثرة المعاملات والرِّياضات ، حتىٰ إذا دخل عليها من حظوظها لا تعودُ إلىٰ طبعها وشراستها ، ولا ترجعُ إلىٰ شرِّ صنيعِها وعادتها . من هامش (ح) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦١٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٢٢) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦٠٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٢٢) ، وقولُهُ : (لو نظرتَ . . .) إلىٰ آخره ؛ أي : لو نظرتَ بعين قلبك إلى الجمال الحقيقيِّ ، وشاهدتَ بسِرِّك ما يشاهدون من الكمال الأزليِّ . . فأنت أيضاً تسمعُ ما يُنهِضُك ، وتفهم ما يُحرِّكك . من هامش (ح) .

وكانَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (كثرةُ النساءِ ليسَ مِنَ الدُّنيا ؛ لأنَّ عليّاً رضوانُ اللهِ عليهِ كانَ أَزْهدَ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وكانَ لهُ أربعُ نسوةٍ وسبعَ عَشْرَةَ سُرِّيَّةً)[١] .

وكانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما يقولُ : (خيرُ هـٰذهِ الأُمَّةِ أكثرُها نساءً)[٢] .

وقد ذُكِرَ في أخبارِ الأنبياءِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ : أنَّ عابداً تَبَتَّلَ للعبادةِ حتىٰ فاقَ أهلَ زمانِهِ ، فذُكِرَ لنبيِّ ذلكَ الزمانِ ، فقالَ : نِعْمَ الرجلُ لولا أنَّهُ تاركٌ لشيءٍ مِنَ السُّنَّةِ ، فنُمِيَ ذلكَ إلى العابدِ ، فأهمَّهُ ، فقالَ : ما ينفعُني عبادتي وأنا تاركُ السُّنَّةِ ؟!

فجاءَ إلى النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فسألَهُ ، فقالَ : نعم إنَّكَ تاركُ التَّزَوُّجِ ، فقالَ : ما تركتُهُ أنِّي أُحرِّمُهُ ، وما مَنَعَني منهُ إلا أنِّي فقيرٌ لا شيءَ لي وأنا عِيالٌ على الناسِ ، يُطعِمُني هـٰذا مرَّةً وهـٰذا مرَّةً ، فكَرِهتُ أنْ أتزوَّجَ بامرأةٍ أَعضِلُها وأُرهِقُها جَهداً[٣] ، فقالَ لهُ النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ : وما يمنعُكَ إلَّا هـٰذا ؟ قالَ : نعم ، فقالَ : أنا أُزَوِّجُكَ ابنتي ، فزوَّجَهُ النبيُّ عليهِ السلامُ ابنتَهُ[٤] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لو لم يَبْقَ مِنْ عُمُري

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦١٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٠١) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٩) .

(٣) قوله : (أعضِلها) يُقال : عضَّلتُ عليه تعضيلاً : إذا ضيَّقتَ عليه في أمره وحُلت بينه وبينَ ما يشتهي . من هامش (ح) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦١٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٩٩ـ١٠٠) .

إلَّا عَشَرَةُ أيّامٍ . أحببتُ أنْ أتزوَّجَ ولا ألْقى اللهَ تعالىٰ عَزَباً)[١] .

وما ذَكَرَ اللهُ تعالىٰ في القرآنِ مِنَ الأنبياءِ إلَّا المُتأهِّلينَ .

وقيلَ : إنَّ يحيى بنَ زكريَّا عليهِما السلامُ تزوَّجَ لأجلِ السُّنَّةِ ولم يكنْ يَقرَبُها[٢] .

وقيلَ : إنَّ عيسىٰ عليهِ السلامُ سينكِحُ إذا نَزَلَ إلى الأرضِ ويُولَدُ لهُ[٣] .

وقيلَ : إنَّ ركعةً مِنْ مُتأهِّلٍ خيرٌ مِنْ سبعينَ ركعةً مِنْ أعزبَ[٤] .

(٦١) ـ أخبرَنا الشيخُ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ الهيثمِ المُقوِّميُّ القَزْوينيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو طلحةَ القاسمُ بنُ أبي المُنذرِ الخطيبُ ، قالَ : حدَّثَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ سَلَمَةَ القطَّانُ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ يزيدَ بنِ ماجَهْ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ الأزهرِ ، قالَ : حدَّثَنا آدمُ[٥] ، قالَ : حدَّثَنا

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦١١) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٩٨) ، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٦١٦٠) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦١٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٩٤) ، وقال أبو طالب مُعلِّلاً : (قيل : لغضِّ البصر ، وقيل : للفضل في ذلك ، كأنَّهُ أراد أن يجمع الفضائل كلَّها ، وقيل : للسُّنَّة) .

(٣) رواه ابن الجوزي في « المنتظم » (٢/ ٣٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦١٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٠١) ، ورواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/ ٢٦٤) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ : « ركعتانِ مِنَ المُتزوِّجِ أفضلُ مِنْ سبعينَ ركعةً مِنَ الأعزبِ » ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٢٩٢ـ٢٩٣) .

(٥) هو ابن أبي إياس عبد الرحمـٰن الخراساني العسقلاني .

عيسى بنُ ميمونٍ ، عنِ القاسمِ[1] ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلنِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي ، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَتَزَوَّجُوا ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلأُمَمَ ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِٱلصِّيَامِ ؛ فَإِنَّ ٱلصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ »[2] .

وممَّا ينبغي للمُتأهِّلِ : أنْ يحذرَ الإفراطَ في المُخالَطةِ والمُعاشرةِ معَ الزوجةِ إلىٰ حدٍّ ينقطعُ عن أورادِهِ وسياسةِ أوقاتِهِ ؛ فإنَّ الإفراطَ في ذلكَ يُقوِّي النَّفْسَ وجنودَها ، ويُفتِّرُ ناهضَ الهِمَّةِ .

وللمُتأهِّلِ بسببِ الزوجةِ فتنتانِ[3] : فتنةٌ لعمومِ حالِهِ ، وفتنةٌ لخصوصِ حالِهِ .

ففتنةُ عمومِ حالِهِ : الإفراطُ في الاهتمامِ بأسبابِ المَعيشةِ[4] .

كانَ الحسنُ البَصْريُّ رحِمَهُ اللهُ يقولُ : (واللهِ ؛ ما أصبحَ اليومَ رجلٌ يُطِيعُ امرأتَهُ فيما تَهْوىٰ . . إلَّا أكَبَّهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ وجهِهِ في النارِ)[5] .

---

(١) هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي ، أحد فقهاء المدينة .

(٢) سنن ابن ماجه (١٨٤٦) ، والطَّوْل : القدرة علىٰ مؤن النكاح من الكسوة والنفقة ، والوِجاء : الخصاء والوقاء ، وانظر « البدر المنير » (٧/ ٤٢٥) .

(٣) يعني : وإن كان التزوُّجُ من استرواح القلب وفسحته واتِّساعه ، ولـٰكن فيه فتنتان لا ينبغي للمُتأهِّل السالك أن يغفل عنه . من هامش (ج) .

(٤) قوله : (بأسبابِ المَعِيشةِ) ؛ أي : معيشةِ الزوجة وتتبُّعِ مُراداتها ؛ لأنَّ النَّفْس إذا أُرسلت في ذلك استرسلت فيه واستغنت بمُراد الزوجة عن الأوراد ، وتقعُ في التفرقة بالسعي في البلاد ، وإذا قَلَّتِ الأورادُ قَلَّتِ الواردات ؛ لأنَّهُ قيل : مَنْ لم يكن له وِرْدٌ لم يكن له واردٌ ؛ لأنَّهُ ثمرتُهُ ونتيجته ، وإذا قلَّ الوارد تكدَّر القلبُ . من هامش (ج) .

(٥) رواه أحمد في « الزهد » (١٦٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٩٨) .

وفي الخبرِ : « يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلَاكُ ٱلرَّجُلِ عَلَىٰ يَدِ زَوْجَتِهِ وَأَبَوَيْهِ وَوَلَدِهِ ؛ يُعَيِّرُونَهُ بِٱلْفَقْرِ ، وَيُكَلِّفُونَهُ مَا لَا يُطِيقُ ، فَيَدْخُلُ ٱلْمَدَاخِلَ ٱلَّتِي يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ فَيَهْلِكُ »[1] .

ورُوِيَ أنَّ قوماً دخلوا علىٰ يونسَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأضافَهُم ، وكانَ يدخلُ ويخرجُ إلىٰ منزلِهِ فتُؤذيهِ امرأتُهُ وتستطيلُ عليهِ وهوَ ساكتٌ ، فعَجِبُوا مِنْ ذلكَ وهابوهُ أنْ يسألوهُ ، فقالَ : لا تَعْجَبُوا مِنْ هـٰذا ؛ فإنِّي سألتُ اللهَ تعالىٰ فقلتُ : يا ربِّ ؛ ما كنتَ مُعاقِبي بهِ في الآخرةِ . . فعَجِّلْهُ لي في الدنيا ، فقالَ لي : إنَّ عقوبتَكَ بنتُ فلانٍ تَزَوَّجْ بها ، فتزوَّجتُ بها ، وأنا صابرٌ علىٰ ما تَرَوْنَ[2] .

فإذا أَفْرطَ الفقيرُ في المُداراةِ ربَّما يتعدَّىٰ حدَّ الاعتدالِ في وجوهِ المَعيشةِ مُتطلِّباً رضا الزوجةِ .

فهـٰذهِ فتنةُ عمومِ حالِهِ .

وفتنةُ خصوصِ حالِهِ : الإفراطُ في المُجالسةِ والمُخالطةِ معَ الزوجةِ ، فتنطلقُ النَّفْسُ عن قيدِ الاعتدالِ ، وتَسترقُ الغرضَ بطولِ الاسترسالِ ، فيستولي على القلبِ بسببِ ذلكَ السهوُ والغفلةُ ، ويستحلسُ مَقارَّ المُهْلَةِ[3] ، فيَقِلُّ

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٤٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والخطابي في « العزلة » (١/ ١٠) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وسيأتي مسنداً في (٢/ ٣٧٤ـ ٣٧٥) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٢٩٥) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٦٠٦ـ١٦٠٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ١٣٧) .

(٣) في (د ، هـ) : (يستجلس) ، ويستحلسُ : يُغطِّي .

الواردُ لقِلَّةِ الأورادِ ، ويتكدَّرُ الحالُ لإهمالِ شروطِ الأعمالِ .

وألطفُ مِنْ هاتَينِ الفتنتَينِ : فتنةٌ أُخْرىٰ تختصُّ بأهلِ القُرْبِ والحضورِ ؛ وذلكَ أنَّ للنُّفُوسِ امتزاجاً وارتباطاً ، وبرابطةِ الامتزاجِ[١] تعتضدُ وتشتدُّ وتتطرَّىٰ طبيعتُها الجامدةُ ، وتلتهبُ نارُها الخامدةُ[٢] .

فدواءُ هـٰذهِ الفتنةِ : أنْ يكونَ للمُتأهِّلِ عندَ المُجالَسةِ عينانِ باطنتانِ ينظرُ بهِما إلىٰ مَوْلاهُ ، وعينانِ ظاهرتانِ يستعملُهُما في طريقِ هَواهُ ، وقد قالتْ رابعةُ العَدَوِيَّةُ في معنىٰ هـٰذا نَظْماً ، وتَجذِبُ بهِ لحماً وعظماً[٣] : [من الكامل]

إِنِّي جَعَلْتُكَ فِي ٱلْفُؤَادِ مُحَدِّثِي ... وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَٱلْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ ... وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي ٱلْفُؤَادِ أَنِيسِي

وألطفُ مِنْ هـٰذهِ الفتنةِ : فتنةٌ أُخْرىٰ يخشاها المُتأهِّلُ ؛ وهوَ أنْ يصيرَ للرُّوحِ استرواحٌ إلىٰ لُطْفِ الجمالِ[٤] ، ويكونَ ذلكَ الاسترواحُ موقوفاً على الرُّوحِ ، ويصيرَ ذلكَ وَلِيجةً في حُبِّ الرُّوحِ المخصوصِ بالتعلُّقِ بالحضرةِ

---

(١) أي : بين الزوجين .

(٢) في هامش (ح) : (أي : لمَّا اختلط بالزوجة والزوجةُ صاحبةُ نَفْسٍ غالبة قويَّة ، فتجذب نفسُها نفسَ الزوج الراقدةَ ، وتتَّقد نارها الخامدة) .

وفي هامش (ج) : (يعني : تميلُ إلىٰ هواها كلَّ الميل ، وتستقرُّ مع طبيعتها في اليوم والليل ، فيتكدَّرُ القلبُ من صفائه بقدر ظهور النفس وقوَّتها ، وهـٰذا داءُ القلب وفتنتُهُ ؛ لأنَّهُ يُسكِّنُ حِدَّةَ طلب السالك ، ويجعل له فتوراً في السلوك والسير) .

(٣) روى البيتين ابن المقرئ في « معجمه » (٧٣) ، وأوردهما ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/١١٨) ، وقوله : (وتجذب . . .) زيادة من (ج) .

(٤) أي : جمالِ الزوجة بسبب المناسبة التي بينهما .

الإلـٰهيَّةِ ، فيتبلَّدُ الرُّوحُ[1] ، وينسدُّ بابُ المَزيدِ مِنَ الفُتُوحِ ، وهـٰذِهِ البَلَادةُ في الرُّوحِ يَعِزُّ الشعورُ بها[2] ، فلْتُحْذَرْ .

ومِنْ هـٰذا القَبيلِ دخلتِ الفتنةُ علىٰ طائفةٍ قالوا بالشاهدِ .

وإذا كانَ[3] في بابِ الحلالِ وَليجةً في الحبِّ يتولَّدُ منها بَلَادةُ الرُّوحِ في القيامِ بوظائفِ حُبِّ الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ . . فما ظنُّكَ فيمَنْ يدَّعي ذلكَ في بابِ غيرِ مشروعٍ ، ثمَّ يَغُرُّهُ سكونُ النَّفْسِ ؟! فيظنُّ أنَّهُ لو كانَ مِنْ قَبيلِ الهوىٰ ما سكنتِ النَّفْسُ ، والنَّفْسُ لا تسكنُ في ذلكَ دائماً ، بل تَسلُبُ مِنَ الرُّوحِ ذلكَ الوصفَ وتأخذُهُ أيضاً إليها .

علىٰ أنِّي استبحَثْتُ عمَّا يُبتلىٰ بهِ المفتونونَ بالشاهدِ ؛ فوجدتُ أنَّ المَحْمِيَّ مِنْ ذلكَ مِنْ صورةِ الفسقِ[4] عندَهُ رغوةُ شرابِ الشَّهوةِ ، لو ذهبَ الشرابُ ما بَقِيَتِ الرغوةُ ، فليُحذَرْ ذلكَ جدّاً ، ولا يُسمَعْ ممَّنْ يدَّعي فيهِ حالاً وصحَّةً ؛ فإنَّهُ كذَّابٌ مُدَّعٍ .

ولهـٰذا المعنىٰ قال الأطبَّاءُ : (الجماعُ يُسكِّنُ هَيَجانَ العِشْقِ وإنْ كانَ مِنْ غيرِ المعشوقِ) ؛ ليُعلَمَ أنَّ مُستندَهُ الشهوةُ[5] ، ويُكذِّبَ مَنْ يدَّعي فيهِ حالاً .

---

(١) بل ينقصُ بقدرِ نقصانِ محبَّةِ الزوجةِ محبَّةُ المعبود . من هامش (ج) .

(٢) أي : لا [يفطن] لها إلا أربابُ المحبَّة الخاصَّةِ الذين خَلَتْ قلوبُهُم عن محبَّة غير الله ، فتعلَّقت أرواحهم المخلصة بالحضرة . من هامش (ح) .

(٣) أي : النظرُ إلى الجمال . من هامش (ح) .

(٤) أي : مع أنَّهُ غيرُ مَحْميٍّ من صورة الفسق التي هي استيفاءُ قضاء الشهوة . . غيرُ مَحْميٍّ من معنى الفسق الذي هو النظر المُجرَّد إلى الأمرد ؛ إذ ليس خالياً من شهوة النفس ، بل عنده رغوة شراب الشهوة . من هامش (ح) .

(٥) قوله : (مستنده) ؛ أي : مستند الناظر إلى الشاهد . من هامش (ح) .

وهـٰذه فِتَنُ المُتأهِّلِ .

وفتنةُ العَزَبِ[1] : مُرُورُ النساءِ بخاطرِهِ ، وتصوُّرُهُنَّ في مُتخيَّلِهِ ، ومَنْ أُعطِيَ الطهارةَ في باطنِهِ لا يُدنِّسُ باطنَهُ بخواطرِ الشهوةِ ، وإذا سَنَحَ الخاطرُ يمحوهُ بحُسْنِ الإنابةِ واللِّياذِ بالهربِ منهُ[2] ، ومتىٰ سافرَ الفكرُ كَثُفَ الخاطرُ ، وخرجَ مِنَ القلبِ إلى الصَّدْرِ ، وعندَ ذلكَ يُحذَرُ إحساسُ العضوِ بالخاطرِ ، فيصيرُ ذلكَ عملاً خفيّاً .

وما أقبحَ مثلَ هـٰذا بالصادقِ المُتطلِّعِ إلى الحضورِ واليَقَظَةِ !! فيكونُ ذلكَ فاحشةَ الحالِ ، وقد قيلَ : (مُرُورُ الفاحشةِ بقلبِ العارفِ كفِعْلِ الفاعلينَ لها)[3] ، واللهُ أعلمُ .

❁ ❁ ❁

---

(١) في (د ، هـ ، و ، ح) : (الأعزب) ، ولم يُجوِّزْ أبو حاتم مجيئه علىٰ (أَفْعَلَ) ؛ لكونه غيرَ وارد ولا مسموع ، وأجازه غيره ، واستدلَّ له بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم : « ما في الجنَّةِ أَعْزَبُ » ، وانظر « تاج العروس » (٣/ ٣٦١) .

(٢) قوله : (وإذا سَنَحَ الخاطرُ) السَّنيحُ : ما أتاك عن يمينك من طير ، وكلُّ ما عَرَضَ فقد سَنَحَ . من هامش (ح) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً ، بلغ قراءةً) ، وفيه : (بلغ للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الثاني والعشرون

في القول في السماع قبولاً وإيثاراً [(١)]

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٧ ـ ١٨] [(٢)] ، قيلَ : ﴿ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ ؛ أي : أَهْداهُ وأَرْشدَهُ [(٣)] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] .

هـٰذا السَّماعُ هوَ السَّماعُ الحقُّ الذي لا يختلفُ فيهِ اثنانِ مِنْ أهلِ الإيمانِ ، محكومٌ لصاحبِهِ بالهدايةِ واللُّبِّ .

وهـٰذا سماعٌ تَرِدُ حرارتُهُ علىٰ بَرْدِ اليقينِ [(٤)] ، فتفيضُ العينُ بالدمعِ ؛ لأنَّهُ

---

(١) أي : في السماع الذي يُقبل ويُؤثر ؛ أي : يُختار . من « شرح المشكلات » (ق/ ٣٣) .

(٢) قوله : (عبادي) كذا في جميع النسخ بإثبات الياء ، وللسُّوسيِّ فيها ثلاثةُ أوجه : إثبات الياء في الحالين مفتوحة وصلاً ساكنة وقفاً ، وحذفها في الحالين ، وإثباتها مفتوحة وصلاً وحذفها وقفاً ، وقرأ يعقوب بإثباتها وقفاً لا وصلاً ، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٤٨١) .

(٣) انظر « تفسير الطبري » (٢١/ ٢٧٣) ، و« الكشف والبيان » (٢٣/ ٢٨) .

(٤) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٣٣) : (المراد بالبرد : سكونُ القلب وطُمأنينتُهُ ؛ وذلك لأنَّ اليقين مُستلزم لسكون القلب وطمأنينته ، كما أنَّ البرودةَ مستلزمة للسكون=

تارةً يُثِيرُ حُزْناً[1] والحزنُ حارٌّ ، وتارةً يُثِيرُ شَوقاً[2] والشَّوقُ حارٌّ ، وتارةً يُثِيرُ نَدَماً[3] والنَّدَمُ حارٌّ ؛ فإذا أثارَ السماعُ هـٰذهِ الصفاتِ مِنْ صاحبِ قلبٍ مملوءٍ ببَرْدِ اليقينِ . . أَبكىٰ وأَدْمعَ ؛ لأنَّ الحرارةَ والبُرُودةَ إذا اصطدمتا عَصَرتا ماءً .

فإذا أَلَمَّ السَّماعُ بالقلبِ تارةً يَخِفُّ إلمامُهُ[4] ، فيظهرُ أَثَرُهُ في الجسدِ ، ويَقشعِرُّ منهُ الجِلْدُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

وتارةً يَعظُمُ وَقْعُهُ ، ويتصوَّبُ أَثَرُهُ إلىٰ فوقُ نحوَ الدِّماغِ[5] ، كالمُخبِرِ للعقلِ ، بعِظَمِ وَقْعِ المُتجدِّدِ الحادثِ[6] ، فتندفقُ منهُ العينُ بالدمعِ .

وتارةً يتصوَّبُ أَثَرُهُ إلى الرُّوحِ ، فتموجُ منهُ الرُّوحُ مَوْجاً يَكادُ يَضِيقُ عنهُ نِطاقُ القالَبِ ، فيكونُ مِنْ ذلكَ الصِّياحُ والاضطرابُ .

= وعدم الحركة ، والشك والظن مستلزم لاضطراب القلب وقلقِهِ وعدم سكونه ، كما أنَّ الحرارةَ مستلزمة للحركة وعدم السكون) .

(١) علىٰ ما فات من الأوقات بغير الاشتغال بالله . من هامش (ح) .

(٢) إلىٰ لقاء الله تعالىٰ . من هامش (ح) .

(٣) بالتنزُّلات الغير اللائقة بأرباب عُلُوِّ الهِمَّة . من هامش (ح) .

(٤) في (ج) : (الماء منه) بدل (إلمامه) .

(٥) التصوُّب : النزول من علو إلىٰ سفل ؛ كنزول المطر ، ولمَّا كان السماعُ أوَّلاً بالأذن والأذنُ أَعْلىٰ من الجسد . . فإطلاقُ النزول من علو إلىٰ سفل عليه صحيحٌ ، ولمَّا كان الدماغ أَعْمقَ من الجسد والروحُ أَعْمقَ من الدماغ . . صحَّ إطلاقُ التصوُّب علىٰ ما يظهر عليهما . من هامش (ح) .

(٦) قيل : محل العقل : تارةً القلب ، وتارةً الدماغ ، فإذا كان في الدماغ فهو يتهيَّأ لعمارة الدنيا وإصلاحها ، وإذا كان في القلب فله صلاحية عمارة العالم العلوي وقَبُول الكلام النبوي . من هامش (ج) .

وهـٰذهِ كلُّها أحوالٌ يَجِدُها أربابُها مِنْ أصحابِ الحالِ[1] ، وقد يَحكِيها بدلائلِ هوى النَّفْسِ أربابُ المِحالِ[2] ؛ رُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ ربَّما مرَّ بالآيةِ في وِرْدِهِ ، فتخنُقُهُ العَبْرةُ ويسقطُ ، ويلزَمُ البيتَ اليومَ واليومَينِ ؛ حتىٰ يُعادُ ويُحسَبُ مريضاً[3] .

فالسَّماعُ يستجلبُ الرحمةَ مِنَ اللهِ الكريمِ ؛ روىٰ زيدُ بنُ أسلمَ قالَ : قرأَ أُبَيُّ بنُ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فرَقُّوا ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱغْتَنِمُوا ٱلدُّعَاءَ عِنْدَ ٱلرِّقَّةِ ؛ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ »[4] .

ورَوَتْ أمُّ كُلْثُومٍ قالتْ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا ٱقْشَعَرَّ جِلْدُ ٱلْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ . . تَحَاتَّتْ عَنْهُ ٱلذُّنُوبُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْيَابِسَةِ وَرَقُهَا »[5] .

---

(١) أصحاب الحال : هم الذين أثَّرت فيهم أنوارُ الأعمال الصالحة ، فوهبهم اللهُ تعالىٰ علىٰ أعمالهم بالمجازاة حالَ الوجد والذوق ، وحالَ الكشف والمشاهدةِ والمُعاينة والمعرفةِ بشرط الاستقامة . من هامش (ح) .

(٢) في (ب) ونسخة علىٰ هامش (و) : (راكب أرباب) بدل (أرباب) ، والمِحال : المكر والكيد .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٩٨) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣٥٢) .

(٤) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٥٢) ، والقضاعي في « مسنده » (٦٩٢) ، وسنده منقطع .

(٥) رواه البزار في « مسنده » (١٣٢٢) ، وأبو بكر البغدادي في « الغيلانيات » (٢٨٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٨٢) عن أم كلثوم عن أبيها العباس رضي الله عنهما .

ووَرَدَ أيضاً : « إذَا ٱقْشَعَرَّ ٱلْجِلْدُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ . . حَرَّمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَى ٱلنَّارِ »[١] .

وهـٰذهِ جملةٌ لا تُنكَرُ ولا اختلافَ فيها ، إنَّما الاختلافُ في سماعِ الأشعارِ بالألحانِ ، وقد كثُرَتِ الأقوالُ في ذلكَ وتباينتِ الأحوالُ ؛ فمِنْ مُنكِرٍ يُلحِقُهُ بالفِسْقِ ، ومِنْ مُولَعٍ بهِ يشهدُ بأنَّهُ واضحُ الحقِّ ، ويتجاذبانِ في طَرَفَيِ الإفراطِ والتفريطِ .

قيلَ لأبي الحسنِ بنِ سالمٍ : كيفَ تُنكِرُ السَّماعَ وقد كانَ الجُنيدُ وسَرِيٌّ السَّقَطِيُّ وذو النُّونِ يسمعُونَ ؟! فقالَ : كيفَ أُنكِرُ السَّماعَ وقد أجازَهُ وسَمِعَهُ مَنْ هوَ خيرٌ منِّي ، وقد كانَ جعفرٌ الطيَّارُ يسمعُ ، وإنَّما المُنكَرُ اللَّهوُ واللعبُ في السَّماعِ[٢] .

وهـٰذا قولٌ صحيحٌ .

(٦٢) ـ أخبرَنا الشيخُ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الخَوَافيُّ[٣] ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ ، قالَ : حدَّثَنا

---

(١) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٣/٤٨ـ٤٩) ، ومن طريقه البغوي في « تفسيره » (٧/١١٦) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٩٤) ، وأبو الحسن : هو علي بن سالم البصري صاحبُ سهل التستري وشيخُ أبي طالب صاحب « القوت » .

(٣) الخَوَافي : نسبة إلىٰ (خَوَافَ) ؛ وهي ناحية من نواحي نيسابور كثيرة القرىٰ والخضرة . انظر « الأنساب » (٥/٢١٩) ، واسمه في « صفوة التصوف » : (الحسن) بدل (الحسين) .

أبو بكرِ بنُ وَثَّابٍ ، قالَ : حدَّثَنا عِمْرانُ بنُ الخطَّابِ ، قالَ : حدَّثَنا الأَوْزاعيُّ ، عنِ الزُّهْريِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ دَخَلَ عليها وعندَها جاريتانِ تُغنِّيانِ وتضربانِ بدُفَّينِ ، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُسجًّى بثوبِهِ ، فانتهرَهُما أبو بكرٍ ، فكَشَفَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن وجهِهِ ، وقالَ : « دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ »[1] .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَستُرُني بردائِهِ وأنا أنظرُ إلى الحَبَشَةِ يلعبُونَ في المسجدِ حتىٰ أكونَ أنا أسأمُ)[2] .

وقد ذَكَرَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَةُ اللهِ عليهِ ما يَدُلُّ علىٰ تجويزِهِ ، ونَقَلَ ذلكَ عن كثيرٍ مِنَ السلفِ ؛ صحابيٍّ وتابعيٍّ وغيرِهِم[3] .

وقولُ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ يُعتبَرُ ؛ لوُفُورِ عِلْمِهِ ، وكمالِ حالِهِ ، وعِلْمِهِ بأحوالِ السَّلَفِ ، ومكانِ ورعِهِ وتَقْواهُ ، وتحرِّيهِ الأَصْوبَ والأَوْلىٰ .

---

(١) صفوة التصوف (٣٢٢) ، ورواه البخاري (٣٥٢٩) ، ومسلم (٨٩٢/ ١٧) .

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٦) ، ومسلم (٨٩٢/ ١٨) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٢/ ١٠٨٩) وما بعدها ، **وممَّن سمع من الصحابة** : عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة ابن الجرَّاح ، وبلال المؤذن ، وعبد الله بن الأرقم ، وحمزة بن عبد المطلب ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، **ومن التابعين** : سعيد بن المُسيِّب ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمـٰن بن حسان ابن ثابت ، والقاضي شريح ، وسعيد بن جُبير ، والشَّعْبي ، وعطاء بن أبي رباح ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٦/ ٤٥٨ـ٤٦٢) .

وقالَ : (في السَّماعِ حرامٌ وحلالٌ وشُبهةٌ ؛ فمَنْ سَمِعَهُ بنَفْسٍ مُشاهِدةٍ شهوةً وهوىً . . فهوَ حرامٌ .

ومَنْ سَمِعَهُ بمعقولِهِ علىٰ صفةِ مباحٍ مِنْ جاريةٍ أو زوجةٍ . . كانَ شُبهةً ؛ لدخولِ اللَّهوِ فيهِ .

ومَنْ سَمِعَهُ بقلبٍ بمُشاهَدةِ معانٍ تَدُلُّهُ على الدليلِ[1] ، وتشهدُهُ طُرُقاتِ الجليلِ . . فهوَ مباحٌ)[2] .

هـٰذا قولُ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ ، وهوَ الصحيحُ .

فإذاً : لا يُطلَقُ القولُ بمنعِهِ وتحريمِهِ ، والإنكارِ علىٰ مَنْ يسمعُ ؛ كفِعْلِ القُرَّاءِ المُتزهِّدينَ المُبالِغينَ في الإنكارِ ، ولا يُفسَحُ فيهِ على الإطلاقِ ؛ كفِعْلِ بعضِ المُستهتِرينَ بِهِ المُهمِلينَ شروطَهُ وآدابَهُ ، المُقيمِينَ على الإصرارِ .

ونُفصِّلُ الأمرَ فيهِ تفصيلاً ، ونُوضِّحُ الماهيَّةَ فيهِ تحريماً وتحليلاً :

فأمَّا الدُّفُّ والشَّبَّابَةُ[3] وإنْ كانَ في مذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ فيهِما فُسْحَةٌ . . فالأَوْلىٰ : تركُهُما ، والأَخْذُ بالأَحْوطِ ، والخروجُ مِنَ الخلافِ .

وأمَّا غيرُ ذلكَ : فإنْ كانَ مِنَ القصائدِ في ذِكْرِ الجنَّةِ والنارِ ، والتشويقِ إلىٰ دارِ القَرارِ ، ووصفِ نِعَمِ المَلِكِ الجبَّارِ ، وذِكْرِ العباداتِ ، والترغيبِ في الخيراتِ . . فلا سبيلَ إلى الإنكارِ ؛ ومِنْ ذلكَ القَبيلِ : قصائدُ الغُزَاةِ

---

(١) في بعض النسخ : (مشاهدِ معاني تدل على الطريق) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٠٩٠) .

(٣) الشَّبَّابة : هي المُسمَّاة بـ (الناي) .

والحُجَّاجِ في وَصْفِ الحجِّ والغَزْوِ ؛ ممَّا يُثِيرُ كامنَ العَزْمِ مِنَ الغازي ، وساكنَ الشوقِ مِنَ الحاجِّ .

وأمَّا ما كانَ فيهِ ذِكْرُ القُدُودِ والخُدُودِ ووصفُ النساءِ . . فلا يليقُ بأهلِ الدِّياناتِ الاجتماعُ لِمِثْلِ ذلكَ .

وأمَّا ما كانَ مِنْ ذِكْرِ الهَجْرِ والوَصْلِ والقطيعةِ والصَّدِّ ممَّا يَقرُبُ حملُهُ علىٰ أمورِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ مِنْ تَلَوُّنِ أحوالِ المُرِيدِينَ ودخولِ الآفاتِ على الطالبِينَ . . فمَنْ سَمِعَ ذلكَ وحَدَثَ عندَهُ نَدَمٌ علىٰ ما فاتَ ، أو تجدَّدَ عندَهُ عَزْمٌ لِمَا هوَ آتٍ . . فكيفَ يُنكَرُ سماعُهُ ؟!

وقد قيلَ : إنَّ بعضَ الواجدينَ كانَ يقتاتُ السَّماعَ[1] ، ويتقوَّىٰ بهِ على الطَّيِّ والوِصالِ[2] ، ويُثِيرُ عندَهُ مِنَ الشَّوقِ ما يُذهِبُ عنهُ لَهَبَ الجوعِ[3] .

فإذا استمعَ العبدُ إلىٰ بيتٍ مِنَ الشعرِ وقلبُهُ حاضرٌ فيهِ ، ويسمعُ الحاديَ يقولُ مَثلاً[4] : [من الوافر]

أَتُـوبُ إِلَيْـكَ يَـا رَحْمَـٰنُ إِنِّـي ... أَسَأْتُ وَقَدْ تَضَاعَفَتِ ٱلذُّنُوبُ

فَـأَمَّـا مِـنْ هَـوَىٰ لَيْلَـىٰ وَحُبِّـي ... زِيَـارَتَهَـا فَـإِنِّـي لَا أَتُـوبُ

فطابَ قلبُهُ ؛ لِمَا يَجِدُهُ مِنْ قُوَّةِ عَزْمِهِ على الثَّباتِ ، في أَمْرِ الحقِّ إلى المماتِ . . يكونُ في سماعِهِ هـٰذا ذاكراً للهِ تعالىٰ .

---

(١) الوجد : عبارة عن واردٍ يَرِدُ من الله على القلب ، ويُغيِّره من الهيئة التي [كان] عليها قبلُ بإحداث وصف من الحزن أو الفرح أو الشوق . من هامش (ح) .

(٢) الطَّيُّ : تعمُّد الجوع .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٩١) .

(٤) البيتان لمجنون ليلىٰ في « ديوانه » (ص٣٦) ، والبيت الأول زيادة من (ي) .

قالَ بعضُ أصحابِنا : (كُنَّا نعرفُ مواجيدَ أصحابِنا في ثلاثةِ أشياءَ : عندَ المَسائلِ ، وعندَ الغَضَبِ ، وعندَ السَّماعِ)(١) .

وقالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (تنزلُ الرحمةُ علىٰ هـٰذهِ الطائفةِ في ثلاثةِ مواضعَ : عندَ الأكلِ ؛ لأنَّهُم لا يأكلُونَ إلَّا عن فاقةٍ ، وعندَ المُذاكرةِ ؛ لأنَّهُم لا يتحاورُونَ إلَّا في مقاماتِ الصِّدِّيقينَ ، وأحوالِ النبيِّينَ ، وعندَ السَّماعِ ؛ لأنَّهُم يسمعُونَ بوَجْدٍ ويشهدُونَ حقّاً)(٢) .

وسُئِلَ رُوَيمٌ رحمَهُ اللهُ عن وَجْدِ الصُّوفيَّةِ عندَ السَّماعِ ، فقالَ : يتنبَّهُونَ للمعاني التي تَعزُبُ عن غيرِهِم ، فتُشيرُ إليهِم(٣) : إليَّ إليَّ ، فيتنعَّمُونَ بذلكَ مِنَ الفَرَحِ ، ويَقَعُ الحجابُ للوقتِ ، فيعودُ ذلكَ الفَرَحُ بكاءً ؛ فمنهُم مَنْ يَخرِقُ ثيابَهُ ، ومنهُم مَنْ يبكي ، ومنهُم مَنْ يصيحُ(٤) .

(٦٣) ـ أخبرَنا أبو زرعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خلفٍ إجازةً(٥) ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ أبا سهلٍ محمَّدَ بنَ سليمانَ يقولُ(٦) : (المستمعُ بينَ استتارٍ

---

(١) انظر « قوت القلوب » (٢/١٠٩١) .

(٢) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٩١) ، وأورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص٣٤٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٨٣) ، وقوله : (ويشهدون حقاً) لا خَلْقاً ؛ لأنَّ بواطنهم خَلَتْ من التعلُّق بالخلق ، وامتلأت من حبِّ الحقِّ ، فإذا سمعوا ممَّا كان بينهم وبين الحقِّ . . شاهدوا الحقَّ وانتهضوا إليه . من هامش (ح) .

(٣) في (ج) : (فتسير) بدل (فتشير) .

(٤) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٨٥) ، وأورده الخركوشي في « تهذيبه » (ص٣٣٥) .

(٥) سقط التصريح بالإجازة من غالب النسخ .

(٦) **أبو سهل** : هو الصُّعْلُوكي الأستاذ الكبير وإمام المسلمين في زمانه علماً وورعاً وزهداً رحمه الله تعالىٰ .

وتَجَلٍّ[1] ؛ فالاستتارُ يُورِثُ التَّلَهُّبَ[2] ، والتجلِّي يُورِثُ المزيدَ[3] ؛ فالاستتارُ يتولَّدُ منهُ حركاتُ المُرِيدينَ ، وهوَ مَحَلُّ الضَّعْفِ والعَجْزِ ، والتجلِّي يتولَّدُ منهُ السُّكُونُ للواصلينَ ، وهوَ مَحَلُّ الاستقامةِ والتمكينِ ، وكذلكَ مَحَلُّ الحَضْرةِ ؛ ليسَ فيهِ إلَّا الذُّبُولُ تحتَ مواردِ الهَيبةِ)[4] .

قالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ : سمعتُ جدِّي يقولُ : (المستمعُ ينبغي أنْ يسمعَ بقلبٍ حَيٍّ ونفْسٍ ميتةٍ ، ومَنْ كانَ قلبُهُ ميِّتاً ونَفْسُهُ حيَّةً . . لا يَحِلُّ لهُ السماعُ)[5] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر : ١] : الصوتُ الحَسَنُ[6] .

---

(١) المراد بالاستتار : احتجابُ نور الحقيقةِ بظهور صفات البشريَّة وتراكمِ ظُلُماتها ، وبالتجلِّي : انكشافُ شمس الحقيقة [عن] غُيُوم صفات البشريَّة بغَيبتها وزوالها . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (أي : المستمع لا يخلو إمَّا أن يكون في حجاب وستر ، وهو يُورِثُ احتراقاً وحزناً واضطراباً ، وإمَّا أن يكون في تجلٍّ وكشف ، وهو يزيد في حاله وثباته ويقينه) .

(٢) أي : الاحتراق بنار الهجران والفقدان . من هامش (ح) .

(٣) أي : التنعُّم بمزيد الوصال والوجدان . من هامش (ح) .

(٤) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٨٦) ، والجملة الأخيرة فقط في « تفسير السلمي » (٢/ ٢٤٤) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٣٦) ، وجدُّ السلمي : هو الإمام القُدْوة الربَّاني شيخ نيسابور أبو عمرو إسماعيل بن نُجيدٍ السُّلمي النيسابوري ، وهو جدُّه لأمه . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٤٦) ، وفي هامش (ح) : (من علامة موت القلب : نسيانُ الرب، ونسيانُ الآخرة ، والانكبابُ إلىٰ أشغال الدنيا ، واتِّباعُ الهوىٰ).

(٦) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ١٥١) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٤) عن ابن شهاب رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « النكت والعيون » (٤/ ٤٦٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « للهُ تعالىٰ أَشَدُّ أَذَناً لِلرَّجُلِ ٱلْحَسَنِ ٱلصَّوْتِ بِٱلْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ قَيْنَةٍ إِلَىٰ قَيْنَتِهِ »[١] .

نُقِلَ عنِ الجُنيدِ رحمةُ اللهِ عليهِ قالَ : رأيتُ إبليسَ في النومِ ، فقلتُ لهُ : هل تظفَرُ مِنْ أصحابِنا بشيءٍ أو تنالُ منهُم شيئاً ؟ فقالَ : إنَّهُ يَعسُرُ عَلَيَّ شأنُهُم ، ويَعظُمُ عليَّ أنْ أُصِيبَ منهُم شيئاً ، إلا في وقتَينِ ، قلتُ : أيَّ وقتٍ ؟ قالَ : وقتَ السَّماعِ ، وعندَ النَّظَرِ ؛ فإنِّي أسترقُ منهُم فيهِ ، وأدخلُ عليهِم بهِ .

قالَ : فحُكِيتْ رُؤْيايَ لبعضِ المشايخِ ، فقالَ : لو رأيتُهُ قلتُ لهُ : يا أحمقُ ؛ مَنْ سَمِعَ منهُ إذا سَمِعَ ، ونَظَرَ إليهِ إذا نَظَرَ . . أتربحُ أنتَ عليهِ شيئاً أو تظفَرُ منهُ بشيءٍ ؟! فقلتُ : صدقتَ[٢] .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٤٠) ، وأحمد (٦/ ١٩) ، وابن حبان (٧٥٤) ، والحاكم (١/ ٥٧١) عن سيدنا فَضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه ، والأَذَنُ : الاستماع ، وقولُهُ : (من صاحب قينة إلىٰ قينته) ؛ أي : من استماع مالك جارية مغنِّية إلىٰ غنائها ، وإطلاقُ القَيْنة على المُغنِّية علىٰ ما هو المتعارف ، وإلا ففي أصل كلام العرب : القَيْنَةُ : الأَمَةُ مُغنِّيةً كانت أو غيرَ مُغنِّيةٍ ، والجمعُ : (القِيان) . من هامش (ح) .

(٢) أورد هـٰذه القصة الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٥٢١) ، ويشبه هـٰذه القصةَ ما رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٩٧) عن أبي الحارث الأولاسي قال : (رأيتُ إبليس ـ لعنه الله ـ في المنام علىٰ بعض سطوح أولاسَ وأنا علىٰ سطح ، وعلىٰ يمينه جماعةٌ وعلىٰ يساره جماعة ، وعليهم ثيابٌ لِطافٌ ، فقال لطائفة منهم : قولوا ، فقالوا وغنَّوا ، فاستفرغني طِيبُهُ حتىٰ هممتُ أن أطرحَ نفسي من السطح ، ثمَّ قال : ارقصُوا ، فرقصُوا أطيبَ ما يكون ، ثمَّ قال لي : يا أبا الحارث ؛ ما أصبتُ شيئاً أدخلُ به عليكم إلا هـٰذا) ؛ وذلك من حيثُ اشتمالُهُ على الرياء والعُجب ؛ فإنَّ العبدَ يستفزُّهُ السماع حتىٰ يقوم قبل وقته ، فلا يكون مغلوباً ولا معذوراً ، وربَّما قام مغلوباً وسُرِّي عنه فلا يهونُ عليه أن يقعد ، ويتمادىٰ في التواجد مُتكلِّفاً ، فيكونُ مُرائياً ؛ لأنَّهُ فَعَلَ ذلك خوفاً من=

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانتْ عندي جاريةٌ تُسمِعُني ، فدخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهيَ علىٰ حالتِها ، ثمَّ دخلَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ففرَّتْ ، فضَحِكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ عمرُ : ما يُضحِكُكَ يا رسولَ الله ؟ فحدَّثَهُ حديثَ الجاريةِ ، فقالَ : لا أَبْرَحُ حتىٰ أسمعَ ما سَمِعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَمَرَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَسْمعَتْهُ[1] .

وذكرَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ قالَ : (كانَ لعطاءٍ جاريتانِ تُلَحِّنانِ ، وكانَ إخوانُهُ يستمعونَ إليهِما)[2] ، وقالَ : (أَدْرَكْنا أبا مروانَ القاضيَ ولهُ جَوارٍ يُسمِعْنَ التلحينَ أَعَدَّهُنَّ للصُّوفيَّةِ)[3] .

وهٰذا القولُ نقلتُهُ مِنْ قولِ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ رحمَهُ اللهُ، وعندي اجتنابُ ذلكَ هوَ الصوابُ ، وهٰذا لا يسلمُ إلا بشرطِ طهارةِ القلبِ ، وغَضِّ البصرِ ، والوفاءِ بشرطِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، وما هٰذا القولُ مِنَ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ إلا مُستغرَبٌ عجيبٌ ،

= نسبته إلىٰ ضعف حاله وقِلَّة وَجْده . انظر « إحكام الدلالة » (٤/ ١٤٦) ، وفي هامش (ح) عند قوله : (صدقت) : (وهٰذا يكونُ لأرباب النفوس المُطمئنَّةِ وأصحابِ القلوب المُحِبَّة المشاهِدة ، فهو لا يصيبُ منهم شيئاً ، ويربحُ علىٰ أرباب التلوين ؛ لبقايا نفوسهم ، وتطلُّعِهم إلى الأغيار) .

(١) رواه إسحاق بن راهويه في « مسنده » (١٢٥٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٥٩) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٣٣٥) ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (٢/ ٢٢٣) .

(٢) قوت القلوب (٢/ ١٠٩٤) ، وتُلَحِّنان : تُغنِّيان بالألحان .

(٣) قوت القلوب (٢/ ١٠٩٤) .

والتنزُّهُ عن مِثْلِ ذلكَ هوَ الصحيحُ .

وفي الحديثِ في مَدْحِ داودَ عليهِ السلامُ : أنَّهُ كانَ حَسَنَ الصوتِ بالنِّياحةِ علىٰ نَفْسِهِ ، وبتلاوةِ الزَّبُورِ ، حتىٰ كانَ يجتمعُ الجنُّ والإنسُ والطيرُ لسماعِ صوتِهِ ، وكانَ يُحمَلُ مِنْ مجلسِهِ آلافٌ مِنَ الجنائزِ[1] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في مَدْحِ أبي موسى الأَشْعَريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَقَدْ أُعْطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ »[2] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِنَّ مِنَ ٱلشِّعْرِ لَحِكْمَةً »[3] .

ودَخَلَ رجلٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعندَهُ قومٌ يقرؤُونَ القرآنَ وقومٌ يُنشِدُونَ الشِّعْرَ ، فقالَ : يا رسولَ الله ؛ قرآنٌ وشِعْرٌ ؟! فقالَ : « مِنْ هَـٰذَا مَرَّةً ، وَمِنْ هَـٰذَا مَرَّةً »[4] .

---

(١) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ١٠٠) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ ، وروىٰ عن غيره أيضاً آثاراً تُؤيِّد المثبت ، وفي هامش (ح) : (الرُّوحُ إذا استمع الصوتَ الحسن واستلذَّ بذلك . . يذكرُ مخاطبة الحقِّ إيَّاه بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فحنَّ إلى العَود إلى الحضرة [الربَّانيَّة] ، وطار من الأوكار البشريَّة إلى الحضرة العِنْديَّة) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٤٨) ، ومسلم (٧٩٣/ ٢٣٦) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٧٩٣/ ٢٣٥) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٠٧ـ٣٠٨) .

(٣) رواه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه ، وروي عن غيره أيضاً ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٠٨) .

(٤) قال الغماري في « غنية العارف » (١/ ٣٠٩) : (لا أصل له ، وهو باطل) .

وأنشدَ النابغةُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أبياتَهُ التي فيها : [من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي أَمْرٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَكِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ ٱلْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَحْسَنْتَ يَا أَبَا لَيْلَىٰ ، لَا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ » ، فعاشَ أكثرَ مِنْ مئةِ سنةٍ ، وكانَ أحسنَ الناسِ ثغراً[١] .

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يضعُ لحسَّانَ مِنبَراً في المسجدِ ، فيقومُ على المِنبَرِ قائماً يهجو الذينَ كانُوا يهجُونَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ويقولُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ رُوحَ ٱلْقُدُسِ مَعَ حَسَّانَ مَا دَامَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[٢] .

ورأىٰ بعضُ الصالحينَ أبا العبَّاسِ الخَضِرَ قالَ : قلتُ لهُ : ما تقولُ في

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٩٤) ، وتمَّام في « فوائده » (١٤٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/ ١٣٢) عن النابغة الجعدي ، والبيتان في « ديوانه » (ص٨٥) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٠٩ـ٣١١) ، والفَضُّ : الكسر .

(٢) رواه أبو داود (٥٠١٥) ، والترمذي (٢٨٤٦) ، وأحمد (٦/ ٧٢) ، والحاكم (٣/ ٤٨٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، ورُوح القُدُس : جبريل عليه الصلاة والسلام ، وسُمِّي بذلك ؛ لأنَّهُ كان يأتي الأنبياءَ بما فيه حياةُ القلوب ، فهو كالمبدأ لحياة القلوب ، كما أنَّ الرُّوحَ مبدأُ حياة الجسد ، والقدس صفة للروح ، وإنَّما أُضيف إليه ؛ لأنَّهُ مجبولٌ على الطهارة والنزاهةِ عن العيوب ، وقيل : القدس بمعنى المُقدَّس ؛ وهو الله ، وإضافة (الروح) إليه للتشريف ، ويُنافح : يُدافع ويُناضل .

السَّماعِ الذي يختلفُ فيهِ أصحابُنا ؟ فقالَ : هوَ الصَّفاءُ الزُّلالُ الذي لا يثبتُ عليهِ إلا أقدامُ العلماءِ[1] .

ونُقِلَ عن مِمْشاذَ الدِّينَوَرِيِّ قالَ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ هل تُنكِرُ مِنْ هٰذا السَّماعِ شيئاً ؟ فقالَ : ما أُنكِرُهُ ، ولٰكن قُلْ لهُم : يفتتحُونَ قَبْلَهُ بقراءةِ القرآنِ ، ويَختتِمُونَ بعدَهُ بالقرآنِ .

فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّهُم يُؤذُونَني ويَنبسِطُونَ ، فقالَ : احتمِلْهُم يا أبا عليٍّ ؛ هم أصحابُكَ ، فكانَ مِمْشاذُ يفتخرُ ويقولُ : كنَّاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] .

وأمَّا وجهُ الإنكارِ فيهِ : فهوَ أنْ يُرىٰ جماعةٌ مِنَ المُريدينَ دخلُوا في مبادئِ الإرادةِ ونفوسُهُم ما تمرَّنتْ علىٰ صِدْقِ المُجاهدةِ حتىٰ يحدثَ عندَهُم عِلْمٌ بظهورِ صفاتِ النَّفْسِ وأحوالِ القلبِ ؛ حتىٰ تنضبطَ حركاتُهُم

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٩٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٤١٧) ، والخَضِرُ حيٌّ عند جماهير أهل العلم ؛ قال ابن الصلاح في « فتاويه » (١/ ١٨٥) : (وأمَّا الخضر عليه السلام : فهو من الأحياء عند جماهير الخاصَّة من العلماء والصالحين ، والعامَّةُ معهم في ذلك ، وإنَّما شذَّ بإنكار ذلك بعضُ أهل الحديث) ، وهو نبيٌّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واختلفوا في كونه مرسلاً ، وانظر « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٧٦ـ١٧٧) ، وفي هامش (ج) عند قوله : (هو الصفاء) : (يعني : هو في غاية اللَّطَافة يتغيَّر بأدنىٰ شيء ، وإذا كان في غاية الصفاء لم يكن محظوظاً به إلَّا أهلُ الصفاء) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٩٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٤١٧) ، وليس فيه : (فقلت : يا رسول الله ؛ إنهم يؤذونني . . .) .

بقانونِ العِلْمِ ، ويعلمُوا ما لهُم وعليهِم .

حُكِيَ : أنَّ ذا النُّونِ رحمَهُ اللهُ لمَّا دَخَلَ بغدادَ دَخَلَ عليهِ جماعةٌ ومعَهُم قَوَّالٌ ، فاستأذنوهُ أنْ يقولَ شيئاً ، فأَذِنَ لهُ ، فأنشدَ القَوَّالُ : [من مجزوء الوافر]

صَغِيرُ هَوَاكَ عَذَّبَنِي فَكَيْفَ بِهِ إِذَا ٱحْتَنَكَا

وَأَنْتَ جَمَعْتَ مِنْ قَلْبِي هَوىً قَدْ كَانَ مُشْتَرَكَا

أَمَا تَرْثِي لِمُكْتَئِبٍ إِذَا ضَحِكَ ٱلْخَلِيُّ بَكَىٰ[1]

فطابَ قلبُهُ ، وقامَ وتواجدَ ، وسقطَ علىٰ جبهتِهِ والدمُ يَقطُرُ مِنْ جبهتِهِ ولا يقعُ على الأرضِ ، ثمَّ قامَ واحدٌ منهُم ، فنَظَرَ إليهِ ذو النُّونِ فقالَ : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الشعراء : ٢١٨] ، فجلسَ الرجلُ ، فكانَ جلوسُهُ لموضعِ صدقِهِ وعِلْمِهِ أنَّهُ غيرُ كاملِ الحالِ الصالحِ للقيامِ مُتواجِداً[2] .

فيقومُ أحدُهُم مِنْ غيرِ بصيرةٍ وعِلمٍ في قيامِهِ ؛ وذلكَ إذا سَمِعَ إيقاعاً موزوناً بسَمْعٍ موزونٍ يُؤدِّي ما يسمعُهُ إلىٰ طَبْعٍ موزونٍ ، فيتحرَّكُ بالطبعِ الموزونِ للصوتِ الموزونِ والإيقاعِ الموزونِ[3] ، وينسبلُ حجابُ نَفْسِهِ المُنبسِطُ بانبساطِ الطَّبْعِ الموزونِ علىٰ وجهِ القَلْبِ ، ويَستفِزُّهُ النشاطُ المُنبعِثُ

---

(١) الأبيات للوزير الزيَّات في « ديوانه » (ص١٠٧) ، واحتنكَ : أَحْكم واستولىٰ ، والخَلِي : خالي القلب عن المحبَّة والهوىٰ ، وفي (أ ، د ، ز ، ي) : (في قلبي) بدل (من قلبي) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ٣٩٣) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٦٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٨٨-٦٨٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٤٩٦-٤٩٧) .

(٣) في (د) : (للضرب) بدل (للصوت) .

مِنَ الطبعِ ، فيقومُ يرقُصُ رَقْصاً مَوْزُوناً مَمْزُوجاً بتصنُّعٍ مُحرَّمٍ عندَ أهلِ الحقِّ ، ويَحسَبُ ذلكَ طِيبةَ القلبِ ، وما رأىٰ وجهَ القلبِ وطِيبتَهُ باللهِ تعالىٰ[1] .

ولَعَمْري ؛ هوَ طِيبةُ القلبِ ، ولـٰكن قلبٌ مُلوَّنٌ بلونِ النَّفْسِ ، مَيّالٌ إلى الهوىٰ ، مُوافِقٌ للرَّدىٰ ، لا يهتدي إلىٰ حُسْنِ النِّيَّةِ في الحَرَكاتِ ، ولا يعرفُ شروطَ صِحَّةِ الإراداتِ .

ولمِثْلِ هـٰذا الرَّاقصِ قيلَ : (الرَّقْصُ نَقْصٌ) ؛ لأنَّهُ رَقْصٌ مصدرُهُ الطَّبْعُ ، غيرُ مُقترِنٍ بنيَّةٍ صالحةٍ ، لا سِيَّما إذا انضافَ إلىٰ ذلكَ شَوْبُ حركاتِهِ بصريحِ النِّفاقِ بالتودُّدِ والتقرُّبِ إلىٰ بعضِ الحاضرينَ مِنْ غيرِ نيَّةٍ ، بل بدَلالةِ نشاطِ النَّفْسِ مِنَ المُعانقةِ وتقبيلِ اليدِ والقَدَمِ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الحركاتِ التي لا يعتمدُها مِنَ المُتصوِّفةِ إلا مَنْ ليسَ لهُ مِنَ التصوُّفِ إلا مُجرَّدُ زيٍّ وصورةٍ .

أو يكونَ القَوَّالُ أمردَ تنجذبُ النفوسُ إلى النَّظَرِ إليهِ ، وتستلذُّ ذلكَ ، وتُضمِرُ خواطرَ السُّوءِ ، أو يكونَ للنساءِ إشرافٌ على الجمعِ ، وتتراسلُ البواطنُ المملوءةُ مِنَ الهوىٰ بسِفَارةِ الحركاتِ والرَّقْصِ وإظهارِ التواجدِ ، فيكونُ ذلكَ عينَ الفِسْقِ المُجمَعِ علىٰ تحريمِهِ ، وأهلُ المَوَاخِيرِ حينَئذٍ أَرْجىٰ حالاً ممَّنْ يكونُ هـٰذا ضميرَهُ وحركاتِهِ[2] ؛ لأنَّهُم يرَوْنَ فسقَهُم ، وهـٰذا

---

(١) فصَّل الإمام الزَّبيدي في « إتحافه » (٦/ ٥٦٧ـ٥٦٨) حكم الرقص ، وأورد أقوال الأئمَّة في ذلك ، وجعله دائراً بين التحريم والكراهة والإباحة ، وسيأتي عن المؤلف أنَّهُ قد يصير عبادةً في بعض صوره .

(٢) المَوَاخِير : جمعُ (ماخور) ؛ وهو الحانة التي يُعاقَر فيها الخمرُ ويُباع ، أو هو بيت الرِّيبة ومجمعُ أهل الفسق والفساد .

لا يراهُ ، ويُريهِ عبادةً لِمَنْ لا يعلمُ ذلكَ .

أفترىٰ أحداً مِنْ أهلِ الدِّياناتِ يرضىٰ بهـٰذا ولا يُنكِرُهُ ؟!

فمِنْ هـٰذا الوجهِ توجَّهَ للمُنكِرِ الإنكارُ ، وكانَ حقيقاً بالاعتذارِ ، فكم مِنْ حركاتٍ مُوجِبةٍ للمَقْتِ !! وكم مِنْ نَهَضاتٍ تُذهِبُ رَوْنَقَ الوَقْتِ !! فيكونُ إنكارُ المُنكِرِ على المُرِيدِ الطالبِ يمنعُهُ مِنْ مثلِ هـٰذهِ الحركاتِ ، ويُحذِّرُهُ مثلَ هـٰذهِ المُجالساتِ ، وهـٰذا إنكارٌ صحيحٌ .

وقد يرقصُ بعضُ الصادقينَ بإيقاعٍ ووزنٍ مِنْ غيرِ إظهارِ وَجْدٍ وحالٍ ، ووجهُ نيَّتِهِ في ذلكَ : أنَّهُ ربَّما يُوافِقُ بعضَ الفقراءِ في الحركةِ ، فيتحرَّكُ بحركةٍ مَوْزُونةٍ غيرَ مُدَّعٍ بها حالاً ووَجْداً ، يجعلُ حركتَهُ في طَرَفِ الباطلِ ؛ لأنَّها وإنْ لم تكنْ مُحرَّمةً في حكمِ الشرعِ . . ولـٰكنَّها غيرُ مُحلَّلةٍ بحُكمِ الحالِ ؛ لما فيها مِنَ اللَّهْوِ ، فتصيرُ حركاتُهُ ورَقْصُهُ مِنْ قَبيلِ المُباحاتِ التي تجري عليهِ ؛ مِنَ الضَّحِكِ والمُداعَبةِ ، ومُلاعَبةِ الأهلِ والأولادِ .

ويدخلُ ذلكَ في بابِ الترويحِ للقلبِ ، وربَّما صارَ ذلكَ عبادةً بحُسْنِ النيَّةِ إذا نوىٰ بهِ استجمامَ النَّفْسِ ، كما نُقِلَ عن أبي الدرداءِ أنَّهُ قالَ : (إنِّي لَأَستجِمُّ نَفْسي بشيءٍ مِنَ الباطلِ ؛ ليكونَ ذلكَ عَوْناً لي على الحقِّ)(١) .

---

(١) رواه ابن معين في « تاريخه » (٥٤٠٥) ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١٩٤١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦/٥٠١) ، ورواه ابن حزم في « طوق الحمامة » (ص٨٦) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً ، والباطل هو بالنسبة إلى الأحوال ، كما سيأتي بيانه بعد قليل في كلام المؤلف ، وفي هامش (ح) عند قوله : (عوناً على الحق) : (لأنَّ النفس إذا أُلزمتْ على الحقِّ الصِّرْفِ لا تصبر ، وربَّما تستنفر ، فلا بُدَّ من إرخاء العنان معها أحياناً حتىٰ تتعوَّد وتطمئنَّ ؛ ولذا يحبُّ الله=

ولِمْوضِعِ الترويحِ كُرِهَتِ الصلاةُ في أوقاتٍ ؛ ليستريحَ عُمَّالُ اللهِ ، وترتفقَ النُّفُوسُ ببعضِ مآربِها مِنْ تركِ العَمَلِ ، وتستطيبَ أوطانَ المَهَلِ .

والآدميُّ بتركيبِهِ المُختلِفِ ، وترتيبِ خَلْقِهِ المُتنوِّعِ بتنوُّعِ أصولِ خِلْقتِهِ ـ وقد سَبَقَ شرحُهُ في غيرِ هـٰذا البابِ[1] ـ . . لا تفي قُواهُ بالصبرِ على الحقِّ الصِّرْفِ ، فيكونُ التفسُّحُ في أمثالِ ما ذَكَرْناهُ مِنَ المُباحِ الذي يَنزِعُ إلىٰ لهوٍ ما . . باطلاً يُستعانُ بهِ على الحقِّ ؛ فإنَّ المُباحَ وإنْ لم يكنْ باطلاً في صِيغةِ الشرعِ ؛ لأنَّ حَدَّ المباحِ ما استوىٰ طَرَفاهُ واعتدلَ جانباهُ ، ولـٰكنَّهُ باطلٌ بالنسبةِ إلى الأحوالِ .

ورأيتُ في بعضِ كلامِ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ يقولُ في وصفِهِ : (الصادقُ يكونُ جهلُهُ مَزِيداً لعلمِهِ ، وباطلُهُ مَزِيداً لحقِّهِ ، ودُنياهُ مَزِيداً لآخرتِهِ)[2] .

ولهـٰذا المعنىٰ حُبِّبَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ النساءُ ؛ ليكونَ ذلكَ حظَّ نَفْسِهِ الشريفةِ ، الموهوبِ لها حُظُوظُها ، المُوفَّرِ عليها حقوقُها ، لموضعِ طهارتِها وقُدْسِها ، فيكونُ ما هوَ نصيبُ الباطلِ الصِّرْفِ في حقِّ الغيرِ مِنَ المُباحاتِ المقبولةِ برُخْصةِ الشرعِ ، المردودةِ بعزيمةِ الحالِ في حقِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . مُتَّسِماً بسِمَةِ العباداتِ .

= أن يُؤتىٰ رُخَصُهُ كما يحبُّ أن يُؤتىٰ عزائمه) .

(١) انظر (١/ ٣٠٨) وما بعدها .

(٢) كأن يصرف ما آتاه الله تعالىٰ إلى المحتاجين لوجه الله تعالىٰ ، لا لإظهار السخاء ومحبَّة المدح والثناء ، وإليه الإشارة بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم : « نعمَ المالُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ » . من هامش (ح) .

وقد وَرَدَ في فضيلةِ النِّكاحِ ما يَدُلُّ علىٰ أنَّهُ عبادةٌ ؛ ومِنْ ذلكَ مِنْ طريقِ القياسِ : اشتمالُهُ على المصالحِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ؛ علىٰ ما أَطْنبَ في شرحِهِ الفُقَهاءُ في مسألةِ التَّخلِّي لنوافلِ العباداتِ[1] .

فإذاً : يخرجُ هـٰذا الراقصُ بهـٰذهِ النِّيَّةِ المُتبرِّئُ مِنْ دعوى الحالِ في ذلكَ . . مِنْ إنكارِ المُنكِرِ ، ويكونُ رَقْصُهُ لا عليهِ ولا لهُ ، وربَّما كانَ بحُسْنِ النِّيَّةِ في الترويحِ يصيرُ عبادةً ، لاسِيَّما إنْ أَضْمرَ في نَفْسِهِ فَرَحاً بربِّهِ ، ونَظَرَ إلىٰ شُمُولِ رحمتِهِ وعطفِهِ ، ولـٰكن لا يليقُ الرَّقْصُ بالشيوخِ ومَنْ يُقتدىٰ بهِ ؛ لما فيهِ مِنْ مُشابَهةِ اللَّهْوِ ، واللَّهْوُ لا يليقُ بمَنصِبِهِم ، ويُبايِنُ حالَ المُتمكِّنِ مثلُ ذلكَ .

وأمَّا وجهُ منعِ الإنكارِ في السَّماعِ : فهوَ أنَّ المُنكِرَ للسَّماعِ على الإطلاقِ مِنْ غيرِ تفصيلٍ . . لا يخلو مِنْ أحدِ أمورٍ ثلاثةٍ : إمَّا جاهلٌ بالسُّنَنِ والآثارِ ، وإمَّا مُغترٌّ بما أُتِيحَ لهُ مِنْ أعمالِ الأَخْيارِ ، وإمَّا جامدُ الطَّبْعِ لا ذوقَ لهُ فيُصِرُّ على الإنكارِ .

وكلُّ واحدٍ مِنْ هـٰؤلاءِ الثلاثةِ يُقابَلُ بما سوفَ يَقبَلُ .

أمَّا الجاهلُ بالسُّنَنِ والآثارِ : فيُعرَّفُ بما أَسْلَفْناهُ مِنْ حديثِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، والأخبارِ والآثارِ الواردةِ في ذلكَ[2] ، وفي حركةِ بعضِ

---

(١) أي : التخلِّي لنوافل العبادة عند عدم الحاجة والرغبة في الزواج ، وذهب السَّادة الشافعيَّة : إلىٰ أنَّ التخلِّي للنوافل أفضلُ من الزواج ، وذهب السَّادة الحنفيَّة : إلىٰ أنَّ النكاح أفضلُ من التخلِّي لنوافل العبادة . انظر « النجم الوهاج » (٧/ ١١) ، وللإمام الغزالي تفصيل نفيس أورده في « الإحياء » (٣/ ١٤٥ـ١٤٩) .

(٢) انظر (١/ ٤٨٩ـ ٤٩٢) ، و« غنية العارف » (١/ ٣١٧ـ٣١٨) .

المُتحرِّكينَ يُعرِّفُ رخصةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للحبشةِ في الرَّقْصِ ، ونَظَرِ عائشةَ إليهِم معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، هـٰذا إذا سَلِمَتِ الحركةُ مِنَ المكارهِ التي ذَكَرْناها .

وقد رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لعليٍّ : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » ، فحَجَلَ ، وقالَ لجعفرٍ : « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي » ، فحَجَلَ ، وقالَ لزيدٍ : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا » ، فحَجَلَ[2] .

وكانَ حَجْلُ جعفرٍ في قصَّةِ ابنةِ حمزةَ لمَّا اختصمَ فيها عليٌّ وجعفرٌ وزيدٌ[3] .

---

(١) سبق أول الباب (١/ ٤٨٣) .

(٢) رواه أحمد (١/ ١٠٨) ، والبزار في « المسند » (٧٤٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٢٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والحَجْل : أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرىٰ من الفرح .

(٣) رواه الواقدي في « مغازيه » (٢/ ٧٣٨ـ ٧٣٩) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٨/ ١٥٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وأصل القصة في « صحيح البخاري » (٢٦٩٩) من حديث سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما دون ذكر الحَجْل ، والقصة ـ كما في رواية ابن عباس ـ : أنَّ عُمارة بنت حمزة بن عبد المُطَّلب ـ وأمها سلمىٰ بنت عُميس ـ كانت بمكَّة ، فلمَّا قَدِمَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلَّم عليٌّ النبيَّ فقال : علامَ تترك ابنة عمِّنا يتيمةً بين ظهري المشركين ؟ فلم ينهَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلَّم زيد بن حارثة ، وكان وصيَّ حمزة ، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم آخىٰ بينهما حين آخىٰ بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ؛ ابنةُ أخي ، فلمَّا سمع بذلك جعفر بن أبي طالب قال : الخالةُ والدةٌ وأنا أحقُّ بها ؛ لمكان خالتها عندي أسماءَ بنتِ عُميسٍ ، فقال عليٌّ : أَلَا أراكم تختصمون في ابنة عمِّي وأنا أخرجتُها من بين أَظْهُر المشركين ، وليس لكم إليها نسبٌ دوني ؟! وأنا أحقُّ بها منكم ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « أنا أحكمُ بينكُم ؛ أمَّا أنتَ يا زيدُ فمَوْلى اللهِ ومَوْلىٰ رسولِهِ ، وأمَّا أنتَ يا عليُّ فأخي وصاحبي ، وأمَّا أنتَ يا جعفرُ=

وأمَّا المُنكِرُ المغرورُ بما أُتيحَ لهُ مِنْ أعمالِ الأَخيارِ . يُقالُ لهُ : تَقَرُّبُكَ إلى اللهِ تعالىٰ بالعبادةِ لنيَّتِكَ لا لشُغْلِ جوارحِكَ بها ، ولولا نيَّةُ قلبِكَ ما كانَ لعَمَلِ جوارحِكَ قَدْرٌ ؛ فإنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ ولكلِّ امرئٍ ما نوىٰ ، والنيةُ لنَظَرِكَ إلىٰ رَبِّكَ خوفاً أو رجاءً .

فالسامعُ مِنَ الشِّعْرِ بيتاً يأخذُ منهُ معنىً يُذكِّرُهُ ربَّهُ ؛ إمَّا فَرَحاً أو حُزْناً أو خوفاً أوِ انكساراً أوِ افتقاراً ، كيفَ تَقَلَّبَ قلبُهُ في أنواعِ ذلكَ ذاكراً لربِّهِ .

ولو سَمِعَ صوتَ طائرٍ طابَ لهُ ذلكَ الصوتُ ، وتفكَّرَ في قدرةِ اللهِ تعالىٰ وتسويتِهِ حَنْجَرَةَ الطائرِ ، وتسخيرِهِ حَلْقَهُ[1] ، ومنشأِ الصوتِ ، وتأديتِهِ إلى الأسماعِ . . كانَ في جميعِ ذلكَ الفِكْرِ مُسبِّحاً مُقدِّساً ، فإذا سَمِعَ صوتَ آدميٍّ وحَضَرَهُ مثلُ ذلكَ الفِكْرِ ، وامتلأَ باطنُهُ ذِكْراً وفِكْراً . . كيفَ يُنكِرُ ذلكَ ؟!

حكىٰ بعضُ الصالحينَ قالَ : (كنتُ مُعتكِفاً في جامعِ جُدَّةَ على البحرِ ، فرأيتُ يوماً طائفةً يقولونَ في جانبٍ منهُ شيئاً[2] ، فأنكرتُ ذلكَ بقلبي وقلتُ : في بيتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تعالىٰ يقولونَ الشِّعْرَ ؟!

فرأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ تلكَ الليلةَ وهوَ جالسٌ

= فشبيهُ خَلْقي وخُلُقي ، وأنتَ يا جعفرُ أَوْلىٰ بها ؛ تحتَكَ خالتُها ، ولا تُنكَحُ المرأةُ علىٰ خالتِها ولا علىٰ عمَّتِها » ، فقضىٰ بها لجعفر ، فقام جعفرٌ فحَجَلَ حولَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « ما هٰذا يا جعفرُ ؟ » ، فقال : يا رسول الله ؛ كان النجاشي إذا أَرْضىٰ أحداً قام فحَجَلَ حوله ، فقيل للنبي : تزوَّجْها ، فقال : « ابنةُ أخي مِنَ الرضاعةِ » ، فزوَّجها رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سلمةَ بنَ أبي سلمةَ ، فكان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « هل جزيتُ سلمةَ ؟ » .

(١) في (ب) : (خلقه) .

(٢) يقولون ؛ أي : ينشدون .

في تلكَ الناحيةِ وإلىٰ جنبِهِ أبو بكرٍ ، وإذا أبو بكرٍ يقولُ شيئاً مِنَ القولِ والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليهِ ويَضَعُ يَدَهُ علىٰ صدرِهِ كالواجدِ بذلكَ ، فقلتُ في نَفْسي : ما كانَ ينبغي لي أنْ أُنكِرَ علىٰ أولـٰئكَ الذينَ كانوا يسمعونَ ، وهـٰذا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يسمعُ وأبو بكرٍ إلىٰ جنبِهِ يقولُ ، فالتفتَ إليَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يقولُ : هـٰذا حَقٌّ بحقٍّ ، أو حقٌّ مِنْ حقٍّ)[1] .

بلىٰ ؛ إذا كانَ ذلكَ الصوتُ مِنْ أَمْردَ يُخشىٰ بالنظرِ إليهِ الفتنةُ ، أو مِنِ امرأةٍ غيرِ مَحْرَمٍ ، وإنْ وُجِدَ مِنَ الأذكارِ والأفكارِ ما ذَكَرْنا . . يحرمُ سماعُهُ ؛ لخوفِ الفتنةِ لا لمُجرَّدِ الصوتِ ، ولـٰكن يُجعَلُ سماعُ الصوتِ حَرِيمَ الفتنةِ ، ولكلِّ حرامٍ حَرِيمٌ ينسحبُ عليهِ حكمُ المنعِ لوجهِ المصلحةِ ؛ كالقُبْلةِ للشابِّ الصائمِ[2] ؛ حيثُ جُعِلَتْ حَرِيمَ حَرامِ الوِقاعِ ، وكالخلوةِ بالأجنبيَّةِ ، وغيرِ ذلك .

فعلىٰ هـٰذا : قد تقتضي المصلحةُ المنعَ مِنَ السماعِ إذا عُلِمَ حالُ السامعِ وما يُؤدِّيهِ إليهِ سماعُهُ ، فيُجعَلُ المنعُ حَرِيمَ الحرامِ هـٰكذا .

---

(١) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٩٢) ، وأورده الغزالي في « الإحياء » (٤/٤١٧ـ٤١٨) عن طاهر ابن بلال الهَمَذاني الورَّاق رحمه الله تعالىٰ ، وقولُهُ : (هـٰذا حقٌّ بحق) ؛ أي : هـٰذا السماعُ حقٌّ ليس بباطل ولهوٍ من قِبَلِ النفس ، بل هو فيضٌ يَرِدُ على القلب ، [وصيغةُ] الشكِّ من الراوي أو من الرائي . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (قوله : « أو » يكون الشك من الراوي ، ويحتمل : أنَّ الرسول عليه السلام قاله هـٰكذا ، معناه : أنَّ السامع في وقت البقاء لله يسمعُهُ به في مقام تجلِّي الذات ، وفي وقتٍ يسمع من الله في [مقام] تجلِّي الأفعال والصفات) .

(٢) أي : لزوجته .

وقد يُنكِرُ السَّماعَ جامدُ الطَّبْعِ ، عديمُ الذَّوقِ[1] ، فيُقالُ لهُ : العِنِّينُ لا يعلمُ لَذَّةَ الوِقاعِ ، والمكفوفُ ليسَ لهُ بالجمالِ البارعِ استمتاعٌ ، وغيرُ المُصابِ لا يتكلَّمُ بالاسترجاعِ ، فماذا تُنكِرُ مِنْ مُحِبٍّ تربَّىٰ باطنُهُ بالشَّوْقِ والمَحبَّةِ ، ويرى انحباسَ رُوحِهِ الطيَّارةِ ، في مَضِيقِ قَفَصِ النَّفْسِ الأمَّارةِ ، يَمُرُّ برُوحِهِ نسيمُ أُنْسِ الأوطانِ ، وتلوحُ لهُ طوالعُ جنودِ العِرْفانِ ، وهوَ بوجودِ النَّفْسِ في دارِ الغُرْبةِ يتجرَّعُ كأسَ الهِجْرانِ ، يَئِنُّ تحتَ أَعْباءِ المُجاهَدةِ ، ولا يُحمَلُ عنهُ بسوانحِ المُشاهَدةِ[2] ؟! وكلَّما قَطَعَ منازلَ النَّفْسِ بكثرةِ الأعمالِ ، لا يَقرُبُ مِنْ كعبةِ الوِصالِ ، ولا يُكشَفُ لهُ المُسبَلُ مِنَ الحِجَالِ[3]، فيَستروِحُ بتنفُّسِ الصُّعَداءِ[4] ، ويرتاحُ باللائحِ مِنْ شِدَّةِ البُرَحاءِ[5]، ويقولُ مُخاطِباً للنَّفْسِ والشيطانِ ، وهما المانعانِ[6] : [من الطويل]

أَيَـا جَبَلَـيْ نَعْمَـانَ بِـٱللهِ خَلِّيَـا ... نَسِيمَ ٱلصَّبَا يَخْلُصْ إِلَيَّ نَسِيمُهَا

فَإِنَّ ٱلصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ ... عَلَىٰ قَلْبِ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

أَجِدْ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً ... عَلَىٰ كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا

أَلَا إِنَّ أَدْوَائِـي بِلَيْلَـىٰ قَـدِيمَـةٌ ... وَأَقْتَـلُ دَاءِ ٱلْعَـاشِقِيـنَ قَـدِيمُهَـا

---

(١) وهـٰذا هو القسم الثالث من الذين أطلقوا المنعَ من السماع .

(٢) في (ج): (ولا تُحمل عنه) بدل (ولا يُحمل عنه)، وفي (ي): (ولا يُروَّح)، والكل صحيح .

(٣) الحِجال في الأصل : جمع (الحَجَلَة) ؛ وهو موضع يُزيَّن بالثياب وغيرها للعروس .

(٤) الصُّعَداء : تنفُّسٌ ممدود طويل ، وقيل : هو التنفُّس بتوجُّع .

(٥) البُرَحاء : الشِّدَّة والمشقَّة ، أو الحُمَّى الشديدة بسبب الحبِّ والهوىٰ .

(٦) الأبيات لمجنون ليلىٰ في « ديوانه » (ص٨٢) ، ونَعْمان : وادٍ وراء عرفة بين مكَّة والطائف يَصُبُّ في وَدَّان ، وفي هامش (ب) آخرَ الأبيات : (بلغ للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

ولعلَّ المُنكِرَ يقولُ : هلِ المحبَّةُ إلا امتثالُ الأمرِ ؟! وهل يُعرَفُ غيرُ هـٰذا ؟! وهل هناكَ إلا الخوفُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ؟! ويُنكِرُ المحبَّةَ الخاصَّةَ التي تختصُّ بالعلماءِ الراسخينَ والأبدالِ المُقرَّبينَ .

ولمَّا[1] تقرَّرَ في فَهْمِهِ القاصرِ أنَّ المحبَّةَ تَستدعي مِثالاً وخَيالاً ، وأَجْناساً وأَشْكالاً . . يُنكِرُ محبَّةَ القومِ ، ولا يعلمُ أنَّ القومَ بلغُوا في رُتَبِ الإيمانِ إلىٰ أتـمَّ مِـنَ المَحْسُـوسِ[2] ، وجـادُوا مِـنْ فَـرْطِ الكَشْـفِ والعِيـانِ بـالأرواحِ والنُّفُوسِ .

روىٰ أبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ ذَكَرَ غلاماً كانَ في بني إسرائيلَ علىٰ جبلٍ ، فقالَ لأمِّهِ : مَنْ خَلَقَ السماءَ ؟ قالتِ : اللهُ ، قالَ : ومَنْ خَلَقَ الأرضَ ؟ قالتِ : اللهُ ، قالَ : ومَنْ خَلَقَ الجبالَ ؟ قالتِ : اللهُ ، قالَ : ومَنْ خَلَقَ الغيمَ ؟ قالتِ : اللهُ ، فقالَ : إنِّي أسمعُ للهِ شَأْناً ، ورمىٰ نَفْسَهُ مِنَ الجبلِ فتقطَّعَ[3] .

فالجمالُ الأَزَليُّ الإلـٰهيُّ مُنكشِفٌ للأرواحِ ، غيرُ مُكيَّفٍ للعقلِ ، ولا مُفسَّرٍ للفهمِ ؛ لأنَّ العقلَ مُوكَّلٌ بعالَمِ الشَّهادةِ لا يهتدي مِنَ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ إلَّا إلىٰ مُجرَّدِ الوجودِ ، ولا يتطرَّقُ إلىٰ حَرِيمِ الشُّهودِ المُتجلِّي في طَيِّ

---

(١) ويجوز أن تُقرأ بالتخفيف ، كما ضُبطت كذلك في (و) .

(٢) يعني : إيمانهم بالله تعالىٰ أتمُّ من تصديقهم بالمحسوسات .

(٣) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٢/ ٢٣٩) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (١٧٣٢) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٦٧٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفي بعض المصادر والنسخ : (الغنم) بدل (الغيم) .

الغيبِ[١] ، المُنكشِفِ للأرواحِ بلا ريبٍ .

وهٰذهِ الرُّتبةُ مِنْ مُطالَعةِ الجمالِ رتبةٌ خاصَّةٌ ، وأعمُّ منها مِنْ رُتَبِ المَحبَّةِ الخاصَّةِ دونَ العامَّةِ[٢] : جمالُ الكمالِ مِنَ الكِبْرياءِ والجلالِ ، والاستقلالِ بالمِنَحِ والنَّوالِ ، والصِّفاتِ المُنقسِمةِ إلىٰ ما ظَهَرَ منها في الآبادِ ولازمَتِ الذاتَ في الآزالِ .

فللكمالِ جمالٌ لا يُدرَكُ بالحواسِّ ، ولا يُضبَطُ بالقياسِ ، وفي مُطالَعةِ ذلكَ الجمالِ[٣] طائفةٌ مِنَ المُحبِّينَ خُصُّوا بتجلِّي الصِّفاتِ ، ولهُم بحَسَبِ ذلكَ ذَوْقٌ وشَوْقٌ ووَجْدٌ وسماعٌ ، والأوَّلُونَ[٤] مُنِحُوا قِسْطاً مِنْ تجلِّي الذاتِ ، فكانَ وَجْدُهُم علىٰ قَدْرِ الوجودِ ، وسماعُهُم علىٰ حدِّ الشُّهودِ .

حكىٰ بعضُ المشايخِ قالَ : (رَأَيْنا جماعةً ممَّنْ يمشي على الماءِ والهواءِ يسمعُونَ السَّماعَ ، ويَجِدُونَ بهِ ، ويُولَهُونَ عندَهُ)[٥] .

وقالَ بعضُهُم : (كُنَّا على الساحلِ ، فسَمِعَ بعضُ إخوانِنا ، فجَعَلَ يتقلَّبُ على الماءِ يَمُرُّ ويَجِيءُ حتىٰ رجعَ إلىٰ مكانِهِ)[٦] .

ونُقِلَ أنَّ بعضَهُم كانَ يتقلَّبُ على النارِ عندَ السماعِ ولا يُحِسُّ بها[٧] .

---

(١) أي : طَيِّ غيب المعقول بعد طَيِّ شهادة المحسوس . من هامش (ح) .

(٢) المُفسَّرة بامتثال الأمر والنهي . من هامش (ح) .

(٣) أي : جمال الكمال . من هامش (ح) .

(٤) أي : الذين يحبُّون الله بجماله . من هامش (ح) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٩٦) .

(٦) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٩٦) .

(٧) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٩٧) .

ونُقِلَ أنَّ بعضَ الصُّوفيَّةِ ظَهَرَ منهُ وجدٌ عندَ السَّماعِ ، فأخذَ شمعةً فجعلَها في عينِهِ ، قالَ الناقلُ : فقَرُبْتُ مِنْ عينِهِ أنظُرُ ، فرأيتُ ناراً أو نوراً يخرجُ مِنْ عينِهِ يَرُدُّ نارَ الشمعةِ[1] .

وحُكِيَ عن بعضِهِم : أنَّهُ كانَ إذا وَجَدَ عندَ السماعِ ارتفعَ مِنَ الأرضِ في الهواءِ أَذْرُعاً يَمُرُّ ويجيءُ فيهِ[2] .

ويقولُ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ في « كتابِهِ » : (إنْ أَنْكَرْنا السَّماعَ مُجمَلاً مُطلَقاً غيرَ مُقيَّدٍ مُفصَّلٍ.. يكونُ إنكارُنا علىٰ سبعينَ صِدِّيقاً[3] ، وإنْ كُنَّا نعلمُ أنَّ الإنكارَ أقربُ إلىٰ قلوبِ القُرَّاءِ والمُتعبِّدينَ ، إلا أنَّا لا نفعلُ ذلكَ ، لأنَّا نعلمُ ما لا يعلمُونَ ، وسَمِعْنا مِنَ السلفِ مِنَ الأصحابِ والتابعينَ ما لا يسمعُونَ)[4] .

وهٰذا قولُ الشيخِ عن علمِهِ الوافرِ بالسننِ والآثارِ ، معَ اجتهادِهِ وتَحَرِّيهِ الصوابَ ، ولٰكن نبسُطُ لأهلِ الإنكارِ لسانَ الاعتذارِ ، ونُوضِّحُ لهُمُ الفرقَ بينَ سماعٍ يُؤَثِّرُ وبينَ سماعٍ يُنكَرُ .

سَمِعَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قائلاً يقولُ : [من الطويل]

أُسَائِلُ عَنْ سَلْمَىٰ فَهَلْ مِنْ مُخَبِّرٍ   يَكُونُ لَهُ عِلْمٌ بِهَا أَيْنَ تَنْزِلُ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٩٧) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٩٧) .

(٣) أي : علىٰ عدد كثير ؛ علىٰ قاعدة قول العرب في ذكر (السبعين) وإرادةِ العددِ الكثير ، لا التقييد بالسبعين . من هامش (ح) .

(٤) « قوت القلوب » (٢/ ١٠٩٨) .

فزَعَقَ الشِّبْليُّ وقالَ : لا واللهِ ؛ ما في الدَّارَينِ عنهُ مُخبِرٌ[1] .

وقيلَ : الوَجْدُ سِرُّ صفاتِ الباطنِ ، كما أنَّ الطاعةَ سِرُّ صفاتِ الظاهرِ ، وصفاتُ الظاهرِ الحركةُ والسُّكُونُ ، وصفاتُ الباطنِ الأحوالُ والأخلاقُ .

وقالَ أبو نصرٍ السَّرَّاجُ : (أهلُ السَّماعِ علىٰ ثلاثِ طَبَقاتٍ : فقومٌ يَرجِعُونَ في سماعِهِم إلىٰ مُخاطَباتِ الحقِّ لهُم فيما يسمعُونَ .

وقومٌ يَرجِعُونَ فيما يسمعُونَ إلىٰ مُخاطَبةِ أحوالِهِم ومقامِهِم وأوقاتِهِم[2] ، فهم مُرتبِطُونَ بالعِلْمِ ومُطالَبُونَ بالصِّدقِ فيما يُشِيرُونَ إليهِ مِنْ ذلكَ .

وقومٌ همُ الفقراءُ المُجرِّدُونَ الذينَ قطعُوا العلائقَ ، ولم تتلوَّثْ قلوبُهُم بمحبَّةِ الدنيا والجَمْعِ والمَنْعِ ، فهُم يسمعُونَ بطِيبةِ قلوبِهِم ، ويليقُ بهِمُ السَّماعُ ، فهم أقربُ الناسِ إلى السَّلامةِ ، وأسلمُهُم مِنَ الفتنةِ)[3] .

وكلُّ قلبٍ مُلوَّثٍ بحُبِّ الدنيا . . فسماعُهُ سماعُ طَبْعٍ وتكلُّفٍ[4] .

وسُئِلَ بعضُهُم عنِ التكلُّفِ في السَّماعِ ، فقالَ : هوَ علىٰ ضربَينِ : تكلُّفٌ

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ٦٢) .

(٢) كما إذا سمع من القوَّال : (من الكامل)

إنْ كنتَ تطمعُ أنْ تفوزَ بوَصْلِنا ... فاهجُرْ تَطَلُّبَ غيرِنا تحظىٰ بنا

فيرجع في هـٰذا السماع إلى الحقِّ يخاطبه بترك ما سواه والإقبالِ عليه بالكُلِّيَّة . من هامش (ح) .

(٣) اللمع (ص٣٥١) نقلاً عن بعضهم .

(٤) لا سماعُ قلبٍ ووَجْد . من هامش (ح) .

في المُستمعِ[١] لطلبِ جاهٍ[٢] أو منفعةٍ دنيويَّةٍ ، وذلكَ تلبيسٌ وخِيانةٌ ، وتكلُّفٌ فيهِ لطلبِ الحقيقةِ ؛ كمَنْ يطلبُ الوجدَ بالتواجدِ[٣] ، وهوَ بمنزلةِ التباكي المندوبِ إليهِ[٤] .

وقولُ القائلِ : إنَّ هـٰذهِ الهيئةَ مِنَ الاجتماعِ بدعةٌ . . **يُقالُ لهُ : إنَّما البدعةُ المَحْذُورةُ الممنوعُ منها بِدْعةٌ تُزاحِمُ سنَّةً مأموراً بها ، وما لم يكنْ هـٰكذا فلا بأسَ بهِ .**

وهـٰذا كالقيامِ للداخلِ[٥] ؛ إذ لم يكنْ ، وكانَ مِنْ عادةِ العربِ تركُ ذلكَ ؛ حتىٰ نُقِلَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يدخلُ ولا يُقامُ لهُ[٦] ، وفي البلادِ التي فيها هـٰذا القيامُ عادتُهُم إذا اعتُمِدَ ذلكَ لتطييبِ القلوبِ والمُداراةِ[٧] . . **لا بأسَ بهِ** ؛ لأنَّ تركَهُ يُوحِشُ القلوبَ ويُوغِرُ

---

(١) أي : بإظهار الوجد بالزَّعْقة . من هامش (ح) .

(٢) أي : اعتقادٍ فيه من الناظرين إليه ؛ ليتردَّدوا ويجيئوا له بالهدايا . من هامش (ح) .

(٣) أي : بالموافقة مع الواجدين في الحركات ؛ اقتباساً من أنوار وَجْدهم ، واستئناساً بأحوالهم وذوقهم ؛ طلباً لحقيقة الوجد . من هامش (ح) .

(٤) أي : كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه (٤١٩٦) وغيره مرفوعاً عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « ابكُوا ، فإنْ لم تبكُوا فتباكَوا » .

(٥) علىٰ قوم ، وهـٰذا **بخلاف الاستقبال** ؛ فإنَّهُ مأمور به ؛ قال عليه الصلاة والسلام لجماعة من توابع سعد بن معاذ رضي الله عنه كانوا بحضرته وأُخبر بمجيء سعد بن معاذ : « قُومُوا لسيِّدِكُم » ؛ أي : مستقبلين ؛ فالقيامُ للدخول غيرُ القيام إلى الاستقبال . من هامش (ح) .

(٦) رواه الترمذي (٢٧٥٤) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٤٦) ، وأحمد (٣/١٣٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٠٩٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٧) **المرادُ من المُداراة** : المُداراة الدينيَّة . من هامش (ح) .

الصدورَ ، فيكونُ ذلكَ مِنْ قَبيلِ العِشْرةِ وحُسْنِ الصُّحْبةِ ، ويكونُ بدعةً لا بأسَ بها ؛ لأنَّها لا تُزاحِمُ سنَّةً مأمورةً[1] ، واللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ أعلمُ بالصوابِ .

* * *

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الثالث والعشرون

في القول في السماع رداً وإنكاراً[1]

قد ذَكَرْنا وجهَ صِحَّةِ السَّماعِ وما يَليقُ منهُ بأهلِ الصدقِ ، وحيثُ كَثُرَتِ الفتنةُ بطريقِهِ ، وزالتِ العِصْمةُ فيهِ ، وتصدَّىٰ للحِرْصِ عليهِ أقوامٌ قَلَّتْ أعمالُهُم ، وانفسدتْ أحوالُهُم ، وأَكْثَرُوا الاجتماعَ للسَّماعِ ، وربَّما يُتَّخَذُ للاجتماعِ طعامٌ تطلبُ النفوسُ الاجتماعَ لذلكَ ، لا رغبةً للقلوبِ في السَّماعِ كما كانَ مِنْ سِيَرِ الصادقينَ . . فيصيرُ السَّماعُ معلولاً تَركَنُ إليهِ النفوسُ ؛ طَلَباً للشهواتِ ، واستحلاءً لمواطنِ اللَّهْوِ والغَفَلاتِ ، وينقطعُ بذلكَ على المُريدِ

---

(١) قيل : كان الشيخ جمال الدين الخُوزِي مُغرىً ـ أي : مُولعاً ـ بالسماع ، فلمَّا وَقَفَ علىٰ هٰذا الباب . . كَتَبَ إلى الشيخ ـ أي : المؤلفِ السُّهْرُوَرْديِّ ـ هٰذه الأبياتَ : (من الكامل)

يـا مَـنْ حبـاهُ اللهُ صَفْـوَ وِدادِهِ	وأنـالَـهُ مِـنْ قُـرْبِـهِ مـأمـولَـهُ
ماذا النَّكيرُ على السَّماعِ لعاشقٍ	جَعَلَ السَّماعَ إلى الحبيبِ رسولَهُ
ولقـد علمـتَ بـأنَّ هٰـذا مـوقـفٌ	يشكو المُحِبُّ إلى الحبيبِ عَلِيلَهُ

فأجابه الشيخ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ :

إنِّـي لَأَعلـمُ مـا تقـولُ وأرتجـي	لـكَ قُـرْبَ مَـنْ تختـارُهُ ووصـولَـهُ
وأرى السَّمـاعَ مُحلَّـلاً لـكَ دائمـاً	لٰكِـنْ لغيـرِكَ لا أرىٰ تحليلَـهُ
يـا حبَّـذا قُـرْبُ الحبيـبِ ووَصْلُـهُ	لمُتيَّـمٍ أضحـىٰ لـديـهِ قتيلَـهُ

« حاشية زين الدين خوافي » قدَّس الله سرَّه العزيز . من هامش (ح) ، وانظر ما سيأتي تعليقاً عن الغزالي (١/٥١٨) .

الطالبِ طَلَبُ المَزيدِ ، ويكونُ بطريقِهِ تضييعُ الأوقاتِ[1] ، وقِلَّةُ الحظِّ مِنَ العباداتِ ، وتكونُ الرغبةُ في الاجتماعِ طَلَباً لتناولِ الشَّهْوةِ ، واستِرواحاً إلى الطَّرَبِ واللَّهْوِ والعِشْرةِ ، ولا يخفىٰ أنَّ هـٰذا الاجتماعَ مردودٌ عندَ أهلِ الصِّدْقِ .

وكانَ يُقالُ : (لا يَصِحُّ السَّماعُ إلا لعارفٍ مَكينٍ[2] ، ولا يصلُحُ لمُريدٍ مُبتدِئٍ)[3] .

وقالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (إذا رأيتَ المُريدَ يطلبُ السَّماعَ . . فاعلَمْ أنَّ فيهِ بَقِيَّةً مِنَ البَطالةِ)[4] .

وقيلَ : إنَّ الجنيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ تَرَكَ السَّماعَ ، فقيلَ لهُ : كنتَ تسمعُ !! فقالَ : معَ مَنْ ؟ قيلَ لهُ : تسمعُ أنتَ لنفسِكَ ، فقالَ : مِمَّنْ ؟[5] .

لأنَّهُم كانُوا لا يسمعُونَ إلَّا مِنْ أهلٍ معَ أهلٍ ، فلمَّا فُقِدَ الإخوانُ تَرَكُوا ،

---

(١) قوله : (بطريقه) ؛ أي : بطريق السَّماع .

(٢) أي : مُتمكِّن من إصلاح حاله ورفعِ خَطَرات نفسه في سماعه . من هامش (ح) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٩٥) ، وفي هامش (ح) عند قوله : (مبتدئ) : (لا يعرف حال النفس ، ولا يدري ما البسطُ من القلب والنشاط من الطبع ، ولا يُفرِّق بينهما) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٣٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٨٨) ، وأورده أيضاً في (ص١٤٣) عن أبي حفص الحداد رحمه الله تعالىٰ ، وقولُهُ : (فاعلم أنَّ فيه بقيةً من البطالة) في هامش (ح) : (وليس دائمَ الاشتغال باللهِ ، فيطلب استراحة النفس بالنَّغَمات والألحان ، وربَّما يدخل في أثناء ذلك الشيطان ، ويُلبِّس عليه الوجدان) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ١٠٩٥) ، وقوله : (ممَّن) ؛ أي : ممَّن أسمع السماع . من هامش (ح) ، وفي هامش (ي) نقلاً عن « الرسالة القشيرية » : (حُكي عن الجنيد رحمه اللهُ أنَّهُ قال: السماعُ يحتاجُ إلى ثلاثة أشياءَ: الزمانِ ، والمكان ، والإخوان) .

فما اختارُوا السَّماعَ حيثُ اختارُوهُ إلا بشروطٍ وقيودٍ وآدابٍ ؛ يذكرُونَ بهِ الآخرةَ ، ويرغبُونَ بهِ في الجنَّةِ ، ويحذَرُونَ مِنَ النارِ ، ويزدادُ بهِ طَلَبُهُم ، وتَحسُنُ بهِ أحوالُهُم ، ويتَّفِقُ لهُم ذلكَ اتِّفاقاً في بعضِ الأحايينِ ، لا أنْ يجعلُوهُ دَأْباً ودَيْدَناً حتىٰ يتركُوا لأجلِهِ الأورادَ .

وقد نُقِلَ عن الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ في (كتابِ القضاءِ) : (الغناءُ لهوٌ مكروهٌ يُشبِهُ الباطلَ)[1] ، وقالَ : (مَنِ استكثَرَ منهُ فهوَ سفيهٌ تُرَدُّ شهادتُهُ)[2] .

واتَّفقَ أصحابُ الشافعيِّ : على أنَّ المرأةَ غيرَ المَحْرَمِ لا يجوزُ الاستماعُ إليها ، سواءٌ كانتْ حُرَّةً ، أو مملوكةً ، أو مكشوفةَ الوجهِ ، أو مِنْ وراءِ حِجابٍ[3] .

ونُقِلَ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ كانَ يكرهُ الطَّقْطَقَةَ بالقضيبِ[4] ، ويقولُ : (وضعَهُ الزَّنادقةُ ؛ ليُشغِلُوا بهِ عنِ القرآنِ)[5] ، وقالَ : (لا بأسَ بالقراءةِ بالألحانِ وتحسينِ الصوتِ بها بأيِّ وجهٍ كانَ)[6] .

---

(١) الأم (٧/ ٥١٨) .

(٢) الأم (٧/ ٥١٨) .

(٣) قال التاج السبكي في « الطبقات » (٨/ ٣٤١) : (قلت : والمشهورُ في المذهب المُصحَّح عندَ المُتأخِّرين : أنَّ الاستماعَ إلى الأجنبيّة مكروهٌ غيرُ مُحرَّم) ، وانظر « الرد علىٰ من يحب السماع » للقاضي أبي الطيب الطبري (ص٢٧) .

(٤) هو ضرب القصب بعضه ببعض ، ويكون مُركَّباً من أربع قَصَبات يجيء منه صوت وطقطقة ، والواضعون الأوَّلون هم الزنادقة ، وما في بعض الحواشي مِنْ أنَّ المراد ضربُ القصب على الجلود . . لا يناسب حال السماع . من هامش (ح) بتصرف .

(٥) انظر « الرد علىٰ من يحب السماع » (ص٢٨) .

(٦) الأم (٧/ ٥٢١) .

وعندَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إذا اشترىٰ جاريةً فوجدَها مُغنِّيةً . . فلهُ أنْ يَرُدَّها بهـٰذا العيبِ ، وهوَ مذهبُ سائرِ أهلِ المدينةِ[1] .

وهكذا مذهبُ الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ : سماعُ الغناءِ مِنَ الذنوبِ[2] .

وما أباحَهُ إلا نفرٌ قليلٌ مِنَ الفقهاءِ ، ومَنْ أباحَهُ مِنَ الفقهاءِ أيضاً لم يَرَ إعلانَهُ في المساجدِ والبِقاعِ الشريفةِ .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [لقمان : ٦] : قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (هوَ الغناءُ والاستماعُ إليهِ)[3] .

وقيلَ : قولُهُ : ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم : ٦١] ؛ أي : مُغنُّونَ ، روىٰ عكرمةُ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : هوَ الغِناءُ بلغةِ حِمْيرٍ ؛ يقولُ أهلُ اليمنِ : سَمَدَ فلانٌ : إذا غنَّىٰ[4] .

---

(١) ما عدا إبراهيمَ بنَ سعد الزهريَّ ؛ فإنَّهُ ما كان يُحدِّث حتىٰ يسمع الطلبة الغناء ، وكان ممَّن يُفتي بتحليله . انظر « الرد علىٰ من يحب السماع » (ص٣٠) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٦/٤٥٦) .

(٢) انظر « الرد علىٰ من يحب السماع » (ص٣١) ، ونقل الزَّبيدي في « الإتحاف » (٦/٤٦٣) عن أبي حنيفة ما يَدُلُّ علىٰ إباحته ، وقال : (وما ورد عنه بخلافه يُحمل على الغناء المقترنِ بشيء من الفُحْش ونحوه ؛ جمعاً بين القول والفعل) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢١٥٣٧) ، والحاكم (٢/٤١١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/٢٢٣) ، وروي عن غيره أيضاً . انظر « الدر المنثور » (٦/٥٠٥-٥٠٨) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/٥٥٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ »=

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤] في قولِ مُجاهِدٍ : هوَ الغِناءُ والمزاميرُ[١] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « كَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ نَاحَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَغَنَّىٰ »[٢] .

وروىٰ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صَوْتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ »[٣] .

= (١٠/ ٢٢٣) ، والبزار في « مسنده » (٤٧٢٤) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٥٩٤) عن عكرمة رحمه الله تعالىٰ من قوله .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٤٩٠) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٧١) .

(٢) قال في « الإتحاف » (٦/ ٥١٨) : (قال العراقي : لم أجد له أصلاً من حديث جابر ، وذكره صاحب « الفردوس » من حديث علي بن أبي طالب ، ولم يخرجه ولده في « مسنده » . انتهىٰ ، قلت : وكذا ذكر تلميذه الحافظ ابن حجر في « تخريج أحاديث الأذكار » عند قوله : وذكر أبو شجاع الديلمي في كتاب « الفردوس » عن علي رفعه : أنَّ أول من تغنَّىٰ وزمر وحدا إبليس . . ما لفظُهُ : ولم أقف له علىٰ أصل ، ولا ذكر له ولده أبو منصور في « مسنده » سنداً . انتهىٰ) .

(٣) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ١٣٨) ، والحاكم (٤/ ٤٠) ، ورواه الترمذي (١٠٠٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٢٥١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ٦٩) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه ، ورواه البزار في « مسنده » (٧٥١٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقولُه : (عند نعمة) ؛ أي : عند حادث فرح وسرور ، وفي النسخ ما عدا (أ ، ج) : (عند نغمة) بالمعجمة ، وبالإعجام ضبطها ابن الأثير في « النهاية » (١٠/ ٦٦٧٩) ، والمراد بالنغمة : الصوت ، وقال الصنعاني في « التنوير شرح الجامع الصغير » (٧/ ٩) : (« عند نِعْمة » : بالكسر والمهملة، وهو اللائق بقرينه ، ومَنْ قال : إنَّهُ بالمعجمة . . فقد أَبْعَدَ روايةً ودرايةً ، والمراد : الأصوات عند الأفراح) .

ورُوِيَ عن عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (ما تغنَّيتُ ، ولا تمنَّيتُ ، ولا مَسِسْتُ ذَكَري بيميني منذُ بايعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] .

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (الغِناءُ يُنبِتُ النِّفاقَ في القلبِ)[2] .

ورُوِيَ أنَّ ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما مَرَّ عليهِ قومٌ مُحرِمُونَ وفيهِم رجلٌ يتغنَّىٰ ، فقالَ : أَلَا لا سَمِعَ اللهُ لكُم ، أَلَا لا سَمِعَ اللهُ لكُم[3] .

ورُوِيَ أيضاً أنَّ إنساناً سَأَلَ القاسمَ بنَ محمَّدٍ عنِ الغناءِ ، فقالَ : أَنْهاكَ عنهُ وأكرهُهُ لكَ ، قالَ : أحرامٌ هوَ ؟ قالَ : انظُرْ يا بنَ أخي إذا مَيَّزَ اللهُ الحقَّ والباطلَ . . ففي أيِّهِما يجعلُ الغِناءَ ؟[4] .

وقالَ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ : (الغِناءُ رُقْيَةُ الزِّنىٰ)[5] .

---

(١) رواه ابن ماجه (٣١١) ، ورواه ضمن حديث طويل أبو يعلىٰ في « المسند » (٣٩٥٨) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤/ ٤٦٨).

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٢٣) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٣١) ، ورواه عنه مرفوعاً أبو داود (٤٩٢٧) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٤٦) مرفوعاً من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وانظر « البدر المنير » (٩/ ٦٣٣ـ٦٣٤) ، و« إحياء علوم الدين » (٤/ ٤٦٩ـ٤٧٠) .

(٣) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/ ٦٨) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٤٢) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤/ ٤٧٠) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٤٤) ، وفي (ب ، هـ ، و) : (تجعل) بدل (يجعل) ، ويجوز أن يضبط أيضاً : (يُجعَلُ الغناءُ) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٥٥) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٧٥٥) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤/ ٤٧١ـ٤٧٢) .

وعنِ الضَّحَّاكِ : (الغِناءُ مَفْسَدَةٌ للقلبِ ، مَسْخَطَةٌ للرَّبِّ)[1] .

وقالَ بعضُهُم : (إيَّاكُم والغِناءَ ؛ فإنَّهُ يزيدُ الشَّهْوةَ ، ويَهدِمُ المُرُوءةَ ، وإنَّهُ لَينوبُ عنِ الخَمْرِ ، ويفعلُ ما يفعلُ السُّكْرُ)[2] .

وهـٰذا الذي ذَكَرَهُ هـٰذا القائلُ صحيحٌ ؛ لأنَّ الطَّبْعَ الموزونَ يُفِيقُ بالغِناءِ والأوزانِ ، ويستحسنُ صاحبُ الطَّبْعِ عندَ السَّماعِ ما لم يكنْ يستحسنُهُ مِنَ الفَرْقَعَةِ بالأصابعِ والتصفيقِ والرَّقْصِ ، ويصدُرُ منهُ أفعالٌ تَدُلُّ علىٰ سَخافةِ العقلِ .

ورُوِيَ عنِ الحسنِ أنَّهُ قالَ : (ليسَ الدُّفُّ مِنْ سُنَّةِ المسلمينَ)[3] .

والذي نَقَلَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ سَمِعَ الشِّعْرَ . لا يَدُلُّ علىٰ إباحةِ الغِناءِ ؛ فإنَّ الشِّعْرَ كلامٌ منظومٌ وغيرَهُ كلامٌ منثورٌ ، فحَسَنُهُ حَسَنٌ وقبيحُهُ قبيحٌ ، وإنَّما يصيرُ غِناءً بالألحانِ .

وإنْ أَنْصَفَ المُنصِفُ وتفكَّرَ في اجتماعِ أهلِ هـٰذا الزمانِ ، وقُعودِ المُغنِّي بدُفِّهِ والمُشبِّبِ بِشَبَّابتِهِ ، وتصوَّرَ في نفسِهِ هل وَقَعَ مثلُ هـٰذا الجلوسِ والهيئةِ

---

(١) أورده ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص٢١٠) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٥٠) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٧٥٤) عن يزيد بن الوليد الناقص مخاطباً بني أمية ، وفي هامش (ح) : (يُفهَمُ من هـٰذه الأقوال : أنَّ الغناءَ المنهيَّ عنه : ما يكونُ مُشتمِلاً علىٰ ذكر النساء وأوصافِ أعضائها وحُسْنِها ؛ فإنها تُهيِّجُ النفس ، وبما يكونُ علىٰ طريقة أهل اللهو بما يعتادُهُ أهل الموسيقا ، وأمَّا تحسين الصوت بالأشعار ، بما يُهيِّجُ قلوبَ الأبرار بالنَّغمات الطيِّبة والترجيعات اللَّطيفة . . فليس من ذلك القبيل) انتهىٰ بتصرف يسير .

(٣) أورده ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص٢١٣) .

بحَضْرةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهلِ استحضرُوا قَوَّالاً وقَعَدُوا مُجتمعِينَ لاستماعِهِ . . لا شَكَّ بأنْ يُنكِرَ ذلكَ مِنْ حالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابِهِ ، ولو كانَ في ذلكَ فضيلةٌ تُطلَبُ . . ما أهملُوها .

فمَنْ يُشِيرُ بأنَّهُ فضيلةٌ تُطلَبُ ويُجتمَعُ لها . . لم يَحْظَ بذَوْقِ معرفةِ أحوالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والصَّحابةِ والتابعينَ ، ويَستروِحُ إلى استحسانِ بعضِ المُتأخِّرينَ ذلكَ[1] ، وكثيراً ما يَغلَطُ الناسُ في هٰذا ؛ كلَّما احتُجَّ عليهِم بالسلفِ الصالحينَ الماضِينَ يحتجُّونَ بالمُتأخِّرينَ ، وكانَ السلفُ أقربَ إلىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهَدْيُهُم أَشْبهَ بهَدْيِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكثيرٌ مِنَ الفقراءِ يتسمَّحُونَ عندَ قراءةِ القرآنِ بأشياءَ مِنْ غيرِ غَلَبةٍ .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عُروةَ بنِ الزُّبيرِ : قلتُ لجدَّتي أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُم : كيفَ كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يفعلُون إذا قُرِئَ عليهِمُ القرآنُ ؟ قالتْ : كانُوا كما وَصَفَهُمُ اللهُ تعالىٰ ؛ تدمعُ أعينُهُم ، وتَقشعِرُّ جلودُهُم ، قالَ : قلتُ : إنَّ أُناساً اليومَ إذا قُرِئَ عليهِمُ القرآنُ خرَّ أحدُهُم مَغْشِيّاً عليهِ ، قالتْ : أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ[2] .

ورُوِيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما مَرَّ برجلٍ مِنْ أهلِ العراقِ يتساقطُ ، قالَ : ما لهٰذا ؟ قالوا : إنَّهُ إذا قُرِئَ عليهِ القرآنُ وسَمِعَ ذِكْرَ اللهِ

---

(١) كالإمام الغزالي . من هامش (ح) ، وسيأتي تعليقاً تفصيل الغزالي في ذلك آخرَ الباب .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠١٦) ، وسعيد بن منصور في « سننه » (٩٥) ، والبيهقي في « الشعب » (١٩٠٠) .

تعالىٰ . . سقط ، فقال ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : **إنَّا لنخشى اللهَ وما نسقطُ** ، إنَّ الشيطانَ يدخلُ في جوفِ أحدِهم ، ما هٰكذا كانَ يصنعُ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

وذُكِرَ عندَ ابنِ سيرينَ الذينَ **يُصرَعُونَ إذا قُرِئَ القرآنُ** ، فقالَ : **بينَنا وبينَهُم** أنْ يُقعَدَ واحدٌ منهُم علىٰ ظَهْرِ بيتٍ باسطاً رجلَيهِ ، ثمَّ يُقرَأَ عليهِ القرآنُ مِنْ أوَّلِهِ إلىٰ آخرِهِ ، **فإنْ رمىٰ بنفسِهِ** فهوَ صادقٌ[2] .

وليسَ هٰذا القولُ إنكاراً منهُم على الإطلاقِ ؛ إذ يتَّفقُ ذلكَ لبعضِ الصادقينَ ، ولٰكنْ للتصنُّعِ المُتوهَّمِ في حَقِّ الأكثرينَ ، **وقد يكونُ ذلكَ مِنَ البعضِ** تصنُّعاً ورِياءً ، **ويكونُ مِنَ البعضِ** لقُصُورِ عِلْمٍ ومُخامَرةِ جهلٍ مَمْزُوجٍ بهوىً ، يُلِمُّ بأحدِهِم يسيرٌ مِنَ الوجدِ ، فيُتبِعُهُ بزياداتٍ يجهلُ أنَّ ذلكَ يَضُرُّ بدِينِهِ ، وقد لا يُجهلُ أنَّ ذلكَ مِنَ النَّفْسِ ، ولٰكنَّ النَّفْسَ تسترقُ السمعَ استراقاً خَفِيّاً يُخرِجُ الوجدَ عنِ الحدِّ الذي ينبغي أنْ يقفَ عليهِ ، **وهٰذا يُبايِنُ الصِّدْقَ**[3] .

نُقِلَ أنَّ موسىٰ عليهِ السلامُ وَعَظَ قومَهُ ، **فشَقَّ رجلٌ منهُم قميصَهُ** ، فقيلَ لموسىٰ عليهِ السلامُ : قُلْ لصاحبِ القميصِ : لا يَشُقُّ قميصَهُ ويشرحَ قلبَهُ[4] .

---

(1) رواه بتمامه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٣/ ٤٣ـ٤٤) ، ودون قوله : (إن الشيطان . . .) أحمد في « الزهد » (١٠٧٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣١٢) .

(2) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٣/ ٤٤ـ٤٥) .

(3) لأنَّ الصدق يقتضي أن يُرىٰ كما هو في الواقع . **من هامش** (ح) .

(4) رواه أحمد في « الزهد » (٤٤٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٩٠) ، والثعلبي في=

وأمَّا إذا انضافَ إلى السَّماعِ أنْ يُسمَعَ مِنَ الأَمْردِ . . فقد توجَّهتِ الفتنةُ ، وتعيَّنَ علىٰ أهلِ الدِّياناتِ إنكارُ ذلكَ .

قالَ بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ : (كانُوا يكرهُونَ النظرَ إلى الغلامِ الأَمردِ الجميلِ)[1] .

وقالَ عطاءٌ : (كلُّ نَظْرةٍ يَهْواها القلبُ فلا خيرَ فيها)[2] .

وقالَ بعضُ التابعينَ : (ما أنا أخوفَ على الشابِّ التائبِ مِنَ السَّبُعِ الضَّاري . . خَوْفي عليهِ مِنَ الغلامِ الأَمردِ يقعدُ إليهِ)[3] .

وقالَ بعضُ التابعينَ أيضاً : (اللُّوطِيَّةُ علىٰ ثلاثةِ أَصْنافٍ : صِنفٌ ينظُرُونَ ، وصِنْفٌ يُصافِحُونَ ، وصِنْفٌ يعملُونَ ذلكَ العَمَلَ)[4] .

فقد تعيَّنَ علىٰ طائفةِ الصُّوفيَّةِ الاجتنابُ مِنْ مثلِ هـٰذهِ الاجتماعاتِ ، واتِّقاءُ مواضعِ التُّهَمِ ؛ فإنَّ أمرَ الصُّوفيَّةِ صِدْقٌ كلُّهُ ، وجِدٌّ كُلُّهُ ؛ يقولُ

= « الكشف والبيان » (٢٣/ ٤٥ـ ٤٦) ، واللفظ فيها : (لا يشقُّ قميصه ليشرحَ لي عن قلبه) ، وفي بعض النسخ : (صدره) بدل (قلبه) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (١٣٢) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٥٠١٢) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٣٤٨) عن بقية عن الوضين بن عطاء عن بعض التابعين .

(٢) رواه وكيع في « الزهد » (٤٨٢) ، وهنَّاد في « الزهد » (٢/ ٦٥٠) ، ومن طريقه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٢٩٣) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (١٣٣) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٥٠١٣) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٠١٩) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٣٨١) عن أبي سهل رحمه الله تعالىٰ ، ورواه الديلمي في « الفردوس » (٣٤٢٥) مرفوعاً عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

بعضُهُم : (التصوُّفُ كلُّهُ جِدٌّ ، فلا تَخلِطُوهُ بشيءٍ مِنَ الهَزْلِ)[1] .

فهٰذهِ الآثارُ دَلَّتْ علىٰ اجتنابِ السَّماعِ ، وأَخْذِ الحَذَرِ منهُ ، والبابُ الأوَّلُ[2] بما فيهِ دَلَّ علىٰ جوازِهِ بشروطِهِ ، وتنزيهِهِ عنِ المَكارِهِ التي ذَكَرْناها ، وقد فَصَّلْنا القولَ ، وفَرَّقْنا بينَ القصائدِ والغِناءِ وغيرِ ذلكَ[3] .

وكانَ جماعةٌ مِنَ الصالحينَ لا يسمعُونَ ، ومعَ ذلكَ لا يُنكِرُونَ علىٰ مَنْ يسمعُ بنيَّةٍ حَسَنَةٍ ويُراعِي الأدبَ فيهِ[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٣٥٧) ، والقشيري في « رسالته » (ص١٩٨) عن أبي علي الرُّوذْباري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي : البابُ الأوَّل المعقود للسماع ؛ وهو الذي قبل هـٰذا ، لا الباب الأول من الكتاب .

(٣) انظر (١/ ٤٧٩) وما بعدها .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ السماع للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

قال الإمام الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٥٣٢_٥٣٣) في تحرير مسألة السماع : (فقد خَرَجَ من جملة التفصيل السابق : أنَّ السماعَ قد يكون حراماً محضاً ، وقد يكونُ مُباحاً ، وقد يكونُ مُستحباً ، وقد يكونُ مكروهاً .

أمَّا الحرام : فهو لأكثر الناس ؛ من الشُّبَّان ، ومَنْ غلبتْ عليهم شهوةُ الدنيا ، فلا يُحرِّكُ السماعُ منهم إلا ما هو الغالبُ علىٰ قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأمَّا المكروه : فهو لمَنْ لا يُنزِّلُهُ علىٰ صورة المخلوقين ، ولـٰكنَّهُ يتَّخذه عادة له في أكثر الأوقات علىٰ سبيل اللهو .

وأمَّا المباح : فهو لمَنْ لا حظَّ له منه إلا التلذُّذ بالصوت الحسن .

وأمَّا المستحبُّ : فهو لمَنْ غلب عليه حبُّ الله تعالىٰ ، ولم يُحرِّكَ السماعُ منه إلا الصفاتِ المحمودةَ) .

الباب الرابع والعشرون

في القول في السماع ترفعاً واستغناءً

اعلَمْ : أنَّ الوجدَ يُشعِرُ بسابقةِ فَقْدٍ ؛ فمَنْ لم يَفقِدْ لم يَجِدْ ، وإنَّما كانَ الفقدُ لمُزاحَمةِ وجودِ العَبْدِ بوجودِ صفاتِهِ وبقاياهُ ، فلو تمحَّضَ عبداً تمحَّضَ حُرّاً ، ومَنْ تمحَّضَ حُرّاً أَفْلَتَ مِنْ شَرَكِ الوَجْدِ[1] ، فشَرَكُ الوَجْدِ يصطادُ البقايا ، ووجودُ البقايا لتخلُّفِ شيءٍ مِنَ العطايا .

قالَ الحُصْريُّ رحمَهُ اللهُ : (ما أَدْوَنَ حالَ مَنْ يحتاجُ إلىٰ مُزعِجٍ يُزعِجُهُ !!)[2] .

فالوَجْدُ بالسَّماعِ في حَقِّ المُحِقِّ . . كالوَجْدِ بالسَّماعِ في حَقِّ المُبطِلِ ؛ مِنْ حيثُ النَّظَرُ إلى انزعاجِهِ ، وتأثُّرُ الباطنِ بهِ ، وظهورُ أَثَرِهِ على الظاهرِ ، وتغييرُهُ للعبدِ مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ .

وإنَّما يختلفُ الحالُ بينَ المُحِقِّ والمُبطِلِ : أنَّ المُبطِلَ يجدُ لوجودِ هَوَى

---

(١) بالوجود ؛ وهو عبارة عن غيبة وجود الواجد وفنائه عند غلبة نور الشهود . من هامش (ح) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٤٣٢) عن أبي عمرو الزجاجي رحمه الله تعالىٰ ، وزاد : (السَّماعُ من ضعف الحال ، ولو قَوِيَ لاستغنىٰ عن السَّماعِ والأوتار) ، وقوله : (ما أدونَ حالَ. . .) ؛ لأنَّ احتياجَهُ إلى المزعج لوجود المُزاحِمِ لدوام شهوده . من هامش (ح) .

النَّفْسِ ، والمُحِقَّ يجدُ لوجودِ إرادةِ القلبِ[1] ؛ ولهٰذا قيلَ : (السَّماعُ لا يُحدِثُ في القلبِ شيئاً ، وإنَّما يُحرِّكُ ما في القلبِ) .

فمَنْ مُتعلَّقُ باطنِهِ غيرُ اللهِ يُحرِّكُهُ السماعُ ، فيَجِدُ بالهوىٰ ، ومَنْ مُتعلَّقُ باطنِهِ مَحبَّةُ اللهِ يَجِدُ بالإرادةِ إرادةَ القلبِ .

فالمُبطِلُ محجوبٌ بحجابِ النَّفْسِ ، والمُحِقُّ محجوبٌ بحجابِ القلبِ ، وحجابُ النَّفْسِ حجابٌ أَرْضيٌّ ظُلْمانيٌّ ، وحجابُ القلبِ حجابٌ سَمَاويٌّ نُورانيٌّ .

ومَنْ لم يَفقِدْ بدوامِ التحقُّقِ بالشُّهودِ ، ولا يتعثَّرْ بأذيالِ الوجودِ . . لا يَجِدُ ولا يسمعُ ؛ ومِنْ هٰذهِ المُطالَعةِ قالَ بعضُهُم : (أنا رَدْمٌ كلُّهُ ؛ لا ينفذُ فيَّ قولٌ)[2] .

ومَرَّ مِمْشاذُ الدِّينَوَريُّ رحمَهُ اللهُ بقومٍ فيهِم قَوَّالٌ ، فلمَّا رَأَوْهُ أَمْسكُوا ،

---

(١) فوَجْدُ المُبطِلِ يجذبه إلى الخلق ، ووَجْدُ المُحِقِّ يجذبه إلىٰ جَناب الحقِّ ، وكلا الوجدَينِ ممزوجان ؛ ذاك بباطلٍ وهٰذا بحقٍّ . من هامش (ح) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٧٨) ، ومختصراً القشيريُّ في « الرسالة » (ص٢٤٠) ، وقولُهُ : (أنا رَدْمٌ كلُّهُ . . .) كذا رُسمت في جميع النسخ ، وضُبطت كذلك في غالبها ، وردمٌ ؛ أي : سَدٌّ بمعنىٰ مسدود ، والمعنىٰ : أنا مسدودٌ بجُمْلتي وكُلِّيَّتي عن أن أتأثَّر بسماعِ قوَّال ؛ لأنَّني غارقٌ في حضرة الحق ، وأفادنا أستاذُنا المُربِّي الدكتور ياسر القضماني عن بعض الأفغان أنَّ الجملة فارسية ، ولفظها هٰكذا : (نا آَ دَمْ كِلْ) ، والمعنىٰ : لم آتِ بأيِّ طينة أو تراب أو غبرة ، ثمَّ جاء بعد هٰذا ما يُبيِّنه بالعربية فقال : لا ينفذ فيَّ قولٌ ؛ أي : لا يسمع ولا يجد كما قال المؤلف قبلُ ، وإذا ضُمَّتِ الكاف من (كلْ) صار المعنىٰ : لم آتِ بأي زهرة ، ولعل ما أُثبِتَ أقربُ إلى الصواب والسياق ، خصوصاً أنَّ بعض النسخ التي عُلِّق علىٰ هامشها بالفارسي ضبطتها كذلك ، ولم تشر إلى الاحتمال الفارسي ، والله تعالىٰ أعلم .

فقالَ : ارجِعُوا إلىٰ ما كنتُم فيهِ ، فواللهِ ؛ **لو جُمِعَتْ مَلاهي الدنيا في أُذُني** . . ما شَغَلَ همِّي ، ولا شفىٰ بعضَ ما بي[1] .

فالوَجْدُ صُراخُ الرُّوحِ المُبتلىٰ **بالنَّفْسِ تارةً** في حَقِّ المُبطِلِ ، **وبالقلبِ تارةً** في حَقِّ المُحِقِّ ، **فمَثَارُ الوَجْدِ** الرُّوحُ الرُّوحانيُّ في حَقِّ المُحِقِّ والمُبطِلِ .

ويكونُ الوجدُ تارةً مِنْ فَهْمِ المعاني يظهرُ ، **وتارةً مِنْ مُجرَّدِ** النَّغَماتِ والألحانِ .

فما كانَ مِنْ قَبيلِ المعاني يُشارِكُ النَّفْسُ الرُّوحَ في السَّماعِ في حَقِّ المُبطِلِ ، ويُشارِكُ القلبُ الرُّوحَ في حَقِّ المُحِقِّ .

وما كانَ مِنْ قَبيلِ مُجرَّدِ النَّغَماتِ تتجرَّدُ الرُّوحُ للسَّماعِ ، ولٰكن في حَقِّ المُبطِلِ تسترقُ النَّفْسُ السمعَ ، وفي حَقِّ المُحِقِّ يسترقُ القلبُ السمعَ .

ووَجْهُ استلذاذِ الرُّوحِ النَّغَماتِ : أنَّ العالَمَ الرُّوحانيَّ مَجْمَعُ الحُسْنِ والجمالِ ، ووجودُ التناسُبِ في الأكوانِ مُستحسَنٌ قولاً وفعلاً ، ووجودُ التناسُبِ في الهياكلِ والصُّوَرِ ميراثُ الرُّوحانيَّةِ ، **فمتىٰ سَمعَ الرُّوحُ النَّغَماتِ اللذيذةَ ، والألحانَ المُتناسِبةَ** . . تأثَّرَ بهِ ؛ لوجودِ الجِنْسيَّةِ ، ثمَّ يتقيَّدُ ذلكَ بالشرعِ لمصالحِ عالَمِ الحِكْمةِ ، **ورعايةُ الحدودِ للعبدِ عينُ المصلحةِ عاجِلاً وآجِلاً**[2] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٦٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٩٤) ، وفي (ح) : (ولا سَفَىٰ) بدل (ولا شفىٰ) ، وكتب علىٰ هامشها : (سَفَتِ الريحُ الترابَ تَسْفيهِ سَفْياً : إذا أَذْرته تذرية . « صحاح ») ، **وهو بعيد** ، والأقربُ ما أثبت ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) **أمَّا عاجلاً** : فللخلاص من المزاجر الشرعيَّة والآلام اللائمة ، **وأمَّا آجلاً** : فلتهيُّؤ الجوابِ=

وَوَجْهٌ آخَرُ : أنَّهُ إنَّما يستلذُّ الروحُ النَّغَماتِ ؛ لأنَّ النَّغَماتِ بها نَطَقَ النَّفْسُ معَ الرُّوحِ بالإيماءِ الخَفِيِّ إشارةً ورَمْزاً بينَ المُتعاشِقَينِ ، وبينَ النُّفُوسِ والأرواحِ تَعَاشُقٌ أصليٌّ ، ينزعُ ذلكَ إلىٰ أُنوثةِ النَّفْسِ وذُكُورةِ الرُّوحِ ، والميلُ والتعاشُقُ بينَ الذكرِ والأُنثىٰ بالطَّبيعةِ واقعٌ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، وفي قولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ مِنْهَا ﴾ إشعارٌ بتلازمٍ وتلاصقٍ موُجِبٍ للائتلافِ والتَّعَاشُقِ .

فالنَّغَماتُ يستلذُّها الرُّوحُ(١) ؛ لأنَّها مُناغاةٌ بينَ المُتعاشِقَينِ(٢) .

وكما أنَّ في عالَمِ الحِكْمةِ كُوِّنتْ حوَّاءُ مِنْ آدمَ عليهِما السلامُ . . ففي عالَمِ القُدْرةِ كُوِّنَتِ النَّفْسُ مِنَ الرُّوحِ ، فهٰذا التآلُفُ مِنْ هٰذا الأصلِ ؛ وذلكَ أنَّ النَّفْسَ رُوحٌ حَيَوانيٌّ تجنَّستْ بالقُرْبِ مِنَ الرُّوحِ الرُّوحانيِّ ، وتَجَنُّسُها بأنِ امتازتْ مِنْ أرواحِ جنسِ الحيوانِ بشرفِ القُرْبِ مِنَ الرُّوحِ الرُّوحانيِّ ، فصارَتْ نَفْساً .

فإذاً : تكَوُّنُ النَّفْسِ مِنَ الرُّوحِ الرُّوحانيِّ في عالَمِ القُدْرةِ . . كتكوُّنِ حَوَّاءَ مِنْ آدمَ في عالَمِ الحِكْمةِ .

فهٰذا التآلُفُ والتعاشُقُ ، ونِسْبةُ الأُنوثةِ والذُّكورةِ . . مِنْ ها هنا ظَهَرَ ، وبهٰذا الطريقِ استطابَ الرُّوحُ النَّغَماتِ ؛ لأنَّها مُراسلاتٌ بينَ المُتعاشِقَينِ ،

= وقتَ السؤالِ يومَ العَرْض ؛ فإنَّ السؤالَ هناك علىٰ قانون الحكمة ؛ يُقال : لِمَ فعلتَ ؟ وكيف فعلتَ ؟ ولمَنْ فعلتَ ؟ [ومَنْ] لم يتقيَّد بالشرع لا يتخلَّص . من هامش (ح) .

(١) لفظ (الرُّوح) مُذكَّر ، وبعضُهُم أجاز فيه التأنيثَ والتذكير .

(٢) والمعشوقةُ إذا تكلَّمت بما يزدادُ به عِشْقُ العاشق رَمْزاً أو إيماءً . . لا شكَّ أنَّهُ يستلذُّ كلامَها ، والمُناغاةُ : المُغازلةُ ، والمرأةُ تُناغي الصبيَّ ؛ أي : تُكلِّمُهُ بما يُعجبُهُ ويَسُرُّهُ . « صحاح » . من هامش (ح) .

ومُكالَمةٌ بينَهُما ، وقد قالَ القائلُ[1] : [من الطويل]

تَكَلَّمُ مِنَّا فِي ٱلْوُجُوهِ عُيُونُنَا فَنَحْـنُ سُكُـوتٌ وَٱلْهَـوَىٰ يَتَكَلَّـمُ

فإذا استلذَّ الرُّوحُ النغمةَ وَجدَتِ النَّفْسُ المعلولةُ بالهوىٰ ، وتحرَّكَتْ بما فيها لحدوثِ العارضِ ، ووَجَدَ القلبُ المعلولُ بالإرادةِ ، وتحرَّكَ ما فيهِ لوجودِ العارضِ في الروحِ .

شَرِبْنَا وَأَهْرَقْنَا عَلَى ٱلْأَرْضِ فَضْلَنَا وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ ٱلْكِرَامِ نَصِيبُ[2]

فنَفْسُ المُبطِلِ أرضٌ لسماءِ قلبِهِ ، وقلبُ المُحِقِّ أرضٌ لسماءِ روحِهِ .

فالبالغُ مَبْلَغَ الرجالِ ، والمُتجوهِرُ المُتجرِّدُ مِنْ أَعْراضِ الأحوالِ[3] . . خَلَعَ نَعْلَيِ النَّفْسِ والقلبِ بالوادي المُقدَّسِ[4] ، وفي مَقْعَدِ صِدْقٍ عندَ مَليكٍ مُقتدِرٍ استقرَّ وعَرَّسَ ، وأَحْرقَ بنورِ العِيانِ أَجْرامَ الألحانِ ، ولم يُصْغِ روحُهُ إلىٰ مُناغاةِ عاشقِهِ ؛ لشُغْلِهِ بمُطالَعةِ آثارِ محبوبِهِ ، والهائمُ المُشتاقُ ، لا يَسعُهُ كشفُ ظُلامةِ العُشَّاقِ .

ومَنْ هٰذا حالُهُ لا يُحرِّكُهُ السَّماعُ رأساً .

وإذا كانتِ الألحانُ لا تلحقُ هٰذا الرُّوحَ معَ لَطَافةِ مُناجاتِها ، وخَفِيِّ لُطْفِ مُناغاتِها . . كيفَ يلحقُهُ السَّماعُ بطريقِ فَهْمِ المعاني وهوَ أكثفُ ؟! ومَنْ

---

(١) البيت للعباس بن الأحنف في « ديوانه » (ص٢٤٣) .

(٢) أورده أبو حيَّان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (١/ ١٢١) ، وهو من الطويل .

(٣) قوله : (والمُتجوهِر) ؛ أي : الذي صار جوهراً مُجرَّداً عن موارد المُمكِنات ، مُنوَّراً بأنوار تجلِّيات الواجب ، مُنزَّهاً عن أَعراض العوارض وتقلُّباتِ الأحوال . من هامش (ح) .

(٤) كنايةٌ عن الوصول إلىٰ حضرة القدس . من هامش (ح) .

يَضعُفُ عن حَمْلِ لطيفِ الإشاراتِ . . كيفَ يتحمَّلُ ثِقَلَ أعباءِ العباراتِ ؟!

وأقربُ مِنْ هٰذا عبارةٌ تَقرُبُ إلى الأفهامِ : الوجدُ واردٌ يَرِدُ مِنَ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، ومَنْ يُريدُ اللهَ لا يقنعُ بما مِنْ عندِ اللهِ ، ومَنْ صارَ في مَحَلِّ القُرْبِ مُتحقِّقاً بهِ . . لا يُلهيهِ ولا يُحرِّكُهُ ما مِنْ عندِ اللهِ .

فالواردُ مِنْ عندِ اللهِ مُشعِرٌ ببُعْدٍ ، والقريبُ واجدٌ فما يصنعُ بالواردِ ؟!

والوجدُ نارٌ ، وللقلبِ الواجدِ بربِّهِ نُورٌ ، والنُّورُ ألطفُ مِنَ النارِ ، والكثيفُ غيرُ مُسيطِرٍ على اللطيفِ .

فما دامَ الرجلُ البالغُ مُستمِرّاً علىٰ جادَّةِ استقامتِهِ ، غيرَ مُنحرِفٍ عن وُجْهةِ معهودِهِ بنوازعِ وجودِهِ . . لا يُدرِكُهُ الوَجْدُ بالسَّماعِ ، فإنْ دَخَلَ عليهِ فتورٌ أو عاقَهُ قصورٌ بدخولِ الابتلاءِ عليهِ مِنَ المُبلِي المُحسِنِ . . يتألَّفُ[1] مِنْ تفاريقِ صُوَرِ الابتلاءِ وجودٌ يُدرِكُهُ الوَجْدُ لعودِ العبدِ عندَ الابتلاءِ إلىٰ حجابِ القلبِ ، فمَنْ هوَ معَ الحقِّ إذا زلَّ وَقَعَ على القلبِ ، ومَنْ هوَ معَ القلبِ إذا زلَّ وَقَعَ على النَّفْسِ .

سمعتُ بعضَ المشايخِ يَحْكي عن بعضِهِم أنَّهُ وَجَدَ مِنَ السَّماعِ ، فقيلَ لهُ : أينَ حالُكَ مِنْ هٰذا ؟ فقالَ : دَخَلَ عليَّ داخلٌ أَوْردَني هٰذا المَورِدَ .

وقالَ بعضُ أصحابِ سَهْلٍ : صحبتُ سهلاً سنينَ ما رأيتُهُ تغيَّرَ عندَ شيءٍ كانَ يسمعُهُ مِنَ الذِّكْرِ والقرآنِ ، فلمَّا كانَ في آخرِ عُمُرِهِ قُرِئَ عندَهُ : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ [الحديد : ١٥] ، فارتعدَ وكادَ يسقطُ ، فسألتُهُ عن

---

(١) في (هـ) : (يتولَّد) بدل (يتألف) .

ذلكَ ، قالَ : نعم ، لَحِقَني ضَعْفٌ[1] .

وسَمِعَ مرَّةً قَولَهُ تعالىٰ : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان : ٢٦] ، فاضطربَ ، فسألَهُ ابنُ سالمٍ وكانَ صاحبَهُ ، قالَ : قد ضَعُفْتُ ، فقيلَ لهُ : إنْ كانَ هٰذا مِنَ الضعفِ فما القُوَّةُ ؟ قالَ : القُوَّةُ أَلَّا يَرِدَ عليهِ واردٌ إلا يبتلعُهُ بقُوَّةِ حالِهِ ، فلا يُغيِّرُهُ الواردُ[2] .

ومِنْ هٰذا القَبيلِ : قولُ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (هكذا كُنَّا حتىٰ قَسَتِ القلوبُ) ؛ لمَّا رأى الباكيَ يبكي عندَ قراءةِ القرآنِ[3] .

وقولُهُ : (قَسَتْ) ؛ أي : تصلَّبتْ وأَدْمَنتْ سماعَ القرآنِ ، وأَلِفتْ أنوارَهُ ، فما استغربَتْهُ حتىٰ تتغيَّرَ[4] ، والواجدُ كالمُستغرِبِ ؛ ولهٰذا قالَ بعضُهُم : (حالي قبلَ الصَّلاةِ كحالي في الصَّلاةِ) إشارةً منهُ : إلى استمرارِ حالِ الشُّهودِ ؛ فهكذا في السَّماعِ كقَبْلِ السَّماعِ .

---

(١) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٦٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٩٣) ، وأورده الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٥٢٤) عن محمد بن أحمد ابن سالم البصري عن أبيه أحمد ، وكان من أجلِّ تلاميذ التستري رحمهما الله تعالىٰ ، وفي « اللمع » و« الرسالة » : (خدمت) بدل (صحبت) ، وفي « اللمع » و« الإحياء » : (ستين سنة) بدل (سنين) ، وفي « الرسالة » : (سنين كثيرة) .

(٢) أورده بتمامه الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٥٢٥) ، ورواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٦٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٦٩٣) دون قوله : (فقيل له . . .) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٦٧٣)، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٣ـ٣٤)، والثعلبي في « الكشف والبيان » (١١/ ٤٦٤ـ٤٦٥) .

(٤) وفي هامش (ح) : (عبَّر عن تمكُّنِ القلب بالاعتبار بقوله : « قَسَتْ » ، ولم يقل : « تمكَّنت » ؛ ستراً واحترازاً عن التزكية) .

وقد قالَ الجُنيدُ : (لا يَضُرُّ نقصانُ الوَجْدِ معَ فَضْلِ العِلْمِ ، وفَضْلُ العِلْمِ أتمُّ مِنْ فضلِ الوَجْدِ)[1] .

وبَلَغَنا عنِ الشيخِ حمَّادٍ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ كانَ يقولُ[2] : (البكاءُ مِنْ بقيَّةِ الوجودِ)[3] .

وكلُّ هـٰذا يُقرِّبُ البعضَ مِنَ البعضِ في المعنىٰ لمَنْ عَرَفَ الإشارةَ فيهِ وفَهِمَ ، وهوَ عزيزُ الفهمِ ، عزيزُ الوجودِ .

واعلَمْ : أنَّ للباكينَ عندَ السماعِ مواجيدَ مُختلفةً ؛ فمنهُم مَنْ يبكي خَوْفاً ، ومنهُم مَنْ يبكي شَوْقاً ، ومنهُم مَنْ يبكي فَرَحاً ؛ كما قالَ القائلُ[4] : [من الكامل]

طَفَحَ ٱلسُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّىٰ أَنَّنِي ... مِنْ عُظْمِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

قالَ أبو بكرٍ الكَتَّانيُّ رحمَهُ اللهُ : (سماعُ العوامِّ علىٰ مُتابعةِ الطَّبْعِ ،

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٨١) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٥٢٥) ، وقولُه : (أتمُّ من فضل الوجد) في هامش (ح) : (مع أنَّ فضلَ العلم يوزن بوجودٍ ما ، لـٰكنَّ ذلك الوجود ليس وجوداً ظلمانياً يزاحم مجرَّد الشهود ، بل يزاحم صفو الشهود) .

(٢) هو الشيخ العارف حمّاد الدبّاس شيخ الإمام المُربِّي أبي النجيب السهروردي . انظر (١/ ٤٤٦) تعليقاً .

(٣) لأنَّهُ من فقد الشهود . من هامش (ح) .

(٤) أورده السهيلي في « الروض الأنف » (٤/ ١٣٢) عن بعض المحدثين ، وقبله :

وردَ الكتابُ مِنَ الحبيبِ بأنَّهُ ... سيزورُني فاستعبرَتْ أَجْفاني

وبعده :

يا عينُ صارَ الدمعُ عندَكِ عادةً ... تبكينَ في فَرَحٍ وفي أَحْزانِ

وطَفَحَ : امتلأ حتىٰ فاض .

وسماعُ المُريدينَ رَغْبةٌ ورَهْبةٌ ، وسماعُ الأولياءِ رؤيةُ الآلاءِ والنِّعَمِ[1] ، وسماعُ العارفينَ على المُشاهَدةِ ، وسماعُ أهلِ الحقيقةِ على الكشفِ والعِيانِ ، ولكلِّ واحدٍ مِنْ هٰؤلاءِ مصدرٌ ومقامٌ)[2] .

وقال أيضاً : (الواردُ يَرِدُ فيُصادِفُ شَكْلاً أو مُوافقةً ؛ فأيُّ واردٍ صادفَ شَكْلاً مازجَهُ ، وأيُّ واردٍ صادفَ مُوافِقاً ساكنَهُ)[3] .

وهٰذهِ كلُّها[4] مواجيدُ أهلِ السَّماعِ ، وما ذَكَرْناهُ حالُ مَنِ ارتفعَ مِنَ السَّماعِ .

وهٰذا الاختلافُ يُنزَّلُ على اختلافِ أقسامِ البكاءِ الذي ذَكَرْناهُ ؛ مِنَ الخوفِ والشوقِ والفَرَحِ[5] ، وأَعْلاها بكاءُ الفَرَحِ ؛ بمثابةِ قادمٍ يَقدَمُ علىٰ أهلِه بعدَ طُولِ غُرْبتِهِ ؛ فعندَ رؤيةِ الأهلِ يبكي مِنْ قُوَّةِ الفرَحِ وكثرتِهِ .

وفي البكاءِ رُتْبةٌ أخرىٰ أَعَزُّ مِنْ هٰذهِ ، يَعِزُّ ذِكْرُها ، ويَكبُرُ نَشْرُها ؛

---

(١) في (ب ، ج ، و ، ح) : (والنعماء) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٣٧٥) ، وقوله : (مصدر ومقام) فمصدرُ سماع العوامِّ : الطبعُ والنَّفْس ، ومصدرُ سماع المريدين : القلبُ الممزوج بالنفس ، ومصدرُ سماع الأولياء : القلب المُخلَّص عن النفس المقترن بالعقل ، ومصدرُ سماع أهل الحقيقة : السِّرُّ المُصفَّىٰ عن الأكوان ، المُنوَّر بنور العِيان . من هامش (ح) .

(٣) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٣٧٥) ، وقولُهُ : (ساكنه) : فيُعلم من هٰذا : سِرُّ سكون الأكابر في حالة السماع ، ولم يكن مُزعِجاً له ومُحرِّكاً له ، وقولُهُ : (مازجه) ؛ أي: مازج الوارد ذلك الشكل الحادث ، فلم يبق الوارد علىٰ حَرَافته ؛ بسبب الممازجة ، وذلك الشكل لا يناسبُهُ ولا يوافقه فيكونَ مُزعِجاً له ومُحرِّكاً . من هامش (ح) .

(٤) أي : المذكورات من قول الكتَّاني وما قبله . من هامش (ح) .

(٥) الفرق بين الشوق والفرح : [أنَّ] الشوقَ يُستعمل فيما يُرجىٰ وقوعُهُ ، والفرحَ يُستعمل فيما تحقَّق وقوعه . « كشف » . من هامش (ح) .

لقُصُورِ الأفهامِ عن إدراكِها ؛ فربَّما يُقابَلُ ذكرُها بالإنكارِ ، ويُجفىٰ بالاستكبارِ[1] ، ولٰكن يعرفُها مَنْ وَجَدَها قَدَماً ووُصُولاً ، أو فَهِمَها نَظَراً ومُثُولاً ؛ وهوَ بكاءُ الوِجْدانِ ، غيرُ بكاءِ الفرحِ ، وحدوثُ ذلكَ في بعضِ مواطنِ حَقِّ اليقينِ .

ومِنْ حقِّ اليقينِ في الدُّنيا إلماماتٌ يسيرةٌ ، فيُوجَدُ البكاءُ في بعضِ مواطنِهِ ؛ لوجودِ تغايرٍ وتباينٍ بينَ المُحدَثِ والقديمِ ، فيكونُ البكاءُ رَشْحاً هوَ وصفُ الحَدَثانِ ؛ لوَهَجِ سَطْوةِ عَظَمةِ الرحمٰنِ[2] ، **ويَقرُبُ مِنْ ذلكَ مثلاً في الشاهدِ** : قَطْرُ الغَمامِ ، بتَلَاقي مُختلِفِ الأجرامِ[3] ، **وهٰذا وإنْ عَزَّ مُشعِرٌ ببقيَّةٍ تقدحُ في صِرْفِ الفَناءِ** .

نعم ؛ قد يتحقَّقُ العبدُ في الفناءِ مُتجرِّداً عنِ الآثارِ[4] ، مُنغمِساً في الأنوارِ[5] ، ثمَّ يرقىٰ منهُ إلىٰ مقامِ البقاءِ[6] ، ويُرَدُّ إليهِ الوجودُ مُطهَّراً[7] ،

---

(1) **يُجفىٰ** : يُعرض عنه ويُطرح ، وفي (هـ) ونسخة علىٰ هامش (د) : (ويخفىٰ) ، وفي هامش (ب) : (بلغ سماعاً وقراءة ونفعاً على الشيخ جلال الدين ، نفعنا الله به آمين ، كتبه الفقير عبد السلام) .

(2) **الوَهَج في الأصل** : حرُّ النار .

(3) إذا تلاقتِ الأجرامُ الحارَّةُ مع الأجرام الباردةِ وتصادَمَتا . . يقعُ القطرُ والمطر ؛ فهٰذا مثالٌ لما يَرِدُ من الواردات الحارَّة من وَهَج سَطْوة العَظَمة الإلٰهيَّة ، علىٰ بقايا وجود الرُّوحانيَّة الإنسانيَّة ، التي هي باردةٌ بالنسبة إليها ، فيقعُ الدمعُ والبكاء . من هامش (ح) .

(4) أي : آثار الصفات ؛ وهي الأفعال . **من هامش (ح)** .

(5) أي : أنوار الصفات . **من هامش (ح)** .

(6) باستكمال الفناء في التجلِّيات الصفاتيَّة والذاتيَّة . من هامش (ح) .

(7) أي : عن دَنَس البشريَّة . **من هامش (ح)** .

فتعودُ إليهِ أقسامُ البكاءِ ؛ خَوْفاً وشَوْقاً ، وفَرَحاً ووِجْداناً ، بمُشاكَلةِ صُوَرِها ، ومُبايَنةِ حقيقتِها ؛ بفرقٍ لطيفٍ يُدرِكُهُ أربابُهُ[1] ، وعندَ ذلكَ يعودُ عليهِ مِنَ السَّماعِ أيضاً قِسْمٌ ، وذلكَ القِسْمُ مقدورٌ لهُ ، مقهورٌ معَهُ ، يأخذُهُ إذا أرادَ ، ويَرُدُّهُ إذا أرادَ .

ويكونُ هـٰذا السَّماعُ مِنَ المُتمكِّنِ بنَفْسٍ اطمأنَّتْ واستنارتْ ، وباينتْ طبيعتَها ، واكتسبتْ طُمَأنينتَها[2] ، وأَكْسَبَها الرُّوحُ معنىً منهُ ، فيكونُ سماعُهُ نوعَ تمتُّعٍ للنَّفْسِ ؛ كتمتُّعِها بمُباحاتِ اللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ ، لا أنْ يأخذَ السَّماعُ منهُ أو يزيدَ بهِ ، أو يظهرَ عليهِ منهُ أثَرٌ ، وتكونُ النَّفْسُ في ذلكَ بمثابةِ الطِّفْلِ في حِجْرِ الوالدِ ؛ يُفرِّحُهُ في بعضِ أوقاتِهِ ببعضِ مآربِهِ .

ومِنْ هـٰذا القَبيلِ : نُقِلَ أنَّ أبا محمَّدٍ الرَّاشِنيَّ كانَ يَشغَلُ أصحابَهُ بالسَّماعِ[3] ، وينعزلُ عنهُم ناحيةً يُصلِّي فيها ؛ فقد تطرُقُ النَّغَماتُ مثلَ هـٰذا

---

(١) وهو أنَّ قبلَ التحقُّق بالفناء وحصولِ البقاء . . كان أقسامُ البكاء لمزاحمة الوجود ووقوع الحجاب ، وبعدَهُ لا يكونُ كذلك ، بل يكونُ في حال زوال الحجاب ، ولـٰكنَّ الوجودَ الموهوبَ له يقتضي مُعايناً آخرَ فوق ما حصل أوّلاً ، فيعودُ إليه من النهاية حالاتُ البداية ، كما قال سيِّد الطائفة قدَّس الله روحه وقد سُئِلَ ما نهاية هـٰذا الأمر ؟ قال : النهاية الرجوع إلى البداية ، ومن هنا يُعلَمُ : أنَّ الترقِّيات التي حَصَلتْ للنبي عليه الصلاة والسلام في مقام الرسالة والنبوّة فوق الترقِّيات التي حصلت قبلها ، ويُفهَم أيضاً : أن النبوَّة أعلىٰ من الولاية . « حاشية زين الدين الخوافي » قدَّس الله سرَّهُ العزيز . من هامش (ح) .

(٢) في (أ ، ج ، ز) : (واكتست) بدل (واكتسبت) .

(٣) الرَّاشِني : هو الإمامُ القدوة عبد الله بن محمد (ت ٣٦٧هـ) ، من تلامذة أبي محمد الجُريري ، ومن شيوخ السلمي ، وضُبِط في « طبقات الصوفية » (ص٥١٣) : (الراسبي) بالمهملة ثم الموحدة، والصواب المثبت، كما في « تبصير المنتبه » (٢/ ٦١٩) .

المُصلِّي ، وتتدلَّىٰ إليها النَّفْسُ مُتنعِّمةً بذلكَ ، فيزدادُ مَوارِدُ الرُّوحِ مِنَ الأُنْسِ صفاءً عندَ ذلكَ ؛ لبُعْدِ النَّفْسِ عنِ الرُّوحِ في تمتُّعِها ؛ فإنَّها معَ ظُمَأْنينتِها بوَصْفٍ مِنَ الأجنبيَّةِ بوَضْعِها وجِبِلَّتِها[1] ، وفي بُعْدِها تَوَفُّرُ أقسامِ الرُّوحِ مِنَ الفُتُوحِ ، ويكونُ طُرُوقُ الألحانِ سمعَهُ في الصلاةِ غيرَ حائلةٍ بينَهُ وبينَ حقيقةِ المُناجاةِ[2] ، وفَهْمِ تنزيلِ الكلماتِ ، وتَصِلُ الأقسامُ إلىٰ مَحالِّها غيرَ مُزاحِمةٍ ولا مُزاحَمةٍ ، وذلكَ كلُّهُ لسَعَةِ شَرْحِ الصَّدرِ بالإيمانِ ، واللهُ المُحسِنُ المَنَّانُ .

ولهٰذا قيلَ : (السَّماعُ لقومٍ كالدَّواءِ ، ولقومٍ كالغِذاءِ ، ولقومٍ كالمِرْوحةِ) .

ومِنْ عَوْدِ أقسامِ البكاءِ : ما رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لأُبَيٍّ : « ٱقْرَأْ » ، فقالَ : أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ ؟! فقالَ : « أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » ، فافتتحَ سورةَ (النساء) حتىٰ بَلَغَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] ، فإذا عيناهُ تهمِلانِ[3] .

---

(١) لأنَّ ظلمانيَّتَها أصليّة ، ونورانيَّتَها عارضة . من هامش (ح) .

(٢) في بعض النسخ : (مُحيلة) بدل (حائلة) .

(٣) رواه البخاري (٤٥٨٣) ، ومسلم (٨٠٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقولُهُ : (قال لأُبَيٍّ) كذا في جميع النسخ ، والمعروف بهٰذا السياق : أنَّهُ قاله صلَّى الله عليه وسلَّم لابن مسعود رضي الله عنه ، والمعروف من قصة أُبيٍّ : ما رواه البخاري (٣٨٠٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم لأُبيٍّ : « إنَّ اللهَ أَمَرَني أنْ أقرأَ عليكَ : (لم يكنِ الذينَ كفروا مِنْ أهلِ الكتابِ) » ، قال : وسمَّاني ؟ قالَ : « نعم » ، فبكىٰ .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ استقبلَ الحَجَرَ واستلمَهُ ، ثمَّ وَضَعَ شفتَيهِ عليهِ طويلاً يبكي وقالَ : « يَا عُمَرُ ؛ هَا هُنَا تُسْكَبُ ٱلْعَبَرَاتُ »[1] .

والمُتمكِّنُ يعودُ إليهِ أقسامُ البكاءِ ، وفي ذلكَ فضيلةٌ سألَها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱرْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ »[2] .

ويكونُ البكاءُ في اللهِ[3] ، ويكونُ للهِ[4] ، ويكونُ باللهِ[5] ، وهوَ الأتمُّ ؛ لعَوْدِهِ إليهِ بوجودٍ مُستأنَفٍ موهوبٍ لهُ مِنَ الكريمِ المَنَّانِ في مقامِ البقاءِ ، واللهُ المُوفِّقُ[6] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٩٤٥) ، وابن خزيمة (٢٧١٢) ، والحاكم (١/ ٤٥٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبراني في « الدعاء » (١٤٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٩٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٤) ، و« صفة النار » (٢٢٠) مرسلاً عن سالم بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ ، وقال العراقي في « المغني » (٣٨٦٥) : (وذكر الدارقطني في « العلل » أنَّ من قال فيه : « عن أبيه » وَهِمَ ، وإنَّما هو عن سالم بن عبد الله مرسلاً ، قال : وسالمٌ هٰذا : يُشبِهُ أن يكون سالمَ بن عبد الله المُحارِبيَّ ، وليس بابن عمر) .

(٣) في مقام المحبَّة . من هامش (ح) .

(٤) في مقام الإخلاص . من هامش (ح) .

(٥) في مقام البقاء بعد الفناء . من هامش (ح) .

(٦) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً ، بلغ قراءةً) ، وفيه : (بلغ السماع للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب الخامس والعشرون

في القول في السماع تأدباً واعتناء

ويتضمَّنُ هٰذا البابُ : آدابَ السَّماعِ ، وحُكْمَ التخريقِ ، وإشاراتِ المشايخِ في ذلكَ ، وما في ذلكَ مِنَ المأثورِ والمحذورِ .

مبنى التصوُّفِ : على الصِّدْقِ في سائرِ الأحوالِ[1] ، وهوَ جِدٌّ كلُّهُ ، لا ينبغي للصادقِ أنْ يتعمَّدَ الحضورَ في مَجْمَعٍ يكونُ فيهِ سماعٌ إلا بعدَ : أنْ يُخلِصَ النيَّةَ للهِ تعالىٰ ، ويتوقَّعَ بهِ مَزِيداً في إرادتِهِ وطَلَبِهِ ، ويَحذَرَ مِنْ مَيلِ النَّفْسِ لشيءٍ مِنْ هواها ، ثمَّ يُقدِّمَ الاستخارةَ للحضورِ ، ويسألَ اللهَ إذا عزَمَ البركةَ فيهِ ، وإذا حضرَ يلزمُ الصِّدْقَ[2] ، والوَقارَ بسكونِ الأَطْرافِ[3] .

قالَ أبو بكرٍ الكتَّانيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (المُستمِعُ يجبُ أنْ يكونَ في سماعِهِ غيرَ مُستروِحٍ إليهِ ؛ بحيثُ يُهيِّجُ منهُ السَّماعُ وَجْداً أو شَوْقاً أو غَلَبَةً أو حَرَكَةً ، والواردُ إذا وَرَدَ عليهِ يُفنِيهِ عن كلِّ حركةٍ وسكونٍ)[4] .

---

(١) في (ح) : (على الصدق في السماع وسائر الأحوال) ، وكذلك في (ي) ، إلا أنه زاد بعد كلمة (السماع) : (الصِّرف) ، وأشار إلىٰ هٰذه النسخة في هامش (د) .

(٢) مع الله بقطع النظر عن الخلق . من هامش (ح) .

(٣) وغَضِّ البصر وإطراق الرأس . من هامش (ح) .

(٤) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٣٧٥) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٣٣) ، وزادا بعده : وأنشد علىٰ أثره : (من مخلع البسيط)=

ويتَّقِي الصادقُ استدعاءَ الوجدِ ، ويجتنبُ الحَرَكَةَ فيهِ مهما أَمْكَن ، لا سِيَّما بحَضْرةِ الشُّيُوخِ .

حُكِيَ : أنَّ شاباً كانَ يصحبُ الجُنيدَ رحمَهُ اللهُ ، وكلَّما سَمعَ شيئاً زَعَقَ وتغيَّرَ ، فقالَ لهُ يوماً : إنْ ظَهَرَ منكَ شيءٌ بعدَ هٰذا . . فلا تصحبْني ، فكانَ بعدَ ذلكَ يَضبِطُ نفسَهُ ، وربَّما كانَ مِنْ كلِّ شعرةٍ منهُ تَقطُرُ قطرةُ عَرَقٍ ، فلمَّا كانَ يوماً مِنَ الأيَّامِ . . زَعَقَ زَعْقةً وخَرَجَ روحُهُ[1] .

فليسَ مِنَ الصِّدْقِ إظهارُ الوَجْدِ مِنْ غيرِ وَجْدٍ نازلٍ ، أوِ ادِّعاءُ الحالِ مِنْ غيرِ حالٍ حاصلٍ ، وذلكَ عينُ النِّفاقِ .

قيلَ : كانَ النَّصْرَاباذيُّ رحمَهُ اللهُ كثيرَ الوَلَعِ بالسَّماعِ ، فعُوتِبَ في ذلكَ ، فقالَ : نعم ، هوَ خيرٌ مِنْ أنْ نقعدَ ونغتابَ الناسَ ، فقالَ لهُ أبو عمرِو بنُ نُجيدٍ وغيرُهُ مِنْ إخوانِهِ : هيهاتَ يا أبا القاسمِ !! زَلَّةٌ في السَّماعِ شَرٌّ مِنْ كذا وكذا سنةً نغتابُ الناسَ[2] .

وذلكَ أنَّ زَلَّةَ السَّماعِ إشارةٌ إلى اللهِ تعالىٰ ، وترويجٌ للحالِ بصريحِ المُحالِ[3] ، وفي ذلكَ ذنوبٌ مُتعدِّدةٌ .

= فـالـوجـدُ والشـوقُ فـي مكـانِـي … قــد مَنَعــانِــي مِــنَ القَــرَارِ
همــا مَعِــي لا يُفــارِقــانــي … فـــذا شِعَــاري وذا دِثــارِي

(١) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٥٨) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٦٩٠) .

(٢) أورده بنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٣٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٩٦) .

(٣) في النسخ ما عدا (د ، و) : (وترويح) بدل (وترويج) .

منها : أَنَّهُ يكذبُ على اللهِ أَنَّهُ وَهَبَ لهُ شيئاً وما وَهَبَ لهُ ، والكذبُ على اللهِ مِنْ أقبحِ الزَّلَّاتِ .

ومنها : أنْ يَغُرَّ بعضَ الحاضرينَ ، فيُحسِنَ بهِ الظَّنَّ ، والغُرُورُ خيانةٌ[1] ؛ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »[2] .

ومنها : أَنَّهُ إذا كانَ مُبطِلاً ويُرىٰ بعينِ الصَّلاحِ . . سوفَ يظهرُ منهُ بعدَ ذلكَ ما يُفسِدُ عقيدةَ المُعتقِدِ فيهِ ، فتفسُدُ عقيدتُهُ في غيرِهِ ممَّنْ يَظُنُّ بهِ الخيرَ مِنْ أمثالِهِ[3] ، فيكونُ مُتسبِّباً إلىٰ فسادِ العقيدةِ في أهلِ الصلاحِ ، ويدخلُ بذلكَ ضررٌ على الرجلِ الحَسَنِ الظَّنِّ مِنْ فسادِ عقيدتِهِ ، فينقطعُ عنهُ مَدَدُ الصالحينَ ، ويتشعَّبُ مِنْ هٰذا آفاتٌ كثيرةٌ يقفُ عليها مَنْ يبحثُ عنها .

ومنها : أَنَّهُ يُحوِجُ الحاضرينَ إلىٰ مُوافقتِهِ في قيامِهِ وقُعُودِهِ ، فيكونُ مُتكلِّفاً مُكلِّفاً للناسِ بباطلِهِ ، وقد يكونُ في الجمعِ مَنْ يَرَىٰ بنورِ الفِراسةِ أَنَّهُ مُبطِلٌ ، ويحملُ علىٰ نَفْسِهِ المُوافقةَ للجَمْعِ مُدارِياً .

ويكثُرُ شرحُ الذنوبِ في ذلكَ ، فليتَّقِ اللهَ ربَّهُ ، ولا يتحرَّكْ ، إلا إذا صارتْ حركتُهُ كحركةِ المُرتعِشِ الذي لا يجدُ سبيلاً إلى الإمساكِ ، وكالعاطسِ الذي لا يَقدِرُ أنْ يَرُدَّ العَطْسةَ ، وتكونُ حركتُهُ بمَثابةِ النَّفَسِ الذي يَتنفَّسُ يدعوهُ إلى التنفُّسِ داعيةُ الطَّبْعِ قَهْراً .

---

(١) في (أ ، ب ، ج ، د ، ز) : (والإغرار) بدل (والغرور) ، والقياس ما أثبته من باقي النسخ .

(٢) رواه مسلم (١٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أي : فتفسد عقيدة المعتقد فيه في غير المُبطِلِ ممَّن يُرىٰ بعين الصلاح من أمثاله وأشباهه ، ويجوز أن يُقرأ : (ممن يُظَنُّ به الخيرُ) ، وقد ضبط بالوجهين في (و) .

قالَ السَّرِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (شَرْطُ الواجدِ في زَعْقتِهِ : أنْ يبلغَ إلىٰ حَدٍّ لو ضُرِبَ وجهُهُ بالسيفِ لا يشعرُ فيهِ بوَجَعٍ)[1] .

وقد يقعُ هـٰذا في حَقِّ بعضِ الواجدينَ نادراً ، وقد لا يبلغُ الواجدُ هـٰذهِ الرُّتْبَةَ مِنَ الغَيبةِ ، ولـٰكن زَعْقتُهُ تخرجُ كالتنفُّسِ بنوعِ إرادةٍ ممزوجةٍ بالاضطرارِ .

وهـٰذا الضبطُ مِنْ رعايةِ الحَرَكاتِ وردِّ الزَّعَقاتِ . . في تمزيقِ الثيابِ آكَدُ[2] ؛ فإنَّ ذلكَ يكونُ إتلافَ المالِ ، وإنفاقَ المِحالِ .

وهكذا رَمْيُ الخِرْقةِ إلى الحادي ؛ لا ينبغي أنْ يفعلَ إلا إذا حَضَرَتْهُ نيَّةٌ يجتنبُ فيها التكلُّفَ والمُراءاةَ ، وإذا حَسُنتِ النيَّةُ فلا بأسَ بإلقاءِ الخِرْقةِ إلى الحادي ؛ فقد رُوِيَ أنَّ كعبَ بنَ زُهيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ دَخَلَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المسجدَ ، وأنشدَ أبياتَهُ التي أوَّلُها : [من البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي ٱلْيَوْمَ مَتْبُولُ . . . .

حتى انتهىٰ إلىٰ قولِهِ فيها :

إِنَّ ٱلرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللهِ مَسْلُولُ[3]

---

(١) أورده بنحوه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٨١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٢٤٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٢٨/٤) .

(٢) يعني : يجبُ على المريد رعايةُ الحركات وردُّ الزَّعَقات ، وضبطُهُما ما أمكن ، وهـٰذا الضبط والرعاية يصير مُؤكَّداً في حقِّ مَنْ ظَهَرَ له تمزيقُ الثياب . من هامش (ج) .

(٣) في نسخة علىٰ هامش (د) : (لَنُور) بدل (لَسيف) ، ويكون قوله : (مهند) خبراً ثانياً ، وعلى المثبت يجوز أن يكون صفة أو خبراً ثانياً .

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « مَنْ أنْتَ ؟ » ، فقالَ : أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ، أنا كعبُ بنُ زُهيرٍ ، فرمىٰ إليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بُردةً كانتْ عليهِ .

فلمَّا كانَ زمنُ مُعاويةَ بَعَثَ إلىٰ كعبِ بنِ زُهيرٍ : بِعْنا بُردة رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعَشَرَةِ آلافٍ ، فوجَّهَ إليهِ : ما كنتُ لِأُوثِرَ بثوبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحداً ، فلمَّا ماتَ كعبٌ بَعَثَ معاويةُ إلىٰ أولادِهِ بعشرينَ ألفاً وأَخَذَ البُردةَ[1] ، وهيَ البُردةُ الباقيةُ عندَ الإمامِ الناصرِ لدينِ اللهِ اليومَ[2] ، أعادَ اللهُ بركتَها علىٰ أيَّامِهِ الزاهرةِ[3] .

وللمُتصوِّفةِ آدابٌ يتعاهدُونَها ، ورعايتُها حُسْنُ الأدبِ في الصُّحْبَةِ والمُعاشَرةِ ، وكثيرٌ مِنَ السَّلَفِ لم يكونوا يعتمدُونَ ذلكَ ، ولـٰكنْ كلُّ شيءٍ استحسنُوهُ وتواطؤُوا عليهِ ولا يُنكِرُهُ الشرعُ . . لا وجهَ للإنكارِ فيهِ .

فمِنْ ذلكَ : أنَّ أحدَهُم إذا تحرَّكَ في السَّماعِ ووقعَتْ منهُ خِرْقةٌ ، أو نازلَهُ

---

(١) رواه السِّلَفي في « الطيوريات » كما في « تاريخ الخلفاء » للسيوطي (ص٨٥) عن أبي عمرو بن العلاء رحمه الله تعالىٰ ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٧٠٦) عن عبد الرحمـٰن بن كعب رحمه الله تعالىٰ ، وليس فيه ذكر البردة وما بعدها ، وابن قانع في « معجم الصحابة » (٢/٣٨١) عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ .

(٢) هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله (ت ٦٢٢هـ) ، وانظر « الكامل في التاريخ » (١٠/٣٩٨) .

(٣) وقال السيوطي في « تاريخ الخلفاء » (ص٨٦) : (وقد كانت هـٰذه البردةُ عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها علىٰ أكتافهم في المواكب جلوساً وركوباً ، وكانت على المُقتدِر حين قُتل وتلوَّثت بالدم ، وأظنُّ أنَّها فُقدت في فتنة التتار ؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) .

وَجْدٌ ورمىٰ عِمامتَهُ إلى الحادي . . فالمُستحسَنُ عندَهُم مُوافقةُ الحاضرينَ لهُ في كَشْفِ الرأسِ إذا كانَ ذلكَ مِنْ مُتقدِّمٍ وشيخٍ ، وإنْ كانَ ذلكَ مِنَ الشُّبَّانِ في حَضْرةِ الشُّيُوخِ . . فليسَ على الشُّيُوخِ مُوافقةُ الشُّبَّانِ في ذلكَ ، وينسحبُ حكمُ الشُّيُوخِ علىٰ بقيَّةِ الحاضرينَ في تَرْكِ المُوافقةِ للشُّبَّانِ ، فإذا سكنُوا عنِ السَّماعِ يُرَدُّ إلى الواجدِ خِرْقتُهُ[1] ، ويُوافِقُهُ الحاضرُونَ برَفْعِ العمائمِ ، ثمَّ رَدِّها على الرؤوسِ في الحالِ للمُوافقةِ .

والخِرْقةُ إذا رُمِيَتْ إلى الحادي هيَ للحادي إذا قَصَدَ إعطاءَهُ إيَّاها[2] .

وإنْ لم يَقصِدْ إعطاءَ الحادي . . فقالَ بعضُهُم : هيَ للحادي ؛ لأنَّ المُحرِّكَ هوَ ، ومنهُ صَدَرَ المُوجِبُ لرَمْيِ الخِرْقةِ .

وقالَ بعضُهُم : هيَ للجَمْعِ ، والحادي واحدٌ منهُم ؛ لأنَّ المُحرِّكَ قولُ الحادي معَ بَرَكَةِ الجَمْعِ ؛ فإنَّ بركةَ الجَمْعِ في إحداثِ الوَجْدِ لا تتقاصرُ عن قولِ القائلِ ، فيكونُ الحادي واحداً منهُم في ذلكَ .

رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ يومَ بدرٍ : « مَنْ وَقَفَ بِمَكَانِ كَذَا فَلَهُ كَذَا ، وَمَنْ قَتَلَ فَلَهُ كَذَا ، وَمَنْ أَسَرَ فَلَهُ كَذَا » ، فتسارعَ الشُّبَّانُ ، وأقامَ الشُّيُوخُ والوجوهُ عندَ الرَّاياتِ ، فلمَّا فَتَحَ اللهُ على المسلمينَ طَلَبَ الشُّبَّانُ أنْ يجعلَ ذلكَ لهُم ، فقالَ الشُّيُوخُ : كُنَّا ظَهْراً لكُم ورِدْءاً ، فلا

---

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ز ، ي) : (سكتوا) بدل (سكنوا) ، وفيها أيضاً ما عدا (ج ، ح ، ي) : (يُرَدُّ الواجدُ إلىٰ خرقته) ، والمراد : أنَّهُ ترد خرقة الواجد بغير اختياره ، وكذا خرقة من وافق الواجد . من هامش (ج) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ب ، هـ ، ز) : (إعطاءَها إيَّاه) ، والمثبت أنسب مع السياق .

تذهبوا بالغنائمِ دُونَنا ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال : ١] ، فقَسَمَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَهُم بالسَّويَّةِ[١] .

وقيلَ : إذا كانَ القَوَّالُ مِنَ القومِ يُجعَلُ كواحدٍ منهُم ، وإذا لم يكنْ مِنَ القومِ فما كانَ لهُ قيمةٌ يُؤثَرُ بهِ ، وما كانَ مِنْ خِرَقِ الفقراءِ يُقسَمُ بينَهُم .

وقيلَ : إنْ كانَ القَوَّالُ أجيراً فليسَ لهُ منها شيءٌ ، وإنْ كانَ مُتبرِّعاً يُؤثَرُ بذلكَ .

وكلُّ هٰذا إذا لم يكنْ هناكَ شيخٌ يحكمُ ، فأمَّا إذا كانَ هناكَ شيخٌ يُهابُ ويُمتثَلُ أمرُهُ . . فالشيخُ يحكمُ في ذلكَ بما يرىٰ ؛ فقد تختلفُ الأحوالُ في ذلكَ ، وللشيخِ اجتهادٌ يفعلُ ما يرىٰ ، فلا اعتراضَ لأحدٍ عليهِ .

وإنْ فداها بعضُ المُحبِّينَ أو بعضُ الحاضرينَ ، ورَضِيَ القَوَّالُ والقومُ بما رَضُوا بهِ ، وعادَ كلُّ واحدٍ إلىٰ خِرْقتِهِ . . فلا بأسَ بذلكَ ، وإذا أصرَّ واحدٌ على الإيثارِ لِمَا خَرَجَ منهُ لنيَّةٍ لهُ في ذلكَ . . يُؤثِرُ بخِرْقتِهِ الحاديَ .

وأمَّا تمزيقُ الخِرْقةِ المجروحةِ[٢] التي مَزَّقَها واجدٌ صادقٌ عن غَلَبَةٍ سلبتِ اختيارَهُ ، كغَلَبَةِ النَّفَسِ فيمَنْ يتعمَّدُ إمساكَهُ . . فنيَّتُهُم في تفريقِها وتمزيقِها التبرُّكُ بالخِرْقةِ ؛ لأنَّ الوَجْدَ أثَرٌ مِنْ آثارِ فَضْلِ الحقِّ ، وتمزيقَ الخِرْقةِ أثَرٌ مِنْ آثارِ الوجدِ ، فصارتِ الخِرْقةُ مُتأثِّرةً بأثَرٍ ربَّانيٍّ مِنْ حقِّها أنْ تُفدىٰ بالنُّفوسِ ،

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٣٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١١٣٣) ، وابن حبان (٥٠٩٣) ، والحاكم (٢/ ٣٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أي : المخروقة . من هامش (ج) .

وتُترَكَ على الرؤوسِ إكْراماً وإعْزازاً[1] ؛ قالَ الشاعرُ[2] : [من البسيط]

تَضُوعُ أَرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمُ ... يَوْمَ ٱلْقُدُومِ لِقُرْبِ ٱلْعَهْدِ بِٱلدَّارِ

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستقبلُ الغيثَ ويتبرَّكُ بهِ ، ويقولُ : « حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ »[3] .

فالخِرْقةُ المُمزَّقةُ حديثةُ العَهْدِ ، **فحُكْمُ المجروحةِ** : أنْ تُفرَّقَ على الحاضرينَ ، **وحُكْمُ ما يَتْبعُها مِنَ الخِرَقِ الصِّحاحِ** : أنْ يحكمَ فيها الشيخُ ؛ إنْ خَصَّصَ بشيءٍ منها بعضَ الفقراءِ فلهُ ذلكَ ، وإنْ خرَّقَها خِرَقاً فلهُ ذلكَ ، ولا يُقالُ : إنَّ هـٰذا تفريطٌ وإسرافٌ ؛ فإنَّ الخِرْقةَ الصغيرةَ يُنتفَعُ بها في موضعِها عندَ الحاجاتِ كالكبيرةِ .

ورُوِيَ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ :

---

(1) في نسخة علىٰ هامش (د) : (وتنزل) بدل (وتترك) ، وقال الغزالي في « الإحياء » (٥٢٨/٤) : (وأمَّا تمزيقُ الثوب : فلا رُخصةَ فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار ، ولا يبعُدُ أن يغلب الوجد بحيثُ يُمزِّقُ ثوبه وهو لا يدري ؛ لغلبة سكر الوجد عليه ، أو يدري ولـٰكن يكون كالمُضطرِّ الذي لا يقدر علىٰ ضبط نَفْسه ، وتكونُ صورتُهُ صورةَ المكْرَه ؛ إذ يكون له في الحركة والتمزيق مُتنفَّسٌ ، فيضطرُّ إليه اضطرارَ المريض إلى الأنين ، ولو كُلِّف الصبرَ عنه لم يقدر عليه ، مع أنَّهُ فعلٌ اختياريٌّ ، فليس كلُّ فعلٍ حصولُهُ بالإرادة يقدرُ الإنسانُ علىٰ تركه ، فالتنفُّسُ فعلٌ يحصل بالإرادة ، ولو كَلَّفَ الإنسان نَفْسه أن يمسك النَّفَس ساعة . . لاضطرَّ من باطنه إلىٰ أن يختار التنفُّسَ ، فكذلك الزَّعْقةُ وتمزيقُ الثياب قد يكونُ كذلك ، **فهـٰذا لا يُوصَفُ بالتحريم**) .

(2) البيت للشريف الرضي في « ديوانه » (٥٤١/١) ، ويُقال : ضاعَ **المسكُ يَضُوع ضَوْعاً** : إذا تحرَّك فانتشرت رائحته ونفحت ، وفي (أ ، ز) ونسخة علىٰ هامش (د) : (تفوح) ، وفي نسخة علىٰ هامشها أيضاً : (عند) بدل (يوم) .

(3) رواه مسلم (٨٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

أُهدِيَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حُلَّةُ حريرٍ ، فأَرْسَلَ بها إليَّ ، فخرجتُ فيها ، فقالَ لي : « مَا كُنْتُ لِأَكْرَهَ لِنَفْسِي شَيْئاً أَرْضَاهُ لَكَ ، فَشَقِّقْهَا بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ خُمُراً »[1] .

وفي روايةٍ : أتيتُهُ فقلتُ : ما أصنعُ بها ؟ أَلْبَسُها ؟ قالَ : « لَا ، وَلَـٰكِنِ ٱجْعَلْهَا خُمُراً بَيْنَ ٱلْفَوَاطِمِ » ، أرادَ : فاطمةَ بنتَ أسدٍ[2] ، وفاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وفاطمةَ بنتَ حمزةَ ، وفي هـٰذهِ الرِّوايةِ : أنَّ الهديَّةَ كانتْ حُلَّةً مكفوفةً بحريرٍ[3] .

وهـٰذا وجهٌ في السُّنَّةِ لتمزيقِ الثوبِ وجَعْلِهِ خِرَقاً .

وحُكِيَ : أنَّ الفقهاءَ والصُّوفيَّةَ بنيسابورَ اجتمعُوا في دعوةٍ ، فوقعَتِ الخِرْقةُ ، وكانَ شيخَ الفقهاءِ الشيخُ أبو محمَّدٍ الجُوَينيُّ[4] ، وشيخَ الصُّوفيَّةِ أبو القاسمِ القُشَيريُّ ، فقُسِمَتِ الخِرْقةُ علىٰ عادتِهِم .

فالتفتَ الشيخُ أبو محمَّدٍ إلىٰ بعضِ الفقهاءِ وقالَ سِرّاً : **هـٰذا سَرَفٌ وإضاعةُ المالِ !!** فسَمِعَ أبو القاسمِ القُشَيريُّ ، ولم يَقُلْ شيئاً حتىٰ فَرَغَتِ القِسْمةُ ، ثمَّ استدعى الخادمَ وقالَ : انظُرْ في الجَمْعِ ؛ مَنْ معَهُ سَجَّادةُ خِرَقٍ

---

(١) رواه مسلم (٢٠٧١) .

(٢) وهي أم سيدنا علي رضي الله عنهما .

(٣) رواها ابن ماجه (٣٥٩٦) ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٤/ ٥١) : (وذكر الحافظان عبد الغني بن سعيد وابن عبد البر بإسنادهما أنَّ علياً رضي الله عنه قسمه بين الفواطم الأربع ، فذكر هـٰؤلاء الثلاث ، قال القاضي عياض : يُشبِهُ أن تكون الرابعة فاطمة بنت شيبة بن ربيعة امرأة عقيل بن أبي طالب ؛ لاختصاصها بعليٍّ رضي الله عنه بالمصاهرة وقُربِها إليه بالمناسبة . . .) .

(٤) وهو والد إمام الحرمين أبي المعالي الجويني رحمهما الله تعالىٰ .

ائتِني بها ، فجاءَهُ بسَجّادةٍ ، ثمَّ أَحْضرَ رجلاً مِنْ أهلِ الخِبْرةِ ، فقالَ : هٰذهِ السَّجّادةُ بكم تُشترىٰ في المَزادِ ؟ قالَ : بدينارٍ ، قالَ : ولو كانتْ قطعةً واحدةً كم تُساوي ؟ قالَ : نصفَ دينارٍ ، ثمَّ التفتَ إلى الشيخِ أبي محمَّدٍ الجُوَينيِّ رحمَهُ اللهُ وقالَ : هٰذا لا يُسمَّىٰ إضاعةَ المالِ[1] .

والخِرْقةُ المُمزَّقةُ تُقسَمُ علىٰ جميعِ الحاضرينَ ؛ مَنْ كانَ مِنَ الجِنْسِ ، أو غيرِ الجِنْسِ إذا كانَ حَسَنَ الظَّنِّ بالقومِ مُعتقِداً للتبرُّكِ بالخِرْقةِ .

روىٰ طارقُ بنُ شهابٍ أنَّ أهلَ البَصْرةِ غَزَوْا نهاوندَ ، وأَمَدَّهُم أهلُ الكُوفةِ ، وعلىٰ أهلِ الكُوفةِ عمَّارُ بنُ ياسرٍ ، فَظَهَرُوا ، فأرادَ أهلُ البَصْرةِ أَلَّا يَقسِمُوا لأهلِ الكُوفةِ مِنَ الغنيمةِ شيئاً ، فقالَ رجلٌ مِنْ بني تميمٍ لعمَّارٍ : أيُّها الأَجْدعُ ؛ تُريدُ أنْ تُشارِكَنا في غنائمِنا ؟ فكَتَبَ إلىٰ عمرَ بذلكَ ، فكَتَبَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ الغَنيمةَ لمَنْ شَهِدَ الوَقْعةَ[2] .

---

(1) قال الغزالي في « الإحياء » (٤/٥٢٩) : (فإن قلت : فما تقولُ في تمزيق الصُّوفيَّةِ الثيابَ الجديدةَ بعد سكون الوجد والفراغ من السماع ؛ فإنَّهُم يُمزِّقونها قِطَعاً صغاراً ويُفرِّقونها على القوم ، ويُسمُّونها الخرقة ؟

فاعلَمْ : أنَّ ذلك مباحٌ إذا مُزِّق قطعاً مُربَّعةً تصلح لترقيع الثياب والسَّجّادات ؛ فإنَّ الكِرْباس ـ وهو ثوب من القطن الأبيض ـ يُمزَّقُ حتىٰ يُخاطَ منه القميصُ ، ولا يكون ذلك تضييعاً ؛ لأنَّهُ تمزيقٌ لغرض ، وكذلك ترقيعُ الثياب لا يمكنُ إلا بالقِطَع الصِّغار ، وذلك مقصود ، والتفرقةُ على الجميع ليعُمَّ ذلك الخيرُ مقصودٌ ، فهو مباح ، ولكلِّ مالكٍ أن يقطع كِرْباسَهُ مئةَ قطعةٍ ويُعطيَها لمئة مسكين ، ولٰكن ينبغي أن تكون القِطَعُ بحيثُ يمكن أن يُنتفعَ بها في الرِّقاع ، وإنَّما مَنَعْنا في السماع التمزيقَ المُفسِدَ للثوب الذي يُهلِكُ بعضَهُ ؛ بحيثُ لا يبقىٰ مُنتفَعاً به ، فهو تضييعٌ محضٌ لا يجوز بالاختيار) .

(2) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٢٧٩١) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/٢٥٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/٥٠) ، ووَصَفَه بالأجدع ؛ لأنَّ =

وذَهَبَ بعضُهُم : إلىٰ أنَّ المجروحَ مِنَ الخِرَقِ يُقسَمُ على الجمعِ ، وما كانَ مِنْ ذلكَ صحيحاً يُعطىٰ للقوَّالِ ، واستدلَّ بما رُوِيَ عن أبي قَتادةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لمَّا وَضَعَتِ الحربُ أَوْزارَها يومَ حُنينٍ[1] ، وفرَغْنا مِنَ القومِ . قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَتَلَ قَتيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ »[2] .

وهٰذا لهُ وجهٌ في الخِرْقةِ الصحيحةِ ، فأمَّا المجروحةُ : فحُكْمُها إسهامُ الحاضرينَ والقسمةُ لهُم .

ولو دَخَلَ على الجمعِ وقتَ القِسْمةِ مَنْ لم يكنْ حاضراً . قُسِمَ لهُ ؛ روىٰ أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قَدِمْنا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَ خيبرَ بثلاثٍ ، فأَسْهَمَ لنا ، ولم يُسهِمْ لأحدٍ لم يَشْهَدِ الفتحَ غيرِنا[3] .

ويُكرَهُ للقومِ حضورُ غيرِ الجِنْسِ عندَهُم في السَّماعِ ؛ كمُتزهِّدٍ لا ذَوْقَ لهُ

= إحدىٰ أذنيه قد جُدِعت ـ أي : قُطِعت ـ في بعض غزواته مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وفي رواية ابن منصور أنَّ سيدنا عماراً قال له : (خيرَ أُذُنَيَّ سببتَ) .

(1) **الأوزار** : السلاح ، والوِزْرُ : ما يحملُهُ الإنسان ، فسُمِّي السلاح أوزاراً لذلك ، ولأنَّها تثقُلُ علىٰ لابسها . « غريبين » . من هامش (ح) .

(2) رواه البخاري (٣١٤٢) ، ومسلم (١٧٥١) ، **والسَّلَب** : هو الشيء المسلوب ، سُمِّي بذلك ؛ لأنَّهُ يُسلَب عن المقتول ، والمرادُ به : ثياب القتيل والخفُّ ، وآلات الحرب ، والسرج واللجام ، والسوار والمنطقة والخاتم والقصعة ، ونحوُ ذلك .

(3) رواه بنحوه البخاري (٣١٣٦) ، ومسلم (٢٥٠٢) ، وبلفظه أبو عوانة في « المستخرج » (٦٨٧٨) .

مِنْ ذلكَ ، فيُنكِرُ ما لا يُنكَرُ ، أو صاحبِ دُنيا يُحوِجُ إلى المُداراةِ والتكلُّفِ ، أو مُتكلِّفٍ للوَجْدِ يُشوِّشُ الوقتَ على الحاضرينَ بتواجدِهِ .

(٦٤) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن والدِهِ أبي الفضلِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ المُظَفَّريُّ بسَرَخْسَ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ منصورُ بنُ نَصْرٍ الكاغَذيُّ السَّمَرْقَنْديُّ إجازةً[1] ، قالَ : حدَّثَنا الهيثمُ بنُ كُليبٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ عمَّارُ بنُ إسحاقَ ، قالَ : حدَّثَنا سعيدُ بنُ عامرٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهيبٍ ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كُنَّا عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذْ نَزَلَ عليهِ جبريلُ عليهِ السلامُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ فقراءَ أُمَّتِكَ يدخلُونَ الجنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بنِصْفِ يَوْمٍ ، وهوَ خمسُ مئةِ عامٍ ، ففَرِحَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ : « أَفِيكُمْ مَنْ يُنْشِدُنَا ؟ » ، فقالَ بَدَويٌّ : نعم يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « هَاتِ » ، فأنشدَ البَدَويُّ : [من المنسرح]

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ ٱلْهَوَىٰ كَبِدِي ... فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقِي
إِلَّا ٱلْحَبِيبُ ٱلَّذِي شُغِفْتُ بِهِ ... فَعِنْدَهُ رُقْيَتِي وَتِرْيَاقِي

فتواجدَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتواجدَ الأصحابُ معَهُ ؛ حتىٰ

---

(١) في النسخ : (أبو علي الفضل بن منصور) بدل (أبو الفضل منصور) ، والمثبت من المصادر والمراجع ، وأبو الفضل : هو الإمام مسند سَمَرْقَنْدَ منصور بن نصر بن عبد الرحيم بن مَتٍّ السمرقندي الكاغَذي (ت ٤٢٣هـ) ، وفي النسخ ما عدا (و ، ز ، ح) : (الكاغَدي) بدل (الكاغَذي) ، وكلاهما جائز ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٣٦٨) ، و« تاج العروس » (٩/ ٤٦٢) .

سَقَطَ رداؤُهُ عن مَنكِبَيْهِ ، فلمَّا فرغُوا أَوَىٰ كلُّ واحدٍ منهُم إلىٰ مكانِهِ .

قالَ مُعاويةُ بنُ أبي سفيانَ : ما أحسنَ لَعِبَكُم يا رسولَ اللهِ !! فقالَ : « مَهْ يَا مُعَاوِيَةُ ؛ لَيْسَ بِكَرِيمٍ مَنْ لَمْ يَهْتَزَّ عِنْدَ سَمَاعِ ذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ » ، ثمَّ قُسِمَ رداءُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ مَنْ حَضَرَهُم بأربعِ مئةِ قطعةٍ[1] .

فهٰذا الحديثُ أَوْرَدْناهُ مُسنَداً كما سَمِعْناهُ ووَجَدْناهُ ، وقد تكلَّمَ في صحَّتِهِ أصحابُ الحديثِ[2] ، وما وَجَدْنا شيئاً نُقِلَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُشاكِلُ وَجْدَ أهلِ الزمانِ وسماعَهُم واجتماعَهُم وهيئتَهُم . . إلا هٰذا ، وما أحسنَهُ مِنْ حُجَّةٍ للصُّوفيَّةِ وأهلِ الزمانِ في سماعِهِم وتمزيقِهِمُ الخِرَقَ وقِسْمتِها أنْ لو صحَّ !! واللهُ أعلمُ .

ويُخالِجُ سِرِّي أنَّهُ غيرُ صحيحٍ ، ولم أَجِدْ فيهِ ذوقَ اجتماعِ النبيِّ صلَّى اللهُ

---

(١) صفوة التصوف (٤١٣) ، وسينصُّ المؤلف علىٰ عدم صحته ، وفي النسخ ما عدا (ح) : (من حاضرهم) بدل (من حضرهم) ، وفي « صفوة التصوف » : (بين حاضرهم) ، وأمَّا دخولُ الفقراء قبل الأغنياء بخمس مئة عام . . فهو مشهورٌ صحيحٌ ، كما رواه الترمذي (٢٣٥٣) ، وأحمد (٢/ ٤٥١) ، وابن حبان (٦٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) والعِلَّةُ فيه : أنَّ في سنده عمارَ بن إسحاق ، وقد اتَّهمه الذهبي وغيره بوضع الحديث ، وأمَّا باقي رجاله فهم ثقاتٌ ، ودخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام . . صحيح رواه الترمذي (٢٣٥٣) ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، وأحمد (٢/ ٤٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « لسان الميزان » (٥٥٣٣) ، و« كشف الخفاء » (٢/ ١٤١) ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » (٢/ ٢٣٣) .

عليهِ وسلَّمَ معَ أصحابِهِ وما كانُوا يعتمدونَهُ علىٰ ما بَلَغَنا في هـٰذا الحديثِ ، ويأبى القلبُ قَبولَهُ[1] ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ بذلكَ[2] .

* * *

(١) زاد في (ج ، و ، ح) : (قال ابن عيَّاش : هـٰذا حديثٌ باطل لا يُحتجُّ به ، وهو من الأحاديث التي تُذكر ليُعلَمَ أنَّها موضوعة ولا يُعتبَرُ بها ، وفي إسناده جماعة مجهولون لا يُوثق بهم) ، وهو علىٰ هامش (أ ، ب ، هـ) دون إشارة تصحيح ، وكُتب علىٰ هامش (و) : (هـٰذا الكلام من قوله : « قال ابن عياش . . . » إلىٰ آخر الباب . . ليس في نسخة قُرئت على الشيخ المصنف رضي الله عنه) .

(٢) في (ج) : (حفظ الله عباده المؤمنين عمَّا فيه غضبه) بدل (والله أعلم . . .) ، وفي (و) : (والله المستعان ، وعليه التكلان) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ سماعاً للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه : (بلغ بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي على الشيخ الحافظ جلال الدين الشيرازي) .

الباب السادس والعشرون

في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية (١)

ليسَ مطلوبُ القومِ مِنَ الأربعينَ شيئاً مخصوصاً لا يطلبونَهُ في غيرِها(٢) ، ولكن لمَّا طَرَقَتْهُم مخالفاتُ حكمِ الأوقاتِ . . أَحَبُّوا تقييدَ الوقتِ

---

(١) والأربعينيَّة : هي المشهورة في زماننا بـ (الخَلْوة) ، وسئل المؤلف رضي الله عنه : لِمَ لم يتقدَّم أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بهذا الفعل من اتِّخاذ الخلوة المخصوصة وإيثارها على كثير من أعمال البر .

فأجاب : بأنَّ أصحابَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم استغنَوا بملازمة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن الخلوة ، وكان ملازمتُهُم لحضرته والجهاد بين يديه أَوْلى من كلِّ خلوة ، والخلوةُ مُعِينةٌ على دفع آفات النفس ومعرفة الزيادة من النقص ، وقد يتربَّى المريد بنَفَس الشيخ وصحبتِهِ من غير أن يدخل الخلوة أو ينحبس في بيتٍ مظلم ، بل يَسْري إليه من باطن الشيخ ما يستغني به عن الخلوة ، لكنَّ الخلوةَ تصلُحُ لبعض المريدين ، غيرَ أنِّي لا أحبُّ المريد أن يترك الصلاة في جماعة ، بل يحضر الفرض ويرجعُ إلى خلوته ؛ حتى لا تكونَ خلوتُهُ رهبانيَّةً ، وأمَّا مَنْ ترك الجماعة وزعم أنَّهُ في الخلوة وأنَّهُ إن خرج يتشوَّش عليه خاطرُهُ وتتفرَّق جمعيَّتُهُ . . فهذا ضالٌّ مُخطئ ، نعوذ بالله منه ، ومَنْ يُحسِّن له ذلك فهو عينُ الضلال وأتباع المحال ، بل ببركة المتابعة وابتغاءِ فضل الجماعة . . يعود عليه من النور والفتحِ أجلُّ ممَّا فاته في خلوته . من « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٣) ، وسيأتي في كلام المؤلف بعض ذلك .

(٢) أي : في غير الأربعينيَّة ، بل مقصودُهُم الرجوعُ إلى الطهارة الأصليَّة ، والوصولُ إلى الحضرة الإلهيَّة ، وذلك يوجد بدوام العبوديَّة في جميع الأزمنة . من هامش (ج) .

بالأربعينَ[1] ؛ رجاءَ أنْ ينسحبَ حكمُ الأربعينَ على جميعِ زمانِهِم ، فيكونُوا في جميعِ أوقاتِهِم كهيئتِهِم في الأربعينَ ؛ على أنَّ الأربعينَ خُصَّتْ بالذِّكْرِ في قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَخْلَصَ لِلهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً . . ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَىٰ لِسَانِهِ »[2] .

وقد خَصَّ اللهُ تعالى الأربعينَ بالذِّكْرِ في قِصَّةِ موسىٰ عليهِ السلامُ ، وأَمَرَهُ بتخصيصِ الأربعينَ بمَزِيدِ تبَتُّلٍ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف : ١٤٢] .

وذلكَ أنَّ موسىٰ عليهِ السلامُ وَعَدَ بني إسرائيلَ وهم بمصرَ أنَّ اللهَ تعالىٰ إذا أَهْلَكَ عدوَّهُم واستنقذَهُم مِنْ أيديهِم يأتيهِم بكتابٍ مِنْ عندِ اللهِ ، فيهِ تِبْيانُ الحلالِ والحرامِ ، والحدودِ والأحكامِ ، فلمَّا فَعَلَ اللهُ ذلكَ ، وأَهْلَكَ فِرْعونَ . . سألَ موسىٰ عليهِ السلامُ ربَّهُ الكتابَ ، فأَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ أنْ يصومَ ثلاثينَ يوماً ؛ وهوَ ذو القَعْدةِ ، فلمَّا تَمَّتْ ثلاثونَ ليلةً أَنْكَرَ خُلُوفَ فمِهِ[3] ،

---

(١) ومن خواصِّ عدد الأربعين : انقلابُ النطفةِ علقةً ، والعلقةِ مضغةً ، والمضغةِ عِظاماً ، وكما يَتِمُّ بدايةُ فطرة الإنسان وتقلُّبات أطواره بهٰذا العدد . . كذلك يتمُّ تقلُّبات أحواله بهٰذا العدد حتىٰ يصير إلىٰ حَدِّ الكمال ، وهو الوجود الثاني في مقام البقاء بالله . من هامش (ج ، ح) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠١٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٨٥) مرسلاً عن مكحول رحمه الله تعالىٰ ، ووصله أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٨٩) من حديث سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، ورواه القضاعي في « المسند » (٤٦٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وسيأتي مسنداً في (١/ ٥٨٩) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٥٦) .

(٣) الخُلُوف : تغيُّرُ رائحة الفم ، وفتح الخاء إمَّا غلط ، أو لغة رديئة . انظر « تاج العروس » (٢٣/ ٢٦٦) .

فتَسَوَّكَ بعُودِ خُرْنُوبٍ ، فقالتْ لهُ الملائكةُ : كُنَّا نَشَمُّ مِنْ فِيكَ رائحةَ المِسْكِ فأَفْسدتَهُ بالسِّواكِ ، فأَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ أنْ يصومَ عَشَرَةَ أيَّامٍ مِنْ ذي الحِجَّةِ ، وقالَ لهُ : أَمَا عَلِمْتَ أنَّ خُلُوفَ فَمِ الصائمِ أَطْيبُ عندي مِنْ رِيحِ المِسْكِ(١) .

ولم يكنْ صومُ موسىٰ تَرْكَ الطعامِ بالنهارِ وأَكْلَهُ بالليلِ ، بل طَوَى الأربعينَ مِنْ غيرِ أَكْلٍ ، فَدَلَّ : علىٰ أنَّ خُلُوَّ المَعِدَةِ مِنَ الطعامِ أصلٌ كبيرٌ في البابِ ؛ حتى احتاجَ موسىٰ عليهِ السلامُ إلىٰ ذلكَ مُستعِدّاً بهِ لمُكالَمةِ اللهِ تعالىٰ .

والعلومُ اللَّدُنِّيَّةُ في قلوبِ المُنقطِعينَ إلى اللهِ تعالىٰ . . ضربٌ مِنَ المكالمةِ ، ومَنِ انقطعَ إلى اللهِ أربعينَ يوماً مُخلِصاً مُتعاهِداً نَفْسَهُ بخِفَّةِ المَعِدَةِ . . يفتحُ اللهُ عليهِ العلومَ اللَّدُنِّيَّةَ ، كما أخبرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذلكَ(٢) .

غيرَ أنَّ تعيينَ الأربعينَ مِنَ المُدَّةِ في قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وفي أَمْرِ اللهِ تعالىٰ موسىٰ بذلكَ ؛ فالتحديدُ والتقييدُ بالأربعينَ والحكمةُ فيهِ . . لا يَطَّلعُ(٣) أحدٌ علىٰ حقيقةِ ذلكَ إلا الأنبياءُ إذا عرَّفَهُمُ الحقُّ ذلكَ ، أو مَنْ يَخُصُّهُ اللهُ بتعريفِ ذلكَ مِنْ غيرِ الأنبياءِ .

---

(١) أورده السمرقندي في « بحر العلوم » (١/ ٥٤٧) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (١٢/ ٤٩٧) ، والبغوي في « تفسيره » (٣/ ٢٧٥) .

(٢) وقد سبق قريباً في (١/ ٥٤٧) .

(٣) قوله : (فالتحديد) مبتدأ ، وقوله : (لا يطلع) خبره ، والجملة خبرُ قولِهِ : (أنَّ تعيين الأربعين) . من هامش (ح) .

ويلوحُ في سِرِّ ذلكَ معنىً واللهُ أعلمُ[1] ؛ وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ بتكوينِ آدمَ عليهِ السلامُ مِنْ ترابٍ . . قَدَّرَ التخميرَ بهـٰذا القَدْرِ مِنَ العددِ ، كما وَرَدَ : (خَمَّرَ طِينةَ آدمَ بيدِهِ أربعينَ صباحاً)[2] ، فكأنَّ آدمَ عليهِ السلامُ لمَّا كانَ مُستصلَحاً لعِمارةِ الدَّارَينِ ، وأرادَ اللهُ تعالىٰ منهُ عِمارةَ الدنيا كما أرادَ منهُ عِمارةَ الجنَّةِ . . كوَّنَهُ مِنَ الترابِ تركيباً[3] يُناسِبُ عالَمَ الحِكْمةِ والشَّهادةِ وهـٰذهِ الدارَ الدنيا ، وما كانتْ عِمارةُ الدنيا تتأتَّىٰ منهُ وهوَ غيرُ مخلوقٍ مِنْ أجزاءٍ أرضيَّةٍ سُفْليَّةٍ بحَسَبِ قانونِ الحِكْمةِ .

فمِنَ الترابِ كوَّنَهُ ، وأربعينَ صباحاً خَمَّرَ طِينتَهُ ؛ ليَبعُدَ بالتخميرِ أربعينَ صباحاً بأربعينَ حجاباً مِنَ الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ ، كلُّ حجابٍ هوَ معنىً مُودَعٌ فيهِ يصلُحُ بهِ لعِمارةِ الدنيا ، ويتعوَّقُ بهِ عنِ الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ ومواطنِ القُرْبِ ؛ إذ لو لم يتعوَّقْ بهـٰذا الحجابِ ما عُمِرَتِ الدنيا ، فتأصَّلَ البُعْدُ عن مقامِ القُرْبِ فيهِ ؛ لعِمارةِ عالَمِ الحِكْمةِ وخِلافةِ اللهِ تعالىٰ في الأرضِ .

فبالتَّبَتُّلِ لطاعةِ اللهِ تعالىٰ والإقبالِ عليهِ ، والانتزاعِ عنِ التوجُّهِ إلىٰ أمرِ المعاشِ بكلِّ يومٍ . . يخرجُ عن حجابٍ هوَ معنىً مُودَعٌ فيهِ ، وعلىٰ قَدْرِ زوالِ كلِّ حجابٍ ينجذبُ ويتَّخذُ منزلاً في القُرْبِ مِنَ الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ التي هيَ مَجْمَعُ العلومِ ومصدرُها ، فإذا تمَّتِ الأربعونَ زالتِ الحُجُبُ ، وانصبَّتْ إليهِ العلومُ والمعارفُ انصباباً .

---

(١) في (د ، ي) : (في سرِّي لذلك) بدل (في سرِّ ذلك) .

(٢) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (١٠٠٦) ، وابن بطَّة في « الإبانة » (١٦٥٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٦٣) موقوفاً علىٰ سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٣) في (ب ، د) : (تكويناً) .

ثمَّ العلومُ والمعارفُ هي أعيانٌ انقلبتْ أنواراً باتِّصالِ إكْسِيرِ نورِ العَظَمةِ الإلـٰهيَّةِ بها[١] ، فانقلبتْ أعيانُ حديثِ النَّفْسِ علوماً إلهاميَّةً[٢] ، وتصدَّتْ أجرامُ حديثِ النَّفْسِ لقَبولِ أنوارِ العَظَمةِ ، فلولا وجودُ النَّفْسِ وحديثُها ما ظهرتِ العلومُ الإلهاميَّةُ[٣] ؛ لأنَّ حديثَ النَّفْسِ وِعاءٌ وجوديٌّ مُستعِدٌّ لقَبولِ الأنوارِ[٤] ، وما للقلبِ في ذاتِهِ لقَبولِ العِلْمِ شيءٌ .

وقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَىٰ لِسَانِهِ » . . إشارةٌ إلى القلبِ باعتبارِ أنَّ للقلبِ وَجْهَينِ ؛ وَجْهاً إلى النَّفْسِ باعتبارِ توجُّهِهِ إلىٰ عالَمِ الشهادةِ ، ولهُ وجهٌ إلى الرُّوحِ باعتبارِ توجُّهِهِ إلىٰ عالَمِ الغيبِ ، فيستمدُّ القلبُ العلومَ المُكوَّنَةَ في النَّفْسِ[٥] ، ويُخرِجُها إلى اللِّسانِ الذي هوَ تَرْجُمانُهُ .

فظهورُ العلومِ مِنَ القلبِ ؛ لأنَّها مُتأصِّلةٌ فيهِ .

وللقلبِ والروحِ مراتبُ مِنْ قُربِ المُلهِمِ سبحانَهُ وتعالىٰ فوقَ رُتبةِ

---

(١) **الإكسير في الأصل** : الكيمياء ، أو مادَّة تُحوِّل المعدن الرخيص إلىٰ ذهب وشراب يطيل الحياة في زعم الأقدمين .

(٢) أي : كانت أعياناً ناقصة نفسانيَّة كيفيَّةً ، وجوديَّةً في الأصل ، فصارت علوماً إلهاميَّة باتِّصال النور اللطيف الإلـٰهيِّ بها ؛ كالنحاس الذي صار ذهباً بوصول الإكسير إليه . من هامش (ح) .

(٣) التي في غاية اللَّطَافة ؛ كالماء الصافي المُجرَّد عن الألوان ؛ فإنَّهُ لا يظهر منه نقشٌ وشكل . من هامش (ح) .

(٤) ولولا هـٰذا الوعاءُ الكثيف لم تثبتِ العلومُ الإلهاميَّة ، ولم تُفهم ولم تُعلم . من هامش (ح) .

(٥) في (د) : (المكنونة) بدل (المكونة) .

الإلهامِ ، فالعبدُ بانقطاعِهِ إلى اللهِ تعالىٰ واعتزالِ الناسِ . يقطعُ مسافاتِ وجودِهِ ، ويستنبطُ مِنْ مَعْدِنِ نَفْسِهِ جواهرَ العلومِ .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا »[1] .

ففي كلِّ يومٍ بإخلاصِهِ في العملِ للهِ يكشِفُ طبقةً مِنَ الأطباقِ التُّرابيَّةِ الجِبِلِّيَّةِ المُبعِدةِ عنِ اللهِ ، إلىٰ أنْ يكشِفَ باستكمالِ الأربعينَ أربعينَ طبقةً ؛ في كلِّ يومٍ طبقةً مِنْ أطباقِ حجابِهِ .

وآيةُ صِحَّةِ هـٰذا العبدِ ، وتأثُّرِهِ بالأربعينَ ، ووفائِهِ بشروطِ الإخلاصِ : أنْ يزهدَ بعدَ الأربعينَ في الدنيا ، ويتجافىٰ عن دارِ الغُرُورِ ، ويُنيبَ إلىٰ دارِ الخلودِ ؛ لأنَّ الزهدَ في الدنيا مِنْ ضرورةِ ظهورِ الحِكْمةِ ، ومَنْ لم يزهدْ في الدنيا ما ظَفِرَ بالحكمةِ[2] ، ومَنْ لم يَظفَرْ بالحكمةِ بعدَ الأربعينَ . تبيَّنَ أنَّهُ أَخَلَّ بالشروطِ ولم يُخلِصْ للهِ تعالىٰ ، ومَنْ لم يُخلِصْ ما عَبَدَ[3] ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَنا بالإخلاصِ كما أَمَرَنا بالعملِ ؛ فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

(٦٥) ـ أخبرَنا الشيخُ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ إجازةً[4] ، قالَ : أخبرَنا

---

(١) رواه البخاري (٣٣٨٣) دون قوله : (كمعادن الذهب والفضة) ، ومسلم (٢٦٣٨/ ١٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفقُهوا بالضم : صاروا فقهاء ، وبالكسر : فهموا .

(٢) لأنَّ ميلَهُ إلى الدنيا من الجهل ؛ فإنَّ العاقلَ مَنْ يختار ما هو خيرٌ ، والآخرة خيرٌ من الدنيا . من هامش (ح) .

(٣) في (ي) : (ومَنْ لم يخلص لله ما عبد اللهَ) .

(٤) قوله : (إجازة) زيادة من (ب ، هـ ، ح) .

أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خَلَفٍ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ الضُّبَعيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ أَشْرسَ ، قالَ : حدَّثَنا حفصُ بنُ عبدِ اللهِ ، قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن صفوانَ بنِ عسَّالٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ يَجِيءُ ٱلْإِخلَاصُ وَٱلشِّرْكُ يَجْثُوَانِ بَيْنَ يَدَيِ ٱلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ[1] ، فَيَقُولُ ٱلرَّبُّ لِلْإِخْلَاصِ : ٱنْطَلِقْ أَنْتَ وَأَهْلُكَ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَيَقُولُ لِلشِّرْكِ : ٱنْطَلِقْ أَنْتَ وَأَهْلُكَ إِلَى ٱلنَّارِ »[2] .

(٦٦) ـ وبهـٰذا الإسنادِ قالَ السُّلَميُّ : سمعتُ عليَّ بنَ سعيدٍ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سمعتُ [عليَّ بنَ] إبراهيمَ الشَّقِيقيَّ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ جعفرٍ الخَصَّافَ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ أحمدَ بنَ بشَّارٍ عنِ الإخلاصِ ما هوَ[3] ؟ قالَ : سألتُ أبا يعقوبَ الشُّرُوطيَّ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ أحمدَ بنَ غسَّانَ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ أحمدَ بنَ [عَطَاءٍ] الهُجَيْميَّ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ عبدَ الواحدِ بنَ زيدٍ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ الحسنَ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ حُذيفةَ عنِ الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ

---

(١) زاد في نسخة علىٰ هامش (ب) : (على الركب) .

(٢) رواه ابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٦/٣٨٦) عن سيدنا أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما ، والديلمي في « الفردوس » (٨٨٧٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر ما علَّقته سابقاً في (١/ ٢٨٥) علىٰ قوله : (بشار) .

الإخلاصِ ما هوَ ؟ قالَ : « سَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عنِ ٱلإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ رَبَّ ٱلْعِزَّةِ عنِ ٱلإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ سِرٌّ مِنْ سِرِّي أَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي »[1] .

فمِنَ الناسِ مَنْ يدخلُ الخَلْوةَ علىٰ مُراغمةِ النَّفْسِ ؛ إذِ النَّفْسُ بطبعِها كارهةٌ للخَلْوةِ ، ميَّالةٌ إلىٰ مُخالَطةِ الخَلْقِ ، فإذا أَزْعَجَها عن مَقارِّ عادتِها ، وحَبَسَها علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ . . يَعقُبُ كلَّ مرارةٍ تدخلُ عليها حلاوةٌ في القلبِ .

قالَ ذو النُّونِ رحمَهُ اللهُ : (لم أَرَ شيئاً أَبْعثَ على الإخلاصِ مِنَ الخَلْوةِ ، ومَنْ أَحَبَّ الخَلْوةَ فقدِ استمسكَ بعمودِ الإخلاصِ ، وظَفِرَ برُكْنٍ مِنْ أركانِ الصِّدْقِ)[2] .

وقالَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ لرجلٍ استَوْصاهُ : (الزَمِ الوَحْدةَ ، وامحُ اسمَكَ عنِ القومِ ، واستقبلِ الجدارَ حتىٰ تموتَ)[3] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ : (الوَحْدةُ مُنْيةُ الصِّدِّيقينَ)[4] .

ومِنَ الناسِ مَنْ ينبعثُ مِنْ باطنِهِ داعيةُ الخَلْوةِ ، وتنجذِبُ النَّفْسُ إلىٰ

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٨٥ـ٢٨٦) والتعليق علىٰ بعض رجاله .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٧٦) ، والسلمي في « الطبقات » (ص٢٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٥٠٥) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣١٧) ، والمُوصَىٰ : هو أبو العباس الدَّامَغَاني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه السلمي في « الطبقات » (ص١١٢) ، ومن طريقه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٤) ، وزادا : (والأُنْسُ بالناس وحشتُهُم) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٣١٦) ، وفيه : (جليس) بدل (منية) .

ذلكَ ، وهٰذا أَتَمُّ وأكملُ وأَدَلُّ علىٰ كمالِ الاستعدادِ .

وقد رُوِيَ مِنْ حالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . ما يَدُلُّ علىٰ ذلكَ فيما :

(٦٧) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ رحمةُ اللهِ عليهِ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ أحمدَ المُقرِئُ ، قالَ : أخبرَنا جعفرُ بنُ الحَكَّاكِ المَكِّيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الصَّنْعَانيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ النَّقْوِيُّ[1] ، قالَ : أخبرَنا إسحاقُ الدَّبَرِيُّ[2] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمرٍ ، قالَ : أخبرَني الزُّهْرِيُّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : أَوَّلُ ما بُدِئَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ . . الرُّؤْيا الصادقةُ في النومِ ، فكانَ لا يَرىٰ رُؤْيا إلَّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ ، ثمَّ حُبِّبَ إليهِ الخَلاءُ ، فكانَ يأتي حِراءً ، فيتحنَّثُ فيهِ الليالِيَ ذواتِ العَدَدِ ويتزوَّدُ لذلكَ[3] ، ثمَّ يَرجِعُ إلىٰ خديجةَ فيتزوَّدُ لمِثْلِها ، حتىٰ فاجأَهُ الحقُّ وهوَ في غارِ حِراءٍ ، فجاءَهُ المَلَكُ فيهِ ، فقالَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : اقْرَأْ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) هو الإمام المُعمَّر محمد بن أحمد الصَّنْعاني النَّقْوي (ت ٣٦٧هـ) صاحب إسحاق الدَّبَري ، ووقع في بعض النسخ : (البغوي) بدل (النقوي) ، وهو تصحيف ، والنَّقْوي : نسبة إلىٰ (نَقُو) قرية بصنعاء ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٤١) ، و« معجم البلدان » (٥/ ٣٠٠) .

(٢) هو الإمام المسند الصدوق أبو يعقوب بن إبراهيم بن عبَّاد الدَّبَري الصنعاني (ت ٢٨٥هـ) ، راويةُ الإمام عبد الرزاق الصنعاني ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٤١٦) .

(٣) التحنُّث : التعبُّد .

« فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي ٱلْجَهْدَ[1] ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : ٱقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ٱلثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي ٱلْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : ٱقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ٱلثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي ٱلْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ[2] : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ . . . ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ـ٥] » .

فرجعَ بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تَرجُفُ بَوَادرُهُ[3] ، حتىٰ دَخَلَ علىٰ خديجةَ ، فقالَ : « زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي » ، فزمَّلُوهُ حتىٰ ذَهَبَ عنهُ الرَّوعُ[4] ، فقالَ لخديجةَ : « مَا لِي ؟ » ، وأَخْبرَها الخَبرَ ، فقالَ : « قَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ عَقْلِي » ، فقالتْ : كلَّا ، أَبْشِرْ ؛ فواللهِ ؛ لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً ؛ إنَّكَ لَتصِلُ الرَّحِمَ[5] ،

---

(١) أي : بَلَغ الغطُّ منِّي الجهدَ ، ويجوز أن يُضبط أيضاً : (الجُهْدُ) بضم الجيم والرفع ؛ أي : بلغ الجُهْدُ مبلغَهُ . انظر « إرشاد الساري » (٧/ ٤٢٦) .

(٢) **أَرْسَلَني** ؛ أي : أطلقني ، فهٰذه الغطَّاتُ الثلاثُ تصرُّفاتٌ من جبريلَ عليه السلام بأمرِ الحقِّ سبحانه في بشريَّته وروحانيَّته وسرِّهِ؛ ليتهيَّأ بها لكلام الله الذي يترقَّىٰ به بشره وروحانيَّته وسرُّهُ عليه الصلاة والسلام ؛ فإنَّ كلام الله يتضمَّن تجلِّيات الأفعال وتجلِّيات الصفات وتجلِّيات الذات ؛ فبكلِّ تصرُّفٍ تهيَّأ للفيوض الإلٰهيَّة في المراتب الثلاث ، وهو عليه السلام تصرَّفَ في أصحابه ، وهم في التابعين ، وهم في أتباعهم ، وهٰكذا إلىٰ أن يريد الله ، فكلُّ مَنْ لم يُتصرَّفْ فيه لا يقدر أن يَتصرَّفَ في غيره ، فالمُتصرِّفون في النفوس والقلوبِ والأرواح . . هم الوَرَثَةُ حقيقةً ، يهتدي بهم مَنْ يقتدي بهم ، ويتخلَّصُ من وجوده مَنْ يُسلِّم إليهم ، وأمَّا الجامد المحجوب الذي لم يُتصرَّفْ فيه وما سَلَّم لأحد . . فلا يصلح للاقتداء . من هامش (ح) .

(٣) **البوادر** : جمع (بادرة) ؛ وهي اللحمةُ التي بين الكَتِف والعُنُق تضطرب عند الفزع .

(٤) **الرَّوع** : الخوف والفزع .

(٥) **صلة الرحم** : هي الإحسان إلى الأقارب علىٰ حسب حال الواصل والموصول ؛ فتارةً تكون بالمال ، وتارةً تكون بالخدمة ، وتارةً تكون بالزيارة والكلامِ وكفايةِ المهمَّات . من هامش (ح) .

وتصدُقُ الحديثَ[١] ، وتَحمِلُ الكَلَّ[٢] ، وتَقْرِي الضَّيفَ ، وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ .

ثمَّ انطلقَتْ بهِ خديجةُ حتىٰ أَتَتْ بهِ وَرَقَةَ بنَ نوفلٍ ، وكانَ امرأً تنصَّرَ في الجاهليَّةِ ، وكانَ يكتبُ الكتابَ العربيَّ ، وكَتَبَ بالعربيَّةِ مِنَ الإنجيلِ ما شاءَ اللهُ أنْ يكتبَ ، وكانَ شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، فقالتْ لهُ خديجةُ : أي عمِّي[٣] ؛ اسمَعْ مِنِ ابنِ أخيكَ ، فقالَ وَرَقَةُ : يا بنَ أخي ؛ ماذا ترىٰ ؟ فأخبرَهُ الخبرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقالَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[٤] : هٰذا هوَ النَّامُوسُ[٥] الذي أُنزِلَ علىٰ موسىٰ ، يا ليتَني فيها جَذَعاً أكونُ حيّاً حينَ يُخرِجُكَ قومُكَ[٦] ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟! » ، قالَ وَرَقَةُ : نعم ؛ لم يأتِ أحدٌ قطُّ بما جئتَ بهِ إلا عُودِيَ وأُوذِيَ ؛ فإنْ يُدرِكْني يومُكَ أَنصُرْكَ نَصْراً مُؤزَّراً[٧] .

---

(١) في النسخ ما عدا (ج ، ي) : (وتتصدَّق) بدل (وتصدق الحديث) .

(٢) الكَلُّ : الضعيف المنقطع واليتيم .

(٣) في (ب) : (أي بن عم) ، وفي (ي) : (يا بن عم) ، وهي رواية أبي ذر الهروي . انظر « إرشاد الساري » (٧/ ٤٢٧) .

(٤) زاد في (د) : (يا بن أخي) ، وسقطت من المصادر الآتية .

(٥) زاد في (د) : (الأعظم) ، وفي (ي) : (الأكبر) ، وسقطت من باقي النسخ كما هو الرواية في المصادر الآتية ، والناموس : صاحب السِّرِّ ؛ وهو سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام .

(٦) الجَذَع : الشاب .

(٧) مصنف عبد الرزاق (٩٧١٩) ، ورواه البخاري (٦٩٨٢) ، ومسلم (١٦٠) .

وحَدَّثَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يُحدِّثُ عن فَتْرةِ الوَحْيِ ؛ فقالَ في حديثِ : « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا ٱلْمَلَكُ ٱلَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ رُعْباً[(١)] ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي ، فَدَثِّرُونِي ، فَأَنْزَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ . . . ﴾ إلىٰ ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر : ١-٥] »[(٢)] .

ونُقِلَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذَهَبَ مِراراً كي يُردِيَ نَفْسَهُ مِنْ شواهقِ الجبالِ ، وكلَّما وافىٰ لذُِرْوةِ جبلٍ لكي يُلقِيَ نَفْسَهُ منهُ . . تبدَّىٰ لهُ جَبْرَئيلُ عليهِ السَّلامُ فقالَ : يا محمَّدُ ؛ إنَّكَ رسولُ اللهِ حقّاً ، فيسكنُ لذلكَ جَأْشُهُ[(٣)] ، وإذا طالتْ عليهِ فَتْرةُ الوَحْيِ عادَ لمِثْلِ ذلكَ ، فيتبدَّىٰ لهُ جَبْرَئيلُ فيقولُ لهُ مثلَ ذلكَ[(٤)] .

فهـٰذهِ الأخبارُ المُنبِئةُ عن بَدْءِ أَمْرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . هيَ الأصلُ في إيثارِ المشايخِ الخَلْوةَ للمُريدينَ والطالبينَ ؛ فإنَّهُم إذا أَخْلَصُوا للهِ في خَلَواتِهِم يفتحُ اللهُ تعالىٰ عليهِم ما يُؤنِسُهُم في خَلْوتِهِم ؛ تعويضاً مِنَ اللهِ إيَّاهُم عمَّا تركُوا لأجلِهِ .

---

(١) جُئِثْتُ : خِفْت ، وفي (ب) : (فجثيت) بدل (فجئثت) ، وفي (ح ، ي) : (فخشيت) ، وفي رواية الحموي والمستملي : (فجئثت) ؛ أي : سقطتُ وهَوَيت . انظر « إرشاد الساري » (٥/٢٧٨) .

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٨) ، ومسلم (١٦١) .

(٣) الجَأْش : اضطراب القلب .

(٤) رواه البخاري (٦٩٨٢) ، وهو من تمام حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها السابق ، ولم يرد في « صحيح مسلم » .

ثمَّ خَلْوةُ القومِ مُستمِرَّةٌ ، وإنَّما الأربعونَ واستكمالُها لهُ أَثَرٌ ظاهرٌ في ظُهُورِ مبادئِ بشائرِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وسُنُوحِ مواهبِهِ السَّنِيَّةِ[1] ، واللهُ أعلمُ[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) السُّنُوح : مصدر (سَنَح) ؛ إذا ظهر أو جاد .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب السابع والعشرون

في ذكر فتوح الأربعينية

وقد غَلِطَ في طريقِ الخَلْوةِ والأربعينيّةِ قومٌ ، وحرَّفُوا الكَلِمَ عن مواضعِهِ ، ودَخَلَ عليهِمُ الشيطانُ ، وفَتَحَ عليهِم بابَ الغُرُورِ ، ودخلُوا الخَلْوةَ علىٰ غيرِ أصلٍ مستقيمٍ ؛ مِنْ تأديةِ حَقِّ الخَلْوةِ بالإخلاصِ ، وسَمِعُوا أنَّ المشايخَ والصُّوفيّةَ كانتْ لهُم خَلَوَاتٌ ، وظَهَرَتْ لهُم كراماتٌ ووقائعُ ، وكُوشِفُوا بغرائبَ وعجائبَ ، فدخلُوا الخَلْوةَ لطلبِ ذلكَ ، وهٰذا عينُ الاعتلالِ ، ومَحْضُ الضلالِ .

وإنَّما القومُ اختارُوا الخَلْوةَ والوَحْدةَ ؛ لسلامةِ الدِّينِ ، وتَفَقُّدِ أحوالِ النَّفْسِ ، وإخلاصِ العَمَلِ للهِ تعالىٰ .

نُقِلَ عن أبي عمرٍو الأَنْماطيِّ أنَّهُ قالَ[1] : (لن يصفوَ للعاقلِ فهمُ الأخيرِ إلا بإحكامِ ما يجبُ عليهِ مِنْ إصلاحِ الحالِ الأوَّلِ والمواطنِ التي ينبغي أنْ يعرفَ منها أمُزدادٌ هوَ أم مُنتقِصٌ ، فعليهِ أنْ يطلبَ مواضعَ الخَلْوةِ ؛ لكي لا يُعارِضَهُ شُغْلٌ فيُفسِدَ عليهِ ما يُريدُ)[2] .

---

(١) قوله : (أبي عمرو) كذا في جميع النسخ ، وفي « تاريخ بغداد » (١٢/ ٧٣) : (أبي عمر) .

(٢) في (ب) : (شاغل مشغل) بدل (شغل) ، وفي (د) : (شاغل) .

(٦٨) ـ أخبرَنا طاهرُ بنُ أبي الفضلِ إجازةً[١] ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا [عثمانَ] المَغْربيَّ يقولُ[٢] : (مَنِ اختارَ الخَلْوةَ على الصُّحْبةِ . . ينبغي أنْ يكونَ خالياً مِنْ جميعِ الأذكارِ إلَّا ذِكْرَ ربِّهِ ، وخالياً مِنْ جميعِ المُراداتِ إلَّا مُرادَ ربِّهِ ، وخالياً مِنْ مُطالَبةِ النَّفْسِ مِنْ جميعِ الأسبابِ ، فإنْ لم يكنْ بهـٰذهِ الصِّفةِ فإنَّ خَلْوتَهُ تُوقِعُهُ في فتنةٍ أو بَليَّةٍ)[٣] .

(٦٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً[٤] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ إجازةً[٥] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ منصوراً يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ حامدٍ يقولُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ زيارةِ أبي بكرٍ الورَّاقِ ، فقالَ لهُ : أَوْصِني ، فقالَ : وجدتُ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ في الخَلْوةِ والقِلَّةِ ، ووجدتُ شرَّهُما في الكَثْرةِ والاختلاطِ[٦] .

فمَنْ دَخَلَ الخَلْوةَ مُعتلّاً في دخولِهِ[٧] . . دَخَلَ عليهِ الشيطانُ ، وسَوَّلَ لهُ أنواعَ الطُّغْيانِ ، وامتلأَ مِنَ الغُرُورِ والمُحالِ ، وظَنَّ أنَّهُ علىٰ حُسْنِ الحالِ .

وقد دخلتِ الفتنةُ علىٰ قومٍ دخلُوا الخَلْوةَ بغيرِ شروطِها ، وأَقْبلُوا علىٰ

---

(١) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (ب ، و ، ي) .

(٢) في النسخ : (أبا تميم) بدل (أبا عثمان) ، والمثبت من المصدرين الآتيين .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣١٤ـ٣١٥) .

(٤) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، د ، و ، ز) .

(٥) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، د ، و ، ز) .

(٦) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٧٩) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣١٥) .

(٧) أي : غير مخلص ، بل طالباً لتلك المُرادات النفسانية . من هامش (ح) .

ذِكْرٍ مِنَ الأذكارِ ، واستجمُّوا نفوسَهُم بالعُزْلةِ عنِ الخَلْقِ[١] ، ومنعُوا الشواغلَ مِنَ الحواسِّ ؛ كفعلِ الرَّهابينِ والبَراهِمَةِ والفلاسفةِ .

وللوَحْدةِ وجَمْعِ الهَمِّ تأثيرٌ في صفاءِ الباطنِ مُطلقاً[٢] ؛ فما كانَ مِنْ ذلكَ بحُسْنِ سياسةِ الشرعِ وصِدْقِ المُتابَعةِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أَنْتجَ تنويرَ القلبِ ، والزُّهْدَ في الدُّنيا ، وحَلاوةَ الذِّكْرِ ، والمُعامَلةَ للهِ بالإخلاصِ مِنَ الصلاةِ والتِّلاوةِ وغيرِ ذلكَ .

وما كانَ مِنْ ذلكَ مِنْ غيرِ سياسةِ الشرعِ ومُتابَعةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . يُنتِجُ صفاءً في النَّفْسِ يُستعانُ بهِ على اكتسابِ علومٍ رياضيَّةٍ ممَّا تعتني بهِ الفلاسفةُ والدَّهْريُّونَ خَذَلَهُمُ اللهُ تعالىٰ .

وكلَّما كَثُرَ مِنْ ذلكَ كَثُرَ البُعْدُ مِنَ اللهِ ، ولا يزالُ المُقبِلُ علىٰ ذلكَ يَستغوِيهِ الشيطانُ بما يكتسبُ مِنَ العلومِ الرياضيَّةِ[٣] ، أو بما قد يتراءىٰ لهُ مِنْ

---

(١) استجمُّوا : أراحوا .

(٢) فإنَّ جناب الكريم أعلىٰ من أن يُخيِّب سائلاً حَصَرَ همَّهُ علىٰ جنابه ، وانقطع إلىٰ بابه ، فالمطالبُ النفسيَّة والمواهب المجازيَّة مبذولةٌ لكلِّ طالبِ سائلٍ منقطعٍ مجموعِ الهمِّ ، وهي جزاء الأعمال الظاهرة والباطنة الدنيويَّة ، سواء كانت تلك الأعمال مشروعةً أو لا ، وأمَّا القلبيَّة والمواهب الحقيقيَّة . . فلا تصلح إلا لمَنِ اتَّبع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ظاهراً وباطناً ، جهراً وسرّاً ، فالميزانُ الذي يُعرف به الصحيحُ من السقيم من الأحوال ، والمِحَكُّ الذي يُميَّز به النَّبَهْرَج المغشوش من الجيِّد المسكوك من ديوان الملك المتعال ، المُيسَّر به تحصيلُ المرادات الحقيقيَّة في الحال والمآل . . إنَّما هو اتِّباعُ شريعة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فزِنْ به أحوالَ الرجال تكن آمناً من الخسران والضلال . من هامش (ح) .

(٣) ظنّاً منه أنَّهُ علىٰ حسن الحال ؛ بما أُتيح له من الوصول به إلىٰ هـٰذه الآمال ، فيُقال له : (من الرجز) =

صِدْقِ الخاطرِ وغيرِ ذلكَ . . حتىٰ يركَنَ إليهِ كلَّ الرُّكُونِ ، ويظنَّ أنَّهُ قد ظَفِرَ بالمقصودِ ، ولا يعلمُ أنَّ هٰذا الفنَّ مِنَ الفائدةِ غيرُ ممنوعٍ مِنَ النَّصارىٰ والبَرَاهِمَةِ ، وليستْ هيَ المقصودَ مِنَ الخلوةِ ؛ يقولُ بعضُهُمْ : (الحقُّ يُرِيدُ منكَ الاستقامةَ وأنتَ تطلُبُ الكرامةَ !!)(١) .

وقد يُفتَحُ على الصادقينَ شيءٌ مِنْ خوارقِ العاداتِ ، وصِدْقِ الفِراسةِ ، ويتبيَّنُ ما سيحدُثُ في المستقبلِ ، وقد لا يُفتَحُ عليهِم ذلكَ ، ولا يَقدَحُ في حالِهِم عدمُ ذلكَ ، وإنَّما يَقدَحُ في حالِهِمُ الانحرافُ عن حَدِّ الاستقامةِ .

فما يُفتَحُ مِنْ ذلكَ على الصادقينَ . . يصيرُ مَزِيدَ إيقانِهِم(٢) ، والداعيَ لهُم إلىٰ صِدْقِ المُجاهَدةِ والمُعامَلةِ ، والزُّهْدِ في الدنيا ، والتخلُّقِ بالأخلاقِ الحميدةِ(٣) .

وما يُفتَحُ مِنْ ذلكَ علىٰ مَنْ ليسَ تحتَ سياسةِ الشَّرْعِ . . يصيرُ سبباً لمَزِيدِ بُعْدِهِ وغُرُورِهِ وحماقتِهِ ، واستطالتِهِ على الناسِ ، وإزْرائِهِ بالخَلْقِ ، ولا يزالُ بهِ حتىٰ يخلعَ رِبْقَةَ الإسلامِ عن عُنُقِهِ ، ويُنكِرَ الحدودَ والأحكامَ ، والحلالَ

= سوفَ ترىٰ إذا انجلى الغُبارُ ... أفرسٌ تحتَكَ أم حمارُ

من هامش (ح) .

(١) سبق بنحوه في (١/ ٢٠٨) عن أبي علي الجوزجاني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د) : (سبباً لمزيد) بدل (مزيدَ) .

(٣) لعلمهم أنَّ هٰذه المواهبَ بواسطة هٰذه المكاسب بتقدير العزيز العليم ، فيزيدون المكاسبَ لازدياد المواهب التي تُقرِّبُهم إلى الله وتُعرِّفُهم بالله ، مُتيقِّنين بإنجاز [وعد] الله الكريم ؛ قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . . . ﴾ الآيةَ [العنكبوت : ٦٩] . من هامش (ح) .

والحرامَ ، ويظنَّ أنَّ المقصودَ مِنَ العباداتِ ذِكْرُ اللهِ تعالىٰ ، ويتركَ مُتابَعةَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ يتدرَّجَ مِنْ ذلكَ إلىٰ تَلَحُّدٍ وتَزَنْدُقٍ ، نعوذُ باللهِ مِنَ الضَّلالِ .

وقد يَلُوحُ لأقوامٍ خيالاتٌ يظنُّونَها وقائعَ ، ويُشبِّهُونَها بوقائعِ المشايخِ ، مِنْ غيرِ عِلْمٍ بحقيقةِ ذلكَ ، فمَنْ أرادَ تحقيقَ ذلكَ فليعلَمْ : أنَّ العبدَ إذا أَخْلصَ للهِ تعالىٰ وأَحْسنَ النِّيَّةَ ، وقَعَدَ في الخَلْوةِ أربعينَ يوماً أو أكثرَ . . فمنهُم مَنْ يُباشِرُ باطنَهُ صفوُ اليقينِ ، ويُرفَعُ الحجابُ عن قلبِهِ ، ويصيرُ كما قالَ قائلُهُم : (رأىٰ قلبي ربِّي)[1] .

وقد يَصِلُ إلىٰ هـٰذا المَقامِ : تارةً بإحياءِ الأوقاتِ بالصَّالحاتِ ، وكَفِّ الجوارحِ وتوزيعِ الأورادِ مِنَ الصَّلاةِ والتِّلاوةِ والذِّكْرِ على الأوقاتِ .

وتارةً يُبادِئُهُ الحقُّ ـ لموضعِ صِدْقِهِ ، وقُوَّةِ استعدادِهِ ـ مُبادأةً مِنْ غيرِ عَمَلٍ وُجِدَ منهُ[2] .

وتارةً يَجِدُ ذلكَ بمُلازَمةِ ذِكْرٍ واحدٍ مِنَ الأذكارِ ؛ لا يزالُ يُردِّدُ ذلكَ الذِّكْرَ ويقولُهُ ، وتكونُ عبادتُهُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ بسُنَنِها الرَّواتبِ فحَسْبُ ، وسائرُ أوقاتِهِ مشغولةٌ بالذِّكْرِ الواحدِ ، لا يتخلَّلُها فُتُورٌ ، ولا يُوجَدُ منهُ قُصورٌ ، لا يزالُ يُردِّدُ ذلكَ الذِّكْرَ مُلتزِماً بهِ ـ حتىٰ في طريقِ الوضوءِ وساعةِ الأكلِ ـ لا يَفتُرُ عنهُ .

---

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (٥/ ٥٤) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) في (أ ، ز) : (وخدمة منه) بدل (وجد منه) ، وفي (ب) : (من غير عمله وخدمته) .

واختارَ جمعٌ مِنَ المشايخِ مِنَ الذِّكْرِ كلمةَ : (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ) .

وهـٰذهِ الكلمةُ لها خاصِّيَّةٌ في تنويرِ الباطنِ وجَمْعِ الهَمِّ إذا داومَ عليها صادقٌ مُخلِصٌ[1] ، وهيَ مِنْ مواهبِ الحقِّ لهـٰذهِ الأُمَّةِ ، وفيها خاصِّيَّةٌ لهـٰذه الأُمَّةِ فيما :

(٧٠) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ رحمةُ اللهِ عليهِ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ الدِّمَشْقيُّ السَّمَرْقَنْديُّ الحافظُ[2] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الدائمِ بنُ الحسنِ[3] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الوهَّابِ الدِّمَشْقيُّ[4] ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ [خُرَيمٍ][5] ، قالَ : حدَّثَنا هشامُ بنُ عمَّارٍ ، قالَ : حدَّثَنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ زيدٍ ، عن أبيهِ : أنَّ عيسى بنَ مريمَ

---

(١) لأنَّها لاشتمالها علىٰ نفي الكثرةِ وإثباتِ الوَحْدة . . تُزِيلُ آثارَ الأغيار والمُحدَثاتِ عن القلب ، وتفيضُ أنوارَ وحدانيَّة الحضرةِ عليه ، فإذا لازم علىٰ هـٰذه الكلمةِ تزولُ الآثار شيئاً فشيئاً ، وتزيد الأنوار يوماً فيوماً إلىٰ أن ينقلع سحابُ الحادث عن وجه شمس القديم ، فصارت آفاق الأنفس حينئذ ، وينجمع الهمُّ بل يزول ، ووافىٰ سير الشهود والوصول . من هامش (ح) .

(٢) هو الإمام المُحدِّث المفيد المسند إسماعيل بن أحمد بن عمر السَّمَرْقَنْدي الدمشقي البغدادي (ت ٥٣٦هـ) ، كان مسند خراسان والعراق ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٢٨) .

(٣) هو الإمام المُحدِّث أبو الحسين وأبو القاسم الهلالي الدمشقي القطَّان (ت ٤٦٠هـ) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٤/ ١٠٤) .

(٤) هو الإمام المُحدِّث الصادق المعمَّر أبو الحسين بن الحسن بن الوليد الكِلابي الدمشقي (ت ٣٩٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٥٧) .

(٥) هو الإمام المُحدِّث الصدوق مسند دمشق أبو بكر العقيلي الدمشقي (ت ٣١٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٤٢٨) ، وفي النسخ : (خزيم) ، والصواب المثبت ، كما في المصادر والمراجع .

عليهِ السلامُ قالَ : رَبِّ ؛ أَنبِئْني عن هـٰذهِ الأُمَّةِ المرحومةِ[١] ، قالَ : أُمَّةُ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، عُلَماءُ أَخْفِياءُ حُكَماءُ[٢] ، كأنَّهُم أنبياءُ ، يَرضَوْنَ مِنِّي بالقليلِ مِنَ العطاءِ ، وأَرْضىٰ منهُم باليسيرِ مِنَ العملِ ، وأُدخِلُهُمُ الجنَّةَ بـ (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ) ، يا عيسىٰ ؛ هم أكثرُ سُكَّانِ الجنَّةِ ؛ لأنَّها لم تَذِلَّ أَلْسُنُ قومٍ[٣] قطُّ بـ (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ) كما ذَلَّتْ ألسنتُهُم ، ولم تَذِلَّ رقابُ قومٍ قطُّ بالسُّجُودِ كما ذَلَّتْ رقابُهُم[٤] .

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : إنَّ هـٰذهِ الآيةَ مكتوبةٌ في التوراةِ : (يا أيُّها النبيُّ ؛ إنَّا أَرْسَلْناكَ شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً ، وحِرْزاً للمؤمنينَ ، وكَنْزاً للأُمِّيِّينَ[٥] ، أنتَ عَبْدي ورَسُولي ، سَمَّيْتُكَ المُتوكِّلَ ، ليسَ بفَظٍّ ولا غليظٍ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواقِ[٦] ، ولا يَجْزي بالسيِّئةِ السيِّئةَ ، ولـٰكن يعفو ويصفحُ ، ولن أَقبِضَهُ حتىٰ تُقامَ بهِ المِلَّةُ المُعْوَجَّةُ ؛ بأنْ يقولوا : « لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ » ، ويفتحُوا أَعْيُناً عُمْياً[٧] ، وآذاناً صُمّاً[٨] ، وقُلُوباً غُلْفاً)[٩] .

---

(١) المذكورةِ في الإنجيل . من هامش (ح) .

(٢) في (ب ، ج) : (حلماء) بدل (حكماء) ، وجاء في بعض النسخ : (أحفياء) بدل (أخفياء) ، وفي (ي) ويحتمله في (د) : (علماء أخفياء أتقياء حكماء حلماء) ، والمثبت أقرب للمصدرين الآتيين .

(٣) أي : من الأمم السوالف . من هامش (ح) .

(٤) رواه من طريق أبي القاسم الدمشقيِّ ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧/ ٣٨٢) .

(٥) في (د) : (للآمنين) .

(٦) السَّخَّاب : كثير الصِّياح والصوت ، ويجوز أن يقرأ بالصاد كما جاء في (ج) .

(٧) عن مشاهدة وحدانيَّة الحقِّ تعالىٰ . من هامش (ح) .

(٨) عن سماع كلام الحقِّ تعالىٰ . من هامش (ح) .

(٩) رواه البخاري (٤٨٣٨) ، وغُلْفاً : جمع (أغلف) ؛ وهو المُغطَّىٰ والمستور .

فلا يزالُ العبدُ في خَلْوتِهِ يُرَدِّدُ هـٰذهِ الكلمةَ علىٰ لسانِهِ معَ مُواطَأةِ القلبِ[1] . . حتىٰ تصيرَ الكلمةُ مُتأصِّلةً في القلبِ ، مُزِيلةً لحديثِ النَّفْسِ ، ينوبُ معناها في القلبِ عن كلِّ حديثِ النَّفْسِ[2] .

فإذا استولتِ الكلمةُ ، وسَهُلَتْ على اللِّسانِ . . يتشرَّبُها القلبُ ، فلو سكتَ اللِّسانُ لم يسكتِ القلبُ ، ثمَّ تتجوهرُ في القلبِ[3] ، وبتجوهرِها في القلبِ يَستكِنُّ نورُ اليقينِ في القلبِ ، حتىٰ إذا ذهبتْ صورةُ الكلمةِ مِنَ اللِّسانِ والقلبِ . . لا يزولُ نورُها[4] ؛ لتجوهرِها ، ويتَّحدُ الذِّكْرُ معَ رُؤْيةِ عَظَمةِ

---

(١) أي : موافقة القلب .

(٢) معنى الكلمةِ بالنسبة إلى المبتدئ صاحبِ النَّفْس : (لا معبودَ غيرُ الله) ؛ لا يزالُ يَقصِدُ هـٰذا المعنىٰ إلىٰ أن تنتفيَ المعبوداتُ الباطلة التي هي أهويةُ النفس بالميل إلىٰ مُشتهَيات هـٰذه الدار ، وبالنسبة إلى المُتوسِّط صاحبِ القلب : (لا مطلوبَ ـ أو لا مُرادَ ، أو لا مقصودَ ، أو لا محبوبَ ـ غيرُ الله) ؛ لا يزالُ يقصدُ واحداً من هـٰذه المعاني بحسب مُقتضيات الأحوالِ إلىٰ ألَّا يبقىٰ في قلبه مطلوبٌ ومرادٌ ومقصود ومحبوبٌ غيرُ الله ، وينقطعَ من تشبُّثات النفس المائلة إلىٰ ما سوى الله ، فيستولي نورُ المذكور على القلب ، وينفتح إلىٰ مشاهدة وحدانيَّته تعالىٰ في صفحات الكائنات ، فيرىٰ قَيُّوميَّته وقيامَ كلِّ شيء به ، **فيصيرُ أهلاً للمعنى الأخير المخصوصِ بأرباب النهاية** ؛ (لا موجود إلا الله) ؛ فلا يزالُ يقول : (لا إلـٰه إلا الله) وينوي بأسره في نظر شهوده ، ثمَّ يضمحلُّ شهودُهُ ، ويتحقَّقُ معنىٰ قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ، ومعنىٰ قولِهِ عليه السلام : « كانَ اللهُ ولم يكنْ معَهُ شيءٌ » ، وفهمُ ما قال بعضُ الأولياء : (وهو الآنَ علىٰ ما كان عليه) ، ثمَّ ما يُرتَّبُ علىٰ هـٰذا المعنىٰ لا يدخل تحت (. . .) البيان . من هامش (ح) .

(٣) ويصيرُ نورُها كجوهرةٍ صافيةِ اللمعة ، أضوءَ من كلِّ الأنوار ، تُضِيءُ القلبَ في جميع الأطوار بالليل والنهار . من هامش (ح) .

(٤) أي : لا يزول عن القلب ، **ويُسمَّىٰ تعاهد النور** : ذكر السرِّ ، **وفوق ذلك** : ذكر سرِّ السرِّ **المُسمَّىٰ عند ملوك الطريقة** : الخفي ، **وعلامة هـٰذا الذكر** : الحَيْرةُ وغلبة السكر ؛ =

المذكورِ سُبْحانَهُ وتعالىٰ[1] ، ويصيرُ الذِّكْرُ حينَئذٍ ذِكْرَ الذَّاتِ ، وهـٰذا الذِّكْرُ هوَ المُشاهَدةُ والمُكاشَفةُ والمُعايَنةُ ؛ أعني : ذِكْرَ الذَّاتِ بتَجَوْهُرِ نُورِ الذِّكْرِ[2] ، وهـٰذا هوَ المَقصِدُ الأَقْصىٰ مِنَ الخَلْوةِ[3] .

وقد يَحصُلُ هـٰذا مِنَ الخَلْوةِ لا بذِكْرِ الكلمةِ ، بل بتلاوةِ القرآنِ ؛ إذا أَكْثَرَ مِنَ التِّلاوةِ ، واجتهدَ في مُواطأةِ القَلْبِ معَ اللِّسانِ[4] ، حتىٰ تجريَ التِّلاوةُ على اللِّسانِ ، ويقومَ معنى الكلامِ قائماً مَقامَ حديثِ النَّفْسِ ، فيدخلُ على العبدِ سهولةٌ في التِّلاوةِ والصَّلاةِ ، ويتنوَّرُ الباطنُ بتلكَ السُّهُولةِ في التِّلاوةِ والصَّلاةِ، ويتجوهرُ نورُ الكلامِ في القلبِ ، ويكونُ منهُ أيضاً ذكرُ الذَّاتِ[5] ،

= بحيثُ يصير مغلوباً كالسكران الطافح ، وهـٰذان النوعان من الذكر فوقَ ذكر القلب واللسان ؛ ولهـٰذا أشار سهل بن عبد الله قال : (ذكر اللسان لقلقة ، وذكر القلب وسوسة) . من هامش (ج) .

(١) في (ب ، هـ ، ي) : (ويتَّخذ) بدل (ويتَّحد) .

(٢) قوله : (ذِكْر الذَّات) ؛ أي : ذات المذكور ، ويُسمَّىٰ : ذكر الخفي ، وهو المرتبة الرابعةُ من أقسام الذكر ، وإنَّما سُمِّي ذكرَ الذات ؛ لأنَّ نورَ ذكرِ ذاتِ المذكور أثَّرَ في القلب ، وغلَبَ عليه وأخذه عنه بحيثُ استغرق فيه ، وهـٰذا الذكر عينُ المشاهدة والمكاشفة والمعاينة ، وذلك من تجلِّيات الذات ، وهو أَعْلى المقاصد وأسنى المطالب مِنَ الخلوة ، هنيئاً لأرباب المقاصد والعُلا ، هنيئاً لأصحاب المطالب والمُنىٰ . من هامش (ج) .

(٣) ثمَّ يصيرُ [أهلاً] للجلوة ، وتصيرُ جلوتُهُ خلوةً ، ولا يحجُبُهُ الخَلْق عن الحقِّ ، وهو معَ ذلكَ ضابطٌ لقلبه ، حارسٌ لنفسه ، عارفٌ بفتَراته ، مُتداركٌ لغفَلاته ، غيرُ مُغترٍّ بحاله ، طالبٌ للمزيد من فيضِ لطفِ الله وإفضالِه . من هامش (ح) .

(٤) مع مطالعة عظمة المُتكلِّم . من هامش (ح) .

(٥) أي : ويكون من المذكور ـ وهو تلاوة القرآن ـ ذكرُ الذات ، كما كان في الذكر بـ (لا إلـٰه إلا الله) .

ويجتمعُ نورُ الكلامِ في القلبِ معَ مُطالَعةِ عَظَمةِ المُتكلِّمِ سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ .

ودونَ هـٰذهِ المَوْهِبةِ[1] ما يُفتَحُ على العبدِ مِنَ العلومِ الإلهاميَّةِ اللَّدُنِّيَّةِ[2] ، وإلىٰ حينِ بلوغِ العبدِ هـٰذا المبلغَ مِنْ حقيقةِ الذِّكْرِ والتلاوةِ إذا صفا باطنُهُ . . قد يغيبُ في الذِّكْرِ مِنْ كمالِ أُنْسِهِ وحلاوةِ ذِكْرِهِ ؛ حتىٰ يلتحقَ في غيبتِهِ في الذِّكْرِ بالنائمِ[3] .

وقد تتجلَّىٰ لهُ الحقائقُ في لِبْسةِ الخيالِ أوّلاً[4] ، كما تَنكشِفُ الحقائقُ

---

(١) أي : تجوهر الكلمة والكلام في القلب . من هامش (ح) .

(٢) فيُعلَمُ : أنَّ مَنْ تقيَّد بالعلوم اللَّدُنِّيَّة ، سيَّما المناسبات الكونيَّة ، ولم يتحصَّن عينُ البصيرة عنها بتوجُّه السِّرِّ إلى الحضرة الأَحَدِيَّة . . لا يتجوهرُ نور الكلمة والكلامِ في القلب ، فلم يرقَ إلى الفناء الذاتيِّ واضمحلال الوجود بالكُلِّيَّة . من هامش (ح) .

(٣) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٤٣ـ ٤٤) : (واعلَمْ : أنَّ الأذكار أربعةٌ : ذِكْرٌ باللسان ، وفيه [المناجاة] ، وذكر بالقلب ، وفيه المحادثة ، وذكر بالسرِّ ، وفيه المراقبة ، وذكرٌ بالرُّوح ، وفيه المشاهدة .

واعلَمْ : أنَّ الأنوارَ التي تحصل من الأذكار أيضاً أربعةٌ : نورُ الإسلام ، ونور الإيمان ، ونور الإحسان ، ونورَ الإيقان ؛ فنورُ الإسلام يحصلُ مِنْ ذِكْرِ اللِّسان ، ونور الإيمان يحصل من ذكر القلب ، ونور الإحسان يحصل من ذكر السرِّ ، ونور الإيقان يحصل من ذكر الروح ، فنورُ الإسلام كنور الكواكب ، ونور الإيمان كنور القمر ، ونور الإحسان كنور الصبح ، ونور الإيقان كنور الشمس المشرقة المُظهِرة للأشياء كلِّها بأجناسها وأنوعها وسماتها وصفاتها ، فمَنْ فاز بنور الإسلام ولم يفز بغيره . . كمَنْ أدرك ركعةً مثلاً من صلاة الظهر أو العصر أو العشاء ؛ وهي الركعة الأخيرة ، فما فاتت منه تلك الصلاةُ وإن كانت الفضيلة ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان . . كمن أدرك منها ركعتين ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان والإحسان . . كمن أدرك منها ثلاث ركعات ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان والإحسان . . كمن أدرك منها ثلاث ركعات ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان . . كمن أدرك الركعاتِ الأربعَ ، وتمَّت وكَمَلَتْ صلاتُهُ في نفسها ، والله أعلم) .

(٤) أي : في غيبته في الذكر قبل غيبته عن الوجود . من هامش (ح) .

للنائمِ في لبسةِ الخيالِ ؛ كمَنْ رأىٰ في المنامِ أنَّهُ قَتَلَ حيَّةً ، فيقولُ لهُ المُعبِّرُ : تَظفَرُ بالعَدُوِّ ، فظَفَرُهُ بالعدوِّ كَشْفٌ كاشفَهُ الحقُّ بهِ ، وهـٰذا الظَّفَرُ رُوحٌ مُجرَّدٌ[1] صَوَّغَ ملكُ الرُّؤْيا لهُ جَسَداً لهـٰذا الرُّوحِ مِنْ خيالِ الحَيَّةِ[2] .

فالرُّوحُ الذي هوَ كَشْفُ الظَّفَرِ . . إخبارُ الحقِّ ، ولِبْسةُ الخيالِ الذي هوَ بمثابةِ الجَسَدِ . . مثالٌ انبعثَ مِنْ نَفْسِ الرَّائي في المَنامِ مِنِ استصحابِ القُوَّةِ الوَهْميَّةِ والخياليَّةِ مِنَ اليقظةِ ، فتُؤلِّفُ رُوحُ كَشْفِ الظَّفَرِ معَ جَسَدِ مثالِ الحيَّةِ ، فافتقرَ إلى التعبيرِ ؛ إذ لو كُوشِفَ بالحقيقةِ التي هيَ رُوحُ الظَّفَرِ مِنْ غيرِ هـٰذا المثالِ الذي هوَ بمثابةِ الجسدِ . . ما احتاجَ إلى التعبيرِ ، وكانَ يرى الظَّفَرَ ويصحُّ الظَّفَرُ .

وقد يتجرَّدُ الخيالُ باستصحابِ الخيالِ والوَهْمِ مِنَ اليقظةِ في المنامِ مِنْ غيرِ حقيقةٍ[3] ، فيكونُ المنامُ أَضْغاثَ أحلامٍ لا يُعبَّرُ .

وقد يتجرَّدُ لصاحبِ الخَلْوةِ الخيالُ المُنبعِثُ مِنْ ذاتِهِ مِنْ غيرِ أن يكونَ وِعاءً لحقيقةٍ[4] ، فلا يُبنىٰ علىٰ ذلكَ ولا يُلتفَتُ إليهِ ؛ فليسَ ذلكَ واقعةً ، وإنَّما هوَ خيالٌ .

فأمَّا إذا غابَ الصادقُ في ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ حتىٰ يَغِيبَ عنِ المحسوسِ ؛

---

(١) عن الصورة الجسمية . من هامش (ح) .

(٢) في (ب ، ج ، د) : (صوَّر) بدل (صوَّغ) ، وفي (هـ ، ح) : (صاغ) .

(٣) أي : من غير أن يكون لذلك المُتخيَّل ثبوتٌ في نفس الأمر حتىٰ يقع بعد الرؤيا له ؛ كمن كان في خياله داعية وقوع شيء أو [عدم] وقوعه ؛ فيرىٰ ذلك المُتخيَّل وليس له حقيقة . من هامش (ح) .

(٤) أي : لا مستصحباً من اليقظة لبسةَ مثالٍ واقعٍ في الخيال ممَّا هو في عالم الصُّوَر الآفاقيَّة . من هامش (ح) .

بحيثُ لو دَخلَ عليهِ داخلٌ مِنَ الناسِ لا يعلمُ بهِ لغَيْبتِهِ في الذِّكْرِ . . فعندَ ذلكَ قد ينبعثُ في الابتداءِ مِنْ نَفْسِهِ مثالٌ وخيالٌ ينفخُ فيهِ رُوحُ الكَشْفِ ، فإذا عادَ مِنْ غَيْبتِهِ : فإمَّا يأتيهِ تفسيرُهُ مِنْ باطنِهِ موهبةً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وإمَّا يُفسِّرُ لهُ شيخُهُ كما يُعبِّرُ المُعبِّرُ المنامَ[1] ، ويكونُ ذلكَ واقعةً ؛ لأنَّهُ كشفُ حقيقةٍ في لِبْسةِ مثالٍ .

وشَرْطُ صِحَّةِ الواقعةِ : الإخلاصُ في الذِّكْرِ أوَّلاً[2] ، ثمَّ الاستغراقُ في الذِّكْرِ ثانياً[3] ، وعلامةُ ذلكَ : الزُّهْدُ في الدنيا ، ومُلازَمةُ التقوىٰ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ جَعَلَهُ بما يُكاشَفُ بهِ في واقعةٍ مَوْرِدَ الحكمةِ ، والحكمةُ تحكُمُ بالزُّهْدِ والتقوىٰ .

وقد يتجرَّدُ للذاكرِ الحقائقُ مِنْ غيرِ لِبْسةِ المثالِ ، فيكونُ ذلكَ كَشْفاً وإخباراً مِنَ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ ، ويكونُ ذلكَ تارةً بالرُّؤْيةِ ، وتارةً بالسَّماعِ ، وقد يسمعُ مِنْ باطنِهِ ، وقد يَطرُقُ ذلكَ مِنَ الهواءِ لا مِنْ باطنِهِ ؛ كالهواتفِ ؛ يعلمُ

---

(1) وينبغي أن يعلم : أنَّ تعبيراتِ المشايخ واقعاتِ المريدين . . ليستْ علىٰ طريقة تعبيراتِ المُعبِّرين مناماتِ العوامِّ على الدوام ؛ فإنَّ العوامَّ شأنُهم رؤيةُ ما في عالَم الشهادة وما سيقع فيه ، وشأنَ الخواصِّ رؤيةُ ما في عالَم الغيب وعالَم النفس ، وقد يتطابق الآفاقي والأنفسيُّ وقد لا يتطابق ، والفرقُ بين الآفاقي والأنفُسي الصِّرف متعسِّر ، إلا علىٰ مَنْ جرَّب زماناً طويلاً واقعاته ، وميَّز بين مكاشفاته ، وكثيرٌ من الفقراء يَغلَطون في تعبيرات الواقعات ؛ فيحملون الأنفُسي على الآفاقي ، فيصيرون بعدم ظهور الآثار ضُحْكةَ أهل الإنكار ، وهم أحِقَّاءُ بالإعذار ، فيحترز السالك من داعية الاشتهار ، وليُخفِ ما يرىٰ من الأشياء عن الأغيار ، بل عن الأخيار ، قال بعض المشايخ : (سِرُّكَ لا يتجاوز زِرَّك) . من هامش (ح) .

(2) حتىٰ تسلم من تسويلات الشيطان ؛ فإنَّ المخلصَ محفوظٌ . من هامش (ح) .

(3) حتىٰ تسلم من تلبيسات النفس ؛ فإنَّ الاستغراقَ يتضمَّن [حضور] المذكور ، وعند ظهور نور المذكور تزول كلمة [النفس] ، فتزول تلبيساتها . من هامش (ح) .

بذلكَ أمراً يُرِيدُ اللهُ إحداثَهُ لهُ ولغيرِهِ ، فيكونُ إخبارُ اللهِ إيَّاهُ بذلكَ مَزِيداً ليقينِهِ ، أو يرىٰ في المنامِ حقيقةَ الشيءِ .

نُقِلَ عن بعضِهِم أنَّهُ أُتِيَ بشرابٍ في قَدَحٍ ، فوَضَعَهُ مِنْ يدِهِ وقالَ : قد حَدَثَ في العالَمِ حَدَثٌ ، ولا أشربُ هٰذا دونَ أنْ أَعْلَمَ ما هوَ ، فانكشفَ لهُ أنَّ قوماً دَخَلُوا مَكَّةَ وفتكُوا فيها .

وحُكِيَ عن أبي سليمانَ الخَوَّاصِ قالَ : كنتُ راكباً حماراً لي يوماً ، وكان يُؤذِيهِ الذُّبابُ فيُطأطِئُ رأسَهُ ، فكنتُ أضربُ رأسَهُ بخَشَبةٍ كانتْ في يدي ، فرَفَعَ الحمارُ رأسَهُ إليَّ وقالَ : اضْرِبْ ؛ فإنَّكَ علىٰ رأسِكَ تضربُ[1] ، قيلَ لهُ : يا أبا سليمانَ ؛ وَقَعَ لكَ ذلكَ أو سمعتَهُ ؟ فقالَ : سمعتُهُ يقولُ كما سَمِعْتَني[2] .

وحُكِيَ عن أحمدَ بنِ عطاءٍ الرُّوذْباريِّ قالَ : كانَ لي مذهبٌ في أَمْرِ الطهارةِ ، فكنتُ ليلةً مِنَ اللَّيالي أستنجي إلىٰ أنْ مضىٰ ثُلُثُ الليلِ ولم يَطِبْ قلبي ، فضَجِرْتُ وبَكَيْتُ وقلتُ : يا ربِّ ؛ العَفْوَ ، فسَمِعْتُ صوتاً ولم أَرَ أحداً يقولُ[3] : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ العَفْوُ في العِلْمِ[4] .

---

(١) أي : يصلُ أَثَرُ هٰذا الضرب إليك وتجدُ غِبَّهُ ؛ لأنِّي ما أُقصِّر في حقِّكَ بحملي إيَّاك مع دفع المُؤذي عنِّي الذي يمنعني عن المشي وأنت تضرب علىٰ رأسي ولا ترحمني ، مع أنَّ الضرب على الرأس منهيٌّ عنه في الشرع ، وهٰذا من قسم السماع من الغير . من هامش (ح) .

(٢) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٩١) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٧١٥ـ٧١٦) ، وعلىٰ هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٣) الجملة صفة لقوله : (صوتاً) .

(٤) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٩١)، والقشيري في « الرسالة » (ص٧١٥)، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ١٨) ، وزادا : (فزال عنِّي ذلك) .

وقد يُكاشِفُ اللهُ تعالىٰ عبدَهُ بآياتٍ وكراماتٍ ؛ تربيةً للعبدِ ، وتقويةً ليقينِهِ وإيمانِهِ .

قيلَ : كانَ عندَ جَعْفرٍ الخُلْديِّ رحمَهُ اللهُ فَصٌّ لهُ قيمةٌ[1] ، وكانَ يوماً مِنَ الأيَّامِ راكباً في السُّمَيْريَّةِ في دِجْلةَ[2] ، فَهَمَّ أنْ يُعطِيَ المَلَّاحَ قِطْعَةً ، وحَلَّ الخِرْقَةَ ، فوَقَعَ الفَصُّ في دِجْلةَ ، وكانَ عندَهُ دعاءٌ للضَّالَّةِ مُجرَّبٌ ، فكانَ يدعو بهِ ، فوَجَدَ الفَصَّ في وَسَطِ أوراقٍ كانَ يتصفَّحُها .

والدُّعاءُ : هوَ أنْ يقولَ : (يا جامعَ النَّاسِ ليومٍ لا رَيْبَ فيهِ ؛ اجمعْ عَلَيَّ ضالَّتي)[3] .

وسمعتُ شيخاً بهَمَذَانَ حكىٰ لي أنَّهُ كُوشِفَ في بعضِ خَلَواتِهِ بولدٍ لهُ في جَيْحُونَ كادَ يسقطُ في الماءِ مِنَ السفينةِ ، قالَ : فزَجَرْتُهُ فلم يسقطْ ، وكانَ

---

(١) الفَصُّ : ـ بفتح الفاء وكسرها ، والأجود الفتح ـ ما يُركَّب في الخاتم من الحجارة الكريمة .

(٢) في النسخ ما عدا (د) : (السمارية) ، والسُّمَيرية : ضرب صغير من السفن ، وقال الصلاح الصفدي في « تصحيح التصحيف » (ص٣١٩) : (والعامة تقول : « سُمارية » لضرب من السفن بالألف ، والصواب : « سُمَيريَّة » منسوبة إلىٰ من عملها أوَّلَ الناس) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٩١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٧١٤) ، وقال أبو نصر السرَّاج بعده : (ثمَّ أَوْراني ـ وفي « الرسالة » : « أراني » ـ أبو الطيب العَكِّيُّ جزءاً قد جمع فيه ذكرَ كلِّ ضالَّة ردَّها الله إلىٰ مَنْ دعا بهٰذا الدعاء في مدَّةٍ قليلة ، فنظرت فيه ، وكان أوراقاً كثيرة) .

وقال النووي في « بستان العارفين » (ص١٤٤) : (قلتُ : وقد جرَّبتُ هٰذا الدعاءَ ، فوجدتُهُ نافعاً سبباً لوجود الضالَّة علىٰ قُرْب غالباً ، وأنَّهُ لم ينخرم ، وسمعت شيخنا أبا البقاء يقول نحو ذلك ، وهو عَلَّمنيه أوَّلاً) .

هـٰذا الشخصُ بنواحي هَمَذَانَ وولدُهُ في جَيْحُونَ ، فلمَّا قَدِمَ الولدُ أَخْبرَ أَنَّهُ كادَ يسقطُ في الماءِ ، فسَمِعَ صوتَ والدِهِ فلم يسقطْ .

وقولُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : (يا ساريةُ ؛ الجَبَلَ) على المِنْبَرِ بالمدينةِ ، وساريةُ بنهاوندَ ، وقد أَخَذَ ساريةُ نحوَ الجبلِ وظَفِرَ بالعَدُوِّ ، فقيلَ لساريةَ : كيفَ عَلِمْتَ ذلكَ ؟ فقالَ : سمعتُ صوتَ عُمَرَ وهوَ يقولُ[١] : (يا ساريةُ ؛ الجَبَلَ)[٢] .

سُئِلَ ابنُ سالمٍ ـ وكانَ قد قالَ : الإيمانُ أربعةُ أركانٍ : رُكْنٌ منهُ الإيمانُ بالقُدْرةِ ، ورُكْنٌ منهُ الإيمانُ بالحِكْمةِ[٣] ، ورُكْنٌ منهُ التبرُّؤ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ ، ورُكْنٌ منهُ الاستعانةُ باللهِ عزَّ وجَلَّ في جميعِ الأشياءِ ـ قيلَ لهُ : ما معنىٰ قولِكَ : الإيمانُ بالقدرةِ ؟

فقالَ : هوَ أن تُؤمِنَ ولا تُنكِرَ أنْ يكونَ للهِ عبدٌ بالمشرقِ نائماً علىٰ يمينِهِ[٤] ، ويكونَ مِنْ كرامةِ اللهِ لهُ أنْ يُعطِيَهُ مِنَ القُوَّةِ ما ينقلبُ مِنْ يمينِهِ علىٰ يسارِهِ فيكونَ بالمغربِ ؛ تُؤمِنَ بجوازِ ذلكَ وكونِهِ[٥] .

وحكىٰ لي فقيرٌ أنَّهُ كانَ بمكَّةَ ، فأُرجِفَ علىٰ شخصٍ ببغدادَ أنَّهُ قد

---

(١) طوّل الله تعالىٰ بساط الامتداد المكانيّ بالقدرة ، فأسمعه صوت عمر كأنَّهُ في حضوره . من هامش (ح) .

(٢) رواه أبو بكر الآجري في « الشريعة » (١٣٦٠) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » (٢٥٣٧) ، والبيهقي في « الاعتقاد » (٢٩٧) .

(٣) في (ب ، ج ، و) : (بالقَدَر . . . بالقدرة) بدل (بالقدرة . . . بالحكمة) .

(٤) في نسخة علىٰ هامش (د) : (قائماً علىٰ يمينه) ، وسقطت هـٰذه العبارة في « اللمع » وجميع النسخ ما عدا (هـ ، ح) .

(٥) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٣٩٠) .

ماتَ(١) ، فكاشفَهُ اللهُ تعالىٰ بالرجلِ وهوَ راكبٌ يمشي في سوقِ بغدادَ ، فأَخْبرَ إخوانَهُ أنَّ الشخصَ لم يَمُتْ ، وكانَ كذلكَ ، حتىٰ ذَكَرَ لي هٰذا الشخصُ أنَّهُ في تلكَ الحالةِ التي كُوشِفَ بالشخصِ راكباً ؛ قالَ : رأيتُهُ في السُّوقِ وأنا أسمعُ بأُذُني صوتَ المِطْرَقَةِ مِنَ الحدَّادِ في سوقِ بغدادَ .

وكلُّ هٰذهِ مواهبُ اللهِ سبحانَهُ ، وقد يُكاشَفُ بها قومٌ ويُعطىٰ ، وقد يكونُ فوقَ هٰؤلاءِ مَنْ لا يكونُ لهُ شيءٌ مِنْ هٰذا ؛ لأنَّ هٰذهِ كلَّها تقويةٌ لليقينِ ، ومَنْ مُنِحَ صِرْفَ اليقينِ لا حاجةَ لهُ إلىٰ شيءٍ مِنْ هٰذا .

فكلُّ هٰذهِ الكراماتِ دونَ ما ذَكَرْناهُ ؛ مِنْ تَجَوْهُرِ الذِّكْرِ في القلبِ ، ووجودِ ذِكْرِ الذَّاتِ ؛ فإنَّ تلكَ الحِكْمَةَ فيها تقويةٌ للمُريدينَ ، وتربيةٌ للسَّالكينَ ؛ ليزدادوا بها يقيناً يُجذَبُونَ بهِ(٢) إلىٰ مُراغَمةِ النُّفُوسِ ، والسُّلُوِّ عن مَلاذِّ الدُّنيا ، ويُستنهَضَ منهُم بذلكَ ساكنُ عَزْمِهِم لعِمارةِ الأوقاتِ بالقُرُباتِ ، فيُرَوَّحُونَ بذلكَ ، ويُربَّوْنَ بطريقِهِ ، ومَنْ كُوشِفَ بصِرْفِ اليقينِ أُغنِيَ بهِ مِنْ ذلكَ(٣) ؛ لمكانِ أنَّ نَفْسَهُ أَسْرعُ إجابةً ، وأَسْهلُ انقياداً ، وأَتَمُّ استعداداً ، والأوَّلُونَ استُلِينَ بذلكَ منهم ما استوْعَرَ ، واستُكشِفَ منهُم ما استَتَرَ .

وقد لا يُمنَعُ صُوَرَ ذلكَ الرَّهابينُ والبراهمةُ ؛ ممَّنْ هوَ غيرُ مُنتهِجٍ سُبُلَ الهُدىٰ ، وراكبُ طريقَ الرَّدىٰ ؛ ليكونَ ذلكَ في حَقِّهِم مَكْراً واستدراجاً ؛

---

(١) الإرجاف في الأصل : الخوض في أخبار الفتن ونحوها من الأخبار السيئة .

(٢) أي : اليقين ، وفي بعض النسخ (بها) ؛ أي : الحكمة .

(٣) أي : الكرامات ، وقولُه : (أُغني به) زيادةٌ من (هـ ، ح) .

ليستحسنُوا حالَهُم ، ويستقِرُّوا في مَقَارِّ الطَّرْدِ والبُعْدِ ؛ إبقاءً لهُم فيما أرادَ اللهُ منهُم مِنَ العمىٰ والضَّلالِ ، والرَّدىٰ والوَبالِ ؛ حتىٰ لا يَغتَرَّ السالكُ بيسيرِ شيءٍ يُفتَحُ لهُ ، ويعلمَ أنَّهُ لو مشىٰ على الماءِ والهواءِ لا ينفعُهُ ذلكَ حتىٰ يُؤدِّيَ حَقَّ التقوىٰ والزُّهْدِ في الدنيا .

فأمَّا مَنْ تَعَوَّقَ بخيالٍ ، أو قَنَعَ بمُحالٍ ، ولم يُحكِمْ أساسَ خَلْوتِهِ بالإخلاصِ . . فإنَّهُ يدخلُ الخَلْوةَ بالزُّورِ ، ويخرجُ بالغُرُورِ ، فيرفضُ العباداتِ ويستحقرُها ، ويَسلُبُهُ اللهُ لَذَّةَ المُعامَلةِ ، ويُذهِبُ عن قلبِهِ هيبةَ الشريعةِ ، ويُفتضَحُ في الدنيا والآخرةِ .

فَلْيعلَمِ الصادقُ : أنَّ المقصودَ مِنَ الخَلْوةِ : التَّقَرُّبُ إلى اللهِ تعالىٰ بعِمارةِ الأوقاتِ ، وكَفُّ الجوارحِ عنِ المكروهاتِ .

فيصلُحُ لقومٍ مِنْ أربابِ الخَلْوةِ إدامةُ الأورادِ وتوزيعُها على الأوقاتِ ، ويصلُحُ لقومٍ مُلازَمةُ ذِكْرٍ واحدٍ ، ويصلُحُ لقومٍ دوامُ المُراقبةِ ، ويصلُحُ لقومٍ الانتقالُ مِنَ الذِّكْرِ إلىٰ الأورادِ ، ولقومٍ الانتقالُ مِنَ الأورادِ إلى الذِّكْرِ .

ومعرفةُ مقاديرِ ذلكَ يعلمُها الشيخُ المصحوبُ المُطَّلِعُ على اختلافِ الأوضاعِ وتنوُّعِها ، معَ نُصْحِهِ للأُمَّةِ وشَفَقتِهِ على الكافَّةِ ، يريدُ المُريدَ للهِ لا لنَفْسِهِ ، غيرَ مُبتلىً بهوىٰ نَفْسِهِ ، ولا مُحِبٍّ للاستتباعِ ، فما يُفسِدُهُ مِثْلُ هٰذا أكثرُ مِمَّا يُصلِحُهُ ، اللَّهمَّ ؛ احفَظْنا[1] .

۞ ۞ ۞

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً) ، وفيه : (بلغ السماع للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الثامن والعشرون

في كيفية الدخول في الأربعينية

رُوِيَ أنَّ داودَ عليهِ السلامُ لمَّا ابتُليَ بالخطيئةِ خرَّ للهِ ساجداً أربعينَ يوماً وليلةً حتىٰ أتاهُ الغُفْرانُ مِنْ ربِّهِ[1] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : قد تقرَّرَ : أنَّ الوَحْدةَ والعُزْلةَ مِلاكُ الأمرِ ، ومُتمسَّكُ أربابِ الصِّدقِ ، فمَنِ استمرَّتْ أوقاتُهُ علىٰ ذلكَ . . فجميعُ عُمُرِه خلوةٌ ، وهوَ الأسلمُ لدينِهِ ، فإنْ لم يتيسَّرْ لهُ ذلكَ ، وكانَ مُبتلىً بنفسِهِ أوَّلاً ، ثمَّ بالأهلِ والأولادِ ثانياً . . فليجعلْ لنفسِهِ مِنْ ذلكَ نصيباً .

نُقِلَ عن سفيانَ الثَّوْريِّ رحمَهُ اللهُ فيما روىٰ أحمدُ بنُ حَرْبٍ عن خالدِ بنِ زيدٍ عنهُ أنَّهُ قالَ : (كانَ يُقالُ : **ما أَخْلصَ عبدٌ للهِ أربعينَ صباحاً . . إلا أَنْبتَ اللهُ الحكمةَ في قلبِهِ ، وزهَّدَهُ اللهُ تعالىٰ في الدنيا ، ورغَّبَهُ في الآخرةِ ،**

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧٢ ، ٤٧٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٥٤٩) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٨٥) ، **والصحيح** : أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الصغائر قبل النبوة وبعدها ، قال القاضي عياض في « الشفاء » (ص٦٩٤) : (وأمَّا قصَّةُ داود عليه السلام . . فلا يجب أن يُلتفت إلىٰ ما سطَّره فيها الإخباريُّون عن أهل الكتاب الذين بدَّلوا وغيَّروا ، ونقله بعض المُفسِّرين ، ولم ينصَّ الله علىٰ شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح) .

وبصَّرَهُ بعيوبِ نفسِهِ[1] ، وبصَّرَهُ بداءِ الدنيا ودوائِها[2] .

فلْيتعاهَدْ هـٰذا العبدُ نَفْسَهُ في كلِّ سنةٍ مرَّةً[3] .

وأمَّا المُريدُ الطالبُ إذا أرادَ أنْ يدخلَ الخَلْوةَ[4] . . فأكملُ الأمرِ في ذلكَ[5] : أنْ يتجرَّدَ مِنَ الدنيا ، ويُخرِجَ كلَّ ما يملكُهُ ، ويغتسلَ غُسْلاً كاملاً بعدَ الاحتياطِ للثوبِ والمُصلَّىٰ بالنظافة والطهارةِ ، ويُصلِّيَ ركعتَينِ ، ويتوبَ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ ذنوبِهِ ببكاءٍ وتضرُّعٍ ، واستكانةٍ وتَخَشُّعٍ ، ويُسوِّيَ بينَ السَّريرةِ والعَلانيةِ ، ولا ينطويَ علىٰ غِلٍّ وغِشٍّ وحِقْدٍ وحسدٍ وخيانةٍ .

ثمَّ يقعدَ في موضعِ خَلْوتِهِ ، ولا يخرجَ إلا لصلاةِ الجمعةِ وصلاةِ

---

(١) هـٰذه الجملة زيادة من (د) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٨٧) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٣) فينقطعُ إلى الله ، ويشتغلُ بملازمة طاعته ، ويُجرِّبُ أحواله ، ويُفتِّشُ عمَّا عليه وما له ، فيعرفُ الزيادةَ من النقصان ، فيتداركُ ما أصابه من الخسران ، قبلَ وقوع الحِرْمان والخِذْلان ، أعاذنا الله منهما . من هامش (ح) .

(٤) المريد الحقيقي : هو الذي يطلبُ اللهَ وحدَهُ ، فيتركُ ما سواه ، ويشتغلُ بالله على الإخلاص التامِّ والصِّدقِ الشامل ، غيرَ مُلتفتٍ إلىٰ عِوَض وغَرَض ، مع التسليم الدائم وعُلُوِّ الهِمَّة . من هامش (ح) .

(٥) إنَّما قال : (أكمل الأمر) ؛ لأنَّ الطالبَ كما وصفنا يريدُ الوصول إلى الله ، فلا بدَّ له أن يترك ما يحجبُهُ عن الله ويُعوِّقُهُ عن ملازمة الله ، ولا شك أنَّ الدنيا هي الشبكة التي يصطادُ بها الشيطانُ الإنسانَ ، ويوقعه مواقع الحجاب والحرمان ، ويُزيِّن [للنفس] ما فيها من المشاهي والملاذِّ ، فمَنْ ترك الدنيا ولم يتجرَّد عنها ودخل في الخلوة . . لم يتمَّ أمرُهُ ، ولا يتخلَّص سرُّهُ ، وربَّما يقوم الشيطان بداعية الرئاسة وطلب المنزلة عند الناس ، [فيحيلُهُ] إلىٰ خوارق العادات ، ويُريه بواطلَ الخيالات ، ويجعلُهُ منشأ الضلالات ، وكلُّ هـٰذه المصائب وغيرها من الميل إلى الدنيا ، فلا بُدَّ من تركها مالِها وجاهِها . من هامش (ح) .

الجماعةِ[1] ، وتركُ المحافظةِ علىٰ صلاةِ الجماعةِ غَلَطٌ وخطأٌ ، فإنْ وَجَدَ تفرقةً في خروجِهِ يكونُ لهُ شخصٌ يُصلِّي معَهُ جماعةً في خلوتِهِ[2] ، ولا ينبغي أنْ يرضىٰ بالصلاةِ مُنفرِداً البتَّةَ ؛ فإنَّ بتركِ الجماعةِ يُخشىٰ عليهِ آفاتٌ[3] ، وقد رَأَينا مَنْ يتشوَّشُ عقلُهُ في خَلْوتِهِ ، ولعلَّ ذلكَ بشؤمِ إصرارِهِ علىٰ تركِ صلاةِ الجماعةِ .

غيرَ أنَّهُ ينبغي أنْ يخرجَ مِنْ خلوتِهِ لصلاةِ الجماعةِ وهوَ ذاكرٌ لا يَفتُرُ عنِ الذكرِ[4] ، ولا يُكثِرَ إرسالَ الطَّرْفِ إلىٰ ما يرىٰ ، ولا يُصغِيَ إلىٰ ما يسمعُ ؛ لأنَّ القوَّةَ الحافظةَ والمُتخيِّلةَ كلوحٍ ينتقشُ بكلِّ مَرْئيٍّ ومسموعٍ ، فيكثُرُ لهُ لذلكَ الوَسْواسُ وحديثُ النفسِ والخيالُ[5] .

ويجتهدُ أنْ يحضرَ الجماعةَ[6] بحيثُ يُدرِكُ معَ الإمامِ تكبيرةَ الإحرامِ ،

---

(1) فإنَّهُ إذا خرج لغير الصلاة فلا بدَّ مِنْ أن يشتغل بشيء يُفرِّقُ ضميره ويُفتِّر عزمه . من هامش (ح) .

(2) والأَوْلىٰ : أن يكون شخصان يُصلِّيان معه . من هامش (ح) .

(3) فإنَّ متابعةَ السُّنَّة حِصْنٌ حَصينٌ للقلب والعقل والدماغ ، يستمدُّ حفظها من طوارق الشيطان ، ودواخلِ الآفات والخذلان . من هامش (ح) .

(4) الذكرُ برفعِ الصوتِ جائزٌ بل مُستحبٌّ إذا لم يكن عن الرياء ؛ لتعليمِ الناس لإظهار الدين ، ووصولِ بركة الذكر إلى السامعين ؛ في الدُّور والبيوت والحيوانات ؛ وليوافق القائل من يسمع صوته ، ويشهدَ له يوم القيامة كلُّ رطبٍ ويابس سَمِعَ صوته ، وبعضُ المشايخ يختارُ إخفاءَ الذكر ؛ لأنَّهُ أبعدُ من الرياء ، وهـٰذا يتعلَّقُ بالنِّيَّة ؛ فمَنْ كان له نيَّةٌ صادقة فرَفْعُ صوتِهِ بقراءة القرآن والذكر أَوْلىٰ ؛ لما ذكرنا ، ومَنْ خاف من نفسه الرياءَ فالأَوْلىٰ إخفاءُ الذكر ؛ كيلا يقعَ في الرياء . من هامش (ح) .

(5) أي : بعد العود إلى الخلوة والاشتغال بالذكر . من هامش (ح) .

(6) لينال تلك الفضيلة التي هي خير من الدنيا وما فيها . من هامش (ح) .

فإذا سَلَّمَ الإمامُ وانصرفَ ينصرفُ إلىٰ خَلْوتِهِ .

ويتَّقي في خروجِهِ استحلاءَ نَظَرِ الخَلْقِ إليهِ ، وعلمَهُم بجلوسِهِ وخَلْوتِهِ ؛ فقد قيلَ : (لا تطمَعْ في المنزلةِ عندَ اللهِ وأنتَ تُريدُ المنزلةَ عندَ الناسِ)[١] .

وهٰذا[٢] أصلٌ ينفسدُ بهِ كثيرٌ مِنَ الأعمالِ إذا أُهمِلَ[٣] ، وينصلحُ بهِ كثيرٌ مِنَ الأحوالِ إذا اعتُبِرَ[٤] .

ويكونُ في خَلْوتِهِ جاعلاً وقتَهُ شيئاً واحداً موهوباً للهِ تعالىٰ بإدامةِ فِعْلِ الرِّضا ؛ إمَّا تلاوةً ، أو ذِكْراً ، أو صلاةً ، أو مُراقبةً[٥] ، وأيَّ وقتٍ فَتَرَ عن هٰذهِ الأقسامِ ينامُ[٦] ، فإنْ أرادَ أن يُعيِّنَ أعداداً مِنَ الرَّكعاتِ ومِنَ التِّلاوةِ والذِّكْرِ شيئاً فشيئاً . فَعَلَ ، وإنْ أرادَ أنْ يكونَ بحُكْمِ الوقتِ يعتمدُ أَخفَّ

---

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٠٧) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٦٣) عن أبي بكر ابن يَزْدَانيار رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي : اتقاءُ استحلاء نظر الخلق . من هامش (ح) .

(٣) قوله : (الأعمالِ) ؛ أي : الأعمالِ الظاهرةِ التي يطَّلع عليها الخلقُ ، لا الأعمالِ المستورةِ عمَّا سوى الحق . من هامش (ح) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٣٩١) حول الفعل (ينفسد) .

(٤) لأنَّهُ إذا تَرَكَ ملاحظةَ الخلق واستحلاءَ نظرهم إليه.. انصلح حالُ صدقه وإخلاصِهِ ومحبَّتِهِ . من هامش (ح) .

(٥) يعني : صاحبُ الخلوة ينبغي أن يجعلَ جميعَ أوقاتِهِ في خلوته لله تعالىٰ ؛ بأنْ يصرفَهُ فيما يرضىٰ به الله تعالىٰ من أنواع الطاعات والعادات ؛ بحيثُ تصيرُ عادتُهُ من الأكل والشرب والنوم عبادةً ؛ طلباً لرضا الله تعالىٰ ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « نومُ العالِمِ عبادةٌ ، ونَفَسُهُ تسبيحٌ » . من هامش (ج) .

(٦) فإنَّ النوم عونٌ له يُجدِّد النشاط ، والعملُ إذا كان مع النشاط أكثرُ قبولاً ، [وهو] معنىٰ ما قال عيسىٰ عليه السلام : (حبَّذا نومُ الأكياس وفِطْرُهم) . من هامش (ح) .

ما علىٰ قلبِهِ مِنْ هـٰذهِ الأقسامِ . . فَعَلَ ، فإذا فَتَرَ عن ذلكَ ينامُ ، وإنْ أرادَ أنْ يبقىٰ في سجودٍ واحدٍ أو ركوعٍ واحدٍ أو ركعةٍ واحدةٍ أو ركعتَينِ ساعةً أو ساعتَينِ . . فَعَلَ .

ويُلازِمُ في خَلْوتِهِ إدامةَ الوضوءِ(١) ، ولا ينامُ إلا عن غَلَبَةٍ بعدَ أنْ يدفعَ النومَ عن نَفْسِهِ مرَّاتٍ ، فيكونُ هـٰذا شُغْلَهُ ليلَهُ ونهارَهُ(٢) .

وإذا كـانَ ذاكـراً لكلمـةِ (لا إلـٰـهَ إلا اللهُ) ، وسَئِمَـتِ النفسُ الـذِّكْـرَ باللِّسانِ . . يقولُها بقلبِهِ مِنْ غيرِ حركةِ اللِّسانِ ، وقد قال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (إذا قلتَ : « لا إلـٰـهَ إلا اللهُ » مُدَّ الكلمةَ ، وانظُرْ إلىٰ قِدَمِ الحقِّ فأَثْبِتْهُ وأَبْطِلْ ما سواهُ)(٣) .

ولْيَعلَمْ : أنَّ الأمرَ كالسِّلْسِلةِ تتداعىٰ حَلْقةً حَلْقةً ، فليكُنْ دائمَ التلزُّمِ بفعلِ الرِّضا(٤) .

---

(١) فإنَّ للوضوء نوراً عظيماً يذبُّ الشيطان منه ، وهو سلاحه . من هامش (ح) .

(٢) والذي وقع [بالتجربة] : أنَّ المبتدئَ إذا اختلىٰ لا بدَّ له من رعاية الشرائط الجُنيدية ؛ لأنَّهُ مُحتاجٌ إلىٰ تسخير الطبع الحيواني ، وذا بترك المنام مطلقاً ، وأمَّا المُتوسِّطُ صاحبُ القلب المسخر للطبع له أن ينام عن غلبةٍ لدفع ثِقَلِ النفس عن القلب ، وتخليصِ القلب عن تقاضي النفسِ حقَّها . من هامش (ح) .

(٣) يعني : بكلمة (لا إلـٰهَ) : ينفي عن القلب ما سواه ، ويطرحه علىٰ قفاه ، وبكلمة (إلا الله) : يُثبِتُ قدم الله بنعت (كان الله ولم يكن معه شيءٌ ، والآن كما كان) . من هامش (ج) .

(٤) من غير استعجال واستبطاء ، ومن [غير] تضجُّر وتسخُّط بالسَّدِّ والصَّدِّ وزوالِ الحال ، بل يكونُ دائمَ الرضا بما يفعلُهُ المحبوبُ المولىٰ ، وقد قيل : (الهجرُ باختيار المحبوبِ خيرٌ من الوصل باختيار المُحِبِّ) ، وهـٰذا لأنَّ اختيارَ المُحِبِّ بوجوده ، ووجوده حجاب علىٰ مشهوده . من هامش (ح) .

وأمَّا قوتُ مَنْ في الأربعينيَّةِ والخَلْوةِ : فالأَوْلىٰ : أنْ يقنعَ بالخُبْزِ والمِلْحِ[1] ، ويتناولَ كلَّ ليلةٍ رَطْلاً واحداً ، يتناولُهُ بعدَ العِشاءِ الآخِرةِ ، وإنْ قسمَهُ نصفَينِ يأكلُ أوَّلَ الليلِ نصفَ رَطلٍ ، وآخرَ الليلِ نصفَ رَطْلٍ ، فيكونُ ذلكَ أخفَّ للمَعِدَةِ ، وأعونَ علىٰ قيامِ الليلِ وإحيائِهِ بالذكرِ والصلاةِ ، وإنْ أرادَ أَخَّرَ فُطُورَهُ إلى السَّحَرِ .

وإنْ لمْ يَصبِرْ علىٰ تَرْكِ الإدامِ . . يتناولُ الإدامَ ، وإنْ كانَ الإدامُ شيئاً يقومُ مَقامَ الخبزِ . . يَنقُصُ مِنَ الخبزِ بقَدْرِ ذلكَ ، وإنْ أرادَ التقلُّلَ مِنْ هـٰذا القَدْرِ أيضاً . . ينقُصُ كلَّ ليلةٍ دونَ اللُّقْمةِ ؛ بحيثُ ينتهي تقلُّلُهُ في العَشْرِ الأخيرِ مِنَ الأربعينَ إلىٰ نصفِ رَطلٍ .

وإنْ قَوِيَ قَنَّعَ النفسَ بنصفِ رَطلٍ مِنْ أوَّلِ الأربعينَ ، ونَقَصَ يسيراً كلَّ ليلةٍ بالتدريجِ ، حتىٰ يُعِيدَ فُطُورَهُ إلىٰ ربعِ رَطلٍ في العشرِ الأخيرِ .

وقدِ اتَّفقَ مشايخُ الصُّوفيَّةِ : علىٰ أنَّ بناءَ أمرِهِم علىٰ أربعةِ أشياءَ : قِلَّةُ الطعامِ ، وقِلَّةُ المنامِ ، وقِلَّةُ الكلامِ ، والاعتزالُ عنِ الناسِ .

وقد جُعِلَ للجوعِ وقتانِ :

أحدُهُما : آخرُ الأربعِ وعشرينَ ساعةً ، فيكونُ الرَّطلُ لكلِّ ساعةٍ نصفَ أُوقِيَّةٍ بأكلةٍ واحدةٍ[2] ، يجعلُها بعدَ العشاءِ الآخِرةِ ، أو يقسمُها أكلتَينِ كما ذَكَرْنا .

---

(١) لأنَّ الاقتصارَ علىٰ حدِّ الضرورة من ضرورة حال الطالب المُحِبِّ ، وما عدا الخبزَ والملحَ ليس بضروريٍّ ، والملحُ لرعاية السُّنَّة . من هامش (ح) .

(٢) في (أ ، ز) : (سدس أوقية) بدل (نصف أوقية) ، وفي (ج ، هـ ، و ، ي) : =

والوقتُ الآخَرُ : علىٰ رأسِ اثنتينِ وسبعينَ ساعةً ، فيكونُ الطَّيُّ ليلتَينِ والإفطارُ في الليلةِ الثالثةِ[1] ، ويكونُ لكلِّ يومٍ وليلةٍ ثلثُ رِطلٍ .

وبينَ هـٰذَينِ الوقتَينِ وقتٌ ؛ وهو أنْ يُفطِرَ مِنْ كلِّ ليلتَينِ ليلةً ، ويكونَ لكلِّ يومٍ وليلةٍ نصفُ رِطلٍ .

وهـٰذا ينبغي أنْ يفعلَهُ إذا لم يُنتِجْ ذلكَ عليهِ سآمةً وضَجَراً ، وقِلَّةَ انشراحٍ في الذِّكْرِ والمُعاملةِ ، فإذا وَجَدَ شيئاً مِنْ ذلكَ فليُفطِرْ كلَّ ليلةٍ ويأكلِ الرَّطلَ في الوقتَينِ أو وقتٍ واحدٍ .

والنَّفْسُ إذا أخذتْ بالإفطارِ مِنْ كلِّ ليلتَينِ ليلةً ، ثمَّ رُدَّتْ إلىٰ إفطارِ كلِّ ليلةٍ . . تقنعُ ، وإنْ سُومِحَتْ بإفطارِ كلِّ ليلةٍ . . لا تقنعُ بالرَّطلِ وتطلبُ الإدامَ والشهواتِ ، وقِسْ علىٰ هـٰذا ؛ فهي إن أُطمِعَتْ طَمِعَتْ ، وإنْ قُنِّعَتْ قَنِعَتْ[2] .

وقد كانَ بعضُهُم يَنقُصُ كلَّ ليلةٍ حتىٰ يَرُدَّ النَّفْسَ إلىٰ أقلِّ قُوتِها .

ومِنَ الصالحينَ مَنْ كانَ يُعيِّرُ القُوتَ بَنوى التمرِ ؛ يَنقُصُ كلَّ ليلةٍ نَوَاةً .

ومنهُم مَنْ كانَ يُعيِّرُ بعُودٍ رَطْبٍ ، وينقُصُ كلَّ ليلةٍ بقَدْرِ نَشَافِ العُودِ .

= (أوقية) ، وكذلك في (د) إلا أن فيها : (ساعتين) بدل (ساعة) ، والأُوقيّة : ربع رطل ، والرطل : مئة وثلاثون ـ وقيل : مئة وثمانية وعشرون ـ درهماً ، والدرهم : ثلاثة غرامات تقريباً .

(١) في غالب النسخ : (فيكون طيَّ) بدل (فيكون الطي) .

(٢) في هامش (و) : وفيه قيل وأنشد : [من الطويل]

وما النَّفْسُ إلَّا حيثُ يجعلُها الفتىٰ ... فـإنْ أُطمِعَـتْ تـاقَـتْ وإلَّا تَسَلَّـتِ

ومنهُم مَنْ كانَ يَنقُصُ كلَّ ليلةٍ ربعَ سُبُعِ الرَّغيفِ ، حتىٰ يفنى الرغيفُ في شهرٍ .

ومنهُم مَنْ كانَ يُؤخِّرُ الأكلَ ، ولا يعملُ في تقليلِ القوتِ ، ولـٰكن يعملُ في تأخيرِهِ بالتدريجِ ، حتىٰ تندرجَ ليلةٌ في ليلةٍ ، وقد فَعَلَ ذلكَ طائفةٌ حتى انتهىٰ طَيُّهُم إلىٰ سبعةِ أيامٍ ، وعشرةِ أيامٍ ، وخمسةَ عشرَ يوماً ، إلىٰ أربعينَ .

وقد قيلَ لسهلِ بنِ عبدِ اللهِ : هـٰذا الذي يأكلُ في كلِّ أربعينَ وأكثرَ أكلةً أينَ يذهبُ لَهَبُ الجوعِ عندَهُ ؟ قالَ : يُطفِئُهُ النورُ .

وقد سألتُ بعضَ الصالحينَ عن ذلكَ ، فذَكَرَ لي كلاماً بعبارةٍ دلَّتْ علىٰ أنَّهُ يجدُ فَرَحاً بربِّهِ ينطفئُ معَهُ لَهَبُ الجوعِ ، وهـٰذا في الخَلْقِ واقعٌ ؛ أنَّ الشخصَ يَطرُقُهُ فَرَحٌ وقد كانَ جائعاً ، فيذهبُ عنهُ الجوعُ ، وهـٰكذا في طَرَفِ الخوفِ يقعُ ذلكَ .

ومَنْ فَعَلَ ذلكَ ودَرَّجَ نَفْسَهُ في شيءٍ مِنْ هـٰذهِ الأقسامِ التي ذَكَرْناها . . لا يُؤثِّرُ ذلكَ في نقصانِ عقلِهِ واضطرابِ جسمِهِ ، إذا كان في حمايةِ الصِّدقِ والإخلاصِ ، وإنَّما يُخشىٰ في ذلك وفي دوامِ الذِّكْرِ علىٰ مَنْ لا يُخلِصُ للهِ تعالىٰ .

وقد قيلَ : (حدُّ الجوعِ : أَلَّا يُميِّزَ بينَ الخبزِ وغيرِهِ ممَّا يُؤكَلُ ، ومتىٰ عيَّنتِ النَّفْسُ الخبزَ فليسَ بجائعٍ)[1] .

وهـٰذا المعنىٰ قد يوجدُ في آخرِ الحدَّينِ بعد ثلاثةِ أيامٍ ، وهـٰذا جوعُ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٧٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٢٢) .

الصِّدِّيقينَ ، وطلبُ الغذاءِ عندَ ذلكَ يكونُ ضرورةً لِقوامِ الجسدِ والقيامِ بفرائضِ العُبُوديَّةِ ، ويكونُ هـٰذا حدَّ الضرورةِ لِمَنْ لا يجتهدُ في التقليلِ بالتدريجِ ، فأمَّا مَنْ درَّجَ نَفْسَهُ في ذلكَ فقد يصبرُ علىٰ أكثرَ مِنْ هـٰذا إلى الأربعينَ كما ذَكَرْنا .

وقد قالَ بعضُهُم : (حدُّ الجوعِ : أنْ يبزُقَ ؛ فإذا لم يقعِ الذُّبابُ علىٰ بُزاقِهِ[1] . . يَدُلُّ علىٰ خُلُوِّ المَعِدَةِ مِنَ الدُّسُومةِ ، وصفاءُ البُزاقِ كالماءِ الذي لا يَقصِدُهُ الذُّبابُ)[2] .

رُوِيَ أنَّ سفيانَ الثَّوْريَّ وإبراهيمَ بنَ أدهمَ رحمَهُما اللهُ كانا يَطْوِيانِ ثلاثاً ثلاثاً[3] .

وكانَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ يَطْوِي ستاً[4] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ يَطْوِي سبعةَ أيامٍ[5] .

واشتَهَرَ حالُ جدِّنا محمَّدِ ابنِ عبدِ اللهِ المعروفِ بـ (عَمُّويَه) ، وكانَ

---

(١) زاد في نسخة علىٰ هامش (د) : (فهو جائع فإنه) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٧٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٢٣) ، وقال بعده : (ومعرفة ذلك غامض ؛ فالصوابُ للمريد : أن يُقدِّرَ مع نفسه القَدْرَ الذي لا يُضعِفُهُ عن العبادة التي هو بصددها ، فإذا انتهىٰ إليه وقفَ وإنْ بَقِيتْ شهوتُهُ) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٢٥) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٢٥) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٢٥) .

صاحبَ أحمدَ الأسودِ الدِّينَوَريِّ . . أنَّهُ كانَ يَطْوِي أربعينَ يوماً .

وأقصىٰ ما بَلَغَ في هـٰذا المعنىٰ مِنَ الطَّيِّ : رجلٌ أَدْرَكْنا زمانَهُ وما رَأَيْناهُ ، كانَ في أَبْهَرَ ، يُقالُ لهُ : الزاهدُ خليفةُ ؛ كانَ يأكلُ في كلِّ شهرٍ لَوْزَةً ، ولم نسمعْ أنَّهُ بَلَغَ في هـٰذهِ الأُمَّةِ أحدٌ بالطَّيِّ والتدريجِ إلىٰ هـٰذا الحدِّ ، وكانَ في أولِ أمرِهِ علىٰ ما حُكِيَ ينقُصُ القوتَ بنَشَافِ العُودِ ، ثمَّ طوىٰ حتى انتهىٰ إلى اللَّوْزةِ في الأربعينَ[1] .

فقد سَلَكَ هـٰذا الطريقَ[2] جمعٌ مِنَ الصادقينَ ، وقد يسلُكُ غيرُ الصادقِ هـٰذا ؛ لوجودِ هوىً مُستكِنٍّ في باطنِهِ ، يُهوِّنُ عليهِ تركَ الأكلِ إذا كانَ لهُ استحلاءُ نَظَرِ الخَلْقِ ، وهـٰذا عينُ النفاقِ[3] ، نعوذُ باللهِ مِنْ ذلكَ .

والصادقُ ربَّما يَقدِرُ على الطَّيِّ إذا لم يعلمْ بحالِهِ أحدٌ ، وربَّما يَضعُفُ إذا عُلِمَ بأنَّهُ يَطْوِي ؛ فإنَّ صدقَهُ في الطَّيِّ ونَظَرَهُ إلىٰ مَنْ يَطْوِي لأجلِهِ . . يُهوِّنُ عليهِ الطَّيَّ ، فإذا عَلِمَ بهِ أحدٌ تَضعُفُ عزيمتُهُ في ذلكَ ، وهـٰذا علامةُ الصادقِ ، فمهما أَحَسَّ في نفسِهِ أنَّهُ يُحِبُّ أنْ يُرىٰ بعينِ التقلُّلِ . . فليتَّهِمْ نَفْسَهُ ؛ فإنَّ فيهِ شائبةَ نفاقٍ .

ومَنْ يَطْوِي للهِ خالصاً يُعوِّضُهُ اللهُ تعالىٰ فَرَحاً في باطنِهِ يُنسِيهِ الطعامَ ، وقد لا ينسى الطعامَ ، ولـٰكن لامتلاءِ قلبِهِ بالأنوارِ يَقْوىٰ جاذبُ الرُّوحِ

---

(١) ذكر الغزالي في « الإحياء » (٣٢٦/٥) أنَّ بعض رجال هـٰذه الطائفة طوىٰ إلىٰ ستين يوماً ، وأورد في ذلك قصة عجيبة .

(٢) أي : التقليل والطيّ . من هامش (ح) .

(٣) لأنَّهُ جَمَعَ بين نَظَرِ الخَلْق ونَظَرِ الحقِّ ؛ كالمنافق الذي يجمع بين مصلح الكفر والإيمان . من هامش (ح) .

الرُّوحانيُّ ، فيَجذِبُهُ إلىٰ مركزِهِ ومُستقَرِّهِ مِنَ العالَمِ الرُّوحانيِّ ، ويقفو بذلكَ عن أرضِ الشهوةِ النَّفْسانيَّةِ[١] .

وما أَثَرُ جاذبِ الرُّوحِ إذا تخلَّفَ عنهُ جاذبُ النَّفْسِ عندَ كمالِ طُمَأْنينتِها ، وانعكاسِ أنوارِ الرُّوحِ عليها بواسطةِ القَلْبِ المُستنيرِ . . بأقلَّ مِنْ جاذبِ المِغْناطِيسِ للحديدِ ؛ إذِ المِغْناطيسُ يَجذِبُ الحديدَ لرُوحٍ في الحديدِ مُشاكِلٍ للمِغْناطِيسِ ، يَجذِبُهُ بنسبةِ الجِنْسيَّةِ الخاصَّةِ .

فإذا تجنَّستِ النَّفْسُ بانعكاسِ نُورِ الرُّوحِ الواصلِ إليهِ بواسطةِ القلبِ . . يصيرُ في النَّفْسِ رُوحٌ استمدَّها القلبُ مِنَ الرُّوحِ ، وأدَّاها إلى النَّفْسِ ، فيَجذِبُ الرُّوحُ النَّفْسَ بجِنْسيَّةِ الرُّوحِ الحادثِ فيها ، فتَزْدَري الأطعمةَ الدُّنيويَّةَ والشَّهواتِ الحيوانيَّةَ ، ويتحقَّقُ عندَهُ معنىٰ قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَبيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي »[٢] .

ولا يَقدِرُ علىٰ ما وَصَفْناهُ[٣] إلا عبدٌ تصيرُ أعمالُهُ وأقوالُهُ وسائرُ أحوالِهِ ضرورةً ، فيتناولُ مِنَ الطعامِ أيضاً ضرورةً ، ولو تكلَّمَ مثلاً بكلمةٍ مِنْ غيرِ ضرورةٍ . . التهبَ فيهِ نارُ الجوعِ التهابَ الحَلْفاءِ بالنارِ[٤] ؛ لأنَّ النَّفْسَ الراقدةَ

---

(١) يقفو : يتباعد .

(٢) رواه البخاري (١٩٦٥) ، ومسلم (١١٠٣) ، والبزار في « مسنده » (٩٠٠٨) واللفظ له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) من الطي والتدريج ونسيان الطعام ، وامتلاء القلب بالأنوار . من هامش (ح) .

(٤) الحَلْفاء : نوع من النبات المُرِّ ، وقلَّما تنبت إلا قريباً من ماء أو بطن واد ، وهي غليظة المَسِّ ، لا يكاد أحدٌ يقبض عليها مخافةَ أن تقطع يده ، وقد يأكل منها الإبل والغنم أكلاً قليلاً ، وهي أحبُّ نبتٍ إلى البقر .

تستيقظُ بكلِّ ما يُوقِظُها[1] ، وإذا استيقظتْ انتزعَتْ إلىٰ هواها .

فالعبدُ المُرادُ بهـٰذا[2] إذا فَطِنَ لسياسةِ النَّفْسِ[3] ، ورُزِقَ العِلْمَ . . سَهُلَ عليهِ الطَّيُّ ، وتداركَهُ المعونةُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، لا سيَّما إنْ كُوشِفَ بشيءٍ مِنَ المِنَحِ الإلـٰهيَّةِ[4] .

وقد حكىٰ لي فقيرٌ أنَّهُ اشتدَّ بهِ الجوعُ ، وكانَ لا يطلبُ ولا يتسبَّبُ ، قالَ : فلمَّا انتهىٰ جُوعي إلى الغايةِ بعدَ أيَّامٍ . . فُتِحَ عليَّ بتُفَّاحةٍ ، قالَ : تناولتُ التُّفَّاحةَ وقصدتُ أكلَها ، فلمَّا كسرتُها كُوشِفْتُ بحَوْراءَ نظرتُ إليها عَقِيبَ كَسْرِ التُّفَّاحةِ ، فحَدَثَ عندي مِنَ الفَرَحِ بذلكَ ما استغنيتُ بهِ عنِ الطعامِ أيَّاماً ، وذكَرَ لي أنَّ الحَوْراءَ خرجتْ مِنْ وَسَطِ التُّفَّاحةِ .

والإيمانُ بالقُدْرةِ ركنٌ مِنْ أركانِ الإيمانِ ، فسَلِّمْ ولا تُنكِرْ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ طَوَىٰ أربعينَ يوماً ظهرتْ لهُ القُدْرةُ مِنَ المَلَكُوتِ)[5] .

وكانَ يقولُ : (لا يزهدُ العبدُ حقيقةَ الزُّهْدِ الذي لا مَثْنَوِيَّةَ فيهِ[6] . .

---

(1) من مَشَاهِيها ، وشهوةُ الكلام لها قوة عظيمة كشهوة الطعام ، بل في بعضٍ أقوىٰ . من هامش (ح) .

(2) أي : الطيِّ والتقليل بالتدريج . من هامش (ح) .

(3) وضبطِها وإيقافِها علىٰ حدِّ الضرورة . من هامش (ح) .

(4) بورود الأنوار ، ومعرفة الأسرار والتجلِّيات ، وسائر الكرامات . من هامش (ح) .

(5) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٣٢٥) دون نسبة ، وقال في تفسير قوله : (ظهرت له قدرةٌ من الملكوت) : (أي : كُوشِفَ ببعض الأسرار الإلـٰهيَّةِ) .

(6) في (ج) و« القوت » : (مشوبة) بدل (مثنوية) .

إلا بمُشاهدةِ قُدْرةٍ مِنَ المَلَكُوتِ)[١] .

قالَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (عَرَفْنا مَنْ طَوَىٰ أربعينَ يوماً برِياضةِ النَّفْسِ في تأخيرِ القوتِ ؛ كانَ يُؤخِّرُ فِطْرَهُ كلَّ ليلةٍ إلىٰ نصفِ سُبُعِ الليلِ ، حتىٰ يطويَ ليلةً في نصفِ شهرٍ ، فيَطْوي الأربعينَ في سنةٍ وأربعةِ أشهرٍ ، فتندرجُ الأيامُ والليالي حتىٰ تكونَ الأربعونَ بمنزلةِ يومٍ واحدٍ)[٢] .

وذَكَرَ أنَّ الذي فَعَلَ ذلكَ ظهرتْ لهُ آياتٌ مِنَ المَلَكُوتِ ، وكُوشِفَ بمعاني قُدْرةٍ مِنَ الجَبَرُوتِ ، تجلَّى اللهُ لهُ بها كيفَ شاءَ[٣] .

واعلَمْ : أنَّ هٰذا المعنىٰ مِنَ الطَّيِّ والتقلُّلِ لو أنَّهُ عينُ الفضيلةِ ما فاتَ أحداً مِنَ الأنبياءِ ، ولَكَانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَبلُغُ مِنْ ذلكَ إلىٰ أقصىٰ غاياتِهِ ، ولا شكَّ أنَّ لذلكَ فضيلةً لا تُنكَرُ ، ولٰكن لا تنحصرُ مواهبُ الحقِّ في ذلكَ ؛ فقد يكونُ مَنْ يأكلُ كلَّ يومٍ أفضلَ ممَّنْ يَطْوي أربعينَ يوماً ، وقد يكونُ مَنْ لا يُكاشَفُ بشيءٍ مِنْ معاني القُدْرةِ أفضلَ ممَّنْ يُكاشَفُ بها إذا كاشفَهُ اللهُ تعالىٰ بصِرْفِ المعرفةِ ؛ فالقُدْرةُ أثَرٌ مِنَ القادرِ .

ومَنْ أُهِّلَ لقُرْبِ القادرِ لا يستغربُ ولا يستكثرُ شيئاً مِنَ القُدْرةِ ، ويرَى القُدْرةَ تتجلَّىٰ لهُ مِنْ سُجُفِ أجزاءِ عالَمِ الحِكْمةِ[٤] ، فإذا أَخْلصَ العبدُ للهِ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٧٦) .

(٢) قوت القلوب (٣/ ١٣٧٦) .

(٣) قوت القلوب (٣/ ١٣٧٦) .

(٤) السُّجُف : جمع (سِجاف) ؛ وهو السِّتْر .

تعالىٰ أربعينَ صباحاً ، واجتهدَ في ضَبْطِ أحوالِهِ بشيءٍ مِنَ الأنواعِ التي ذَكَرْناها مِنَ العملِ والذِّكْرِ والقُوتِ وغيرِ ذلكَ[1] . . تعودُ بركةُ تلكَ الأربعينَ علىٰ جميعِ أوقاتِهِ وساعاتِهِ ، وهوَ طريقٌ حَسَنٌ اعتمدَهُ طائفةٌ مِنَ الصالحينَ .

وكانَ جماعةٌ مِنَ الصالحينَ يختارُونَ الأربعينَ أن تكونَ ذا القَعْدةِ وعشرَ ذي الحِجَّةِ ، وهوَ أربعونَ موسىٰ عليهِ السلامُ .

(٧١) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ خَيْرُونَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عُمَرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ[2] ، قالَ : حدَّثَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ محمَّدِ بنِ صاعدٍ ، قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزيُّ ، قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، قالَ : حدَّثَنا أبو مُعاويةَ الضَّريرُ ، قالَ : حدَّثَنا الحجَّاجُ ، عن مكحولٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَخْلَصَ لِلهِ تَعَالَى ٱلْعِبَادَةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً . ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَىٰ لِسَانِهِ »[3] .

۞ ۞ ۞

---

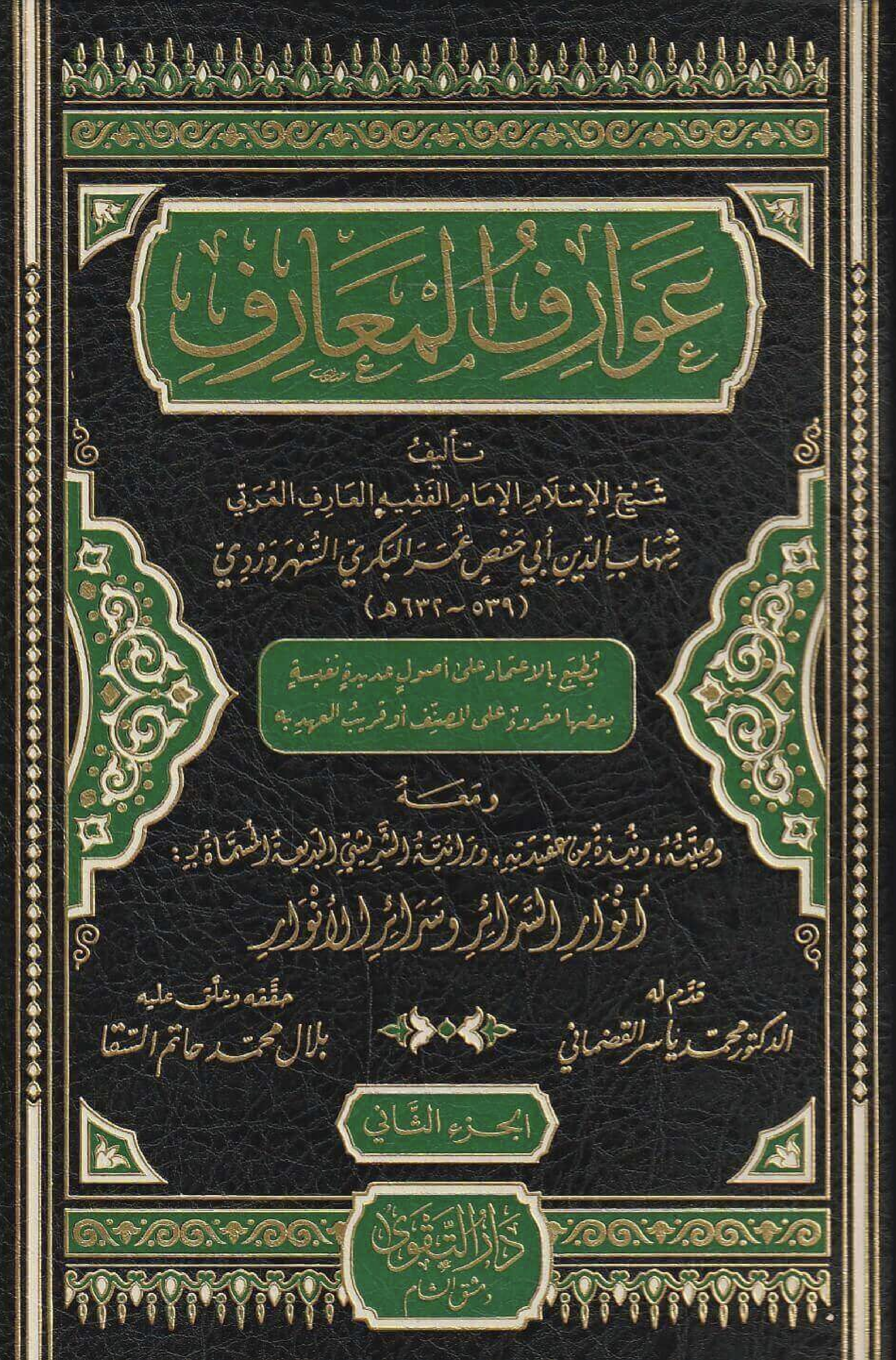
(١) في (ي) ونسخة علىٰ هامش (د) : (وتقليل القوت) بدل (والقوت) .

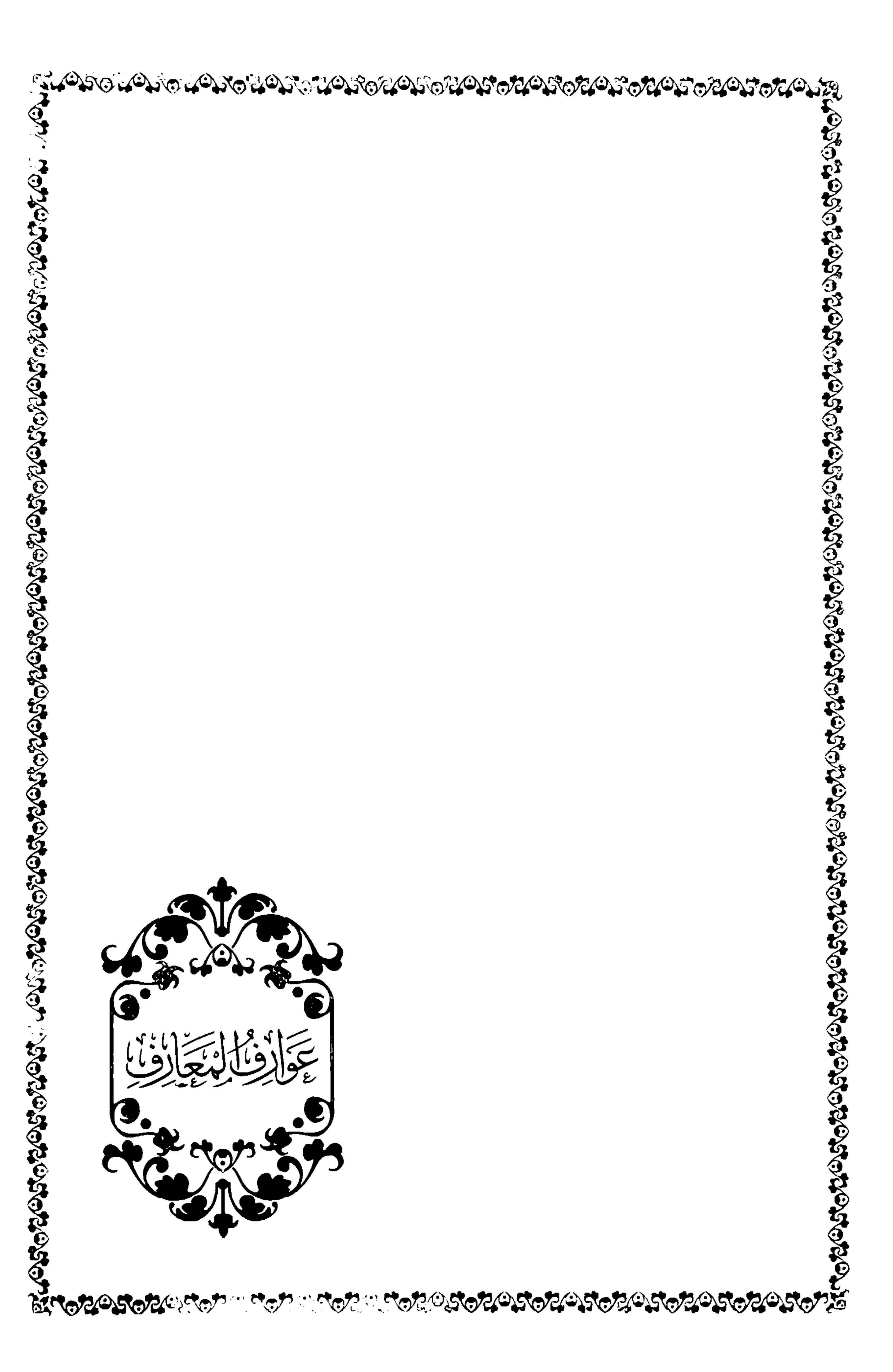
(٢) هو الإمام المُحدِّث الثقة ابن حيُّويَه البغدادي الخزاز . انظر (١/ ٢٢١) .

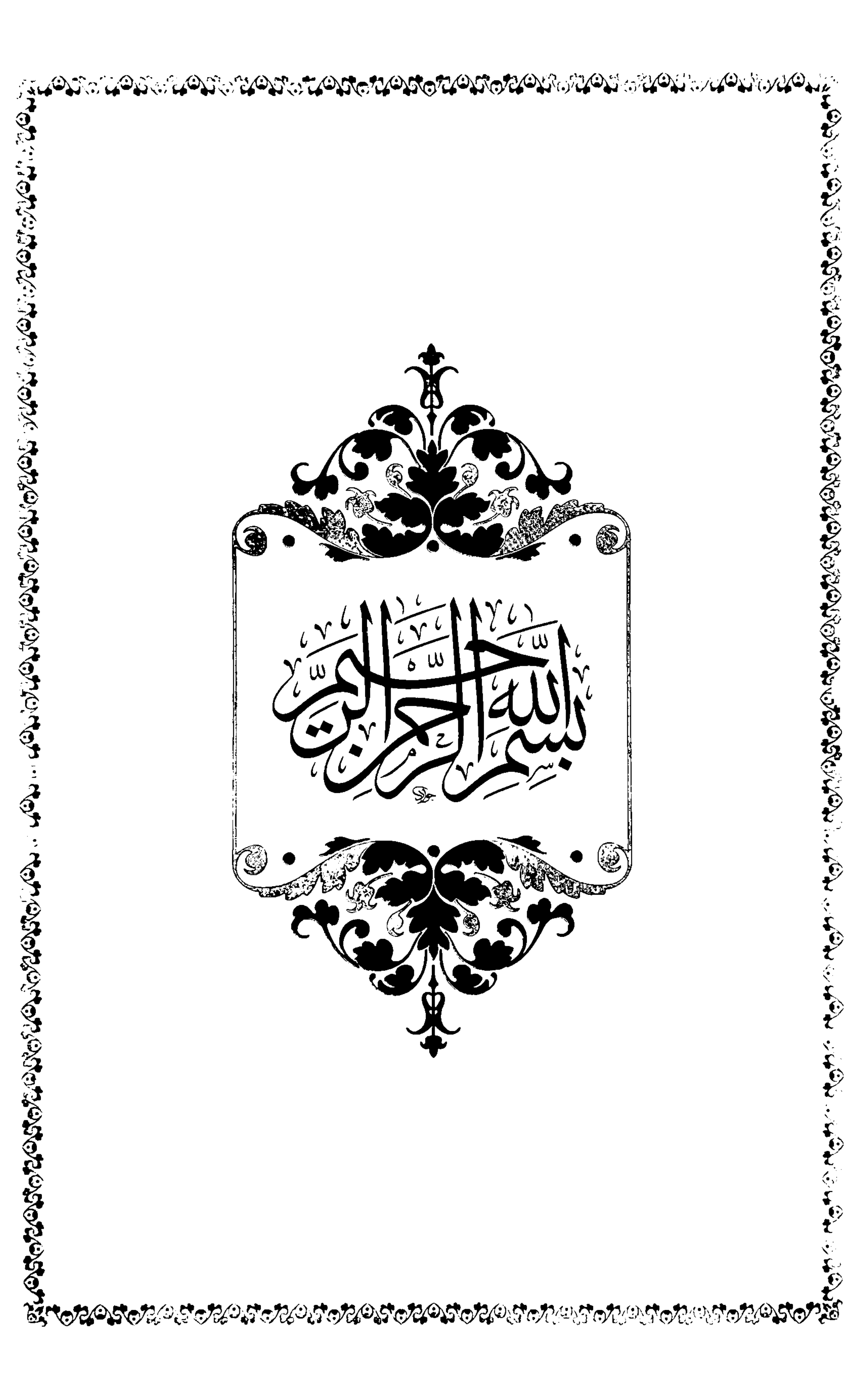
(٣) سبق تخريجه في (١/ ٤٧) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ قراءةً على الشيخ الحافظ جلال الدين ، كاتبه عبد السلام المقدسي) .

محتوى الجزء الأول

❁ ❁ ❁


عوارف المعارف
تأليف
شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربي
شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهروردي
(٥٣٩ - ٦٣٢ هـ)
طبع بالاعتماد على أصول عديدة نفيسة
بعضها مقروء على المصنف أو قريب العهد به
ومعه
وصيته، ونبذة من عقيدته، ورائيته الشريفة البديعة المسماة بـ:
أنوار السرائر وسرائر الأنوار
قدم له
الدكتور محمد ياسر القضماني
حققه وعلق عليه
بلال محمد حاتم السقا
الجزء الثاني
دار التقوى
دمشق الشام


عوارف المعارف


بسم الله الرحمن الرحيم

عوارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربّي

شهاب الدين أبي حفص عمر البكريّ السُّهْرَوَرْديّ

(٥٣٩-٦٣٢هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصولٍ عديدةٍ نفيسةٍ، بعضها مقروءٌ على المصنِّف أو قريبُ العهد به

حقّقه وعلّق عليه

بلال محمّد حاتم السّقا

الجزء الثّاني

دار التّقوى

دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: عوارف المعارف

المؤلف: عمر البكري السهروردي

الطبعة الأولى: ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الرقم الدولي: 978-9933-610-35-7





هاتف: ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١

جوال: ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+

daraltaqwa.pu@gmail.com

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخُلق

الصُّوفيَّةُ أوفرُ الناسِ حظّاً مِنَ الاقتداءِ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأحقُّهُم بإحياءِ سُنَّتِهِ ، والتخلُّقِ بأخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ مِنْ حُسْنِ الاقتداءِ بهِ وإحياءِ سُنَّتِهِ ؛ علىٰ ما :

(٧٢) ـ أخبرَنا الشيخُ الصدرُ الأوحدُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ شيخُ الإسلامِ أبو أحمدَ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليِّ بنِ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ عبدُ الملكِ ابنُ أبي القاسمِ الهَرَويُّ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو نصرٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ الجبَّار بنُ محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ محمَّدُ بنُ أحمدَ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرَةَ التِّرمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا مسلمُ بنُ حاتِمٍ الأنصاريُّ البَصْريُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ ، عن أبيهِ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ قالَ : قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا بُنَيَّ ؛ إنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ . فَٱفْعَلْ » ، ثمَّ قالَ : « يا بُنَيَّ ؛

---

(١) هو الكَرُوخي .

وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي ، وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي ٱلْجَنَّةِ »[١] .

فالصُّوفيَّةُ أَحيَوْا سُنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّهم وُفِّقُوا في بداياتِهِم لرعايةِ أقوالِهِ ، وفي وسطِ حالِهِمُ اقتدَوْا بأعمالِهِ ، فأَثْمرَ لهُم ذلكَ أنْ تحقَّقُوا في نهاياتِهِم بأخلاقِهِ[٢] .

وتحسينُ الأخلاقِ لا يتأتَّىٰ إلا بعدَ تزكيةِ النَّفْسِ ، وطريقُ التزكيةِ بالإذعانِ لسياسةِ الشرعِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، لمَّا كانَ أشرفَ الناسِ وأزكاهُم نَفْساً . . كانَ أحسنَهُم خُلُقاً .

قالَ مُجاهِدٌ : (علىٰ خُلُقٍ عظيمٍ) ؛ أي : علىٰ دِينٍ عظيمٍ[٣] ، والدِّينُ مجموعُ الأعمالِ الصالحةِ والأخلاقِ الحَسَنةِ .

سُئِلتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن خُلُقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالت : كانَ خُلُقُهُ القرآنَ[٤] ، قالَ قَتادةُ : (هوَ ما كانَ يأتمرُ مِنْ أمرِ اللهِ تعالىٰ وينتهي عمَّا نهى اللهُ عنهُ)[٥] .

وفي قولِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) . . سِرٌّ كبيرٌ[٦] ،

---

(١) سبق تخريجه ، والتعليق عليه ، والتعريف ببعض رجاله . انظر (١/ ٢٣٢) .

(٢) في (ب) : (تخلقوا) بدل (تحققوا) ، وعلىٰ هامشه : (تحققوا) من دون إشارة .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٥٢٩) ، ورواه أيضاً (٢٣/ ٥٢٩) من تفسير سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) رواه مسلم (٧٤٦) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٨٧) .

(٥) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ١٨٨) .

(٦) في بعض النسخ : (عظيم) بدل (كبير) .

وعِلْمٌ غامضٌ ، ما نطقتْ بذلكَ إلا بما خصَّها اللهُ تعالىٰ بهِ ؛ مِنْ بركةِ الوحيِ السماويِّ ، وصُحْبةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتخصيصِهِ إيَّاها بكلمةِ : « خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْحُمَيْرَاءِ »[1] .

وذلكَ[2] أنَّ النُّفُوسَ مجبولةٌ علىٰ غرائزَ وطبائعَ هيَ مِنْ لوازِمِها وضروراتِها ؛ **لأنَّها خُلِقتْ مِنْ ترابٍ**[3] ، ولها بحسَبِ ذلكَ طبعٌ ، **وخُلِقَتْ مِنْ صَلْصالٍ** ، ولها بحسبِ ذلكَ طبعٌ ، وهـٰكذا مِنْ حَمَأٍ مسنونٍ ، ومِنْ صَلْصالٍ كالفخَّارِ[4] ، **وبحسبِ تلكَ الأصولِ التي هيَ مبادئُ تكوُّنِها** استفادَتْ صفاتٍ مِنَ البهيميَّةِ والسَّبُعيَّةِ والشيطانيَّةِ ، **وإلىٰ صفةِ الشَّيطَنةِ في الإنسانِ إشارةٌ بقولِهِ تعالىٰ** : ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] ؛ لدخولِ النارِ في الفخَّار ؛ وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّـارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥][5] .

---

(١) أورده ابن الأثير في « النهاية » (١/ ٤٣٨) ، وهو حديث لا أصل له ، وليس كلُّ حديثٍ وَرَدَ فيه لفظ (الحُميراء) يكون كذباً كما بالغ في ذلك بعضهم ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٧٥) ، و« غنية العارف » (١/ ٣٨٨) ، **والحُمَيراء** : تصغير (حمراء) ؛ وهي البيضاء ، والعربُ تُسمِّي الأبيضَ أحمرَ ؛ ومنه قولُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم : « بُعِثتُ إلى الأحمرِ والأسودِ » .

(٢) **إشارةٌ إلىٰ قوله** : (وتحسين الأخلاق لا يتأتَّىٰ إلا بعد تزكية النفس) . من هامش (ح) .

(٣) **قوله** : (**لأنَّها**) سقطت من النسخ ما عدا (د) .

(٤) **الحمأ المسنون** : الطين الأسود المُنتِن المُتغيِّر ، **والصَّلْصال** : الطين اليابس الذي له صلصلة ، **والفخَّار** : الطين بعد طبخه بالنار ، وهو الخزف ، وقد خلق الله آدم من تراب ، جعله طيناً ، ثمَّ حمأً مسنوناً ، ثمَّ طيناً ، فلا يخالف ذلك قوله : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ونحوه . انظر « تفسير البيضاوي » (٥/ ١٧١) .

(٥) **قوله** : (وخلق الجان) ؛ أي : الجن ، أو أبا الجن ، (من مارج) من صافٍ من =

والله تعالىٰ بخَفيِّ لُطْفِهِ وعظيم عنايتِهِ نَزَعَ نصيبَ الشيطانِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ علىٰ ما وَرَدَ في حديثِ حَلِيمةَ بنتِ الحارثِ أنَّها قالتْ في حديثٍ طويلٍ : فبينا نحنُ خلفَ بيوتِنا ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ أخٍ لهُ مِنَ الرَّضَاعةِ في بَهْمٍ لنا[1] . . جاءنا أخوهُ يشتدُّ ، فقالَ : ذاك أخي القُرَشيُّ قد جاءَهُ رجلانِ عليهِما ثيابٌ بياضٌ [2] ، فأَضْجعاهُ فشقَّا بطنَهُ !!

فخرجتُ أنا وأبوهُ نشتدُّ نحوَهُ ، فنجدُهُ قائماً مُنتقِعاً لونُهُ[3] ، فاعتنقَهُ أبوهُ وقالَ : أي بُنيَّ ؛ ما شأنُكَ ؟ قالَ : « جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ ، فَأَضْجَعَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئاً ، فَطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ » .

فرجَعْنا بهِ معَنا ، فقالَ أبوهُ : يا حَلِيمةُ ؛ لقد خَشِيتُ أنْ يكونَ ابني هٰذا قد أُصِيبَ ، انطَلِقي بنا ، فَلْنَرُدَّهُ إلىٰ أهلِهِ قبلَ أنْ يظهرَ بهِ ما نتخوَّفُ .

قالتْ : فاحْتَمَلْناهُ ، فلم تُرَعْ أُمُّهُ إلا بهِ قد قَدِمْنا بهِ عليها ، قالتْ : ما ردَّكُما ، قد كنتُما عليهِ حريصَينِ ؟! قلنا : لا واللهِ لا ضيرَ ، إلا أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أدَّىٰ عنَّا وقَضَيْنا الذي كانَ علينا ، وقلنا : نخشى الإتلافَ والأحداثَ[4] ، نَرُدُّهُ إلىٰ أهلِهِ .

= الدخان ، (من نار) بيان لـ (مارج) ؛ فإنَّهُ في الأصل المضطرب ؛ مِنْ مَرِجَ : إذا اضطرب . « تفسير قاضي » . من هامش (ح) .

(١) البَهْم : جمع (بَهْمة) ؛ وهي الصغيرة من أولاد الغنم والمعز والبقر .

(٢) في (ب ، ج ، ي) : (بيض) بدل (بياض) ، وكذلك في الموضع الآتي ، ويجوز أن يُقرأ (ثيابُ بياضٍ) بالإضافة .

(٣) يُقال : انتقعَ وامتقع لونُهُ : إذا تغيَّر من همٍّ أو فزع .

(٤) الأَحْداث : نُوَب الدهر بما يسوء ويهلك ، واحدُها : (حَدَث) .

فقالتْ : ما ذاك بكُما ؟ فاصدُقاني شأنَكُما ، فلم تَدَعْنا حتىٰ أَخْبَرْناها خَبَرَهُ .

فقالتْ : خَشِيتُما عليهِ الشيطانَ ، كلّا واللهِ ما للشيطانِ عليهِ سبيلٌ ، وإنَّهُ لَكائنٌ لابني هـٰذا شأنٌ ، أَلَا أُخبِرُكُما بخبرِهِ ؟ قلنا : بلىٰ .

قالتْ : حملتُ بهِ ، فما حملتُ حملاً قطُّ أخفَّ منهُ ، فأُريتُ في النومِ حينَ حملتُ بهِ كأنَّهُ خرجَ منِّي نورٌ أضاءتْ لهُ قُصورُ الشامِ ، ثمَّ وقعَ حينَ ولدتُهُ وُقُوعاً ما يقعُهُ المولودُ ؛ مُعتمِداً علىٰ يديهِ رافعاً رأسَهُ إلى السماءِ ، فدعاهُ عنكُما(1) .

فبعدَ تطهيرِ اللهِ رسولَهُ عن نصيبِ الشيطانِ . بَقِيَتِ النَّفْسُ الزكيَّةُ النبويَّةُ علىٰ حدِّ نُفُوسِ البشرِ ؛ لها ظهورٌ بصفاتٍ وأخلاقٍ مُبقَّاةٍ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رحمةً للخَلْقِ ؛ لوجودِ أُمَّهاتِ تلكَ الصِّفاتِ في نُفُوسِ الأُمَّةِ بمزيدٍ مِنَ الظُّلْمةِ ؛ لتفاوتِ حالِ النبيِّ وحالِ الأُمَّةِ ، **فاستمدَّتْ تلكَ الصِّفاتُ المُبقَّاةُ بظهورِها في رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ** تنزيلَ الآياتِ المُحكَماتِ بإزائِها لقمعِها ؛ تأديباً مِنَ اللهِ تعالىٰ لنبيِّهِ ، رحمةً خاصَّةً لهُ ، وعامَّةً للأُمَّةِ ، **مُوزَّعاً نزولُ الآياتِ** على الآناءِ والأوقاتِ عندَ ظهورِ الصِّفاتِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

---

(1) رواه ابن حبان (٦٣٣٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٧١٦٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤/ ٢١٢ـ ٢١٥) ، والآجري في « الشريعة » (٩٦٤) عن سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، وانظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (١/ ٤٧٠) وما بعدها .

وتثبيتُ الفؤادِ بعدَ اضطرابِهِ لحركةِ النَّفْسِ بظهورِ الصِّفاتِ ؛ لارتباطِ بينَ القلبِ والنَّفْسِ ، وعندَ كلِّ اضطرابٍ آيةٌ مُتضمِّنةٌ لخُلُقٍ صالحٍ سَنِيٍّ ؛ إمَّا تصريحاً أو تعريضاً .

كما تحرَّكتِ النَّفْسُ الشريفةُ النبويَّةُ لمَّا كُسِرَتْ رَباعِيَتُهُ وصارَ الدمُ يسيلُ على الوجهِ المُبارَكِ[1] ، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمسحُهُ ويقولُ : « كَيْفَ يُفلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ؟! » ، فأنزلَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨][2] ، فاكتسى القلبُ النبويُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لباسَ الاصطبارِ ، وفاءَ بعدَ الاضطرابِ إلى القَرارِ .

فلمَّا توزَّعتِ الآياتُ علىٰ ظهورِ الصِّفاتِ في مختلفِ الأوقاتِ . . صَفَتِ الأخلاقُ النبويَّةُ بالقرآنِ ؛ ليكونَ خُلُقُهُ القرآنَ ، ويكونَ في إبقاءِ تلكَ الصِّفاتِ في نَفْسِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معنىً مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا أُنَسَّىٰ لِأَسُنَّ »[3] .

---

(١) الرَّباعية : السِّنُّ التي بين الثنيَّة والناب .

(٢) رواه مسلم (١٧٩١) ، وعلَّقه البخاري قبل رقم : (٤٠٦٩) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٩١) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ١٠٠) بلاغاً ، وقال ابن عبد البر في « التمهيد » (٢٤/ ٣٧٥) : (لا أعلمُهُ يُروىٰ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بوجه من الوجوه مُسنداً ولا مقطوعاً من غير هـٰذا الوجه ، والله أعلم ، وهو أحدُ الأحاديث الأربعة في « الموطأ » التي لا توجد في غيره مسندةً ولا مرسلة ، والله أعلم ، ومعناه صحيحٌ في الأصول) .
وقال الإمام الكبير المُحدِّث ابن مرزوق الخطيب في « جنى الجنتين » مُعقِّباً علىٰ كلام ابن عبد البر ـ كما نقله الكتَّاني في « فهرسه » (١/ ٥٢٣) ـ : (توهَّم بعضُ العلماء أنَّ قول الحافظ أبي عمر ابن عبد البر يَدُلُّ علىٰ عدم صحَّتها ، وليس كذلك ؛ إذ الانفرادُ لا يقتضي عدم الصِّحَّة ، لا سيَّما في مثل مالك ، وقد أفردتُ قديماً جزءاً في إسناد هـٰذه=

فبظهورِ صفاتِ نَفْسِهِ الشريفةِ استُنزلتِ الآياتُ لتأديبِ نُفُوسِ الأُمَّةِ وتهذيبِها رحمةً في حقِّهم ؛ حتىٰ تتزكَّىٰ نُفُوسُهُم وتَشْرُفَ أخلاقُهُم ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْأَخْلَاقُ مَخْزُونَةٌ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِعَبْدٍ خَيْراً مَنَحَهُ مِنْهَا خُلُقاً »[1] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ »[2] .

ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ لِلهِ تَعَالَىٰ مِئَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ خُلُقاً ، مَنْ آتَاهُ وَاحِداً مِنْهَا دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[3] .

= الأربعة الأحاديث ، وقد أسند منها اثنين ، أحدُهُما في ذكري وغالبِ ظنِّي الحافظُ ابنُ أبي الدنيا في « إقليد التقليد » له ، وقد بيَّنتُ أسانيدها في غير هٰذا المقتضب) .
وقال الكتَّاني بعد أنْ نقل كلام ابن مرزوق : (وهي فائدةٌ عظيمة يُسافَرُ لسماعها ؛ إذ مِنْ زمنِ ابن عبد البر والحُفَّاظُ ينقلون كلامَهُ في هٰذه الأربعة ويَمُرُّون ، ولا مَنْ تعرَّض لإسنادها ، حتىٰ جاد بما رأيت الحافظُ ابن مرزوق ، وقد تكلَّمت في كتابي « الإفادات والإنشاءات » علىٰ وَصْلِ ابن الصلاح لها أيضاً ، والله أعلم) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٣٩١_٣٩٢) .

(١) رواه ابن وهب في « الجامع » (٤٩١) مرسلاً أو معضلاً عن العلاء بن كثير رحمه الله تعالىٰ ، وبنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٦٢١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٨١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٧٣) ، والحاكم (٢/ ٦١٢) ، واللفظ فيها : (صالح الأخلاق) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٧) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٢١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٩١) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فتقديرُها وتحديدُها لا يكونُ إلا بوحيٍ سماويٍّ لمُرسَلٍ ونبيٍّ ، واللهُ تعالىٰ أبرزَ إلى الخَلْقِ أسماءَهُ مُنبئةً عن صفاتِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وما أظهرَها لهُم إلا ليدعوَهُم إليها ، ولولا أنَّ اللهَ تعالىٰ أَوْدعَ في القُوى البشريَّةِ التخلُّقَ بهٰذهِ الأخلاقِ . . ما أبرزَها لهُم دعوةً لهُم إليها ؛ ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٧٤] .

ولا يَبعُدُ واللهُ أعلمُ أنَّ قولَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) فيهِ رمزٌ غامضٌ وإيماءٌ خَفيٌّ إلى الأخلاقِ الربَّانيَّةِ ، فاحتشمَتْ مِنَ الحضرةِ الإلٰهيَّةِ أنْ تقولَ : كانَ مُتخلِّقاً بأخلاقِ اللهِ تعالىٰ ، فعبَّرتْ عنِ المعنىٰ بقولِها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) ؛ استحياءً مِنْ سُبُحاتِ الجلالِ ، وسَتْراً للحالِ بلُطْفِ المَقَالِ ، وهٰذا مِنْ وُفُورِ علمِها وكمالِ أدبِها .

وبينَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] ، وبينَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] . . مُناسبةٌ مُشعِرةٌ بقولِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ)[1] .

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (سُمِّيَ خُلُقُهُ عظيماً ؛ لأنَّهُ لم يكنْ لهُ هِمَّةٌ سوى اللهِ تعالىٰ)[2] .

وقالَ الواسطيُّ رحمَهُ اللهُ : (لأنَّهُ جادَ بالكونَيْنِ عِوَضاً عنِ الحقِّ)[3] .

---

(١) يعني : مِنْ حيثُ وصفُهُما بالعظمة . من « شرح المكشلات » (ق/ ٤٥) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٥/ ٣٤٦) ، وأورده بنحوه القشيري في « رسالته » (ص٥٢٩) عن أبي سعيد الخراز رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٣) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » =

وقيلَ : لأنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عاشرَ الخَلْقَ بخُلُقِهِ وبايَنَهُم بقلبِهِ[1] ، وهـٰذا ما قالَ بعضُهُم في معنى التصوُّفِ : (الخُلُقُ معَ الخَلْقِ ، والصِّدْقُ معَ الحقِّ)[2] .

وقيلَ : عَظُمَ خُلُقُهُ حيثُ صَغُرتِ الأكوانُ في عينِهِ ؛ لمُشاهدةِ مُكوِّنِها[3] .

وقيلَ : سُمِّيَ خُلُقُهُ عظيماً ؛ لاجتماعِ مكارمِ الأخلاقِ فيهِ[4] .

وقد نَدَبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُمَّتَهُ إلىٰ حُسْنِ الخُلُقِ في حديثٍ :

(٧٣) ـ أخبرَنا بِهِ الشيخُ الصدرُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليِّ بنِ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ عبدُ الملكِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسىٰ محمَّدُ بنُ عيسى الحافظُ التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ خِراشٍ ، قالَ : حدَّثَنا

= (٢٧/ ١٥٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٢٨) .

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، وزاد : (فكان ظاهرُهُ مع الخَلْق ، وباطنُهُ مع الحق) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٥/ ٣٤٦) عن بعض الحكماء .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧/ ١٥٤ـ١٥٥) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) إلى الحسين بن منصور الحلاج .

(٤) أورده الثعلبي في « تفسيره » (٢٧/ ١٥٥) ، والقرطبي في « تفسيره » (١٨/ ٢٢٧) .

حَبَّانُ بنُ هلالٍ ، قالَ : حدَّثَنا مباركُ بنُ فَضالةَ ، قالَ : حدَّثني عبدُ [ربِّهِ] بنُ سعيدٍ[1] ، عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . ٱلثَّرْثَارُونَ ٱلْمُتَشَدِّقُونَ ٱلْمُتَفَيْهِقُونَ » ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ عَلِمْنا (الثَّرْثارُونَ) و(المُتشدِّقونَ) ، فما المُتفيهِقُونَ ؟ قالَ : « ٱلْمُتَكَبِّرُونَ »[2] .

والثَّرْثارُ : هوَ المِكْثارُ يُكثِرُ مِنَ الحديثِ ، والمُتشدِّقُ : المُتطاوِلُ على الناسِ في الكلامِ[3] .

وقالَ الواسِطيُّ رحمَهُ اللهُ : (الخُلُقُ العظيمُ : ألَّا يُخاصِمَ ولا يُخاصَمَ)[4] .

وقالَ أيضاً : (﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ؛ لوِجْدانِكَ حلاوةَ المُطالَعةِ على سِرِّكَ)[5] .

---

(١) في النسخ : (عبد الله) بدل (عبد ربه) ، والمثبت من « سنن الترمذي » .

(٢) سنن الترمذي (٢٠١٨) ، ورواه أيضاً الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٦٣) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٦) ، ورواه من حديث سيدنا أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أحمدُ (٤/ ١٩٣) ، وابن حبان (٤٨٢) ، وقولُهُ : (عَلِمْنا « الثرثارون » و« المتشدِّقون ») قال ابن علان في « دليل الفالحين » (٥/ ٨٥) : (كذا هو بالواو في الأصول على الحكاية لما وقع منه في لفظ الخبر ؛ أي : عَرَفْنا المرادَ منهما) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ في الخامس والعشرين للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٣) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٢٨) .

(٥) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) .

وقالَ أيضاً : (لأنَّكَ قَبِلتَ فُنُونَ ما أسدَيتُ إليكَ مِنْ نِعَمِي أحسنَ ممَّا قَبِلَهُ غيرُكَ مِنَ الأنبياءِ والرُّسُلِ)[1] .

وقالَ الحُسينُ : (لأنَّهُ لم يُؤثِّرْ فيكَ جفاءُ الخَلْقِ معَ مُطالَعةِ الحقِّ)[2] .

وقيلَ : **الخُلُقُ العظيمُ** : لباسُ النُّعُوتِ ، والتخلُّقُ بأخلاقِ اللهِ[3] ؛ إذ لم يبقَ للأعواضِ عندَهُ خطرٌ[4] .

وقالَ بعضُهُم : (**قولُهُ تعالىٰ** : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الحاقة : ٤٤ـ٤٥] . . أتمُّ ؛ لأنَّهُ حيثُ قالَ : ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ أَحْضَرَهُ ، وإذا أَحْضَرَهُ أَغْفلَهُ وحَجَبَهُ ، **وقولُهُ** : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ ﴾ **أتمُّ** ؛ لأنَّ فيهِ فناءً) .

وفي قولِ هٰذا القائلِ نَظَرٌ ؛ فهلَّا قالَ : إنْ كانَ في ذلكَ فناءٌ ففي قولِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ إبقاءٌ وبقاءٌ بعدَ فناءٍ ، والبقاءُ أتمُّ مِنَ الفناءِ ، **وهٰذا أليقُ بمَنصِبِ الرسالةِ** ؛ لأنَّ الفناءَ إنَّما عزَّ لمُزاحَمةِ وجودٍ مذمومٍ ، فإذا نُزِعَ المذمومُ مِنَ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٥٢٩) .

(٣) يعني : صفات الحق ملازماً لذاته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] ؛ يعني : إذا صار التقوىٰ ملازماً لذات المُتَّقي . . فذلك التقوىٰ خير ، ورُوي عن بعضهم أنَّهُ قال : تفكَّرت يوماً في كيفيَّة صيرورة صفات الحقِّ وأخلاقه لباسَ العبد الملازم علىٰ بابه ، فرأيت في المنام الشيخ أبا يوسف الهَمْداني عليه ثوب نُسج فيه مئةٌ وسبعةَ عَشَرَ اسماً من أسماء الله تعالىٰ ، وكتب علىٰ منكبٍ آية الكرسي ، وعلىٰ منكبٍ (آمن الرسول) ، فقال : هٰكذا تصير صفاتُ الحقِّ الخالق ، لباسَ السالك الصادق . من هامش (ج) .

(٤) في (ب) : (للأغراض) بدل (للأعواض) ، وفي نسخة علىٰ هامش (و) : (للأعراض) .

الوجودِ وتبدَّلَتِ النُّعُوتُ . . أيُّ عِزَّةٍ تبقىٰ في الفناءِ ؟! فيكونُ حضورُهُ باللهِ لا بنفسِهِ ، فأيُّ حَجْبةٍ تبقىٰ هنالكَ ؟!

وقيلَ : مَنْ أُوتِيَ الخُلُقَ فقد أُوتِيَ أعظمَ المقاماتِ ؛ لأنَّ المقاماتِ ارتباطٌ عامٌّ ، والخُلُقَ ارتباطٌ بالنُّعُوتِ والصِّفاتِ[1] .

وقالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (اجتمعَ فيهِ أربعةُ أشياءَ : السَّخاءُ ، والأُلْفةُ ، والنصيحةُ ، والشَّفَقَةُ)[2] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (الخُلُقُ العظيمُ : ألَّا يكونَ لهُ اختيارٌ ، ويكونَ تحتَ الحُكْمِ معَ فناءِ النَّفْسِ وفناءِ المألوفاتِ)[3] .

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) ، وقولُهُ : (أعظمَ المقامات . . .) إلىٰ آخره ؛ أي : أكثرَ الأحوال والمقاماتِ ، وإنَّما لم يذكر الأحوال ؛ لدخولها في المقامات ؛ لأنَّها بدايتُها وأوَّلها ، والمعنىٰ : أنَّ الأعمال والأحوالَ لها ارتباطٌ بعالَمِ المُلْك والشهادة ، ولها أيضاً اتِّصالٌ وارتباط بعالم الملكوت ، فما دام الواردات في التحوُّل والتغيُّر فهو الأحوال ، وإذا صارت مُتمكِّنةً صارت مقاماتٍ ، وأمَّا الأخلاق فتَجَوْهُرُ الأحوالِ والمقامات كما ذكر ، ومثال ذلك : التواجد والوَجْد والوجود ؛ فإنَّ التواجدَ بدايةُ ظهور المطلوب ، والوجدَ حصولُهُ ، والوجودَ تَجَوْهُرُ ذلك وتمكُّنُهُ في القلب ، وذلك في مقام البقاء عند الفناء ، وكذلك الشكر والصبر ؛ فإنَّ العبدَ يكونُ في البداية شاكراً صابراً في وقتٍ بالإيمان نظراً إلىٰ خواصِّهما وفوائدِهما ، ويكونُ في وقتٍ في الكفران والعجلة ، حتىٰ يستقرَّ الشكرُ والصبر في القلب ويصيرا مقاماً له ويدوما له ، وفي المقام يثبت الكسب والسعي ، وإذا ارتفع الكسبُ والسعي وتَجَوْهَرَ الصبرُ والشكر في القلب وظهر مناسبتهما بشكوريَّة الحق وصُبوريَّته المُنزَّهين عن التبدُّل والتحوُّل والكسب والسعي ، وصارا موصوفين في الثبات والبقاء . . ظهر الارتباطُ الخاصُّ الذي هو التخلُّق بأخلاق الله تعالىٰ . من هامش (ج) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٤) .

(٣) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥) .

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ[1] : (العظيمُ هوَ اللهُ ، ومِنْ أخلاقِهِ الجودُ والكرمُ والصَّفْحُ والعفوُ والإحسانُ ؛ أَلَا ترىٰ إلىٰ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ لِلهِ مِئَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ خُلُقاً ، مَنْ أَتَىٰ بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ » ، فتخلَّقَ بأخلاقِ اللهِ ، فوجدَ الثناءَ عليهِ بقولِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾)[2] .

وقيلَ : عَظُمَ خُلُقُكَ ؛ لأنَّكَ لم تَرْضَ بالأخلاقِ ، وسِرْتَ ولم تسكنْ إلى النُّعُوتِ حتىٰ وصلتَ إلى الذاتِ[3] .

وقيلَ : لمَّا بُعِثَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الحجازِ . . حَجَزَهُ بها عنِ اللَّذَّاتِ والشَّهَوَاتِ ، وألقاهُ في الغُرْبةِ والجَفْوةِ ، فلمَّا صُفِّيَ بذلكَ عن دَنَسِ الأخلاقِ . . قالَ لهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4] .

(٧٤) ـ وأخبرَنا الشيخُ الصالحُ أبو زُرْعةَ بنُ الحافظِ أبي الفضلِ محمَّدِ بنِ طاهرٍ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ ، قالَ : أخبرَنا أبو عُمَرَ المَلِيحِيُّ[5] ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ[6] ، قالَ : أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ

---

(١) هو الإمام الزاهد المُعمَّر شيخ الصوفية أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نُصير القرشي الرازي (ت ٣٨٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٢٧) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥) ، والحديث في ضمنه سبق تخريجه في (٢/ ١١) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥) عن الحسين بن منصور الحلاج .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٤٥) عن أبي بكر الواسطي رحمه الله تعالىٰ .

(٥) في بعض النسخ : (أبو عمرو) بدل (أبو عمر) ، والصواب المثبت ، وهو الإمام الصدوق مسند هَراةَ عبدُ الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المَلِيحي الهروي (ت ٤٦٣ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٢٥٥) .

(٦) هو الإمام المُحدِّث الصالح شيخ الصوفية عبد الله ابن باموية الأصبهاني (ت٤٠٩هـ) ، =

الأعرابيِّ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ الحَجَّاجِ الرَّقِّيُّ[1] ، قالَ : حدَّثَنا أيُّوبُ بنُ محمَّدٍ الوَزَّانُ ، قالَ : حدَّثَني الوليدُ[2] ، قالَ : حدَّثَني ثابتُ [بنُ] يزيدَ[3] ، عنِ الأوزاعيِّ ، عنِ الزُّهْريِّ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانَ نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَكَارِمُ ٱلْأَخْلَاقِ عَشَرَةٌ ، تَكُونُ فِي ٱلرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي ٱبْنِهِ ، وَتَكُونُ فِي ٱلِٱبْنِ وَلَا تَكُونُ فِي أَبِيهِ ، وَتَكُونُ فِي ٱلْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي سَيِّدِهِ ، يَقْسِمُهَا ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ ٱلسَّعَادَةَ : صِدْقُ ٱلْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ ٱلْيَأْسِ[4] ، وَأَلَّا يَشْبَعَ وَجَارُهُ وَصَاحِبُهُ جَائِعَانِ ، وَإِعْطَاءُ ٱلسَّائِلِ ، وَٱلْمُكَافَأَةُ بِٱلصَّنَائِعِ ، وَحِفْظُ ٱلْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ ، وَٱلتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ ، وَإِقْرَاءُ ٱلضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ ٱلْحَيَاءُ »[5] .

وسُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجنةَ ،

= من شيوخ الإمام أبي بكر البيهقي والأستاذ أبي القاسم القشيري ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٣٩) .

(١) هو أبو الحسن جعفر بن محمد بن الحجاج القطان الرَّقِّي . انظر « الجرح والتعديل » (٢/ ٤٨٨) .

(٢) هو أبو العباس الوليد بن الوليد بن زيد القلانسي الدمشقي (ت٢٢١هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٥/ ٤٣٩ـ٤٤٠) .

(٣) في النسخ : (ثابت عن يزيد) ، والمثبت من « المجروحين » لابن حبان (٣/ ٨١) ، و« لسان الميزان » (٢/ ٣٩٢ـ٣٩٣) .

(٤) أي : صدق اليأس من الناس ، وفي (ب ، هـ ، ز ، ي) و« شعب الإيمان » : (الناس) بدل (اليأس) ، وفي « نوادر الأصول » : (البأس) .

(٥) رواه من طريق أبي محمد بن يوسفَ البيهقيُّ في « الشعب » (٧٣٢٣) ، ورواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩٩٧) ، وتمَّام في « فوائده » (١٧٧٠) ، والتذمُّم للصاحب : حفظ الحرمة والعهد والأمان ، والطرح عن نفسه ذمَّ الناس له إن لم يحفظه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٣٩٨) .

قالَ : « تَقْوَى ٱللهِ وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ » ، وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ ، فقالَ : « ٱلْغَمُّ وَٱلْفَرَحُ »(١) .

ويكونُ هـٰذا الغمُّ غمَّ فواتِ الحُظُوظِ العاجلةِ ؛ لأنَّ ذلكَ يتضمَّنُ التسخُّطَ والتضجُّرَ ، وفيهِ الاعتراضُ على اللهِ وعدمُ الرِّضا بالقضاءِ .

ويكونُ الفَرَحُ المُشارُ إليهِ الفَرَحَ بالحُظُوظِ العاجلةِ الممنوعَ منهُ بقولهِ تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، وهوَ الفرحُ الذي قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] ؛ لمَّا رأىٰ مفاتحَهُ لَتنوءُ بالعُصْبةِ أُولي القُوَّةِ .

فأمَّا الفَرَحُ بالأقسامِ الأُخْرَوِيَّةِ فمحمودٌ يُنافَسُ فيهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وقد قيلَ : هوَ الفمُ والفرجُ(٢) .

وفسَّرَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ حُسْنَ الخُلُقِ فقالَ : هوَ بَسْطُ الوجهِ ، وبذلُ المعروفِ ، وكفُّ الأذىٰ(٣) .

فالصُّوفيةُ راضُوا نفوسَهُم بالمُكابداتِ والمُجاهداتِ حتىٰ أجابتْ إلىٰ

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) ، وابن حبان (٤٧٦) ، والحاكم (٤/ ٣٢٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣٧٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي بعض النسخ : (الأجوفان : الفم والفرج) ، وهو الموافق لمصادر تخريجه ، ثم سقط الكلام فيه إلىٰ قوله الآتي : (فبذلك فليفرحوا) ، وفي بعضها إلىٰ قوله : (والفرج) ، والمثبت متلائم مع الموجود في النسخ الأخرىٰ .

(٢) قوله : (هو) ؛ أي : الثابت في الحديث السابق .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٧٠٨) عن السفيانين وفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهم الله تعالىٰ .

تحسينِ الأخلاقِ ، وكم مِنْ نَفْسٍ تُجيبُ إلى الأعمالِ ولا تُجيبُ إلى الأخلاقِ !! فنُفُوسُ العُبَّادِ أجابتْ إلى الأعمالِ وجمحتْ عنِ الأخلاقِ ، ونُفُوسُ الزُّهَّادِ أجابتْ إلىٰ بعضِ الأخلاقِ دونَ البعضِ ، ونُفُوسُ الصُّوفيَّةِ أجابتْ إلى الأخلاقِ الكريمةِ كلِّها .

(٧٥) ـ كما أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ حسينَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الكتَّانيَّ يقولُ : (التصوُّفُ خُلُقٌ ، فمَنْ زَادَ عليكَ في الخُلُقِ زادَ عليكَ في التصوُّفِ)[١] .

فالعُبَّادُ أجابتْ نُفُوسُهُم إلى الأعمالِ ؛ لأنَّهُم يَسلُكُونَ بنورِ الإسلامِ ، والزُّهَّادُ أجابتْ نُفُوسُهُم إلىٰ بعضِ الأخلاقِ ؛ لكونِهِم سَلَكُوا بنورِ الإيمانِ ، والصُّوفيَّةُ أهلُ القُرْبِ سَلَكُوا بنورِ الإحسانِ ، فلمَّا باشرَ بواطنَ أهلِ القُرْبِ والصُّوفيَّةِ نورُ اليقينِ ، وتأصَّلَ في بواطِنِهِم ذلكَ . . انصلحَ القلبُ بكلِّ أرجائِهِ وجوانبِهِ ؛ لأنَّ القلبَ يبيضُّ بعضُهُ بنورِ الإسلامِ ، وبعضُهُ بنورِ الإيمانِ ، وكلُّهُ بنورِ الإحسانِ والإيقانِ ، فإذا ابيضَّ القلبُ وتنوَّرَ انعكسَ نورُهُ على النَّفْسِ .

وللقلبِ وجهٌ إلى النَّفْسِ ووجهٌ إلى الرُّوحِ ، وللنَّفْسِ وجهٌ إلى القلبِ ووجهٌ إلى الطَّبْعِ والغريزةِ .

والقلبُ إذا لم يبيضَّ كلُّهُ لم يتوجَّهْ إلى الرُّوحِ بكلِّهِ ، ويكونُ ذا وجهَينِ :

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٢٩) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/ ٢٨٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٥٦) .

وجهٌ إلى الرُّوحِ ، ووجهٌ إلى النَّفْسِ ، فإذا ابيضَّ كلُّهُ توجَّهَ إلى الرُّوحِ بكلِّهِ ، فيتداركُهُ مددُ الرُّوحِ ، ويزدادُ إشراقاً وتنوُّراً ، وكلَّما انجذبَ القلبُ إلى الرُّوحِ انجذبتِ النَّفْسُ إلى القلبِ ، وكلَّما انجذبتْ توجَّهتْ إلى القلبِ بوجهِها الذي يليهِ ، وتتنوَّرُ النَّفْسُ ؛ لتوجُّهِها إلى القلبِ بوجهِها الذي يلي القلبَ ، وعلامةُ تنوُّرِها طُمأْنينتُها ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧ـ٢٨] .

وتنوُّرُ وَجْهِها الذي يلي القلبَ بمثابةِ نُورانيَّةِ أحدِ وَجْهَيِ الصَّدَفِ لاكتسابِ النُّورانيَّةِ مِنَ اللؤلؤِ ، وبقاءُ شيءٍ مِنَ الظُّلْمةِ على النَّفْسِ لنسبةِ وَجْهِها الذي يلي الغريزةَ والطبعَ . . كبقاءِ ظاهرِ الصَّدَفِ علىٰ ضَرْبٍ مِنَ الكَدَرِ والنُّقْصانِ مُخالِفاً لنُورانيَّةِ باطنِهِ .

وإذا تنوَّرَ أحدُ وَجْهَيِ النَّفْسِ تُجِيبُ إلىٰ تحسينِ الأخلاقِ وتبديلِ النُّعُوتِ ؛ ولذلكَ سَمَّوُا الأبدالَ أبدالاً .

والسرُّ الأكبرُ في ذلكَ : أنَّ قلبَ الصُّوفيِّ بدوامِ الإقبالِ على اللهِ تعالىٰ ، ودوامِ الذِّكْرِ بالقلبِ واللِّسانِ . . يرتقي إلىٰ ذِكْرِ الذاتِ ، ويصيرُ حينئذٍ بمثابةِ العَرْشِ ، فالعَرْشُ قلبُ الكائناتِ في عالَمِ الخَلْقِ والحِكْمةِ ، والقلبُ عَرْشٌ في عالَمِ الأمرِ والقُدْرةِ .

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ : (القلبُ كالعَرْشِ ، والصَّدْرُ كالكرسيِّ) .

وقد وَرَدَ عنِ اللهِ تعالىٰ : « لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي ، وَيَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي ٱلْمُؤْمِنِ »[1] .

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٤٢٣) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ ، وهو من =

فإذا اكتحلَ القلبُ بنورِ ذِكْرِ الذاتِ ، وصارَ بحراً مَوَّاجاً مِنْ نَسَماتِ القُرْبِ . . جرىٰ في جداولِ أخلاقِ النَّفْسِ صفاءُ النُّعُوتِ والصِّفاتِ ، وتحقَّقَ التخلُّقُ بأخلاقِ اللهِ .

حُكِيَ عنِ الشيخِ أبي عليٍّ الفارْمَذِيِّ[1] : أنَّهُ حكىٰ عن شيخِهِ أبي القاسمِ الكُرْكانيِّ أنَّهُ قالَ[2] : (إنَّ الأسماءَ التسعةَ والتسعينَ تصيرُ أوصافاً للعبدِ السالكِ ، وهوَ بعدُ في السلوكِ غيرُ واصلٍ)[3] .

= الإسرائيليات ، ولم يرو مرفوعاً بهٰذا اللفظ ، ويشهد له ما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٩٧) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّ للهِ في الأرضِ آنيةً ، وأحبُّ آنيةِ اللهِ إليهِ ما رقَّ منها وصفا ، وآنيةُ اللهِ في الأرضِ قلوبُ عبادِهِ الصالحينَ » ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠١ـ٤٠٢) .

(١) الفارْمَذي : نسبة إلىٰ (فارْمَذ) بسكون الراء ـ كما في « معجم البلدان » (٤/ ٢٢٨) ـ وفتحِها ، كما في « الأنساب » (١٠/ ١٢٤) ، وهي إحدىٰ قرىٰ طُوسَ في خراسان ، وأبو علي الفارمذي : هو شيخ الصوفيَّة في خراسان وزاهدها الكبير الفضل بن محمد بن علي بن الفضل الطُّوسي الخراساني (ت٤٧٧هـ) ، وهو من تلاميذ سيِّدي المُربِّي الأستاذ أبي القاسم القُشيري ، ومن شيوخ الإمام الحُجَّة أعجوبة الدهر أبي حامد الغزالي في طريق التصوُّف والتألُّه ، وقال عنه أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (١٠/ ١٢٤ـ١٢٥) : (لسان خراسان وشيخها ، وصاحب الطريقة الحسنة من تربية المريدين والأصحاب ، وكان مجلسُ وعظه علىٰ ما سمعتُ كروضةٍ فيها أنواعُ الأزهار والثمار) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٥٦٥ ، ١٩/ ٣٢٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ٣٠٤ـ٣٠٦) .

(٢) هو الإمام القدوة الزاهد أبو القاسم عبد الله بن علي بن عبد الله الطُّوسي الطابَراني الكُرْكاني (ت ٤٦٩هـ) ، وهو من شيوخ أبي علي الفارمذي وأبو زوجته ، وكُرْكان : مدينة بين طبراستان وخراسان ، وإذا عُرِّبت قيل : جُرْجان ، وضُبط (الكُرْكاني) في بعض النسخ بفتح الراء المشددة ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٠٥) ، و« معجم البلدان » (٤/ ٤٥٢) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٩/ ٢٤١) .

(٣) رواه الغزالي في « المقصد الأسنىٰ » (ص٣٠٣) .

ويكونُ الشيخُ عَنَىٰ بهٰذا : أنَّ العبدَ يأخذُ مِنْ كلِّ اسمٍ وصفاً يُلائِمُ ضعفَ حالِ البشرِ وقُصُورَهُ ؛ مثلُ أنْ يأخذَ مِنِ اسمِ اللهِ تعالى (الرحيمِ) معنىً مِنَ الرحمةِ علىٰ قَدْرِ قُصُورِ البشرِ[1] .

وكلُّ إشاراتِ المشايخِ في الأسماءِ والصِّفاتِ التي هيَ أعزُّ علومِهِم . . علىٰ هٰذا المعنىٰ والتفسيرِ ، وكلُّ مَنْ توهَّمَ بذلكَ شيئاً مِنَ الحُلُولِ . . تزندقَ وأَلْحدَ .

وقد أَوْصىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معاذاً بوصيَّةٍ جامعةٍ لمحاسنِ الأخلاقِ ، فقالَ لهُ : « يَا مُعَاذُ ؛ أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللهِ ، وَصِدْقِ ٱلْحَدِيثِ ، وَٱلْوَفَاءِ بِٱلْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ ، وَتَرْكِ ٱلْخِيَانَةِ ، وَحِفْظِ ٱلْجِوَارِ ، وَرَحْمَةِ ٱلْيَتِيمِ ، وَلِينِ ٱلْكَلَامِ ، وَبَذْلِ ٱلسَّلَامِ ، وَحُسْنِ ٱلْعَمَلِ ، وَقِصَرِ ٱلْأَمَلِ ، وَلُزُومِ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلتَّفَقُّهِ فِي ٱلْقُرْآنِ ، وَحُبِّ ٱلْآخِرَةِ ، وَٱلْجَزَعِ مِنَ ٱلْحِسَابِ ، وَخَفْضِ ٱلْجَنَاحِ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَسُبَّ حَلِيماً[2] ، أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقاً ، أَوْ تُطِيعَ آثِماً ، أَوْ تَعْصِيَ إِمَاماً عَادِلاً ، أَوْ تُفْسِدَ أَرْضاً .

أُوصِيكَ بِٱتِّقَاءِ ٱللهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ[3] ، وَأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً ، ٱلسِّرُّ بِٱلسِّرِّ ، وَٱلْعَلَانِيَةُ بِٱلْعَلَانِيَةِ »[4] .

---

(١) انظر « المقصد الأسنىٰ » (ص٣٠٤) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، هـ ، و ، ح) : (حكيماً) .

(٣) في نسخة علىٰ هامش (د) : (بذكر الله) بدل (باتقاء الله) ، وهي كذلك في المصادر الآتية .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٤٠ـ٢٤١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » =

فبذلكَ أدَّبَ اللهُ عبادَهُ ، ودعاهُم إلىٰ مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الآدابِ .

ورویٰ معاذٌ أيضاً عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « حُفَّ ٱلْإِسْلَامُ بِمَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ ، وَمَحَاسِنِ ٱلْآدَابِ »[1] .

(٧٦) ـ أخبرَنا الشيخُ الصدرُ العالِمُ الأوحدُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ بإسنادِهِ المُتقدِّمِ إلى التِّرْمِذيِّ قالَ : حدَّثَنا أبو كُرَيبٍ ، قالَ : حدَّثَنا قَبيصةُ بنُ اللَّيثِ ، عن مُطرِّفٍ ، عن عطاءٍ ، عن أمِّ الدَّرْداءِ ، عن أبي الدَّرْداءِ قالَ : سمعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي ٱلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ ٱلصَّوْمِ وَٱلصَّلَاةِ »[2] .

وقد كانَ مِنْ أخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ كانَ أَسْخى الناسِ[3] ؛ لا يَبِيتُ عندَهُ دينارٌ ولا درهمٌ ، وإنْ فَضَلَ ولم يَجِدْ مَنْ يُعطِيهِ ويأتيهِ الليلُ . . لا يَأْوي إلىٰ منزلِهِ حتىٰ يبرأَ منهُ[4] ، ولا ينالُ مِنَ الدنيا أكثرَ

= (٩٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/ ٤٠٨) ، ورواه مختصراً الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (١٥٤) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٣) .

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٧١٤) صدر حديث طويل ، وقال العراقي في « المغني » (٢٢٩٧) : (لم أقف له علىٰ أصل ، ويُغني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث) ، وهو الحديث الذي سبق قبل هٰذا .

(٢) سنن الترمذي (٢٠٠٣) ، ورواه أبو داود (٤٧٩٩) ، وأحمد (٦/ ٤٤٢) دون الشطر الأخير .

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٣) ، ومسلم (٢٣٠٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٤) .

(٤) رواه البخاري (٨٥١) عن سيدنا عقبة بن الحارث النوفلي رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٥) .

ما يكونُ قوتَ عامِهِ ؛ مِنْ أيسرِ ما يجدُ مِنَ التمرِ والشعيرِ ، ويضعُ ما عدا ذلكَ في سبيلِ اللهِ[١] ، لا يسألُ شيئاً إلا يُعطِي[٢] ، ثمَّ يعودُ إلىٰ قوتِ عامِهِ فيُؤثِرُ منهُ ، حتىٰ ربَّما احتاجَ قبلَ انقضاءِ العامِ[٣] .

وكانَ يَخصِفُ النعلَ ، ويَرقَعُ الثوبَ ، ويَخدُمُ في مَهْنَةِ أهلِهِ[٤] ، ويقطعُ اللحمَ معَهُنَّ[٥] .

وكانَ أشدَّ الناسِ حياءً[٦] ، وأكثرَهُم تواضُعاً[٧] ، فصلواتُ الرحمـٰنِ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ[٨] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري (٢٩٠٤) ، ومسلم (١٧٥٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٥) .

(٢) رواه الدارمي (٧٢) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، وأصله في « البخاري » (٦٠٣٦) عن سيدنا سهل رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٦) .

(٣) انظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٦ـ٤٠٧) .

(٤) رواه أحمد (٦/ ٢٤٢) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٣٨ ، ٥٤٠) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٦٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٥) رواه أحمد (٦/ ٩٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٦) رواه البخاري (٦١١٩) ، ومسلم (٢٣٢٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٧) وهـٰذا معلوم من سيرته صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد مرَّ بعض ذلك ؛ ومنه : ما رواه الترمذي (١٠١٧) وغيره عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : (كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يعودُ المرضىٰ ، ويشهد الجنازة ، ويركب الحمار ، ويُجيبُ دعوة العبد ، وكان يومَ بني قريظةَ علىٰ حمارٍ مخطومٍ بحبل من لِيفٍ ، عليه إكافُ ليفٍ) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٨) .

(٨) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام ، على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

الباب الثلاثون

في ذكر تفاصيل أخلاق الصوفية

مِنْ أحسنِ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : التواضعُ ، ولا يلبَسُ العبدُ لِبْسةً أجملَ مِنَ التواضعِ .

ومَنْ ظَفِرَ بكنزِ التواضعِ والحكمةِ .. يُقِيمُ نفسَهُ عندَ كلِّ أحدٍ مقداراً يعلمُ أنَّهُ يُقيمُهُ ، ويُقِيمُ كلَّ أحدٍ علىٰ ما عندَهُ مِنْ نفسِهِ ، ومَنْ رُزِقَ هـٰذا فقدِ استراحَ وأراحَ ؛ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت :٤٣] .

(٧٧) ـ أخبرَنا أبو زُرْعَةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا عثمانُ ابنُ عُبيدِ اللهِ[١] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ إبراهيمَ[٢] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ حَمْدانَ[٣] ، قالَ : أخبرَنا أبو حاتِمٍ الرَّازيُّ ، قالَ : أخبرَنا النَّضْرُ بنُ عبدِ الجبَّارِ ، قالَ : أخبرَنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن يزيدَ بنِ

---

(١) هو الإمام المسند العدل أبو عمرو عثمان بن محمد بن عبيد الله المَحْمِيُّ النيسابوري المُزكِّي (ت٤٨١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٥٧٩) .

(٢) هو الإمام الثقة أبو الحسن عبد الرحمـٰن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري المُزكِّي (ت٣٩٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٩٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٢٣) .

(٣) هو الإمام المُحدِّث أبو محمد عبد الرحمـٰن بن حمدان بن المَرْزُبان الهَمَذاني الجلَّاب الجزَّار (ت٣٤٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٤٧٧) .

أبي حبيبٍ ، عن سِنانِ بنِ سعدٍ ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، وَلَا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ »[1] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ؛ قالَ : « عَلَى ٱلْبِرِّ ، وَٱلتَّقْوَىٰ ، وَٱلرَّهْبَةِ ، وَذِلَّةِ ٱلنَّفْسِ »[2] .

وكانَ مِنْ تواضعِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنْ يُجيبَ دعوةَ الحُرِّ والعبدِ ، ويقبلَ الهديةَ ولو أنَّها جُرْعةُ لَبَنٍ أو فَخِذُ أرنبٍ ، ويُكافِئَ عليها ، ويأكلَها ، ولا يستكبرَ عن إجابةِ الأَمَةِ والمسكينِ[3] .

(٧٨) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خلفٍ إجازةً ، عنِ السُّلَميِّ ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عليٍّ المُقرِئُ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ المِنْهالِ ، قالَ : حدَّثَني أبي ، عن محمَّدِ بنِ جابرٍ [اليَمَاميِّ][4] ، عن سليمانَ ، عن عمرِو بنِ شُعيبٍ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ أنَّهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) صفوة التصوف (٧٤٧) ، ورواه مسلم (٢٨٦٥) عن سيدنا عياض بن حمار رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٠٩) .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٨٠) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٤٠٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٥٩) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٧٤٨) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) هاذا مجموع من عدة أحاديث سبق بعضها في آخر الباب السابق ، وأورد بعضها الغماري في « غنية العارف » (١/ ٤١٠ـ٤١١) .

(٤) في النسخ : (اليماني) ، والمثبت من « سير أعلام النبلاء » (٨/ ٢٣٨) ، وهو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سيّار بن طلق السُّحَيمي اليمامي (ت بعد ١٧٠هـ) .

وسلَّمَ : « إِنَّ مِنْ رَأْسِ ٱلتَّوَاضُعِ أَنْ تَبْدَأَ بِٱلسَّلَامِ عَلَىٰ مَنْ لَقِيتَ ، وَتَرُدَّ عَلَىٰ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْ تَرْضَىٰ بِٱلدُّونِ مِنَ ٱلْمَجْلِسِ ، وَأَلَّا تُحِبَّ ٱلْمِدْحَةَ وَٱلتَّزْكِيَةَ وَٱلْبِرَّ »(١) .

ووَرَدَ أيضاً عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « طُوبَىٰ لِمَنْ تَوَاضَعَ مِنْ غَيْرِ مَنْقَصَةٍ ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْكَنَةٍ »(٢) .

سُئِلَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ عنِ التواضعِ ، فقالَ : خَفْضُ الجَناحِ ، ولِينُ الجانبِ(٣) .

وسُئِلَ الفُضيلُ بنُ عِياضٍ عنِ التواضعِ ، فقالَ : تخضعُ للحقِّ ، وتنقادُ لهُ ، وتقبلُهُ ممَّنْ قالَهُ ، وتسمعُ منهُ(٤) .

---

(١) أسنده من طريق أبي عبد الرحمٰن السلمي ، ورواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٨) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٦٤٥) من كلام يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالىٰ ، ورواه ابن السري في « الزهد » (٨٠٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٩١) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (١١٤٨) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٧٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ١٨٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٥/ ٧١) عن سيدنا ركب المصري رضي الله عنه ، واختلف في صحبته ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤١٢) ، و« الإصابة » (٢/ ٤١٤) ، وفي هامش (ج) : (لأن الذِّلَّة لله مُتضمِّنةٌ للعزَّة ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨]) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٣٨٣) .

(٤) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١١-١٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٢٤) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٨٨) .

وقالَ أيضاً : (مَنْ رأىٰ لنفسِهِ قيمةً فليسَ لهُ في التواضعِ نصيبٌ)[1] .

وقالَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ : (مكتوبٌ في كُتُبِ اللهِ[2] : إنِّي أخرجتُ الذَّرَّ مِنْ صُلْبِ آدمَ عليهِ السلامُ ، فلم أجِدْ قلباً أشدَّ تواضعاً لي مِنْ قلبِ موسىٰ عليهِ السلامُ ؛ فلذلكَ اصطفَيْتُهُ وكلَّمتُهُ)[3] .

وقيلَ : مَنْ عَرَفَ كوامنَ نَفْسِهِ لم يطمعْ في العُلُوِّ والشَّرَفِ ، ويسلكُ سبيلَ التواضعِ ؛ فلا يُخاصِمُ مَنْ يذمُّهُ ، ويشكرُ اللهَ لِمَنْ يحمدُهُ .

وقالَ أبو حفصٍ : (مَنْ أحبَّ أنْ يتواضعَ قلبُهُ فَلْيصحَبِ الصالحينَ ، ولْيَلْتزِمْ بحُرْمتِهِم[4] ، فمِنْ شِدَّةِ تواضعِهِم في أنفسِهِم يقتدي بهِم ولا يتكبَّرُ) .

وقالَ لُقْمانُ : (لكلِّ شيءٍ مَطِيَّةٌ ، ومَطِيَّةُ العملِ التواضعُ)[5] .

وقالَ الثَّوْريُّ : (خمسةُ أَنفُسٍ أَعزُّ الخَلْقِ في الدنيا : عالمٌ زاهدٌ ، وفقيهٌ صُوفيٌّ ، وغنيٌّ مُتواضِعٌ ، وفقيرٌ شاكرٌ ، وشريفٌ سُنِّيٌّ)[6] .

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٣٨٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٩/٤٨) .

(٢) في (ب ، ج) : (كتاب) بدل (كتب) ، وعبارة « الرسالة » : (مكتوبٌ في بعض ما أنزل الله تعالىٰ من الكتب) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٨٣) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/٦١) ، والذَّرُّ : النَّسْل .

(٤) في (ج) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (بخدمتهم) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/٦) ضمن خبر طويل ، وفيه : (العقل) بدل (العمل) .

(٦) رواه القشيري في « رسالته » (ص٣٨٣ـ٣٨٤) .

وقالَ ابنُ الجلّا[1] : (لولا شَرَفُ التواضعِ كُنَّا إذا مشَيْنا نَخْطِرُ)[2] .

وقالَ يوسفُ بنُ أسباطٍ وقد سُئِلَ : ما غايةُ التواضعِ ؟ قالَ : أنْ تخرجَ مِنْ بيتِكَ فلا تلقىٰ أحداً إلا رأيتَهُ خيراً منكَ[3] .

ورأيتُ شيخَنا ضِياءَ الدِّينِ أبا النَّجيبِ وكنتُ معَهُ في سفرِهِ إلى الشامِ وقد بعثَ بعضُ أبناءِ الدنيا لهُ طعاماً علىٰ رُؤُوس الأُسارىٰ مِنَ الإفْرَنجِ وهم في قُيُودِهِم ، فلمَّا مُدَّتِ السُّفْرةُ والأُسارىٰ ينتظرونَ الأوانيَ حتىٰ تَفرُغَ . قالَ الشيخُ للخادمِ : أَحضِرِ الأُسارىٰ حتىٰ يقعدوا على السُّفْرةِ معَ الفقراءِ ، فجاءَ بهِم وأقعدَهُم على السُّفْرةِ صفّاً واحداً ، وقامَ الشيخُ مِنْ سَجَّادتِهِ ومشىٰ إليهِم وقعدَ بينَهُم كالواحدِ منهُم ، فأكلَ وأكلُوا ، فظهرَ لنا علىٰ وجهِهِ ما نازلَ باطنَهُ مِنَ التواضعِ للهِ ، والانكسارِ في نفسِهِ ، وانسلاخِهِ مِنَ التكبُّرِ عليهِم بإيمانِهِ وعِلْمِهِ وعملِهِ[4] .

---

(١) بالتشديد والقصر كما نصَّ عليه في « القاموس » (٣٠٧/٤) ، وابن الجَلَّا : هو الإمام المُربِّي العارف شيخ الصوفية أبو عبد الله أحمد بن يحيى البغدادي (ت ٣٠٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٢٥١ـ٢٥٢) .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٨٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٦/ ٩٠) ، ونَخطِر : نتبختر ، وفي (د) : (نتبختر) ، وفي هامش (ج) : وخَطَرانُ الرجلِ في مِشْيته : اهتزازه وتبختره؛ أي : اعتزازهم بالله تعالىٰ ، كما قيل : [من البسيط]

قومٌ يُخالِجُهُم زَهْوٌ بسيِّدِهِم   والعبدُ يزهو علىٰ مقدارِ مولاهُ

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٣٨/٨) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٦٧) .

(٤) رُوي أنَّ الأسارىٰ كلَّهُم أسلموا ببركة تواضع الشيخ ، وأعتقهم ذلك الحاكمُ وأطلقهم من القيود . من هامش (أ ، ج) .

(٧٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرٌ إجازةً ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : (صحَّ عندَ أهلِ المعرفةِ أنَّ للدِّينِ رأسَ مالٍ[١] : خمسةٌ في الظاهرِ ، وخمسةٌ في الباطنِ .

فأمَّا اللَّواتي في الظاهرِ : فصِدْقٌ في اللِّسانِ ، وسَخَاوةٌ في المِلْكِ[٢] ، وتواضعٌ في الأبدانِ ، وكفُّ الأذىٰ ، واحتمالُها بلا إباءٍ[٣] .

وأمَّا اللَّواتي في الباطنِ : فحُبُّ وجودِ سيِّدِهِ ، وخوفُ الفِراقِ مِنْ سيِّدِهِ ، ورجاءُ الوصولِ إلىٰ سيِّدِهِ ، والندمُ علىٰ فعلِهِ ، والحياءُ مِنْ ربِّهِ)[٤] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (التواضعُ في الخَلْقِ حَسَنٌ ، ولـٰكن في الأغنياءِ أحسنُ ، والتكبُّرُ سَمِجٌ في الخَلْقِ ، ولـٰكن في الفقراءِ أسمجُ)[٥] .

وقالَ ذو النُّونِ : (ثلاثةٌ مِنْ علاماتِ التواضعِ : تصغيرُ النَّفْسِ معرفةً بالعيبِ ، وتعظيمُ الناسِ حُرمةً للتوحيدِ ، وقَبُولُ الحقِّ والنصيحةِ مِنْ كلِّ أحدٍ)[٦] .

---

(١) زاد في (د) : (عشر خصال) .
(٢) في (د) : (في المال) .
(٣) في (ب) : (واحتماله بلا إباء) ، وفي (هـ) : (واحتمال البلاء) ، والضمير على المثبت يعود على المذكورات الأربعة .
(٤) الفتوَّة (ص٨٧) للسُّلَمي .
(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٨٨٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٣٨٤) ، ودون عزو الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٦٣) .
(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٦١ـ٣٦٢) ضمن خبر طويل ، والبيهقي في =

وقيلَ لأبي يزيدَ : متىٰ يكونُ الرجلُ متواضعاً ؟ قالَ : إذا لم يرَ لنفسِهِ مقاماً ولا حالاً[1] ؛ مِنْ علمِهِ بشرِّها وازْدِرائِها ، ولا يرىٰ أنَّ في الخَلْقِ شرّاً منهُ[2] .

قالَ بعضُ الحكماءِ : (وَجَدْنا التواضعَ معَ الجهلِ والبُخْلِ أحمدَ مِنَ الكِبْرِ معَ الأدبِ والسَّخاءِ)[3] .

وقيلَ لبعضِ الحكماءِ : هل تعرفُ نعمةً لا يُحسَدُ عليها ، وبلاءً لا يُرحَمُ صاحبُهُ عليهِ ؟ قالَ : نعم ؛ أمَّا النعمةُ : فالتواضعُ ، وأمَّا البلاءُ : فالكِبْرُ[4] .

والكشفُ عن حقيقةِ التواضعِ : أنَّ التواضعَ رعايةُ الاعتدالِ بينَ الكِبْرِ والضَّعَةِ ؛ فالكِبْرُ رفعُ الإنسانِ نَفْسَهُ فوقَ قَدْرِهِ ، والضَّعَةُ وضعُ الإنسانِ نَفْسَهُ مكاناً يُزرِي بهِ ويُفضي إلىٰ تضييعِ حقِّهِ .

= « الشعب » (٧٨٨٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٢٣ـ ٤٢٤) .

(١) في النسخ ما عدا (ج) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (حقّاً ما) بدل (مقاماً) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٦٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٨٣) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١/ ٩٧) ، و« جامع بيان العلم وفضله » (٩٥٤) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/ ٣٢٠) ، وعزواه إلىٰ بُزُرْجُمِهْر ، وزادا بعده واللفظ لابن عبد البر : (فَأَعْظِمْ بحسنةٍ عضَّتْ علىٰ سيِّئتَينِ !! وأَفْظِعْ بعيبٍ أَفْسدَ من صاحبه حسنتَينِ !!) .

(٤) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة » (ص٢١٣ـ٢١٤) ، وعزاه إلىٰ بُزُرْجُمِهْر .

وقد فُهِمَ مِنْ كثيرٍ مِنْ إشاراتِ المشايخِ في شرحِ التواضعِ[1] . . أشياءُ إلىٰ حدٍّ أقامُوا التواضعَ مُقامَ الضَّعَةِ ، ويلوحُ فيهِ الهُوِيُّ مِنْ أَوْجِ الإفراطِ إلىٰ حَضيضِ التفريطِ ، ويُوهِمُ انحرافاً عن حدِّ الاعتدالِ ، ويكونُ قصدُهُم في ذلكَ المبالغةَ في قَمْعِ نفوسِ المُريدينَ ؛ خوفاً عليهِم مِنَ العُجْبِ والكِبْرِ ، فقَلَّ أنْ ينفكَّ مُرِيدٌ في مَبادئِ ظهورِ سُلْطانِ الحالِ مِنَ العُجْبِ ؛ حتىٰ لقد نُقِلَ عن جمعٍ مِنَ الكبارِ كلماتٌ مُؤذِنةٌ بالإعجابِ .

فكلُّ ما نُقِلَ مِنْ ذلكَ القَبيلِ عنِ المشايخِ . . لبقايا السُّكْرِ عندَهُم ، وانحصارِهِم في مَضيقِ سُكْرِ الحالِ ، وعدمِ الخروجِ إلىٰ فضاءِ الصَّحْوِ في ابتداءِ أمرِهِم ، وذلكَ إذا حَدَّقَ صاحبُ البصيرةِ نظرَهُ يعلمُ أنَّهُ مِنِ استراقِ النَّفْسِ السمعَ عندَ نزولِ الواردِ على القلبِ ، والنَّفْسُ إذا اسْتَرَقَتِ السمعَ عندَ ظهورِ الواردِ على القلبِ . . ظهرتْ بصِفَتِها علىٰ وجهٍ لا يجفو على الوقتِ وصَلَافَةِ الحالِ ، فيكونُ مِنْ ذلكَ كلماتٌ مُؤذِنةٌ بالعُجْبِ ؛ كقولِ بعضِهِم : (مَنْ تحتَ خضراءِ السماءِ مثلي ؟!) .

وقولِ بعضِهِم[2] : (قَدَمي علىٰ رقبةِ جميعِ الأولياءِ)[3] .

وكقولِ بعضِهِم : (أَسْرجتُ وأَلْجمتُ وطُفْتُ في أقطارِ الأرضِ وقلتُ :

---

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ز ، ي) : (انفهم) بدل (فُهم) ، وفي (ج) : (يُفهم) .
(٢) في هامش (أ ، ح) : (هو عبد القادر الجيلاني) .
(٣) انظر « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (٢/ ٩٤٢ـ٩٤٣) ، وقد سئل عن قول سيدي عبد القادر الجيلاني ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص ٥٨١ـ٥٨٢) .

هل مِنْ مُبارِزٍ ؟ فلم يخرجْ إليَّ أحدٌ) ؛ إشارةً منهُ في ذلكَ إلىٰ تفرُّدِهِ في وقتِهِ .

ومَنْ أشكلَ عليهِ ذلكَ ، ولم يعلمْ أنَّهُ مِنِ استراقِ النَّفْسِ السمعَ . . فليَزِنْ ذلكَ بميزانِ أحوالِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وتواضعِهِم ، واجتنابِهِم أمثالَ هٰذهِ الكلماتِ ، واستبعادِهِم أنْ يجوزَ للعبدِ التظاهرُ بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ولٰكن نجعلُ لكلامِ الصادقينَ وجهاً في الصِّحَّةِ ، ويُقالُ : إنَّ ذلكَ طَفَحَ عليهِم في سُكْرِ الحالِ ، وكلامُ السُّكارىٰ يُحمَلُ(١) .

فالمشايخُ أربابُ التمكينِ ، لمَّا عَلِمُوا أنَّ في النفوسِ هٰذا الداءَ الدَّفِينَ . . بالغُوا في شرحِ التواضعِ إلىٰ حدٍّ أَلْحقُوهُ بالضَّعَةِ تَدَاوِياً للمُريدينَ .

والاعتدالُ في التواضعِ : أنْ يرضى الإنسانُ بمنزلةٍ دُوَينَ ما يستحقُّهُ ، ولو أَمِنَ الشخصُ جُمُوحَ النَّفْسِ لأوقفَها علىٰ حدٍّ تستحقُّهُ مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ .

ولٰكن لمَّا كانَ الجُمُوحُ في جِبلَّةِ النَّفْسِ ؛ لكونِها مخلوقةً مِنْ صَلْصالٍ كالفخَّارِ ، فيها نسبةُ الناريَّةِ وطلبُ الاستعلاءِ بطبعِها إلىٰ مركزِ النارِ . . احتاجتْ إلى التَّدَاوِي بالتواضعِ وإيقافِها دُوَينَ ما تستحقُّهُ ؛ لئلا يتطرَّقَ إليها الكِبْرُ .

فالكِبْرُ ظنُّ الإنسانِ أنَّهُ أكبرُ مِنْ غيرِهِ ، والتكبُّرُ إظهارُهُ ذلكَ ، وهٰذهِ صفةٌ لا يستحقُّها إلا اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ، ومَنِ ادَّعاها مِنَ المخلوقينَ يكونُ كاذباً .

---

(١) في (ج) ونسخة على هامش (أ، ح) : (يُتحمَّل) ، وفي (هـ ، ح) : (يُحتمل) .

والكِبْرُ يتولَّدُ مِنَ الإعجابِ ، والإعجابُ مِنَ الجهلِ بحقيقةِ المحاسنِ ، والجهلُ الانسلاخُ مِنَ الإنسانيَّةِ حقيقةً .

وقد عَظَّمَ اللهُ تعالىٰ شأنَ الكِبْرِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

وقد وَرَدَ : « يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ٱلْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَٱلْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ »(١) ، وفي روايةٍ : « قَذَفْتُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ »(٢) .

وقالَ اللهُ تعالىٰ ردّاً للإنسانِ في طُغْيانِهِ إلىٰ حدِّهِ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٥ـ ٦] ، وأبلغُ مِنْ هٰذا : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس : ١٧ـ١٩] .

وقد قالَ بعضُهُم لبعضِ المُتكبِّرينَ : (أوَّلُكَ نُطفةٌ مَذِرَةٌ ، وآخِرُكَ جِيفةٌ قَذِرَةٌ ، وأنتَ فيما بينَ ذلكَ تحملُ العَذِرَةَ)(٣) .

---

(١) رواه بنحوه مسلم (٢٦٢٠) ، وبلفظه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص١٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود (٤٠٩٠) ، وأحمد (٢/ ٤١٤) ، وابن حبان (٥٦٧١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤١٧) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٣٠٣) من كلام مالك بن دينار للمُهلَّب بن أبي صُفْرة ، والمَذِرة : الفاسدة ، والعَذِرة : الغائط .

وقد نَظَمَ الشاعرُ هـٰذا المعنىٰ[1] : [من مجزوء الرمل]

كَيْـفَ يَـزْهُـو مَـنْ رَجِيعُـهْ أَبَـدَ ٱلـدَّهْـرِ ضَجِيعُـهْ

وإذا ارتحلَ التواضعُ مِنَ القلبِ وسكنَ الكِبْرُ . . ينتشرُ أَثَرُهُ في بعضِ الجوارحِ ، ويَرشَحُ الإناءُ بما فيهِ ؛ فتارةً يظهرُ أَثَرُهُ في العُنُقِ بالتمايلِ ، وتارةً في الخَدِّ بالتصعيرِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان : ١٨] ، وتارةً يظهرُ في الرأسِ عندَ استعصاءِ النَّفْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٥] .

وكما أنَّ للكِبْرِ انقساماً على الجوارحِ والأعضاءِ . . يتشعَّبُ منهُ شُعَبٌ بعضُها أكثفُ مِنَ البعضِ ؛ كالتِّيهِ والزَّهْوِ والعِزَّةِ وغيرِ ذلكَ[2] .

إلا أنَّ العِزَّةَ تشتبهُ بالكِبْرِ مِنْ حيثُ الصورةُ ، وتختلفُ مِنْ حيثُ الحقيقةُ ؛ كاشتباهِ التواضعِ بالضَّعَةِ ، والتواضعُ محمودٌ ، والضَّعَةُ مذمومةٌ ، والكِبْرُ مذمومٌ ، والعِزَّةُ محمودةٌ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] ، والعِزَّةُ غيرُ الكِبْرِ ، ولا يَحِلُّ لمؤمنٍ أنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ .

---

(١) البيت لابن الرومي في « ديوانه » (٤/١٥٥٢) ، ويزهو : يتكبَّر ، والرَّجيع : بمعنى العذرة ، وأخذه أيضاً ابن عون ، فنَظَمَهُ فقال : (من المنسرح)

عجبتُ مِـنْ مُعجَـبٍ بصـورتـهِ وكـانَ بـالأمـسِ نُطْفـةً مَـذِرَهْ
وفـي غـدٍ بعـدَ حُسْـنِ صـورتِـهِ يصيـرُ فـي اللَّحْـدِ جِيفـةً قَـذِرَهْ
وهْـوَ علـىٰ تِيهِـهِ ونَخْـوتِـهِ مـا بيـنَ ثـوبَيْـهِ يحمـلُ العَـذِرَهْ

انظر « أدب الدين والدنيا » (ص٣٧٧) .

(٢) التِّيه : الكِبْر ، ومثلُهُ الزَّهْو .

فالعِزَّةُ : معرفةُ الإنسانِ بحقيقةِ نَفْسِه ، وإكرامُها أَلَّا يضعَها لأَقْسامٍ عاجلةٍ دنيويةٍ ، كما أَنَّ الكِبْرَ : جهلُ الإنسانِ بنفسِهِ ، وإنزالُها فوقَ منزلتِها .

قالَ بعضُهُم للحسنِ : ما أعظمَكَ في نَفْسِكَ !! قالَ : لستُ بعظيمٍ ، ولكنَّني عزيزٌ[١] .

ولمَّا كانتِ العِزَّةُ غيرَ مذمومةٍ ، وفيها مشاكلةٌ بالكِبْرِ . . قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ؛ فيه إشارةٌ خفيةٌ لإثباتِ العِزَّةِ بالحقِّ .

والوقوفُ علىٰ حدِّ التواضعِ مِنْ غيرِ انحرافٍ إلى الضَّعَةِ . . وقوفٌ علىٰ صراطِ العِزَّةِ المنصوبِ علىٰ متنِ نارِ الكِبْرِ ، ولا يُؤَيَّدُ في ذلكَ ولا يثبتُ عليهِ إلا أقدامُ العلماءِ الراسخينَ ، والسادةِ المُقرَّبينَ ، ورُؤساءِ الأبدالِ والصِّدِّيقينَ .

قالَ بعضُهُم : (مَنْ تكبَّرَ فقد أخبرَ عن نَذَالةِ نَفْسِهِ[٢] ، ومَنْ تواضعَ فقد أظهرَ كرمَ طبعِهِ)[٣] .

وقالَ التِّرمذيُّ : التواضعُ علىٰ ضربَينِ :

الأوَّلُ : وهوَ أنْ يتواضعَ العبدُ لأمرِ اللهِ ونهيِهِ ؛ فإنَّ النَّفْسَ لطلبِ الراحةِ تتعلَّىٰ في أمرِهِ ، وللشهوةِ التي فيها تَهْوي في نهيِهِ[٤] ، فإذا وَضَعَ نَفْسَهُ لأمرِهِ ونهيِهِ . . فهوَ تواضعٌ .

---

(١) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٣٢٥) ، و« الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة » (ص٢١٥) ، وفي بعض النسخ : (للحسن بن علي) بدل (للحسن) .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د) : (رذالة) بدل (نذالة) ، والنذالة : السَّفَالة والخِسَّة .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٨٨) .

(٤) في النسخ ما عدا (أ) : (والشهوة) بدل (وللشهوة) .

والثاني : أنْ يضعَ نَفْسَهُ لعظمةِ اللهِ تعالىٰ ، فإنِ اشتهتْ نَفْسُهُ شيئاً ممَّا أُطلِقَ لهُ مِنْ كلِّ نوعٍ مِنَ الأنواعِ . . منعَها ذلكَ ، وجملةُ ذلكَ : أنْ يتركَ مشيئتَهُ لمشيئةِ اللهِ تعالىٰ .

واعلَمْ : أنَّ العبدَ لا يبلغُ حقيقةَ التواضعِ إلا عندَ لَمَعَانِ نورِ المشاهدةِ في قلبِهِ ، فعندَ ذلكَ تذوبُ النَّفْسُ ، وفي ذَوَبانِها صفاؤُها مِنْ غِشِّ الكِبْرِ والعُجْبِ ، فتلينُ وتنطبعُ للحقِّ والخَلْقِ لمَحْوِ آثارِها ، وسكونِ وَهَجِها وغُبارِها[1] .

وكانَ الحظُّ الأوفرُ مِنَ التواضعِ لنبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أوطانِ القُرْبِ ؛ فيما رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها في الحديثِ الطويلِ قالتْ : فقدتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ ليلةٍ ، فأَخَذَني ما يأخذُ النساءَ مِنَ الغيرةِ ؛ ظنّاً منِّي أنَّهُ عندَ بعضِ أزواجِهِ ، فطلبتُهُ في حُجَرِ نسائِهِ فلم أَجِدْهُ[2] ، فوجدتُهُ في المسجدِ ساجداً كالثوبِ الخَلَقِ وهوَ يقولُ في سجودِهِ[3] : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي ، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي ، وَأَقَرَّ بِكَ لِسَانِي ، وَهَا أَنَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يا عَظِيمُ ، يَا غَافِرَ ٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ »[4] .

وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي » . . استقصاءٌ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

(٢) الحُجَر : جمع (حُجْرة) ؛ وهي البيت والغرفة .

(٣) **الخَلَق** : البالي .

(٤) رواه بنحوه أبو يعلىٰ في « المسند » (٤٦٦١) ، والطبراني في « الدعاء » (٦٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٥٥٧) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٢٠ـ٤٢١) ، وما سبق في (١/ ٣٢٠) .

في التواضعِ بمَحْوِ آثارِ الوجودِ حيثُ لم تتخلَّفْ ذَرَّةٌ عنِ السجودِ ظاهراً وباطناً .

ومتىٰ لم يكنْ للصُّوفيِّ حظٌّ مِنَ التواضعِ الخاصِّ علىٰ بِساطِ القُرْبِ . . لا يتوفَّرُ حظُّهُ مِنَ التواضعِ للخَلْقِ ، وهٰذهِ سعادةٌ إذا أقبلتْ جاءتْ بكُلِّيَّتِها .

والتواضعُ مِنْ أشرفِ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ[١] .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : المُدَاراةُ ، واحتمالُ الأذىٰ مِنَ الخَلْقِ .

وبَلَغَ مِنْ مُدَاراةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ وَجَدَ قتيلاً مِنْ أصحابِهِ بينَ اليهودِ ، فلم يَحِفْ عليهِم ، ولم يَزِدْ علىٰ مُرِّ الحقِّ ، بل وَدَاهُ بمئةِ ناقةٍ مِنْ قِبَلِهِ ، وإنَّ بأصحابِهِ لحاجةً إلىٰ بعيرٍ واحدٍ يتقوَّونَ بهِ[٢] .

وكانَ مِنْ حُسْنِ مُداراتِهِ : ألَّا يَذُمَّ طعاماً[٣] ، ولا يَنهَرَ خادماً[٤] .

(٨٠) ـ أخبرَنا الشيخُ الإمامُ الصالحُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الكَرُوخيُّ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نصرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرمذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا قُتيبةُ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قالَ : (خَدَمْتُ رسولَ اللهِ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

(٢) رواه البخاري (٦١٤٢) ، ومسلم (١٦٦٩/ ٢) عن سيدنا رافع بن خَديج وسهل بن أبي حَثْمة رضي الله عنهم .

(٣) رواه البخاري (٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سيأتي تخريجه في الحديث بعدُ .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَشْرَ سنينَ ، فما قالَ لي : أُفٍّ قطُّ ، وما قالَ لشيءٍ صنعتُهُ : لِمَ صنعتَهُ ؟ ولا لشيءٍ تركتُهُ : لِمَ تركتَهُ ؟ وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ أحسنِ الناسِ خُلُقاً ، وما مَسِسْتُ خَزّاً قطُّ ولا حَريراً ولا شيئاً كانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا شَمِمْتُ مِسْكاً قطُّ ولا عِطْراً كانَ أَطْيبَ مِنْ عَرَقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] .

فالمُدَاراةُ معَ كلِّ أحدٍ ؛ مِنَ الأهلِ والأولادِ ، والجيرانِ والأصحابِ والخَلْقِ كافَّةً . . مِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ ، وباحتمالِ الأذىٰ يظهرُ جوهرُ النَّفْسِ .

وقد قيلَ : (لكلِّ شيءٍ جوهرٌ ، وجوهرُ الإنسانِ العقلُ ، وجوهرُ العقلِ الصبرُ)[2] .

(٨١) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الصَّرِيفِينيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عُبيدُ اللهِ بنُ حَبابةَ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ الجَعْدِ ، قالَ : أخبرَنا شُعْبةُ ، عنِ الأعمشِ ، عن يحيى بنِ وَثَّابٍ ، عن شيخٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ قلتُ : مَنْ

---

(١) سنن الترمذي (٢٠١٥) ، الشمائل المحمدية (٣٤٦) ، وبعضه في « البخاري » (١٩٧٣ ، ٣٥٦١) ، و« مسلم » (٢٣٣٠) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٢٢) ، وفي هامش (ج) : (ذِكْرُ لين كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في هاذا الموضع . . إشارةٌ إلىٰ كمال حسن خُلُقه ولين سجيَّته ؛ بحيثُ أثَّر في كفِّه الذي هو محلُّ العمل الموجب للخشونة) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٠٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٥٨) ، والسلمي في « الطبقات » (ص٥٩) عن الحارث المحاسبي رحمه الله تعالىٰ .

هوَ ؟ قالَ : ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما ـ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱلْمُؤْمِنُ ٱلَّذِي يُعَاشِرُ ٱلنَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ . خَيْرٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ »[1] .

وفي الخبرِ : « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ ؟ » قيلَ : ماذا كانَ يصنعُ أبو ضَمْضَمٍ ؟ قالَ : « كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي تَصَدَّقْتُ ٱلْيَوْمَ بِعِرْضِي عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي ، فَمَنْ ضَرَبَنِي لَا أَضْرِبُهُ ، وَمَنْ شَتَمَنِي لَا أَشْتِمُهُ ، وَمَنْ ظَلَمَنِي لَا أَظْلِمُهُ »[2] .

(٨٢) ـ وأخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي عُمَرَ ، قالَ : حدَّثَنا سفيانُ[3] ، عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : استأذَنَ رجلٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأنا عندَهُ[4] ، فقالَ : « بِئْسَ ٱبْنُ ٱلْعَشِيرَةِ » أو « أَخُو ٱلْعَشِيرَةِ » ، ثمَّ أَذِنَ لهُ ،

---

(١) صفوة التصوف (٧٣٨) ، مسند ابن الجعد (٧٦٧) ، ورواه الترمذي (٢٥٠٧) ، وابن ماجه (٤٠٣٢) ، وأحمد (٢/ ٤٣) ، وسبق ترجمة بعض رجال إسناده (١/ ٤٢٩) .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٥) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٥٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٨٨٧) مرسلاً عن عبد الرحمـٰن بن عجلان رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار » (٢/ ٤١٦) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٢٤) .

(٣) هو ابن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٤) قال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٧/ ٣٠٣٣) : (قيل : هو عُيينة الفزاري ، وقيل : مخرمة بن نوفل ، ويمكن الجمع بتعداد الواقعة) ، وانظر « المرقاة » أيضاً (٧/ ٣٠٣٤) وما سيأتي في التعليق الآتي .

فألَانَ لهُ القولَ ، فلمَّا خَرجَ قلتُ لهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ قلتَ لهُ ما قلتَ ثمَّ أَلَنْتَ لهُ القولَ !! قالَ : « يا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ مِنْ شَرِّ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتْرُكُهُ ٱلنَّاسُ ـ أو يَدَعُهُ ٱلنَّاسُ ـ ٱتِّقَاءَ فُحْشِهِ »[١] .

وروىٰ أبو ذرٍّ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱتَّقِ ٱللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ ٱلسَّيِّئَةَ ٱلْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[٢] .

فما شيءٌ يُستدَلُّ بهِ علىٰ قُوَّةِ عقلِ الشخصِ ووُفُورِ علمِهِ وحِلْمِهِ . . كحُسْنِ المُداراةِ .

والنَّفْسُ لا تزالُ تشمئزُّ ممَّنْ يَعكِسُ مُرادَها ، ويَستفزُّها الغيظُ والغضبُ ،

---

(١) سنن الترمذي (١٩٩٦) ، الشمائل المحمدية (٣٥١) ، ورواه البخاري (٦١٣١) ، ومسلم (٢٥٩١) ، وقال النووي في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض (١٦/ ١٤٤) : (هٰذا الرجل هو عُيَينةُ بنُ حِصْن ، ولم يكن أسلمَ حينئذٍ ، وإن كان قد أظهر الإسلامَ ، فأراد النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُبيِّنَ حاله ليعرفَهُ الناس ، ولا يغترَّ به مَنْ لم يعرف حاله) ، قال : (وكان منه في حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وبعدَهُ . . ما دلَّ علىٰ ضعف إيمانه ، وارتدَّ مع المُرتدِّين ، وجِيء به أسيراً إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه ، ووصفُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم له بأنَّهُ بئسَ أخو العَشِيرة . . من أعلام النبوَّة ؛ لأنَّهُ ظَهرَ كما وصف ، وإنَّما ألان له القولَ تألُّفاً له) .

وقال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٧/ ٣٠٣٤) : (وليس قولُه عليه السلام في أُمَّته بالأمور التي يَسِمُهُم بها ويُضِيفُها إليهم من المكروه . . غيبةً ، وإنَّما يكونُ ذلك من بعضهم في بعض ، بل الواجبُ عليه صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُبيِّن ذلك ويُفصِحَ به ، ويُعرِّفَ الناس أمورهم ؛ فإنَّ ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأُمَّة ، ولٰكنَّهُ لِمَا جُبِلَ عليه من الكرم وأُعطِيَهُ من حُسْن الخُلُق أظهر له البشاشة ، ولم يُجبْهُ بالمكروه ، وليقتديَ به أُمَّتُهُ في اتِّقاء شرِّ مَنْ هٰذا سبيلُهُ ، وفي مداراته ليسلموا من شرِّهِ وغائلته) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) ، والدارمي (٢٨٣٣) ، وأحمد (٥/ ١٥٣) .

وبالمُداراةِ قَطْعُ حُمَةِ النَّفسِ(١) ، وردُّ طَيْشِها ونُفُورِها .

وقد وَرَدَ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ . . دَعَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْخَلَائِقِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ ٱلْحُورِ شَاءَ »(٢) .

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَحْرُمُ ٱلنَّارُ ؟ عَلَىٰ كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ ، سَهْلٍ قَرِيبٍ »(٣) .

وروىٰ أبو مسعودٍ الأنصاريُّ قالَ : أُتِيَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ برجلٍ ، فكلَّمَهُ فأُرْعِدَ ، فقالَ : « هَوِّنْ عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ٱبْنُ ٱمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ ٱلْقَدِيدَ »(٤) .

---

(١) الحُمَة في الأصل : سمُّ العقرب وضرُّها .

(٢) رواه أبو داود (٤٧٧٧) ، والترمذي (٢٠٢١) ، وابن ماجه (٤١٨٦) ، وأحمد (٣/ ٤٤٠) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه ، وقولُهُ : (في أيِّ الحور شاء) قال القاري في « المرقاة » (٨/ ٣١٨١) : (أي : في أخذ أيهنَّ شاء ، وهو كنايةٌ عن إدخاله الجنةَ المَنيعة ، وإيصالِهِ الدرجةَ الرفيعة ، قال الطِّيبيُّ : « وإنَّما حُمِدَ الكَظْمُ ؛ لأنَّهُ قهرٌ للنفس الأمَّارة بالسوء ؛ ولذلك مدحهم الله تعالىٰ بقوله : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، ومَنْ نهى النفس عن هواه ، فإن الجنة مأواه ، والحورَ العينَ جزاه » ، قلت : وهـٰذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتَّب علىٰ مُجرَّد كظم الغيظ ، فكيف إذا انضمَّ العفو إليه ، أو زاد بالإحسان عليه ؟!) .

(٣) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٨٥٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٣٧) ، ورواه الترمذي (٢٤٨٨) ، وابن حبان (٤٧٠) ، وأحمد (١/ ٤١٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٣١٢) ، واختلف في وصل الحديث وإرساله ، كما في « حاشية السندي على ابن ماجه » (٢/ ٣١٣) ، ورواه الحاكم (٢/ ٤٦٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٢٦٠) عن سيدنا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، =

وعن بعضِهِم في معنىٰ لِينِ جانبِ الصُّوفيّةِ[1] : [من البسيط]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ بَنُو يَسَرٍ سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

لَا يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

ورَوىٰ أبو الدَّرْداءِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « **مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ ٱلرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ ٱلرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ** »[2] .

(٨٣) ـ **حدَّثَنا** شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ رحمَهُ اللهُ إملاءً ، قالَ : **أخبرَنا** أبو عبدِ الرحمٰنِ محمَّدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ المَالِينيُّ[3] ، قالَ : **أخبرَنا** أبو الحسنِ عبدُ الرحمٰنِ ابنُ أبي طلحةَ الداوُديُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ الحَمُّويِيُّ السَّرَخْسيُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو عِمْرانَ عيسى بنُ عمرَ السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ : **أخبرَنا** عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ :

= **والقَدِيد** : اللحم المُملَّح المُجفَّف على الشمس .

(١) الأبيات للعرندس الكلابي ، كما في « حماسة أبي تمام » (٤/١٤٦ ـ ١٤٨) ، و« الكامل » للمبرد (١/١٠٦) ، والبيت الأول والثالث في « البرصان والعرجان » للجاحظ (ص٣٦٥) دون نسبة ، وفي « الحماسة » و« البرصان والعرجان » : (ذوو) بدل (بنو) ، **واليَسَر** : السهولة واللين ، **والأَيْسار** : جمع (يَسَر) ؛ وهو المقامر ، وهو ممدوح مُبجَّل في الجاهلية .

(٢) رواه الترمذي (٢٠١٣) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٤٦٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨١٤) .

(٣) وسمَّاه شيخه أبو إسماعيل الأنصاري بـ(عبد الأوَّل) ، وكناه بـ(أبي الوقت) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/٣٠٦) ، وما سبق تعليقاً في (١/٣١٢) .

أخبرَنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي خلفٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ، عن محمَّدِ بنِ إسحاقَ ، قالَ : حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ ، عن رجلٍ مِنَ العربِ قالَ : زَحَمْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ حُنينٍ وفي رِجْلي نعلٌ كَثِيفةٌ ، فوَطِئتُ بها علىٰ رِجْلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنفَحَني نَفْحةً بسَوْطٍ في يدِهِ وقالَ : « بِٱسْمِ اللهِ ، أَوْجَعْتَنِي » .

قالَ : فبِتُّ لنَفْسي لائماً ؛ أقولُ : أوجعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : فبِتُّ بليلةٍ كما يعلمُ اللهُ ، فلمَّا أَصْبَحْنا إذا رجلٌ يقولُ : أينَ فلانٌ ؟ قالَ : قلتُ : هـٰذا واللهِ الذي كانَ منِّي بالأمسِ ، قالَ : فانطلقتُ وأنا مُتخوِّفٌ ، فقالَ لي : « إِنَّكَ وَطِئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَىٰ رِجْلِي بِٱلْأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي ، فَنَفَحْتُكَ نَفْحَةً بِٱلسَّوْطِ ، فَهَـٰذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً ، فَخُذْهَا بِهَا »(١) .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : الإيثارُ والمُواساةُ ، ويحملُهُم علىٰ ذلكَ فَرْطُ الشَّفَقَةِ والرحمةِ طبعاً ، وقُوَّةُ اليقينِ شرعاً ؛ لأنَّهُم يُؤثِرُونَ بالموجودِ ، ويَصبِرونَ على المفقودِ .

قالَ أبو يزيدَ البِسْطاميُّ رحمَهُ اللهُ : ما غَلَبَني أحدٌ ما غَلَبَني شابٌّ مِنْ أهلِ بَلْخَ ؛ قَدِمَ علينا حاجّاً ، فقالَ لي : يا أبا يزيدَ ؛ ما حدُّ الزُّهْدِ عندَكُم ؟ قلتُ : إذا وَجَدْنا أَكَلْنا ، وإذا فَقَدْنا صَبَرْنا ، فقالَ : هـٰكذا عندَنا كلابُ

---

(١) مسند الدارمي (٧٣) ، ونعلٌ كثيفةٌ : غليظة ثخينة ، ونَفَحَني : ضربني ، وسبق التعريف ببعض رجال السند في (١/ ٣١٢ـ٣١٣) .

بَلْخَ ، فقلتُ : فما حدُّ الزُّهْدِ عندَكُم ؟ قالَ : إذا فَقَدْنا صَبَرْنا ، وإذا وَجَدْنا آثَرْنا[1] .

وقالَ ذو النُّونِ رحمَهُ اللهُ : (مِنْ علامةِ الزاهدِ المشروحِ صدرُهُ ثلاثٌ : تفريقُ المجموعِ ، وتركُ طلبِ المفقودِ ، والإيثارُ عندَ القُوتِ)[2] .

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ النَّضِيرِ للأنصارِ : « إنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ وَتُشَارِكُونَهُمْ فِي هَـٰذِهِ ٱلْغَنِيمَةِ ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ دِيَارُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ ، وَلَمْ يُقْسَمْ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ » ، فقالتِ الأنصارُ : بل نقسمُ لهُم مِنْ أموالِنا وديارِنا ، ونُؤثِرُهُم بالغنيمةِ ولا نُشارِكُهُم فيها ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩][3] .

ورَوىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقد أصابَهُ جُهدٌ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي جائعٌ فأَطْعِمْني ، فبَعَثَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أزواجِهِ : « هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ ؟ » ، فكلُّهُنَّ قُلْنَ : والذي بعثَكَ بالحقِّ نبيّاً ؛ ما عندَنا إلا الماءُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُكَ هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ » ، ثمَّ قالَ : « مَنْ

---

(١) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٩) ، وفيه وفي (هـ ، ح) : (شكرنا) بدل (صبرنا) في الموضع الثاني ، ورُويت هـٰذه القصة بنحوها بين شقيق البلخي وإبراهيم بن أدهم ، كما في « الحلية » (٨/ ٣٧) ، و« تاريخ دمشق » (٦/ ٢٩٩) .

(٢) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٩) .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٩ـ٢٣٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ٧٧) .

يُضِيفُ هَـٰذَا هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؟ » ، فقامَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ فقالَ : أنا يا رسولَ اللهِ .

فأتىٰ بهِ منزلَهُ ، فقالَ لأهلِهِ : هـٰذا ضيفُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَكْرِمِيهِ ولا تَدَّخِري عنهُ شيئاً ، فقالتْ : ما عندَنا إلا قوتُ الصِّبْيَةِ ، فقالَ : فقُومي عَلِّليهِم عن قُوتِهِم حتىٰ ينامُوا ولا يَطْعَمُوا شيئاً ثمَّ أَسْرِجي[1] ، فإذا أَخَذَ الضيفُ ليأكلَ قُومي كأنَّكِ تُصلِحِينَ السِّراجَ ، فأَطْفِئيهِ وتعالَيْ نمضغْ ألسنتَنا لضيفِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ يشبعَ ضيفُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقامتْ إلى الصِّبْيَةِ فعلَّلَتْهُم حتىٰ نامُوا عن قُوتِهِم ولم يَطْعَمُوا شيئاً ، ثمَّ قامتْ فاثَّرَدَتْ وأَسْرجَتْ ، فلمَّا أخذَ الضيفُ ليأكلَ قامتْ كأنَّها تُصلِحُ السِّراجَ فأَطْفأَتْهُ ، فجعلا يمضغانِ ألسنتَهُما لضيفِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وظنَّ الضيفُ أنَّهُما يأكلانِ معَهُ ، حتىٰ شَبِعَ الضيفُ ، وباتا طاوِيَيْنِ .

فلمَّا أصبحُوا غَدَوَا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلمَّا نظرَ إليهِما تبسَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ قالَ : « لَقَدْ عَجِبَ ٱللَّهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ » ، وأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

---

(١) علِّليهِم : أَشْغلِيهِم ولَهِّيهِم ، قال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٤/ ١٢) : (هـٰذا محمولٌ علىٰ أنَّ الصِّبْيانَ لم يكونوا محتاجين إلى الأكل ، وإنَّما تطلُبُهُ أنفسُهُم علىٰ عادة الصبيان من غير جوع يَضُرُّهُم ؛ فإنَّهُم لو كانوا علىٰ حاجةٍ بحيثُ يَضُرُّهُم تركُ الأكل . . لكان إطعامُهُم واجباً ، ويجبُ تقديمه على الضِّيافة ، وقد أَثْنى الله ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم علىٰ هـٰذا الرجل وامرأته ، فدلَّ علىٰ أنَّهُما لم يتركا واجباً ، بل أَحْسنا وأَجْملا رضي الله عنهما) .

﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . . ﴾ الآيةَ [الحشر : ٩] (١) .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (أُهْدِيَ لبعضِ أصحابِهِ رأسُ شاةٍ مَشْوِيٌّ وكانَ مَجْهُوداً ، فوجَّهَ بهِ إلىٰ جارٍ لهُ ، فتداولَهُ سبعةُ أَنْفُسٍ ثمَّ عادَ إلى الأوَّلِ ، فأُنزِلَتِ الآيةُ لذلكَ)(٢) .

ورُوِيَ أنَّ أبا الحسنِ الأنطاكيَّ اجتمعَ عندَهُ نَيِّفٌ وثلاثونَ رجلاً بقريةٍ بقُرْبِ الرَّيِّ ، ولهُ أَرْغِفةٌ معدودةٌ لا تُشبِعُ خمسةً منهُم ، فكَسَرُوا الرُّغْفانَ وأطْفَؤُوا السِّراجَ وجلسُوا للطعامِ ، فلمَّا رُفِعَ الطعامُ إذا هوَ بحالِهِ لم يأكلْ أحدٌ ؛ إيثاراً منهُ علىٰ نَفْسِهِ(٣) .

وحُكِيَ عن حُذَيفةَ العَدَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قالَ : انطلقتُ يومَ اليرموكِ أَطلُبُ ابنَ عمٍّ لي ومعي شيءٌ مِنْ ماءٍ وأنا أقولُ : إنْ كانَ بهِ رَمَقٌ سقَيتُهُ ومسحتُ وجهَهُ ، فإذا أنا بهِ ، فقلتُ : أَسْقِيكَ ؟ فأشارَ إليَّ : نعم ، فإذا رجلٌ يقولُ : آهِ ، فقالَ ابنُ عمِّي : انطلِقْ بهِ إليهِ ، فجئتُهُ فإذا هوَ هشامُ بنُ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٨٩) ، ومسلم (٢٠٥٤) ، وجاء في بعض طرق مسلم تسميةُ المُضِيف ؛ وهو سيدنا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، وقولُهُ : (لقد عجب الله) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٨/ ٦٣٢) : (قال الخطَّابي : إطلاق العجب على الله محالٌ ، ومعناه الرضا ، فكأنَّهُ قال : إنَّ ذلك الصنيعَ حلَّ من الرضا عند الله حلولَ العجب عندكم ، قال : وقد يكونُ المرادُ بالعجب هنا : أنَّ الله يُعجِّب ملائكته من صنيعهما ؛ لندور ما وقع منهما في العادة) ، وانظر « مشكل الحديث وبيانه » لابن فورك (ص١٩٢ـ١٩٣) .

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٨٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٣١) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٨٦) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ٢٢٧) ، وفيهما : (لم تسع جميعهم) بدل (لا تشبع خمسة) .

العاصِ ، فقلتُ : أَسْقِيكَ ؟ فسمعَ هشامٌ آخَرَ يقولُ : آهِ ، فقالَ : انطلِقْ بهِ إليهِ ، فجئتُهُ فإذا هوَ قد ماتَ ، ثمَّ رجعتُ إلىٰ هشامٍ فإذا هوَ أيضاً قد ماتَ ، ثمَّ رجعتُ إلى ابنِ عمِّي فإذا هوَ أيضاً قد ماتَ[1] .

وسُئِلَ أبو الحسنِ البُوشَنْجِيُّ عنِ الفُتُوَّةِ ، فقالَ : الفُتُوَّةُ عندي ما وَصَفَ اللهُ تعالىٰ بهِ الأنصارَ في قولِهِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ . . . ﴾ الآيَة [الحشر : ٩][2] .

قالَ ابنُ عطاءٍ رحمَهُ اللهُ : (﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ جُوداً وكرماً ، ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ؛ يعني : جُوعاً وفقْراً)[3] .

وقالَ أبو حفصٍ رحمَهُ اللهُ : (الإيثارُ : هوَ أنْ يُقدِّمَ حُظُوظَ الإخوانِ علىٰ حُظُوظِهِ في أمرِ الدنيا والآخرةِ)[4] .

وقالَ بعضُهُم : (الإيثارُ لا يكونُ عنِ اختيارٍ ، وإنَّما الإيثارُ : أنْ تُقدِّمَ حُقُوقَ الخَلْقِ أجمعَ علىٰ حقِّكَ ، ولا تُميِّزَ في ذلكَ بينَ أخٍ وصاحبٍ وذي معرفةٍ)[5] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٢٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/ ١٨٠)، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٨/ ٢٠٣) .

(٢) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢١٠) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) .

(٤) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١٢٢) ، وأورده في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) ، وأبو حفص : هو عمرو بن سَلْم ـ وقيل : (عمر) بدل (عمرو) ، و(سلمة) بدل (سلم) ـ النيسابوري الحدَّاد (ت٢٧٠هـ) ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص١١٥ـ ١١٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٥١٠) .

(٥) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٨) .

وقالَ يوسُفُ بنُ الحسينِ : (مَنْ رأىٰ لنفسِهِ مِلْكاً لا يصحُّ منهُ الإيثارُ ؛ لأنَّهُ يرىٰ نفسَهُ أحقَّ بالشيءِ برؤيةِ مِلْكِهِ ، إنَّما الإيثارُ ممَّنْ يرى الأشياءَ كلَّها للحقِّ ، فمَنْ وَصَلَ إليهِ فهوَ أحقُّ بهِ ، فإذا وَصَلَ شيءٌ مِنْ ذلكَ إليهِ . يرىٰ نَفْسَهُ ويدَهُ فيهِ يدَ أمانةٍ يُوصِلُها إلىٰ صاحبِها أو يُؤدِّيها إليهِ)[1] .

وقالَ بعضُهُم : (حقيقةُ الإيثارِ : أنْ تُؤثِرَ بحظِّ آخرتِكَ علىٰ إخوانِكَ ؛ فإنَّ الدنيا أقلُّ خَطَراً مِنْ أنْ يكونَ لإيثارِها محلٌّ أو ذِكْرٌ)[2] .

ومِنْ هـٰذا المعنىٰ : ما نُقِلَ أنَّ بعضَهُم رأىٰ أخاً لهُ ، فلم يُظهِرِ البِشْرَ الكثيرَ في وجهِهِ ، فأنكرَ أخوهُ ذلكَ منهُ ، فقالَ : يا أخي ؛ سمعتُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا ٱلْتَقَى ٱلْمُسْلِمَانِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمَا مِئَةُ رَحْمَةٍ ؛ تِسْعُونَ لِأَكْثَرِهِمَا بِشْراً ، وَعَشَرَةٌ لِأَقَلِّهِمَا بِشْراً »[3] ، فأردتُ أنْ تكونَ أكثرَ بِشْراً منِّي ؛ ليكونَ لكَ الأكثرُ[4] .

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٩) ، ويوسف بن الحسين : هو الرازي ، من أصحاب ذي النون المصري وأبي تراب النخشبي رحمهم الله تعالىٰ (ت ٣٠٤هـ) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص١٧٣) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣١٩) .

(٣) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٧٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣/ ٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والبزار في « المسند » (٣٠٨) ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٨٥٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٦٩٢) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٣/ ٤٣٣ـ٤٣٤) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٣ـ١٢٤) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٥٤٣ـ٥٤٤) ، والبعض : هو السَّرِي بن المُغلِّس السَّقَطي رحمه الله تعالىٰ .

(٨٤) ـ أخبرَنا شيخُنا الشيخُ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ رحمةُ اللهِ عليهِ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو حَفْصٍ عمرُ بنُ أحمدَ الصفَّارُ النَّيْسابُوريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا القاسمِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ أبي سَعْدانَ يقولُ : (مَنْ صَحِبَ الصُّوفيَّةَ فَلْيَصحَبْهُم بلا نَفْسٍ ولا قلبٍ ولا مِلْكٍ ، فمتىٰ نَظَرَ إلىٰ شيءٍ مِنْ أسبابِهِ . قطعَهُ ذلكَ عن بُلُوغِ مَقْصِدِهِ)[١] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (الصُّوفيُّ مَنْ يرىٰ دمَهُ هَدْراً ، ومِلْكَهُ مُباحاً)[٢] .

وقالَ رُوَيمٌ : (التصوُّفُ مبنيٌّ علىٰ ثلاثِ خصالٍ : التمسُّكُ بالفقرِ

---

(١) طبقات الصوفية (ص٤٢٠ـ٤٢١) ، وفي هامش (ج) : (لأنَّ محبَّتَهم تفيد وتثمر عند دخول الصفات النفسانيَّة ؛ لأنَّهُم خرجوا من صفات النفي ، كما قال أبو عبد الله محمد بن الخفيف الشيرازيُّ : « البشريَّةُ من العارفين تفنىٰ ، ومن المريدين تخمد » ، فمَنْ صحبهم مع وجود النفس ربَّما يخالفهم ولا يوافقهم في أحوالهم وصفاتهم ، وحقيقةُ الصحبة مبنيَّةٌ على الموافقة في جميع الأحوال وعند طرح الصفات القلبيَّة أيضاً ؛ لئلا يقابلهم بشيء من حاله وكماله ، بل يصاحبهم بالتواضع والتسليم والانقياد لأمرهم ، ورعايةِ الأدب في محاورتهم ومجالستهم ، ولا يضيف إلىٰ نفسه شيئاً ؛ فلا يقول : « نعلي » و« ثوبي » و« بيتي » ، بل يعرف أنَّ ماله عارية من الله تعالىٰ عنده ، والكل في التصرُّف سواء) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨٨) ، وزاد الخركوشي : (ولم يَرَ الأشياء إلا من الله تعالىٰ ، وتسبيحُهُ الرحمة لجميع خلق الله) .

والافتقارِ ، والتحقُّقُ بالبَذْلِ والإيثارِ ، وتَرْكُ التعرُّضِ والاختيارِ)[1] .

وقيلَ : لمَّا سُعِيَ بالصُّوفيَّةِ ، وتميَّزَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ بالفقهِ ، وقُبِضَ على الشَّحَّامِ والرَّقَّامِ والنُّوريِّ[2] ، وبُسِطَ النِّطْعُ لضربِ رقابِهِم . . تقدَّمَ النُّوريُّ ، فقيلَ لهُ : إلىٰ ماذا تُبادِرُ ؟! فقالَ : أُوثِرُ إخواني بفضلِ حياةِ ساعةٍ[3] .

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٨٦ـ٥٨٧) ، وفي هامش (ج) : (قيل : نهاية الفقر بداية التصوُّف ، والفرق بين الفقر والافتقار : أنَّ الفقر : فناء الأشياء في نظر الفقير ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٦] ، و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ؛ بمعنىٰ : أنَّ وجود الأشياء وبقاءَهُم ليس بأنفسهم ، بل بالله تعالىٰ وجود كل شيء ، وبقاؤه بذلك الشيء ، والافتقارَ : الاحتياج إلىٰ إيجاد الموجد ، والقيام بالقيُّوم الأزلي الأبدي) .

(٢) الرَّقَّام : نسبة إلىٰ رَقْم الثياب ؛ وهو توشيتها وتزيينها وتعليمها .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٠) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٣٤١) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٥٣٧) ، وباقي القصَّة كما في المصادر السابقة ـ واللفظ لـ « الرسالة » ـ : فتحيَّر السيَّاف ، وأنهى الخبرَ إلى الخليفة ، فردَّهُم إلى القاضي ليتعرَّف حالهم ، فألقى القاضي علىٰ أبي الحسين النُّوريِّ مسائلَ فقهية ، فأجاب عن الكل ، ثمَّ أخذ يقول : وبعدُ ؛ فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، وسَرَدَ ألفاظاً أبكى القاضي ، فأرسل القاضي إلى الخليفة وقال : إن كان هـٰؤلاء زنادقةً فما علىٰ وجه الأرض مسلم .

والتهمةُ التي وُجِّهتْ إليهم : هي تهمة الحلول والإباحة ، وكان القاضي حينَها الإمامَ الحافظَ أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البصري قاضي بغداد ، والساعي بهم هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلي المعروف بـ (غلام خليل) ، وكانت والدةُ المُوفَّق ورجال الدولة والعوام يميلون إلىٰ غلام خليل لزهده وتقشُّفه ، فأمرت المحتسب أن يطيعه في سعايته ، فطُلب القوم وبُثَّ الأعوان في طلبهم ، وكانوا نيِّفاً وسبعين نَفْساً ، ومنهم مَنْ ذكره المؤلف بالإضافة إلى الإمام الجليل الصوفي أبو محمد رُويم ، وهـٰذه الواقعة هي المشهورة بفتنة الصوفية ، وكانت في حدود سنة (٢٦٤هـ) ، وانظر « تاريخ=

وقيلَ : دَخَلَ الرُّوذْباريُّ دارَ بعضِ أصحابِهِ ، فوجدَهُ غائباً وبابُ بيتِهِ مُغلَقٌ ، فقالَ : صُوفيٌّ ولهُ بابٌ مُغلَقٌ ؟! اكسِرُوا البابَ ، فكسَرُوا وأَمَرَ بجميعِ ما وجدوا في البيتِ أنْ ينفذوهُ إلى السُّوقِ ، واتَّخذُوا وقتاً مِنَ الثمنِ[١] ، وقعدوا في الدارِ ، فدخلَ صاحبُ المنزلِ ولم يَقُلْ شيئاً ، ودخلتِ امرأتُهُ الدارَ وعليها كِساءٌ ، فدخلَتْ بيتاً وَرَمَتْ بالكِساءِ وقالتْ : هٰذا أيضاً مِنْ بقيَّةِ المتاعِ فبِيعُوهُ ، فقالَ الزوجُ لها : لِمَ تكلَّفتِ هٰذا باختيارِكِ ؟ قالتِ : اسكُتْ ، مثلُ الشيخِ يُباسِطُنا ويحكمُ علينا ويبقىٰ لنا شيءٌ نَدَّخِرُهُ عنهُ ؟![٢] .

وقيلَ : مَرِضَ قيسُ بنُ سعدٍ ، فاستبطأَ إخوانَهُ في عيادتِهِ ، فسألَ عنهُم ، فقالوا : إنَّهُم يستحيُونَ بما لَكَ عليهِم مِنَ الدَّينِ ، فقالَ : أَخْزى اللهُ مالاً يمنعُ الإخوانَ مِنَ الزيارةِ ، ثمَّ أَمَرَ مُنادياً يُنادي : مَنْ كانَ لقيسٍ عليهِ مالٌ فهوَ منهُ في حِلٍّ ، فكُسِرَتْ عَتَبَتُهُ بالعَشِيِّ لكثرةِ عُوَّادِهِ[٣] .

وقيلَ : أتىٰ رجلٌ صديقاً لهُ ، ودقَّ عليهِ البابَ ، فلمَّا خرجَ قالَ : لماذا جئتَني ؟ قالَ : لأربعِ مئةِ درهمٍ دَينٍ عَلَيَّ ، فدخلَ الدارَ ووَزَنَ أربعَ مئةِ درهمٍ

= الإسلام » (٢٠/ ١٤ ، ٢٣/ ١٢١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٢٨٢ـ٢٨٥) ، و« مرآة الزمان » (١٦/ ٣٣١) .

(١) أي : قيمةً من الثمن . من هامش (ح) ، وفي (د) : (قوتاً) .

(٢) رواه السلمي في « ذكر النساء المتعبدات الصوفية » (ص٩٨) ، ورواه القشيري عنه منقطعاً في « الرسالة » (ص٥٣٩ـ٥٤٠) ، والزوجة : هي قُسَيمة العابدة امرأة أبي يعقوب التِّنِّيسي ، صحبت الرُّوذْباري ومَنْ فوقه من المشايخ رحمها الله تعالىٰ ورضي عنها .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٥٤٠) .

وأخرجَها إليهِ ، ودَخَلَ الدارَ باكياً ، فقالتِ امرأتُهُ : هلَّا تعلَّلْتَ حينَ شقَّ عليكَ الإجابةُ ؟ فقالَ : إنَّما أبكي ؛ لأنِّي لم أتفقَّدْ حالَهُ حتى احتاجَ إلىٰ أنْ يُفاتِحَني بهِ[١] .

(٨٥) ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ إمامُ جامعِ أَصْفَهانَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ الجُرْجانيُّ[٢] ، قالَ : حدَّثَنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ الحسنِ المُحَمَّداباذيُّ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا أبو البَخْتَريِّ[٤] ، قالَ : حدَّثَنا أبو أُسامةَ[٥] ، قالَ : حدَّثَنا بُرَيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي بُرْدةَ ، عن جدِّهِ أبي بُردةَ ، عن أبي موسى الأشعريِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي ٱلْغَزْوِ أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ . جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوا فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِٱلسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ »[٦] .

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٥٤١) ، وأبو بكر الخوارزمي في « مفيد العلوم » (ص٣٥٦) .

(٢) هو مسند أصفهان الإمام الثقة محمد بن إبراهيم بن جعفر اليزدي (ت ٤٠٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٨٦) .

(٣) المُحمَّدابادي : نسبة إلىٰ (مُحمَّداباذ) ؛ قرية علىٰ باب نيسابور ، بينهما حوالي (٧ كم) .

(٤) هو الإمام المُحدِّث الثقة عبد الله بن محمد بن شاكر العنبري البغدادي المُقرئ (ت٢٧٠هـ) .

(٥) هو الإمام الحافظ الثبت حماد بن أسامة القرشي الكوفي (ت ٢٠١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٢٧٧) .

(٦) صفوة التصوف (٩٢٩) ، ورواه البخاري (٢٤٨٦) ، ومسلم (٢٥٠٠) ، وأرملوا : =

وحدَّثَ جابرٌ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ أرادَ أنْ يغزوَ فقالَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ؛ إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْماً لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلَا عُدَّةٌ ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلَ وَٱلرَّجُلَيْنِ وَٱلثَّلَاثَةَ ، فَمَا لِأَحَدِكُمْ مِنْ ظَهْرِ جَمَلِهِ إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ » ، قالَ : فضممتُ إليَّ اثنينِ أو ثلاثةً ، ما لي إلَّا عُقْبةٌ كعُقْبةِ أحدِهم مِنْ جملِهِ[1] .

وروىٰ أنسٌ قالَ : لمَّا قَدِمَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عوفٍ المدينةَ . آخى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَهُ وبينَ سعدِ بنِ الربيعِ ، فقالَ لهُ : أُقاسِمُكَ مالي نصفَينِ ، ولي امرأتانِ فأُطلِّقُ إحداهُما ، فإذا انقضتْ عِدَّتُها فتزوَّجْها ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمـٰنِ : باركَ اللهُ لكَ في أهلِكَ ومالِكَ[2] .

فما حَمَلَ الصُّوفيَّ على الإيثارِ إلا طهارةُ نفسِهِ ، وشرفُ غَرِيزتِهِ ، وما جعلَهُ اللهُ تعالىٰ صُوفيّاً إلا بعدَ أنْ سوَّىٰ غَرِيزتَهُ لذلكَ .

وكلُّ مَنْ كانتْ غَرِيزتُهُ السخاءَ يُوشِكُ أنْ يصيرَ صُوفيّاً ؛ لأنَّ السخاءَ صفةُ الغَرِيزةِ ، وفي مقابلتِهِ الشُّحُّ ، والشُّحُّ مِنْ لوازمِ صفةِ النَّفْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

حَكَمَ بالفلاحِ لمَنْ يُوقى الشُّحَّ ، وحَكَمَ بالفلاحِ لمَنْ أنفقَ وبَذَلَ ؛

= فَنِيَ زادهم ، وأصلُهُ : من الرَّمْل ؛ كأنَّهم لصقوا بالرمل من القِلَّة ، كما قيل : تَرِبَ الرجلُ : إذا افتقر ؛ كأنَّهُ لَصِقَ بالتراب .

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٤) ، والحاكم (٢/ ٩٠) ، والعُقْبة : النَّوبة من الركوب ، سُمِّيت بذلك ؛ لأنَّ كلَّ واحد منهم يَعقُبُ صاحبه في الركوب .

(٢) رواه البخاري (٢٠٤٩) ، والترمذي (١٩٣٣) ، وأحمد (٣/ ١٩٠) ، واللفظ لهما .

فقال : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٣ ، ٥] ، والفلاحُ أجمعُ اسمٍ لسعادة الدَّارَين .

والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نبَّهَ بقولِهِ : « ثَلَاثٌ مُهلِكَاتٌ ، وثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ »[1] ، فجعلَ أحدَ المُهلِكاتِ شُحّاً مُطاعاً ، ولم يَقُلْ : مُجرَّدُ الشُّحِّ يكونُ مُهلِكاً ، بل يكونُ مُهلِكاً إذا كانَ مُطاعاً ، فأمّا كونُهُ موجوداً في النَّفْسِ غيرَ مُطاعٍ . . فإنَّهُ لا يُنكَرُ ذلكَ ؛ لأنَّهُ مِنْ لوازمِ النَّفْسِ مُستمَدّاً مِنْ أصلِ جِبلَّتِها التُّرابيِّ ، وفي التُّرابِ قبضٌ وإمساكٌ ، وليسَ ذلكَ بالعَجَبِ مِنَ الآدميِّ وهوَ جِبِلِّيٌّ فيهِ ، وإنَّما العَجَبُ وُجودُ السَّخاءِ في الغَرِيزةِ ، وهوَ لنُفُوسِ الصُّوفيَّةِ الداعي لهُم إلى البَذْلِ والإيثارِ .

والسَّخاءُ أتَمُّ وأكملُ مِنَ الجُودِ ؛ ففي مُقابَلةِ الجُودِ البُخلُ ، وفي مُقابَلةِ السخاءِ الشُّحُّ ، والجودُ والبُخْلُ يتطرَّقُ إليهِما الاكتسابُ بطريقِ العادةِ ، بخلافِ الشُّحِّ والسَّخاءِ ؛ إذ كانا مِنْ ضرورةِ الغَرِيزةِ ؛ فكلُّ سَخِيٍّ جَوَادٌ ، وليسَ كلُّ جَوَادٍ سَخِيّاً .

والحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لا يُوصَفُ بالسَّخاءِ ؛ لأنَّ السخاءَ مِنْ نتيجةِ الغرائزِ ، واللهُ تعالىٰ مُنزَّهٌ عنِ الغَرِيزةِ .

---

(١) رواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٨٤٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٤٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحديث بتمامه : « ثلاثٌ مُهلِكاتٌ : شُحٌّ مُطاعٌ ، وهوىً مُتَّبعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسِهِ مِنَ الخُيَلاءِ ، وثلاثٌ مُنجِياتٌ : العدلُ في الرِّضا والغضبِ ، والقصدُ في الغنىٰ والفاقةِ ، ومخافةُ اللهِ في السِّرِّ والعلانيةِ » ، وسيأتي في (٢/ ٨٧) مسنداً من حديث سيدنا أبي هريرةَ رضي الله عنه .

والجودُ يتطرَّقُ إليهِ الرِّياءُ ، ويأتي بهِ الإنسانُ مُتطلِّعاً إلىٰ عِوَضٍ مِنَ الخَلْقِ أوِ الحقِّ بمُقابَلَةِ ما ؛ مِنَ الثناءِ وغيرِهِ مِنَ الخَلْقِ ، والثوابِ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

والسَّخاءُ لا يتطرَّقُ إليهِ الرِّياءُ ؛ لأنَّهُ يَنبُعُ مِنَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ المُرتفِعةِ عنِ الأعواضِ دُنْيا وآخرةً[1] ؛ لأنَّ طَلَبَ العِوَضِ مُشعِرٌ بالبُخْلِ ؛ لكونِهِ معلولاً بطلبِ العِوَضِ ، فما تَمَحَّضَ سخاءً ، فالسخاءُ لأهلِ الصفاءِ ، والإيثارُ لأهلِ الأنوارِ .

ويجوزُ أنْ يكونَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] أنَّهُ نفىٰ في الآيةِ الإطعامَ لطلبِ الأَعْواضِ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ لَا نُرِيدُ ﴾ ، بعدَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ ، فما كانَ للهِ لا يُشعِرُ بطلبِ العِوَضِ ، بلِ الغَريزةُ لطهارتِها تنجذبُ إلىٰ مُرادِ الحقِّ لا لعِوَضٍ ، وذلكَ أكملُ السخاءِ مِنْ أَطْهرِ الغرائزِ[2] .

رَوَتْ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالتْ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ليسَ لي مِنْ شيءٍ إلَّا ما أَدْخَلَ عليَّ الزُّبيرُ ، أفأُعْطِي ؟ قالَ : « نَعَمْ ، لَا تُوكِي فَيُوكِيَ ٱللهُ عَلَيْكِ »[3] .

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (هـ) : (وأُخرىٰ) .

(٢) السخاء ذاتيٌّ غريزيٌّ ؛ أي : خاصِّيَّة وضعها الله تعالىٰ في النفس الزَّكِيَّة ، ولا يدخل فيه الرياء ، والجود ليس غريزيّاً ذاتيّاً ، بل صفة ملكيّة ، وللرياء والتصرُّف والعجب فيه مدخلٌ . من هامش (ج) .

(٣) رواه البخاري (١٤٣٤) ، ومسلم (١٠٢٩) ، وفيهما : (لا تُوعي فيُوعِيَ اللهُ عليك) ؛ أي : لا تجمعي في الوعاء وتبخلي بالنفقة فتُجازَي بمثل ذلك ، والمثبت=

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : التجاوزُ والعَفْوُ ، ومُقابَلةُ السَّيِّئةِ بالحَسَنَةِ .

قالَ سُفْيانُ : (الإحسانُ : أنْ تُحسِنَ إلىٰ مَنْ أساءَ إليكَ ؛ فإنَّ الإحسانَ إلى المُحسِنِ متاجرةٌ ؛ كنَقْدِ السُّوقِ ؛ خُذْ شيئاً وهاتِ شيئاً)[١] .

وقالَ الحسنُ : (الإحسانُ : أنْ تَعُمَّ ولا تَخُصَّ ؛ كالشمسِ والرِّيحِ والغَيْثِ)[٢] .

وروىٰ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَأَيْتُ قُصُوراً مُشْرِفَةً عَلَى ٱلْجَنَّةِ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرَائِيلُ ؛ لِمَنْ هَـٰذِهِ ؟ قَالَ : لِلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ، وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ »[٣] .

وروىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مجلسٍ ، فجاءَ رجلٌ فوَقَعَ في أبي بكرٍ وهوَ ساكتٌ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتبسَّمُ ، ثمَّ رَدَّ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

= رواية أبي داود (١٦٩٩) ، والترمذي (١٩٦٠) ، وغيرهما ، والإيكاء : شدُّ رأس الوِعاء بالوِكاء ؛ وهو الرِّباط الذي يُربَط به ؛ أي : لا تُمسكي المالَ وتُوكي عليه في الوعاء بأن تَشُدِّي رأسه فيُمسِكَ اللهُ عنك فضلَهُ كما أمسكتِ فضل ما أعطاك ، وفي هامش (ب) : (بلغ السماع لهم في الثامن والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) ، وفي هامشه أيضاً : (بلغ بقراءة كاتبه عبد السلام على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/٢٦٨) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/٢٦٨) ، والحسن : هو البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/٢٦٩ـ٢٧٠) ، والديلمي في « الفردوس » (٣١٨٧) .

عليهِ بعضَ ما قالَ ، فغَضِبَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقامَ .

فلَحِقَهُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ شَتَمَني وأنتَ تتبسَّمُ ، ثمَّ رددتُ عليهِ بعضَ ما قالَ فغَضِبتَ وقُمتَ !! فقالَ : « إِنَّكَ حَيْثُ كُنْتَ سَاكِتاً كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ وَقَعَ ٱلشَّيْطَانُ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ فِي مَقْعَدٍ فِيهِ ٱلشَّيْطَانُ ، يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ : ٱذْكُرْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يُظْلَمُ بِمَظْلَمَةٍ فَيَعْفُوَ عَنْهَا إِلَّا أَعَزَّ ٱللهُ تَعَالَىٰ نَصْرَهُ ، وَلَيْسَ عَبْدٌ يَفْتَحُ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ ٱللهُ قِلَّةً ، وَلَيْسَ عَبْدٌ يَفْتَحُ بَاباً يُرِيدُ بِهِ عَطِيَّةً أَوْ صِلَةً يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ ٱللهِ إِلَّا زَادَهُ ٱللهُ بِهَا كَثْرَةً »[1] .

(٨٦) ـ أخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا الكَرُوخيُّ ، قالَ : أخبرَنا التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو هشامٍ الرِّفاعيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ فُضيلٍ ، عنِ الوليدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ جُمَيعٍ ، عن أبي الطُّفَيلِ ، عن حُذيفةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً ؛ تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ ٱلنَّاسُ أَحْسَنَّا ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَـٰكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ إِنْ أَحْسَنَ ٱلنَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاؤُوا فَلَا تَظْلِمُوا »[2] .

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٣٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٢٣٩) ، ورواه إلىٰ قوله : (في مقعد فيه الشيطان) أبو داود (٤٨٩٧) ، والبزار في « مسنده » (٨٤٩٥) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٤٠ـ٤٤١) .

(٢) سنن الترمذي (٢٠٠٧) ، ورواه البزار في « مسنده » (٢٨٠٢) ، والسند إلى الترمذي سبق مراراً ، والإمَّعَة : الرجل الذي لا رأي له ولا عزم ؛ فهو يتابع كلَّ أحد علىٰ رأيه ، =

وقالَ بعضُ الصحابةِ : يا رسولَ اللهِ ؛ الرجلُ أَمُرُّ بهِ فلا يُقرِيني ولا يُضِيفُني ، فيَمُرُّ بي أفأَجْزِيهِ ؟ قالَ : « لَا ، أَقْرِهِ »[١] .

وقالَ الفُضَيلُ : (الفُتُوَّةُ : الصفحُ عن عَثَراتِ الإخوانِ)[٢] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ ٱلْوَاصِلُ بِٱلْمُكَافِئِ ، وَلَـٰكِنِ ٱلْوَاصِلُ ٱلَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا »[٣] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مِنْ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ : أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ »[٤] .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : البِشْرُ ، وطلاقةُ الوجهِ .

الصُّوفيُّ بكاؤُهُ في خَلْوتِهِ ، وبِشْرُهُ وطلاقةُ وجهِهِ معَ الناسِ ، فالبِشْرُ على وجهِهِ مِنْ آثارِ أنوارِ قلبِهِ .

وقد يُنازِلُ باطنَ الصُّوفيِّ مُنازلاتٌ إلـٰهيَّةٌ ، ومواهبُ قُدْسيَّةٌ ، يرتوي منها

= ولا يثبت على شيء ، والتاء للمبالغة .

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٦) ، وأحمد (٤/ ١٣٧) عن سيدنا مالك بن نضلة الجُشَمي رضي الله عنه .

(٢) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٥) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٥٠٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٥٩٩١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وفي النسخ ما عدا (ج) : (المكافئ) بدل (بالمكافئ) .

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٤٨) ، والحاكم (٤/ ١٦١ـ ١٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٧/ ٢٦٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٥٨٧) عن سيدنا عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه .

القلبُ ، ويَمتلِئُ فَرَحاً وسروراً ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾ [يونس : ٥٨] .

والسُّرُورُ إذا تمكَّنَ مِنَ القلبِ فاضَ على الوجه آثارُهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴾ ؛ أي : مُضِيئةٌ مُشرِقةٌ ، و﴿ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴾ [عبس : ٣٨ـ ٣٩] ؛ أي : فرحةٌ ، قيلَ : أشرقتْ مِنْ طُولِ ما اغبرَّتْ في سبيلِ اللهِ .

ومثالُ فَيْضِ النُّورِ على الوجهِ مِنَ القلبِ : كفَيَضَانِ نُورِ السِّراجِ على الزُّجاجِ والمِشْكاةِ ؛ فالوجهُ مِشْكاةٌ ، والقلبُ زُجاجٌ ، والرُّوحُ مصباحٌ ، فإذا تنعَّمَ القلبُ بلذيذِ المُسامرةِ . . ظَهَرَ البِشْرُ على الوجهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المطففين : ٢٤] ؛ أي : غَضارتَهُ وبَرِيقَهُ ؛ يُقالُ : أَنْضَرَ النباتُ : إذا أَزْهَرَ ونوَّرَ ؛ ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ [القيامة : ٢٢ـ٢٣] ، فلمَّا نَظَرَتْ نَضَرَتْ .

فأربابُ المُشاهَدةِ مِنَ الصُّوفيَّةِ تنوَّرتْ بصائرُهُم بنورِ المُشاهَدةِ ، وانصقلتْ مَرَائي قلوبِهِم ، وانعكسَ فيها نورُ الجمالِ الأزليِّ ، فإذا أشرقتِ الشمسُ على المِرْآةِ المَصْقُولةِ . . استنارتِ الجُدْرانُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وإذا تأثَّرَ الوجهُ بسجودِ الظِّلالِ ـ وهيَ القوالبُ في قولِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] ـ . . كيفَ لا يتأثَّرُ بشهودِ الجمالِ ؟!

(٨٧) ـ أخبرَنا ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا الكَرُوخيُّ ، قالَ : أخبرَنا التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا قُتيبةُ ، قالَ :

حدَّثَنا المُنكدِرُ بنُ محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن أبيهِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ »[1] .

وقالَ سعيدُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الزُّبَيديُّ : (يُعجِبُني مِنَ القُرَّاءِ كلُّ سهلٍ طَلْقٍ مِضْحاكٍ ، فأمَّا مَنْ تلقاهُ بالبِشْرِ ويلقاكَ بالعُبُوسِ كأنَّهُ يَمُنُّ عليكَ . . فلا أكثرَ اللهُ في القُرَّاءِ مثلَهُ)[2] .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : السُّهُولةُ ، ولِينُ الجانبِ ، والنُّزُولُ معَ الناسِ إلىٰ أخلاقِهِم وطِباعِهِم ، وتركُ التعسُّفِ والتكلُّفِ ؛ فقد رُوِيَ في ذلكَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحاديثُ ، وأخلاقُ الصُّوفيَّةِ تُحاكي أخلاقَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وكانَ يقولُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « أَمَا إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقّاً »[3] .

---

(١) سنن الترمذي (١٩٧٠) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٠٤) ، وأحمد (٣/ ٣٦٠) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٤٤ـ٤٤٥) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٦٧) ، و« اصطناع المعروف » (٣٢) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٧١٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٥٨) عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالىٰ ، والزُّبَيدي : هو أبو شيبة الكوفي قاضي الري (ت ١٥٦هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩/ ٤٠١) ، والمراد بالقرَّاء : العلماء .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣٢٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/ ١٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله=

رُوِيَ أنَّ رجلاً يُقالُ لهُ : زاهرُ بنُ حِزَامٍ ـ ويُروىٰ بالراءِ غيرَ معجمةٍ ، وهو الأصحُّ ـ وكانَ بَدَوِيّاً ، وكانَ لا يأتي إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلَّا جاءَ بطُرْفةٍ يُهْدِيها إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

فجاءَ يوماً مِنَ الأيَّامِ فوجدَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في سُوقِ المدينةِ يبيعُ سِلْعةً لهُ ، ولم يكنْ أتاهُ ذلكَ اليومَ ، فاحتضنَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ورائِهِ بكفَّيهِ ، فالتفتَ فأَبْصَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقبَّلَ كَفَّيهِ .

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ يَشْتَرِي ٱلْعَبْدَ ؟ » ، فقالَ : إذاً تَجِدَني كاسداً يا رسولَ اللهِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَلَـٰكِنْ عِنْدَ ٱللهِ رَبِيحٌ » ، ثمَّ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لِكُلِّ أَهْلِ حَضَرٍ بَادِيَةٌ ، وَبَادِيَةُ آلِ مُحَمَّدٍ زَاهِرُ بْنُ حِزَامٍ »[2] .

(٨٨) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، عن أبيهِ ، قالَ : أخبرَنا المُطهَّرُ بنُ محمَّدٍ الفقيهُ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ[4] ،

= عنه ، وفي (أ ، ز) : (جدّاً) بدل (حقّاً) .

(١) الطُّرْفة : الشيء الذي يُعطاه الرجلُ هديَّةً ممَّا لا يُباع مثله في بلده .

(٢) رواه الترمذي في « الشمائل » (٢٤٠) ، وأحمد (٣/ ١٦١) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٤٥٦) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٣٢) واللفظ له ، عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) كذا في النسخ ، وفي « صفوة التصوف » : (المفيد) بدل (الفقيه) ، واسمه فيها في عدة مواضع : (أبو الفتح المطهر بن محمَّد بن جعفر المفيد الأصبهاني) .

(٤) هو الإمام الصوفي الزاهد القدوة شيخ الإسلام علي بن ماشَاذَهْ محمَّد بن أحمد بن مِيله الأصفهاني الفرضي (ت ٤١٤هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٩٧) .

قالَ : أخبرَنا أبو عمرٍو ابنُ حكيمٍ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو أُميَّةَ[2] ، قالَ : أخبرَنا عُبَيدُ بنُ إسحاقَ العطَّارُ ، قالَ : أخبرَنا سِنانُ بنُ هارونَ ، عن حُميدٍ ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ احْمِلْني علىٰ جَمَلٍ ، فقالَ : « أَحْمِلُكَ عَلَى ٱبْنِ ٱلنَّاقَةِ » ، قالَ : أقولُ لكَ : احْمِلْني علىٰ جَمَلٍ ، وتقولُ : أَحمِلُكَ على ابنِ الناقةِ ؟! فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَٱلْجَمَلُ ٱبْنُ ٱلنَّاقَةِ »[3] .

وروىٰ صُهَيبٌ قالَ : أَتيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ يديهِ تمرٌ يأكلُ ، فقالَ : « أَصِبْ مِنْ هَـٰذَا ٱلطَّعَامِ » ، فجعلتُ آكُلُ مِنَ التمرِ ، فقالَ : « تَأْكُلُ مِنَ ٱلتَّمْرِ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟! » ، فقلتُ : إذاً أمضغَ مِنَ الجانبِ الآخرِ ، فضَحِكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[4] .

وروىٰ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لهُ ذاتَ يومٍ : « يَا ذَا ٱلْأُذُنَيْنِ »[5] .

---

(١) هو الإمام المُحدِّث الأديب الرحَّال أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن حكيم المَدِيني الأصفهاني (ت ٣٣٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٣٠٦) .

(٢) هو الإمام الحافظ المُجوِّد الرحَّال محمَّد بن إبراهيم بن مسلم البغدادي الطَّرَسُوسي (ت ٢٧٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٩١) .

(٣) صفوة التصوف (٤٣٣) ، ورواه أبو داود (٤٩٩٨) ، والترمذي (١٩٩١) ، وأحمد (٣/ ٢٦٧) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٤٧) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٤٤٣) ، والحاكم (٤/ ٤١١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٤١) ، وقوله : (من الجانب الآخر) ؛ أي : من الشق الآخر للعين السليمة ، قاله ممازحاً أيضاً رضي الله عنه .

(٥) رواه أبو داود (٥٠٠٢) ، والترمذي (١٩٩٢) ، وأحمد (٣/ ١١٧) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٤٢٠) .

وسُئِلتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : كيفَ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا خلا في البيتِ ؟ قالتْ : كانَ أَلْينَ الناسِ ، بسَّاماً ضحَّاكاً[١] .

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سابقَها فسبقَتْهُ ، ثمَّ سابقَها بعدَ ذلكَ فسبقَها ، فقالَ : « هَـٰذِهِ بِتِلْكَ »[٢] .

(٨٩) ـ وأخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى الحافظُ التِّرمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ الوضَّاحِ الكوفيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ ، عن شُعْبَةَ ، عن أبي التَّيَّاحِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : إنْ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَيُخالِطُنا ؛ حتىٰ إنْ كانَ يقولُ لأخٍ لي صغيرٍ : « يَا أَبَا عُمَيرٍ ؛ مَا فَعَلَ ٱلنُّغَيْرُ ؟ »[٣] ،

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في « مسنده » (١٠٠١) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٦٥) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي وآدابه » (٢٣) .

(٢) رواه أبو داود (٢٥٧٨) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٨٩٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١٧) .

(٣) سنن الترمذي (١٩٨٩) ، ورواه البخاري (٦١٢٩) ، ومسلم (٢١٥٠) ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٤/ ١٢٩) : (وفي هـٰذا الحديث فوائدُ كثيرةٌ جدّاً ؛ منها : جوازُ تكنيةِ مَنْ لم يُولَدْ له ، وتكنيةِ الطفل وأنَّهُ ليس كذباً ، وجوازُ المزاح فيما ليس إثماً ، وجوازُ تصغير بعض المُسمَّيات ، وجوازُ لعب الصبيِّ بالعصفور ، وتمكينِ الوليِّ إيَّاه مِنْ ذلك ، وجوازُ السَّجْع بالكلام الحسن بلا كُلْفةٍ ، وملاطفةِ الصبيان وتأنيسِهِم ، وبيانُ ما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عليه من حسن الخُلُق وكرم الشمائل ، والتواضع وزيارةِ الأهل ؛ لأنَّ أمَّ سُلَيم والدةَ أبي عُمَير هي مِنْ محارمه صلَّى الله عليه وسلَّم) .

والنُّغَيرُ : عُصْفُورٌ صغيرٌ .

ورُوِيَ أنَّ عمرَ سابقَ زُبيراً رضيَ اللهُ عنهُما ، فسبقَهُ الزُّبيرُ ، فقالَ : سبقْتُكَ وربِّ الكعبةِ ، ثمَّ سابقَهُ مرَّةً أُخرىٰ ، فسبقَهُ عمرُ ، فقالَ عمرُ : سبقْتُكَ وربِّ الكعبةِ[1] .

وروىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ لي عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : تعالَ أُنافِسْكَ في الماءِ أيُّنا أَطْولُ نَفَساً ، ونحنُ مُحرِمُونَ[2] .

وروىٰ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : (كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتبادحُونَ بالبِطِّيخِ ، فإذا كانتِ الحقائقُ كانوا همُ الرِّجالَ)[3] ، يُقال : بَدَحَ يَبدَحُ : إذا رمىٰ ؛ أي : يترامَونَ بالبِطِّيخِ .

(٩٠) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ قالَ : أخبرَنا [أحمدُ بنُ الحسنِ الكَرَجيُّ][4] ، قالَ : حدَّثَنا أبو طالبٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ[5] ،

---

(١) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٠٦٨١) إلى المحاملي ، ورواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٣٩) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣٠٠٣) ، والشافعي في « الأم » (٣/ ٣٦٢) .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٦٦) ، وبكر بن عبد الله : هو الإمام القدوة الحُجَّة الواعظ التابعي الجليل أبو عبد الله المزني البصري (ت ١٠٨ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٣٢) .

(٤) هو الإمام المُحدِّث أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الكَرَجي الباقلاني البغدادي (ت ٤٨٩ هـ) ، وفي النسخ : (الحسن بن أحمد الكرخي) ، والمثبت من « صفوة التصوف » (٤٤٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ١٤٤) .

(٥) هو الإمام المعمَّر المُسند أبو طالب ابن غيلان ، ممَّن سمع علىٰ أبي بكر الشافعي البزاز ، فروىٰ عنه أجزاء كثيرة لُقِّبت بـ « الغيلانيات » .

قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ[1] ، قالَ : حدَّثَني إسحاقُ الحَرْبيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو سلمةَ[2] ، قالَ : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ خالدٍ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ عمرِو بنِ عَلْقَمةَ أبو الحسنِ ابنُ مِحْصَنٍ اللَّيثيُّ[3] ، عن يحيى بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعةَ قالَ : إنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : أَتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بخَزيرةٍ طبختُها لهُ[4] ، فقُلتُ لسَوْدةَ والنبيُّ عليهِ السلامُ بيني وبينَها : كُلِي ، فأَبَتْ ، فقلتُ لها : كُلِي ، فأبتْ ، فقلتُ : لتأكُلِنَّ أو لَأَلْطَخَنَّ بها وَجْهَكِ ، فأبَتْ ، فوضعتُ يدي في الخَزيرةِ فلَطَختُ بها وَجْهَها ، فضَحِكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوَضَعَ فَخِذَهُ لها وقالَ لسَوْدةَ : « ٱلْطَخِي وَجْهَهَا » ، فلَطَخَتْ بها وجهي ، فضَحِكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أيضاً .

فمرَّ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ على البابِ فنادىٰ : يا عبدَ اللهِ ، يا عبدَ اللهِ ، فظَنَّ النبيُّ أنَّهُ سيدخلُ ، فقالَ : « قُومَا فَٱغْسِلَا وَجْهَيْكُمَا » ، قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : فما زِلْتُ أهابُ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ لهَيْبَةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إيَّاهُ[5] .

---

(١) هو الإمام المُحدِّث المتقن مسند العراق أبو بكر الشافعي البغدادي البزَّاز صاحب « الغيلانيات » .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو سلمة موسى بن إسماعيل التَّبُوذكي البصري (ت ٢٢٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠/ ٣٦٠) .

(٣) زاد في النسخ بعد (علقمة) : (قال : حدثنا) ، والمثبت من « صفوة التصوف » .

(٤) سبق شرح (الخزيرة) في (١/ ٤٢٢) .

(٥) صفوة التصوف (٤٤٧) ، الغيلانيات (١٢١) ، ورواه من طريق أبي طالب ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٩٠) .

ووَصَفَ بعضُهُمُ ابنَ طاوسٍ فقالَ : (كانَ معَ الصبيِّ صبيّاً ، ومعَ الكَهْلِ كَهْلاً ، وكانَ فيهِ مُزاحةٌ إذا خلا)[1] .

وروىٰ مُعاويةُ بنُ عبدِ الكريمِ قالَ : (كُنَّا نتذاكرُ الشِّعْرَ عندَ محمَّدِ بنِ سيرينَ ، وكانَ يقولُ ونمزحُ عندَهُ ويُمازِحُنا ، وكُنَّا نخرجُ مِنْ عندِهِ ونحنُ نضحكُ ، وكُنَّا إذا دَخَلْنا على الحسنِ نخرجُ مِنْ عندِهِ ونحنُ نكادُ نبكي)[2] .

فهٰذهِ الأخبارُ والآثارُ دالَّةٌ علىٰ حُسْنِ لِينِ الجانبِ ، وصِحَّةِ حالِ الصُّوفيَّةِ ، وحُسْنِ أخلاقِهِم فيما يعتمدونَهُ مِنَ المُداعبةِ في الرُّبُطِ ، وينزلونَ معَ الناسِ علىٰ حَسَبِ طِباعِهِم ؛ لنَظَرِهِم إلىٰ سَعَةِ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ، فإذا خَلَوْا وقفوا مَوقِفَ الرجالِ ، واكتسَوا ملابسَ الأعمالِ والأحوالِ .

ولا يقفُ في هٰذا المعنىٰ علىٰ حَدِّ الاعتدالِ إلا صُوفيٌّ قاهرٌ للنَّفْسِ ، عالمٌ بأخلاقِها وطِباعِها ، سائسٌ لها بوُفُورِ العِلْمِ ، حتىٰ يقفَ في ذلكَ علىٰ صِراطِ الاعتدالِ بينَ الإفراطِ والتفريطِ .

ولا يصلُحُ الإكثارُ مِنْ ذلكَ للمُريدينَ المُبتدِئينَ ؛ لقِلَّةِ عِلْمِهِم ومعرفتِهِم بالنَّفْسِ ، وتَعَدِّيهِم حَدَّ الاعتدالِ ؛ فللنَّفْسِ في هٰذهِ المواطنِ نَهَضاتٌ ووَثَباتٌ تَجُرُّ إلى الإفسادِ ، وتَجْنَحُ إلى العِنادِ .

فالنُّزُولُ إلىٰ طِباعِ الناسِ يَحسُنُ بمَنْ صَعِدَ عنهُم ، وترقَّىٰ لعُلُوِّ حالِهِ ومقامِهِ ، فينزلُ إليهِم وإلىٰ طِباعِهِم حينَ ينزلُ بالعلمِ .

---

(١) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٤٨) .

(٢) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٥٠) .

فأمَّا مَنْ لم يصعَدْ بصفاءِ حالِهِ عنهُم ، وفيهِ بَقِيَّةُ مَزجٍ مِنْ طِباعِهِم ونُفُوسِهِمُ الجامحةِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ . . إذا دَخَلَ في هٰذهِ المداخلِ أخذتِ النَّفْسُ حظَّها ، واغتنمتْ مآربَها ، واستروحَتْ إلى الرُّخْصةِ ، والنُّزُولُ إلى الرُّخْصةِ يَحسُنُ لمَنْ رَكِبَ العزيمةَ غالبَ أوقاتِهِ ، وليسَ ذلكَ شأنَ المُبتدئِ .

فللصُّوفيَّةِ العلماءِ فيما ذَكَرْناهُ ترويحٌ يعلمونَ حاجةَ القلبِ إلىٰ ذلكَ ، والشيءُ إذا وُضِعَ للحاجةِ يتقدَّرُ بقَدْرِ الحاجةِ ، ومِعْيارُ مقدارِ الحاجةِ في ذلكَ علمٌ غامضٌ لا يسلمُ لكلِّ أحدٍ .

قالَ سعيدُ بنُ العاصِ لابنِهِ : (اقتصدْ في مُزاحِكَ ؛ فالإفراطُ فيهِ يُذهِبُ البهاءَ ، ويُجرِّئُ عليكَ السُّفَهاءَ ، وتركُهُ يَغِيظُ المُؤانِسينَ ، ويُوحِشُ المُخالِطينَ)[1] .

وقالَ بعضُهُم : (المُزاحُ مَسْلَبَةٌ للبهاءِ ، مَقْطَعةٌ للإخاءِ)[2] .

---

(١) أورده الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص٥٠٣) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/٣٤٦) ، وفي « أدب الدين والدنيا » : (يقصي عنك) بدل (يغيظ) ، وفي « المحاضرات » : (يقبض) ، وفي ذلك يقول السابوري في « منظومته » : (من الرجز)

شــرُّ مُــزاحِ المــرءِ لا يُقــالُ ... وخيــرُهُ يــا صــاحِ لا يُنــالُ
وقــد يُقــالُ كثــرةُ المُــزاحِ ... مِنَ الفتىٰ تدعو إلى التَّلاحِي
إنَّ المُــزاحَ بَــدْؤُهُ حَــلَاوهْ ... لٰكنَّمــا آخِــرُهُ عَــدَاوهْ
يَحقِـدُ منـهُ الـرجـلُ الشريـفُ ... ويَجْتــرِي بسُخْفِــهِ السخيــفُ

انظر « أدب الدين والدنيا » (ص٥٠٢) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤٠١) عن الحسين بن عبد الرحمٰن ، وأورده =

وكما يَصعُبُ معرفةُ الاعتدالِ في ذلكَ . . يَصعُبُ معرفةُ الاعتدالِ في الضحكِ ، والضحكُ مِنْ خصائصِ الإنسانِ ، ويُميِّزُهُ عن جنسِ الحيوانِ ، ولا يكونُ الضحكُ إلا عن سابقةِ تَعجُّبٍ ، والتعجُّبُ يستدعي الفِكْرَ ، والفِكْرُ شرفُ الإنسانِ وخاصِّيَّتُهُ .

ومعرفةُ الاعتدالِ فيهِ أيضاً شأنُ مَنْ ترسَّخَ قدمُهُ في العلمِ ؛ ولهـٰذا قيلَ : (إيَّاكَ وكثرةَ الضحكِ ؛ فإنَّهُ يُميتُ القلبَ)[1] .

وقيلَ : كثرةُ الضحكِ مِنَ الرُّعُونةِ[2] .

ورُوِيَ عن عيسىٰ عليهِ السلامُ أنَّهُ قالَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ يُبغِضُ الضَّحَّاكَ مِنْ غيرِ عَجَبٍ ، والمَشَّاءَ في غيرِ أَرَبٍ)[3] .

وذُكِرَ فرقٌ بينَ المُداعَبةِ والمُزاحِ ؛ فقيلَ : المُداعَبةُ : ما لا يُغضِبُ جِدُّهُ ، والمُزاحُ : ما يُغضِبُ جِدُّهُ .

وقد جَعَلَ أبو حنيفةَ رحمَهُ اللهُ القهقهةَ في الصلاةِ مِنَ الذنبِ ، وحَكَمَ ببُطْلانِ الوضوءِ بهِ ، وقالَ : نُقيمُ الإثمَ مُقامَ خروجِ الخارجِ[4] .

= ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص٧٨) من كلام أبي حاتم رحمه الله تعالىٰ

(١) رواه مرفوعاً ابن حبان (٣٦١) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٩٢) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وابن ماجه (٤١٩٣) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١٠٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٠٢) ، وعزاه في « محاضرات الأدباء » (١/ ٣٤٧) إلىٰ سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٠٢) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٦٧) عن كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ .

(٤) والقهقهة : ما يكون مسموعاً للمُصلِّي وجارِهِ ، وهو يفسد الوضوء والصلاة جميعاً =

فالاعتدالُ في المُزاحِ والضحكِ لا يتأتَّىٰ إلا إذا خَلَصَ وخَرَجَ مِنْ مَضِيقِ الخوفِ والقَبْضِ والهَيْبَةِ ؛ فإنَّهُ يتقوَّمُ بكلِّ مَضِيقٍ مِنْ هـٰذهِ المضايقِ بعضَ التقويمِ ، فيعتدلُ الحالُ فيهِ ويستقيمُ ؛ فالبسطُ والرجاءُ يُنْشِئانِهِ ، والخوفُ والقبضُ يحكمانِ بالعدلِ فيهِ .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : تركُ التكلُّفِ .

وذلكَ أنَّ التكلُّفَ تَصَنُّعٌ وتَعَمُّلٌ وتمايلٌ على النَّفْسِ لأجلِ الناسِ ، وذلكَ يُبايِنُ حالَ الصُّوفيَّةِ ، وفي بعضِهِ خَفِيٌّ مُنازَعةٍ للأقدارِ ، وعدمُ الرِّضا بما قَسَمَ الجبَّارُ .

ويُقالُ : التصوُّفُ : تركُ التكلُّفِ[1] .

ويُقالُ : التكلُّفُ تخلُّفٌ[2] ، وهوَ تخلُّفٌ عن شَأْوِ الصادقينَ[3] .

روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (شَهِدْتُ وليمةً لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما فيها خُبْزٌ ولا لحمٌ)[4] .

ورُوِيَ عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ أتاهُ ناسٌ مِنْ أصحابِهِ ، فأتاهُم بخُبْزٍ

= عنده ، والضحك : ما يكون مسموعاً للمصلِّي ، وهو يفسد الصلاة فقط ، والمراد بالصلاة : ذات الركوع والسجود ، حتىٰ تخرجُ صلاة الجنازة وسجدة التلاوة . انظر « حاشية ابن عابدين » (١/ ٢٧٥ـ ٢٧٦) .

(١) أورده أبو منصور الثعالبي في « خاص الخاص » (ص٧٤) ، وعزاه إلى ابن السماك ، وأورده الحصري القيرواني في « زهر الآداب » (٣/ ٨٦٦) ، وسبق بنحوه (١/ ٢٥٤).

(٢) أورده ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » تحت رقم : (٦٧٠) .

(٣) الشَّأْو : الغاية والسبق .

(٤) رواه البخاري (٤٢١٣) ، وكانت الوليمة بسبب بنائه بالسيدة صَفِيَّة رضي الله عنها بين خيبر والمدينة .

وخَلٍّ وقالَ : كُلُوا ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « نِعْمَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ »[1] .

وروىٰ شَقِيقُ بنُ سَلَمَةَ قالَ[2] : دخلتُ علىٰ سَلْمانَ الفارسيِّ ، فأخرجَ إليَّ خُبْزاً ومِلْحاً ، وقالَ : كُلْ ، لولا أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ نهانا عنِ التكلُّفِ ؛ أنْ يتكلَّفَ أحدٌ لأحدٍ . . لتكلَّفْتُ لكُم[3] .

والتكلُّفُ مذمومٌ في جميعِ الأشياءِ ؛ كالتكلُّفِ في الملبوسِ للناسِ مِنْ غيرِ نيَّةٍ فيهِ ، والتكلُّفِ في الكلامِ ، وزيادةِ التملُّقِ الذي صارَ دَأْبَ أهلِ الزمانِ ، فما يكادُ يسلمُ مِنْ ذلكَ إلا آحادٌ وأفرادٌ .

وكم مِنْ تَمَلُّقٍ لا يُعرَفُ أنَّهُ تَمَلُّقٌ ولا يُفطَنُ لهُ !! فقد يتملَّقُ الشخصُ إلىٰ حَدٍّ يُخرِجُهُ إلىٰ صريحِ النفاقِ ، وهوَ مُبايِنٌ لحالِ الصُّوفيِّ .

(٩١) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَوِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ مَنيعٍ ، قالَ : حدَّثَنا يَزيدُ بنُ هارونَ ، عن محمَّدِ بنِ مُطرِّفٍ ، عن حسَّانَ بنِ عَطِيَّةَ ، عن أبي أُمامةَ ، عنِ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٧١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٠٦٦) ، ورواه من سياق آخر مسلم (١٦٧/٢٠٥٢) ، والدارمي (٢٢١٢) ، وروىٰ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم فقط مسلمٌ (٢٠٥١)، والدارمي (٢٢١٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) هو أبو وائل كما سيأتي التصريح به في (١/ ٧٣) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٠٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٦/ ٢٣٥) ، و« المعجم الأوسط » (٥٩٣٥) .

النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْحَيَاءُ وَٱلْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلْبَذَاءُ وَٱلْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ ٱلنِّفَاقِ »[١] .

البَذَاءُ : الفُحْشُ ، وأرادَ بالبيانِ ها هنا : كثرةَ الكلامِ والتكلُّفَ للناسِ بزيادةِ تملُّقٍ وثناءٍ عليهِم ، وإظهارِ التفصُّحِ ، وذلكَ ليسَ مِنْ شأنِ أهلِ الصِّدْقِ والتصوُّفِ .

وحُكِيَ عن أبي وائلٍ قالَ : مَضَيْتُ معَ صاحبٍ لي نزورُ سَلْمانَ ، فقدَّمَ إلينا خُبْزَ شعيرٍ ومِلْحاً جَريشاً[٢] ، فقالَ صاحبي : لو كانَ في هـٰذا المِلْحِ سَعْترٌ كانَ أَطْيبَ ، فخَرَجَ سَلْمانُ ورَهَنَ مِطْهرتَهُ وأَخَذَ سَعْتراً ، فلمَّا أَكَلْنا قالَ صاحبي : الحمدُ للهِ الذي قَنَّعَنا بما رَزَقَنا ، فقالَ سَلْمانُ : لو قَنِعتَ بما رزقَكَ لم تكنْ مِطْهَرَتي مرهونةً[٣] .

وفي هـٰذا مِنْ سلمانَ تركُ التكلُّفِ قولاً وفعلاً .

وفي حديثِ يونسَ النبيِّ عليهِ السلامُ : أنَّهُ زارهُ إخوانُهُ ، فقدَّمَ إليهِم كِسَراً مِنْ خُبْزِ شعيرٍ ، وجزَّ لهُم بَقْلاً كانَ يزرعُهُ ، ثمَّ قالَ : لولا أنَّ اللهَ تعالىٰ لَعَنَ المُتكلِّفينَ لتكلَّفتُ لكُم[٤] .

---

(١) سنن الترمذي (٢٠٢٧) ، ورواه أحمد (٥/٢٦٩) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٣٠٠) ، والحاكم (١/٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣٠٧) ، وأراد بالعِيِّ : قلة الكلام تحرُّزاً عن الوقوع في الكذب والبهتان .

(٢) الجَريش : الغليظ الخَشِن .

(٣) رواه الحاكم (٤/١٢٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٦/٢٣٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٥٣) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٣/١٤٣٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/٤٦) .

وقالَ بعضُهُم : (إذا قُصِدتَ للزيارةِ فقَدِّمْ ما حَضَرَ ، وإذا استَزَرْتَ فلا تُبْقِ ولا تَذَرْ)[1] .

وروىٰ زُبيرُ بنُ العوَّام قالَ : نادىٰ مُنادي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يوماً فقالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ لِأَمْوَاتِ أُمَّتِي وَلَا يَتَكَلَّفُونَ ، أَلَا إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ ٱلتَّكَلُّفِ وَصَالِحُو أُمَّتِي »[2] .

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قَرأَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا * وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا * وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا * وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا * وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴾ [عبس : ٢٧ـ٣١] ، ثمَّ قالَ : هٰذا كلُّهُ قد عَرَفْناهُ ، فما الأبُّ ؟ قالَ : وبيدِ عُمَرَ عَصاً ، فضَرَبَ بها الأرضَ ثمَّ قالَ : هٰذا لَعَمْرُ اللهِ هوَ التكلُّفُ ، فخُذُوا أيُّها الناسُ ما بُيِّنَ لكُم منهُ ؛ فما عَرَفْتُمُ اعْمَلُوا بهِ ، وما لم تَعْرِفُوا فكِلُوا عِلْمَهُ إلى اللهِ تعالىٰ[3] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي (٣/١٤٣٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/٤٥) ، واستَزَرْتَ : طلبتَ من الناس أن يزوروك ، وفي « القوت » : (دعوتَ) بدل (استزرت) .

(٢) رواه الديلمي في « الفردوس » (٢٢٨) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٣١٣٦) للدارقطني في « الأفراد » والخطيب البغدادي وابن عساكر والرافعي ، وصالحو : مبتدأ وخبره محذوف ؛ أي : وصالحو أمَّتي بريئون ، ويجوز فيه غير ذلك .

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١/٤٦٥) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٧٧٣) ، ورواه إلىٰ قوله : (هو التكلف) سعيد بن منصور في « سننه » (٤٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٢٩) ، وإلىٰ قوله : (ما بين لكم) الحاكم (٢/٥١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٨٤) ، وليس المراد من كلام سيدنا عمر وغيره ألا يتكلَّمَ أحدٌ في القرآن إلا بما سمعه ؛ وإلا لتعارض مع قوله صلَّى الله عليه وسلَّمَ لابن عبَّاس رضي الله عنه : « اللهمَّ ؛ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْهُ التأويلَ » ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء : ٨٣] ، وللإمام الغزالي بحث نفيس في ذلك . انظره في « الإحياء » (٢/٣٢٥ـ ٣٢٩) ، وفي هامش=

وَمِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : الإنفاقُ مِنْ غيرِ إقتارٍ ، وتركُ الادِّخارِ .

وذلكَ أنَّ الصُّوفيَّ يرىٰ خزائنَ فَضْلِ الحقِّ ، فهوَ بمثابةِ مَنْ هوَ مُقيمٌ علىٰ شاطئِ بحرٍ ، والمُقيمُ علىٰ شاطئِ البحرِ لا يَدَّخِرُ الماءَ في قِرْبتِهِ وراويتِهِ .

روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، وَيَقُولُ ٱلآخَرُ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً »(١) .

وروىٰ أنسٌ قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يَدَّخِرُ شيئاً لغدٍ)(٢) .

ورُوِيَ أنَّهُ أُهْدِيَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثُ طَوَائرَ ، فأَطْعمَ

= (ب) : (بلغ سماع الجماعة في التاسع والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفي هامشه أيضاً : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

(١) رواه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (١٠١٠) ، قال القسطلاني في « إرشاد الساري » (٣/ ٣٧) : (وقولُهُ : « اللهمَّ ؛ أعط ممسكاً تلفاً » هو من قبيل المشاكلة ؛ لأنَّ التَّلَفَ ليس بعطيَّة ، وظاهرُهُ ـ كما قال القرطبي ـ يَعُمُّ الواجباتِ والمندوبات ، لكنَّ الممسكَ عن المندوبات لا يستحقُّ الدعاء بالتلف ، نعم ؛ إذا غلب عليه البخلُ المذمومُ ؛ بحيثُ لا تطيب نفسه بإخراج ما أُمر به إذا أخرجه) .

وقال النووي في « شرح مسلم » (٧/ ٩٥) : (قال العلماء : هٰذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضِّيفانِ والصدقات ونحو ذلك بحيثُ لا يُذمُّ ولا يُسمَّىٰ سَرَفاً ، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هٰذا) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٦٢) ، وابن حبان (٦٣٥٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٩١) .

خادمَهُ طيراً ، فلمَّا كانَ الغدُ أتاهُ بهِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تُخَبِّئَ شَيْئاً لِغَدٍ ؟! فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَأْتِي بِرِزْقِ كُلِّ غَدٍ »[١] .

وروىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دخلَ علىٰ بلالٍ وعندَهُ صُبْرةٌ مِنْ تمرٍ ، فقالَ : « مَا هَـٰذَا يَا بِلَالُ ؟ » ، فقالَ : أَدَّخِرُ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « أَمَا تَخْشَىٰ ؟! أَنْفِقْ يَا بِلَالُ ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي ٱلْعَرْشِ إِقْلَالاً »[٢] .

ورُوِيَ أنَّهُ كانَ عيسى بنُ مريمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأكلُ الشجرَ ، ويَلْبَسُ الشَّعَرَ ، ويَبيتُ حيثُ أمسىٰ ، ولم يكنْ لهُ ولدٌ يموتُ ، ولا بيتٌ يَخرَبُ ، ولا يُخبِّئُ شيئاً لغدٍ[٣] .

---

(١) رواه أحمد (٣/١٩٨) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٢٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٩٢) ، وابن بشران في « أماليه » (١١٨٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وطوائر : جمع (طائر) ، والطائر يُطلق على المذكر والمؤنث ، وقولُهُ : (طيراً) استُعمل مفرداً علىٰ قول قطرب وأبي عبيدة ، وإلا فالأصل أن يُقال : (طائراً) ، وقد جاء كذلك على الأصل في « مسند أبي يعلىٰ » ، وانظر « تاج العروس » (١٢/٤٥٠) .

(٢) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٠٤٠) ، والبزار في « مسنده » (٩٨٩٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/٣٤١ـ٣٤٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٨٠) ، والبيهقي في « الشعب » (١٢٨٣) ، وروي أيضاً عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وفي (ج ، د) : (أنفق بلالاً) بالنصب ، ويُخرَّج علىٰ أنه أتىٰ به كذلك ؛ لمناسبة (إقلالاً) ، وقيل غير ذلك ، وفي (هـ) : (بلال) دون (يا) ، وهو ظاهر .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٦٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٧٣) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (١١/٥٤٦) عن مجاهد عن عبيد بن عمير رحمهما الله تعالىٰ ، وروي عن مجاهد دون ذكر عمير ، كما في « تاريخ دمشق » (٤٧/٤١٤) ، و« الزهد » لوكيع بن الجراح (١٢٥) .

فالصُّوفيُّ كلُّ خباياهُ في خزائنِ اللهِ تعالىٰ ؛ لصِدْقِ توكُّلِهِ ، وثِقَتِهِ بربِّهِ .

فالدنيا للصُّوفيِّ كدارِ الغُرْبةِ ؛ ليسَ لهُ فيها ادِّخارٌ ، ولا لهُ منها استكثارٌ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى ٱللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ . . لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ ٱلطَّيْرُ ؛ تَغْدُو خِمَاصاً ، وَتَرُوحُ بِطَاناً »[1] .

(٩٢) ـ **أخبرَنا** شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمَّدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ المَالِينيُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو الحسنِ عبدُ الرحمـٰنِ الداوُديُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ السَّرَخْسِيُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو عِمْرانَ السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ : **أخبرَنا** عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ : **أخبرَنا** محمَّدُ بنُ يوسفَ ، **عن** سُفْيانَ ، **عنِ** ابنِ المُنكدِرِ ، **عن** جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ما سُئِلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئاً قطُّ فقالَ : لا) ، قالَ ابنُ عُيينةَ : (إذا لم يكنْ عندَهُ شَيْءٌ وَعَدَ)[2] .

(٩٣) ـ وبالإسنادِ إلى الدَّارِميِّ قالَ : **أخبرَنا** يعقوبُ بنُ حُمَيدٍ ، قالَ : **حدَّثَنا** عبدُ العزيزِ بنُ محمَّدٍ ، **عنِ** ابنِ أخي الزُّهْريِّ قالَ : (إنَّ جِبْريلَ عليهِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٠٥) ، وابن ماجه (٤١٦٤) ، وأحمد (١/ ٣٠) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي (ب ، ج ، و ، ز) : (لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ) ، وهي رواية ابن ماجه وأحمد ، **وتَغدُو** : تذهب أوّل النهار ، **وخِمَاصاً** : جِياعاً ، **وتَرُوحُ** : ترجع آخر النهار ، **وبِطَاناً** : شِبَاعاً .

(٢) سنن الدارمي (٧١) ، ورواه البخاري (٦٠٣٤) ، ومسلم (٢٣١١) دون قول ابن عيينة ، وسبق السند إلى الإمام الدارمي والتعريفُ ببعض رجاله . انظر (١/ ٣١٢ـ٣١٣) .

السلامُ قالَ : ما في الأرضِ أهلُ عَشَرَةِ أبياتٍ إلا قلَّبتُهُم ، فما وجدتُ أحداً أشدَّ إنفاقاً لهٰذا المالِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : القناعةُ باليسيرِ مِنَ الدنيا .

قالَ ذو النُّونِ المِصْريُّ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ قَنِعَ استراحَ مِنْ أهلِ زمانِهِ ، واستطالَ علىٰ أقرانِهِ)[2] .

وقالَ بِشْرُ بنُ الحارثِ : (لو لم يكنْ في القناعةِ إلا التمتُّعُ بالعِزِّ . لكفىٰ صاحبَهُ)[3] .

وقالَ بُنانٌ الحمَّالُ : (الحُرُّ عبدٌ ما طَمِعَ ، والعبدُ حُرٌّ ما قَنِعَ)[4] .

وقالَ بعضُهُمْ : (انتقمْ مِنْ حِرْصِكَ بالقناعةِ ، كما تنتقمُ مِنْ عدوِّكَ بالقِصاصِ)[5] .

وقالَ أبو بكرٍ المَرَاغيُّ : (العاقلُ : مَنْ دَبَّرَ أمرَ الدنيا بالقناعةِ والتسويفِ ، ودَبَّرَ أمرَ الآخرةِ بالحِرْصِ والتعجيلِ)[6] .

---

(١) سنن الدارمي (٧٤) ، وهو مرسل ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٠) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٠٥) ، وقولُهُ : (واستطال علىٰ أقرانه) ؛ أي : عزَّ في نفسه ، وارتفعت مرتبتُهُ عليهم في الدنيا والآخرة ، واستغنىٰ عنهم بفضل الله عليه . من « إحكام الدلالة » (٣/ ٤٤) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٢١٤) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٢٤) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٨/ ٢١١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/ ١٠٤) .

(٥) رواه القشيري في « رسالته » (ص٤٠٥) عن إبراهيم المارستاني رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٠٤) ، وفي « تنبيه الغافلين » (ص٢٤) : (ينبغي للعاقل أن ينتبهَ من رَقْدة الغفلة ، وعلامةُ مَن انتبه مِنْ رَقْدة الغفلة أربعةُ أشياءَ : =

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مَنْ قَنِعَ بالرِّزْقِ فقد ذهبَ بالآخرةِ وطابَ عيشُهُ) .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (القناعةُ سيفٌ لا ينبو)[١] .

(٩٤)ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ أبي الفضلِ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ الخَلَّالُ ببغدادَ ، قالَ : أخبرَنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ[٢] ، قالَ : حدَّثَنا أبو القاسمِ البَغَويُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عَبَّادٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو سعيدٍ ، عن صدقةَ بنِ الربيعِ ، عن عُمَارةَ بنِ غَزِيَّةَ ، عن عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبي سعيدٍ ، عن أبيهِ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ على الأعوادِ يقولُ[٣] : « مَا قَلَّ وَكَفَىٰ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَىٰ »[٤] .

= أوَّلُها : أن يُدبِّر أمرَ الدنيا بالقناعة والتسويف ، والثاني : أن يُدبِّر أمرَ الآخرة بالحرص والتعجيل ، والثالث : أن يُدبِّر أمرَ الدِّين بالعلم والاجتهاد ، والرابع : أن يُدبِّر أمرَ الخَلْق بالنصيحة والمُداراة) .

(١) أورده أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (٢/ ١٤٩) ، والماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص٤٦١) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٥٢٤) .

(٢) هو الكَتَّاني البغدادي الإمام المقرئ المُحدِّث المُعمَّر (ت ٣٩٠هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٨٢) .

(٣) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٤٦) : (الأعواد : اسم موضع بالمدينة ، ويمكن أن يكون مرادُهُ المنبر) .

(٤) صفوة التصوف (٧١٥) ، ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٠٥٣) من طريق محمد بن عبَّاد به ، ورواه ابن حبان (٣٣٢٩) ، والحاكم (٢/ ٤٤٥) ، والبيهقي في « الشعب » =

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَيْهِ »(١) .

وروىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دعا وقالَ : « اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً »(٢) .

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ »(٣) .

ورُوِيَ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (كُونُوا أوعيةَ الكتابِ ، وينابيعَ الحكمةِ ، وعُدُّوا أنفسَكُم في الموتىٰ ، واسْألُوا اللهَ تعالىٰ رزقَ يومٍ بيومٍ ، ولا يَضُرُّكُم ألَّا يُكثِرَ لكُم)(٤) .

(٩٥) ـ وأخبرَنا أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن والدِهِ أبي الفضلِ قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ السَّاوِيُّ، قالَ: أخبرَنا أحمدُ بنُ عليٍّ الحافظُ(٥)،

= (٣١٣٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٢) .

(١) رواه مسلم (١٠٥٤) بلفظ : (وقنَّعه اللهُ بما آتاه) بدل (ثمَّ صبر عليه) ، وابن حبان (٦٧٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) .

(٣) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٨٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٩٢٢) ، وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٣٠٦) ، ورواه القضاعي في « المسند » (٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ١٠٢) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٦٣) .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٦٣٢) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥١) .

(٥) هو الإمام الحافظ المُجوِّد أبو بكر ابن منجويه الأصبهاني (ت ٤٢٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٤٠) .

قالَ : أخبرَنا أبو عمرِو بنُ حَمْدانَ[1] ، قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ سُفْيانَ[2] ، قالَ : حدَّثَنا عمرُو بنُ مالكٍ البَصْريُّ ، قالَ : حدَّثَنا مروانُ بنُ مُعاويةَ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ أبي شُميلةَ الأنصاريُّ ، قالَ : أخبرَني سلمةُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مِحْصَنٍ[3] ، عن أبيهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ ، مُعَافىً فِي بَدَنِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ . . فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا »[4] .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] : هيَ القناعةُ[5] .

---

(١) هو الإمام المُحدِّث النحوي الثقة محمَّد بن أحمد بن حمدان الحِيري (ت ٣٧٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٣٥٦) .

(٢) هو الإمام الحافظ الثَّبْت أبو العبَّاس الشيباني الخراساني النسوي (ت ٣٠٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء »(١٤/ ١٥٧) .

(٣) ويقال أيضاً : (عبيد الله) بدل (عبد الله) ، كما نصَّ عليه المِزِّي في « تهذيب الكمال » (١١/ ٢٩٥) .

(٤) صفوة التصوف (٧٢٢) ، ورواه الترمذي (٢٣٤٦) ، وابن ماجه (٤١٤١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٠٠) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٣ـ ٤٦٤) ، والسِّرْب : النَّفْس ، وقيل : الجماعة ؛ أي : في أهله وعياله ، وكسر السين هو المشهور ، وقيل : بفتح السين ؛ أي : في مسلكه وطريقه ، وقيل : بفتحتين ؛ أي : في بيته ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٨/ ٣٢٥٠) ، وزيد في غالب النسخ آخرَ الحديث : (بحذافيرها) ، وهي رواية ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢١٢٦) .

(٥) قاله سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه الحاكم (٢/ ٣٥٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٨٦٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٢٦٥١) ، وروي أيضاً عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمه الله تعالى . انظر « تفسير الطبري » (١٧/ ٢٩٠) .

فالصُّوفيُّ قَوَّامٌ على نَفْسِهِ بالقِسْطِ ، عالمٌ بطبائعِ النَّفْسِ ، وجَدْوى القناعةِ والتوصُّلِ إلى استخراجِ ذلكَ مِنَ النَّفْسِ ؛ لعلمِهِ بدائِها ودوائِها .

قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (القناعةُ مِنَ الرِّضا ، كما أنَّ الورعَ مِنَ الزُّهْدِ)[1] .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيّةِ : تركُ المِراءِ والمُجادَلةِ والغضبِ إلا بحقٍّ ، واعتمادُ الرِّفْقِ والحِلْمِ .

وذلكَ أنَّ النفوسَ تَثِبُ وتظهرُ في المُمارِينَ ، والصُّوفيُّ كلَّما رأىٰ نَفْسَ صاحبِهِ ظاهرةً قابلَها بالقلبِ ، وإذا قُوبِلَتِ النَّفْسُ بالقلبِ ذهبتِ الوَحْشةُ ، وانطفأَتِ الفِتْنةُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ تعليماً لعبادِهِ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

ولا يُنزَعُ المِراءُ إلا مِنْ نفوسٍ زكيّةٍ انتُزِعَ منها الغِلُّ ، ووجودُ الغِلِّ في النفوسِ مِراءُ الباطنِ ، وإذا انتُزِعَ المِراءُ مِنَ الباطنِ ذهبَ مِنَ الظاهرِ أيضاً ، وقد يكونُ الغِلُّ في النَّفْسِ معَ مَنْ يُشاكِلُهُ ويُماثِلُهُ ؛ لوجودِ المُنافَسةِ .

ومَنِ استقصىٰ في تذويبِ النَّفْسِ بنارِ الزَّهَادةِ في الدُّنيا . . يَنْمحِي الغِلُّ مِنْ باطنِهِ ، ولا يبقىٰ عندَهُ مُنافَسةٌ دنيويّةٌ في حُظُوظٍ عاجلةٍ مِنْ جاهٍ ومالٍ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفِ أهلِ الجنّةِ المُتَّقينَ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (١٠٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٤) ، وابن الأعرابي في « الزهد وصفة الزاهدين » (٢٤) .

قالَ أبو حفصٍ : (كيفَ يبقى الغِلُّ في قلوبٍ ائتلفَتْ باللهِ ، واتَّفقَتْ علىٰ مَحَبَّتِهِ ، واجتمعتْ علىٰ مَوَدَّتِهِ ، وأَنِستْ بذِكْرِهِ ؟! فإنَّ تلكَ قلوبٌ صافيةٌ مِنْ هواجسِ النفوسِ ، وظُلُماتِ الطبائعِ ، بل كُحِلَتْ بنورِ التوفيقِ ، فصارتْ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِخْوَانًا ﴾)[1] .

فهكذا قلوبُ أهلِ التصوُّفِ والمُجتمِعِينَ على الكلمةِ الواحدةِ ؛ مِنَ التَّلَزُّمِ بشروطِ الطريقِ ، والانكبابِ على الظَّفَرِ بالتحقيقِ .

والناسُ رجلانِ :

رجلٌ طالبٌ ما عندَ اللهِ تعالىٰ ، ويدعو إلىٰ ما عندَ اللهِ نَفْسَهُ وغيرَهُ ، فما للمُحِقِّ الصُّوفيِّ معَ هٰذا مُنافسةٌ ومِراءٌ وغِلٌّ ؛ فإنَّ هٰذا معَهُ في طريقٍ واحدةٍ ووِجْهةٍ واحدةٍ ، وأخوهُ ومُعِينُهُ ، والمؤمنونَ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بعضُهُم بعضاً .

ورجلٌ مُفتتَنٌ بشيءٍ مِنْ محبَّةِ الجاهِ والمالِ والرِّياسةِ ونَظَرِ الخَلْقِ ، فما للصُّوفيِّ معَ هٰذا مُنافَسةٌ ؛ لأنَّهُ زَهِدَ فيما فيهِ رَغِبَ .

فمِنْ شأنِ الصُّوفيِّ أنْ ينظرَ إلىٰ مِثْلِ هٰذا نَظَرَ رحمةٍ وشفقةٍ حيثُ يراهُ محجوباً مُفتتَناً ؛ فلا ينطويَ لهُ علىٰ غِلٍّ ، ولا يُماريَهُ في الظاهرِ علىٰ شيءٍ ؛ لعلمِهِ بظهورِ نَفْسِهِ الأَمَّارةِ بالسُّوءِ في المِراءِ والمُجادَلةِ .

(٩٦) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٥٥) ، وسبق في (١/ ٢٣٤) .

أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا زيادُ بنُ أيُّوبَ ، قالَ : حدَّثَنا المُحارِبيُّ ، عن ليثٍ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عِكْرِمةَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَا تُمَارِ أَخَاكَ ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ »(١) .

وفي الخبرِ : « مَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ . . بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ . . بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ . . بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا »(٢) .

(٩٧) ـ وأخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْدِيُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمَّدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ المَالِينيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمـٰنِ الدَّاوُديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الحَمُّوِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عِمْرانَ عيسى السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ بِسْطامَ ، عن يحيى بنِ حمزةَ ، قالَ : حدَّثَني النُّعمانُ ، عن مكحولٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ ٱلْعُلَمَاءَ ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ ٱلسُّفَهَاءَ ، أَوْ يُرِيدَ

---

(١) سنن الترمذي (١٩٩٥) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٤٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٠٧٣) ، وزادوا جميعاً بعد (لا تمار أخاك) : (ولا تُمازِحْهُ) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٦٦) .

(٢) رواه بنحوه الترمذي (١٩٩٣) ، وابن ماجه (٥١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٨٠٠) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وربَضُ الجنة : نواحيها وجوانبها من داخلها لا من خارجها .

أَنْ يُقْبِلَ بِوُجُوهِ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ . . أَدْخَلَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ جَهَنَّمَ »[١] .

أُنظُرْ كيفَ جَعَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المُمَارَاةَ معَ السُّفَهاءِ سبباً لدخولِ النارِ ؛ وذلكَ لظهورِ نُفُوسِهِم في طلبِ القَهْرِ والغَلَبَةِ ، والقَهْرُ والغَلَبَةُ مِنْ صفاتِ الشَّيْطَنةِ في الآدميِّ .

قالَ بعضُهُمْ : (المُجادِلُ المُمارِي يضعُ في نَفْسِهِ عندَ الخوضِ في الجدالِ أَلَّا يَقنَعَ بشيءٍ ، ومَنْ لا يَقنَعُ إلَّا بألَّا يقنَعَ . . فما إلىٰ قناعتِهِ سبيلٌ)[٢] .

فنَفْسُ الصُّوفيِّ تبدَّلتْ صفاتُها ، وذهبَ عنهُ صفةُ الشَّيْطَنةِ والسَّبُعِيَّةِ ، وتبدَّلَ باللِّينِ والرِّفْقِ ، والسُّهُولةِ والطُّمَأْنينةِ .

ورُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّىٰ يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ »[٣] .

---

(١) سنن الدارمي (٣٨٦) مرسلاً عن مكحول رحمه الله تعالىٰ ، ورواه الترمذي (٢٦٥٤) ، والحاكم (١/ ٨٦) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه ، وابن ماجه (٢٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص١٨٧) ، وفي بعض النسخ : (بأن يقنع) بدل (بألا يقنع) .

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٨٧) ، والحاكم (٤/ ١٦٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٦٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٥١٣٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقولُهُ : (حتىٰ يَسْلَمَ) كذا ضبطت في بعض النسخ ، والمعنىٰ : حتىٰ ينقاد ، وهو المناسب مع سياق المؤلف ، وضُبطت في بعضها : (حتىٰ يُسلِمَ) ، كما هي الرواية المشهورة ، والبوائق : جمع (بائقة) ؛ وهي الظلم والشر ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٨/ ٣١٢٨) .

انظُرْ كيفَ جَعَلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ شرطِ الإسلامِ سلامةَ القلبِ واللِّسانِ .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مَرَّ بقومٍ وهم يَجُرُّونَ حَجَراً ، فقالَ : « مَا هَـٰذَا ؟ » ، قالوا : هـٰذا حَجَرُ الأَشِدَّاءِ ، قالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشَدَّ مِنْ هَـٰذَا ؟ رَجُلٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ غَضَبٌ ، فَأَتَاهُ فَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَشَيْطَانَ أَخِيهِ فَكَلَّمَهُ »[1] .

ورُوِيَ أنَّهُ جاءَ غلامٌ لأبي ذَرٍّ وقد كسرَ رِجْلَ شاةٍ لهُ ، فقالَ أبو ذَرٍّ : مَنْ كَسَرَ رِجْلَ هـٰذهِ الشاةِ ؟ فقالَ : أنا ، قالَ : ولِمَ فعلتَ ذلكَ ؟ قالَ : عَمْداً فعلتُ ، قالَ : ولِمَ ؟ قالَ : أَغِيظُكَ فتَضرِبُني فتأثَمُ ، فقالَ أبو ذَرٍّ : لَأَغِيظَنَّ مَنْ حضَّكَ علىٰ غَيْظي ، فأَعْتَقَهُ[2] .

وروى الأَصْمَعيُّ عن أعرابيٍّ قالَ : (إذا أَشْكَلَ عليكَ أمرانِ لا تدري

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٨٤) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٨٦) مرسلاً عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٢) عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن عجلان رضي الله عنه ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٣٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ في « الشعب » ـ ونحوُه في « المكارم » ـ : (مَنْ ملكَ نفسَهُ عندَ الغضبِ) بدل (رجلٌ كانَ . . .) ، وقولُهُ : (يَجُرُّون) جاءت في « الشعب » : (يربعون) ، وفي « المكارم » : (يرفعون) ، وتفاوتت في النسخ ما بين (يجرُّون ، ويَجُدُّون ، ويَجُذُّون ، ويَحُذُّون) ، والثلاثة الأخيرة بمعنى القطع ، ويَربَعُون : يرفعون ، والمثبت موافق لـ« المصنف » و« صفوة التصوف » .

(٢) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ٢١١) .

أيُّهما أرشدُ . . فخَالِفْ أَقْربَهُما إلىٰ هواكَ ؛ فإنَّ أكثرَ ما يكونُ الخطأُ معَ مُتابَعةِ الهوىٰ)[١] .

(٩٨) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عن أبيهِ أبي الفضلِ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ[٢] ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ خُرَّشِيذَ قُولَهْ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ سُلَيمٍ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ ، قالَ : حدَّثَنا [سعدُ] بنُ [سعيدٍ][٤] ، عن أخيهِ[٥] ، عن جدِّهِ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ .

فَأَمَّا ٱلْمُنْجِيَاتُ : فَخَشْيَةُ ٱللهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ ، وَٱلْحُكْمُ بِٱلْحَقِّ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ وَٱلرِّضَا ، وَٱلِاقْتِصَادُ عِنْدَ ٱلْفَقْرِ وَٱلْغِنَىٰ .

وَأَمَّا ٱلْمُهْلِكَاتُ : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ »[٦] .

---

(١) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٩٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص٤٨) ، والسبكي في « معجم الشيوخ » (ص٥٥٣) ، وبنحو ما روى الأصمعي قال ابن عطاء الله السكندري في « حكمه » : (إذا التبس عليك أمرانِ فانظر أثقلَهُما على النَّفس ؛ فإنَّهُ لا يثقل عليها إلا ما كان حقّاً) .

(٢) هو المسند الثقة المُعمَّر السِّمْسار الأصبهاني ، وقد سبق في (١/ ٣٢٧) .

(٣) في (أ ، ج ، ز) : (سليمان) بدل (سليم) .

(٤) في النسخ : (سعيد بن سعد) ، والمثبت من « تهذيب الكمال » (١٠/ ٢٦١) ، وهو سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري المدني .

(٥) في « صفوة التصوف » : (عن أبيه) .

(٦) صفوة التصوف (٨٩٢) ، ورواه قوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٣٥٣) ، وشُهْدة في مشيختها المسماة بـ « العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب »=

فالحُكْمُ بالحقِّ عندَ الغضبِ والرِّضا لا يصحُّ إلا مِنْ عالِمٍ ربَّانيٍّ ، أميرٍ على النَّفْسِ ، يُصَرِّفُها بعقلٍ حاضرٍ ، وقلبٍ يَقْظانَ ، ونَظَرٍ إلى اللهِ بحُسْنِ الاحتسابِ .

نُقِلَ أنَّهُم كانوا يتوضَّؤُونَ عن أذى المسلمِ ؛ يقولُ بعضُهُم : (لَأَنْ أتوضَّأَ عن كلمةٍ خبيثةٍ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتوضَّأَ مِنْ طعامٍ طَيِّبٍ)[1] .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (الحَدَثُ حَدَثانِ : حَدَثٌ مِنْ فَرْجِكَ ، وحَدَثٌ مِنْ فِيكَ)[2] .

فلا يَحُلُّ حُبْوَةَ الوَقارِ والحِلْمِ إلا الغضبُ[3] ، ويخرجُ عن حَدِّ العَدْلِ إلى العُدْوانِ بتجاوزِ الحَدِّ .

فبالغضبِ يتحرَّكُ دمُ القلبِ ، فإنْ كانَ الغضبُ علىٰ مَنْ فوقَهُ ممَّنْ يَعجِزُ عن إنفاذِ الغضبِ فيهِ . . ذهبَ الدمُ مِنْ ظاهرِ الجلدِ ، واجتمعَ في القلبِ ، ويصيرُ منهُ الحزنُ والهمُّ والانكمادُ .

= (٨٦) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/ ٧٦) ، وسبق دون إسناد في (٢/ ٥٦) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٤٣٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ٢٨٥) ، وابن أبي عاصم في « الزهد » (١١٤) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٨٤) ، والدِّينَوري المالكي في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٩٨) ، وزاد عائشة مع ابن عباس رضي الله عنهم .

(٣) الحُبْوة في الأصل : اسم من الاحتباء ؛ وهو أن يُجمعَ بين الظَّهْر والساق بعمامة ونحوها .

ولا يَنطوِي الصُّوفيُّ علىٰ مِثْلِ هـٰذا ؛ لأنَّهُ يرى الحوادثَ والأعراضَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فلا ينكمدُ ولا يغتمُّ ، والصُّوفيُّ صاحبُ الرِّضا ، وصاحبُ الرَّوحِ والراحةِ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَخْبَرَ أنَّ الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسُّخْطِ(١) .

سُئِلَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الغمِّ والغضبِ(٢) ، قالَ : مخرجُهُما واحدٌ واللفظُ مُختلِفٌ ؛ فمَنْ نازعَ مَنْ يَقْوىٰ عليهِ . . أَضْمرَهُ غضباً ، ومَنْ نازعَ مَنْ لا يقوىٰ عليهِ . . كتمَهُ حُزْناً(٣) .

والحَرَدُ غضبٌ أيضاً(٤) ، ولـٰكن يُستعمَلُ إذا قُصِدَ المغضوبُ عليهِ .

وإنْ كانَ الغضبُ علىٰ مَنْ يُشاكِلُهُ ويُماثِلُهُ ممَّنْ يتردَّدُ في الانتقام منهُ . . يتردَّدُ دمُ القلبِ بينَ الانقباضِ والانبساطِ ، فيتولَّدُ منهُ الغِلُّ والحِقْدُ ، ولا يَأْوِي مثلُ هـٰذا إلىٰ قلبِ الصُّوفيِّ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وصَلَافةُ قلبِ الصُّوفيِّ وحالُهُ(٥) يَقذِفُ زَبَدَ الغِلِّ والحِقْدِ كما يقذفُ البحرُ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/٢٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/١٢١) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروي عنه موقوفاً كما في « اليقين » لابن أبي الدنيا (٣٢) ، و« شعب الإيمان » (٢٠٥) .

(٢) في (ب) : (عن الهم) بدل (عن الغم) .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١/٢٧٨) ، و« الذريعة » (ص٢٣١) .

(٤) الحَرَد : الغيظ والغضب .

(٥) في هامش (و) : (وصلافته : إباؤه عن الصفات الذميمة) ، وفي هامش (ج) : (الصلافة : هي اللطافة) .

الزَّبَدَ ؛ لما فيهِ مِنْ تلاطمِ أمواجِ الأُنْسِ والهَيْبَةِ .

وإنْ كانَ الغضبُ على مَنْ دونَهُ ممَّنْ يقدرُ على الانتقامِ منهُ . . ثارَ دمُ القلبِ ، والقلبُ إذا ثارَ دمُهُ يحمرُّ ويقسُو ويتصلَّبُ ، ويذهبُ عنهُ الرِّقَّةُ والبياضُ ، ومنهُ تحمرُّ الوَجْنتانِ ؛ لأنَّ الدمَ في القلبِ ثارَ وطلبَ الاستعلاءَ ، وانتفخَ منهُ العروقُ ، فظهرَ عكسُهُ وأثَرُهُ على الخَدِّ ، فيتعدَّى الحدودَ حينئذٍ بالضربِ والشتمِ ، ولا يكونُ هٰذا في الصُّوفيِّ إلا عندَ هَتْكِ الحُرُماتِ والغضبِ للهِ تعالىٰ ، فأمَّا في غيرِ ذلكَ فينظرُ الصُّوفيُّ عندَ الغضبِ إلى اللهِ تعالىٰ ، ثمَّ تقواهُ تحملُهُ علىٰ أنْ يَزِنَ حركتَهُ وقولَهُ بميزانِ الشرعِ والعدلِ ، ويتَّهمَ النَّفْسَ بعدمِ الرِّضا بالقضاءِ .

قيلَ لبعضِهِم : مَنْ أَقْهَرُ الناسِ لنفسِهِ ؟ قالَ : أَرْضاهُم بالمقدورِ[1] .

وقالَ بعضُهُم : (أصبحتُ وما لي سُرُورٌ إلَّا مواقعُ القضاءِ)[2] .

فإذا اتَّهَمَ الصُّوفيُّ النَّفْسَ عندَ الغضبِ . . تداركَهُ العِلْمُ ، وإذا لاحَ عَلَمُ العِلْمِ . . قَوِيَ القلبُ وسكنتِ النَّفْسُ ، وعادَ دمُ القلبِ إلىٰ مواضعِهِ ومَقارِّهِ ، واعتدلَ الحالُ ، وغاضَ حُمْرَةُ الخدِّ[3] ، وبانَ فضيلةُ العلمِ .

قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلسَّمْتُ ٱلْحَسَنُ وَٱلتُّؤَدَةُ وَٱلِاقْتِصَادُ . . جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ »[4] .

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٦٠) عن الحارث المحاسبي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٥٤٩) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .

(٣) يُقال : غاض الماءُ : إذا قلَّ ونَضَب .

(٤) رواه الترمذي (٢٠١٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٠١٧) عن سيدنا =

وروىٰ جاريةُ بنُ قُدامةَ قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أَوْصِني وأَقْلِلْ لعلِّي أَعِيهِ ، قالَ : « لَا تَغْضَبْ » ، فأعادَ عليهِ ، كلُّ ذلكَ يقولُ : « لَا تَغْضَبْ »[1] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ ٱلْغَضَبَ جَمْرَةٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَٱنْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ ؟ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ : فَإِنْ كَانَ قَائِماً فَلْيَجْلِسْ ، وَإِنْ كَانَ جَالِساً فَلْيَضْطَجِعْ »[2] .

(٩٩) ـ أخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، قالَ : حدَّثَنا بِشْرُ بنُ المُفضَّلِ ، عن قُرَّةَ بنِ خالدٍ ، عن أبي جَمْرَةَ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ

= عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٧٧٦) ، وأحمد (١/ ٢٩٦) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٨٤) ، وابن حبان (٥٦٩٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٦) عن سيدنا جارية أن رجلاً قال : يا رسول الله ، فذكره ، ورواه أحمد (٢/ ٣٦٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٤) عن سيدنا أبي هريرة كذلك ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٨٩) عن سيدنا جارية دون واسطة .

(٢) رواه ضمن حديث طويل الترمذي (٢١٩١) ، وأحمد (٣/ ١٩) ، والحاكم (٤/ ٥٠٤ـ٥٠٥) ، وابن طاهر في « صفوة التصوف » (٩٧٠) واللفظ له ، جميعهم عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وروىٰ أبو داود (٤٧٨٢) ، وابن حبان (٥٦٨٨) عن سيدنا أبي ذر مرفوعاً : « إذا غَضِبَ أحدُكُم وهوَ قائمٌ فليجلسْ ، فإنْ ذهبَ عنهُ الغضبُ ، وإلا فليضطجعْ » ، والأَوْداج : جمع (وَدَج) ؛ وهو عِرْق في الرقبة .

عليهِ وسلَّمَ قالَ لِأَشجِّ عبدِ القيسِ : « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا ٱللهُ تَعَالَىٰ : ٱلْحِلْمُ ، وَٱلْأَنَاةُ »(١) .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : التَّوَدُّدُ والتآلُفُ ، والمُوافقةُ معَ الإخوانِ وتركُ المُخالفةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ في وصفِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

والتَّوَدُّدُ والتآلُفُ مِنِ ائتلافِ الأرواحِ ؛ علىٰ ما وَرَدَ في الخبرِ الذي أَوْرَدْناهُ : « فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ »(٢) .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقالَ : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وقالَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلْمُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ »(٣) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا ٱلْتَقَيَا مَثَلُ ٱلْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ، وَمَا ٱلْتَقَى ٱلْمُؤْمِنَانِ إِلَّا ٱسْتَفَادَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْراً »(٤) .

---

(١) سنن الترمذي (٢٠١١) ، ورواه مسلم (١٧/ ٢٥) ، وفي هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة في الثامن والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

(٢) انظر (١/ ٣٦٥) .

(٣) سبق تخريجه (١/ ٣٦٤ـ ٣٦٥) .

(٤) رواه دون الشطر الثاني ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٤٣٣) ، =

وقالَ أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ لمُعاذِ بنِ جبلٍ : **إنِّي أُحِبُّكَ في اللهِ** ، فقالَ : أَبشِرْ ثمَّ أَبشِرْ ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « **تُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ كَرَاسِيُّ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وُجُوهُهُمْ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ وَهُمْ لَا يَفْزَعُونَ ، وَيَخَافُ ٱلنَّاسُ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ ٱللهِ ٱلَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** » ، فقيلَ : مَنْ هـٰؤلاءِ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « **ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ** »(١) .

وقيلَ : **لو تحابَّ الناسُ وتعاطَوُا المَحبَّةَ . . لاستغنَوْا بها عنِ العدالةِ** .

وقيلَ : **العدالةُ خليفةُ المَحبَّةِ ؛ تُستعمَلُ حيثُ لا تُوجَدُ المَحبَّةُ**(٢) .

وقيلَ : **طاعةُ المَحبَّةِ أفضلُ مِنْ طاعةِ الرَّهْبةِ ؛ فإنَّ طاعةَ المَحبَّةِ مِنْ داخلٍ ، وطاعةَ الرَّهْبةِ مِنْ خارجٍ**(٣) .

ولهـٰذا المعنىٰ كانتْ صُحْبةُ الصُّوفيَّةِ مُؤثِّرةً مِنَ البعضِ في البعضِ ؛ لأنَّهم

= والسلمي في « آداب الصحبة » (١٢٨) ، والديلمي في « الفردوس » (٦٤١١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٧٥ـ٤٧٦) .

(١) روىٰ قول النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أبو داود (٣٥٢٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١١٧٢) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٦١١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأما حديث أبي إدريس عن سيدنا معاذ : فرواه أحمد (٥/ ٢٣٦ـ٢٣٧) وجماعة بلفظ : « المتحابُّونَ في اللهِ علىٰ منابرَ مِنْ نورٍ في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ » ، وهو من إدخال حديث في حديث ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٧٦ـ٤٧٧) .

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٥٧) .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص٢٥٧) ، والطُّرْطُوشي في « سراج الملوك » (ص ٢٢٢) ، وليس فيه : (فإن طاعة . . .) .

لمَّا تحابُّوا في اللهِ تواصَوْا بمحاسنِ الأخلاق ، ووقعَ القَبولُ لوجودِ المَحَبَّةِ ، فانتفعَ لذلكَ المُرِيدُ بالشيخِ ، والأخُ بالأخِ .

ولهـٰذا المعنىٰ أَمَرَ اللهُ تعالىٰ باجتماعِ الناسِ في كلِّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ في المساجدِ ؛ أهلِ كلِّ دربٍ وكلِّ مَحَلَّةٍ ، وفي الجامعِ في الأسبوعِ مرَّةً ؛ أهلِ كلِّ بلدٍ ، وانضمامِ أهلِ السَّوادِ إلى البُلْدانِ في الأعيادِ في جميعِ السنةِ مرَّتَينِ ، وأهلِ الأقطارِ مِنَ البُلْدانِ المُتفرِّقةِ في العُمُرِ مرَّةً للحجِّ ؛ كلُّ ذلكَ لحِكَمٍ بالغةٍ ؛ منها : تأكيدُ الأُلْفةِ والمَوَدَّةِ بينَ المؤمنينَ .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَٱلْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً »[١] .

(١٠٠) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، قالَ : أخبرَنا والدي أبو الفضلِ ، قالَ : أخبرَنا أبو نصرٍ محمَّدُ بنُ سهلِ بنِ محمَّدٍ العدلُ[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو طاهرٍ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ مَحْمِشٍ الزِّياديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ عبدُ اللهِ بنُ يعقوبَ الكَرْمانيُّ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى الكَرْمانيُّ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن مُجالِدِ بنِ سعيدٍ ، عنِ الشَّعْبيِّ ، عنِ النُّعْمانِ بنِ بشيرٍ قالَ :

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) في النسخ ما عدا (د) : (أبو نصر محمد بن سلمان ـ أو سليمان ـ العدل) ، والصواب المثبت من (د) ، وهو الإمام المُعمَّر مسند نيسابور أبو نصر محمَّد بن سهل بن محمَّد بن أحمد الشَّاذْياخِي السرَّاج العدل (ت ٤٨٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٥٢٩) .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن بحر الكرماني .

سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « أَلَا إِنَّ مَثَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَحَابِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ . كَمَثَلِ ٱلْجَسَدِ إِذَا ٱشْتَكَىٰ عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَىٰ سَائِرُهُ بِٱلسَّهَرِ وَٱلْحُمَّىٰ »[1] .

والتآلُفُ والتودُّدُ يُؤكِّدُ أسبابَ الصُّحْبَةِ ، والصُّحْبةُ معَ الأخيارِ مُؤثِّرةٌ جدّاً ، وقد قيلَ : لقاءُ الإِخْوانِ لَقَاحٌ[2] .

ولا شكَّ أنَّ البواطنَ تَتَلَقَّحُ ويَقْوى البعضُ بالبعضِ ، بل مُجرَّدُ النَّظَرِ إلىٰ أهلِ الصلاحِ يُؤثِّرُ صلاحاً ، والنظرُ في الصُّوَرِ يُؤثِّرُ أخلاقاً مُناسبةً لخُلُقِ المنظورِ إليهِ ؛ كدوامِ النظرِ إلى المحزونِ يُحزِنُ ، ودوامِ النظرِ إلى المسرورِ يَسُرُّ ، وقد قيلَ : (مَنْ لا ينفعُكَ لَحْظُهُ لا ينفعُكَ لفظُهُ) .

والجملُ الشَّرُودُ يصيرُ ذَلُولاً بمُقارَنةِ الجملِ الذَّلُولِ ، فالمُقارَنةُ لها تأثيرٌ في الحيوانِ والنباتِ والجمادِ ، والماءُ والهواءُ يفسدانِ بمُقارَنةِ الجِيَفِ ، والزُّرُوعُ تُنقَّىٰ عن أنواعِ العُرُوقِ في الأرضِ والنباتِ ؛ لموضعِ الإفسادِ بالمُقارَنةِ .

فإذا كانتِ المُقارَنةُ مُؤثِّرةً في هٰذهِ الأشياءِ . . ففي النُّفُوسِ الشريفةِ البشريَّةِ أكثرُ تأثيراً .

وقيلَ : سُمِّيَ الإنسانُ إنساناً ؛ لأنَّهُ يأنسُ بما يراهُ مِنْ خيرٍ وشرٍّ[3] .

---

(١) صفوة التصوف (٩١٧) ، ورواه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) ، وفي غالب النسخ : (بعضه) بدل (عضو منه) ، وكلاهما مروي ، وفيه روايات غيرهما .

(٢) أورده السمرقندي في « بستان العارفين » (ص٤٠٩) .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة » (ص٢٥٩) .

والتآلُفُ والتودُّدُ مُستجلِبٌ للمَزِيدِ ، وإنَّما العُزْلةُ والوَحْدةُ تُحمَدُ بالنسبةِ إلىٰ أراذلِ الناسِ وأهلِ الشرِّ ، فأمَّا أهلُ العلمِ والصفاءِ والوفاءِ والأخلاقِ الحميدةِ . يُغتنَمُ مُقارنتُهُم ، والاستئناسُ بهِمُ استئناسٌ باللهِ تعالىٰ ، كما أنَّ مَحبَّتَهُم مِنْ مَحبَّةِ اللهِ تعالىٰ ، والجامعُ معَهُم رابطةُ الحقِّ ، ومعَ غيرِهِم رابطةُ الطبعِ .

فالصُّوفيُّ معَ غيرِ الجنسِ كائنٌ بائنٌ ، ومعَ الجنسِ كائنٌ مُعاينٌ .

والمؤمنُ مِرآةُ المُؤمِنِ ؛ إذا نظرَ إلىٰ أخيهِ يَستشِفُّ مِنْ وراءِ أقوالِهِ وأعمالِهِ وأحوالِهِ تجلِّياتٍ إلٰهيَّةً ، وتعريفاتٍ وتلويحاتٍ مِنَ اللهِ الكريمِ خَفِيَّةً ، غابتْ عنِ الأغيارِ ، وأَدْركَها أهلُ الأنوارِ .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : شُكْرُ المُحسِنِ على الإحسانِ ، والدعاءُ لهُ .

وذلكَ منهُم معَ كمالِ توكُّلِهِم علىٰ ربِّهِم ، وصفاءِ توحيدِهِم ، وقَطْعِهِمُ النظرَ إلى الأغيارِ ، ورُؤْيتِهِمُ النِّعَمَ مِنَ المُنعِمِ الجبَّارِ ، ولٰكن يفعلونَ ذلكَ اقتداءً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ علىٰ ما وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خَطَبَ فقالَ : « مَا مِنَ ٱلنَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِنِ ٱبْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً »[1] .

وقالَ أيضاً عليهِ السلامُ : « مَا نَفَعَنِي مَالٌ كَمَالِ أَبِي بَكْرٍ »[2] .

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٨٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٦١) ، وابن ماجه (٩٤) ، وأحمد (٢/ ٢٥٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فالخَلْقُ حُجِبوا عنِ اللهِ تعالىٰ بالخَلْقِ في المنعِ والعطاءِ .

فالصُّوفيُّ في الابتداءِ يُفنِي الخَلْقَ ، ويرى الأشياءَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ؛ حيثُ طالعَ ناصيةَ التوحيدِ ، وخَرَقَ الحجابَ الذي مَنَعَ الخَلْقَ عن صِرْفِ التوحيدِ ، فلا يُثبِتُ للخلقِ منعاً ولا عطاءً ، ويحجُبُهُ الحقُّ عنِ الخَلْقِ .

فإذا ارتقىٰ إلىٰ ذُروةِ التوحيدِ . . يشكرُ الخَلْقَ بعدَ شُكْرِ الحقِّ ، ويُثبِتُ لهُم وجوداً في المنعِ والعطاءِ ، بعدَ أنْ يرى المُسبِّبَ أوَّلاً ؛ وذلكَ لسَعَةِ علمِهِ وقُوَّةِ معرفتِهِ ، يُثبِتُ الوسائطَ ، فلا يَحجُبُهُ الخَلْقُ عنِ الحقِّ كعامَّةِ المسلمينَ ، ولا يَحجُبُهُ الحقُّ عنِ الخَلْقِ كأربابِ الإرادةِ والمُبتدِئينَ ، فيكونُ شكرُهُ للحقِّ ؛ لأنَّهُ هوَ المُنعِمُ والمُعطِي والمُسبِّبُ ، ويشكرُ الخَلْقَ ؛ لأنَّهُم واسطةٌ وسببٌ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَوَّلُ مَا يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْجَنَّةِ : ٱلْحَمَّادُونَ ٱلَّذِينَ يَحْمَدُونَ ٱللهَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عَطَسَ أَوْ تَجَشَّأَ فَقَالَ : (ٱلْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ) . . دَفَعَ ٱللهُ بِهَا عَنْهُ سَبْعِينَ دَاءً أَهْوَنُهَا ٱلْجُذَامُ »(٢) .

وروىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٥٠٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ١٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٦٩) ، والبزار في « مسنده » (٥٠٢٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه أبو طاهر المُخلِّص في « المخلصيات » (١١٣٨) ، وابن عدي في « الكامل » (٧/ ٥٠٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ٢٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٨١ـ٤٨٢) .

« مَا مِنْ عَبْدٍ يُنْعَمُ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ فَحَمِدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ . . إِلَّا كَانَ ٱلْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا »[١] .

وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « كَانَ ٱلْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا » يحتملُ : أنَّهُ يرضىٰ بها شُكْراً ، ويحتملُ : أنَّ الحمدَ أفضلُ منها نعمةً ، فتكونُ نعمةُ الحمدِ أفضلَ مِنَ النعمةِ التي حَمِدَ عليها ، فإذا شكروا المُنعِمَ الأوّلَ يشكرونَ الواسطةَ المُنعِمَ مِنَ الناسِ ويَدعُونَ لهُ .

وروىٰ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أفطرَ عندَ قومٍ قالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْكُمُ ٱلسَّكِينَةُ »[٢] .

(١٠١) ـ **أخبرَنا** أبو زُرْعةَ ، **عن** أبيهِ ، قالَ : **أخبرَنا** أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ البزَّازُ[٣] ، قالَ : **أخبرَنا** أبو حفصٍ عمرُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : **حدَّثَنا** عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ البَغَوِيُّ ، قالَ : **حدَّثَنا** عمرُ بنُ زُرارةَ ، قالَ : **حدَّثَنا** عُيَينةُ بنُ يونسَ ، **عن** موسى بنِ عُبَيدةَ ، **عن** محمَّدِ بنِ ثابتٍ ، **عن**

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٠٩٢) ، ورواه ابن ماجه (٣٨٠٥) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه بلفظ : « ما أنعمَ اللهُ علىٰ عبدٍ نعمةً فقالَ : (الحمدُ للهِ) . . إلا كانَ الذي أعطىٰ أفضلَ ممَّا أَخَذَ » ، وروي أيضاً عن الحسن مرسلاً ومن قوله رحمه الله تعالى . انظر « شعب الإيمان » (٤٠٩٣ ، ٤٠٩٤) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٨٢) .

(٢) رواه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص١١٧) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٣٩٠) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٩٤٢) ، وفي (ب ، ج ، و ، ح) : (السكينة والوقار) ، وفي (أ) : (الملائكة) بدل (السكينة) ، وهي رواية ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٨٣٨) ، وأحمد في « المسند » (٣/ ١١٨) .

(٣) هو ابن النقُّور مسند العراق ، وقد سبق في (١/ ٣٥٦) .

أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : (جَزَاكَ ٱللهُ خَيْراً) . . فَقَدْ أَبْلَغَ فِي ٱلثَّنَاءِ »[1] .

ومِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : بَذْلُ الجاهِ للإخوانِ والمسلمينَ كافَّةً .

وإذا كانَ الرجلُ وافرَ العلمِ ، بصيراً بعيوبِ نَفْسِهِ وآفاتِها وشهواتِها . . يتوصَّلُ إلىٰ قضاءِ حوائجِ المسلمينَ ببذلِ الجاهِ والمُعاوَنةِ في إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ .

وفي هٰذا المعنىٰ يحتاجُ إلىٰ مَزيدِ عِلْمٍ ؛ لأنَّها أمورٌ تتعلَّقُ بالخَلْقِ ومُخالَطتِهِم ومُعاشَرتِهِم ، ولا يَصلُحُ ذلكَ إلا لصُوفيٍّ تامِّ الحالِ عالِمٍ ربَّانيٍّ .

رُوِيَ عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ أنَّهُ قالَ : (كانَ نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ يأخذُ بركَابِ المَلِكِ يتألَّفُهُ بذلكَ لقضاءِ حوائجِ الناسِ) .

وقالَ عطاءٌ : (لَأَنْ يُرائيَ الرجلُ سنينَ فيكتسبَ جاهاً يعيشُ فيهِ مؤمنٌ . . أتمُّ لهُ مِنْ أنْ يُخلِصَ العملَ لنجاةِ نَفْسِهِ) .

وهٰذا بابٌ غامضٌ لا يُؤمَنُ أنْ يُفتتَنَ بهِ خَلْقٌ مِنَ الجُهَّالِ المُدَّعِينَ ، ولا يصلحُ هٰذا إلا لعبدٍ اطَّلَعَ اللهُ تعالىٰ علىٰ باطنِهِ ، فعَلِمَ منهُ ألَّا رغبةَ لهُ في شيءٍ مِنَ الجاهِ والمالِ ، ولو أنَّ ملوكَ الأرضِ وَقَفُوا في خدمتِهِ . . ما طغىٰ

---

(1) صفوة التصوف (٩٤٣) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٠٤٩) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١١٨٤) ، ورواه الترمذي (٢٠٣٥) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٩٣٧) ، وابن حبان (٣٤١٣) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما بلفظ : « مَنْ صُنِعَ إليهِ معروفٌ فقالَ لفاعِلِهِ : (جزاكَ اللهُ خيراً) . . . » .

ولا استطالَ ، ولو دخلَ إلىٰ أَتُّونٍ يُوقَدُ[1] . . ما ظهرتْ نَفْسُهُ بصريحِ الإنكارِ لهـٰذا الحالِ .

وهـٰذا لا يَصلُحُ إلا لآحادٍ مِنَ الخَلْقِ ، وأفرادٍ مِنَ الصالحينَ الصادقينَ[2] ؛ ينسلخونَ مِنْ إراداتِهم واختياراتِهم ، ويُكاشِفُهُمُ اللهُ تعالىٰ بمُرادِهِ منهُم ، فيدخلونَ في الأشياءِ بمُرادِ اللهِ تعالىٰ ، فإذا علموا أنَّ الحقَّ يريدُ منهُمُ المخالطةَ وبذلَ الجاهِ . . يدخلونَ في ذلكَ بغَيبةِ صفاتِ النَّفْسِ .

وهـٰذا لأقوامٍ ماتُوا ثمَّ حُشِرُوا ، وأَحْكمُوا مقامَ الفناءِ ، ثمَّ رُقُّوا إلىٰ مقامِ البقاءِ ، فيكونُ لهُم في كلِّ مدخلٍ ومخرجٍ برهانٌ وبيانٌ وإذنٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فهم علىٰ بصيرةٍ مِنْ ربِّهم ، وهـٰذا ليسَ فيهِ ارتيابٌ لصاحبِ قلبٍ مُكاشَفٍ بصريحِ المُرادِ في خَفِيِّ الخطابِ ، فيأخذُ وقتَهُ أبداً مِنَ الأشياءِ ، ولا تأخذُ الأشياءُ مِنْ وقتِهِ ، ولا يكونُ هـٰذا إلا في قُطْرٍ مِنَ الأقطارِ واحدٍ مُتحقِّقٍ بهـٰذا الحالِ .

قالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (لا يَكمُلُ الرجلُ حتىٰ يستويَ في قلبِهِ أربعةُ أشياءَ : المنعُ ، والعطاءُ ، والعِزُّ ، والذُّلُّ)[3] ، فلمِثْلِ هـٰذا الرجلِ يَصلُحُ بذلُ الجاهِ والدخولُ فيما ذَكَرْناهُ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمةُ اللهِ عليهِ : (لا يستحقُّ الإنسانُ الرِّياسةَ حتىٰ

---

(١) الأَتُّون : المَوقِدُ .

(٢) في (د) : (الصديقين) .

(٣) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٤) ، ومن طريق السلمي القشيري في « رسالته » (ص١٥٧) .

يجتمعَ فيهِ ثلاثُ خصالٍ : يصرفُ جهلَهُ عنِ الناسِ ، ويحتملُ جهلَ الناسِ ، ويتركُ ما في أيديهِم ويَبذُلُ ما في يدِهِ لهُم)[1] .

وهـٰذهِ الرِّياسةُ آنفاً غيرُ الرِّياسةِ التي زَهِدَ فيها وتعيَّنَ الزهدُ فيها لضرورةِ صِدْقِهِ وسلوكِهِ ، وإنَّما هـٰذهِ رِياسةٌ أقامَها الحقُّ لصلاحِ خَلْقِهِ ، فهوَ فيها باللهِ يقومُ بواجبِ حقِّها ويشكرُ نعمتَها للهِ تعالىٰ[2] ، واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ والهدايةِ[3] .

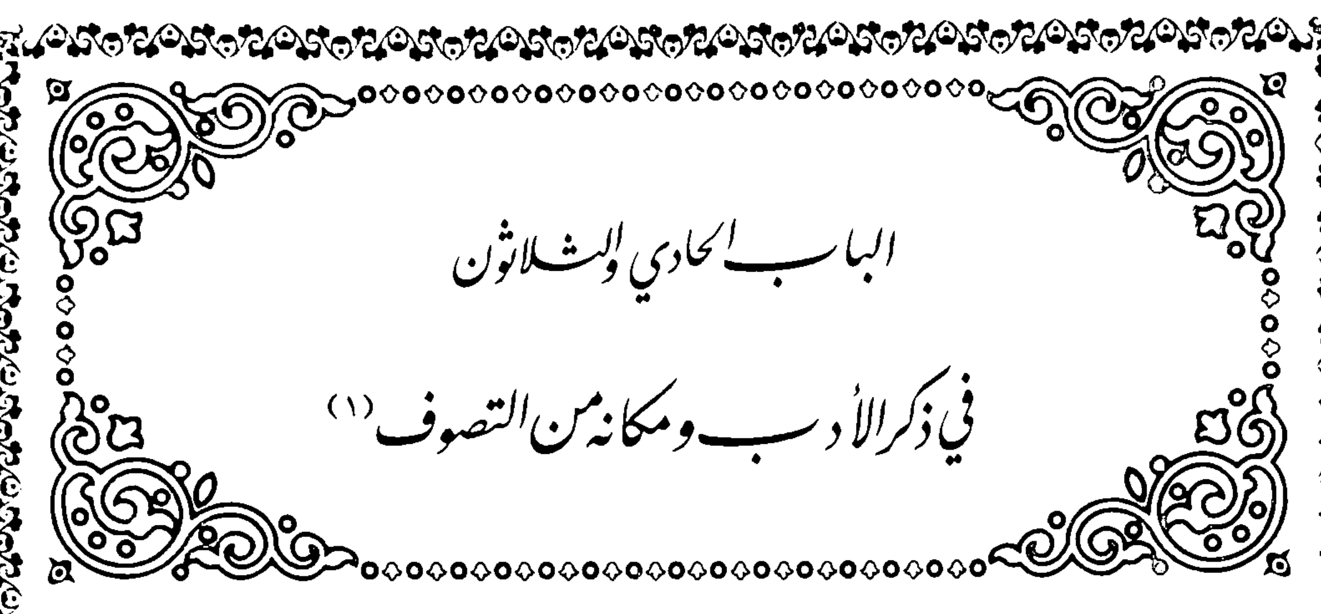
❁ ❁ ❁

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٢٠٩) .

(٢) في بعض النسخ : (وشكرِ) بدل (ويشكر) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ بقراءة كاتبه عبد السلام على الحافظ جلال الدين) ، وفي هامشه أيضاً : (بلغ مقابلةً) .



الباب الحادي والثلاثون

في ذكر الأدب ومكانه من التصوف[1]

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »[2] .

فالأدبُ تهذيبُ الظاهرِ والباطنِ[3] ، فإذا تهذَّبَ ظاهرُ العبدِ وباطنُهُ[4] . . صارَ صُوفيّاً أديباً[5] .

وإنَّما سُمِّيتِ المَأْدُبَةُ مأدُبةً ؛ لاجتماعِها على أشياءَ[6] .

---

(١) قال أهل الحقيقة : **الأدب على ثلاثة أوجه** : أدبِ اللِّسان ، وأدبِ النفس ، وأدبِ القلب ، **أمَّا أدبُ اللسان** : فتركُ الكلام بما لا يعني وإن كان صدقاً ، فكيف الكذبُ ؟! **وأمَّا أدبُ النفس** : فهو أن يُعرِّفَها الشرَّ ، فيزجُرَها عنه ، **وأمَّا أدبُ القلب** : عِرفانُ قَدْرِ النفس . **من هامش (ح)** .

(٢) رواه العسكري في « أمثال الحديث » عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وهو حديثٌ لا يصح ، ومعناه صحيح ، وبعضُ العلماء صحَّحه ، وبعضُهُم حسَّنه ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٧٠-٧١) ، و« غنية العارف » (١/ ٤٨٦-٤٨٧) .

(٣) **التهذيب** كالتنقية ، **ورجلٌ مُهذَّب** ؛ أي : مُطهَّر الأخلاق . **من هامش (ح)** .

(٤) **قوله** : (**ظاهر العبد**) ؛ بألا يصدُرَ عنه شيءٌ يخالف الشريعة ، **وقوله** : (**وباطنه**) ؛ بألا يصدُرَ عنه شيءٌ يخالف الطريقة . **من هامش (ح)** .

(٥) يمكن له أن يؤدِّب غيره وينتفع بالاقتداء به ، ومَنْ لم فلم . **من هامش (ح)** .

(٦) في الحديث : « القرآنُ مأدُبةُ اللهِ في الأرضِ » ؛ وهي صنيعٌ يصنعه الرجل يدعو الناسَ إليه ، وسُمِّي الأدب أدباً ؛ لأنَّهُ يدعو الناس إلى المحامد . **من هامش (ح)** .

ولا يتكاملُ الأدبُ في العبدِ إلا بتكاملِ مكارمِ الأخلاقِ ، ومكارمُ الأخلاقِ مجموعُها مِنْ تحسينِ الخَلْقِ والخُلُقِ ؛ فالخَلْقُ صُورةُ الإنسانِ ، والخُلُقُ معناهُ .

فقالَ بعضُهُمْ : (الخُلُقُ لا سبيلَ إلىٰ تغييرِهِ كالخَلْقِ) ، وقد وَرَدَ : « فَرَغَ رَبُّكُمْ عَنِ ٱلْخَلْقِ وَٱلْخُلُقِ ، وَٱلرِّزْقِ وَٱلْأَجَلِ »(١) ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠] .

والأصحُّ : أنَّ تبديلَ الأخلاقِ مُمكِنٌ مقدورٌ عليهِ ، بخلافِ الخَلْقِ ؛ وقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ أنَّهُ قالَ : « حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ »(٢) .

وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ الإنسانَ وهيَّأَهُ لقَبولِ الصلاحِ والفسادِ ، وجعلَهُ أهلاً للأدبِ ومكارمِ الأخلاقِ ، ووجودُ الأهليَّةِ فيهِ كوجودِ النارِ في الزِّنادِ(٣) ،

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٥٦٠) ، والقضاعي في « مسنده » (٦٠١) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ورواه موقوفاً عليه الدارقطني (٤٣٩٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ١٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ٢١٧) .

(٢) قال الغُماري في « الغنية » (١/ ٤٨٧ـ ٤٨٨) : (لم أره بهٰذا اللفظ ، والمعروف الأمر بذلك بالإفراد ؛ كحديث : « اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ ، وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها ، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ » ، وقد سبق ، وحديثِ جرير بن عبد الله : « إنَّكَ امرؤٌ قد حسَّنَ اللهُ خَلْقَكَ ، فحَسِّنْ خُلُقَكَ » رواه الخرائطي [في « مكارم الأخلاق » (٧)] ، وحديث معاذ : « يا معاذُ ؛ حَسِّنْ خُلُقَكَ للناسِ » رواه ابن لال بسند صحيح إلا أنَّهُ منقطع ، وحديث عبد الله بن عمرو : « استقِمْ ، ولتُحسِّنْ خُلُقَكَ للناسِ » رواه الطبراني [في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٣٩ـ ٤٠)] ، والحاكم [في « المستدرك » (١/ ٥٤)] ، وغيرِ ذلك) ، وانظر (٢/ ٤٢) .

(٣) الزَّنْد : العود الذي يُقدَح به النار ، وهو الأعلىٰ ، والزَّنْدة السفلىٰ فيها ثقب ، وهي =

ووجودِ النَّخْلِ في النَّوىٰ ، ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ بقدرتِهِ أَلْهَمَ الإنسانَ ومكَّنَهُ مِنْ إصلاحِهِ بالتربيةِ إلىٰ أنْ يصيرَ النَّوىٰ نخلاً ، والزِّنادِ بالعلاجِ حتىٰ تخرجَ منهُ نارٌ .

وكما جَعَلَ في نَفْسِ الآدميِّ صلاحيَّةَ الخيرِ والشرِّ . . أحالَ الإصلاحَ والإفسادَ عليهِ ؛ فقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ـ٨] ، فتسويتُها بصلاحيَّتِها للشيئينِ جميعاً .

ثمَّ قالَ سبحانَهُ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٩ـ١٠] ، فإذا تزكَّتِ النَّفْسُ تدبَّرتْ بالعقلِ ، واستقامتْ أحوالُها الظاهرةُ والباطنةُ ، وتهذَّبتِ الأخلاقُ ، وتكوَّنتِ الآدابُ .

فالأدبُ : استخراجُ ما في القُوَّةِ إلى الفعلِ[1] ، وهـٰذا يكونُ لمَنْ رُكِّبتِ السَّجِيَّةُ الصالحةُ فيهِ ، والسَّجِيَّةُ : فِعْلُ الحقِّ لا قدرةَ للبشرِ علىٰ تكوينِها ، كتكوُّنِ النارِ في الزِّنادِ ؛ إذ هوَ فعلُ اللهِ المحضُ ، واستخراجُهُ بكَسْبِ الآدميِّ ؛ فهكذا الآدابُ ؛ منبعُها السَّجايا الصالحةُ ، والمِنَحُ الإلـٰهيَّةُ .

ولمَّا هَيَّأَ اللهُ تعالىٰ بواطنَ الصُّوفيَّةِ بتكميلِ السَّجايا الصالحةِ فيها . . توصَّلُوا بحُسْنِ المُمارَسةِ والرِّياضةِ إلى استخراجِ ما في النفوسِ مركوزٌ بخَلْقِ اللهِ تعالىٰ إلى الفعلِ ، فصارُوا مُؤدَّبينَ مُهذَّبينَ .

والآدابُ تقعُ في حقِّ بعضِ الأشخاصِ مِنْ غيرِ زيادةِ مُمارَسةٍ ورياضةٍ ؛ لقُوَّةِ ما أَوْدعَ اللهُ تعالىٰ في غرائزِهِم ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

= الأنثىٰ ، فإذا اجتمعا قيل : (زَنْدان) ، والجمع : (زِناد) . من هامش (ح) .

(١) في (هـ ، ز) : (استخراج ما في الهيئة والخلق إلى الفعل) .

وسلَّمَ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »[1] .

وفي بعضِ الناسِ مَنْ يحتاجُ إلىٰ طُولِ المُمارَسةِ ؛ لنقصانِ قُوَّةِ أصولِها في الغَريزةِ ؛ ولهٰذا احتاجَ المُريدونَ إلىٰ صُحْبةِ المشايخِ ؛ لتكونَ الصُّحبةُ والتعلُّمُ عوناً على استخراجِ ما في الطَّبيعةِ إلى الفعلِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم : ٦] ؛ قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (فَقِّهُوهُم وأَدِّبُوهُم)[2] .

وفي لفظٍ آخَرَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي ، ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ ؛ فَقَالَ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] »[3] .

قالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : (بالأدبِ يُفهَمُ العلمُ[4] ، وبالعلمِ يصحُّ

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ١٠٢) .

(٢) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٤٩١) ، ورواه أيضاً عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « الدر المنثور » (٨/ ٢٢٥) .

(٣) رواه أبو سعد السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٨٩) ، وقولُهُ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ ؛ أي : خُذْ ما عفا لك ـ أي : سَهُلَ ـ من أفعال الناس وأخلاقِهِم وما أتىٰ منهم وسَهُلَ من غير كلفة ، ولا تُداقَّهم ـ أي : لا تُناقشهم ـ ولا تطلب منهم الجد وما تشقُّ عليهم ؛ حتىٰ لا ينفروا ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام : « يَسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا » ، قال الشاعر : [من الطويل]

خُذي العفوَ منِّي تَسْتديمِي مَوَدَّتي ... ولا تَنطِقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ

وقولُهُ : ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ المعروفِ والجميلِ من الأفعال ، ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ ولا تُكافِئِ السفهاءَ بمثل سفههم ، ولا تُمارِهِم ، واحلُمْ عنهم ، وأغض علىٰ ما يسوءك منهم . « كشاف » . من هامش (ح) .

(٤) إذ نور الأدب يُنوِّرُ العقل ، فيُفهم العلم . من هامش (ح) .

العملُ ، وبالعملِ تُنالُ الحكمةُ[1] ، وبالحكمةِ يُقامُ الزهدُ ، وبالزهدِ تُترَكُ الدنيا ، وبتركِ الدنيا يُرغَبُ في الآخرةِ ، وبالرغبةِ في الآخرةِ تُنالُ الرُّتْبةُ عندَ اللهِ تعالىٰ)[2] .

قيلَ : لمَّا وَرَدَ أبو حفصٍ الحدَّادُ العراقَ . . جاءَ إليهِ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِما ، فرأىٰ أصحابَ أبي حفصٍ وقوفاً علىٰ رأسِهِ يأتمرونَ بأمرِهِ ، لا يُخطِئُ أحدٌ منهُم ، فقالَ : يا أبا حفصٍ ؛ أَدَّبتَ أصحابَكَ أدبَ الملوكِ !! فقالَ : لا يا أبا القاسمِ ، ولـٰكنْ حُسْنُ الأدبِ في الظاهرِ عُنْوانُ حُسْنِ الأدبِ في الباطنِ[3] .

قالَ أبو الحسينِ النُّوريُّ رحمَهُ اللهُ : (ليسَ للهِ في عبدِهِ مقامٌ ولا حالٌ ولا معرفةٌ يسقطُ معَها آدابُ الشريعةِ ، وآدابُ الشريعةِ حِلْيَةُ الظاهرِ ، واللهُ تعالىٰ لا يُبِيحُ تعطيلَ الجوارحِ مِنَ التحلِّي بمحاسنِ الآدابِ)[4] .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ[5] : (أدبُ الخدمةِ أعزُّ مِنَ الخدمةِ)[6] .

---

(١) أي : العقلُ الكامل ؛ يُقال : فلانٌ حكيم : إذا كان كاملَ العقل . من هامش (ح) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٩) .
(٣) أي : ما قصدي في تأديب ظواهرهم إلا أن تتأدَّب بواطنُهُم . من هامش (ح) ، وهـٰذه القصة أوردها السلمي في « آداب الصحبة » (٢٠٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٦) .
(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٦٨) دون نسبة ودون قوله : (ليس لله . . . معها آداب الشريعة) ، وفي هامش (ح) : (وكلُّ أدبٍ يستعملُهُ السالك في الظاهر . . يُثمِرُ له نوراً في الباطن) .
(٥) في (أ ، و) : (منازل) بدل (المبارك) ، وصوَّبه في هامش (أ) ، والمثبت من باقي النسخ موافق لـ « تفسير السلمي » ، والله أعلم بالصواب .
(٦) لأنَّ الخدمة إذا لم تكن بالأدب لم تكن مقبولةً مرضيَّةً . من هامش (ح) ، والأثر أورده=

حُكِيَ عن أبي عُبيدٍ القاسمِ بنِ سلَّامٍ قالَ : دخلتُ مكَّةَ ، فكنتُ ربَّما أقعدُ بحِذاءِ الكعبةِ ، وربَّما كنتُ أستلقي وأَمُدُّ رِجْلي ، فجاءَتْني عائشةُ المكِّيَّةُ فقالتْ لي : يا أبا عُبيدٍ ؛ يُقال : إنَّكَ مِنْ أهلِ العلمِ ، اقبَلْ منِّي كلمةً : لا تُجالِسْهُ إلَّا بأدبٍ ، وإلَّا فيُمحى اسمُكَ مِنْ ديوانِ القُرْبِ ، قالَ أبو عُبيدٍ : وكانتْ مِنَ العارفاتِ[1] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (النَّفْسُ مجبولةٌ علىٰ سوءِ الأدبِ[2] ، والعبدُ مأمورٌ بمُلازمةِ الأدبِ ، والنَّفْسُ تجري بطِباعِها في ميدانِ المُخالَفةِ[3] ، والعبدُ يَرُدُّها بجُهدِهِ إلىٰ حُسْنِ المطالبةِ[4] ، فمَنْ أَعْرضَ عنِ الجُهدِ فقد أَطْلقَ عِنانَ النَّفْسِ ، وغَفَلَ عنِ الرِّعايةِ ، ومهما أعانَها فهوَ شريكُها)[5] .

وقالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ أعانَ نَفْسَهُ علىٰ هواها . . فقد أشركَ في قَتْلِ نَفْسِهِ)[6] ؛ لأنَّ العُبُوديَّةَ مُلازَمةُ الأدبِ ، والطُّغْيانَ سوءُ الأدبِ[7] .

(١٠٢) ـ أخبرَنا الشيخُ العالمُ ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ،

= السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٢١) .

(١) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٢٧٥) .

(٢) لجهلها في أصل الفطرة ؛ إذ هي ترابية . من هامش (ح) .

(٣) إذ هي لا تحبُّ الانقيادَ ؛ لما فيها من الناريَّة . من هامش (ح) .

(٤) أي : إلىٰ ما أمر الله به . من هامش (ح) .

(٥) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص٣٨٩) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (١٥١) إلىٰ أبي علي الرُّوذْباري رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) موقوفاً علىٰ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٧) أي : الخروجَ عن دائرة العبوديَّة ، والتجاوزَ عن الحدِّ . من هامش (ح) .

قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرِ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاس المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا قُتيبةُ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ يعلىٰ ، عن ناصحٍ ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَأَنْ يُؤَدِّبَ ٱلرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ »(١) .

ورُوِيَ أيضاً أنَّهُ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ والتحيَّةُ : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ »(٢) .

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « حَقُّ ٱلْوَلَدِ عَلَى ٱلْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ ٱسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ مَرْضَعَهُ ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ »(٣) .

وقالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (العبدُ يصلُ بطاعتِهِ إلى الجنَّةِ ، وبأدبِهِ في طاعتِهِ إلى اللهِ تعالىٰ)(٤) .

قالَ أبو القاسمِ القُشَيريُّ رحمَةُ اللهُ عليهِ : (كانَ الأستاذُ أبو عليٍّ لا

---

(١) سنن الترمذي (١٩٥١) ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٩١) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٥٢) ، وأحمد (٤/ ٧٧) ، والحاكم (٤/ ٢٦٣) عن سيدنا عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنه ، والنُّحْل : العطيَّة .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٣٠٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٣) ، وضبط (يُحسِّن) في (ج) : (يُحسِن) ، وقولُهُ : (ويُحسِّنَ مَرْضَعَهُ) ؛ أي : لا يعطيه لمرضعةٍ سيِّئةِ الأخلاق ، دنيئة الطباع . من هامش (ح) ، وذلك حتىٰ يطيب مغذاه ويحسن خلقه . انظر « نتائج الأفكار » (٤/ ١٥) .

(٤) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٩٤) .

يستندُ إلىٰ شيءٍ ، وكانَ يوماً في مَجْمَعٍ ، فأردتُ أنْ أَضعَ لهُ وِسادةً خلفَ ظهرِهِ ؛ لأنِّي رأيتُهُ غيرَ مُستنِدٍ ، فتنحَّىٰ عنِ الوِسادةِ قليلاً ، فتوهَّمتُ أنَّهُ توقَّى الوِسادةَ لأنَّهُ لم يكنْ عليها خِرْقةٌ أو سَجَّادةٌ ، فقالَ : لا أُرِيدُ الاستنادَ ، فتأمَّلتُ بعدَ ذلكَ ، فعَلِمْتُ أنَّهُ لا يستندُ إلىٰ شيءٍ أبداً)[١] .

وقالَ الجَلاجِليُّ البَصْريُّ[٢] : (التوحيدُ يُوجِبُ الإيمانَ ؛ فمَنْ لا إيمانَ لهُ لا توحيدَ لهُ ، والإيمانُ يُوجِبُ الشريعةَ[٣] ؛ فمَنْ لا شريعةَ لهُ لا إيمانَ لهُ ولا توحيدَ لهُ ، والشريعةُ تُوجِبُ الأدبَ ؛ فمَنْ لا أدبَ لهُ لا شريعةَ لهُ ولا إيمانَ لهُ ولا توحيدَ لهُ)[٤] .

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٥٩٤) .

(٢) هو الإمام المُحدِّث المُقرئ أبو السري موسى بن الحسن بن عبادٍ النسائي البغدادي ، والجَلاجلي : نسبة إلى (الجَلاجل) ، وهي جمع (جُلْجُل) ؛ وهو شيء يُصوِّت به ، ولُقِّب بذلك ؛ لطِيبِ صوتِهِ وحُسْنه ، وانظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (١/ ٣١٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٣٧٨) .

(٣) أي : امتثالَ الأوامر واجتناب النواهي . من هامش (ح) .

(٤) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٦) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٥٩٤) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) ، والمراد من هٰذه المعاني : كمالها ، ولا شكَّ أنَّ الكمال علىٰ هٰذا الترتيب . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (التوحيد : هو المكتوب في القلوب ، وهو المُوجِبُ للتصديق للجنان ، بما جاء به الرسول والقرآن ؛ فمن لم يكن له التصديقُ بالجنان . . عُلِمَ [أنَّ] الله سبحانه لم يكتب في قلبه أصلَ التوحيد في سابقة الزمان ، وذلك التصديق يُوجِبُ الإذعان للأحكام الشرعية التي [هي] مبنى الإسلام ؛ فمن لم يُذْعِنْ لأحكام الإسلام . . عُلِمَ أنْ ليس له تصديقٌ ولا توحيد ، [وكذلك] الشريعة توجب الآداب ؛ فمن لا أدب له عُلِمَ أنَّهُ خالٍ من الشريعة والتصديق والتوحيد ؛ ومثل الأدب بالنسبة إلى الشريعة والتصديق والتوحيد . . مثلُ الثمر بالنسبة إلىٰ أغصان الشجر وأصلِهِ وعِرْقه ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم : ٢٤] ، فإذا وُجِدَ الثمر دلَّ علىٰ=

وقالَ بعضُهُمْ : (الزَمِ الأدبَ ظاهراً وباطناً ، فما أساءَ أحدٌ الأدبَ في ظاهرٍ إلا عُوقِبَ ظاهراً ، وما أساءَ أحدٌ الأدبَ باطناً إلا عُوقِبَ باطناً)[1] .

وقالَ بعضُهُم ـ وهو غلامُ الزَّقَّاقِ ـ : نظرتُ إلىٰ غلامٍ أمردَ ، فنظرَ إليَّ الزَّقَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ وأنا أنظرُ إليهِ ، فقالَ : لَتَجِدَنَّ غِبَّها ولو بعدَ سنينَ[2] ، قالَ : فوجدتُ غِبَّها بعدَ عشرينَ سنةً ؛ أنْ أُنسِيتُ القرآنَ[3] .

وقالَ السَّرِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : صَلَّيتُ وِرْدي ليلةً مِنَ الليالي ومَدَدْتُ رِجْلي في المِحْرابِ ، فنُودِيتُ : يا سَرِيُّ ؛ كذا تُجالِسُ الملوكَ ؟! فضَمَمْتُ رِجْلي ، ثمَّ قلتُ : وعِزَّتِكَ ؛ لا مَدَدْتُ رِجْلي أبداً ، قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : فبَقِيَ ستِّينَ سنةً ما مدَّ رِجْلَهُ ليلاً ولا نهاراً[4] .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ رحمةُ اللهِ عليهِ : (مَنْ تهاونَ بالأدبِ عُوقِبَ

= حياة وقوة غصن وأصل وعِرْق الشجر ، وعدمُ الثمر دليلٌ علىٰ نقصان الشجر وأصله وعِرْقه) .

(١) فإنَّ الجزاءَ علىٰ وفق العمل . من هامش (ح) ، والقول رواه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات » (ص٨٥) عن عائشة بنت أبي عثمان الحيري رحمهما الله تعالىٰ ، وأورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/ ١٢٥) .

(٢) غِبُّ كلِّ شيء : عاقبتُهُ . من هامش (ح) .

(٣) حكاه أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (٦/ ٣١١) عن أبي الأديان ، وشيخه هو أبو بكر الزقاق الكبير الإمام الصوفي المشهور ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص١٦٢) عن أبي عبد الله بن الجلّا مع أستاذ له ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٨٤) من طريقين أحدهما عن القشيري ، وصرَّح في الطريق الثاني باسم أستاذ ابن الجلّا ؛ وهو أبو عبد الله البلخي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٠) دون قول الجنيد ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/ ٤٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ١٨٠) .

بِحِرْمانِ السُّنَنِ ، ومَنْ تهاونَ بالسُّننِ عُوقِبَ بحِرْمانِ الفرائضِ ، ومَنْ تهاونَ بالفرائضِ عُوقِبَ بحِرْمانِ المعرفةِ)[1] .

وسُئِلَ السَّرِيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ عن مسألةٍ[2] ، فجعلَ يتكلَّمُ فيها ، فدَبَّ علىٰ رِجْلِهِ عقربٌ ، فجعلَ يضربُهُ بإبرتِهِ ، فقيلَ لهُ : أَلَا تدفعُهُ عن نَفْسِكَ ؟ قال : أستحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ أتكلَّمَ في حالٍ ثمَّ أُخالِفَ ما أعلمُ فيهِ[3] .

وقيلَ في أدبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « زُوِيَتْ لِيَ ٱلْأَرْضُ ، فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا »[4] ، ولم يقلْ : فرأيتُ .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (الأدبُ في العملِ علامةُ قَبولِ العملِ) .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٣٠١٧) ، ورواه ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٣٠) عن الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالىٰ ، ولفظ الجملة الأخيرة فيه : (ومَنِ استهان بالفرائض قيَّض الله له مُبتدِعاً يذكرُ عنده باطلاً ، فيُوقِعُ في قلبه شبهةً) .

(٢) أي : مسألةٍ في الصبر . من هامش (ح) ، وصُرِّح بذلك في (ط) ، وسيأتي أيضاً في (٢/ ٤٩٣) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٢٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٤٤٥) ، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٣/ ٩٠) : (فيه : أنَّ العبدَ لا يتكلَّمُ في شيء من علوم المقامات والأحوال الصالحات حتىٰ يكونَ مُتخلِّقاً به ؛ ليَسْلَمَ من الدخول في ذمِّ الله لمَنْ يقول ما لا يفعل ، فيسلم من مقته ، كما قال : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣] ، لكنَّ هٰذا المقتَ إنَّما يكون للمُرائي في كلامه الذي يُوهِمُ الناسَ أنَّهُ مُتخلِّقٌ بما يقول ؛ ليَعظُمَ قدرُهُ عندهم ، وللكذَّاب المُتشبِّع بما لم يَنَلْ ؛ وهو المُدَّعي [المقام] لم يبلغه) .

(٤) رواه مسلم (٢٨٨٩) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذي (٢١٧٦) ، وابن ماجه (٣٩٥٢) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وفي جميعها : (فرأيت) بالمبني للمعلوم ، ونصَّ الغماري في « الغنية » (١/ ٤٩٣) علىٰ أنَّ المبني للمجهول وقع في رواية لأبي داود .

وقالَ ابنُ عطاءٍ رحمةُ اللهِ عليهِ : **الأدبُ** : الوقوفُ معَ المُستحسَناتِ ، قيلَ : ما معناهُ ؟ قالَ : أنْ تُعامِلَ اللهَ سِرّاً وعَلَناً بالأدبِ ، **فإذا كنتَ كذلكَ** كنتَ أديباً وإنْ كنتَ أعجمياً ، **ثمَّ أنشدَ** : [من الطويل]

إِذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحَةٍ وَإِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحِ[1]

وقالَ الجُرَيريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (منذُ عِشرينَ سنةً ما مَدَدْتُ رِجْلي في الخَلْوةِ ؛ فإنَّ حُسْنَ الأدبِ معَ اللهِ أحسنُ وأَوْلىٰ)[2] .

وقالَ أبو عليٍّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (**تركُ الأدبِ** مُوجِبٌ للطَّرْدِ ، **فمَنْ أساءَ الأدبَ على البِساطِ** . . رُدَّ إلى البابِ[3] ، **ومَنْ أساءَ الأدبَ على البابِ** . . رُدَّ إلىٰ سِياسةِ الدوابِّ)[4] ، واللهُ أعلمُ[5] .

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٦) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٤ـ٥٩٥) .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٩٥) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٩٨/٥) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٣) .

(٣) **قوله** : (**البساط**) ؛ أي : بساط المشاهدة والمؤانسة ، وقوله : (**البابِ**) ؛ أي : بابِ المجاهدة والسعي في الخدمة . من هامش (ح) .

(٤) **قوله** : (**رُدَّ إلىٰ سياسة الدواب**) ؛ أي : يُغلَّب عليه البهيميَّة ؛ **فالأدب للمشاهد** : ألا يلتفت إلىٰ ما سواه ، **والأدب للمجاهد** : أن يخالف هواه ، ويتركَ مشتهاه ، ويسعىٰ دائماً في خدمة مولاه . **من هامش** (ح) ، وقولُ أبي علي رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٩٥) عن شيخه الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالىٰ .

(٥) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة في التاسع والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام على الإمام الحافظ جلال الدين) .

الباب الثاني والثلاثون

في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب

كلُّ الآدابِ تُتلقَّىٰ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ والتحيَّةُ مَجْمَعُ الآدابِ ظاهراً وباطناً .

وأخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حُسْنِ أدبِهِ في الحضرةِ بقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] (١) ، وهـٰذهِ غامضةٌ مِنْ غوامضِ الآدابِ اختُصَّ بها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٢) .

---

(١) قوله : ﴿ مَا زَاغَ . . . ﴾ ؛ أي : ما مال بصرُهُ عن رؤية الحقِّ إلىٰ رؤية غيره ؛ بحيثُ يقعُ في عين التفرقة ويغيبُ عن الحقِّ ، فينحجبُ بالخَلْق عن الحقِّ ، وما يجاوزُ نظرُهُ عن حدِّهِ عند رؤية الحقِّ ؛ بحيثُ يقعُ في عين الجمع ويغيبُ في الحقِّ ولا يرى الغيرَ ، فينحجبُ بالحقِّ عن الخَلق ، بل كان في حدِّ الوسط وعينِ جمع الجمع ؛ وهو إثباتُ الحقِّ والخَلْق ، وهو الكمال ؛ فإنَّهُ قيل : كلُّ تفرقةٍ بلا جمعٍ تعطيلٌ ، وكلُّ جمعٍ بلا تفرقةٍ زندقة . من هامش (ج) .

(٢) قوله : (من غوامض الآداب) ؛ أي : وأدبُ هـٰذه الآيةِ ـ وهو تركُ التأسُّفِ على الفائت ـ عامٌّ لأهل القرب ؛ فإنَّهم لم يتأسَّفوا ولم يتحسَّروا علىٰ ما طرحوا وراءَ ظهورهم ، وأسقطوا عن نظرهم وقلبهم ما سوى الله ؛ لأنَّهُ كان قليلاً أو فانياً في نظرهم ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] ، و﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، وخطابُ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ مخصوصٌ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ يعني : كان آدابُ المُقرَّبين في تقرُّبهم إلى الحضرة أن يتركوا ما سواه ويعبروا عنه ، بعدما نظروا إليه وتمكَّن في خاطرهم وعدُّوهُ شيئاً ، وما عبروا عنه وتركوه لم يتأسَّفوا=

أَخْبرَ اللهُ تعالىٰ عنِ اعتدالِ قلبِهِ المُقدَّسِ في الإعراضِ والإقبالِ ؛ أَعْرضَ عمَّا سوى اللهِ ، وتوجَّهَ إلى اللهِ ، وترَكَ وراءَ ظهرِهِ الأَرَضِينَ والدارَ العاجلةَ بحظوظِها ، والسماواتِ والدارَ الآخرةَ بحظوظِها ، فما التفتَ إلىٰ ما أَعْرضَ عنهُ ، ولا لَحِقَهُ الأَسَفُ على الفائتِ في إعراضِهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، فهٰذا الخطابُ للعمومِ .

و﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ إخبارٌ عن حالِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بوصفٍ خاصٍّ مِنْ معنىٰ ما خاطبَ بهِ العمومَ ؛ فكانَ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ حالَهُ في طَرَفِ الإعراضِ ، وفي طَرَفِ الإقبالِ تلقَّىٰ ما وَرَدَ عليهِ في مقام ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ [النجم : ٩] بالرُّوحِ والقلبِ ، ثمَّ فَرَّ مِنَ اللهِ حياءً منهُ وهَيْبَةً وإجلالاً ، وطوىٰ نَفْسَهُ بفِرارِهِ في مَطَاوِي انكسارِهِ وافتقارِهِ ؛ لكيلا تنبسطَ النَّفْسُ فتَطْغىٰ ؛ لأنَّ الطُّغْيانَ عندَ الاستغناءِ وصفُ النَّفْسِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ـ٧] .

والنَّفْسُ عندَ المواهبِ الواردةِ على الرُّوحِ والقلبِ . . تَسترِقُ السَّمْعَ ، ومتىٰ نالتْ قِسْطاً مِنَ المِنَحِ استغنتْ وطَغَتْ ، والطُّغْيانُ يظهرُ منهُ فَرْطُ البَسْطِ ، والإفراطُ في البَسْطِ يَسُدُّ بابَ المَزيدِ ، وطُغْيانُ النَّفْسِ لضيقِ وِعائِها عنِ المواهبِ .

فموسىٰ عليهِ السلامُ صحَّ لهُ في الحضرةِ الإلٰهيَّةِ أحدُ طَرَفَيْ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ ، وما التفتَ إلىٰ ما فاتَهُ مُتأسِّفاً عليهِ ؛ لحُسْنِ أدبِهِ ، ولٰكنِ امتلأَ مِنَ

= عليه ، وكان أدبُ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ ما نظر إليه [وما أحبَّ] شيئاً بغير ما سوى الله تعالىٰ ، حتىٰ لا يحتاج أن يُسقِطَهُ عن نظره . من هامش (ج) .

المِنَحِ ، واسترقَتِ النَّفْسُ السمعَ ، وتطلَّعتْ إلى القِسْطِ والحَظِّ[1] ، فلمَّا حَظِيَتِ النَّفْسُ استغنتْ ، وطَفَحَ عليها ما وَصَلَ إليها ، وضاقَ نِطاقُها ، فتجاوزَ الحدَّ مِنْ فرطِ البَسْطِ ، وقالَ : ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، فمُنِعَ ولم يُطلَقْ في فَضاءِ المَزِيدِ ، وظهرَ الفرقُ بينَ الحبيبِ والكليمِ صَلَواتُ اللهِ عليهما .

وهٰذهِ دقيقةٌ لأربابِ القُرْبِ والأحوالِ السَّنِيَّةِ ، فكلُّ قبضٍ يُوجَدُ عقوبةٌ ؛ لأنَّ كلَّ قبضٍ سَدٌّ في وجهِ بابِ الفُتُوحِ .

والعقوبةُ بالقبضِ وجبتْ للإفراطِ في البَسْطِ ، ولو حَصَلَ الاعتدالُ في البَسْط ما وجبتِ العقوبةُ بالقبضِ ، والاعتدالُ في البَسْطِ بإيقافِ النازلِ مِنَ المِنَحِ على الرُّوحِ والقلبِ ، والإيقافُ على الرُّوحِ والقلبِ بما ذَكَرْناهُ مِنْ حالِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ تغييبِ النَّفْسِ في مَطاوِي الانكسارِ ، فذلكَ الفِرارُ مِنَ اللهِ إلى اللهِ ، وهوَ غايةُ الأدبِ ، حَظِيَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] ، فما قُوبِلَ بالقبضِ ، فدامَ مَزِيدُهُ ، وكانَ قابَ قوسَينِ أو أَدْنىٰ .

ويُشاكِلُ الشرحَ الذي شَرَحْناهُ قولُ أبي العبَّاسِ ابنِ عطاءٍ رحمةُ اللهِ عليهِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ؛ قالَ : (لم يَرَهُ بطُغْيانٍ يميلُ[3] ،

---

(١) أي : حظِّ الروح من الرؤية والمعاينة . من هامش (ح) ، وفي (أ ، ز) : (إلى البسط) بدل (إلى القسط) .

(٢) رجلٌ حَظِيٌّ : إذا كان ذا حُظْوة ومنزلة ، وقد حَظِيَ عند الأمير واحتظىٰ به بمعنىً . من هامش (ح) .

(٣) أي : إلىٰ ما يلزم فيه سوءُ أدب . من هامش (ح) .

بل رآهُ علىٰ شرطِ اعتدالِ القُوىٰ)[١] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (لم يَرجِعْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ شاهدِ نفسِهِ ، ولا إلىٰ مُشاهَدتِها ، وإنَّما كانَ مُشاهِداً بكُلِّيَّتِهِ لربِّهِ ، يُشاهِدُ ما يظهرُ عليهِ مِنَ الصفاتِ التي أَوْجبتْ لهُ الثبوتَ في ذلكَ المحلِّ)[٢] .

وهـٰذا الكلامُ لمَنِ اعتبرَهُ مُوافِقٌ لِمَا شَرَحْناهُ برمزٍ في ذلكَ مِنْ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ رحمةُ اللهِ عليهِ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ أيضاً :

(١٠٣) ـ ما أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ العالِمُ عصامُ الدِّينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ الصَّفَّارُ النَّيسابُوريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ خَلَفٍ الشِّيرازيُّ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ السَّرَّاجَ قالَ : أخبرَني أبو الطيِّبِ العَكِّيُّ ، عن أبي محمَّدٍ الجُرَيريِّ قالَ : (التبرُّعُ إلى استدراكِ عِلْمِ الانقطاعِ وسيلةٌ[٣] ، والوقوفُ علىٰ حدِّ الانحسارِ نجاةٌ ، واللِّياذُ بالهَرَبِ مِنْ عِلْمِ الدُّنُوِّ وُصْلةٌ ،

---

(١) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٨٦) .

(٢) أو صُرِفَ كلٌّ إلىٰ ما هُيِّئ وقُدِّر له ؛ فالعينُ للمشاهدة ، والسمعُ لاستماع ما يخاطب ، والنفسُ للخدمة ، والقلبُ للمحبَّة والمعرفة ، والرُّوحُ للمعاينة ، والسِّرُّ للاستغراق . من هامش (ح) ، وقول التستري أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٨٦) .

(٣) أي : وسيلةٌ إلى الخشية . من هامش (ح) ، وفي « طبقات الصوفية » : (التسرع) بدل (التبرع) ، وفي (د) : (التبرك) ، وفي نسخة علىٰ هامشها كالمثبت .

واستفتاحُ فَقْدِ تركِ الجوابِ ذخيرةٌ ، والاعتصامُ مِنْ قَبولِ دواعي استماعِ الخِطابِ تَكَلُّفٌ[1] ، وخوفُ فَوْتِ علمِ ما انطوىٰ مِنْ فصاحةِ الفهمِ في حينِ الإقبالِ مَسَاءةٌ ، والإصغاءُ إلىٰ تَلَقِّي ما ينفصلُ عن مَعْدِنِهِ بُعْدٌ ، والاستسلامُ عندَ التلاقي جَرَاءةٌ ، والانبساطُ في مَحَلِّ الأُنْسِ غِرَّةٌ)[2] .

وهٰذهِ الكلماتُ كلُّها مِنْ آدابِ الحضرةِ لأربابِها .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ وجهٌ آخرُ ألطفُ ممَّا سَبَقَ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ حيثُ لم يتخلَّفْ عنِ البصيرةِ ولم يتقاصَرْ ، ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ لم يسبقِ البصيرةَ البصرُ فيتجاوزَ حدَّهُ ويتعدَّىٰ مَقامَهُ[3] ، بلِ استقامَ البصرُ معَ البصيرةِ ، والظاهرُ معَ الباطنِ ، والقلبُ معَ القالَبِ ، والنظرُ معَ القَدَمِ ؛ ففي تقدُّمِ النظرِ على القَدَمِ طُغْيانٌ ، والمعنيُّ بالنظرِ عِلْمٌ ، وبالقَدَمِ حالٌ ، فلم يتقدَّمِ النظرُ على القَدَمِ فيكونَ طُغْياناً ، ولم يتخلَّفِ القَدَمُ عنِ النظرِ فيكونَ تقصيراً .

فلمَّا اعتدلتِ الأحوالُ صارَ قلبُهُ كقالَبِهِ ، وقالَبُهُ كقلبِهِ ، وظاهرُهُ كباطنِهِ ، وباطنُهُ كظاهرِهِ ، وبصرُهُ كبصيرتِهِ ، وبصيرتُهُ كبصرِهِ ، فحيثُ انتهىٰ نظرُهُ وعلمُهُ قارنَهُ قَدَمُهُ وحالُهُ .

ولهٰذا المعنى انعكسَ حكمُ معناهُ ، ونورُهُ علىٰ ظاهرِهِ ، وأُتِيَ ببُراقٍ ينتهي خَطْوُهُ حيثُ ينتهي نظرُهُ ، لا يتخلَّفُ قدمُ البُراقِ عن موضعِ نظرِهِ ، كما

---

(١) في « طبقات الصوفية » : (تلطف) .

(٢) طبقات الصوفية (ص ٢٦٠ـ٢٦١) .

(٣) ضُبط (البصيرة) و(البصر) في (أ) بالرفع والنصب معاً .

جاءَ في حديثِ المعراجِ[1] ، فكانَ البُراقُ لقالَبِهِ مُشاكِلاً لمعناهُ ، ومُتَّصِفاً بصفتِهِ ؛ لقوَّةِ حالِهِ ومعناهُ .

وأشارَ في حديثِ المعراجِ إلىٰ مقاماتِ الأنبياءِ ، ورأىٰ في كلِّ سماءٍ بعضَ الأنبياءِ ؛ إشارةً إلىٰ تعويقِهِم وتخلُّفِهِم عن شَأْوِهِ ودرجتِهِ[2] ، ورأىٰ موسىٰ عليهِما السلامُ في بعضِ السماواتِ .

فمَنْ هوَ في بعضِ السماواتِ يكونُ قولُهُ : ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ تجاوزَ النظرُ عن حدِّ القَدَمِ ، وتخلَّفَ القَدَمُ عنِ النظرِ ، وهـٰذا هوَ الإخلالُ بأحدِ الوصفَينِ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ﴾ .

فرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حُمِلَ مُقترِناً قَدَمُهُ ونظرُهُ في حِجَالِ الحياءِ والتواضعِ[3] ، ناظراً إلىٰ قَدَمِهِ ، قادماً علىٰ نظرِهِ ، ولو خَرَجَ عن حِجَالِ الحياءِ والتواضعِ ، وتَطَاوَلَ بالنظرِ مُتعدِّياً حدَّ القَدَمِ . . تَعَوَّقَ في بعضِ السماواتِ كتعوُّقِ غيرِهِ مِنَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ .

فلم يَزَلْ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُستحلِسَ حِجالِهِ ، في خَفَارةِ أدبِ حالِهِ[4] . . حتىٰ خَرَقَ حُجُبَ السماواتِ ، فانصبَّتْ إليهِ أقسامُ القُرْبِ

---

(١) حديث الإسراء والمعراج رواه البخاري (٣٨٨٧) ، ومسلم (١٦٤) عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٤٩٨) .

(٢) الشَّأْو : الغاية والسبق . من هامش (ح) .

(٣) الحِجَال في الأصل : جمع (حَجَلَة) العروس ؛ وهو بيتٌ يُزيَّن بالثياب والأَسِرَّة والسُّتُور .

(٤) يقال : استَحْلَسَ النباتُ : إذا غطَّى الأرضَ بكثرته وطوله ، والخَفَارة : الحياء والوَقار ، وقال في « شرح المشكلات » (ق/ ٥٠) : (قوله : « مستحلس حجاله » ؛ أي : مستقر مقيم ، مأخوذ من الحِلْس ؛ وهو عبارة عن الاستقرار والإقامة ؛ يُقال : هو =

انصباباً ، وانقشعتْ عنهُ سحائبُ الحُجُبِ حجاباً حجاباً ، حتى استقامَ على صراطِ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ، فمرَّ كالبرقِ الخاطفِ ، إلى مُخْدَعِ الوصلِ واللطائفِ[1] ، وهـٰذا غايةٌ في الأدبِ ، ونهايةٌ في الأَرَبِ[2] .

قالَ أبو محمَّدٍ رُوَيمٌ رحمةُ اللهِ عليهِ حينَ سُئِلَ عن أدبِ المسافرِ ، فقالَ : لا يُجاوِزُ همُّهُ قدمَهُ ، وحيثُ وقفَ قلبُهُ يكونُ مَقَرُّهُ[3] .

(١٠٤) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : حدَّثَنا القاضي أبو محمَّدٍ يحيى بنُ منصورٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ رِزَامٍ الأُبُلِّيُّ ، قالَ : حدَّثَنا [أحمدُ] بنُ عطاءٍ الهُجَيْميُّ[4] ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ نُصَيرٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ

= حِلْس بيته ؛ أي : مقيم بيته ؛ لأنَّ الحِلْس قلَّما يرتفع) .

(١) المُخْدع في الأصل : بيت صغير يُحرز فيه الشيء .

(٢) قال الشيخ نجم الدين الكُبْرىٰ : ولا يُظَنُّ من هـٰذا قِصَرُ حال الصوفي ؛ فإنَّهُ قَدَمانِ ؛ قدم في النهاية ، وقدم في اللانهاية . « حاشية زين الدين » . من هامش (ح) ، والكُبْرىٰ : على وزن (فُعْلىٰ) كما ضبطه السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢٥) ، وضبطه الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٧/ ١٧٢) : (الكُبْرِي) بضم الكاف وسكون الباء الموحدة وكسر الراء .

(٣) وهـٰذا يتناول السفر الظاهر والباطن . من هامش (ح) ، وقولُ رُويم رواه أبو نصر السرَّاج في « لمعه » (ص٢٥٠) ، والسلمي في « طبقاته » (ص١٨١) ، والقشيري في « رسالته » (ص٦٠٤) .

(٤) في النسخ : (محمد) بدل (أحمد) ، والمثبت من « نوادر الأصول » (٦٣٤) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤٠٨) .

رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : تلا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هٰذهِ الآيةَ : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، قالَ : « قَالَ : يَا مُوسَىٰ ؛ إِنَّهُ لَا يَرَانِي حَيٌّ إِلَّا مَاتَ ، وَلَا يَابِسٌ إِلَّا تَدَهْدَهَ ، وَلَا رَطْبٌ إِلَّا تَفَرَّقَ ، إِنَّمَا يَرَانِي أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّذِينَ لَا تَمُوتُ أَعْيُنُهُمْ ، وَلَا تَبْلَىٰ أَجْسَادُهُمْ »(١) .

ومِنْ آدابِ الحضرةِ : ما قالَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ : (الانبساطُ بالقولِ معَ الحقِّ تركُ الأدبِ)(٢) .

وهٰذا يختصُّ ببعضِ الأحوالِ والأشياءِ دونَ البعضِ ، ليسَ هوَ على الإطلاقِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَ بالدعاءِ ، وإنَّما الإمساكُ عنِ القولِ كما أَمْسكَ موسىٰ عليهِ السلامُ عنِ الانبساطِ في طَلَبِ المآربِ والحاجاتِ الدنيويَّةِ ، حتىٰ رفعَهُ الحقُّ مقاماً في القُرْبِ ، وأَذِنَ لهُ في الانبساطِ وقالَ : اطلُبْ منِّي ولو مِلْحاً لعجينِكَ ، فلمَّا بُسِطَ انبسطَ وقالَ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] ؛ لأنَّهُ كانَ يسألُ حوائجَ الآخرةِ ، ويستعظمُ الحضرةَ أنْ يسألَ حوائجَ الدنيا لحقارتِها ، وهوَ في حجابِ الحِشْمةِ عن سؤالِ المُحقَّراتِ .

---

(١) طبقات الصوفية (ص٢١٧ـ٢١٨) ، نوادر الأصول (٦٣٤) ، ورواه من طريق السلمي أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٥) ، وفي نسخة علىٰ هامش (أ) : (أجسامهم) بدل (أجسادهم) ، وهي رواية « النوادر » ، وابن رِزَام مُتَّهم بالوضع ، ويُقال : دَهْدَهَ الحجر : إذا دحرجه ، والشيءَ : إذا قلب بعضه علىٰ بعض .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٧) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ٦١) ، وزاد : (وتركُ الأدب يُوجِبُ الطرد ، ومن لم يُراعِ أسرارَهُ مع الحقِّ . . لا يُكاشَف عن عين الحقيقة بذرَّة) .

ولهٰذا مثالٌ في الشاهدِ : فإنَّ المَلِكَ المُعظَّمَ يُسألُ المُعظَّماتِ ، ويُحتشَمُ في طلبِ المُحقَّراتِ .

فلمَّا رُفِعَ بساطُ الحِشْمةِ صارَ في مقامٍ خاصٍّ مِنَ القُرْبِ ؛ يسألُ الحقيرَ كما يسألُ الخطيرَ .

قالَ ذو النُّونِ المِصْريُّ رحمَهُ اللهُ : (أدبُ العارفِ فوقَ كلِّ أدبٍ ؛ لأنَّ معروفَهُ مُؤدِّبُ قلبِهِ)[1] .

وقالَ بعضُهُم : (يقولُ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ : « مَنْ ألزمتُهُ القيامَ معَ أسمائي وصفاتي . . ألزمتُهُ الأدَبَ ، ومَنْ كشفتُ لهُ عن حقيقةِ ذاتي . . ألزمتُهُ العَطَبَ » ، فاختَرْ أيَّهُما شئتَ : الأدبَ أوِ العَطَبَ)[2] .

وقولُ القائلِ هٰذا يُشِيرُ : إلىٰ أنَّ الأسماءَ والصفاتِ تستقلُّ بوجودٍ مُحتاجٍ إلى الأدبِ[3] ؛ لبقاءِ رسومِ البشريَّةِ وحظوظِ النفسِ ، ومعَ لَمَعَانِ نورِ عَظَمةِ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٨) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٨) ، والعَطَبُ : الهلاك .

(٣) يحتملُ أن يُراد بقوله : (تستقل) ؛ أي : تتحمل ؛ من قولهم : استقلَّ بالحمل : إذا تحمَّل ورفع ، والباءُ للتعدية ، فيكونُ حملُ الأسماء والصفات الوجودَ المحتاجَ إلى الأدب ، حُمِلَ من أرض الطبيعة البشرية ، ورُفِعَ بالتربية وتعليمِ الآداب إلىٰ أن يصير أهلاً للتجلِّيات الذاتيَّة ؛ فإنَّ الوجود إذا لم يتنوَّر بالأنوار ولم يتأدَّب بالآداب . . لم يستحقَّ بالقرب ؛ إذ كلٌّ من رسوم البشريَّة وصفات الطبيعة وحظوظِ النفس تُبعِّده ؛ فحملُ الأسماء والصفات إيَّاه يكونُ بهٰذا المعنىٰ .

ويحتمل أن يُرادَ باستقلال الأسماء والصفات : استقلالُها واستبدادها بتربية الوجود ؛ أي : من غير تجلِّي الذات ؛ فإنَّ تجلِّيَ الذات يُذِيب الوجود ويُفنيه ، وتجلِّيَ الصفات=

الذاتِ تتلاشى الآثارُ بالأنوارِ ، ويكونُ معنى العَطَبِ التحقُّقَ بالفَناءِ ، وفي ذلكَ العَطَبِ نهايةُ الأَرَبِ[1] .

وقالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ قالَ : لم يَقُلِ : (ارحَمْني) ؛ لأنَّهُ حَفِظَ أدبَ الخطابِ ، وقالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ولم يَقُلْ : (لم أَقُلْ) ؛ رعايةً لأدبِ الحَضْرةِ[2] .

وقالَ أبو نصرٍ السَّرَّاجُ : (أدبُ أهلِ الخُصُوصيَّةِ مِنْ أهلِ الدِّينِ : في طهارةِ القلوبِ[3] ، ومُراعاةِ الأسرارِ ، والوفاءِ بالعُهُودِ ، وحِفْظِ الوقتِ ، وقِلَّةِ الالتفاتِ إلى الخواطرِ والعوارضِ والبوادي والعوائقِ ، واستواءِ السِّرِّ والعلانيَةِ[4] ، وحُسْنِ الأدبِ في مواقفِ الطَّلَبِ ومقاماتِ القُرْبِ وأوقاتِ الحُضُورِ)[5] .

= يُربِّيه ويُبقيه ، إلىٰ أن يصير أهلاً للفناء ، مُستعِدّاً للوصل واللقاء . « حاشية زين الدين » . من هامش (ح) .

(١) في بعض النسخ : (الأدب) بالدال .

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص٥٩٩) .

(٣) عن الأوصاف المذمومة ؛ كالغِلِّ والغِشِّ ، والحِقْد والحسد ، والكِبْر والعُجْب ، وغيرها . من هامش (ح) .

(٤) وهٰذا أمرٌ صعب على المختلط بأرباب العادات والرُّسُوم ، المُراعي خواطرَهُم ، لٰكن إذا غلب على الباطن ذوقُ المشاهدة . . يَفِرُّ بقلبه إلى الحضرة سائلاً مُتضرِّعاً أن يحفظ عليه وقتَهُ في أوان الاختلاط كما كان في العزلة ، ولا بدَّ من تحمُّل التشنيع والإنكار لطالب الاستمرار ، واستواء الإعلان والإسرار . من هامش (ح) .

(٥) اللمع (ص١٩٦) ، وينبغي أن يعلم المُتفطِّنُ أوقاتَ الطلب ، فليس كلُّ وقتٍ يصلُحُ للطلب ؛ فإنَّهُ إذا لَمَعَ بارقٌ من نور الجمال ، وسَرَتْ نسمةٌ من مَهَبِّ الوصال . . يستديم=

والأدبُ أَدَبانِ : أدبُ قولٍ ، وأدبُ فعلٍ ؛ فمَنْ تقرَّبَ إلى اللهِ بأدبِ فعلِهِ . . منحَهُ مَحَبَّةَ القلوبِ .

قالَ ابنُ المباركِ : (نحنُ إلىٰ قليلٍ مِنَ الأدبِ أَحْوجُ منَّا إلىٰ كثيرٍ مِنَ العلمِ)(١) .

وقالَ أيضاً : (الأدبُ للعارفِ بمنزلةِ التوبةِ للمُستأنِفِ)(٢) .

وقالَ النُّوريُّ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ لم يتأدَّبْ للوقتِ فوقتُهُ مَقْتٌ)(٣) .

وقالَ ذو النُّونِ رحمَهُ اللهُ : (إذا خَرَجَ المُرِيدُ عن حدِّ استعمالِ الأدبِ . .

= (. . .) بترك الدعاء والسؤال ، ويسعىٰ بسرِّه في التلاشي والاضمحلال ، وإذا حان أوان ظهور الوجود ، وتزاعمت الدواعي والقصود . . فلا يطلب إلا ما ثبت علىٰ قوانين أهل المحبَّة ؛ من استقامة قلبه وسرِّه ، وعدمِ تسليط نفسه ، ودوامِ حمايته وحفظه . من هامش (ح) .

(١) فإن القليلَ من الأدب نافعٌ ، والكثيرَ من العلم الغير المشفوع بالعمل غيرُ نافع . من هامش (ح) ، وقول ابن المبارك أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٦) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٤٥) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٦) ، ورواه السلمي في « الطبقات » (ص٢٢٥) ، وعزاه إلىٰ أبي بكر الورَّاق رحمه الله تعالىٰ ، والمُستأنِف ؛ أي : المبتدئ ، **فكما أنَّ المبتدئَ لا يترقَّىٰ إلى المقامات إلا بمراعاة التوبة** . . لا يترقَّى العارفُ في مراتب المعارف إلا بمراعاة الأدب ، **وكما أنَّ المبتدئ إذا وقعت له فترةٌ لا يستدركها بالدفع إلا بتجديد التوبة** . . ينبغي للعارف إذا وقعتْ له حَجْبَةٌ [أن] يبالغ في مراعاة الأدب ، ويستغفرَ من التقصير في مراعاته للوقت بمراعاة حقِّ الوقت . من هامش (ح) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٩) .

فإنَّهُ يرجعُ مِنْ حيثُ جاءَ)[1] .

وقالَ ابنُ المباركِ أيضاً : (قد أكثرَ الناسُ في الأدبِ ، ونحنُ نقولُ : معرفةُ النَّفْسِ)[2] .

وهـٰذهِ إشارةٌ منهُ : إلىٰ أنَّ النَّفْسَ هيَ منبعُ الجَهالاتِ ، وتركَ الأدبِ مِنْ مُخامَرةِ الجهلِ ، فإذا عَرَفَ النَّفْسَ صادفَ نورَ العِرْفانِ ؛ علىٰ ما وَرَدَ : (مَنْ عَرَفَ نفسَهُ فقد عَرَفَ ربَّهُ)[3] ، ولهـٰذا النورِ لا تظهرُ النَّفْسُ بجهالةٍ إلا ويقمعُها بصريحِ العِلْمِ ، وحينئذٍ يتأدَّبُ ، ومَنْ قامَ بآدابِ الحَضْرةِ فهوَ بغيرِها أَقْوَمُ ، وعليها أَقْدرُ ، واللهُ أعلمُ[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٩٩) ، وقولُهُ : (يرجع . . .) ؛ أي : يرجعُ إلى الطبيعة البشريَّة ، وتستولي عليه النفس الأمَّارة ، بل يزدادُ تسليطُها ، وربَّما انجرَّ الأمرُ إلى الارتداد والعياذُ بالله ، وشؤمُ الخروج عن حدِّ استعمال الأدب أكثرُ من أن يُحرَّر في حاشية الكتاب ، ربِّ سَلِّم . من هامش (ح) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٧) .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ٢٣٧) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة في الموفي ثلاثين على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الثالث والثلاثون

في آداب الطهارة ومقدماتها

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ في وصفِ أصحابِ الصُّفَّةِ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

قيلَ في التفسيرِ : يُحِبُّونَ أنْ يتطهَّروا مِنَ الأحداثِ والجَنَاباتِ والنجاساتِ بالماءِ(١) .

قالَ الكَلْبيُّ : (هوَ غَسْلُ الأدبارِ بالماءِ)(٢) .

وقالَ عطاءٌ : (كانوا يستنجُونَ بالماءِ ، ولا ينامُونَ بالليلِ على الجنابةِ)(٣) .

رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لأهلِ قُباءٍ لمَّا نزلتْ هٰذهِ الآيةُ : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلطُّهُورِ ، فَمَا هُوَ ؟ » ، قالوا : إنَّا نستنجي بالماءِ(٤) .

---

(١) انظر « الكشف والبيان » (١٤/ ٦٠) ، و« تفسير البغوي » (٤/ ٩٦) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٤/ ٦٠) .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان »(١٤/ ٦٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٤/ ٩٦) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٥٥) ، والحاكم (٢/ ٣٣٤) عن السادة أبي أيوب وجابر وأنس رضي الله عنهم ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٠٤ـ ٥٠٥) .

وكانَ قبلَ ذلكَ قالَ لهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ ٱلْخَلَاءَ فَلْيَسْتَنْجِ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ »[1] ، وهكذا كانَ الاستنجاءُ في الابتداءِ حتىٰ نزلتِ الآيةُ في أهلِ قُباءٍ .

قيلَ لسَلْمانَ رضيَ اللهُ عنهُ : قد علَّمَكُم نبيُّكُم كلَّ شيءٍ حتى الخِرَاءةَ ؟! فقالَ سَلْمانُ : أَجَلْ ، نهانا أنْ نستقبلَ القبلةَ بغائطٍ أو بولٍ ، أو أنْ نستنجيَ باليمينِ ، أو يستنجيَ أحدُنا بأقلَّ مِنْ ثلاثةِ أحجارٍ ، أو يستنجيَ برَجِيعٍ أو عَظْمٍ[2] .

(١٠٥) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ الحَرِيميُّ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ الخطيبُ ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ الهاشميُّ[4] ، قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ اللُّؤْلُؤيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو داودَ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ المُبارَكِ ، عنِ ابنِ عَجْلانَ ، عنِ القَعْقاعِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا

---

(١) ليس هٰذا الخطاب خاصّاً بأهل قباء ، بل كان عامّاً كما سيأتي من حديث سلمان وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٠٥) .

(٢) سبق تخريجه في (١/٣٣٢) ، والرَّجيع : الروث .

(٣) الحَرِيمي : نسبة إلى (الحَريم) الطاهريّ ؛ وهي محلَّة غربيَّ بغداد ، وأبو منصور الحَريمي : هو الإمام الثقة عبد الرحمٰن بن أبي غالب محمد بن عبد الواحد البغدادي القزَّاز المقرئ راوي « تاريخ بغداد » (ت ٥٣٥ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٦٩) .

(٤) هو الإمام المُعمَّر القاضي الفقيه مسند العراق القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي العباسي البصري (ت ٤١٤هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٢٥) .

أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ ٱلْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ[١] ؛ فَإِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ ٱلْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ ٱلْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا ، وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ » ، وكانَ يأمرُ بثلاثةِ أحجارٍ ، وينهىٰ عنِ الرَّوثِ والرِّمَّةِ[٢] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : الفرضُ في الاستنجاءِ شيئانِ : إزالةُ الخَبَثِ ، وطهارةُ المُزيلِ ؛ وهوَ ألَّا يكونَ رَجيعاً ؛ وهوَ الرَّوْثُ ، ولا مُستعمَلاً مرَّةً أخرىٰ ، ولا رِمَّةً ؛ وهيَ عظمُ الميتةِ .

ووِتْرُ الاستنجاءِ سنَّةٌ ؛ إمَّا ثلاثةُ أحجارٍ ، أو خمسةٌ ، أو سبعةٌ ، واستعمالُ الماءِ بعدَ استعمالِ الحجرِ سنَّةٌ .

وقد قيلَ في الآيةِ : ﴿ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، قالوا : لمَّا سُئِلوا عن ذلكَ قالوا : كُنَّا نُتبِعُ الماءَ الحجرَ[٣] .

والاستنجاءُ بالشِّمالِ سُنَّةٌ ، ومسحُ اليدِ بالتُّرابِ بعدَ الاستنجاءِ سُنَّةٌ ، وهـٰذا يكونُ في الصحراءِ إذا كانتْ أرضاً طاهرةً وتُراباً طاهراً .

وكيفيةُ الاستنجاءِ : أنْ يأخذَ الحَجَرَ بيسارِهِ ويضعَهُ علىٰ مُقدَّمِ المخرجِ قبلَ مُلاقاةِ النجاسةِ ، ويَمُدَّهُ بالمسحِ[٤] ، ويُدِيرَ الحجرَ في مَدِّهِ حتىٰ لا ينقلَ النجاسةَ مِنْ موضعٍ إلىٰ موضعٍ[٥] ، يفعلُ ذلكَ إلىٰ أنْ ينتهيَ إلىٰ مُؤخَّرِ

---

(١) أي : كلَّ شيء تحتاجون إليه . من هامش (ح) .

(٢) سنن أبي داود (٨) ، ورواه النسائي (١/ ٣٨) ، وأحمد (٢/ ٢٥٠) ، وابن حبان (١٤٣١) ، والرِّمَّة : واحدة (الرِّمَم) و(الرِّمَام) ؛ وهي العظام البالية ، وسيأتي شرحها أيضاً بعد قليل .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٥) ، وانظر (٢/ ١٢٥) .

(٤) في بعض النسخ : (ويُمره) بدل (ويمده) .

(٥) في بعض النسخ : (في مرِّه) بدل (في مده) .

المخرجِ ، ويأخذَ الثانيَ ويضعَهُ على المُؤخَّر كذلكَ ، ويمسحَ إلى المُقدَّمِ ، ويأخذَ الثالثَ ويُدِيرَهُ حولَ المَسْرُبَةِ[١] .

وإنِ استجمرَ بحجرٍ ذي ثلاثِ شُعَبٍ . . جازَ .

وأمَّا الاستبراءُ إذا انقطعَ البولُ . . يَمُدُّ ذكرَهُ مِنْ أصلِهِ ثلاثاً إلى الحَشَفَةِ بالرِّفْقِ ؛ لئلا تندفقَ بقيَّةُ البولِ ، ثمَّ يَنتُرُهُ ثلاثاً[٢] .

ويحتاطُ في الاستبراءِ بالاستنقاءِ ؛ وهوَ أنْ يَتَنَحْنَحَ ثلاثاً ؛ لأنَّ العُرُوقَ مُمتدَّةٌ مِنَ الحَلْقِ إلى الذَّكَرِ ، وبالتَّنَحْنُحِ تتحرَّكُ وتقذفُ ما في مَجْرى البولِ ، فإنْ مشىٰ خَطَواتٍ وزادَ في التَّنَحْنُحِ . . فلا بأسَ ، ولٰكن يُراعي حدَّ العلمِ ، ولا يجعلُ للشيطانِ عليهِ سبيلاً بالوسوسةِ وتضييعِ الوقتِ .

ثمَّ يمسحُ الذَّكَرَ ثلاثَ مَسَحَاتٍ أو أكثرَ إلىٰ ألَّا يرى الرُّطُوبةَ ، وشبَّهَ بعضُهُمُ الذَّكَرَ بالضَّرْعِ ، وقالَ : (لا يزالُ تظهرُ منهُ الرُّطُوبةُ ما دامَ يُمَدُّ) ، فيُراعِي الحدَّ في ذلكَ ، ويُراعِي الوِتْرَ في ذلكَ أيضاً .

والمَسَحَاتُ تكونُ على الأرضِ الطاهرةِ أو حَجَرٍ طاهرٍ ، وإنِ احتاجَ إلىٰ أَخْذِ الحجرِ لصِغَرِهِ . . فليأخذِ الحَجَرَ باليمينِ والذَّكَرَ باليسارِ ، ويمسحْ على الحَجَرِ ، وتكونُ الحركةُ باليسارِ لا باليمينِ ؛ لئلا يكونَ مُستنجِياً باليمينِ .

وإذا أرادَ استعمالَ الماءِ انتقلَ إلىٰ موضعٍ آخَرَ ، ويُقنِعُ الحجرَ ما لم ينتشرِ البولُ على الحَشَفَةِ[٣] .

---

(١) المَسْرُبة : مجرى الغائط .

(٢) النَّتْر : جذبُ الذَّكَر بعنف دون مبالغة .

(٣) في نسخة مضبوطة علىٰ هامش (أ) : (ويَقْنَعُ بالحجر) .

وفي تركِ الاستنقاءِ في الاستبراءِ وعيدٌ وَرَدَ فيما رواهُ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : مَرَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على قبرينِ ، فقالَ : « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا هَـٰذَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ ـ أو لَا يَسْتَنْزِهُ[1] ـ مِنَ ٱلْبَوْلِ ، وَأَمَّا هَـٰذَا فَكَانَ يَمْشِي بِٱلنَّمِيمَةِ » ، ثمَّ دعا بعَسِيبٍ رَطْبٍ فشقَّهُ باثنينِ ، ثمَّ غَرَسَ على هـٰذا واحداً وعلى هـٰذا واحداً ، وقالَ : « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا »[2] ، **والعَسِيبُ** : الجَرِيدُ[3] .

وإذا كانَ في **الصحراءِ يَبعُدُ عنِ العُيُونِ** ؛ روى جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا أرادَ البَرَازَ انطلقَ حتى لا يراهُ أحدٌ[4] .

وروى المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كنتُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في سفرٍ ، فأتى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حاجتَهُ ، فأَبْعَدَ في المَذْهَبِ[5] .

---

(١) وفي مطبوع « الصحيحين » : (لا يستتر) قال النووي في « شرح مسلم » (٣/ ٢٠١) : (**رُوِيَ ثلاث روايات** : « يستتر » ، و« يستنزه » ، و« يستبرئ » ، وهـٰذه الثالثة في « البخاري » وغيره ، **وكلها صحيحة** ، ومعناها : لا يتجنَّبه ويتحرَّز منه ، والله أعلم) ، ونصَّ القسطلاني في « الإرشاد » (١/ ٢٨٧) : أنَّ (يستبرئ) روايةُ الحافظ ابن عساكر .

(٢) رواه البخاري (٢١٦) ، ومسلم (٢٩٢) .

(٣) **الجَرِيد** : عَسِيب النخل إذا جُرِّد من ورقه .

(٤) رواه أبو داود (٢) ، وابن ماجه (٣٣٥) ، **والبَرَاز** : اسم للفضاء الواسع ، كنوا به عن حاجة الإنسان ، ويُروى أيضاً بكسر الباء ، وهو رواية كثير من المُحدِّثين . انظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ٣٧٩) .

(٥) رواه الترمذي (٢٠) ، ومختصراً أبو داود (١) ، والنسائي (١/ ١٨) ، وابن ماجه (٣٣١) .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يتبوَّأُ لحاجتِهِ كما يتبوَّأُ الرجلُ المنزلَ[1] ، وكانَ يستترُ بحائطٍ أو نَشْزٍ مِنَ الأرضِ ، أو كُومٍ مِنَ الحجارةِ[2] .

ويجوزُ أنْ يستترَ الرجلُ براحلتِهِ في الصحراءِ ، أو بذيلِهِ إذا حفظَ الثوبَ مِنَ الرَّشَاشِ .

ويُستحَبُّ أنْ يكونَ البولُ في أرضٍ دَمِثَةٍ[3] ، أو علىٰ ترابٍ مَهيلٍ[4] .

قالَ أبو موسىٰ رضيَ اللهُ عنهُ : كنتُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأرادَ أنْ يبولَ ، فأتىٰ دَمِثاً في أصلِ جدارٍ ، فبالَ ثمَّ قالَ : « **إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَبُولَ . . فَلْيَرْتَدْ لِبَوْلِهِ** »[5] .

وينبغي ألَّا يستقبلَ القِبْلَةَ ولا يستدبرَها ، ولا يستقبلَ الشمسَ ولا القمرَ ، **ولا يُكرَهُ** استقبالُ القِبْلَةِ في البُنْيان ، **والأَوْلى** اجتنابُهُ ؛ لذهابِ بعضِ الفقهاءِ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٠٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن حبان في « المجروحين » (٢/ ٩١) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه ، **ويتبوَّأ لحاجته** ؛ أي : يطلب موضعاً يصلح لها .

(٢) رواه مسلم (٣٤٢) ، وأبو داود (٢٥٤٩) وغيرهما عن سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، بلفظ : (كان أحبَّ ما استتر به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لحاجته . . هدفٌ أو حائشُ نخل) ، **والهدف** : كلُّ مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو نشز من الأرض ، **والنَّشْز** : المرتفع من الأرض ، وفي هامش (ح) : (**الكُوم** : جمع « كُومة » ؛ وهو ما اشتدَّ وغَلُظَ من الحجارة) .

(٣) **الدَّمِثة** : السهلة الليِّنة .

(٤) **المَهِيل** : السائل .

(٥) أي : فليطلبْ مكاناً ليِّناً أو منحدراً . من هامش (ح) ، والحديث رواه أبو داود (٣) ، وأحمد (٤/ ٣٩٦) ، والحاكم (٣/ ٤٦٦) .

إلىٰ كراهيَةِ ذلكَ في البُنْيانِ أيضاً[1] ، ولا يرفعُ ثوبَهُ حتىٰ يدنوَ مِنَ الأرضِ ، ويجتنبُ مَهابَّ الرِّياحِ ؛ احترازاً مِنَ الرَّشَاشِ .

قالَ رجلٌ لبعضِ الصحابةِ مِنَ الأعرابِ وقد خاصمَهُ ؛ قالَ : **لا أَحسَبُكَ تُحسِنُ الخِرَاءَةَ** ، فقالَ : بلىٰ وأبيكَ إنِّي بها لَحاذِقٌ ، قالَ : **فصِفْها لي** ، فقالَ : أَبْعُدُ عنِ البَشَرِ ، وأُعِدُّ المَدَرَ ، وأستقبلُ الشِّيحَ ، وأستدبرُ الرِّيحَ ، وأُقْعِي إِقْعاءَ الظَّبْيِ ، وأُجْفِلُ إِجْفالَ النَّعَامِ[2] .

يعني : **أستقبلُ** أصولَ النباتِ مِنَ الشِّيحِ وغيرِهِ ، **وأستدبرُ الريحَ** ؛ احترازاً مِنَ الرَّشَاشِ ، **والإقعاءُ ها هنا** : أنْ يستوفزَ علىٰ صُدُورِ قَدَمَيهِ ، **والإِجْفالُ** : أنْ يرفعَ عَجُزَهُ .

ويقولُ عندَ الفراغِ مِنَ الاستنجاءِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الرِّياءِ ، وحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ الفواحشِ)[3] .

ويُكرَهُ أنْ يبولَ الرجلُ في المُغتسَلِ ؛ روىٰ عبدُ اللهِ بنُ مُغفَّلٍ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نهىٰ أنْ يبولَ الرجلُ في مُستحَمِّهِ وقالَ : « إِنَّ عَامَّةَ ٱلْوَسْوَاسِ مِنْهُ »[4] .

---

(١) وهو مذهب السادة الحنفية . انظر « حاشية ابن عابدين » (١/ ٥٥٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١١٩٠) ، وابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٧/ ٢٥٤) ، وسيأتي شرح ألفاظه بعده مباشرة .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١١٩٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٤٨٨) .

(٤) رواه أبو داود (٢٧) ، والترمذي (٢١) ، والنسائي (١/ ٣٤) ، وابن ماجه (٣٠٤) .

وقالَ ابنُ المباركِ : (يُوسَّعُ في البولِ في المُستحَمِّ إذا جرىٰ فيهِ الماءُ)[١] .

وإذا كانَ في البُنْيانِ يُقدِّمُ رِجْلَهُ اليسرىٰ لدخولِ الخلاءِ ، ويقولُ قبلَ الدخولِ : (باسمِ اللهِ ، أعوذُ باللهِ مِنَ الخُبُثِ والخبائثِ)[٢] .

(١٠٦) ـ **حدَّثَنا** شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو منصورٍ المُقرئُ[٣] ، قالَ : **أخبرَنا** أبو بكرٍ الخطيبُ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو عمرَ الهاشميُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو عليٍّ اللُّؤْلُؤيُّ ، قالَ : **أخبرَنا** أبو داودَ ، قالَ : **حدَّثَنا** عمرٌو ـ هوَ ابنُ مرزوقٍ البَصْريُّ ـ ، قالَ : **حدَّثَنا** شُعْبَةُ ، **عن** قَتادةَ ، **عنِ** النَّضْرِ بنِ أنسٍ ، **عن** زيدِ بنِ أرقمَ ، **عنِ** النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « **إِنَّ هَـٰذِهِ ٱلْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ ، فَإِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ ٱلْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ** : (أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلْخُبُثِ وَٱلْخَبَائِثِ) »[٤] .

وأرادَ **بالحُشُوشِ** : الكُنُفَ ، وأصلُ **الحُشِّ** : جماعةُ النخلِ الكثيفِ ، كانوا يَقضُونَ حوائجَهُم إليها قبلَ أنْ تُتَّخذَ الكُنُفُ في البيوتِ ، **وقولُهُ** : (**مُحتَضَرةٌ**) ؛ أي : يَحضُرُها الشياطينُ .

---

(١) رواه الترمذي (٢١) .

(٢) **الخبث** : جمع (الخبيث) ؛ وهو المُؤذِي من الجنِّ والشياطين ، **والخبائث** : جمع (الخبيثة) ، والمراد : أعوذ بك من ذُكرانهم وإناثهم ، وقيل في معناهما غير ذلك . انظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ٣٧٥) .

(٣) هو الحَرِيمي ، وقد سبق في (٢/ ١٢٦) .

(٤) سنن أبي داود (٦) ، ورواه ابن ماجه (٢٩٦) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٨٢٠) ، وأحمد (٤/ ٣٧٣) .

وفي الجلوسِ للحاجةِ **يعتمدُ على الرِّجْلِ اليُسْرىٰ** ، **ولا يتولَّعُ بيدِهِ**[1] ، **ولا يَخُطُّ** في الأرضِ والحائطِ وقتَ قُعُودِهِ ، **ولا يُكثِرُ** النظرَ إلىٰ عورتِهِ ، إلا للحاجةِ إلىٰ ذلكَ ، **ولا يتكلَّمُ** ؛ فقد وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَا يَخْرُجُ ٱلرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ ٱلْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَوْرَتَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَمْقُتُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ »[2] .

ويقولُ عندَ خروجِهِ : (غفرانَكَ ، الحمدُ للهِ الذي أَذْهَبَ عنِّي ما يُؤذِيني ، وأَبْقَىٰ عليَّ ما ينفعُني)[3] .

ولا يستصحبُ معَهُ شيئاً عليهِ اسمُ اللهِ تعالىٰ ؛ مِنْ ذهبٍ وخاتَمٍ وغيرِهِ .

ولا يدخلُ الخلاءَ حاسرَ الرأسِ ؛ رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن أبيها أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ تعالىٰ** ؛ فإنِّي لَأدخلُ الكنيفَ ، فأُلزِقُ ظَهْري وأُغطِّي رأسي ؛ استحياءً مِنْ ربِّي عزَّ وجلَّ)[4] ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ .

❁ ❁ ❁

---

(١) أي : لا يشتغل ولا يلعب بيده . من هامش (ح) .

(٢) رواه أبو داود (١٥) ، وابن ماجه (٣٤٢) ، وأحمد (٣/٣٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، **ويضربان الغائط** ؛ أي : يمشيان لأجل قضاء الحاجة ، أو يأتيان الخلاء .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢) مرسلاً عن طاوس رحمه الله تعالىٰ .

(٤) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤١) ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٣١٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١١٣٣) ، وأحمد في « الزهد » (١١٦٨) عن الزبير عن أبي بكر رضي الله عنهما ، وفي هامش (ب) : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

الباب الرابع والثلاثون

في آداب الوضوء وأسراره

إذا أرادَ الوضوءَ يبتدئُ بالسِّواكِ .

(١٠٧) ـ حدَّثَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الطائيُّ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ الفرّاءُ[1] ، قالَ : أخبرَنا عبدُ الواحدِ بنُ أحمدَ المَلِيحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ ، قالَ : حدَّثَنا حُمَيدُ بنُ زَنْجُويَه ، قالَ : حدَّثَنا يعلى بنُ عُبَيدٍ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمَّدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ، عن زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنيِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَخَّرْتُ ٱلْعِشَاءَ إِلَىٰ ثُلُثِ ٱللَّيْلِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِٱلسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ »[2] .

---

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه المُفسِّر محيي السنة أبو محمَّد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (ت ٥١٦هـ) صاحب « التهذيب » في فقه السادة الشافعية ، و« معالم التنزيل » ، و« المصابيح » ، وغيرها ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٤٣٩) .

(٢) شرح السنة (١٩٨) للبغوي ، ورواه أبو داود (٤٧) دون ذكر تأخير العشاء ، والترمذي (٢٣) ، وأحمد (٤/ ١١٤) ، ورواه من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أحمد (٢/ ٢٥٠) ، وابن حبان (١٥٣١) ، وهو في « البخاري » (٨٨٧) ، =

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلسِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ »(١) .

وعن حُذَيفةَ بنِ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسلَّمَ إذا قامَ مِنَ اللَّيلِ يَشُوصُ فاهُ بالسِّواكِ)(٢) ، **والشَّوْصُ** : الدَّلْكُ .

ويُستحَبُّ السِّواكُ : عندَ كلِّ صلاةٍ ، وعندَ كلِّ وضوءٍ ، وكلَّما تغيَّرَ الفمُ مِنْ أَزْمٍ وغيرِهِ ، **وأصلُ الأَزْمِ** : إمساكُ الأسنانِ بعضِها علىٰ بعضٍ ، **وقيلَ للسُّكوتِ** : أَزْمٌ ؛ لأنَّ الأسنانَ تنطبقُ ، وبذلكَ يتغيَّرُ الفمُ .

ويُكرَهُ للصائمِ بعدَ الزوالِ ، **ويُستحَبُّ لهُ** قبلَ الزوالِ ، **وأكثرُ استحبابِهِ** : معَ غُسْلِ الجُمُعةِ ، وعندَ القيامِ مِنَ اللَّيلِ .

ويُنَدِّي السواكَ اليابسَ بالماءِ ، ويستاكُ عَرْضاً وطولاً ، وإنِ اقتصرَ فعَرْضاً ، **فإذا فَرَغَ مِنَ السِّواكِ يغسلُهُ** .

ويجلسُ للوضوءِ ، والأَوْلىٰ : أنْ يكونَ مُستقبِلَ القبلةِ ، يبتدئُ بـ(بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ) ، ويقولُ(٣) : (ربِّ ؛ أعوذُ بكَ مِنْ هَمَزاتِ

= و« مسلم » (٢٥٢) من حديثه أيضاً ولٰكن دون ذكر تأخير العشاء .

(١) رواه النسائي (١/ ١٠) ، وأحمد (٦/ ٤٧) ، والدارمي (٧١١) ، وابن حبان (١٠٦٧) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥١٤) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٥) ، ومسلم (٢٥٥/ ٤٧) .

(٣) سيذكر المؤلف رحمه الله تعالىٰ دعاء الأعضاء ، وقد أورده الغزالي في « الإحياء » (١/ ٤٩١ـ٤٩٥) وغيرُهُ ، قال النووي في « الأذكار » (ص٧٤) : (وأمَّا الدعاء علىٰ أعضاء الوضوء فلم يجئ فيه شيءٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد قال الفقهاءُ : =

الشياطينِ ، وأعوذُ بكَ ربِّ أنْ يَحضُرونِ) .

ويقولُ عندَ غَسْلِ اليدِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ اليُمْنَ والبَرَكَةَ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الشُّؤْمِ والهَلَكَةِ) .

ويقولُ عندَ المَضْمَضَةِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأَعِنِّي علىٰ تلاوةِ كتابِكَ ، وكثرةِ الذِّكْرِ لكَ) .

ويقولُ عندَ الاستنشاقِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأَوْجِدْني رائحةَ الجنَّةِ وأنتَ عنِّي راضٍ)[1] .

ويقولُ عندَ الاستنثارِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأعوذُ بكَ مِنْ روائحِ النارِ ، وسُوءِ الدارِ) .

ويقولُ عندَ غَسْلِ الوجهِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وبيِّضْ وَجْهي يومَ تَبْيَضُّ وجوهُ أوليائِكَ ، ولا تُسوِّدْ وَجْهي يومَ تَسْوَدُّ فيهِ وجوهُ أعدائِكَ) .

= يُستحَبُّ فيه دعواتٌ جاءت عن السلف ، وزادوا ونقصوا فيها) ، وقال الخطيب الشربيني في « مغني المحتاج » (١/١٠٨) بعد أن ذكر كلام النوويِّ : (وفات الرافعيَّ والنوويَّ أنَّهُ رُوي عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم من طرق في « تاريخ ابن حبان » وإن كانت ضعيفة ؛ للعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، ومشىٰ شيخي ـ أي : الشهاب الرملي ـ علىٰ أنَّهُ مستحب ، وأفتىٰ به ؛ لهـٰذا الحديث) ، وقد أفاض في الكلام علىٰ هـٰذا الحديث الإمامُ الحافظ ابن حجر العسقلاني في « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار » (١/٢٥٦ـ٢٦٣) .

(١) قوله : (أَوْجِدْني) كذا في النسخ ، وفي هامش (ح) : (أي : اجْعَلْني واجداً رائحة الجنة ؛ من قولهم : أوجده الله مطلوبه ؛ أي : [أظْفَرَهُ] به) ، وفي كثير من المصادر والمراجع : (أَرِحْني) .

وعندَ غَسْلِ اليمينِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وآتِني كتابي بيميني ، وحاسِبْني حساباً يسيراً) .

وعندَ غَسْلِ الشِّمالِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ تُؤتِيَني كتابي بشِمالي أو مِنْ وراءِ ظَهْري) بعدَ أنْ تُصلِّيَ علىٰ محمَّدٍ .

وعندَ مسحِ الرأسِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وغَشِّني برحمتِكَ ، وأنزِلْ عليَّ مِنْ بركاتِكَ ، وأَظِلَّني تحتَ ظِلِّ عرشِكَ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّ عرشِكَ) .

ويقولُ عندَ مسحِ الأُذُنينِ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، واجعَلْني ممَّنْ يستمعُ القولَ فيتَّبِعُ أَحْسنَهُ ، اللَّهُمَّ ؛ أَسْمِعْني مُنادِيَ الجنَّةِ معَ الأبرارِ) .

ويقولُ عندَ مسحِ العُنُقِ : (اللَّهُمَّ ؛ فُكَّ رَقَبَتي مِنَ النارِ ، وأعوذُ بكَ مِنَ السلاسلِ والأَغْلالِ) .

ويقولُ عندَ غَسْلِ قدمِهِ اليُمْنىٰ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وثَبِّتْ قَدَمِي على الصِّراطِ معَ أقدامِ المؤمنينَ) .

ويقولُ عندَ اليُسْرىٰ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأعوذُ بكَ أنْ تَزِلَّ قَدَمي على الصِّراطِ يومَ تَزِلُّ فيهِ أقدامُ المنافقينَ) .

وإذا فرغَ مِنَ الوضوءِ يرفعُ رأسَهُ إلى السماءِ ويقولُ : (أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لَا شريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ ، سُبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ لَا إلـٰهَ إلَّا أنتَ ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نَفْسي ، أستغفرُكَ

وأتوبُ إليكَ ، فاغْفِرْ لي وتُبْ عليَّ إنَّكَ أنتَ التوَّابُ الرحيمُ ، اللهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ ، واجْعَلْني مِنَ التوَّابينَ ، واجْعَلْني مِنَ المُتطهِّرينَ ، واجْعَلْني صَبُوراً شَكُوراً ، واجْعَلْني أذكرُكَ كثيراً ، وأُسبِّحُكَ بُكْرةً وأَصِيلاً) .

وفرائضُ الوضوءِ :

[الواجبُ الأوَّلُ] : النيةُ عندَ غَسْلِ الوجهِ .

و[الواجبُ الثاني] : غسلُ الوجهِ ، وحدُّ الوجهِ : مِنْ مُبتدأِ تسطيحِ الوجهِ إلىٰ مُنتهى الذَّقَنِ ، وما ظهرَ مِنَ اللِّحْيةِ وما استَرْسَلَ منها ، ومِنَ الأُذُنِ إلى الأُذُنِ عَرْضاً .

ويدخلُ في الغَسْلِ : البياضُ الذي بينَ الأُذُنَينِ واللِّحْيةِ ، وموضعُ الصَّلَعِ ، وما انحسرَ عنهُ الشَّعَرُ ـ وهما النَّزَعَتانِ ـ مِنَ الرأسِ[1] ، ويُستحَبُّ غسلُهُما معَ الوجهِ .

ويُوصِلُ الماءَ إلىٰ شَعَرِ التحذيفِ ؛ وهوَ القَدْرُ الذي تُزِيلُهُ النساءُ مِنَ الوجهِ ، ويُوصِلُ الماءَ إلى العَنْفَقةِ والشاربِ والحاجبِ والعِذَارِ[2] ، وما عدا ذلكَ لا يجبُ .

ثمَّ اللِّحْيةُ إنْ كانتْ خفيفةً يجبُ إيصالُ الماءِ إلى البَشَرةِ ، وحَدُّ الخفيفِ : أنْ تُرى البشرةُ مِنْ تحتِهِ ، وإنْ كانتْ كثيفةً فلا يجبُ .

---

(١) لا من الوجه ، وقال بعض فقهاء الشافعية : لا يحصل تحقيق كمال غسل الوجه إلا بغسل أجزاء معه ؛ وهي النَّزَعَتان ، والصُّدْغان ، ومحلُّ التحذيف ، وجزءٌ من صفحة العنق ، وما تحت الذَّقَن . من هامش (ح) .

(٢) العَنْفَقَة : الشعر النابت تحت الشفة السفلىٰ ، والعِذَار : الشعر النابت على العظم الناتئ قُرْب الأذن .

ويجتهدُ في تنقيةِ مُجتمَعِ الكُحْلِ مِنْ مُقدَّمِ العينِ .

الواجبُ الثالثُ : غَسْلُ اليدينِ إلى المِرْفقَينِ ، ويجبُ إدخالُ المِرْفقَينِ في الغَسْلِ ، ويُستحَبُّ غسلُهُما إلىٰ أنصافِ العَضُدَينِ ، وإنْ طالتِ الأظافيرُ حتىٰ خرجتْ مِنْ رؤوسِ الأصابعِ . . يجبُ غَسْلُ ما تحتَها على الأصحِّ .

الواجبُ الرابعُ : مسحُ الرأسِ ، ويكفي ما يُطلَقُ عليهِ اسمُ المسحِ .

واستيعابُ الرأسِ بالمسحِ سنةٌ ؛ وهوَ أنْ يُلصِقَ رأسَ أصابعِ اليُمْنىٰ باليُسْرىٰ ويضعَهُما علىٰ مُقدَّمِ الرأسِ ، ويَمُدَّهُما إلى القَفَا[1] ، ثمَّ يَرُدَّهُما إلى الموضعِ الذي بدأَ منهُ ، ويَنصُفَ بَلَلَ الكفَّينِ مُستقبِلاً ومُستدبِراً .

الواجبُ الخامسُ : غَسْلُ القَدَمَينِ ، ويجبُ إدخالُ الكعبَينِ في الغَسْلِ ، ويُستحَبُّ غَسْلُهُما إلىٰ أنصافِ الساقَينِ ، ويُقنِعُ غسلَ القدمَينِ معَ الكعبَينِ .

ويجبُ تخليلُ الأصابعِ المُلتفَّةِ ؛ فيُخلِّلُ بخِنصِرِ يدِهِ اليُسْرىٰ مِنْ باطنِ القدمِ ، يبدأُ بخِنصِرِ رِجْلِهِ اليُمْنىٰ ، ويَختِمُ بخِنصِرِهِ اليُسْرىٰ .

وإنْ كانَ في الرِّجْلِ شُقُوقٌ يجبُ إيصالُ الماءِ إلىٰ باطنِها ، وإنْ تركَ فيها عجيناً أو شَحْماً تجبُ إزالةُ عينِ ذلكَ الشيءِ .

والواجبُ السادسُ : الترتيبُ على النَّسَقِ المذكورِ في كلامِ اللهِ تعالىٰ .

والواجبُ السابعُ : التتابعُ[2] في القولِ القديمِ عندَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ

---

(١) في بعض النسخ : (القفاء) بالمد ، وهي لغةٌ قليلة حكاها ابن بَرِّي عن ابن جنِّي . انظر « تاج العروس » (٣٩/٣٢٦) .

(٢) أي : الموالاة ، وهو سنةٌ في القول الجديد ، ومحلُّ الخلاف : في التفريق بغير عذر ، =

عنهُ ، وحدُّ التفريقِ الذي يقطعُ التتابعَ : نَشَافُ العُضْوِ معَ اعتدالِ الهواءِ .

وسُنَنُ الوضوءِ ثلاثَ عَشْرَةَ : التسميةُ في أوَّلِ الطهارةِ ، وغسلُ اليدَينِ إلى الكُوعَينِ قبلَ إدخالِهِما الإناءَ ، والمضمضةُ ، والاستنشاقُ ، والمبالغةُ فيهِما ؛ فيُغرغِرُ في المضمضةِ حتىٰ يَرُدَّ الماءَ إلى الغَلْصَمَةِ[1] ، ويستمدُّ في الاستنشاقِ الماءَ بالنَّفَسِ إلى الخياشيمِ ، ويَرفُقُ في ذلكَ إذا كانَ صائماً .

وتخليلُ اللِّحْيةِ الكَثَّةِ[2] ، وتخليلُ الأصابعِ المُنفرِجةِ[3] ، والبدايةُ بالميامنِ[4] ، وإطالةُ الغُرَّةِ[5] ، واستيعابُ الرأسِ بالمسحِ ، والتثليثُ ،

= وفي طول التفريق ، أمّا بالعذر : فلا يضرُّ قطعاً ، وقيل : يضر على القديم ، وأما اليسير : فلا يضر إجماعاً ، وانظر « نهاية المطلب » (١/ ٩١ـ٩٣) ، و« المجموع » (١/ ٤٧٨ـ ٤٨٠) ، و« مغني المحتاج » (١/ ١٠٥ـ ١٠٦) .

(١) **الغَلْصَمَة** : رأس الحلقوم .

(٢) في (ب) : (الكثيفة) ، **والكثيف عند الفقهاء** : ما لم تُرَ البشرة من خلاله في مجلس التخاطب عرفاً ، **وعند غيرهم** : الثخين والغليظ ، وهنا فائدة أوردها صاحب « إعانة الطالبين » (١/ ٣٩) ؛ وهي أنَّهُ لا يُقال للحية النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : كثيفة ؛ لما فيه من البشاعة ، بل يُقال : عظيمة .

(٣) احتراز من أصابع المستورة ـ وهي التي لا يصل الماء إليها إلا بالتخليل ـ فإنَّ تخليله واجبٌ عند الشافعي . **من هامش (ح)** .

(٤) **قوله** : (والبداية) كذا في جميع النسخ ، **والأكثر والمشهور** : (والبُداءة) ، والمثبتُ لغةٌ أنصاريَّة ذكرها ابن القطَّاع ، وعدَّها ابن بَرِّي من الأغلاط ، وانظر « تاج العروس » (١/ ١٣٨) .

(٥) **معنىٰ إطالة الغُرَّة** : غسلُ شيء من الحدود التي تعيَّنَتْ بالنص ؛ كالمرفقين والكعبين ، فيغسلُ اليدين إلىٰ أنصاف العضدين ، والكعبين إلىٰ أنصاف الساقين ؛ فإنَّ أعضاء الوضوء تتنوَّر يوم القيامة وتبيضُّ ، فكلَّما يطولُ موضع الغسل يطول بياضه ونوره ، وأمَّا **الغُرَّة** ـ بالضم ـ : بياضٌ في جبهة الفرس قدرَ الدرهم ؛ يُقال : فرسٌ أَغَرُّ ، **والأغَرُّ** : الأبيض . **من هامش (ح)** .

ومسحُ الأُذُنَينِ ، وفي القولِ الجديدِ : التتابعُ .

ويجتنبُ أنْ يزيدَ على الثلاثِ ، ولا ينفضُ اليدَ ، ولا يتكلَّمُ في أثناءِ الوضوءِ ، ولا يَلطِمُ وجهَهُ بالماءِ لَطْماً .

وتجديدُ الوضوءِ مُستحَبٌّ ؛ بشرطِ : أنْ يُصلِّيَ بالوضوءِ ما تيسَّرَ ، وإلا فمكروهٌ ، واللهُ أعلمُ[1] .

❁ ❁ ❁

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الخامس والثلاثون

في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء

أدبُ الصُّوفيَّةِ بعدَ القيامِ بمعرفةِ الأحكامِ ؛ أدبُهُم في الوضوءِ[1] : حضورُ القلبِ في غَسْلِ الأعضاءِ .

سمعتُ بعضَ الصالحينَ يقولُ : (إذا حضرَ القلبُ في الوضوءِ يَحضُرُ في الصلاةِ ، وإذا دخلَ السهوُ فيهِ دخلَ الوسوسةُ في الصلاةِ) .

ومِنْ أدبِهِم : استدامةُ الوضوءِ ؛ فالوضوءُ سلاحُ المؤمنِ ، والجوارحُ إذا كانتْ في حمايةِ الوضوءِ الذي هوَ أَثَرٌ شرعيٌّ . . يَقِلُّ طُرُوقُ الشيطانِ عليها .

قالَ عَدِيُّ بنُ حاتِمٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما أُقيمتْ صلاةٌ منذُ أسلمتُ إلا وأنا علىٰ وضوءٍ)[2] .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : قَدِمَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المدينةَ وأنا يومئذٍ ابنُ ثمانِ سنينَ ، فقالَ لي : « يَا بُنَيَّ ؛ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَلَّا تَزَالَ عَلَى ٱلطَّهَارَةِ . . فَٱفْعَلْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَتَاهُ ٱلْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى ٱلْوُضُوءِ أُعْطِيَ

---

(١) قال في « شرح المشكلات » (ق/ ٥١) : (قوله : « أدبهم في الوضوء » أعاد المبتدأ ؛ للفصل الطويل بينه وبين الخبر) .

(٢) رواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٨٩٦) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٢/ ٢٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/ ٨٦) .

ٱلشَّهادَةَ »[1] ، فشأنُ العاقلِ أنْ يكونَ أبداً مُستعِدّاً للموتِ ، ومِنَ الاستعدادِ لزومُ الطهارةِ .

وحُكِيَ عنِ الحُصْريِّ أنَّهُ قالَ : (مهما أَنتبِهُ مِنَ الليلِ لا يَحمِلُني النومُ إلا بعدَما أقومُ وأُجدِّدُ الوضوءَ ؛ لئلَّا يعودَ إليَّ النومُ وأنا علىٰ غيرِ طهارةٍ)[2] .

وسمعتُ مَنْ صَحِبَ الشيخَ عليَّ بنَ الهِيتيِّ أنَّهُ كانَ يقعدُ الليلَ جميعَهُ ، فإنْ غلبَهُ النومُ يكونُ قاعداً كذلكَ ، وكلَّما انتبهَ يقولُ : لا أكونُ أسأتُ الأدبَ ، فيقومُ ويُجدِّدُ الوضوءَ ، ويُصلِّي ركعتَينِ[3] .

روىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لبلالٍ عندَ صلاةِ الفجرِ : « يَا بِلَالُ ؛ حَدِّثْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ عَمِلْتَ فِي ٱلْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ ٱللَّيْلَةَ خَشْفَةَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي ٱلْجَنَّةِ » ، فقالَ : ما عَمِلتُ عملاً في الإسلامِ أَرْجىٰ عندي منفعةً مِنْ أنِّي لا أتطهَّرُ طُهْراً تامّاً في ساعةٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ إلا صلَّيتُ لربِّي عزَّ وجلَّ ما كُتِبَ لي أنْ أُصلِّيَ[4] .

---

(١) رواه ضمن حديث طويل أبو يعلىٰ في « المسند » (٣٦٢٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٩١) ، وفي « المعجم الصغير » (٨٥٦) ، ورواه الترمذي مختصراً كما سبق مسنداً في (١/ ٢٣٢) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١) .

(٣) وقال ابن المستوفي في « تاريخ إربل » (٢/ ٥٤) : (ولم يُرَ قطُّ مضطجعاً ، إنَّما كان إذا أراد النوم جعل رأسه بين ركبتيه ، ثمَّ يرفعه في أكثر الأوقات ، ويُصفِّق بيديه تصفيقةً أو تصفيقتين ، ثمَّ يعود فيضعه بين ركبتيه) ، توفي ابن الهيتي سنة (٥٦٤هـ) ، وانظر ترجمته في « تاريخ إربل » (١/ ٥٣ـ ٥٥) ، و« ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (١٩/ ١٥٩ـ ١٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩/ ٢٠٤) .

(٤) رواه البخاري (١١٤٩) ، ومسلم (٢٤٥٨) ، وفي (أ ، ج ، ز) : (خشخشة =

ومِنْ أدبِهِم في الطهارةِ : تركُ الإسرافِ في الماءِ ، والوقوفُ على حدِّ العِلْمِ .

(١٠٨) ـ أخبرَنا الشيخُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَوِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ بشَّارٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبو داودَ[١] ، قالَ : حدَّثَنا خارجةُ بنُ مُصعَبٍ ، عن يونسَ بنِ عُبيدٍ ، عنِ الحسنِ ، عن عُتَيِّ بنِ ضَمْرةَ السَّعْديِّ ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لِلْوُضُوءِ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ : ٱلْوَلَهَانُ ، فَٱتَّقُوا وَسْوَاسَ ٱلْمَاءِ »[٢] .

قالَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ : (إنَّ الشيطانَ يجتهدُ أنْ يأخذَ نصيبَهُ مِنْ جميعِ أعمالِ بني آدمَ ، فلا يُبالي أنْ يأخذَ نصيبَهُ ؛ بأنْ يَزْدادُوا فيما أُمِرُوا بهِ أو يَنقُصُوا منهُ)[٣] .

= نعليك) بدل (خشفة نعليك) ، والخَشْفة : الصوت والحركة ، والخَشْخَشَة : حركة لها صوت كصوت السلاح ، وفي رواية « البخاري » : (دَفَّ نعليك) ؛ أي : صوتَ مشيك فيهما .

(١) هو الطيالسي .

(٢) سنن الترمذي (٥٧) ، مسند الطيالسي (٥٤٩) ، ورواه ابن ماجه (٤٢١) ، والحاكم (١ / ١٦٢) ، والوَلَهان : مصدر : (وَلِهَ يَولَهُ وَلَهاناً) ؛ وهو ذهاب العقل والتحيُّرُ من شدَّة الوجد وغاية الشوق ، فسُمِّي به شيطان الوضوء ؛ إمَّا لشدَّة حرصه على طلب الوسوسة في الوضوء ، وإمَّا لإلقائه الناس بالوسوسة في مَهْواة الحَيْرة ؛ حتى يُرى صاحبه حيرانَ ذاهب العقل ، لا يدري كيف يلعب به الشيطان ، ولم يعلم هل وصل الماء إلى العضو أم لا ، وكم مرَّة غسله . انظر « مرقاة المفاتيح » (٢ / ٤١٧) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٨) .

وحُكِيَ عنِ ابنِ الكَرَنْبيِّ : أَنَّهُ أصابَتْهُ جنابةٌ ليلةً مِنَ الليالي ، وكانتْ عليهِ مُرَقَّعَةٌ ثخينةٌ غليظةٌ[١] ، فجاءَ إلىٰ دِجْلَةَ وكانَ بردٌ شديدٌ ، فحَرَنَتْ نفسُهُ عنِ الدخولِ في الماءِ لشِدَّةِ البردِ[٢] ، **فطرحَ نَفْسَهُ في الماءِ معَ المُرَقَّعَةِ** ، ثمَّ خرجَ مِنَ الماءِ وقالَ : اعتقدتُ أَلَّا أَنزِعَها مِنْ بدني حتىٰ تَجِفَّ عَلَيَّ[٣] ، قيلَ : فلم تَجِفَّ عليهِ شهراً كاملاً ؛ لثخانتِها وغِلَظِها ، **أَدَّبَ بذلك نَفْسَهُ لمَّا حَرَنَتْ عندَ الائتمارِ لأمرِ اللهِ تعالىٰ**[٤] .

وقيلَ : إنَّ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ **كانَ يَحُثُّ أصحابَهُ** علىٰ كثرةِ شُرْبِ الماءِ وقِلَّةِ صبِّهِ على الأرضِ[٥] ، **وكانَ يرىٰ أَنَّ في الإكثارِ مِنْ شربِ الماءِ** ضعفَ النَّفْسِ ، وإماتةَ الشَّهواتِ ، وكسرَ القُوَّةِ[٦] .

ومِنْ أفعالِ الصُّوفيَّةِ : الاحتياطُ في استِبْقاءِ الماءِ للوضوءِ .

قيلَ : **كانَ إبراهيمُ الخَوَّاصُ إذا دخلَ الباديةَ لا يحملُ معَهُ إلا** رَكْوةً مِنَ

---

(١) المُرَقَّعة : من لباس سادتنا الصوفيَّة ، سُمِّيت بذلك ؛ لما بها من الرُّقَع .

(٢) قوله : (حَرَنَتْ) يُقال : فرسٌ حَرُون : لا ينقاد ، وإذا اشتدَّ به الجري وقف . من هامش (ح) .

(٣) اعتقدت : عاهدتُ ، وفي (ب) : (عهدت) ، و(د) : (عقدت) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٠) .

(٥) أي : في الوضوء . من هامش (ح) ، وزاد في « اللمع » : (وكان يقول : إنَّ الماء له حياة ، وموته صبُّهُ على الأرض) ، وهـٰذا التأثير الناتج عن كثرة شرب الماء . . إنَّما هو بعد خلو المعدة والجوع ، وإلا فإنَّهُ يُؤدِّي إلى النوم والراحة وتزاحم الشهوات ، والله تعالىٰ أعلم .

(٦) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) .

الماءِ[١] ، وربَّما كانَ لا يشربُ منها إلا القليلَ ؛ يَحفَظُهُ للوضوءِ[٢] .

وقيلَ : إنَّهُ كانَ يخرجُ مِنْ مكَّةَ إلى الكوفةِ ولا يحتاجُ إلى التيمُّمِ ؛ يَحفَظُ الماءَ للوضوءِ ، ويقنعُ بالقليلِ للشُّرْبِ[٣] .

وقيلَ : إذا رأيتَ الصُّوفيَّ ليسَ معَهُ رَكْوةٌ أو كُوزٌ . . فاعلَمْ أنَّهُ قد عَزَمَ علىٰ تركِ الصلاةِ شاءَ أم أبىٰ[٤] .

وحُكِيَ عن بعضِهِم : أنَّهُ أدَّبَ نَفْسَهُ في الطهارةِ إلىٰ حدٍّ أنَّهُ أقامَ بينَ ظَهْرَانَيْ جماعةٍ مِنَ النُّسَّاكِ وهم مجتمعونَ في دارٍ[٥] ، فما رآهُ أحدٌ منهُم أنَّهُ دخلَ الخَلاءَ ؛ لأنَّهُ كانَ يقضي حاجتَهُ إذا خلا الموضعُ في وقتٍ ؛ يريدُ : لتأديبِهِ نَفْسَهُ[٦] .

وقيلَ : ماتَ الخَوَّاصُ في جامعِ الرَّيِّ في وسطِ الماءِ ، وذاكَ أنَّهُ كانَ بهِ عِلَّةُ البطنِ ، وكلَّما قامَ دخلَ الماءَ وغسلَ نَفْسَهُ ، فدخلَ الماءَ مرَّةً فماتَ فيهِ ؛ كلُّ ذلكَ لحفظِهِ على الوضوءِ والطهارةِ[٧] .

---

(١) الرَّكْوة : الدلو الصغيرة .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١) ، وقد سبق في (١/ ٤٠٧) فيما له علقة بهـٰذا الأثر .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٠) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١) .

(٥) قوله : (بين ظَهْرَانَيْ جماعة) يُقال : هو نازلٌ بين ظَهْرَانَيْهم : بفتح النون ، وقولهم : لَقِيتُهُ بين الظَهْرَانَين : في اليومين ، أو في الأيام . من هامش (ح) .

(٦) ولا يتيسَّر هـٰذا التأديبُ إلا بتقليل الأكل والحكم على الطبع بترك مقتضياته . من هامش (ح) ، وما حكاه المؤلف رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) .

(٧) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٢)، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١_٢٣٢) .

وقيلَ : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ بهِ قيامٌ[1] ، فقامَ في ليلةٍ واحدةٍ نيِّفاً وسبعينَ مرَّةً ، وكلَّ مرَّةٍ يُجدِّدُ الوضوءَ ويُصلِّي ركعتَينِ[2] .

وقيلَ : إنَّ بعضَهُم أدَّبَ نَفْسَهُ حتىٰ لا يخرجَ منهُ الرِّيحُ إلا في وقتِ البَرَازِ ؛ يُراعي الأدبَ في الخَلَوَاتِ[3] .

واتِّخاذُ المِنْديلِ بعدَ الوضوءِ كَرِهَهُ قومٌ وقالوا : إنَّ ماءَ الوضوءِ يُوزَنُ ، وأجازَهُ بعضُهُم ، ودليلُهُم :

(١٠٩) ـ ما أخبرَنا الشيخُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا سُفيانُ بنُ وكيعٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ ، عن زيدِ بنِ حُبَابٍ ، عن أبي مُعَاذٍ ، عنِ الزُّهْريِّ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : (كانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خِرْقةٌ يُنشِّفُ بها أعضاءَهُ بعدَ الوضوءِ)[4] .

وروىٰ معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا توضَّأَ مسحَ وجهَهُ بطَرَفِ ثوبِهِ)[5] .

---

(١) أي : قيام إلىٰ قضاء الحاجة ، وهو كناية عن الإسهال الشديد .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٠) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٠) .

(٤) سنن الترمذي (٥٣)، ورواه الحاكم (١/ ١٥٤)، وليس فيهما وفي (أ ، ب) : (أعضاءه) .

(٥) رواه الترمذي (٥٤) ، وبنحوه ابن ماجه (٤٦٨) من حديث سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وروى البخاري أيضاً (٣٤٤) ، ومسلم (٦٨٢) من حديث سيدنا =

واستقصاءُ الصُّوفيّةِ في تطهيرِ البواطنِ مِنَ الصفاتِ الرديئةِ والأخلاقِ المذمومةِ ، لا الاستقصاءُ في طهارةِ الظاهرِ إلىٰ حدٍّ يُخرِجُ عن حدِّ العلمِ .

وتوضَّأَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ جَرَّةِ نصرانيّةٍ ، معَ كونِ النصارىٰ لا يَحترِزُونَ عنِ الخمرِ[1] ، وأَجْرى الأمرَ على الظاهرِ وأصلِ الطهارةِ .

وقد كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلُّونَ على الأرضِ مِنْ غيرِ سَجَّادةٍ[2] ، ويَمشُونَ حُفَاةً في الطُّرُقِ[3] ، وقد كانوا لا يجعلونَ وقتَ النومِ بينَهُم وبينَ الترابِ حائلاً[4] ، وقد كانوا يقتصرونَ على الحَجَرِ في الاستنجاءِ في بعضِ الأوقاتِ[5] ، وكانَ أمرُهُم في الطهاراتِ الظاهرةِ على التساهلِ ، واستقصاؤُهُم في طهارةِ الباطنِ[6] ، وهكذا شُغْلُ الصُّوفيّةِ[7] .

وقد يكونُ في بعضِ الأشخاصِ تشدُّدٌ في الطهارةِ ، ويكونُ مُستنَدُ ذلكَ رُعُونةَ النَّفْسِ ؛ فلوِ اتَّسخَ ثوبُهُ تحرَّجَ ، ولا يُبالي بما في باطنِهِ مِنَ الغِلِّ والحِقْدِ ، والكِبْرِ والعُجْبِ ، والرِّياءِ والنِّفاقِ ، ولعلَّهُ يُنكِرُ على الشخصِ إذا داسَ الأرضَ حافياً معَ وجودِ رُخْصةِ الشَّرْعِ ، ولا يُنكِرُ عليهِ أنْ يتكلَّمَ بكلمةِ

= عمران بن حصين رضي الله عنهما : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم توضَّأ من مَزَادةِ مشركة .

(١) رواه الشافعي في « الأم » (٢/ ٢٨) ، ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٣٢) .

(٢) ولا يتوسوسون بأنَّ الأرض ربَّما تكون نجسة . من هامش (ح) .

(٣) ثمَّ يُصلُّون من غير غسل الأقدام عن غبار الطريق . من هامش (ح) .

(٤) أي : لا يُنزِّهون ثيابهم عن التراب بوهم إمكان التراب غيرَ طاهر . من هامش (ح) .

(٥) أي : من غير الجمع بين الحجر والماء مع أنَّهُ أفضل . من هامش (ح) .

(٦) إذِ الباطنُ هو الذي ينظرُ إليه الحقُّ ، والظاهرُ ينظر إليه الخلق ؛ « إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلىٰ صُوَرِكُم وأبشارِكُم ، ولـٰكن ينظرُ إلىٰ قلوبِكُم ونيَّاتِكُم » . من هامش (ح) .

(٧) انظر « إحياء علوم الدين » (١/ ٤٦٥-٤٧٢) ، ففيه تفصيل نفيس في ذلك .

غِيبةٍ يُخرِبُ بها دينَهُ ، وكلُّ ذلكَ مِنْ قِلَّةِ العلمِ ، وتركِ التأدُّبِ بصُحْبةِ الصادقينَ مِنَ العلماءِ الراسخينَ .

وكانوا يكرهونَ كثرةَ الدَّلْكِ في الاستبراءِ[1] ؛ لأنَّهُ ربَّما يسترخي العِرْقُ ولا يُمسِكُ البولَ ، ويتولَّدُ منهُ القَطْرُ المُفرِطُ .

ومِنْ حكاياتِ الصُّوفيَّةِ في الوضوءِ والطَّهارةِ : أنَّ أبا عمرٍو الزُّجَاجيَّ جاورَ بمكَّةَ ثلاثينَ سنةً ، وكانَ لا يتغوَّطُ في الحَرَمِ ، ويخرجُ إلى الحِلِّ ، وأقلُّ ذلكَ فرسخٌ[2] .

وقيلَ : كانَ بعضُهُم علىٰ وَجْهِهِ قُرْحٌ لم يَندَمِلِ اثنتي عشرةَ سنةً ؛ لأنَّ الماءَ كانَ يَضُرُّهُ ، وكانَ معَ ذلكَ لا يَدَعُ تجديدَ الوضوءِ عندَ كلِّ فريضةٍ[3] .

وبعضُهُم نزلَ في عينِهِ الماءُ ، فحملوا إليهِ المُداوِيَ[4] ، وبَذَلُوا لهُ مالاً كثيراً ليُداوِيَهُ ، فقالَ المُداوِي : يحتاجُ أَلَّا يَمَسَّ الماءَ أيَّاماً ، ويكونَ مُستلقِياً علىٰ قَفَاهُ ، فلم يفعلْ ذلكَ ، واختارَ ذهابَ بصرِهِ علىٰ تركِ الوضوءِ[5] .

❁ ❁ ❁

---

(١) أي : كثرة الدلك للذكر أثناء الاستبراء .

(٢) أي : حوالي (١٠كم) ، وهاذه الحكاية أوردها أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١٩٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣١) ، ورواها منقطعةً السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٣١) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٣٧٢٩) ، وفيهما : (أربعين) بدل (ثلاثين) .

(٣) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠١) .

(٤) في (ب ، هـ ، ح ، ي) : (فحُمِلَ) بدل (فحملوا) .

(٥) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠١) عن أبي عبد الله الرازي المُقرئ ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب السادس والثلاثون

في فضيلة الصلاة وكبر شأنها

رویٰ عبدُ اللهِ بنُ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ جَنَّةَ عَدْنٍ[1] ، وَخَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ . قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي ، قَالَتْ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] ؛ ثَلَاثاً »[2] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : شَهِدَ القرآنُ المَجيدُ بالفلاحِ للمُصلِّينَ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ حِينَ زَالَتْ ، وَصَلَّىٰ بِيَ ٱلظُّهْرَ »[3] .

واشتقاقُ الصلاةِ : قيلَ : مِنَ الصَّلَىٰ[4] ؛ وهوَ النارُ ، والخشبةُ المُعْوَجَّةُ إذا أرادوا تقويمَها تُعرَضُ على النارِ ثمَّ تُقوَّمُ ، وفي العبدِ اعوجاجٌ ؛ لوجودِ

---

(١) جنة عدن ؛ أي : جنةُ إقامةٍ ؛ يُقال : عَدَنَ بالمكان : إذا أقام به . من هامش (ح) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ١٨٤) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (١٦) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٢٨) .

(٣) رواه أبو داود (٣٩٣) ، والترمذي (١٤٩) ، وأحمد (١/ ٣٣٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ودُلُوكُ الشمس : ميلها .

(٤) والصِّلاء ـ بالكسر والمد ـ : الشواء ؛ لأنه يُصلىٰ بالنار ، والصَّلاء أيضاً : صِلاء النار ، وإن فتحتَ الصادَ قَصَرتَ وقلت : (صَلَى النار) . من هامش (ح) .

نَفْسِهِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ ، وسُبُحَاتُ وجهِ اللهِ الكريمِ التي لو كشفَ حجابَها أحرقَتْ مَنْ أدركتْهُ . . يُصِيبُ بها المُصلِّيَ مِنْ وَهَجِ السَّطْوةِ الإلـٰهيَّةِ والعَظَمةِ الربَّانيَّةِ ما يزولُ بهِ اعوجاجُهُ[1] ، بل يتحقَّقُ بهِ مِعْراجُهُ ، فالمُصلِّي كالمُصطلِي بالنارِ ، ومَنِ اصطلىٰ بنارِ الصلاةِ وزالَ بها اعوجاجُهُ . . لا يُعرَضُ علىٰ نارِ جهنَّمَ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ[2] .

(١١٠) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو سعدٍ محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ بنِ محمَّدٍ الخَليليُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو سعيدٍ الفَرُّخْزاديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدٍ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ[4] ، قالَ : أخبرَنا أبو زكريَّا يحيى بنُ محمَّدٍ العَنْبَريُّ ، قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ أحمدَ الحافظُ[5] ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ نصرٍ[6] ، قالَ : حدَّثَنا آدمُ بنُ

---

(١) (ما) في (ما يزول) : فاعل (يصيب) ، و(المُصلِّي) : مفعول له ، و(من وَهَج) : بيان (ما). من هامش (ح)، وقوله : (مفعول له) ؛ أي : مفعول به للفعل (يصيب) .

(٢) قولُهُم : [لم] أفعلْ إلا تَحِلَّةَ القسم ؛ أي : لم أفعل إلا بقدر ما حللتُ به [يميني] ولم [أبالغ] ، وفي الحديث : « لا يموتُ للرجلِ ثلاثةُ أولادٍ فتمسَّهُ النارُ إلا تحِلَّةَ القسمِ » ؛ أي : قدر ما يبر الله فيه بقوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] . من هامش (ح) .

(٣) هو الثعلبي صاحب « الكشف والبيان » ، وقد سبق السند إليه والتعريف ببعض رجاله في (١/ ١٦٦) .

(٤) هو الحَبيبي النيسابوري المفسِّر الواعظ (ت ٤٠٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٣٧) .

(٥) هو الإمام الحُجَّة القدوة أبو محمَّد جعفر ابن نصر الحَصِيري النيسابوري (ت ٣٠٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٢١٧) .

(٦) ابن زياد القرشي النيسابوري الإمام القدوة شيخ نيسابور ومقرئها ومفتيها وزاهدها =

أبي إياسٍ ، عنِ ابنِ سِمْعانَ ، عنِ العلاءِ[1] ، عن أبيهِ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « **يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ** : قَسَمْتُ ٱلصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، **فَإِذَا قَالَ ٱلْعَبْدُ** : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . . قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَجَّدَنِي عَبْدِي[2] ، **فَإِذَا قَالَ** : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : حَمِدَنِي عَبْدِي ، **فَإِذَا قَالَ** : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي ، **فَإِذَا قَالَ** : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . . قَالَ : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي ، **فَإِذَا قَالَ** : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . . قَالَ : هَٰذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، **فَإِذَا قَالَ** : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ١ـ٧] . . قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : هَٰذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ »[3] .

فالصلاةُ صِلَةٌ بينَ العبدِ وبينَ الربِّ سبحانَهُ[4] ، **وما كانَ صِلَةً بينَهُ وبينَ اللهِ** فحقُّ العبدِ أنْ يكونَ خاشعاً لصَوْلةِ الرُّبُوبيَّةِ على العُبُوديَّةِ .

وقد وَرَدَ أنَّ اللهَ تعالىٰ إذا تجلَّىٰ لشيءٍ خضعَ لهُ[5] ، **ومَنْ تحقَّقَ بالصِّلَةِ**

= (ت ٢٤٥هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٢٣٩) .

(١) أي : عن العلاء بن عبد الرحمٰن . من هامش (ح) ، وهو أبو شبل الحُرَقي المدني (ت ١٣٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٦/ ١٨٦) .

(٢) أي : ذكرني بالمجد ، المجد في كلام العرب : الشرف الواسع ، ورجلٌ ماجد : مفضال كثير الخير ، والمجيد من صفاته تعالىٰ ؛ أي : الكريم الفعَّال لما يريد . « غريبين » . من هامش (ح) .

(٣) الكشف والبيان (٢/ ٣٣٣ـ٣٣٥) ، ورواه مسلم (٣٩٥) وغيرُهُ دون ذكر البسملة ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٢٩ـ٥٣٠) .

(٤) قوله : (صلة) ؛ أي : وصلة ؛ يقال : بينهما وصلة . من هامش (ح) .

(٥) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٤٩٤٣) من قول أبي قلابة رحمه الله تعالىٰ .

في الصلاةِ تلمعُ لهُ طوالعُ التجلِّي فيخشعُ(١) .

والفلاحُ للذينَ هم في صلاتِهِم خاشعونَ(٢) ، وبانتفاءِ الخشوعِ ينتفي الفلاحُ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه : ١٤] ؛ وإذا كانتِ الصلاةُ للذِّكْرِ كيفَ يَسَعُ فيها النِّسْيانُ ؟!

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣] ؛ فمَنْ قالَ ولا يعلمُ ما يقولُ كيفَ يُصلِّي وقد نهاهُ اللهُ تعالىٰ عن ذلكَ ؟! فالسَّكْرانُ يقولُ الشيءَ لا بحضورِ عقلٍ ، والغافلُ يُصلِّي لا بحضورِ عقلٍ(٣) ، فهو كالسَّكْرانِ .

وقيلَ في غرائبِ التفسيرِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه : ١٢] : قيلَ : ﴿ نَعْلَيْكَ ﴾ : هَمَّكَ بامرأتِكَ وغنمِكَ(٤) .

فالاهتمامُ بغيرِ اللهِ سُكْرٌ في الصلاةِ .

وقيلَ : كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يرفعونَ أبصارَهُم إلى السماءِ في الصلاةِ ، وينظرونَ يميناً وشمالاً ، فلمَّا نزلتْ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى

---

(١) قوله : (طوالعُ التجلِّي) ؛ أي : أوائلُ ظهور أنوار التجلِّي . من هامش (ح) .

(٢) أي : خاضعون ، وقيل : خائفون ، والخشوع : السكون والتذلل ، وقيل : الخشوع قريب المعنىٰ من الخضوع ، إلا أنَّ الخضوعَ في البدن ، والخشوعَ في البدن والبصر والصوت . « غريبين » .من هامش (ح) .

(٣) في (أ ، ز) : (إيمان) بدل (عقل) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٧/ ٥١٠) ، والكرماني في « غرائب التفسير » (٢/ ٧١١) .

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ . . جعلوا وجوهَهُم حيثُ يسجدونَ ، وما رُئِيَ بعدَ ذلكَ أحدٌ منهُم ينظرُ إلا إلى الأرضِ[1] .

روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ، فَإِذَا ٱلْتَفَتَ[2] قَالَ لَهُ ٱلرَّبُّ : إِلَىٰ مَنْ تَلْتَفِتُ ؟! إِلَىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي ؟! ٱبْنَ آدَمَ ؛ أَقْبِلْ إِلَيَّ[3] ؛ فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ »[4] .

وأَبْصَرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلاً يعبثُ بِلِحْيتِهِ في الصلاةِ ، فقالَ : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَـٰذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ »[5] .

وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةً فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ »[6] ؛ فالمُصلِّي سائرٌ إلى اللهِ تعالىٰ بقلبِهِ ، يُودِّعُ هواهُ ودُنْياهُ ، وكلَّ شيءٍ سِواهُ .

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٩/٨) .

(٢) أي : بقلبه ، وهـٰذا عند أهل القُرْب والصُّوفيَّة ، وأمَّا عند الفقهاء : فالالتفات المكروه : أن يلويَ عنقه حتىٰ يخرج من أن يكون إلىٰ جهة القبلة ، فأمَّا لو نظر بمُؤخَّر عينه يمنةً أو يسرةً من غير أن يلويَ عُنُقَه . . فلا يُكْرَه ؛ لأنَّهُ عليه الصلاة والسلام كان يُلاحِظُ أصحابَهُ في صلاته بمُوق عينه ، كذا ذكر صاحبُ « الكافي » . من هامش (ح) .

(٣) أي : بقلبك ؛ علىٰ لسان الإشارة ، وبلسان العبارة معلوم . من هامش (ح) .

(٤) رواه البزار في « المسند » (٩٣٣٢) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٥٠٨) .

(٥) سبق تخريجه في (١/٢٤٨) .

(٦) رواه ابن ماجه (٤١٧١)، وأحمد (٥/٤١٢) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٤٢٧) ، والقضاعي في « المسند » (٩٥٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/٥٣٢-٥٣٤) .

والصلاةُ في اللغةِ : هيَ الدعاءُ ؛ فكأنَّ المُصلِّيَ يدعو اللهَ تعالىٰ بجميعِ جوارحِهِ ، فصارتْ أعضاؤُهُ كلُّها أَلْسِنةً يدعو بها ظاهراً وباطناً ، ويُشارِكُ الظاهرُ والباطنُ بالتضرُّعِ[(١)] ، والتقلُّبُ في الهيئاتِ تَمَلُّقاتُ مُتضرِّعٍ سائلٍ محتاجٍ ، فإذا دعا بكُلِّيَّتِهِ أجابَهُ مولاهُ ؛ لأنَّهُ وعدَ وقالَ : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وكانَ خالدُ الرَّبَعيُّ يقولُ : (عَجِبتُ لهٰذهِ الآيةِ : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ؛ أمرَهُم بالدعاءِ ووعدَهُم بالإجابةِ ، ليسَ بينَهُما شرطٌ !!)[(٢)] .

والاستجابةُ والإجابةُ : هوَ نفوذُ دعاءِ العبدِ[(٣)] ؛ فإنَّ الداعيَ الصادقَ العالِمَ بمَنْ يدعوهُ بنورِ يقينِهِ تخرقُ دعوتُهُ الحُجُبَ ، وتقفُ الدعوةُ بينَ يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ مُتقاضِيةً للحاجةِ .

وخصَّ اللهُ تعالىٰ هٰذهِ الأمَّةَ بإنزالِ (فاتحةِ الكتابِ)[(٤)] ، وفيها تقديمُ الثناءِ على الدعاءِ ؛ ليكونَ أسرعَ إلى الإجابةِ ، وهيَ تعليمُ اللهِ عبادَهُ كيفيَّةَ الدعاءِ .

و(فاتحةُ الكتابِ) : هيَ السبعُ المَثاني والقرآنُ العظيمُ ، قيلَ : سُمِّيتْ (مَثَانيَ) ؛ لأنَّها نزلتْ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مرَّتَينِ ؛ مرَّةً

---

(١) في (و ، ز) ونسخة علىٰ هامش (ح) : (ويشارك الظاهرُ الباطنَ بالتضرع) .

(٢) أورده القرطبي في « تفسيره » (١٥/ ٣٢٧) .

(٣) زاد في نسخة علىٰ هامش (د) : (بين يدي الرب) .

(٤) والتخصيص إمَّا حقيقيٌّ ؛ بأن تكون (الفاتحة) لم تنزل علىٰ غيره عليه الصلاة والسلام ، وما نُقِلَ أنَّ في « التوراة » سورةَ (فاتحةٍ) . . غيرُ معتبر ، أو يكون في الاسم لا في المعنىٰ . من هامش (ح) .

بمكَّةَ ، ومرَّةً بالمدينةِ ، وكانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكلِّ مرَّةٍ نزلتْ منها فهمٌ آخَرُ ، بل كانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكلِّ مرَّةٍ يقرؤُها على التَّرْدادِ معَ طولِ الزمانِ فهمٌ آخَرُ ، وهـٰكذا المُصلُّونَ المُحققِّونَ مِنْ أُمَّتِهِ ؛ تنكشفُ لهُم عجائبُ أسرارِها ، وتُقذَفُ لهُم كلَّ مرَّةٍ دُرَرُ بحارِها .

وقيلَ : سُمِّيتْ مَثَانيَ ؛ لأنَّها استُثنِيتْ مِنَ الرُّسُلِ[1] ، وهيَ سبعُ آياتٍ .

ورَوَتْ أمُّ رُومَانَ قالتْ : رآني أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وأنا أتميَّلُ في الصلاةِ ، فزجرَني زَجْراً كِدْتُ أنْ أنصرفَ عن صلاتي ، ثمَّ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ . فَلْيُسَكِّنْ أَطْرَافَهُ ، وَلَا يَتَمَيَّلْ تَمَيُّلَ ٱلْيَهُودِ ؛ فَإِنَّ سُكُونَ ٱلْأَطْرَافِ مِنْ تَمَامِ ٱلصَّلَاةِ »[2] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَعَوَّذُوا بِٱللهِ مِنْ خُشُوعِ ٱلنِّفَاقِ » ، قيلَ : وما خشوعُ النِّفاقِ ؟ قالَ : « خُشُوعُ ٱلْبَدَنِ ، وَنِفَاقُ ٱلْقَلْبِ »[3] .

---

(١) وخُصَّتْ بالنبي عليه الصلاة والسلام . من هامش (ح) ؛ أي : استثناها لهـٰذه الأُمَّةِ ولم يُعطِها رسولاً من الرسل عليهم السلام . من هامش (ج) .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٠٤) ، وأبو الشيخ في « ذكر الأقران » (١٦٦) .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٥٦٨) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٨٦١) ، وأحمد في « الزهد » (٧٦٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٥٦٧) موقوفاً علىٰ سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

فأمَّا تَمَيُّلُ اليهودِ : قيلَ : كانَ موسىٰ عليهِ السلامُ يُعامِلُ بني إسرائيلَ علىٰ ظاهرِ الأمورِ ؛ لقِلَّةِ ما في باطنِهم[1] ، فكانَ يُهيِّبُ الأمورَ ويُعظِّمُها ؛ ولهـٰذا المعنىٰ أَوْحى اللهُ تعالىٰ إليهِ أنْ يُحلِّيَ التوراةَ بالذهبِ[2] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : ووَقَعَ لي ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّ موسىٰ عليهِ السلامُ كانَ يَرِدُ عليهِ الواردُ في صلاتِهِ ومَحَالِّ مُناجاتِهِ ، فيموجُ بِهِ باطنُهُ كبحرٍ ساكنٍ تَهُبُّ عليهِ الريحُ ، فتتلاطمُ الأمواجُ ، فكانَ تمايلُ موسىٰ تلاطمَ أمواجِ بحرِ القلبِ إذا هبَّتْ عليهِ نَسَمَاتُ الفضلِ ، وربَّما كانتِ الرُّوحُ تتطلَّعُ إلى الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ ، فيَهُمُّ بالاستعلاءِ وللقالَبِ بها تشبُّكٌ وامتزاجٌ ، فيضطربُ القالَبُ ويتمايلُ .

فرأتِ اليهودُ ظاهرَهُ مُتمايلاً ، فتمايلوا مِنْ غيرِ حَظٍّ لبواطنِهِم مِنْ ذلكَ ؛ ولهـٰذا المعنىٰ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إنكاراً علىٰ أهلِ الوَسْوسَةِ : « هَـٰكَذَا خَرَجَتْ عَظَمَةُ ٱللهِ مِنْ قُلُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ حَتَّىٰ شَهِدَتْ أَبْدَانُهُمْ ، وَغَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، لَا يَقْبَلُ ٱللهُ صَلَاةَ ٱمْرِئٍ لَا يَشْهَدُ فِيهَا قَلْبُهُ كَمَا يَشْهَدُ بَدَنُهُ ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ دَائِمٌ ، وَلَا يُكْتَبُ لَهُ عُشْرُهَا إِذَا كَانَ قَلْبُهُ سَاهِياً لَاهِياً »[3] .

---

(١) أي : ما كان في باطنهم بصيرةٌ وصفاءٌ بحيثُ يدركون بها المعانيَ وحقائقَ الأشياء ، فيُهيِّب موسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ الصلاةَ بالتميُّل في قلوبهم . من هامش (ح) .

(٢) انظر « نوادر الأصول » (٤/٩) .

(٣) رواه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (١٥٧) مرسلاً عن عثمان بن أبي دهرش رحمه الله تعالىٰ إلىٰ قوله : (كما يشهد بدنه) ، وروىٰ باقيه كذلك المروزي في الكتاب السابق (١٥٢-١٥٣) مرفوعاً عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/٥٣٦) .

واعلَمْ : أنَّ اللهَ سبحانَهُ أَوْجبَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ ؛ وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلصَّلَاةُ عِمَادُ ٱلدِّينِ[١] ؛ فَمَنْ تَرَكَ ٱلصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ »[٢] .

فبالصلاةِ تحقيقُ العُبُوديَّةِ ، وأداءُ حقِّ الرُّبُوبيَّةِ ، وسائرُ العباداتِ وسائلُ إلىٰ تحقيقِ سِرِّ الصلاةِ .

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (يحتاجُ العبدُ إلى السُّنَنِ الرواتبِ ؛ لتكميلِ الفرائضِ ، ويحتاجُ إلى النوافلِ ؛ لتكميلِ السُّنَنِ ، ويحتاجُ إلى الآدابِ ؛ لتكميلِ النوافلِ ، ومِنَ الأدبِ : تركُ الدنيا) .

والذي ذَكَرَهُ سهلٌ هو معنىٰ ما قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ على المنبر : إنَّ الرجلَ لَيَشِيبُ عارضاهُ في الإسلامِ وما أَكْملَ للهِ صلاةً[٣] ، قيلَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : لا يُتِمُّ خشوعَها وتواضعَها ، وإقبالَهُ على اللهِ فيها[٤] .

وقد وَرَدَ في الأخبارِ : إنَّ العبدَ إذا قامَ إلى الصلاةِ رَفَعَ اللهُ تعالى الحجابَ

---

(١) أي : بها يقوم الدين . من هامش (ح) .

(٢) روىٰ شطره الأول : الديلمي في « الفردوس » (٣٧٩٥) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٢٠١٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والبيهقي في « الشعب » (٢٥٥٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وروىٰ شطره الثاني : الترمذي (٢٦٢١) ، وابن ماجه (١٠٧٩) ، والنسائي (١/ ٢٣١) عن سيدنا بُرَيدة الأسلمي رضي الله عنه .

(٣) عارضا الإنسان : صَفْحتا خدَّيه ، وقولُهُم : فلانٌ خفيفُ العارضَين ؛ يُراد به : خِفَّةُ شَعَر عارضَيه . من هامش (ح) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٨٣) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢١٩) .

بينَهُ وبينَهُ ، وواجهَهُ بوجهِهِ الكريمِ ، وقامتِ الملائكةُ مِنْ لَدُنْ مَنكِبَيهِ إلى الهواءِ يُصلُّونَ بصلاتِهِ ، ويُؤمِّنونَ على دُعائِهِ ، وإنَّ المُصلِّيَ لَيُنشَرُ عليهِ مِنَ البِرِّ مِنْ عَنانِ السماءِ إلى مَفْرِقِ رأسِهِ[1] ، ويُنادِيهِ مُنادٍ : (لو عَلِمَ المُصلِّي مَنْ يُناجي . . ما التفتَ) ، أو (ما انفتل)[2] .

وقد جمعَ اللهُ تعالى للمُصلِّينَ في كلِّ ركعةٍ . . ما فَرَّقَ على أهلِ السماواتِ ؛ فللهِ ملائكةٌ في الركوعِ منذُ خَلَقَهُمُ اللهُ تعالى ؛ لا يرفعونَ مِنَ الركوعِ إلى يومِ القيامةِ ، وهكذا في السجودِ والقيامِ والقعودِ .

والعبدُ المُتيقِّظُ يتَّصِفُ في ركوعِهِ بصفةِ الراكعينَ منهُم ، وفي السجودِ بصفةِ الساجدينَ ، وفي كلِّ هيئةٍ هٰكذا ، ويصيرُ كالواحدِ منهُم وبينَهُم .

وفي غيرِ الفريضةِ ينبغي للمُصلِّي أنْ يمكثَ في ركوعِهِ مُتلذِّذاً بالركوعِ ، غيرَ مُهتمٍّ بالرفعِ منهُ ، فإنْ طَرَقَتْهُ سآمةٌ بحُكْمِ الجِبِلَّةِ . . استغفرَ منها ، ويستديمُ تلكَ الهيئةَ ، ويتطلَّعُ إلى أنْ يذوقَ الخشوعَ اللائقَ بهٰذهِ الهيئةِ ؛ ليصيرَ قلبُهُ بلونِ الهيئةِ[3] ، وربَّما يتراءى للراكعِ المُحِقِّ أنَّهُ إنْ سبقَ همُّهُ في حالِ الركوعِ أوِ السجودِ إلى الرفعِ منها . . ما وَفَّى الهيئةَ حقَّها ، فيكونُ همُّهُ لحظتَهُ مُستغرِقاً فيها ، مشغولاً بها عن غيرِها مِنَ الهيئاتِ ، فبذلكَ يتوفَّرُ حظُّهُ مِنْ بركةِ كلِّ هيئةٍ ؛ فإنَّ السُّرْعةَ التي يتقاضى بها الطَّبْعُ تَسُدُّ بابَ الفُتُوحِ ،

---

(١) في بعض النسخ : (ليُنثَر) بدل (ليُنشَر) ، وفي بعضها : (لينتثر) .
(٢) فتلتُهُ عن وجهه فانفتل ؛ أي : صرفتُهُ فانصرف . من هامش (ح) ، والخبر رواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٢١) من كلام عباد بن كثير رحمه الله تعالى ، وأورده بلفظه الغزالي في « الإحياء » (١/ ٦٣٢) .
(٣) في التواضع ؛ أي : يصيرُ قلبُهُ بهيئة قالبِهِ في الركوع بالتواضع . من هامش (ح) .

ويقفُ في مَهَابِّ النَّفَحَاتِ الإلـٰهيَّةِ ، حتىٰ يتكاملَ حظُّ العبدِ ، فتنمحيَ آثارُهُ بحُسْنِ الاسترسالِ[1] ، ويستقرَّ في مقعدِ الوِصالِ .

وقيل : في الصلاةِ : أربعُ هَيْئاتٍ ، وستةُ أذكارٍ .

فالهيئاتُ الأربعُ : القيامُ ، والقعودُ ، والركوعُ ، والسجودُ .

والأذكارُ الستةُ : التِّلاوةُ ، والتسبيحُ ، والحمدُ ، والاستغفارُ ، والدعاءُ ، والصلاةُ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فصارتْ عشرةً كاملةً ، تُفرَّقُ هـٰذهِ العشرةُ علىٰ عشرةِ صفوفٍ مِنَ الملائكةِ ؛ كلُّ صفٍّ عشرةُ آلافٍ[2] ، فيجتمعُ في الركعتَينِ ما يتفرَّقُ علىٰ مئةِ ألفٍ مِنَ الملائكةِ ، واللهُ أعلمُ[3] .

* * *

---

(١) أي : الانكسار والخضوع ، والسكون والطمأنينة وعدم الاستعجال . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (آثاره ؛ أي : صفاتُهُ واختيارُهُ ، وقولُه : « بحسن الاسترسال » ؛ أي : بحسن الشروع في كل هيئة ، وعدمِ قَصْدِ الرفع منها) .

(٢) في (ب) : (صنوف . . . صنف) بدل (صفوف . . . صف) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب السابع والثلاثون

في وصف صلاة أهل القرب

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : ونذكرُ في هـٰذا البابِ : كيفيةَ الصلاةِ بهيئاتِها وشروطِها وآدابِها الظاهرةِ والباطنةِ على الكمالِ ، بأقصىٰ ما انتهىٰ إليهِ فهمُنا وعِلْمُنا على الوجهِ[1] ، معَ الإعراضِ عن نَقْلِ الأقوالِ في كلِّ شيءٍ مِنْ ذلكَ ؛ إذ في ذلكَ كَثْرةٌ ، ويخرجُ عن حدِّ الاختصارِ والإيجازِ المقصودِ[2] ؛ فنقولُ وباللهِ التوفيقُ :

ينبغي للعبدِ أنْ يستعدَّ للصلاةِ قبلَ دخولِ وقتِها بالوضوءِ[3] ، ولا يُوقِعَ الوضوءَ في وقتِ الصلاةِ ؛ فذلكَ مِنَ المحافظةِ عليها .

ويحتاجُ لمعرفةِ الوقتِ إلىٰ معرفةِ الزَّوالِ وتفاوتِ الأقدامِ لطولِ النهارِ وقِصَرِهِ ، ويُعتبَرُ الزوالُ : بأنَّ الظِّلَّ ما دامَ في الانتقاصِ فهوَ النِّصْفُ الأوَّلُ مِنَ النهارِ ، فإذا أَخَذَ الظِّلُّ في الازديادِ . . فهوَ النِّصْفُ الأخيرُ ، وقد زالتِ الشمسُ ، فإذا عَرَفَ الزوالَ وأنَّ الشمسَ علىٰ كَمْ قَدَمٍ تزولُ . .

---

(١) أي : على الوجه المعتبر المُحقَّق . من هامش (ح) ، ونحوه في (ج) .

(٢) وأيضاً : نقلُ الأقوال للتحقيق والتثبيت ، وما أذكرُهُ من المُحقَّقات والمُقرَّرات لا يُحتاج فيها إلىٰ بيان وبرهان . من هامش (ح) .

(٣) ويترك المساهلة الطبيعية المؤذنة بعدم الاهتمام بالقيام بأمر الله . من هامش (ح) .

يعرفُ أولَ الوقتِ وآخِرَهُ ووقتَ العصرِ .

ويحتاجُ إلىٰ معرفةِ المَنازلِ ؛ ليعلمَ طلوعَ الفجرِ ، ويعلمَ أوقاتَ الليلِ ، وشرحُ ذلكَ يطولُ ، ويحتاجُ أنْ يُفردَ لهُ بابٌ .

فإذا دخلَ وقتُ الصلاةِ يُقدِّمُ السُّنَّةَ الراتبةَ ؛ ففي ذلكَ سِرٌّ وحِكْمةٌ ؛ وذلكَ واللهُ أعلَمُ : أنَّ العبدَ تَشعَّثَ باطنُهُ ، وتفرَّقَ همُّهُ بما بُلِيَ بهِ مِنَ المُخالطةِ معَ الناسِ ، وقيامِهِ بمَهَامِّ المَعَاشِ ، أو سهوٍ جَرَىٰ بوَضْعِ الجِبِلَّةِ ، أو صَرْفِ هَمٍّ إلىٰ أكلٍ أو نومٍ بمُقتضى العادةِ ، فإذا قَدَّمَ السُّنَّةَ ينجذبُ باطنُهُ إلى الصلاةِ ، ويتهيَّأُ للمُناجاةِ ، ويذهبُ بالسُّنَّةِ الراتبةِ أثرُ الغَفْلةِ والكُدُورةِ مِنَ الباطنِ ، فينصلحُ الباطنُ ، ويصيرُ مُستعِدّاً للفريضةِ .

فالسُّنَّةُ مُقدِّمةٌ صالحةٌ تستنزلُ البركاتِ ، وتتطرَّقُ للنفحاتِ[1] .

ثمَّ يُجدِّدُ التوبةَ معَ اللهِ تعالىٰ عندَ الفريضةِ عن كلِّ ذنبٍ عَمِلَهُ .

ومِنَ الذُّنُوبِ عامَّةٌ وخاصَّةٌ[2] :

فالعامَّةُ : الكبائرُ والصغائرُ ممَّا أَوْمأَ إليهِ الشرعُ ، ونَطَقَ بهِ الكتابُ والسُّنَّةُ .

والخاصَّةُ : ذنوبُ حالِ الشخصِ ؛ فكلُّ عبدٍ علىٰ قَدْرِ صفاءِ حالِهِ لهُ ذنوبٌ تُلائِمُ حالَهُ ، ويعرفُها صاحبُها[3] .

---

(١) كذا في (ج) ، وفي (أ ، د ، ز) : (وتُطرِّقُ النفحات) ، وفي (ب ، هـ ، و ، ح) : (وتطرُّقٌ للنفحات) .

(٢) (من) : بمعنىٰ (بعض) ؛ أي : بعض الذنوب . من هامش (ح) .

(٣) أي : الذي يعزم علىٰ إلزام النَّفْس معنىً من المعاني التي نَدَبَهُ الله إليها في المقامات أو الأخلاق أو غيرها ممَّا بينه وبين الله تعالىٰ . من هامش (ح) .

وقيلَ : حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبينَ[1] .

ثمَّ لا يُصلِّي إلا جماعةً ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَفْضُلُ صَلَاةُ ٱلْجَمَاعَةِ صَلَاةَ ٱلْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »[2] .

ثمَّ يستقبلُ القِبْلَةَ بظاهرِهِ ، والحَضْرةَ الإلـٰهيَّةَ بباطنِهِ ، ويقرأُ : (قُلْ أعوذُ بربِّ الناسِ) ، ويقرأُ في نَفْسِهِ آيةَ التوجُّهِ ، وهـٰذا التوجُّهُ قبلَ الصلاةِ ، والاستفتاحُ قبلَ الصلاةِ لوجهِهِ الظاهرِ بانصرافِهِ إلى القِبْلةِ ، وتخصيصِ جهةٍ مِنَ الجهاتِ بالتوجُّهِ دونَ جهةِ الصلاةِ[3] .

ثمَّ يرفعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنكِبيهِ ؛ بحيثُ يكونُ كفَّاهُ حَذْوَ مَنكِبيهِ ، وإبهاماهُ عندَ شَحْمَةِ أُذُنَيهِ ، ورؤوسُ أصابعِهِ معَ الأُذُنَينِ ، ويَضُمُّ الأصابعَ ، وإنْ نَشَرَها جازَ ، والضمُّ أَوْلىٰ ؛ فإنَّهُ قيلَ : النَّشْرُ نَشْرُ الكفِّ ، لا نَشْرُ الأصابعِ .

ويُكبِّرُ ، ولا يُدخِلُ بينَ باءِ (أكبرْ) ورائِهِ ألفاً ، ويجزمُ (الأكبرَ) ، ويجعلُ المَدَّ في (اللهُ) ، ولا يُبالِغُ في ضمِّ الهاءِ مِنَ (اللهُ) ، ولا يبتدئُ بالتكبيرِ إلَّا إذا استقرَّتِ اليدانِ حَذْوَ المَنكِبَينِ ، ويُرسِلُهُما معَ التكبيرِ مِنْ غيرِ نَفْضٍ ؛ فالوقارُ إذا سَكَنَ القلبَ تشكَّلَتْ بهِ الجوارحُ ، وتأيَّدَتْ بالأَوْلىٰ والأَصْوب .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ١٣٧) من كلام أبي سعيد الخرَّاز رحمه الله تعالىٰ ، ويُحكىٰ عن ذي النون المصري وأبي القاسم الجنيد رحمهما الله تعالى . انظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٥٧) .

(٢) والتقديرات الشرعية لا يصعد العقل علىٰ مراقي معرفتها . من هامش (ح) ، والحديث رواه البخاري (٦٤٥) ، ومسلم (٦٥٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) والتوجُّه بعد الدخول في الصلاة بانصراف باطنِهِ ممَّا سوى الله إلى الله ، فإذا صدق في الانصراف استحقَّ ورودَ أنوار الألطاف ، وفهمَ لطائف الخطاب . من هامش (ح) .

ويجمعُ بينَ نيّةِ الصلاةِ والتكبيرِ ؛ بحيثُ لا يغيبُ عن قلبِهِ حالةَ التكبيرِ أنَّهُ يُصلِّي الصلاةَ بعينِها .

حُكِيَ عنِ الجُنَيدِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : (لكلِّ شيءٍ صفوةٌ ، وصفوةُ الصلاةِ التكبيرةُ الأُولىٰ)[1] ، وإنَّما كانتِ التكبيرةُ صفوةً ؛ لأنَّها موضعُ النِّيَّةِ وأوَّلُ الصلاةِ .

قالَ أبو نَصْرٍ السَّرَّاجُ : سمعتُ ابنَ سالمٍ يقولُ : النِّيَّةُ باللهِ وللهِ ومِنَ اللهِ[2] ، والآفاتُ التي تدخلُ في صلاةِ العبدِ بعدَ النِّيَّةِ . . مِنَ العَدُوِّ[3] ، ونصيبُ العَدُوِّ وإنْ كَثُرَ لا يُوازَنُ بالنِّيَّةِ التي هيَ للهِ وباللهِ ومِنَ اللهِ وإنْ قَلَّ[4] .

وسُئِلَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : كيفَ الدخولُ في الصلاةِ ؟ فقالَ : هوَ أنْ تُقبِلَ على اللهِ تعالىٰ كإقبالِكَ عليهِ يومَ القيامةِ ، ووقوفِكَ بينَ يَدَي اللهِ تعالىٰ ليسَ

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٣) ، ورواه مرفوعاً أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٦٧) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (١/ ٢٤٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٦٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) النيّةُ بالله تكون لمَنْ تجلّى اللهُ عليه بطريق الأفعال ؛ فيرىٰ حركاتِهِ بتحريك الله إيَّاه ، ولا يرىٰ نَفْسه في البين ، ويلزمُ من هـٰذا المقام أن تكون النيَّةُ لله ، وأمَّا كونُها من الله إلى الله يكون بدوام حضور القلب مع الله قبل الدخول في الصلاة ، فإذا دخل فيها بنيّة من قلبه . . كان حاضراً مع الله ، وكانتْ نيَّتُهُ من الله إلى الله . من هامش (ح) ، وفي النسخ ما عدا (و) : (لله) بدل (ولله) .

(٣) أي : الشيطان والنفس . من هامش (ح) ، وزاد في « اللمع » : (وهو نصيب العدو) .

(٤) اللمع (ص٢٠٥) ، وقولُهُ : (وإن قَلَّ) كذا في النسخ ، والقياس : (قَلَّت) ؛ أي : النية ، وقد جاء على القياس في « اللمع » .

بينَكَ وبينَهُ تَرْجُمانٌ ، وهوَ مُقبِلٌ عليكَ وأنتَ تُناجِيهِ ، وتعلمَ بينَ يَدَيْ مَنْ أنتَ واقفٌ ؛ فإنَّهُ المَلِكُ العظيمُ[1] .

وقيلَ لبعضِ العارفينَ : كيفَ نُكبِّرُ التكبيرةَ الأُولىٰ ؟ فقالَ : ينبغي إذا قلتَ : (اللهُ أكبرْ) أنْ يكونَ مصحوبُكَ في (اللهُ) التعظيمَ معَ الألفِ ، والهيبةَ معَ اللامِ ، والمراقبةَ والفَرَقَ معَ الهاءِ[2] .

واعلَمْ : أنَّ مِنَ الناسِ مَنْ إذا قالَ : (اللهُ أكبرْ) . . غابَ في مُطالَعةِ العَظَمَةِ والكِبْرياءِ ، وامتلأَ باطنُهُ نوراً ، وصارَ الكونُ بأَسْرِهِ[3] في فضاءِ شَرْحِ صدرِهِ كخَرْدَلَةٍ بأرضٍ فلاةٍ ، ثمَّ تُلْقى الخَرْدَلَةُ ، فما يَخشَىٰ مِنَ الوَسْوَسةِ وحديثِ النَّفْسِ ، وما يتخايلُ في الباطنِ . . هوَ مِنَ الكَوْنِ الذي صارَ بمثابةِ الخَرْدَلَةِ وأُلْقِيَتْ[4] ، فكيفَ تُزاحِمُ الوسوسةُ وحديثُ النفسِ مثلَ هٰذا العبدِ ؟!

---

(١) وفي استشعار مثلِ هٰذا لا بدَّ أن يُحضِرَ القلب ، ويتركَ الالتفات إلىٰ ما سوى الله ، ويُغلِّبَ عليه هيبةَ عظمة الله تعالىٰ . من هامش (ح) ، والخبر أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٣) .

(٢) وسمع أبو يزيد رحمه الله رجلاً يقول : (الله أكبر) ، فقال : ما معنىٰ قولك : (الله أكبر) ؟ فقال الرجل : أكبرُ من كل شيء سواه ، فقال : ويحك حَدَدْتَهُ !! أَوَكان معه شيءٌ فيكونَ أكبرَ منه ؟! فقال الرجل : ما معنى (الله أكبر) ؟ فقال أبو يزيد رحمه الله : أكبرُ من أن يُقاس بالناس ، أو يدخلَ تحت القياس ، أو أن يدركه الحواس . من هامش (ح) ، وما ذكره المؤلف أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٣) ، والفَرَق : الخوف ، وفي (ب) : (والقرب) بدل (والفَرَق) ، وهي كذلك في « اللمع » و« التهذيب » .

(٣) يُقال : هٰذا الشيء لك بأسره ؛ أي : بقدِّه ؛ يعني : بجميعه ، كما يُقال : برُمَّته . من هامش (ح) .

(٤) ولا يتيسَّر هٰذا المعنىٰ إلا بترك ما هو حادثٌ ، والإقبالِ بكُنْه الهِمَّة علىٰ جناب القديم العظيم ؛ ليتنوَّرَ قلبُهُ بنور العَظَمة ، وتصيرَ الكائناتُ في جنبه كخردلةٍ في أرضٍ فلاة ، =

وقد تُزاحِمُ مُطالَعةُ العَظَمةِ والغيبوبةُ في ذلكَ كونَ النِّيَّةِ[1] ، غيرَ أنَّهُ لغايةِ لُطْفِ الحالِ يختصُّ الرُّوحُ بمُطالَعةِ العَظَمةِ ، والقلبُ يتميَّزُ بالنِّيَّةِ ، فتكونُ النِّيَّةُ موجودةً بأَلْطفِ صفاتِها ، مُندرِجةً في نورِ العَظَمةِ اندراجَ الكوكبِ في ضوءِ الشمسِ .

ثمَّ يَقبِضُ بيدِهِ اليُمْنىٰ يدَهُ اليُسْرىٰ ، ويجعلُهُما بينَ السُّرَّةِ والصَّدْرِ ، واليُمْنىٰ لكرامتِها تُجعَلُ فوقَ اليُسْرىٰ ، ويَمُدُّ المُسبِّحةَ والوُسْطىٰ على الساعدِ ، ويَقبِضُ بالثلاثةِ البواقي اليُسْرىٰ مِنَ الطَّرَفينِ[2] .

وقد فسَّرَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] ؛ قالَ : إنَّهُ وَضْعُ اليُمْنىٰ على الشِّمالِ تحتَ الصَّدْرِ[3] ؛ وذلكَ أنَّ تحتَ الصَّدْرِ عِرْقاً يُقالُ لهُ : الناحِرُ ؛ أي : ضَعْ يَدَكَ على الناحِرِ .

وقالَ بعضُهُم : ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ ؛ أي : استقبِلِ القبلةَ بنَحْرِكَ[4] .

= وبازدياد أنوار العظمة الإلـٰهيَّة تُلقى الخردلة أيضاً . من هامش (ح) .

(١) أي : وجود النية . من هامش (ح) .

(٢) أي : طَرَفي الساعد . من هامش (ح) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٦٥٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٣١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وروي أيضاً عن سيدنا علي دون تحديد بموضع .

(٤) أي : في وضع اليمين على الشمال ، وجعلِها من السُّرَّة والصدر ، والنحر : موضع القلادة من الصدر . من هامش (ح) ، وهـٰذا القولُ للفرَّاء إمامِ أهل الكوفة في العربية ، كما رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٠/ ٣٨٤) ، وانظر « معاني القرآن » للفراء (٣/ ٢٩٦) .

وفي ذلكَ سِرٌّ عظيمٌ خَفِيٌّ يُكاشَفُ بهِ مِنْ وراءِ أستارِ الغيبِ :

وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ بلُطْفِ حكمتِهِ خَلَقَ الآدميَّ وشرَّفَهُ وكرَّمَهُ ، وجعلَهُ مَحَلَّ نظرِهِ ومَورِدَ وَحْيِهِ ، ونُخَبَةَ ما في أرضِهِ وسمائِهِ[1] ؛ رُوحانياً جِسْمانياً ، أرضيّاً سماويّاً ، مُنتصِبَ القامةِ ، مُرتفِعَ الهيئةِ ، **فنصفُهُ الفَوْقانيُّ مِنْ حَدِّ الفؤادِ**[2] مُستودَعُ أسرارِ السماواتِ ، **ونصفُهُ التَّحْتانيُّ** مُستودَعُ أسرارِ الأرضِ[3] .

فمَحَلُّ نَفْسِهِ ومركزُها النصفُ الأسفلُ ، **ومَحَلُّ رُوحِهِ الرُّوحانيِّ والقلبِ** النصفُ الأعلىٰ ، **فجواذبُ الرُّوحِ معَ جواذبِ النَّفْسِ** تتطاردانِ وتتجاذبانِ[4] ، **وباعتبارِ تطارُدِهِما وتجاذبِهِما لَمَّةُ المَلَكِ ولَمَّةُ الشيطانِ** .

ووقتُ الصلاةِ يَكثُرُ التَّطارُدُ[5] ؛ لوجودِ التَّجاذُبِ بينَ الإيمانِ والطَّبْعِ[6] ، **فيُكاشَفُ المُصلِّي** الذي صارَ قلبُهُ سماويّاً مُتردِّداً بينَ الفناءِ والبقاءِ . . بجواذبِ النَّفْسِ مُتصاعِدةً مِنْ مركزِها[7] .

---

(١) قوله : (نُخَبَة) ؛ مثل (رُطَبَة) ، والجمع : (نُخَب) ؛ مثل (رُطَب) ؛ يُقال : جاء في نُخَبِ أصحابِهِ ؛ أي : في خيارهم . من هامش (ح) .

(٢) الفؤاد مستجمع أسرار السماوات والأرض . من هامش (ح) ، وفي بعض النسخ : (الأعلىٰ) بدل (الفوقاني) .

(٣) في بعض النسخ : (الأسفل) بدل (التحتاني) .

(٤) في (أ ، و ، ز) : (ويتحاربان) .

(٥) كذا ضبط (وقت) بالوجهين في (و) ، وهو واضح ، والتقدير على الرفع : (يكثُر التطاردُ فيه) .

(٦) الإيمانُ يقتضي التوجُّهَ التامَّ إلى الله ، والطبعُ يقتضي استصحابَ التخيُّلات التي كانتْ قبل الصلاة لا يريدُ تركَها ، حتىٰ يحصلَ له التوجُّه التام . من هامش (ح) .

(٧) متصاعدة : حالٌ من (الجواذب) . من هامش (ح) .

وللجوارحِ وتصرُّفِها وحركتِها معَ معاني الباطنِ . ارتباطٌ ومُوازنةٌ[1] ؛ فبوَضْعِ اليمينِ على الشِّمالِ حَصْرُ النَّفْسِ ، ومَنْعٌ مِنْ صعودِ جواذبِها ، وأَثَرُ ذلكَ[2] يظهرُ بدَفْعِ الوَسْوَسةِ ، وزوالِ حديثِ النَّفْسِ في الصلاةِ .

ثمَّ إذا استولتْ جواذبُ الرُّوحِ ، وتملَّكَتْ مِنَ الفَرْقِ إلى القَدَمِ عندَ كمالِ الأُنْسِ ، وتحقَّقَ قُرَّةُ العَينِ واستيلاءُ سُلْطانِ المُشاهَدةِ . . تصيرُ النَّفْسُ مقهورةً ذليلةً ، ويستنيرُ مركزُها بنُورِ الرُّوحِ ، فتنقطعُ حينئذٍ جواذبُ النَّفْسِ ، وعلىٰ قَدْرِ استنارةِ مركزِ النَّفْسِ يزولُ كَلُّ العبادةِ[3] ، ويستغني حينئذٍ عن مُقاوَمةِ النَّفْسِ ومَنْعِ جواذبِها بوَضْعِ اليمينِ على الشِّمالِ ، فيُسبِلُ حينَئذٍ[4] ، ولعلَّ لذلكَ واللهُ أعلمُ ما نُقِلَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ صلَّىٰ مُسبِلاً[5] ، وهوَ مذهبُ مالكٍ رحمَهُ اللهُ[6] .

ثمَّ يقرأُ : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ . . . ﴾ الآيةَ [الأنعام : ٧٩] ، وهـٰذا التوجُّهُ آنفاً

---

(١) تُؤثِّر حركاتُ الجوارح في معاني الباطن ، فإن كانتِ الحركاتُ بالطاعات بشرائطها . . تُؤثِّر في تنوير الباطن ، وإن كانتْ بالمعاصي تُؤثِّر في تكدير الباطن . من هامش (ح) .

(٢) أي : الوضع . من هامش (ح) .

(٣) أي : ثِقَلُها .

(٤) أي : اليدين من غير وضع اليمين على الشمال ؛ أَسْبل إزاره ؛ أي : أَرْخاه . من هامش (ح) .

(٥) رواه البخاري (٨٢٨) عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، وفيه : أنَّهُ وصف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام ثُلَّة من أصحابه عليه الصلاة والسلام ، ولم يذكر فيه السبل ، ورواه صريحاً في ذلك الطبرانيُّ في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٧٤) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٦) وهو مندوبٌ عندهم في الفرض والنفل . انظر « شرح الزرقاني علىٰ مختصر خليل » (١/ ٣٧٨) .

لوجهِ قلبِهِ ، والذي قبلَ الصلاةِ لوَجْهِ قالَبِهِ .

ثمَّ يقولُ[1] : (سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكِ ، وتبارَكَ اسمُكَ ، وتعالىٰ جَدُّكَ ، ولا إلـٰهَ غيرُكَ ، اللَّهُمَّ أنتَ المَلِكُ لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ ، أنتَ ربِّي وأنا عبدُكَ ، ظلمتُ نَفْسي ، واعترفتُ بذَنْبِي ؛ فاغْفِرْ لي ذُنُوبي جميعاً ؛ إنَّهُ لا يغفرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ ، واهْدِني لأحسنِ الأخلاقِ ؛ فإنَّهُ لا يهدي لأحسنِها إلا أنتَ ، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها ؛ فإنَّهُ لا يَصرِفُ عنِّي سيِّئَها إلا أنتَ ، لَبَّيكَ وسَعْدَيكَ ، والخيرُ كلُّهُ بيدَيكَ ، والشرُّ ليسَ إليكَ ، أنا بكَ وإليكَ ، تباركتَ وتعالَيتَ ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ) .

ويُطرِقُ رأسَهُ في قيامِهِ ، ويكونُ نَظَرُهُ إلىٰ مَوضِعِ سجودِهِ ، ويُكمِلُ القيامَ بانتصابِ القامةِ ونَزْعِ يسيرِ الانطواءِ عنِ الرُّكْبتَينِ والخواصرِ ومَعَاطِفِ البدنِ ، ويقفُ كأنَّهُ ناظرٌ بجميعِ جَسَدِهِ إلى الأرضِ ، فهـٰذا مِنْ خشوعِ سائرِ الأجزاءِ ، ويكونُ الجسدُ بلونِ القلبِ مِنَ الخشوعِ .

ويُراوِحُ بينَ القدمَينِ بمقدارِ أربعِ أصابعَ ؛ فإنَّ ضَمَّ الكعبَينِ هوَ الصَّفْدُ المَنهِيُّ عنهُ ، ولا يرفعُ إحدى الرِّجْلَينِ ؛ فإنَّهُ الصَّفْنُ المَنهِيُّ عنهُ ؛ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الصَّفْنِ والصَّفْدِ[2] .

---

(١) وهـٰذا الجمعُ بين التوجُّه والثناء هو مختار القاضي أبي حامد وأبي إسحاق المروزي . انظر « المجموع » (٣/ ٢٧٨) ، وفي هامش (ح) : (وأبو يوسف أيضاً على الجمع بين التوجُّه والثناء ، إلا أنَّهُ قدَّم الثناءَ على التوجُّه) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٢) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٦٧) ، وقال العراقي في « المغني » (٤١١) : (عزاه رَزين إلى الترمذي ، ولم أجده عنده ولا عند غيره ، وإنما ذكره أصحاب الغريب ؛ كابن الأثير في « النهاية » ، =

وإذا كانَ الصَّفْنُ مَنهيّاً عنهُ . . ففي زيادةِ الاعتمادِ علىٰ إحدى الرِّجْلَينِ دونَ الأُخْرىٰ معنىً مِنَ الصَّفْنِ ، فالأَوْلىٰ : رعايةُ الاعتدالِ في الاعتمادِ على الرِّجْلَينِ جميعاً .

ويُكرَهُ اشتمالُ الصَّمَّاءِ ؛ وهوَ أنْ يُخرِجَ يدَهُ مِنْ قِبَلِ صدرِهِ[1] .

ويجتنبُ السَّدْلَ ؛ وهوَ أنْ يُرخِيَ أطرافَ الثوبِ إلى الأرضِ ؛ ففيه معنى الخُيَلاءِ ، وقيلَ : هوَ الذي يلتفُّ بالثوبِ ويجعلُ يدَيْهِ مِنْ داخلٍ ، فيركعُ ويسجدُ كذلكَ ، وفي معناهُ : ما إذا جعلَ يدَيْهِ داخلَ القميصِ .

ويجتنبُ الكَفَّ ؛ وهوَ أنْ يرفعَ ثيابَهُ بيدَيْهِ عندَ السجودِ .

ويُكرَهُ الاختصارُ[2] ؛ وهو أنْ يجعلَ يدَهُ على الخاصرةِ .

= وروىٰ سعيد بن منصور أنَّ ابن مسعود رأىٰ رجلاً صافّاً ـ أو صافناً ـ قدميه ، فقال : أخطأ هـٰذا السُّنَّةَ) .

(١) نهىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام من اشتمال الصمَّاء ، ومعنى اشتمل : أنَّهُ لا يقدر على الاحتراس من شيء بيده لو أصابه . « فائق » ، قال أهل اللغة : اشتمالُ الصمَّاء : أن تُجلِّل جسدَكَ بثوبك نحو شملة الأعراب بأكسيتهم ؛ وهو أن يَرُدَّ الكِساءَ مِنْ قِبَلِ يمينه علىٰ يده اليسرىٰ وعاتقه الأيسر ، ثمَّ يَرُدَّهُ ثانيةً من خلفه علىٰ يده اليُمْنىٰ وعاتقه الأيمن [فيغطِّيهما جميعاً] ، وأمَّا الفقهاء يقولون : هو أن يشتملَ بثوبٍ واحدٍ ليس عليه غيرُهُ ، ثمَّ يرفعَهُ من أحد جانبيه فيضعَهُ علىٰ منكبيه ، فيبدو منه فرجُهُ ، قاله صاحب « النهاية » ، والعلماءُ أعلمُ بالتأويل في هـٰذا لو ذلك [صحَّ] ، [وكلا] القولين مذكور في « الصحاح » ، وإنَّما قال لها : صمَّاء ؛ لأنَّهُ إذا اشتمل سدَّ علىٰ يديه ورجليه المنافذ كلَّها ؛ كالصخرة الصمَّاء التي [ليس فيها] خرق ولا صدع . « غريبين » ، وتأنيث الصمَّاء باعتبار أنَّها صفة للِّبْسة الصمَّاء . من هامش (ح) .

(٢) نُهي عنه ، ومعنى النَّهي : أنَّهُ فِعْلُ [المُصاب] ، وحالةُ الصلاة حالٌ يُناجي فيه العبدُ ربَّهُ ، فهو حالُ الارتجاء ، لا حالُ [إظهار المصيبة] . « مبسوط » ، ولأنَّ فيه تركَ سنة أخذ اليد . من هامش (ح) .

ويُكرَهُ الصَّلْبُ ؛ وهوَ وضعُ اليدَينِ جميعاً على الخَصْرَينِ ، ويُجافِي العَضُدَينِ .

فإذا وقفَ في الصلاةِ على الهيئةِ التي ذَكَرْناها مُجتنِباً للمَكَارِهِ . . فقد تمَّمَ القيامَ وكمَّلَهُ ، فيقرأُ التوجُّهَ والدُّعاءَ كما ذَكَرْنا ، ثمَّ يقولُ : (أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجيمِ) ، ويقولُها في كلِّ ركعةٍ أمامَ القراءةِ ، ويقرأُ (الفاتحةَ) وما يُقرَأُ بعدَها بحضورِ قلبٍ وجَمْعِ هَمٍّ ، ومُوَاطأةٍ بينَ القلبِ واللِّسانِ ، بحظٍّ وافرٍ مِنَ الوُصْلةِ والدُّنُوِّ[1] ، والهَيبةِ والخُشُوعِ ، والخَشْيةِ والتعظيمِ والوَقَارِ ، والمُشاهَدةِ والمُناجاةِ .

وإنْ قرأَ بينَ (الفاتحةِ) وما يُقرَأُ بعدَها إذا كانَ إماماً في السَّكْتةِ الثانيةِ : (اللَّهُمَّ ؛ باعِدْ بيني وبينَ خَطَايايَ كما باعدتَ بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، ونَقِّني مِنَ الخَطَايا كما يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ ؛ اغْسِلْ خَطَايايَ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ)[2] . . فحَسَنٌ[3] ، وإنْ قالَها في السَّكْتةِ الأُولىٰ . . فحَسَنٌ ؛ رُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ ذلكَ[4] .

---

(١) أي : منه ؛ باستشعار عظمته . من هامش (ح) .

(٢) يشاهد السالكُ المراتبَ الثلاث ؛ الغَسْلَ بالماء ؛ أي : بنورٍ هو كالماء تُنحّىٰ به كُدُوراتُ الطبيعة ، والغَسْلَ بالثلج ؛ أي : بنور أَصْفىٰ وأزهرَ هو كالثلج ؛ يزولُ به ظُلُماتُ صفات النَّفس ، والغَسْلَ بالبَرَدِ ؛ أي : بنورٍ أَصفىٰ من الأَصْفىٰ ؛ ينغسلُ به القلبُ من أغيار الالتفات إلى الغير . من هامش (ح) .

(٣) قال التاج السبكي في « الطبقات » (٨/ ٣٤١) : (تَبِعَ في هٰذا الغزاليَّ ؛ فإنَّهُ كذلك ذكر في « الإحياء » ، وهو غريبٌ ، والحديثُ يشهدُ لأنَّ موضعَ ذلك قبل « الفاتحة ») .

(٤) رواه البخاري (٧٤٤) ، ومسلم (٥٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وإنْ كانَ مُنفرِداً يقولُها قبلَ القراءةِ .

ويعلمُ العبدُ : أنَّ تلاوتَهُ نُطْقُ اللِّسانِ ، ومعناها نُطْقُ القلبِ ، وكلُّ مُخاطِبٍ لشخصٍ يتكلَّمُ بلسانِهِ ، ولسانُهُ يُعبِّرُ عمَّا في قلبِهِ ، ولو أمكنَ المُتكلِّمَ إفهامُ مَنْ يُكلِّمُهُ مِنْ غيرِ لسانٍ . . فَعَلَ ، ولٰكنْ حيثُ تعذَّرَ الإفهامُ إلَّا بالكلامِ . . جُعِلَ اللِّسانُ تَرْجُماناً ، فإذا قالَ باللِّسانِ مِنْ غيرِ مُواطأةِ القلبِ . . فما اللِّسانُ تَرْجُمانٌ ، ولا القارئُ مُتكلِّمٌ قاصدٌ إسماعَ اللهِ حاجتَهُ ، ولا مُستمعٌ إلى اللهِ فاهمٌ عنهُ سبحانَهُ ما يُخاطِبُهُ ، وما عندَهُ غيرُ حركةِ اللِّسانِ بقلبٍ غائبٍ عن قَصْدِ ما يقولُ ؛ فلا يكونُ مُتكلِّماً مُناجِياً ، ولا مُستمِعاً واعياً .

فأقلُّ مراتبِ أهلِ الخُصُوصِ في الصلاةِ : الجمعُ بينَ القلبِ واللِّسانِ في التلاوةِ ، ووراءَ ذلكَ أحوالٌ للخواصِّ يطولُ شرحُها[1] .

قالَ بعضُهُم : (ما دخلتُ في صلاةٍ قطُّ فأَهَمَّني فيها غيرُ ما أقولُ)[2] .

وقيلَ لعامرِ بنِ عبدِ اللهِ[3] : هل تجدُ في الصلاةِ شيئاً مِنْ أمورِ الدنيا ؟ فقالَ : لَأَنْ تختلفَ عليَّ الأَسِنَّةُ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أجدَ في الصلاةِ ما تجدونَ[4] .

---

(١) كفَهْمِ لطائف المخاطبات ، ولَذَاذةِ المُسامَرة والمُناجاة ، والاستغراقِ في المشاهدات وتَجلِّيات الصفات والذات ، وغيرِها من المراتب والمقامات . من هامش (ح) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (١/٦٣٦) عن الربيع بن خُثَيم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) ويُعرَفُ بـ (عامر بن عبد قيس) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٢٦/٣) .

(٤) كذا أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢١٨) ، والغزالي في « الإحياء » =

وقيلَ لبعضِهم : هل تُحدِّثُ نفسَكَ في الصلاةِ بشيءٍ مِنْ أمورِ الدُّنيا ؟ فقالَ : لا في الصلاةِ ولا في غيرِها[١] .

ومِنَ الناسِ مَنْ إذا أَقْبلَ في صلاتِهِ على اللهِ يتحقَّقُ بمعنى الإنابةِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قَدَّمَ الإنابةَ وقالَ : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الروم : ٣١] ، فيُنيبُ إلى اللهِ تعالىٰ ويتَّقي اللهَ بالتبرُّؤِ عمَّا سواهُ ، ويُقِيمُ الصلاةَ بصَدْرٍ مُنشرحٍ بالإسلامِ ، وقلبٍ مُنفسِحٍ بنورِ الإنعامِ ، فتخرجُ الكلمةُ مِنَ القرآنِ مِنْ لسانِهِ ، ويسمعُها بقلبِهِ ، فتقعُ الكلمةُ في فضاءِ قلبٍ ليسَ فيهِ غيرُها ، فيتملَّكُها القلبُ بحُسْنِ الفهمِ ، ولَذَاذةِ الإصغاءِ ، ويتشرَّبُها بحَلاوةِ الاستماعِ وكمالِ الوَعْيِ ، ويُدرِكُ لطيفَ معناها وشريفَ فَحْواها ؛ معانيَ تَلطُفُ عن تفصيلِ الفِكْرِ ، وتتشكَّلُ بخَفِيِّ الذِّكْرِ ، ويصيرُ الظاهرُ مِنْ معاني القرآنِ قُوتاً للنَّفْسِ .

والنَّفْسُ المُطمئنَّةُ مُتعوِّضةٌ بمعاني القرآنِ عن حديثِها ؛ لكونِها معانيَ ظاهرةً مُتوجِّهةً إلىٰ عالَمِ الحِكْمةِ والشهادةِ ، تَقْرُبُ مُناسَبتُها مِنَ النَّفْسِ المُكوَّنةِ لإقامةِ رَسْمِ الحِكْمةِ ، ومعاني القرآنِ الباطنةُ التي يُكاشَفُ بها مِنَ المَلَكُوتِ[٢] . . قوتُ القلبِ ، ويتخلَّصُ الرُّوحُ المُقدَّسُ إلىٰ أوائلِ سُرادِقاتِ الجَبَرُوتِ . . بمُطالَعةِ عَظَمَةِ المُتكلِّمِ ، وبمثلِ هٰذهِ المُطالَعةِ يكونُ كمالُ الاستغراقِ ، في لُجَجِ الأَشْواقِ ، كما نُقِلَ عن مُسلِمِ بنِ يسارٍ أنَّهُ صلَّىٰ ذاتَ

= (١/ ٦٣٧) ، ورواه بنحوه أحمد في « الزهد » (١٢٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٨٩٦) .

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (١/ ٦٣٧) .

(٢) أي : من عالم الغيب . من هامش (ح) .

يومٍ في مسجدِ البَصْرةِ ، فوقعَتْ أُسْطُوانةٌ تسامعَ بسقوطِها أهلُ السُّوقِ ، وهوَ واقفٌ في الصلاةِ ولم يعلَمْ بذلكَ !![1] .

ثمَّ إذا أرادَ الركوعَ يفصلُ بينَ القراءةِ والركوعِ ، ثمَّ يركعُ مُنطوِيَ القامةِ[2] **، والنصفُ الأسفلُ بحالِهِ في القيامِ مِنْ غيرِ انطواءِ الرُّكْبتَينِ ، ويُجافِي مِرْفقَيهِ عن جَنْبَيهِ ، ويَمُدُّ عُنُقَهُ معَ ظهرِهِ ، ويضعُ راحتَيهِ على رُكْبتَيهِ منشورةَ الأصابعِ .**

روى مصعبُ بنُ سعدٍ قالَ : صلَّيتُ إلى جنبِ سعدِ بنِ مالكٍ[3] ، فجعلتُ يديَّ بينَ رُكْبتيَّ وبينَ فَخِذيَّ وطبَّقتُهُما ، فضَرَبَ بيديَّ وقالَ : اضْرِبْ بكفَّيكَ على رُكبتَيكَ ، وقالَ : يا بُنيَّ ؛ إنَّا كُنَّا نفعلُ ذلكَ ، فأُمِرْنا أنْ نضربَ بالأَكُفِّ على الرُّكَبِ[4] .

ويقولُ : (سُبْحانَ ربِّيَ العظيمِ) ثلاثاً ، وهوَ أَدْنى الكمالِ ، والكمالُ : أنْ يقولَ عشراً[5] **، وما يأتي بهِ مِنَ العددِ يكونُ بعدَ التمكُّنِ مِنَ الركوعِ ،**

---

(١) لكمال استغرافه ، وزوالِ إحساسه . من هامش (ح) ، والخبر رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/ ١٣٥) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٦٣٧) .

(٢) أي : من غير سقوط . من هامش (ح) .

(٣) هو سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وأبو وقاص : كنيةُ والدِهِ مالكٍ ، ومصعب : هو ابن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٧٩٠) ، ومسلم (٥٣٥) .

(٥) قوله : (عشراً) كذا في النسخ ما عدا (ط) ، وهو ما ذهب إليه الإمام الغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٧٢) ، وفي (ط) : (إحدى عشرة) ، والمشهور والمعروف : أنَّ أكملَهُ : خمسٌ ، فسبعٌ ، فتسعٌ ، فإحدى عشرة ، وذهب بعضهم : إلى أنَّ أدنى الكمال : ثلاث ، وأعلاه : تسعٌ أو إحدى عشرة ، وأوسطُهُ : خمسٌ . انظر =

ومِنْ غيرِ أنْ يَمزِجَ آخرَ ذلكَ بالرَّفْعِ[1] ، ويرفعُ يدَيهِ للركوعِ وللرفعِ مِنَ الركوعِ ، ويكونُ في ركوعِهِ ناظراً نحوَ قَدَمَيهِ ؛ فهوَ أقربُ إلى الخشوعِ مِنَ النظرِ إلىٰ موضعِ السجودِ ، وإنَّما ينظرُ إلىٰ موضعِ سجودِهِ في قيامِهِ[2] .

ويقولُ بعدَ التسبيحِ : (اللَّهُمَّ ؛ لكَ ركعتُ ، ولكَ خشعتُ ، وبكَ آمنتُ ، ولكَ أسلمتُ ، خَشَعَ لكَ سَمْعي وبَصَري ، وعَظْمي ومُخِّي وعَصَبي) ، ويكونُ قلبُهُ في الركوعِ بمعنى الركوعِ ؛ مِنَ التواضعِ والإِخْباتِ .

ثمَّ يرفعُ رأسَهُ قائلاً[3] : (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) ، عالماً بقلبِهِ ما يقولُ .

فإذا استوىٰ قائماً يحمدُ ويقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ ربَّنا ؛ لكَ الحمدُ ، مِلْءَ السماواتِ ومِلْءَ الأرضِ ، ومِلْءَ ما شئتَ مِنْ شيْءٍ بعدُ) ، ثمَّ يقولُ : (أهلَ الثناءِ والمَجْدِ ، حقُّ ما قالَ العبدُ : كلُّنا لكَ عبدٌ ، لا مانعَ لِمَا

= « المجموع » (٣/ ٣٨٣ـ٣٨٤) .

(١) أي : يكونُ تمامُ التسبيحات في حال الاطمئنان في الركوع . من هامش (ح) .

(٢) المعتمد عند السادة الشافعيّة : أنَّهُ في حال القيام والقعود يكون نظرُهُ إلىٰ موضع سجوده ، والذي ذهب إليه المؤلف هو ما جزم به البغوي والمتولي ، وهو أيضاً مذهب السادة الحنفية ، وتفصيلُ قولهم : أنَّهُ في القيام يكون نظره إلىٰ موضع سجوده ، وفي الركوع إلىٰ ظهر قدميه ، وفي السجود إلىٰ أنفه ، وفي القعود إلىٰ حِجْره ؛ لأنَّ امتداد البصر يُلهي ، فإذا قصره كان أَوْلىٰ ، ودليل الأوَّل : أنَّ ترديد البصر من مكان إلىٰ مكان يُشغِلُ القلبَ ويمنع الخشوع . انظر « المجموع » (٣/ ٢٧٠) .

(٣) أي : يبتدئ بقول : (سمع الله) حين ابتداء رفع الرأس ، ويُتِمُّ إذا استوىٰ قائماً . من هامش (ح) .

أَعْطَيتَ ، ولا مُعطِيَ لِمَا منعتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ)[1] .

وإنْ أطالَ في النافلةِ القيامَ بعدَ الرفعِ مِنَ الركوعِ . . فليَقُلْ : (لربِّيَ الحمدُ) ، مُكرِّراً ذلكَ مهما شاءَ[2] ، فأمَّا في الفرضِ فلا يُطوِّلُ تطويلاً يزيدُ على الحدِّ زيادةً بيِّنةً .

ويقنعُ في الرفعِ مِنَ الركوعِ تمامَ الاعتدالِ بإقامةِ الصُّلْبِ ؛ وَرَدَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَا يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَىٰ مَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ ٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ »[3] .

ثمَّ يَهْوِي ساجداً ، ويكونُ في هُوِيِّهِ مُكبِّراً مُتيقِّظاً[4] ، حاضراً خاشعاً ، عالِماً بما يَهْوِي فيهِ وإليهِ ولهُ .

---

(١) قوله : (حقُّ ما قال العبد : كلُّنا لك عبد) كذا في النسخ ، وقال النووي في « المجموع » (٣/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) : (. . . رواه مسلم بلفظه ، إلا أنَّهُ قال : « أحقُّ ما قال العبد ، وكلُّنا لك عبد » بإثبات الألف في « أحق » ، وواوٍ في « وكلُّنا » ، هـٰكذا رواه أبو داود وسائرُ المُحدِّثين ، ووقع في « المهذَّب » وكتب الفقه : « حَقُّ ما قال العبد : كلُّنا » بحذف الألف والواو ، وهـٰذا وإن كان مُنتظِمَ المعنىٰ لـٰكنَّ الصوابَ ما ثبت في كتب الحديث ، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله : معناه : أحقُّ ما قال العبدُ قولُهُ : « لا مانعَ لِمَا أعطَيت . . » إلىٰ آخره ، وقولُهُ : « وكلُّنا لك عبد » اعتراضٌ بين المبتدأ والخبر ، قال أبو داود : أو يكون قولُهُ : « أحقُّ ما قال » خبراً لما قبله ؛ أي : قولُهُ : « ربَّنا ؛ لك الحمدُ . . . » إلىٰ آخره . . أحقُّ ما قال العبدُ ، والأوَّل أَوْلىٰ) .

(٢) في (د) : (ما شاء) بدل (مهما شاء) .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) عن سيدنا طلق بن علي رضي الله عنه .

(٤) في بعض النسخ : (مستيقظاً) ، والهُوِي ـ بضم الهاء وفتحها كما في « المصباح » (٢/ ٨٨٥) ـ : السقوط من أعلىٰ إلىٰ أسفل ، وفي هامش (ح) : (الهَوِي بفتح الهاء : ذهابٌ في انخفاض ، وبضمِّها : ذهابٌ في ارتفاع) .

فمِنَ الساجدينَ مَنْ يُكاشَفُ أنَّهُ يَهْوِي إلىٰ تُخُومِ الأَرَضِينَ[1] ، مُتغيِّباً في أجزاءِ المُلْكِ ؛ لامتلاءِ قلبِهِ مِنَ الحياءِ ، واستشعارِ رُوحِهِ عظيمَ الكِبْرياءِ ، كما وَرَدَ أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ تَسَتَّرَ بخافقةٍ مِنْ جناحِهِ حياءً مِنَ اللهِ تعالىٰ[2] .

ومِنَ الساجدينَ مَنْ يُكاشَفُ أنَّهُ يَطْوِي بسجودِهِ بساطَ الكَونِ والمكانِ ، ويسرحُ قلبُهُ في فضاءِ الكَشْفِ والعِيانِ ، فتَهْوِي دونَ هُويِّهِ أطباقُ السماواتِ ، وتَنْمحِي لقوَّةِ شهودِهِ تماثيلُ الكائناتِ ، ويسجدُ علىٰ طَرَفِ رداءِ العَظَمةِ والكِبْرياءِ[3] ، وذلكَ أَقْصىٰ ما ينتهي إليهِ طائرُ الهِمَّةِ البشريَّةِ ، وتَفِي بالوصولِ إليهِ القُوى الإنسانيَّةُ .

ويتفاوتُ الأنبياءُ والأولياءُ في مراتبِ العَظَمَةِ واستشعارِ كُنْهِها ؛ لكلٍّ منهُم علىٰ قَدْرِهِ حظٌّ مِنْ ذلكَ ، وفوقَ كلِّ ذي عِلْمٍ عليمٌ .

ومِنَ الساجدينَ مَنْ يتَّسِعُ وِعَاؤُهُ ، وينتشرُ ضِياؤُهُ ، ويَحْظَىٰ بالصِّفتَينِ[4] ، ويبسطُ الجناحَينِ ، فيتواضعُ بقلبِهِ إجلالاً ، ويُرفَعُ برُوحِهِ إكراماً وإفضالاً ،

---

(١) التَّخْم : مُنتهىٰ كلِّ قرية أو أرض ، والجمع : (تُخُوم) ؛ كـ(فَلْس وفُلُوس) .

(٢) الخافقة : الجانب والطَّرَف ، وفي نسخة علىٰ هامش (و) : (بخافية) بدل (بخافقة) ، والخافية : واحدةُ (الخَوَافي) ؛ وهي ريشات إذا ضَمَّ الطائرُ جناحيه خَفِيتْ .

(٣) أي : إذا لم يبقَ عنده أثرُ الكائنات ، فلا يرىٰ إلا عظمةَ الله تعالىٰ ؛ فحينئذ يسجدُ علىٰ طرف رداء العظمة . من هامش (ج) .

(٤) أي : بصفة العبوديّة في أجزاء الملك ؛ بحيثُ [يُكاشَفُ] أنَّهُ يَهْوِي إلىٰ تُخُوم الأَرَضِين لأجل الحياء ، وصفةِ البقاء والظهور ؛ بحيث يزول بشهوده أثر الكائنات . من هامش (ج) .

فيجتمعُ لهُ الأُنْسُ والهَيبةُ ، والحضورُ والغَيبةُ ، والفِرارُ والقَرارُ ، والإِسْرارُ والجِهارُ ، فيكونُ في سجودِهِ سابحاً في بَحْرِ شُهُودِهِ ، لم يتخلَّفْ منهُ عنِ السجودِ شعرةٌ ، كما قالَ سيِّدُ البشرِ عليه الصلاةُ والسلامُ في سُجُودِهِ : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي »[1] ؛ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد : ١٥] ؛ فالطَّوْعُ للرُّوحِ والقلبِ ؛ لِمَا فيهِما مِنَ الأهليَّةِ ، والكَرْهُ مِنَ النَّفْسِ ؛ لِمَا فيها مِنَ الأجنبيَّةِ .

ويقولُ في سجودِهِ : (سبحانَ ربِّيَ الأَعْلىٰ) ثلاثاً إلى العَشْرِ الذي هوَ الكمالُ[2] ، ويكونُ في السجودِ مفتوحَ العينَينِ ؛ لأنَّهُما تسجدانِ .

وفي الهُوِيِّ يضعُ رُكْبتَيهِ ثمَّ يدَيهِ ثمَّ جبهتَهُ وأنفَهُ ، ويكونُ ناظراً نحوَ أَرْنَبةِ أنفِهِ في السجودِ ؛ فهوَ أبلغُ في الخشوعِ للساجدِ ، ويُباشِرُ بكفَّيهِ المُصلَّىٰ ، ولا يلفُّهُما في الثوبِ ، ويكونُ رأسُهُ بينَ كَفَّيْهِ ، ويدَاهُ حَذْوَ مَنكِبَيهِ ، غيرَ مُتيامِنٍ ولا مُتياسِرٍ بهِما .

ويقولُ بعدَ التسبيحِ : (اللَّهُمَّ ؛ لكَ سجدتُ ، وبكَ آمنتُ ، ولكَ أسلمتُ ، سَجَدَ وَجْهي للذي خَلَقَهَ وصوَّرَهُ ، وشَقَّ سمعَهُ وبصرَهُ ، تباركَ اللهُ أحسنُ الخالقينَ) ؛ روىٰ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقولُ في سجودِهِ ذلكَ[3] .

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٣٨) .
(٢) قوله : (إلى العشر) كذا في النسخ ، والمشهور : أنَّ الكمال درجات ؛ أعلاها : إحدىٰ عشرة أو تسع ، وأوسطُها : خمس . انظر « النجم الوهاج » (٢/ ١٣٥) .
(٣) رواه مسلم (٧٧١) .

وإنْ قالَ : (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ) . . فحَسَنٌ ؛ رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقولُ في سجودِهِ ذلكَ[1] .

ويُجافي مِرْفقَيهِ عن جَنْبَيهِ ، ويُوجِّهُ أصابعَهُ في السجودِ نحوَ القِبْلةِ ، ويَضُمُّ أصابعَ كفَّيهِ معَ الإبهامِ ، ولا يَفرُشُ ذراعَيهِ على الأرضِ .

ثمَّ يرفعُ رأسَهُ مُكبِّراً ، ويجلسُ على رِجْلِهِ اليُسْرىٰ ، ويَنصِبُ اليُمْنىٰ مُوجِّهاً بالأصابعِ إلى القبلةِ ، ويضعُ اليدَينِ على الفَخِذَينِ مِنْ غيرِ تكلُّفِ ضمِّها وتفريجِها، ويقولُ : (ربِّ ؛ اغْفِرْ لي وارْحَمْني ، واهْدِني واجْبُرْني، وعافِني واعفُ عنِّي) .

ولا يُطِيلُ هٰذهِ الجَلْسةَ في الفريضةِ ، وأمَّا في النافلةِ فلا بأسَ مهما أطالَ قائلاً : (ربِّ ؛ اغْفِرْ وارْحَمْ) مُكرِّراً ذلك ، ثمَّ يسجدُ السَّجْدةَ الثانيةَ مُكبِّراً .

ويُكرَهُ الإقعاءُ في القعودِ ؛ وهوَ ها هنا : أنْ يضعَ أَلْيَتَيهِ علىٰ عَقِبَيهِ .

ثمَّ إذا أرادَ النهوضَ إلى الركعةِ الثانيةِ . . يجلسُ جَلْسةً خفيفةً للاستراحةِ ، ويفعلُ في بقيَّةِ الرَّكَعاتِ هٰكذا ، ثمَّ يتشهَّدُ .

وفي الصلاةِ سِرُّ المِعْراجِ ، وهوَ مِعْراجُ القلوبِ ، والتشهُّدُ مَقَرُّ الوصولِ بعدَ قطعِ مسافاتِ الهيئاتِ علىٰ تدريجِ طَبَقاتِ السماواتِ ، والتحيّاتُ سلامٌ

---

(١) رواه مسلم (٤٨٧) .

علىٰ ربِّ البَرِيَّاتِ ، فلْيَذْهَنْ لما يقولُ[1] ، ويتأدَّبْ معَ مَنْ يقولُ ، ويَدْرِ كيفَ يقولُ .

ويُسلِّمُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ويُمثِّلُهُ بينَ عَينَيْ قلبِهِ ، ويُسلِّمُ علىٰ عبادِ اللهِ الصالحينَ ؛ فلا يبقىٰ في الأرضِ والسماءِ عبدٌ مِنْ عبادِ اللهِ إلَّا ويُسلِّمُ عليهِ بالنسبةِ الرُّوحيَّةِ والخاصِّيَّةِ الفِطْرِيَّةِ .

ويضعُ يدَهُ اليُمْنىٰ علىٰ فَخِذِهِ اليُمْنىٰ مقبوضةَ الأصابعِ إلَّا المُسبِّحةَ ، ويرفعُ المُسبِّحةَ في الشهادةِ في (إلا اللهُ) ، لا في كلمةِ النَّفْيِ ، ولا يرفعُها مُنتصِبةً بل مائلةً برأسِها إلى الفَخِذِ مُنطوِيةً ، فهٰذهِ هيئةُ خشوعِ المُسبِّحةِ ، ودليلُ سِرايةِ خشوعِ القلبِ إليها .

ويدعو في آخرِ صلاتِهِ لنَفْسِهِ وللمؤمنينَ ، وإنْ كانَ إماماً ينبغي ألَّا يَنفرِدَ بالدُّعاءِ ، بل يدعو لنفْسِهِ ولمَنْ وراءَهُ ؛ فإنَّ الإمامَ المُتيقِّظَ في الصلاةِ كحاجبٍ دَخَلَ علىٰ سُلْطانٍ ووراءَهُ أصحابُ الحوائجِ يسألُ لهُم ويَعرِضُ حاجاتِهِم ، والمؤمنونَ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بعضُهُم بعضاً ، وبهٰذا وَصَفَهُمُ اللهُ تعالىٰ في كلامِهِ ؛ فقالَ : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] .

وفي وصفِ هٰذهِ الأُمَّةِ في الكُتُبِ السالفةِ : صَفُّهُم في صلاتِهِم كصَفِّهِم في قتالِهِم .

(١١١) ـ أخبرَنا بذلك شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إملاءً ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمٰنِ محمَّدُ بنُ عيسى بنِ شُعَيبٍ

---

(١) يَذْهَن : يتفطَّن ويعقل ويفهم .

المَالِينيُّ[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ المُظفَّرِ الواعظُ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ السَّرَخْسِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عِمْرانَ عيسى بنُ عمرَ بنِ العبَّاسِ السَّمَرْقَنْديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الدَّارِميُّ ، قالَ : أخبرَنا مُجاهِدُ بنُ موسىٰ ، قالَ : حدَّثَنا مَعْنٌ ـ هوَ ابنُ عيسىٰ ـ أنَّهُ سألَ كعبَ الأحبارِ : كيفَ تَجِدُ نَعْتَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في التوراةِ ؟ قالَ : نجدُ : (محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، يُولَدُ بمكَّةَ ، ويُهاجِرُ بطَيبةَ ، ويكونُ مُلْكُهُ بالشامِ ، وليسَ بفَحَّاشٍ ولا سَخَّابٍ في الأسواقِ[2] ، ولا يُكافِئُ بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ ، ولـٰكنْ يعفو ويغفرُ[3] ، أُمَّتُهُ الحمَّادونَ ، يَحمَدُونَ اللهَ في كلِّ سرَّاءَ ، ويُكبِّرونَ اللهَ علىٰ كلِّ نَجْدٍ[4] ، يُوضِّئُونَ أطرافَهُم ، ويَأْتزِرُونَ في أوساطِهِم ، يَصُفُّونَ في صلاتِهِم كما يَصُفُّونَ في قتالِهِم ، دَوِيُّهُم في مساجدِهِم كدَوِيِّ النَّحْلِ ، يُسمَعُ مُنادِيهِم في جوِّ السماءِ)[5] .

فالإمامُ في الصلاةِ مُقدِّمةُ الصفِّ في محاربةِ الشيطانِ ؛ فهوَ أَوْلى

---

(١) هو نفسه أبو الوقت عبد الأوَّل كما سبق التنبيه عليه في (١/ ٣١٢، ٢/ ٤٤) .

(٢) **السَّخَّاب والصَّخَّاب** : الصَّيَّاح ؛ من السَّخَب والصَّخَب ؛ وهما اختلاط الأصوات ، والأصلُ السين . « مغرب » . من هامش (ح) .

(٣) في (ج ، د ، و) : (ويصفح) .

(٤) **النَّجْد** : ما ارتفع من الأرض .

(٥) سنن الدارمي (٨) ، وفيه : (حدَّثنا معن بن عيسىٰ ، حدَّثنا معاوية بن صالح ، عن أبي فروة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل كعب الأحبار) ، ومن المعلوم والواضح أنَّ مَعْناً لم يلق كعب الأحبار ، ورواه أيضاً من طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٨٥) .

المُصلِّينَ بالخشوعِ والإتيانِ بوظائفِ الأدبِ ظاهراً وباطناً .

والمُصلُّونَ المُتيقِّظُونَ كلَّما اجتمعَتْ ظواهرُهُم تجتمعُ بواطنُهُم ، وتتناصرُ وتتعاضدُ ، ويَسْرِي مِنَ البعضِ إلى البعضِ أنوارٌ وبركاتٌ ، بل جميعُ المؤمنينَ المُصلِّينَ في أقطارِ الأرضِ بينَهُم تعاضُدٌ وتناصُرٌ بحسَبِ القلوبِ ونَسَبِ الإسلامِ ورابطةِ الإيمانِ ، بل يَمُدُّهُمُ اللهُ تعالىٰ بالملائكةِ الكِرامِ ، كما أَمَدَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالملائكةِ المُسوِّمينَ ، فحاجتُهُم إلىٰ مُحارَبةِ الشيطانِ أَمَسُّ مِنْ حاجتِهِم إلىٰ مُحارَبةِ الكُفَّارِ ؛ ولهـٰذا كانَ يقولُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَجَعْنَا مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلْأَصْغَرِ إِلَى ٱلْجِهَادِ ٱلْأَكْبَرِ »[1] ، فتتداركُهُمُ الأملاكُ ، بل بأنفاسِهِمُ الصادقةِ تتماسكُ الأفلاكُ[2] .

فإذا أرادَ الخروجَ مِنَ الصلاةِ يُسلِّمُ عن يمينِهِ ، وينوي معَ التسليمِ الخروجَ مِنَ الصلاةِ ، والسلامَ على الملائكةِ والحاضرينَ مِنَ المؤمنينَ ومُؤْمِنِي الجنِّ ، ويجعلُ خَدَّهُ مُبيَّناً لمَنْ علىٰ يمينِهِ بإلْواءِ عُنُقِهِ[3] ، ويَفصِلُ بينَ هـٰذا السلامِ والسلامِ عن يسارِهِ ؛ فقد وَرَدَ النهيُ عنِ المُواصَلةِ[4] .

---

(١) سبق تخريجه في (١/٣٥١) .

(٢) ضبط : (يتداركهم) و(يتماسك) في (د) بالتاء والياء معاً .

(٣) في (ج) ونسخة على هامش (د) : (بِلَيِّ) بدل (بإلواء) ، وفي (هـ ، ح) : (بالتواء) .

(٤) قال العراقي في « المغني » (٤٣٠) : (عزاه رَزين إلى الترمذي ، ولم أجده عنده ، وقد فسَّره الغزالي بوَصْلِ القراءة بالتكبير ، ووَصْلِ القراءة بالركوع ، وغيرِ ذلك ، وقد روىٰ أبو داود [٧٨٠] ، والترمذي [٢٥١] وحسَّنه ، وابن ماجه [٨٤٤] من حديث سمرة : « سكتتانِ حَفِظتُهُما عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إذا دخل في صلاته ، =

والمُواصَلةُ خَمْسٌ : اثنتانِ تختصَّانِ بالإمامِ ؛ وهوَ أَلَّا يُواصِلَ القراءةَ بالتكبيرِ ، والركوعَ بالقراءةِ .

واثنتانِ على المأمومِ : وهوَ أَلَّا يُواصِلَ تكبيرةَ الإحرامِ بتكبيرةِ الإمامِ ، ولا تسليمَهُ بتسليمِهِ .

وواحدةٌ على الإمامِ والمأمومِ : وهوَ أَلَّا يُواصِلَ تسليمَ الفرضِ بتسليمِ النَّفْلِ .

ويجزمُ التسليمَ ولا يَمُدُّهُ مدّاً ، ثمَّ يدعو بعدَ التسليم بما شاءَ مِنْ أمرِ دِينِهِ ودُنْياهُ ، ويدعو قبلَ التسليمِ أيضاً في صُلْبِ الصلاةِ ؛ فإنَّهُ يُستجابُ .

ومَنْ أقامَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ في جماعةٍ . . فقد ملأَ البَرَّ والبحرَ عبادةً ، وكلُّ الأحوالِ والمقاماتِ زُبْدتُها الصَّلَواتُ الخَمْسُ في جماعةٍ ، وهي سِرُّ الدِّينِ ، وكفَّارةُ المؤمنِ ، وتمحيصٌ للخَطَايا على ما :

(١١٢) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ ابنُ خَيْرونَ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ زكريَّا ، قالَ : حدَّثَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ محمَّدِ بنِ صاعدٍ ، قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزيُّ ، قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، قالَ : أخبرَنا يحيى بنُ

= وإذا فرغ من قراءة القرآن » ، وفي « الصحيحين » [« صحيح البخاري » (٧٤٤) ، « صحيح مسلم » (٥٩٨)] من حديث أبي هريرة : « كانَ يسكتُ بينَ التكبيرِ والقراءةِ إسكاتةً . . . » الحديثَ) .

عبدِ اللهِ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ أبا هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٌ لِلْخَطَايَا[1] ، فَٱقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] »[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ز ، ي) : (الصلوات الخمس) بزيادة (الخمس) ، وليس هـٰذا القيد في باقي النسخ ومصادر تخريج الحديث .

(٢) الزهد (٩٠٧) ، ورواه من طريقه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٨١) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٣٢٩) من حديث سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، وسبق رجال سنده إلى ابن المبارك والتعريفُ ببعضهم ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) ، وفيه أيضاً : (بلغ سماع الجماعة في الحادي والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر آداب الصلاة وأسرارها

أحسنُ آدابِ **المُصلِّي** : أَلَّا يكونَ مشغولَ القلبِ بشيءٍ قَلَّ أو كَثُرَ ؛ لأنَّ الأَكْياسَ لم يَرفُضُوا الدنيا إلا ليُقِيمُوا الصلاةَ كما أُمِرُوا ؛ **لأنَّ الدنيا وأَشْغالَها لمَّا كانتْ شاغلةً للقلبِ** . . رَفَضُوها ؛ غَيْرةً علىٰ مَحَلِّ المُناجاةِ ، ورغبةً في أَوْطانِ القُرُباتِ ، وإذعاناً بالباطنِ لربِّ البَرِيَّاتِ ؛ لأنَّ حُضُورَ الصلاةِ بالظاهرِ **إذعانُ الظاهرِ** ، وفراغَ القلبِ في الصلاةِ عمَّا سوى اللهِ تعالىٰ . . **إذعانُ الباطنِ** ، فلم يَرَوْا حُضُورَ الظاهرِ وتخلُّفَ الباطنِ ؛ حتىٰ لا يختلَّ إذعانُهُم فتنخَرِمَ عُبُوديَّتُهُم ، **فيجتنبُ** أنْ يكونَ باطنُهُ مُرتهِناً بشيءٍ ويدخلَ الصلاةَ .

وقيلَ : (**مِنْ فِقْهِ الرجلِ** : أنْ يبدأَ بقضاءِ حاجتِهِ قبلَ الصلاةِ)[1] ؛ ولهٰذا وَرَدَ : « **إِذَا حَضَرَ ٱلْعَشَاءُ وَٱلْعِشَاءُ فَقَدِّمُوا ٱلْعَشَاءَ عَلَى ٱلْعِشَاءِ** »[2] .

ولا يُصلِّي وهوَ حاقِنٌ يُطالِبُهُ البولُ ، ولا حازِقٌ يُطالِبُهُ الغائطُ ، **والحَزْقُ**

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١١٤٢) ، ومن طريقه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (١٣٤) موقوفاً علىٰ سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) **العِشَاء** ـ بالمد والكسر ـ : من صلاة المغرب إلىٰ صلاة العتمة ، **والعَشَاء** ـ بالمد والفتح ـ : الطعام بعينه ، وهو خلاف الغداء . من هامش (ح) ، والحديث رواه بنحوه البخاري (٥٤٦٣) ، ومسلم (٥٥٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) .

أيضاً : ضِيقُ الخُفِّ[1] ، ولا يُصلِّي أيضاً وخُفُّهُ ضَيِّقٌ يشغلُ قلبَهُ ؛ فقد قيلَ : (لا رأيَ لحازِقٍ) ، قيلَ : الذي يكونُ خُفُّهُ ضَيِّقاً .

وفي الجملةِ : ليسَ مِنَ الأدبِ أنْ يُصلِّيَ وعندَهُ ما يُغيِّرُ مزاجَ باطنِهِ عنِ الاعتدالِ ؛ كهـٰذهِ الأشياءِ التي ذَكَرْناها ، والاهتمامِ المُفرِطِ ، والغَضَبِ ؛ وفي الخبرِ : « لَا يَدْخُلْ أَحَدُكُمْ فِي ٱلصَّلَاةَ وَهُوَ مُقَطِّبٌ ، وَلَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ وَهُوَ غَضْبَانُ »[2] .

فلا ينبغي للعبدِ أنْ يتلبَّسَ بالصلاةِ إلا وهوَ علىٰ أتمِّ الهيئاتِ .

وأحسنُ لِبْسَةِ المُصلِّي : سُكُونُ الأطرافِ، وعدمُ الالتفاتِ، والإطراقُ[3]، ووضعُ اليمينِ على الشِّمالِ ، فما أحسنَها مِنْ هيئةِ عبدٍ ذليلٍ ، واقفٍ بينَ يَدَيْ مَلِكٍ عزيزٍ !!

وفي رُخْصةِ الشَّرْعِ دونَ ثلاثِ حَرَكاتٍ مُتوالياتٍ . . جائزٌ ، وأربابُ العزيمةِ يتركونَ الحركةَ في الصلاةِ جُمْلةً ، وقد حَرَّكتُ يدي في الصلاةِ مرَّةً وعندي شخصٌ مِنَ الصالحينَ ، فلمَّا انصرفتُ مِنَ الصلاةِ أنكرَ عليَّ وقالَ :

---

(١) المشهور في كتب السَّادة الشافعيَّة : أنَّ الحاقنَ : الذي يُدافِعُهُ البول ، والحازقَ : الذي يدافعه الغائط أو الذي ضاق خفُّهُ حتىٰ ضغط رجله وعصرها ، والحاقبَ : الذي يدافعه الغائط ، وزاد الخطيب في « الإقناع » (١/ ١٥٢) : الحاقم ؛ وهو الذي يدافعه البول والغائط معاً ، وانظر « مغني المحتاج » (١/ ٣٠٨) ، و« حاشية الشرقاوي علىٰ تحفة الطلاب » (١/ ١٦٨) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٥ ـ ١٢٠٦) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٨٠) .

(٣) يُقال : أَطْرق الرجلُ : إذا أَرْخىٰ عينيه ينظر إلى الأرض .

عندَنا أنَّ العبدَ إذا وَقفَ في الصلاةِ ينبغي أنْ يبقىٰ جَماداً مُجمَّداً لا يتحرَّكُ منهُ شيءٌ .

وقد جاءَ في الخبرِ : « سَبْعَةُ أَشْيَاءَ فِي ٱلصَّلَاةِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ : ٱلرُّعَافُ ، وَٱلنُّعَاسُ ، وَٱلْوَسْوَسَةُ ، وَٱلتَّثَاؤُبُ ، وَٱلْحُكَاكُ ، وَٱلِٱلْتِفَاتُ ، وَٱلْعَبَثُ بِٱلشَّيْءِ » ، وقيلَ : « ٱلسَّهْوُ وَٱلشَّكُّ »(1) .

وقد رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : (**إنَّ الخشوعَ في الصلاةِ** : أَلَّا يعرفَ المُصلِّي مَنْ علىٰ يمينِهِ وشمالِهِ)(2) .

ونُقِلَ عن سُفْيانَ رحمَهُ اللهِ أنَّهُ قالَ : (مَنْ لم يَخشَعْ فسدتْ صلاتُهُ)(3) .

ورُوِيَ عن معاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ أشدُّ مِنْ ذلكَ(4) ؛ قالَ : (مَنْ

---

(1) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٥) ، والغزالي في « الإحياء » (١/ ٥٨٠ـ٥٨١) ، وقال العراقي في « المغني » (٤٣٨) : (رواه الترمذي [٢٧٤٨] من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جدِّهِ ، فذكر منها : « الرعاف » و« النُّعاس » و« التثاؤب » ، وزاد ثلاثةً أخرىٰ ، وقال : حديث غريب ، ولمسلم [٢٢٠٣] من حديث عثمان بن أبي العاص : « يا رسول الله ؛ إنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي . . . » الحديثَ ، وللبخاري [٧٥١] من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة : « هوَ اختلاسٌ يَختلِسُهُ الشيطانُ مِنْ صلاةِ أحدِكُمْ » ، وللشيخين [« صحيح البخاري »(٣٢٨٩) ، « صحيح مسلم » (٢٩٩٤)] من حديث أبي هريرة : « التثاؤبُ مِنَ الشيطانِ » ، ولهما [« صحيح البخاري » (١٢٣٢) ، « صحيح مسلم » (٣٨٩)] من حديث أبي هريرة : « إنَّ أحدَكُم إذا قامَ يُصلِّي جاءَ الشيطانُ فلَبَسَ عليهِ صلاتَهُ حتىٰ لا يدري كم صلَّىٰ ») .

(2) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٦) .

(3) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٦) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(4) أي : من قول سفيان .

عرفَ مَنْ علىٰ يمينِهِ وشمالِهِ في الصلاةِ مُتعمِّداً . . فلا صلاةَ لهُ)[1] .

وقالَ بعضُ العلماءِ : (مَنْ قرأَ كلمةً مكتوبةً في حائطٍ أو بساطٍ في صلاتِهِ . . فصلاتُهُ باطلةٌ)[2] ؛ قالَ بعضُهُم : (لأنَّ ذلكَ عَدُّوهُ عملاً)[3] .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٣] ؛ قيلَ : هوَ سكونُ الأطرافِ ، والطُّمأْنينةُ[4] .

قالَ بعضُهُم : (إذا كبَّرتَ التكبيرةَ الأُولىٰ . . فاعلَمْ أنَّ اللهَ تعالىٰ ناظرٌ إلىٰ شخصِكَ ، عالمٌ بما في ضميرِكَ ، مَثِّلْ في صلاتِكَ الجنَّةَ عن يمينِكَ ، والنارَ عن شمالِكَ)[5] .

وإنَّما ذَكَرَ أنْ يُمثِّلَ الجنةَ والنارَ ؛ لأنَّ القلبَ إذا اشتغلَ بذكرِ الآخرةِ ينقطعُ عنهُ الوَسْواسُ ، فيكونُ هـٰذا التمثيلُ تداوِياً للقلبِ لدَفْعِ الوَسْوسةِ .

(١١٣) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ الصفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ :

---

(١) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٦) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٦ـ١٢٠٧) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٧) عن بشر بن الحارث رحمه الله تعالىٰ .

(٤) لأنَّ من الدوام في الصلاة السكونَ فيها ، وهـٰذا القول أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٠٧) .

(٥) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص ٢٠٥) .

سمعتُ محمَّدَ بنَ الحُسينِ يقولُ[1] : قالَ سهلٌ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ خلا قلبُهُ مِنْ ذِكْرِ الآخرةِ . . تعَرَّضَ لوَساوسِ الشيطانِ)[2] .

فأمَّا مَنْ باشرَ باطنَهُ صفوُ اليقينِ ونورُ المعرفةِ . . يستغني بشاهدِهِ عن تمثيلِ مَشَاهِدِهِ .

قالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (إذا ركعَ فالأدبُ في ركوعِهِ : أنْ ينتصبَ ويدنوَ ويتدلَّىٰ في ركوعِهِ حتىٰ لا يبقىٰ منهُ مَفصِلٌ إلَّا وهوَ مُنتصِبٌ نحوَ العرشِ العظيمِ[3] ، ثمَّ يُعظِّمَ اللهَ تعالىٰ حتىٰ لا يكونَ في قلبِهِ شيءٌ أعظمَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ويَصغُرَ في نَفْسِهِ حتىٰ يكونَ أقلَّ مِنَ الهباءِ ، فإذا رَفَعَ رأسَهُ وحمدَ اللهَ يعلمُ أنَّهُ سبحانَهُ وتعالىٰ يسمعُ ذلكَ)[4] .

وقالَ أيضاً : (ويكونَ معَهُ مِنَ الخشيةِ ما يكادُ يذوبُ بهِ)[5] .

وقالَ السَّرَّاجُ : (إذا أخَذَ العبدُ في التلاوةِ فالأدبُ في ذلكَ : أنْ يُشاهِدَ

---

(١) في (هـ ، ح) : (الحسن) بدل (الحسين) .

(٢) طبقات الصوفية (ص٢١١) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٩٨) .

(٣) التَّدَلِّي : بمعنى الدُّنُوِّ ، لـٰكنَّ الدُّنُوَّ يُستعمل بمعنى القُرب ، والتدلِّيَ بمعنى الأقرب ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم : ٨] ، [والمراد] بالانتصاب هنا : بمعنى القيام الذي بمعنى الوقوف ، وهـٰذان الحالان في الركوع كالصفتين المذكورتين في السجود في الباب المُتقدِّم ، لـٰكنَّ صفة الشهود والحضور أفضلُ وأبلغُ في السجود ، وفي السجود تماثيلُ الكائنات من العرش إلى الثَّرَىٰ ؛ ولهـٰذا يسجدُ علىٰ رداء العَظَمة ؛ إذ لم يبق عنده غيرُ عَظَمة الله تعالىٰ ، وأمَّا صفةُ التَّدَلِّي والشهودِ في الركوع بمثابة شهود العرش . . فبقي تمثالُ العرش حجاباً له عن رؤية العَظَمة ؛ ولذلك قال الله : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] . من هامش (ح) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٦) .

(٥) هو ضمن التخريج السابق .

بسَمْعِ قلبِهِ كأنَّهُ يسمعُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، أو كأنَّهُ يقرأُ على اللهِ تعالىٰ)[1] .

وقالَ السَّرَّاجُ : (مِنْ أدبِهِم قبلَ الصلاةِ : المُراقبةُ ، ومُراعاةُ القلبِ مِنَ الخواطرِ والعوارضِ ، وذِكْرِ كلِّ شيءٍ غيرِ ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ .

فإذا قاموا إلى الصلاةِ بحُضُورِ القلبِ . . فكأنَّهُم قاموا مِنَ الصلاةِ إلى الصلاةِ ، فيبقَونَ معَ النَّفْسِ والعقلِ اللَّذَينِ دخلوا في الصلاةِ بهما[2] ، فإذا خرجوا مِنَ الصلاةِ رجعوا إلىٰ حالِهِم مِنْ حضورِ القلبِ ، فكأنَّهُم أبداً في الصلاةِ ، فهٰذا هوَ أدبُ الصلاةِ)[3] .

وقيلَ : (كانَ بعضُهُم لا يتهيَّأُ لهُ حفظُ العددِ مِنْ كمالِ استغراقِهِ ، وكانَ يُجلِسُ واحداً مِنْ أصحابِهِ يَعُدُّ عليهِ كم ركعةً صلَّىٰ)[4] .

وقيلَ : (للصلاةِ أربعُ شُعَبٍ : حضورُ القَلبِ في المحرابِ[5] ، وشهودُ العقلِ عندَ المَلِكِ الوهَّابِ ، وخشوعُ القلبِ بلا ارتيابٍ ، وخضوعُ الأركانِ بلا ارتقابٍ ؛ لأنَّ عندَ حضورِ القَلبِ رَفْعَ الحجابِ[6] ، وعندَ شهودِ العقلِ رَفْعَ العتابِ ، وعندَ خشوعِ القلبِ فَتْحَ الأبوابِ[7] ، وعندَ خضوعِ الأركانِ وجودَ الثوابِ .

---

(١) اللمع (ص٢٠٦) .

(٢) في « اللمع » : (مع النية والعقد) بدل (مع النفس والعقل) .

(٣) اللمع (ص٢٠٧) .

(٤) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٧) ، وقال بعده : (لأنَّهُ كان يُراعي قلبَهُ علىٰ ثبات العقد الذي دخل به في الصلاة ، فكان يخافُ الغلطَ علىٰ نفسه ؛ لأنَّهُ كان لا يدري كم ركعةً صلَّاها ؛ فلذلك كان يستعين بمن يَعُدُّ عليه حتىٰ يتيقَّن كم ركعةً صلَّاها) .

(٥) في بعض النسخ : (القالب) بدل (القلب) .

(٦) في بعض النسخ : (القالب) بدل (القلب) .

(٧) في النسخ ما عدا (هـ) : (النفس) بدل (القلب) .

فمَنْ أتى الصلاةَ بلا حضورِ القلبِ . . فهوَ مُصَلٍّ لاهٍ ، ومَنْ أتاها بلا شهودِ العَقْلِ . . فهوَ مُصلٍّ ساهٍ ، ومَنْ أتاها بلا خضوعِ النَّفْسِ . . فهوَ مُصلٍّ خاطئٌ ، ومَنْ أتاها بلا خشوعِ الأركانِ . . فهوَ مُصلٍّ جافٍ ، ومَنْ أتاها كما وُصِفَ . . فهوَ مُصلٍّ وافٍ)[1] .

وقد وَرَدَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا قَامَ ٱلْعَبْدُ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ٱلْمَكْتُوبَةِ ، مُقْبِلاً عَلَى ٱللهِ بِقَلْبِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ . . ٱنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَإِنَّ ٱللهَ لَيَغْفِرُ بِغَسْلِ ٱلْوَجْهِ خَطِيئَةً أَصَابَهَا ، وَبِغَسْلِ رِجْلَيْهِ خَطِيئَةً أَصَابَتْهُمَا ، وَبِغَسْلِ يَدَيْهِ خَطِيئَةً أَصَابَتْهُمَا[2] ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ فِي صَلَاتِهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ وِزْرٌ »[3] .

وذُكِرَتِ السرقةُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « أَيُّ ٱلسَّرِقَةِ أَقْبَحُ ؟ » ، فقالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، فقالَ : « إِنَّ أَقْبَحَ ٱلسَّرِقَةِ أَنْ يَسْرِقَ ٱلرَّجُلُ صَلَاتَهُ » ، قالوا : كيفَ يسرقُ الرجلُ صلاتَهُ ؟ قالَ : « لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا ، وَلَا سُجُودَهَا ، وَلَا خُشُوعَهَا ، وَلَا ٱلْقِرَاءَةَ فِيهَا »[4] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٠٩) .

(٢) في (أ ، ج ، ز) تقديم غسل اليدين علىٰ غسل الرجلين ، وكتب علىٰ هامش (ج) : (في نسخة مقروءة على المصنف رحمه الله قُدِّم الرجل على اليد) .

(٣) الحديث غريب بهٰذا اللفظ ، ورواه الحاكم (١/١٣١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٣٠) عن سيدنا عمرو بن عبسة رضي الله عنه بلفظ : « إذا توضَّأَ العبدُ المؤمنُ فمضمضَ واستنثرَ . . خرجتِ الخطايا مِنْ أطرافِ فمِهِ ، فإذا غسلَ يديهِ تناثرتِ الخطايا مِنْ أظفارِهِ ، فإذا مسحَ برأسِهِ تناثرتِ الخطايا مِنْ أطرافِ رأسِهِ ، فإنْ قامَ وصلَّىٰ ركعتَينِ يُقبِلُ فيهما بقلبِهِ وطرفِهِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ . . خَرَجَ مِنْ ذنوبِهِ كيومَ ولدتْهُ أمُّهُ » ، وانظر « غنية العارف » (٢/٥٦٣ـ٥٦٤) .

(٤) رواه مالك (١/١٦٧) مرسلاً عن النعمان بن مرة رضي الله عنه ، ورواه البيهقي في =

ورُوِيَ عن أبي عمرِو بنِ العلاءِ أنَّهُ قُدِّمَ للإمامةِ ، فقالَ : **لا أصلحُ** ، فلمَّا ألحُّوا عليهِ كَبَّرَ ، فغُشِيَ عليهِ ، فقدَّمُوا إماماً آخرَ ، **فلمَّا أفاقَ سُئِلَ** ، فقالَ : لمَّا قلتُ : (استووا) هَتَفَ بي هاتفٌ فقالَ : هلِ استويتَ أنتَ معَ اللهِ قطُّ ؟!(1) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا أَحْسَنَ ٱلْوُضُوءَ ، وَصَلَّى ٱلصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا ، وَحَافَظَ عَلَىٰ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَوَاقِيتِهَا . قَالَتِ ٱلصَّلَاةُ : حَفِظَكَ ٱللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، ثُمَّ صَعِدَتْ وَلَهَا نُورٌ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، وَحَتَّىٰ تَصِلَ إِلَى ٱللهِ فَتَشْفَعَ لِصَاحِبِهَا ، وَإِذَا أَضَاعَهَا قَالَتْ : ضَيَّعَكَ ٱللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، ثُمَّ صَعِدَتْ وَلَهَا ظُلْمَةٌ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ أَبْوَابِ ٱلسَّمَاءِ فَتُغْلَقَ دُونَهَا ، ثُمَّ تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ ٱلثَّوْبُ ٱلْخَلَقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا** »(2) .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (**إذا وَقَفَ العبدُ في الصلاةِ يقولُ اللهُ** : ارفعُوا الحُجُبَ فيما بيني وبينَ عَبْدِي ، **فإذا التفتَ يقولُ اللهُ** : أَرْخُوها فيما بيني وبينَهُ ، وخَلُّوا عَبْدِي وما اختارَ لنفْسِهِ) .

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (ربَّما أُصلِّي ركعتَينِ ، **فأنصرفُ**

= « الشعب » (٢٨٤٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٢٧٣) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه .

(١) أورده بنحوه الكلاباذي في « التعرف » (ص١٧٠) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٥٢٧) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٥٨٦) ، والبزار في « المسند » (٢٦٩١) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٤٢٧) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٠٩٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

منهما وأنا أستحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ حياءَ رجلٍ انصرفَ مِنَ الزِّنىٰ)[1] .

قولُهُ هٰذا لعظيمِ الأدبِ عندَهُ ، ومعرفةُ كلِّ إنسانٍ بأدبِ الصلاةِ علىٰ قَدْرِ حظِّهِ مِنَ القُرْبِ .

وقيلَ لموسى بنِ جعفرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ الناسَ قد أفسدُوا عليكَ الصلاةَ بمَمَرِّهِم بينَ يديكَ ، قالَ : إنَّ الذي أُصلِّي لهُ أقربُ إليَّ مِنَ الذي يمشي بينَ يَدَيَّ .

وقيلَ : كانَ زينُ العابدينَ عليُّ بنُ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُما إذا أرادَ أنْ يخرجَ إلى الصلاةِ لا يُعرفُ مِنْ تغيُّرِ لونِهِ ، فيُقالُ لهُ في ذلكَ ، فيقولُ : أتدرونَ بينَ يَدَيْ مَنْ أُريدُ أنْ أَقِفَ ؟![2] .

وروىٰ عمَّارُ بنُ ياسرٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا يَعْقِلُ »[3] .

وقد وَرَدَ في لفظٍ آخرَ : « مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي ٱلصَّلَاةَ كَامِلَةً ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي ٱلنِّصْفَ ، وَٱلثُّلُثَ ، وَٱلرُّبُعَ ، وَٱلْخُمُسَ » ، حتىٰ يبلُغَ العُشْرَ[4] .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٣٧) ، وعزاه إلىٰ أبي عبد الله المغربي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٢١٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٤٨) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٢١٦) .

(٣) رواه موقوفاً ابن المبارك في « الزهد » (١٣٠٠) بلفظ : (لا يُكتَبُ للرجل من صلاته ما سها عنه) ، وروي بنحوه مرسلاً عن عثمان بن أبي دهرش ، كما سبق في (٢/١٥٧) .

(٤) رواه أحمد (٤/٣٢١) ، والطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (١١٠٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/٢٨١) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

قالَ الخوَّاصُ : (ينبغي للرجلِ أنْ ينويَ نوافلَهُ لفرائضِهِ[1] ، فإنْ لم يَنوِها لم يُحتسَبْ له منها شيءٌ ؛ بَلَغَنا أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يقبلُ نافلةً حتىٰ تُؤدَّىٰ فريضتُهُ ؛ يقولُ اللهُ : مَثَلُكُم كمَثَلِ العبدِ السوءِ ؛ بدأَ بالهديَّةِ قبلَ قضاءِ الدَّينِ)[2] .

وقالَ أيضاً : (انقطعَ الخَلْقُ عنِ اللهِ بخَصْلتَينِ : إحداهُما : أنَّهُم طلبوا النوافلَ وضيَّعوا الفرائضَ ، والثانيةُ : أنَّهُم عَمِلُوا أعمالاً بالظواهرِ ولم يأخذوا أنفسَهُم بالصِّدْقِ فيها والنُّصْحِ لها ، وأبى اللهُ أنْ يقبلَ مِنْ عاملٍ عملاً إلا بالصِّدقِ وإصابةِ الحقِّ) .

وفَتْحُ العينِ في الصلاةِ أَوْلىٰ مِنْ تغميضِ العينِ ، إلا أنْ يَتَشَتَّتَ همُّهُ بتفريقِ النَّظَرِ ؛ فيُغمِضُ العينَ للاستعانةِ على الخشوعِ ، وإنْ تثاءبَ في الصلاةِ يَضُمُّ شفتَيهِ بقَدْرِ الإمكانِ ، ولا يُلزِقُ ذَقَنَهُ بصدرِهِ ، ولا يُزاحِمُ في الصلاةِ غيرَهُ ؛ قيل : ذهبَ المزحومُ بصلاةِ الزاحمِ .

وقيلَ : مَنْ تركَ الصفَّ الأوَّلَ مخافةَ أنْ يُضيِّقَ علىٰ أهلِهِ فقامَ في الثاني . . أعطاهُ اللهُ تعالىٰ مثلَ ثوابِ الصفِّ الأوَّلِ مِنْ غيرِ أنْ يَنقُصَ مِنْ أجورِهِم شيءٌ[3] .

---

(١) في (ط) : (لنقصان فرائضه) بدل (لفرائضه) .

(٢) رواه بنحوه دون قوله : (ينبغي . . . منها شيءٌ) البيهقيُّ في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٣٨٧) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٩١٣) مرفوعاً عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٣٧) ، والرافعي في « التدوين » (٢/ ٢٠) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وقيلَ : إنَّ إبراهيمَ الخليلَ صلواتُ اللهِ عليهِ كانَ إذا قامَ إلى الصلاةِ يُسمَعُ خفقانُ قلبِهِ مِنْ مِيلٍ[1] .

وروَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يُسمَعُ مِنْ صَدْرِهِ أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ ؛ حتىٰ كانَ يُسمَعُ في بعضِ سِكَكِ المدينةِ[2] .

وسُئِلَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : ما فريضةُ الصلاةِ ؟ فقالَ : قطعُ العلائقِ ، وجمعُ الهَمِّ ، والحضورُ بينَ يدَيهِ[3] .

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (ماذا يَعِزُّ عليكَ مِنْ أمرِ دينِكَ إذا هانتْ عليكَ صلاتُكَ ؟!)[4] .

وقيلَ : أَوْحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ بعضِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ وقالَ : إذا

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢١٨) عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالىٰ ، وليس فيه تحديد صلاة ومسافة .

(٢) رواه دون قوله : (حتىٰ كان يسمع . . .) أبو داود (٩٠٤) ، والنسائي (٣/ ١٣) ، وأحمد (٤/ ٢٥) ، وابن حبان (٧٥٣) عن سيدنا عبد الله بن الشخير رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٦٨ـ ٥٦٩) ، والأزيز : صوت غَلَيان القِدْر ، والمِرْجَل : قِدْر من نحاس .

(٣) أورده أبو شامة في « مختصر المؤمل » (ص٧٥) ، وزاد بعده : (قيل له : كيف تدخل في الصلاة ؟ قال : بإلقاء سمع ، وشهودِ قلب ، وحضور عقل ، وجَمْع هَمٍّ ، وصحّة تيقُّظ ، وحُسْن إقبال ، وتدبُّر في ترتيل) .

(٤) أي : أعزُّ أمور الدِّين على الشخص وأصعبُها . . الصلاة ، فإذا سهلت الصلاةُ عليه لم يصعب غيرُها . من هامش (ج) ، وقولُ الحسن رواه أحمد في « الزهد » (١٦٣٠) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٦٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٠٧) ، والحسن : هو البصري رحمه الله تعالىٰ .

دخلتَ الصلاةَ فَهَبْ لي مِنْ قلبِكَ الخشوعَ ، ومِنْ بدنِكَ الخضوعَ ، ومِنْ عينَيكَ الدُّموعَ ؛ فإنِّي قريبٌ[1] .

وقالَ أبو الخيرِ الأَقْطعُ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أَوْصِني ، فقالَ : يا أبا الخيرِ ؛ عليكَ بالصلاةِ ؛ فإنِّي استوصَيتُ ربِّي فأَوْصاني بالصلاةِ ، وقالَ لي : إنَّ أقربَ ما أكونُ منكَ وأنتَ تُصلِّي .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (رَكْعتانِ في تفكُّرٍ خيرٌ مِنْ قيامِ ليلةٍ)[2] .

وقيلَ : إنَّ محمَّدَ بنَ يوسفَ الفَرْغانيَّ رأىٰ حاتِماً الأَصَمَّ واقفاً يَعِظُ الناسَ ، فقالَ لهُ : يا حاتِمُ ؛ أراكَ تَعِظُ الناسَ ، أفتُحسِنُ أنْ تُصلِّيَ ؟ قالَ : نعم .

قالَ : كيفَ تُصلِّي ؟ قالَ : أقومُ بالأمرِ ، وأَمْشي بالخَشْيةِ ، وأدخلُ بالهَيْبةِ ، وأُكبِّرُ بالعَظَمةِ ، وأقرأُ بالترتيلِ ، وأركعُ بالخشوعِ ، وأسجدُ بالتواضعِ ، وأجلسُ للتشهُّدِ بالتمامِ ، وأُسلِّمُ على السُّنَّةِ ، وأُسلِّمُها إلىٰ ربِّي ، وأحفظُها أيَّامَ حياتي ، وأرجعُ باللَّوْمِ علىٰ نَفْسي ، وأخافُ أَلَّا تُقبَلَ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧١) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ ، وأورده ابن قتيبة الدينوري في « عيون الأخبار » (٢/٢٩٨) ، ونصَّ الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص١٨٣) علىٰ أنَّ النبي هو سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ، وفي (د) : (فإني منك قريب) ، وفي المصادر السابقة : (وادعُني ؛ فإني قريب) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٨٨) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٤) .

منِّي ، وأرجو أنْ تُقبَلَ منِّي ، وأنا بينَ الخوفِ والرجاءِ ، وأشكرُ مَنْ علَّمَني ، وأُعلِّمُها مَنْ سَأَلَني ، وأحمدُ ربِّي إذ هَدَاني .

فقالَ محمَّدُ بنُ يوسفَ : مثلُكَ يَصلُحُ أنْ يكونَ واعظاً[1] .

وقيلَ : ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء : ٤٣] ؛ قيلَ : مِنْ حُبِّ الدُّنْيا ، وقيلَ : مِنَ الاهتمامِ بها[2] .

وقالَ عليهِ السلامُ : « مَنْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا . غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[3] .

وقالَ أيضاً : « إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ ، وَتَضَرُّعٌ وَتَنَادُمٌ ، وَتَرْفَعُ يَدَيْكَ وَتَقُولُ : (ٱللَّهُمَّ ٱللَّهُمَّ) ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ »[4] ؛ أي : ناقصةٌ .

وقد وَرَدَ : أنَّ المؤمنَ إذا توضَّأَ للصلاةِ . . تباعدتْ عنهُ الشياطينُ في أقطارِ الأرضِ خوفاً منهُ ؛ لأنَّهُ يتأهَّبُ للدخولِ على المَلِكِ ، فإذا كَبَّرَ حُجِبَ عنهُ إبليسُ ، ويُضرَبُ بينَهُ وبينَهُ سُرَادِقٌ لا ينظرُ إليهِ ، وواجهَهُ ٱلْمَلِكُ الجبَّارُ

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٤ـ٧٥) ، وابن الجوزي في « التبصرة » (ص٣٨٦) ، وفيهما : (عصام بن يوسف) بدل (محمد بن يوسف الفرغاني) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٢٠٦) .

(٣) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٧٧١٣) مرسلاً عن صلة بن أشيم رحمه الله تعالىٰ ، والبخاري (١٥٩) ، ومسلم (٢٢٦) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي (٣٨٥) ، وأحمد (٤/ ١٦٧) عن سيدنا الفضل بن العباس رضي الله عنهما ، وأبو داود (١٢٩٦) ، وابن ماجه (١٣٢٥) ، وأحمد (٤/ ١٦٧) عن المطَّلب بن أبي وداعة رضي الله عنه .

بوجهِهِ ، وإذا قالَ : (اللهُ أكبرُ) . . اطَّلعَ المَلَكُ في قلبِهِ ، فإذا رآهُ ليسَ في قلبِهِ أكبرُ مِنَ اللهِ تعالىٰ . . فيقولُ : صدقتَ ؛ اللهُ تعالىٰ أكبرُ في قلبِكَ كما تقولُ ، ويتشعشعُ مِنْ قلبِهِ نورٌ يلحقُ بمَلَكُوتِ العرشِ ، ويُكشَفُ لهُ بذلكَ النورِ مَلَكُوتُ السماواتِ والأرضِ ، ويُكتَبُ لهُ حَشْوَ ذلكَ النورِ حسناتٌ .

وإنَّ الغافلَ الجاهلَ إذا قامَ إلى الصلاةِ . . احْتَوَشَتْهُ الشياطينُ كما تحتوشُ الذُّبابُ علىٰ نُقْطةِ العَسَلِ[1] ، فإذا كَبَّرَ اطَّلَعَ المَلَكُ علىٰ قلبِهِ ، فإذا كانَ في قلبِهِ شَيْءٌ أكبرُ مِنَ اللهِ تعالىٰ عندَهُ . . فيقولُ لهُ : كَذَبْتَ ؛ ليسَ اللهُ تعالىٰ أكبرَ في قلبِكَ كما تقولُ ، فيثورُ مِنْ قلبِهِ دُخانٌ يلتحقُ بعَنانِ السماءِ ، فيكونُ حجاباً لقلبِهِ عنِ المَلَكُوتِ ، فيزدادُ ذلكَ الحجابُ صلابةً ، ويلتقمُ الشيطانُ قلبَهُ ، فلا يزالُ يَنفُخُ فيهِ ويَنفُثُ ، ويُوسوِسُ إليهِ ويُزيِّنُ . . حتىٰ ينصرفَ مِنْ صلاتِهِ ولا يعقلَ ما كانَ فيهِ[2] .

وفي الخبرِ : « لَوْلَا أَنَّ ٱلشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَىٰ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ . . لَنَظَرُوا إِلَىٰ مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ »[3] .

فالقلوبُ الصافيةُ التي كَمَلَ أدبُها لكمالِ أدبِ قوالبِها . . تصيرُ سماويةً ؛ تدخلُ بالتكبيرِ في السماءِ كما تدخلُ في الصلاةِ ، واللهُ تعالىٰ حَرَسَ السماءَ مِنْ تَصَرُّفِ الشياطينِ ؛ فالقلبُ السماويُّ لا سبيلَ للشيطانِ إليهِ ، فتبقىٰ

---

(١) يُقال : احْتَوَش القوم بالصيد : إذا أحاطوا به ، وقد يتعدَّىٰ بنفسه ؛ فيُقال : احتوشوه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢١٠) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٧١) .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ١٨٤) .

هواجسُ نَفْسانيَّةٌ عندَ ذلكَ لا تنقطعُ بالتحصُّنِ بالسماءِ كانقطاعِ تصرُّفِ الشياطينِ .

والقلوبُ المُرادةُ بالقُرْبِ تُدرَّجُ بالتقريبِ ، وتُعرَّجُ في طبقاتِ السماواتِ ، وفي كلِّ طبقةٍ مِنْ أطباقِ السماءِ يتخلَّفُ شيءٌ مِنْ ظُلْمةِ النَّفْسِ ، وبقَدْرِ ذلكَ يَقِلُّ الهاجسُ ، إلىٰ أنْ يتجاوزَ السماواتِ ، ويقفَ أمامَ العَرْشِ ، فعندَ ذلكَ يذهبُ بالكُلِّيَّةِ هاجسُ النَّفْسِ بساطعِ نورِ العرشِ ، وتندرجُ ظُلُماتُ النَّفْسِ في نورِ القلبِ اندراجَ الليلِ في النهارِ ، وتتأدَّىٰ حينَئذٍ حقوقُ الآدابِ علىٰ وجهِ الصوابِ .

وما ذَكَرْناهُ مِنْ أدبِ الصلاةِ يسيرٌ مِنْ كثيرٍ ، وشأنُ الصلاةِ أكبرُ مِنْ وَصْفِنا ، وأكملُ مِنْ ذِكْرِنا .

وقد غَلِطَ أقوامٌ وظنُّوا أنَّ المقصودَ مِنَ الصلاةِ ذِكْرُ اللهِ تعالىٰ ، وإذا حَصَلَ الذِّكْرُ فأيُّ حاجةٍ إلى الصلاةِ ؟! وسلكوا طُرُقاً مِنَ الضلالِ ، ورَكَنُوا إلىٰ أباطيلِ الخيالِ ، ومَحَوُا الرُّسُومَ والأحكامَ ، ورفضُوا الحلالَ والحرامَ .

وقومٌ آخرونَ سَلَكُوا في ذلكَ طريقاً أَدَّتْهُم إلىٰ نُقْصانِ الحالِ ؛ حيثُ سَلِمُوا مِنَ الضلالِ ؛ لأنَّهُمُ اعترفُوا بالفرائضِ ، وأنكرُوا فَضْلَ النوافلِ ، واغترُّوا بيسيرِ رَوْحِ الحالِ ، وأَهْمَلُوا فضلَ الأعمالِ[1] ، ولم يَعْلَمُوا أنَّ للهِ في كلِّ هيئةٍ مِنَ الهيئاتِ ، وكلِّ حركةٍ مِنَ الحركاتِ . . أسراراً وحِكَماً لا تُوجَدُ في شيءٍ مِنَ الأذكارِ .

---

(١) في (أ ، ب ، و ، ز ، ي) : (أفضل) بدل (فضل) .

فالأحوالُ والأعمالُ رُوحٌ وجُثْمانٌ ، وما دامَ العبدُ في دارِ الدُّنْيا إعراضُهُ عنِ الأعمالِ عَينُ الطُّغْيانِ ، فالأعمالُ تزكو بالأحوالِ ، والأحوالُ تنمو بالأعمالِ[1] .

* * *

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب التاسع والثلاثون

في فضل الصوم وحسن أثره

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱلصَّبْرُ نِصْفُ ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلصَّوْمُ نِصْفُ ٱلصَّبْرِ »[١] .

وقيلَ : ما في عملِ ابنِ آدمَ شيءٌ إلا ويذهبُ بردِّ المَظَالِمِ ، إلا الصومُ ؛ فإنَّهُ لا يدخلُهُ قِصاصٌ[٢] .

ويقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ : (هٰذا لي) ، فلا يقتصُّ أحدٌ منهُ شيئاً .

وفي الخبرِ : « ٱلصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »[٣] ، وقيلَ : أضافَهُ إلىٰ نَفْسِهِ ؛ لأنَّ فيهِ خُلُقاً مِنْ أخلاقِ الصَّمَديَّةِ[٤] ، وأيضاً : لأنَّهُ مِنْ أعمالِ السِّرِّ

---

(١) روىٰ قوله : « الصبرُ نصفُ الإيمان » : أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤) ، والقضاعي في « المسند » (١٥٨) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (٥٩٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه الحاكم (٢/ ٤٤٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٢٦٦) موقوفاً عليه ، وقوله : « والصومُ نصفُ الصبر » : الترمذي (٣٥١٩) ، وأحمد (٤/ ٢٦٠) ، والدارمي (٦٨٠) عن رجل من بني سُلَيم رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٧٤_٥٧٥) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ٢١٩) .

(٣) رواه البخاري (٧٤٩٢) ، ومسلم (١١٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) لأنَّ (الصمد) هو الذي لا جوف له ، ولا يحتاج إلى الطعام والشراب ؛ ولهٰذا فضَّله=

مِنْ قَبيلِ التُّرُوكِ لا يطَّلِعُ عليهِ أحدٌ إلا اللهُ .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] : همُ الصائمونَ[١] ؛ لأنَّهُم ساحُوا إلى اللهِ بجُوعِهِم وعَطَشِهِم .

وقيلَ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] : همُ الصائمونَ[٢] ؛ لأنَّ الصبرَ اسمٌ مِنْ أسماءِ الصومِ ، ويُفرَغُ للصائمِ إفراغاً ، ويُجازَفُ لهُ مُجازَفةً .

وقيلَ : أحدُ الوجوهِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] : كانَ عملُهُمُ الصومَ[٣] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ رحمَهُ اللهُ : (إذا ابتُلِيَ المريدُ بكثرةِ الأكْلِ . . بَكَتْ عليهِ الملائكةُ رحمةً لهُ ، ومَنِ ابتُلِيَ بحِرْصِ الأكْلِ . . فقد أُحْرِقَ بنارِ الشهوةِ) .

= بعضهم على الصلاة ؛ لأنَّها تذلُّلٌ ، وهو من صفات العُبُوديَّة . انظر « اللمع » (ص٢١٦) ، و« مرقاة المفاتيح » (١/ ٣٤٣) .

(١) لقوله عليه السلام : « سياحةُ أُمَّتي الصومُ » ، شُبِّه بها ؛ من حيثُ إنَّهُ يعوقُ عن الشهوات ، أو لأنَّهُ رياضة نفسانيَّة يُتوصَّل بها إلى الاطِّلاع علىٰ خفايا المُلْك والمَلَكوت ، أو السائحون للجهاد ، أو لطلب العلم . « بيضاوي » . من هامش (ح) ، وهـٰذا التفسيرُ رواه الطبري في « تفسيره » (١٤/ ٥٠٣) ، وابن المقرئ في « معجمه » (٥٧٤) مرفوعاً وموقوفاً علىٰ سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ٢٥٦) ، والطبري في « تفسيره » (١٤/ ٥٠٣) ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٤٣٤) موقوفاً علىٰ سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وروي عن غيرهما أيضاً .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (١٥/ ٢٤١) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٢/ ٢١٩) .

وفي نَفْسِ ابنِ آدمَ ألفُ عضوٍ مِنَ الشرِّ كلُّها في كفِّ الشيطانِ مُتعلِّقٌ بها ، فإذا جَوَّعَ بطنَهُ ، وأَخَذَ حلقَهُ ، ورَوَّضَ نَفْسَهُ . . يَبِسَ كلُّ عضوٍ واحترقَ بنارِ الجوعِ ، وفَرَّ الشيطانُ مِنْ ظِلِّهِ ، وإذا أَشْبَعَ بطنَهُ وتركَ حَلْقَهُ في لذائذِ الشَّهَوَاتِ . . فقد رَطَّبَ أعضاءَهُ ، وأَمْكَنَ الشيطانَ منهُ .

والشِّبَعُ نَهَرٌ في النَّفْسِ تَرِدُهُ الشياطينُ ، والجوعُ نَهَرٌ في الرُّوحِ تَرِدُهُ الملائكةُ ، وينهزمُ الشيطانُ مِنْ جائعٍ نائمٍ ، فكيفَ إذا كانَ قائماً ؟! ويُعانِقُ الشيطانُ شَبْعاناً قائماً ، فكيفَ إذا كانَ نائماً ؟!

فقلبُ المُريدِ الصادقِ يَصرُخُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ طلبِ النَّفْسِ الطعامَ والشرابَ .

دخلَ رجلٌ على الطَّيَالِسِيِّ وهوَ يأكلُ خُبْزاً يابساً قد بَلَّهُ بالماءِ معَ مِلْحٍ جَرِيشٍ ، فقالَ لهُ : كيفَ تشتهي هـٰذا ؟! قالَ : أَدَعُهُ حتىٰ أشتهيَهُ[1] .

وقيلَ : مَنْ أَسْرفَ في مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ . . تَعجَّلَ الصَّغارُ والذُّلُّ إليهِ في دُنْياهُ قبلَ آخرتِهِ .

وقالَ بعضُهُمْ : (البابُ العظيمُ الذي يُدخَلُ منهُ إلى اللهِ تعالىٰ . . قطعُ الغِذاءِ) .

وقالَ بِشْرُ بنُ الحارثِ رحمَهُ اللهُ : (إنَّ الجوعَ يُصفِّي الفؤادَ ، ويُميتُ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٧٨) ، وأورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ٣٦٤) ، والآبي في « نثر الدر » (٢/ ١٢٥) ، وفي جميعها : (داود الطائي) بدل (الطيالسي) ، ولعل المثبت تحرف من (الطائي) إلى (الطيالسي) ، والله تعالىٰ أعلم .

الهوىٰ ، ويُورِثُ العلمَ الدقيقَ)[1] .

وقالَ ذو النُّونِ رحمَهُ اللهُ : (ما أكلتُ حتىٰ شَبِعتُ ، ولا شربتُ حتىٰ رَوِيتُ . . إلا عَصَيتُ اللهَ ، أو هَمَمْتُ بمعصيةٍ)[2] .

وروى القاسمُ بنُ محمَّدٍ عن عائشةَ أمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانَ يأتي علينا الشهرُ ونصفُ شهرٍ ما يدخلُ بيتَنا نارٌ ؛ لا لمصباحٍ ولا لغيرِهِ ، قالَ : قلتُ : سبحانَ اللهِ !! فبأيِّ شيءٍ كنتُم تعيشونَ ؟! قالتِ : التمرُ والماءُ ، وكانَ لنا جيرانٌ مِنَ الأنصارِ جزاهُمُ اللهُ خيراً ، كانتْ لهُم منائحُ ، فربَّما أَرْسلوا لنا بشيءٍ[3] .

ورُوِيَ أنَّ حَفْصةَ بنتَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالتْ لأبيها رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ اللهَ قد أَوْسَعَ الرزقَ ، فلو أكلتَ طعاماً أكثرَ مِنْ طعامِكَ ، ولَبِستَ ثياباً أَلْينَ مِنْ ثيابِكَ ؟ فقالَ : أنا أُخاصِمُكِ إلىٰ نَفْسِكِ ، ألم يكنْ مِنْ أمرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كذا ؟! يقولُ مراراً ، فبَكَتْ ، فقالَ : قد أخبرتُكِ ، واللهِ ؛ لَأُشارِكَنَّهُ في عيشِهِ الشديدِ ؛ لعلِّي أُصِيبُ عيشَهُ الرَّخِيَّ[4] .

---

(١) رواه ابن بشران في « أماليه » (١٥٤١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/٤٦٧) .

(٢) رواه أبو موسى المديني في « نزهة الحفاظ » (ص٨٨) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٦٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/٣٠٧) .

(٣) رواه بنحوه البخاري (٢٥٦٧) ، ومسلم (٢٩٧٢) من رواية عروة بن الزبير لا القاسم بن محمد ، **والمنائح** : جمع (منيحة) ؛ وهي الغنم فيها اللبن ، وانظر « غنية العارف » (٢/٥٧٧) .

(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٠٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٧٥) ، والحاكم (١/١٢٣) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٢١) .

وقالَ بعضُهُم : (ما نخلتُ لعمرَ دقيقاً إلا وأنا لهُ عاصٍ)[1] .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (ما شَبِعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثةَ أيَّامٍ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حتىٰ مضىٰ لسبيلِهِ)[2] .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : أَدِيمُوا قَرْعَ بابِ المَلَكُوتِ . . يُفتَحْ لكُم ، قالوا : كيفَ نُدِيمُ ؟ قالتْ : بالجوعِ والعطشِ والظَّمَأِ[3] .

وقيلَ : ظَهَرَ إبليسُ ليحيى بنِ زكريَّا عليهِما السلامُ وعليهِ معاليقُ ، فقالَ : ما هٰذهِ ؟ قالَ : الشهواتُ التي أُصِيبُ بها ابنَ آدمَ ، قالَ : هل تجدُ لي فيها شهوةً ؟ قالَ : لا ، غيرَ أنَّكَ شَبِعتَ ليلةً فثقَّلْناكَ عنِ الصلاةِ والذِّكْرِ ، فقالَ : لا جَرَمَ أنِّي لا أشبعُ أبداً ، قالَ إبليسُ : لا جَرَمَ أنِّي لا أنصحُ أحداً أبداً[4] .

وقالَ شَقِيقٌ رحمَهُ اللهُ : (العبادةُ حِرْفةٌ ، وحانوتُها الخَلْوةُ ، وآلاتُها الجوعُ)[5] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٩٤) ، وابن المبارك في « الزهد » (٥٨٣) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٧٧) ، والبعض : هو سيدنا يسار بن نُمير خازن سيدنا عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري (٦٦٨٧) ، ومسلم (٢٩٧٠/ ٢١) ، واللفظ له .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٨٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٢٩١ـ٢٩٢) مرفوعاً عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وهي السائلة ، وقال عنه العراقي في « المغني » (٢٧٥٧) : (لم أجده) ، وقال الزبيدي في « الإتحاف » (٤/ ١٩٤) : (هو في كتاب « العوارف » من قول عائشةَ . . . وهٰذا أشبه) ، وأورده الخركوشي في « التهذيب » (ص١٧٢) عن ابن عائشة .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٣٩٣) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٠٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣٠٨) .

(٥) أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٣٣٥) ، والغزالي في =

وقالَ لُقمانُ لابنِهِ : (إذا مُلِئَتِ المَعِدةُ نامتِ الفِكْرةُ ، وخَرِسَتِ الحكمةُ ، وقعدتِ الأعضاءُ عنِ العبادةِ)[1] .

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (لا تَجْمعُوا بينَ الأُدْمَينِ ؛ فإنَّهُ مِنْ طعامِ المنافقينَ)[2] .

وقالَ بعضُهُم : (أعوذُ باللهِ مِنْ زاهدٍ قد أفسدتْ مَعِدتَهُ ألوانُ أطعمةِ الأغنياءِ)[3] .

فيُكرَهُ للمُريدِ أنْ يُوالِيَ في الإفطارِ أكثرَ مِنْ أربعةِ أيّامٍ ؛ فإنَّ النَّفْسَ عندَ

= « الإحياء » (٥/ ٢٩٤) .

(١) أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص٣٣٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٥/ ٢٩٤) .

(٢) الأُدْم : ما يُؤكل مع الخبز ، والمراد : النهي عن الجمع في الطعام بين إدامين فأكثرَ .

(٣) أورده الطرطوشي في « تحريم الغناء والسماع » (ص١٨٠) ، وابن الحاج في « المدخل » (٣/ ١١٣) ، وعزواه إلىٰ يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالىٰ ، ومن المناسب إيراده ها هنا : ما سئل عنه إمامنا المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أنَّهُ هل يجوز للمريد معاشرةُ الأغنياء ومجالستُهُم والتواضعُ لهم وأكلُ أموالهم من غير بحثٍ عنها ، وادِّعاءُ قوّة الحال في ذلك والاستسلامُ للأحكام في مجاري التوحيد ؟

فأجاب : بأنَّهُ لا ينبغي للمريد أن يتواضع للأغنياء لموضع غناهم ، ولا يرفعَ حاجتَهُ إليهم إلا إذا دعتِ الضرورةُ لذلك من غير اعتمادٍ عليهم بقلبه في المنع والعطاء ، بل لارتباط العادة بالوجوه وتمامِ الحكمة في هـٰذه الدار ، وإذا علم أنَّ المال حرام.. لم يجز له التلبُّسُ به البتَّةَ ، ولا يحملُهُ الغرور والاعتماد على الحال أن يأكل المالَ الحرامَ ؛ فإنَّ المريد الصحيح يأنف من المباح أن يتناولَ منه شيئاً بالغفلة فضلاً عن أن يكون شبهة ، إلا أن تدعوه لذلك ضرورةٌ مُسوِّغة له بالشرع مخافةَ التلف والإهلاك ، وأمّا الحرام فلا يجوز له البتةَ ؛ فإنَّ مِنْ صحَّة أمره وصِدْقِ حاله ألا يطفئ نورُ حالِهِ نورَ ورعه ، سواءٌ كان مُتجرِّداً أو مُتأهِّلاً ؛ فالله سبحانه وتعالىٰ يعصمنا بكرمه . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٥) .

ذلكَ تركنُ إلى العادةِ ، وتتَّسعُ بالشهوةِ .

وقيلَ : الدُّنْيا بَطْنُكَ ، على قَدْرِ زُهْدِكَ في بَطْنِكَ زهدُكَ في الدنيا[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ : « مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ ٱبْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ »[2] .

وقالَ فَتْحٌ المَوْصِليُّ رحمَهُ اللهُ : (صَحِبتُ ثلاثينَ شيخاً ؛ كلٌّ يُوصِيني عندَ مُفارَقَتي إيَّاهُ بتَرْكِ عِشْرةِ الأَحْداثِ ، وقِلَّةِ الأَكْلِ)[3] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٣٢) ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص٢١٤) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٥٣٢٤) عن محمد بن الفضل البلخي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٧٣٧) ، وابن ماجه (٣٣٤٩) ، وأحمد (٤/ ١٣٢) عن سيدنا المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ، وفي بعض النسخ : (طعام ، شراب) بدل (للطعام، للشراب)، وهي رواية النسائي وأحمد.

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٧٨٢) ، وابن الجوزي في « ذم الهوىٰ »(٣٦٩) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الأربعون

في اختلاف أحوال الصوفية في الصوم والإفطار

جمعٌ مِنْ مشايخِ الصُّوفيَّةِ كانوا يُدِيمُونَ الصَّوْمَ في السَّفَرِ والحَضَرِ على الدوامِ حتىٰ لَحِقُوا باللهِ تعالىٰ .

وكانَ أبو عبدِ اللهِ بنُ جَابارَ صامَ نيِّفاً وخمسينَ سنةً لا يُفطِرُ في السفرِ والحَضَرَ ، فجَهَدَ بهِ أصحابُهُ يوماً فأَفْطرَ ، فاعتلَّ مِنْ ذلكَ أيّاماً[1] .

فإذا رأى المريدُ صلاحَ قلبِهِ في دوامِ الصومِ . . فليَصُمْ دائماً ويَدَعِ الإفطارَ جانباً ؛ فهوَ عونٌ حَسَنٌ لهُ علىٰ ما يريدُ .

روىٰ أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صَامَ ٱلدَّهْرَ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا » ، وعَقَدَ تسعينَ[2] ؛ أي : لم يكنْ لهُ فيها موضعٌ .

وكَرِهَ قومٌ صومَ الدَّهرِ ، وقد وَرَدَ في ذلك ما رواهُ أبو قتادةَ رضيَ اللهُ عنهُ

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢١٨) ، وابن جابار : هو محمد الصوفي الهمذاني صاحب أبي بكر الشبلي ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٢/ ١١) .

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤١٤) ، وابن حبان (٣٥٨٤) ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٥١٦) ، ورواه موقوفاً ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٦٤٦) ، وأحمد في « الزهد » (١٠٩٥) ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٥١٥) .

قالَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : كيفَ بمَنْ صامَ الدَّهْرَ ؟ قالَ : « لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ »[1] .

وأوَّلَ قومٌ : أنَّ صومَ الدهرِ هوَ ألَّا يُفطِرَ العيدَينِ وأيَّامَ التشريقِ ، فهـٰذا الذي يُكرَهُ ، وإذا أَفْطَرَ هـٰذهِ الأيَّامَ فليسَ هوَ الصومَ الذي كَرِهَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ومنهُم مَنْ كانَ يصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً ؛ وقد وَرَدَ : « أَفْضَلُ ٱلصِّيَامِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً »[2] ، واسْتَحْسَنَ ذلكَ قومٌ مِنَ الصالحينَ ؛ ليكونَ بينَ حالِ الصَّبْرِ وحالِ الشُّكْرِ .

ومنهُم مَنْ كانَ يصومُ يومَينِ ويُفطِرُ يوماً ، أو يصومُ يوماً ويُفطِرُ يومَينِ ، ومنهُم مَنْ كانَ يصومُ يومَ الاثنينِ والخميسَ والجمعةَ .

وقيلَ : كانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ يأكلُ في كلِّ خمسةَ عَشَرَ يوماً مرَّةً ، وفي رمضانَ يأكلُ أَكْلةً واحدةً ، وكانَ يُفطِرُ في كلِّ ليلةٍ بالماءِ القَرَاحِ للسُّنَّةِ[3] .

وحُكِيَ عنِ الجُنيدِ رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ كانَ يصومُ على الدوامِ ، فإذا دخلَ عليهِ إخوانُهُ أَفْطَرَ معَهُم ويقولُ : ليسَ فضلُ المُساعَدةِ معَ الإخوانِ بأقلَّ مِنْ فضلِ الصومِ[4] .

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢/ ١٩٧) وغيره .

(٢) رواه الترمذي (٧٧٠) ، وأحمد (١/ ٣١٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأصله في « البخاري » (١٩٧٩) ، و« مسلم » (١١٥٩/ ١٨٧) ضمن سياق آخر .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢١٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٤٠) ، والقَرَاح : الصافي الذي لا يشوبه شيء .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) .

غيرَ أنَّ هـٰذا الإفطارَ يحتاجُ إلىٰ عِلْمٍ ؛ فقد يكونُ الداعي إلىٰ ذلكَ شِرَّةَ النَّفْسِ لا نيَّةَ المُوافَقةِ[1] ، وتخليصُ النيَّةِ لمَحْضِ المُوافَقةِ معَ وجودِ شِرَّةِ النَّفْسِ . . صعبٌ .

وسمعتُ شيخَنا رحمَهُ اللهُ يقولُ : لي سنينَ ما أكلتُ شيئاً بشهوةِ نَفْسٍ ابتداءً واستدعاءً ، بل يُقدَّمُ ليَ الشيءُ فأَرَىٰ فَضْلَ اللهِ ونعمتَهُ وفِعْلَهُ ، فأُوافِقُ الحقَّ في فعلِهِ .

وذَكَرَ أنَّهُ ذاتَ يومٍ اشتهى الطعامَ ولم يحضرْ مَنْ عادتُهُ تقديمُ الطعامِ إليهِ ، قالَ : ففتحتُ بابَ البيتِ الذي فيهِ الطعامُ وأخذتُ رُمَّانةً لآكلَها ، فدخلَتِ السِّنَّورُ وأخذتْ دجاجةً كانتْ هناكَ ، فقلتُ : هـٰذا عقوبةٌ لي علىٰ تَصَرُّفي في أَخْذِ الرُّمَّانِ .

ورأيتُ الشيخَ أبا السُّعُودِ رحمةُ اللهِ عليهِ يتناولُ الطعامَ في اليومِ مرَّاتٍ[2] ، أيَّ وقتٍ أُحضِرَ الطعامُ أكلَ منهُ ، ويرىٰ أنَّ تناولَهُ الطعامَ موافقةٌ للحقِّ ؛ لأنَّ حالَهُ معَ اللهِ كانَ تركَ الاختيارِ في مأكولِهِ وملبوسِهِ وجميعِ تصاريفِهِ ، وكانَ حالُهُ الوقوفَ معَ فِعْلِ الحقِّ .

وقد كانَ لهُ في ذلكَ بدايةٌ يَعِزُّ مثلُها ؛ حتىٰ لعلَّ كانَ يبقىٰ أيَّاماً لا يأكلُ

---

(١) الشِّرَّة : الحرص والرغبة والنشاط ، ويحتمل أن تكون (شَرَه) كما في بعض النسخ ، وكذلك في الموضع الآتي .

(٢) أبو السعود : هو الإمام العابد الزاهد أبو السعود بن الشبل العطار الحَرِيمي (ت ٥٨٢هـ) ، من أصحاب القطب العارف سيدي عبد القادر الجيلاني ، وكان ذا أحوال وكرامات ، وقد سبق ما يُؤيِّد ما ذُكر هنا . انظر « تاريخ الإسلام » (٤١/ ١٥٠ـ١٥١) ، وما سبق في (١/ ٤٥٠) .

ولا يعلمُ أحدٌ بحالِهِ ، ولا يتصرَّفُ هوَ لنَفْسِهِ ، ولا يتسبَّبُ إلىٰ تناولِ شيءٍ ، وينتظرُ فِعْلَ الحقِّ بسياقِهِ الرزقَ إليهِ ، ولم يشعرْ بحالِهِ أحدٌ مُدَّةً مِنَ الزمانِ .

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ أَظْهَرَ حالَهُ ، وأقامَ لهُ الأصحابَ والتلامذةَ ، وكانوا يتكلَّفونَ الأَطْعِمَةَ ويأتُونَ بها إليهِ ، وهوَ يرىٰ في ذلكَ فعلَ الحقِّ والمُوافَقة[1] .

سمعتُهُ يقولُ : (أُصبِحُ كلَّ يومٍ وأَحَبُّ ما إليَّ الصومُ ، فينقضُ الحقُّ عليَّ مَحَبَّتي للصومِ بفعلِهِ ، فأُوافِقُ الحقَّ في فعلِهِ) .

وحُكِيَ عن بعضِ الصادقينَ مِنْ أهلِ واسطَ أنَّهُ صامَ سنينَ كثيرةً ، وكانَ يُفطِرُ كلَّ يومٍ قبلَ غروبِ الشمسِ ، إلا في رمضانَ[2] .

وقالَ أبو نَصْرٍ السَّرَّاجُ : (أَنْكرَ قومٌ هٰذا ؛ لمُخالَفةِ العِلْمِ وإنْ كانَ الصومُ تطوُّعاً ، واستحسنَهُ آخرُونَ ؛ لأنَّ صاحبَهُ كانَ يُرِيدُ بذلكَ تأديبَ النَّفْسِ بالجُوعِ ، وألَّا يتمتَّعَ برؤيةِ الصومِ)[3] .

ووَقَعَ لي : أنَّ هٰذا إنْ قَصَدَ ألَّا يتمتَّعَ برؤيةِ الصَّومِ . فقد تمتَّعَ برُؤْيةِ عَدَمِ التمتُّعِ برؤيةِ الصَّومِ ، وهٰذا يتسلسلُ ، والأَلْيَقُ موافقةُ العِلْمِ وإمضاءُ الصومِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] .

ولٰكنَّ أهلَ الصِّدْقِ لهُم نيَّاتٌ فيما يفعلونَ ، فلا يُعارَضُونَ ، والصِّدْقُ محمودٌ لعينِهِ كيفَ كانَ ، والصادقُ في خُفَارةِ صِدْقِهِ كيفَ تَقَلَّبَ .

---

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ي) : (فضل الحق) بدل (فعل الحق) .
(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) .
(٣) اللمع (ص٢٢١) .

وقالَ بعضُهم : (إذا رأيتَ الصُّوفيَّ يصومُ صومَ التطوُّعِ . فاتَّهِمْهُ ؛ فإنَّهُ قدِ اجتمعَ معَهُ شيءٌ مِنَ الدنيا)[١] .

وقيلَ : إذا كانوا جماعةً متوافقينَ أَشْكالاً وفيهِم مُرِيدٌ . . يَحُثُّونَهُ على الصِّيامِ ، فإنْ لم يُساعِدُوهُ يهتمُّوا لإفطارِهِ ويتكلَّفُوا لهُ رِفْقاً بهِ ، ولا يحملونَ حالَهُ على حالِهِم ، وإنْ كانوا جماعةً معَ شيخٍ يصومونَ لصومِهِ ويُفطِرُونَ لإفطارِهِ ، إلا مَنْ يأمرُهُ الشيخُ بغيرِ ذلكَ[٢] .

وقيلَ : إنَّ بعضَهُم صامَ سنينَ بسببِ شابٍّ كانَ يصحبُهُ ؛ حتىٰ ينظرَ الشابُّ إليهِ ، فيتأدَّبَ بهِ ويصومَ بصيامِهِ[٣] .

وحُكِيَ عن أبي الحسنِ المَكِّيِّ أنَّهُ كانَ يصومُ الدهرَ ، وكانَ مُقيماً بالبَصْرةِ ، وكانَ لا يأكلُ الخبزَ إلا ليلةَ الجمعةِ ، وكانَ قوتُهُ في كلِّ شهرٍ أربعةَ دَوَانيقَ[٤] ، يعملُ بيدِهِ حِبالَ اللِّيفِ ويبيعُها ، وكانَ الشيخُ أبو الحسنِ ابنُ سالمٍ يقولُ : لا أُسلِّمُ عليهِ إلَّا أنْ يُفطِرَ ويأكلَ[٥] .

فكأنَّ ابنَ سالمٍ اتَّهمَهُ بشهوةٍ خَفِيَّةٍ لهُ في ذلكَ ؛ لأنَّهُ كانَ مشهوراً بينَ الناسِ[٦] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) ، وعلَّله في هامش (ح) بقوله : (لأنَّ الصائم يهتمُّ بالرزق قبل الصوم ، وبعده غالباً) .

(٢) انظر « اللمع » (ص٢٢٠) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٤٠) .

(٤) الدَّوَانيق : جمع (دانِق) ؛ وهو سُدُس الدرهم .

(٥) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٢٠) .

(٦) أي : كان مشهوراً بين الناس بصوم الدهر .

وقالَ بعضُهُم : (ما أَخْلَصَ عبدٌ للهِ قطُّ إلا أَحَبَّ أنْ يكونَ في جُبٍّ لا يُعرَفُ ، ومَنْ أَكَلَ فَضْلاً مِنَ الطعامِ أَخْرجَ فَضْلاً مِنَ الكلامِ)[١] .

وقيلَ : أقامَ أبو الحسنِ التِّنِّيسيُّ بالحَرَمِ معَ أصحابِهِ سبعةَ أيَّامٍ لم يأكلوا ، فخَرَجَ بعضُ أصحابِهِ ليتطهَّرَ ، فرأىٰ قِشْرَ بِطِّيخٍ ، فأخذَهُ وأكلَهُ ، فرآهُ إنسانٌ ، فاتَّبَعَ أَثَرَهُ وجاءَ برِفْقٍ فوضعَهُ بينَ يَدَيِ القومِ ، فقالَ الشيخُ : مَنْ جنىٰ منكُم هـٰذهِ الجِنايةَ ؟

فقالَ الرجلُ : أنا ؛ وَجَدتُ قِشْرَ بِطِّيخٍ فأكلتُهُ ، فقال : كُنْ أنتَ معَ جنايتِكَ ورِفْقِكَ ، فقالَ : أنا تائبٌ مِنْ جِنايتِي ، فقالَ : لا كلامَ بعدَ التوبةِ .

وكانوا يستحبُّونَ صِيامَ أيَّامِ البِيضِ[٢] ؛ وهوَ الثالثَ عَشَرَ ، والرابعَ عَشَرَ ، والخامسَ عَشَرَ .

رُوِيَ أنَّ آدمَ عليهِ السلامُ لمَّا أُهبِطَ إلى الأرضِ اسودَّ جسدُهُ مِنْ أَثَرِ المعصيةِ[٣] ، فلمَّا تابَ اللهُ عليهِ أَمَرَهُ أنْ يصومَ أيامَ البِيضِ ، فابيضَّ ثُلُثُ جسدِهِ بكلِّ يومٍ صامَ ، حتى ابيضَّ جميعُ جسدِهِ بصيامِ أيَّامِ البِيضِ[٤] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/٦٧) عن أبي عبد الله الراهبي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) وجمع الأبيض : (بِيض) ، وأصلُهُ : (بُيض) ، وإنَّما أبدلوا من الضمة كسرة لتصح الياء . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٣) الأصحُّ المختار عند المُحقِّقين : أنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون قبل النبوَّة وبعدها من كبائر الذنوب وصغائرها عَمْدِها وسَهْوِها . انظر « الشفاء » للقاضي عياض (ص٦٠٦) وما بعدها ، و« مرقاة المفاتيح » (١٧٢٠/٥) .

(٤) رواه الخطيب في « أماليه » كما في « كنز العمال » (٢٤١٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٩/٧ـ٤٢٠) مرفوعاً وموقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن مسعود =

ويستحبُّونَ صومَ النصفِ الأوّلِ مِنْ شعبانَ ، وإفطارَ نصفِهِ الأخيرِ ، وإنْ واصلَ بينَ شعبانَ ورمضانَ فلا بأسَ بهِ ، ولـٰكن إنْ لم يكنْ صامَ فلا يستقبلُ رمضانَ بيومٍ أو يومَينِ .

وكانَ بعضُهُم يكرهُ أنْ يُصامَ رجبُ جميعُهُ ؛ كراهةَ المُضاهاةِ برمضانَ .

ويُستحَبُّ صومُ العَشْرِ مِنْ ذي الحِجَّةِ ، والعَشْرِ مِنَ المُحرَّمِ .

ويُستحَبُّ الخميسُ والجمعةُ والسبتُ أنْ يُصامَ مِنَ الأشهرِ الحُرُمِ[1] ؛ وَرَدَ في الخبرِ : « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ ؛ ٱلْخَمِيسَ وَٱلْجُمُعَةَ وَٱلسَّبْتَ . . بَعُدَ مِنَ ٱلنَّارِ سَبْعَ مِئَةِ عَامٍ »[2] .

❁ ❁ ❁

= رضي الله عنه ، والديلمي في « الفردوس » (١٣٨٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٨٥) .

(١) المراد من الأشهر الحُرُم : رجب ، وذو القَعْدة ، وذو الحِجَّة ، والمحرَّم . من هامش (ح) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٧٨٩) ، وفيه : (كتبت له عبادة سنتين) بدل (بَعُدَ من النار . . .) ، والبيهقي في « فضائل الأوقات » (٣٠٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٥٨٦) .

الباب الحادي والأربعون

في آداب الصوم ومهامه

أدبُ الصُّوفيّةِ في الصومِ : ضبطُ الظاهرِ والباطنِ ، وكَفُّ الجوارحِ عنِ الآثامِ ؛ كمَنْعِ النَّفْسِ عنِ الطعامِ ، ثمَّ كَفُّ النَّفْسِ عنِ الاهتمامِ بالأَقْسامِ .

سمعتُ أنَّ بعضَ الصالحينَ بالعراقِ كانَ طريقُهُ وطريقُ أصحابِهِ أنَّهُم كانوا يصومونَ ، فكلُّ ما فُتِحَ عليهِم قبلَ وقتِ الإفطارِ يُخرِجُونَهُ ، ولا يُفطِرونَ إلا علىٰ ما فُتِحَ لهُم وقتَ الإفطارِ .

وليسَ مِنَ الأدبِ أنْ يُمسِكَ المُريدُ عن مُباحِ الطعامِ ، ويُفطِرَ بحرامِ الآثامِ .

قالَ أبو الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : (يا حبَّذا نومُ الأكياسِ وفِطْرُهُم !! كيفَ يَغْبِنُونَ قيامَ الحَمْقَىٰ وصِيامَهُم ؟! ولَذَرَّةٌ مِنْ ذي يقينٍ وتَقْوىٰ أفضلُ مِنْ أمثالِ الجبالِ مِنْ أعمالِ المُغتَرِّينَ)[1] .

ومِنْ فضيلةِ صَوْمِهِ وأدبِهِ : أنْ يُقلِّلَ الطعامَ عنِ الحَدِّ الذي كانَ يأكلُهُ وهوَ مُفطِرٌ ، وإلا إذا جمعَ الأكَلاتِ بأَكْلةٍ واحدةٍ . . فقد أَدْركَ ما فَوَّتَ .

ومقصودُ القومِ مِنَ الصَّوْمِ : قَهْرُ النَّفْسِ ومَنْعُها مِنَ الاتِّساعِ ، وأخذُهُم

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٧٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « اليقين » (٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢١١) ، وفيهما : (يعيبون) بدل (يغبنون) .

مِنَ الطعامِ قَدْرَ الضرورةِ ؛ لعلمِهِم أنَّ الاقتصارَ على الضرورةِ يَجذِبُ النَّفْسَ في سائرِ الأفعالِ والأقوالِ إلى الضرورةِ .

والنَّفْسُ مِنْ طَبْعِها أنَّها إذا قُهِرَتْ للهِ تعالىٰ في شيءٍ واحدٍ على الضرورةِ . تأدَّىٰ ذلكَ إلىٰ سائرِ أحوالِها ، فيصيرُ الأكلُ ضرورةً ، والنومُ ضرورةً ، والقولُ والفعلُ ضرورةً ، وهٰذا بابٌ كبيرٌ مِنْ أبوابِ الخيرِ لأهلِ اللهِ تعالىٰ يجبُ رعايتُهُ وافتقادُهُ[1] .

ولا يُخَصُّ بعِلْمِ الضرورةِ وفائدتِها وطلبِها إلا عبدٌ يُريدُ اللهُ تعالىٰ بهِ أنْ يُقرِّبَهُ ويُدنِيَهُ ، ويَصْطَفِيَهُ ويُربِّيَهُ .

ويمتنعُ في صومِهِ مِنْ مُلاعَبةِ الأَهْلِ بالمُلامَسةِ ؛ لأنَّ ذلكَ أَنْزهُ للصومِ .

ويتسحَّرُ ؛ استعمالاً للسُّنَّةِ ، وهوَ أَدْعىٰ إلىٰ إمضاءِ الصَّومِ ؛ لمعنيَينِ ؛ أحدُهُما : عودُ بركةِ السُّنَّةِ عليهِ ، والثاني : التقويةُ بالطعامِ على الصِّيامِ .

روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « تَسَحَّرُوا ؛ فَإِنَّ فِي ٱلسُّحُورِ بَرَكَةً »[2] .

---

(١) في (ج) ونسخة علىٰ هامش (و) : (وتفقُّده) ، وكلاهما صحيح .

(٢) رواه البخاري (١٩٢٣) ، ومسلم (١٠٩٥) ، وقولُهُ : (السحور) قال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٤/ ١٣٨٠) : (الرواية المحفوظة عند المُحدِّثين : فتح السين ؛ وهو ما يُتسحَّر به من الطعام والشراب) ، وقال أيضاً نقلاً عن « النهاية » : (أكثرُ ما يُروىٰ : بالفتح ، وقيل : الصوابُ بالضم ؛ لأنَّهُ المصدرُ ، والأجرُ في الفعل لا في الطعام) ، ثمَّ قال : (ويُمكِنُ أن يُقال : الصواب : بالفتح ؛ لأنَّ الفعلَ إنَّما يُثابُ عليه لكونه مُوافِقاً لاستعمال السُّنَّة ، فإذا أُثيب علىٰ أثَره فبالأَوْلىٰ علىٰ نفسه ؛ فيُفِيدُ من المبالغة ما لا يخفىٰ) .

ويُعجِّلُ الفِطْرَ ؛ عَمَلاً بالسُّنَّةِ ، فإنْ لم يُرِدْ تناولَ الطعامِ إلا بعدَ العِشاءِ ، ويُرِيدُ إحياءَ ما بينَ العِشاءَينِ . . يُفطِرْ بالماءِ ، أو على أَعْدادٍ مِنَ الزَّبيبِ أوِ التمرِ ، أو يأكلْ لُقَماً إنْ كانتِ النَّفسُ تُنازِعُ[1] ؛ ليصفوَ لهُ الوقتُ بينَ العِشاءينِ ؛ ففي إحياءِ ذلكَ فضلٌ كثيرٌ[2] ، وإلا فيقتصرُ على الماءِ لأَجْلِ السُّنَّةِ .

(١١٤) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفَتْحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ موسى الأنصاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عنِ الأوزاعيِّ ، عن قُرَّةَ ، عنِ الزُّهْريِّ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ : أَعْجَلُهُمْ فِطْراً »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَزَالُ ٱلنَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا ٱلْفِطْرَ »[4] .

---

(١) في (ب) : (لقمة) بدل (لقماً) ، وفي (هـ) : (لُقَيمات) .

(٢) قال أحمد [بن أبي] الحواري : قلتُ لأبي سليمانَ الدَّاراني : أصومُ النهارَ وأتعشَّى بين المغرب والعشاء أحبُّ إليك ، أو أُفطِرُ بالنهار وأُحْيي ما بينهما ؟ قال : إنْ جمعتَ ذلك فعظيمٌ ، وإن لم تقدر بين صوم النهار والصلاة بين العشاءين . . فأَفْطِرْ وصَلِّ بين العشاءين . من « الإحياء » . من هامش (ح) .

(٣) سنن الترمذي (٧٠٠) ، ورواه أحمد (٢/ ٢٣٧ـ٢٣٨) ، وابن حبان (٣٥٠٧) .

(٤) رواه البخاري (١٩٥٧) ، ومسلم (١٠٩٨) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما .

والإفطارُ قبلَ الصلاةِ سُنَّةٌ ؛ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُفطِرُ علىٰ جُرْعَةٍ مِنْ ماءٍ ، أو مَذْقَةٍ مِنْ لَبَنٍ ، أو تَمَراتٍ(١) .

وفي الخبرِ : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ ٱلْجُوعُ وَٱلْعَطَشُ !! »(٢) .

قيلَ : هوَ الذي يجوعُ بالنهارِ ويُفطِرُ على الحرامِ(٣) .

وقيلَ : هوَ الذي يصومُ عنِ الحلالِ مِنَ الطَّعامِ ويُفطِرُ علىٰ لُحُومِ الناسِ بالغِيبةِ(٤) .

وقالَ سُفْيانُ رحمَهُ اللهُ : (مَنِ اغْتابَ فَسَدَ صومُهُ)(٥) .

وعن مُجاهِدٍ رحمَهُ اللهُ: (خَصْلتانِ تُفْسِدانِ الصَّومَ : الغِيبةُ، والكذبُ)(٦).

وقالَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ : (قَرَنَ اللهُ الاستماعَ إلى الباطلِ والقولِ بالإثمِ إلىٰ أَكْلِ الحرامِ ؛ فقالَ : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة : ٤٢])(٧) .

---

(١) رواه بنحوه أبو داود (٢٣٥٦) ، والترمذي (٦٩٦) ، وأحمد (٣/ ١٦٤) ، والحاكم (١/ ٤٣٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، **والمَذْقة** : اللبن المخلوط بالماء .

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٩٠) ، وأحمد (٢/ ٣٧٣) ، والدارمي (٢٧٦٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ٢٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٢٤٧) .

(٤) زاد في (أ ، ي) : (أو الكذب) ، وانظر « قوت القلوب » (٣/ ١٢٤٧) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٢٤٧) ، **وسفيانُ** : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ ، **وفسد صومُهُ** : ذهب ثوابه ، وقال الزَّبيدي في « الإتحاف » (٤/ ٢٤٥) : (وقيل : إنَّ مذهبَ سفيانَ إفسادُ الصوم بالغيبة حقيقةً ، هٰكذا حكاه المنذري عنه وعن عائشة، وذهب الأوزاعي إلىٰ هٰذا ؛ فأَوْجَبَ عليه القضاء ، وسائرُ العلماء علىٰ خلافه) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٨٩٨٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣٧٨) .

(٧) قوت القلوب (١/ ٢٢٢) .

ووَرَدَ في الخبرِ أنَّ امرأتَينِ صامتا علىٰ عَهْدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَجْهدَهُما الجوعُ والعَطَشُ مِنْ آخرِ النهارِ ، حتىٰ كادتا أنْ تَتْلَفا ، فبَعَثَتا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تستأذنانِه في الإفطارِ ، فأرْسلَ إليهِما قَدَحاً وقالَ : « قُولُوا لَهُمَا : قِيئَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا » ، فقاءَتْ إحداهُما نصفَهُ دماً عَبِيطاً ولحماً غَرِيضاً[1] ، وقاءَتِ الأُخْرىٰ مثلَ ذلكَ ، حتىٰ مَلأَتاهُ ، فتعجَّبَ الناسُ مِنْ ذلكَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ ٱللهُ لَهُمَا ، وَأَفْطَرَتَا عَلَىٰ مَا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ . . فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ ، فَإِنِ ٱمْرُؤٌ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ »[3] .

وفي الخبرِ : (إنَّ الصومَ أمانةٌ ، فليحفَظْ أحدُكم أمانتَهُ)[4] .

---

(١) العَبِيط : الطري الخالص الذي لا خلط فيه ، والغَرِيض : الطري .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (١٥٧٦) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة » (٣٣) عن سيدنا عبيد مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٢٢٢١) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٧٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٩٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤) ، ومسلم (١١٥١/ ١٦٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٢٢٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ١١٩) ، وقال العراقي في « المغني » (٧٤٣) : (رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » من حديث ابن مسعود في حديث الأمانة والصوم ، وإسناده حسن) ، وقال الغماري في « الغنية » (٢/ ٥٩٢) مُعقِّباً علىٰ كلام العراقي : (كذا قال ، والواقع بخلافه ؛ فإنَّ الحديثَ المذكورَ ليس فيه حديثُ الباب ، وإنَّما فيه أنَّ الأمانةَ تكونُ في الصلاة وفي الصوم وفي الوضوء وفي الحديث ؛ فهو حديثٌ آخرُ بعيدٌ لفظُهُ عن حديث الباب) .

والصُّوفيُّ الذي لا يرجعُ إلىٰ معلومٍ ، ولا يدري متىٰ يُساقُ إليهِ الرِّزْقُ ، فإذا ساقَ اللهُ إليهِ الرِّزْقَ تناولَهُ بالأدبِ ، وهوَ دائمُ المُراقَبةِ لوقتِهِ ، فهوَ في إفطارِهِ أفضلُ مِنَ الذي لهُ معلومٌ مُعَدٌّ ، فإنْ كانَ معَ ذلكَ يصومُ فقد أكْملَ الفَضْلَ .

حُكِيَ عن رُوَيمِ بنِ أحمدَ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : اجتزتُ في الهاجرةِ ببعضِ سِكَكِ بغدادَ[1] ، فعَطِشْتُ ، فتقدَّمتُ إلىٰ بابِ دارٍ ، فاستسقَيتُ ، فإذا جاريةٌ قد خرجَتْ ومعَها كُوزٌ جديدٌ ملآنُ مِنَ الماءِ المُبرَّدِ ، فلمَّا أَرَدْتُ أنْ أتناولَ مِنْ يدِها قالَتْ : صُوفيٌّ ويشربُ بالنهارِ ؟! وضربتْ بالكُوزِ على الأرضِ وانصرفَتْ ، قالَ رُوَيمٌ : فاستحيَيتُ مِنْ ذلكَ ، ونذرتُ ألَّا أُفطِرَ أبداً[2] .

والجماعةُ الذينَ كَرِهُوا دوامَ الصَّومِ كَرِهُوهُ لمكانِ أنَّ النَّفْسَ إذا أَلِفَتِ الصومَ وتَعَوَّدَتْ عليهِ اشتدَّ عليها الإفطارُ ، وهكذا بتعوُّدِها الإفطارَ تكرهُ الصومَ ، فيرَوْنَ الفضلَ في ألَّا تَرْكَنَ النَّفْسُ إلىٰ عادةٍ ، ورَأَوْا أنَّ إفطارَ يومٍ وصومَ يومٍ أشدُّ على النَّفْسِ .

ومِنْ أدبِ الفقراءِ : أنَّ الواحدَ إذا كانَ بينَ جَمْعٍ أو في صُحْبَةِ جماعةٍ . . لا يصومُ إلا بإذنِهِم ، وإنَّما كانَ ذلكَ ؛ لأنَّ قلوبَ الجَمْعِ تتعلَّقُ بفَطُورِهِ وهم علىٰ غيرِ معلومٍ[3] .

فإنْ صامَ بإذنِ الجَمْعِ وفُتِحَ عليهِم شيءٌ . . لا يلزمُهُمُ ادِّخارُهُ للصائمِ ،

---

(١) الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٢) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢١٧) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٤٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٦٤) .

(٣) الفَطُور : ما يُفطر عليه .

معَ العلمِ بأنَّ الجَمْعَ المُفطِرينَ يحتاجونَ إلىٰ ذلكَ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يأتي للصائمِ برِزْقِهِ ، إلا أنْ يكونَ الصائمُ يحتاجُ إلى الرِّفْقِ لضَعْفِ حالِهِ ، أو ضَعْفِ بِنْيتِهِ لشيخوخةٍ أو غيرِ ذلكَ .

وهكذا الصائمُ لا يليقُ أنْ يأخذَ نصيبَهُ فيدَّخِرَهُ ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ ضعفِ الحالِ ، فإنْ كانَ ضعيفاً يعترفُ بحالِهِ وضَعْفِهِ ، فيدَّخِرُهُ .

والذي ذَكَرْناهُ لأقوامٍ هم علىٰ غيرِ معلومٍ ، فأمَّا الصُّوفيَّةُ المُقيمونَ في رِبَاطٍ علىٰ معلومٍ . . فالأَلْيقُ بحالِهِمُ الصيامُ ، ولا يلزمُهُم موافقةُ الجَمْعِ في الإفطارِ إذا كانَ الإفطارُ يستمرُّ في جَمْعٍ منهُم ، ولهُم معلومٌ يُقدَّمُ لهُم بالنهارِ ، فأمَّا إذا كانوا علىٰ غيرِ معلومٍ . . فقد قيلَ : مُساعَدةُ الصُّوَّامِ للمُفطِرينَ أحسنُ مِنِ استدعاءِ المُوافَقةِ مِنَ المُفطِرينَ للصُّوَّامِ .

وأمرُ القومِ مَبْناهُ على الصِّدْقِ ، ومِنَ الصِّدْقِ افتقادُ النِّيَّةِ وأحوالِ النَّفْسِ ؛ فكلُّ ما صحَّتِ النيَّةُ فيهِ ؛ مِنَ الصومِ والإفطارِ ، والمُوافَقةِ وتركِ المُوافقةِ . . فهوَ الأفضلُ[1] .

فأمَّا مِنْ حيثُ السُّنَّةُ : فمَنْ يُوافِقُ : لهُ وجهٌ إذا كانَ صائماً وأَفْطرَ للمُوافَقةِ ، وإنْ صامَ ولم يُوافِقْ فلهُ وجهٌ .

فأمَّا وجهُ مَنْ يُفطِرُ ويُوافِقُ فما :

(١١٥) ـ أخبرَنا بهِ أبو زُرْعةَ طاهرٌ ، عن أبيهِ أبي الفَضْلِ الحافظِ المَقْدِسيِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفَضْلِ محمَّدُ بنُ [عُبيدِ] اللهِ[2] ، قالَ : أخبرَنا

---

(١) في (ب) : (الأصل) .

(٢) في النسخ : (عبد الله) ، والمثبت من « صفوة التصوف » ، وأبو الفضل : هو الإمام=

السَّيِّدُ أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ العَلَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمَّدُ ابنُ حَمْدُويَه[1] ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ حمَّادٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قالَ : حدَّثَني عطَّافُ بنُ خالدٍ ، عن حمَّادِ بنِ [أبي] حُمَيدٍ ، عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : اصطنعتُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابِهِ طعاماً ، فلمَّا قُدِّمَ إليهِم قالَ رجلٌ مِنَ القومِ : إنِّي صائمٌ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دَعَاكُمْ أَخُوكُمْ وَتَكَلَّفَ لَكُمْ ، ثُمَّ تَقُولُ : إِنِّي صَائِمٌ !! أَفْطِرْ وَٱقْضِ يَوْماً مَكَانَهُ »[2] .

وأمَّا وجهُ مَنْ لا يُوافِقُ : فقد وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابَهُ أكلوا وبلالٌ صائمٌ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَأْكُلُ رِزْقَنَا ، وَرِزْقُ بِلَالٍ فِي ٱلْجَنَّةِ »[3] .

فإذا علمَ أنَّ هناكَ قلباً يتأذَّىٰ ، أو فضلاً يُرجىٰ مِنْ مُوافقةِ مَنْ تُغتنَمُ مُوافَقتُهُ . . يُفطِرُ بحُسْنِ النيَّةِ ، لا بحُكْمِ الطَّبْعِ وتَقَاضِيهِ .

= العابد المسند محمد بن عبيد الله بن محمد النيسابوري الصرَّام المقرئ (ت٤٧٩هـ) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٣٢٤ـ ٣٢٥) .

(١) هو الإمام الصوفي الزاهد أبو بكر محمد بن حيَّان بن حَمْدُويه النيسابوري (ت ٣٣٥ هـ) من كبار أصحاب أبي عثمان الحيري ، ومن كبار رجال الصوفية رحمه الله تعالىٰ .

(٢) صفوة التصوف (١٠٨) ، ورواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٢٣١٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٤٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ٢٧٩) .

(٣) رواه ابن ماجه (١٧٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣١٤) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه .

فإنْ لم يَجِدْ هـٰذا المعنىٰ لا ينبغي أنْ يتلبَّسَ عليهِ الشَّرَهُ وداعيةُ النَّفْسِ بالنيَّةِ ، فليُتِمَّ صومَهُ ، وقد تكونُ الإجابةُ لداعيةِ النَّفْسِ لا لقضاءِ حقِّ أخيهِ .

ومِنْ أحسنِ أدبِ الفقيرِ الطالبِ : أنَّهُ إذا أَفْطرَ وتناولَ الطعامَ ربَّما يَجِدُ باطنَهُ مُتغيِّراً عن هيئتِهِ ، ونَفْسَهُ مُتثبِّطةً عن أداءِ وظائفِ العباداتِ ، **فيُعالِجُ** مزاجَ القلبِ **المُتغيِّرَ** بإذهابِ التغيُّرِ عنهُ ، **ويُذِيبُ** الطعامَ بركَعَاتٍ يُصلِّيها ، أو بآياتٍ يَتْلُوها ويتفكَّرُ فيها ، أو بأَذْكارٍ واستغفارٍ يأتي بهِ ؛ فقد وَرَدَ في الخبرِ : « **أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِٱلذِّكْرِ** »[1] .

ومِنْ مَهَامِّ آدابِ الصَّوْمِ : كِتْمانُهُ مهما أَمْكنَ ، إلا أنْ يكونَ مُتمكِّناً مِنَ الإخلاصِ ؛ فلا يُبالي ظَهَرَ أم بَطَنَ[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (١/١٥٦) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٤٨٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٥٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٦٤٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثاني والأربعون

في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصُّوفيُّ بحُسْنِ نيَّتِهِ ، وصِحَّةِ مَقْصِدِهِ ، ووُفُورِ علمِهِ ، وإتيانِهِ بأدبِهِ . . تصيرُ عاداتُهُ عبادةً .

والصُّوفيُّ موهوبٌ وقتُهُ للهِ ، ويريدُ حياتَهُ للهِ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ آمِراً لهُ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

فيدخلُ على الصُّوفيِّ أمورُ العادةِ ؛ لموضعِ حاجتِهِ ، وضرورةِ بَشَرِيَّتِهِ ، ويَحُفُّ بعاداتِهِ نورُ يَقَظَتِهِ ، وحُسْنِ نيَّتِهِ ، فتتنوَّرُ العاداتُ ، وتتشكَّلُ بالعباداتِ ؛ ولهٰذا وَرَدَ : « نَوْمُ ٱلْعَالِمِ عِبَادَةٌ ، وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ »[1] ، هٰذا معَ كونِ النومِ عينَ الغَفْلَةِ ، ولٰكن كلُّ ما يُستعانُ بهِ على العبادةِ يكونُ عبادةً .

فتناوُلُ الطَّعامِ أصلٌ كبيرٌ يحتاجُ إلىٰ علومٍ كثيرةٍ ؛ لاشتمالِهِ على المصالحِ

---

(١) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٤٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٦٥٢) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٨٣) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيها : (نوم الصائم) بدل (نوم العالم) قال الغماري في « الغنية » (٢/ ٥٩٨) : (وعندي : أنَّ لفظ : « العالم » تحريف من النُّسَّاخ ، وإنما هو « الصائم » ، والله أعلم) .

الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ، وتعلُّقِ أثَرِهِ بالقلبِ والقالَبِ ، وبهِ قِوامُ البَدَنِ بإجراءِ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ بذلكَ ، والقالَبُ مركبُ القلبِ ، وبهما عِمارةُ الدنيا والآخرةِ.

وقد ورَدَ : « أَرْضُ ٱلْجَنَّةِ قِيعَانٌ ، نَبَاتُهَا ٱلتَّسْبِيحُ وَٱلتَّقْدِيسُ وَٱلتَّهْلِيلُ »[1] .

والقالَبُ بمُفرَدِهِ علىٰ طبيعةِ الحيواناتِ يُستعانُ بهِ علىٰ عِمارةِ الدنيا ، والرُّوحُ والقلبُ علىٰ طبيعةِ الملائكةِ يُستعانُ بهما علىٰ عِمارةِ الآخرةِ ، وباجتماعِهِما صَلُحا لعِمارةِ الدَّارَينِ .

واللهُ سبحانَهُ رَكَّبَ الآدميَّ بلطيفِ حِكْمتِهِ مِنْ أَخَصِّ جواهرِ الجِسْمانيَّاتِ والرُّوحانيَّاتِ ، وجَعَلَهُ مُستودَعَ خُلاصةِ الأَرَضِينَ والسماواتِ ، وجعلَ عالَمَ الشهادةِ وما فيها مِنَ النباتِ والحيوانِ لقِوَامِ بَدَنِ الآدميِّ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] .

فكَوَّنَ الطبائعَ ؛ وهي الحرارةُ ، والبُرُودةُ ، والرُّطُوبةُ ، واليُبُوسةُ ، وكَوَّنَ بواسطتِها النباتَ ، وجَعَلَ النباتَ قِوَاماً للحيواناتِ ، وجَعَلَ الحيواناتِ مُسخَّرةً للآدميِّ ، يستعينُ بها علىٰ أَمْرِ معاشِهِ لقِوَامِ بَدَنِهِ .

فالطعامُ يَصِلُ إلى المَعِدَةِ ، وفي المَعِدَةِ طبائعُ أربعٌ ، وفي الطعامِ طبائعُ أربعٌ .

فإذا أرادَ اللهُ تعالى اعتدالَ مِزاجِ البَدَنِ . . أَخَذَ كلُّ طبعٍ مِنْ طباعِ المَعِدَةِ

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣٤٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٢١٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، **والقيعان** : جمع (قاع) ؛ وهو المستوي من الأرض .

ضِدَّهُ مِنَ الطعامِ ؛ فتأخذُ الحرارةُ البُرُودةَ ، والرُّطُوبةُ اليُبُوسةَ ، فيعتدلُ المِزاجُ ، ويأمنُ الاعوجاجَ .

وإذا أرادَ اللهُ تعالىٰ إفناءَ قالَبٍ وتخريبَ بِنْيةٍ . . أخذتْ كلُّ طبيعةٍ جنسَها مِنَ المأكولِ ، فتميلُ الطبائعُ ، ويضطربُ المِزاجُ ، ويَسْقَمُ البدنُ ؛ ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

رُوِيَ عن وَهْبِ بنِ مُنبِّهٍ قالَ : (وجدتُ في التوراةِ صفةَ آدمَ عليهِ السلامُ : إنِّي خلقتُ آدمَ ، وركَّبتُ جسدَهُ مِنْ أربعةِ أشياءَ : مِنْ رَطْبٍ ، ويابسٍ ، وباردٍ ، وسُخْنٍ ؛ وذلكَ لأنِّي خلقتُهُ مِنَ الترابِ وهوَ يابسٌ ، ورطوبتُهُ مِنَ الماءِ ، وحرارتُهُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ ، وبُرُودتُهُ مِنْ قِبَلِ الرُّوحِ .

وخلقتُ في الجسدِ بعدَ هٰذا الخَلْقِ الأوَّلِ أربعةَ أنواعٍ مِنَ الخَلْقِ هُنَّ مِلاكُ الجسمِ بإِذْني ، وبهِنَّ قِوَامُهُ ، فلا يقومُ الجسمُ إلا بهِنَّ ، ولا تقومُ منهُنَّ واحدةٌ إلا بأُخْرىٰ منهُنَّ : المِرَّةُ السَّوْداءُ ، والمِرَّةُ الصَّفْراءُ ، والدمُ ، والبَلْغَمُ .

ثمَّ أَسْكنتُ بعضَ هٰذا الخَلْقِ في بعضٍ ؛ فجعلتُ مَسْكَنَ اليُبُوسةِ في المِرَّةِ السَّوْداءِ ، ومَسْكَنَ الرُّطُوبةِ في المِرَّةِ الصَّفْراءِ ، ومَسْكَنَ الحرارةِ في الدَّمِ ، ومَسْكَنَ البُرُودةِ في البَلْغَمِ .

فأيُّما جسدٍ اعتدلَتْ فيهِ هٰذهِ الفِطَرُ الأربعُ التي جَعَلْتُها مِلاكَهُ وقِوَامَهُ ، فكانتْ كلُّ واحدةٍ منهُنَّ رَبْعاً لا يزيدُ ولا يَنقُصُ[1] . . كَمَلَتْ صِحَّتُهُ ، واعتدلَتْ بِنْيتُهُ .

---

(١) الرَّبْع : المعتدل ، ويجوز أن تقرأ : (رُبُعاً) ، كما ضبطت كذلك في بعض النسخ .

فإنْ زادَ منهُنَّ واحدةٌ عليهِنَّ . . هَزَمَتْهُنَّ ومالَتْ بهِنَّ ، ودَخَلَ عليهِ السُّقْمُ مِنْ ناحيتِها بقَدْرِ غَلَبَتِها ، حتىٰ تَضعُفَ عن طاقتِهِنَّ ، وتَعجِزَ عن مقدارِهِنَّ)[1] .

فأهَمُّ الأمورِ في الطعامِ : أنْ يكونَ حلالاً ، وكلُّ ما لا يذمُّهُ الشرعُ حلالٌ ؛ رُخْصةً ورحمةً مِنَ اللهِ تعالىٰ لعبادِهِ ، ولولا رُخْصةُ الشَّرْعِ لكَبُرَ الأمرُ وأَتْعبَ طلبُ الحلالِ .

ومِنْ أدبِ الصُّوفيَّةِ : رُؤْيةُ المُنعِمِ على النِّعْمةِ .

ويبتدئُ بغَسْلِ اليدِ قبلَ الطعامِ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْوُضُوءُ قَبْلَ ٱلطَّعَامِ يَنْفِي ٱلْفَقْرَ »[2] .

وإنَّما كانَ مُوجِباً لنَفْيِ الفَقْرِ ؛ لأنَّ غَسْلَ اليدِ قَبْلَ الطعامِ استقبالُ النِّعْمةِ بالأدبِ ، وذلكَ مِنْ شُكْرِ النِّعْمةِ ، والشكرُ يستوجبُ المزيدَ[3] ، فصارَ غَسْلُ اليدِ مُستجلِباً للنِّعمةِ ، مُذهِباً للفقرِ .

---

(١) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/ ٦٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٤٣٦) ، والعبارة فيه بدل (هزمتهُنَّ ومالَتْ بهِنَّ . . . عن طاقتهن) : (وقهرتهنَّ ومالَتْ بهِنَّ دخل علىٰ أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت ، وإذا كانت ناقصة مِلْنَ بها ، وأدخلن السقم من نواحيهنَّ لقلَّتها عنهنَّ ، حتىٰ تضعف عن طاقتهنَّ) .

(٢) رواه القضاعي في « المسند » (٣١٠) عن موسى بن جعفر عن آبائه متصلاً رضي الله عنهم ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧١٦٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (١٧٨٨) موقوفاً علىٰ سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ورواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٤٠) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ من كلامه .

(٣) كما قال الله تعالىٰ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] . من هامش (ح) .

وقد روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ أَحبَّ أَنْ يَكْثُرَ خَيْرُ بَيْتِهِ . . فَلْيَتَوَضَّأْ إِذَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ »[1] .

ثمَّ يُسمِّي اللهَ تعالىٰ ؛ فقولُهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ . . تفسيرُهُ : تسميةُ اللهِ تعالىٰ عندَ ذَبْحِ الحيوانِ ، واختلفَ الشافعيُّ وأبو حنيفةَ رضوانُ اللهِ عليهِما في وجوبِ ذلكَ[2] .

وفَهِمَ الصُّوفيُّ مِنْ ذلكَ بعدَ القيامِ بظاهرِ التَّفْسيرِ . . أَلَّا يأكلَ الطعامَ إلا مُقترِناً بذكرِ اللهِ تعالىٰ ، وذلكَ فريضةُ وقتِهِ وأدبُهُ ، ويرىٰ أنَّ تناولَ الطعامِ داءٌ ؛ لما ينتجُ مِنْ إفاقةِ النَّفْسِ ومُتابَعةِ هواها[3] ، ويرىٰ ذكرَ اللهِ تعالىٰ دواءَهُ وترْياقَهُ .

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأكلُ الطعامَ في سِتَّةِ نَفَرٍ مِنْ أصحابِهِ ، فجاءَ أعرابيٌّ فأكلَهُ بلُقْمتَينِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ يُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَىٰ . . لَكَفَاكُمْ ، فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً . . فَلْيَقُلْ : (بِاسْمِ اللَّهِ) ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٦٠) ، وأحمد كما في « شعب الإيمان » تحت رقم : (٥٤٢٣) ، ورواه ابن المقرئ في « المعجم » (٧٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذهب الشافعي إلىٰ أنَّها غير واجبة ؛ فلو تركها عمداً أو سهواً حلَّ الحيوان مع الكراهة ، وأبو حنيفة إلىٰ أنَّها واجبة ، ولا يحل إلا إذا تركها ناسياً . انظر « الاختيار » (٤/٢٢٨ـ٢٢٩) ، و« تحفة المحتاج » (٩/٣٢٥) .

(٣) في (أ ، ز) : (إقامة) بدل (إفاقة) ، وفي نسخة علىٰ هامشهما كالمثبت ، وفي (و ، ي) : (آفة) .

يَقُولَ : (بِٱسْمِ ٱللهِ) . فَلْيَقُلْ : (بِٱسْمِ ٱللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ) »[1] .

ويُستحَبُّ أنْ يقولَ في أوَّلِ لُقمةٍ : (باسمِ اللهِ) ، وفي الثانيةِ : (باسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ) ، وفي الثالثةِ : (بسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرَّحيمِ)[2] .

ويشربُ الماءَ بثلاثةِ أنْفاسٍ ؛ يقولُ في أوَّل نَفَسٍ : (الحمدُ للهِ) إذا شَرِبَ ، وفي الثاني : (الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ) ، وفي الثالثِ : (الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ الرَّحمـٰنِ الرَّحيمِ) .

وكما أنَّ للمَعِدةِ طِباعاً تُدبَّرُ ـ كما ذَكَرْنا ـ بمُوافقةِ طِباعِ الطعامِ . فللقلبِ أيضاً مِزاجٌ وطِباعٌ لأربابِ التَّفقُّدِ والرِّعايةِ واليَقَظَةِ ؛ يُعرَفُ انحرافُ مِزاجِ القلبِ مِنَ اللُّقْمةِ المُتناوَلةِ .

تارةً يَحدُثُ مِنَ اللُّقْمةِ حرارةُ الطَّيْشِ بالنُّهُوضِ إلى الفُضُولِ ، وتارةً يَحدُثُ في القلبِ بُرُودةُ الكَسَلِ بالتقاعُدِ عن وظيفةِ الوقتِ ، وتارةً تَحدُثُ رُطُوبةُ السَّهْوِ والغَفْلةِ ، وتارةً يُبُوسةُ الهمِّ والحُزْنِ بسببِ الحظوظِ العاجلةِ .

فهـٰذهِ كلُّها عوارضُ يَتفطَّنُ لها المُتيقِّظُ ، ويرىٰ تَغيُّرَ القلبِ بهـٰذهِ العوارضِ تَغيُّرَ مِزاجِ القلبِ عنِ الاعتدالِ[3] ، والاعتدالُ كما هوَ مُهِمٌّ طَلَبُهُ للقالَبِ . . فللقلبِ أهمُّ وأَوْلىٰ ، وتَطَرُّقُ الانحرافِ إلى القلبِ أسرعُ منهُ إلى

---

(١) رواه الترمذي (١٨٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٦٤) ، وأحمد (٦/١٤٣) ، والدارمي (٢٠٦٣) ، وهو في « سنن أبي داود » (٣٧٦٧) دون ذكر السبب .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، و ، ز) : (ويتمم) بدل (بسم الله الرحمـٰن الرحيم) .

(٣) في (أ ، ز) : (ويرىٰ بعين القلب هـٰذه العوارضَ . . .) ، وفي (ي) ونسخة علىٰ هامش (أ) : (ويرىٰ بعين البصيرة تغيرَ القلب بهـٰذه العوارض ، وإنها لتغير مزاج القلب عن الاعتدال) .

القالَبِ ، ومِنَ الانحرافِ ما يَسْقَمُ بهِ القلبُ فيموتُ كموتِ القالَبِ .

واسمُ اللهِ تعالىٰ دواءٌ نافعٌ مُجرَّبٌ ؛ يَقِي الأَسْواءَ ، ويُذهِبُ الداءَ ، ويَجلِبُ الشفاءَ .

حُكِيَ : أنَّ الشيخَ مُحمَّداً الغَزَاليَّ رحمَهُ اللهُ لمَّا رجعَ إلىٰ طُوسَ . . وُصِفَ لهُ في بعضِ القُرىٰ عبدٌ صالحٌ ، فقصدَهُ زائراً ، فصادفَهُ وهوَ في صحراءَ لَهُ يَبذُرُ الحِنْطةَ في الأرضِ ، فلمَّا رأى الشيخَ محمَّداً جاءَ إليهِ وأَقْبلَ عليهِ ، فجاءَ رجلٌ مِنْ أصحابِهِ وطَلَبَ منهُ البَذْرَ ؛ لينوبَ عنِ الشيخِ في ذلكَ وقتَ اشتغالِهِ بالغزاليِّ ، فامتنعَ ولم يُعطِهِ البَذْرَ ، فسألَهُ الغَزَاليُّ عن سببِ امتناعِهِ ، فقالَ : لأنِّي أَبذُرُ هـٰذا البَذْرَ بقلبٍ حاضرٍ ولسانٍ ذاكرٍ ، أرجو البركةَ فيهِ لكلِّ مَنْ يتناولُ منهُ شيئاً ، فلا أُحِبُّ أنْ أُسلِّمَهُ إلىٰ هـٰذا ، فيَبذُرَهُ بلسانٍ غيرِ ذاكرٍ ، وقلبٍ غيرِ حاضرٍ .

وكانَ بعضُ الفقراءِ عندَ الأكلِ يشرعُ في تلاوةِ سورةٍ مِنَ القرآنِ ؛ يُحضِرُ القلبَ بذلكَ[1] ؛ حتىٰ ينغمرَ أجزاءُ الطعامِ بأنوارِ الذِّكْرِ ، ولا يُعقِبُ الطعامُ مكروهاً ، ولا يُغيِّرُ مِزاجَ القلبِ .

وقد كانَ شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أنا آكلُ وأنا أُصلِّي) ؛ يُشيرُ إلىٰ حضورِ القلبِ في الطعامِ ، وربَّما كانَ يُوقِفُ مَنْ يمنعُ عنهُ الشواغلَ وقتَ أكلِهِ ؛ لئلا يتفرَّقَ همُّهُ وقتَ الأكلِ ، ويرىٰ للذِّكْرِ

---

(١) في (ج ، د) : (يحصر بذلك الوقت) ، وفي (أ) ونسخة على هامش (و) : (فيُحصِّل الوقتَ بذلك) ، وحصل في بعض النسخ تقديم وتأخير لـ (بذلك) عن (الوقت) أو (القلب) .

وحضورِ القلبِ في الأكلِ أَثَراً كثيراً لا يَسَعُهُ الإهمالُ لهُ .

ومِنَ الذِّكْرِ عندَ الأكلِ : الفِكْرُ فيما هَيَّأَ اللهُ تعالىٰ ؛ مِنَ الأسنانِ المُعِينةِ على الأَكْلِ ؛ فمِنْها الكاسرةُ ، ومِنْها القاطعةُ ، ومِنْها الطاحنةُ ، وما جَعَلَ اللهُ تعالىٰ مِنَ الماءِ الحُلْوِ في الفمِ ؛ حتىٰ لا يتغيَّرَ الذَّوْقُ ، كما جعلَ اللهُ ماءَ العينِ مالحاً لِمَا كانَ شحماً ؛ حتىٰ لا يَفسُدَ[1] .

وكيفَ جعلَ النَّدَاوَةَ تَنبَعُ مِنْ أرجاءِ اللِّسانِ والفمِ ؛ ليُعِينَ ذلكَ على المَضْغِ والسَّوغِ ، وكيفَ جعلَ القُوَّةَ الهاضمةَ مُتسلِّطةً على الطعامِ ؛ تُفصِّلُهُ وتُجزِّئُهُ مُتعلِّقاً مَدَدُها بالكَبِدِ ، والكَبِدُ بمثابةِ النارِ ، والمَعِدةُ بمثابةِ القِدْرِ ، وعلىٰ قَدْرِ فسادِ الكَبِدِ تَقِلُّ الهاضمةُ ، ويَفسُدُ الطعامُ ولا ينفصلُ ، ولا يَصِلُ إلىٰ كلِّ عُضْوٍ نصيبُهُ .

وهكذا تأثيرُ الأعضاءِ كلِّها ؛ مِنَ الكَبِدِ والطِّحالِ والكُلْيَتينِ ، ويَطُولُ شرحُ ذلكَ .

فمَنْ أرادَ الاعتبارَ فليُطالِعْ تشريحَ الأعضاءِ ؛ ليرى العَجَبَ مِنْ قُدْرةِ اللهِ تعالىٰ ؛ مِنْ تعاضُدِ الأعضاءِ وتعاونِها ، وتعلُّقِ بعضِها بالبعضِ في إصلاحِ الغذاءِ ، واستجلابِ القُوَّةِ منهُ للأعضاءِ ، وانقسامِهِ إلى الدَّمِ والثُّفْلِ واللَّبَنِ ؛ لتغذيةِ المولودِ مِنْ بينِ فَرْثٍ ودمٍ لَبَناً خالصاً سائغاً للشاربينَ ، فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقينَ .

فالفِكْرُ في ذلكَ وقتَ الطعامِ ، وتَعَرُّفُ لطيفِ الحِكَمِ والقُدَرِ فيهِ . . مِنَ الذِّكْرِ .

---

(١) في بعض النسخ : (لا ينفسد) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٣٩١) .

وممَّا يُذهِبُ داءَ الطعامِ المُغيِّرَ لمِزاجِ القَلْبِ : أنْ يدعوَ في أوَّلِ الطعامِ ، ويسألَ اللهَ تعالىٰ أنْ يجعلَهُ عَوْناً على الطاعةِ ، ويكونَ مِنْ دعائِهِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وما رَزَقْتَنا ممَّا نُحِبُّ اجعلْهُ عَوْناً لنا علىٰ ما تُحِبُّ ، وما زَوَيْتَ عنَّا ممَّا نُحِبُّ اجعلْهُ فراغاً لنا فيما تُحِبُّ) ، واللهُ أعلمُ[1] .

* * *

(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءة) ، وفي هامش (و) : (بلغ بلغ) .

الباب الثالث والأربعون

في آداب الأكل

فمِنْ ذلكَ : أنْ يبتدئَ بالمِلْحِ ويَختِمَ بهِ ؛ رَوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : « يا عَلِيُّ ؛ ٱبْدَأْ طَعَامَكَ بِٱلْمِلْحِ ، وَٱخْتِمْ بِٱلْمِلْحِ ؛ فَإِنَّ ٱلْمِلْحَ شِفَاءٌ مِنْ سَبْعِينَ دَاءً ؛ مِنْهَا ٱلْجُنُونُ وَٱلْجُذَامُ وَٱلْبَرَصُ ، وَوَجَعُ ٱلْبَطْنِ وَوَجَعُ ٱلْأَضْرَاسِ »[1] .

ورَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : لُدِغَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في إبهامِهِ مِنْ رجلِهِ اليُسْرىٰ لَدْغةً ، فقالَ : « عَلَيَّ بِذَلِكَ ٱلْأَبْيَضِ ٱلَّذِي يَكُونُ فِي ٱلْعَجِينِ » ، فجِئْنا بمِلْحٍ ، فوضعَهُ في كفِّهِ ، ثمَّ لَعَقَ منهُ ثلاثَ لَعَقاتٍ ، ثمَّ وضعَ بقيَّتَهُ على اللَّدْغةِ ، فسكنتْ عنهُ[2] .

ويُستحَبُّ الاجتماعُ على الطعامِ[3] ، وهوَ سُنَّةُ الصُّوفيَّةِ في الرُّبُطِ

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٤٦٩) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٣١٢) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤٠١٩) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٨٩٠) ، وأبو نعيم في « الطب النبوي » (٥٧٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٣٤٠) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/٦٠٦ـ٦٠٧) .

(٣) واجتماعُ الناس على القصعة الواحدة أحبُّ إلى الله تعالىٰ ، وأكثرُ ثواباً ، وأجلبُ للأُلْفة بين القلوب ، ولا بركةَ في القِصاع الصغار . من « شرعة الإسلام » . من هامش (ح) .

وغيرِها ؛ روىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مِنْ أَحَبِّ ٱلطَّعَامِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَيْدِي »[1] .

ورُوِيَ أنَّهُ قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّا نأكلُ ولا نشبعُ ، قالَ : « لَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَىٰ طَعَامِكُمْ ، ٱجْتَمِعُوا وَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللهِ عَلَيْهِ . . يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ »[2] .

ومِنْ عادةِ الصُّوفيَّةِ : الأكلُ على السُّفْرة ، وهوَ سُنَّةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

(١١٦) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ ، عنِ المُقَوِّميِّ بإسنادِهِ إلى ابنِ ماجه الحافظِ القَزْوِينيِّ[3] ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ المُثنَّىٰ ، قالَ : حدَّثَنا مُعاذُ بنُ هشامٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبي ، عن يُونُسَ بنِ [أبي] الفُراتِ[4] ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : ما أَكَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ خِوَانٍ ولا في سُكُرُّجَةٍ ، قالَ : فعلامَ كانوا يأكلونَ ؟ قالَ : على السُّفَرِ[5] .

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « المسند » (٢٠٤٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣١٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٧٤) ، ورواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٧) .

(٣) وسبق إسناد المُقوِّمي إلى ابن ماجه في (١/ ٤٧٣) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من « سنن ابن ماجه » ، وانظر « إرشاد الساري » (٨/ ٢٢٧) .

(٥) سنن ابن ماجه (٣٢٩٢) ، ورواه البخاري (٥٤١٥) وغيره ، والخِوَان : المائدة التي يُوضع عليها الطعام ، وهي ما يُسمَّى الآن بـ (الطاولة) ، والسُّكُرُّجة ـ بضمِّ الراء المشددة وفتحها ، وبعضهم صوَّب الفتح ـ : قصعة صغيرة يُؤكل فيها ، وكانت العجم=

ويُصغِّرُ اللُّقْمةَ ، ويُجوِّدُ الأَكْلَ بالمَضْغِ ، وينظرُ بينَ يَدَيهِ ، ولا يُطالِعُ وجوهَ الآكِلِينَ .

ويقعدُ علىٰ رِجْلِهِ اليُسْرىٰ ويَنصِبُ اليُمْنىٰ ، ويجلسُ جِلْسةَ التواضعِ ؛ غيرَ مُتَكِئٍ ولا مُتعزِّزٍ ؛ نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يأكلَ الرجلُ مُتَّكِئاً[1] .

ورُوِيَ أنَّهُ أُهْدِيَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شاةٌ ، فجثا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ رُكْبَتَيْهِ يأكلُ ، فقالَ أعرابيٌّ : ما هٰذهِ الجِلْسةُ ؟! فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ خَلَقَنِي عَبْداً ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً عَنِيداً »[2] .

ولا يبتدئُ بالطعامِ حتىٰ يبتدئَ المُقدَّمُ أوِ الشيخُ[3] ؛ روىٰ حُذيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (كُنَّا إذا حَضَرْنا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طعاماً . . لم يَضَعْ أحدُنا يَدَهُ حتىٰ يبدأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[4] .

= تستخدمُها حول المائدة للهضم والتشهِّي ، وهي من علامات الكبر والبخل ، والسُّفَر : جمع (سُفْرة) ؛ وهو الطعام الذي يُوضَع على الأرض ، وهو في الأصل : الطعام الذي يُتَّخذ للمسافر يُوضَع ضمنَ وعاء جلدي .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ١٢٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، و« المعجم الأوسط » (٣٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، والبزار كما في « كشف الأستار » (٢٨٧٠) عن سيدنا أبي إهاب رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود مطوَّلاً (٣٧٧٣) ، وابن ماجه (٣٢٦٣) عن سيدنا عبد الله بن بسر رضي الله عنه .

(٣) في النسخ ما عدا (ب ، هـ ، ح) : (المتقدم) بدل (المقدم) .

(٤) رواه مسلم (٢٠١٧) ، وأبو داود (٣٧٦٦) ، واللفظ له .

ويأكلُ باليمينِ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيُعْطِ بِيَمِينِهِ ؛ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ »[1] .

وإنْ كانَ المأكولُ تمراً أو ما لهُ عَجَمٌ[2] . . لا يجمعُ مِنْ ذلكَ ما يُرْمىٰ وما يُؤكَلُ على الطَّبَقِ ولا في كَفِّهِ ، بل يَضَعُ ذلكَ علىٰ ظَهْرِ كَفِّهِ مِنْ فِيهِ ويَرْمِيهِ .

ولا يأكلُ مِنْ ذُرْوَةِ الثَّرِيدِ ؛ روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا وُضِعَ ٱلطَّعَامُ فَخُذُوا مِنْ حَاشِيَتِهِ وَذَرُوا وَسَطَهُ ؛ فَإِنَّ ٱلْبَرَكَةَ تَنْزِلُ فِي وَسَطِهِ »[3] .

ولا يَعِيبُ الطعامَ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ما عَابَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طعاماً قطُّ ؛ إنِ اشتهاهُ أكلَهُ ، وإلَّا تَرَكَهُ)[4] .

وإذا سَقَطَتِ اللُّقْمةُ يأكلُها ؛ فقد روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ . . فَلْيُمِطْ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٦٦) ، وبنحوه مسلم (٢٠٢٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) العَجَم ـ بالتحريك ـ : النَّوىٰ وكلُّ ما كان في جوفِ مأكول ؛ كالزبيب وما أشبهه ، والعامَّةُ تقول : (عَجْم) بالتسكين . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٣) رواه أبو داود (٣٧٧٢) ، والترمذي (١٨٠٥) ، وابن ماجه (٣٢٧٧) .

(٤) رواه البخاري (٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤) ، وسبق في (١/ ٣٩) .

عَنْهَا ٱلْأَذَىٰ وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ »[١] .

ويَلعَقُ أصابعَهُ ؛ فقد روىٰ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « **إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمُ ٱلطَّعَامَ فَلْيَمُصَّ أَصَابِعَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تكُونُ ٱلْبَرَكَةُ** »[٢] .

وهكذا أَمَرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإِسْلَاتِ القَصْعةِ ؛ وهوَ مَسْحُها مِنَ الطعامِ ؛ قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (أَمَرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإِسْلاتِ القَصْعةِ)[٣] .

ولا يَنفُخُ في الطعامِ ؛ فقد رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « **ٱلنَّفْخُ فِي ٱلطَّعَامِ يُذْهِبُ ٱلْبَرَكَةَ** »[٤] .

وروىٰ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (لم يكنْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ **يَنفُخُ في طعامٍ ولا شرابٍ**)[٥] .

ولا يتنفَّسُ في الإناءِ ؛ فليسَ مِنَ الأدبِ ذلكَ .

والخَلُّ والبقلُ على السُّفْرةِ مِنَ السُّنَّةِ[٦] ؛ قيلَ : إنَّ الملائكةَ

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٤) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٣٣/ ١٣٥) وغيره ، واللفظ لأبي عوانة في « المستخرج » (٨٢٧٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٠٣٤) .

(٤) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٤١٥)، والديلمي في « الفردوس » (٦٩٠٦)، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٤١٥) ، وله شواهد ، ومنها الحديث الآتي .

(٥) رواه ابن ماجه (٣٢٨٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٣٨) ، وروىٰ أحمد (١/ ٣٠٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نهىٰ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن النفخ في الطعام والشراب) .

(٦) **البقل** : ما يُنبِتُ الربيعُ من العشب ، وعن الليث : **هو من النبات** : ما ليس بشجر دِقٍّ=

تَحضُرُ المائدةَ إذا كانَ عليها بقلٌ(١) .

رَوَتْ أمُّ سعدٍ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : دخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها وأنا عندَها ، فقالَ : « هَلْ مِنْ غَدَاءٍ ؟ » ، فقالتْ : عندَنا خبزٌ وتمرٌ وخَلٌّ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نِعْمَ ٱلْإِدَامُ ٱلْخَلُّ ، ٱللَّهُمَّ ؛ بَارِكْ فِي ٱلْخَلِّ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ ٱلْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ »(٢) .

ولا يَصمُتُ على الطعامِ ؛ فهوَ مِنْ سِيرةِ الأعاجمِ .

ولا يقطعُ اللَّحْمَ والخبزَ بالسِّكِّينِ ؛ ففيهِ نَهْيٌ(٣) .

ولا يَكُفُّ يدَهُ عنِ الطعامِ حتىٰ يَفرُغَ الجمعُ ؛ فقد وَرَدَ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا وُضِعَتِ ٱلْمَائِدَةُ فَلَا يَقُومُ رَجُلٌ حَتَّىٰ تُرْفَعَ ٱلْمَائِدَةُ ، وَلَا يَرْفَعُ يَدَهُ وَإِنْ شَبِعَ حَتَّىٰ يَفْرُغَ

= ولا جِلٌّ ، وفُرِّق ما بين البقل ودِقِّ الشجر : أنَّ البقلَ إذا رُعي لم يبقَ له ساق ، والشجرَ يبقىٰ له سُوقٌ وإن دقَّت ، وعن الدِّينوري : البقل : كلُّ عشبةٍ تنبت من بذر ، ويُقال : كلُّ نبات اخضرَّت له الأرضُ فهو بقلٌ . « مغرب » . من هامش (ح) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٢٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٧٠) .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣١٨) ، وقولُهُ : (نعم الإدام الخل) في « مسلم » (٥٤٠٠) كما سبق في (٢/ ٧١ـ ٧٢) .

(٣) النهي عن قطع اللحم : رواه أبو داود (٣٧٧٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٢٨٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، والنهي عن قطع الخبز : رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٢٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٦٠٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٨/ ٢٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٤) .

ٱلْقَوْمُ ، وَلْيَتَعَلَّلْ ؛ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ يُخْجِلُ جَلِيسَهُ فَيَقْبِضُ يَدَهُ ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي ٱلطَّعَامِ حَاجَةٌ »[1] .

وإذا وُضِعَ الخبزُ لا ينتظرُ غيرَهُ ؛ فقد روىٰ أبو موسى الأَشْعَريُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَكْرِمُوا ٱلْخُبْزَ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَخَّرَ لَكُمْ [بِهِ] بَرَكَاتِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ، وَٱلْحَدِيدَ وَٱلْبَقَرَ وَٱبْنَ آدَمَ »[2] .

ومِنْ أحسنِ الأدبِ وأَهَمِّهِ : أَلَّا يأكلَ إِلَّا بعدَ الجوعِ ، ويُمسِكَ عنِ الطعامِ قبلَ الشِّبَعِ ؛ فقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنَ ٱلْبَطْنِ »[3] .

ومِنْ عادةِ الصُّوفيَّةِ : أنْ يُلقِمَ الخادمَ إذا لم يجلسْ معَ القومِ ، وهوَ سُنَّةٌ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ : فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ »[4] .

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٩٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٧٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٤٧٨) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٥) .

(٢) رواه أبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (٩٩٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٣/ ٣٠٤) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٣١٤) ، ورواه الطبراني في « مسند الشاميين » (١٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٤٦) عن سيدنا عبد الله ابن أم حرام الأنصاري رضي الله عنهما دون قوله : (والحديد . . .) ، وقولُهُ : (أكرموا الخبز) فقط روي من طرق متعددة بعضها صححه الحاكم (٤/ ١٢٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ٢٠٧) .

(٤) رواه البخاري (٥٤٦٠) ، ومسلم (١٦٦٣) ، والأُكْلَة : اللُّقْمة ، وفي « البخاري » : =

وإذا فَرَغَ مِنَ الطعامِ يَحمَدُ اللهَ تعالىٰ ؛ روىٰ أبو سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أَكَلَ طعاماً قالَ : « **ٱلْحَمْدُ لِلهِ** ٱلَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ »[1] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ : (**ٱلْحَمْدُ لِلهِ** ٱلَّذِي أَطْعَمَنِي هَـٰذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ) . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[2] .

ويتخلَّلُ ؛ فقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « **تَخَلَّلُوا** ؛ فَإِنَّهُ نَظَافَةٌ ، وَٱلنَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى ٱلْإِيمَانِ ، وَٱلْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي ٱلْجَنَّةِ »[3] .

ويغسلُ يَدَهُ ؛ فقد روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ

= (وعلاجه) بدل (ودخانه) ؛ أي : علاجَ الطعام عند تحصيل آلاته وتحمُّلِ مَشاقِّهِ ودُخانِهِ عند الطبخ ، وشقَّت به نَفْسُهُ وشمَّ راتحتَهُ ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١١/ ١٣٥) : (وفي هـٰذا الحديث : الحثُّ علىٰ مكارم الأخلاقِ ، والموساةُ في الطعام ، سيَّما في حقِّ مَنْ صَنَعَهُ أو حَمَلَهُ ؛ لأنَّهُ وَلِيَ حرَّهُ ودخانه ، وتعلَّقت به نَفْسُهُ وشمَّ رائحتَهُ ، وهـٰذا كلُّهُ محمولٌ على الاستحباب) .

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٠) ، والترمذي (٣٤٥٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٠٤٧) ، وابن ماجه (٣٢٨٣) .

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٣) ، والترمذي (٣٤٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٨٥) عن سيدنا معاذ بن أنس الجُهَني رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣١١) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٢٢٤) ، والديلمي في « الفردوس » (٢٣٠٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٧) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ لَمْ يُغْسَلْ ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ . . فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »[1] .

ومِنَ السُّنَّةِ : غَسْلُ الأيدي في طَسْتٍ واحدٍ ؛ روى ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتْرِعُوا ٱلطُّسُوسَ ، وَخَالِفُوا ٱلْمَجُوسَ »[2] .

ويُستحَبُّ مسحُ العينِ ببللِ اليدِ ؛ روىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَأَشْرِبُوا أَعْيُنَكُمُ ٱلْمَاءَ ، وَلَا تَنْفُضُوا أَيْدِيَكُمْ ؛ فَإِنَّهَا مَرَاوِحُ ٱلشَّيْطَانِ » ، قيلَ لأبي هُرَيرةَ : في الوضوءِ وغيرِه ؟ قالَ : نَعَمْ ، في الوضوءِ وغيرِه[3] .

وفي غَسْلِ اليدِ يأخذُ الأُشْنانَ باليمينِ[4] ، وفي الخِلالِ لا يَزْدَرِدُ ما يخرجُ بالخِلالِ مِنَ الأسنانِ[5] ، وما يلوكُهُ باللِّسانِ فلا بأسَ بهِ .

ويجتنبُ التصنُّعَ في أكلِ الطعامِ ، ويكونُ أكلُهُ بينَ الجَمْعِ كأكلِهِ مُنفرِداً ؛

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٢) ، والترمذي (١٨٥٩ ، ١٨٦٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٨٧٨) ، وابن ماجه (٣٢٩٧) ، والغَمَر : الدسم والوسخ .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٤٣٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٢١٢ـ٢١٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٣٥١ـ٣٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأَتْرِعوا : املؤوا ، والطُّسُوس : جمع (طَسّ) على الأصل ، وأهلُ طيِّئ يقولون : (طست) ، كما يقولون في (لِصّ) : (لِصْت) .

(٣) رواه ابن حبان في « المجروحين » (١/ ٢٠٣) ، وابن أبي حاتم في « علل الحديث » (٧٣) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٢٥٠) ، واللفظ له ، والديلمي في « الفردوس » (١٠٢٩) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٦١٩) .

(٤) الأُشْنان : مادة تُغسَل بها الثياب والأيدي ، وتُؤخذ من شجر يُقال له : (الحُرْض) .

(٥) يَزْدَرِد : يبتلع .

فإنَّ الرِّياءَ يدخلُ على العبدِ في كلِّ شيءٍ[١] .

وُصِفَ لبعضِ العلماءِ بعضُ العُبَّادِ ، فلم يُثْنِ عليهِ ، قيلَ لهُ : تعلمُ بهِ بأساً ؟ قالَ : نَعَمْ ؛ رأيتُهُ يتصنَّعُ في الأكلِ ، ومَنْ تَصَنَّعَ في الأكلِ لا يُؤمَنُ عليهِ التصنُّعُ في العملِ[٢] .

وإنْ كانَ الطعامُ حلالاً فليَقُلِ : (الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تَتِمُّ الصالحاتُ ، وتنزلُ البركاتُ ، اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛ أَطْعِمْنا طيِّباً ، واستَعْمِلْنا صالحاً) .

وإنْ كانَ شُبْهةً يقولُ : (الحمدُ للهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، ولا تجعلْهُ عَوْناً علىٰ معصيتِكَ) .

ويُكثِرُ الاستغفارَ والحزنَ ، ويبكي علىٰ أكلِ الشُّبْهةِ ولا يضحكُ ؛ فليسَ مَنْ يأكلُ وهوَ يبكي كمَنْ يأكلُ وهوَ يضحكُ .

ويقرأُ بعدَ الطعامِ : (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، و(لإيلافِ قريشٍ) .

ويجتنبُ الدخولَ علىٰ قومٍ في وقتِ أكلِهِم ؛ فقد وَرَدَ : « مَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ . . مَشَىٰ فَاسِقاً وَأَكَلَ حَرَاماً »[٣] ، وسَمِعْنا لفظاً آخَرَ :

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٤١٠) .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٢٤٥٢) موقوفاً علىٰ سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والخطيب البغدادي في « التطفيل وحكايات الطفيليين » (ص٦٣) مرفوعاً عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

« دَخَلَ سَارِقاً وخَرَجَ مُغِيراً »[1] ، إلا أنْ يتَّفِقَ دخولُهُ علىٰ قومٍ يعلمُ منهُم فرَحَهُم بمُوافقتِهِ .

ويُستحَبُّ أنْ يخرجَ الرجلُ معَ ضيفِهِ إلىٰ بابِ الدارِ ، ولا يخرجُ الضيفُ بغيرِ إذنِ صاحبِ الدارِ ، ويجتنبُ المُضِيفُ التكلُّفَ ، إلا أنْ يكونَ لهُ نيَّةٌ فيهِ مِنْ كثرةِ الإنفاقِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حياءً وتكلُّفاً .

وإذا أَكَلَ عندَ قومٍ طعاماً فليَقُلْ عندَ فراغِهِ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ »[2] .

ورُوِيَ أيضاً : (عليكُم صلاةُ قومٍ أبرارٍ ، ليسوا بآثِمِينَ ولا فُجَّارٍ ، يُصلُّونَ بالليلِ ويصومونَ بالنهارِ) كانَ بعضُ الصحابةِ يقولُ ذلكَ[3] .

ومِنَ الأدبِ : أَلَّا يستحقرَ ما يُقدَّمُ لهُ مِنَ الطعامِ ؛ وكانَ بعضُ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولونَ : (ما ندري أيُّهُم أعظمُ وِزْراً ؛ الذي يحتقرُ ما يُقدَّمُ إليهِ ، أوِ الذي يحتقرُ ما عندَهُ أنْ يُقدِّمَهُ)[4] .

ويُكرَهُ أكلُ طعامِ المُباهاةِ ، وما تُكلِّفَ للأعراسِ والتَّعازي ؛ فما عُمِلَ

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٤١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٦٨) ، والخطيب البغدادي في « التطفيل وحكايات الطفيليين » (ص٦٠ـ٦٢) ، وأورد له طرقاً عديدة .

(٢) رواه أبو داود (٣٨٥٤) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٨٧٤) ، وأحمد (٣/ ١١٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن ماجه (١٧٤٧) ، وابن حبان (٥٢٩٦) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما .

(٣) قاله سيدنا أنس رضي الله عنه ، كما رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٣١) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٣٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٤٦) .

للنوائحِ لا يُؤكَلُ ، وما عُمِلَ لأهلِ العَزَاءِ لا بأسَ بهِ وما يَجري مَجْراهُ .

وإذا عَلِمَ الرجلُ مِنْ حالِ أخيهِ أنَّهُ يفرحُ بالانبساطِ إليهِ في التصرُّفِ في شيءٍ مِنْ طعامِهِ . . فلا حَرَجَ أنْ يأكلَ مِنْ طعامِهِ بغيرِ إذنِهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [النور : ٦١] .

قيلَ : دخلَ قومٌ على سُفْيانَ الثَّوْريِّ رحمَهُ اللهُ ، فلم يجدوهُ ، ففتحوا البابَ ، وأَنْزلوا السُّفْرةَ وأكلوا ، فدَخلَ سُفْيانُ الثَّوْريُّ وفَرِحَ ، وقالَ : ذَكَّرْتُمُوني أخلاقَ السَّلَفِ ؛ هٰكذا كانوا[١] .

ومَنْ دُعِيَ إلىٰ طعامٍ فالإجابةُ مِنَ السُّنَّةِ ، وأَوْكَدُ ذلكَ : الوليمةُ[٢] .

وقد يتخلَّفُ بعضُ الناسِ عنِ الدعوةِ تكبُّراً ، وذلكَ خطأٌ ، وإنْ عَمِلَ ذلكَ تصنُّعاً ورِياءً . . فهوَ شرٌّ مِنَ التكبُّرِ .

رُوِيَ أنَّ الحُسَينَ بنَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما مَرَّ بقومٍ مِنَ المساكينِ الذينَ يسألونَ الناسَ على الطُّرُقِ ، وقد نَثَرُوا كِسَراً على الأرضِ وهوَ علىٰ بغلتِهِ ، فلمَّا مَرَّ بهِم سَلَّمَ عليهِم ، فردُّوا عليهِ السلامَ وقالوا : هَلُمَّ الغداءَ يا بنَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقالَ : نعم ؛ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُستكبِرينَ ، ثمَّ ثنىٰ وَرِكَهُ ، فنزلَ عن دابَّتِهِ ، وقَعَدَ معَهُم على الأرضِ وأَقْبلَ يأكلُ ، ثمَّ سلَّمَ عليهِم وركِبَ[٣] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٤٥٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/٤٢) .

(٢) الوليمة : طعامُ العُرْس ، أو كلُّ طعام صُنِع لدعوة وغيرها .

(٣) رواه مختصراً ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣٨٧) ط . مكتبة الصديق ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٠) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » =

وكانَ يُقالُ : (الأكلُ معَ الإخوانِ أفضلُ مِنَ الأكلِ معَ العِيالِ) .

رُوِيَ أنَّ هارونَ الرشيدَ دعا أبا مُعاوِيةَ الضَّريرَ وأَمَرَ أنْ يُقدَّمَ لهُ طعامٌ ، فلمَّا أكلَ صَبَّ الرشيدُ الماءَ على يدِهِ في الطَّسْتِ ، فلمَّا فَرَغَ قالَ : يا أبا مُعاوِيةَ ؛ تدري مَنْ صَبَّ على يدِكَ الماءَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أميرُ المؤمنينَ ، قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّما أكرمتَ العلمَ وأَجْلَلْتَهُ ، فأَجَلَّكَ اللهُ تعالى وأَكْرَمَكَ كما أكرمتَ العلمَ[1] ، واللهُ أعلمُ

❁ ❁ ❁

= (١٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ١٨١) ، وفي جميع النسخ ما عدا (و) : (الحسن) بدل (الحسين) ، والمثبت موافق للمصادر السابقة ، وفيها : أنَّهُ دعاهم إلى منزله بعد دعوتهم له .

(١) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٨ ـ ٩)، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٤٣٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٣٣) ، وفي هامش (ب) : (بلغ سماعهم في الثاني والثلاثين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الرابع والأربعون

في ذكر آدابهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه

اللِّباسُ مِنْ حاجاتِ النَّفْسِ وضروراتِها لدَفْعِ الحَرِّ والبردِ ، كما أنَّ الطعامَ مِنْ حاجاتِ النَّفْسِ لدفعِ الجوعِ .

وكما أنَّ النَّفْسَ غيرُ قانعةٍ بقدرِ الحاجةِ في الطعامِ ، بل تطلُبُ الزياداتِ والشهواتِ . . فهكذا في اللِّباسِ تتفنَّنُ فيهِ ، ولها فيهِ أَهْوِيةٌ مُتنوِّعةٌ ومآربُ مختلفةٌ[1] .

فالصُّوفيُّ يَرُدُّ النَّفْسَ في اللِّباسِ إلىٰ مُتابَعةِ صريحِ العلمِ .

قيلَ لبعضِ الصُّوفيَّةِ : ثوبُكَ مُمزَّقٌ !! قالَ : ولـٰكنَّهُ مِنْ وجهِ حلالٍ ، قيلَ لهُ : وهوَ وَسِخٌ !! قالَ : ولـٰكنَّهُ طاهرٌ .

فنَظَرُ الصادقِ في ثوبِهِ : أنْ يكونَ مِنْ وجهِ حلالٍ ؛ لأنَّهُ وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنِ ٱشْتَرَىٰ ثَوْباً بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ مِنْ حَرَامٍ . . لَا يَقْبَلُ ٱللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً »[2] ؛

---

(١) قوله : (أهوية) كذا في النسخ ، والصواب : (أهواء) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٢٦٩) .

(٢) رواه أحمد (٢/ ٩٨) ، وابن أبي الدنيا في « الورع » (١٧٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٧٠٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيها :=

أي : لا فريضةً ولا نافلةً[1] .

ثمَّ بعدَ ذلكَ نظرُهُ فيهِ : أنْ يكونَ طاهراً ؛ لأنَّ طهارةَ الثوبِ شرطٌ في صِحَّةِ الصلاةِ .

وما عدا هـٰذينِ النَّظَرَينِ : فنَظَرُهُ في كونِهِ يدفعُ الحَرَّ والبردَ ؛ لأنَّ ذلكَ مَصلَحةُ النَّفسِ ، وبعدَ ذلكَ ما تدعو النَّفْسُ إليهِ . فكلُّهُ فُضُولٌ وزيادةٌ ونَظَرٌ إلى الخَلْقِ .

والصادقُ لا ينبغي أنْ يَلْبَسَ الثوبَ إلا للهِ ؛ وهوَ سَتْرُ العورةِ ، أو لنَفْسِهِ لدَفْعِ الحَرِّ والبردِ .

حُكِيَ أنَّ سُفْيانَ الثَّوْريَّ رحمَهُ اللهُ خرجَ ذاتَ يومٍ وعليهِ ثوبٌ قد لَبِسَهُ مقلوباً ، فقيلَ لهُ[2] ، ولم يعلَمْ بذلكَ ، فهَمَّ أنْ يخلعَهُ ويُغيِّرَهُ ، ثمَّ تَرَكَ وقالَ : حيثُ لَبِستُهُ نَويتُ أنِّي أَلبَسُهُ للهِ ، والآنَ فما أُغيِّرُهُ إلَّا لنَظَرِ الخَلْقِ ، فلا أَنقُضُ النِّيَّةَ الأُولىٰ بهـٰذهِ[3] .

والصُّوفيَّةُ خُصُّوا بطهارةِ الأخلاقِ ، وما رُزِقُوا طهارةَ الأخلاقِ إلَّا بالصَّلاحيَّةِ والأهليَّةِ والاستعدادِ الذي هيَّأَ اللهُ لنفوسِهِم .

= (لم يقبل الله له صلاةً ما دام عليه) .

(١) وقيل : لا يقبل توبة ولا فدية ، كما ذكره الأنباري مرفوعاً ، وبه قال مكحول والأصمعي وأبو عبيد ، وقيل : اكتساباً ولا فدية ، قاله يونس ، والذي أورده المؤلف هو ما ذهب إليه الجمهور . انظر « كشف المشكل من حديث الصحيحين » (١/ ١٩٥) ، و« شرح النووي علىٰ مسلم » (٩/ ١٤١) .

(٢) زاد في نسخة علىٰ هامش (د) : (في ذلك) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٥٢ـ١٣٥٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩/ ٤٤) .

وفي طهارةِ الأخلاقِ وتعاضُدِها تناسُبٌ واقعٌ ؛ لوجودِ تناسُبِ هيئةِ النَّفْسِ ، وتناسبُ هيئةِ النَّفْسِ هوَ المُشارُ إليهِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر : ٢٩] ؛ فالتناسُبُ : هو التسويةُ .

فمِنَ التناسُبِ : أنْ يكونَ لباسُهُم مُشاكِلاً لطعامِهِم ، وطعامُهُم مُشاكِلاً لكلامِهِم ، وكلامُهُم مُشاكِلاً لمنامِهِم ؛ لأنَّ التناسُبَ الواقعَ في النَّفْسِ مُقيَّدٌ بالعلمِ ، والتشابهُ والتماثلُ في الأحوالِ يَحكُمُ بهِ العلمُ .

ومُتصوِّفةُ هـٰذا الزمانِ مُتلزِّمونَ بشيءٍ مِنَ التناسُبِ معَ مَزْجِ الهوىٰ ، وما عندَهُم مِنَ التطلُّعِ إلى التناسُبِ رَشْحُ حالِ سَلَفِهِم في وجودِ التناسُبِ .

قالَ أبو سُلَيمانَ الدَّارانيُّ رحمَهُ اللهُ : (يَلبَسُ أحدُهُم عَباءةً بثلاثةِ دراهمَ ، وشهوتُهُ في بطنِهِ بخمسةِ دراهمَ !!)[1] ؛ أَنْكرَ ذلكَ لعدمِ التناسُبِ .

فمَنْ خَشُنَ ثوبُهُ ينبغي أنْ يكونَ مأكولُهُ مِنْ جنسِهِ ، وإذا اختلفَ الثوبُ والمأكولُ يَدُلُّ علىٰ وجودِ انحرافٍ ؛ لوجودِ هوىً كامنٍ في أحدِ الطَّرَفَينِ ؛ إمَّا في طَرَفِ الثوبِ ؛ لموضعِ نَظَرِ الخَلْقِ ، وإمَّا في طَرَفِ المأكولِ ؛ لفَرْطِ الشَّرَهِ[2] ، وكلا الوصفَينِ مرضٌ يحتاجُ إلى المُداواةِ ؛ ليعودَ إلىٰ حَدِّ الاعتدالِ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٠) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦١) ، وزادوا ـ واللفظ لـ « اللمع » ـ : (فما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه ؟!) .

(٢) ضُبطت في بعض النسخ : (الشِّرَّة) ، وتقدم معناها في (٢/ ٢١٠) ، وفي (د) : (الشهوة) ، والكل صحيح مناسب .

لَبِسَ أبو سُلَيمانَ الدارانيُّ ثوباً غَسِيلاً ، فقالَ لهُ أحمدُ : لو لَبِسْتَ ثوباً أَجْودَ مِنْ هٰذا ، فقالَ : لَيْتَ قلبِي في القلوبِ مثلُ قميصِي في الثِّيابِ[1] .

فكانَ الفقراءُ يَلْبَسونَ المُرقَّعَ ، وربَّما كانوا يأخذونَ الخِرَقَ مِنَ المزابلِ ويُرقِّعونَ بها ثوبَهُم ، وقد فَعَلَ ذلكَ طائفةٌ مِنْ أهلِ الصلاحِ .

وهٰؤلاءِ ما كانَ لهُم معلومٌ يرجعونَ إليهِ ، فكما كانتْ رِقَاعُهُم مِنَ المزابلِ كانَ لُقَمُهُم مِنَ الأبوابِ .

كانَ أبو عبدِ اللهِ الرِّفاعيُّ سافرَ على الفقرِ والتوكُّلِ ثلاثينَ سنةً[2] ، وكانَ إذا حَضَرَ للفقراءِ طعامٌ لا يأكلُ معَهُم ، فيُقالُ لهُ في ذلكَ ، فيقولُ لهُم : أنتُم تأكلونَ بحَقِّ التوكُّلِ وأنا آكُلُ بحقِّ المَسْكَنةِ ، ثمَّ يخرجُ بينَ العِشاءَينِ يتصدَّقُ الكِسَرَ مِنَ الأبوابِ[3] .

وهٰذا شأنُ مَنْ لا يرجعُ إلىٰ معلومٍ ، ولا يدخلُ تحتَ مِنَّةٍ .

حُكِيَ أنَّ جماعةً مِنْ أصحابِ المُرقَّعاتِ دخلوا علىٰ بِشْرِ بنِ الحارثِ ، فقالَ لهُم : يا قومِ ؛ اتَّقوا اللهَ ولا تُظهِرُوا هٰذا الزِّيَّ ؛ فإنَّكُم تُعرَفونَ بهِ

---

(١) روىٰ قول الداراني فقط السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٧٧) ، وأورده كاملاً أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، وبنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٠) ، **وأحمد** : هو ابن أبي الحَواريِّ صاحب الداراني وتلميذه ، وفي نسخة علىٰ هامش (د) : (ثوبي) بدل (قميصي) .

(٢) في (د) : (الرقاعي) بدل (الرفاعي) .

(٣) **قوله** : (**يتصدق**) كذا في غالب النسخ ؛ أي : يسأل الصدقة ، كما نقله ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي عن أبي زيد وابن جني ، وقال الأزهري : وحُذَّاق النحويين يُنكرون أن يُقال للسائل : مُتصدِّق ، وفي (هـ ، و) : (يتطلَّب) ، وفي نسخة علىٰ هامش (ح) : (يطلب) ، وانظر « تاج العروس » (١٥/٢٦) .

وتُكرَمونَ لهُ ، فسكتوا كلُّهُم ، فقامَ شابٌّ مِنْ بينِهِم وقالَ : الحمدُ للهِ الذي جَعَلَنا ممَّنْ يُعرَفُ بهِ ويُكرَمُ لهُ[1] ، واللهِ ؛ لنُظهِرَنَّ هٰذا الزِّيَّ حتىٰ يكونَ الدِّينُ كلُّهُ للهِ ، فقالَ لهُ بِشْرٌ : أحسنتَ يا غلامُ ، مِثْلُكَ مَنْ يَلْبَسُ المُرقَّعةَ[2] .

فكانَ أحدُهُم يبقىٰ زمانَهُ لا يُطوىٰ لهُ ثوبٌ ، ولا يملكُ غيرَ ثوبِهِ الذي عليهِ .

ورُوِيَ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ لَبِسَ قميصاً شراهُ بثلاثةِ دراهمَ ، ثمَّ قَطَعَ كُمَّهُ مِنْ رؤوسِ أصابعِهِ[3] .

ورُوِيَ عنهُ أنَّهُ قالَ لعمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنْ أردتَ أنْ تلقىٰ صاحبَيكَ فرَقِّعْ قميصَكَ ، واخصِفْ نعلَكَ ، وقَصِّرْ أَمَلَكَ ، وكُلْ دونَ الشِّبَعِ)[4] .

وحُكِيَ عنِ الجُرَيريِّ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : كانَ في جامعِ بغدادَ رجلٌ لا نكاد نجدُهُ إلا في ثوبٍ واحدٍ في الشتاءِ والصيفِ ، فسُئِلَ عن ذلكَ ، فقالَ : قد كنتُ وَلِعْتُ بكثرةِ لُبْسِ الثِّيابِ ، فرأَيتُ ليلةً فيما يرى النائمُ كأنِّي

---

(١) في (ب) : (نعرف به ونكرم له) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦١) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٣٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٨٣) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٤٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٤٢٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٢٨٨) ، وقوله : (صاحبيك) ؛ أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضي الله عنه .

دخلتُ الجنةَ ، فرَأيتُ جماعةً مِنْ أصحابِنا مِنَ الفقراءِ علىٰ مائدةٍ ، فأردتُ أنْ أجلسَ معَهُم ، فإذا بجماعةٍ مِنَ الملائكةِ أخذوا بيدي وأقامُوني ، وقالوا لي : هٰؤلاءِ أصحابُ ثوبٍ واحدٍ وأنتَ لكَ قميصانِ ، فلا تجلسْ معَهُم ، فانتبهتُ ونَذَرْتُ ألَّا ألْبَسَ إلا ثوباً واحداً إلىٰ أنْ ألقى اللهَ عزَّ وجلَّ[1] .

وقيلَ : ماتَ أبو يزيدَ رحمَهُ اللهُ ولم يتركْ إلا قميصَهُ الذي كانَ عليهِ ، وكانَ عاريةً ، فردُّوهُ إلىٰ صاحبِهِ[2] .

وحُكِيَ لنا عنِ الشيخِ حمَّادٍ الدبَّاسِ شيخِ شيخِنا رحمَهُما اللهُ : أنَّهُ بَقِيَ زماناً لا يَلْبَسُ الثوبَ إلا مُستأجَراً[3] ، حتىٰ لا يَلْبَسَ علىٰ مِلْكِ نَفْسِهِ شيئاً .

وقالَ أبو حَفْصٍ الحدَّادُ رحمَهُ اللهُ : (إذا رأيتَ ضوءَ الفقيرِ في ثوبِهِ . . فلا تَرْجُ خيرَهُ)[4] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦١) ، وروىٰ أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٩٤٣) نحو هٰذه القصة عن بعض العارفين قال : (رأيت في النوم كأنَّ القيامةَ قد قامت ، وكأنَّ الناسَ يُساقون زُمْرةً زُمْرةً إلى الجنَّة علىٰ طبقات ، فنظرت إلىٰ طبقةٍ أحسنِ الناس هيئةً ، وأعلاهم مُرتقىً ، وأسرعِهم سَبْقاً ، فقلت : هٰذه أفضلُهُم أكونُ فيهم) ، قال : (فذهبتُ لأخطوَ إليهم وأدخلَ معهم في طريقهم ، فإذا بملائكة حولَهُم قد منعوني ، وقالوا : قِفْ مكانك حتىٰ يجيء أصحابُكَ فتدخلَ معهم ، فقلتُ : تمنعُوني أن أكونَ مع هٰؤلاء السابقين ؟! فقالوا : هٰذا طريقٌ لا يسلكُهُ إلا مَنْ لم يكن له إلا قميصٌ واحد ، ومِنْ كلِّ شيءٍ واحدٌ ، وأنت لك قميصان ، ومن الأشياء زوجان) ، قال : (فانتبهتُ باكياً حزيناً ، فجعلتُ علىٰ نفسي ألَّا أملكَ من كلِّ شيءٍ إلا واحداً) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٩) .

(٣) حمَّاد الدبَّاس : شيخ الإمام المُربِّي أبي النجيب السهروردي ، وقد سبقت ترجمته في (١/٤٤٦) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٨) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » =

وقيلَ : ماتَ ابنُ الكَرَنْبيِّ ـ وكانَ أستاذَ الجُنَيدِ ـ وعليهِ مُرقَّعتُهُ ، قيلَ : كانَ وزنُ فردِ كُمٍّ لهُ ودخاريصِهِ ثلاثةَ عَشَرَ رَطْلاً[1] .

فقد يكونُ جمعٌ مِنَ الصالحينَ علىٰ هـٰذا الزِّيِّ والتخشُّنِ .

وقد يكونُ جمعٌ مِنَ الصالحينَ يتكلَّفونَ لُبْسَ غيرِ المُرقَّعِ وزِيِّ الفقراءِ ، ويكونُ نيَّتُهُم في ذلكَ سَتْرَ الحالِ ، أو خَوْفَ عَدَمِ النهوضِ بواجبِ حقِّ المُرقَّعةِ .

وقيلَ : كانَ أبو حفصٍ الحدَّادُ رحمَهُ اللهُ يَلْبَسُ الناعمَ ، ولهُ بيتٌ فَرَشَ فيهِ الرَّمْلَ ، لعلَّهُ كانَ ينامُ عليهِ بلا وِطاءٍ[2] .

وقد كانَ قومٌ مِنْ أصحابِ الصُّفَّةِ يكرهونَ أنْ يجعلوا بينَهُم وبينَ الترابِ حائلاً ، ويكونُ لُبْسُ أبي حفصٍ الناعمَ بعِلْمٍ ونيَّةٍ يلقى اللهَ تعالىٰ بصحَّتِها ، وهـٰكذا الصادقونَ إنْ لَبِسُوا غيرَ الخَشِنِ مِنَ الثوبِ ؛ لنيَّةٍ تكونُ لهُم في ذلكَ ، فلا يُعترَضُ عليهِم .

غيرَ أنَّ لُبْسَ الخَشِنِ والمُرقَّعِ يصلُحُ لسائرِ الفقراءِ بنيَّةِ التقلُّلِ مِنَ الدنيا وزَهْرتِها وبَهْجتِها ، وقد وَرَدَ : « مَنْ تَرَكَ ثَوْبَ جَمَالٍ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ لُبْسِهِ . . أَلْبَسَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْ حُلَلِ ٱلْجَنَّةِ »[3] .

= (١٠/ ٣٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ١١٦) عن أبي جعفر الحدَّاد رحمه الله تعالىٰ .

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤١٥) ، والدَّخاريص : جمع (دِخْريص) ؛ وهو ما يُوصَلُ به القميص والدِّرع ليُوسِّعه ، وفي أغلب النسخ : (وتخاريصه) بالتاء ، وهي لغة فيه .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٩) .

(٣) رواه الترمذي (٢٤٨١) ، والحاكم (١/ ٦١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » =

وأمّا لُبْسُ الناعمِ فلا يصلُحُ إلا لعالِمٍ بحالِهِ ، بصيرٍ بصفاتِ نَفْسِهِ ، مُتفقِّدٍ خَفِيِّ شهواتِ النَّفْسِ ، يلقى اللهَ تعالىٰ بحُسْنِ النِّيَّةِ في ذلكَ ، ولحُسْنِ النيّةِ في ذلكَ وجوهٌ مُتعدِّدةٌ يطولُ شرحُها .

ومِنَ الناسِ مَنْ لا يَقصِدُ لُبْسَ ثوبٍ بعينِهِ ؛ لا لخُشُونتِهِ ولا لنُعُومتِهِ ، بل يَلبَسُ ما يُدخِلُ الحقُّ عليهِ ، فيكونُ بحكمِ الوقتِ ، وهـٰذا حَسَنٌ .

وأحسنُ مِنْ ذلكَ : أنْ يتفقَّدَ نَفْسَهُ فيهِ ، فإنْ رأىٰ لنَفْسِهِ شِرْباً[1] ، أو شهوةً خَفِيّةً أو جَلِيّةً في الثوبِ الذي أَدْخلَهُ اللهُ عليهِ . . يُخرِجُهُ ، إلا أنْ يكونَ حالُهُ معَ اللهِ تركَ الاختيارِ ؛ فعندَ ذلكَ لا يسعُهُ إلا أنْ يتلبَّسَ بالثوبِ الذي ساقَهُ اللهُ إليهِ .

وقد كانَ شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ لا يتقيَّدُ بهيئةٍ مِنَ الملبوسِ ، بل كانَ يَلبَسُ ما يتَّفقُ مِنْ غيرِ تعمُّلٍ وتكلُّفٍ واختيارٍ ، وقد كانَ يَلبَسُ العِمامةَ بعشرةِ دنانيرَ ، ويَلبَسُ العِمامةَ بدانقٍ .

وكانَ الشيخُ عبدُ القادرِ رحمَهُ اللهُ يَلبَسُ هيئةً مخصوصةً ويَتطَلَّسُ[2] .

وكانَ الشيخُ عليُّ بنُ الهِيتيِّ يَلبَسُ لُبْسَ فقراءِ السَّوادِ[3] .

وكانَ أبو بكرٍ الفرّاءُ بزَنْجانَ يَلبَسُ فَرْواً خَشِناً كآحادِ العوامِّ .

= (٢٠/ ١٨٨ـ١٨٩) عن سيدنا معاذ بن أنس الجُهَني رضي الله عنه .

(١) الشِّرْب : الحظ والنصيب .

(٢) في (ج ، هـ ، ح) : (ويتطيلس) بدل (ويتطلس) ، وكلاهما جائز .

(٣) روى الإربلي في « تاريخه » (١/ ٥٤) أنَّ ابن الهيتي كان يلبَس الخشن من الثياب ، وكان يلفُّ علىٰ رأسه قطعة من خام .

ولكلٍّ في لُبْسِهِ وهيئتِهِ نيّةٌ صالحةٌ ، وشرحُ تفاوتِ الأقدامِ في ذلكَ يطولُ .

وكانَ الشيخُ أبو السُّعودِ رحمَهُ اللهُ حالُهُ معَ اللهِ تركُ الاختيارِ ، وقد يُساقُ إليهِ الثوبُ الناعمُ فيَلبَسُهُ ، وكانَ يُقالُ لهُ : ربَّما يسبقُ إلىٰ بواطنِ بعضِ الناسِ الإنكارُ عليكَ في لُبْسِكَ هٰذا الثوبَ ، فيقولُ : لا نلقىٰ إلا أحدَ الرجلَينِ : رجلٌ يُطالِبُنا بظاهرِ حكمِ الشرعِ ، فنقولُ لهُ : هل ترىٰ أنَّ ثوبَنا يكرهُهُ الشرعُ أو يُحرِّمُهُ ؟ فيقولُ : لا ، ورجلٌ يُطالِبُنا بحقائقِ القومِ مِنْ أربابِ العزيمةِ ، فنقولُ لهُ : هل ترىٰ لنا فيما لَبِسْنا اختياراً ، أو ترىٰ عندَنا فيهِ شهوةً ؟ فيقولُ : لا[1] .

وقد يكونُ مِنَ الناسِ مَنْ يقدرُ علىٰ لُبْسِ الناعمِ ولُبْسِ الخَشِنِ ، ولٰكنْ يُحِبُّ أنْ يختارَ اللهُ تعالىٰ لهُ هيئةً مخصوصةً ، فيُكثِرُ اللجوءَ إلى اللهِ تعالىٰ والافتقارَ إليهِ ، ويسألُهُ أنْ يُرِيَهُ أحبَّ الزِّيِّ إلى اللهِ لهُ ، وأصلحَهُ لدِينِهِ ودُنْياهُ ؛ لكونِهِ غيرَ صاحبِ غَرَضٍ وهوىً في زِيٍّ بعينِهِ .

فاللهُ تعالىٰ يفتحُ عليهِ ويُعرِّفُهُ زِيّاً مخصوصاً ، فيلتزمُ بذلكَ الزِّيِّ ، فيكونُ لُبْسُهُ باللهِ ، ويكونُ هٰذا أتمَّ وأكملَ مِمَّنْ يكونُ لُبْسُهُ للهِ .

ومِنَ الناسِ مَنْ يتوفَّرُ حظُّهُ مِنَ العلمِ ، وينبسطُ بما يَبسُطُهُ اللهُ ؛ فيَلْبَسُ الثوبَ عن علمٍ وإيقانٍ ، ولا يُبالي بما لَبِسَهُ ؛ ناعماً كانَ أو خَشِناً .

وربَّما لَبِسَ ناعماً ولنَفْسِهِ فيهِ اختيارٌ وحَظٌّ ، وذلكَ الحظُّ فيهِ يكونُ مُكفِّراً

---

(١) وقد سبق له قصة في ذلك أيضاً في (١/ ٤٥٠ـ ٤٥١) .

لهُ ، مَرْدوداً عليهِ ، مَوْهوباً لهُ ، يُوافِقُهُ اللهُ تعالىٰ في إرادةِ نَفْسِهِ ، ويكونُ هـٰذا الشخصُ تامَّ التزكيةِ ، تامَّ الطهارةِ ، مَحْبوباً مُراداً ، يُسارِعُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ مُرادِهِ ومَحَابِّهِ ، غيرَ أنَّ ها هنا مَزَلَّةَ القَدَمِ لكثيرٍ مِنَ المُدَّعينَ .

حُكِيَ عن يحيى بنِ مُعاذٍ الرازيِّ رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ كانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ والخُلْقانَ في ابتداءِ أمرِهِ[1] ، ثمَّ صارَ في آخرِ عُمُرِهِ يَلْبَسُ الناعمَ ، فقيلَ لأبي يزيدَ ذلكَ ، فقالَ : مسكينٌ يحيىٰ ؛ لم يصبرْ على الدُّونِ فكيفَ يصبرُ على النُّخَبِ ؟![2] .

ومِنَ الناسِ مَنْ يسبقُ إليهِ علمُ ما سوفَ يدخلُ عليهِ مِنَ الملبوسِ ، فيَلْبَسُهُ فيكونُ محمولاً فيهِ .

وكلُّ أحوالِ الصادقينَ على اختلافِ تنوُّعِها مُستحسَنةٌ ؛ ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

ولُبْسُ الخَشِنِ مِنَ الثيابِ هوَ الأحبُّ والأَوْلىٰ والأنسبُ والأَسْلمُ للعبدِ ، والأبعدُ مِنَ الآفاتِ .

قالَ مَسْلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ : دخلتُ علىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ أَعُودُهُ في مرضِهِ ، فرأيتُ قميصَهُ وَسِخاً ، فقلتُ لامرأتِهِ فاطمةَ : اغْسِلُوا ثيابَ أميرِ المؤمنينَ ، فقالتْ : نفعلُ إنْ شاءَ اللهُ .

قالَ : ثمَّ عُدْتُهُ فإذا القميصُ علىٰ حالِهِ ، فقلتُ : يا فاطمةُ ؛ أَلَمْ آمُرْكُم

---

(١) الخُلْقان : جمع (خَلَق) ؛ وهو البالي .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٤٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٠ـ٢٦١) ، وفي « اللمع » : (البخت) بدل (النُّخب) ، وفي « التهذيب » : (التخت) !!

أنْ تغسلوا قميصَهُ ؟ قالتْ : واللهِ ؛ ما لهُ قميصٌ غيرُهُ[1] .

وقالَ سالمٌ : (كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ مِنْ أَلْيَنِ الناسِ لباساً مِنْ قبلِ أنْ يُسلَّمَ عليهِ بالخلافةِ ، فلمَّا سُلِّمَ عليهِ بالخلافةِ ضَرَبَ رأسَهُ بينَ رُكْبتَيْهِ وبكىٰ ، ثمَّ دعا بأَطْمارٍ لهُ فلَبِسَها)[2] .

وقيلَ : لمَّا ماتَ أبو الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ وُجِدَ في ثوبِهِ أربعونَ رُقْعةً ، وكانَ عَطَاؤُهُ أربعةَ آلافٍ .

وقالَ زيدُ بنُ وَهْبٍ : لَبِسَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ قميصاً رازيّاً ، فكانَ إذا مَدَّ كُمَّهُ بلغَ أطرافَ أصابعِهِ ، فعابَهُ الخوارجُ في ذلكَ ، فقالَ : أَتعِيبُوني علىٰ لباسٍ هوَ أبعدُ مِنَ الكِبْرِ ، وأَجْدرُ أنْ يقتديَ بيَ المسلمُ ؟![3] .

وقيلَ : كانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ إذا رأىٰ علىٰ رجلٍ ثوبَينِ رقيقَينِ . . علاهُ بالدِّرَّةِ ، وقالَ : دَعُوا هـٰذهِ البَرَّاقاتِ للنساءِ[4] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « نَوِّرُوا قُلُوبَكُمْ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/٢٥٨) ، وابن سمعون في « الأمالي » (١٩١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢١١) .

(٢) الأَطْمار : جمع (طِمْر) ؛ وهو الثوب البالي .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٨٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٨٥) ، ومختصراً ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٤١) .

(٤) رواه معمر بن راشد في « الجامع » (١٩٩٧٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٢٢٨) ، وفيهما أنه قاله لمَنْ لبس معصفراً ، وروىٰ مسلم (١٥/٢٠٦٩) وغيرُهُ أنَّ عمر بن الخطاب خطب بالجابية فقال : (نهىٰ نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن لُبْس الحرير ، إلا موضعَ إِصْبَعين أو ثلاثٍ أو أربعٍ) .

بِلِبَاسِ ٱلصُّوفِ ؛ فَإِنَّهُ مَذَلَّةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَنُورٌ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وإِيَّاكُمْ أَنْ تُفْسِدُوا دِينَكُمْ بِحَمْدِ ٱلنَّاسِ وَثَنَائِهِمْ »[١] .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ احْتَذىٰ نعلَينِ[٢] ، فلمَّا نظرَ إليهما أَعْجبَهُ حُسْنُهُما ، فسجدَ للهِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : « خَشيتُ أنْ يُعْرِضَ عَنِّي رَبِّي فَتَوَاضَعْتُ لَهُ ، لَا جَرَمَ لَا يَبِيتَانِ فِي مَنْزِلِي ؛ لِمَا تَخَوَّفْتُ ٱلْمَقْتَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ أَجْلِهِمَا » ، فأخرجَهُما فدفعَهُما إلىٰ أوَّلِ مسكينٍ لَقِيَهُ ، ثمَّ أمرَ فاشتُرِيَ لهُ نعلانِ مَخْصُوفتانِ[٣] .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَبِسَ الصُّوفَ ، واحْتذى المَخْصوفَ[٤] ، وأَكَلَ معَ العبيدِ[٥] .

وإذا كانتِ النَّفْسُ مَحَلَّ الآفاتِ ، والوقوفُ علىٰ دسائسِها وخَفِيِّ شهواتِها وكامنِ هواها عَسِرٌ جدّاً . . فالأَلْيقُ والأَجْدرُ والأَوْلىٰ الأخذُ بالأَحْوطِ ، وتركُ ما يَرِيبُ إلىٰ ما لا يَرِيبُ .

ولا يجوزُ للعبدِ الدخولُ في السَّعَةِ إلا بعدَ إتقانِ عِلْمِ السَّعَةِ وكمالِ تزكيةِ النَّفْسِ ؛ وذاكَ إذا غابتِ النَّفْسُ بغَيبةِ هواها المُتَّبَعِ ، وتخلَّصتِ النِّيَّةُ ، وتسدَّدَ التصرُّفُ بعِلْمٍ صريحٍ واضحٍ[٦] .

---

(١) حكم بوضعه الغماري في « الغنية » (٢/ ٦٣١) .

(٢) احْتذىٰ : انتعل ولبس .

(٣) حكم بوضعه أيضاً الغماري في « الغنية » (٢/ ٦٣٢) .

(٤) المخصوف : الذي خُرِزَ بعضه علىٰ بعض .

(٥) سبق تخريجه في (١/ ٢٥٨) .

(٦) في بعض النسخ : (وتسدَّدت للتصرف) بدل (وتسدَّد التصرف) .

وللعزيمةِ أقوامٌ يركبونَها ويُراعونَها ، لا يَرَوْنَ النزولَ إلى الرُّخَصِ ؛ خوفاً مِنْ فوتِ فضيلةِ الزُّهْدِ في الدنيا ، واللِّباسُ الناعمُ مِنَ الدنيا .

وقد قيلَ : مَنْ رَقَّ ثوبُهُ رقَّ دِينُهُ[1] .

وقد يُرخَّصُ في ذلكَ لمَنْ لا يلتزمُ بالزُّهْدِ ويقفُ على رُخْصةِ الشرعِ .

روى عَلْقَمةُ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » ، فقالَ رجلٌ : إنَّ الرجلَ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حَسَناً ونعلُهُ حَسَناً ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ ٱلْجَمَالَ »[2] .

وتكونُ هـٰذهِ الرُّخْصةُ في حقِّ مَنْ يَلبَسُهُ بهوى نَفْسِهِ في ذلكَ[3] ، غيرَ مُفتخِرٍ بهِ ومُختالٍ ، فأمَّا مَنْ لَبِسَ الثوبَ للتفاخُرِ بالدنيا والتكاثُرِ بها . . فقد وَرَدَ فيهِ وعيدٌ .

روى أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِزْرَةُ ٱلْمُؤْمِنِ إِلَىٰ نِصْفِ ٱلسَّاقِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْكَعْبَيْنِ ، وَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ ٱلْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ ، مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَراً لَمْ يَنْظُرِ ٱللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَبَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَبَخْتَرُ فِي رِدَائِهِ . . إِذْ أَعْجَبَهُ رِدَاؤُهُ ، فَخَسَفَ ٱللهُ بِهِ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٧٤٧) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٩/ ٢٧١) ، وعزاه إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٢) رواه مسلم (٩١) وغيره .

(٣) في بعض النسخ : (لا بهوى) بدل (بهوى) ، ولعل الأنسب ما أُثبت ، والله تعالى أعلم .

ٱلْأَرْضَ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »[1] .

والأحوالُ تختلفُ ، ومَنْ صحَّ حالُهُ بصِحَّةِ عِلْمِهِ.. صحَّتْ نِيَّتُهُ في مأكولِهِ وملبوسِهِ وسائرِ تصاريفِهِ ، وكلُّ الأحوالِ تستقيمُ وتتسدَّدُ باستقامةِ الباطنِ معَ اللهِ ، وبقَدْرِ ذلكَ تستقيمُ تصاريفُ العبدِ كلُّها بحُسْنِ توفيقِ اللهِ تعالىٰ[2] .

* * *

(1) رواه إلىٰ قوله : (فهو في النار) : النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٦٢٦) ، وأحمد (٢/ ٢٨٧) ، وإلىٰ قوله : (لم ينظر الله إليه يوم القيامة) : مالك في « الموطأ » (٢/ ٩١٤) ، وأبو داود (٤٠٩٣) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٦٣١) ، وابن ماجه (٣٥٧٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وروىٰ قوله : (فبينما رجلٌ . . . إلىٰ يوم القيامة) : البخاري (٥٧٨٩) ، ومسلم (٢٠٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ويتجلجل : يسيخ وينزل مضطرباً .

(2) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الخامس والأربعون

في ذكر فضل قيام الليل

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١١] .

نزلتْ هٰذهِ الآيةُ في المسلمينَ يومَ بدرٍ ؛ حيثُ نزلوا علىٰ كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ تَسُوخُ فيهِ الأقدامُ وحوافرُ الدَّوَابِّ ، وسَبَقَهُمُ المشركونَ إلىٰ ماءِ بدرٍ العُظْمىٰ وغلبوهُم عليها ، وأصبحَ المسلمونَ بينَ مُحدِثٍ وجُنُبٍ ، وأصابَهُمُ الظَّمَأُ .

ووسوسَ لهُمُ الشيطانُ أنَّكُم تَزْعُمُونَ أنَّكُم على الحقِّ وفيكُم نبيُّ اللهِ ، وقد غَلَبَ المشركونَ على الماءِ وأنتُم تُصلُّونَ مُحدِثينَ ومُجنِبينَ ، فكيفَ ترجونَ الظَّفَرَ عليهِم ؟!

فأَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ مطراً مِنَ السماءِ سالَ منهُ الوادي ، فشَرِبَ المسلمونَ واغتسلوا ، وتوضَّؤوا وسَقَوْا دوابَّهُم ، وملؤوا الأَسْقِيةَ ، ولَبَّدَ الأرضَ حتىٰ ثَبَتَ بهِ الأقدامَ[1] .

---

(١) في (أ ، ج ، ز) : (الوادي) بدل (الأرض) ، وانظر « تفسير الطبري » (١٣/ ٤٢٣-٤٢٧) .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ [الأنفال : ١١-١٢] ؛ أَمَدَّهُمُ اللهُ تعالىٰ بالملائكةِ حتىٰ غلبوا المشركينَ .

ولكلِّ آيةٍ مِنَ القرآنِ ظَهْرٌ وبَطْنٌ ، وحدٌّ ومَطْلَعٌ ، واللهُ تعالىٰ كما جَعَلَ النُّعاسَ أَمَنَةً ورحمةً للصحابةِ خاصَّةً في تلكَ الواقعةِ والحادثةِ . فهوَ رحمةٌ تَعُمُّ المؤمنينَ .

والنُّعاسُ قِسْمٌ صالحٌ مِنَ الأقسامِ العاجلةِ للمُريدينَ ، وهوَ أَمَنَةٌ لقلوبِهِم عن مُنازَعاتِ النَّفْسِ ؛ لأنَّ النَّفْسَ بالنومِ تستريحُ ولا تشكو الكَلالَ والتعبَ ؛ إذ في شِكايتِها وتَعَبِها تكديرُ القلبِ ، وباستراحتِها بالنومِ بشرطِ العلمِ والاعتدالِ . . راحةُ القلب ؛ لِمَا بينَ القلبِ والنَّفْسِ مِنَ المُواطأةِ عندَ طُمَأْنينتِها للمُريدينَ السالكينَ .

فقد قيلَ : ينبغي أنْ يكونَ ثُلُثُ الليلِ والنهارِ نوماً حتىٰ لا يضطربَ الجسدُ ؛ فيكونَ ثمانِ ساعاتٍ للنومِ ؛ ساعتَينِ مِنْ ذلكَ يجعلُهُما المُريدُ بالنهارِ ، وستَّ ساعاتٍ بالليلِ ، ويزيدُ في أحدِهِما وينقُصُ مِنَ الآخرِ علىٰ قَدْرِ طُولِ الليلِ وقِصَرِهِ في الشتاءِ والصيفِ .

وقد يكونُ بحُسْنِ الإرادةِ وصِدْقِ الطَّلَبِ يَنقُصُ النومَ عن قَدْرِ الثُّلُثِ ، ولا يَضُرُّ ذلكَ إذا صارَ بالتدريجِ عادةً .

وقد يحملُ ثِقَلَ السَّهَرِ وقِلَّةَ النومِ وجودُ الرَّوحِ والأُنْسِ ؛ فإنَّ النومَ طبعُهُ باردٌ رَطْبٌ ينفعُ الجسدَ والدِّماغَ ، ويُسكِّنُ مِنَ الحرارةِ واليُبْسِ الحادثِ في المِزاجِ ، فإن نَقَصَ مِنَ الثُّلُثِ يَضُرُّ الدِّماغَ ، ويُخشىٰ منهُ اضطرابُ الجسمِ ،

فإذا نابَ عنِ النومِ رَوْحُ القلبِ وأُنْسُهُ . لا يَضُرُّ نقصانُهُ ؛ لأنَّ طبيعةَ الرَّوحِ والأُنْسِ باردٌ رَطْبٌ كطبيعةِ النومِ .

وقد يُقصِّرُ مُدَّةَ طولِ الليلِ وجودُ الرَّوحِ ، فتصيرُ بالرَّوْحِ أوقاتُ الليلِ الطويلةُ كالقصيرةِ ، كما يُقالُ : (سَنَةُ الوَصْلِ سِنَةٌ ، وسِنَةُ الهَجْرِ سَنَةٌ)[1] ، فيَقصُرُ الليلُ لأهلِ الرَّوحِ .

نُقِلَ عن عليِّ بنِ بكَّارٍ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أَحْزنَني إلا طُلُوعُ الفجرِ)[2] .

وقيلَ لبعضِهِم : كيفَ كنتَ والليلَ ؟ قالَ : ما راعَيتُهُ قطُّ ؛ يُريني وجهَهُ ، ثمَّ ينصرفُ وما تأمَّلْتُهُ[3] .

وقالَ أبو سُلَيمانَ الدارانيُّ رحمَهُ اللهُ : (أهلُ الليلِ في ليلِهِم أَشَدُّ لَذَّةً مِنْ أهلِ اللَّهْوِ في لَهْوِهِم)[4] .

وقالَ بعضُهُم : (ليسَ في الدنيا شيءٌ يُشبِهُ نعيمَ أهلِ الجنَّةِ . إلا ما يَجِدُهُ

---

(١) هو مأخوذ من قول الشاعر العبَّاسي أبي محمَّد المطراني : (من البسيط)

ليلُ الهوىٰ سَنَةٌ في الهَجْرِ مُدَّتُهُ ... لٰكنَّهُ سِنَةٌ في الوصلِ مِنْ قِصَرِ

انظر « يتيمة الدهر » (٤/ ١٣٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٠٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٣) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٠٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٣) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ١٤٦) ، وزادوا : (ولولا الليلُ ما أحببت البقاء في الدنيا) .

أهلُ التملُّقِ في قلوبِهِم بالليلِ مِنْ حلاوةِ المُناجاةِ)[1] .

فحلاوةُ المُناجاةِ ثوابٌ عاجلٌ لأهلِ الليلِ .

وقالَ بعضُ العارفينَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ يَطَّلِعُ علىٰ قلوبِ المُستيقِظينَ في الأسحارِ فيملؤُها نوراً ، فتَرِدُ الفوائدُ علىٰ قلوبِهِم فتستنيرُ ، ثمَّ تنتشرُ مِنْ قلوبِهِمُ العَوَافي إلىٰ قلوبِ الغافلينَ)[2] .

وقد وَرَدَ أنَّ اللهَ تعالىٰ أَوْحىٰ في بعضِ ما أَوْحىٰ إلىٰ بعضِ أنبيائِهِ : إنَّ لي عباداً يُحبُّونَني وأُحِبُّهُم ، ويشتاقونَ إليَّ وأشتاقُ إليهِم ، ويَذْكُرُونَني وأَذْكُرُهُم ، وينظرونَ إليَّ وأنظرُ إليهِم ، فإنْ حَذَوْتَ طريقَهُم أحببتُكَ ، وإنْ عَدَلْتَ عن ذلكَ مَقَتُّكَ .

قالَ : يا ربِّ ؛ ما علامتُهُم ؟

قالَ : يُراعُونَ الظِّلالَ بالنهارِ كما يُراعِي الراعي غَنَمَهُ ، ويَحِنُّونَ إلىٰ غروبِ الشمسِ كما تَحِنُّ الطيرُ إلىٰ أَوْكارِها ، فإذا جَنَّهُمُ الليلُ ، واختلطَ الظلامُ ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِهِ . . نَصَبُوا لي أقدامَهُم ، وافْتَرَشُوا لي وجوهَهُم ، ناجَوْني بكلامي ، وتملَّقوا لي بإِنْعامي ؛ فبينَ صارخٍ وباكٍ ، وبينَ مُتأوِّهٍ وشاكٍ ، بعَيني ما يتحمَّلونَ مِنْ أجلي ، وبسَمْعي ما يَشْكُونَ مِنْ حُبِّي .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١١) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٤ـ٥٦٦) ، والعَوَافي : الواردات والزوائد .

أَوّلُ ما أُعطِيهِم : أنْ أقذِفَ مِنْ نوري في قلوبِهِم ، فيُخبِرُونَ عنِّي كما أُخبِرُ عنهُم .

والثاني : لو كانتِ السماواتُ السبعُ والأَرَضُونَ السبعُ وما فيها في موازينِهِمُ . . استقللتُها لهُم .

والثالثُ : أُقبِلُ بوَجْهي عليهِم ، أفترَىٰ مَنْ أقبلتُ بوَجْهي عليهِ يعلمُ أحدٌ ما أُرِيدُ أنْ أُعطِيَهُ ؟ ![1] .

فالصادقُ المُرِيدُ إذا خلا في ليلِهِ بمُناجاةِ ربِّهِ انتشرَتْ أنوارُ ليلِهِ علىٰ جميعِ أجزاءِ نهارِهِ ، ويصيرُ نهارُهُ في حِمايةِ ليلِهِ ؛ وذلكَ لامتلاءِ قلبِهِ بالأنوارِ ، فتكونُ حركاتُهُ وتصاريفُهُ بالنهارِ تصدُرُ مِنْ منبعِ الأنوارِ المُجتمِعةِ مِنَ الليلِ ، ويصيرُ قالَبُهُ في قُبَّةٍ مِنْ قِبابِ الحقِّ ، مُسدَّدةً حركاتُهُ ، مُوقَّرةً سَكَناتُهُ .

وقد وَرَدَ : « مَنْ صَلَّىٰ بِٱللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِٱلنَّهَارِ »[2] ، ويجوزُ أنْ يكونَ بمعنَيَينِ :

أحدُهُما : أنَّ المِشْكاةَ تستنيرُ بالمِصْباحِ ، فإذا صارَ سراجُ اليقينِ في القلبِ يَزْهَرُ بكثرةِ زيتِ العملِ بالليلِ . . يزدادُ المِصْباحُ إشراقاً ، وتكتسبُ مِشْكاةُ القالَبِ نُوراً وضِياءً .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١١-١١٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٦٥) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٣) ، والمروزي في « قيام الليل » (ص٥٨) ، والقضاعي في « المسند » (٤٠٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٨٣٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

كانَ يقولُ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (اليقينُ نارٌ ، والإقرارُ فَتيلةٌ ، والعملُ زيتٌ)[1] .

وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور : ٣٥] .

فنورُ اليقينِ مِنْ نورِ اللهِ تعالىٰ في زُجاجةِ القلبِ ، تزدادُ ضياءً بزيتِ العملِ ، فتبقىٰ زجاجةُ القلبِ كالكوكبِ الدُّرِّيِّ ، وتنعكسُ أنوارُ الزُّجاجةِ علىٰ مِشْكاةِ القالَبِ .

وأيضاً : يلينُ القلبُ بنارِ النورِ ، ويسري لِينُهُ إلى القالَبِ ، فيلينُ القالَبُ للِينِ القلبِ ، فيتشابهانِ لوجودِ اللِّينِ الذي عمَّهُما ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر : ٢٣] ؛ وَصَفَ الجلودَ باللِّينِ كما وَصَفَ القلوبَ باللِّينِ .

فإذا امتلأَ القلبُ بالنورِ ، ولانَ القالَبُ بما سرىٰ فيهِ مِنَ الأُنْسِ والسُّرورِ . . يندرجُ المكانُ والزمانُ في نورِ القلبِ ، فتندرجُ فيهِ الكَلِمُ والآياتُ والسُّوَرُ ، وتُشرِقُ الأرضُ - أرضُ القالَبِ - بنورِ ربِّها ؛ إذ يصيرُ القلبُ سماءً ، والقالَبُ أرضاً .

ولَذَّةُ تلاوةِ كلامِ اللهِ تعالىٰ في محلِّ المُناجاةِ . . تَستُرُ كونَ الكائناتِ ، والكلامُ المَجيدُ بكونِهِ ينوبُ عن سائرِ الوجودِ في مُزاحمةِ صَفْوِ الشُّهُودِ ، فلا يبقىٰ حينئذٍ للنَّفْسِ حديثٌ ، ولا يُسمَعُ للهاجسِ حَسِيسٌ ، وفي مِثْلِ هٰذهِ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٠٢) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٧) .

الحالةِ يُتصوَّرُ تلاوةُ القرآنِ مِنْ فاتحتِهِ إلىٰ خاتمتِهِ مِنْ غيرِ وسوسةٍ وحديثِ نَفْسٍ ، وذلكَ هوَ الفضلُ العظيمُ .

والوجهُ الثاني لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صَلَّىٰ بِٱللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِٱلنَّهَارِ » معناهُ : أنَّ وجوهَ أمورِهِ التي يتوجَّهُ إليها تَحسُنُ ، وتتداركُهُ المَعُونةُ مِنَ اللهِ الكريمِ في تصاريفِهِ ، ويكونُ مُعَاناً في مصدرِهِ وموردِهِ ، فيَحسُنُ وجهُ مقاصدِهِ وأفعالِهِ ، وينتظمُ في سِلْكِ السَّدادِ مُسدَّدُ أقوالِهِ[1] ؛ لأنَّ الأقوالَ تستقيمُ باستقامةِ القلبِ ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ .

❁ ❁ ❁

---

(١) في النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (مسدَّداً أقوالُهُ) .

الباب السادس والأربعون

في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم

فمِنْ ذلكَ : أنَّ العبدَ يستقبلُ الليلَ عندَ غروبِ الشمسِ بتجديدِ الوضوءِ ، ويقعُدُ مُستقبِلَ القبلةِ مُنتظِراً مجيءَ الليلِ وصلاةَ المغربِ ، مُقيماً في ذلكَ علىٰ أنواعِ الأذكارِ ، ومِنْ أَوْلاها : التسبيحُ والاستغفارُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ [غافر : ٥٥] .

ومِنْ ذلكَ : أنْ يُواصِلَ بينَ العِشاءَينِ بالصلاةِ أو بالتلاوةِ أو بالذِّكْرِ ، وأفضلُ ذلكَ : الصلاةُ ؛ فإنَّهُ إذا واصلَ بينَ العِشاءَينِ تنغسلُ عن باطنِهِ آثارُ الكُدُورةِ الحادثةُ في أوقاتِ النهارِ ؛ مِنْ رؤيةِ الخَلْقِ ومُخالطتِهِم ، وسماعِ كلامِهِم ؛ فإنَّ ذلكَ كلَّهُ لهُ أَثَرٌ وخَدْشٌ في القلوبِ ؛ حتى النَّظَرُ إليهِم يُعقِبُ كَدَراً في القلبِ ، يُدرِكُهُ مَنْ رُزِقَ صفاءَ القلبِ .

فيكونُ أثرُ النَّظَرِ إلى الخَلْقِ للبصيرةِ كالقَذَىٰ في العينِ للبصرِ ، وبالمُواصَلةِ بينَ العِشاءَينِ يُرجىٰ ذهابُ ذلكَ الأَثَرِ .

ومِنْ ذلكَ : تركُ الحديثِ بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ ؛ فإنَّ الحديثَ في ذلكَ الوقتِ يُذهِبُ طَرَاوةَ النورِ الحادثِ في القلبِ مِنْ مُواصَلةِ العِشاءَينِ ، ويُقيِّدُ عن قيامِ اللَّيلِ ، سِيَّما إذا كان عَرِيّاً عن يَقَظَةِ القلبِ .

ثمَّ تجديدُ الوضوءِ بعدَ العشاءِ الآخِرَةِ أيضاً . مُعِينٌ علىٰ قيامِ الليلِ ؛

حكىٰ لي بعضُ الفقراءِ عن شيخٍ لهُ بخُرَاسانَ : أنَّهُ كانَ يغتسلُ في الليلِ ثلاثَ مَرَّاتٍ ؛ مرَّةً بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ ، ومرَّةً في أثناءِ الليلِ بعدَ الانتباهِ مِنَ النومِ ، ومرَّةً قبلَ الصبحِ .

فللوضوءِ والغُسْلِ بعدَ العِشاءِ الآخِرَةِ . . أَثَرٌ ظاهرٌ في تيسيرِ قيامِ الليلِ .

ومِنْ ذلكَ : القعودُ على الذِّكْرِ أوِ القيامِ بالصلاةِ حتىٰ يَغلِبَ النومُ ؛ فإنَّ ذلكَ يُعِينُ علىٰ سُرْعةِ الانتباهِ ، إلا أنْ يكونَ واثقاً مِنْ نَفْسِهِ وعادتِهِ ؛ فيتعمَّلُ للنومِ ويَستجلِبُهُ ليقومَ في وقتِهِ المعهودِ ، وإلا فالنومُ عنِ الغَلَبَةِ هوَ الذي يَصلُحُ للمُريدينَ والطالِبينَ الصادقينَ ؛ وبهٰذا وُصِفَ المُحِبُّونَ ؛ قيلَ : (نومُهُم نومُ الغَرْقىٰ ، وأكلُهُم أكلُ المَرْضىٰ ، وكلامُهُم ضرورةٌ)[١] .

فمَنْ نامَ عن غلبةٍ بهَمٍّ مُجتمِعٍ مُتعلِّقٍ بقيامِ الليلِ . . يُوفَّقُ لقيامِ الليلِ ، وإنَّما النَّفْسُ إذا أُطمِعَتْ ووُطِّنتْ على النومِ استرسلَتْ فيهِ ، وإذا أُزعِجَتْ بصِدْقِ العزيمةِ . . لا تسترسلُ في الاستقرارِ ، وهٰذا الانزعاجُ في النَّفْسِ بصِدْقِ العزيمةِ . . هوَ التجافي الذي قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة : ١٦] ؛ لأنَّ الهَمَّ بقيامِ الليلِ وصِدْقَ العزيمةِ يجعلُ بينَ الجَنْبِ والمَضْجَعِ قَفْواً وتجافياً[٢] .

وقد قيلَ : (للنَّفْسِ نَظَرانِ : نَظَرٌ إلىٰ تحتُ ؛ لاستيفاءِ الأقسامِ البَدَنيَّةِ ،

---

(١) رواه دون الجملة الأخيرة أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٢٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٢٩٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/١٩٣ـ١٩٤) عن سري السقطي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) قوله : (قَفْواً) ؛ أي : بعداً ومخالفة . من هامش (ح) .

ونَظَرٌ إلىٰ فوقُ ؛ لاستيفاءِ الأقسامِ العُلْويَّةِ الرُّوحانيَّةِ)[1] .

فأربابُ العزيمةِ تجافَتْ جنوبُهُم عنِ المضاجعِ ؛ لنظرِهم إلىٰ فوقُ إلى الأقسامِ العُلْويَّةِ الرُّوحانيَّةِ ، فأَعْطَوُا النُّفوسَ حقَّها مِنَ النومِ ، ومَنَعُوها حظَّها ، فالنَّفْسُ بما فيها مركوزٌ مِنَ التُّرابيَّةِ والجماديَّةِ . . تَرسُبُ وتَسْتحلِسُ وتستلذُّ النومَ[2] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [غافر : ٦٧] .

وللآدميِّ بكلِّ أصلٍ مِنْ أصولِ خِلْقتِهِ . . طبيعةٌ لازمةٌ لهُ ، والرُّسُوبُ صفةُ الترابِ ، والكسلُ والتقاعدُ والتناوُمُ بسببِ ذلكَ . . طبيعةٌ في الإنسانِ .

فأربابُ الهِمَّةِ أهلُ العلمِ الذينَ حَكَمَ اللهُ تعالىٰ لهُم بالعِلْمِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ . . . ﴾ ، حتىٰ قالَ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

حَكَمَ لهـٰؤلاءِ الذينَ قاموا بالليلِ بالعلمِ ، فهم لموضعِ علمِهِم أَزْعجُوا النفوسَ عن مَقَارِّ طبيعتِها ، ورقَّوْها بالنظرِ إلى الذاتِ الرُّوحانيَّةِ إلىٰ ذُرا حقيقتِها ، فتجافَتْ جنوبُهُم عنِ المضاجعِ ، وخرجوا مِنْ صفةِ الغافلِ الهاجعِ .

ومِنْ ذلكَ : أنْ يُغيِّرَ العادةَ ؛ فإنْ كانَ ذا وِسادةٍ يتركُ الوِسادةَ ، وإنْ كانَ ذا وِطاءٍ يتركُ الوِطاءَ ، وقد كانَ بعضُهُم يقولُ : (لَأَنْ أَرىٰ في بيتي شيطاناً أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أَرَىٰ وِسادةً ؛ فإنَّها تدعو إلى النومِ)[3] .

---

(١) انظر « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » (ص٣٢) .

(٢) يُقال : استحلس النباتُ : إذا غطَّى الأرضَ بكثرته ، وفي (ج ، هـ) : (وتستجلس) بالجيم .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١٣) ، والغزالي في « الإحياء » =

ولتغيُّرِ العادةِ في الوِسادةِ والغِطاءِ والوِطاءِ . . تأثيرٌ في ذلكَ ، ومَنْ تَرَكَ شيئاً مِنْ ذلكَ للهِ تعالىٰ ـ واللهُ أعلمُ بنيَّتِهِ وعزيمتِهِ ـ يُثيبُهُ علىٰ ذلكَ بتيسيرِ ما رامَ .

ومِنْ ذلكَ : خِفَّةُ المَعِدةِ مِنَ الطعامِ ، ثمَّ تناولُ ما يأكلُهُ مِنَ الطعامِ إذا اقترنَ بذِكْرِ اللهِ تعالىٰ ويَقَظَةِ الباطنِ . . أعانَ علىٰ قيامِ الليلِ ؛ لأنَّ بالذِّكْرِ يذهبُ داؤُهُ .

فإنْ وَجَدَ للطعامِ ثِقَلاً على المَعِدةِ . . ينبغي أنْ يعلمَ أنَّ ثِقَلَهُ على القلبِ أكثرُ ، فلا ينامُ حتىٰ يُذِيبَ الطعامَ بالذِّكْرِ والتلاوةِ والاستغفارِ .

يقولُ بعضُهُم : (لَأَنْ أَنقُصَ لُقْمَةً مِنْ عَشائي أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقومَ ليلةً)[1] .

والأَحْوطُ : أنْ يُوتِرَ قبلَ النومِ ؛ فإنَّهُ لا يدري ماذا يَحدُثُ ، ويُعِدُّ طَهُورَهُ وسِواكَهُ عندَهُ ، ولا يدخلُ النومَ إلا وهوَ علىٰ الوضوءِ والطهارةِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا نَامَ ٱلْعَبْدُ وَهُوَ عَلَى ٱلطَّهَارَةِ . . عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى ٱلْعَرْشِ ، فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً ، وَإِنْ لَمْ يَنَمْ عَلَى ٱلطَّهَارَةِ . . قَصُرَتْ رُوحُهُ عَنِ ٱلْبُلُوغِ ، فَتَكُونُ ٱلْمَنَامَاتُ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ لَا تَصْدُقُ »[2] .

= (٢/ ٥٥٤) عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالىٰ .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣١١) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٠٣ـ١٠٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٠٦) ، وقال العراقي في « المغني » (١٢٢٠) : (رواه ابن المبارك=

والمُرِيدُ المُتأهِّلُ إذا نامَ في الفراشِ معَ زوجتِهِ. . ينتقضُ وضوءُهُ باللَّمْسِ ، ولا يفوتُهُ بذلكَ فائدةُ النومِ على الطهارةِ ما لم يسترسلْ في التذاذِ النَّفْسِ باللَّمْسِ ، ولا يَعْدَمُ يقظةَ القلبِ ، فأمَّا إذا استرسلَ في الالتذاذِ وغفَلَ . . ينحجبُ الرُّوحُ أيضاً ؛ لمكانِ صَلافتِهِ[1] .

ومِنَ الطهارةِ التي تُثمِرُ صِدْقَ الرُّؤْيا : طهارةُ الباطنِ عن خُدُوشِ الهوىٰ ، وكُدُورةِ مَحبَّةِ الدنيا ، والنَّقَاوةُ عن أنجاسِ الغِلِّ والحِقْدِ والحسدِ ، وقد وَرَدَ : « مَنْ أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ لَا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَىٰ أَحَدٍ . . غُفِرَ لَهُ مَا ٱجْتَرَمَ »[2] .

وإذا طَهُرَتِ النَّفْسُ عنِ الرذائلِ . . انجلَتْ مِرْآةُ القلبِ ، وقابلَ اللَّوحَ المحفوظَ في النومِ ، وانتقشَ فيهِ عجائبُ الغيبِ وغرائبُ الأنباءِ .

ففي الصِّدِّيقينَ مَنْ يكونُ لهُ في منامِهِ مُكالَمةٌ ومُحادَثةٌ ، ويأمرُهُ اللهُ تعالىٰ وينهاهُ ، ويُفهِّمُهُ في المنامِ ويُعرِّفُهُ ، ويكونُ موضعُ ما يفتحُ لهُ في نومِهِ مِنَ الأمرِ والنهيِ كالأمرِ والنهيِ الظاهرِ ، يعصي اللهَ تعالىٰ إنْ أَخَلَّ بها ، بل تكونُ

= في « الزهد » [١٢٤٥] موقوفاً على أبي الدرداء ، والبيهقي في « الشعب » [٢٥٢٧] موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص ، وروى الطبراني في « الأوسط » [٥٢٢٠] من حديث علي : « ما مِنْ عبدٍ ولا أمةٍ تنامُ فتُثقِلُ نوماً . . إلا عُرِج بروحِهِ إلى العرشِ ، فالذي لا يستيقظُ إلا عندَ العرشِ فتلكَ الرُّؤْيا التي تَصدُقُ ، والذي يستيقظُ دونَ العرشِ فهي الرُّؤْيا التي تكذبُ » ، وسنده ضعيف) ، ورواه أيضاً من حديث سيدنا عليٍّ الحاكمُ (٤/ ٣٩٦ـ٣٩٧) .

(١) كذا في النسخ ، والقياس : (صَلَفه) .

(٢) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٥٢٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/ ٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢٧٣) .

هـٰذهِ الأوامرُ آكَدَ وأَعْظمَ وَقْعاً ؛ لأنَّ المخالفاتِ الظاهرةَ تمحوها التوبةُ ، والتائبُ مِنَ الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ لهُ ، وهـٰذهِ أوامرُ خاصَّةٌ تتعلَّقُ بحالِهِ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، فإذا أَخَلَّ بها يُخشىٰ أنْ ينقطعَ عليهِ طريقُ الإرادةِ ، ويكونَ في ذلكَ الرجوعُ عنِ اللهِ واستيجابُ مقامِ المَقْتِ .

فإنِ ابتُلِيَ العبدُ في بعضِ الأحايينِ بكَسَلٍ أو فُتُورِ عزيمةٍ يمنعُ مِنْ تجديدِ الطهارةِ عندَ النومِ بعدَ الحَدَثِ . . فليَمْسَحْ أعضاءَهُ بالماءِ مَسْحاً حتىٰ يخرجَ بهـٰذا القَدْرِ عن زُمْرةِ الغافلينَ ؛ حيثُ تقاعدَ عن فِعْلِ المُتيقِّظِينَ .

وهكذا إذا كَسِلَ عنِ القيامِ عَقِيبَ الانتباهِ ؛ يجتهدُ أنْ يستاكَ ويمسحَ أعضاءَهُ بالماءِ مَسْحاً حتىٰ يخرجَ في تقلُّباتِهِ وانتباهاتِهِ مِن زمرةِ الغافلينَ ؛ ففي ذلكَ فضلٌ كثيرٌ لمَنْ كثُرَ نومُهُ وقَلَّ قيامُهُ .

رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يستاكُ في كلِّ ليلةٍ مِراراً ؛ عندَ كلِّ نومةٍ ، وعندَ الانتباهِ منها(١) .

ويستقبلُ القبلةَ في نومِهِ ، وهو علىٰ نوعَينِ ؛ فإمَّا علىٰ جَنْبِهِ الأيمنِ كالمَلْحودِ ، وإمَّا علىٰ ظهرِهِ مُستقبِلاً للقبلةِ كالميِّتِ المُسجَّىٰ .

ويقولُ : (باسمِكَ اللَّهُمَّ وضعتُ جَنْبي وبِكَ أرفعُهُ .

اللَّهُمَّ ؛ إنْ أمسكتَ نَفْسي فاْغفِرْ لها وارْحَمْها ، وإنْ أرسلتَها فاحْفَظْها بما تحفظُ بهِ عبادَكَ الصالحينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي [أسلمتُ نَفْسي إليكَ](٢) ، ووجَّهتُ وَجْهي إليكَ ،

---

(١) رواه مسلم (٧٦٣/ ١٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المصادر والمراجع .

وفوَّضتُ أَمْري إليكَ ، وأَلْجأتُ ظَهْري إليكَ ؛ رَغبةً ورَهبةً إليكَ ، لا مَلْجأَ ولا مَنْجىٰ منكَ إلا إليكَ ، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلتَ ، وبنبيِّكَ الذي أرسلتَ .

اللَّهُمَّ ؛ قِني عذابَكَ يومَ تبعثُ عبادَكَ .

الحمدُ للهِ الذي علا فقَهَرَ ، **الحمدُ للهِ** الذي بَطَنَ فخَبَرَ ، **الحمدُ للهِ** الذي مَلَكَ فقَدَرَ ، **الحمدُ للهِ** الذي هوَ يُحيي المَوْتىٰ وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ غضبِكَ ، وسوءِ عقابِكَ ، وشرِّ عبادِكَ ، وشرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ)[1] .

ويقرأُ : خمسَ آياتٍ مِنَ (البقرةِ) ؛ الأربعَ مِنَ الأوَّلِ ، والآيَةَ (إنَّ في خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ) ، وآيَةَ الكُرْسيِّ ، و(آمنَ الرسولُ) ، و(إنَّ ربَّكُمُ اللهُ)[2] ، و(قُلِ ادعُوا اللهَ)[3] ، وأولَ سورةِ (الحديد)[4] ، وآخِرَ سورةِ (الحشرِ)[5] ، و(قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، والمُعوِّذتَينِ ، ويَنفُثُ بهِنَّ في يدَيهِ ، ويمسحُ بهِما وجهَهُ وجسدَهُ .

وإنْ أضافَ إلىٰ ما قَرَأَ عَشْراً مِنْ أوَّلِ (الكهفِ) ، وعَشْراً مِنْ آخِرِها . . **فحسنٌ** .

---

(١) ويُروىٰ أيضاً : (وشَرَكِهِ) ؛ أي : مصايده وحبائله التي يفتن بها الناس . انظر « مرقاة المفاتيح » (٤/ ١٦٥٩) .

(٢) أي : التي في سورة (الأعراف) .

(٣) أي : آخر آيتين من سورة (الإسراء) .

(٤) أي : أول خمس آيات منها .

(٥) أي : آخر ثلاث آيات منها .

ويقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ أَيقِظْني في أَحَبِّ الساعاتِ إليكَ ، واستَعْمِلْني بأَحَبِّ الأعمالِ إليكَ ؛ التي تُقرِّبُني إليكَ زُلْفىٰ ، وتُبعِّدُني عن سَخَطِكَ بُعْداً ؛ حتىٰ أسأَلَكَ فتُعطِيَني[1] ، وأستغفرَكَ فتغفرَ لي ، وأدعوَكَ فتستجيبَ لي .

اللَّهُمَّ ؛ لا تُؤْمِنِّي مَكْرَكَ ، ولا تُوَلِّني غيرَكَ ، ولا ترفعْ عنِّي سِتْرَكَ ، ولا تُنسِني ذِكْرَكَ ، ولا تَجْعَلْني مِنَ الغافلينَ) .

وقد وَرَدَ : أنَّ مَنْ قالَ هـٰذهِ الكلماتِ بَعَثَ اللهُ تعالىٰ إليهِ ثلاثةَ أَمْلاكٍ يُوقِظُونَهُ للصلاةِ ، فإنْ صلَّىٰ ودعا أمَّنوا علىٰ دعائِهِ ، وإنْ لم يَقُمْ تعبَّدتِ الأَمْلاكُ في الهواءِ ، وكُتِبَ لهُ ثوابُ عبادتِهِم[2] .

ويُسبِّحُ ويحمدُ ويُكبِّرُ ؛ كلَّ واحدٍ ثلاثاً وثلاثينَ مرَّةً ، ويُتمِّمُ المئةَ بـ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ) .

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ب) : (اللهم ؛ أسألك) بدل (حتىٰ أسألك) ، وفي باقي النسخ ما عدا (ج) : (أسألك) فقط .

(٢) أورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٩٧ـ ٩٨) ، ورواه بنحوه الديلمي في « الفردوس » (٢٠١٧) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٦/ ٢٢٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ورواه أيضاً ابن النجار في « الذيل » (١٩/ ٢٠١ـ٢٠٢) من كلام معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « المغني عن حمل الأسفار » (١١٤٧) .

الباب السابع والأربعون

في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل

إذا فَرَغَ المُؤذِّنُ مِنْ أذانِ المغربِ . . يُصلِّي ركعتَينِ خفيفتَينِ بينَ الأذانِ والإقامةِ ، وكانَ العلماءُ يُصلُّونَ هاتَينِ الركعتَينِ في البيتِ ، يُعجِّلُونَ بهِما قبلَ الخروجِ إلى الجماعةِ ؛ كيلا يَظُنَّ الناسُ أنَّهُما سُنَّةٌ مُرتَّبةٌ ، فيقتدوا بهِم ظنّاً منهُم بأنَّهُما سُنَّةٌ .

وإذا صلَّى المغربَ يُصلِّي ركعتَيِ السُّنَّةِ بعدَ المغربِ ، يُعجِّلُ بها ؛ فإنَّها تُرفَعُ معَ الفريضةِ ، يقرأُ فيهِما بـ (قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) .

ثمَّ يُسلِّمُ على ملائكةِ الليلِ والكرامِ الكاتبينَ ، فيقولُ : (مرحباً بملائكةِ الليلِ ، مرحباً بالمَلَكَينِ الكريمَينِ الكاتبَينِ ، اكتُبا في صَحِيفتي أنِّي أشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ، وأشهدُ أنَّ الجنةَ حقٌّ ، والنارَ حقٌّ ، والحوضَ حقٌّ ، والشفاعةَ حقٌّ ، والصِّراطَ حقٌّ ، والمِيزانَ حقٌّ ، والقبرَ حقٌّ ، والسؤالَ حقٌّ ، والحسابَ حقٌّ ، والقِصاصَ حقٌّ ، والكتابَ حقٌّ ، وأشهدُ أنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبورِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أُودِعُكَ هـٰذهِ الشهادةَ ليومِ حاجتي إليها ، اللَّهُمَّ ؛ احطُطْ بها وِزْري ، واغفِرْ بها ذَنْبي ، وثقِّلْ بها مِيزاني ، وأَوْجِبْ لي بها أماني ،

وتجاوَزْ عنِّي برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ) .

فإنْ واصلَ بينَ العِشاءَينِ في مسجدِ جماعتِهِ . . يكونُ جامعاً بينَ الاعتكافِ ومُواصَلةِ العِشاءَينِ ، وإنْ رأى انصرافَهُ إلىٰ منزلِهِ والمُواصَلةَ بينَ العِشاءَينِ في بيتِهِ أسلمَ لدِينِهِ ، وأقربَ إلى الإخلاصِ ، وأَجْمعَ للهَمِّ . . فلْيَفْعَلْ .

وسُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة : ٢٣] ، فقالَ : « هِيَ ٱلصَّلَاةُ بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ »[١] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِٱلصَّلَاةِ بَيْنَ ٱلْعِشَاءَيْنِ ؛ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمُلَاغَاتِ ٱلنَّهَارِ ، وَتُهَذِّبُ آخِرَهُ »[٢] .

ويجعلُ مِنَ الصلاةِ بينَ العِشاءَينِ ركعتَينِ بسورةِ (البروجِ) و(الطارقِ)، ثمَّ ركعتَينِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ : عشرَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سورةِ (البقرةِ)، والآيتَينِ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ الآيتَينِ [البقرة : ١٦٣ـ١٦٤] ، وخمسَ عَشْرَةَ مرَّةً (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، وفي الثانيةِ : آيةَ الكُرْسيِّ ، و(آمنَ الرسولُ) ، وخمسَ عَشْرَةَ مرَّةً (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) .

---

(١) رواه أبو داود (١٣٢١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٩٨١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ١٩) موقوفاً علىٰ سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه الديلمي في « الفردوس » (٤٠٢٩) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وفيه : (ومَهْدنة آخره مَهْدنة مضعفة) بدل (وتهذب آخره) ، وانظر « المغني عن حمل الأسفار » (١٢٠٣) ، و« غنية العارف » (٢/ ٦٥١ـ٦٥٢) ، وقوله : (بمُلاغات . . .) قال أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٥٦) : (جمع « ملغاة » ؛ من اللغو ؛ أي : تسقط اللغو ؛ أي : تطرح المطرح عن العبد من الباطل واللهو ، وتُهذِّب له آخره ؛ أي : تُصفِّيه وتُجوِّده) .

ويقرأُ في ركعتَينِ أُخْرَيَيْنِ : سورةَ (الزُّمَرِ) و(الواقعةِ) .

ويُصلِّي بعدَ ذلكَ ما شاءَ ، فإنْ أرادَ يقرأُ شيئاً مِنْ حِزْبِهِ في هٰذا الوقتِ في الصلاةِ أو غيرِها[1] ، وإنْ شاءَ صلَّىٰ عشرينَ ركعةً خفيفةً بسورةِ (الإخلاصِ) و(الفاتحةِ) .

ولو واصلَ بينَ العِشاءَينِ بركعتَينِ يُطِيلُهُما . . فحَسَنٌ ، وفي هاتَينِ الركعتَينِ يُطِيلُ القيامَ تالياً للقرآنِ حِزْبَهُ ، أو مُكرِّراً فيهما آيةً فيها الدعاءُ والتلاوةُ ؛ مثلُ أنْ يقرأَ مُكرِّراً : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ٤] ، أو يقرأَ آيةً أُخرىٰ في معناها ، فيكونُ جامعاً بينَ التلاوةِ والصلاةِ والدعاءِ ؛ ففي ذلكَ جمعُ الهَمِّ ، وظَفَرٌ بالفضلِ .

ثمَّ يُصلِّي قبلَ العشاءِ أربعاً ، وبعدَها ركعتَينِ ، ثمَّ ينصرفُ إلىٰ منزلِهِ أو موضعِ خَلْوتِهِ فيُصلِّي أربعاً أُخَرَ ، وقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلِّي في بيتِهِ أوَّلَ ما يدخلُ قبلَ أنْ يجلسَ أربعاً[2] .

ويقرأُ في هٰذهِ الأربعِ : سورةَ (لُقْمانَ) ، و(يسٓ) ، و(حمٓ الدخانَ) ، و(تباركَ المُلْكَ) ، وإنْ أرادَ أنْ يُخفِّفَ فيقرأُ فيها آيةَ الكُرْسيِّ ، و(آمنَ الرسولُ) ، وأوَّلَ سورةِ (الحديدِ) ، وآخِرَ سورةِ (الحشرِ) .

ويُصلِّي بعدَ الأربعِ إحدىٰ عَشْرَةَ ركعةً ؛ يقرأُ فيها بثلاثِ مئةِ آيةٍ مِنَ القرآنِ ؛ ومِنْ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [الطارق : ١] إلىٰ آخرِ القرآنِ ثلاثُ مئةِ

---

(١) في بعض النسخ : (أو غيره) .

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٤٧٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

آيةٍ ، هـٰكذا ذَكَرَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ[1] ، وإنْ أرادَ قَرَأَ هـٰذا القَدْرَ في أقلَّ مِنْ هـٰذا العددِ مِنَ الرَّكَعاتِ[2] ، وإنْ قرأَ مِنْ سورةِ (المُلْكِ) إلىٰ آخرِ القرآنِ ـ وهوَ ألفُ آيةٍ ـ فهوَ خيرٌ عظيمٌ كثيرٌ .

وإنْ لم يَحفَظِ القرآنَ يقرأُ في كلِّ ركعةٍ خمسَ مرَّاتٍ : (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، إلىٰ عشرِ مرَّاتٍ ، إلىٰ أكثرَ .

ولا يُؤَخِّرُ الوِتْرَ إلىٰ آخِرِ التهجُّدِ ، إلا أنْ يكونَ واثقاً مِنْ نَفْسِهِ في عادتِها الانتباهَ للتهجُّدِ ؛ فيكونُ تأخيرُ الوِتْرِ إلىٰ آخرِ التهجُّدِ حينئذٍ أفضلَ .

وقد كانَ بعضُ العلماءِ إذا أَوْتَرَ قبلَ النومِ ثمَّ قامَ يتهجَّدُ . . يُصلِّي ركعةً يشفعُ بها وِتْرَهُ ، ثمَّ يتنفَّلُ بما شاءَ ، ويُوتِرُ في آخرِ ذلكَ[3] .

وإذا كانَ الوِتْرُ مِنْ أوَّلِ الليلِ . . يُصلِّي بعدَ الوِتْرِ ركعتَينِ جالساً يقرأُ فيهما بـ(إذا زُلزِلَتْ) ، و(ألهاكُم) .

وقيلَ : إنَّ فعلَ الركعتَينِ قاعداً بمنزلةِ الركعةِ قائماً يشفعُ لهُ الوِتْرَ ؛ حتىٰ إذا أرادَ التهجُّدَ يأتي بهِ ويُوتِرُ في آخرِ تهجُّدِهِ ، ونيةُ هاتَينِ الركعتَينِ نيةُ النَّفْلِ لا غيرُ ذلكَ ؛ فكثيراً ما رأيتُ الناسَ يتفاوضونَ في كيفيَّةِ نيَّتِهِما .

وإنْ قرأَ في كلِّ ليلةٍ المُسبِّحاتِ ، وأضافَ إليها سورةَ (الأعلىٰ) فتصيرُ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٥٧) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ٥٧) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٥٩) ، وقال : (وقد رُوي في هـٰذا أثر عن عثمان وعلي رضي الله عنهما) .

سبعاً[١] . . فقد كانَ العلماءُ يقرؤونَ هـٰذهِ السُّوَرَ ويتعرَّفونَ بركتَها[٢] .

فإذا استيقظَ مِنَ النومِ فمِنْ أحسنِ الأدبِ عندَ الانتباهِ : أنْ يذهبَ بباطنِهِ إلى اللهِ تعالىٰ ، ويصرفَ فِكْرَهُ إلىٰ أمرِ اللهِ تعالىٰ قبلَ أنْ يجولَ الفكرُ في شيءٍ سوى اللهِ تعالىٰ[٣] ، ويُشغِلَ اللسانَ بالذِّكْرِ ؛ فالصادقُ كالطفلِ الكَلِفِ بالشيءِ[٤] ؛ إذا نامَ ينامُ علىٰ محبَّةِ الشيءِ ، وإذا انتبهَ يطلبُ ذلكَ الشيءَ الذي كانَ كَلِفاً بهِ .

وعلىٰ حَسَبِ هـٰذا الكَلَفِ والشُّغْلِ يكونُ الموتُ والقيامُ إلى الحشرِ .

فلْيَنظُرْ ولْيَعتَبِرْ عندَ انتباهِهِ مِنَ النومِ ما همُّهُ[٥] ؛ فإنَّهُ هـٰكذا يكونُ عندَ القيامِ مِنَ القبرِ ؛ إنْ كانَ همُّهُ اللهَ فهمُّهُ هوَ ، وإلا فهمُّهُ غيرُ اللهِ[٦] .

والعبدُ إذا انتبهَ مِنَ النومِ فباطنُهُ عائدٌ إلىٰ طهارةِ الفِطْرةِ ؛ فلا يَدَعُ الباطنَ يتغيَّرُ بغيرِ ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ ؛ حتىٰ لا يذهبَ عنهُ نورُ الفِطْرةِ الذي انتبهَ عليهِ ، ويكونَ فارّاً إلىٰ ربِّهِ بباطنِهِ خوفاً مِنْ ذِكْرِ الأغيارِ .

ومهما وَفَى الباطنُ بهـٰذا العِيارِ . . فقد نقَّىٰ طريقَ الأنوارِ ، وطُرُقَ

---

(١) والمُسبِّحات الستُّ هي : سورة (الإسراء) ، و(الحديد) ، و(الحشر) ، و(الصف) ، و(الجمعة) ، و(التغابن) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ٥٨) .

(٣) في النسخ ما عدا (أ ، هـ ، و ، ز) : (يحول) بدل (يجول) .

(٤) يُقال : كَلِفَ بالشيء كَلَفاً فهو كَلِفٌ : إذا أحبَّهُ وأُولِعَ به .

(٥) زاد في (د) : (من أمر دينه) .

(٦) أي : إن كان همُّهُ اللهَ كان عند القيام من القبر مع الله ، وإن كان همُّهُ مع غير الله كان عند القيام مع غير الله ، فافهمْ تَرشُدْ . من هامش (ح) .

النَّفَحَاتِ الإلـٰهيَّةِ[1] ، فجديرٌ أنْ تنصبَّ إليهِ أقسامُ الليلِ انصباباً ، ويصيرَ جَنابُ القُرْبِ لهُ مَوْئِلاً ومآباً !!

ويقولُ باللِّسانِ : (الحمدُ للهِ الذي أَحْيانا بعدَ ما أماتَنا وإليهِ النُّشُورُ) ، ويقرأُ العشرَ الأواخرَ مِنْ سورةِ (آلِ عِمْرانَ) .

ثمَّ يقصدُ الماءَ الطَّهُورَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ [الأنفال : ١١] ، وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد : ١٧] .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (الماءُ : القرآنُ ، والأوديةُ : القلوبُ ، فسالَتْ بقَدَرِها واحتملَتْ ما وَسِعَتْ)[2] .

والماءُ مُطهِّرٌ ، والقرآنُ مُطهِّرٌ ، والقرآنُ بالتطهيرِ أَجْدرُ ؛ فالماءُ يقومُ غيرُهُ مَقَامَهُ ، والقرآنُ والعِلْمُ لا يقومُ غيرُهُ مَقَامَهُ ولا يَسُدُّ مَسَدَّهُ .

فالماءُ الطَّهُورُ يُطهِّرُ الظاهرَ ، والقرآنُ والعِلْمُ يُطهِّرانِ الباطنَ ، ويُذْهِبانِ رِجْزَ الشيطانِ[3] .

فالنومُ غَفْلَةٌ ، وهوَ مِنْ آثارِ الطبعِ ، وجديرٌ أنْ يكونَ مِنْ رِجْزِ الشيطانِ ؛ لما فيهِ مِنَ الغَفْلَةِ عنِ اللهِ تعالىٰ !!

---

(١) في بعض النسخ : (وطرَّق للنفحات الإلـٰهية) ، ويجوز أن يُضبط المثبت : (وَطَرَقَ النفحاتِ الإلـٰهيةَ) .

(٢) سبق تخريجه في (١٦٩/١) .

(٣) في بعض النسخ هنا وفيما سيأتي في أكثر من موضع : (رجس) بدل (رجز) ، وكلاهما بمعنىً ؛ وهو الوسخ والقَذَر .

وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَ بقبضِ القَبْضةِ مِنَ الترابِ مِنْ وجهِ الأرضِ ، وكانتِ القَبْضةُ جلدةَ الأرضِ ، والجِلْدةُ ظاهرُها بَشَرَةٌ وباطنُها أَدَمَةٌ[1] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] .

فالبَشَرَةُ والبَشَرُ عبارةٌ عن ظاهرِهِ وصُورتِهِ ، والأَدَمَةُ عبارةٌ عن باطنِهِ وآدميَّتِهِ ، والآدميَّةُ مَجْمَعُ الأخلاقِ الحميدةِ ، وكانَ الترابُ مَوْطِئَ أقدامِ إبليسَ ، ومِنْ ذلكَ اكتسبَ ظُلْمةً ، وصارتْ تلكَ الظُّلْمةُ معجونةً في طِينةِ الآدميِّ ، ومنها الصفاتُ المذمومةُ والأخلاقُ الرديئةُ ، ومنها الغَفْلةُ والسهوُ .

فإذا استعملَ الماءَ وقَرَأَ القرآنَ . . فقد أتىٰ بالمُطهِّرَينِ جميعاً ، ويذهبُ عنهُ رِجْزُ الشيطانِ وأَثَرُ وَطْأَتِهِ ، ويُحكَمُ لهُ بالعلمِ ، والخروجِ مِنْ حَيِّزِ الجهلِ .

فاستعمالُ الطَّهُورِ أمرٌ شرعيٌّ لهُ تأثيرٌ في تنويرِ القلبِ بإزاءِ النومِ ؛ الذي هوَ الحكمُ الطَّبَعيُّ الذي لهُ تأثيرٌ في تكديرِ القلبِ ، فيذهبُ نورُ هـٰذا بظُلْمةِ ذلكَ .

ولهـٰذا رأىٰ بعضُ العلماءِ الوضوءَ ممَّا مَسَّتِ النارُ[2] ، وحَكَمَ أبو حنيفةَ

---

(١) الأَدَمَة : باطن الجلد الذي يلي اللحمَ ، وفلانٌ مُؤدَمٌ مُبشَرٌ ؛ أي : جَمَعَ لِينَ الأَدَمَةِ وخشونةَ البشرة ، ويُستخدم مجازاً لمن جمع لِيناً وشدَّةً مع المعرفة بالأمور .

(٢) اختلف العلماء في مسألة الوضوء مِنْ أكل المأكولات علىٰ ثلاثة مذاهبَ :

الأوَّل : أنَّهُ لا يجبُ الوضوءُ بأكل شيءٍ ، سواءٌ ما مسَّته النارُ ولحمُ الإبل وغيرُ ذلك ، وبه قال جمهور العلماء ، وهو مَحْكِيٌّ عن أبي بكر الصِّدِّيق وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وبه قال جمهور التابعين ومالك وأبو حنيفة ، وهو مذهب الإمام الشافعي . =

رضيَ اللهُ عنهُ بالوضوءِ مِنَ القهقهةِ في الصلاةِ حيثُ رآهُ حُكْماً طَبَعِيّاً جالباً للإثم ، والإثمُ رِجْزٌ مِنَ الشيطانِ ، والماءُ يُذهِبُ رِجزَ الشيطانِ[1] ؛ حتىٰ كانَ بعضُهُم يتوضَّأُ عندَ الغِيبةِ والكَذِبِ وعندَ الغضبِ ؛ لظهورِ النَّفْسِ ، وتصرُّفِ الشيطانِ في هـٰذهِ المواطنِ[2] .

ولو أنَّ المُتحفِّظَ المُراعِيَ المُراقِبَ المُحاسِبَ كلَّما انطلقَتِ النَّفْسُ في مُباحٍ ـ مِنْ كلامٍ ، أو مُساكَنةٍ إلىٰ مُخالَطةِ الناسِ ، أو غيرِ ذلكَ ممَّا هوَ بعَرَضِيَّةِ تحليلِ عَقْدِ العزيمةِ ؛ كالخوضِ فيما لا يَعْني قولاً وفعلاً ـ عَقَّبَ ذلكَ بتجديدِ الوضوءِ . . ثَبَتَ القلبُ علىٰ طهارتِهِ ونَزَاهتِهِ[3] ، ولَكَانَ الوضوءُ لصفاءِ البصيرةِ بمثابةِ الجَفْنِ الذي لا يزالُ بخِفَّةِ حركتِهِ يَجْلُو البَصَرَ ، وما يَعقِلُها إلا العالِمونَ .

فتفكَّرْ فيما نبَّهتُكَ عليهِ تَجِدْ بركتَهُ وأثَرَهُ .

ولوِ اغتسلَ عندَ هـٰذهِ المُتجدِّداتِ والعوارضِ والانتباهِ مِنَ النومِ . . كانَ

= الثاني : أنَّهُ يجب ممَّا مسَّته النارُ ، وهو قولُ عمرَ بن عبد العزيز والحسن البَصْري والزهري ، وحكاه ابن المنذر عن جماعة من الصحابة ؛ منهم : ابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة رضي الله عنهم .

الثالث : يجبُ الوضوءُ من أكل لحم الجَزُور خاصَّةً ، وهو قولُ الإمام أحمدَ ، وحكاه الماورديُّ عن جماعة من الصحابة ؛ منهم : زيد بن ثابت وابن عمر وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم ، وهو القول القديم للإمام الشافعي ، ورجَّحه الإمام النووي . انظر « المجموع » (٢/ ٦٦) .

(١) سبق تفصيل قول الحنفية في (٢/ ٧٠ـ ٧١) .

(٢) انظر « المجموع » (١/ ٤٩٧) ، و« حاشية ابن عابدين » (١/ ١٩٧ـ ١٩٨) .

(٣) قوله : (عقَّب) جوابُ (كلَّما) ، وقولُه : (ثَبَتَ) جواب (لو) ، ويجوز أن يُقرأ : (ثبَّت) ، ويكون (القلب) مفعولاً .

أَزْيدَ في تنويرِ قلبِهِ ، ولَكَانَ الأَجْدرُ أنَّ العبدَ يغتسلُ لكلِّ فريضةٍ ، باذلاً مجهودَهُ في الاستعدادِ لمُناجاةِ اللهِ تعالىٰ .

ويُجدِّدُ غَسْلَ الباطنِ بصِدْقِ الإنابةِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ [الروم : ٣١] ؛ قَدَّمَ الإنابةَ للدخولِ في الصلاةِ .

ولٰكنْ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ، وحُكْمِ الحَنِيفيَّةِ السَّهْلةِ السَّمْحةِ . . أنْ رَفَعَ الحَرَجَ[1] ، وعَوَّضَ بالوضوءِ عنِ الغُسْلِ ، وجوَّزَ أداءَ مُفترَضاتٍ بوضوءٍ واحدٍ ؛ رفعاً للحرجِ عن عامَّةِ الأُمَّةِ ، وللخواصِّ وأهلِ العزيمةِ مُطالَباتٌ مِنْ بواطنِهِم تَحكُمُ عليهِم بالأَوْلىٰ ، وتُلجِئُهُم إلىٰ سلوكِ طريقِ الأَعْلىٰ .

فإذا قامَ إلى الصلاةِ وأرادَ استفتاحَ التهجُّدِ . . يقولُ : (اللهُ أكبرُ كبيراً ، والحمدُ للهِ كثيراً ، وسبحانَ اللهِ بُكْرةً وأصيلاً) ، ويقولُ : (سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ . . .) الكلماتِ عَشْرَ مرَّاتٍ[2] .

ويقولُ : (اللهُ أكبرُ ذو المُلْكِ والمَلَكُوتِ ، والجَبَرُوتِ والكِبْرياءِ ، والعَظَمَةِ والجلالِ ، والقُدْرةِ[3] .

اللَّهُمَّ ؛ لكَ الحمدُ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ بهاءُ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ

---

(١) ويجوز أن تكون العبارة أيضاً : (ولٰكن رحمةُ . . . وحكمُ . . . رفعُ الحَرَج) ، وقد وُجدت كذلك في بعض النسخ .

(٢) قوله : (الكلمات) يعني : (ولا إلٰه إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العَلِيِّ العظيم) . من هامش (ح) ، وهو كذلك في « قوت القلوب » (١/ ١٠٤) دون ذكر الحوقلة .

(٣) زاد في (د) : (والكمال) .

الحمدُ أنتَ ربُّ السماواتِ والأرضِ ومَنْ فيهِنَّ ومَنْ عليهِنَّ ، أنتَ الحقُّ ، ومنكَ الحقُّ ، ووعدُكَ الحقُّ ، ولقاؤُكَ حقٌّ ، والجنَّةُ حقٌّ ، والنارُ حقٌّ ، والنبيُّونَ حقٌّ ، ومحمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حقٌّ .

اللَّهُمَّ ، لكَ أَسْلمتُ ، وبكَ آمنتُ ، وعليكَ توكَّلتُ ، وبكَ خاصمتُ ، وإليكَ حاكمتُ ؛ فاغْفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررتُ وما أَعْلنتُ ، وما أنتَ أعلمُ بهِ منِّي ؛ أنتَ المُقدِّمُ وأنتَ المُؤخِّرُ لا إلـٰهَ إلا أنتَ .

اللَّهُمَّ ؛ آتِ نَفْسي تَقْواها ، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاها ، أنتَ وَلِيُّها ومَوْلاها .

اللَّهُمَّ ؛ اهْدِني لأحسنِ الأخلاقِ ؛ لا يهدي لأَحْسنِها إلا أنتَ ، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها ؛ لا يَصرِفُ عنِّي سيِّئَها إلا أنتَ .

أسألُكَ مسألةَ البائسِ المسكينِ ، وأدعوكَ دعاءَ الفقيرِ الذليلِ ، فلا تَجْعَلْني بدعائِكَ ربِّ شَقِيّاً ، وكُنْ بي رَؤُوفاً رحيماً ، يا خيرَ المسؤولينَ ، ويا أَكْرمَ المُعطِينَ) .

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ تحيَّةَ الطهارةِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ بعدَ (الفاتحةِ) : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ . . . ﴾ الآيةَ [النساء : ٦٤]، وفي الثانية : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] ، ويستغفرُ بعدَ الركعتَينِ مرَّاتٍ .

ثمَّ يستفتحُ الصلاةَ بركعتَينِ خفيفتَينِ ؛ إنْ أرادَ يقرأُ فيهما بآيةِ الكُرْسيِّ و(آمنَ الرسولُ) ، وإنْ أرادَ قرأَ غيرَ ذلكَ ، ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ طويلتَينِ .

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يتهجَّدُ هٰكذا ، ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ طويلتَينِ أقصرَ مِنَ الأُولَيَينِ ، وهٰكذا يُدرِّجُ إلىٰ أنْ يُصلِّيَ اثنتَيْ عَشْرَةَ ركعةً[1] ، أو ثمانِ ركعاتٍ[2] ، أو يزيدُ علىٰ ذلكَ ؛ ففي كلِّ ذلكَ فضلٌ كبيرٌ[3] ، واللهُ أعلمُ .

❁ ❁ ❁

(١) إلىٰ هنا رواه مسلم (٧٦٥) عن سيدنا زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (١٩١/٧٦٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) في (أ ، و ، ز) : (كثير) ، وفي (د) : (عظيم) .

الباب الثامن والأربعون

في تقسيم قيام الليل

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٤] .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] : **كانَ عملُهُم قيامَ الليلِ**(١) .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ١٥٣] : **استعينوا بصلاةِ الليلِ علىٰ مُجاهَدةِ النَّفْسِ ومُصابَرةِ العدوِّ**(٢) .

وفي الخبرِ : « **عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ ٱللَّيْلِ ؛ فَإِنَّهُ مَرْضَاةٌ لِرَبِّكُمْ ، وَهُوَ دَأْبُ ٱلصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ ٱلْإِثْمِ ، وَمَلْغَاةٌ لِلْوِزْرِ ، وَمُذْهِبٌ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ ٱلْجَسَدِ** »(٣) .

وقد كانَ جمعٌ مِنَ الصالحينَ يقومونَ الليلَ كلَّهُ ؛ حتىٰ نُقِلَ ذلكَ عن

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (٢٠/ ١٨٠ـ ١٨٢) ، و« النكت والعيون » (٤/ ٣٦٣) ، و« قوت القلوب » (١/ ١٠٦) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٠٧) .

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ٥٠٢) عن سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه ، وابن خزيمة (١١٣٥) ، والحاكم (١/ ٣٠٨) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

أربعينَ مِنَ التابعينَ كانوا يُصلُّون الغَداةَ بوضوءِ العِشاءِ ؛ منهُم : سعيدُ بنُ المُسيِّبِ ، وفُضيلُ بنُ عياضٍ ، ووُهَيبُ بنُ الوردِ ، وأبو سليمانَ الدَّارانيُّ ، وعليُّ بنُ بكَّارٍ ، وحَبيبٌ العَجميُّ ، وكَهْمَسُ بنُ المِنْهالِ ، وأبو حازمٍ ، ومحمَّدُ بنُ المُنكدِرِ ، وغيرُهُم ؛ عدَّهُم وسمَّاهُم بأنسابِهِمُ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ في كتابِهِ « قوت القلوب »[1] .

فمَنْ عَجَزَ عن ذلكَ يُستحَبُّ لهُ قيامُ ثُلُثَيهِ أو ثُلُثِهِ ، وأقلُّ الاستحبابِ سُدُسُ الليلِ .

فإمَّا أنْ ينامَ ثُلُثَ الليلِ الأوَّلَ ويقومَ نصفَهُ وينامَ سُدُسَهُ الآخِرَ ، أو ينامَ النصفَ الأوَّلَ ويقومَ ثُلُثَهُ وينامَ السُّدُسَ .

رُوِيَ أنَّ داودَ عليهِ السلامُ قالَ : يا ربِّ ؛ إنِّي أُحِبُّ أنْ أتعبَّدَ لكَ ، فأيَّ وقتٍ أقومُ ؟ فأَوْحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا داودُ ؛ لا تَقُمْ أوَّلَ الليلِ ولا آخِرَهُ ؛ فإنَّهُ مَنْ قامَ أوَّلَهُ نامَ آخِرَهُ ، ومَنْ قامَ آخِرَهُ نامَ أوَّلَهُ ، ولـٰكن قُمْ وَسَطَ الليلِ ، حتىٰ تخلوَ بي وأخلوَ بكَ ، وارفعْ إليَّ حوائجَكَ[2] .

فيكونُ القيامُ بينَ النومتَينِ ، وإلا فيُغالِبُ النَّفْسَ مِنْ أوَّلِ الليلِ ويتنفَّلُ ، فإذا غلبَهُ النومُ ينامُ ، فإذا انتبهَ يتوضَّأُ ، فيكونُ لهُ قومتانِ ونومتانِ ، ويكونُ ذلكَ مِنْ أفضلِ ما يفعلُهُ .

---

(١) قوت القلوب (١/ ١١٣-١١٤) ، وزاد في (ي) بعد محمد بن المنكدر : أبا حنيفة ، وهو ليس في « القوت » المنقولِ الكلامُ منه وإن كان المشهورُ عنه ذلك رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وأرضاه ، كما رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٦١)، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥١٥) .

ولا يُصلِّي وعندَهُ نومٌ يشغلُهُ عنِ الصلاةِ والتلاوةِ حتىٰ يعقلَ ما يقولُ ، وقد وَرَدَ : « لَا تُكَابِدُوا ٱللَّيْلَ »[1] .

وقيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ فُلانةَ تُصلِّي مِنَ الليلِ ، فإذا غَلَبَها النومُ تعلَّقتْ بحبلٍ ، فنهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن ذلكَ وقالَ : « لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ مِنَ ٱللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ ، فَإِذَا غَلَبَهُ ٱلنَّوْمُ فَلْيَنَمْ »[2] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَا تُشَادُّوا هَـٰذَا ٱلدِّينَ ؛ فَإِنَّهُ مَتِينٌ ، فَمَنْ يُشَادُّهُ يَغْلِبْهُ ، وَلَا تُبَغِّضَنَّ إِلَىٰ نَفْسِكَ عِبَادَةَ ٱللهِ »[3] .

ولا يليقُ بالطالبِ ولا ينبغي لهُ أنْ يَطلُعَ الفجرُ وهوَ نائمٌ ، إلا أنْ يكونَ سَبَقَ لهُ في الليلِ قيامٌ طويلٌ ، فيُعذَرُ في ذلكَ ؛ علىٰ أنَّهُ إذا استيقظَ قبلَ الفجرِ بساعةٍ معَ قيامٍ قليلٍ سَبَقَ في الليلِ . . يكونُ أفضلَ مِنْ قيامٍ طويلٍ ، ثمَّ النومِ إلىٰ بعدَ طلوعِ الفجرِ .

فإذا استيقظَ قبلَ طُلُوعِ الفجرِ . . يُكثِرُ الاستغفارَ والتسبيحَ ، ويغتنمُ تلكَ

---

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (٧٤٦٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعزاه العراقي في « المغني » (١٢٢٧) إلىٰ « جامع سفيان الثوري » موقوفاً علىٰ سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه البخاري (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفلانة : هي سيدتنا أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها .

(٣) هو مُركَّب من حديثين : **الأوّل** : رواه البخاري (٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبَهُ . . . » ، **والثاني** : رواه البزار كما في « كشف الأستار » (٧٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ١٨) ، وأبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٢٢٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ : « إنَّ هـٰذا الدِّينَ مَتينٌ ، فأَوْغِلْ فيهِ برِفْقٍ ، ولا تُبغِّضْ إلىٰ نَفسِكَ عبادةَ اللهِ . . . » .

الساعةَ ، وكلَّما يُصلِّي بالليلِ يجلسُ قليلاً بعدَ كلِّ ركعتَينِ ، ويُسبِّحُ ويستغفرُ ويُصلِّي علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ يجدُ بذلكَ ترويحاً وقوَّةً على القيامِ .

وقد كانَ بعضُ الصالحينَ يقولُ : (هيَ أوَّلُ نَوْمةٍ ، فإنِ انتبهتُ ثمَّ عُدْتُ إلىٰ نَوْمةٍ أُخرىٰ . . فلا أنامَ اللهُ عيني)[1] .

وحكىٰ لي بعضُ الفقراءِ عن شيخٍ لهُ : أنَّهُ كانَ يأمرُ الأصحابَ بنَوْمةٍ واحدةٍ بالليل ، وأَكْلةٍ واحدةٍ لليومِ والليلةِ .

وقد جاءَ في الخبرِ : « قُمْ مِنَ ٱللَّيْلِ وَلَوْ قَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ »[2] ، وقيلَ : يكونُ ذلكَ قَدْرَ أربعِ رَكَعاتٍ ، وقيلَ : قَدْرَ ركعتَينِ[3] .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] : هوَ قيامُ الليلِ[4] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١١٨) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٦٠) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤١١٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٢٦٧٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : فذكرتُ صلاة الليل ، فقال بعضُهُم : إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « نصفَهُ ، ثُلُثَهُ ، رُبُعَهُ ، فُواقَ حَلْبِ ناقةٍ ، فُواقَ حَلْبِ شاةٍ » ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٠٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٢٧١) مرسلاً عن إياس بن معاوية المزني رحمه الله تعالىٰ ، وأحمد في « الزهد » (١٧٦٦) من كلام محمد بن سيرين رحمه الله تعالىٰ ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣٩٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٤٦) من كلام الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٢٠) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٨/ ٢٠٩) عن بعض زُهَّاد اليمن .

وَمَنْ حُرِمَ قيامَ الليلِ كَسَلاً وفُتُوراً في العزيمةِ ، أو تهاوناً بهِ لقِلَّةِ الاعتدادِ بذلكَ ، أوِ اغتراراً بحالِهِ . . فليَبْكِ عليهِ ؛ فقد قُطِعَ عليهِ طريقٌ كبيرٌ مِنَ الخيرِ[1] .

وقد يكونُ مِنْ أربابِ الأحوالِ مَنْ يكونُ لهُ إيواءٌ إلى القُرْبِ ، ويجدُ مِنْ دَعَةِ القُرْبِ ما يُفتِّرُ عليهِ داعيةَ الشوقِ[2] ، ويرىٰ أنَّ القيامَ وقوفٌ في مقامِ الشوقِ ، وهٰذا يَغلَطُ فيهِ ويَهلِكُ بهِ خلقٌ كثيرٌ مِنَ المُدَّعِينَ ، والذي لهُ ذلكَ ينبغي أنْ يعلمَ أنَّ استمرارَ هٰذهِ الحالةِ مُتعذِّرٌ ، والإنسانَ مُتعرِّضٌ للقُصُورِ والتخلُّفِ والشُّبْهةِ ، ولا حالةَ أجلُّ مِنْ حالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ وما استغنىٰ عن قيامِ الليلِ ، وقامَ حتىٰ تورَّمتْ قَدَماهُ[3] .

وقد يقولُ بعضُ مَنْ يُحاجُّ في ذلكَ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَعَلَ ذلكَ تشريعاً .

فنقولُ : ما بالُنا لا نتَّبِعُ تشريعَهُ ، وهٰذهِ دقيقةٌ .

فليُعلَمْ : أنَّ رُؤْيةَ الفضيلةِ في تركِ القيامِ ، وادِّعاءَ الإيواءِ إلىٰ جَنابِ القُرْبِ ، واستواءِ النومِ واليَقَظةِ . . امتلاءٌ وابتلاءٌ حاليٌّ[4] ، وتَقَيُّدٌ بالحالِ ، وتحكيمٌ للحالِ ، وتحكُّمٌ مِنَ الحالِ في العبدِ .

والأقوياءُ لا يتحكَّمُ فيهِمُ الحالُ ، ويَصرِفُونَ الحالَ في صُوَرِ الأعمالِ ،

---

(١) في (ب ، ح ، ز) : (كثير) بدل (كبير) .

(٢) الدَّعَة : الراحة وخَفْضُ العيش .

(٣) رواه البخاري (٤٨٣٦) ، ومسلم (٢٨١٩) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(٤) في (أ) : (حال) .

فهُم مُتصرِّفونَ في الحالِ ، لا الحالُ مُتصرِّفٌ فيهم ، فليُعلَمْ ذلكَ ؛ فإنَّا رَأَيْنا مِنَ الأَصِحَّاءِ مَنْ كانَ في ذلكَ ، ثمَّ انكشفَ لنا بتأييدِ اللهِ تعالىٰ أنَّ ذلكَ وُقُوفٌ وقُصُورٌ .

قالَ رجلٌ للحسنِ : يا أبا سعيدٍ ؛ إنِّي أَبِيتُ مُعافىً ، وأُحِبُّ قيامَ الليلِ ، وأُعِدُّ طَهُوري ، فما بالي لا أقومُ ؟ قالَ : ذنوبُكَ قيَّدَتْكَ[1] .

فليحذَرِ العبدُ في نهارِهِ ذنوباً تُقيِّدُهُ في ليلِهِ .

وقالَ الثَّوْريُّ رحمَهُ اللهُ : حُرِمْتُ قيامَ الليلِ سبعةَ أشهرٍ بذنبٍ أذنبتُهُ ، فقيلَ لهُ : ما كانَ الذنبُ ؟ قالَ : رأيتُ رجلاً يبكي ، فقلتُ في نفسي : هاذا مُراءٍ[2] .

وقالَ بعضُهُم : دخلتُ علىٰ كُرْزِ بنِ وَبْرَةَ وهوَ يبكي ، فقلتُ لهُ : ما بالُكَ ؛ أتاكَ نَعْيُ بعضِ أهلِكَ ؟ فقالَ : أَشَدُّ ، فقلتُ : وجعٌ يُؤلِمُكَ ؟ قالَ : أَشَدُّ ، قلتُ : فما ذاكَ ؟ قالَ : بابي مُغلَقٌ ، وسِتْري مُسبَلٌ ، ولم أَقْرَأْ حِزْبي البارحةَ ، وما ذاكَ إلا بذنبٍ أَحْدثتُهُ[3] .

وقالَ بعضُهُمُ : (الاحتلامُ عقوبةٌ)[4] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٢٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٥٥٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٧) ، وفيه : (خمسة أشهر) بدل (سبعة أشهر) ، وليس فيه ذكر السؤال والجواب ، وأورده تاماً أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٢١) ، وفي بعض النسخ : (بكَّاء) بدل (يبكي) ، وفي بعضها : (بكىٰ) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٧٩) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦٦) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

وهٰذا صحيحٌ ؛ لأنَّ المُراعِيَ المُتحفِّظَ بحُسْنِ تحفُّظِهِ وعِلْمِهِ بحالِهِ يقدرُ ويتمكَّنُ مِنْ سَدِّ بابِ الاحتلامِ ، ولا يتطرَّقُ الاحتلامُ إلا علىٰ جاهلٍ بحالِهِ ، أو مُهمِلٍ حُكْمَ وقتِهِ وأدبَ حالِهِ .

ومَنْ كَمَلَ تحفُّظُهُ ورعايتُهُ ، وقيامُهُ بأدبِ حالِهِ . . قد يكونُ مِنْ ذنبِهِ المُوجِبِ للاحتلامِ وضعُ الرأسِ على الوِسادةِ إذا كانَ ذا عزيمةٍ في تَرْكِ الوِسادةِ ؛ فقد يتمهَّدُ للنومِ ووَضْعِ الرأسِ على الوِسادةِ بحُسْنِ النيَّةِ . . مَنْ لا يكونُ ذلكَ ذنبَهُ ، ولهُ فيهِ نيَّةٌ للعونِ على القيامِ ، وقد يكونُ ذلكَ ذنباً بالنسبةِ إلىٰ بعضِ الناسِ .

فإذا كانَ هٰذا القَدْرُ يصلُحُ أنْ يكونَ ذنباً جالباً للاحتلامِ . . فقِسْ علىٰ هٰذا ذنوبَ الأحوالِ ؛ فإنَّها تختصُّ بأربابِها ، ويعرفُها أصحابُها .

وقد يترفَّقُ بأنواعِ الرِّفْقِ مِنَ الفِراشِ الوَطِيءِ والوِسادةِ ولا يُعاقَبُ بالاحتلامِ وغيرِهِ علىٰ فعلِهِ ؛ إذا كانَ عالماً ذا نيَّةٍ يعرفُ مداخلَ الأمورِ ومخارجَها ، وكم مِنْ نائمٍ سَبَقَ القائمَ !! لوفورِ عِلْمِهِ وحُسْنِ نيَّتِهِ .

وفي الخبرِ : « إِذَا نَامَ ٱلْعَبْدُ عَقَدَ ٱلشَّيْطَانُ عَلَىٰ رَأْسِهِ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، فَإِنْ قَعَدَ[1] وَذَكَرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ أُخْرَىٰ ، وَإِنْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ٱنْحَلَّتِ ٱلْعُقَدُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ ٱلنَّفْسِ كَسْلَانَ »[2] .

---

(١) في (د) : (فإن انتبه وقعد) .

(٢) رواه البخاري (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي خبرٍ آخرَ : « إِنْ نَامَ حَتَّىٰ يُصْبِحَ بَالَ ٱلشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ »[1] .

والذي يُخِلُّ بقيامِ الليلِ : كثرةُ الاهتمامِ بأمورِ الدنيا ، وكثرةُ أشغالِ الدنيا ، وإتعابُ الجوارحِ ، والامتلاءُ مِنَ الطعامِ ، وكثرةُ الحديثِ ، واللَّغْوُ[2] ، واللَّغطُ ، وإهمالُ القَيْلُولةِ ، والمُوفَّقُ مَنْ يغتنمُ وقتَهُ ، ويعرفُ داءَهُ ودواءَهُ ، ولا يُهمِلُ فيُهمَلُ ، واللهُ المُوفِّقُ[3] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري (١١٤٤) ، ومسلم (٧٧٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ذُكِرَ عند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم رجلٌ ؛ فقيل : ما زال نائماً حتىٰ أصبح ، ما قام إلى الصلاة ، فقال : « بالَ الشيطانُ في أُذُنِهِ » .

(٢) في (ج ، د) : (واللهو) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ قراءةً) ، وفيه : (بلغ مقابلةً) .

الباب التاسع والأربعون

في استقبال النهار والأدب فيه

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود : ١١٤] ؛ أَجْمعَ المُفسِّرونَ علىٰ أنَّ أحدَ الطَّرَفينِ أرادَ بهِ الفجرَ ، وأَمرَ بصلاةِ الفجرِ (١) .

واختلفُوا في الطَّرَفِ الآخرِ ؛ قالَ قومٌ : أرادَ المغربَ ، وقالَ آخرونَ : صلاةَ العشاءِ ، وقالَ قومٌ : صلاةُ الفجرِ والظهرِ طَرَفٌ ، وصلاةُ العصرِ والمغربِ طَرَفٌ ، و﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ صلاةُ العِشاءِ (٢) .

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ أَخْبرَ عن عظيمِ بركةِ الصلاةِ وشَرَفِ فائدتِها وثَمَرتِها ؛ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ؛ أي : الصلواتِ الخَمْسَ يُذْهِبْنَ الخَطيئاتِ .

ورُوِيَ أنَّ أبا اليَسَرِ كعبَ بنَ عمرٍو الأنصاريَّ كانَ يبيعُ التمرَ ، فأَتَتْهُ امرأةٌ تبتاعُ تمراً ، فقالَ لها : إنَّ هـٰذا التمرَ ليسَ بجَيِّدٍ وفي البيتِ أجودُ منهُ ، فهل لكِ فيهِ رغبةٌ ؟ قالتْ : نَعَمْ ، فذَهَبَ بها إلىٰ بيتِهِ ، فضمَّها إلىٰ نَفْسِهِ

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٥/ ٥٠٢) ، و« النكت والعيون » (٢/ ٥٠٨) .

(٢) وقيل في القول الثاني والثالث غير ذلك . انظر « تفسير الطبري » (١٥/ ٥٠٢ـ٥٠٥) ، و« النكت والعيون » (٢/ ٥٠٨) ، و« تفسير القرطبي » (٩/ ١٠٩) .

وقبّلَها ، فقالتْ لهُ : اتَّقِ اللهَ ، فتَرَكَها ونَدِمَ .

ثمَّ أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في رجلٍ راودَ امرأةً عن نَفْسِها ، ولم يَبْقَ شيءٌ ممَّا يفعلُ الرجالُ بالنساءِ إلا رَكِبَهُ ، غيرَ أنَّهُ لم يُجامِعْها ؟

فقالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : لقد سَتَرَ اللهُ عليكَ ، لو سَتَرْتَ علىٰ نَفْسِكَ ، ولم يَرُدَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليهِ شيئاً ، وقالَ : « أَنتَظِرُ أَمْرَ رَبِّي » .

وحَضَرَتْ صلاةُ العصرِ ، وصلَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ العصرَ ، فلمَّا فَرَغَ أتاهُ جبريلُ بهـٰذهِ الآيةِ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيْنَ أَبُو ٱلْيَسَرِ ؟ » ، فقالَ : هـٰأنا ذا يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « شَهِدْتَ مَعَنَا هَـٰذِهِ ٱلصَّلَاةَ ؟ » ، قالَ : نعم ، قالَ : « ٱذْهَبْ ؛ فَإِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَا عَمِلْتَ » ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ هـٰذا لهُ خاصَّةً أو لنا عامَّةً ؟ فقالَ : « بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً »[1] .

فيستعدُّ العبدُ لصلاةِ الفجرِ باستكمالِ الطهارةِ قبلَ طلوعِ الفجرِ ، ويستقبلُ الفجرَ بتجديدِ الشهادةِ كما ذَكَرْنا في أوّلِ الليلِ ، ثمَّ يُؤذِّنُ إنْ لم يكنْ أجابَ المُؤذِّنَ ، ثمَّ يُصلِّي ركعتَي الفجرِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ بعدَ (الفاتحةِ) :

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣١١٥) ، والبزار في « المسند » (٢٣٠٠) عن سيدنا أبي اليَسَر رضي الله عنه ، والقصة مختصرة في « البخاري » (٤٦٨٧) ، و« مسلم » (٢٧٦٣) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه دون تعيين اسم الرجل ، وأورده بلفظه الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٤/ ٤٦٧ـ ٤٦٨) .

(قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، وفي الثانيةِ : (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) .

وإنْ أرادَ قرَأَ في الأُولىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ . . . ﴾ الآيَةَ في سورةِ (البقرةِ) [الآية : ١٣٦] ، وفي الأُخرىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ . . . ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

ثمَّ يستغفرُ اللهَ ، ويُسبِّحُ اللهَ تعالىٰ بما يتيسَّرُ لهُ مِنَ العددِ ، وإنِ اختصرَ علىٰ كلمةِ (أستغفرُ اللهَ لذَنْبي ، سُبْحانَ اللهِ بحمدِ ربِّي) . . أتىٰ بالمقصودِ مِنَ الاستغفارِ والتسبيحِ .

ثمَّ يقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ رحمةً مِنْ عندِكَ تَهْدي بها قَلْبي ، وتجمعُ بها شَمْلي ، وتَلُمُّ بها شَعَثي[1] ، وتَرُدُّ بها أُلْفتِي ، وتُصلِحُ بها دِيني ، وتحفظُ بها غائبي ، وترفعُ بها شاهدي[2] ، وتُزكِّي بها عَمَلي ، وتُبيِّضُ بها وَجْهي ، وتُلْهِمُني بها رُشْدي[3] ، وتَعصِمُني بها مِنْ كلِّ سوءٍ .

اللَّهُمَّ ؛ أَعْطِني إيماناً صادقاً[4] ، ويقيناً ليسَ بعدَهُ كفرٌ ، ورحمةً أنالُ بها شَرَفَ كرامتِكَ في الدنيا والآخرةِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ الفوزَ عندَ القضاءِ ، ومنازلَ الشُّهَداءِ ، وعَيْشَ السُّعَداءِ ، والنَّصْرَ على الأعداءِ ، ومُرافَقَةَ الأنبياءِ .

---

(١) تَلُمُّ : تجمع ، وشَعَثي : ما تفرَّق من أمري .

(٢) أي : ظاهري ؛ بالعمل الصالح والخِلال الحميدة .

(٣) في بعض النسخ : (وتلقنني) بدل (وتلهمني) .

(٤) زاد في (د) : (يباشر قلبي) .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أُنزِلُ بكَ حاجتي ، وإنْ قَصَرَ رَأْيي[١] ، وضَعُفَ عَمَلي ، وافتقرتُ إلىٰ رَحْمتِكَ ، فأسألُكَ يا قاضيَ الأُمُورِ ، ويا شافيَ الصُّدُورِ ، كما تُجيرُ بَيْنَ البُحُورِ[٢] ؛ أن تُجِيرَني مِنْ عذابِ السعيرِ ، ومِنْ دعوةِ الثُّبُورِ[٣] ، ومِنْ فتنةِ القبورِ .

اللَّهُمَّ ؛ ما قَصَرَ عنهُ رَأْيي[٤] ، وضَعُفَ فيهِ عَمَلي ، ولم تَبْلُغْهُ نيَّتي وأُمْنيَّتي ؛ مِنْ خيرٍ وعدتَهُ أحداً مِنْ عبادِكَ ، أو خيرٍ أنتَ مُعطِيهِ أحداً مِنْ خلقِكَ . . فأنا أرغبُ إليكَ فيهِ ، وأسألُكَهُ يا ربَّ العالَمِينَ[٥] .

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْنا هادينَ مَهْدِيِّينَ ، غيرَ ضالِّينَ ولا مُضِلِّينَ[٦] ، حَرْباً لأعدائِكَ ، وسِلْماً لأوليائِكَ ، نُحِبُّ بحُبِّكَ الناسَ ، ونُعادي بعداوتِكَ مَنْ خالفَكَ مِنْ خَلْقِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ هٰذا الدعاءُ ومنكَ الإجابةُ ، وهٰذا الجُهْدُ وعليكَ التُّكْلانُ[٧] ، وإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ[٨] ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ ، ذي الحَبْلِ الشديدِ[٩] ، والأمرِ الرشيدِ ، أسألُكَ الأمنَ يومَ الوعيدِ ، والجنةَ يومَ

---

(١) ويجوز أن يُقرأ أيضاً : (قَصَّرَ) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٥/ ٦٣) .

(٢) كتب علىٰ هامش (د) دون إشارة : (تحجز) بدل (تجير) .

(٣) دعوة الثُّبور : النداء بالهلاك والخسران .

(٤) ويضبط أيضاً : (قصَّر) بالتشديد .

(٥) زاد في بعض النسخ : (ويا أرحم الراحمين) .

(٦) في (ح) : (غير مغضوب عليهم ولا ضالين ومضلين) بدل (غير ضالين ولا مضلين) .

(٧) الجُهْد : الوُسْع والطاقة ، والتُّكْلان : الاعتماد .

(٨) قوله : (وإنا لله . . .) زيادة من (أ ، ج) ونسخة علىٰ هامش (د) ، ولم أجدها فيما وقفت عليه من المصادر الحديثية ، وهي في « القوت » (١/ ١٣) .

(٩) قال الزَّبيدي في « الإتحاف » (٥/ ٦٤) : (هكذا في نسخ الكتاب ؛ علىٰ أنَّهُ بدلٌ من=

الخلودِ[1] ، معَ المُقرَّبينَ الشُّهُودِ ، والرُّكَّعِ السُّجُودِ ، والمُوفِينَ بالعُهُودِ ؛ إنَّكَ رحيمٌ وَدُودٌ ، وأنتَ تفعلُ ما تُرِيدُ .

سُبْحانَ مَنْ تعطَّفَ بالعِزِّ وقالَ بهِ ، سُبْحانَ مَنْ لَبِسَ المَجْدَ وتكرَّمَ بهِ ، سُبْحانَ الذي لا ينبغي التسبيحُ إلا لهُ ، سُبْحانَ ذي الفضلِ والنِّعَمِ ، سُبْحانَ ذي الجُودِ والكَرَمِ ، سُبْحانَ الذي أَحْصىٰ كلَّ شيءٍ بعِلْمِهِ .

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ لي نُوراً في قَلْبي ، ونُوراً في قبري ، ونُوراً في سَمْعي ، ونُوراً في بَصَري ، ونُوراً في شَعَري ، ونُوراً في بَشَري ، ونُوراً في لَحْمي ، ونُوراً في دمي ، ونُوراً في مُخِّي ، ونُوراً في عِظامي ، ونُوراً مِنْ بينِ يَدَيَّ ، ونُوراً مِنْ خَلْفي ، ونُوراً عن يميني ، ونُوراً عن شمالي ، ونُوراً مِنْ فوقي ، ونُوراً مِنْ تحتي ؛ اللَّهُمَّ ؛ زِدْني نُوراً ، وأَعْطِني نُوراً[2] ، واْجْعَلْ لي نُوراً) .

ولهٰذا الدعاءِ أَثَرٌ كثيرٌ[3] ، وما رأيتُ أَحَداً حافظَ عليهِ إلا وعندَهُ خيرٌ

= اسم الله عزَّ وجلَّ ، وفي « القوت » : « ذا الحبل » ؛ علىٰ تقدير « يا ذا الحبل » ، والروايةُ المشهورة بعد قوله : « رب العالمين » : « اللهمَّ يا ذا الحبل الشديد » ، واختلفوا في ضبط هٰذا اللفظ ؛ فقال ابن الأثير : يرويه المُحدِّثون بموحدة ، والمراد : القرآن أو الدِّين أو السبب ؛ ومنه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؛ ووصفه بالشِّدَّة ؛ لأنَّها من صفات الحبال ، والشِّدَّةُ في الدِّين الثباتُ والاستقامة ، وصوَّب الأزهريُّ كونَهُ بالياء التحتيَّة ؛ وهي القوَّة ، واقتصر عليه الزمخشريُّ جازماً ؛ حيثُ قال : الحيل : هو الحول ؛ أبدل الواو ياء . . .) ، وفي (ج ، و) : (الحَيْل) .

(١) في (أ ، هـ ، ح) : (دار) بدل (يوم) ، وفي (ي) : (ودار الخلود) بدل (والجنة يوم الخلود) .

(٢) في « الدعاء » للطبراني وغيره : (وأَعْظِمْ لي) بدل (وأعطني) .

(٣) في (هـ) : (كبير) .

ظاهرٌ وبركةٌ ، وهوَ مِنْ وصيّةِ الصادقينَ بعضِهم بعضاً بحِفْظِهِ والمُحافظةِ عليهِ ، منقولٌ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يقرؤُهُ بينَ الفريضةِ والسُّنَّةِ مِنْ صلاةِ الفجرِ ، ثمَّ يَقصِدُ المسجدَ للصلاةِ في الجماعةِ[١] .

ويقولُ عندَ خروجِهِ مِنْ منزلِهِ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

ويقولُ في الطريقِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ بحَقِّ السائلينَ عليكَ ، وبحقِّ مَمْشايَ هـٰذا إليكَ ، لم أَخْرُجْ أَشَراً ولا بَطَراً[٢] ، ولا رِياءً ولا سُمْعَةً ؛ خرجتُ اتِّقاءَ سَخَطِكَ وابتغاءَ مَرْضاتِكَ ؛ أسألُكَ أنْ تُنقِذَني مِنَ النارِ ، وأنْ تغفرَ لي ذُنُوبي ؛ إنَّهُ لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ) .

روىٰ أبو سعيدٍ الخُدْريُّ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ قَالَ ذَٰلِكَ إِذَا خَرَجَ إِلَى ٱلصَّلَاةِ . . وَكَّلَ ٱللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَأَقْبَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّىٰ يَقْضِيَ صَلَاتَهُ »[٣] .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٣٤٣ـ٣٤٤) ، و« الدعاء » (٤٨٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٠٩ـ٢١٠) ، والبيهقي في « الدعاء الكبير » (٦٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو في « سنن الترمذي » (٣٤١٩) أنه قاله حين الفراغ من صلاته دون تقييد بكونه بعد سنة الفجر ، والظاهر من قول المؤلف : (ولهـٰذا الدعاء) : أنَّ الإشارة لجميع الدعاء السابق ، والذي يبدأ من عند قوله : (اللهم ؛ صلِّ علىٰ محمد) ، وجعل الغماري في « الغنية » (٢/ ٦٧٠) الإشارة للمقطع الأخير فقط ؛ وهو قوله : (اللهم ؛ اجعل لي نوراً) ، فعزاه إلى البخاري (٦٣١٦) ، ومسلم (٧٦٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) الأَشَر : كفر النعمة ، والبَطَر : كالأَشَر وزناً ومعنىً .

(٣) رواه ابن ماجه (٧٧٨) ، وأحمد (٣/ ٢١) ، والطبراني في « الدعاء » (٤٢١) ، =

وإذا دَخَلَ المسجدَ ، أو دَخَلَ سَجَّادتَهُ للصلاةِ . . يقولُ : (بسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرحيمِ[1] ، والحمدُ للهِ ، والصَّلاةُ والسلامُ علىٰ رسولِ اللهِ ، اللَّهُمَّ ؛ اغْفِرْ لي ذُنُوبي ، وافتَحْ لي أبوابَ رحمتِكَ) .

ويُقدِّمُ رِجْلَهُ اليُمْنىٰ في الدخولِ ، واليُسْرىٰ في الخروجِ مِنَ المسجدِ والسَّجَّادةِ ؛ فسَجَّادةُ الصُّوفيِّ بمنزلةِ البيتِ والمسجدِ .

ثمَّ يُصلِّي صلاةَ الصُّبْحِ في جماعةٍ ، فإذا سلَّمَ يقولُ : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ ، يُحيي ويُمِيتُ وهوَ حيٌّ لا يموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ .

لا إلـٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وعدَهُ ، ونَصَرَ عبدَهُ[2] ، وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَهُ[3] .

لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، أهلُ النِّعمةِ والفَضْلِ والثناءِ الحَسَنِ ، لا إلـٰهَ إلا اللهُ ولا نعبدُ إلا إيَّاهُ ، مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ ولو كَرِهَ الكافرونَ) .

ويقرأُ : (هوَ اللهُ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ الرَّحمـٰنُ الرحيمُ . . .) التسعةَ والتسعينَ اسماً إلىٰ آخِرِها .

فإذا فَرَغَ منها يقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ عبدِكَ ونبيِّكَ ورسولِكَ النبيِّ الأُمِّيِّ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، صلاةً تكونُ لك رِضاءً ، ولحَقِّهِ أداءً ، وأَعْطِهِ

= وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٨٤) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٩٨١٢) موقوفاً .

(١) قوله : (الرحمـٰن الرحيم) زيادة من (د) .

(٢) زاد في (ط) : (وأعزَّ جنده) .

(٣) زاد في (ي) : (وأَعَزَّ جندَه ، فلا شيء بعده) .

الوسيلةَ والفضيلةَ والمَقامَ المحمودَ الذي وعدتَهُ ، واجْزِهِ عنَّا ما هوَ أهلُهُ ، واجْزِهِ عنَّا أفضلَ ما جَزَيتَ نبياً عن أُمَّتِهِ ، وصلِّ علىٰ جميعِ إخوانِهِ مِنَ النبيِّينَ والصِّدِّيقينَ ، والشُّهَداءِ والصالحينَ .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ في الأوَّلِينَ ، وصلِّ علىٰ محمَّدٍ في الآخِرينَ ، وصلِّ علىٰ محمَّدٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ رُوحِ محمَّدٍ في الأَرْواحِ ، وصلِّ علىٰ جَسَدِ محمَّدٍ في الأَجْسادِ ، واجْعَلْ شرائفَ صلواتِكَ ونَوَامِيَ بركاتِكَ ، ورَأْفَتَكَ ورحمتَكَ وتحيَّتَكَ ورِضْوانَكَ . . علىٰ محمَّدٍ عبدِكَ ونبيِّكَ ورسولِكَ .

اللَّهُمَّ ، أنتَ السلامُ ، ومنكَ السلامُ ، وإليكَ يعودُ السلامُ ؛ فحَيِّنا ربَّنا بالسلامِ ، وأَدْخِلْنا دارَ السلامِ ، تباركْتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أصبحتُ لا أستطيعُ دَفْعَ ما أكرهُ ، ولا أَمْلِكُ نَفْعَ ما أرجو ، وأصبحَ الأمرُ بيدِ غيري ، وأصبحتُ مُرتَهِناً بعَمَلي ؛ فلا فقيرَ أفقرُ منِّي .

اللَّهُمَّ ؛ لا تُشْمِتْ بي عَدُوِّي ، ولا تَسُؤْ بي صديقي ، ولا تجعلْ مُصيبتي في دِيني ، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّي ، ولا مَبْلَغَ عِلْمي ، ولا تُسلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يَرْحَمُني .

اللَّهُمَّ ؛ هـٰذا خَلْقٌ جديدٌ[1] ؛ فافْتَحْهُ عَلَيَّ بطاعتِكَ ، واخْتِمْهُ لي بمغفرتِكَ ورِضْوانِكَ ، وارْزُقْني فيهِ حسنةً تقبلُها منِّي ، وزكِّها وضَعِّفْها لي ، وما عَمِلْتُ فيهِ مِنْ سيِّئةٍ فاغْفِرْها لي ؛ إنَّكَ غفورٌ رحيمٌ وَدُودٌ كريمٌ .

---

(١) أي : هـٰذا الوقت ؛ وهو الصباح . من هامش (ح) .

رَضِيتُ باللهِ ربّاً ، وبالإسلامِ دِيناً ، وبمحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نبيّاً .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ خيرَ هـٰذا اليومِ وخيرَ ما فيهِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّهِ وشرِّ ما فيهِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ طوارقِ الليلِ والنهارِ ، ومِنْ بَغَتاتِ الأمورِ وفُجاءةِ الأقدارِ ، ومِنْ شرِّ كلِّ طارقٍ يَطرُقُ ، إلا طارقاً يَطرُقُ منكَ بخيرٍ يا رحمـٰنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهُما ، وأعوذُ بكَ أنْ أَزِلَّ أو أُزَلَّ ، أو أَذِلَّ أو أُذَلَّ ، أو أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَظلِمَ أو أُظلَمَ ، أو أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ ، عزَّ جارُكَ ، وجَلَّ ثناؤُكَ ، وتقدَّسَتْ أسماؤُكَ ، وعَظُمَتْ نَعْماؤُكَ .

أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها ، وما ينزلُ مِنَ السماءِ وما يَعرُجُ فيها ، أعوذُ بكَ مِنْ حِدَّةِ الحِرْصِ ، وشِدَّةِ الطَّمَعِ ، وسَوْرَةِ الغَضَبِ[1] ، وسِنَةِ الغَفْلةِ ، وتَعاطي الكُلْفةِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ مُباهاةِ المُكثِرينَ ، والإزراءِ على المُقلِّينَ ، وأنْ أنصُرَ ظالماً ، أو أَخذُلَ مظلوماً ، وأنْ أقولَ في العِلْمِ بغيرِ علمٍ ، أو أَعْمَلَ في الدِّين بغيرِ يقينٍ .

أعوذُ بكَ أنْ أُشرِكَ بكَ وأنا أعلمُ ، وأستغفرُكَ لِمَا لا أعلمُ ، أعوذُ بعفوِكَ مِنْ عقابِكَ ، وأعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وأعوذُ بكَ منكَ ، لا أُحصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أَثْنيتَ على نَفْسِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ أنتَ ربِّي لا إلـٰهَ إلا أنتَ ، خلقتَني وأنا عبدُكَ وابنُ عبدِكَ[2] ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما استطعتُ ، أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ

---

(١) السَّوْرة : الحِدَّة والوثوب .

(٢) في بعض النسخ : (وابن عبديك) .

بنعمتِكَ عَلَيَّ ، وأبوءُ بذَنْبي فاغْفِرْ لي ذنوبي جميعاً ؛ فإنَّهُ لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ .

اللَّهُمَّ ؛ اجعلْ أوَّلَ يومِنا هـٰذا صلاحاً ، وأوسطَهُ فلاحاً ، وآخرَهُ نجاحاً .

اللَّهُمَّ ؛ اجعلْ أوَّلَهُ رحمةً ، وأوسطَهُ نعمةً ، وآخرَهُ تَكْرُمةً .

أَصْبَحْنا وأصبحَ المُلْكُ للهِ ، والعَظَمَةُ والكِبْرِياءُ للهِ ، والجَبَرُوتُ والسُّلْطانُ للهِ ، والليلُ والنهارُ وما سَكَنَ فيهِما للهِ الواحدِ القهَّارِ .

أَصْبَحْنا علىٰ فِطْرةِ الإسلامِ ، وكلمةِ الإخلاصِ ، وعلىٰ دِينِ نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعلىٰ مِلَّةِ أبينا إبراهيمَ حَنِيفاً مُسلِماً وما كانَ مِنَ المُشرِكينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنَّا نسألُكَ بأنَّ لكَ الحمدَ لا إلـٰهَ إلا أنتَ الحَنَّانُ المَنَّانُ ، بديعُ السماواتِ والأرضِ ذو الجلالِ والإكرامِ ، أنتَ الأحدُ الصَّمَدُ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكنْ لهُ كُفُواً أحدٌ .

يا حيُّ يا قيُّومُ ، يا حيُّ حينَ لا حيَّ في دَيْمومةِ مُلْكِهِ وبقائِهِ ، يا حيُّ مُحْيِيَ المَوْتىٰ ، يا حيُّ مُمِيتَ الأحياءِ ، وارثَ الأرضِ والسماءِ[1] .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ باسمِكَ بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، وباسمِكَ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ الحيُّ القيُّومُ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ[2] .

---

(١) في بعض النسخ : (أهل الأرض) بدل (الأرض) .

(٢) في (ب) : (الله الذي) بدل (الذي) .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ باسمِكَ الأعظمِ الأَجَلِّ الأَعَزِّ الأكرمِ ، الذي إذا دُعِيتَ بهِ أَجَبْتَ ، وإذا سُئِلتَ بهِ أَعْطَيتَ .

يا نورَ النُّورِ ، يا مُدبِّرَ الأمورِ ، يا عالِمَ ما في الصُّدُورِ ، يا سميعُ يا قريبُ ، يا مُجيبَ الدعاءِ ، يا لطيفاً لما يشاءُ ، يا رؤوفُ يا رحيمُ ، يا كبيرُ يا عظيمُ ، يا أللهُ يا رحمـٰنُ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ ، ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران : ١ـ٢] ، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه : ١١١] ، يا إلـٰهي وإلـٰهَ كلِّ شيءٍ إلـٰهاً واحداً لا إلـٰهَ إلا أنتَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ باسمِكَ يا أللهُ أللهُ أللهُ أللهُ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ ربُّ العرشِ العظيمِ ، فتعالى اللهُ المَلِكُ الحقُّ لا إلـٰهَ إلا هوَ ربُّ العرشِ الكريمِ ، أنتَ الأوَّلُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ ، وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْماً .

كٓهيعٓصٓ ، حمٓ ، عٓسٓقٓ ، الٓر ، حمٓ ، نٓ ، يا واحدُ يا قهَّارُ ، يا عزيزُ يا جبَّارُ ، يا أحدُ يا صمدُ ، يا وَدُودُ يا غفورُ .

هوَ اللهُ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ عالِمُ الغيبِ والشهادةِ هوَ الرحمـٰنُ الرحيمُ ، لا إلـٰهَ إلا أنتَ سُبْحانَكَ إنِّي كنتُ مِنَ الظالمينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ باسمِكَ المكنونِ المخزونِ ، المُنزَلِ السلامِ ، الطُّهْرِ الطاهرِ ، القُدُّوسِ المُقدَّسِ ، يا دَهْرُ يا دَيْهُورُ يا دَيْهارُ ، يا أَبَدُ يا أَزَلُ ، يا مَنْ لم يَزَلْ ولا يزالُ هُو ، يا هُو ، يا مَنْ هُو هُو ، يا لا إلـٰهَ إلا هُو ، يا مَنْ لا هُو إلا هُو ، يا مَنْ لا يعلمُ ما هُو إلا هُو ، يا كائنُ يا كانُ يا كينانُ ، يا رُوحُ يا كائنُ قبلَ كلِّ كونٍ ، يا كائنُ بعدَ كلِّ كونٍ .

يا مُكوِّناً لكلِّ كونٍ ، أَهْيا شَرَاهِيا[1] ، آذوني أصباؤُث[2] ، يا مُجَلِّيَ عظائمِ الأمورِ[3] ، فإنْ تولَّوْا فَقُلْ : حسبيَ اللهُ لا إلـٰهَ إلا هوَ عليهِ توكَّلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ ، ليسَ كمِثْلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، كما صلَّيتَ علىٰ إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ ، وبارِكْ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، كما باركتَ علىٰ إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ ؛ إنَّكَ حميدٌ مَجيدٌ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفعُ ، وقلبٍ لا يخشعُ ، ودعاءٍ لا يُسمَعُ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ فتنةِ الدجَّالِ ، وعذابِ القبرِ ، ومِنْ فتنةِ المَحْيا والمماتِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما عَلِمتُ وشرِّ ما لم أعلمْ[4] ، وأعوذُ بكَ

---

(١) كذا في النسخ ، وقال في « التاج » مع « القاموس » (٣٦/ ٤١٤ـ٤١٥) : (« و » قولهم في الدعاء : « إهْيا ـ بكسر الهمزة ـ وأَشَرْإهْيا ، بفتح الهمزة والشين » وسكون الراء : كلمة « يونانية » أو سريانية أو عبرانية ، وهـٰذا أصحُّ ؛ « أي : الأزلي الذي لم يَزَل » ، قال الصاغاني : هـٰكذا أقرأنيه حَبْرٌ من أحبار اليهود بعدن أبين ، وقيل : هَيَا شراهيا ، وكأنَّهُ اختصار منه ؛ أي : يا حيُّ يا قيُّوم ، نقله الليث ، وقال الصاغاني : « وليس هـٰذا موضعَهُ » ؛ لأنَّهُ ليس علىٰ شرط الكتاب ، « لـٰكن لأنَّ الناس يغلَطون ويقولون : أَهْيا » بفتح الهمزة ، وبخط الصاغاني : بمد الهمزة و« شراهيا » بإسقاط الهمزة ، « وهو خطأٌ علىٰ ما يزعمه أحبار اليهود » ، وهـٰذا الذي خطَّأه هو المشهورُ في كتب القوم ، ولا يكادون ينطقون بغير ذلك) .

(٢) في (ط) : (أدوناي) بدل (آذوني) .

(٣) زاد في (ج) : (سبحانك على حلمك بعد علمك، سبحانك على عفوك بعد قدرتك) .

(٤) زاد في (ب) : (وأعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل) ، وفي « صحيح مسلم » (٢٧١٦) وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها : (عملت . . . أعمل) .

مِنْ شرِّ سَمْعي وبَصَري ، ولساني وقَلْبي .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ القَسْوةِ والغَفْلةِ ، والذُّلِّ والمَسْكنةِ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الفقرِ والكُفْرِ ، والفُسُوقِ والشِّقاقِ والنِّفاقِ ، وسُوءِ الأخلاقِ وضِيقِ الأرزاقِ ، والسُّمْعةِ والرِّياءِ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الصَّمَمِ والبَكَمِ ، والجُنُونِ والجُذَامِ ، والبَرَصِ وسائرِ الأسقامِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمتِكَ ، ومِنْ تحويلِ عافيتِكَ ، ومِنْ فُجَاءةِ نِقْمتِكَ ، ومِنْ جميعِ سَخَطِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ الصلاةَ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ ، وأسألُكَ مِنَ الخيرِ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِهِ ما عَلِمتُ منهُ وما لم أعلمْ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الشرِّ كُلِّهِ عاجلِهِ وآجلِهِ ما عَلِمتُ منهُ وما لم أعلمْ ، وأسألُكَ الجنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ وعَمَلٍ ، وأعوذُ بكَ مِنَ النارِ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قولٍ وعَمَلٍ ، وأسألُكَ مِمَّا سألَكَ عبدُكَ ورسولُكَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأَسْتعِيذُكَ مِمَّا استعاذَكَ منهُ عبدُكَ ونبيُّكَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأسألُكَ ما قَضَيتَ لي مِنْ أمرٍ أنْ تجعلَ عاقبتَهُ رَشَداً برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ .

يا حيُّ يا قيُّومُ ، برحمتِكَ أستغيثُ ؛ لا تَكِلْني إلىٰ نَفْسي طَرْفةَ عَيْنٍ ، وأَصْلِحْ لي شَأْني كُلَّهُ .

يا جمالَ السماواتِ والأرضِ[1] ، يا عِمادَ السماواتِ والأرضِ ، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ ، يا صريخَ المُستصرِخِينَ ، يا غوثَ المُستغِيثينَ ، يا مُنتهىٰ رَغْبةِ الراغبينَ ، والمُفرِّجَ عنِ المكروبِينَ ،

(١) في (ح) : (يا كمال) بدل (يا جمال) .

والمُروِّحَ عنِ المغمومينَ ، ومُجيبَ دَعْوةِ المُضطرِّينَ ، وكاشفَ السُّوءِ ، وأرحمَ الراحمينَ[1] ، وإلـٰهَ العالَمينَ ، منزولٌ بكَ كلُّ حاجةٍ يا أرحمَ الراحمينَ .

اللَّهُمَّ ؛ استُرْ عَوْراتي ، وآمِنْ رَوْعاتي[2] ، وأَقِلْني عَثَراتي .

اللَّهُمَّ ؛ احفَظْني مِنْ بينِ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفي ، وعن يميني وعن شِمالي ومِنْ فوقي ، وأعوذُ بكَ أنْ أُغتالَ مِنْ تحتي .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي ضعيفٌ فقَوِّ في رضاكَ ضَعْفي ، وخُذْ إلى الخيرِ بناصِيَتي ، واجعلِ الإسلامَ مُنتهىٰ رِضَائي .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي ضعيفٌ فقَوِّني ، **اللَّهُمَّ** ؛ إنِّي ذليلٌ فأَعِزَّني ، **اللَّهُمَّ** ؛ إنِّي فقيرٌ فأَغْنِني ؛ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنَّكَ تعلمُ سِرِّي وعلانيَتي ، فاقْبَلْ مَعْذِرتي ، وتعلمُ حاجتي فأَعْطِني سُؤْلي ، وتعلمُ ما في نَفْسي فاغْفِرْ لي ذُنُوبي .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ إيماناً يُباشِرُ قَلْبي ، ويقيناً صادقاً حتىٰ أعلمَ أنَّهُ لن يُصِيبَني إلا ما كتبتَ لي ، وارزُقْني الرِّضا بما قسمتَ لي ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ .

اللَّهُمَّ ، يا هاديَ المُضِلِّينَ ، ويا راحمَ المُذنِبينَ ، ومُقِيلَ عَثَراتِ العاثرينَ ؛ ارحَمْ عبدَكَ ذا الخَطَرِ العظيمِ ، والمُسلِمينَ كلَّهُم أجمعينَ ، واجْعَلْنا معَ الأحياءِ المرزوقينَ ، معَ الذينَ أنعمتَ عليهِم مِنَ النبيِّينَ

---

(١) زاد في (ج) : (وإلـٰه الأولين والآخرين) .

(٢) رَوْعاتي : جمع (رَوْعة) ؛ وهي المرة من الفزع .

والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصالحينَ ، آمينَ يا ربَّ العالَمينَ .

اللَّهُمَّ ، عالِمَ الخَفِيَّاتِ ، رفيعَ الدَّرَجاتِ ، ذا العرشِ ، تُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أمرِكَ علىٰ مَنْ تشاءُ مِنْ عبادِكَ ، غافرَ الذَّنْبِ ، وقابِلَ التَّوْبِ ، شديدَ العقابِ ، ذا الطَّوْلِ ، لا إلـٰهَ إلا أنتَ ، إليكَ المصيرُ ، يا مَنْ لا يشغلُهُ شأنٌ عن شأنٍ ، ولا يشغلُهُ سمعٌ عن سمعٍ ، ولا تشتبهُ عليهِ الأصواتُ ، ويا مَنْ لا تُغلِطُهُ المسائلُ ولا تختلفُ عليهِ اللُّغاتُ ، ويا مَنْ لا يتبرَّمُ بإلحاحِ المُلِحِّينَ ، ولا تُضجِرُهُ مسألةُ السائلينَ ؛ أَذِقْني بَرْدَ عَفْوِكَ ، وحلاوةَ رحمتِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ قَلْباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وعَمَلاً مُتقبَّلاً ، أسألُكَ مِنْ خيرِ ما تعلمُ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ ما تعلمُ ، وأستغفرُكَ لِمَا تعلمُ ولا أعلمُ ، وأنتَ علَّامُ الغُيُوبِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ إيماناً لا يَرْتَدُّ ، ونعيماً لا يَنفَدُ ، وقُرَّةَ عينِ الأبدِ ، ومُرافَقَةَ نبيِّكَ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأسألُكَ حُبَّكَ ، وحُبَّ مَنْ أحبَّكَ ، وحُبَّ كلِّ عَمَلٍ يُقرِّبُ إلىٰ حُبِّكَ .

اللَّهُمَّ ، بعِلْمِكَ الغَيبَ ، وقُدْرتِكَ علىٰ خَلْقِكَ ؛ أَحْيِني ما كانتِ الحياةُ خيراً لي ، وتَوَفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي ، أسألُكَ خَشْيتَكَ في الغيبِ والشهادةِ ، وكلمةَ العَدْلِ في الرِّضا والغضبِ ، والقَصْدَ في الغِنىٰ والفَقْرِ ، ولَذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وَجْهِكَ ، والشوقَ إلىٰ لقائِكَ ، وأعوذُ بكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وفتنةٍ مُضِلَّةٍ .

اللَّهُمَّ ؛ اقسِمْ لي مِنْ خشيتِكَ ما تَحُولُ بهِ بيني وبينَ معصيتِكَ ، ومِنْ

طاعتِكَ ما تُدخِلُني جنَّتَكَ ، ومِنَ اليقينِ ما تُهوِّنُ بهِ علينا مصائبَ الدنيا[1] .

اللَّهُمَّ ؛ ارزُقْنا حُزْنَ خوفِ الوعيدِ ، وسُرُورَ رجاءِ الموعودِ ؛ حتىٰ نَجِدَ لَذَّةَ ما نطلبُ ، وخوفَ ما منهُ نهربُ .

اللَّهُمَّ ؛ أَلْبِسْ وُجُوهَنا منكَ الحياءَ ، واملأْ قلوبَنا بكَ فَرَحاً ، وأَسْكِنْ في نفوسِنا مِنْ عَظَمتِكَ[2] ، وذَلِّلْ جوارحَنا لخِدْمتِكَ ، واجْعَلْكَ أحبَّ إلينا ممَّا سواكَ ، واجْعَلْنا أَخْشىٰ لكَ ممَّنْ سواكَ ، نسألُكَ تمامَ النِّعْمةِ بتمامِ التَّوبةِ ، ودوامَ العافيةِ بدوامِ العِصْمةِ ، وأداءَ الشُّكْرِ بحُسْنِ العبادةِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ بركةَ الحياةِ وخيرَ الحياةِ ، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّ الحياةِ وشرِّ الوفاةِ ، وأسألُكَ خيرَ ما بينَهُما ، أَحْيِني حياةَ السُّعَداءِ ؛ حياةَ مَنْ تُحِبُّ بقاءَهُ ، وتَوَفَّني وفاةَ الشُّهَداءِ ؛ وفاةَ مَنْ تُحِبُّ لقاءَهُ ، يا خيرَ الرازقينَ ، وأَحْسَنَ التوَّابينَ ، وأَحْكَمَ الحاكمينَ ، وأَرْحمَ الراحمينَ ، وربَّ العالَمينَ .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وارْحَمْ ما خلقتَ ، واغْفِرْ ما قَدَّرتَ ، وطَيِّبْ ما رَزَقْتَ ، وتَمِّمْ ما أنعمتَ ، وتَقَبَّلْ ما استعملتَ ، واحْفَظْ ما استحفظتَ ، ولا تَهْتِكْ ما سترتَ ؛ فإنَّهُ لا إلٰهَ إلا أنتَ ، أستغفرُكَ مِنْ كلِّ لذَّةٍ بغيرِ ذِكْرِكَ ، ومِنْ كلِّ راحةٍ بغيرِ خِدْمتِكَ ، ومِنْ كلِّ سرورٍ بغيرِ قُرْبِكَ ، ومِنْ كلِّ فَرَحٍ بغيرِ مُجالَستِكَ ، ومِنْ كلِّ شُغْلٍ بغيرِ مُعامَلتِكَ .

---

(١) قوله : (تحول ، تدخلني ، تهوِّن) يجوز أن يُقرَأ بالياء التحتية كما وجد في بعض النسخ ، والضمير يعود علىٰ (ما) .

(٢) زاد في (ط) : (مهابة) .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ ذنبٍ تُبْتُ إليكَ منهُ ثمَّ عُدْتُ فيهِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ عَقْدٍ عقدتُهُ ثمَّ لم أفِ بهِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ فقَوِيتُ بها علىٰ معصيتِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أستغفرُكَ مِنْ كلِّ عملٍ عَمِلتُهُ لكَ فخالطَهُ ما ليسَ لكَ[1] .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ أنْ تُصلِّيَ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأسألُكَ جوامعَ الخيرِ وفواتحَهُ وخواتِمَهُ ، وأعوذُ بكَ مِنْ جوامعِ الشرِّ وفواتِحِهِ وخواتِمِهِ .

اللَّهُمَّ ؛ احْفَظْنا فيما أَمَرْتَنا ، واحْفَظْنا عمَّا نَهَيْتَنا ، واحْفَظْ لنا ما أَعْطَيتَنا ، يا حافظَ الحافظينَ ، ويا ذاكرَ الذاكرينَ ، ويا شاكرَ الشاكرينَ ، بذِكْرِكَ ذَكَرُوا ، وبفضلِكَ شَكَرُوا .

يا غياثُ يا مُغيثُ يا مُستغاثُ ، يا غِياثَ المُستغِيثينَ ؛ لا تَكِلْني إلىٰ نَفْسي طَرْفةَ عينٍ فأَهلِكَ ، ولا إلىٰ أحدٍ مِنْ خَلْقِكَ فأَضِيعَ ، اكلأْني كلاءةَ الوليدِ ، ولا تَخَلَّ عنِّي ، وتَوَلَّني بما تتولَّىٰ بهِ عبادَكَ الصالحينَ .

أنا عبدُكَ وابنُ عبدِكَ ، ناصِيَتي بيدِكَ ، جارٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قضاؤُكَ ، نافذٌ فِيَّ مَشِيئتُكَ ، إنْ تُعذِّبْ فأهلُ ذلكَ أنا ، وإنْ ترحمْ فأهلُ ذلكَ أنتَ ، فافْعَلِ اللَّهُمَّ يا مَوْلايَ يا أللهُ يا ربِّ ما أنتَ لهُ أهلٌ ، ولا تفعلِ اللَّهُمَّ يا ربِّ يَا أللهُ ما أنا لهُ أهلٌ ؛ إنَّكَ أهلُ التقوىٰ وأهلُ المغفرةِ .

---

(١) في (ب ، ج ، و) : (فخالطتُهُ) بدل (فخالطه) .

يا مَنْ لا تضرُّهُ الذُّنوبُ ، ولا تَنقُصُهُ المغفرةُ ؛ هَبْ لي ما لا يَضُرُّكَ ، وأعْطِني ما لا يَنقُصُكَ .

ربَّنا ؛ أَفْرِغْ عَلَينا صَبْراً وتَوَفَّنا مسلمينَ ، تَوَفَّني مُسلِماً وأَلْحِقْني بالصالحينَ ، أنتَ وَلِيُّنا فاغْفِرْ لنا وارحَمْنا وأنتَ خيرُ الراحمينَ[1] .

ربَّنا ؛ عليكَ تَوَكَّلْنا وإليكَ أَنَبْنا وإليكَ المصيرُ ، ربَّنا ؛ اغْفِرْ لنا ذنوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا وثَبِّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القومِ الكافرينَ .

ربَّنا ؛ آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رحمةً وهَيِّئْ لنا مِنْ أمرِنا رَشَداً ، ربَّنا ؛ آتِنا في الدنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ حَسَنةً وقِنا عذابَ النارِ .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وارْزُقْنا العَوْنَ على الطاعةِ ، والعِصْمةَ مِنَ المعصيةِ ، وإفراغَ الصبرِ في الخِدْمةِ ، وإيزاعَ الشُّكْرِ في النعمةِ ، وأسألُكَ حُسْنَ الخاتمةِ ، وأسألُكَ اليقينَ ، وحُسْنَ المعرفةِ بكَ ، وأسألُكَ المَحبَّةَ وحُسْنَ التوكُّلِ عليكَ ، وأسألُكَ الرِّضا وحُسْنَ الثِّقَةِ بكَ ، وأسألُكَ حُسْنَ المُنقلَبِ إليكَ .

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، وأَصْلِحْ أُمَّةَ محمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛ ارْحَمْ أُمَّةَ محمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛ فَرِّجْ عن أُمَّةِ محمَّدٍ فَرَجاً عاجلاً .

ربَّنا ؛ اغفِرْ لنا ولإخوانِنا الذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ ، ولا تَجْعَلْ في قلوبِنا غِلّاً للذينَ آمنوا ، ربَّنا إنَّكَ رؤوفٌ رحيمٌ .

اللَّهُمَّ ؛ اغفِرْ لي ولوالديَّ ولمَنْ تَوالدا ، وارْحَمْهُما كما ربَّياني صغيراً ،

---

(١) في (د ، ح) : (الغافرين) .

واغْفِرْ لأعمامِنا وعمَّاتِنا ، وأخوالِنا وخالاتِنا ، وأزواجِنا وذُرِّيَّاتِنا ، ولجميعِ المؤمنينَ والمؤمناتِ ، والمسلمينَ والمسلماتِ ، الأحياءِ منهُم والأمواتِ ، يا أرحمَ الراحمينَ ، ويا خيرَ الغافرينَ) .

ولمَّا كانَ الدعاءُ مُخَّ العبادةِ . . أَحْبَبْنا أنْ نستوفيَ مِنْ ذلكَ قِسْماً صالحاً نرجو بركتَهُ .

وهٰذهِ الأدعيةُ استخرجَها الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمَهُ اللهُ في كتابِهِ « قوتِ القلوبِ »[1] ، وعلىٰ نقلِهِ كلُّ الاعتمادِ ، وفيهِ البركةُ .

فَلْيَدْعُ بهٰذهِ الدعواتِ مُنفرِداً أو في جماعةٍ ؛ إماماً كانَ أو مأموماً ، ويختصرُ منها ما يشاءُ[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر « قوت القلوب » (١/ ٢٠_٣٧) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ سماعهم في الثالث والثلاثين على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الخمسون

في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات

فمِنْ ذلكَ : أنْ يُلازِمَ موضعَهُ الذي صلَّىٰ فيهِ مُستقبِلَ القبلةِ ، إلا أنْ يرى انتقالَهُ إلىٰ زاويتِهِ أَسْلمَ لدِينِهِ ؛ لكيلا يحتاجَ إلىٰ حديثٍ أوِ التفاتٍ إلىٰ شيءٍ ؛ فإنَّ السكوتَ في هٰذا الوقتِ وتَرْكَ الكلامِ . . لهُ أَثَرٌ ظاهرٌ بيِّنٌ يجدُهُ أهلُ المُعامَلةِ وأربابُ القلوبِ ، وقد نَدَبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ ذلكَ[1] .

ثمَّ يقرأُ (الفاتحةَ) وأوَّلَ سورةِ (البقرةِ) إلى ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١ـ٥] ، والآيتَينِ ؛ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . . . ﴾ [البقرة : ١٦٣ـ ١٦٤] ، وآيةَ الكُرْسيِّ ، والآيتَينِ بعدَها ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . . ﴾ إلىٰ آخرِهِ [البقرة : ٢٨٥ـ ٢٨٦] ، والآيةَ قبلَها ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ . . . ﴾ [آل عمران : ١٨] ، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ . . . ﴾ [آل عمران : ٢٦] [2] ، و﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ . . . ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤ـ ٥٦] ، و﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ . . . ﴾ إلى الآخِرِ [التوبة : ١٢٨ـ١٢٩] .

---

(١) رواه أبو داود (١٢٨٧) ، وأحمد (٣/ ٤٣٨ـ٤٣٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ١٩٦ـ١٩٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ٤٩) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه .

(٢) ويقرأ بعدها آية أيضاً ، كما في « القوت » (١/ ١٦) .

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ . . . ﴾ الآيتينِ [الإسراء : ١١٠ـ١١١] ، وآخرَ (الكهفِ) ؛ مِنْ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ . . . ﴾ إلىٰ آخرِهِ [الكهف : ١٠٧ـ١١٠] ، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا . . . ﴾ إلىٰ ﴿ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٩] ، و ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . . ﴾ [الروم : ١٧] ، و﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ السورةِ [الصافات: ١٨٠ـ١٨٢]، و﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ . . . ﴾ إلىٰ آخرِهِ [الفتح: ٢٧ـ٢٩]، وأوَّلَ سورةِ (الحديدِ) إلىٰ ﴿ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحديد : ١ ـ ٦] ، وآخرَ سورةِ (الحشرِ) ؛ مِنْ ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا ﴾ [الحشر : ٢١ـ٢٤] .

ثمَّ يُسبِّحَ ثلاثاً وثلاثينَ ، وهكذا يَحمَدُ مثلَهُ ، ويُكبِّرُ مثلَهُ ، ويُتمِّمُها مئةَ مرَّةٍ بـ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ) .

فإذا فَرَغَ مِنْ ذلكَ يشتغلُ بتلاوةِ القرآنِ حِفْظاً أو مِنَ المُصحَفِ ، أو يشتغلُ بأنواعِ الأذكارِ ، ولا يزالُ كذلكَ مِنْ غيرِ فُتُورٍ وقُصُورٍ ونُعاسٍ ؛ فإنَّ النومَ في هـٰذا الوقتِ مكروهٌ جدّاً ، فإنْ غَلَبَهُ النومُ فليَقُمْ في مُصلَّاهُ قائماً مُستقبِلَ القِبْلَةِ .

فإنْ لم يذهبِ النومُ بالقيامِ يَخْطُ خَطَوَاتٍ نحوَ القِبْلَةِ ، ويتأخَّرْ بالخَطَوَاتِ كذلكَ ، ولا يستدبرِ القِبْلَةَ ؛ ففي إدامةِ استقبالِ القِبْلَةِ ، وتركِ الكلامِ والنومِ ، ودوامِ الذِّكْرِ في هـٰذا الوقتِ . . أَثَرٌ كثيرٌ وبركةٌ غيرُ قليلةٍ[1] ، وَجَدْنا ذلكَ بحمدِ اللهِ ، ونُوصي بهِ الطالبينَ[2] ، وأَثَرُ ذلكَ في حقِّ مَنْ يجمعُ

---

(١) في (هـ) : (كبير) بدل (كثير) .

(٢) قال الشيخ أبو مدين رحمه الله : (مَنْ رُزِقَ حلاوة المناجاة طار عنه النوم) . من هامش (ح) .

في الأذكارِ بينَ القلبِ واللِّسانِ . . أَكثرُ وأَظْهرُ .

وهٰذا الوقتُ أوَّلُ النهارِ ، والنهارُ مَظِنَّةُ الآفاتِ ، فإذا أَحْكمَ أوَّلَهُ بهٰذهِ الرِّعايةِ . . فقد أَحْكمَ بُنْيانَهُ ، وتُبْتَنىٰ أوقاتُ النهارِ جميعُها علىٰ هٰذا البناءِ .

فإذا قاربَ طلوعُ الشمسِ يَبتدِئُ بقراءةِ المُسبَّعاتِ العشرِ ، وهيَ مِنْ تعليمِ الخَضِرِ عليهِ السلامُ ؛ علَّمَها إبراهيمَ التَّيْميَّ ، وذَكَرَ أنَّهُ تعلَّمَها مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، وينالُ بالمُداوَمةِ عليها جميعَ المُتفرِّقِ في الأذكارِ والدَّعَواتِ ؛ وهيَ :

عَشَرَةُ أشياءَ سبعةً سبعةً : (الفاتحةُ) ، و(المُعوِّذتَانِ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، و(قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، وآيةُ الكُرْسيِّ ، و(سُبْحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلٰهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ) ، والصلاةُ على النبيِّ وآلِهِ ، ويستغفرُ لنَفْسِهِ ولوالدَيهِ وللمؤمنينَ والمؤمناتِ ، ويقولُ سَبْعاً : (اللَّهُمَّ ؛ افعَلْ بي وبهِم عاجلاً وآجلاً في الدِّينِ والدنيا والآخرةِ ما أنتَ لهُ أهلٌ ، ولا تفعَلْ بنا يا مَوْلايَ ما نحنُ لهُ أهلٌ ؛ إنَّكَ غفورٌ حليمٌ ، جَوَادٌ كريمٌ ، رؤوفٌ رحيمٌ) .

---

(1) والخضر حيٌّ عند أكثر أهل العلم ؛ قال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٧٦ـ ١٧٧) : (واختلفوا في حياة الخضر ؛ فقال الأكثرون من العلماء : هو حيٌّ موجودٌ بين أَظْهُرنا ، وذلك مُتَّفقٌ عليه عند الصوفيَّة وأهلِ الصلاح والمعرفةِ . . . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في « فتاويه » : هو حيٌّ عند جماهير العلماء والصالحين ، والعامَّةُ معهم في ذلك ، قال : وإنَّما شذَّ بإنكاره بعض المُحدِّثين) ، وانظر « فتاوى ابن الصلاح » (١/ ١٨٥ـ ١٨٦) ، و« تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة » للسيوطي (٢/ ٣١٧) ضمن « الحاوي للفتاوي » ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص٣٢٨) ، و« فتاوى الرملي » (٤/ ٢٢٢ـ ٢٢٣) ، وسبق التنبيه عليه مختصراً في (١/ ٤٩٢) .

ورُوِيَ أنَّ إبراهيمَ التَّيْميَّ لمَّا قَرَأَ هـٰذهِ بعدَ أنْ تعلَّمَها مِنَ الخَضِرِ عليهِ السلامُ. . رأىٰ في المَنَامِ أنَّهُ دخلَ الجنَّةَ ، ورأى الملائكةَ والأنبياءَ ، وأكلَ مِنْ طعامِ الجنَّةِ[1] .

وقيلَ : إنَّهُ مَكَثَ أربعةَ أشهرٍ لم يَطْعَمْ ؛ قيلَ : لعلَّهُ كانَ ذلكَ لكونِهِ أكلَ مِنْ طعامِ الجنَّةِ[2] .

فإذا فَرَغَ مِنَ المُسبَّعاتِ يُقبِلُ على التسبيحِ والاستغفارِ والتلاوةِ إلىٰ أنْ تَطلُعَ الشمسُ قِيدَ رُمْحٍ .

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَأَنْ أَقْعُدَ فِي مَجْلِسٍ أَذْكُرُ ٱللهَ فِيهِ مِنْ صَلَاةِ ٱلْغَدَاةِ إِلَىٰ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ . . أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ »[3] .

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ قبلَ أنْ ينصرفَ مِنْ مجلسِهِ ؛ فقد نُقِلَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يُصلِّي الركعتَينِ[4] ، وبهاتَينِ الركعتَينِ تتبيَّنُ فائدةُ رِعايةِ هـٰذا الوقتِ .

---

(١) روىٰ حديث المُسبَّعات ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦/ ٤٢٩ـ٤٣٠) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٧ـ ١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٤٧٦ـ ٤٧٨) ، وقال العراقي في « المغني » (١١٩٥) : (ليس له أصل) ، وقال الزَّبيدي في « الإتحاف » (٥/ ١٣٥) : (ولـٰكن مثل هـٰذا يُغتفر في فضائل الأعمال ، لا سيَّما وقد تلقَّتْهُ الأُمَّةُ بالقبول ، والله أعلم) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٨) ، و« إحياء علوم الدين » (٢/ ٤٧٩) .

(٣) رواه أبو داود (٣٦٦٧) ، والبزار في « المسند » (٧٢٤٤) ، والطبراني في « الدعاء » (١٨٧٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي (٥٩٨) ، وابن ماجه (١١٦١) ، والنسائي (٢/ ١١٩) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وإذا صلَّى الركعتَينِ بجَمْعِ هَمٍّ وحضورِ فَهْمٍ وحُسْنِ تَدَبُّرٍ لِمَا يقرأُ . . يجدُ في باطنِهِ أَثَراً ونُوراً ورَوْحاً وأُنْساً إذا كانَ صادقاً ، والذي يَجِدُهُ مِنَ البركةِ ثوابٌ مُعجَّلٌ لهُ علىٰ عملِهِ هٰذا .

وأُحِبُّ أنْ يقرأَ في هاتَينِ الركعتَينِ في الأُولىٰ : آيةَ الكُرْسيِّ ، وفي الأُخْـرىٰ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . . ﴾ [البقـرة : ٢٨٥] ، و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ [النور : ٣٥] ، وتكونُ نيَّتُهُ فيهِما الشكرَ للهِ تعالىٰ علىٰ نِعَمِهِ في يومِهِ وليلتِهِ .

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ أُخْرَيَينِ يقرأُ المُعوِّذتَينِ فيهِما ؛ في كلِّ ركعةٍ سورةً ، وتكونُ صلاتُهُ هٰذهِ ليستعيذَ باللهِ مِنْ شرِّ يومِهِ وليلتِهِ .

ويذكرُ بعدَ هاتَينِ الركعتَينِ كلماتِ الاستعاذةِ ؛ فيقولُ : (أعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ ، مِنْ شرِّ السَّامَّةِ والهامَّةِ[١] ، وأعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ مِنْ شرِّ عذابِكَ وشرِّ عبادِكَ ، وأعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ مِنْ شرِّ الشيطانِ الرجيمِ .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ باسمِكَ وكلماتِكَ التامَّاتِ مِنْ خيرِ ما تُعطي أحداً وما تُسأَلُ ، ومِنْ خيرِ ما تُبْدي وما تُخفي ، وأعوذُ باسمِكَ وكلمتِكَ التامَّةِ مِنْ شرِّ ما يَجْري بهِ النهارُ[٢] ، إنَّ ربِّيَ اللهُ لا إلٰهَ إلا هوَ عليهِ توكَّلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ) .

---

(١) الهامَّة : واحدة (الهوامِّ) ، ولا يقع هٰذا الاسم إلا على المَخُوف من [الأحناش] . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٢) في (أ ، د ، ح) : (الليل والنهار) ، والمثبت موافق لـ « القوت » (١/ ٢٣) ، وقال : (وإن كان مساءً قال : « ومن شرِّ ما جاء به الليلُ ») .

ويقولُ بعدَ الركعتَينِ الأُولَيَينِ : (اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أصبحتُ لا أستطيعُ دَفْعَ ما أكرهُ ، ولا أَملِكُ نَفْعَ ما أرجو ، وأصبحتُ مُرتهَناً بعملي ، وأصبحَ أَمْري بيدِ غَيْري ؛ فلا فقيرَ أَفْقَرُ منِّي .

اللَّهُمَّ ؛ لا تُشمِتْ بي عَدُوِّي ، ولا تَسُؤْ بي صديقي ، ولا تجعلْ مُصِيبتي في دِيني ، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّي ، ولا مَبْلَغَ عِلْمي ، ولا غايةَ رغبتي[1] ، ولا تُسلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يرحمُني .

اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الذُّنُوبِ التي تُزِيلُ النِّعَمَ ، وأعوذُ بكَ مِنَ الذُّنُوبِ التي تُوجِبُ النِّقَمَ) .

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ أُخْرَيَينِ بنيَّةِ الاستخارةِ لكلِّ عملٍ يعملُهُ في يومِهِ وليلتِهِ ، وهٰذهِ الاستخارةُ تكونُ بمعنى الدعاءِ على الإطلاقِ ، وإلا فالاستخارةُ التي وَرَدَتْ بها الأخبارُ هيَ التي يُصلِّيها أمامَ كلِّ أمرٍ يُريدُهُ[2] .

---

(١) هٰذه الجملة زيادة من نسخة على هامش (د) ، وهي في « القوت » (١/ ٢٤) بلفظ : (ولا غاية أملي) .

(٢) كذا قال رحمه الله تعالىٰ ، وعقَّب عليه الإمام المُحقِّق الشهاب ابن حجر الهيتمي في « تحفة المحتاج » (٢/ ٢٣٨) ؛ فقال : (وهٰذا عجيبٌ منه مع إمامته في الفقه أيضاً ، وكيف راجَ عليه صحَّةُ وحِلُّ صلاةٍ بنيَّةٍ مُختَرَعة لم يَرِدْ لها أصلٌ في السنة ؟! ومَنِ استحضر كلامَهُم في رَدِّ صلواتٍ ذُكِرَتْ في أيام الأسبوع . . عَلِمَ أنَّهُ لا تجوزُ ولا تصحُّ هٰذه الصلواتُ بتلك النيَّات التي استحسنها الصُّوفيَّةُ من غير أن يَرِدَ لها أصلٌ في السنة . نعم ؛ إن نوىٰ مُطلَقَ الصلاة ثمَّ دعا بعدها بما يتضمَّنُ نحوَ استعاذةٍ أو استخارةٍ مُطلَقةٍ . . لم يكن بذلك بأسٌ) .

وكَتَبَ عليه الشرواني نقلاً عن السيِّد البَصْري : (الظاهر : أنَّهُ مُرادُ الشيخ المذكور ـ أي : صاحبِ « العوارف » ـ فمرادُهُ بقوله : « بنيةِ كذا » : بيانُ أنَّ ذلك لأمرٍ باعثٍ علىٰ فعل الصلاة المذكورة ، لا النيَّةُ المُرادةُ للفقهاء المُقترِنةُ بالتكبير ، وحملُ كلامِهِ =

ويقرأُ في هاتَينِ الركعتَينِ : (قُلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، ويقرأُ دعاءَ الاستخارةِ كما سَبَقَ ذكرُهُ في غيرِ هـٰذا البابِ[1] ، ويقولُ فيهِ : (كلَّ قولٍ وعملٍ أُرِيدُهُ في هـٰذا اليومِ اجعَلْ فيهِ الخِيَرَةَ) .

ثمَّ يُصلِّي ركعتَينِ أُخْرَيَينِ ؛ يقرأُ في الأُولىٰ : سورةَ (الواقعةِ) ، وفي الأُخْرىٰ : سورةَ (الأعلىٰ) ، ويقولُ بعدَها : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ ، واجْعَلْ حُبَّكَ أحبَّ الأشياءِ إليَّ ، وخَشْيتَكَ أَخْوفَ الأشياءِ عندي ، واقطَعْ عنِّي حاجاتِ الدنيا بالشوقِ إلىٰ لقائِكَ ، وإذا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أهلِ الدنيا بدنياهُم . . فأَقْرِرْ عَيْني بعبادتِكَ ، واجْعَلْ طاعتَكَ في كلِّ شيءٍ منِّي يا أرحمَ الراحمينَ) .

ثمَّ يُصلِّي بعدَ ذلكَ ركعتَينِ ؛ يقرأُ فيهما شيئاً مِنْ حِزْبِهِ مِنَ القرآنِ .

ثمَّ بعدَ ذلكَ إنْ كانَ مُتفرِّغاً ليسَ لهُ شُغْلٌ في الدنيا . . يتنفَّلُ بأنواعِ العملِ مِنَ الصلاةِ والتِّلاوةِ والذِّكْرِ إلىٰ وقتِ الضُّحىٰ ، وإنْ كانَ ممَّنْ لهُ شُغْلٌ في الدنيا إمَّا لنَفْسِهِ أو لعِيالِهِ . . فلْيَمْضِ لحاجتِهِ ومَهَامِّهِ بعدَ أنْ يُصلِّيَ ركعتَينِ لخروجِهِ مِنَ المنزلِ .

وهكذا ينبغي أنْ يفعلَ أبداً ؛ لا يخرجُ مِنَ البيتِ إلىٰ جهةٍ إلا بعدَ أنْ يُصلِّيَ ركعتَينِ ؛ ليَقِيَهُ اللهُ المَخْرَجَ السَّوءَ ، ولا يدخلُ البيتَ إلا ويُصلِّي ركعتَينِ ؛ ليَقِيَهُ اللهُ المَدْخَلَ السَّوءَ ، بعدَ أنْ يُسلِّمَ علىٰ مَنْ في المنزلِ مِنَ

= عليه أَوْلىٰ من التشنيع ، ويَعضُدُ هـٰذا الاستحسانَ منهم : ما صحَّ عنه صلَّى الله عليه وسلَّم من تقديم الصلاة عند عُرُوضِ أمرٍ يستدعي الدعاءَ) .

(١) انظر (١/ ٣٩٥_٣٩٦) .

الزوجةِ وغيرِها ، وإنْ لم يكنْ في البيتِ أحدٌ يُسلِّمُ أيضاً ويقولُ : (السلامُ علىٰ عبادِ اللهِ الصالحينَ المؤمنينَ) .

وإنْ كانَ مُتفرِّغاً أَحْسَنُ أَشْغالِهِ في هٰذا الوقتِ إلىٰ صلاةِ الضُّحىٰ . . الصلاةُ .

فإنْ كانَ عليهِ قضاءٌ يُصلِّي صلاةَ يومٍ أو يومَينِ أو أكثرَ ، وإلا يُصلِّي رَكَعاتٍ يُطوِّلُها ويقرأُ فيها القرآنَ ؛ فقد كانَ مِنَ الصالحينَ مَنْ يَختِمُ القرآنَ في الصلاةِ بينَ اليومِ والليلةِ ، وإلا فيُصلِّي أعداداً مِنَ الرَّكَعاتِ الخفيفةِ بـ(فاتحةِ الكتابِ) و(قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، وبالآياتِ التي في القرآنِ وفيها الدعاءُ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ٤] ، وأمثالُ هٰذهِ الآيةِ ؛ يقرأُ في كلِّ ركعةٍ آيةً منها ؛ إمَّا مرَّةً ، أو يُكرِّرُها مهما شاءَ .

ويَقدِرُ الطالبُ أنْ يُصلِّيَ بينَ الصلاةِ التي ذكَرْناها بعدَ طلوعِ الشمسِ وبينَ صلاةِ الضُّحىٰ مئةَ ركعةٍ خفيفةٍ ؛ فقد كانَ مِنَ الصالحينَ مَنْ وِرْدُهُ في اليومِ والليلةِ مئةُ ركعةٍ ، إلىٰ مئتَينِ ، إلىٰ خمسِ مئةِ ركعةٍ ، إلىٰ ألفِ ركعةٍ[1] .

ومَنْ ليسَ لهُ في الدنيا شُغْلٌ وقد تركَ الدنيا علىٰ أهلِها . . فما بالُهُ يَبطُلُ ولا يتنعَّمُ بخِدْمةِ اللهِ تعالىٰ ؟! قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (لا يَكمُلُ شُغْلُ قلبِ العبدِ باللهِ الكريمِ ولهُ في الدنيا حاجةٌ) .

فإذا ارتفعتِ الشمسُ ، وتَنصَّفَ الوقتُ مِنْ صلاةِ الصبحِ إلى الظهرِ كما يَتنصَّفُ العصرُ بينَ الظهرِ والمغربِ . . يُصلِّي الضُّحىٰ ؛ فهٰذا الوقتُ أفضلُ الأوقاتِ لصلاةِ الضُّحىٰ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صَلَاةُ

---

(١) انظر « قوت القلوب » (١/ ١٢٥) .

ٱلضُّحَىٰ إِذَا رَمِضَتِ ٱلْفِصَالُ »[1] ؛ وهوَ أنْ ينامَ الفَصِيلُ في ظِلِّ أُمِّهِ عندَ حرِّ الشمسِ[2] .

وقيلَ : الضُّحىٰ إذا ضَحِيَتِ الأقدامُ بحرِّ الشمسِ .

وأقلُّ صلاةِ الضُّحىٰ : ركعتانِ ، وأكثرُها : اثنتا عَشْرَةَ ركعةً .

ويجعلُ لنَفْسِهِ دعاءً بعدَ كلِّ ركعتَينِ ، ويُسبِّحُ ويستغفرُ .

ثمَّ بعدَ ذلكَ إنْ كانَ هناكَ حقٌّ يُقضىٰ ممَّا نُدِبَ إليهِ مِنْ زيارةٍ وعيادةٍ . . يمضي فيهِ ، وإلا فيُدِيمُ العملَ للهِ مِنْ غيرِ فُتُورٍ ؛ إمَّا ظاهراً وباطناً ، وقَلْباً وقالَباً ، وإلا فباطناً .

وترتيبُ ذلكَ : أنَّهُ يُصلِّي ما دامَ مُنشرِحاً ونَفْسُهُ مُجيبةً .

فإنْ سَئِمَ ينزلُ مِنَ الصلاةِ إلى التِّلاوةِ ؛ فإنَّ مُجرَّدَ التِّلاوةِ أخفُّ على النَّفْسِ مِنَ الصلاةِ .

فإنْ سَئِمَ التِّلاوةَ أيضاً يَذكُرُ اللهَ بالقلبِ واللِّسانِ ؛ فهوَ أَخَفُّ مِنَ القراءةِ .

فإنْ سَئِمَ الذِّكْرَ أيضاً يَدَعُ ذكرَ اللِّسانِ ويُلازِمُ بقلبِهِ المُراقبَةَ ، والمُراقَبَةُ عِلْمُ القلبِ بنظرِ اللهِ إليهِ[3] ، فما دامَ هـٰذا العِلْمُ مُلازِماً للقلبِ . . فهوَ مُراقِبٌ ، والمُراقَبةُ عينُ الذِّكرِ وأَفْضلُهُ .

---

(1) رواه مسلم (٧٤٨/ ١٤٤) ، وغيرُهُ عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وفيه : (صلاة الأوَّابين) بدل (صلاة الضحىٰ) ، وهي نفسها صلاة الضحىٰ ، وسُمِّيت بذلك ؛ للخبر الصحيح : « لا يُحافِظُ علىٰ صلاةِ الضحىٰ إلا أوَّابٌ ، وهيَ صلاةُ الأوَّابين » ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٣/ ٩٧٩) .

(2) الفَصِيل : واحدُ (الفِصال) و(الفُصْلان) ؛ وهو ولد الناقة إذا فُصِلَ عن أمه .

(3) أي : علم القلب المتصل بنظر الله تعالىٰ . من هامش (ح) .

فإنْ عَجَزَ عن ذلكَ أيضاً ، وتَمَلَّكَتْهُ الوساوسُ ، وتزاحمَ في باطنِهِ حديثُ النَّفْسِ . . فلْيَنَمْ ؛ ففي النومِ السلامةُ ، وإلا فكثرةُ حديثِ النَّفْسِ تُقسِّي القلبَ ككثرةِ الكلامِ ؛ لأنَّهُ كلامٌ مِنْ غيرِ لسانٍ ، فيحترزُ مِنْ ذلكَ ؛ قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ : (أَسْوأُ المعاصي حديثُ النَّفْسِ) .

والطالبُ يُرِيدُ أنْ يعتبرَ باطنَهُ كما يعتبرُ ظاهرَهُ[١] ؛ فإنَّهُ بحديثِ النَّفْسِ وما يتخايلُ لهُ مِنْ ذِكْرِ ما مضىٰ وما رأىٰ وسَمِعَ . . كشخصٍ آخَرَ في باطنِهِ[٢] ؛ فيُقَيِّدُ الباطنَ بالمُراقَبةِ والرِّعايةِ ، كما يُقَيِّدُ الظاهرَ بالعملِ وأنواعِ الذِّكْرِ .

ويُمكِنُ للطالبِ المُجِدِّ أنْ يُصلِّيَ مِنْ صلاةِ الضُّحىٰ إلىٰ وقتِ الاستواءِ مئةَ ركعةٍ أُخْرىٰ ، وأقلُّ ذلكَ عشرونَ ركعةً يُصلِّيها خفيفةً ، أو يقرأُ في كلِّ ركعتَينِ جُزْءاً مِنَ القرآنِ أو أقلَّ أو أكثرَ .

والنومُ بعدَ الفراغِ مِنْ صلاةِ الضُّحىٰ ، وبعدَ الفراغِ مِنْ أعدادٍ أُخَرَ مِنَ الرَّكَعاتِ . . حَسَنٌ ؛ قالَ سُفْيانُ رحمَهُ اللهُ : (كانَ يُعجِبُهُم إذا فَرَغُوا أنْ يناموا ؛ طَلَباً للسلامةِ)[٣] .

وهٰذا النومُ فيهِ فوائدُ :

منها : أنَّهُ يُعِينُ علىٰ قيامِ الليلِ .

---

(١) في (أ) : (ينبغي) بدل (يريد) .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (أ) : (شَخَصَ أَثَرٌ في باطنه) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٤٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٤٨٩) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ .

ومنها : أنَّ النَّفْسَ تستريحُ ، ويصفو القلبُ لبقيَّةِ النهارِ والعملِ فيهِ ، والنَّفْسُ إذا استراحَتْ عادَتْ جديدةً ، فبعدَ الانتباهِ مِنْ نومِ النهارِ يستجدُّ الباطنُ نشاطاً آخَرَ وشَغَفاً آخَرَ كما كانَ في أوَّلِ النهارِ ، فيكونُ للصادقِ في النهارِ نهارانِ يغتنمُهُما بخدمةِ اللهِ تعالىٰ والدُّؤُوبِ في العملِ[1] .

وينبغي أنْ يكونَ انتباهُهُ مِنْ نومِ النهارِ قبلَ الزَّوَالِ بساعةٍ ؛ حتىٰ يتمكَّنَ مِنَ الوضوءِ والطَّهارةِ قبلَ الاستواءِ ؛ بحيثُ يكونُ وقتَ الاستواءِ مُستقبِلَ القِبْلةِ ذاكراً ومُسبِّحاً وتالياً .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود : ١١٤] ، وقالَ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه : ١٣٠] .

قيلَ : قبلَ طلوعِ الشمسِ : صلاةُ الصبحِ ، وقبلَ الغروبِ : صلاةُ العصرِ ، ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ ﴾ أرادَ : العشاءَ الآخِرةَ ، ﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [طه : ١٣٠] أرادَ : الظهرَ والمغربَ ؛ لأنَّ الظهرَ صلاةٌ في آخِرِ الطَّرَفِ الأوَّلِ مِنَ النهارِ ، وآخِرُ الطَّرَفِ الآخِرِ غروبُ الشمسِ ، وفيها صلاةُ المغربِ ، فصارَ الظهرُ أوَّلَ الطَّرَفِ الآخِرِ[2] ، فيستقبلُ الطَّرَفَ الآخِرَ باليَقَظَةِ والذِّكْرِ كما استقبلَ الطَّرَفَ الأوَّلَ ، وقد عادَ بنومِ النهارِ جديداً كما كانَ بنومِ الليلِ .

ويُصلِّي في أوَّلِ الزوالِ قبلَ السُّنَّةِ والفرضِ أربعَ رَكَعاتٍ بتسليمةٍ واحدةٍ ،

---

(١) في النسخ ما عدا (د ، هـ ، ح) : (لخدمة) بدل (بخدمة) .

(٢) العبارة في (ط) وفيها زيادةٌ : (فصار الظهر أول الطرف الأول ، والمغرب آخر الطرف الآخر) .

كما كان يُصلِّيها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، وهـٰذهِ صلاةُ الزوالِ قبلَ الظهرِ في أوَّلِ أوقاتِهِ .

ويحتاجُ أنْ يُراعِيَ لهـٰذهِ الصلاةِ أوَّلَ الوقتِ ؛ بحيثُ يَفطَنُ للوقتِ قبلَ المُؤذِّنينَ ، [وحينَ] يذهبُ وقتُ الكراهيةِ بالاستواءِ يشرعُ في صلاةِ الزوالِ ، ويسمعُ الأذانَ وقد توسَّطَ هـٰذهِ الصلاةَ .

ثمَّ يستعدُّ لصلاةِ الظهرِ ، فإنْ وجدَ في باطنِهِ كَدَراً مِنْ مُخالَطةٍ أو مُجالَسةٍ اتَّفقَتْ . . يستغفرُ اللهَ تعالىٰ ويتضرَّعُ إليهِ ، ولا يشرعُ في صلاةِ الظهرِ إلا بعدَ أنْ يجدَ الباطنَ عائداً إلىٰ حالِهِ مِنَ الصفاءِ ؛ فالذائقونَ حَلاوةَ المُناجاةِ ، وصَفْوَ الأُنْسِ في الصلاةِ[2] . . يتكدَّرونَ بيسيرٍ مِنَ الاسترسالِ في المُباحِ ، ويصيرُ علىٰ بواطنِهِم مِنْ ذلكَ عُقَدٌ وكَدَرٌ .

وقد يكونُ ذلكَ بمُجرَّدِ المُخالَطةِ والمُجالَسةِ معَ الأهلِ والولدِ معَ كونِ ذلكَ عبادةً ، ولـٰكنَّ حسناتِ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبينَ ، فلا يدخلُ الصلاةَ إلا بعدَ حَلِّ العُقَدِ وإذهابِ الكُدُورةِ ، وحَلُّ العُقَدِ بصدقِ الإنابةِ والاستغفارِ والتضرُّعِ إلى اللهِ تعالىٰ .

ودواءُ ما يحدُثُ مِنَ الكَدَرِ بمُجالَسةِ الأهلِ والأولادِ . . أنْ يكونَ في مُجالَستِهِ غيرَ راكنٍ إليهِم كلَّ الرُّكُونِ ، بل يسترقُ القلبُ في ذلكَ نَظَراتٍ

---

(١) رواه أبو داود (١٢٧٠) ، وابن ماجه (١١٥٧) ، وأحمد (٥/٤١٦ـ٤١٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤/١٦٩) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، والترمذي (٤٧٨) عن سيدنا عبد الله بن السائب رضي الله عنهما .

(٢) العبارة في (ط) : (فالذائقون حلاوة الإيمان لا بدَّ أن يجدوا صفوَ . . .) ، والفعل بعدُ فيه : (ويتكدَّرون) بواو العطف والرفع .

إلى اللهِ تعالىٰ ، فتكونُ تلكَ النَّظَراتُ كفَّارةَ تلكَ المُجالَسةِ .

إلا أنْ يكونَ قَوِيَّ الحالِ لا يَحجُبُهُ الخَلْقُ عنِ الحقِّ ، فلا ينعقدُ علىٰ باطنِهِ عُقْدَةٌ ، فهوَ حينَ يدخلُ في الصلاةِ يجدُها ويجدُ باطنَهُ وقلبَهُ ؛ لأنَّهُ حيثُ استروحَتْ نَفْسُ هٰذا إلى المُجالَسةِ . كانَ استرواحُ نَفْسِهِ مُنغمِراً برَوحِ قلبِهِ ؛ لأنَّهُ يُجالِسُ ويُخالِطُ بعينِ ظاهرِهِ ، فعينُ ظاهرِهِ ناظرةٌ إلى الخَلْقِ ، وعينُ قلبِهِ مُطالِعةٌ للحضرةِ الإلـٰهيَّةِ[1] ، فلا ينعقدُ علىٰ باطنِهِ عُقْدَةٌ .

وصلاةُ الزوالِ التي ذَكَرْناها تَحُلُّ العُقَدَ ، وتُهيِّئُ الباطنَ لصلاةِ الظهرِ ، فيقرأُ في صلاةِ الزوالِ بمقدارِ سورةِ (البقرةِ) في النهارِ الطويلِ ، وفي القصيرِ ما يتيسَّرُ مِنْ ذلكَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٨] ، وهٰذا هوَ الإظهارُ .

فإنِ انتظرَ بعدَ السُّنَّةِ حضورَ الجماعةِ للفرضِ ، وقَرَأَ الدعاءَ الذي بينَ الفريضةِ والسُّنَّةِ مِنْ صلاةِ الفجرِ . فحَسَنٌ ، وما وَرَدَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دعا بهِ إلا لصلاةِ الفجرِ[2] .

ثمَّ إذا فَرَغَ مِنْ صلاةِ الظهرِ . يقرأُ (الفاتحةَ) وآيةَ الكُرْسيِّ ، ويُسبِّحُ ويَحمَدُ ويُكبِّرُ ثلاثاً وثلاثينَ كما وَصَفْنا ، ولو قَدَرَ على الآياتِ كلِّها التي ذَكَرْناها بعدَ صلاةِ الصبحِ وعلى الأدعيةِ أيضاً . كانَ في ذلكَ خيرٌ كثيرٌ ، وفضلٌ عظيمٌ ، ومَنْ لهُ هِمَّةٌ ناهضةٌ ، وعزيمةٌ صادقةٌ . لا يستكثرُ شيئاً للهِ تعالىٰ .

---

(١) في (أ ، ز ، ي) : (باطنه) .

(٢) وقد سبق هٰذا الدعاء (٢/ ٢٩٦ـ٢٩٨) .

ثمَّ يُحيِي بينَ الظهرِ والعصرِ كما يُحيِي بينَ العِشاءَينِ على الترتيبِ الذي ذَكَرْناهُ ؛ مِنَ الصلاةِ والتلاوةِ ، والذِّكْرِ والمُراقَبةِ .

ومَنْ دامَ سَهَرُهُ ينامُ نَوْمةً خفيفةً في النهارِ الطويلِ بينَ الظهرِ والعصرِ ، ولو أَحْيا بينَ الظهرِ والعصرِ بركعتَينِ يقرأُ فيهِما رُبُعَ القرآنِ ، أو يقرأُ ذلكَ في أربعِ رَكَعاتٍ . . فهوَ خيرٌ كثيرٌ[1] .

وإنْ أرادَ أنْ يُحيِيَ هـٰذا الوقتَ بمئةِ ركعةٍ في النهارِ الطويلِ . . يُمكِنُ ذلكَ ، أو بعشرينَ ركعةً يقرأُ فيها : (قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ألفَ مرَّةٍ ؛ في كلِّ ركعةٍ خمسينَ .

ويستاكُ قبلَ الزوالِ إذا كانَ صائماً ، وإنْ لم يكنْ صائماً فأيَّ وقتٍ تغيَّرَ فيهِ الفمُ .

وفي الحديثِ : « ٱلسِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ »[2] ، وعندَ القيامِ إلى الفرائضِ يُستحَبُّ .

قيلَ : إنَّ الصلاةَ بالسِّواكِ تَفضُلُ على الصلاةِ بغيرِ سواكٍ سبعينَ ضِعْفاً ، وقيلَ : هوَ خبرٌ[3] .

وإنْ أرادَ يقرأُ بينَ الصلاتَينِ في صلاتِهِ في عشرينَ ركعةً ، في كلِّ ركعةٍ آيةَ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ١٣٥) .

(٣) رواه أحمد (٦/ ٢٧٢) ، والحاكم (١/ ١٤٥ـ١٤٦) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤٧٣٨) ، والبزار في « المسند » (١٨/ ١٤٥) برقم : (١٠٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٣٨) مرفوعاً عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

أو بعضَ آيةٍ ؛ يقرأُ في الركعةِ الأُولىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١]، ثمَّ في الثانيةِ : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٠].

ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا . . .﴾ إلى آخرِ السورةِ [البقرة : ٢٨٦] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا . . .﴾ الآيةَ [آل عمران : ٨] .

ثمَّ : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ . . .﴾ الآيةَ [آل عمران : ١٩٣] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ . . .﴾ [آل عمران : ٥٣] .

ثمَّ : ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا . . .﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، ثمَّ : ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ . . .﴾ [يوسف : ١٠١] .

ثمَّ : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ . . .﴾ الآيةَ [إبراهيم : ٣٨] ، ثمَّ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] .

ثمَّ : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ . . .﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، ثمَّ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ . . .﴾ [الأنبياء : ٨٩] .

ثمَّ : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون : ١١٨] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا . . .﴾ [الفرقان : ٧٤] .

ثمَّ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل : ١٩] ، ثمَّ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر : ١٩] .

ثمَّ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ . . .﴾ الآيةَ مِنْ سورةِ

(الأحقافِ) [الأحقاف : ١٥] ، ثمَّ : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ. . . ﴾ الآيةَ [الحشر : ١٠] .

ثمَّ : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا. . . ﴾ [الممتحنة : ٤][١] ، ثمَّ : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨] .

ومهما يُصَلِّ بهٰذهِ الآياتِ وبالمحافظةِ علىٰ هٰذهِ الآياتِ في الصلاةِ ، مُواطِئاً للقلبِ واللِّسانِ[٢] . . يُوشِكْ أنْ يرقىٰ إلىٰ مقامِ الإحسانِ[٣] .

ولو رَدَّدَ فَرْدَ آيةٍ مِنْ هٰذهِ الآياتِ في ركعتَينِ بينَ الظهرِ والعصرِ . . كانَ في جميعِ الوقتِ مُناجِياً لمَوْلاهُ ، وداعياً وتالياً ومُصلِّياً .

والدُّؤُوبُ في العملِ ، واستيعابُ أجزاءِ النهارِ بهِ بلَذَاذةٍ وحلاوةٍ مِنْ غيرِ سآمةٍ . . لا يَصِحُّ إلا لعبدٍ تزكَّتْ نَفْسُهُ بكمالِ التقوىٰ ، واستقصىٰ في الزُّهْدِ في الدنيا ، وانتُزِعَ منهُ مُتابعةُ الهوىٰ .

ومتىٰ بَقِيَ على الشخصِ مِنَ التقوىٰ والزُّهْدِ والهوىٰ بقيّةٌ . . لا يدومُ رَوحُهُ في العملِ ، بل يَنشَطُ وقتاً ويَسأَمُ وقتاً ، وتَناوُبُ النشاطِ والكسلِ فيهِ لبقاءِ بقيَّةِ مُتابَعةِ شيءٍ مِنَ الهوى بنُقْصانِ تقوىٰ أو محبَّةِ دنيا .

وإذا صحَّ في الزُّهْدِ والتقوىٰ ؛ إنْ تَرَكَ العملَ بالجوارحِ . . لا يَفتُرُ عنِ

---

(١) زاد في (ح) : (ثم : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾) ، وهي غير متناسبة مع العدد الذي ذكره المؤلف .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (د ، ح) : (محافظاً عليها في الصلاة) بدل (وبالمحافظة علىٰ هٰذه الآيات في الصلاة) .

(٣) ويجوز أن يُقرأ أيضاً : (يُرقَّىٰ) ، كما ضُبطَ كذلك في بعض النسخ .

العملِ بالقلبِ ، فمَنْ رامَ دوامَ الرَّوحِ واستحلاءَ الدُّؤوبِ في العملِ . فعليهِ بحَسْمِ مادَّةِ الهوىٰ .

والهوىٰ رَوْحُ النَّفْسِ لا يزولُ ، ولـٰكن يزولُ متابعتُهُ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما استعاذَ مِنْ وجودِ الهوىٰ ، ولـٰكنِ استعاذَ مِنْ مُتابَعتِهِ ؛ فقالَ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوىً مُتَّبَعٍ » ، ولم يَستعِذْ مِنْ وجودِ الشُّحِّ ؛ فإنَّهُ طبيعةُ النَّفْسِ ، ولـٰكنِ استعاذَ مِنْ طاعتِهِ ؛ فقالَ : « وَشُحٍّ مُطاعٍ »[1] .

ودقائقُ مُتابَعةِ الهوىٰ تتبيَّنُ علىٰ قَدْرِ صفاءِ القلبِ وعُلُوِّ الحالِ ؛ فقد يكونُ مُتَّبِعاً للهوىٰ باستحلاءِ مُجالَسةِ الخَلْقِ ومُكالَمتِهِم أوِ النَّظَرِ إليهِم ، وقد يتَّبِعُ الهوىٰ بتجاوزِ الاعتدالِ في النومِ والأكلِ ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ أقسامِ الهوى المُتَّبَعِ ، وهـٰذا شُغْلُ مَنْ ليسَ لهُ شُغْلٌ في الدنيا .

ثمَّ يُصلِّي العبدُ قبلَ العصرِ أربعَ رَكَعاتٍ .

فإنْ أَمْكنَهُ تجديدُ الوضوءِ لكلِّ فريضةٍ . . كان أَكْملَ وأَتَمَّ ، ولوِ اغتسلَ كانَ أَفْضلَ[2] ؛ فكلُّ ذلكَ لهُ أَثَرٌ ظاهرٌ في تنويرِ الباطنِ وتكميلِ الصلاةِ .

ويقرأُ في الأربعِ قبلَ العصرِ : (إذا زُلزِلَتِ الأرضُ) ، و(العادياتِ) ، و(القارعةَ) ، و(ألهاكُم) .

ويُصلِّي العصرَ ؛ ويجعلُ مِنْ قراءتِهِ في بعضِ الأيَّامِ : (والسماءِ ذاتِ

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١) ، والترمذي (٣٠٥٨) ، وابن ماجه (٤٠١٤) عن سيدنا أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه ، بلفظ : « . . . بلِ ائتمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عنِ المنكرِ ؛ حتىٰ إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً ، وهوىً مُتَّبَعاً ، ودنيا مُؤْثَرَةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ . . فعليكَ بنفْسِكَ ، ودَعْ عنكَ العوامَّ . . . » .

(٢) في (ب ، هـ ، ح) : (أكمل) ، وفي (ح ، ي) : (أكمل وأفضل) .

البُرُوجِ) ؛ سمعتُ أنَّ قراءةَ سورةِ (البروجِ) في صلاةِ العصرِ أمانٌ مِنَ الدَّماميلِ ، ويقرأُ بعدَ العصرِ ما ذَكَرْنا مِنَ الآياتِ والدعاءِ ، وما يتيسَّرُ لهُ مِنْ ذلكَ .

فإذا صلَّى العَصْرَ ذَهَبَ وقتُ التنفُّلِ بالصلاةِ ، وبَقِيَ وقتُ الأذكارِ والتلاوةِ ، وأَفْضلُ مِنْ ذلكَ : مُجالَسةُ مَنْ يُزهِّدُهُ في الدنيا ويَشُدُّ كلامُهُ عُرا التقوىٰ ؛ مِنَ العلماءِ الزاهدينَ المُتكلِّمينَ بما يُقوِّي عزائمَ المُريدينَ .

فإذا صحَّتْ نيَّةُ القائلِ والمُستمِعِ . . فهٰذهِ المُجالَسةُ أَفْضلُ مِنَ الانفرادِ والمُداوَمةِ على الأذكارِ .

وإنْ عَدِمَ هٰذهِ المُجالَسةَ وتعذَّرتْ . . فليتروَّحْ بالتنقُّلِ في أنواعِ الأذكارِ[1] ، وإنْ كانَ خروجُهُ لحوائجِهِ وأَمْرِ معاشِهِ في هٰذا الوقتِ . . يكونُ أفضلَ وأَوْلىٰ مِنْ خروجِهِ في أولِ النهارِ .

ولا يخرجُ مِنَ المنزلِ إلا وهوَ على الوضوءِ .

وكرهَ جمعٌ من العلماءِ تحيَّةَ الطهارةِ بعدَ صلاةِ العصرِ ، وأجازَها المشايخُ والصالحونَ .

ويقولُ كلَّما خَرَجَ مِنْ منزلِهِ : (باسمِ اللهِ ، ما شاءَ اللهُ ، حَسْبيَ اللهُ ، لا قوَّةَ إلا باللهِ ، اللَّهُمَّ ؛ إليكَ خرجتُ وأنتَ أخرجْتَني) ، ولْيَقرَأْ : (الفاتحةَ) و(المُعوِّذتَينِ) .

ولا يَدَعُ أنْ يتصدَّقَ كلَّ يومٍ بما يتيسَّرُ لهُ ولو تمرةً واحدةً أو لُقْمةً ؛ فإنَّ

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، د ، ز) : (بالتنفُّل) بدل (بالتنقُّل) ، وفي (ب) : (بالشغل) .

القليلَ بحُسْنِ النيَّةِ عندَ اللهِ كثيرٌ ؛ رُوِيَ أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أَعْطَتِ السائلَ عِنَبةً واحدةً وقالتْ : إنَّ فيها لمثاقيلَ ذرٍّ كثيرٍ[1] .

وجاءَ في الخبرِ : « كُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ صَدَقَتِهِ »[2] .

ويكونُ مِنْ ذِكْرِهِ مِنَ العصرِ إلى المغربِ مئةَ مرَّةً : (لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ) ، وقد وَرَدَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ مَنْ قالَ ذلكَ في يومِهِ مئةَ مرَّةٍ[3] . . لم يعملْ أحدٌ في يومِهِ أفضلَ مِنْ عملِهِ[4] .

---

(١) رواه مالك (٢/ ٩٩٧) بلاغاً ، وابن زنجويه في « الأموال » (١٣٢٥ ، ١٣٢٦) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٨/ ٤٩٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٣١٩٠) ، وروىٰ أيضاً (٨٧١١) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : أنَّ سائلاً أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأعطاه تمرة ، فقال الرجل : سبحان الله !! نبيٌّ من الأنبياء يتصدَّقُ بتمرة ؟! فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « أَوَما علمتَ أنَّ فيها مثاقيلَ ذرٍّ كثيرةً ؟ » ، فأتاه آخرُ فسأله ، فأعطاه تمرةً ، فقال : تمرةٌ من نبيٍّ من الأنبياء ، لا تُفارِقُني هٰذه التمرةُ ما بَقِيتُ ، ولا أزالُ أرجو بركتَها أبداً ، قال : فأمر النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم له بمعروف ، وما لَبِثَ الرجلُ أنِ استغنىٰ .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٤٥) ، وأحمد (٤/ ١٤٧ـ١٤٨) ، وابن حبان (٣٣١٠) ، والحاكم (١/ ٤١٦) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٣) في بعض النسخ : (مئتي مرة) .

(٤) رواه البخاري (٦٤٣) ، ومسلم (٢٦٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وجاءت العبارة في (ط) مع زيادة موجودة في « الصحيحين » ، واللفظ فيها : (. . . مئة مرَّة . . كانَ له عِدْلُ عشر رقاب ، وكُتِبتْ له مئةُ حسنة ، ومُحِيتْ عنه مئةُ سيِّئة ، وكانتْ له حِرْزاً من الشيطان يومَهُ ذلك حتىٰ يُمسيَ ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممَّا جاء به ، إلا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذلك) ، ثمَّ قال : (ومئتا مرَّة : « لا إلـٰه إلا اللهُ المَلِكُ الحقُّ المبين » ؛ فقد ورد : أنَّ مَنْ قال في يومه مئتي مرَّة : « لا إلـٰه إلا اللهُ المَلِكُ الحقُّ » . . لم يعمل أحدٌ في يومه أفضلَ من عمله) ، ولعلَّ الأَوْلىٰ ما أُثبت من جميع النسخ الخطِّية ، والله تعالىٰ أعلم .

ويقولُ مئةَ مرَّةٍ : (سُبْحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ . . .) الكلماتِ[1] .

ومئـةَ مـرَّةٍ : (سُبْحـانَ اللهِ وبحمـدِهِ ، سُبْحـانَ اللهِ العظيـمِ وبحمـدِهِ ، أستغفرُ اللهَ) .

ومئةَ مرَّةٍ : (لا إلـهَ إلا اللهُ المَلِكُ الحقُّ المُبِينُ) .

ومئةَ مرَّةٍ : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آلِ محمَّدٍ) .

ومئةَ مرَّةٍ : (أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلـهَ إلا هوَ الحيَّ القيومَ ، وأسألُهُ التوبةَ) .

ومئةَ مرَّةٍ : (ما شاءَ اللهُ لا قوَّةَ إلا باللهِ) .

ورأيتُ بعضَ الفقراءِ مِنَ المغربِ بمكَّةَ حَرَسَها اللهُ ولهُ سُبْحةٌ فيها ألفُ حبَّةٍ في كيسٍ لهُ ، ذَكَرَ أنَّ وِرْدَهُ أنْ يُدِيرَها كلَّ يومٍ اثنتَيْ عَشْرَةَ مرَّةً بأنواعِ الذِّكْرِ .

ونُقِلَ عن بعضِ الصحابةِ أنَّ ذلكَ كانَ وِرْدَهُ بينَ اليومِ والليلةِ[2] .

ونُقِلَ عن بعضِ التابعينَ أنَّهُ كانَ وِرْدُهُ مِنَ التسبيحِ ثلاثينَ ألفاً بينَ اليومِ والليلةِ[3] .

ولْيَقُلْ مئةَ مرَّةٍ بينَ اليومِ والليلةِ هـٰذا التسبيحَ : (سُبْحانَ اللهِ العَلِيِّ الديَّانِ ، سُبْحانَ اللهِ شديدِ الأركانِ ، سُبْحانَ مَنْ يَذهَبُ بالليلِ ويأتي

---

(١) يعني : (ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر) . من هامش (ح) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٢٤ـ١٢٥) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٢٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٢٥) .

بالنهارِ ، سُبْحانَ مَنْ لا يشغلُهُ شانٌ عن شانٍ ، سُبْحانَ اللهِ الحنَّانِ المنَّانِ ، سُبْحانَ اللهِ المُسبَّحِ في كلِّ مكانٍ)[1] .

رُوِيَ أنَّ بعضَ الأبدالِ باتَ على شاطئِ البحرِ ، فسَمِعَ في هُدوُءِ الليلِ هـٰذا التسبيحَ ، فقالَ : مَنْ ذا الذي أسمعُ صوتَهُ ولا أرىٰ شَخْصَهُ ؟

فقالَ : أنا مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ مُوكَّلٌ بهـٰذا البحرِ ، أُسبِّحُ اللهَ بهـٰذا التسبيحِ منذُ خُلِقْتُ .

فقلتُ : ما اسمُكَ ؟ فقالَ : مَهْلَيهيائيل[2] .

قلتُ : ما ثوابُ هـٰذا التسبيحِ ؟ قالَ : مَنْ قالَهُ مئةَ مرَّةٍ لم يَمُتْ حتىٰ يرىٰ مقعدَهُ مِنَ الجنَّةِ أو يُرىٰ لهُ[3] .

ورُوِيَ أنَّ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ سألَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٦٣] ، فقالَ : « سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ عَظِيمٍ مَا سَأَلَنِي غَيْرُكَ ؛ هُوَ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَٱللهُ أَكْبَرُ ، وَسُبْحَـانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْـدُ للهِ ، وَلَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـٱللهِ عـزَّ وجـلَّ ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ٱلْأَوَّلَ ٱلْآخِرَ ٱلظَّاهِرَ ٱلْبَاطِنَ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ؛ مَنْ قَالَهَا عَشْراً حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي . . أُعْطِيَ سِتَّ خِصَالٍ .

---

(١) قوله : (المُسبَّح) زِيدَ من بعض النسخ ، وجاء في بعضها بدلَ لفظ الجلالة .

(٢) تفاوت ضبطه في النسخ ، والمثبت من أكثرها ، وهو من الأسماء السريانية .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ١٢٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٥٢٥) .

فَأَوَّلُ خَصْلَةٍ : أَنْ يُحْرَسَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ .

ٱلثَّانِيَةُ : يُعْطَىٰ قِنْطَاراً مِنَ ٱلْأَجْرِ .

ٱلثَّالِثَةُ : تُرْفَعُ لَهُ دَرَجَةٌ فِي ٱلْجَنَّةِ .

ٱلرَّابِعَةُ : يُزَوِّجُهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ .

ٱلْخَامِسَةُ : ٱثْنَا عَشَرَ مَلَكاً يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ .

ٱلسَّادِسَةُ : يَكُونُ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ كَمَنْ حَجَّ وَٱعْتَمَرَ »[1] .

ويقولُ أيضاً في هـٰذا الوقتِ وفي أوَّلِ النهارِ : (اللَّهُمَّ ؛ أنتَ خلقْتَني وأنتَ هَدَيْتَني ، وأنتَ تُطعِمُني وأنتَ تَسْقِيني ، وأنتَ تُمِيتُني وأنتَ تُحيِيني ، أنتَ ربِّي لا ربَّ لي سِواكَ ، ولا إلـٰهَ إلا أنتَ وَحْدَكَ لا شريكَ لكَ) .

ويقولُ : (ما شاءَ اللهُ لا قوَّةَ إلا باللهِ ، ما شاءَ اللهُ كلُّ نعمةٍ مِنَ اللهِ ، ما شاءَ اللهُ الخيرُ كلُّهُ بيدِ اللهِ ، ما شاءَ اللهُ لا يصرفُ السُّوءَ إلا اللهُ) .

ويقولُ : (حَسْبيَ اللهُ لا إلـٰهَ إلا هوَ عليهِ توكَّلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ) .

ثمَّ يستعدُّ لاستقبالِ الليلِ بالوضوءِ والطهارةِ ، ويقرأُ المُسبَّعاتِ قُبيلَ الغروبِ ، ويُدِيمُ التسبيحَ والاستغفارَ ؛ بحيثُ تغيبُ الشمسُ وهوَ في التسبيحِ والاستغفارِ .

---

(١) رواه أبو يعلىٰ كما في « المقصد العلي » (١٦٤٧) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٤٠٥) ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/ ٢٣١) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٧٣) ، والطبراني في « الدعاء » (١٧٠٠) .

ويقرأُ عندَ الغروبِ أيضاً : (والشمسِ) (والليلِ) و(المُعوِّذتَينِ) ، ويستقبلُ الليلَ كما استقبلَ النهارَ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

فكما أنَّ الليلَ يَعقُبُ النهارَ والنهارَ يَعقُبُ الليلَ . . ينبغي أنْ يكونَ العبدُ بينَ الذِّكْرِ والشكرِ ؛ يَعقُبُ أحدُهُما الآخَرَ ، لا يتخلَّلُهُما شيءٌ ، كما لا يتخلَّلُ بينَ الليلِ والنهارِ شيءٌ .

والذِّكْرُ جميعُهُ أعمالُ القلبِ ، والشكرُ أعمالُ الجوارحِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ : ١٣] ، واللهُ المُوفِّقُ والمُعِينُ(١) .

* * *

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ أمين الدين في الرابع والثلاثين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الحادي والخمسون
في أدب المريد مع الشيخ

أدبُ المُريدينَ معَ الشُّيُوخِ عندَ الصُّوفيّةِ . . مِنْ مَهامِّ الآدابِ ، وللقومِ في ذلكَ اقتداءٌ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابِهِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١] .

رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : قَدِمَ وفدٌ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ بني تميمٍ(١) ، فقالَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أَمِّرِ القَعْقاعَ بنَ مَعْبَدٍ ، وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : بل أَمِّرِ الأقرعَ بنَ حابسٍ ، فقالَ أبو بكرٍ : ما أردتَ إلا خِلافي ، وقالَ عمرُ : ما أردتُ خِلافَكَ(٢) ، فتمَارَيا حتى ارتفعَتْ أصواتُهُما ، فأَنْزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآيةَ(٣) .

---

(١) والوفد في هٰذا الوقت قيل : سبعون أو ثمانون . من هامش (ح) .

(٢) في النسخ ما عدا (ب) : (إلا خلافي) بدل (خلافك) ، وعليها يكون (أردت) بفتح التاء ، والمثبت من (ب) موافق لرواية « البخاري » .

(٣) رواه البخاري (٤٣٦٧ ، ٤٨٤٥) ، وسيأتي أيضاً في (٢/ ٣٤٢ـ ٣٤٣) مسنداً من طريق الترمذي .

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (﴿ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾ : لا تتكلَّمُوا بينَ يَدَيْ كلامِهِ)[1] .

وقالَ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (كانَ ناسٌ يُضحُّونَ قبلَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنُهُوا عن تقديمِهِمُ الأُضْحِيَةَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[2] .

وقيلَ : كانَ قومٌ يقولونَ : (لو أنزلَ في كذا وكذا) ، فكَرِهَ اللهُ ذلكَ[3] .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (أي : لا تَصُومُوا قبلَ أنْ يصومَ نبيُّكُم)[4] .

وقالَ الكَلْبيُّ : (لا تَسْبِقُوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقولٍ ولا فعلٍ حتىٰ يكونَ هوَ الذي يأمرُكُم بهِ)[5] .

وهـٰذا أدبُ المُرِيدِ معَ الشيخِ ؛ أنْ يكونَ مسلوبَ الاختيارِ ، لا يتصرَّفُ

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٧٢) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٦٠٦) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٧٦) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٣٦) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٧٦) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٦٠٤) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٧١٣) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٧/ ٥٤٧) إلى ابن مردويه ، ورواه ابن مردويه أيضاً كما في « الدر المنثور » (٧/ ٥٤٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٥) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤١) .

في نَفْسِهِ ومالِهِ إلا بمُراجَعةِ الشيخِ وأَمْرِهِ ، وقدِ استَوْفَيْنا هـٰذا المعنىٰ في (بابِ المَشْيَخَةِ)[1] .

وقيلَ : (﴿ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾ : لا تَمْشُوا بينَ يَدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[2] .

وروىٰ أبو الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كنتُ أَمْشي أمامَ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **أَتَمْشِي أَمَامَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ؟!** »[3] .

وقيلَ : نَزَلَتْ في أقوامٍ كانوا يَحضُرونَ مَجْلِسَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإذا سُئِلَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن شيءٍ . . خاضُوا فيهِ ، وتقدَّمُوا بالقولِ والفَتْوىٰ ، فنُهُوا عن ذلكَ[4] .

وهكذا أدبُ المُريدِ في مجلسِ الشيخِ ؛ ينبغي أنْ يلزمَ السكوتَ ، ولا يقولَ شيئاً بحضرتِهِ مِنْ كلامٍ حَسَنٍ إلا إذا استأمرَ الشيخَ[5] ، ووَجَدَ مِنَ الشيخِ فُسْحةً لهُ في ذلكَ .

وشأنُ المُريدِ في حضرةِ الشيخِ كمَنْ هوَ قاعدٌ علىٰ ساحلِ بَحْرٍ ينتظرُ رِزْقاً

---

(١) راجع (الباب العاشر) ، وانظر (٢/ ٣٦٥ـ٣٦٧) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٢) .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٢٤) ، وأحمد في « فضائل الصحابة » (١٣٥) ، وأبو طاهر المُخلِّص في « المخلصيات » (١٩١٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٥) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٣) .

(٥) في (أ ، ز) : (استأذن) بدل (استأمر) .

يُساقُ إليهِ ، فتَطَلُّعُهُ إلى الاستماعِ وما يُرزَقُ مِنْ طريقِ كلامِ الشيخِ . . يُحقِّقُ مقامَ إرادتِهِ وطَلَبِهِ واستزادتِهِ مِنْ فضلِ اللهِ ، وتَطَلُّعُهُ إلى القولِ يَرُدُّهُ عن مقامِ الطَّلَبِ والاستزادةِ إلىٰ مقامِ إثباتِ شيءٍ لنَفْسِهِ ، وذلكَ جِنايةُ المُرِيدِ .

وينبغي أنْ يكونَ تَطَلُّعُهُ إلىٰ مُبهَمٍ مِنْ حالِهِ يستكشفُ عنهُ بالسؤالِ مِنَ الشيخِ .

علىٰ أنَّ الصادقَ لا يحتاجُ إلى السؤالِ باللِّسانِ في حَضْرةِ الشيخِ ، بل يُبادِئُهُ بما يُرِيدُهُ ؛ لأنَّ الشيخَ يكونُ مُستنطِقاً نُطْقَهُ بالحقِّ ، وهوَ عندَ حضورِ الصادقينَ يرفعُ قلبَهُ إلى اللهِ ، ويستمطرُ ويَسْتَسْقي لهُم ، فيكونُ لسانُهُ وقلبُهُ في القولِ والنُّطْقِ مأخوذَينِ إلىٰ مُهِمِّ الوقتِ مِنْ أحوالِ الطالِبينَ المُحتاجِينَ إلىٰ ما يُفتَحُ بهِ عليهِ ؛ لأنَّ الشيخَ يعلمُ تَطَلُّعَ الطالبِ إلىٰ قولِهِ واعتدادَهُ بقولِهِ .

فالقولُ كالبَذْرِ يقعُ في الأرضِ ، فإذا كانَ البَذْرُ فاسداً لا يَرِيعُ[1] ، وفسادُ الكلمةِ بدخولِ الهوىٰ فيها .

فالشيخُ يُنقِّي بَذْرَ الكلامِ عن شَوْبِ الهوىٰ ، ويُسلِمُهُ إلى اللهِ ، ويسألُ اللهَ تعالى المعونةَ والسَّدادَ ، ثمَّ يقولُ فيكونُ كلامُهُ بالحقِّ مِنَ الحقِّ للحقِّ .

فالشيخُ للمُرِيدينَ أمينُ الإلهامِ ، كما أنَّ جبريلَ أمينُ الوحيِ ؛ فكما لا يخونُ جبريلُ في الوحيِ لا يخونُ الشيخُ في الإلهامِ ، وكما أنَّ رسولَ اللهِ

---

(١) في النسخ ما عدا (ج ، د) : (مفسوداً) بدل (فاسداً) ، وهو لا يصحُّ إلا إذا جاء فعله مُتعدِّياً ، وعدَّهُ الحريري في « درة الغواص » (ص١٨٣) من مفاضح اللحن الشنيع ، ويَرِيع : يزكو وينمو .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يَنطِقُ عنِ الهوىٰ. . كذلكَ الشيخُ مُقتَدٍ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ظاهراً وباطناً ؛ لا يتكلَّمُ بهوى النَّفْسِ .

وهوى النَّفْسِ في القولِ بشيئَينِ :

أحدُهُما : طَلَبُ استجلابِ القلوبِ وصَرْفِ الوجوهِ إليهِ ، وما هـٰذا مِنْ شأنِ الشُّيُوخِ .

والثاني : ظُهُورُ النَّفْسِ باستحلاءِ الكلامِ والعُجْبِ ، وذلكَ خِيانةٌ عندَ المُحقِّقينَ[1] .

والشيخُ فيما يَجْرِي علىٰ لسانِهِ. . راقدُ النَّفْسِ ، تشغلُهُ مُطالَعةُ نِعَمِ الحقِّ في ذلكَ ، وأخذُ الحظِّ مِنْ فوائدِهِ. . عن ظهورِ النَّفْسِ بالاستحلاءِ والعُجْبِ .

ويكونُ الشيخُ فيما يُجْرِيهِ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ عليهِ مُستمِعاً كأحدِ المُستمِعينَ .

وكانَ الشيخُ أبو السُّعُودِ رحمةُ اللهِ عليهِ يتكلَّمُ معَ الأصحابِ بما يُلقىٰ إليهِ ، وكانَ يقولُ : أنا في هـٰذا الكلامِ مُستمعٌ كأحدِكُم .

فأَشْكَلَ ذلكَ علىٰ بعضِ الحاضرينَ ، وقالَ : إذا كانَ القائلُ هوَ يعلمُ ما يقولُ. . كيفَ يكونُ كمُستمعٍ ما يعلمُ حتىٰ يَسمَعَ منهُ ؟!

فرَجَعَ إلىٰ منزلِهِ ، فرأىٰ ليلتَهُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ لهُ : أليسَ الغَوَّاصُ يغوصُ في البحرِ لطَلَبِ الدُّرِّ ، ويجمعُ الصَّدَفَ في مِخْلاتِهِ ، والدُّرُّ

(١) في (ب ، د) : (جناية) بدل (خيانة) .

قد حَصَلَ معَهُ ، ولـٰكن لا يراهُ إلا إذا خَرَجَ مِنَ البحرِ ، ويُشارِكُهُ في رؤيةِ الدُّرِّ مَنْ هوَ على الساحلِ ؟! ففَهِمَ بالمنامِ إشارةَ الشيخِ في ذلكَ .

فأحسنُ آدابِ المُرِيدِ معَ الشيخِ : السُّكُونُ[1] والخُمُودُ والجُمُودُ حتىٰ يُبادِئَهُ الشيخُ بما لهُ فيهِ الصلاحُ قولاً وفِعْلاً .

وقيلَ أيضاً في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ : (لا تَطلُبُوا منزلةً وراءَ منزلتِهِ)[2] .

وهـٰذا مِنْ محاسنِ الآدابِ وأَعَزِّها ؛ ينبغي للمُرِيدِ أَلَّا يُحدِّثَ نَفْسَهُ بطلبِ منزلةٍ فوقَ منزلةِ الشيخِ ، بل يُحِبُّ للشيخِ كلَّ منزلةٍ عاليةٍ ، ويتمنَّىٰ للشيخِ عزيزَ المِنَحِ وغرائبَ المواهبِ .

وبهـٰذا يظهرُ جوهرُ المُرِيدِ في حُسْنِ الإرادةِ ، وهـٰذا يَعِزُّ في المُرِيدينَ ، فإرادتُهُ للشيخِ تُعطِيهِ فوقَ ما يتمنَّىٰ لنَفْسِهِ ، ويكونُ قائماً بأدبِ الإرادةِ .

قالَ السَّرِيُّ رحمَهُ اللهُ : (حُسْنُ الأدبِ تَرْجُمانُ العَقْلِ)[3] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفِيفٍ رحمَهُ اللهُ : قالَ لي رُوَيمٌ : يا بُنَيَّ ؛ اجعَلْ عملَكَ مِلْحاً ، وأدبَكَ دقيقاً[4] .

وقيلَ : (التصوُّفُ كلُّهُ أدبٌ ، لكلِّ وقتٍ أدبٌ ، ولكلِّ حالٍ أدبٌ ،

---

(١) في (ح) ونسخة أشار إليها في (د) : (السكوت) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٣) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٤).

(٤) أورده القرافي في « الفروق » (٣/ ٩٦) من قول رُوَيم لابنه رحمهما الله تعالىٰ .

ولكلِّ مقامٍ أدبٌ ؛ فمَنْ لَزِمَ الأدبَ يبلغُ مبلغَ الرجالِ ، ومَنْ حُرِمَ الأدبَ فهوَ بعيدٌ مِنْ حيثُ يَظُنُّ القُرْبَ ، ومردودٌ مِنْ حيثُ يرجو القَبولَ)(1) .

ومِنْ تأديبِ اللهِ تعالىٰ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . قولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] .

كانَ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ في أُذُنِهِ وَقْرٌ ، وكانَ جَهْوَرِيَّ الصوتِ ، وكانَ إذا كَلَّمَ إنساناً جَهَرَ بصوتِهِ ، وربَّما كانَ يُكلِّمُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيتأذَّىٰ بصوتِهِ ، فأَنْزَلَ اللهُ الآيةَ تأديباً لهُ ولغيرِهِ(2) .

(١١٧) ـ أخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفَتْحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ المُثنَّىٰ ، قالَ : حدَّثَنا مُؤمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، قالَ : حدَّثَنا نافعُ بنُ عمرَ بنِ جَميلٍ الجُمَحيُّ ، قالَ : حدَّثَني ابنُ أبي مُلَيكةَ ، قالَ : حدَّثَني عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ : أنَّ الأَقْرعَ بنَ حابسٍ قَدِمَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ أبو بكرٍ : استعمِلْهُ علىٰ قومِهِ ، وقالَ عمرُ : لا تستعمِلْهُ يا رسولَ اللهِ ، فتكلَّما عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ عَلَتْ أصواتُهما .

فقالَ أبو بكرٍ لعُمَرَ : ما أردتَ إلا خِلافي ، وقالَ عمرُ : ما أردتُ

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٤٨) عن أبي حفص الحداد من قوله رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٤) ، والواحدي في « أسباب النزول » (ص٤٠٢) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٠٩) ، وما سيأتي في (٢/ ٣٤٥ـ٣٤٧) .

خِلافَكَ[١] ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى الآيةَ ، فكانَ عمرُ بعدَ ذلكَ إذا تكلَّمَ عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يُسمَعُ كلامُهُ حتىٰ يُستفهَمَ[٢] .

وقيلَ : لمَّا نَزَلَتِ الآيةُ آلىٰ أبو بكرٍ ألَّا يتكلَّمَ عندَ رسولِ اللهِ إلا كأخي السِّرارِ[٣] .

فهكذا ينبغي أنْ يكونَ المُريدُ معَ الشيخِ ؛ لا ينبسطُ برَفْعِ الصوتِ وكَثْرةِ الضَّحِكِ وكثرةِ الكلامِ ، إلا إذا بَسَطَهُ الشيخُ .

فرَفْعُ الصوتِ تنحيةُ جِلْبابِ الحياءِ والوَقارِ ، والوَقارُ إذا سَكَنَ القلبَ عَقَلَ اللِّسانَ .

وقد يُنازِلُ باطنَ بعضِ المُريدينَ مِنَ الحُرْمةِ والوَقارِ مِنَ الشيخِ . . . ما لا يستطيعُ المُريدُ أنْ يُشبِعَ النظرَ إلى الشيخِ .

وقد كنتُ أُحَمُّ ، فيدخلُ عَلَيَّ عمِّي وشيخي أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، فيَرْشَحُ جَسَدي عَرَقاً ، وكنتُ أتمنَّى العرقَ لتَخِفَّ عنِّي الحُمَّىٰ ، فكنتُ أجدُ ذلكَ عندَ دخولِ الشيخِ عَلَيَّ ، ويكونُ في قُدُومِهِ بركةٌ وشفاءٌ[٤] .

---

(١) في النسخ : (ما أردتَ إلا خلافي) ، وانظر ما تقدَّم تعليقاً في (٢/ ٣٣٦) .

(٢) سنن الترمذي (٣٢٦٦) ، وانظر ما تقدَّم في (٢/ ٣٣٦) .

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٧٤) ، والحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٩٥) من حديث سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو في « صحيح البخاري » (٧٣٠٢) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، ولم يذكره الراوي ـ وهو سيدنا ابن الزبير ـ عن جدِّه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وآلىٰ : حلف ، والسِّرار : المُساررة ، والمراد : أنَّهُ حلف ألَّا يكلمه إلا كصاحب السِّرار ، أو كمثل المُسارِرة ؛ لخفض صوته .

(٤) في غالب النسخ : (وكان في قدمه) بدل (ويكون في قدومه) .

وكنتُ ذاتَ يومٍ في البيتِ خالياً ، وهناكَ مِنْديلٌ وَهَبَهُ ليَ الشيخُ ، وكانَ يتعمَّمُ بهِ ، فوقعَ قَدَمي على المِنْدِيلِ اتِّفاقاً ، فتألَّمَ باطني مِنْ ذلكَ ، وهالَني وَطْئي بالقَدَمِ مِنْديلَ الشيخِ ، وانبعثَ مِنْ باطني مِنَ الاحترامِ ما أرجو بركتَهُ .

وقالَ ابنُ عطاءٍ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ : (زَجَرَ عنِ الأَدْنىٰ ؛ لئلَّا يتخطَّىٰ أحدٌ إلىٰ ما فوقَهُ مِنْ تركِ الحُرْمةِ)[١] .

وقالَ سهلٌ في ذلكَ : (لا تُخاطِبُوهُ إلا مُستفهِمِينَ)[٢] .

وقالَ أبو بكرِ بنُ طاهرٍ : (لا تبدؤُوهُ بالخطابِ ، ولا تُجِيبوهُ إلا علىٰ حُدُودِ الحُرْمة ، ﴿ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ [الحجرات : ٢] ؛ أي : لا تُغلِظُوا لهُ في الخِطابِ ، ولا تُنادُوهُ باسمِهِ : يا محمَّدُ ، يا أحمدُ ، كما يُنادي بعضُكُم لبعضٍ ، ولـٰكنْ فَخِّمُوهُ واحْترِمُوهُ ، وقُولُوا : يا نبيَّ اللهِ ، ويا رسولَ اللهِ)[٣] .

ومِنْ هـٰذا القَبيلِ يكونُ خِطابُ المُريدِ معَ الشيخِ ، وإذا سَكَنَ الوَقارُ القلبَ . . عَلِمَ اللِّسانُ كيفيَّةَ الخِطابِ .

ولمَّا كَلِفَتِ النفوسُ بمحبَّةِ الأولادِ والأزواجِ ، وتمكَّنتْ أَهْوِيةُ النفوسِ والطِّباعِ . . استُخرِجَتْ مِنَ اللِّسانِ عباراتٌ غريبةٌ هيَ نَحْتُ وقتِها ، صاغَها كَلَفُ النَّفْسِ وهواها ، وإذا امتلأَ القلبُ حُرْمةً ووَقاراً . . يُعلِّمُ اللِّسانَ العبارةَ[٤] .

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠) إلىٰ قوله : (الحرمة) ، وانظر « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٤) .

(٤) في (ب ، ج ، د ، ز) : (تعلَّم اللسانُ العبارةَ) .

فلمَّا نزلَتْ هـٰذهِ الآيةُ . قَعَدَ ثابتُ بنُ قيسٍ في الطريقِ يبكي ، فمرَّ بهِ عاصمُ بنُ عَدِيٍّ فقالَ : ما يُبكِيكَ يا ثابتُ ؟ فقالَ : هـٰذهِ الآيةُ ؛ أخافُ أنْ تكونَ نزلَتْ فِيَّ ؛ ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢] ، وأنا رفيعُ الصوتِ أخافُ أنْ يَحبَطَ عملي وأكونَ مِنْ أصحابِ النارِ .

فمضىٰ عاصمٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وغَلَبَ ثابتاً البكاءُ .

فأتىٰ ثابتٌ امرأتَهُ جميلةَ بنتَ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ ، فقالَ لها : إذا دخلتُ بيتَ فَرَسي فَشُدِّي على الضَّبَّةِ بمِسْمارٍ[1] ، فضرَبَتْهُ بمِسْمارٍ ، حتىٰ إذا خَرَجَتْ عَطَفَتْهُ ، وقالَ : لا أخرجُ حتىٰ يتوفَّاني اللهُ أو يرضىٰ عنِّي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فأتىٰ عاصمٌ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأَخْبَرَهُ بخبرِهِ ، فقالَ : اذهَبْ فادْعُهُ ، فجاءَ عاصمٌ إلى المكانِ الذي رآهُ ، فلم يَجِدْهُ ، فجاءَ إلىٰ أهلِهِ فوَجَدَهُ في بيتِ الفرسِ[2] ، فقالَ لهُ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدعوكَ ، فقالَ : اكْسِرِ الضَّبَّةَ .

فأَتَيَا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ ؟ » ، فقالَ : أنا صَيِّتٌ وأخافُ أنْ تكونَ هـٰذهِ الآيةُ نزلتْ فِيَّ .

---

(١) في بعض النسخ : (فرشي) بدل (فرسي) ، و(فسُدِّي) بدل (فشدي) ، وضُبط قوله : (على الضبَّة) في بعضها : (عليَّ الضبَّة) ، ولعل الأَوْلىٰ والأَوْضح ما أثبته ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) في بعض النسخ : (الفرش) .

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَعِيشَ سَعِيداً ، وَتُقْتَلَ شَهِيداً ، وَتَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ ؟** » ، فقالَ : قد رَضِيتُ ببُشْرى اللهِ تعالىٰ ورسولِهِ ، **ولا أرفعُ صوتي أبداً** علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٣] .

قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : **كُنَّا ننظرُ إلى الرجلِ مِنْ أهلِ الجنَّةِ يمشي بينَ أيدينا .**

فلمَّا كانَ يومُ اليمامةِ في حربِ مُسيلِمةَ . . رأىٰ ثابتٌ مِنَ المسلمينَ بعضَ الانكسارِ ، وانهزمَتْ طائفةٌ منهُم ، فقالَ : **أُفٍّ لهـٰؤلاءِ وما يصنعونَ !!**

ثمَّ قالَ ثابتٌ لسالمٍ مَوْلىٰ أبي حُذَيفةَ : ما كُنَّا نقاتلُ أعداءَ اللهِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مثلَ هـٰذا ، **ثمَّ ثَبَتَا ولم يزالا يُقاتِلانِ حتىٰ قُتِلا** ، واستشهدَ ثابتٌ كما وَعَدَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعليهِ دِرْعٌ .

فرآهُ رجلٌ مِنَ الصحابةِ بعدَ موتِهِ في المنامِ أنَّهُ قالَ لهُ : اعلَمْ أنَّ فلاناً ـ رجلاً مِنَ المسلمينَ ـ نَزَعَ دِرْعي فذَهَبَ بها ، وهوَ في ناحيةٍ مِنَ العسكرِ ، وعندَهُ فرسٌ يستنُّ في طِوَلِهِ[1] ، وقد وضعَ علىٰ دِرْعي بُرْمةً[2] ، **فَأْتِ خالدَ بنَ الوليدِ** فأَخبِرْهُ حتىٰ يستردَّ دِرْعي ، **وأْتِ أبا بكرٍ خليفةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ** فقُلْ لهُ : إنَّ عَلَيَّ دَيناً حتىٰ يقضيَهُ عنِّي ، وفلانٌ مِنْ عبيدي عَتيقٌ .

---

(١) استنَّ الفرس : إذا عدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين ، ولا راكب عليه ، والطِّوَل : الحبل الطويل يُشَدُّ أحد طرفيه في وتد والطرف الآخر في الفرس ليدور فيه ويرعىٰ .

(٢) البُرْمة : القِدْر من الحجر ، والمعنىٰ : أنَّ هـٰذا الرجل نزع درع ثابت بعد استشهاده وخبَّأه في قدر حتىٰ يأخذه بعد انتهاء المعركة .

فأخبرَ الرجلُ خالداً ، فوَجَدَ دِرْعَهُ والفرسَ علىٰ ما وصفَهُ ، واستردَّ الدِّرْعَ ، وأخبرَ خالدٌ أبا بكرٍ بتلكَ الرُّؤْيا ، فأجازَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وصيَّتَهُ[1] .

قالَ مالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا أعلمُ وصيَّةً أُجيزَتْ بعدَ موتِ صاحبِها إلا هٰذهِ)[2] .

فهٰذهِ كراماتٌ ظهرتْ لثابتٍ بحُسْنِ تَقْواهُ وأدبِهِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فلْيَعْتَبِرِ المُريدُ الصادقُ ويعلمْ أنَّ الشيخَ عندَهُ تَذْكِرَةٌ مِنَ اللهِ ورسولِهِ ، وأنَّ الذي يعتمدُهُ معَ الشيخِ عِوَضُ ما لو كانَ في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ واعتمدَهُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فلمَّا قامَ القومُ بواجبِ الأدبِ . . أَخْبرَ الحقُّ عن حالِهِم وأَثْنىٰ عليهِم ؛ فقالَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ [الحجرات : ٣] ؛ أي : اختبرَ قلوبَهُم وأَخْلصَها ، كما يُمتحَنُ الذهبُ بالنارِ فيخرجُ خالصُهُ .

فكما أنَّ اللِّسانَ تَرْجُمانَ القلبِ ، وتَهذُّبَ اللفظِ لتأدُّبِ القلبِ . . فهكذا ينبغي أنْ يكونَ المُريدُ معَ الشيخِ .

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/٢٧٨ـ ٢٧٩) عن محمد بن ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وليس فيه : (قال أنس بن مالك . . .) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/ ٧٠ـ٧١) عن ابنة سيدنا ثابت بن قيس ، وأصله في « البخاري » (٣٦١٣) ، و« مسلم » (١١٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وأورده بلفظ المؤلف الثعالبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٥ـ٣٤٧) .

(٢) انظر « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٤٧) ، و« تفسير البغوي » (٧/ ٣٣٦) .

قالَ أبو عثمانَ : (الأدبُ عندَ الأكابرِ ، وفي مجالسِ الساداتِ مِنَ الأولياءِ . يَبلُغُ بصاحبِهِ إلى الدرجاتِ العُلا ، والخيرِ في الأُولىٰ والعُقْبىٰ ؛ أَلَا ترىٰ إلىٰ قولِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [الحجرات : ٥] ؟!)[١] .

وممَّا علَّمَهُمُ اللهُ تعالىٰ : قولُهُ سبحانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤] .

وكانَ هٰذا الحالُ مِنْ وفدِ بني تميمٍ ؛ جاؤوا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنادَوْا : يا محمَّدُ ؛ اخْرُجْ إلينا ؛ فإنَّ مَدْحَنا زَيْنٌ ، وذَمَّنا شَيْنٌ ، قالَ : فسَمِعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فخرجَ إليهِم وهوَ يقولُ : « إِنَّمَا ذَلِكُمُ ٱللهُ ٱلَّذِي ذَمُّهُ شَيْنٌ وَمَدْحُهُ زَيْنٌ . . . » في قصَّةٍ طويلةٍ .

وكانوا أَتَوْا بشاعرِهِم وخطيبِهِم ، فغلبَهُم حسَّانُ بنُ ثابتٍ[٢] ، وشُبَّانُ المُهاجِرينَ والأنصارِ بالخُطْبَةِ[٣] .

وفي هٰذا تأديبٌ للمُريدِ في الدخولِ على الشيخِ والإقدامِ عليهِ ، وتركِهِ للاستعجالِ ، وصبرِهِ إلىٰ أنْ يخرجَ الشيخُ مِنْ موضعِ خَلْوتِهِ .

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٠ـ٢٦١) ، وفي (أ ، ي) : (وفي مجالسة) بدل (وفي مجالس) ، وكذلك في (ج ، ز) إلا أنها دون واو العطف .

(٢) أي : غلبهم بالشعر ، وهٰذا القيد مفهوم من السياق .

(٣) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١٠٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ١٨٧ـ١٩٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه مختصراً الترمذي (٣٢٦٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٤٥١) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وأحمد (٣/ ٤٨٨) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١١٧٨) عن سيدنا الأقرع بن حابس رضي الله عنه .

سمعتُ أنَّ الشيخَ عبدَ القادرِ رحمةُ اللهِ عليهِ كانَ إذا جاءَ إليهِ فقيرٌ زائرٌ يُخبَرُ بالفقيرِ ، فيخرجُ ويفتحُ جانبَ البابِ ، ويُصافِحُ الفقيرَ ويُسلِّمُ عليهِ ، ولا يجلسُ معَهُ ، ويرجعُ إلىٰ خَلْوتِهِ ، وإذا جاءَ أحدٌ ممَّنْ ليسَ مِنْ زُمْرةِ الفقراءِ . . يخرجُ ويجلسُ معَهُ .

فخَطَرَ لبعضِ الفقراءِ نوعُ إنكارٍ ؛ لتركِهِ الخروجَ إلى الفقيرِ وخروجِهِ لغيرِ الفقيرِ ، فانتهىٰ ما خَطَرَ للفقيرِ إلى الشيخِ ، فقالَ : الفقيرُ رابطتُنا معَهُ رابطةٌ قلبيّةٌ ، وهوَ أهلٌ ، وليسَ عندَهُ أجنبيَّةٌ ، فيُكتفىٰ معَهُ بمُوافقةِ القلوبِ ، ويَقنَعُ بها مِنْ مُلاقاةِ الظاهرِ بهٰذا القَدْرِ ، وأمَّا مَنْ هوَ مِنْ غيرِ جنسِ الفقراءِ . . فهوَ واقفٌ معَ العاداتِ والظاهرِ ، فمتىٰ لم نُوَفِّ حقَّهُ مِنَ الظاهرِ . . استَوْحَشَ .

فحقُّ المُريدِ : عِمارةُ الظاهرِ والباطنِ بالأدبِ معَ الشيخِ .

قيلَ لأبي منصورٍ المَغْرِبيِّ : كم صَحِبتَ أبا عثمانَ ؟ قالَ : خدمتُهُ ، ما صَحِبتُهُ(١) .

فالصُّحْبةُ معَ الإخوانِ والأَقْرانِ ، ومعَ المشايخِ خِدْمةٌ(٢) .

---

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦١١) ، وفيها : (منصور بن خلف المغربي) بدل (أبي منصور المغربي) ، واسمُهُ تامّاً ـ كما في « المنتخب من كتاب السياق » (ص٤٧٩) ـ : (أبو القاسم منصور بن خلف بن حمُّود المغربي المالكي) .

(٢) ذكر القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٠ـ ٦١١) أنَّ الصحبة علىٰ ثلاثة أقسام : صحبةٌ مع مَنْ فوقَكَ ، وهي في الحقيقة خدمةٌ ، وصحبة مع مَنْ هو دونك ، وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة ، وعلى التابع بالوِفاق والحُرْمة ، وصحبةُ الأَكْفاء والنُّظَراء ، وهي مبنيةٌ على الإيثار والفُتُوَّة .

وينبغي للمُرِيدِ أنَّهُ كلَّما أَشْكلَ عليهِ شيءٌ مِنْ حالِ الشيخِ . . يذكرُ قصَّةَ موسىٰ معَ الخَضِرِ عليهِما السلامُ ؛ كيفَ كانَ الخَضِرُ يفعلُ أشياءَ يُنكِرُها موسىٰ ، فإذا أَخْبرَهُ الخَضِرُ بسِرِّها يرجعُ موسىٰ عن إنكارِهِ .

فما يُنكِرُهُ المُرِيدُ لقِلَّةِ علمِهِ بحقيقةِ ما يُوجَدُ مِنَ الشيخِ ؛ فللشيخِ في كلِّ شيءٍ عُذْرٌ بلسانِ العلمِ والحكمةِ .

سأَلَ بعضُ أصحابِ الجُنيدِ مسألةً مِنَ الجُنيدِ رحمَهُ اللهُ ، فأجابَهُ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ ، فعارَضَهُ في ذلكَ ، فقالَ الجُنيدُ : فإنْ لم تُؤمِنوا لي فاعْتزِلُونِ[1] .

وقالَ بعضُ المشايخِ : (مَنْ لم يُعظِّمْ حُرْمةَ مَنْ تأدَّبَ بهِ . . حُرِمَ بركةَ ذلكَ الأدبِ) .

وقيلَ : (مَنْ قالَ لأستاذِهِ : « لا » . . لا يُفلِحُ أبداً)[2] .

(١١٨) ـ أخبرَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا هنَّادٌ ، عن أبي مُعاوِيَةَ ، عنِ الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) رواه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٣٧) ، وفيه اقتباس ظاهر من سورة (الدخان) الآية : (٢١) ، وفي النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (فاعتزلوني) ، وحذف الياء بعد نون الوقاية جائز . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٤٩٩) .

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٧٢) عن أبي سهل الصعلوكي رحمه الله تعالىٰ .

عليهِ وسلَّمَ : « ٱتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِم ، وَٱخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ »[1] .

قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : رأيتُ معَ أبي حفصٍ النَّيسابُوريِّ إنساناً كثيرَ الصَّمْتِ لا يتكلَّمُ ، فقلتُ لأصحابِهِ : مَنْ هـٰذا ؟

فقيلَ لي : هـٰذا إنسانٌ يصحبُ أبا حفصٍ ويَخدُمُنا ، وقد أنْفقَ عليهِ مئةَ ألفِ درهمٍ كانتْ لهُ ، واستدانَ مئةَ ألفٍ أُخْرىٰ أنْفقَها عليهِ ، ما يُسوِّغُهُ أبو حفصٍ أنْ يتكلَّمَ بكلمةٍ واحدةٍ[2] .

وقالَ أبو يزيدَ البِسطاميُّ رحمَهُ اللهُ : (صَحِبتُ أبا عليٍّ السِّنْديَّ ، فكنتُ أُلقِّنُهُ وأُعلِّمُهُ ما يُقِيمُ بهِ فرضَهُ ، وكانَ يُعلِّمُني التوحيدَ والحقائقَ صِرْفاً)[3] .

وقالَ أبو عثمانَ : صحبتُ أبا حفصٍ وأنا غلامٌ حَدَثٌ ، فطَرَدَني وقالَ : لا تَجْلِسْ عندي ، فلم أجعَلْ مُكافأتي لهُ علىٰ كلامِهِ أنْ أُوَلِّيَ ظَهْري إليهِ ، فانصرفتُ أَمْشي إلىٰ خَلْفٍ ووجهي مُقابِلٌ لهُ ، حتىٰ غِبْتُ عنهُ .

واعتقدتُ أنْ أَحفِرَ لنَفْسي بئراً علىٰ بابِهِ ، وأنزلَ وأقعدَ فيهِ ولا أخرجَ منهُ إلا بإذنِهِ ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ منِّي قرَّبَني وقبِلَني ، وصيَّرَني مِنْ خواصِّ أصحابِهِ إلىٰ أنْ ماتَ رحمَهُ اللهُ[4] .

ومِنْ آدابِهِمُ الظاهرةِ : أنَّ المُريدَ لا يَبسُطُ سَجَّادتَهُ معَ وجودِ الشيخِ

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٧٩) ، ورواه مسلم (١٣٣٧) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥) .

إلا لوقتِ الصلاةِ ؛ فإنَّ المُريدَ مِنْ شأنِهِ التَّبتُّلُ للخِدْمةِ ، وفي السَّجّادةِ إيماءٌ إلى الاستراحةِ والتعزُّزِ .

ولا يتحرَّكُ في السماعِ معَ وجودِ الشيخِ ، إلا أنْ يخرجَ عن حدِّ التمييزِ .

وهَيْبةُ الشيخِ تمنعُ المُريدَ عنِ الاسترسالِ في السماعِ وتُقيِّدُهُ ، واستغراقُهُ في الشيخِ بالنظرِ إليهِ ومُطالَعةِ مواردِ فَضْلِ الحقِّ عليهِ . . أَنْجَعُ لهُ مِنَ الإصغاءِ إلى السماعِ .

ومِنَ الأدبِ : أَلّا يَكتُمَ الشيخَ شيئاً مِنْ حالِهِ ومواهبِ الحقِّ عندَهُ ، وما يظهرُ لهُ مِنْ كرامةٍ وإجابةٍ ، ويَكشِفُ للشيخِ مِنْ حالِهِ ما يعلمُ اللهُ تعالىٰ منهُ ، وما يستحيي مِنْ كشفِهِ يذكرُهُ إيماءً وتعريضاً ؛ فإنَّ المُريدَ متى انطوىٰ ضميرُهُ علىٰ شيءٍ لا يَكشِفُهُ للشيخِ تصريحاً أو تعريضاً . . يصيرُ علىٰ باطنِهِ منهُ عُقْدةٌ في الطريقِ ، وبالقولِ معَ الشيخِ تنحلُّ العُقْدةُ وتزولُ .

ومِنَ الأدبِ : أَلّا يدخلَ في صُحْبةِ الشيخِ إلا بعدَ علمِهِ بأنَّ الشيخَ قَيِّمٌ بتأديبِهِ وتهذيبِهِ ، وأنَّهُ أَقْومُ بالتأديبِ مِنْ غيرِهِ .

ومتىٰ كانَ عندَ المُريدِ تَطلُّعٌ إلىٰ شيخٍ آخَرَ . . لا تصفو صُحْبتُهُ ، ولا يَنفُذُ القولُ فيهِ ، ولا يستعدُّ باطنُهُ لسِرايةِ حالِ الشيخِ إليهِ ؛ فإنَّ المُريدَ كلَّما أَيقَنَ تَفرُّدَ الشيخِ بالمَشْيَخةِ . . عَرَفَ فضلَهُ وقَوِيَتْ مَحبَّتُهُ ، والمحبَّةُ والتآلُفُ هوَ الواسطةُ بينَ المُريدِ والشيخِ .

وعلىٰ قَدْرِ قُوَّةِ المَحبَّةِ تكونُ سِرايةُ الحالِ ؛ لأنَّ المحبَّةَ علامةُ التَّعارُفِ ، والتَّعارُفَ علامةُ الجِنْسيَّةِ ، والجِنْسيَّةَ جالبةٌ للمُريدِ حالَ الشيخِ أو بعضَ حالِهِ .

(١١٩) ـ أخبرَنا الشيخُ الثِّقَةُ أبو الفتحِ محمَّدُ ابنُ سَلْمانَ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدٌ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ ، قالَ : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ[١] ، قالَ : حدَّثَنا أنسُ بنُ سَلْمٍ ، قالَ : حدَّثَنا [عُبَيْدُ] بنُ رَزِينٍ[٢] ، قالَ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ عيَّاشٍ يقولُ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ زيادٍ الأَلْهانيُّ ، عن أبي أُمامةَ الباهِليِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ عَلَّمَ عَبْداً آيَةً مِنْ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . فَهُوَ مَوْلَاهُ ، لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْذُلَهُ وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ فَقَدْ فَصَمَ عُرْوَةً مِنْ عُرَا ٱلْإِسْلَامِ »[٣] .

ومِنَ الأدبِ : أنْ يُراعِيَ خَطَراتِ الشيخِ في جُزْئيَّاتِ الأمورِ وكُلِّيَّاتِها ، ولا يستحقرَ كراهةَ الشيخِ ليسيرِ حَرَكَاتِهِ ، مُعتمِداً علىٰ حُسْنِ خُلُقِ الشيخِ وكمالِ حِلْمِهِ ومُدَاراتِهِ .

قالَ إبراهيمُ بنُ شَيْبانَ : كُنَّا نصحبُ أبا عبدِ اللهِ المَغْرِبيَّ ونحنُ شُبَّانٌ ، ويُسافِرُ بنا في البَرَاري والفَلَوَاتِ ، وكانَ معَهُ شيخٌ اسمُهُ حَسَنٌ ، وقد صَحِبَهُ سبعينَ سنةً ، فكانَ إذا جرىٰ مِنْ أحدِنا خَطَأٌ ، وتغيَّرَ عليهِ حالُ الشيخِ . . نتشفَّعُ إليهِ بهـٰذا الشيخِ حتىٰ يرجعَ لنا إلىٰ ما كانَ[٤] .

---

(١) هو الطبراني الحافظ الشهير .

(٢) جاء (عُبَيد) في النسخ ما بين : (عتيبة) و(عتبة) ، والمثبت من المصادر الآتية .

(٣) المعجم الكبير (٨/ ١٣١ـ١٣٢) ، مسند الشاميين (٨١٨) ، وليس فيهما : (فمن فعل ذلك . . .) ، ورواه تامّاً تمّام في « فوائده » (٣٥٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٢٣) ، وفي (هـ ، ح) ونسخة علىٰ هامش (د) : (قصم) بدل (فصم) ، والفَصْم : الكسر دون إبانة ، والقَصْم : الكسر مع إبانة ، والقاف رواية « الشعب » .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٥ـ ٢٣٦) .

وَمِنْ أدبِ المُرِيدِ معَ الشيخِ : أَلَّا يَستقِلَّ بواقعتِهِ وكَشْفِهِ دونَ مُراجعةِ الشيخِ ؛ فإنَّ الشيخَ عِلْمُهُ أَوْسعُ ، وبابُهُ المفتوحُ إلى اللهِ تعالىٰ أكبرُ ، فإنْ كانَ واقعُ المُرِيدِ مِنَ اللهِ . . يُوافقُهُ الشيخُ ويُمضِيهِ لهُ ، وما كانَ مِنْ عندِ اللهِ لا يختلفُ ، وإنْ كانَ فيهِ شُبْهةٌ تزولُ شُبْهةُ الواقعةِ بطريقِ الشيخِ ، ويكتسبُ المُرِيدُ علماً بصحَّةِ الوقائعِ والكُشُوفِ .

فالمُرِيدُ لعلَّهُ في واقعتِهِ يُخامِرُهُ كُمُونُ إرادةٍ في النَّفْسِ ، فيتشبَّكُ كُمُونُ الإرادةِ بالواقعةِ ؛ مناماً كانَ ذلكَ أو يقظةً ، ولهٰذا سِرٌّ عجيبٌ ، ولا يقومُ المُرِيدُ باستئصالِ شَأْفةِ الكامنِ في النَّفْسِ(١) ، وإذا ذَكَرَهُ للشيخِ فما في المُرِيدِ مِنْ كُمُونِ إرادةِ النَّفْسِ مفقودٌ في حقِّ الشيخِ ؛ فإنْ كانَ مِنَ الحقِّ يتبرهنُ بطريقِ الشيخِ ، وإنْ كانَ تنزعُ واقعتُهُ إلىٰ كُمُونِ هوى النَّفْسِ . . تزولُ وتبرأُ ساحةُ المُرِيدِ ، ويتحمَّلُ الشيخُ ثِقَلَ ذلكَ ؛ لقوَّةِ حالِهِ ، وصحَّةِ إيوائِهِ إلىٰ جَنَابِ الحقِّ ، وكمالِ معرفتِهِ .

وَمِنَ الأدبِ معَ الشيخِ : أنَّ المُرِيدَ إذا كانَ لهُ كلامٌ معَ الشيخِ في شيءٍ مِنْ أمرِ دينِهِ أو أمرِ دُنْياهُ . . لا يستعجلُ بالإقدامِ علىٰ مُكالمةِ الشيخِ والهُجُومِ عليهِ حتىٰ يتبيَّنَ لهُ مِنْ حالِ الشيخِ أنَّهُ مُستعِدٌّ لهُ ، ولسماعِ كلامِهِ وقولِهِ مُتفرِّغٌ ؛ فكما أنَّ للدعاءِ أوقاتاً وآداباً وشُرُوطاً ؛ لأنَّهُ مُخاطَبةُ اللهِ تعالىٰ . . فللقولِ معَ الشيخِ أيضاً آدابٌ وشروطٌ ؛ لأنَّهُ مِنْ مُعامَلةِ اللهِ تعالىٰ .

ويسألُ اللهَ تعالىٰ قبلَ الكلامِ معَ الشيخِ التوفيقَ لِمَا يُحِبُّ مِنَ الأدبِ .

---

(١) الشَّأْفة في الأصل : قرحةٌ تخرجُ في أصل القدم ، فتُكوىٰ فتذهب ، يُقال في المثل : استأصل اللهُ شَأْفتَهُ ؛ أي : أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكَيِّ .

وقد نَبَّهَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ علىٰ ذلكَ فيما أَمَرَ بهِ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مُخاطَبتِهِ ؛ فقالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾ [المجادلة : ١٢] ؛ يعني : أمامَ مُناجاتِكُم .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (سأَلَ الناسُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأَكْثرُوا حتىٰ شَقُّوا عليهِ وأَحْفَوْهُ بالمسألةِ ، فأدَّبَهُمُ اللهُ تعالىٰ وفَطَمَهُم عن ذلكَ ، وأَمَرَهُم أَلَّا يُناجُوهُ حتىٰ يُقدِّمُوا صدقةً)[١] .

وقيلَ : كانَ الأغنياءُ يأتونَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ويَغلِبونَ الفقراءَ على المَجْلِسِ ، حتىٰ كَرِهَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طُولَ حديثِهِم ومُناجاتِهِم ، فأَمَرَ اللهُ بالصدقةِ عندَ المُناجاةِ ، فلمَّا رَأَوْا ذلكَ انتهَوْا عن مُناجاتِهِ .

فأمَّا أهلُ العُسْرةِ فلأنَّهُم لم يَجِدُوا شيئاً ، وأمَّا أهلُ اليُسْرةِ فبَخِلُوا ومَنَعُوا ، فاشتدَّ ذلكَ علىٰ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ونزلتِ الرُّخْصةُ ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ ﴾ [المجادلة : ١٣][٢] .

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٣/٢٤٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٨٤٨) ، والبيهقي في « المدخل » (١٤٣٠) ، وزادوا : (فلمَّا قال ذلك ضنَّ كثيرٌ من الناس وكفُّوا عن المسألة ، فأنزل الله تعالىٰ بعد هـٰذا : ﴿ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [المجادلة : ١٣] ، فوسَّع الله ذلك ولم يُضيِّق) ، وأَحْفَوْهُ : أَلحُّوا واستقصَوْا في سؤاله ، وفي (د ، ح) : (أَلْحفُوه) ، وهو بمعنىٰ : أَلحُّوا .

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٨/ ٨٤) مرسلاً عن مقاتل بن حيَّان رحمه الله تعالىٰ ، وأورده عنه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦/ ١٥٤ـ١٥٥) .

وقيلَ : لمَّا أَمَرَ اللهُ تعالىٰ بالصدقةِ لم يُناجِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، فقَدَّمَ ديناراً فتصدَّقَ بهِ[1] ، وقالَ عليٌّ : (في كتابِ اللهِ آيةٌ ما عَمِلَ بها أحدٌ قَبْلي ، ولا يعملُ بها أحدٌ بَعْدي)[2] .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا نزلتِ الآيةُ دعا عليّاً وقالَ : « مَا تَرَىٰ فِي ٱلصَّدَقَةِ كَمْ تَكُونُ ؟ ديناراً ؟ » ، قالَ عليٌّ : لا يُطِيقونَهُ ، قالَ : « كَمْ ؟ » ، قالَ عليٌّ : لِتكُنْ حبَّةً أو شَعِيرةً ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّكَ لَزَهِيدٌ » ، ثمَّ نزلتِ الرُّخْصةُ ونُسِختِ الآيةُ[3] .

وما نبَّهَ الحقُّ سبحانَهُ عليهِ بالأمرِ بالصدقةِ فيهِ وإنْ كانَ قد نُسِخَ . . فما فيهِ مِنْ حُسْنِ الأدبِ ، وتقييدِ اللفظِ والاحترامِ . . ما نُسِخَ ، والفائدةُ باقيةٌ .

(١٢٠) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ ابنُ سَلْمانَ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدٌ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعيمٍ ، قالَ : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، قالَ : حدَّثَنا مُطَّلِبُ بنُ شُعَيبٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قالَ : حدَّثَنا ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبي قَبيلٍ ، عن عُبادةَ بنِ

---

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤٨/٢٣) ، وعبد الرزاق في « تفسيره » (٣١٧٦) ، وعزاه في « الدر المنثور » (٨/ ٨٤) إلىٰ عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، جميعهم عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٧٨٨) ، والطبري في « تفسيره » (٢٤٨/٢٣) ، والحاكم (٢/ ٤٨٣) .

(٣) رواه الترمذي (٣٣٠٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٤٨٤) ، وابن حبان (٦٩٤١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٧٨٩) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الصامتِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ليسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ »[١] .

فاحترامُ العلماءِ توفيقٌ وهِدايةٌ ، وإهمالُ ذلكَ خِذْلانٌ وعُقُوقٌ ، نعوذُ باللهِ مِنْ ذلكَ[٢] .

* * *

---

(١) مكارم الأخلاق (١٤٧) للطبراني ، ورواه أحمد (٥/ ٣٢٣) ، والحاكم (١/ ١٢٢) ، ورواه دون الجملة الأخيرة أبو داود (٤٩٤٣) ، والترمذي (١٩٢٠) وغيرهما عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وروي أيضاً عن غيره .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثاني والخمسون

في أدب الشيخ وما يعتمده مع الأصحاب والتلامذة (1)

أهمُّ الآدابِ : ألَّا يتعرَّضَ الصادقُ للتقدُّمِ علىٰ قومٍ ، ولا يتعرَّضَ لاستجلابِ بواطنِهم بلُطْفِ الرِّفْقِ وحُسْنِ الكلامِ ؛ محبَّةً للاستتباعِ .

فإذا رأىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ يبعثُ إليهِ المُريدينَ والمُسترشِدينَ بحُسْنِ الظنِّ وصِدْقِ الإرادةِ . . يَحذَرُ أنْ يكونَ ذلكَ ابتلاءً واختباراً وامتحاناً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، والنفوسُ مجبولةٌ علىٰ محبَّةِ قَبولِ الخَلْقِ والشُّهْرةِ ، وفي الخُمُولِ السلامةُ .

---

(1) ومن المناسب إيرادُهُ ها هنا : ما سُئل عنه المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أنَّهُ هل يجوز لمن يدَّعي المشيخة ويُربِّي المريدين بالدعوة إلى الحقِّ وسلوك طريق الآخرة أن يحرصَ على الدنيا وأشباهِها وجمعِها لإقامة الجاه وإمالة القلوب إليه ، أم يكون بَرِيّاً من ذلك كلِّه ؟

فأجاب : بأنَّ الحريص على الدنيا وجمعِها وإقامةِ الجاه فيها إنَّما يحمله علىٰ طول أمله وغَفْلته ، ومَنْ يكونُ بهـٰذه المثابة لا يكون شيخاً ، وقد ذكرنا أنَّهُ لا يكون من أهل المشيخة ، إلا أن يكون له هوىً مُتَّبع ، فبإماطة الأذىٰ يمحو آثار الحرص والأمل وتندفع الغفلة عنه ، فإذا رأى المريدُ من شيخه ذلك . . فليتواضع لله تعالىٰ ويكثر اللَّجَأ إليه سبحانه أن يكشف له حال الشيخ هل هو شيخ حقيقةً أم ادعاءً [للمشيخة] من غير حقيقة ، ولا يعمل المريد بمُجرَّد ظنِّهِ ، فإن كان صادقاً سوف يكشف الحقُّ سبحانه وتعالىٰ عن شأن الشيخ وحقيقة أمره ، فيتبيَّنُ له حاله إن شاء الله تعالىٰ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٧) .

فإذا بلغَ الكتابُ أجلَهُ ، وتمكَّنَ العبدُ مِنْ حالِهِ ، وعَلِمَ بتعريفِ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ أنَّهُ مُرادٌ بالإرشادِ والتعليمِ للمُريدينَ . . فيُكلِّمُهُم حينَئذٍ كلامَ الناصحِ المُشفِقِ الوالدِ لولدِهِ بما ينفعُهُ في دِينِهِ ودُنْياهُ .

وكلُّ مُريدٍ ومُسترشِدٍ ساقَهُ اللهُ تعالىٰ إليهِ . . يُراجعُ اللهَ تعالىٰ في معناهُ[1] ، ويُكثِرُ اللَّجأَ إليهِ أنْ يتولَّاهُ فيهِ وفي القولِ معَهُ ، ولا يتكلَّمُ معَ المُريدِ بالكلمةِ إلا وقلبُهُ ناظرٌ إلى اللهِ ، مُستعِينٌ بهِ في الهدايةِ إلى الصوابِ مِنَ القولِ .

سمعتُ شيخَنا أبا النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديَّ يُوصي بعضَ أصحابِهِ ويقولُ : (لا تُكلِّمْ أحداً مِنَ الفقراءِ إلا في أَصْفىٰ أوقاتِكَ) .

وهٰذهِ وصيَّةٌ نافعةٌ ؛ لأنَّ الكلمةَ تقعُ في سَمْعِ المُريدِ الصادقِ كالحبَّةِ تقعُ في الأرضِ ، وقد ذَكَرْنا أنَّ الحبَّةَ الفاسدةَ تَهلِكُ وتضيعُ ، وفسادُ حبَّةِ الكلامِ بالهوىٰ ، وقَطْرةٌ مِنَ الهوىٰ تُكدِّرُ بحراً مِنَ العلمِ .

فعندَ الكلامِ معَ أهلِ الصدقِ والإرادةِ ينبغي أنْ يستمدَّ القلبُ مِنَ اللهِ كما يستمدُّ اللسانُ مِنَ القلبِ ، وكما أنَّ اللسانَ تَرْجُمانُ القلبِ يكونُ قلبُهُ تَرْجُمانَ الحقِّ عندَ العبدِ ، فيكونُ ناظراً إلى اللهِ ، مُصغِياً إليهِ ، مُتلقِّياً ما يَرِدُ عليهِ ، مُؤدِّياً للأمانةِ فيهِ .

ثمَّ ينبغي للشيخِ أنْ يعتبرَ حالَ المُريدِ ، ويتفرَّسَ فيهِ بنورِ الإيمانِ وقوَّةِ العلمِ والمعرفةِ ما يتأتَّىٰ منهُ ومِنْ صلاحيَّتِهِ واستعدادِهِ .

فمِنَ المُريدينَ مَنْ يصلُحُ للتعبُّدِ المَحْضِ وأعمالِ القوالبِ وطريقِ

---

(١) أي : في معنى الإرشاد . من هامش (ح) .

الأبرارِ ، ومِنَ المُريدينَ مَنْ يكونُ مُستعِدّاً صالحاً للقُرْبِ وسلوكِ طريقِ المُقرَّبينَ المُرادِينَ بمُعاملاتِ القلوبِ والمُعاملاتِ السَّنِيَّةِ ، ولكلٍّ مِنَ الأبرارِ والمُقرَّبينَ مَبَادٍ ونهاياتٌ ، فيكونُ الشيخُ صاحبَ الإشرافِ على البواطنِ ، يعرفُ كلَّ شخصٍ وما يَصلُحُ لهُ .

والعَجَبُ أنَّ الصَّحْراويَّ يعلمُ الأراضيَ والغُرُوسَ ، ويعلمُ كلَّ غَرْسٍ وأرضَهُ ، وكلُّ صاحبِ صنعةٍ يعلمُ منافعَ صنعتِهِ ومَضارَّها ؛ حتى المرأةُ تعلمُ قُطْنَها وما يتأتَّىٰ منهُ مِنَ الغزْلِ ودِقَّتِهِ وغِلَظِهِ ، ولا يعلمُ الشيخُ حالَ المُريدِ وما يَصلُحُ لهُ !!

وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُكلِّمُ الناسَ علىٰ قَدْرِ عقولِهِم[1] ، ويأمرُ كلَّ شخصٍ بما يَصلُحُ لهُ[2] ؛ فمِنْهُم مَنْ كانَ يأمرُهُ بالإنفاقِ[3] ، ومِنْهُم مَنْ أَمَرَهُ بالإمساكِ[4] ، ومِنْهُم مَنْ أَمَرَهُ بالكسبِ[5] ، ومِنْهُم مَنْ قَرَّرَهُ

---

(١) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/ ٤٢٥) مرسلاً عن سعيد بن المسيِّب رحمه الله تعالىٰ ، والديلمي في « الفردوس » (١٦١١) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وتكليمُ الناس علىٰ قدر عقولهم معروفٌ ومشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ١٩٦-١٩٧) .

(٢) وهو معروف ومشهور أيضاً من سيرته صلى الله عليه وسلم .

(٣) ومنه : ما رواه البخاري (٢٥٩١) ، ومسلم (١٠٢٩) عن سيدتنا أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وما سبق في (٢/ ٧٦) من أمره لسيدنا بلال رضي الله عنه بذلك .

(٤) ومنه : ما رواه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) عن سيدنا كعب بن مالك في قصة توبته رضي الله عنه ، وفيها : « أَمْسِكْ عليكَ بعضَ مالِكَ ؛ فهوَ خيرٌ لكَ » .

(٥) ومنه : ما رواه أبو داود (١٦٤١) ، وابن ماجه (٢١٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

علىٰ تركِ الكَسْبِ ؛ كأصحابِ الصُّفَّةِ .

فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعرفُ أوضاعَ الناسِ وما يَصلُحُ لكلِّ أحدٍ ، فأمَّا في رُتْبَةِ الدعوةِ فكانَ يُعمِّمُ الدعوةَ ؛ لأنَّهُ مبعوثٌ لإثباتِ الحُجَّةِ وإيضاحِ المَحَجَّةِ ، يدعو على الإطلاقِ ، ولا يُخصِّصُ بالدعوةِ مَنْ يتفرَّسُ فيهِ الهدايةَ دونَ غيرِهِ .

ومِنْ أدبِ الشيخِ : أنْ يكونَ لهُ خَلْوةٌ خاصَّةٌ ، ووقتٌ خاصٌّ ، لا يَسَعُهُ فيهِ مُعاناةُ الخَلْقِ ؛ حتىٰ تَفِيضَ علىٰ جَلْوتِهِ فائدةُ خَلْوتِهِ ، ولا تَدَّعِيَ نَفْسُهُ قوَّةً ؛ ظنّاً منها أنَّ استدامةَ المُخالَطةِ معَ الخَلْقِ والكلامَ معَهُم لا تَضُرُّهُ ولا تأخذُ منهُ ، وأنَّهُ غيرُ مُحتاجٍ إلى الخَلْوةِ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ كمالِ حالِهِ . كانَ لهُ قيامُ الليلِ ، وصلواتٌ يُصلِّيها ويُداوِمُ عليها ، وأوقاتٌ يخلو فيها .

فطَبْعُ البشرِ لا يستغني عنِ السياسةِ ، قَلَّ ذلكَ أو كَثُرَ ، لَطُفَ ذلكَ أو كَثُفَ .

وكم مِنْ مغرورٍ قانعٍ باليسيرِ مِنْ طِيبةِ القلبِ اتَّخذَ ذلكَ رأسَ مالِهِ ، واغترَّ بطِيبةِ قلبِهِ ، واسترسلَ في المُمازَجةِ والمُخالَطةِ ، وجَعَلَ نَفْسَهُ مُناخاً للبطَّالينَ بلُقْمةٍ تُؤكَلُ عندَهُ ، ورِفْقٍ يُوجَدُ منهُ ، فيَقصِدُهُ مَنْ ليسَ قصدُهُ الدِّينَ ، ولا بُغْيَتُهُ سُلُوكَ طريقِ المُتَّقِينَ ، فافتتنَ وأَفْتنَ ، وبَقِيَ في خِطَّةِ القُصُورِ ، ووَقَعَ في دائرةِ الفُتُورِ !!

فما يستغني الشيخُ عنِ الاستمدادِ مِنَ اللهِ ، والتضرُّعِ بينَ يَدَيِ اللهِ بقلبِهِ إنْ لم يكنْ بقالَبِهِ وقلبِهِ ، فيكونُ لهُ في كلِّ كلمةٍ إلى اللهِ رجوعٌ ، وفي كلِّ حركةٍ بينَ يَدَيْهِ خضوعٌ .

وإنَّما دخلتِ الفتنةُ على المَغْرورِينَ المُدَّعِينَ للقوَّةِ والاسترسالِ في الكلامِ والمُخالَطةِ ؛ لِقلَّةِ معرفتِهِم بصفاتِ النَّفْسِ ، واغترارِهِم بيسيرٍ مِنَ المَوْهِبةِ ، وقِلَّةِ تأدُّبِهِم بالشيوخِ .

وكانَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ يقولُ لأصحابِهِ : (لو علمتُ أنَّ صلاةَ ركعتَينِ لي أفضلُ مِنْ جلوسي معَكُم . . ما جلستُ عندَكُم)[1] .

فإذا رأى الفضلَ في الخَلْوةِ . . يخلو ، وإذا رأى الفضلَ في الجَلْوةِ . . يجلسُ معَ الأصحابِ ، فتكونُ جَلْوتُهُ في حِمايةِ خَلْوتِهِ ، وخلْوتُهُ مَزِيداً لجَلْوتِهِ[2] .

وفي هٰذا سِرٌّ ؛ وذلكَ أنَّ الآدميَّ ذو تركيبٍ مُختلِفٍ ، فيهِ تضادٌّ وتغايرٌ علىٰ ما أَسْلَفْنا مِنْ كونِهِ مُتردِّداً بينَ السُّفْليِّ والعُلْويِّ[3] ؛ ولما فيهِ مِنَ التغايرِ لهُ حظٌّ مِنَ الفُتُورِ عنِ الصبرِ علىٰ صِرْفِ الحقِّ ؛ ولهٰذا كانَ لكلِّ عاملٍ فَتْرةٌ[4] .

والفترةُ قد تكونُ تارةً في صورةِ العملِ ، وتارةً في عدمِ الرَّوحِ في العملِ وإن لم تكنْ في صورةِ العملِ .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) .
(٢) في بعض النسخ : (وجلوته مَزيداً لخلوته) .
(٣) راجع (الباب العاشر) .
(٤) والفرق بين الفترة والوقفة : أنَّ الفترةَ في الأعمال ، والوقفةَ في الأحوال ، وسببُ الوقفة : إهمالُ حكم الحال ، والإخلالُ بشيء من شروط الحال ، وموجب الإخلال والإهمالِ لنقصان علم الحال ، ونقصانُ علم الحال لنقصان علم القيام ، وعلمُ القيام سرُّ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] ، وهٰذا النقصانُ هو الفتور عن المراقبة . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٢) .

ففي وقتِ الفَتْرةِ للمُريدينَ والسالكينَ . . تضييعٌ واسترواحٌ للنَّفْسِ ، وركونٌ إلى البَطَالةِ .

فمَنْ بَلَغَ رُتْبةَ المَشْيَخةِ انصرفَ قِسْمُ فَتْرتِهِ إلى الخَلْقِ ، فأَفْلحَ الخَلْقُ بقِسْمِ فَتْرتِهِ ، وما ضاعَ قِسْمُ فترتِهِ كضَيَاعِهِ في حقِّ المُريدينَ .

فالمُريدُ يعودُ مِنَ الفترةِ بقوَّةِ الشَّرَهِ وحِدَّةِ الطلبِ إلى الإقبالِ على اللهِ ، والشيخُ يكتسبُ الفضيلةَ مِنْ نفعِ الخَلْقِ بقِسْمِ فترتِهِ ، ويعودُ إلىٰ أوطانِ خَلْوتِهِ وخاصِّ حالِهِ بنَفْسٍ مُشْرَئِبَّةٍ أكثرَ مِنْ عَوْدِ الفقيرِ بحِدَّةِ إرادتِهِ مِنْ فترتِهِ ، فيعودُ مِنَ الخَلْقِ إلى الخَلْوةِ مُنتزَعَ الفُتُورِ ، بقلبٍ مُتعطِّشٍ وافرِ النُّورِ ، ورُوحٍ مُتخلِّصةٍ عن مَضِيقِ مُطالَعةِ الأغيارِ ، قادمةٍ بحِدَّةِ شَعَفِها إلىٰ ديارِ القَرَارِ[1] .

ومِنْ وظيفةِ الشيخِ وحُسْنِ خُلُقِهِ معَ أهلِ الإرادةِ والطَّلَبِ : النُّزُولُ مِنْ حقِّهِ فيما يجبُ مِنَ التبجيلِ والتعظيمِ للمشايخِ ، واستعمالُهُ التواضعَ .

حكى الدُّقِّيُّ قالَ : كنتُ بمصرَ ، وكُنَّا في المسجدِ جماعةً مِنَ الفقراءِ جلوساً ، فدخلَ الزَّقَّاقُ ، فقامَ عندَ أُسْطُوانةٍ يركعُ ، فقُلْنا : يَفرُغُ الشيخُ مِنْ صلاتِهِ ونقومُ ونُسلِّمُ عليهِ .

فلمَّا فَرَغَ جاءَ إلينا وسلَّمَ علينا ، فقُلْنا : نحنُ كُنَّا أَوْلىٰ بهـٰذا مِنَ الشيخِ ، فقالَ : ما عَذَّبَ اللهُ قلبي بهـٰذا قطُّ[2] ؛ يعني : ما تقيَّدتُ بأنْ أُحترَمَ وأُقصَدَ .

ومِنْ أدبِ الشُّيُوخِ : النزولُ إلىٰ حالِ المُريدينَ مِنَ الرِّفْقِ بهِم وبَسْطِهِم .

---

(١) في (ب ، هـ ، ح) : (شغفها) بدل (شعفها) ، والشَّغَف : الحُبُّ الذي يدخل حجابَ القلب وغلافه ، والشَّعَف : الحُبُّ الذي يذهب بصاحبه كلَّ مذهب .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) .

قالَ بعضُهم : (إذا رأيتَ الفقيرَ فالْقَهُ بالرِّفْقِ ، ولا تَلْقَهُ بالعِلْمِ ؛ فإنَّ الرِّفْقَ يُؤنِسُهُ ، والعِلْمَ يُوحِشُهُ)[1] .

فإذا فَعَلَ الشيخُ هٰذا المعنىٰ مِنَ الرِّفْقِ . . تدرَّجَ المُرِيدُ ببركةِ ذلكَ إلى الانتفاعِ بالعلمِ ، فيُعامَلُ حينَئذٍ بصريحِ العلمِ .

ومِنْ أدبِ الشُّيوخِ : التعطُّفُ على الأصحابِ ، وقضاءُ حقوقِهِم في الصِّحَّةِ والمرضِ ، ولا يتركُ حقوقَهُمُ اعتماداً علىٰ إرادتِهِم وصدقِهِم .

قالَ بعضُهم : (لا تُضيِّعْ حقَّ أخيكَ بما بينَكَ وبينَهُ مِنَ المَوَدَّةِ)[2] .

وحُكِيَ عنِ الجُرَيريِّ قالَ : وافَيتُ مِنَ الحجِّ ، فابتدأتُ بالجُنيدِ وسلَّمتُ عليهِ ، وقلتُ : حتىٰ لا يتعنَّىٰ ، ثمَّ أتيتُ منزلي ، فلمَّا صلَّيتُ الغَداةَ التفتُّ ؛ فإذا بالجُنيدِ خَلْفي ، فقلتُ : يا سيِّدي ؛ إنَّما ابتدأتُ بالسلامِ عليكَ ؛ لكيلا تتعنَّىٰ إلىٰ ها هنا ، فقالَ لي : يا أبا محمَّدٍ ؛ هٰذا حقُّكَ ، وذاكَ فضلُكَ[3] .

ومِنْ أدبِ الشُّيُوخِ : أنَّهُم إذا عَلِمُوا في بعضِ المُسترشِدينَ ضَعْفاً في مُراغَمةِ النُّفُوسِ وقَهْرِها واعتمادِ صدقِ العزيمةِ . . أنْ يَرفُقُوا بهِ ويُوقِفُوهُ علىٰ حدِّ الرُّخْصةِ ؛ ففي ذلكَ خيرٌ كثيرٌ .

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٩) مسنداً عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص١٧٧) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٤٢٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٩٠) ، وعَزَوْهُ إلىٰ أبي عبد الله الجلَّا رحمه الله تعالىٰ ، وسيأتي مسنداً في (٢/ ٣٨٨) مع زيادة .

(٣) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٥٣٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧/ ٢٥٢) .

وما دامَ العبدُ لا يتخطَّىٰ حريمَ الرُّخْصةِ . . فهوَ بخيرٍ ، ثمَّ إذا ثَبَتَ وخالطَ الفقراءَ وتدرَّبَ في لزومِ الرُّخْصةِ . . يُدرَّجُ بالرِّفْقِ إلىٰ أوطانِ العزيمةِ .

قالَ أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ : كانَ شابٌّ يُعرَفُ بإبراهيمَ الصائغِ ، وكانَ لأبيهِ نِعْمةٌ ، فانقطعَ إلى الصُّوفيَّةِ ، وصَحِبَ أبا أحمدَ القَلَانِسيَّ ، فربَّما كانَ يقعُ بيدِ أبي أحمدَ شيءٌ مِنَ الدراهمِ ، فكانَ يشتري لهُ الرُّقَاقَ والشِّواءَ والحَلْواءَ ويُؤْثِرُهُ عليهِ ، ويقولُ : هـٰذا خَرَجَ مِنَ الدنيا وقد تعوَّدَ النِّعْمةَ ، فيجبُ أنْ يُرفَقَ بهِ ويُؤثَرَ عليهِ[1] .

ومِنْ أدبِ الشُّيُوخِ : التنزُّهُ عن مالِ المُريدِ وخدمتِهِ ، والارتفاقِ مِنْ جانبِهِ بكلِّ وجهٍ مِنَ الوجوهِ ؛ لأنَّهُ جاءَ للهِ تعالىٰ ، فيجعلُ نفعَهُ وإرشادَهُ خالصاً لوجهِهِ ، فما يُسدِي الشيخُ إلى المُريدينَ مِنْ أفضلِ الصدقاتِ[2] .

وقد وَرَدَ : « مَا تَصَدَّقَ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عِلْمٍ يَبُثُّهُ فِي ٱلنَّاسِ »[3] ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ تنبيهاً علىٰ خُلُوصِ ما للهِ وحِراستِهِ مِنَ الشوائبِ : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] .

فلا ينبغي للشيخِ أنْ يطلبَ علىٰ صدقتِهِ جزاءً ، إلا أنْ يظهرَ لهُ في شيءٍ

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٣) إلىٰ قوله : (ويؤثره عليه) ، والرُّقاق : الخبز الرقيق .

(٢) في (أ) ونسخة علىٰ هامش (و) : (فما يُسدىٰ من الشيخ) بدل (فما يسدي الشيخ) .

(٣) ولا ريب أنَّ أشرفَ العلوم وأجلَّها هو معرفة الله سبحانه وتعالىٰ ، والحديث رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٢٨٠) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ٣٤١) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٧/ ١٠١ـ١٠٢) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه .

مِنْ ذلكَ علمٌ يَرِدُ عليهِ مِنَ اللهِ في قَبولِ الرِّفْقِ منهُ ، أو صلاحٌ يتراءىٰ للشيخِ في حقِّ المُريدِ بذلكَ ، فيكونُ التلبُّسُ بمالِهِ والارتفاقُ بخدمتِهِ لمصلحةٍ تعودُ على المُريدِ ، مأمونةِ الغائلةِ مِنْ جانبِ الشيخِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ * إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٦ـ٣٧] معنىٰ (يُحفِكُم) ؛ أي : يُجهِدْكم ويُلِحَّ عليكم .

قالَ قَتادةُ : (عَلِمَ اللهُ تعالىٰ أنَّ في مسألةِ المالِ خروجَ الأَضْغانِ)[1] .

وهـٰذا تأديبٌ مِنَ اللهِ الكريمِ ، والأدبُ أدبُ اللهِ .

قالَ جعفرٌ الخُلْديُّ : جاءَ رجلٌ إلى الجُنيدِ وأرادَ أنْ يخرجَ مِنْ مالِهِ كلِّهِ ويجلسَ معَهُم على الفقرِ ، فقالَ لهُ الجُنيدُ : لا تُخرِجْ كلَّ ما معَكَ ، احبِسْ منهُ بمقدارِ ما يَكفِيكَ وأَخرِجِ الفضلَ ، وتقوَّتْ بما حَبَسْتَ ، واجْتهِدْ في طلبِ الحلالِ ، ولا تُخرِجْ كلَّ ما عندَكَ ؛ فلستُ آمَنُ عليكَ أنْ تُطالبَكَ نَفْسُكَ ، وكانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أرادَ أنْ يعملَ عملاً تَثَبَّتَ[2] .

وقد يكونُ الشيخُ يعلمُ مِنْ حالِ المُريدِ أنَّهُ إذا خرجَ مِنَ الشيءِ يُكسِبُهُ مِنَ

---

(١) رواه عبد الرزاق في « تفسيره » (٢٨٩١) ، وأورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٢١٣) ، والواحدي في « الوسيط » (٤/ ١٣٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٧/ ٢٩١) ، وفي بعض النسخ : (خروج المال) بدل (مسألة المال) ، وفي بعضها : (إخراج) بدل (خروج) في كلا الموضعين .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٧٤) ، وقوله : (تثبَّت) كذا في النسخ ، والمشهور في الرواية ـ كما في « مسلم » (٧٤٦/ ١٤١) وغيره من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها ـ : (أَثْبتَهُ) بمعنىٰ : ثبَّته وداوم عليه .

الحالِ ما لا يتطلَّعُ إلى المالِ ؛ فحينئذٍ : يجوزُ لهُ أنْ يفسحَ للمُرِيدِ في الخروجِ مِنَ المالِ كما فسحَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وقَبِلَ منهُ جميعَ مالِهِ[1] .

ومِنْ أدبِ الشيخِ : إذا رأىٰ مِنْ بعضِ المُرِيدينَ مكروهاً ، أو عَلِمَ مِنْ حالِهِ اعْوِجاجاً ، أو أحسَّ منهُ بدعوىٰ ، أو رأىٰ أنَّهُ داخَلَهُ عُجْبٌ . . ألَّا يُصرِّحَ لهُ بالمكروهِ ، بل يتكلَّمُ على الأصحابِ ، ويُشِيرُ إلى المكروهِ الذي يعلمُ ، ويَكشِفُ عن وجهِ المَذَمَّةِ مُجمَلاً ، فيحصلُ بذلكَ الفائدةُ للكلِّ ، فهٰذا أقربُ إلى المُدَاراةِ ، وأكثرُ أثَراً لتألُّفِ القلوبِ .

وإذا رأىٰ مِنَ المُرِيدِ تقصيراً في خِدْمةٍ نَدَبَهُ إليها . . يحملُ تقصيرَهُ[2] ، ويعفو عنهُ ، ويُحرِّضُهُ على الخِدْمةِ بالرِّفْقِ واللِّينِ ، وإلىٰ ذلكَ نَدَبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيما :

(١٢١) ـ أخبرَنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الكَرُوخيُّ قراءةً عليهِ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمِذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا قُتيبةُ ، قالَ : حدَّثَنا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، عن أبي هانئٍ الخَوْلانيِّ ، عن عبَّاسِ بنِ جُلَيدٍ الحَجْريِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) كما رواه أبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٥) ، والدارمي (١٧٠١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) في (ج) : (يحتمل) بدل (يحمل) ، وفي نسخة على هامش (أ) : (يتحمَّل) .

وسلَّمَ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ كم أَعْفُو عنِ الخادمِ ؟ قالَ : « كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً »[1] .

وأخلاقُ المشايخِ مُهذَّبةٌ بحُسْنِ الاقتداءِ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وهم أحقُّ الناسِ بإحياءِ سُنَّتِهِ في كلِّ ما أَمَرَ ونَدَبَ ، وأَنْكرَ وأَوْجبَ .

ومِنْ جُمْلةِ مَهامِّ الآدابِ : حِفْظُ أسرارِ المُريدينَ فيما يُكاشَفونَ بهِ ويُمنَحونَ مِنْ أنواعِ المِنَحِ ؛ فسِرُّ المُريدِ لا يتعدَّىٰ ربَّهُ وشيخَهُ .

ثمَّ يُحقِّرُ الشيخُ في نَفْسِ المُريدِ ما يَجِدُهُ في خَلْوتِهِ مِنْ كَشْفٍ أو سماعِ خطابٍ ، أو شيءٍ مِنْ خوارقِ العاداتِ ، ويُعرِّفُهُ أنَّ الوقوفَ معَ شيءٍ مِنْ هٰذا يُشغِلُ عنِ اللهِ ويَسُدُّ بابَ المَزيدِ ، بل يُعرِّفُهُ أنَّ هٰذهِ نِعْمةٌ تُشكَرُ ، ومِنْ ورائِها نِعَمٌ لا تُحصىٰ ، ويُعرِّفُهُ أنَّ شأنَ المُريدِ طلبُ المُنعِمِ لا النِّعْمةِ ؛ حتىٰ يبقىٰ سِرُّهُ محفوظاً عندَ نَفْسِهِ وعندَ شيخِهِ ، ولا يُذِيعَ سِرَّهُ .

فإذاعةُ الأسرارِ مِنْ ضِيقِ الصدرِ ، وضِيقُ الصدرِ المُوجِبُ لإذاعةِ السِّرِّ يُوصَفُ بهِ النِّسْوانُ وضُعَفاءُ العُقُولِ مِنَ الرِّجالِ .

وسببُ إذاعةِ السِّرِّ : أنَّ للإنسانِ قُوَّتَينِ : آخِذةً ، ومُعطِيةً ، وكلتاهُما تتشوَّفانِ إلى الفعلِ المُختَصِّ بهِما ، ولولا أنَّ اللهَ تعالىٰ وَكَّلَ المُعطِيةَ بإظهارِ ما عندَها . . ما ظهرتِ الأسرارُ .

فكاملُ العقلِ كلَّما طَلَبَتِ القُوَّةُ الفعلَ . . قيَّدَها ووَزَنَها بالعقلِ حتىٰ

---

(1) سنن الترمذي (١٩٤٩) ، ورواه أبو داود (٥١٦٤) ، واختلف في الراوي هل هو ابن عمر أو ابن عمرو ، وانظر « التاريخ الكبير » (٧/ ٣ـ٤) ، و« غنية العارف » (٢/ ٧٣٤) .

يضعَها في مواضعِها ، فيَجِلُّ حالُ الشيوخِ عن إذاعةِ الأسرارِ ؛ لرزانةِ عقولِهِم .

وينبغي للمُرِيدِ أنْ يحفظَ سِرَّهُ مِنْ زِرِّهِ ؛ ففي ذلكَ صحَّتُهُ وسلامتُهُ ، وتأييدُ اللهِ تعالىٰ يتداركُ المُرِيدينَ الصادقينَ في مَوْرِدِهِم ومَصْدَرِهِم[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثالث والخمسون

في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر

المُتقاضي للصُّحْبةِ : وجودُ الجِنْسيَّةِ ، وقد يدعو إليها أعمُّ الأوصافِ ، وقد يدعو إليها أخصُّ الأوصافِ .

فالدُّعاءُ بأعمِّ الأوصافِ : كمَيْلِ جنسِ البشرِ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ ، والدعاءُ بأخصِّ الأوصافِ : كمَيْلِ أهلِ كلِّ مِلَّةٍ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ ، ثمَّ أخصُّ مِنْ ذلكَ : كمَيْلِ أهلِ الطاعةِ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ ، وكمَيْلِ أهلِ المعصيةِ بعضِهِم إلىٰ بعضٍ .

فإذا عُلِمَ هـٰذا الأصلُ ، وأنَّ الجاذبَ إلى الصُّحْبةِ وجودُ الجِنْسيَّةِ بالأعمِّ تارةً وبالأخصِّ أُخْرىٰ .. فلْيَتَفَقَّدِ[1] الإنسانُ نَفْسَهُ عندَ المَيْلِ إلىٰ صُحْبةِ شخصٍ ، وينظرْ ما الذي يميلُ بهِ إلىٰ صُحْبتِهِ ، ويَزِنْ أحوالَ مَنْ يميلُ إليهِ بميزانِ الشرعِ .

فإنْ رأىٰ أحوالَهُ مُسدَّدةً فلْيُبَشِّرْ نَفْسَهُ بحُسْنِ الحالِ[2] ؛ فقد جعلَهُ اللهُ تعالىٰ مِرْآتَهُ ، يلوحُ لهُ في مِرْآةِ أخيهِ جمالُ حُسْنِ الحالِ .

وإنْ رأىٰ أفعالَهُ غيرَ مُسدَّدةٍ فلْيَرْجِعْ إلىٰ نَفْسِهِ باللائمةِ والاتِّهامِ ؛ فقد لاحَ

---

(١) في (د ، هـ ، ح) : (فليفتقد) ، وهو صحيح أيضاً .

(٢) ويجوز أن تضبط العبارة أيضاً : (فلتَبشَرْ نفسُهُ بحسن الحال) .

لهُ في مرآةِ أخيهِ سوءُ حالِهِ ، فبالجَدِيرِ أنْ يَفِرَّ منهُ كفِرارِهِ مِنَ الأسدِ ؛ فإنَّهُما إذا اصطحبا ازدادا ظُلْمةً واعْوِجاجاً .

ثمَّ إذا عَلِمَ مِنْ صاحبِهِ الذي مالَ إليهِ حُسْنَ الحالِ ، وحَكَمَ لنَفْسِهِ بحُسْنِ الحالِ ، وطالعَ ذلكَ في مِرْآةِ أخيهِ . . فليعلَمْ : أنَّ المَيْلَ بالوصفِ الأعمِّ مَرْكُوزٌ في جِبِلَّتِهِ ، والمَيْلَ بطريقِهِ واقعٌ ، ولهُ بحسبِهِ أحكامٌ ، وللنَّفْسِ بسببِهِ سُكُونٌ ورُكُونٌ ، فيَسلُبُ المَيْلُ بالوصفِ الأعمِّ جَدْوى المَيْلِ بالوصفِ الأخصِّ ، ويحصلُ بينَ المُتصاحِبَيْنِ استرواحاتٌ طبيعيَّةٌ ، وتَلَذُّذاتٌ جِبِلِّيَّةٌ ، لا يُفرِّقُ بينَها وبينَ خُلُوصِ الصُّحْبَةِ للهِ إلا العلماءُ الزاهدونَ .

وقد يَفسُدُ المُرِيدُ الصادقُ بأهلِ الصلاحِ أكثرَ ممَّا يَفسُدُ بأهلِ الفسادِ[1] .

ووجهُ ذلكَ : أنَّ أهلَ الفسادِ عَلِمَ فسادَ طريقِهِم فأخذَ حَذَرَهُ منهُم ، وأهلَ الصلاحِ غَرَّهُ صلاحُهُم فمالَ إليهِم بجِنْسِيَّةِ الصلاحيةِ ، ثمَّ حصلَ بينَهُمُ استرواحاتٌ طبيعيَّةٌ جِبِلِّيَّةٌ ، حالتْ بينَهُم وبينَ حقيقةِ الصُّحْبةِ للهِ ، فاكتسبَ مِنْ طريقِهِمُ الفُتُورَ في الطَّلَبِ ، والتخلُّفَ عن بلوغِ الأَرَبِ .

فلْيَتنبَّهِ الصادقُ لهٰذهِ الدقيقةِ ، ويأخذْ مِنَ الصُّحْبةِ أَصْفى الأقسامِ ، ويذرْ منها ما يَسُدُّ في وجهِ المَرَامِ ؛ قالَ بعضُهُم : (هل رأيتَ شرّاً قطُّ إلا ممَّنْ تَعرِفُ ؟!)[2] .

ولهٰذا المعنىٰ أنكرَ طائفةٌ مِنَ السلفِ الصُّحْبةَ ، ورأَوْا فضيلةَ العُزْلةِ

---

(١) في غالب النسخ : (ينفسد) بدل (يفسد) في الموضعين ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٣٩١) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٤٧) .

والوَحْدةِ ؛ كإبراهيمَ بنِ أدهمَ ، وداودَ الطائيِّ ، وفُضَيلِ بنِ عِياضٍ ، وسُلَيمانَ الخَوّاصِ[1] .

وحُكِيَ عنهُ أنَّهُ قيلَ لهُ : جاءَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، أَمَا تَلْقاهُ ؟

قالَ : لأَنْ أَلْقىٰ سَبُعاً ضارياً أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أَلْقىٰ إبراهيمَ بنَ أدهمَ ؛ قالَ : لأنِّي إذا رأيتُهُ أُحسِّنُ لهُ كلامي ، وتظهرُ نَفْسي بإظهارِ أحسنِ أحوالِها ، وفي ذلكَ الفِتْنةُ .

وهٰذا كلامُ عالِمٍ بالنَّفْسِ وأخلاقِها ، وهٰذا واقعٌ بينَ المُتصاحِبَينِ ، إلَّا مَنْ يَعصِمُهُ اللهُ .

(١٢٢) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي إجازةً ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ مَسْعَدةَ[2] ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرٍو محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو سليمانَ حَمْدُ بنُ محمَّدٍ الخَطَّابيُّ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ بكرِ بنِ عبدِ الرزَّاقِ ، قالَ : حدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ الأشعثِ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ مَسْلَمةَ ، عن مالكٍ ، عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ

---

(١) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٤٧ـ١٥٤٨) .

(٢) هو الإمام المفتي الملقب بنافلة الإسماعيلي (ت ٤٧٧هـ) من أحفاد الإمام الكبير أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني رحمهما الله تعالىٰ ، وانظر « التقييد لمعرفة الأسانيد » (ص ٢٠٤ـ٢٠٥) .

(٣) هو الإمام الفقيه المُحدِّث الأديب أبو عمرو الرُّزْجاهي البِسْطامي (ت ٤٢٧هـ) ، والرُّزْجاهي : نسبة إلىٰ (رُزْجاه) قرية من قرىٰ بسطام ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٥٠٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٥١) .

أبي صَعْصَعَةَ ، عن أبيهِ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ ٱلْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شِعَابَ ٱلْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ ٱلْقَطْرِ ؛ يَفِرُّ بِدِينِهِ عَنِ ٱلْفِتَنِ »[1] .

قالَ اللهُ تعالىٰ إخباراً عن خليلِهِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ [مريم : ٤٨] ؛ استظهرَ بالعُزْلةِ علىٰ قومِهِ .

قيلَ : العُزْلةُ نوعانِ : فريضةٌ ، وفضيلةٌ ؛ فالفريضةُ : العُزْلةُ عنِ الشرِّ وأهلِهِ ، والفضيلةُ : عُزْلةٌ عنِ الفُضُولِ وأهلِهِ .

ويجوزُ أنْ يُقالَ : الخَلْوةُ غيرُ العُزْلةِ ؛ فالخَلْوةُ عنِ الأغيارِ ، والعُزْلةُ عنِ النَّفْسِ وما تدعو إليهِ ، وما يشغلُ عنِ اللهِ ؛ فالخَلْوةُ كثيرةُ الوجودِ ، والعُزْلةُ قليلةُ الوجودِ .

قالَ أبو بكرٍ الوَرَّاقُ : (ما ظهرتِ الفِتْنةُ إلا بالخُلْطةِ مِنْ لَدُنْ آدمَ إلىٰ يومِنا هٰذا ، وما سَلِمَ إلا مَنْ جانبَ الخُلْطةَ) .

وقيلَ : السلامةُ عشرةُ أجزاءٍ ؛ تسعةٌ في الصَّمْتِ ، وواحدةٌ في العُزْلةِ[2] .

وقيلَ : الخلوةُ أصلٌ ، والخُلْطةُ عارضٌ .

فلْيَلْزَمِ الأصلَ ، ولا يُخالِطْ إلا بقَدْرِ الحاجةِ ، وإذا خالطَ لا يُخالِطُ إلا

---

(١) العزلة (ص١٠) ، سنن أبي داود (٤٢٦٧) ، ورواه البخاري (١٩) وغيره ، وشعاب الجبال : أطرافها ، أو الصدوع التي فيها التي تأوي إليها الأمطار ، والمشهورُ في الرواية : كون (الشعاب) بالفاء ؛ أي : رؤوس الجبال .

(٢) أورده بنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣١٢) ، وعزاه إلىٰ شقيق البلخي رحمه الله تعالىٰ ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٤٢) عن حكيم من الحكماء .

بحُجَّةٍ ، وإذا خالطَ يُلازِمُ الصمتَ ؛ فإنَّهُ أصلٌ والكلامَ عارضٌ ، ولا يتكلَّمُ إلا بحُجَّةٍ ؛ فخَطَرُ الصُّحبةِ كثيرٌ يحتاجُ العبدُ فيها إلىٰ مَزِيدِ علمٍ .

والأخبارُ والآثارُ في التحذيرِ عنِ الخُلْطةِ والصُّحْبةِ . . كثيرةٌ ، والكتبُ بها مشحونةٌ ، وأجمعُ الأخبارِ في ذلكَ ما :

(١٢٣) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ بإسنادِهِ السابقِ إلىٰ أبي سليمانَ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ سَلْمانَ النَّجّادُ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ يُونُسَ الكُدَيْميُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ منصورٍ الجُشَميُّ ، قالَ : حدَّثَنا سَلْمُ بنُ سالمٍ ، قالَ : حدَّثَنا السَّرِيُّ بنُ يحيىٰ ، عنِ الحسنِ ، عن أبي الأَحْوصِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ ، إِلَّا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَىٰ قَرْيَةٍ ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَىٰ شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُحْرٍ إِلَىٰ جُحْرٍ ، كَٱلثَّعْلَبِ ٱلَّذِي يَرُوغُ » .

قالوا : ومتىٰ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « إِذَا لَمْ تُنَلِ ٱلْمَعِيشَةُ إِلَّا بِمَعَاصِي ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ ٱلزَّمَانُ حَلَّتِ ٱلْعُزُوبَةُ » .

قالوا : وكيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ وقد أَمَرْتَنا بالتزويجِ ؟

قالَ : « إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَٰلِكَ ٱلزَّمَانُ كَانَ هَلَاكُ ٱلرَّجُلِ عَلَىٰ يَدَيْ أَبَوَيْهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَىٰ يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا وَلَدٌ . . فَعَلَىٰ يَدَيْ قَرَابَتِهِ .

قالوا : وكيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ ٱلْمَعِيشَةِ ، فَيَتَكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ ، حَتَّىٰ يُورِدَهُ مَوَارِدَ ٱلْهَلَكَةِ »(١) .

وقد رَغِبَ جمعٌ مِنَ السلفِ في الصُّحبةِ والأُخُوَّةِ في اللهِ(٢) ، ورَأَوْا أنَّ اللهَ تعالىٰ مَنَّ علىٰ أهلِ الإيمانِ حيثُ جعلَهُم إخواناً ؛ فقالَ سُبْحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٢-٦٣] .

وقدِ اختارَ الصُّحْبةَ والأُخُوَّةَ في اللهِ تعالىٰ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ ، وعبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، وغيرُهُما(٣) .

وفائدةُ الصُّحْبةِ : أنَّها تفتحُ مَسَامَّ الباطنِ ، ويكتسبُ الإنسانُ بها علمَ الحوادثِ والعوارضِ ؛ قيلَ : أعلمُ الناسِ بالآفاتِ أكثرُهُم آفاتٍ(٤) .

ويتصلَّبُ الباطنُ برَزينِ العلمِ ، ويتمكَّنُ الصدقُ بطُرُوقِ هُبُوبِ الآفاتِ ، ثمَّ التخلُّصِ منها بالإيمانِ .

ويقعُ بطريقِ الصُّحْبةِ والأُخُوَّةِ التعاضدُ والتعاونُ ، وتتقوَّىٰ جنودُ القلبِ ، وتَستروِحُ الأرواحُ بالتشامِّ ، وتتَّفقُ في التوجُّهِ إلى الرفيقِ الأَعْلىٰ ، ويصيرُ

---

(١) العزلة (ص١٠) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥) من وجه آخر عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه إلىٰ قوله : (ومن جُحْر إلىٰ جُحْر) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قوله : (رَغِبَ) يجوز أن يُقرأ (رَغَّبَ) ، وعليه : فيحتاج إلى تقدير مفعول .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٤٨) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٦٧) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

مثالُها في الشاهدِ كالأصواتِ إذا اجتمعَتْ خَرَقَتِ الأجرامَ ، وإذا انفردَتْ قَصَرَتْ عن بلوغِ المَرَامِ .

وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ »[١] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ مُخبِراً عمَّنْ لا صديقَ لهُ ؛ فقالَ : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٠٠ـ١٠١] .

والأصلُ في الحَمِيمِ : (الهَمِيمُ) ، أُبدِلتِ الحاءُ بالهاءِ ؛ لقُربِ مَخْرَجِهما ؛ إذ هما مِنْ حروفِ الحَلْقِ ، والهَمِيمُ : مأخوذٌ مِنَ الاهتمامِ ؛ أي : يهتمُّ بأمرِ أخيهِ ، فالاهتمامُ بمُهِمِّ الصديقِ حقيقةُ الصداقةِ[٢] .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا رأىٰ أحدُكُم وُدّاً مِنْ أخيهِ . . فليتمسَّكْ بهِ ؛ فقلَّما يُصِيبُ ذلكَ)[٣] .

وقد قالَ القائلُ[٤] : [من الكامل]

وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ فَهُوَ ٱلْمُرَادُ وَأَيْنَ ذَاكَ ٱلْوَاحِدُ

---

(١) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٤٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ٢٢٥) ، والقضاعي في « المسند » (١٨٦) ، والديلمي في « الفردوس » (٦٦٢٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٤) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، واللفظ فيها : (المرء) بدل (المؤمن) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٤١ـ٧٤٢) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٤٩) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٤٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٢٣) .

(٤) أورده أبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص١٣٥) ، والشَّرِيشي في « شرح مقامات الحريري » (٢/ ٢١٣) ، وعزاه إلىٰ وزير للمعتمد بن عبَّاد .

وأَوْحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داودَ عليهِ السلامُ قالَ : يا داودُ ؛ ما لي أراكَ مُنتبِذاً وُحْداناً ؟ قالَ : إلـٰهي ؛ قَلَيْتُ الخَلْقَ مِنْ أجلِكَ .

فأَوْحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا داودُ ؛ كُنْ يَقْظاناً[1] ، مُرْتاداً لنَفْسِكَ إخْواناً ، وكلُّ خِدْنٍ لا يُوافِقُكَ علىٰ مَسَرَّتي فلا تَصحَبْهُ ؛ فإنَّهُ عدوٌّ يُقسِّي قلبَكَ ، ويُباعِدُكَ منِّي[2] .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى ٱللهِ ٱلَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ؛ فَٱلْمُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ »[3] .

وفي هـٰذا دقيقةٌ ؛ وذلكَ أَنَّهُ ليسَ مَنِ اختارَ العُزْلَةَ والوَحْدةَ للهِ يذهبُ عنهُ هـٰذا الوصفُ فلا يكونُ آلِفاً مَأْلوفاً ؛ فإنَّ هـٰذه الإشارةَ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ هـٰذا الوصفِ . . إشارةٌ إلى الخُلُقِ الجِبِلِّيِّ ، وهـٰذا الخُلُقُ يَكمُلُ في كلِّ مَنْ كانَ أتمَّ معرفةً ويقيناً ، وأَرْزَنَ عقلاً ، وأتمَّ أهليَّةً واستعداداً ، وكانَ أَوْفرُ الناسِ حظّاً مِنْ هـٰذا الوصفِ . . الأنبياءَ ثمَّ الأولياءَ ، وأتمُّ الجميعِ في هـٰذا نبيُّنا صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ .

---

(١) كذا في النسخ ، والقياس والفصيح : أن يكون ممنوعاً من الصرف ؛ لأنَّ مؤنثه علىٰ (فَعْلىٰ) ، إلا علىٰ لغة أسد الذين جوَّزوا : (امرأة غضبانة) و(ملآنة) و(عطشانة) ونحوه . انظر « شرح المفصل » لابن يعيش (١/ ١٨٦) .

(٢) أورده في « القوت » (٣/ ١٥٤٩) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٦٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦١٦) من إيحاء الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام .

(٣) رواه دون الجملة الأخيرة : الطبراني في « مكارم الأخلاق » (٦) ، وأصله عند « الترمذي » (٢٠١٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه أيضاً الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والجملة الأخيرة سبق تخريجها في (١/ ٣٦٥) .

وكلُّ مَنْ كانَ مِنَ الأنبياءِ أتمَّ أُلفةً . كانَ أكثرَ تبَعاً ، ونبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ أكثرَهُم أُلْفةً وأكثرَهُم تبَعاً ، وقالَ عليهِ السلامُ : « تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلْأُمَمَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[1] .

وقد نبَّهَ اللهُ تعالىٰ علىٰ هـٰذا الوصفِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فقالَ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وإنَّما طلبوا العُزْلةَ معَ وجودِ هـٰذا الوصفِ ، ومَنْ كانَ هـٰذا الوصفُ فيهِ أَقْوىٰ وأتمَّ . كانَ طَلَبُ العُزْلةِ منهُ أكثرَ في الابتداءِ ؛ ولهـٰذا المعنىٰ حُبِّبَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الخَلْوةُ في أوَّلِ أمرِهِ ، وكانَ يخلو في غارِ حِراءٍ ، ويتحنَّثُ الليالِيَ ذواتِ العَدَدِ[2] .

وطلبُ العُزْلةِ لا يَسلُبُ وصفَ كونِهِ آلِفاً مَأْلُوفاً ، وقد غَلِطَ في هـٰذا قومٌ ظنُّوا أنَّ العُزْلةَ تَسلُبُ هـٰذا الوصفَ ، فتركوا العُزْلةَ طلباً لهـٰذهِ الفضيلةِ ، وهـٰذا خَطَأٌ .

وسِرُّ طَلَبِ العُزْلةِ لمَنْ هـٰذا الوصفُ فيهِ أتمُّ ؛ مِنَ الأنبياءِ ، ثمَّ الأَمْثلِ فالأَمْثلِ . أنَّا أَسْلَفْنا في أوَّلِ البابِ أنَّ في الإنسانِ مَيْلاً إلى الجنسِ بالوصفِ الأعمِّ[3] ، فلمَّا عَلِمَ الحُذَّاقُ ذلكَ أَلْهَمَهُمُ اللهُ تعالىٰ مَحبَّةَ الخَلْوةِ والعُزْلةِ ؛

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠) ، والنسائي (٦/ ٦٥) ، وابن حبان (٤٠٥٦) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه ، وأحمد (٣/ ٢٤٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ٨١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٤٣ـ ٧٤٤) ، وفي بعض النسخ : (أباهي) بدل (مكاثر) ، وكلاهما مروي .

(٢) رواه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٣) انظر (٢/ ٣٧٠) .

لتصفيةِ النَّفْسِ عنِ الميلِ بالوصفِ الأعمِّ ؛ لترتقيَ الهِمَمُ العاليةُ عن مَيْلِ الطِّباعِ إلىٰ تألُّفِ الأرواحِ .

فإذا وَفَّوُا التصفيةَ حقَّها اشرأبَّتِ الأرواحُ إلىٰ جنسِها بالتألُّفِ الأصليِّ الأوَّليِّ ، وأعادَها اللهُ تعالىٰ إلى الخَلْقِ ومُخالَطتِهم مُصفَّاةً ، واستنارتِ النفوسُ الطاهرةُ بأنوارِ الأرواحِ ، وظهرتْ صفةُ الجِبِلَّةِ مِنَ الأُلْفةِ المُكمَّلةِ آلِفةً مَأْلُوفةً ، فصارتِ العُزْلةُ مِنْ أهمِّ الأمورِ عندَ مَنْ يَألَفُ ويُؤلَفُ ، ومِنْ أدَلِّ الدليلِ علىٰ أنَّ الذي اعتزلَ آلِفٌ مَأْلُوفٌ ؛ حتىٰ يذهبُ الغَلَطُ عنِ الذي غَلِطَ في ذلكَ وذمَّ العُزْلةَ على الإطلاقِ مِنْ غيرِ علمٍ بحقيقةِ الصُّحْبةِ وحقيقةِ العُزْلةِ ، فصارتِ العُزْلةُ مرغوبةً في وقتِها ، والصُّحْبةُ مرغوبةً في وقتِها[1] .

قالَ محمَّدُ بنُ الحنفيَّةِ رحمَهُ اللهُ : (ليسَ بحكيمٍ مَنْ لم يُعاشِرْ بالمعروفِ مَنْ لا يجدُ مِنْ مُعاشَرتِهِ بُدّاً ، حتىٰ يجعلَ اللهُ لهُ منهُ فَرَجاً)[2] .

وكانَ بِشْرُ بنُ الحارثِ يقولُ : (إذا قَصَّرَ العبدُ في طاعةِ اللهِ . . سَلَبَهُ اللهُ تعالىٰ مَنْ يُؤنِسُهُ)[3] .

فالأَنِيسُ يُهَيِّئُهُ اللهُ تعالىٰ للصادقينَ[4] ؛ رِفْقاً مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وثواباً للعبدِ مُعجَّلاً .

---

(١) في بعض النسخ : (مرغوباً فيها) بدل (مرغوبة) في كلا الموضعين .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الحلم » (١٠٨)، و« مداراة الناس » (٢٠)، والخطابي في « العزلة » (ص١٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٧٥)، والبيهقي في « الشعب » (٧٧٥١).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤٣٨) ، وفيه أنَّهُ قاله عند وفاة أخته مضغة أو مخة ، وبشر : هو الحافي الصوفيُّ الشهير رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في (ب ، هـ) : (يهبه) بدل (يُهيِّئه) .

والأَنِيسُ قد يكونُ مُفِيداً ؛ كالمشايخِ ، وقد يكونُ مُستفِيداً ؛ كالمُرِيدينَ .

فصحيحُ الخَلْوةِ والعُزْلةِ لا يُترَكُ مِنْ غيرِ أَنِيسٍ ، فإنْ كانَ قاصراً يُؤنِسُهُ اللهُ تعالىٰ بمَنْ يُتمِّمُ حالَهُ بهِ[1] ، وإنْ كانَ غيرَ قاصرٍ يُقيِّضُ اللهُ تعالىٰ لهُ مَنْ يُؤنِسُهُ مِنَ المُرِيدينَ .

وهٰذا الأُنْسُ ليسَ فيهِ مَيْلٌ بالوصفِ الأعمِّ ، بل هوَ باللهِ ومِنَ اللهِ وفي اللهِ .

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ عَلَىٰ عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، فِي رَأْسِ ٱلْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ ، مُشْرِفُونَ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ ٱلشَّمْسُ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا ، فَيَقُولُ أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ : ٱنْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرْ إِلَى ٱلْمُتَحَابِّينَ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهِمْ أَضَاءَ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ ٱلشَّمْسُ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ ، مَكْتُوبٌ عَلَىٰ جِبَاهِهِمْ : هَٰؤُلَاءِ ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[2] .

وقالَ أبو إِدْرِيسَ الخَوْلانيُّ لمُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنِّي أُحِبُّكَ في اللهِ تعالىٰ ، فقالَ لهُ : أَبْشِرْ ثمَّ أَبْشِرْ ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « تُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ كَرَاسِيُّ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وُجُوهُهُمْ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ ، وَيَخَافُ ٱلنَّاسُ وَلَا

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (ح) : (صادقاً) بدل (قاصراً) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٢٣٦) ، وأبو يعلىٰ كما في « المقصد العلي » (١٠٤٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٣/ ٧٥) ، وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٤٩٩) .

يَخَافُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ ٱللهِ ٱلَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

فقيلَ : مَنْ هٰؤلاءِ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « هُمُ ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[١] .

وروىٰ عُبادةُ بنُ الصامتِ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « يَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَٱلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَٱلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَٱلْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ »[٢] .

(١٢٤) ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ خَيْرونَ[٣] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ المَحَامِليُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عمرُ بنُ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ سَلْمٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الحَرْبيُّ ، قالَ : حدَّثنا حمَّادٌ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّدَقَةِ ؟ » ، قالوا : وما هوَ ؟ قالَ : « إِصْلَاحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلْبِغْضَةَ ؛ فَإِنَّهَا هِيَ ٱلْحَالِقَةُ »[٤] .

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٩٣) .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٢٨) ، والحاكم (٤/ ١٧٠) ، ورواه مالك (٢/ ٩٥٣) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/ ٤٧٧) .

(٣) في النسخ ما عدا (ح) : (الحسين) بدل (الحسن) ، والمثبت موافق لـ « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ١٠٥) .

(٤) أسنده من طريق إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » ، كما في « غنية العارف » (٢/ ٧٤٨) ، ورواه مالك (٢/ ٩٠٤) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٣٨) .

(١٢٥) ـ وبإسنادِ إبراهيمَ الحَرْبيِّ ، عن عُبيدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، عن أبي أُسامةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ الوليدِ ، عن عِمْرانَ بنِ رَباحٍ قالَ : سمعتُ أبا مسلمٍ يقولُ : سمعتُ أبا هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ . . . الخبرَ[١] .

وفي الخبرِ تحذيرٌ عنِ البِغْضةِ ؛ وهوَ أنْ يجفوَ المُتخلِّي الناسَ مَقْتاً لهُم وسُوءَ ظنٍّ بهِم ، وهٰذا خطأٌ .

وإنَّما يُريدُ أنْ يخلوَ ؛ مَقْتاً لنَفْسِهِ ، وعِلْماً بما في نَفْسِهِ مِنَ الآفاتِ ، وحَذَراً علىٰ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وعلى الخَلْقِ أنْ يعودَ عليهِم مِنْ شرِّهِ .

فمَنْ كانتْ خَلْوتُهُ بهٰذا الوصفِ . . لا يدخلُ تحتَ هٰذا الوعيدِ .

والإشارةُ بالحَالِقةِ ؛ يعني : أنَّ البِغْضةَ حَالِقةٌ للدِّينِ ؛ لأنَّهُ ينظرُ إلى المؤمنينَ والمسلمينَ بعَينِ المَقْتِ .

(١٢٦) ـ وأخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ بإسنادِهِ إلىٰ إبراهيمَ الحَرْبيِّ ، قالَ : حدَّثَنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عاصمٍ ، عن ثورٍ ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ قالَ : (إنَّ للهِ تعالىٰ مَلَكاً نصفُهُ مِنْ نارٍ ، ونصفُهُ مِنْ ثلجٍ ، وإنَّ مِنْ دعائِهِ : اللَّهُمَّ ؛ فكما أَلَّفتَ بينَ هٰذا الثلجِ وهٰذهِ النارِ ؛ فلا الثلجُ يُطفِئُ النارَ، ولا النارُ تُذِيبُ الثلجَ . . أَلِّفْ بينَ قلوبِ عبادِكَ الصالحينَ)[٢] .

---

(١) أسنده من طريق إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » ، كما في « غنية العارف » (٢/ ٧٤٨) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٦٠) ، والترمذي (٢٥٠٨) ، والمعروف في الباب حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه أبو داود (٤٩١٩) ، والترمذي (٢٥٠٩) ، وأحمد (٦/ ٤٤٤ـ٤٤٥) ، وابن حبان (٥٠٩٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢١٤) ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٣٣) =

وكيفَ لا تتألَّفُ قلوبُ الصالحينَ وقد وَجَدَهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في وقتِهِ العزيزِ بقابِ قوسَينِ ، في وقتٍ لا يسعُهُ فيهِ شيءٌ للُطْفِ حالِ الصالحينَ ، وَجَدَهُم في ذلكَ المَقامِ العزيزِ ، وقالَ : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ ٱللهِ ٱلصَّالِحِينَ » ؟!(١) .

فهم مجتمعونَ وإنْ كانوا مُتفرِّقينَ ، وصُحْبتُهُم لازمةٌ ، وعزيمتُهُم في التواصلِ في الدنيا والآخِرةِ جازمةٌ .

وعن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (لو أنَّ رجلاً صامَ النهارَ وقامَ الليلَ وتصدَّقَ وجاهدَ ولم يُحِبَّ في اللهِ ولم يُبغِضْ في اللهِ . . ما نفعَهُ ذلكَ)(٢) .

(١٢٧) ـ أخبرَنا رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ يوسفَ إجازةً إنْ لم يكنْ سماعاً ، قالَ : أخبرَنا أبو المُظفَّرِ ، عن والدِهِ أبي القاسمِ القُشَيريِّ ، قالَ : سمعتُ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ المُعلِّمِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الطَّمَسْتانيَّ يقولُ : (اصحَبُوا معَ اللهِ ، فإنْ لم تُطِيقُوا فاصحَبُوا معَ مَنْ يصحبُ معَ اللهِ ؛ لتُوصِلَكُم بركةُ صُحْبتِهِم إلىٰ صُحْبَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ)(٣) .

= مرفوعاً عن سيدنا معاذ والعرباض بن سارية رضي الله عنهما ، وعزاه في « كنز العمال » (١٥١٧٤) إلى الديلمي من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١) رواه البخاري (٨٣١) ، ومسلم (٤٠٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٥٨) عن سيدنا عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٢٠ـ٢١) عن ابنه فقط .

(٣) الرسالة القشيرية (ص٦١٦) .

(١٢٨) ـ وأخبرَنا شيخُنا ضِياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمةُ اللهِ عليهِ[١] ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ الصفَّارِ النَّيسابُوريُّ[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ الأَصْفَهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الحدَّادَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ سهلٍ يقولُ : (الأُنْسُ باللهِ : أنْ تستوحشَ مِنَ الخَلْقِ ، إلا مِنْ أهلِ ولايةِ اللهِ ؛ فإنَّ الأُنْسَ بأهلِ ولايةِ اللهِ هوَ الأُنْسُ باللهِ)[٣] .

وقد نبَّهَ القائلُ نَظْماً على حقيقةٍ جامعةٍ لمعاني الصُّحْبَةِ والخَلْوةِ وفائدتِهما وما يُحذَرُ فيهما . . بقولِهِ[٤] : [من مجزوء الرمل]

وَحْـــدَةُ ٱلْإِنْسَـــانِ خَيْـــرٌ مِـــنْ جَلِيـسِ ٱلسُّـوءِ عِنْـدَهْ

وَجَلِيـــسُ ٱلْخَيْـــرِ خَيْـــرٌ مِـــنْ قُعُـــودِ ٱلْمَـــرْءِ وَحْــدَهْ[٥]

* * *

---

(١) زاد في (ب ، هـ) : (إجازة) .

(٢) زاد في (ط) : (إجازة) .

(٣) طبقات الصوفية (ص٢٣٥) ، ورواه من طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٤٥) .

(٤) أورد البيتين الثعالبي في « اللطائف والظرائف » (ص١٢٧) ، ونسبهما إلىٰ أبي العتاهية ، وأبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص٣٠٩) ، ونسبهما إلىٰ عبيد الله ابن طاهر .

(٥) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة في الخامس والثلاثين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الرابع والخمسون

في أداء حقوق الصحبة والأخوة في الله تعالى

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٢] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] (١) .

وقالَ تعالىٰ في وصفِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

كلُّ هٰذهِ الآياتِ تنبيهٌ مِنَ اللهِ تعالى الكريمِ للعبادِ على أداءِ حُقُوقِ الصُّحْبةِ .

فمَنِ اختارَ صُحْبةً وأُخُوَّةً . . فأدبُهُ في أوَّلِ ذلكَ : أنْ يُسلِّمَ نَفْسَهُ وصاحبَهُ إلى اللهِ تعالىٰ بالمسألةِ والدُّعاءِ والتضرُّعِ ، ويسألَ البركةَ في الصُّحْبةِ ؛ فإنَّهُ يفتحُ علىٰ نَفْسِهِ بذلكَ إمَّا باباً مِنْ أبوابِ الجنَّةِ ، وإمَّا باباً مِنْ أبوابِ النارِ .

فإنْ كانَ اللهُ تعالىٰ يفتحُ بينَهُما خيراً . . فهوَ بابٌ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

وقيلَ : إنَّ أحدَ الأَخوَينِ في اللهِ تعالىٰ يُقالُ لهُ : ادخُلِ الجنَّةَ ، فيسألُ

---

(١) في (ب ، د ، هـ ، ي) : (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) .

عن منزلِ أخيهِ ، فإنْ كانَ دونَهُ لم يدخُلِ الجنَّةَ حتىٰ يُعطىٰ أخوهُ مثلَ منزلِهِ[1] ، فإنْ قيلَ لهُ : لم يكنْ يعملُ مثلَ عَمَلِكَ . . فيقولُ : إنِّي كنتُ أعملُ لي ولهُ ، فيُعطىٰ جميعَ ما يسألُ لأخيهِ ، ويُرفَعُ أخوهُ إلىٰ درجتِهِ[2] .

وإنْ فَتَحَ اللهُ تعالىٰ عليهِما بالصُّحْبةِ شرّاً . . فهوَ بابٌ مِنْ أبوابِ النارِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٧ـ ٢٨] ، وإنْ كانتِ الآيةُ وَرَدَتْ في قصَّةٍ مشهورةٍ ، ولٰكنْ للهِ تعالىٰ تنبيهٌ في ذلكَ لعبادِهِ على الحَذَرِ مِنْ كلِّ خليلٍ يقطعُ عنِ اللهِ .

واختيارُ الصُّحبةِ والأُخُوَّةِ اتِّفاقاً مِنْ غيرِ نيَّةٍ في ذلكَ وتَثَبُّتٍ في أوَّلِهِ . . شأنُ أربابِ الغَفْلةِ الجاهلينَ بالنِّيَّاتِ والمقاصدِ ، والمنافعِ والمَضَارِّ ، وقد قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في كلامٍ لهُ : (وهل يُفسِدُ الناسَ إلا الناسُ ؟!)[3] .

فالفسادُ بالصُّحبةِ مُتوقَّعٌ ، والصلاحُ مُتوقَّعٌ ، وما هٰذا سبيلُهُ كيفَ لا يُحذَرُ في أوَّلِهِ ، ويُحكَمُ الأمرُ فيهِ بكثرةِ اللَّجَأِ إلى اللهِ تعالىٰ ، وصدقِ الافتقارِ ، وسؤالِ البركةِ والخِيَرَةِ في ذلكَ ، وتقديمِ صلاةِ الاستخارةِ ؟!

ثمَّ إنَّ اختيارَ الصُّحْبةِ والأُخُوَّةِ عملٌ ، وكلُّ عملٍ يحتاجُ إلى النيَّةِ وإلىٰ حُسْنِ الخاتمةِ .

---

(١) في بعض النسخ : (منزلته) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣/ ١٥٥٠ـ ١٥٥١) ، و« الدر المنثور » (٧/ ٣٨٨ـ ٣٨٩) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٨) ، و« مداراة الناس » (١٢٦) .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الخبرِ الطويلِ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ ٱللهُ تَعَالَىٰ . . . » ؛ فمِنْهُمُ اثنانِ تحابَّا في اللهِ ، فعاشا علىٰ ذلكَ وماتا عليهِ[1] ، إشارةً إلىٰ أنَّ الأُخُوَّةَ والصُّحْبَةَ مِنْ شرطِها حُسْنُ الخاتمةِ حتىٰ يُكتَبَ لهُما ثوابُ المُؤاخاةِ ، ومتىٰ أَفْسدَ المُؤاخاةَ بتضييعِ الحقوقِ فيهِ . . فَسَدَ العملُ مِنَ الأوَّلِ .

قيلَ : ما حَسَدَ الشيطانُ مُتعاونَينِ علىٰ بِرٍّ . . حَسَدَهُ مُتآخِيَينِ في اللهِ مُتحابَّينِ فيهِ ؛ فإنَّهُ يَجهَدُ نَفْسَهُ ويَحُثُّ قَبيلَهُ علىٰ إفسادِ ما بينَهُما[2] .

وكانَ يقولُ الفُضَيلُ رحمَهُ اللهُ : (إذا وَقَعَتِ الغِيبةُ ارتفعتِ الأُخُوَّةُ)[3] .

والأُخُوَّةُ في اللهِ تعالىٰ مُواجَهةٌ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، ومتىٰ أَضْمرَ أحدُهُما للآخَرِ سُوءاً ، أو كَرِهَ منهُ شيئاً ولم يُنبِّهْهُ عليهِ حتىٰ يُزيلَهُ أو يتسبَّبَ إلىٰ إزالتِهِ منهُ . . فما واجهَهُ ، بلِ استدبرَهُ .

قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (ما تواخى اثنانِ في اللهِ واستوحشَ أحدُهُما مِنْ صاحبِهِ . . إلا لعِلَّةٍ في أحدِهِما)[4] .

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥١) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١٢٥) ، ولفظ « القوت » : (العدو) بدل (الشيطان) .

(٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في « التوبيخ والتنبيه » (١٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٦) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١٣١ـ١٣٢) .

فالمُؤَاخاةُ في اللهِ أَصْفىٰ مِنَ الماءِ الزُّلالِ ، وما كانَ للهِ فاللهُ مُطالِبٌ بالصفاءِ فيهِ ، وكلُّ ما صفا دامَ ، والأصلُ في دوامِ صفائِهِ عدمُ المُخالَفةِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تُمَارِ أَخَاكَ ، وَلَا تُمَازِحْهُ ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ »[1] .

وقالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : صَحِبْتُ الصُّوفيَّةَ خمسينَ سنةً ، ما وَقَعَ بيني وبينَهُم خلافٌ ، فقيلَ لهُ : وكيفَ ذاكَ ؟ قالَ : لأنِّي كنتُ معَهُم علىٰ نَفْسي[2] .

(١٢٩) ـ أخبرَنا شيخُنا ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا عمرُ بنُ أحمدَ الصَّفَّارُ ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ خلفٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ ، قالَ : سمعتُ أبا عمرٍو الدِّمَشْقيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ الجَلَّا يقولُ وقد سألَهُ رجلٌ : علىٰ أيِّ شرطٍ أصحبُ الخَلْقَ ؟ فقالَ : إنْ لم تَبَرَّهُم فلا تُؤذِهِم ، وإنْ لم تَسُرَّهُم فلا تَسُؤْهُم[3] .

(١٣٠) ـ وبهـٰذا الإسنادِ قالَ أبو عبدِ اللهِ : (لا تُضيِّعْ حقَّ أخيكَ بما بينَكَ وبينَهُ مِنَ المَوَدَّةِ والصداقةِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ فَرَضَ لكلِّ مؤمنٍ حُقُوقاً ، لم يُضيِّعْها إلا مَنْ لم يُراعِ حقوقَ اللهِ عليهِ)[4] .

---

(١) سبق مسنداً في (٢/ ٨٣ ـ ٨٤) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص١٧٦) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٦) .

(٣) طبقات الصوفية (ص١٧٧) .

(٤) سبق تخريجه في (٢/ ٣٦٤) .

ومِنْ حقوقِ الصُّحْبةِ : أنَّهُ إذا وَقَعَ بينَهُ وبينَ أخيهِ فُرْقةٌ ومُباينةٌ لا يذكرُ أخاهُ إلا بخيرٍ .

قيلَ : كانَ لبعضِهِم زوجةٌ ، وكانَ يعلمُ منها ما يكرهُهُ ، فكانَ يُقالُ لهُ استخباراً عن حالِها ذلكَ ، فقالَ : لا ينبغي للرجلِ أنْ يقولَ في أهلِهِ إلا خيراً .

ففارقَها وطَلَّقَها ، فاستُخبِرَ عن ذلكَ ، فقالَ : امرأةٌ بَعُدَتْ عنِّي وليستْ منِّي بشيءٍ ، كيفَ أذكرُها ؟!

وهـٰذا مِنَ التخلُّقِ بأخلاقِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّهُ سُبْحانَهُ يُظهِرُ الجميلَ ، ويَستُرُ القبيحَ .

وإذا وُجِدَ مِنْ أحدِهِما ما يُوجِبُ التقاطعَ . . فهل يُبغِضُهُ أو لا ؟ اختلفَ القولُ في ذلكَ :

كانَ أبو ذَرٍّ يقولُ : (إذا انقلبَ عمَّا كانَ عليهِ أُبغِضُهُ مِنْ حيثُ أحببتُهُ)[1] .

وقالَ غيرُهُ : لا يُبغَضُ الأخُ بعدَ الصُّحْبةِ ، ولـٰكن يُبغَضُ عملُهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٦] ، ولم يَقُلْ : (إنِّي بريءٌ منكُم)[2] .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٨/٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١١٠/٤) ، وقولُهُ : (أُبْغِضُهُ . . .) كذا ضبطت العبارة في غالب النسخ ، وضبطت في (و) : (أَبْغِضْهُ من حيثُ أحببتَهُ) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١٥٥٨/٣) ، و« إحياء علوم الدين » (١١٤/٤) ، ورجَّح =

وقيلَ : كانَ شابٌّ يُلازِمُ مَجلِسَ أبي الدَّرْداءِ ، وكانَ أبو الدَّرداءِ يُميِّزُهُ علىٰ غيرِهِ ، فابتُلِيَ الشابُّ بكبيرةٍ مِنَ الكبائرِ ، وانتهىٰ إلىٰ أبي الدَّرْداءِ ما كانَ منهُ ، فقيلَ لهُ : لو أَبْعَدتَهُ وهَجَرْتَهُ ؟ فقالَ : سُبْحانَ اللهِ !! لا يُترَكُ الصاحبُ لشيءٍ كانَ منهُ(١) .

قيلَ : الصَّداقةُ لُحْمةٌ كلُحْمةِ النَّسَبِ(٢) .

وقيلَ لحكيمٍ مرَّةً : أيُّما أحبُّ إليكَ ؟ أخوكَ أو صديقُكَ ؟ فقالَ : إنَّما أُحِبُّ أخي إذا كانَ صديقي(٣) .

وهـٰذا الخلافُ في المُفارَقةِ ظاهراً وباطناً .

وأمَّا في المُلازمةِ باطناً إذا وَقَعَتِ المُباينةُ ظاهراً . . فيختلفُ ذلكَ باختلافِ الأشخاصِ ، ولا يُطلَقُ القولُ فيهِ إطلاقاً مِنْ غيرِ تفصيلٍ .

فمِنَ الناسِ مَنْ كانَ تَغَيُّرُهُ رجوعاً عنِ اللهِ ، وظهورَ حكمِ سوءِ السابقةِ ، فيجبُ بغضُهُ ومُوافقةُ الحقِّ فيهِ .

= الإمام الغزالي هـٰذا القول ؛ فقال : (وهـٰذا التحقيق ؛ وهو أنَّ الصداقة لُحمةٌ كلُحْمة النسب ، والقريب لا يجوز أن يُهجَر بالمعصية) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٨) ، ومختصراً الغزالي في « الإحياء » (٤/ ١١٥) ، وفي بعض النسخ : (لا نترك) بدل (لا يُترك) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٨) ، وانظر « الإحياء » (٤/ ١١٤) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٨) ، وفيه : (وقيل لحكيم بن مرة) بدل (وقيل لحكيم مرة) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٦٤) ، وعزاه إلىٰ خالد بن صفوان ، وأورده الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص٢٤٧) ، وعزاه إلىٰ بعض قريش ، وابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١/ ١٤٨) ، وعزاه إلىٰ عبد الحميد الكاتب .

ومِنَ الناسِ مَنْ كانَ تَغَيُّرُهُ عَثْرَةً حدثتْ وفترةً وقعَتْ يُرجىٰ عَوْدُهُ ، فلا ينبغي أنْ يُبغَضَ ، ولٰكن يُبغَضُ عملُهُ في الحالةِ الحاضرةِ ، ويُلحَظُ بعينِ الوُدِّ مُنتظَراً لهُ الفرجُ والعَوْدُ إلىٰ أوطانِ الصُّلْحِ .

وقد وَرَدَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا شَتَمَ القومُ الرجلَ الذي أتىٰ بفاحشةٍ . . قالَ : « مَهْ » ، وزَبَرَهُم ، وقالَ : « لَا تَكُونُوا عَوْناً لِلشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ »[1] .

وقالَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ : (لا تقطعْ أخاكَ ، ولا تَهْجُرْهُ عندَ الذنبِ يُذنِبُهُ ؛ فإنَّهُ يركبُهُ اليومَ ويتركُهُ غداً)[2] .

وفي الخبرِ : « ٱتَّقُوا زَلَّةَ ٱلْعَالِمِ وَلَا تَقْطَعُوهُ ، وَٱنْتَظِرُوا فَيْئَتَهُ »[3] .

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ سألَ عن أخٍ لهُ كانَ آخاهُ فخَرَجَ إلى الشامِ ، فسألَ عنهُ بعضَ مَنْ قَدِمَ عليهِ ، فقالَ : ما فعلَ أخي ؟ فقالَ لهُ : ذاكَ أخوكَ الشيطانُ[4] .

قالَ لهُ : مَهْ ، قالَ : إنَّهُ قارفَ الكبائرَ حتىٰ وَقَعَ في الخمرِ[5] .

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وزَبَرَهم : زَجَرَهم ونَهَرَهم .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٥٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ١١٠) .

(٣) رواه ابن عدي في « الكامل » (٧/ ١٩٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢١١) ، والديلمي في « الفردوس » (٣٠٨) عن سيدنا عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه .

(٤) في نسخة علىٰ هامش (أ) : (أخ) بدل (أخوك) ، وهي رواية « القوت » .

(٥) في (ب ، د) : (قارب) بدل (قارف) ، وفي (هـ) : (قارن) .

فقالَ : إذا أردتَ الخروجَ فآذِنِّي ، قالَ : فكتبَ إليهِ : ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر : ١-٣] ، ثمَّ عاتبَهُ تحتَ ذلكَ وعَذَلَهُ ، فلمَّا قرأَ الكتابَ بكىٰ ، وقالَ : صدقَ اللهُ عزَّ وجلَّ ونَصَحَ عمرُ[1] ، فتابَ ورَجَعَ[2] .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأى ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما يلتفتُ يميناً وشمالاً ، فسألَهُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أحببتُ رجلاً فأنا أطلبُهُ ولا أراهُ .

فقالَ : « يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَداً فَٱسْأَلْهُ عَنِ ٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ وَعَنْ مَنْزِلِهِ ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضاً عُدْتَهُ ، وإِنْ كَانَ مَشْغُولاً أَعَنْتَهُ »[3] .

وكانَ يقولُ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (ما اختلفَ رجلٌ إلىٰ مجلسي ثلاثاً مِنْ غيرِ حاجةٍ تكونُ لهُ ، فعَلِمْتُ ما مكافأتُهُ في الدنيا)[4] .

وكانَ يقولُ سعيدُ بنُ العاصِ : (لجليسي عليَّ ثلاثٌ : إذا دنا رحَّبتُ بهِ ، وإذا حَدَّثَ أَقبلتُ عليهِ ، وإذا جلسَ أَوْسعتُ لهُ)[5] .

---

(١) ضبط في (هـ ، ح) : (ونُصْحُ عمرَ) ، فهو معطوف علىٰ لفظ الجلالة .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٩٧) ، ولفظه في « القوت » (٣/ ١٥٥٩) ، و« الإحياء » (٤/ ١١١) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٧٢) ، وتمام في « فوائده » (١٤١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٩٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٦٠٧) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٠) .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ١٣٧) ، وأورده ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٢/ ٢٦٦) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦١) .

ويُعلَمُ خُلوصُ المَحبَّةِ للهِ تعالىٰ : بألَّا يكونَ فيها شائبةُ حظٍّ عاجلٍ مِنْ رِفْقٍ أو إحسانٍ ؛ فإنَّ ما كانَ معلولاً يزولُ بزوالِ عِلَّتِهِ ، ومَنْ لا يستندُ في خُلَّتِهِ إلىٰ عِلَّةٍ يُحكَمُ بدوامِ خُلَّتِهِ .

ومِنْ شرطِ الحُبِّ في اللهِ : إيثارُهُ الأخَ بكلِّ ما يقدرُ عليهِ مِنْ أمرِ الدِّينِ والدنيا ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ ؛ أي : لا يَحسُدونَ إخوانَهُم علىٰ مالِهِم .

وهٰذانِ الوصفانِ بهِما يَكمُلُ صفوُ المَحبَّةِ ؛ أحدُهُما : انتزاعُ الحسدِ علىٰ شيءٍ مِنْ أمرِ الدِّينِ والدنيا ، والثاني : الإيثارُ بالمَقْدورِ .

وفي الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَىٰ لَكَ مِثْلَ مَا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ »[1] .

وكانَ يقولُ أبو معاويةَ الأسودُ : إخواني كلُّهُم خيرٌ منِّي ، قيلَ : وكيفَ ذاكَ ؟ قالَ : كلُّهُم يرىٰ ليَ الفضلَ عليهِ ، ومَنْ فضَّلَني علىٰ نَفْسِهِ فهوَ خيرٌ منِّي .

ولبعضِهِم نَظْماً[2] : [من المتقارب]

---

(١) رواه القضاعي في « المسند » (٩٠٧) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، ورواه دون قوله : (ولا خير لك . . .) أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) ، وأحمد (٢/ ٣٠٣) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٥٩) .

(٢) أورد البيتين الأنباري في « نزهة الألباء » (ص٢٦٩) ، وياقوت الحموي في « معجم =

تَـذَلَّـلْ لِمَـنْ إنْ تَـذَلَّلْـتَ لَـهْ يَـرَىٰ ذَاكَ لِلْفَضْــلِ لَا لِلْبَلَــهْ
وَجَـانِـبْ صَـدَاقَـةَ مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ عَلَى ٱلْأَصْدِقَاءِ يَرَى ٱلْفَضْلَ لَهْ[1]

* * *

= الأدباء » (٣/ ١٣٩١) ، وعزواهما إلى ابن الفتى الحلواني النحوي ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٣) ، وعزاه إلىٰ محمد بن جامع الفقيه ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ١٩) ، وعزاه إلىٰ جحظلة البرمكي ، وفي نسبته إلى ابن الفتىٰ نَظَرٌ ؛ لأنَّ ولادته بعد وفاة صاحب « القوت » ، والله تعالىٰ أعلم .

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً ، بلغ قراءةً) .

الباب الخامس والخمسون

في آداب الصحبة والأخوة

سُئِلَ أبو حَفْصٍ عن أدبِ الفقراءِ في الصُّحْبةِ ، فقالَ : حفظُ حُرُماتِ المشايخِ ، وحُسْنُ العِشْرةِ معَ الإخوانِ ، والنصيحةُ للأصاغرِ ، وتركُ صُحْبةِ مَنْ ليسَ في طبقتِهم ، ومُلازَمةُ الإيثارِ ، ومُجانَبةُ الادِّخارِ ، والمُعاوَنةُ في أمرِ الدِّين والدنيا[1] .

فمِنْ أدبِهم : التغافُلُ عن زَلَلِ الإخوانِ ، والنُّصْحُ فيما تجبُ فيهِ النصيحةُ ، وكَتْمُ عيبِ صاحبِهِ ، وإطْلاعُهُ علىٰ عيبٍ يعلمُ منهُ ؛ قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (رَحِمَ اللهُ امرأً أَهْدىٰ إليَّ عُيُوبي)[2] .

وهـٰذا فيهِ مصلحةٌ كُلِّيَّةٌ ؛ أنْ يكونَ للشخصِ مَنْ يُنبِّهُهُ علىٰ عيوبِهِ .

قالَ جعفرُ بنُ بُرْقانَ : قالَ لي ميمونُ بنُ مِهْرانَ : قُلْ لي في وَجْهي ما أكرهُ ؛ فإنَّ الرجلَ لا ينصحُ أخاهُ حتىٰ يقولَ لهُ في وجهِهِ ما يكرهُهُ[3] .

---

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص١٢١) .

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ٢٩٣) ، والبلاذري في « أنساب الأشراف » (١٠/ ٣٤٥_٣٤٦) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٨٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/ ٣٦٥) .

فإنَّ الصادقَ يُحِبُّ مَنْ يَصدُقُهُ ، والكاذبَ لا يُحِبُّ الناصحَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] .

والنصيحةُ ما كانتْ في السِّرِّ .

ومِنْ أدبِ الصُّوفيَّةِ : القيامُ بخدمةِ الإخوانِ ، واحتمالُ الأذىٰ منهُم ؛ فبذلكَ يظهرُ جوهرُ الفقيرِ .

رُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ أمرَ بقَلْعِ مِيزابٍ كانَ في دارِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ إلى الطريقِ بينَ الصفا والمروةِ ، فقالَ لهُ العبَّاسُ : قلعتَ ما كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وَضَعَهُ بيدِهِ ؟! فقالَ : إذاً لا يَرُدُّهُ إلىٰ مكانِهِ غيرُ يدِكَ ، ولا يكونُ لكَ سُلَّمٌ غيرُ عاتقِ عمرَ ، فأقامَهُ علىٰ عاتقِهِ ، وردَّهُ إلىٰ موضعِهِ[1] .

ومِنْ أدبِهِم : ألَّا يَرَونَ لنَفْسِهِم مِلْكاً يختصُّونَ بهِ .

قالَ إبراهيمُ بنُ شيبانَ : (كُنَّا لا نصحبُ مَنْ يقولُ : نَعْلي) .

(١٣١) ـ أخبرَنا بذلكَ رَضِيُّ الدِّينِ ، عن أبي المُظفَّرِ ، عن والدِهِ أبي القاسمِ القُشَيريِّ رحمةُ اللهِ عليهِ ، قالَ : سمعتُ أبا حاتِمٍ الصُّوفيَّ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ ذلكَ[2] .

وقالَ أبو أحمدَ بنُ القلانِسيِّ : دخلتُ علىٰ قومٍ مِنَ الفقراءِ يوماً

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٠) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٥٢٦٤) ، والبسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٥١١) ، وقوله : (بين الصفا والمروة) وَهَمٌ ؛ فإنَّ القصة وقعت بالمدينة والدار بها ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٧٦٣) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٦١٢) ، ولم يسنده ، وانظر « اللمع » (ص٢٣٢ ، ٢٣٤) .

بالبصرةِ ، فأكْرَمُوني وبَجَّلُوني ، فقلتُ يوماً لبعضِهِم : أينَ إزاري ؟ فسقطتُ مِنْ أعينِهِم[1] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ إذا صَحِبَهُ إنسانٌ شارطَهُ علىٰ ثلاثةِ أشياءَ : أنْ تكونَ الخِدْمةُ والأذانُ لهُ ، وأنْ تكونَ يدُهُ في جميعِ ما يفتحُ اللهُ عليهِم مِنَ الدُّنيا كيدِهِ .

فقالَ رجلٌ مِنْ أصحابِهِ : أنا لا أَقدِرُ علىٰ هـٰذا ، فقالَ : أَعْجَبَني صِدْقُكَ[2] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ينظرُ البساتينَ ، ويعملُ في الحصادِ ، ويُنفِقُ علىٰ أصحابِهِ[3] .

وكانَ مِنْ أخلاقِ السَّلَفِ : أنَّ كلَّ مَنِ احتاجَ إلىٰ شيءٍ مِنْ مالِ أخيهِ استعملَهُ مِنْ غيرِ مُؤامَرةٍ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورىٰ : ٣٨] ؛ أي : مُشاعٌ هم فيهِ سواءٌ .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٤١) ، وأسنده القشيري في « الرسالة » (ص٦١٢) إلىٰ أبي حاتم عن السرَّاج عن القلانسي ، ومعلومٌ أنَّ ثمة انقطاعاً بين السرَّاج والقلانسي ، ويحتملُ أنَّ العبارة : (سمعت أبا نصر السرَّاج يقول : قال أبو أحمد بن القلانسي) ، كما في « الرسالة » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٦) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٢٦٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) ، ورواه مُتفرِّقاً أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٦ ، ٢٨) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) .

وَمِنْ أدبِهِم : أَنَّهُم إذا استَثْقلُوا صاحباً يَتَّهمُونَ نفوسَهُم ، ويَتسبَّبُونَ إلىٰ إزالةِ ذلكَ مِنْ بواطنِهِم ؛ لأنَّ انطواءَ الضميرِ علىٰ مِثْلِ ذلكَ للمُصاحِبِ . . وَلِيجةٌ في الصُّحْبةِ .

قالَ أبو بكرٍ الكَتَّانيُّ رحمَهُ اللهُ : صَحِبَني رجلٌ وكانَ علىٰ قلبي ثقيلاً ، فوهبتُ لهُ شيئاً بنيَّةِ أنْ يزولَ ثِقَلُهُ مِنْ قلبي ، فلم يَزُلْ ، فخَلَوْتُ بهِ يوماً وقلتُ لهُ : ضَعْ رِجْلَكَ علىٰ خَدِّي ، فأبىٰ ، فقلتُ لهُ : لا بُدَّ مِنْ ذلكَ ، ففعلَ ذلكَ ، فزالَ ما كنتُ أَجِدُهُ في باطني ، قالَ الدُّقِّيُّ : قصدتُ مِنَ الشامِ إلى الحجازِ حتىٰ سألتُ الكَتَّانيَّ عن هـٰذهِ الحكايةِ[1] .

وَمِنْ أدبِهِم : تقديمُ مَنْ يعرفونَ فضلَهُ ، والتَّوسِعَةُ لهُ في المجلسِ ، والإيثارُ بالموضعِ .

رُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ جالساً في صُفَّةٍ ضَيِّقةٍ ، فجاءَهُ قومٌ مِنَ البدريِّينَ فلم يجدوا مَوْضِعاً يجلسونَ فيهِ ، فأقامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ لم يكنْ مِنْ أهلِ بدرٍ ، فجلسوا مكانَهُم ، فاشتدَّ ذلكَ عليهِم ، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ . . . ﴾ الآيةَ [المجادلة : ١١][2] .

وحُكِيَ : أنَّ عليَّ بنَ بُندارٍ الصُّوفيَّ وَرَدَ علىٰ أبي عبدِ اللهِ بنِ خَفيفٍ زائراً ،

---

(١) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٣٦) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) ، إلا أنَّهُ لم يذكر قول الدُّقِّي آخِراً .

(٢) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٨/ ٨٢) إلى ابن أبي حاتم مرسلاً عن مقاتل بن حيان رحمه الله تعالىٰ ، وأورده الواحدي في « الوسيط » (٤/ ٢٦٥) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ٥٧) .

فتَماشَيا ، فقالَ لهُ أبو عبدِ اللهِ : تقدَّمْ ، فقالَ : بأيِّ عُذْرٍ ؟ فقالَ : بأنَّكَ لَقِيتَ الجُنيدَ وما لَقِيتُهُ[1] .

ومِنْ أدبِهِم : تركُ صُحبةِ مَنْ همُّهُ شيءٌ مِنْ فُضولِ الدنيا ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم : ٢٩] .

ومِنْ أدبِهِم : بَذْلُ الإنصافِ للإخوانِ ، وتركُ المُطالَبةِ بالإنصافِ .

قالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (حقُّ الصُّحْبةِ : أنْ تُوسِّعَ علىٰ أخيكَ مالَكَ ولا تطمعَ في مالِهِ ، وتُنصِفَهُ مِنْ نفسِكَ ولا تطلبَ منهُ الإنصافَ ، وتكونَ تَبَعاً لهُ ولا تطمعَ أنْ يكونَ تَبَعاً لكَ ، وتستكثِرَ ما يصلُ إليكَ منهُ وتستقِلَّ ما يصلُ إليهِ منكَ) .

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : لِينُ الجانبِ ، وتركُ ظهورِ النَّفْسِ بالصَّوْلةِ .

قالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : (الصَّوْلةُ علىٰ مَنْ هوَ فوقَكَ قِحَةٌ ، وعلىٰ مَنْ هوَ مثلُكَ سوءُ أدبٍ ، وعلىٰ مَنْ هوَ دونَكَ عَجْزٌ)[2] .

ومِنْ أدبِهِم : ألَّا يَجْرِيَ في كلامِهِم : (لو كانَ كذا لم يكنْ كذا) ، و(ليتَ كانَ كذا) ، و(عسىٰ أنْ يكونَ كذا) ؛ فإنَّهُم يَرَونَ هٰذهِ التقديراتِ عامِّيَّةً .

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : حَذَرُ المُفارَقةِ ، والحِرْصُ على المُلازَمةِ .

---

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٠٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/ ٢٨٨) .

(٢) رواه السلمي في « بيان تذلل الفقراء » (ص٥٤) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٤٢٣) ، والقِحَة ـ بكسر القاف وفتحها ـ : الوقاحة وقلة الحياء .

قيلَ : صَحِبَ رجلٌ رجلاً ، ثمَّ أرادَ المُفارَقةَ ، فاستأذنَ صاحبَهُ ، فقالَ : بشرطِ أَلَّا تصحبَ أحداً إلا إذا كانَ فوقَنا ، وإنْ كانَ فوقَنا أيضاً فلا تصحبْهُ ؛ لأنَّكَ صَحِبْتَنا أوَّلاً ، فقالَ الرجلُ : زالَ عن قلبي نيّةُ المُفارَقةِ[1] .

ومِنْ أدبِهِمُ : التعطُّفُ على الأصاغرِ .

قيلَ : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يعملُ في الحصادِ ، ويُطعِمُ الأصحابَ ، وكانوا يجتمعونَ بالليلِ وهم صيامٌ ، وربَّما كانَ يتأخَّرُ في بعضِ الأيَّامِ في العملِ ، فقالوا ليلةً : تعالَوْا نأكلْ فُطُورَنا دونَهُ حتىٰ يعودَ بعدَ هـٰذا أَسْرعَ ، فأَفْطَرُوا وناموا .

فرجعَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، فوَجَدَهُم نِياماً ، فقالَ : مساكينُ لعلَّهُم لم يكن لهُم طعامٌ ، فعَمَدَ إلىٰ شيءٍ مِنَ الدقيقِ فعَجَنَهُ ، فانتبهوا وهوَ يَنفُخُ في النارِ واضعاً مَحاسِنَهُ على الترابِ ، فقالوا لهُ في ذلكَ ، قالَ : قلتُ : لعلَّكُم لم تَجِدُوا فُطُوراً فنِمْتُم .

فقالوا : انْظُروا بأيِّ شيءٍ عامَلْناهُ ، وبأيِّ شيءٍ يُعامِلُنا !![2] .

ومِنْ أدبِهِم : أَلَّا يقولوا عندَ الدعاءِ : (إلىٰ أينَ ؟) ، (ولِمَ ؟) ، و(بأيِّ سببٍ ؟) .

قالَ بعضُ العلماءِ : (إذا قالَ الرجلُ لصاحبِهِ : « قُمْ بنا » ، فقالَ : « إلىٰ أينَ ؟ » . . فلا تصحبْهُ)[3] .

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦١٢) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٦١٣) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (١/ ٢٦ـ٢٧) ، والمحاسن : المواضع الحسنة من البدن ، والمراد هنا : الوجه .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٧)، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٩٧).

وقالَ آخَرُ : (مَنْ قالَ لأخيهِ : « أَعْطِني مِنْ مالِكَ » ، فقالَ : « كم تُرِيدُ ؟ » . . ما قامَ بحقِّ الإخاءِ)[1] .

وقد قالَ الشاعرُ[2] : [من البسيط]

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا

ومِنْ أدبِهِم : أَلَّا يتكلَّفُوا للإخوانِ .

قيلَ : لمَّا وَرَدَ أبو حفصٍ العراقَ . . تكلَّفَ لهُ الجُنيدُ أنواعَ الأطعمةِ ، فأَنْكرَ ذلكَ أبو حفصٍ وقالَ : صَيَّرَ أصحابي مثلَ المَخَانيثِ يُقدِّمُ لهُمُ الألوانَ !! والفُتُوَّةُ عندَنا تركُ التَّكلُّفِ ، وإحضارُ ما حَضَرَ ؛ فإنَّ بالتَّكلُّفِ ربَّما يُؤْثَرُ مُفارَقةُ الضيفِ ، وبتركِ التكلُّفِ يستوي مَقامُهُ وذهابُهُ[3] .

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : المُداراةُ ، وتركُ المُداهَنةِ .

وتشتبهُ المُداراةُ بالمُداهنةِ ، والفرقُ بينَهُما : أنَّ المُداراةَ : ما أردتَ بهِ صلاحَ أخيكَ ، فداريتَهُ لرجاءِ صلاحِهِ ، واحتملتَ منهُ ما تكرهُ ، والمُداهنةَ : ما قَصَدتَ بهِ شيئاً مِنَ الهوىٰ ؛ مِنْ طلبِ حظٍّ ، أو إقامةِ جاهٍ .

ومِنْ أدبِهِم في الصُّحْبةِ : رعايةُ الاعتدالِ بينَ الانقباضِ والانبساطِ .

نُقِلَ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (الانقباضُ عنِ الناسِ مَكْسَبةٌ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٦٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/٩٧) .

(٢) البيت لقُريط بن أُنيف كما في « ديوان الحماسة » (١/١٦) ، ويَندُبُهم : يدعوهم .

(٣) أورده نجم الدين الرازي في « منارات السائرين » (ق/١٣١) .

لعداوتِهم ، والانبساطُ إليهم مَجْلَبَةٌ لقُرَناءِ السُّوءِ ، فكُنْ بينَ المُنقبِضِ والمُنبسِطِ)[1] .

ومِنْ أدبِهِم : سَتْرُ عوراتِ الإخوانِ .

قالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ لأصحابِهِ : كيفَ تصنعونَ إذا رأيتُم أخاكُم نائماً فكشفتِ الرِّيحُ عنهُ ثوبَهُ ؟ قالوا : نسترُهُ ونُغطِّيهِ .

فقالَ : بل تكشِفُونَ عورتَهُ ، قالوا : سبحانَ اللهِ مَنْ يفعلُ هٰذا ؟!

قالَ : أحدُكُم يسمعُ في أخيهِ بالكلمةِ فيزيدُ عليها ويُشِيعُها بأعظمَ منها[2] .

ومِنْ أدبِهِم : الاستغفارُ للإخوانِ بظهرِ الغيبِ ، والاهتمامُ لهُم معَ اللهِ تعالىٰ في دَفْعِ المَكارِهِ عنهُم .

حُكِيَ أنَّ أخوَينِ ابتُلِيَ أحدُهُما بهوىً ، فأَظْهرَ عليهِ أخاهُ ، فقالَ : إنِّي ابتُلِيتُ بهوىً ، فإنْ شئتَ ألَّا تقعدَ علىٰ محبَّتي للهِ فافعَلْ .

فقالَ : ما كنتُ لأَحُلَّ عَقْدَ إخائِكَ لأجلِ خطيئتِكَ ، وعَقَدَ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ عَقْداً ألَّا يأكلَ ولا يشربَ حتىٰ يُعافِيَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ هواهُ ، فطوىٰ أربعينَ يوماً كلَّما يسألُهُ عن هواهُ فيقولُ : ما زالَ ، فبعدَ الأربعينَ أَخْبرَهُ أنَّ الهوىٰ قد زالَ ، فأكلَ وشَرِبَ[3] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٢٢) ، ورواه الخطابي في « العزلة » (ص٩٨) عن أكثم بن صيفي الحكيم الشهير المعمَّر .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٦٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/ ٨٨) .

(٣) أورده نجم الدين الرازي في « منارات السائرين » (ق/ ١٣١) .

وَمِنْ أدبِهِم : أَلَّا يُحوِجُوا صاحبَهُم إلى المُدَاراةِ ، ولا يُلجِئُوهُ إلى الاعتذارِ ، ولا يتكلَّفوا للصاحبِ ما يَشُقُّ عليهِ ، بل يكونوا للصاحبِ مِنْ حيثُ هوَ مُؤثِرينَ مُرادَ الصاحبِ علىٰ مُرادِ أنفسِهِم .

قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (شرُّ الأصدقاءِ : مَنْ أَحْوجَكَ إلىٰ مُداراةٍ ، أو أَلْجأكَ إلى اعتذارٍ ، أو تكلَّفْتَ لهُ)[1] .

وقالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أَثْقلُ إخواني عَلَيَّ : مَنْ يتكلَّفُ لي في الصُّحْبةِ وأتحفَّظُ منهُ ، وأَخَفُّهُم علىٰ قلبي : مَنْ أكونُ معَهُ كما أكونُ وَحْدي)[2] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : آدابُ الصُّحْبةِ وحقوقُ الأُخُوَّةِ كثيرةٌ ، والحكاياتُ في ذلكَ يطولُ نَقْلُها .

وقد رأيتُ في كتابِ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ رحمَهُ اللهُ مِنَ الحكاياتِ في هٰذا المعنىٰ شيئاً كثيراً ، وقد أَوْدعَ كتابَهُ كلَّ شيءٍ حَسَنٍ مِنْ ذلكَ[3] .

وحاصلُ الجميعِ : أنَّ العبدَ ينبغي لهُ أنْ يكونَ لمَوْلاهُ ، ويُرِيدَ كلَّ ما يُرِيدُ لمَوْلاهُ لا لنَفْسِهِ ، وإذا صاحبَ شخصاً تكونُ صُحْبتُهُ إيَّاهُ للهِ تعالىٰ ، وإذا صَحِبَهُ للهِ تعالىٰ يجتهدُ لهُ في كلِّ شيءٍ يزيدُهُ عندَ اللهِ زُلْفىٰ .

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٧٢) دون نسبة ، والغزالي في « الإحياء » (٤/١٣٢) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/١٥٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٤/١٣٣) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٣/١٥٤٧) وما بعدها .

وكلُّ مَنْ قامَ بحقوقِ اللهِ تعالىٰ يَرزُقُهُ اللهُ تعالىٰ عِلْماً بمعرفةِ النَّفْسِ وعيوبِها ، ومحاسنِ الأخلاقِ ، ويُعرِّفُهُ محاسنَ الآدابِ ، ويُوفِّقُهُ مِنْ أداءِ الحقوقِ علىٰ بصيرةٍ ، ويُفقِّهُهُ في كلِّ ذلكَ ، ولا يَفوتُهُ شيءٌ ممَّا يحتاجُ إليهِ فيما يرجعُ إلىٰ حقوقِ الحقِّ ، وفيما يرجعُ إلىٰ حقوقِ الخَلْقِ .

فكلُّ تقصيرٍ يوجدُ مِنْ خُبْثِ النَّفْسِ وعدمِ تزكيتِها ، وبقاءِ صفاتِها عليهِ ، فإنْ صَحِبَتْ ظَلَمتْ بالإفراطِ تارةً ، وبالتفريطِ أُخْرىٰ ، وتعدَّتِ الواجبَ فيما يرجعُ إلى الحقِّ والخَلْقِ ، فالحكاياتُ والمواعظُ والآدابُ وسماعُها . . لا تعملُ في النَّفْسِ زيادةَ تأثيرٍ ، وتكونُ كبئرٍ يُقلَبُ فيها الماءُ مِنْ فوقُ ، فلا يمكثُ فيها ، ولا يُنتفَعُ بهِ .

وإذا أَخَذَتْ بالتقوىٰ والزُّهْدِ في الدنيا . . نَبَعَ مِنْها ماءُ الحياةِ ، وتفقَّهتْ وعَلِمَتْ ، وأدَّتِ الحقوقَ ، وقامتْ بواجبِ الآدابِ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ وبعونِهِ[1] .

❁ ❁ ❁

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب السادس والخمسون

في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

(١٣٢) ـ حدَّثَنا شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا الشريفُ نورُ الهدىٰ أبو طالبٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَرِيمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالَتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الفَرَبْرِيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ البُخَارِيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عمرُ بنُ حفصٍ ، قالَ : حدَّثَنا أبي ، قالَ : حدَّثَنا الأعمشُ ، قالَ : حدَّثَنا زيدُ بنُ وَهْبٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ[1] ، قالَ : حدَّثَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ الصادقُ المصدوقُ قالَ : « إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ ٱللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ؛ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ[2] ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ ٱلرُّوحُ .

وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ

---

(١) هو سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) ويجوز ضبط (فيكتب) بالبناء للمجهول ورفع ما بعده ، وهي رواية أبي ذَرٍّ الهروي . انظر « إرشاد الساري » (٥ / ٣٢٤) .

لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلنَّارِ فَيَدْخُلُ ٱلنَّارَ »[1] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢ ـ ١٣] ؛ أي : حَرِيزٍ ، مُكِّنَ ؛ لاستقرارِها فيهِ إلىٰ بلوغِ أَمَدِها .

ثمَّ قالَ بعدَ ذِكْرِ تقلُّباتِهِ : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] ، قيلَ : هٰذا الإنشاءُ نَفْخُ الرُّوحِ فيهِ[2] .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : واعلَمْ : أنَّ الكلامَ في الرُّوحِ صَعْبُ المَرَامِ ، والإمساكَ عن ذلكَ سبيلُ ذَوِي الأحلامِ ، وقد عَظَّمَ اللهُ تعالىٰ شأنَ الرُّوحِ ، وأَسْجَلَ على الخَلْقِ بقِلَّةِ العِلْمِ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد أَخْبرَ اللهُ تعالىٰ في كلامِهِ عن إكرامِهِ بني آدمَ ؛ فقالَ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

قيلَ : قالتِ الملائكةُ : ربَّنا ؛ إنَّكَ أَعْطَيتَ بني آدمَ الدنيا يأكلونَ فيها ويتنعَّمونَ[3] ، ولم تُعطِنا ذلكَ ، فأَعْطِناهُ في الآخرةِ[4] ، فقالَ : وعِزَّتي

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٣٢) ، ورواه مسلم (٢٦٤٣) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٩/ ١٧) ، والبغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤/ ٩٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) في (أ) ونسخة أشار إليها في (و) : (ويتمتعون) ، وجمع بين النسختين في (ز) .

(٤) العبارة في (ط) : (ورُوي أنَّهُ لمَّا خلق الله تعالىٰ آدم وذرِّيَّته.. قالت الملائكة : يا رب ؛ خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة) .

وجلالي ؛ لا أجعلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خلقتُ بيديَّ كمَنْ قلتُ لهُ : (كُنْ) فكانَ[1] .

فمعَ هـٰذهِ الكرامةِ ، واختيارِهِ سُبْحانَهُ وتعالىٰ إيَّاهُم على الملائكةِ . . لمَّا أَخْبرَ عنِ الرُّوحِ أَخبرَ عنهُم بقِلَّةِ العِلْمِ وقالَ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : قالتِ اليهودُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أَخبِرْنا : ما الرُّوحُ ؟ وكيفَ تُعذَّبُ الرُّوحُ التي في الجسدِ وإنَّما الرُّوحُ مِنْ أمرِ اللهِ ؟ ولم يكنْ نَزَلَ إليهِ فيهِ شيءٌ ، فلم يُجِبْهُم ، فأتاهُ جبريلُ بهـٰذهِ الآيةِ[2] .

وحيثُ أَمْسكَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الإخبارِ عنِ الرُّوحِ وماهيَّتِهِ بإذنِ اللهِ تعالىٰ ووَحْيِهِ ، وهوَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مَعدِنُ العلمِ ، ويَنبُوعُ الحكمةِ . . فكيفَ يَسُوغُ لغيرِهِ الخوضُ فيهِ والإشارةُ إليهِ ؟!

لا جَرَمَ لمَّا تقاضَتِ النَّفْسُ الإنسانيةُ المُتطلِّعةُ إلى الفُضُولِ ، المُتشوِّفةُ إلى المعقولِ ، المُتحرِّكةُ بوضعِها إلىٰ كلِّ ما أُمِرَتْ بالسكونِ فيهِ ، المُتسوِّرةُ بحِرْصِها إلىٰ كلِّ تحقيقٍ وكلِّ تمويهٍ ، وأَطْلقَتْ عِنانَ النَّظَرِ في مَسارِحِ الفِكْرِ ، وخاضَتْ غَمَراتِ معرفةِ ماهيَّةِ الرُّوحِ . . تاهتْ في التِّيهِ ،

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣/٦٥٨) ، و« المعجم الأوسط » (٦١٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، و« مسند الشاميين » (٥٢١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٧) ، والديلمي في « الفردوس » (٥٢٨٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/٥٤٣) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٥/ ٣٣١) إلى ابن مردويه من طريق العوفي .

وتنوَّعتْ آراؤُها فيهِ ، ولم يُوجَدِ الاختلافُ بينَ أربابِ النقلِ والعقلِ في شيءٍ كالاختلافِ في ماهيَّةِ الرُّوحِ .

ولو لَزِمَتِ النُّفُوسُ حدَّها معترفةً بعَجْزِها . . كانَ ذلكَ أَجْدرَ بها وأَوْلىٰ .

فأمَّا أقاويلُ مَنْ ليسَ بمُتمسِّكٍ بالشرائعِ . . فنُنزِّهُ الكتابَ عن ذِكْرِها ؛ لأنَّها أقوالٌ أَبْرزَتْها العقولُ التي ضَلَّتْ عنِ الرَّشادِ ، وطُبِعَتْ على الفسادِ ، ولم يُصِبْها نُورُ الاهتداءِ ، ببركةِ مُتابعةِ الأنبياءِ ، فهم كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف : ١٠١] ، ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت : ٥] .

فلمَّا حُجِبُوا عنِ الأنبياءِ لم يسمعوا ، وحيثُ لم يسمعوا لم يهتدوا ، فأَصرُّوا على الجَهالاتِ ، وحُجِبُوا بالعقولِ عنِ المأمولِ .

والعقلُ حُجَّةُ اللهِ تعالىٰ يَهْدي بهِ قوماً ، ويُضِلُّ بهِ آخَرِينَ ، فلم نَنقلْ أقوالَهُم في الرُّوحِ واختلافَهُم فيهِ .

وأمَّا المُتمسِّكونَ بالشرائعِ : تكلَّمُوا في الرُّوحِ ؛ فقومٌ مِنْهُم بطريقِ الاستدلالِ والنَّظَرِ ، وقومٌ مِنْهُم بلسانِ الذَّوقِ والوَجْدِ لا باستعمالِ الفِكَرِ ؛ حتىٰ تكلَّمَ في ذلكَ مَشايخُ الصُّوفيَّةِ أيضاً ، وكانَ الأَوْلى الإمساكَ عن ذلكَ ، والتأدُّبَ بأدبِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقد قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : **(الرُّوحُ شيءٌ استأثرَ اللهُ تعالىٰ بعلمِهِ ، ولا تجوزُ العبارةُ عنهُ بأكثرَ مِنْ موجودٍ)**[1] .

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٣ـ ٧٤) .

ولـٰكن نجعلُ للصادقينَ مَحْمِلاً لأقوالِهم وأفعالِهم ، ويجوزُ أنْ يكونَ كلامُهُم في ذلكَ بمثابةِ التأويلِ لكلامِ اللهِ تعالىٰ والآياتِ المُنزَلةِ ؛ حيثُ حُرِّمَ تفسيرُهُ وجُوِّزَ تأويلُهُ ؛ إذ لا يَسَعُ القولُ في التفسيرِ إلا نقلاً ، وأمَّا التأويلُ فتمتدُّ العقولُ إليهِ بالباعِ الطويلِ ؛ وهوَ ذِكْرُ ما تحتملُ الآيةُ مِنَ المعنىٰ ، مِنْ غيرِ القَطْعِ بذلكَ[١] ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فللقولِ فيهِ وَجْهٌ ومَحْمِلٌ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ النِّباجيُّ : (الرُّوحُ جسمٌ يَلطُفُ عنِ الحِسِّ ، ويَكبُرُ عنِ اللَّمْسِ ، ولا يُعبَّرُ عنهُ بأكثرَ مِنْ موجودٍ)[٢] .

وهوَ وإنْ مَنَعَ عنِ العبارةِ فقد حَكَمَ بأنَّهُ جسمٌ ، فكأنَّهُ عبَّرَ عنهُ .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (خَلَقَ اللهُ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ؛ يعني : الأرواحَ ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] ؛ يعني : الأجسادَ)[٣] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الرُّوحُ لطيفٌ قائمٌ في كَثيفٍ ؛ كالبصرِ جوهرٌ لطيفٌ قائمٌ في كَثيفٍ)[٤] .

وفي هـٰذا القولِ نَظَرٌ .

وقالَ بعضُهُمْ : (الرُّوحُ عبارةٌ ، والقائمُ بالأشياءِ هوَ الحقُّ)[٥] .

---

(١) وذهب بعض العلماء إلى الترادف بين التأويل والتفسير ، وقيل غير ذلك ، وانظر التفصيل في هـٰذه المسألة في « الإتقان في علوم القرآن » (٤/ ١٩٢_١٩٧) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٤) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٤) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٤) .

(٥) صوابه : وما تقوم الأشياء به هو الحق عز وجل . من هامش (ح) ، وهـٰذا القول أورده=

وهـٰذا فيهِ نَظَرٌ أيضاً ، إلا أنْ يُحمَلَ علىٰ معنى الإحياءِ ؛ فقد قالَ بعضُهُمْ : (الإحياءُ صفةُ المُحْيِي ؛ كالتخليقِ صفةُ الخالقِ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] ، وأمرُهُ كلامُهُ ، وكلامُهُ ليسَ بمخلوقٍ)[١] .

أي : صارَ الحيُّ حيّاً بقولِهِ : (كُنْ حيّاً) ، وعلىٰ هـٰذا : لا يكونُ الرُّوحُ معنىً في الجسدِ .

فمِنَ الأقوالِ ما يَدُلُّ : علىٰ أنَّ قائلَهُ يعتقدُ قِدَمَ الرُّوحِ ، ومِنَ الأقوالِ ما يَدُلُّ علىٰ أنَّهُ يعتقدُ حدوثَهُ .

ثمَّ إنَّ الناسَ مختلفونَ في الرُّوحِ الذي سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنهُ ؛ فقالَ قومٌ : هوَ جبريلُ .

ونُقِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ عليهِ أنَّهُ قالَ : (هوَ مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ ، لهُ سبعونَ ألفَ وجهٍ ، ولكلِّ وجهٍ منهُ سبعونَ ألفَ لسانٍ ، ولكلِّ لسانٍ منهُ سبعونَ ألفَ لغةٍ ، يُسبِّحُ اللهَ تعالىٰ بتلكَ اللُّغاتِ كلِّها ، ويُخلَقُ مِنْ كلِّ تسبيحةٍ مَلَكٌ يطيرُ معَ الملائكةِ إلىٰ يومِ القيامةِ)[٢] . ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (إنَّ الرُّوحَ خَلْقٌ مِنْ

= السلمي في « تفسيره » (١/٣٩٥) ، وعزاه في موضع آخر (١/٣٩٧) إلىٰ بعض البغداديين .

(١) انظر « التعرف » (ص٧٤) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/٥٤٤) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٨) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٤٤) .

خَلْقِ اللهِ ، صُوَرُهُم علىٰ صُوَرِ بني آدمَ ، وما نَزَلَ مِنَ السماءِ مَلَكٌ إلا ومعَهُ واحدٌ مِنَ الرُّوحِ)[1] .

وقالَ أبو صالحٍ : (الرُّوحُ كهيئةِ الإنسانِ ، وليسوا بناسٍ)[2] .

وقالَ مُجاهِدٌ : (الرُّوحُ علىٰ صورةِ بني آدمَ ؛ لهُم أيدٍ وأرجلٌ ورُؤُوسٌ ، يأكلونَ الطعامَ ، وليسوا بملائكةٍ)[3] .

وقالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ رحمَهُ اللهُ : (لم يَخلُقِ اللهُ تعالىٰ خَلْقاً أَعْظَمَ مِنَ الرُّوحِ غيرَ العرشِ ، ولو شاءَ أنْ يَبْلَعَ السماواتِ السبعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ في لُقْمةٍ . . لَفَعَلَ ، صورةُ خَلْقِهِ علىٰ صورةِ الملائكةِ ، وصورةُ وجهِهِ علىٰ صورةِ الآدميِّينَ ، يقومُ يومَ القيامةِ عن يمينِ العرشِ والملائكةُ معَهُ في صَفٍّ واحدٍ ، وهوَ ممَّنْ يشفعُ لأهلِ التوحيدِ ، ولولا أنَّ بينَهُ وبينَ الملائكةِ سِتْراً مِنْ نُورٍ . . لأحرقَ أهلَ السماواتِ مِنْ نورِهِ)[4] .

فهٰذهِ الأقاويلُ لا تكونُ إلا نقلاً وسماعاً ، بَلَغَهُم عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذلكَ ، وإذا كانَ الرُّوحُ المسؤولُ عنهُ شيئاً مِنْ هٰذا المنقولِ . . فهوَ غيرُ الرُّوحِ الذي في الجسدِ .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٤) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٤٤) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/١٧٦) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤١٣) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٤٤) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/١٧٦) ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٤١٠) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٦/٤٦٩ـ٤٧٠) ، والبغوي في « تفسيره » (٥/١٢٥) .

فعلىٰ هـٰذا : يَسُوغُ القولُ في هـٰذا الرُّوحِ ، ولا يكونُ الكلامُ فيهِ ممنوعاً .

قالَ بعضُهُمُ : (الرُّوحُ لطيفةٌ تسري مِنَ اللهِ تعالىٰ إلىٰ أماكنَ معروفةٍ ، لا يُعبَّرُ عنهُ بأكثرَ مِنْ موجودٍ بإيجادِ غيرِهِ)[1] .

وقالَ بعضُهُمُ : الرُّوحُ لم يخرجْ مِنْ (كُنْ) ؛ لأنَّهُ لو خَرَجَ مِنْ (كُنْ) كانَ عليهِ الذُّلُّ ، قيلَ : فمِنْ أيِّ شيءٍ خَرَجَ ؟

قالَ : مِنْ بينِ جمالِهِ وجلالِهِ سُبْحانَهُ وتعالىٰ ، بمُلاحَظةِ الإشارةِ خصَّها بسلامِهِ ، وحيَّاها بكلامِهِ ؛ فهيَ مُعتقَةٌ مِنْ ذُلِّ (كُنْ)[2] .

وسُئِلَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ عنِ الرُّوحِ : أمخلوقةٌ هيَ ؟ قالَ : نعم ، ولولا ذلكَ ما أقرَّتْ بالرُّبُوبيَّةِ حيثُ قالتْ : (بلىٰ)[3] .

والرُّوحُ هيَ التي قامَ بها البدنُ ، واستحقَّ بها اسمَ الحياةِ ، وبالروحِ ثَبَتَ العقلُ ، وبالرُّوحِ قامتِ الحُجَّةُ ، ولو لم يكنِ الرُّوحُ كانَ العقلُ مُعطَّلاً لا حُجَّةَ عليهِ ولا لهُ .

وقيلَ : إنَّها جوهرٌ مخلوقٌ ، ولـٰكنَّها أَلْطفُ المخلوقاتِ ، وأَصْفى الجواهرِ وأَنْورُها ، وبها تُرى المُغيَّباتُ ، وبها يكونُ الكشفُ لأهلِ الحقائقِ ، وإذا حُجِبَتِ الرُّوحُ عن مُراعاةِ السِّرِّ[4] . . أساءتِ الجوارحُ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٥) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٦) ، وانظر « سراج العقول » للقزويني (ق/ ٤٦ ، ١٠٧) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٦)، والقزويني في « سراج العقول » (ق/ ٤٦) .

(٤) في « تفسير السلمي » : (ملاقاة) بدل (مراعاة) .

الأدبَ ؛ ولذلكَ صارتِ الرُّوحُ بينَ تَجَلٍّ واستتارٍ ، وقابضٍ ونازعٍ[١] .

وقيلَ : الدنيا والآخرةُ عندَ الأرواحِ سواءٌ[٢] .

وقيلَ : الأرواحُ تَجُولُ في البرزخِ ، وتُبصِرُ أحوالَ الدنيا ، والملائكةَ تتحدَّثُ في السماءِ عن أحوالِ الآدميِّينَ ، وأرواحٌ تحتَ العرشِ ، وأرواحٌ طيَّارةٌ إلى الجِنانِ وإلىٰ حيثُ شاءتْ علىٰ أقدارِهِم مِنَ السَّعْيِ إلى اللهِ أيَّامَ الحياةِ[٣] .

وروىٰ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ عن سلمانَ الفارسيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (أرواحُ المؤمنينَ تذهبُ في برزخٍ مِنَ الأرضِ حيثُ شاءتْ بينَ السماءِ والأرضِ ، حتىٰ يَرُدَّها اللهُ إلىٰ أجسادِها)[٤] .

وقيلَ : (إذا وَرَدَ على الأرواحِ مَيِّتٌ مِنَ الأحياءِ . التقَوْا وتحدَّثُوا وتساءلُوا ، ووكَّلَ اللهُ تعالىٰ بها ملائكةً تَعرِضُ عليها أعمالَ الأحياءِ ، حتىٰ إذا عُرِضَ على الأمواتِ ما يُعاقَبُ بهِ الأحياءُ في الدنيا مِنْ أجلِ الذنوبِ . . كانَ عُذْرُ اللهِ ظاهراً عندَ الأمواتِ ؛ فإنَّهُ لا أحدَ أحبُّ إليهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ)[٥] .

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/٣٩٦) .
(٢) قاله أبو بكر الواسطي ضمن جواب عن مكان الأرواح ، كما في « تفسير السلمي » (١/٣٩٦) .
(٣) قاله الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٢١٠) .
(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٢٩) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩١٩ ، ٩٢٠) .
(٥) قاله الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٢١١) .

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تُعْرَضُ ٱلْأَعْمَالُ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسِ عَلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَتُعْرَضُ عَلَى ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلآبَاءِ وَٱلْأُمَّهَاتِ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، فَيَفْرَحُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ ، وَتَزْدَادُ وُجُوهُهُمْ بَيَاضاً وَتَشْرِقَةً ، فَٱتَّقُوا ٱللهَ تَعَالَىٰ ، وَلَا تُؤْذُوا أَمْوَاتَكُمْ »[1] .

وفي خبرٍ آخَرَ : « إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىٰ عَشَائِرِكُمْ وَأَقَارِبِكُمْ مِنَ ٱلْمَوْتَىٰ ، فَإِنْ كَانَ حَسَناً ٱسْتَبْشَرُوا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَٰلِكَ قَالُوا : ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تُمِتْهُمْ حَتَّىٰ تَهْدِيَهُم كَمَا هَدَيْتَنَا »[2] .

وهٰذهِ الأقوالُ والأخبارُ تَدُلُّ علىٰ أنَّها أعيانٌ في الجسدِ ، وليستْ بمعانٍ وأعراضٍ .

سُئِلَ الواسطيُّ رحمَهُ اللهُ : لأيِّ عِلَّةٍ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَحْكَمَ الخَلْقِ ؟ قالَ : لأنَّهُ خُلِقَ رُوحُهُ أوَّلاً ، فوقعَ لهُ صُحْبَةُ التمكينِ والاستقرارِ ؛ أَلَا تَراهُ يقولُ : « كُنْتُ نَبِيّاً وآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ »[3] ؛ أي : لم يكنْ رُوحاً ولا جسداً[4] .

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩٢٤) عن عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جدِّه ، وفي (ب ، ج ، ز) : (وإشراقاً) بدل (وتشرقة) ، وفي النسخ ما عدا (أ ، ز ، ي) : (موتاكم) بدل (أمواتكم) .

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٦٥) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩٢٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (١٩٠٣) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وفي (ج ، هـ) : (لما هديتنا) بدل (كما هديتنا) .

(٣) سبق تخريجه في (١/ ١٧٤ـ ١٧٥) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٦) .

وقالَ بعضُهمُ : (الرُّوحُ خُلِقَ مِنْ نورِ العِزَّةِ ، وإبليسُ خُلِقَ مِنْ نارِ العِزَّةِ ؛ ولهـٰذا قالَ : ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [الأعراف : ١٢] ، ولم يَدْرِ أَنَّ النُّورَ خيرٌ مِنَ النارِ)[١] .

وقالَ بعضُهم : (قَرَنَ اللهُ تعالى العِلْمَ بالرُّوحِ[٢] ، فهيَ للطافتِها تنمو بالعِلْمِ ، كما ينمو البدنُ بالغذاءِ ، وهـٰذا في علمِ اللهِ ؛ لأنَّ علمَ الخَلْقِ قليلٌ لا يبلُغُ ذلكَ)[٣] .

والمختارُ عندَ أكثرِ مُتكلِّمي الإسلامِ : أنَّ الإنسانيَّةَ والحيوانيَّةَ عَرَضانِ خُلِقا في الإنسانِ ، والموتُ يُعدِمُهُما ، وأنَّ الرُّوحَ هيَ الحياةُ بعينِها ، صارَ البدنُ بوجودِها حيّاً ، وبالإعادةِ إليهِ في القيامةِ يصيرُ حيّاً[٤] .

وذهبَ بعضُ مُتكلِّمي الإسلامِ : إلىٰ أنَّهُ جسمٌ لطيفٌ اشتبكَ بالأجسامِ الكثيفةِ اشتباكَ الماءِ بالعُودِ الأخضرِ ، وهوَ اختيارُ أبي المعالي الجُوَينيِّ[٥] .

وكثيرٌ منهُم مالَ إلىٰ أنَّهُ عَرَضٌ ، إلا أنَّهُ ردَّهُم عن ذلكَ الأخبارُ الدالَّةُ علىٰ أنَّهُ جسمٌ ؛ لما وَرَدَ فيهِ مِنَ العُرُوجِ والهُبُوطِ والتَّرَدُّدِ في البَرْزخِ ؛ فحيثُ

---

(١) رواه إلىٰ قوله : (من نار العزة) إسحاق بن راهويه في « المسند » (٧٨٨) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (١٠٨٣) عن عكرمة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) كقوله : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٥] . من هامش (ح) .

(٣) انظر « تفسير السلمي » (١/ ٣٩٦) .

(٤) انظر « سراج العقول » (ق/ ٤٥) .

(٥) وهو الصحيح ، وعليه أهل السُّنَّة من المُتكلِّمين والمُحدِّثين والفقهاء والصوفيَّة ، وانظر « الإرشاد » (ص٣٧٧) ، و« شرح النووي علىٰ مسلم » (١٣/ ٣٢_٣٣) ، و« نهاية المرام » (ص١٦٠) ، و« تحفة المريد » (ص٢٦٢) .

وُصِفَ بأوصافٍ دَلَّ على أنَّهُ جسمٌ ؛ لأنَّ العَرَضَ لا يُوصَفُ بأوصافٍ ؛ إذِ الوصفُ معنىً ، والمعنى لا يقومُ بالمعنى .

وأَصَرَّ بعضُهُم على أنَّهُ عَرَضٌ .

سُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ؛ قيلَ لهُ : أينَ تذهبُ الأرواحُ عندَ مُفارَقةِ الأبدانِ ؟ فقالَ : أينَ يذهبُ ضوءُ المصباحِ عندَ فناءِ الأَدْهانِ ؟

قيلَ لهُ : فأينَ تذهبُ الجُسُومُ إذا بَلِيَتْ ؟ فقالَ : فأينَ يذهبُ لحمُها إذا مَرِضَتْ ؟[1] .

وقالَ بعضُ مَنْ يُتَّهَمُ بالعلومِ المردودةِ المذمومةِ ويُنسَبُ إلى الإسلامِ : (الرُّوحُ ينفصلُ مِنَ البدنِ في جسمٍ لطيفٍ)[2] .

وقالَ بعضُهُم : (إنَّها إذا فارقَتِ البدنَ تَحُلُّ معَها القُوَّةُ الوَهْميَّةُ بتوسُّطِ النُّطْقيَّةِ ، فتكونُ حينئذٍ مُطالِعةً للمعاني المحسوساتِ ؛ لأنَّ تجرُّدَهُ مِنْ هيئاتِ البدنِ عندَ المُفارَقةِ غيرُ مُمكِنٍ .

وهيَ عندَ الموتِ شاعرةٌ بالموتِ ، وبعدَ الموتِ مُتخيِّلةٌ نَفْسَها مقبورةً ، وتَتَصَوَّرُ جميعَ ما كانتْ تعتقدُهُ حالَ الحياةِ ، وتَحُسُّ بالثوابِ والعقابِ في القبرِ)[3] .

وقالَ بعضُهُم : (أَسْلَمُ المقالاتِ أنْ يُقالَ : الرُّوحُ شيءٌ مخلوقٌ ،

---

(١) أورده القزويني في « سراج العقول » (ق/ ٤٩) ، وفي (أ ، ج ، ز) : (الأشباح . . . الأجسام) بدل (الأبدان . . . الجُسُوم) .

(٢) عزاه القزويني في « سراج العقول » (ق/ ٤٧) إلى ثابت بن قرة الحرَّاني .

(٣) انظر « سراج العقول » (ق/ ٤٧) .

أَجْرى اللهُ تعالى العادةَ أنْ يحيا البدنُ ما دامَ مُتَّصِلاً بهِ ، وأنَّهُ أَشْرفُ مِنَ الجسدِ ، يذوقُ الموتَ بمُفارَقةِ الجسدِ ، كما أنَّ الجسدَ بمُفارَقتِهِ يذوقُ الموتَ ؛ فإنَّ الكيفيَّةَ والماهيَّةَ يتعاشى العقلُ فيهِما كما يتعاشى البصرُ في شُعاعِ الشمسِ)[1] .

ولمَّا رأى المُتكلِّمونَ أنَّهُ يُقالُ لهُمُ : الموجوداتُ محصورةٌ : قديمٌ وجسمٌ وجوهرٌ وعَرَضٌ ، فالرُّوحُ مِنْ أيِّ هـٰؤلاءِ ؟

فاختارَ قومٌ منهُم : أنَّهُ عَرَضٌ .

وقومٌ منهُم : أنَّهُ جسمٌ لطيفٌ كما ذَكَرْنا[2] .

واختارَ قومٌ : أنَّهُ قديمٌ ؛ لأنَّهُ أمرٌ ، والأمرُ كلامٌ ، والكلامُ قديمٌ .

فما أحسنَ الإمساكَ عنِ القولِ فيما هـٰذا سبيلُهُ !!

وكلامُ الشيخِ أبي طالبٍ المَكِّيِّ رحمَهُ اللهُ في « كتابِهِ » : يَدُلُّ علىٰ أنَّهُ يميلُ إلىٰ أنَّ الأرواحَ أعيانٌ في الجسدِ ، وهـٰكذا النُّفُوسُ ؛ لأنَّهُ يذكرُ أنَّ الرُّوحَ تتحرَّكُ للخيرِ ، ومِنْ حركتِها يظهرُ نُورٌ في القلبِ يراهُ المَلَكُ ، فيُلهِمُ الخيرَ عندَ ذلكَ ، وأنَّ النَّفْسَ تتحرَّكُ ، ومِنْ حركتِها تظهرُ ظُلْمةٌ في القلبِ ، فيرى الشيطانُ الظُّلْمةَ ، فيُقبِلُ بالإغواءِ[3] .

وحيثُ وجدتُ أقوالَ المشايخِ تُشِيرُ إلى الرُّوحِ أقولُ : ما عندي في ذلكَ

---

(١) في (أ ، و) : (يتغاشىٰ) في الموضعين ، وفي (ح ، ي) : (يتلاشىٰ) كذلك .

(٢) انظر (٢/ ٤١٥) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٢/ ٣٥٧ـ٣٥٨) .

علىٰ معنىٰ ما ذكرتُ مِنَ التأويلِ دونَ أنْ أقطعَ بهِ ؛ إذ مَيْلي في ذلكَ إلى السكوتِ والإمساكِ ، فأقولُ واللهُ أعلمُ :

الرُّوحُ الإنسانيُّ العُلْويُّ السَّمَاويُّ مِنْ عالَمِ الأمرِ ، والرُّوحُ الحَيَوانيُّ البَشَريُّ مِنْ عالَمِ الخَلْقِ ، والرُّوحُ الحَيَوانيُّ البَشَريُّ مَحَلُّ الرُّوحِ العُلْويِّ ومَوْرِدُهُ .

والرُّوحُ الحَيَوانيُّ جِسْمانيٌّ لطيفٌ حاملٌ لقُوَّةِ الحِسِّ والحركةِ ، تنبعثُ مِنَ القلبِ ـ **أعني بالقلب ها هنا** : المُضْغَةَ اللَّحْميَّةَ المعروفةَ الشكلِ ، المُودَعةَ في الجانبِ الأيسرِ مِنَ الجسدِ ـ وتنتشرُ في تجاويفِ العُرُوقِ الضواربِ .

وهـٰذهِ الرُّوحُ لسائرِ الحيواناتِ ، ومنهُ تفيضُ قُوى الحواسِّ ، وهوَ الذي قِوامُهُ بإجْراءِ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ بالغِذاءِ غالباً ، ويُتصرَّفُ بعِلْمِ الطبِّ فيهِ باعتدالِ مزاجِ الأَخْلاطِ .

ولوُرُودِ الرُّوحِ الإنسانيِّ العُلْويِّ علىٰ هـٰذا الرُّوحِ . . تَجَنَّسَ الرُّوحُ الحَيَوانيُّ ، وبايَنَ أرواحَ الحيواناتِ ، واكتسبَ صفةً أخرىٰ ، فصارَ نَفْساً مَحَلاً للنُّطْقِ والإلهامِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ـ٨] ؛ فتسويتُها بورودِ الرُّوحِ الإنسانيِّ عليها واقتطاعِها عن جنسِ أرواحِ الحيواناتِ ، فتكوَّنتِ النَّفْسُ بتكوينِ اللهِ مِنَ الرُّوحِ العُلْويِّ .

وصارَ تكوُّنُ النَّفْسِ التي هيَ الرُّوحُ الحَيَوانيُّ مِنَ الآدميِّ مِنَ الرُّوحِ العُلْويِّ في عالَمِ الأمرِ . كتكوُّنِ حوَّاءَ مِنْ آدمَ في عالَمِ الخَلْقِ ، وصارَ بينَهُما

مِنَ التآلُفِ والتعاشُقِ كما بينَ آدمَ وحَوَّاءَ ، وصارَ كلُّ واحدٍ مِنْهُما يذوقُ الموتَ بمُفارَقةِ صاحبِهِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ؛ فسَكَنَ آدمُ إلىٰ حَوَّاءَ ، وسَكَنَ الرُّوحُ الإنسانيُّ العُلْويُّ إلى الرُّوحِ الحَيَوانيِّ وصيَّرَهُ نَفْساً ، وتكوَّنَ مِنْ سكونِ الرُّوحِ إلى النَّفْسِ القلبُ ، وأعني بهـٰذا القلبِ : اللَّطِيفةَ التي مَحلُّها المُضْغةُ اللَّحْميَّةُ ، فالمُضْغةُ اللَّحْميَّةُ مِنْ عالَمِ الخَلْقِ ، وهـٰذهِ اللَّطِيفةُ مِنْ عالَمِ الأمرِ .

وكانَ تكوُّنُ القلبِ مِنَ الرُّوحِ والنَّفْسِ في عالَمِ الأمرِ . كتكوُّنِ الذُّرِّيَّةِ مِنْ آدمَ وحَوَّاءَ في عالَمِ الخَلْقِ ، ولولا المُساكَنةُ بينَ الزَّوجَينِ اللَّذينِ أحدُهُما النَّفْسُ . . ما تكوَّنَ القلبُ .

فمِنَ القلوبِ قلبٌ مُتطلِّعٌ إلى الأبِ الذي هوَ الرُّوحُ العُلْويُّ مَيَّالٌ إليهِ ؛ وهوَ القلبُ المُؤيَّدُ الذي ذَكَرَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما رواهُ حُذَيفةُ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : « ٱلْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ ، وَقَلْبٌ أَسْوَدُ مَنْكُوسٌ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ ٱلْكَافِرِ ، وَقَلْبٌ مَرْبُوطٌ عَلَىٰ غِلَافِهِ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ ٱلْمُنَافِقِ ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ ؛ فَمَثَلُ ٱلْإِيمَانِ فِيهِ مَثَلُ ٱلْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا ٱلْمَاءُ ٱلطَّيِّبُ ، وَمَثَلُ ٱلنِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ ٱلْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا ٱلْقَيْحُ وَٱلصَّدِيدُ ، فَأَيُّ ٱلْمِدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ حُكِمَ لَهُ بِهَا »[١] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٣٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٠٤٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٧٦) موقوفاً علىٰ سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، ورواه أحمد (٣/ ٧) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١٠٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٨٥) مرفوعاً عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

والقلبُ المنكوسُ مَيَّالٌ إلى الأُمِّ التي هيَ النَّفْسُ الأَمَّارةُ بالسُّوءِ .

ومِنَ القلوبِ قلبٌ مُتردِّدٌ في مَيْلِهِ إليهما[١] ، وبحَسَبِ غَلَبَةِ مَيْلِ القلبِ يكونُ حُكْمُهُ مِنَ السعادةِ والشَّقاوةِ .

والعقلُ جوهرُ الرُّوحِ العُلْويِّ ، ولسانُهُ والدالُّ عليهِ ، وتدبيرُهُ للقلبِ المُؤيَّدِ والنَّفْسِ الزَّكيَّةِ المُطمئنَّةِ . . تدبيرُ الوالدِ للولدِ البارِّ والزوجةِ الصالحةِ ، وتدبيرُهُ للقلبِ المنكوسِ والنَّفْسِ الأَمَّارةِ بالسُّوءِ . . تدبيرُ الوالدِ للولدِ العاقِّ والزوجةِ السَّيِّئةِ ، فمُنكِرٌ مِنْ وجهٍ ، ومُنجذِبٌ إلىٰ تدبيرِهِما مِنْ وجهٍ ؛ إذ لا بُدَّ لهُ مِنْهُما .

وقولُ القائلينَ واختلافُهُم في مَحَلِّ العقلِ ؛ فمِنْ قائلٍ : إنَّ مَحَلَّهُ الدِّماغُ ، ومِنْ قائلٍ : إنَّ مَحَلَّهُ القلبُ . . كلامُ الغائبينَ عن دَرْكِ حقيقةِ ذلكَ .

واختلافُهُم في ذلكَ لعدمِ استقرارِ العقلِ علىٰ نَسَقٍ واحدٍ ، وانجذابِهِ إلى البارِّ تارةً وإلى العاقِّ أُخرىٰ ، وللقلبِ والدِّماغِ نسبةٌ إلى البارِّ والعاقِّ .

فإذا رُئِيَ في تدبيرِ العاقِّ قيلَ : مسكنُهُ الدِّماغُ .

وإذا رُئِيَ في تدبيرِ البارِّ قيلَ : مسكنُهُ القلبُ .

فالرُّوحُ العُلْويُّ يَهُمُّ بالارتقاءِ إلىٰ مَوْلاهُ شوقاً وحُنُوّاً وتنزُّهاً عنِ الأكوانِ ، ومِنَ الأكوانِ القلبُ والنَّفْسُ .

فإذا ارتقى الرُّوحُ يحنو القلبُ إليهِ حُنُوَّ الولدِ الحسنِ البارِّ إلى الوالدِ ،

---

(١) أي : إلى الأب الذي هو القلب المُؤيَّد ، وإلى الأم الذي هو القلب المنكوس .

وتحنو النَّفْسُ إلى القلبِ الذي هوَ الولدُ حُنُوَّ الوالدةِ الحَنينةِ إلىٰ ولدِها .

وإذا حنَّتِ النَّفْسُ ارتقَتْ مِنَ الأرضِ ، وانزوَتْ عُرُوقُها الضاربةُ في العالَمِ السُّفْليِّ ، وانكوىٰ هواها ، وانحسمَتْ مادَّتُهُ ، وزَهِدَتْ في الدنيا ، وتجافَتْ عن دارِ الغُرُورِ ، وأنابَتْ إلىٰ دارِ الخُلُودِ .

وقد تُخلِدُ النَّفْسُ التي هيَ الأُمُّ إلى الأرضِ بوضعِها الجِبلِّيِّ ؛ لكونِها مِنَ الرُّوحِ الحَيَوانيِّ المُجنَّسِ ، ومُستنَدِها في كونِها إلى الطبائعِ التي هيَ أركانُ العالَمِ السُّفْليِّ[1] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

فإذا سَكَنتِ النَّفْسُ التي هي الأُمُّ إلى الأرضِ . . انجذبَ إليها القلبُ المنكوسُ انجذابَ الولدِ المَيَّالِ إلى الوالدةِ المُعْوَجَّةِ الناقصةِ ، دونَ الوالدِ الكاملِ المُستقيمِ ، وينجذبُ الرُّوحُ إلى الولدِ الذي هوَ القلبُ لِمَا جُبِلَ عليهِ انجذابَ الوالدِ إلىٰ ولدِهِ ، فعندَ ذلكَ يتخلَّفُ عن حقيقةِ القيامِ بحقِّ مَوْلاهُ .

وفي هٰذَينِ الانجذابَينِ يظهرُ حُكْمُ السعادةِ والشَّقاوةِ ؛ ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

وقد وَرَدَ في أخبارِ داودَ عليهِ السلامُ : أنَّهُ سألَ ابنَهُ سليمانَ : أينَ مَوضِعُ العقلِ منكَ ؟ فقالَ : القلبُ[2] ؛ لأنَّهُ قالَبُ الرُّوحِ ، والرُّوحَ قالَبُ الحياةِ .

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ : (الرُّوحُ رُوحانِ : رُوحُ الحياةِ ، ورُوحُ

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٦٨) ضمن خبر طويل ، وفيه : (الدماغ) بدل (القلب) .

المماتِ ، فإذا اجتمعا عَقَلَ الجسمُ ، ورُوحُ المماتِ : هيَ التي إذا خرجتْ مِنَ الجسدِ يصيرُ الحيُّ ميّتاً ، ورُوحُ الحياةِ : ما بهِ مَجَاري الأنفاسِ وقُوَّةُ الأكلِ والشُّربِ وغيرِهِما)[1] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الرُّوحُ نسيمٌ طَيِّبٌ يكونُ بهِ الحياةُ ، والنَّفْسُ رِيحٌ حارَّةٌ تكونُ مِنْها الحَرَكاتُ المذمومةُ والشَّهَواتُ)[2] ، ويُقالُ : (فلانٌ حارُّ الرأسِ)[3] .

وفي الفصلِ الذي ذَكَرْناهُ يقعُ التنبيهُ علىٰ ماهيَّةِ النَّفْسِ ، وإشاراتُ المشايخِ في ماهيَّةِ النَّفْسِ إلىٰ ما يظهرُ مِنْ آثارِها مِنَ الأفعالِ المذمومةِ والأخلاقِ المذمومةِ ، وهيَ التي تُعالَجُ بحُسْنِ الرِّياضةِ والمُجاهدةِ إزالتُها وتبديلُها ؛ فالأفعالُ الرَّدِيئةُ تُزالُ ، والأخلاقُ الرَّدِيئةُ تُبدَّلُ .

(١٣٣) ـ أخبرَنا الشيخُ العالِمُ رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ القَزْوِينيُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو [سعدٍ] محمَّدُ بنُ أبي العبَّاسِ الخَلِيليُّ[4] ، قالَ : أخبرَنا العالِمُ القاضي محمَّدُ بنُ سعيدٍ الفَرُّخْزَاديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ[5] ، قالَ : أخبرَنا الحسينُ بنُ محمَّدِ ابنِ عبدِ اللهِ

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٩٧) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٦) .

(٣) انظر « نوادر الأصول » (٤/ ٤٢٩) .

(٤) في النسخ : (سعيد) بدل (سعد) ، والمثبت من « التحبير في المعجم الكبير » (٢/ ٦٩) ، و« المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (ص١٣٧٠) ، و« معجم شيوخ ابن عساكر » (٢/ ٨٦٦) .

(٥) هو الثعلبي صاحب « الكشف والبيان » .

السُّفْيانيُّ[1] ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ الحسنِ اليَقْطِينيُّ ، قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ العُقَيليُّ ، قالَ : حدَّثَنا صَفْوانُ بنُ صالحٍ ، قالَ : حدَّثَنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عنِ ابنِ لَهِيعَةَ ، عن خالدِ بنِ يزيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبي هلالٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا قرأَ هـٰذهِ الآيةَ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩] . . وَقفَ ثمَّ قالَ : « اللَّهُمَّ ؛ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا »[2] .

وقيلَ : (النَّفْسُ لطيفةٌ مُودَعةٌ في القالَبِ ؛ مِنها الأخلاقُ والصفاتُ المذمومةُ ، كما أنَّ الرُّوحَ لطيفةٌ مُودَعةٌ في القالَبِ ؛ مِنْها الأخلاقُ والصفاتُ المحمودةُ ، وكما أنَّ العينَ مَحَلُّ الرُّؤْيةِ ، والسمعَ مَحَلُّهُ الأُذُنُ ، والأنفَ مَحَلُّ الشَّمِّ ، والفمَ مَحَلُّ الذوقِ . . هكذا النَّفْسُ مَحَلُّ الأوصافِ المذمومةِ ، والرُّوحُ مَحَلُّ الأوصافِ المحمودةِ)[3] .

وجميعُ أخلاقِ النَّفْسِ وصفاتِها مِنْ أصلَينِ : أحدُهُما : الطَّيْشُ ، والثاني : الشَّرَهُ ، وطَيْشُها مِنْ جهلِها ، وشَرَهُها مِنْ حِرْصِها .

---

(١) هو أبو عبد الله ابن فنجويه الثقفي الدينوري .

(٢) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٦ـ٤٢٧) ، والحديث معضل ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ١٠٦) ، وابن المنذر وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٨/ ٥٢٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عند قراءة قوله تعالىٰ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧ـ٨] ، وكذلك رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٩٣٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٢٧٢٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه دون تقييدٍ بآياتٍ معيَّنة .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٩٠ـ٢٩١) .

وشُبِّهَتِ النَّفْسُ في طَيشِها : بكُرَةٍ مُستدِيرةٍ على مكانٍ أَمْلسَ مُصَوَّبٍ لا تزالُ مُتحرِّكةً بجِبِلَّتِها ووَضْعِها .

وشُبِّهَتْ في حِرْصِها : بالفَرَاشِ الذي يُلْقِي نَفْسَهُ على ضوءِ المصباحِ ، ولا يَقنَعُ بالضوءِ اليسيرِ دونَ الهُجُومِ على جِرْمِ الضوءِ الذي فيهِ هلاكُهُ .

فمِنَ الطَّيْشِ تُوجَدُ العَجَلَةُ وقِلَّةُ الصبرِ ، والصبرُ جوهرُ العقلِ ، والطَّيْشُ صفةُ النَّفْسِ وهواها ورُوحُها ، لا يَغلِبُهُ إلا الصبرُ[١] ؛ إذِ العقلُ يَقمَعُ الهوىٰ .

ومِنَ الشَّرَهِ يظهرُ الطمعُ والحِرْصُ ، وهما اللذانِ ظهرا في آدمَ حيثُ طَمِعَ في الخلودِ ، فحَرَصَ على أكلِ الشجرةِ .

وصفاتُ النَّفْسِ لها أصولٌ مِنْ أصلِ تكوُّنِها ؛ لأنَّها مخلوقةٌ مِنْ ترابٍ ، ولها بحَسَبِهِ وصفٌ .

وقيلَ : (وصفُ الضعفِ في الآدميِّ مِنَ التُّرابِ ، ووصفُ البُخْلِ فيهِ مِنَ الطِّينِ ، ووصفُ الشهوةِ فيهِ مِنَ الحَمَأِ المَسْنونِ ، ووصفُ الجهلِ فيهِ مِنَ الصَّلْصالِ)[٢] .

وقيلَ : قولُهُ : ﴿ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] بهٰذا الوصفِ : فيهِ شيءٌ مِنَ الشَّيْطَنةِ ؛ لدخولِ النارِ في الفخَّارِ ؛ فمِنْ ذلكَ الخِداعُ والحِيَلُ والحَسَدُ[٣] .

---

(١) اعلَمْ : أنَّ قِلَّةَ الصبر من قِلَّة جوهر العقل ؛ لأنَّ الصبر جوهر العقل ، فافهم . من هامش (ح) .

(٢) في بعض النسخ : (الشَّرَه) بدل (الشهوة) ، وانظر « قوت القلوب » (١/ ٢٥١) .

(٣) انظر « تفصيل النشأتين » (ص٢٥) .

فمَنْ عَرَفَ أصولَ النَّفْسِ وجِبِلَّاتِها . عَرَفَ أنْ لا قُدْرةَ لهُ عليها إلا بالاستعانةِ ببارئِها وفاطرِها .

فلا يتحقَّقُ العبدُ بالإنسانيَّةِ إلَّا بعدَ أنْ يُدبِّرَ دواعيَ الحيوانيَّةِ فيهِ بالعِلْمِ والعَدْلِ ؛ وهوَ رعايةُ طَرَفَيِ الإفراطِ والتفريطِ ، ثمَّ بذلكَ تَقْوىٰ إنسانيَّتُهُ ومَعْناهُ ، ويُدرِكُ صفاتِ الشَّيْطَنةِ فيهِ والأخلاقَ المذمومةَ ، وكمالُ إنسانيَّتِهِ يتقاضاهُ أَلَّا يرضىٰ لنَفْسِهِ بذلكَ ، ثمَّ تنكشفُ لهُ الأخلاقُ التي يُنازِعُ بها الرُّبُوبيَّةَ ؛ مِنَ الكِبْرِ ، والعزِّ ، ورُؤْيةِ النَّفْسِ ، والعُجْبِ ، وغيرِ ذلكَ ، فيرىٰ أنَّ صِرْفَ العُبُوديَّةِ في تركِ المُنازَعةِ للرُّبُوبيَّةِ .

واللهُ تعالىٰ ذَكَرَ النَّفْسَ في كلامِهِ القديمِ بثلاثةِ أوصافٍ : بالطُّمَأْنينةِ ؛ قالَ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر : ٢٧] .

وسمَّاها لوَّامةً ؛ قالَ : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ١ـ٢] .

وسمَّاها أَمَّارةً ؛ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

وهيَ نَفْسٌ واحدةٌ ، لها صفاتٌ مُتغايِرةٌ .

فإذا امتلأَ القلبُ سكينةً خَلَعَ على النَّفْسِ خِلَعَ الطُّمَأْنينةِ ؛ لأنَّ السكينةَ مَزيدُ الإيمانِ ، وفيها ارتقاءُ القلبِ إلىٰ مقامِ الرُّوحِ لِمَا مُنِحَ مِنْ حظِّ اليقينِ ، وعندَ توجُّهِ القلبِ إلىٰ مَحَلِّ الرُّوحِ تتوجَّهُ النَّفْسُ إلىٰ مَحَلِّ القلبِ ، وفي ذلكَ طُمَأْنينتُها .

وإذا انزعجتْ مِنْ مَقارِّ جِبِلَّتِها ودواعي طبيعتِها مُتطلِّعةً إلىٰ مَقامِ

الطُّمَأْنينةِ[1] . . فهيَ لَوَّامةٌ ؛ لأنَّها تعودُ باللائمةِ علىٰ نَفْسِها ؛ لنَظَرِها وعِلْمِها بمَحَلِّ الطُّمَأْنينةِ ، ثمَّ انجذابِها إلىٰ مَحَلِّها الذي كانتْ فيهِ أمَّارةً بالسُّوءِ ، وإذا أقامتْ في مَحَلِّها لا يَغْشاها نورُ العِلْمِ والمعرفةِ ، فهيَ علىٰ ظُلْمتِها أمَّارةٌ بالسُّوءِ .

فالنَّفْسُ والرُّوحُ يتطاردانِ ؛ فتارةً تملكُ القلبَ دواعي الرُّوحِ ، وتارةً تملكُهُ دواعي النَّفْسِ .

وأمَّا السِّرُّ : فقد أشارَ القومُ إليهِ ، ووجدتُ في كلامِ القومِ : أنَّ مِنْهُم مَنْ جعلَهُ بعدَ القلبِ وقبلَ الرُّوحِ .

ومِنْهُم مَنْ جعلَهُ بعدَ الرُّوحِ وأَعْلىٰ مِنْهُ وأَلْطفَ ، وقالوا : السِّرُّ مَحَلُّ المُشاهَدةِ ، والرُّوحُ مَحَلُّ المَحَبَّةِ ، والقلبُ مَحَلُّ المعرفةِ .

والسِّرُّ الذي وقعتْ إشارةُ القومِ إليهِ . . غيرُ مذكورٍ في كلامِ اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما المذكورُ في كلامِ اللهِ الروحُ والنَّفْسُ وتنوُّعُ صفاتِها ، والقلبُ والفؤادُ والعقلُ .

وحيثُ لم نَجِدْ في كلامِ اللهِ تعالىٰ ذِكْرَ السِّرِّ بالمعنى المُشارِ إليهِ ، ورَأَيْنا الاختلافَ في القولِ فيهِ ، وأشارَ قومٌ إلىٰ أنَّهُ دونَ الرُّوحِ ، وقومٌ إلىٰ أنَّهُ أَلْطفُ مِنَ الرُّوحِ . . فنقولُ واللهُ أعلمُ :

الذي سمَّوهُ سِرّاً ليسَ هوَ شيئاً مُستقِلّاً بنفسِهِ لهُ وجودٌ وذاتٌ كالرُّوحِ والنَّفْسِ ، وإنَّما لمَّا صَفَتِ النَّفْسُ وتزكَّتِ انطلقَ الرُّوحُ مِنْ وَثاقِ ظُلْمةِ النَّفْسِ ، فأَخَذَ في العُرُوجِ إلىٰ أوطانِ القُرْبِ ، وانتزحَ القلبُ عندَ ذلكَ مِنْ مُستقَرِّهِ مُتطلِّعاً إلى الرُّوحِ ، فاكتسبَ وَصْفاً زائداً علىٰ وصفِهِ ، فاستعجمَ

---

(١) في بعض النسخ : (إلى مقار) بدل (إلى مقام) .

على الواجِدِينَ ذلكَ الوصفُ ؛ حيثُ رَأَوْهُ أَصْفى مِنَ القلبِ ، فسَمَّوْهُ سِرّاً .

ولمَّا صارَ للقلبِ وصفٌ زائدٌ علىٰ وصفِهِ بتطلُّعِهِ إلى الرُّوحِ . . اكتسبَ الرُّوحُ وصفاً زائداً في عُرُوجِهِ ، فاستعجمَ على الواجِدِينَ ، فسمَّوْهُ سِرّاً .

والذي زعموا أنَّهُ أَلْطفُ مِنَ الرُّوحِ . . هوَ رُوحٌ مُتَّصِفةٌ بوصفٍ أَخَصَّ ممَّا عَهِدُوهُ ، والذي سمَّوهُ قبلَ الرُّوحِ سِرّاً . . هوَ قلبٌ اتَّصَفَ بوصفٍ زائدٍ غيرِ ما عَهِدُوهُ .

وفي مِثْلِ هـٰذا التَّرَقِّي مِنَ الرُّوحِ والقلبِ . . ترقَّى النَّفْسُ إلىٰ مَحَلِّ القلبِ ، وتنخلعُ مِنْ وَصْفِها ، فتصيرُ نَفْساً مُطمئِنَّةً تُرِيدُ كثيراً مِنْ مُراداتِ القلبِ ؛ مِنْ قِبَلِ أنَّ القلبَ صارَ يُرِيدُ ما يُرِيدُ مَوْلاهُ مُتبرِّئاً مِنَ الحولِ والقُوَّةِ والإرادةِ والاختيارِ[1] ، وعندَ هـٰذا ذاقَ طعمَ صِرْفِ العُبُوديَّةِ ؛ حيثُ صارَ حُرّاً عن إرادتِهِ واختياراتِهِ .

وأمَّا العقلُ : فهوَ لسانُ الرُّوحِ وتَرْجُمانُ البصيرةِ ، والبصيرةُ للرُّوحِ بمثابةِ القلبِ ، والعقلُ بمثابةِ اللِّسانِ .

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « أَوَّلُ مَا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ٱلْعَقْلُ ، فَقَالَ لَهُ : أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَدْبِرْ ، فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ٱقْعُدْ ، فَقَعَدَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ٱنْطِقْ ، فَنَطَقَ[2] ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ٱصْمُتْ ، فَصَمَتَ .

---

(١) في النسخ ما عدا (أ) : (إذ صار القلب) بدل (أن القلب صار) وكلاهما صحيح ، واعتمد ما في (أ) صاحب « شرح المشكلات » (ق/ ٦٧) .

(٢) في (د) : (انطلق ، فانطلق) .

فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَائِي ، وَسُلْطَانِي وَجَبَرُوتِي ؛ مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَلَا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ ؛ بِكَ أُعْرَفُ ، وَبِكَ أُحْمَدُ ، وَبِكَ أُطَاعُ ، وَبِكَ آخُذُ ، وَبِكَ أُعْطِي ، وَإِيَّاكَ أُعَاتِبُ ، وَلَكَ ٱلثَّوَابُ ، وَعَلَيْكَ ٱلْعِقَابُ ، وَمَا أَكْرَمْتُكَ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ ٱلصَّبْرِ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يُعْجِبَنَّكُمْ إِسْلَامُ رَجُلٍ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا عُقْدَةُ عَقْلِهِ »[2] .

وسألتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ قالتْ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ بأيِّ شيءٍ يتفاضلُ الناسُ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ » .

قالتْ : قلتُ : أليسَ يُجزَى الناسُ بأعمالِهِم ؟ قالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ وَهَلْ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ ٱللهِ إِلَّا مَنْ قَدْ عَقَلَ ؟! فَبِقَدْرِ عُقُولِهِمْ يَعْمَلُونَ ، وَعَلَىٰ قَدْرِ مَا يَعْمَلُونَ يُجْزَوْنَ »[3] .

---

(١) رواه بلفظه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٣٥) مرسلاً عن الأوزاعي رحمه الله تعالىٰ ، ومرفوعاً (١٠٣٤) عن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه : (وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر) ، ورواه مختصراً ابن عدي في « الكامل » (٣/ ٢٨٨)، وابن أبي الدنيا في « العقل وفضله » (٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٣/ ١٧٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٣٣٩ـ٣٤٠) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وأفاض في تخريجه الحافظ الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين » (١/ ٤٥٣ـ ٤٥٥) .

(٢) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/ ١٩٢) ، وابن عدي في « الكامل » (١/ ٥٣٤) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٣٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٢٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٣) ، والحارث بن أبي أسامة كما =

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَنْطَلِقُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَيُصَلِّي ، وَصَلَاتُهُ لَا تَعْدِلُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَأْتِي ٱلْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي ، وَصَلَاتُهُ تَعْدِلُ جَبَلَ أُحُدٍ إِذَا كَانَ أَحْسَنَهُمَا عَقْلاً » .

قيلَ : وكيفَ يكونُ أحسنَهُما عقلاً ؟ قالَ : « أَوْرَعُهُمَا عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ ، وَأَحْرَصُهُمَا عَلَىٰ أَسْبَابِ ٱلْخَيْرِ ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فِي ٱلْعَمَلِ وَٱلتَّطَوُّعِ »(١) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَسَمَ ٱلْعَقْلَ بَيْنَ عِبَادِهِ أَشْتَاتاً ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَيْنِ يَسْتَوِي عَمَلُهُمَا وَبِرُّهُمَا وَصَوْمُهُمَا وَصَلَاتُهُمَا ، وَلَـٰكِنَّهُمَا يَتَفَاوَتَانِ فِي ٱلْعَقْلِ كَٱلذَّرَّةِ فِي جَنْبِ أُحُدٍ »(٢) .

ورُوِيَ عن وَهْبِ بنِ مُنبِّهٍ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : (إنِّي أجدُ في سبعينَ كتاباً : أنَّ جميعَ ما أُعطِيَ الناسُ مِنْ بُدُوِّ الدنيا إلى انقطاعِها مِنَ العقلِ في جَنْبِ عَقْلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . كهيئةِ رَمْلةٍ وقعتْ مِنْ بينِ جميعِ رمالِ الدنيا)(٣) .

= في « بغية الباحث » (٨٢٣) .

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٤) عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، والحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٦٢) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وفيها : أنَّ السائل هو سيدنا أبو حميد الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٥) مرسلاً عن طاوس رحمه الله تعالىٰ ، وزاد : (وما قَسَمَ اللهُ لخلقِهِ حظّاً هوَ أفضلُ مِنَ العقلِ واليقينِ) ، وفي (أ ، ج) : (علمهما) بدل (عملهما) .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/ ٢٦) .

واختلفَ الناسُ في ماهيّةِ العقلِ ، والكلامُ في ذلكَ يَكثُرُ ، ولا نُؤثِرُ نقلَ الأقاويلِ ، وليسَ ذلكَ مِنْ غَرَضِنا .

فقالَ قومٌ : (العقلُ مِنَ العُلُومِ ؛ فإنَّ الخاليَ مِنْ جميعِ العلومِ لا يُوصَفُ بالعقلِ ، وليسَ العقلُ جميعَ العلومِ ؛ فإنَّ الخاليَ مِنْ مُعظَمِ العلومِ يُوصَفُ بالعقلِ) .

وقالوا : (ليسَ مِنَ العلومِ النَّظَريَّةِ ؛ فإنَّ مِنْ شرطِ ابتداءِ النَّظَرِ تَقَدُّمَ كمالِ العقلِ ؛ فهوَ إذاً مِنَ العلومِ الضَّرُوريَّةِ ، وليسَ هوَ جميعَها ؛ فإنَّ صاحبَ الحواسِّ المُختلَّةِ عاقلٌ وقد عَدِمَ بعضَ مداركِ العلومِ الضَّرُوريَّةِ) .

وقالَ بعضُهُمْ : (العقلُ ليسَ مِنْ أقسامِ العلومِ ؛ لأنَّهُ لو كانَ مِنْها لوَجَبَ الحُكْمُ بأنَّ الذاهلَ عن ذِكْرِ الاستحالةِ والجوازِ لا يتَّصِفُ بكونِهِ عاقلاً ، ونحنُ نرى العاقلَ في كثيرٍ مِنْ أوقاتِهِ ذاهلاً) .

وقالوا علىٰ هـٰذا : العقلُ صفةٌ يتهيَّأُ بها دَرْكُ العلومِ .

ونُقِلَ عنِ الحارثِ بنِ أسدٍ المُحاسِبيِّ رحمَهُ اللهُ وهوَ مِنْ أَجَلِّ المشايخِ . أنَّهُ قالَ : (العقلُ : غَريزةٌ يتهيَّأُ بها دَرْكُ العلومِ)[1] .

وعلىٰ هـٰذا يَتقرَّرُ ما ذَكَرْناهُ في أوَّلِ ذِكْرِ العقلِ : أنَّهُ لسانُ الرُّوحِ[2] ؛ لأنَّ الرُّوحَ مِنْ أمرِ اللهِ ، وهيَ المُتحمِّلةُ للأمانةِ التي أَبَتِ السماواتُ والأَرَضُونَ أنْ يَحمِلْنَها ، ومِنْها يَفِيضُ نُورُ العقلِ ، وفي نُورِ العقلِ تتشكَّلُ العلومُ ،

---

(١) أورده الإمام الجويني في « البرهان » (١/ ١١٢) .

(٢) انظر (١/ ٣١٠ ، ٢/ ٤٢٧) .

فالعقلُ للعلومِ بمثابةِ اللَّوحِ للمكتوبِ[1] .

وهوَ بصفتِهِ منكوسٌ مُتطلِّعٌ إلى النَّفْسِ تارةً ، ومُنتصِبٌ مُستقِيمٌ تارةً .

فمَنْ كانَ العقلُ فيهِ منكوساً إلى النَّفْسِ . . فرَّقَهُ في أجزاءِ الكونِ ، وعَدِمَ حُسْنَ الاعتدالِ بذلكَ ، وأَخْطأَ طريقَ الاهتداءِ .

ومَنِ انتصبَ العقلُ فيهِ واستقامَ . . تأيَّدَ العقلُ بالبصيرةِ التي هيَ للرُّوحِ بمثابةِ القلبِ ، واهتدىٰ إلى المُكوِّنِ ، ثمَّ عَرَفَ الكونَ بالمُكوِّنِ مُستوفِياً أقسامَ المعرفةِ بالمُكوِّنِ والكونِ ، فيكونُ هـٰذا العقلُ عقلَ الهدايةِ .

فكلَّما أَحَبَّ اللهُ إقبالَهُ علىٰ أمرٍ . . دَلَّهُ علىٰ إقبالِهِ عليهِ ، وما كَرِهَ اللهُ لهُ دَلَّهُ على استدبارِهِ ، فلا يزالُ يتتبَّعُ مَحَابَّ اللهِ تعالىٰ ويجتنبُ مَساخِطَهُ ، وكلَّما استقامَ العقلُ وتأيَّدَ بالبصيرةِ . . كانَ دَلالتُهُ على الرُّشْدِ ونَهْيُهُ عنِ الغَيِّ .

قالَ بعضُهُمْ : (العقلُ علىٰ ضربَينِ : ضَرْبٌ يُبصِرُ بهِ أمرَ دنياهُ ، وضَرْبٌ يُبصِرُ بهِ أمرَ آخرتِهِ) ، وذَكَرَ : أنَّ العقلَ الأوَّلَ مِنْ نُورِ الرُّوحِ ، والعقلَ الثانيَ مِنْ نورِ الهدايةِ ، والعقلَ الأوَّلَ موجودٌ في عامَّةِ ولدِ آدمَ ، والعقلَ الثانيَ موجودٌ في المُوحِّدينَ ، مفقودٌ في المشركينَ[2] .

وقيلَ : (إنَّما سُمِّيَ العقلُ عقلاً ؛ لأنَّ الجهلَ ظُلْمةٌ ، فإذا غَلَبَ النورُ وبَصَّرَهُ في تلكَ الظُّلْمةِ . . زالتِ الظُّلْمةُ وأَبْصرَ ، فصارَ عِقالاً للجهلِ)[3] .

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ) : (المكتوب) .

(٢) النقل للحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/ ٤٢٨) .

(٣) النقل للحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/ ٤٢٨) .

وقيلَ : (عقلُ الإيمانِ مَسْكَنُهُ في القلبِ ، ومُعتمَلُهُ في الصدرِ بينَ عَيْنَي الفؤادِ)[1] .

والذي ذَكَرْناهُ مِنْ كونِ العقلِ لسانَ الرُّوحِ ؛ وهوَ عقلٌ واحدٌ ليسَ هوَ على ضربَينِ ، ولـٰكنَّهُ إذا انتصبَ واستقامَ تأيَّدَ بالبصيرةِ واعتدلَ ، ووضعَ الأشياءَ مواضعَها .

وهـٰذا العقلُ هوَ العقلُ المُستضِيءُ بنورِ الشرعِ ؛ لأنَّ انتصابَهُ واعتدالَهُ هداهُ إلى الاستضاءةِ بنورِ الشرعِ ؛ لكونِ الشرعِ وَرَدَ على لسانِ النبيِّ المُرسَلِ ، وذلكَ لقُرْبِ رُوحِهِ مِنَ الحَضْرةِ الإلـٰهيَّةِ ، ومُكاشَفةِ بصيرتِهِ التي هيَ للرُّوحِ بمثابةِ القلبِ بقُدْرةِ اللهِ تعالىٰ وآياتِهِ ، واستقامةِ عقلِهِ بتأييدِ البصيرةِ .

فالبصيرةُ تُحيطُ بالعلومِ التي يستوعبُها العقلُ ، والتي يَضِيقُ عنها نِطاقُ العقلِ ؛ لأنَّها تستمدُّ مِنْ كلماتِ اللهِ التي يَنفَدُ البحرُ دونَ نفادِها .

والعقلُ تَرْجُمانٌ تُؤدِّي البصيرةُ إليهِ مِنْ ذلكَ شَطْراً ، كما يُؤدِّي القلبُ إلى اللسانِ بعضَ ما فيهِ ، ويستأثرُ ببعضِهِ دونَ اللِّسانِ .

ولهـٰذا المعنىٰ مَنْ جَمَدَ علىٰ مُجرَّدِ العقلِ مِنْ غيرِ الاستضاءةِ بنورِ الشرعِ . . حَظِيَ بعلومِ الكائناتِ التي هيَ مِنَ المُلْكِ ، والمُلْكُ ظاهرُ الكائناتِ .

ومَنِ استضاءَ عقلُهُ بنورِ الشرعِ . . تأيَّدَ بالبصيرةِ ، فاطَّلَعَ على

---

(١) النقل للحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/٤٢٩) ، وفي بعض النسخ : (ومتعمله) بدل (ومعتمله) ، وكذلك في الموضع الآتي .

المَلَكُوتِ ، والمَلَكُوتُ باطنُ الكائناتِ ، اختصَّ بمُكاشَفتِهِ أربابُ البصائرِ والعقولِ ، دونَ الجامِدِينَ علىٰ مُجرَّدِ العقولِ دونَ البصائرِ .

وقد قالَ بعضُهُم : (إنَّ العقلَ عقلانِ : العقلُ الأوَّلُ[١] : مَسْكنُهُ في القلبِ ، وذلكَ خاصٌّ للمؤمنينَ المُوقِنينَ ، ومُعتمَلُهُ في الصَّدْرِ بينَ عَيْنَيِ الفؤادِ ، والعقلُ الآخَرُ : مَسْكنُهُ في الدِّماغِ ، ومُعتمَلُهُ في الصَّدْرِ بينَ عَيْنَيِ الفؤادِ ؛ فبالأوَّلِ يُدبِّرُ أمرَ الآخرةِ ، وبالثاني يُدبِّرُ أمرَ الدنيا)[٢] .

والذي ذَكَرْناهُ : أنَّهُ عقلٌ واحدٌ ؛ إذا تأيَّدَ بالبصيرةِ دَبَّرَ الأمرَينِ ، وإذا تفرَّدَ دَبَّرَ أمراً واحداً[٣] ، وهوَ أَوْضحُ وأَبْينُ .

وقد ذَكَرْنا في أوَّلِ البابِ مِنْ تدبيرِهِ للنَّفْسِ المُطمئنَّةِ والأمَّارةِ . . ما يتنبَّهُ الإنسانُ بِهِ علىٰ كونِهِ عقلاً واحداً مُؤيَّداً بالبصيرةِ تارةً ، ومُنفرِداً بوضعِهِ تارةً[٤] ، واللهُ أعلمُ ، واللهُ بكرمِهِ المُلهِمُ للصوابِ[٥] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (إن العقل عقل الهداية) بدل (إن العقل عقلان : العقل الأول) .

(٢) انظر « نوادر الأصول » (٤/ ٤٢٨ـ ٤٣٠) .

(٣) انظر (٢/ ٤٣١ـ ٤٣٢) .

(٤) في (ج ، و ، ز) : (بوصفه) بدل (بوضعه) .

(٥) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة في السادس والثلاثين على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب السابع والخمسون

في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها[1]

(١٣٤) ـ أخبرَنا الشيخُ شيخُنا أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو الفتحِ الهَرَويُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو نَصْرٍ التِّرْياقيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو العبَّاسِ المَحْبُوبيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عيسى التِّرْمذيُّ ، قالَ : حدَّثَنا هنَّادٌ ، قالَ : حدَّثَنا أبو الْأَحْوَصِ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِٱبْنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً[2] ، فَأَمَّا لَمَّةُ ٱلشَّيْطَانِ : فَإِيعَادٌ بِٱلشَّرِّ ، وَتَكْذِيبٌ بِٱلْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ ٱلْمَلَكِ : فَإِيعَادٌ بِٱلْخَيْرِ ، وَتَصْدِيقٌ بِٱلْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ ٱللهِ سبحانَهُ ، فَلْيَحْمَدِ ٱللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ ٱلْأُخْرَىٰ فَلْيَتَعَوَّذْ بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ » ، ثمَّ قرأَ : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] [3] .

---

(١) مطالعة هـٰذا الباب من أهمِّ المهمَّات . من هامش (ح) .

(٢) اللَّمَّةُ : من الإلمام ، ومعناه : النزول والقرب والإصابة ، والمراد به : ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو المَلَك ، وأمَّا اللِّمَّة ـ بالكسر ـ فهي الشَّعَر النازل على الكتف .

(٣) سنن الترمذي (٢٩٨٨) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٩٨٥) ، وابن حبان (٩٩٧) .

قالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : وإنَّما يتطلَّعُ إلىٰ معرفة اللَّمَّتَينِ وتمييزِ الخواطرِ . طالبٌ مُرِيدٌ يتشوَّفُ إلىٰ ذلكَ تَشَوُّفَ العَطْشانِ إلى الماءِ ؛ لِمَا يعلمُ مِنْ وَقْعِ ذلكَ وخَطَرِهِ وفلاحِهِ ، وصلاحِهِ وفسادِهِ ، ويكونُ ذلكَ عبداً مُراداً بالحُظْوةِ بصَفْوِ اليقينِ ومِنَحِ المُوقِنينَ[١] .

وأكثرُ التَّشَوُّفِ إلىٰ ذلكَ[٢] : للمُقرَّبينَ ومَنْ أَخَذَ بهِ في طريقِهِم[٣] .

ومَنْ أخذَ في طريقِ الأبرارِ . . قد يَتَشَوَّفُ إلىٰ ذلكَ بعضَ التَّشَوُّفِ ؛ لأنَّ التَّشَوُّفَ إليهِ يكونُ علىٰ قَدْرِ الهِمَّةِ والطَّلَبِ والإرادةِ والحظِّ مِنَ اللهِ الكريمِ .

ومَنْ هوَ في مقامِ عامَّةِ المُؤمنينَ والمُسلمينَ . . لا يتطلَّعُ إلىٰ معرفةِ اللَّمَّتَينِ ، ولا يهتمُّ بتمييزِ الخواطرِ .

ومِنَ الخواطرِ ما هيَ رُسُلُ اللهِ تعالىٰ إلى العبدِ ، كما قالَ بعضُهُم : (لي قلبٌ إنْ عَصَيْتُهُ عَصَيْتُ اللهَ)[٤] .

وهٰذا حالُ عبدٍ استقامَ قلبُهُ ، واستقامةُ القلبِ لطُمَأْنينةِ النَّفْسِ ، وفي طُمَأْنينةِ النَّفْسِ يَأْسُ الشيطانِ ؛ لأنَّ النَّفْسَ كلَّما تحرَّكتْ كدَّرتْ صفاءَ القلبِ ، وإذا تكدَّرَ القلبُ طَمِعَ الشيطانُ وقَرُبَ منهُ ؛ لأنَّ صفاءَ القلبِ

---

(١) قوله : (بالحُظْوة) يُقال : رجلٌ حَظِيٌّ : إذا كان ذا حُظْوة ومنزلة عند مخدومه . من هامش (ح) .

(٢) أي : إلىٰ معرفة اللمتين .

(٣) الفعل (أخذ) هنا من أفعال الشروع .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٤٠) ، وقال بعده : (يعني : أنَّهُ لا يُقذَفُ فيه إلا طاعةٌ ، ولا يُقَرُّ فيه إلا حقٌّ ؛ فقد صار رسولَهُ إليه ، فإذا عصاه فقد عصى المُرسِل) .

مَحْفُوفٌ بالتذكُّرِ والرِّعايةِ ، وللذِّكْرِ نورٌ يتَّقيهِ الشيطانُ كاتِّقاءِ أحدِنا النارَ .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : « إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَىٰ قَلْبِ ٱبْنِ آدَمَ ، فَإِذَا ذَكَرَ ٱللهَ تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ وَخَنَسَ ، وَإِذَا غَفَلَ ٱلْتَقَمَ قَلْبَهُ فَحَدَّثَهُ وَمَنَّاهُ »(١) .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

فبالتقوىٰ وجودُ خالصِ الذِّكْرِ ، وبها ينفتحُ بابُهُ ، ولا يزالُ العبدُ يتَّقي حتىٰ يحميَ الجوارحَ مِنَ المَكارِهِ ، ثمَّ يحميَها مِنَ الفُضُولِ وما لا يعنيهِ ، فتصيرُ أقوالُهُ وأفعالُهُ ضرورةً .

ثمَّ ينتقلُ تَقْواه إلىٰ باطنِهِ ، ويُطهِّرُ الباطنَ ويُقيِّدُهُ عنِ المَكارِهِ ، ثمَّ مِنَ الفضولِ ، حتىٰ يتَّقيَ حديثَ النَّفْسِ ؛ قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أَسْوأُ المعاصي : حديثُ النَّفْسِ) .

ويرى الإصغاءَ إلىٰ ما تتحدَّثُ بهِ النَّفْسُ ذنباً فيتَّقيهِ ، ويتَّقدُ القلبُ عندَ هٰذا الاتِّقاءِ بالذِّكْرِ اتِّقادَ الكواكبِ في كَبِدِ السماءِ ، ويصيرُ القلبُ سماءً محفوظاً بزينةِ كواكبِ الذِّكْرِ ، فإذا صارَ كذلكَ بَعُدَ الشيطانُ عنهُ .

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « المسند » (٤٣٠١) ، وابن أبي الدنيا في « مكايد الشيطان » (٢٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٤/١٢٩) ، والطبراني في « الدعاء » (١٨٦٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٢٦٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٩١٩) ، والطبري في « تفسيره » (٢٤/٧٠٩) موقوفاً علىٰ سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

ومِثْلُ هٰذا العبدِ يَندُرُ في حقِّهِ الخواطرُ الشيطانيّةُ ولَمَّاتُهُ ، ويكونُ لهُ خواطرُ النَّفسِ ، ويحتاجُ إلىٰ أنْ يتَّقيَها ويُميِّزَها بالعلمِ ؛ لأنَّ مِنْها خواطرَ لا يَضُرُّ إمضاؤُها ؛ كمُطالَباتِ النَّفْسِ بحاجاتِها ، وحاجاتُها تنقسمُ إلى الحقوقِ والحُظُوظِ ، ويتعيَّنُ التميزُ عندَ ذلكَ ، واتِّهامُ النَّفْسِ بمُطالَباتِ الحظوظِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ٦] ؛ أي : فتثبَّتُوا .

وسببُ نزولِ الآيةِ : الوليدُ بنُ عُقْبَةَ ؛ حيثُ بعثَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ بني المُصْطَلِقِ ، فكَذَبَ عليهِم وسامَهُم إلى الكُفْرِ والعِصْيانِ ، حتىٰ همَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقتالِهِم ، ثمَّ بعثَ خالداً إليهِم ، فسَمِعَ أذانَ المغربِ والعِشاءِ ، ورأىٰ ما يَدُلُّ علىٰ كَذِبِ الوليدِ بنِ عُقْبَةَ ، فأنزلَ اللهُ تعالى الآيةَ في ذلكَ(١) .

فظاهرُ الآيةِ وسببُ نزولِها ظاهرٌ ، وصارَ ذلكَ تنبيهاً مِنَ اللهِ عبادَهُ على التثبُّتِ في الأمورِ .

قالَ سهلٌ في هٰذهِ الآيةِ : (الفاسقُ : الكذَّابُ)(٢) .

والكذبُ صفةُ النَّفْسِ ؛ لأنَّها تُملِي أشياءَ وتُسوِّلُ أشياءَ علىٰ غيرِ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٧٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٦٠٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ٣١٠ـ٣١١) عن سيدنا الحارث بن ضرار الخزاعي ، وابن راهويه في « المسند » (١٨٨٦) ، والطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٢٨٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٤٠١) عن سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) تفسير التستري (ص١٤٩) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦١) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٤/ ٣٦٤) .

حقائقِها ، فتعيَّنَ التثبُّتُ عندَ خاطرِها وإلقائِها ، فيجعلُ العبدُ خاطرَ النَّفْسِ نبأً يُوجِبُ التثبُّتَ ، ولا يَستفِزُّهُ الطبعُ ، ولا يستعجلُهُ الهوىٰ ؛ فقد قالَ بعضُهُم : (أَدْنى الأدبِ : أنْ تقفَ عندَ الجهلِ ، وآخِرُ الأدبِ : أنْ تقفَ عندَ الشُّبْهةِ)[1] .

ومِنَ الأدبِ عندَ الاشتباهِ : إنزالُ الخاطرِ بمُحرِّكِ النَّفْسِ وخالقِها وبارئِها وفاطرِها ، وإظهارُ الفقرِ والفاقةِ إليهِ ، والاعترافُ بالجهلِ ، وطَلَبُ المعرفةِ والمعونةِ مِنْهُ ؛ فإنَّهُ إذا أتىٰ بهٰذا الأدبِ يُغاثُ ويُعانُ ، ويتبيَّنُ لهُ هلِ الخاطرُ لطلبِ حَظٍّ أو طلبِ حقٍّ ؛ فإنْ كانَ للحقِّ أَمْضاهُ ، وإنْ كانَ للحظِّ نفاهُ .

وهٰذا التوقُّفُ إذا لم يتبيَّنْ لهُ الخاطرُ بظاهرِ العلمِ ؛ لأنَّ الافتقارَ إلىٰ باطنِ العلمِ عندَ فقدِ الدليلِ في ظاهرِ العلمِ .

ثمَّ مِنَ الناسِ مَنْ لا يَسَعُهُ في صِحَّتِهِ إلَّا الوقوفُ على الحقِّ دونَ الحظِّ ، وإنْ أَمْضىٰ خاطرَ الحظِّ يصيرُ ذلكَ ذنبَ حالِهِ ، يستغفرُ مِنْهُ كما يستغفرُ مِنَ الذنوبِ .

ومِنَ الناسِ مَنْ يدخلُ في تناولِ الحظِّ ، ويُمضِي خاطرَهُ بمَزيدِ علمٍ لديهِ مِنْ عندِ اللهِ ، وهوَ عِلْمُ السَّعَةِ لعبدٍ مأذونٍ لهُ في السَّعَةِ ، عالمٍ بالإذنِ ؛ فيُمضِي خاطرَ الحظِّ والمرادَ بذلكَ علىٰ بصيرةٍ مِنْ أمرِهِ ، يَحسُنُ بهِ ذلكَ ويليقُ بهِ ، عالمٍ بزيادتِهِ ونُقْصانِهِ ، عالِمٍ بحالِهِ ، مُحكِمٍ لعلمِ الحالِ وعلمِ القيامِ ، لا يُقاسُ علىٰ حالِهِ ، ولا يُدخَلُ فيهِ بالتقليدِ ؛ لأنَّهُ أمرٌ خاصٌّ لعبدٍ خاصٍّ .

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٢٠٧) عن سهل بن عبد الله التستري من قوله رحمه الله تعالىٰ ، وفي نسخة على هامش (ج) : (وأحسن) بدل (وآخر) .

وإذا كانَ شأنُ العبدِ تمييزَ خواطرِ النَّفْسِ في مقامِ تَخَلُّصِهِ مِنْ لَمَّاتِ الشيطانِ.. تكثُرُ لديهِ خواطرُ الحقِّ وخواطرُ المَلَكِ ، وتصيرُ الخواطرُ الأربعةُ في حقِّهِ ثلاثةً ، ويسقطُ خاطرُ الشيطانِ إلا نادراً لضِيقِ مكانِهِ مِنَ النَّفْسِ ؛ لأنَّ الشيطانَ يدخلُ بطريقِ اتِّساعِ النَّفْسِ ، واتِّساعُ النَّفْسِ باتِّباعِ الهوىٰ والإخلادِ إلى الأرضِ[1] ، ومَنْ ضايقَ النَّفْسَ على التمييزِ بينَ الحقِّ والحظِّ.. ضاقتْ نَفْسُهُ ، وسَقَطَ مَحَلُّ الشيطانِ إلا نادراً ؛ لدخولِ الابتلاءِ عليهِ .

ثمَّ مِنَ المُرادِينَ المُتعلِّقينَ بمقامِ المُقرَّبينَ مَنْ إذا صارَ قلبُهُ سماءً مُزيَّناً بزينةِ كواكبِ الذِّكْرِ.. يصيرُ قلبُهُ سماويّاً ، فيترقَّىٰ ويَعرُجُ بباطنِهِ ومَعْناهُ وحقيقتِهِ في طبقاتِ السماواتِ ، وكلَّما ترقَّىٰ تتضاءلُ النَّفْسُ المُطمئِنَّةُ وتَبعُدُ عنهُ[2] ، وتَبعُدُ خواطرُها ، حتىٰ يُجاوِزَ السماواتِ بعُرُوجِ باطنِهِ ، كما كانَ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بظاهرِهِ وقالَبِهِ .

فإذا استكملَ العُرُوجَ تنقطعُ عنهُ خواطرُ النَّفْسِ ؛ لتَسَتُّرِهِ بأنوارِ القُرْبِ ، وبُعْدِ النَّفْسِ عنهُ ، وعندَ ذلكَ تنقطعُ عنهُ خواطرُ الحقِّ أيضاً ؛ لأنَّ الخاطرَ رسولٌ ، والرسالةَ إلىٰ مَنْ بَعُدَ ، وهـٰذا قريبٌ .

وهـٰذا الذي وَصَفْناهُ نازلٌ ينزلُ بهِ ولا يدومُ ، بل يعودُ في هبوطِهِ إلىٰ منازلِ مُطالَباتِ النَّفْسِ وخواطرِهِ[3] ، فتعودُ إليهِ خواطرُ الحقِّ وخواطرُ

---

(١) في (د) : (والخلود) بدل (والإخلاد) ، والكثير الفصيح ما أُثبت .

(٢) أي : عن القلب .

(٣) في (ح) : (وخواطرها) .

المَلَكِ ؛ وذلكَ أنَّ الخواطرَ تستدعي وُجُوداً ، وما أَشَرْنا إليهِ حالُ الفناءِ ، فلا خاطرَ فيهِ ، **وخاطرُ الحقِّ** انتفىٰ لمكانِ القُرْبِ ، **وخاطرُ النَّفْسِ بَعُدَ لبُعْدِ النَّفْسِ** ، **وخاطرُ المَلَكِ** تخلَّفَ عنهُ كتخلُّفِ جبريلَ عليهِ السلامُ في ليلةِ المِعْراجِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ حيثُ قالَ : (لو دَنَوْتُ أُنْمُلَةً لاحترقتُ)[١] .

قالَ محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذيُّ : (**المُحدَّثُ والمُكلَّمُ إذا تحقَّقا في درجتِهما** . . لم يخافا مِنْ حديثِ النَّفْسِ ، **فكما أنَّ النُّبُوَّةَ محفوظةٌ مِنْ إلقاءِ الشيطانِ** . . كذلكَ مَحَلُّ المُكالَمةِ والمُحادَثةِ محفوظٌ مِنْ إلقاءِ النَّفْسِ وفِتْنَتِها ، ومحروسٌ بالحقِّ والسَّكِينةِ ؛ لأنَّ السَّكِينةَ حِجابُ المُكلَّمِ والمُحدَّثِ معَ نَفْسِهِ)[٢] .

وسمعتُ الشيخَ أبا محمَّدِ بنَ عبدِ اللهِ البَصْريَّ بالبَصْرةِ يقولُ : (**الخواطرُ أربعةٌ** : خاطرٌ مِنَ النَّفْسِ ، وخاطرٌ مِنَ الحقِّ ، وخاطرٌ مِنَ الشَّيطانِ ، وخاطرٌ مِنَ المَلَكِ .

فأمَّا الذي مِنَ النَّفْسِ : يُحَسُّ بهِ مِنْ أرضِ القلبِ ، **والذي مِنَ الحقِّ** :

---

(١) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٦٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤٠٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٥٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٢٧١) ، والدينوري المالكي في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٥) مرسلاً عن زرارة بن أوفىٰ رحمه الله تعالىٰ ، وعند جميعهم : أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سأل جبريل : « هل رأيتَ ربَّكَ ؟ » ، فانتفض جبريل ، فقال : يا محمَّدُ ؛ إنَّ بيني وبينه سبعين حجاباً من نور ، لو دَنَوْتُ من أَدْناها لاحترقت .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٢٢٠) .

مِنْ فوقِ القلبِ ، والذي مِنَ المَلَكِ : عن يمينِ القلبِ ، والذي مِنَ الشَّيطانِ : عن يسارِ القلبِ) .

والذي ذَكَرَهُ إنَّما يَصِحُّ لعبدٍ أذابَ نَفْسَهُ بالتقوىٰ والزُّهْدِ ، وتصفَّىٰ وُجُودُهُ ، واستقامَ ظاهرُهُ وباطنُهُ ، فيكونُ قلبُهُ كالمِرْآةِ المَجْلُوَّةِ لا يأتيهِ الشيطانُ مِنْ ناحيةٍ إلا ويُبصِرُهُ ، فإذا اسودَّ القلبُ وعلاهُ الرَّيْنُ لا يُبصِرُ الشيطانَ .

وروىٰ أبو هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَٱسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهِ حَتَّىٰ يعْلُوَ قَلْبَهُ ٱلرَّيْنُ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] »[١] .

سمعتُ بعضَ العارفينَ يقولُ كلاماً دقيقاً كُوشِفَ بهِ ؛ فقالَ : (الحديثُ في باطنِ الإنسانِ ، والخيالُ الذي يتراءىٰ لباطنِهِ ويحولُ بينَ القلبِ وصفاءِ الذِّكْرِ[٢] . . هوَ مِنَ القلبِ ، وليسَ هوَ مِنَ النَّفْسِ) ، وهـٰذا بخلافِ ما تقرَّرَ .

فسألتُهُ عن ذلكَ ، فذكرَ أنَّ بينَ القلبِ والنَّفْسِ مُناغاتٍ ومُحادثاتٍ[٣] ،

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٤٤) ، وأحمد (٢/٢٩٧) ، وقوله : (حتىٰ يعلو قلبه الرَّين) كذا في (و ، ح) ، وفي (أ ، ب ، ج ، د) : (يعلو قلبه) دون ذكر (الرين) ، وفي (هـ ، ز) : (تعلو قلبه) ؛ أي : النكتة ، والرين والران واحدٌ ؛ وهو الطبع والتغطية .

(٢) في (ب ، و ، ز) : (ويحيل) بدل (ويحول) ، وفي (هـ ، ح) : (ويتخيل) ، وفي (ي) : (ويحيل ويخيل) .

(٣) المُناغاة في الأصل : تكليم الصبي بما يهواه .

وتألُّفاً وتودُّداً ، وكلَّما انطلقتِ النَّفْسُ في شيءٍ بهواها مِنَ القولِ والفعلِ . . تأثَّرَ القلبُ بذلكَ وتكدَّرَ ، فإذا عادَ العبدُ مِنْ مواطنِ مُطالَباتِ النَّفْسِ ، وأَقْبلَ علىٰ ذِكْرِهِ ومَحَلِّ مُناجاتِهِ وخِدْمتِهِ للهِ تعالىٰ . . أَقْبلَ القلبُ بالمُعاتَبةِ للنَّفْسِ ، وذَكَّرَ النَّفْسَ شيئاً فشيئاً مِنْ فعلِها وقولِها ، كاللائِمِ للنَّفْسِ والمُعاتِبِ لها علىٰ ذلكَ .

فإذا كانَ الخاطرُ أوَّلَ الفعلِ ومُفتتَحَهُ . . فمعرفتُهُ مِنْ أَهَمِّ شأنِ العبدِ ؛ لأنَّ الأفعالَ مِنَ الخواطرِ تنشأُ ؛ حتىٰ ذَهَبَ بعضُ العلماءِ إلىٰ أنَّ العِلْمَ المُفترَضَ طلبُهُ بقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «طَلَبُ ٱلْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1] . . هوَ علمُ الخواطرِ ؛ قالَ : (لأنَّها أوَّلُ الفعلِ ، وبفسادِها فسادُ الفعلِ) .

وهـٰذا لَعَمْري لا يتوجَّهُ ؛ لأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَوْجَبَ ذلكَ علىٰ كلِّ مسلمٍ ، وليسَ كلُّ المسلمينَ عندَهُم مِنَ القريحةِ والمعرفةِ ما يعرفونَ بهِ ذلكَ[2] ، ولـٰكن يعلمُ الطالبُ أنَّ الخواطرَ بمثابةِ البَذْرِ ؛ فمِنْها ما هوَ بَذْرُ السعادةِ ، ومِنْها ما هوَ بَذْرُ الشَّقاوةِ .

وسببُ اشتباهِ الخواطرِ : أحدُ أربعةِ أشياءَ لا خامسَ لها : إمَّا ضَعْفُ اليقينِ ، أو قِلَّةُ العلمِ بمعرفةِ النفسِ وصفاتِها وأخلاقِها ، أو مُتابَعةُ الهوىٰ بخَرْمِ قواعدِ التقوىٰ ، أو مَحَبَّةُ الدُّنْيا وجاهِها ومالِها وطَلَبِ الرِّفْعةِ والمنزلةِ عندَ الناسِ .

فمَنْ عُصِمَ عن هـٰذهِ الأربعةِ يُفرِّقُ بينَ لَمَّةِ المَلَكِ ولَمَّةِ الشيطانِ ، ومَنِ

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٧٨) .

(٢) في (ب ، د) : (العزيمة) بدل (القريحة) .

ابتُلِيَ بها لا يعلمُها ولا يتطلَّبُها ، وانكشافُ بعضِ الخواطرِ دونَ البعضِ لوجودِ بعضِ هٰذهِ الأربعةِ دونَ البعضِ .

وأقومُ الناسِ بتمييزِ الخواطرِ أقومُهُم بمعرفةِ النَّفْسِ ، ومعرفةُ النَّفْسِ عسيرُ المَنَالِ ، لا يكادُ يتيسَّرُ إلا بعدَ الاستقصاءِ في الزُّهْدِ والتقوىٰ .

واتَّفَقَ المشايخُ : علىٰ أنَّ مَنْ كانَ أكلُهُ مِنَ الحرامِ لا يُفرِّقُ بينَ الإلهامِ والوسوسةِ ، وقالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ : (مَنْ كانَ قُوتُهُ معلوماً لا يُفرِّقُ بينَ الإلهامِ والوَسْوَسةِ)[1] .

وهٰذا[2] لا يَصِحُّ على الإطلاقِ إلا بقيدٍ ؛ وذلكَ أنَّ مِنَ المعلومِ ما يُقيمُهُ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ لعبدٍ بإذنٍ يسبقُ إليهِ في الأخذِ منهُ والتَقَوُّتِ ، ومثلُ هٰذا المعلومِ لا يَحجُبُ عنِ التمييزِ بينَ الخواطرِ ، إنَّما ذلكَ يُقالُ في حقِّ مَنْ دخلَ في معلومٍ باختيارٍ منهُ وإيثارٍ ؛ لأنَّهُ ينحجبُ لموضعِ اختيارِهِ ، والذي أَشَرْنا إليهِ مُنسلخٌ مِنْ إرادتِهِ ، فلا يَحجُبُهُ المعلومُ .

وفرَّقوا بينَ هواجسِ النَّفْسِ ووَسْوَسةِ الشيطانِ ، وقالوا : إنَّ النَّفْسَ تُطالِبُ وتُلِحُّ ، فلا تزالُ كذلكَ حتىٰ تَصِلَ إلىٰ مُرادِها ، والشيطانُ إذا دعا إلىٰ زَلَّةٍ ولم يُجَبْ يُوسوِسُ بأُخرىٰ ؛ إذ لا غَرَضَ لهُ في تخصيصٍ ، بل مُرادُهُ الإغواءُ كيفَ أَمْكنَ[3] .

وتكلَّمَ الشيوخُ في الخاطرَينِ إذا كانا مِنَ الحقِّ : أيُّهُما يُتَّبَعُ ؟

---

(1) رواه القشيري في « رسالته » (ص٢٨٤) .

(2) يعني : ما ذكره أبو علي خاصَّة . من هامش (ج) .

(3) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٨٥) .

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (الخاطرُ الأوَّلُ ؛ لأنَّهُ إذا بَقِيَ رَجَعَ صاحبُهُ إلى التأمُّلِ ، وهـٰذا شرطُ العلمِ)[1] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ رحمَهُ اللهُ : (الثاني أَقْوىٰ ؛ لأنَّهُ ازدادَ قُوَّةً بالأوَّلِ)[2] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ رحمةُ اللهِ عليهِ : (هما سواءٌ ؛ لأنَّهُما مِنَ الحقِّ ، فلا مَزِيَّةَ لأحدِهِما على الآخَرِ)[3] .

وقالوا : الوارداتُ أعمُّ مِنَ الخواطرِ[4] ؛ لأنَّ الخواطرَ تختصُّ بنوعِ خطابٍ أو مُطالَبةٍ ، والوارداتِ تكونُ تارةً خواطرَ ، وتارةً تكونُ واردَ سُرُورٍ ، وواردَ حُزْنٍ ، وواردَ قَبْضٍ ، وواردَ بَسْطٍ[5] .

وقيلَ : (بنُورِ التوحيدِ يُقبَلُ الخاطرُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وبنورِ المعرفةِ يُقبَلُ مِنَ المَلَكِ ، وبنورِ الإيمانِ تُنهى النَّفْسُ ، وبنورِ الإسلامِ يُرَدُّ على العَدُوِّ)[6] .

ومَنْ قَصَرَ عن دَرْكِ حقائقِ الزُّهْدِ ، وتَطلَّعَ إلىٰ تمييزِ الخواطرِ . . يَزِنُ الخاطرَ أوَّلاً بميزانِ الشرعِ ؛ فما كانَ مِنْ ذلكَ فَضْلاً أو فَرْضاً . . يُمضِيهِ ، وما كانَ مِنْ ذلكَ مُحرَّماً أو مكروهاً . . يَنفِيهِ ، فإنِ استوى الخاطرانِ في نَظَرِ

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٢٨٥) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٢٨٥) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٢٨٥) .

(٤) وعرَّف الإمام القشيري الوارد في « رسالته » (ص٢٨٧) بقوله : (والوارد : ما يَرِدُ على القلوب من الخواطر المحمودة ممَّا لا يكونُ بتعمُّل العبد ، وكذلك ما لا يكونُ من قبيل الخواطر ؛ فهو أيضاً واردٌ) .

(٥) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٨٧) .

(٦) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٤) .

العلمِ . يُنفِّذُ أقربَهُما إلىٰ مُخالَفةِ هوى النَّفْسِ ؛ فإنَّ النَّفْسَ قد يكونُ لها هوىً كامنٌ في أحدِهما ، والغالبُ مِنْ شأنِ النَّفْسِ الاعوِجاجُ والرُّكونُ إلى الدُّونِ .

وقد يُلِمُّ الخاطرُ بنشاطِ النَّفْسِ والعبدُ يَظُنُّ أنَّهُ بنهوضِ القلبِ ، وقد يكونُ مِنَ القلبِ نفاقٌ بسكونِهِ إلى النَّفْسِ ؛ يقولُ بعضُهُم : (منذُ عشرينَ سنةً ما سَكَنَ قلبي إلىٰ نَفْسي ساعةً)[1] .

فيظهرُ مِنْ سكونِ القلبِ إلى النَّفْسِ خواطرُ تشتبهُ بخواطرِ الحقِّ علىٰ مَنْ يكونُ ضعيفَ العلمِ ، ولا يُدرِكُ نفاقَ القلبِ والخواطرَ المُتولِّدةَ منهُ . . إلا العلماءُ الراسخونَ ، وأكثرُ ما تدخلُ الآفاتُ علىٰ أربابِ القلوبِ ، والآخِذينَ مِنَ اليقينِ واليقظةِ والحالِ بسهمٍ مِنْ هٰذا القَبيلِ ؛ وذلكَ لقِلَّةِ العلمِ بالنَّفْسِ والقلبِ ، وبقاءِ نصيبِ الهوىٰ فيهم ، وينبغي أنْ يعلمَ العبدُ قطعاً أنَّهُ مهما بَقِيَ عليهِ أَثَرٌ مِنَ الهوىٰ وإن دَقَّ وقَلَّ . . يبقىٰ عليهِ بحسَبِهِ بقيَّةٌ مِنِ اشتباهِ الخواطرِ .

ثمَّ قد يَغْلَطُ في تمييزِ الخواطرِ محرومٌ قليلُ العلمِ ، ولا يُؤاخَذُ بذلكَ ما لم يكنْ عليهِ مِنَ الشرعِ مُطالَبةٌ ، وقد لا يُسامَحُ بذلكَ بعضُ الغالطينَ ؛ لِمَا كُوشِفُوا بهِ مِنْ دقيقِ الخفاءِ في التمييزِ ، ثمَّ استعجالِهِم معَ علمِهِم وقِلَّةِ التثبُّتِ .

وذَكَرَ بعضُ العلماءِ[2] : أنَّ لَمَّةَ المَلَكِ ولَمَّةَ الشيطانِ وُجِدتا لحركةِ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٣٤٠) .

(٢) هو الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » .

النَّفْسِ والرُّوحِ ، وأنَّ النَّفْسَ إذا تحرَّكَتِ انقدحَ مِنْ جوهرِها ظُلْمةٌ تَنكُتُ في القلبِ هِمَّةَ سوءٍ ، فينظرُ الشيطانُ إلى القلبِ ، فيُقبِلُ بالإغواءِ والوسوسةِ .

وذَكَرَ : أنَّ حركةَ النَّفْسِ تكونُ إمَّا هوىً ؛ وهوَ عاجلُ حظِّ النَّفْسِ ، أو أُمْنيَّةً ؛ وهيَ عنِ الجهلِ الغَريزيِّ ، أو دعوىٰ حركةٍ أو سكونٍ ؛ وهوَ آفةُ العقلِ ومِحْنةُ القلبِ ، ولا تَرِدُ هـٰذهِ الثلاثةُ إلا بأحدِ ثلاثةٍ : بجهلٍ ، أو غَفْلةٍ ، أو طلبِ فُضُولٍ .

ثمَّ يكونُ مِنْ هـٰذهِ الثلاثةِ ما يجبُ نفيُهُ ؛ فإنَّها تَرِدُ بخلافِ مأمورٍ ، أو علىٰ وَفْقِ مَنْهيٍّ ، ومِنْها ما يكونُ نفيُها فضيلةً إذا وَرَدَتْ بمُباحاتٍ .

وذَكَرَ : أنَّ الرُّوحَ إذا تحرَّكَتِ انقدحَ مِنْ جوهرِها نورٌ ساطعٌ ، يظهرُ مِنْ ذلكَ النورِ في القلبِ هِمَّةٌ عاليةٌ بأحدِ معانٍ ثلاثةٍ : إمَّا بفرضٍ أُمِرَ بهِ ، أو بفضلٍ نُدِبَ إليهِ ، وإمَّا بمُباحٍ يعودُ صلاحُهُ إليهِ[1] .

وهـٰذا الكلامُ يَدُلُّ علىٰ أنَّ حركةَ الرُّوحِ والنَّفْسِ هما المُوجِبتانِ للَّمَّتَينِ .

وعندي واللهُ أعلمُ : أنَّ اللَّمَّتَينِ تتقدَّمانِ علىٰ حركةِ الرُّوحِ والنَّفْسِ ؛ فحركةُ الرُّوحِ مِنْ لَمَّةِ المَلَكِ ، والهِمَّةُ العاليةُ مِنْ حركةِ الرُّوحِ ، وهـٰذهِ الحركةُ مِنَ الرُّوحِ ببركةِ لَمَّةِ المَلَكِ ، وحركةُ النَّفْسِ مِنْ لَمَّةِ الشيطانِ ، ومِنْ حركةِ النَّفْسِ الهِمَّةُ الدَّنِيَّةُ ، وهيَ مِنْ شُؤْمِ لَمَّةِ الشيطانِ ، فإذا وَرَدَتِ اللَّمَّتانِ ظهرتِ الحركتانِ ، وظهرَ سِرُّ العطاءِ والابتلاءِ مِنْ مُعطٍ كريمٍ ومُبتَلٍ حكيمٍ .

وقد تكونُ هاتانِ اللَّمَّتانِ مُتداركَتَينِ ، ويَنْمحِي أثَرُ إحداهُما بالأُخرىٰ ،

---

(١) الكلام بنحوه في « قوت القلوب » (١/ ٣٤٥) .

والمُتفطِّنُ المُتيقِّظُ ينفتحُ عليهِ بمُطالَعةِ وجودِ هـٰذهِ الآثارِ في ذاتِهِ بابُ أُنْسٍ ، ويبقىٰ أبداً مُتفقِّداً حالَهُ مُطالِعاً آثارَ اللَّمَّاتِ[1] .

وذُكِرَ خاطرٌ خامسٌ ـ وهوَ خاطرُ العقلِ ـ مُتوسِّطٌ بينَ الخواطرِ الأربعةِ ، فيكونُ معَ النَّفْسِ والعَدُوِّ ؛ لوجودِ التمييزِ وإثباتِ الحُجَّةِ على العبدِ ؛ ليدخلَ العبدُ في الشيءِ بوجودِ عقلٍ ؛ إذ لو فُقِدَ العقلُ سَقَطَ العقابُ والعتابُ ، وقد يكونُ معَ المَلَكِ والرُّوحِ ؛ ليُوقِعَ الفعلَ مُختاراً ، ويستوجبَ بهِ الثوابَ .

وذُكِرَ خاطرٌ سادسٌ ؛ وهوَ خاطرُ اليقينِ ، وهوَ رُوحُ الإيمانِ ومَزِيدُ العلمِ .

ولا يَبعُدُ أنْ يُقالَ : الخاطرُ السادسُ ـ وهوَ خاطرُ اليقينِ ـ حاصلُهُ راجعٌ إلىٰ ما يَرِدُ مِنْ خاطرِ الحقِّ ، وخاطرُ العقلِ أصلُهُ تارةً مِنْ خاطرِ المَلَكِ ، وتارةً مِنْ خاطرِ النَّفْسِ ، وليسَ مِنَ العقلِ خاطرٌ على الاستقلالِ ؛ لأنَّ العقلَ كما ذَكَرْنا غَريزةٌ يَتهيَّأُ بها إدراكُ العلومِ ، ويَتهيَّأُ بها الانجذابُ إلىٰ دواعي النَّفْسِ تارةً ، وإلىٰ دواعي الرُّوحِ تارةً ، وإلىٰ دواعي المَلَكِ تارةً ، وإلىٰ دواعي الشيطانِ تارةً .

فعلىٰ هـٰذا : لا تزيدُ الخواطرُ على الأربعةِ[2] .

---

(١) في (د) : (اللمتين) .

(٢) ثمَّ اعلَمْ بعد هـٰذا التقسيم : أنَّ الخاطر الذي من قِبَلِ الله ابتداءً . . قد يكون بخير ؛ إكراماً وإلزاماً للحُجَّة ، وقد يكون بشرٍّ ؛ امتحاناً وتغليظاً للمحنة ، والخاطرُ الذي من قِبَلِ المُلهِم لا يكون إلا بخير ؛ إذ هو ناصحٌ مُرشِدٌ لم يُرسَل إلا بذلك ، والخاطرُ الذي من قِبَلِ الشيطان لا يكون [إلا] بشرٍّ ؛ إغواءً واستزلالاً ، وربَّما يكون بالخير مكراً واستدراجاً ، والذي يكون من قِبَل هوى النفس يكون بالشرِّ ، وربَّما لا خير فيه تمنُّعاً=

ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يذكرْ غيرَ اللَّمَّتَينِ ، وهاتانِ اللَّمَّتانِ هما الأصلُ ، والخاطرانِ الآخَرَانِ فرعٌ عليهما ؛ لأنَّ لَمَّةَ المَلَكِ إذا حَرَّكَتِ الرُّوحَ ، واهتزَّتِ الرُّوحُ بالهِمَّةِ الصالحةِ . . قَرُبَتْ باهتزازِها بالهِمَّةِ الصالحةِ إلىٰ حظائرِ القُرْبِ ، فوَرَدَ عليهِ عندَ ذلكَ خواطرُ مِنَ الحقِّ ، وإذا تحقَّقَ بالقُرْبِ يتحقَّقُ بالفناءِ ، فتثبتُ الخواطرُ الرَّبَّانيَّةُ عندَ ذلكَ ـ كما ذَكَرْناهُ مِنْ قبلُ ـ لموضعِ قُرْبِهِ ، فيكونُ أصلُ خواطرِ الحقِّ لَمَّةَ المَلَكِ .

ولَمَّةُ الشيطانِ إذا حَرَّكَتِ النَّفْسَ هَوَتْ بجِبِلَّتِها إلىٰ مركزِها مِنَ الغريزةِ والطبعِ ، فظَهَرَ مِنْها لحركتِها خواطرُ مُلائِمةٌ لغريزتِها وطبيعتِها وهواها ، فصارتْ خواطرُ النَّفْسِ نتيجةَ لَمَّةِ الشيطانِ ، فأصلُهُما لَمَّتانِ تُنتِجانِ أُخْرَيَينِ ، وخاطرُ اليقينِ والعقلِ مُندرِجٌ فيهِما ، واللهُ أعلمُ[1] .

❁ ❁ ❁

= وتعسُّفاً ، ولقد وجدت عن بعض السلف : أنَّ هوى النفس أيضاً قد يدعو إلى الخير والمقصودُ منه شرٌّ كالشيطان . « منهاج العابدين » . من هامش (ح) .

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب الثامن والخمسون

في شرح الحال والمقام والفرق بينهما

قد كَثُرَ الاشتباهُ بينَ الحالِ والمقامِ ، واختلفتْ إشاراتُ الشيوخِ في ذلكَ[١] ، ووجودُ الاشتباهِ لمكانِ تشابُهِهما في نفسِهما وتداخلِهما ، فتراءىٰ للبعضِ الشيءُ حالاً ، وتراءىٰ للبعضِ مقاماً ، وكلا الرؤيتَينِ صحيحٌ ؛ لوجودِ تداخلِهما[٢] .

ولا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ ضابطٍ يُفرِّقُ بينَهُما ؛ علىٰ أنَّ اللفظَ والعبارةَ عنهُما مُشعِرٌ بالفرقِ ؛ فالحالُ سُمِّيَ حالاً ؛ لتَحَوُّلِهِ ، والمقامُ مَقاماً ؛ لثبوتِهِ واستقرارِهِ .

وقد يكونُ الشيءُ بعينِهِ حالاً ثمَّ يصيرُ مَقَاماً ؛ مثلُ أنْ ينبعثَ مِنْ باطنِ العبدِ داعيةُ المُحاسَبةِ ، ثمَّ تزولَ الداعيةُ بغلبةِ صفاتِ النَّفْسِ ، ثمَّ تعودَ ، ثمَّ تزولَ ، فلا يزالُ للعبدِ حالُ المُحاسَبةِ ، يتعاهدُهُ الحالُ ، ثمَّ يحولُ الحالُ بظهورِ صفاتِ النَّفْسِ ، إلىٰ أنْ تتداركَهُ المعونةُ مِنَ اللهِ الكريمِ ، ويَغلِبَ حالُ المُحاسَبةِ ، وتنقهرَ النَّفْسُ وتنضبطَ وتتملَّكَها المُحاسَبةُ ، فتصيرُ المُحاسَبةُ

---

(١) في (أ) : (واختلفت الشيوخ فيهما وإشارات المشايخ في ذلك) .

(٢) وفي هامش (ح) : (**الأحوال** : هي المواهب الفائضة على العبد من ربِّهِ ؛ إمَّا واردةٌ عليه ميزاناً للعمل الصالح المُزكِّي للنفس المُصفِّي للقلب ، وإمَّا نازلةٌ من الحقِّ امتناناً محضاً ، وإنَّما سُمِّيت أحوالاً ؛ لحول العبد بها من الرسوم الخلقيَّة ودركات العبد إلى الصفات الحَقِّيَّة ودرجات القُرْب ؛ وذلك معنى الترقِّي . من « قاشاني ») .

وطنَهُ ومُستقرَّهُ ومقامَهُ ، ويصيرُ في مقامِ المُحاسَبةِ بعدَ أنْ كانَ لهُ حالُ المُحاسَبةِ .

ثمَّ يُنازِلُهُ حالُ المُراقَبةِ ، فمَنْ كانتِ المُحاسَبةُ مقامَهُ يصيرُ لهُ مِنَ المُراقبةِ حالٌ ، ثمَّ يحولُ حالُ المُراقَبةِ ؛ لتناوُبِ السَّهْوِ والغَفْلةِ في باطنِ العبدِ ، إلىٰ أنْ ينقشعَ ضَبابُ السهوِ والغفلةِ ، ويتداركَ اللهُ عبدَهُ بالمعونةِ ، فتصيرُ المُراقَبةُ مقاماً بعدَ أنْ كانتْ حالاً .

ولا يستقرُّ مقامُ المُحاسَبةِ قرارَهُ إلا بنازلِ حالِ المُراقَبةِ ، ولا يستقرُّ مقامُ المُراقَبةِ قرارَهُ إلا بنازلِ حالِ المُشاهَدةِ ، فإذا مُنِحَ العبدُ بنازلِ حالِ المُشاهَدةِ . . استقرَّتْ مُراقبتُهُ وصارتْ مقامَهُ ، ونازلُ المُشاهَدةِ أيضاً يكونُ حالاً يحولُ بالاستتارِ ، ويظهرُ بالتَّجَلِّي ، ثمَّ يصيرُ مقاماً ، وتتخلَّصُ شمسُهُ عن كسوفِ الاستتارِ .

ثمَّ في مقامِ المُشاهَدةِ أحوالٌ وزياداتٌ وترَقِّياتٌ مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ أَعلىٰ منهُ ؛ كالتحقُّقِ بالفناءِ ، والتخلُّصِ إلى البقاءِ ، والتَّرَقِّي مِنْ عينِ اليقينِ إلىٰ حقِّ اليقينِ ، وحقُّ اليقينِ نازلٌ يَخرِقُ شَغافَ القلبِ[١] ، وذلكَ أَعْلىٰ فروعِ المُشاهَدةِ .

وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَاناً يُبَاشِرُ قَلْبِي »[٢] .

---

(١) الشَّغاف : [غلاف] القلب ؛ وهو جلدةٌ دونه كالحجاب ؛ [يُقال] : شغفه الحب ؛ أي : بلغ شغافه ، وقرأ ابن عباس : ﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ﴾ [يوسف : ٣٠] ، [قال] : دخل حبُّهُ تحت الشغاف . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٢) رواه البزار في « المسند » (٥٣٨٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، =

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ : (للقلبِ تَجْويفانِ ؛ أحدُهما : باطنٌ ، وفيهِ السمعُ والبصرُ ، وهوَ قلبُ القلبِ وسُوَيداؤُهُ .

والتجويفُ الثاني : ظاهرُ القلبِ ، وفيهِ العقلُ ، ومَثَلُ العقلِ في القلبِ مَثَلُ النَّظَرِ في العينِ ؛ هوَ صِقَالٌ لموضعٍ مخصوصٍ فيهِ ، بمنزلةِ الصِّقَالِ الذي في سوادِ العينِ ، ومنهُ تنبعثُ الأَشِعَّةُ المُحِيطةُ بالمَرْئيَّاتِ ، فهكذا تنبعثُ مِنْ نَظَرِ العقلِ أَشِعَّةُ العلومِ المُحِيطةُ بالمعلوماتِ)[1] .

وهـٰذهِ الحالةُ التي خَرَقَتْ شِغافَ القلبِ ووصلتْ إلىٰ سُوَيدائِهِ وهوَ حقُّ اليقينِ . . هيَ أَسْنى العطايا وأعزُّ الأحوالِ وأشرفُها ، ونسبةُ هـٰذهِ الحالِ مِنَ المُشاهَدةِ كنسبةِ الآجُرِّ مِنَ الترابِ ؛ إذ يكونُ تراباً ، ثمَّ طيناً ، ثمَّ لَبِناً ، ثمَّ آجُرّاً .

فالمُشاهَدةُ هيَ الأوَّلُ والأصلُ ، يكونُ مِنْها الفناءُ ؛ كالطِّينِ ، ثمَّ البقاءُ ؛ كاللَّبِنِ ، ثمَّ هـٰذهِ الحالةُ ، وهيَ آخِرُ الفروعِ .

ولمَّا كانَ الأصلُ في الأحوالِ هـٰذهِ الحالةَ ـ وهيَ أشرفُ الأحوالِ ، وهيَ مَحْضُ مَوْهِبةٍ لا تُكتَسَبُ ـ . . سُمِّيتْ كلُّ المواهبِ مِنَ النوازلِ بالعبدِ أحوالاً ؛ لأنَّها غيرُ مقدورةٍ للعبدِ بكسبِهِ ، فأطلقوا القولَ فيهِ ، وتداولتْ أَلْسِنةُ الشُّيُوخِ أنَّ المقاماتِ مكاسبُ ، والأحوالَ مواهبُ .

= والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٧٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٤٣٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وفيهما أنه قاله حاكياً دعاء سيدنا آدم عندما أُهبط تجاه البيت الحرام .

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤) .

وعلى الترتيبِ الذي دَرَّجْناهُ كلُّها مواهبُ ؛ إذِ المكاسبُ محفوفةٌ بالمَوهِبةِ ، والمواهبُ محفوفةٌ بالكسبِ ، فالأحوالُ مواجيدُ ، والمقاماتُ طُرُقُ المواجيدِ ، ولـٰكنْ في المقاماتِ ظَهَرَ الكسبُ وبَطَنَتِ المَوهِبةُ ، وفي الأحوالِ بَطَنَ الكسبُ وظهرتِ المَوهِبةُ ؛ فالأحوالُ مواهبُ عُلْويَّةٌ سماويَّةٌ ، والمقاماتُ طُرُقُها .

وقولُ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (سَلُوني عن طُرُقِ السماواتِ ؛ فإنِّي أَعْرَفُ بها مِنْ طُرُقِ الأرضِ)[1] . . إشارةٌ : إلى المقاماتِ والأحوالِ ، فطُرُقِ السماءِ : التوبةُ والزهدُ وغيرُ ذلكَ مِنَ المقاماتِ ؛ فإنَّ السالكَ لهـٰذهِ الطُّرُقِ يصيرُ قلبُهُ سماويّاً ، فهيَ طُرُقُ السماواتِ ، ومُستنزِلَةٌ للبركاتِ[2] ، وهيَ الأحوالُ لا يتحقَّقُ بها إلا ذو قلبٍ سماويٍّ .

وقالَ بعضُهُمْ : (الحالُ : هوَ الذِّكْرُ الخَفِيُّ)[3] ، وهـٰذا إشارةٌ إلىٰ شيءٍ ممَّا ذَكَرْناهُ .

وسمعتُ المشايخَ بالعراقِ يقولونَ : (الحالُ : ما مِنَ اللهِ)[4] ؛ فكلُّ ما كانَ مِنْ طريقِ الاكتسابِ والأعمالِ . . يقولونَ : هـٰذا ما مِنَ العبدِ ، فإذا لاحَ للمُريدِ شيءٌ مِنَ المواهبِ والمواجيدِ . . قالوا : هـٰذا ما مِنَ اللهِ ، وسمَّوهُ حالاً ؛ إشارةً مِنْهُم إلىٰ أنَّ الحالَ موهبةٌ .

---

(١) أورده سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » (٦/ ٤٤١) .

(٢) في (د) : (ومستنزل البركات) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٦) .

(٤) ويجوز أن يقرأ أيضاً : (ما منَّ اللهُ) ، ومثل ذلك في الموضعين الآتيين .

وقالَ بعضُ مشايخِ خُراسانَ : (الأحوالُ مواريثُ الأعمالِ)[1] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الأحوالُ كالبروقِ ، فإنْ بَقِيَ فحديثُ النَّفْسِ)[2] .

وهٰذا لا يكادُ يستقيمُ على الإطلاقِ ، وإنَّما يكونُ ذلكَ في بعضِ الأحوالِ ؛ فإنَّها تَطرُقُ ثمَّ تَستلِبُها النَّفْسُ ، فأمَّا على الإطلاقِ فلا ، والأحوالُ لا تمتزجُ بالنَّفْسِ ؛ كالدُّهنِ لا يمتزجُ بالماءِ .

وذَهَبَ بعضُهُم : إلىٰ أنَّ الأحوالَ لا تكونُ إلا إذا دامتْ ، فأمَّا إذا لم تَدُمْ فهيَ لوائحُ وطوالعُ وبَوَادِهُ[3] ، وهيَ مُقدِّماتُ الأحوالِ ، وليستْ بأحوالٍ .

واختلفَ المشايخُ في أنَّ العبدَ هل يجوزُ لهُ أنْ ينتقلَ إلىٰ مقامٍ غيرِ مقامِهِ الذي هوَ فيهِ قبلَ إحكامِ حُكْمِ مقامِهِ ؟

قالَ بعضُهُم : (لا ينبغي لهُ أنْ ينتقلَ إلىٰ غيرِ الذي هوَ فيهِ دونَ أنْ يُحكِمَ حُكْمَ مقامِهِ)[4] .

---

(١) انظر « التعرف » (ص٩٧) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص٣١٥) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص١٨٩ ، ٢٣٧) عن أبي الحسن بن الصائغ الدِّينوري ، وزاد في (أ) بعد (بقي) : (منها شيء) .

(٣) اللوائح : أماراتُ طلوع شمس المعارف علىٰ قلب العبد ، ويكون زوالُها سريعاً ، والطوالع : أماراتٌ أبقىٰ وقتاً ، إلا أنَّها علىٰ خطر الذهاب والأفول ، والبواده : ما يفجأ القلبَ من الغيب ، فيوجب فرحاً أو ترحاً . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٧٢ـ ٢٧٣) ، وما سيأتي في (٢/ ٥٦٥) .

(٤) فمَنْ لا قناعة له لا يصحُّ له التوكُّلُ ، ومَنْ لا توكُّلَ له لا يصحُّ له التسليمُ ، ومَنْ لا توبةَ له لا يصحُّ له الإنابةُ ، ومَنْ لا ورعَ له لا يصحُّ له الزُّهْدُ ، وكذا البواقي . من هامش (ج) .

وقالَ بعضُهم : (لا يَكمُلُ لهُ المقامُ الذي هوَ فيهِ إلا بعدَ تَرَقِّيهِ إلىٰ مقامٍ فوقَهُ ، فينظرُ مِنْ مقامِهِ العالي إلىٰ ما دونَهُ مِنَ المقامِ ، فيُحكِمُ أمرَ مقامِهِ)[1] .

والأَوْلىٰ أنْ يُقالَ واللهُ أعلمُ : الشخصُ في مقامِهِ يُعطىٰ حالاً مِنْ مقامِهِ الأَعْلى الذي سوفَ يرتقي إليهِ ، فبوِجْدانِ ذلكَ الحالِ يستقيمُ أمرُ مقامِهِ الذي هوَ فيهِ ، ويتصرَّفُ الحقُّ فيهِ كذلكَ .

ولا يُضافُ الشيءُ إلى العبدِ أنَّهُ يرتقي أو لا يرتقي ؛ فإنَّ العبدَ بالأحوالِ يرتقي إلى المقاماتِ ، والأحوالُ مواهبُ تُرَقِّي إلى المقاماتِ التي يمتزجُ فيها الكسبُ بالمَوْهِبةِ .

ولا يلوحُ للعبدِ حالٌ مِنْ مقامٍ أَعْلىٰ ممَّا هوَ فيهِ إلا وقد قَرُبَ تَرَقِّيهِ إليهِ ، فلا يزالُ العبدُ يُرقَّىٰ إلى المقاماتِ بزائدِ الأحوالِ[2] .

فعلىٰ ما ذَكَرْناهُ : يتَّضِحُ تداخلُ المقاماتِ والأحوالِ حتى التوبةِ ، ولا يُعرَفُ مقامٌ[3] إلا وفيه حالٌ ومقامٌ ، وفي الزُّهْدِ حالٌ ومقامٌ ، وفي التوكُّلِ حالٌ ومقامٌ ، وفي الرِّضا حالٌ ومقامٌ .

قالَ أبو عُثْمانَ الحِيريُّ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامَني اللهُ تعالىٰ في حالٍ فكَرِهْتُهُ)[4] .

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٣٥) .

(٢) في (ج ، د) : (برائد) بدل (بزائد) .

(٣) في (ط) : (ولا يعرف فضيلة) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٥٨) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩/ ١٠٣) .

أشارَ : إلى الرِّضا ، ويكونُ منهُ حالٌ ثمَّ يصيرُ مقاماً .

والمحبَّةُ حالٌ ومقامٌ ، ولا يزالُ العبدُ يتتوَّبُ بطُرُوقِ حالِ التوبةِ حتىٰ يتوبَ ، وطروقُ حالِ التوبةِ بالانزجارِ أوَّلاً .

قالَ بعضُهُمْ : (الزَّجْرُ هَيَجانٌ في القلبِ لا يُسكِّنُهُ إلا الانتباهُ مِنَ الغَفْلةِ ، فيَرُدُّهُ إلى اليقظةِ ، فإذا تَيَقَّظَ أَبْصرَ الصوابَ مِنَ الخطأِ) .

وقالَ بعضُهُمْ : (الزَّجْرُ ضياءٌ في القلبِ يُبصِرُ بهِ خطأَ قصدِهِ) .

والزَّجْرُ في مُقدِّمةِ التوبةِ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ : زَجْرٌ مِنْ طريقِ العلمِ ، وزَجْرٌ مِنْ طريقِ العقلِ ، وزَجْرٌ مِنْ طريقِ الإيمانِ .

فيُنازِلُ التائبَ حالُ الزَّجْرِ ، وهيَ مَوْهِبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ تقودُهُ إلى التوبةِ ، ثمَّ إلى اللهِ تعالىٰ ، ولا يزالُ بالعبدِ ظهورُ هوى النَّفْسِ يمحو آثارَ حالِ التوبةِ والزجرِ ، ثمَّ يُعاوِدُهُ الحالُ ، حتىٰ تستقرَّ التوبةُ وتصيرَ مقاماً .

وهكذا في الزُّهْدِ ؛ لا يزالُ يتزهَّدُ بنازلةِ حالٍ تُريهِ لَذَّةَ تركِ الاشتغالِ بالدنيا ، وتُقبِّحُ لهُ الإقبالَ عليها ، ثمَّ يمحو أَثَرَ حالِهِ بدَلالةِ شَرَهِ النَّفْسِ وحِرْصِها على الدنيا ورؤيةِ العاجلةِ ، حتىٰ تتداركَهُ المعونةُ مِنَ اللهِ الكريمِ ، فيزهدَ ويستقرَّ زُهْدُهُ ، ويصيرَ الزهدُ مقامَهُ .

ولا تزالُ نازلةُ حالِ التوكُّلِ تقرعُ بابَ قلبِهِ حتىٰ يتوكَّلَ ، وهـٰكذا حالُ الرِّضا ، حتىٰ يطمئنَّ على الرِّضا ، ويصيرَ ذلكَ مقامَهُ .

وها هنا دقيقةٌ لطيفةٌ : وذلكَ أنَّ مقامَ الرِّضا والتوكُّلِ يثبتُ ويُحكَمُ ببقائِهِ معَ وجودِ داعيةِ الطبعِ ، ولا يُحكَمُ ببقاءِ حالِ الرِّضا معَ وجودِ داعيةِ الطبعِ ؛

وذلكَ مثلُ كراهةٍ يجدُها الراضي بحُكْمِ الطبعِ ، ولـٰكنْ عِلْمُهُ بمقامِ الرِّضا يَغمُرُ حُكْمَ الطبعِ ، وظهورُ حُكْمِ الطبعِ في وجودِ الكراهةِ المغمورةِ بالعلمِ . . لا يُخرِجُهُ عن مقامِ الرِّضا ، ولـٰكن يفقدُ حالَ الرِّضا ؛ لأنَّ الحالَ لمَّا تجرَّدتْ مَوْهِبةً أَحْرقتْ داعيةَ الطبعِ .

فيُقال : كيفَ يكونُ صاحبَ مقامٍ في الرِّضا ولا يكونُ صاحبَ حالٍ فيهِ والحالُ مُقدِّمةُ المقامِ والمقامُ أثبتُ ؟!

نقولُ : لأنَّ المقامَ لمَّا كانَ مَشُوباً بكَسْبِ العبدِ . . احتملَ وجودُ الطبعِ فيهِ ، والحالَ لمَّا كانَ مَوْهِبةً مِنَ اللهِ . . نُزِّهَتْ عن مَزْجِ الطبعِ ، فحالُ الرِّضا أَصْلفُ[1] ، ومقامُ الرِّضا أَمْكنُ .

ولا بُدَّ للمقاماتِ مِنْ زائدِ الأحوالِ ؛ فلا مقامَ إلا بعدَ سابقةِ حالٍ ، ولا تَفرُّدَ للمقاماتِ دونَ سابقةِ الأحوالِ .

وأمَّا الأحوالُ : فمِنْها ما يصيرُ مقاماً ، ومِنْها ما لا يصيرُ مقاماً ، والسِّرُّ فيهِ : ما ذَكَرْناهُ ؛ أنَّ الكسبَ في المقامِ ظَهرَ والمَوْهِبةَ بَطَنتْ ، وفي الحالِ ظَهرتِ الموهبةُ والكسبُ بَطَنَ .

فلمَّا كانَ في الأحوالِ الموهبةُ غالبةً . . لم تتقيَّدْ ، وصارتِ الأحوالُ إلىٰ ما لا نهايةَ لها ، ولَطُفَ سَنِيُّ الأحوالِ أنْ يصيرَ مقاماً ، ومقدوراتُ الحقِّ غيرُ مُتناهيةٍ ، ومواهبُهُ غيرُ متناهيةٍ ؛ ولهـٰذا قالَ بعضُهُم : (لو أُعطِيتُ رُوحانيَّةَ عيسىٰ ، ومُكالَمةَ موسىٰ ، وخُلَّةَ إبراهيمَ عليهِمُ السلامُ . . لطلبتُ ما وراءَ ذلكَ ؛ لأنَّ مواهبَ الحقِّ لا تنحصرُ) .

---

(١) أَصْلف : أَصْلب ؛ أي : ليس له لذّة . من هامش (ح) .

وهـٰذهِ أحوالُ الأنبياءِ ، فلا تُعطىٰ للأولياءِ ، ولـٰكن هـٰذهِ إشارةٌ مِنَ القائلِ إلىٰ دوامِ تَطَلُّعِ العبدِ وتَطَلُّبِهِ ، وعدمِ قناعتِهِ بما هوَ فيهِ مِنْ أمرِ الحقِّ سبحانَهُ ؛ لأنَّ سيِّدَ المُرسَلِينَ صلواتُ اللهِ وسلاماتُهُ عليهِ نَبَّهَ علىٰ عدمِ القناعةِ ، وقَرْعِ بابِ الطَّلَبِ ، واستنزالِ بركةِ المَزيدِ . . بقولِهِ عليهِ الصلاةُ السلامُ : « كُلُّ يَوْمٍ لَمْ أَزْدَدْ فِيهِ عِلْماً . . فَلَا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ »[1] .

وفي دعائِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ مَا قَصَرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَضَعُفَ فِيهِ عَمَلِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي ـ أو أُمْنِيَّتِي ـ مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ . . فَأَنَا أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَهُ »[2] .

حتىٰ تعلَمَ[3] أنَّ مَواهِبَ الحقِّ لا تنحصرُ ، والأحوالَ مواهبُ ، وهيَ مُتَّصِلةٌ بكلماتِ اللهِ تعالى التي يَنفَدُ البحرُ دونَ نفادِها ، وتَنفَدُ أعدادُ الرِّمالِ دونَ أعدادِها ، واللهُ المُنعِمُ المُعطِي[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٢/٢٧٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٦٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/١٨٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٣١٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه الترمذي (٣٤١٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٣٤٣ـ ٣٤٤) ، وابن نصر المروزي في « صلاة الوتر » (ص٣٣٧) ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) هو غاية لقوله : (لأنَّ سيد المرسلين نبّه . . .) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب التاسع والخمسون

في الإشارة إلى المقامات على الاختصار والإيجاز

(١٣٥) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورِ بنُ خَيْرونَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ محمَّدٍ الجَوْهَريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ بنِ محمَّدٍ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ صاعدٍ ، قالَ : أخبرَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزيُّ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ ، قالَ : حدَّثَنا الهيثمُ بنُ جميلٍ ، قالَ : حدَّثَنا كَثيرُ بنُ سُلَيمٍ المَدائِنيُّ ، قالَ : سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلٌ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي رجلٌ ذَرِبُ اللِّسانِ ، وأكثرُ ذلكَ على أهْلي ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ ٱلِاسْتِغْفَارِ ؟! فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ مِئَةَ مَرَّةٍ »(١) .

وروى أبو هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ في حديثٍ آخرَ : « فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ

---

(١) الزهد لابن المبارك (١١٣٧) ، ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١٧٣) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٢٠٩) ، وابن ماجه (٣٨١٧) ، وأحمد (٣٩٦/٥) ، وابن حبان (٩٢٦) من حديث سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، وذَرَابة اللسان : فُحْشُهُ وسلاطته وحِدَّته .

وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ »[1] .

وروى أبو بُرْدةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي ، فَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ فِي ٱلْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ »[2] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم : ٨] .

التوبةُ أصلُ كلِّ مَقامٍ[3] ، وقِوامُ كلِّ مقامٍ ، ومِفْتاحُ كلِّ حالٍ ، وهيَ أَوَّلُ المقاماتِ ، وهيَ بمثابةِ الأرضِ للبناءِ ؛ فمَنْ لا أرضَ لهُ لا بناءَ لهُ ، ومَنْ لا توبةَ لهُ لا حالَ لهُ ولا مقامَ لهُ[4] .

---

(١) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠١٩٥) ، وابن ماجه (٣٨١٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٠٥٥) ، وهو في « صحيح البخاري » (٦٣٠٧) وغيره : (أكثر من سبعين مرة) .

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) وغيره من رواية أبي بردة عن سيدنا الأغَرِّ المزني رضي الله عنه .

(٣) ماهيَّة التوبة مركَّبة من ثلاثة أجزاء : التحسُّرُ والتندُّمُ علىٰ ما سبق ، والانقلاعُ في الحال ، والعزمُ على الامتناع في الاستقبال ، هٰكذا قال فخر الدِّين الرازيُّ في بعض مُصنَّفاته ، وأمَّا إرضاءُ الخصوم وقضاءُ الفوائت والتصفيةُ عن كُدُورات المعاصي السابقة . . فمن أوصاف كمال التوبة الخارجةِ عن [ماهيَّتها] وإن كانتْ واجبةً . من هامش (ح) .

(٤) للتوبة أقسام : توبةُ العوامِّ عن الذنوب الظاهرة ، وتوبةُ الخواصِّ عن الأخلاق الذَّميمة الباطنة ، وتوبةُ أهل البداية من أصحاب الحقيقة وأرباب الكشف عن مواقع الرِّيبة والشُّبهة ؛ لأنَّ الوقوفَ في الشُّبُهات سادٌّ لبابِ الحقيقة ، وتوبةُ المُحبِّين عن الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ ، وتوبةُ أهل الكمال من أرباب الحقيقة عن الوقوف علىٰ مقامٍ يتصوَّر أن=

وإنِّي بمَبْلَغِ عِلْمي وقَدْرِ وُسْعي وجُهْدي اعتبرتُ المقاماتِ والأحوالَ وثمراتِها ، فرأيتُها تجمعُها ثلاثةُ أشياءَ بعدَ صِحَّةِ الإيمانِ وعُقُودِهِ وشروطِهِ ، فصارتْ معَ الإيمانِ أربعةً ، ثمَّ رأيتُها في إفادةِ الولادةِ المعنويَّةِ الحقيقيَّةِ بمثابةِ الطبائعِ الأربعِ التي جَعَلَها اللهُ تعالىٰ بإجراءِ سُنَّتِهِ مُفيدةً للولادةِ الطبيعيَّةِ .

ومَنْ تَحقَّقَ بحقائقِ هٰذهِ الأربعةِ . . يَلِجُ مَلَكُوتَ السماواتِ ، ويُكاشَفُ بالقُدَرِ والآياتِ ، ويصيرُ لهُ ذوقٌ وفهمٌ لكلماتِ اللهِ المُنزَلاتِ ، ويحظىٰ بجميعِ الأحوالِ والمقاماتِ ؛ فكلُّها مِنْ هٰذهِ الأربعةِ ظَهَرَتْ ، وبها تهيَّأَتْ وتأكَّدَتْ .

فأحدُ الثلاثِ بعدَ الإيمانِ : التوبةُ النَّصُوحُ ، والثاني : الزُّهْدُ في الدُّنْيا ، والثالثُ : تحقيقُ مقامِ العُبُوديَّةِ بدوامِ العملِ للهِ ظاهراً وباطناً مِنَ الأعمالِ القلبيَّةِ والقالَبيَّةِ مِنْ غيرِ فُتُورٍ وقُصُورٍ[1] .

ثمَّ يُستعانُ علىٰ إتمامِ هٰذهِ الأربعةِ بأربعةٍ أُخْرىٰ بها تمامُها وقِوامُها ؛ وهيَ قِلَّةُ الكلامِ ، وقِلَّةُ المنامِ ، وقِلَّةُ الطعامِ ، والاعتزالُ عنِ الناسِ .

واتَّفَقَ المشايخُ والعلماءُ الزاهدونَ : علىٰ أنَّ هٰذهِ الأربعةَ بها تستقرُّ

= يكون له مقامٌ آخر ، وعلىٰ هٰذا : أَوَّلَ بعضُ المشايخ قولَ النبيِّ عليه السلام : « إنِّي لأتوبُ إلى الله تعالىٰ كلَّ يومٍ مئةَ مَرَّةٍ » ؛ [أنَّ] النبيَّ عليه السلام كان يترقَّىٰ كلَّ يوم مئةَ مقامٍ ، وإذا وَصَلَ إلىٰ مقامٍ استغفر عن وقوفه فيما سبق .

وسأل فقيرٌ [مِنَ الملامتيَّةِ] عن توبة أهل الحقيقة ، فأجاب بعضهم : بأنَّ توبتَهُمُ الجلوسُ علىٰ بساط الشهودِ ، وإفرادُ القلب للفَرْد الحقيقيِّ جلَّ جلالُهُ . من هامش (ح) .

(١) زاد في بعض النسخ بعدَ (وباطناً) : (وإما باطناً) ، والعبارة في (أ) : (ظاهراً وباطناً من الأعمال القلبية والقالَبية ، وإمَّا باطناً من الأعمال القلبية من غير فتور وقصور) .

المقاماتُ ، وتستقيمُ الأحوالُ ، وبها صارَ الأبدالُ أبدالاً ، بتأييدِ اللهِ وحُسْنِ توفيقِهِ .

ونُبيِّنُ بالبيانِ الواضحِ أنَّ سائرَ المقاماتِ تندرجُ في صِحَّةِ هٰذهِ ، ومَنْ ظَفِرَ بها فقد ظَفِرَ بالمقاماتِ كلِّها :

أَوَّلُها بعدَ الإيمانِ : التوبةُ ، وهيَ في مبدأِ صِحَّتِها تفتقرُ إلىٰ أحوالٍ ، وإذا صحَّتْ تشتملُ علىٰ مقاماتٍ وأحوالٍ .

ولا بُدَّ في ابتدائِها مِنْ وجودِ زاجرٍ ، ووِجْدانُ الزاجرِ حالٌ ؛ لأنَّهُ مَوهِبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما تقرَّرَ أنَّ الأحوالَ مَواهِبُ[1] ، وحالُ الزَّجْرِ مِفْتاحُ التوبةِ ومُبتدَؤُها .

قالَ رجلٌ لبِشْرٍ الحافي : ما لي أراكَ مهموماً ؟ قالَ : لأنِّي ضالٌّ ومطلوبٌ ؛ ضَلَلتُ الطريقَ والمَقصِدَ ، وأنا مطلوبٌ بهِ ، ولو تبيَّنتُ كيفَ الطريقُ إلى المَقصِدِ لطلبتُ ، ولٰكنَّ سِنَةَ الغَفْلةِ أَدْركَتْني ، وليسَ لي مِنْها خلاصٌ إلا أنْ أُزجَرَ فأَنزجِرَ .

قالَ الأَصْمَعيُّ : رأيتُ أعرابيّاً بالبَصْرةِ يشتكي عينَهُ ، وهيَ يسيلُ مِنْها الماءُ ، فقلتُ : أَلاَ تمسحُ عينَكَ ؟ فقالَ : لا ، فقلتُ : لِمَ ، فقالَ : لأنَّ الطبيبَ قد زَجَرَني ، ولا خيرَ فيمَنْ لا ينزجرُ[2] .

فالزاجرُ في الباطنِ حالٌ يَهَبُها اللهُ تعالىٰ ، ولا بُدَّ مِنْ وجودِها للتائبِ .

---

(١) انظر (٢/ ٤٥١ـ ٤٥٢) .

(٢) رواه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص٤٨) .

ثمَّ بعدَ الانزجارِ يجدُ العبدُ حالَ الانتباهِ ؛ قالَ بعضُهُم : (مَنْ لَزِمَ مُطالَعةَ الطوارقِ انتبهَ) .

وقالَ أبو يزيدَ : (علامةُ الانتباهِ خمسٌ : إذا ذَكَرَ نَفْسَهُ افتقرَ ، وإذا ذَكَرَ ذنبَهُ استغفرَ ، وإذا ذَكَرَ الدنيا اعتبرَ ، وإذا ذَكَرَ الآخرةَ استبشرَ ، وإذا ذَكَرَ المَوْلى افتخرَ) .

وقالَ بعضُهُمُ : (الانتباهُ أوائلُ دَلالاتِ الخيرِ) .

إذا انتبهَ العبدُ مِنْ رَقْدةِ غَفْلتِهِ . أدَّاهُ ذلكَ الانتباهُ إلى التيقُّظِ ، فإذا تيقَّظَ أَلْزمَهُ تَيَقُّظُهُ الطلبَ لطريقِ الرُّشْدِ ، فيَطلُبُ ، فإذا طَلَبَ عرفَ أنَّهُ علىٰ غيرِ سبيلِ الحقِّ ، فيَطلُبُ الحقَّ ويرجعُ إلىٰ بابِ توبتِهِ ، ثمُّ يُعطىٰ بانتباهِهِ حالَ التيقُّظِ .

قالَ فارسٌ : (أَوْفى الأحوالِ : التَّيَقُّظُ والاعتبارُ) .

وقيلَ : التيقُّظُ : تِبْيانُ خطأِ المَسْلَكِ بعدَ مُشاهَدةِ سبيلِ النجاةِ .

وقيلَ : إذا صحَّتِ اليَقَظَةُ كانَ صاحبُها في أوائلِ طريقِ التوبةِ .

وقيلَ : اليَقَظَةُ : حَرْدَةٌ مِنْ جهةِ المَوْلىٰ لقلوبِ الخائفينَ تَدُلُّهُم علىٰ طلبِ التوبةِ[١] .

فإذا تمَّتْ يقظتُهُ نُقِلَ بذلكَ إلىٰ مقامِ التوبةِ .

فهٰذهِ أحوالٌ ثلاثةٌ تتقدَّمُ التوبةَ .

---

(١) الحَرْدة : القصد .

ثمَّ التوبةُ في استقامتِها تحتاجُ إلى المُحاسَبةِ ، ولا تستقيمُ التوبةُ إلا بالمُحاسَبةِ .

نُقِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (حاسِبُوا أنفسَكُم قبلَ أنْ تُحاسَبُوا ، وزِنُوها قبلَ أنْ تُوزَنُوا ، وتَزَيَّنوا للعَرْضِ الأكبرِ على اللهِ ؛ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨])[(١)] .

فالمُحاسَبةُ بحفظِ الأنفاسِ ، وضبطِ الحواسِّ ، ورعايةِ الأوقاتِ ، وإيثارِ المُهِمَّاتِ .

ويعلمُ العبدُ أنَّ اللهَ تعالىٰ أَوْجبَ عليهِ هٰذهِ الصَّلَواتِ الخمسَ في اليومِ واللَّيلةِ رحمةً منهُ سُبْحانَهُ وتعالىٰ ؛ لعلمِهِ بعبدِهِ ، واستيلاءِ الغَفْلةِ عليهِ ؛ كي لا يستعبدَهُ الهوىٰ ، وتَستَرِقَّهُ الدنيا ؛ فالصَّلَواتُ الخَمْسُ سِلْسِلةٌ تَجذِبُ النفوسَ إلىٰ مواطنِ العُبُوديَّةِ لأداءِ حقِّ الرُّبُوبيَّةِ .

ويُراقِبُ العبدُ نَفْسَهُ بحُسْنِ المُحاسَبةِ مِنْ كلِّ صلاةٍ إلىٰ صلاةٍ أُخرىٰ ، ويَسُدُّ مداخلَ الشيطانِ بحُسْنِ المُحاسَبةِ والرِّعايةِ ، ولا يدخلُ في الصلاةِ إلا بعدَ حَلِّ عُقَدِ القلبِ بحُسْنِ التوبةِ والاستغفارِ ؛ لأنَّ كلَّ كلمةٍ وحركةٍ علىٰ خلافِ الشرعِ تَنكُتُ في القلبِ نُكْتةً سوداءَ ، وتَعقِدُ عليهِ عُقْدةً .

والمُتفقِّدُ المُحاسِبُ يُهيِّئُ الباطنَ للصلاةِ بضبطِ الجوارحِ[(٢)] ويُحقِّقُ مقامَ

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٠٠) ، وأحمد في « الزهد » (٦٣٣) ، وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٢) .

(٢) في (ج ، ح) : (ويضبط) بدل (بضبط) .

المُحاسَبةِ[1] ، فيكونُ عندَ ذلكَ لصلاتِهِ نورٌ يُشرِقُ على أجزاءِ وقتِهِ إلى الصلاةِ الأُخْرىٰ ، فلا تزالُ صلاتُهُ مُنوَّرةً تامَّةً بنورِ وقتِهِ ، ووقتُهُ مُنوَّراً معموراً بنورِ صلاتِهِ[2] .

وكانَ بعضُ المُحاسِبينَ يكتبُ الصَّلَواتِ في قِرْطاسٍ ، ويَدَعُ بينَ كلِّ صلاتَينِ بياضاً ، وكلَّما ارتكبَ خطيئةً مِنْ كلمةِ غِيبةٍ أو أمرٍ آخَرَ . . خَطَّ خطّاً ، وكلَّما تكلَّمَ أو تحرَّكَ فيما لا يَعنِيهِ . . نَقَطَ نُقْطةً ؛ ليعتبرَ ذنوبَهُ وحركاتِهِ فيما لا يَعنِيهِ ؛ ليُضيِّقَ بالمُحاسَبةِ مجاريَ الشيطانِ والنَّفْسَ الأمَّارةَ بالسُّوءِ ؛ لمَوضِعِ صِدْقِهِ في حُسْنِ الافتقادِ ، وحِرْصِهِ على تحقيقِ مقامِ العُبَّادِ .

وهٰذا مقامُ المُحاسَبةِ والرِّعايةِ يقعُ مِنْ ضرورةِ صِحَّةِ التوبةِ ؛ قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ حَسُنَتْ رِعايتُهُ ، دامَتْ وِلايتُهُ) .

وسُئِلَ الوَاسِطيُّ : أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قالَ : مُراعاةُ السِّرِّ ، والمُحاسَبةُ في الظاهِرِ ، والمُراقَبةُ في الباطنِ ، ويَكمُلُ أحدُهُما بالآخرِ ، وبهِما تستقيمُ التوبةُ .

والمُراقَبةُ والرِّعايةُ حالانِ شريفانِ ، ويصيرانِ مقامَينِ شريفَينِ يَصِحَّانِ بصِحَّةِ مقامِ التوبةِ ، وتستقيمُ التوبةُ على الكمالِ بهِما ، فصارتِ المُحاسَبةُ والمُراقَبةُ والرِّعايةُ مِنْ ضرورةِ مقامِ التوبةِ .

---

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ب ، ج ، ح) : (وتحقق) بدل (ويحقق) ، والعطف واضح ، وعلى المثبت يكون العطف على قوله : (يُهيِّئ) .

(٢) في (أ ، ج) : (مغموراً) بدل (معموراً) .

(١٣٦) ـ أخبرَنا أبو زُرْعَةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ أبي بكرٍ الشِّيرازيِّ ، قالَ : سمعتُ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ [أبا الحسينِ] الفارسيَّ يقولُ[١] : سمعتُ الجُرَيْريَّ يقولُ : (أمرُنا هـٰذا مَبْنيٌّ علىٰ فَصْلَينِ ؛ وهما : أنْ تُلزِمَ نَفْسَكَ المُراقَبةَ للهِ تعالىٰ ، ويكونَ العلمُ علىٰ ظاهرِكَ قائماً)[٢] .

وقالَ المُرتعِشُ : (المُراقَبةُ : مُراعاةُ السِّرِّ لمُلاحظةِ الحقِّ في كلِّ لحظةٍ ولَفْظةٍ)[٣] .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] .

وهـٰذا هوَ علمُ القيامِ ، وبذلكَ يَتِمُّ علمُ الحالِ ، ومعرفةُ الزيادةِ والنُّقْصانِ ؛ وهوَ[٤] : أنْ يعلمَ مِعْيارَ حالِهِ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ ، وكلُّ هـٰذا مُلازِمٌ لصِحَّةِ التوبةِ ، وصِحَّةُ التوبةِ مُلازِمٌ لها ؛ لأنَّ الخواطرَ مُقدِّماتُ العزائمِ ، والعزائمَ مُقدِّماتُ الأفعالِ ؛ لأنَّ الخواطرَ تُحقِّقُ إرادةَ القلبِ ، والقلبُ أميرُ الجوارحِ ، والجوارحُ لا تتحرَّكُ إلا بحركةِ القلبِ بالإرادةِ ، والمُراقَبةُ حَسْمُ موادِّ الخواطرِ الرَّديئةِ .

فصارَ مِنْ تمامِ المُراقَبةِ تمامُ التوبةِ ؛ لأنَّ مَنْ حَصَرَ الخواطرَ كُفِيَ مُؤْنةَ

---

(١) في النسخ : (الحسن) بدل (أبا الحسين) ، والمثبت من « الرسالة » وغيرها .
(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٠) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٠٣) .
(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٠) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٠٦) .
(٤) أي : علم القيام .

الجوارحِ ؛ لأنَّ بالمُراقَبةِ استئصالَ عُروقِ إرادةِ المَكارِهِ مِنَ القلبِ ، وبالمُحاسَبةِ استدراكَ ما انفلتَ مِنَ المُراقَبةِ .

(١٣٧) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ ، عنِ ابنِ خَلَفٍ ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ أبا عُثْمانَ المغربيَّ يقولُ : (أفضلُ ما يلزمُ الإنسانُ في هٰذا الطريقِ : المُحاسَبةُ ، والمُراقَبةُ ، وسِياسةُ العملِ بالعلمِ)[1] .

وإذا صحَّتِ التوبةُ صَحَّتِ الإنابةُ ؛ قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ : (إذا صَدَقَ العبدُ في توبتِهِ صارَ مُنيباً ؛ لأنَّ الإنابةَ ثاني درجةِ التوبةِ) .

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ : (المُنيبُ : الراجعُ عن كلِّ شيءٍ يشغلُهُ عنِ اللهِ إلى اللهِ) .

وقالَ بعضُهُمْ : (الإنابةُ : الرجوعُ منهُ إليهِ لا مِنْ شيءٍ غيرِهِ ، فمَنْ رَجَعَ مِنْ غيرِهِ إليهِ ضَيَّعَ أحدَ طَرَفَيِ الإنابةِ .

والمُنيبُ على الحقيقةِ مَنْ لم يكنْ لهُ مَرجِعٌ سواهُ ، فيرجعُ إليهِ مِنْ رجوعِهِ ، ثمَّ يرجعُ مِنْ رجوعِ رجوعِهِ ، فيبقى شَبَحاً لا وَصْفَ لهُ ، قائماً بينَ يَدَيِ الحقِّ ، مُستغرِقاً في عينِ الجمعِ)[2] .

ومُخالَفةُ النَّفْسِ ، ورُؤْيةُ عيوبِ الأفعالِ ، والمجاهدةُ . . تتحقَّقُ بتحقيقِ الرِّعايةِ والمُراقَبةِ .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٠) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٠٣) ، وفي (هـ ، ح) : (أفضل التوبة) بدل (أفضل) ، وعبارة « الرسالة » : (أفضل ما يُلزِمُ الإنسان نفسه في هٰذه الطريقة) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١٢٥) .

قالَ أبو سُلَيمانَ : (ما استحسنتُ مِنْ نَفْسي عملاً فاحتسبتُهُ)[1] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ السِّجْزيُّ : (مَنِ استحسنَ شيئاً مِنْ أحوالِهِ في حالِ إرادتِهِ[2] . . فسدتْ عليهِ إرادتُهُ ، إلا أنْ يرجعَ إلى ابتدائِهِ ، فيُروِّضَ نَفْسَهُ ثانياً ، ومَنْ لم يَزِنْ نَفْسَهُ بميزانِ الصِّدْقِ فيما لهُ وعليهِ . . لا يبلُغُ مَبْلَغَ الرجالِ) .

ورؤيةُ عيوبِ الأفعالِ مِنْ ضرورةِ صِحَّةِ الإنابةِ ، وهوَ في تحقيقِ مقامِ التوبةِ .

ولا تستقيمُ التوبةُ إلا بصدقِ المُجاهَدةِ ، ولا يَصدُقُ العبدُ في المجاهدةِ إلا بوجودِ الصبرِ ؛ روىٰ فَضالةُ بنُ عُبيدٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ٱلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ »[3] .

ولا يَتِمُّ ذلكَ إلا بالصبرِ ، وأفضلُ الصبرِ الصبرُ على اللهِ بعُكُوفِ الهمِّ عليهِ[4] ، وصِدْقِ المُراقَبةِ لهُ بالقلبِ ، وحَسْمِ مَوادِّ الخواطرِ .

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣١٢) .

(٢) أي : في حال سلوكه في نظر الشيخ . من هامش (ح) .

(٣) رواه الترمذي (١٦٢١) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٧٩٤) ، وأحمد (٦/ ٢٠) ، وابن حبان (٤٦٢٤) ، وقال الطِّيبي في « الكاشف » (٢/ ٤٩١) : (يعني : المجاهدُ ليس مَنْ قاتل الكفار فقط ، بل المجاهدُ مَنْ حارب نَفْسَهُ وحَمَلَها وأكرهها علىٰ طاعة الله تعالىٰ ؛ لأنَّ نَفسَ الرجلِ أَشَدُّ عداوةً معه مِنَ الكُفَّار ؛ لأنَّ الكُفَّار أبعدُ منه ، ولا يتَّفق التلاحقُ والتقابلُ معهم إلا حيناً بعدَ حين ، وأمَّا نَفْسُهُ فأبداً تُلازِمُهُ وتمنعُهُ من الخير والطاعة ، ولا شكَّ أنَّ القتال مع العدو الذي يُلازِمُ الرجلَ أهمُّ من القتال مع العَدُوِّ الذي هو بعيدٌ منه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة : ١٢٣]) .

(٤) في (د) : (الهمة) بدل (الهم) .

والصبرُ ينقسمُ : إلىٰ فرضٍ وفضلٍ .

فالفرضُ : الصبرُ علىٰ أداءِ المُفترَضاتِ ، والصبرُ عنِ المُحرَّماتِ .

ومِنَ الصبرِ الذي هوَ فضلٌ : الصبرُ على الفقرِ ، والصبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأُولىٰ ، وكِتْمانُ المصائبِ والأوجاعِ ، وتركُ الشَّكْوىٰ ، والصبرُ علىٰ إخفاءِ الفقرِ ، والصبرُ علىٰ كَتْمِ المِنَحِ والكراماتِ ، ورُؤْيةِ القُدَرِ والآياتِ .

ووجوهُ الصبرِ فرضاً وفضلاً كثيرةٌ ، وكثيرٌ مِنَ الناسِ مَنْ يقومُ بهذهِ الأقسامِ مِنَ الصبرِ ، ويَضِيقُ عنِ الصبرِ على اللهِ بلزومِ صِحَّةِ المُراقَبةِ والرِّعايةِ ونفيِ الخواطرِ .

فإذاً : حقيقةُ الصبرِ كائنٌ في التوبةِ ، ككينونةِ المُراقَبةِ في التوبةِ[1] .

والصبرُ مِنْ أَعَزِّ مقاماتِ المُوقِنينَ ، وهوَ داخلٌ في حقيقةِ التوبةِ .

قالَ بعضُ العلماءِ : (أيُّ شيءٍ أفضلُ مِنَ الصبرِ وقد ذَكَرَهُ اللهُ تعالىٰ في كلامِهِ في نَيِّفٍ وتسعينَ موضعاً ؟! وما ذَكَرَ شيئاً بهٰذا العددِ)[2] .

وصِحَّةُ التوبةِ تحتوي علىٰ مقامِ الصبرِ معَ شرفِهِ .

ومِنَ الصبرِ : الصبرُ على النِّعْمةِ ؛ وهوَ أَلَّا يَصرِفَها في معصيةِ اللهِ تعالىٰ ، وهٰذا أيضاً داخلٌ في صِحَّةِ التوبةِ .

وكانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ يقولُ : (الصبرُ على العافيةِ أَشَدُّ مِنَ الصبرِ على البلاءِ)[3] .

---

(١) في (أ ، ب ، ج ، د ، هـ) : (لكينونة) بدل (ككينونة) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٥٤٦) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٥٤٧)، والغزالي في « الإحياء » (٧/٢٣٨)، =

ورُوِيَ عن بعضِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم : (بُلِينا بالضَّرَّاءِ فصَبَرْنا ، وبُلِينا بالسَّرَّاءِ فلم نَصبِرْ)[1] .

ومِنَ الصبرِ : رعايةُ الاقتصادِ في الرِّضا والغضبِ ، والصبرُ عن مَحْمَدةِ الناسِ ، والصبرُ على الخُمُولِ والتواضعِ .

والذِّلَّةُ داخلٌ في الزهدِ وإنْ لم يكنْ داخلاً في التوبةِ ، وكلُّ ما فاتَ في مقامِ التوبةِ مِنَ المقاماتِ السَّنِيَّةِ والأحوالِ . . يُوجَدُ في الزهدِ ، وهوَ ثالثُ الأربعةِ التي ذَكَرْنا[2] .

وحقيقةُ الصبرِ تظهرُ مِنْ طُمَأْنِينةِ النَّفْسِ ، وطُمَأْنِينتُها مِنْ تزكيتِها ، وتزكيتُها بالتوبةِ ؛ فالنَّفْسُ إذا تزكَّتْ بالتوبةِ النَّصُوحِ . . ذَهَبَ عنها الشَّراسةُ الطبيعيَّةُ ، وقِلَّةُ الصبرِ مِنْ وُجُودِ شَراسةٍ في النَّفْسِ وإباءٍ واستعصاءٍ فيها .

والتوبةُ النَّصُوحُ تُلَيِّنُ النَّفْسَ ، وتُخرِجُها مِنْ طبيعتِها وشَراستِها إلى اللِّينِ ؛ لأنَّ النَّفْسَ بالمُحاسَبةِ والمُراقَبةِ تصفو وتنطفئُ نيرانُها المُتأجِّجةُ بمُتابعةِ الهوىٰ ، وتَبلُغُ بطُمَأْنِينتِها مَحَلَّ الرِّضا ومقامَهُ ، وتطمئنُّ في مجاري الأقدارِ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ النِّباجيُّ : (للهِ تعالىٰ عبادٌ يَستَحْيُونَ مِنَ الصبرِ ،

= وأورده بنحوه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢١١) دون عزو .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٠٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٣٠ـ٣١) موقوفاً علىٰ سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه .

(٢) انظر (٢/ ٤٦٠) .

يتلقَّفُونَ مواقعَ أقدارِهِ بالرِّضا تَلَقُّفاً)[1] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (أصبحتُ وما لي سرورٌ إلا مواقعُ القضاءِ)[2] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما حينَ وصَّاهُ : « ٱعْمَلْ لِلهِ بِٱلْيَقِينِ فِي ٱلرِّضَا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَإِنَّ فِي ٱلصَّبْرِ خَيْراً كَثِيراً »[3] .

وفي الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِنْ خَيْرِ مَا أُعْطِيَ ٱلرَّجُلُ : ٱلرِّضَا بِمَا قَسَمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ »[4] .

فالأخبارُ والآثارُ والحكاياتُ في فضيلةِ الرِّضا وشَرَفِهِ . . أكثرُ مِنْ أنْ تُحصىٰ .

والرِّضا ثمرةُ التوبةِ النَّصُوحِ ، وما تَخلَّفَ عبدٌ عنِ الرِّضا إلا لتخلُّفِهِ عنِ التوبةِ النَّصُوحِ .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/١٧) ، وابن العديم في « بغية الطلب » (٩/٤٢٨٨) .

(٢) رواه عبد الله بن عبد الحكم في « سيرة عمر بن عبد العزيز » (ص٩٧) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٠٦) .

(٣) رواه الحاكم (٣/٥٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٣١٤) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (١٦٠٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وأصله في « سنن الترمذي » (٢٥١٦) ، و« مسند أحمد » (١/٣٠٣) دون هـٰذا اللفظ .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠٠٩) ، وروى الترمذي (٢٣٠٥) وغيره من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « وارضَ بما قسمَ اللهُ تكنْ أغنى الناسِ » .

فإذاً : تجمعُ التوبةُ النَّصُوحُ حالَ الصبرِ ، وحالَ الرِّضا ، ومقامَ الصبرِ ، ومقامَ الرِّضا .

والخوفُ والرجاءُ مقامانِ مِنْ مقاماتِ أهلِ اليقينِ ، وهما كائنانِ في صُلْبِ التوبةِ النَّصُوحِ ؛ لأنَّ خوفَهُ حَمَلَهُ على التوبةِ ، ولولا خوفُهُ ما تابَ ، ولولا رجاؤُهُ ما خافَ ؛ فالرجاءُ والخوفُ يتلازمانِ في قلبِ المؤمنِ ، ويعتدلُ الخوفُ والرجاءُ للتائبِ المُستقيمِ في التوبةِ .

دَخَلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على رجلٍ وهوَ في سِياقِ الموتِ ، فقالَ : « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » ، فقالَ : أَجِدُني أخافُ ذُنُوبي وأرجو رحمةَ ربِّي ، فقالَ : « مَا ٱجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَـٰذَا ٱلْمَوْطِنِ . إِلَّا أَعْطَاهُ ٱللهُ مَا رَجَا ، وَأَمَّنَهُ مَا يَخَافُ »[1] .

وجاءَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] : هوَ العبدُ يُذنِبُ الكبائرَ ثمَّ يقولُ : قد هلكتُ ، لا ينفعُني عملٌ[2] .

فالتائبُ خافَ ، فتابَ ورجا المغفرةَ ، ولا يكونُ التائبُ تائباً إلا وهوَ راجٍ خائفٌ .

---

(١) رواه الترمذي (٩٨٣) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٨٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٦١) ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٣١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه عبد الرزاق في « تفسيره » (٢٠٢) ، والطبري في « تفسيره » (٣/٥٨٩) عن عَبيدة السَّلْماني من قوله رحمه الله تعالىٰ ، والبيهقي في « الشعب » (٦٦٩٢) ، والثعلبي في « تفسيره » (٥/٦٦-٦٧) موقوفاً علىٰ سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما .

ثمَّ إنَّ التائبَ حيثُ قَيَّدَ الجوارحَ عنِ المَكارِهِ ، واستعانَ بنِعَمِ اللهِ تعالىٰ علىٰ طاعةِ اللهِ . . فقد شَكَرَ النِّعَمَ ؛ لأنَّ كلَّ جارحةٍ مِنَ الجوارحِ نعمةٌ ، وشُكْرُها قَيْدُها عنِ المعصيةِ ، واستعمالُها في الطاعةِ ، وأيُّ شاكرٍ للنعمةِ أكثرُ مِنَ التائبِ المستقيمِ ؟!

فإذاً : جَمَعَ مقامُ التوبةِ هٰذهِ المقاماتِ كلَّها ؛ فجَمَعَ مقامُ التوبةِ حالَ الزَّجْرِ ، وحالَ الانتباهِ ، وحالَ التيقُّظِ ، ومُخالَفةَ النَّفْسِ ، والتقوىٰ ، والمُجاهَدةَ ، ورُؤْيَةَ عيوبِ الأفعالِ ، والإنابةَ ، والصبرَ ، والرِّضا ، والمُحاسَبةَ ، والمُراقَبةَ ، والرِّعايةَ ، والشُّكْرَ ، والخوفَ ، والرَّجاءَ .

وإذا صَحَّتِ التوبةُ النَّصُوحُ وتزكَّتِ النَّفْسُ . . انجلَتْ مِرْآةُ القلبِ ، وبانَ قُبْحُ الدنيا فيها ، فحَصَلَ الزُّهدُ .

والزاهدُ يتحقَّقُ فيهِ التوكُّلُ ؛ لأنَّهُ لا يزهدُ في الموجودِ إلا لاعتمادِهِ على الموعودِ ، والسُّكُونُ إلىٰ وَعْدِ اللهِ تعالىٰ هوَ عينُ التوكُّلِ .

وكلُّ ما بَقِيَ على العبدِ مِنْ بقيَّةٍ في تحقيقِ المقاماتِ كلِّها بعدَ توبتِهِ . . يستدركُهُ بزُهدِهِ في الدنيا ، وهوَ ثالثُ الأربعةِ .

(١٣٨) ـ أخبرَنا شيخُنا ، قالَ : أخبرَنا أبو منصورٍ محمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ خَيْرُونَ ، قالَ : أخبرَنا أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إجازةً[1] ، قالَ : أخبرَنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ العبَّاسِ ، قالَ : حدَّثَنا أبو محمَّدٍ يحيى بنُ صاعدٍ ، قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزيُّ ،

---

(١) سقط التصريح بالإجازة في (د ، ز) .

قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ ، قالَ : أخبرَنا الهيثمُ بنُ جَميلٍ ، قالَ : أخبرَنا محمَّدُ بنُ [سُلَيمٍ][1] ، عن عبدِ اللهِ بنِ بُرَيدةَ قالَ : قَدِمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ سفرٍ ، فبَدَأَ بفاطمةَ رضيَ اللهُ عنها ، فرآها قد أَحْدثَتْ في البيتِ سِتْراً وزوائدَ في يَدَيْها ، فلمَّا رأىٰ ذلكَ رَجَعَ ولم يدخلْ ، ثمَّ جَلَسَ ، فجعلَ يَنكُتُ في الأرضِ ويقولُ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيا ؟! مَا لِي وَلِلدُّنْيا ؟! » .

فرأَتْ فاطمةُ أنَّهُ إنَّما رجعَ مِنْ أجلِ ذلكَ السِّترِ والزوائدِ ، فأخذتِ السِّتْرَ والزوائدَ ، فأرسلتْ بهِما معَ بلالٍ ، وقالتْ لهُ : اذهَبْ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقُلْ لهُ : قد تصدَّقتُ بهِ ، فضَعْهُ حيثُ شِئتَ ، فأتىٰ بهِ بلالٌ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : قالتْ فاطمةُ : قد تصدَّقتُ بهِ ، فضَعْهُ حيثُ شِئتْ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَدْ فَعَلَتْ بِأَبِي وأُمِّي !! قَدْ فَعَلَتْ بِأَبِي وَأُمِّي !! اذْهَبْ فَبِعْهُ »[2] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ٧] ؛ قيلَ : أيُّهم أَزْهدُ في الدنيا[3] .

---

(١) في النسخ : (سليمان) أو (سلمان) ، والتصويب من « الزهد » (١١٨٣) ، و« تهذيب الكمال » (٢٥/ ٢٩٢) ، ومحمد بن سليم : هو أبو هلال الراسبي البصري (ت١٦٧هـ) .

(٢) الزهد (١١٨٣) لابن المبارك ، والحديث مرسل ، ورواه مرفوعاً أبو داود (٤٢١٣) ، وأحمد (٥/ ٢٧٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١/ ٢٦) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وابن حبان (٦٩٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٠٧٠٧) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ ، وأورده الواحدي في « الوسيط » (٣/ ١٣٦) ، والبغوي في « تفسيره » (٨/ ١٧٦) =

سُئِلَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الزُّهدِ ، فقالَ : هوَ أَلَّا تُبالِيَ مَنْ أَكَلَ الدنيا ؛ مؤمنٌ أو كافرٌ[1] .

وسُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ الزُّهدِ ، فقالَ : وَيْلَكُم ، أيُّ مقدارٍ لجناحِ بعوضةٍ أنْ يُزهَدَ فيها ؟![2] .

وقالَ أبو بكرٍ الوَاسِطيُّ : (إلىٰ متىٰ تَصُولُ بتَرْكِ كَنيفٍ ؟! وإلىٰ متىٰ تَصُولُ بإعراضِكَ عمَّا لا يَزِنُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ؟!)[3] .

فإذا صحَّ زُهْدُ العبدِ صحَّ توكُّلُهُ أيضاً ؛ لأنَّ صدقَ توكُّلِهِ مكَّنَهُ مِنْ زُهدِهِ في الموجودِ .

فمَنِ استقامَ في التوبةِ ، وزَهِدَ في الدنيا ، وحَقَّقَ هـٰذَينِ المقامَينِ . . استوفىٰ سائرَ المقاماتِ ، وتمكَّنَ فيها ، وتحقَّقَ بها .

وترتيبُ التوبةِ معَ المُراقَبةِ وارتباطُ أحدِهِما بالآخَرِ : أنْ يتوبَ العبدُ ، ثمَّ يستقيمَ في التوبةِ حتىٰ لا يكتبَ عليهِ صاحبُ الشمالِ شيئاً ، ثمَّ يرتقيَ مِنْ تطهيرِ الجوارحِ عنِ المعاصي إلىٰ تطهيرِ الجوارحِ عمَّا لا يَعْنِي ، فلا يسمحَ بكلمةِ فُضُولٍ ولا حركةِ فُضُولٍ .

= عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٢١) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، وفيه : (لأقل من جناح بعوضة) بدل (لجناح بعوضة) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/ ١٤٣) عن أبي سليمان الداراني من قوله دون سؤال بلفظ : (الدُّنيا عند الله أقلُّ مِنْ جناح بعوضة ، فما قيمةُ جناحِ بعوضةٍ حتىٰ يُزهَدَ فيها ؟!) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) .

ثمَّ تنتقلَ الرِّعايةُ والمُحاسَبةُ مِنَ الظاهرِ إلى الباطنِ ، وتستوليَ المُراقَبةُ على الباطنِ ـ وهوَ التحقُّقُ بعلمِ القيامِ ـ بمَحْوِ خواطرِ المعصيةِ عن باطنِهِ ، ثمَّ خواطرِ الفُضُولِ ، فإذا تمكَّنَ مِنْ رعايةِ الخَطَراتِ . . عُصِمَ عن مُخالَفةِ الأركانِ والجوارحِ ، وتستقيمُ توبتُهُ .

قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود : ١١٢] ؛ أَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ بالاستقامةِ في التوبةِ أمراً لهُ ولأتباعِهِ وأُمَّتِهِ .

وقيلَ : (لا يكونُ المُريدُ مُريداً حتىٰ لا يكتبَ عليهِ صاحبُ الشمالِ شيئاً عشرينَ سنةً)[١] ، ولا يلزمُ مِنْ هٰذا وجودُ العِصْمةِ ، ولٰكنَّ الصادقَ التائبَ النادمَ إذا ابتُلِيَ بذنبٍ نادراً[٢] . . ينمحي أَثَرُ الذنبِ عن باطنِهِ في ألطفِ ساعةٍ ؛ لوجودِ الندمِ في باطنِهِ علىٰ ذلكَ ، والندمُ توبةٌ ، فلا يكتبُ عليهِ صاحبُ الشمالِ شيئاً .

فإذا تابَ توبةً نَصُوحاً ثمَّ زَهِدَ في الدنيا ؛ حتىٰ لا يهتمُّ في غَدائِهِ لعَشائِهِ ، ولا في عَشائِهِ لغَدائِهِ ، ولا يرى الادِّخارَ ، ولا يكونُ لهُ تَعَلُّقُ هَمٍّ بغَدٍ . . فقد جَمَعَ في هٰذا الزُّهدَ والفقرَ .

والزُّهدُ أفضلُ مِنَ الفقرِ ، وهوَ فقرٌ وزيادةٌ ؛ لأنَّ الفقيرَ عادمٌ للشيءِ اضطراراً ، والزاهدَ تاركٌ للشيءِ اختياراً ، وزُهدُهُ يُحقِّقُ توكُّلَهُ ، وتوكُّلُهُ

---

(١) سبق مسنداً في (١/ ٣٨٦) عن أبي بكر الزقّاق رحمه الله تعالىٰ .

(٢) العبارة في النسخ ما عدا (ح ، ي) : (. . . التائب بالنادر إذا ابتُلي بذنب) بدل (. . . التائب النادم إذا ابتُلي بذنب نادراً) .

يُحقِّقُ رِضاهُ ، ورِضاهُ يُحقِّقُ الصبرَ ، وصبرُهُ يُحقِّقُ حَبْسَ النَّفْسِ وصدقَ المُجاهَدةِ ، وحَبْسُ النَّفْسِ للهِ يُحقِّقُ خوفَهُ ، وخوفُهُ يُحقِّقُ رجاءَهُ ، ويَحْظىٰ بالتوبةِ والزُّهدِ بكلِّ المقاماتِ .

والزُّهدُ والتوبةُ إذا اجتمعا معَ صِحَّةِ الإيمانِ وعُقُودِهِ وشروطِهِ . . يَعُوزُ هٰذهِ الثلاثةَ رابعٌ بهِ تمامُها ؛ وهوَ دوامُ العملِ للهِ ؛ لأنَّ الأحوالَ السَّنِيَّةَ ينكشفُ بعضُها بهٰذهِ الثلاثةِ ، ويتستَّرُ بعضُها مُتوقِّفاً علىٰ وجودِ الرابعِ ؛ وهوَ دوامُ العملِ .

وكثيرٌ مِنَ الزُّهَّادِ المُتحقِّقينَ بالزُّهدِ المُستقِيمينَ في التوبةِ . . تَخَلَّفُوا عن كثيرٍ مِنْ سَنِيِّ الأحوالِ ؛ لتخلُّفِهِم عن هٰذا الرابعِ ، ولا يُرادُ الزُّهدُ في الدنيا إلا لكمالِ الفراغِ المُستعانِ بهِ علىٰ إدامةِ العملِ للهِ ، والعملُ للهِ أنْ يكونَ العبدُ لا يزالُ ذاكراً أو تالياً أو مُصلِّياً أو مُراقِباً ، لا يشغلُهُ عن هٰذهِ إلا واجبٌ شرعيٌّ ، أو مُهِمٌّ لا بُدَّ منهُ طبيعيٌّ .

وإذا استولى العملُ القلبيُّ على القلبِ معَ وجودِ الشُّغْلِ الذي أدَّاهُ إليهِ حُكْمُ الشرعِ . . لا يَفترُ باطنُهُ عنِ العملِ ، فإذا كانَ معَ الزُّهدِ والتقوىٰ مُتمسِّكاً بدوامِ العملِ . . فقد أَكْملَ الفضلَ ، وما آلىٰ جُهْداً في العُبُوديَّةِ .

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ : (مَنْ خَرَجَ مِنْ قالَبِ العُبُوديَّةِ . . صُنِعَ بهِ ما يُصنَعُ بالآبِقِ)[1] .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٩٣) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (١/ ٤٧٦) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (١/ ١٤٧) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

وسُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رحمَهُ اللهُ : أيُّ منزلةٍ إذا قامَ العبدُ بها قامَ مَقَامَ العُبُوديَّةِ ؟ قالَ : إذا تَرَكَ التدبيرَ والاختيارَ[1] .

فإذا تحقَّقَ العبدُ بالتوبةِ والزُّهدِ ودوامِ العملِ للهِ . . يشغلُهُ وقتُهُ الحاضرُ عن وقتِهِ الآتي ، ويصلُ إلىٰ مقامِ تَرْكِ التدبيرِ والاختيارِ ، ثمَّ يصلُ إلىٰ أنْ يَملِكَ الاختيارَ ، فيكونُ اختيارُهُ مِنِ اختيارِ اللهِ ؛ لزوالِ هواهُ ، ووُفُورِ علمِهِ ، وانقطاعِ مادَّةِ الجهلِ عن باطنِهِ .

قالَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرازيُّ : (ما دامَ العبدُ يتعرَّفُ يُقالُ لهُ : لا تَخْتَرْ ولا تكنْ معَ اختيارِكَ حتىٰ تعرفَ ، فإذا عَرَفَ وصارَ عارفاً يُقالُ لهُ : إنْ شئتَ فاخْتَرْ ، وإنْ شئتَ فلا تَخْتَرْ ؛ لأنَّكَ إنِ اخترتَ فباختيارِنا اخترتَ ، وإنْ تركتَ الاختيارَ فباختيارِنا تركتَ الاختيارَ ؛ فإنَّكَ بنا في الاختيارِ وفي تركِ الاختيارِ)[2] .

والعبدُ لا يتحقَّقُ بهٰذا المقامِ العالي والحالِ العزيزِ الذي هوَ الغايةُ والنهايةُ ـ وهوَ أنْ يملكَ الاختيارَ بعدَ تَرْكِ التدبيرِ والخروجِ مِنَ الاختيارِ ـ . . إلا بإحكامِهِ هٰذهِ الأربعةَ التي ذَكَرْناها ؛ لأنَّ تَرْكَ التدبيرِ فناءٌ ، وتمليكَ التدبيرِ والاختيارِ مِنَ اللهِ تعالىٰ عبدَهُ ، وردَّهُ إلى الاختيارِ . تصرُّفٌ بالحقِّ ، وهوَ مقامُ البقاءِ ؛ وهوَ الانسلاخُ عن وجودٍ كانَ بالعبدِ إلىٰ وجودٍ يصيرُ بالحقِّ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٩٣) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦١) ، وفي (أ ، ج) : (فباختيارنا تركت) دون المفعول ، وهو أنسب مع ما قبله ، والمثبت من باقي النسخ موافق لـ« اللمع » .

وهٰذا العبدُ ما بَقِيَ عليهِ مِنَ الاعوجاجِ ذَرَّةٌ ، واستقامَ ظاهرُهُ وباطنُهُ في العُبُوديَّةِ ، وغَمَرَ العلمُ والعملُ ظاهرَهُ وباطنَهُ ، وتَوطَّنَ حَظِيرةَ القُرْبِ[1] بنَفْسٍ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ مُتمسِّكةٍ بالاستكانةِ والافتقارِ ، مُتحقِّقةٍ بقولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِكَ ، وَلَا إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَأَضِيعَ ، اكْلَأْنِي كَلَاءَةَ الْوَلِيدِ ، وَلَا تَخَلَّ عَنِّي »[2] ، واللهُ أعلمُ[3] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ ، و ، ح) : (حضرة القرب) .

(٢) قال الغماري في « الغنية » (٢/ ٨٣٤ ـ ٨٣٥) : (لم أجده هٰكذا مجموعاً ، وعند البزار [كما في « كشف الأستار » (٣١٩٠)] من حديث ابن عمر : كان من دعائه صلَّى الله عليه وسلَّم : « اللهمَّ ؛ لا تَكِلْني إلىٰ نفسي طرفةَ عينٍ ، ولا تَنزِعْ منِّي صالحَ ما أعطيتَني » ، وسنده ضعيف ، وعند أحمد في « الزهد » [٥٠] ، وأبي يعلىٰ [٥٥٢٧] ، والعسكري في « الأمثال » ، والقضاعي في « مسند الشهاب » [١٤٨٤] من حديث ابن عمر أيضاً : أنَّهُ صلَّى الله عليه وسلَّم كان يقول في دعائه : « اللهمَّ ؛ واقيةً كواقيةِ الوليدِ ») .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً ، بلغ قراءةً) .

الباب الستون

في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب

قولهم في التوبة

قالَ رُوَيمٌ رحمَهُ اللهُ : (معنى التوبةِ : أنْ تتوبَ مِنَ التوبةِ)[1] .

قيلَ : معناهُ : قولُ رابعةَ : (أستغفرُ اللهَ مِنْ قِلَّةِ صِدْقِي في قولي : « أستغفرُ اللهَ »)[2] .

وسُئِلَ الحسنُ المَغَازِليُّ عنِ التوبةِ ؟ فقالَ : تسألُني عن توبةِ الإنابةِ أو توبةِ الاستجابةِ ؟

فقالَ السائلُ : ما توبةُ الإنابةِ ؟ فقالَ : أنْ تخافَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ أجلِ قُدْرتِهِ عليكَ .

قالَ : فما توبةُ الاستجابةِ ؟ قالَ : أنْ تستحييَ مِنَ اللهِ لقُرْبِهِ منكَ[3] .

---

(١) يعني : أن تتوبَ من نقض التوبة الأُولى . من هامش (ح) ، وقولُ رُوَيم أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٨) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨) ، وابن فورك في « الإبانة عن طرق القاصدين » (ص٣٦) .

(٢) رواه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات » (ص٢٩) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٨) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٤٨٤) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٢٤٤) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٨) .

وهـٰذا الذي ذَكَرَهُ مِنْ توبةِ الاستجابةِ إذا تحقَّقَ العبدُ بها ربَّما تابَ في صلاتِهِ مِنْ كلِّ خاطرٍ يُلِمُّ بهِ سوى اللهِ ، ويستغفرُ اللهَ منهُ ، وهـٰذهِ توبةٌ لازمةٌ لبواطنِ أهلِ القُرْبِ ، كما قيلَ[1] : [من الطويل]

إِذَا قُلْتُ مَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةً وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

قالَ ذو النُّونِ : (توبةُ العوامِّ : مِنَ الذنوبِ ، وتوبةُ الخواصِّ : مِنَ الغَفْلةِ ، وتوبةُ الأنبياءِ : مِنْ رُؤْيةِ عَجْزِهِم عن بلوغِ ما نالَهُ غيرُهُم)[2] .

سُئِلَ أبو محمَّدٍ سَهْلُ بنُ عبدِ اللهِ عنِ الرجلِ يتوبُ مِنَ الشيءِ ويتركُهُ ، ثمَّ يَخطُرُ ذلكَ الشيءُ بقلبِهِ أو يراهُ أو يسمعُ بهِ ، فيجدُ حَلاوتَهُ ، فقالَ : الحَلاوةُ طَبْعُ البَشَريَّةِ ، ولا بُدَّ مِنَ الطَّبْعِ ، وليسَ لهُ حيلةٌ إلا أنْ يرفعَ قلبَهُ إلىٰ مَوْلاهُ الكريمِ بالشَّكْوىٰ ، ويُنكِرَهُ بقلبِهِ ، ويُلزِمَ نَفْسَهُ الإنكارَ ولا يُفارِقَهُ ، ويدعوَ اللهَ تعالىٰ أنْ يُنسيَهُ ذلكَ ويُشغِلَهُ بغيرِهِ مِنْ ذكرِهِ وطاعتِهِ .

قالَ : وإنْ غَفَلَ عنِ الإنكارِ طَرْفةَ عينٍ . . أخافُ عليهِ ألَّا يسلمَ ، وتعملَ الحَلاوةُ في قلبِهِ ، ولـٰكنْ معَ وِجْدانِ الحَلاوةِ يُلزِمُ قلبَهُ الإنكارَ ويحزنُ ؛ فإنَّهُ لا يَضُرُّهُ[3] .

وهـٰذا الذي قالَهُ سَهْلُ بنُ عبدِ اللهِ . . كافٍ بالغٌ لكلِّ طالبٍ صادقٍ يُرِيدُ صِحَّةَ تَوبتِهِ .

---

(١) روى البيت ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٦/ ٥١) عن جارية من أهل بغداد .

(٢) أورده تامّاً الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٩٤) ، ودون قوله : (وتوبة الأنبياء . . .) أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٠١) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥١٠) .

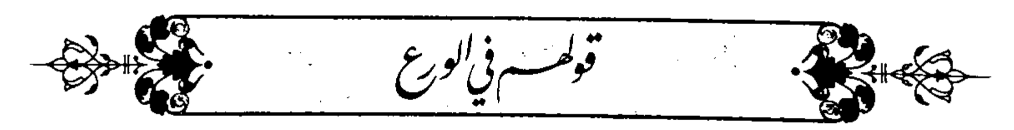
والعارفُ القويُّ الحالِ يتمكَّنُ مِنْ إزالةِ الحَلاوةِ عن باطِنِهِ ، ويَسهُلُ عليهِ ذلكَ ، وأسبابُ سهولةِ ذلكَ مُتنوِّعةٌ للعارفِ ، ومَنْ تمكَّنَ مِنْ قلبِهِ حَلاوةُ حُبِّ اللهِ الخاصِّ عن صفاءِ مُشاهَدةٍ وصِرْفِ يقينٍ . أيُّ حَلاوةٍ تبقىٰ في قلبِهِ ؟! وإنَّما حَلاوةُ الهوىٰ لعدمِ حَلاوةِ حُبِّ اللهِ تعالىٰ .

وسُئِلَ السُّوسيُّ عنِ التوبةِ ، فقالَ : التوبةُ مِنْ كلِّ شيءٍ ذمَّهُ العلمُ إلىٰ ما مدحَهُ العلمُ[1] .

وهٰذا وصفٌ يَعُمُّ الظاهرَ والباطنَ لمَنْ كُوشِفَ بصريحِ العلمِ ؛ لأنَّهُ لا بقاءَ للجهلِ معَ العلمِ ، كما لا بقاءَ للَّيلِ معَ طلوعِ الشمسِ ، وهٰذا يستوعبُ جميعَ أقسامِ التوبةِ بالوصفِ الخاصِّ والعامِّ .

وهٰذا العلمُ يكونُ علمَ الظاهرِ والباطنِ ؛ لتطهيرِ الظاهرِ والباطنِ بأَخصِّ أوصافِ التوبةِ وأعمِّ أوصافِها .

وقالَ أبو الحسينِ النُّوريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ : (التوبةُ : أنْ تتوبَ عن كلِّ شيءٍ سوى اللهِ تعالىٰ)[2] .



قولهم في الورع

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِلَاكُ دِينِكُمُ ٱلْوَرَعُ »[3] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٩٤) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ١٨٣) ، ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ٢٣٠) عن ابن عطاء الأدَمي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٨) ، والكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٦٩) إلىٰ طاهر المقدسي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه القضاعي في « المسند » (٤٠) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » =

(١٣٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعَةَ إجازةً[١] ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً[٢] ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميِّ ، قالَ : أخبرَنا أبو سعيدِ الخَلَّالُ ، قالَ : حدَّثني ابنُ قُتيبةَ ، قالَ : حدَّثَنا [عمرُو] بنُ عُثْمانَ[٣] ، قالَ : حدَّثَنا بَقِيَّةُ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي مريمَ ، عن حَبيبِ بنِ عُبيدٍ ، عن أبي الدَّرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ توضَّأَ علىٰ نَهَرٍ ، فلمَّا فَرَغَ مِنْ وضوئِهِ أَفْرغَ فَضْلَهُ في النهرِ وقالَ : « يُبْلِغُهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْماً يَنْفَعُهُمْ »[٤] .

قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا ينبغي لِمَنْ أَخَذَ بالتقوىٰ ووَزَنَ بالورعِ أنْ يَذِلَّ لصاحبِ دنيا)[٥] .

= (١٠١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ورواه ابن عبد البر أيضاً (١٠٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٦٣٩) ، وابن عبد البر (٩٦) مرسلاً عن عمرو بن قيس المُلائي ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٣٨) .

(١) سقط التصريح بالإجازة من (د ، هـ ، و) .

(٢) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، ج ، و ، ز) .

(٣) في النسخ : (عمر) بدل (عمرو) ، وفي « الزهد الكبير » : (عمران) ، ولعل الصواب ما أثبت . انظر « تهذيب الكمال » (٤/ ١٩٥) في ترجمة بقية بن الوليد .

(٤) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٧٩) من طريق أبي عبد الرحمـٰن السلمي ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٤٦٩) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥/ ١١٠) ، وفي (أ) : (أقواماً أخر) بدل (قوماً) ، وفي (ج) : (قوماً آخرين) ، وفي (ح) : (قوماً آخَرَ) .

(٥) أورده ابن الجوزي في « مناقب عمر بن الخطاب » (ص١٧٢) عن عبيد بن عمير عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٥٦) ، وأورده ابن أبي الدنيا في « القناعة والتعفف » (٨٩) عن عبد الله بن عبيد بن عمير من قوله رحمه الله تعالىٰ .

قالَ معروفٌ الكَرْخيُّ رحمَهُ اللهُ : (احفَظْ لسانَكَ مِنَ المدحِ كما تحفظُهُ مِنَ الذمِّ)[1] .

نُقِلَ عنِ الحارثِ بنِ أسدٍ المُحاسِبيِّ أنَّهُ كانَ علىٰ طَرَفِ إصبَعِهِ الوُسْطىٰ عِرْقٌ ، إذا مَدَّ يدَهُ إلىٰ طعامٍ فيهِ شُبْهةٌ ضَرَبَ عليهِ ذلكَ العِرْقُ[2] .

سُئِلَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ عنِ الورعِ ، فقالَ : الوَرَعُ : أنْ تتورَّعَ أنْ يتشتَّتَ قلبُكَ عنِ اللهِ طَرْفةَ عينٍ[3] .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٠٧) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٣٢٨) .

(٢) نقله أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٠ـ٧١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٢٩) ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٧٤) بإسناده إلى الجنيد قال : (كان الحارث كثيرَ الضُّرِّ ، فاجتاز بي يوماً وأنا جالسٌ علىٰ بابنا ، فرأيتُ في وجهه زيادةَ الضُّرِّ من الجوع ، فقلتُ له : يا عمِّ ؛ لو دخلتَ إلينا نِلْتَ من شيء عندَنا ، فقال : أَوَتفعلُ ؟ قلتُ : نعم وتَسُرُّني بذلك وتَبَرُّني ، فدخلتُ بين يديه ودخل معي ، وعَمَدتُ إلىٰ بيت عمِّي وكان أوسعَ من بيتنا لا يخلو من أطعمةٍ فاخرة لا يكونُ مثلُها في بيتنا سريعاً ، فجئتُ بأنواعٍ كثيرة من الطعام فوضعتُهُ بين يديه ، فمدَّ يده وأخذ لُقْمةً فرفعها إلىٰ فيه ، فرأيتُهُ يَلُوكُها ولا يَزْدَرِدُها ، فخرج وما كلَّمني ، فلمَّا كان الغدُ لَقِيته ، فقلت : يا عمِّ ؛ سَرَرْتني ثمَّ نغَّصتَ عليَّ ، فقال : أمَّا الفاقة فكانت شديدةً ، وقد اجتهدتُ أن أنال من الطعام الذي قدَّمتَهُ إليَّ ، ولـٰكن بيني وبين الله علامة إذا لم يكنِ الطعامُ عند الله مرضيّاً ارتفع إلىٰ أنفي [منهُ زفرةٌ] ، فلم تقبله نفسي ، فقد رَمَيتُ بتلك اللُّقمة في دِهْليزكم وخرجت) ، وأورد القشيري نحو هـٰذه القصَّة في « رسالته » (ص١٢٠) ، وذكر أنَّهُ دعاه مرة أخرىٰ ، فقدَّم إليه كِسَراً كانت عنده ، فأكل وقال : (إذا قدَّمت إلىٰ فقيرٍ شيئاً . . فقدِّم مثلَ هـٰذا) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧١) ، ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥٧) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٢٦) بلفظ : (الورع : أن تتورَّع عن كلِّ ما سوى الله) .

وقالَ أبو سُلَيمانَ الدارانيُّ : (الوَرَعُ أوَّلُ الزُّهْدِ ، كما أنَّ القناعةَ طَرَفٌ مِنَ الرِّضا)[1] .

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرازيُّ : (الوَرَعُ : الوقوفُ على حدِّ العلمِ مِنْ غيرِ تأويلٍ)[2] .

سُئِلَ الخَوَّاصُ عنِ الوَرَعِ ، فقالَ : ألَّا يتكلَّمَ العبدُ إلا بالحقِّ ، غَضِبَ أو رَضِيَ ، وأنْ يكونَ اهتمامُهُ بما يُرضِي اللهَ[3] .

(١٤٠) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً[4] ، عنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ الحسنَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ محمَّدَ بنَ داودَ الدِّينَوَريَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ الجلَّا يقولُ : (أعرفُ مَنْ أقامَ بمكَّةَ ثلاثينَ سنةً لم يشربْ مِنْ ماءِ زمزمَ إلا ما استقاهُ برَكْوتِهِ ورِشَائِهِ ، ولم يتناولْ مِنْ طعامٍ جُلِبَ مِنْ مِصْرٍ شيئاً)[5] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٥٧) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٣٣) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٨) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٣٢٦) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٢٨٥) ، ومن طريقه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٦٠) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/ ٨) .

(٤) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، د) .

(٥) رواه من طريق السلمي البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٥٠) ، و« الشعب » (٥٤٠٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٢٦ـ٣٢٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٨٩) ، وقولُهُ : (جُلِبَ من مِصْرٍ) ؛ يعني : لا يأكل الطعام الذي جاء من سائر البلاد والمدن .

وقالَ الخَوَّاصُ : (الوَرَعُ دليلُ الخوفِ ، والخوفُ دليلُ المعرفةِ ، والمعرفةُ دليلُ القُرْبةِ)[1] .

قولهم في الزهد

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (الزهدُ : خُلُوُّ الأيدي مِنَ الأملاكِ ، والقلوبِ مِنَ التتبُّعِ)[2] .

وسُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ الزهدِ ، فقالَ : لا زهدَ في الحقيقةِ ؛ لأنَّهُ إمَّا أنْ يَزهَدَ فيما ليسَ لهُ ، فليسَ ذلكَ بزهدٍ ، أو يَزهَدَ فيما هوَ لهُ ، فكيفَ يَزهَدُ فيهِ وهوَ معَهُ وعندَهُ ؟! فليسَ إلا ظَلْفُ النَّفْسِ وبَذْلٌ ومُواساةٌ[3] .

يُشِيرُ : إلى الأقسامِ التي سَبَقَ بها الأقلامُ ، وهـٰذا لوِ اطَّردَ لَهَدَمَ قاعدةَ الاجتهادِ والكسبِ ، ولـٰكنَّ مقصودَ الشِّبْليِّ : أنْ يُقلِّلَ الزهدَ في عينِ المُعتدِّ بالزهدِ ؛ لئلا يغترَّ بالزهدِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا رَأَيْتُمُ ٱلرَّجُلَ قَدْ أُوتِيَ زُهْداً فِي ٱلدُّنْيَا وَمَنْطِقاً . فَٱقْرُبُوا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ يُلَقَّى ٱلْحِكْمَةَ »[4] .

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٤) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٠٩) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٢) ، وفيه : (من الطمع) بدل (من التتبع) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) ، والظَّلْف : المنع والكف ، وفي (أ ، ب) : (صلف النفس) بدل (ظلف النفس) ، وفي (د) : (خلاف النفس) .

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠١) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٦٩٠) عن سيدنا أبي خلَّاد رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٨٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٦٣١) ، ومن طريق الطبراني أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٣١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيها جميعاً : (وقلة منطق) بدل =

وقد سمَّى اللهُ تعالى الزاهدينَ علماءَ في قصَّةِ قارونَ ؛ فقالَ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ [القصص : ٨٠] ؛ قيلَ : همُ الزاهدونَ[١] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (للعقلِ ألفُ اسمٍ ، ولكلِّ اسمٍ منهُ ألفُ اسمٍ ، وأوَّلُ كلِّ اسمٍ منهُ تركُ الدنيا) .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ [السجدة : ٢٤] ؛ قيلَ : عنِ الدنيا[٢] .

وفي الخبرِ : « ٱلْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ ٱلرُّسُلِ ، مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي ٱلدُّنْيَا ، فَإِذَا دَخَلُوا فِي ٱلدُّنْيَا فَٱحْذَرُوهُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ »[٣] .

وجاءَ في الأثرِ : « لَا تَزَالُ (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) تَدْفَعُ عَنِ ٱلْعِبَادِ سَخَطَ ٱللهِ ، مَا لَمْ يُبَالُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ معَ سلامةِ دينِهِم ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ[٤] وَقَالُوا :

= (ومنطق) ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٤٠) .

(١) أورده الفيروزابادي في « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » (ص٣٣١) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦٨٠) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٠/ ١٩٥) من تفسير وكيع رحمه الله تعالىٰ ، والدينوري المالكي في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢١٦) من تفسير الحسن بن صالح بن حي رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « النكت والعيون » (٤/ ٣٦٦) ، و« الدر المنثور » (٦/ ٥٥٦) .

(٣) رواه الديلمي في « الفردوس » (٤٢١٠) ، والرافعي في « تاريخ قزوين » (٢/ ٤٤٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٦/ ١٢٥ـ١٢٦) ، و« غنية العارف » (٢/ ٨٤١) .

(٤) أي : بالوا ما نقص من دنياهم . من هامش (ح) .

(لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) . قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : كَذَبْتُمْ ، لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ »[1] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أعمالُ البرِّ كلُّها في موازينِ الزُّهَّادِ ، وثوابُ زُهْدِهِم زيادةٌ لهُم)[2] .

وقيلَ : (مَنْ سُمِّيَ باسمِ الزهدِ في الدنيا .. فقد سُمِّيَ بألفِ اسمٍ محمودٍ ، ومَنْ سُمِّيَ باسمِ الرَّغْبةِ في الدنيا .. فقد سُمِّيَ بألفِ اسمٍ مذمومٍ)[3] .

وقالَ السَّرِيُّ رحمَهُ اللهُ : (الزهدُ : تركُ حُظُوظِ النَّفْسِ مِنْ جميعِ ما في الدنيا) ، ويجمعُ هـٰذا : الحُظُوظَ الماليَّةَ والجاهيَّةَ ، وحُبَّ المنزلةِ عندَ الناسِ ، وحُبَّ المَحْمَدةِ والثناءِ مِنَ الخَلْقِ .

وسُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ الزهدِ وعن حقيقتِهِ ، فقالَ : الزهدُ غَفْلةٌ ؛ لأنَّ الدنيا لا شيءَ ، والزُّهْدُ في لا شيءَ غَفْلةٌ[4] .

وقالَ بعضُهُم : (لمَّا رَأَوْا حقارةَ الدنيا زَهِدُوا في زهدِهِم في الدنيا ؛ لهوانِها عندَهُم)[5] .

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٩٠) ، وابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٦) ، وابن أبي عاصم في « الزهد » (٢٨٨) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠١٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والبزار في « المسند » (٨٣٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٤٣) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٢٤٣) ط . دار صادر .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٢) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٣) .

(٥) انظر « اللمع » (ص٧٣) .

قالَ الشيخُ رحمَهُ اللهُ : وعندي : أنَّ الزهدَ في الزهدِ غيرُ هـٰذا ، وإنَّما الزهدُ في الزهدِ : بالخروجِ مِنَ الاختيارِ في الزهدِ ؛ لأنَّ الزاهدَ اختارَ الزهدَ وأرادَهُ ، وإرادتُهُ تستندُ إلىٰ علمِهِ ، وعلمُهُ قاصرٌ ، فإذا أُقيمَ في مُقامِ تركِ الإرادةِ وانسلخَ مِنِ اختيارِهِ . . كاشفَهُ اللهُ تعالىٰ بمُرادِهِ ، فيتركُ الدنيا بمُرادِ الحقِّ لا بمُرادِ نَفْسِهِ ، فيكونُ زُهْدُهُ باللهِ تعالىٰ حينَئذٍ ، أو يعلمُ أنَّ مُرادَ اللهِ منهُ التَّلَبُّسُ بشيءٍ مِنَ الدنيا ، فما يدخلُ باللهِ في شيءٍ مِنَ الدنيا لا يَنقُضُ عليهِ زهدَهُ ، فيكونُ دخولُهُ في الشيءِ مِنَ الدُّنْيا باللهِ وبإذنٍ منهُ زهداً في الزهدِ .

والزاهدُ في الزهدِ استوىٰ عندَهُ وجودُ الدنيا وعدمُها ؛ إن تركَها تركَها باللهِ ، وإنْ أخذَها أخذَها باللهِ ، وهـٰذا هوَ الزهدُ في الزهدِ ، وقد رَأَيْنا مِنَ العارفينَ مَنْ أُقيمَ في هـٰذا المُقامِ .

وفوقَ هـٰذا المقامِ مقامٌ آخَرُ في الزهدِ ؛ وهوَ لِمَنْ يَرُدُّ الحقُّ إليهِ اختيارَهُ لسَعَةِ علمِهِ وطهارةِ نَفْسِهِ في مقامِ البقاءِ ، فيزهَدُ زهداً ثالثاً ، ويتركُ الدنيا بعدَ أنْ مُكِّنَ مِنْ ناصيتِها ، وأُعِيدَتْ عليهِ موهبةً ، ويكونُ تركُهُ للدنيا في هـٰذا المقامِ باختيارِهِ ، واختيارُهُ مِنِ اختيارِ الحقِّ .

فقد يختارُ تركَها حِيناً ؛ تأسِّياً بالأنبياءِ والصالحينَ ، ويرىٰ أنَّ أخذَها في مقامِ الزهدِ في الزهدِ رِفْقٌ أُدخِلَ عليهِ لمَوضِعِ ضعفِهِ عن دركِ شَأْوِ الأقوياءِ مِنَ الأنبياءِ والصِّدِّيقينَ[1] ، فيتركُ الرِّفْقَ مِنَ الحقِّ بالحقِّ للحقِّ .

وقد يتناولُهُ باختيارِهِ ؛ رِفْقاً بالنَّفْسِ بتدبيرٍ يَسُوسُهُ فيهِ صريحُ العلمِ ،

---

(١) الشَّأو : الغاية والنهاية .

وهـٰذا مقامُ التصرُّفِ لأقوياءِ العارفينَ ؛ زَهِدُوا ثالثاً باللهِ ، كما رَغِبُوا ثانياً باللهِ ، كما زَهِدُوا أوّلاً للهِ صدقاً وإخلاصاً[1] .

قولهم في الصبر

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ : (الصبرُ : انتظارُ الفرجِ مِنَ اللهِ ، وهوَ أفضلُ الخِدْمةِ وأَعْلاها)[2] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الصبرُ : أنْ تصبرَ في الصبرِ) ؛ أي : لا تُطالِعَ فيهِ الفرجَ[3] .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقيلَ : (لكلِّ شيءٍ جوهرٌ ، وجوهرُ الإنسانِ العقلُ ، وجوهرُ العقلِ الصبرُ)[4] .

فالصبرُ عَرْكُ النَّفْسِ ، وبالعَرْكِ تَلِينُ ، والصبرُ جارٍ في الصابرِ مَجْرى الأنفاسِ ؛ لأنَّهُ يحتاجُ إلى الصبرِ عن كلِّ شيءٍ مَنْهِيٍّ ومكروهٍ ومذمومٍ ظاهراً

---

(١) قوله : (صدقاً وإخلاصاً) زيادة من (و) ، وهي في نسخة علىٰ هامش (أ) بعد قوله : (ثانياً بالله) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) ، وجاء في بعض النسخ : (الفرح) بدل (الفرج) .

(٣) أورده مع التفسير الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) .

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٠٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٥٨) .

وباطناً ، والعلمُ يَدُلُّ والصبرُ يقبلُ ، ولا تنفعُ دَلالةُ العلمِ بغيرِ قَبولِ الصبرِ ، ومَنْ كانَ العلمُ سائسَهُ في الظاهرِ والباطنِ . . لا يَتِمُّ لهُ ذلكَ إلا إذا كانَ الصبرُ مُستقرَّهُ ومَسكنَهُ .

والعلمُ والصبرُ مُتلازِمانِ كالرُّوحِ والجسدِ ، لا يَستقِلُّ أحدُهُما بدونِ الآخَرِ ، ومصدرُهُما الغَرِيزةُ العقليَّةُ ، وهما مُتقارِبانِ ؛ لاتِّحادِ مصدرِهِما ، وبالصبرِ تحاملٌ على النَّفْسِ ، وبالعلمِ تَرَقٍّ إلى الرُّوحِ ، وهما البرزخُ والفُرْقانُ بينَ الرُّوحِ والنَّفْسِ(١) ؛ ليستقرَّ كلُّ واحدٍ منهُما في مُستقَرِّهِ ، وفي ذلكَ صريحُ العَدْلِ وصِحَّةُ الاعتدالِ ، وبانفصالِ أحدِهِما عنِ الآخَرِ ـ أعني : العلمَ والصبرَ ـ مَيْلُ أحدِهِما على الآخرِ ؛ أعني : النَّفْسَ والرُّوحَ ، وبيانُ ذلكَ يَدِقُّ .

وناهيكَ بشَرَفِ الصَّبْرِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] !! كلُّ أجيرٍ أجرُهُ بحسابٍ ، وأجرُ الصابرِ بغيرِ حسابٍ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّه عليهِ السلامُ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ؛ أضافَ الصبرَ إلىٰ نَفْسِهِ ؛ لشريفِ مكانِهِ وتكمُّلِ النعمةِ بهِ .

قيلَ : وَقَفَ رجلٌ على الشِّبْليِّ ، فقالَ : أيُّ صبرٍ أَشَدُّ على الصابرينَ ؟

---

(١) البرزخ في الأصل : هو الحائل بين الشيئين ، ويُعبَّرُ عنه عن عالَم المثال الحاجز بين الأجسام الكثيفة وعالَمِ الأرواح المُجرَّدة ؛ أعني : الدنيا والآخرةَ ؛ ومنه الكشفُ الصُّوري . من « الاصطلاحات » ، والفُرْقان : هو العِلْم التفصيليُّ الفارق بين الحقِّ والباطل . من هامش (ح) .

فقالَ : الصبرُ في اللهِ[1] ، فقالَ : لا ، فقالَ : الصبرُ للهِ[2] ، فقالَ : لا ، فقالَ : الصبرُ معَ اللهِ[3] ، فقالَ : لا .

فغَضِبَ الشِّبْليُّ وقالَ : وَيْحَكَ أَيْشٍ هوَ ؟ فقالَ الرجلُ : الصبرُ عنِ اللهِ[4] ، قالَ : فصَرَخَ الشِّبْليُّ صرخةً كادَ أنْ يَتْلَفَ رُوحُهُ[5] .

وعندي في معنى الصبرِ عنِ اللهِ وجهٌ ، ولكونِهِ مِنْ أشدِّ الصبرِ على الصابرينَ وجهٌ ؛ وذلكَ أنَّ الصبرَ عنِ اللهِ يكونُ في أَخَصِّ مقاماتِ

---

(١) هو الثبات في سلوك طريق الحقِّ ، وتوطينُ النَّفْس من المجاهدة بالاختيار وتركِ المألوفات واللَّذَّات ، وتحمُّلِ البَلِيَّات ، وقوَّةُ العزيمة في التوجُّه إلى مَنْبَع الكمالات ، وهو من مقام السالكين ، [يَهَبُهُ اللهُ] لِمَنْ يشاء من فضله من أهل الطريقة . من هامش (ح) .

(٢) هو من لوازم الإيمان ، وأول درجات أهل الإسلام ، وقال النبيُّ عليه السلام : « الإيمانُ نصفان ؛ نصفٌ صبرٌ ، ونصف شكرٌ » ؛ وهو حبسُ النفس عن الجزع عند فوات مرغوبٍ أو وقوع مكروهٍ ، وهو من فضائل الأخلاق الموهوبة من فضل الله لأهل دينه وطاعته المُقتضي للثواب الجزيل . من هامش (ح) .

(٣) هو لأهل الحضور والكشفِ عند التجرُّدِ [عن] ملابس الأفعال [والصفات] ، والتعرُّضِ لتجلِّيات الجمال والكمال ، [وتواردِ] واردات الأُنْس والهَيْبة ، فهو بحضور القلب لِمَنْ كان له قلبٌ ، والاحتراسِ عن الغفلة والغَيبة عند التلوينات لظهور النفس ، وهو أَشَقُّ على النفس من الضرب على الهامِ وإن كان لذيذاً جدّاً . من هامش (ح) .

(٤) هو لأهل العِيان والمشاهدة من العُشَّاق المشتاقينَ المُتقلِّبينَ في أطوار التجلِّي ، المُتَخَلِّفين عن الناسوت ، المُتنوِّرين بنور اللاهوت ، ما بقي لهم قلبٌ ولا وصف ، [كلَّما] لاح لهم نورٌ من سُبُحات أنوار الجمال . . احترقوا وتفانَوا ، وكلَّما ضُرِبَ بهم حجابٌ ورَّد وجودهم تشريفاً وتعظيماً . . ذاقوا مِنْ أَلَمِ الشوقِ وحركة الفُرْقة ما يُحِيلُ به صبرَهُم ويُحقِّق موتَهُم ، وهو [من] أحوال المُحبِّين . من هامش (ح) .

(٥) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٤١) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٦) .

المُشاهَدةِ ، يرجعُ العبدُ عن مَوْلاهُ استحياءً وإجلالاً ، وتنطبقُ بصيرتُهُ خَجَلاً وذَوَباناً، ويتغيَّبُ في مَفاوِزِ استكانتِهِ وتَخَفِّيهِ ؛ لإحساسِهِ بعظيمِ أمرِ التَّجَلِّي .

وهٰذا مِنْ أشدِّ الصبرِ ؛ لأنَّهُ يَوَدُّ استدامةَ هٰذا الحالِ ؛ تأديةً لحقِّ الجلالِ ، والرُّوحَ تَوَدُّ أنْ تكتحلَ بصيرتُها باسْتِلْماعِ نُورِ الجمالِ ، وكما أنَّ النَّفْسَ مُنازِعةٌ لعمومِ حالِ الصبرِ . فالرُّوحُ في هٰذا الصبرِ مُنازِعةٌ ، **فاشتدَّ الصبرُ عنِ اللهِ تعالىٰ لذلكَ** .

وقالَ أبو الحسنِ بنُ سالمٍ : (هم ثلاثةٌ : مُتصبِّرٌ ، وصابرٌ ، وصَبَّارٌ ؛ **فالمُتصبِّرُ** : مَنْ صَبَرَ في اللهِ ؛ فمرَّةً يصبرُ ، ومرَّةً يجزعُ[1] .

والصابرُ : مَنْ يصبرُ في اللهِ وللهِ ، ولا يجزعُ ، ولٰكن يُتوقَّعُ منهُ الشَّكْوىٰ ، وقد يُمكِنُ منهُ الجَزَعُ .

وأمَّا الصَّبَّارُ ؛ فذلكَ الذي صبرُهُ في اللهِ وللهِ وباللهِ ، **فهٰذا لو وَقَعَ عليهِ جميعُ البلايا** لا يجزعُ ولا يتغيَّرُ مِنْ جهةِ الوجوبِ والحقيقةِ ، لا مِنْ جهةِ الرَّسْمِ والخِلْقةِ)[2] .

وإشارتُهُ في هٰذا : إلىٰ ظهورِ حُكْمِ العلمِ فيهِ معَ ظهورِ صفةِ الطَّبيعةِ[3] .

وكانَ الشِّبْليُّ يتمثَّلُ بهٰذَينِ البيتَينِ[4] : [من الخفيف]

---

(١) في (د ، ي) و« اللمع » : (يَعجِز) .

(٢) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٦ـ٧٧) .

(٣) في (ب) : (بقية صفة الطبيعة) بدل (صفة الطبيعة) .

(٤) عزا السلمي البيت الثاني في « تفسيره » (٢/ ١٩٤) إلىٰ ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ ، وروى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٣٤) عن ذي النون المصري أنه=

إِنَّ صَوْتَ ٱلْمُحِبِّ مِنْ أَلَمِ ٱلشَّوْ ـقِ وَخَوْفِ ٱلْفِرَاقِ يُورِثُ ضُرَّا

صَابَرَ ٱلصَّبْرَ فَٱسْتَغَاثَ بِهِ ٱلصَّبْـ ـرُ فَصَاحَ ٱلْمُحِبُّ لِلصَّبْرِ صَبْرَا[1]

قالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أَمَرَ اللهُ تعالىٰ أنبياءَهُ بالصبرِ ، وجعلَ الحظَّ الأَعْلىٰ للرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ حيثُ جعلَ صبرَهُ باللهِ لا بنَفْسِهِ ؛ فقالَ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧])[2] .

وسُئِلَ السَّرِيُّ رحمَهُ اللهُ عنِ الصبرِ ، فتكلَّمَ فيهِ ، فدَبَّ علىٰ رِجْلِهِ عقربٌ ، فجعلَ يضربُهُ بإبرتِهِ ، فقيلَ لهُ : لمَ لا تدفعُهُ ؟ قال : أستحيي مِنَ اللهِ أنْ أتكلَّمَ في حالٍ ثمَّ أُخالِفَ ما أتكلَّمُ فيهِ[3] .

= كان له عصاً مكتوبٌ عليها هـٰذان البيتان ، وزاد قبلهما :

عَبَـراتٌ كَتَبْـنَ فـي الخـدِّ سَطْـرَا قـد قَـرَاهُ مَنْ ليسَ يُحسِـنُ يَقْـرَا

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٧) ، وزاد بيتاً ذكرته في التعليق السابق .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٧٩) إلىٰ قوله : (للرسول صلى الله عليه وسلم) ، ونسب الباقي إلىٰ سهل التستري رحمه الله تعالىٰ ، وبداية قوله : (واعلم : أنه لا معين على الصبر إلا الله ؛ حيث جعل صبره . . .) ، فما أورده المؤلف مُركَّبٌ من قولين ، والصبر بالله : هو لأهل التمكين في مقام الاستقامة الذين أفناهم اللهُ بالكُلِّيَّة وما ترك عليهم شيئاً من بقيَّة الإنِّيَّة والاثْنِينِيَّة ، ثمَّ وهب [لهم] وجوداً من [ذاته] حتىٰ قاموا به وفعلوا بصفاته ، وهو من أخلاق الله تعالىٰ ليس لأحد فيه نصيب ؛ ولهـٰذا أمره به ، ثمَّ بَيَّنَ أنَّ ذلك الصبرَ الذي أمرتُ به ليس من سائر أقسام الصبر حتىٰ يكونَ بنفسك أو بقلبك ، بل هو صبري ؛ لا [تُباشِرُهُ] إلا بي ، ولا [تُطِيقُهُ] إلا [بقوَّتي] ، ولعدم وفاء قوَّتِهِ بهـٰذا الصبر قال : « شيَّبتني سورةُ هودٍ » ، ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الحجر : ٨٨] بالتلوين بظهور القلب بصفته ؛ لأنَّ صاحبَ هـٰذا الصبر يرى الأشياءَ بعين الحقِّ ؛ فكلُّ ما يَصدُرُ عنهم يراه فعلَ الله ، [وكلُّ] صفة تظهر عليهم تَجَلِّياً من تجلِّياته . من هامش (ح) .

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ١١١) .

(١٤١) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً[١] ، عن أبي بكرِ بنِ خَلَفٍ إجازةً ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميِّ قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ خالدٍ يقولُ : سمعتُ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ الجُنيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ أَكْرمَ المُؤمنينَ بالإيمانِ ، وأَكْرمَ الإيمانَ بالعقلِ ، وأَكْرمَ العقلَ بالصبرِ ؛ فالإيمانُ زينُ المؤمنِ ، والعقلُ زينُ الإيمانِ ، والصبرُ زينُ العقلِ)[٢] .

وأُنشِدَ عن إبراهيمَ الخوَّاص رحمَهُ اللهُ[٣] : [من الطويل]

صَبَرْتُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَذَىٰ خَوْفَ كُلِّهِ ... وَدَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي لِنَفْسِي فَعَزَّتِ

وَجَرَّعْتُهَا ٱلْمَكْرُوهَ حَتَّىٰ تَدَرَّبَتْ ... وَلَوْ لَمْ أُجَرِّعْهَا إِذاً لَٱشْمَأَزَّتِ

أَلَا رُبَّ ذُلٍّ سَـاقَ لِلنَّفْـسِ عِـزَّةً ... وَيَـا رُبَّ نَفْـسٍ بِـٱلتَّـذَلُّـلِ عَـزَّتِ

إِذَا مَا مَدَدْتُ ٱلْكَفَّ أَلْتَمِسُ ٱلْغِنَىٰ ... إِلَىٰ غَيْرِ مَنْ قَالَ ٱسْأَلُونِي فَشَلَّتِ

سَأَصْبِرُ جَهْدِي إِنَّ فِي ٱلصَّبْرِ عِزَّةً ... وَأَرْضَىٰ بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتِ

وَمَا ٱلنَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا ٱلْفَتَىٰ ... فَإِنْ أُطْمِعَتْ تَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ

قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ : (ما أَنْعَمَ اللهُ علىٰ عبدٍ مِنْ نعمةٍ ثمَّ انتزعَها منهُ ، فعاضَهُ ممَّا انتزعَ منهُ الصبرَ . . إلا كانَ ما عاضَهُ خيراً ممَّا انتزعَ منهُ)[٤] .

---

(١) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ ، وكذلك في الراوي بعدُ .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ح) : (دين) بدل (زين) في المواضع الثلاثة .

(٣) نقل الأبيات الرافعي في « التدوين » (٢/ ٩٩) بإسناد السلمي في كتابه « المقامات » إلى الخوَّاص ، وأوردها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧١/ ٢٥) ، وروى الأبيات الثلاثة الأولى السلمي في « آداب الصحبة » (٤٩) من إنشاد عبد الحميد بن عبد الرحمـٰن القاضي ، ويُروى البيت الأخير لسيدنا عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصبر والثواب عليه » (٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » =

وأُنشِدَ لسُمْنونٍ[1] : [من الطويل]

تَجَرَّعْتُ مِنْ حَالَيْهِ نُعْمَىٰ وَأَبْؤُسَا ... زَمَانٌ إِذَا أَجْرَىٰ عَزَالَيْهِ إِحْتَسَىٰ[2]

فَكَمْ غَمْرَةٍ قَدْ جَرَّعَتْنِي كُؤُوسَهَا ... فَجَرَّعْتُهَا مِنْ بَحْرِ صَبْرِيَ أَكْؤُسَا

تَدَرَّعْتُ صَبْرِيَ وَٱلْتَحَفْتُ صُرُوفَهُ ... وَقُلْتُ لِنَفْسِي ٱلصَّبْرَ أَوْ فَٱهْلِكِي أَسَىٰ

خُطُوبٌ لَوَ ٱنَّ ٱلشُّمَّ زَاحَمْنَ خَطْبَهَا ... لَسَاخَتْ وَلَمْ تُدْرِكْ لَهَا ٱلْكَفُّ مَلْمَسَا[3]

قولهم في الفقر

قالَ ابنُ الجَلَّا : (الفقرُ : أَلَّا يكونَ لكَ ، فإذا كانَ لا يكونُ لكَ)[4] ؛ يعني : تُؤْثِرُهُ .

وقالَ الكَتَّانيُّ : (إذا صحَّ الافتقارُ إلى اللهِ . . صحَّ الغِنىٰ باللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّهما حالانِ لا يَتِمُّ أحدُهُما إلا بالآخَرِ)[5] .

= (٥/ ٢٩٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٥٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥/ ٢٣٠_٢٣١) .

(١) أورد الأبيات الكلاباذي في « التعرف » (ص١١١) .

(٢) قوله : (زمان) ضبطت في (و) بالنصب منونة ، وأشير إلىٰ نسخة في الهامش مضبوطة بالجر والرفع منونة ، والعَزَالين : مُثنَّىٰ (عَزْلاء) ، والجمع : (عَزَالي) و(عَزَالَىٰ) ؛ وهي فمُ المزادة الأسفل ، وانظر « حسن التصرف » (ق/ ٩٩) .

(٣) الشُّمُّ : جمع (أَشَمَّ) ؛ وهو الجبل العالي .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٥) ، والكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢) ، وزاد السرَّاج : (ومِنْ حيثُ لم يكن لك لم يكن لك) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٥٧) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢) ، وهو في « الرسالة القشيرية » (ص٥٧٣) مروي عن الجنيد أو الفرغاني رحمهما الله تعالىٰ .

وقالَ النُّوريُّ : (نعتُ الفقيرِ : السُّكونُ عندَ العَدَمِ ، والبَذْلُ عندَ الوجودِ)[1] .

وقالَ غيرُهُ : (والاضطرابُ عندَ الوجودِ)[2] .

وقالَ الدَّرَّاجُ : فتَّشتُ كِنْفَ أُسْتاذي أُريدُ مُكْحُلَةً[3] ، فوجدتُ فيها قطعةً[4] ، فتحيَّرتُ ، فلمَّا جاءَ قلتُ لهُ : إنِّي وجدتُ في كِنْفِكَ قطعةً ، قالَ : قد رأيتَها ؟! رُدَّها ، ثمَّ قالَ : خُذْها واشترِ بها شيئاً ، فقلتُ : ما كانَ أمرُ هـٰذهِ القطعةِ بحقِّ معبودِكَ ؟ فقالَ : ما رَزَقَني اللهُ مِنَ الدنيا صَفْراءَ ولا بيضاءَ غيرَها ، فأردتُ أنْ أُوصِيَ أنْ تُشَدَّ في كَفَني فأَرُدَّها إلى اللهِ[5] .

قالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : (الفقرُ رداءُ الشَّرَفِ ، ولباسُ المُرسلينَ ، وجِلْبابُ الصالحينَ)[6] .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٧٨) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (١/ ٢٧٩) إلىٰ إبراهيم الخواص رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٣٠) عن أبي سعيد بن الأعرابي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) الكِنْف في الأصل : وعاء تكون فيه أداة الراعي ، وبتصغيره جاء الأثر : (كُنَيفٌ مُلِئَ عِلْماً) .

(٤) في « التعرف » : (قطعة فضة) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٢ـ ١١٣) ، وفي (ج) : (يُسَد) بدل (تُشَد) .

(٦) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٤) ، وبنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٨) ، وزاد السرَّاج : (وتاج المُتَّقين ، وزَيْنُ المؤمنين ، وغنيمة العارفين ، ومُنية المريدين ، وحِصْن المطيعين ، وسجن المذنبين ، ومُكفِّرٌ للسيِّئات ، =

وسُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ عنِ الفقيرِ الصادقِ ، فقالَ : لا يسألُ ، ولا يَرُدُّ ، ولا يحبسُ[1] .

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ رحمَهُ اللهُ : سألَني الزَّقَّاقُ فقالَ : يا أبا عليٍّ ؛ لِمَ تَرَكَ الفقراءُ أَخْذَ البُلْغةِ في وقتِ الحاجةِ[2] ؟ قالَ : قلتُ : لأنَّهُم مُستغنُونَ بالمُعطِي عنِ العطايا ، قالَ : نعم ، ولكنْ وَقَعَ لي شيءٌ آخَرُ ، فقلتُ : هاتِ أَفِدْني ما وَقَعَ لكَ ، قالَ : لأنَّهُم قومٌ لا ينفعُهُمُ الوجودُ ؛ إذِ اللهُ فاقتُهُم ، ولا تَضُرُّهُمُ الفاقةُ ؛ إذِ اللهُ وجودُهُم[3] .

قالَ بعضُهُمُ : (الفقرُ : وقوفُ الحاجةِ على القلبِ ، ومَحْوُها عمَّا سوى الرَّبِّ) .

وقالَ المُسُوحيُّ : (الفقيرُ : الذي لا تُغنِيهِ النِّعَمُ ، ولا تُغيِّرُهُ المِحَنُ) .

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ : (حقيقةُ الفقرِ : أَلَّا يستغنيَ إلا باللهِ ، ورسمُهُ : عَدَمُ الأسبابِ كلِّها)[4] .

وقالَ أبو بكرٍ الطُّوسيُّ : بَقِيتُ مُدَّةً أسألُ عن معنى اختيارِ أصحابِنا لهذا

= ومُعظِمٌ للحسنات ، ورافع للدرجات ، ومُبلِغٌ إلى الغايات ، ورضا الجبَّار ، وكرامةٌ لأهل ولايته من الأبرار ، والفقرُ هو شعار الصالحين ، ودأب المتقين) ، وزاد أيضاً الخركوشي مع اختلاف كثير مع عبارة « اللمع » .

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٥) ، وروى القشيري في « الرسالة » (ص٤٠٨) أنَّهُ قاله في علامة المُتوكِّل .

(٢) البُلْغة : ما يُتبلَّغُ به من العيش ، وتَبَلَّغَ بكذا ؛ أي : اكتفى به . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٤ـ٧٥) .

(٤) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٧٢) .

الفقرِ علىٰ سائرِ الأشياءِ ، فلم يُجِبْني أحدٌ بجوابٍ يُقنِعُني ، حتىٰ سألتُ نصرَ ابنَ الحَمَّاميِّ ، فقالَ لي : لأنَّهُ أوَّلُ منزلٍ مِنْ منازلِ التوحيدِ ، فقَنَعْتُ بذلكَ[1] .

وسُئِلَ ابنُ الجَلَّا عنِ الفقرِ ، فسَكَتَ حتىٰ صلَّىٰ ، ثمَّ ذهبَ ورَجَعَ ، ثمَّ قالَ : إنَّني لم أسكتْ إلا لدرهمٍ كانَ عندي ، فذهبتُ وأخرجتُهُ ، واستحيَيْتُ مِنَ اللهِ أنْ أتكلَّمَ في الفقرِ وعندي درهمٌ ، ثمَّ جلسَ وتكلَّمَ[2] .

قالَ أبو بكرِ بنُ طاهرٍ : (مِنْ حُكْمِ الفقيرِ : ألَّا يكونَ لهُ رغبةٌ ، فإنْ كانَ ولا بُدَّ لا تُجاوِزُ رغبتُهُ كفايتَهُ)[3] .

قالَ فارسٌ : قلتُ لبعضِ الفقراءِ مرَّةً ورأيتُ عليهِ أَثَرَ الجوعِ والضُّرِّ : لِمَ لا تسألُ الناسَ فيُطعِمُوكَ ؟ فقالَ : أخافُ أنْ أسألَهُم فيمنعُوني ، فلا يُفلِحوا[4] .

وأُنشِدَ لبعضِهِم[5] : [من البسيط]

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٥) .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٥٧٥ ـ ٥٧٦) ، وأورده مختصراً الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٨) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٣٩٤) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٣٢٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨١) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٣) ، ولعلَّهُ أراد ما رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٢٩٤) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : « لولا أنَّ المساكينَ يكذبونَ ما أفلحَ مَنْ رَدَّهم » ، ورمز السيوطي في « الجامع الصغير » إلىٰ ضعفه ، وانظر « فيض القدير » (٥/ ٣٤١) .

(٥) روى الأبياتَ الكلاباذيُّ في « التعرف » (ص١١٣) عن النوري رحمه الله تعالىٰ ، =

قَالُوا غَدًا ٱلْعِيدُ مَاذَا أَنْتَ لَابِسُهُ ... فَقُلْتُ خِلْعَةَ سَاقٍ عَبْدَهُ جُرَعَا[1]

فَقْرٌ وَصَبْرٌ هُمَا ثَوْبَانِ تَحْتَهُمَا ... قَلْبٌ يَرَىٰ رَبَّهُ ٱلْأَعْيَادَ وَٱلْجُمَعَا

أَحْرَى ٱلْمَلَابِسِ أَنْ تَلْقَى ٱلْحَبِيبَ بِهَا ... يَوْمَ ٱلتَّزَاوُرِ فِي ٱلثَّوْبِ ٱلَّذِي خَلَعَا

اَلدَّهْرُ لِي مَأْتَمٌ إِنْ غِبْتَ يَا أَمَلِي ... وَٱلْعِيدُ مَا دُمْتَ لِي مَرْأَىً وَمُسْتَمَعَا

قولهم في الشكر

قالَ بعضُهُمْ : (الشكرُ : هوَ الغَيبةُ عنِ الشكرِ برُؤْيةِ المُنعِمِ)[2] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ : (لستَ بشاكرٍ ما دُمْتَ تشكرُ ، وغايةُ الشكرِ التحيُّرُ ؛ وذلكَ أنَّ الشكرَ نعمةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ يجبُ الشكرُ عليها)[3] .

وفي أخبارِ داودَ عليهِ السلامُ : إلهي ؛ كيفَ أشكرُكَ وأنا لا أستطيعُ أنْ أشكرَكَ إلا بنعمةٍ ثانيةٍ مِنْ نِعَمِكَ ؟! فأَوْحى اللهُ إليهِ : إذا عرفتَ هذا فقد شَكَرْتَني[4] .

= وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٧٢) عن الشبلي رحمه الله تعالىٰ ، والقشيري في « الرسالة » (ص٥٨١) عن بعضهم ، وقال بعدها : (وقيل : إنَّ هذه الأبيات لأبي علي الرُّوذباري) ، وليس في « التعرف » و« الحلية » تصريح واضح بأنَّها من شعر النوري والشبلي ، وهي في « ديوان الشبلي » (ص١٠٩) .

(١) في (هـ ، ح) : (أتىٰ) بدل (غدا) ، وهي رواية « الحلية » .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٨) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٨) .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٩٧) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥٦٦) ، وفي (د) : (من عندك) بدل (من نعمك) .

ومعنى الشكرِ في اللغةِ : هوَ الكشفُ والإظهارُ ؛ يُقال : شَكَرَ وكَشَرَ : إذا كَشَفَ عن ثَغْرِهِ وأَظْهرَهُ .

فنَشْرُ النِّعَمِ وذِكْرُها وتَعدادُها باللِّسانِ مِنْ ظاهرِ الشكرِ ، وباطنُ الشكرِ أنْ يستعينَ بالنِّعَمِ على الطاعةِ ، ولا يستعينَ بها على المعصيةِ[1] ؛ فهوَ شكرُ النعمةِ .

وسمعتُ شيخَنا رحمَهُ اللهُ يُنشِدُ عن بعضِهِم[2] : [من الكامل]

أَوْلَيْتَنِي نِعَماً أَبُوحُ بِشُكْرِهَا ... وَكَفَيْتَنِي كُلَّ ٱلْأُمُورِ بِأَسْرِهَا

فَلَأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ ... فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْجَنَّةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : ٱلْحَمَّادُونَ ٱلَّذِينَ يَحْمَدُونَ ٱللهَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ »[3] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ٱبْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ ، وَظَلَمَ فَٱسْتَغْفَرَ » ، قيلَ : فما بالُهُ ؟ قالَ : « أُولَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ »[4] .

---

(١) ويجوز أن يقرأ (يستعين) في الموضعين بالتاء أوله ، كما ضبط كذلك في بعض النسخ .

(٢) أورد البيتين الطُّرْطُوشي في « سراج الملوك » (ص٣٨٦) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ٩٧) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٦٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ١٦٣) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢/ ١٩٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٤١١٧) عن سيدنا سَخْبرة الأَزْدي رضي الله عنه .

قالَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (فرضُ الشكرِ : الاعترافُ لهُ بالنِّعَمِ بالقلبِ واللِّسانِ)[1] .

وفي الحديثِ : « أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَفْضَلُ ٱلدُّعَاءِ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ »[2] .

وقالَ بعضُ العلماءِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] ؛ قالَ : (الظاهرةُ : العَوافي والغِنىٰ ، والباطنةُ : البلايا والفقرُ)[3] ؛ فإنَّ هـٰذهِ نِعَمٌ أُخرويَّةٌ ؛ لِمَا يُستوجَبُ بها مِنَ الجزاءِ .

وحقيقةُ الشكرِ : أنْ يرىٰ جميعَ المَقْضِيِّ لهُ بهِ نِعَماً غيرَ ما يَضُرُّهُ في دِينِهِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ لا يقضي للعبدِ المؤمنِ شيئاً إلا وهوَ نعمةٌ في حقِّهِ ؛ فإمَّا عاجلةٌ يعرفُها ويفهمُها[4] ، وإمَّا آجلةٌ بما يقضي لهُ مِنَ المَكارِهِ ، فإمَّا أنْ يكونَ درجةً لهُ ، أو تمحيصاً ، أو تكفيراً .

فإذا عَلِمَ أنَّ مَوْلاهُ أَنْصحُ لهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وأَعْلمُ بمصالحِهِ ، وأنَّ كلَّ ما منهُ نِعَمٌ . . فقد شَكَرَ .

---

(١) أورده ابن خميس في « مناقب الأبرار » (ص ٣٧٠) ، والمجد ابن الجزري في « المختار » (٢/ ٨١) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٥٩٩) ، وابن حبان (٨٤٦) ، والحاكم (١/ ٤٩٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٥٧٠) .

(٤) في (و) : (ويفرح بها) بدل (ويفهمها) .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَأْسُ ٱلْحِكْمَةِ : مَخَافَةُ ٱللهِ »[1] .

ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « كَانَ دَاوُدُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ ٱلنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ بِهِ مَرَضاً ، وَمَا بِهِ مَرَضٌ إِلَّا خَوْفُ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَٱلْحَيَاءُ مِنْهُ »[2] .

قال أبو عمرٍو الدِّمَشْقيُّ : (**الخائفُ** : مَنْ يخافُ مِنْ نَفْسِهِ أكثرَ ممَّا يخافُ مِنَ الشيطانِ)[3] .

وقالَ بعضُهُم : (**ليسَ الخائفُ** مَنْ يبكي ويمسحُ عينَيهِ ، **ولٰكنَّ الخائفَ** التاركُ ما يخافُ أنْ يُعذَّبَ عليهِ)[4] .

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١١٥٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣٠) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأبو داود في « الزهد » (١٦٠) ، والبيهقي في « المدخل » (٧٨٦) موقوفاً علىٰ سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٤٢١) ، و« غنية العارف » (٢/ ٨٥٣) .

(2) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٣٧) ، وتمام الرازي في « فوائده » (٢٩٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢/ ٥١٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٢/ ٨٥٣) .

(3) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٣٥٠) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٤٣) ، وفي هامش (ح) بيتان للزمخشري ؛ وهما : (من الطويل)

إلٰهي إليكَ المُشتكَىٰ نَفْسُ مُشتهٍ ... إلى الشَّرِّ تَدْعُوني عنِ الخيرِ تنهاني
ومـا يشتكـي الشيطـانَ إلا مُغفَّـلٌ ... أَلَا إنَّ نَفْسَ المُشتهي ألفُ شيطانِ

(4) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/ ٢٠٦) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب =

وقيلَ : الخائفُ : الذي لا يخافُ غيرَ اللهِ[1] ، قيلَ : أي : لا يخافُ لنفْسِهِ ، إنَّما يخافُ إجلالاً لهُ ، والخوفُ للنَّفْسِ خوفُ العقوبةِ[2] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ : (الخوفُ ذَكَرٌ ، والرجاءُ أُنْثىٰ)[3] ؛ أي : منهُما تتولَّدُ حقائقُ الإيمانِ[4] .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] ؛ قيلَ : هٰذهِ الآيةُ قُطْبُ القرآنِ ؛ لأنَّ مدارَ الأمرِ كلِّهِ علىٰ هٰذا[5] .

وقيلَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ جَمَعَ للخائفينَ ما فَرَّقَهُ على المؤمنينَ ؛ وهوَ الهُدَىٰ والرحمةُ والعلمُ والرِّضوانُ ؛ فقالَ تعالىٰ : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ، وقالَ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وقالَ : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة : ٨][6] .

وقالَ سهلٌ : (كمالُ الإيمانِ بالعلمِ ، وكمالُ العلمِ بالخوفِ)[7] .

= الأسرار » (ص١٤٢) عن إسحاق بن خلف الزاهد رحمه الله تعالىٰ .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٦) عن رُوَيم رحمه الله تعالىٰ .

(٢) انظر « التعرف » (ص١١٦) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٦) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦٥٢) ، وفيه : (والمحبة) بدل (والرجاء) .

(٤) انظر « التعرف » (ص١١٦) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٦) .

(٦) الكلام لأبي طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) .

(٧) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) .

وقالَ أيضاً : (العلمُ كَسْبُ الإيمانِ ، والخوفُ كَسْبُ المعرفةِ)[1] .

وقالَ ذو النُّونِ : (لا يُسقى المُحِبُّ كأسَ المَحَبَّةِ إلا مِنْ بعدِ أنْ يُنضِجَ الخوفُ قلبَهُ)[2] .

وقالَ الفُضَيلُ بنُ عياضٍ : (إذا قيلَ لكَ : « تخافُ اللهَ ؟ » . . اسكُتْ ؛ فإنَّكَ إنْ قلتَ : « لا » كَفَرْتَ ، وإنْ قُلْتَ : « نعم » فليسَ وصفُكَ وصفَ مَنْ يخافُ)[3] .

قولهم في الرجاء

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أَخْرِجُوا مِنَ ٱلنَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ؛ لَا أَجْعَلُ مَنْ آمَنَ بِي فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ كَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي »[4] .

وقيلَ : جاءَ أعرابيٌّ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : مَنْ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٤٦) ، وزادا : (فإنَّما خوف النار عند خوف الفراق . . بمنزلة قطرةٍ قطرتْ في بحر لُجِّيٍّ ، ولا أعلم شيئاً أحمدَ للقلب من خوف الفراق) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٦١٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٧/ ٥١٦ـ٥١٧) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٩٧٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٥٨ـ٣٥٩) ، والخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٨٧٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو في « صحيح البخاري » (٢٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه دون قوله : (ثمَّ يقول : وعِزَّتي وجلالي . . .) .

يَلِي حسابَ الخَلْقِ ؟ فقالَ : « اللهُ تَعَالَى » ، قالَ : هوَ بنَفْسِهِ ؟ قالَ : « نَعَمْ » ، فتبسَّمَ الأعرابيُّ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِمَّ ضَحِكْتَ يَا أَعْرَابِيُّ ؟ » ، فقالَ : إنَّ الكريمَ إذا قَدَرَ عفا ، وإذا حاسبَ سامحَ[1] .

وقالَ شاهٌ الكَرْمانيُّ : (علامةُ الرجاءِ : حُسْنُ الطاعةِ)[2] .

وقيلَ : الرجاءُ : رؤيةُ الجلالِ بعينِ الجمالِ[3] .

وقيلَ : الرجاءُ : قربُ القلبِ مِنْ مُلاطَفةِ الرَّبِّ[4] .

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : (الخوفُ والرجاءُ كجناحَيِ الطائرِ ؛ إذا استويا استوى الطيرُ وتمَّ طَيَرانُهُ)[5] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (الرجاءُ : ارتياحُ القلوبِ لرُؤْيةِ كَرَمِ المَرْجُوِّ)[6] .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٥٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٢٥) مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٥٩) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٥٩) .

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٥٩) ، وفي بعض النسخ : (ملاحظة) بدل (ملاطفة) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٩٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٦٠) ، وزادا : (وإذا نَقَصَ أحدُهُما وقع فيه النقصُ ، وإذا ذهبا صار الطائر في حدِّ الموت) .

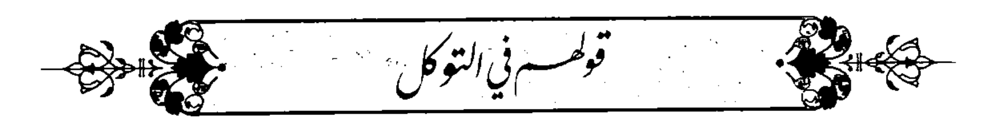
(٦) أورده أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٨٦) ضمن كلام طويل ، وفيه : (الموجد) بدل (المرجو) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٥٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٦٠) ، وفي (د) : (الموجود) بدل (المرجو) .

قالَ مُطرِّفٌ : (لو وُزِنَ خوفُ المؤمنِ ورجاؤُهُ . لَاعْتَدَلَا)[1] .

والخوفُ والرجاءُ للإيمانِ كالجناحَينِ ، ولا يكونُ خائفاً إلا وهوَ راجٍ ، ولا راجياً إلا وهوَ خائفٌ ؛ لأنَّ مُوجِبَ الخوفِ الإيمانُ ، ومِنَ الإيمانِ رجاءٌ ، ومُوجِبَ الرجاءِ الإيمانُ ، ومِنَ الإيمانِ خوفٌ .

ولهاذا المعنىٰ رُوِيَ عن لُقْمانَ أنَّهُ قالَ لابنِهِ : خَفِ اللهَ تعالىٰ خوفاً لا تأمنُ فيهِ مَكْرَهُ ، وارجُهُ أشدَّ مِنْ خوفِكَ .

قالَ : فكيفَ أستطيعُ ذلكَ وإنَّما لي قلبٌ واحدٌ ؟ قالَ : أَمَا علمتَ أنَّ المؤمنَ لَذُو قلبَينِ ؛ يخافُ بأحدِهِما ، ويرجو بالآخَرِ[2] ؟! وهاذا لأنَّهُما مِنْ حُكْمِ الإيمانِ .



قولهم في التوكل

قالَ السَّرِيُّ : (التوكُّلُ : الانخلاعُ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ)[3] .

وقالَ الجُنيدُ : (التوكُّلُ : أنْ يكونَ للهِ كما لم يكنْ ، فيكونَ اللهُ لهُ كما لم يَزَلْ)[4] .

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٢٠٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٩٤) ، وأورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (٢/٥٩٤) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩١٢) ، وأحمد في « الزهد » (٥٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٥) ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (١٣٣) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٥٠) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٨) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٩) ، ودون نسبة الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٥) .

وقالَ سهلٌ : (كلُّ المقاماتِ لها وجهٌ وقَفاً ، غيرَ التوكُّلِ ؛ فإنَّهُ وجهٌ بلا قَفاً)[1] ، قالَ بعضُهُم : (يُريدُ : توكُّلَ العِنايةِ ، لا توكُّلَ الكِفايةِ)[2] .

واللهُ تعالىٰ جَعَلَ التوكُّلَ مقروناً بالإيمانِ ؛ فقالَ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] ، وقالَ : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

وقالَ لنبيِّهِ عليهِ السلامُ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وقالَ ذو النُّونِ : (التوكُّلُ : تركُ تدبيرِ النَّفْسِ ، والانخلاعُ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ)[3] .

وقالَ أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ : (التوكُّلُ : رَدُّ العيشِ إلىٰ يومٍ واحدٍ ، وإسقاطُ هَمِّ غدٍ)[4] .

وقالَ أبو بكرٍ الواسطيُّ : (أصلُ التوكُّلِ : صدقُ الفاقةِ والافتقارِ ، وألَّا يُفارِقَ التوكُّلَ في أمانيهِ ، ولا يلتفتَ بسِرِّهِ إلىٰ توكُّلِهِ لحظةً في عُمُرِهِ)[5] .

وقالَ بعضُهُم : (مَنْ أرادَ أنْ يقومَ بحقِّ التوكُّلِ . فليَحفِرْ لنَفْسِهِ قبراً

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٩) .
(٢) قاله الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٩) ، وزاد : (وهو ألا يطالبه بالأعواض) .
(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٨) .
(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٨) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ٣٤٢) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٨) إلىٰ أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ .
(٥) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٩) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ٣٦٦) .

يَدفِنُها فيهِ ، وينسى الدنيا وأهلَها ؛ لأنَّ حقيقةَ التوكُّلِ لا يقومُ لهُ أحدٌ مِنَ الخَلْقِ علىٰ كمالِهِ)[1] .

وقالَ سهلٌ : (أوَّلُ مقاماتِ التوكُّلِ : أنْ يكونَ العبدُ بينَ يَدَيِ اللهِ كالميِّتِ بينَ يَدَيِ الغاسلِ ؛ يُقلِّبُهُ كيفَ أرادَ ، ولا يكونُ لهُ حركةٌ ولا تدبيرٌ)[2] .

وقالَ حَمْدونُ القصَّارُ : (التوكُّلُ : هوَ الاعتصامُ باللهِ)[3] .

وقالَ سهلٌ أيضاً : (العلمُ كلُّهُ بابٌ مِنَ التعبُّدِ ، والتعبُّدُ كلُّهُ بابٌ مِنَ الوَرَعِ ، والوَرَعُ كلُّهُ بابٌ مِنَ الزهدِ ، والزهدُ كلُّهُ بابٌ مِنَ التوكُّلِ)[4] .

وقيلَ : التقوىٰ واليقينُ مِثْلُ كِفَّتَيِ الميزانِ ، والتوكُّلُ لسانُهُ ؛ بهِ يُعرَفُ الزيادةُ والنُّقْصانُ[5] .

قالَ الشيخُ رحمَهُ اللهُ : ويقعُ لي : أنَّ التوكُّلَ علىٰ قَدْرِ العلمِ بالوكيلِ ؛ فكلُّ مَنْ كانَ أَتَمَّ معرفةً كانَ أتمَّ توكُّلاً ، ومَنْ كَمَلَ توكُّلُهُ غابَ في رؤيةِ الوكيلِ عن رؤيةِ توكُّلِهِ .

ثمَّ إنَّ قوَّةَ المعرفةِ تُفيدُهُ صِرْفَ العلمِ بالعدلِ في القِسْمةِ ، وأنَّ الأقسامَ

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٧٩) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٠) دون قوله : (ولا يكون له . . .) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٣٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٠٩).

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٠٩) .

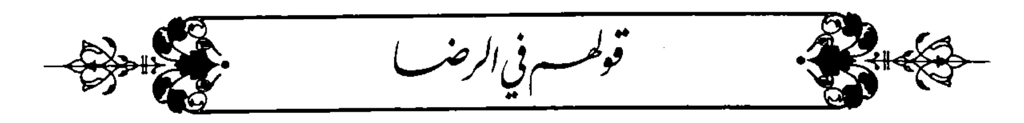
(٤) تفسير التستري (ص١٧٢) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٨٥٣) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٨٥٣) عن سهل التستري رحمه الله تعالىٰ ، وهو في « تفسيره » (ص١٧٢) .

نُصِبَتْ بإزاءِ المقسومِ لهُم عدلاً ومُوازَنَةً ، وأنَّ النَّظَرَ إلىٰ غيرِ اللهِ ؛ لوجودِ الجهلِ في النَّفْسِ ، وكلَّما أَحَسَّ بشيءٍ يَقدَحُ في توكُّلِهِ . . يراهُ مِنْ مَنبَعِ النَّفْسِ ؛ فنُقْصانُ التوكُّلِ يظهرُ بظهورِ النَّفْسِ ، وكمالُهُ يثبتُ بغَيبةِ النَّفْسِ .

وليسَ للأقوياءِ اعتدادٌ بتصحيحِ توكُّلِهِم ، وإنَّما شُغْلُهُم في تغييبِ النَّفْسِ بتقويةِ مَوَادِّ القلبِ ، فإذا غابتِ النَّفْسُ انحسمَتْ مادَّةُ الجهلِ ، فيصحُّ التوكُّلُ ، والعبدُ غيرُ ناظرٍ إليهِ ، وكلَّما تحرَّكَ مِنَ النَّفْسِ بقيَّةٌ . . يَرِدُ علىٰ ضمائرِهِم سِرُّ قولِهِ تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ [العنكبوت : ٤٢] ، فيغلبُ وجودُ الحقِّ الأعيانَ والأكوانَ ، ويرى الكونَ باللهِ مِنْ غيرِ استقلالِ الكونِ في نَفْسِهِ ، ويصيرُ التوكُّلُ حينَئذٍ اضطراراً .

ولا يقدحُ في توكُّلِ مِثْلِ هـٰذا المُتوكِّلِ ما يقدحُ في توكُّلِ الضعفاءِ في التوكُّلِ مِنْ وجودِ الأسبابِ والوسائطِ ؛ لأنَّهُ يرى الأسبابَ أمواتاً لا حياةَ لها إلا بالوكيلِ ، وهـٰذا توكُّلُ خواصِّ أهلِ المعرفةِ .



قولهم في الرضا

قالَ الحارثُ : (الرِّضا : سكونُ القلبِ تحتَ جَرَيانِ الحُكْمِ)[1] .

وقالَ ذو النُّونِ : (الرِّضا : سرورُ القلبِ بمُرِّ القَضَا)[2] .

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، والسلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٢٩) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٠/ ١٣٣) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٠) ، والسلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٢) ، وعزاه في (١/ ٢٨٤) إلى الجنيد=

وقالَ سُفْيانُ عندَ رابعةَ : اللَّهُمَّ ؛ ارضَ عنَّا ، فقالتْ لهُ : أَمَا تستحيي أنْ تطلبَ رضا مَنْ لستَ عنهُ براضٍ ؟!

فسألَها بعضُ الحاضرينَ : متىٰ يكونُ العبدُ راضياً عنِ اللهِ تعالىٰ ؟ فقالتْ : إذا كانَ سرورُهُ بالمصيبةِ كسرورِهِ بالنعمةِ[(١)] .

وقالَ سهلٌ : (إذا اتَّصَلَ الرِّضا بالرِّضْوانِ . اتَّصلَتِ الطُّمَأْنِينةُ ، فطُوبىٰ لهُم وحُسْنُ مآبٍ)[(٢)] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ذَاقَ طَعْمَ ٱلإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِٱللهِ رَبّاً »[(٣)] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ السلامُ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ ٱلرَّوْحَ وَٱلْفَرَحَ فِي ٱلرِّضَا وَٱلْيَقِينِ ، وَجَعَلَ ٱلْهَمَّ وَٱلْحُزْنَ فِي ٱلشَّكِّ وَٱلسُّخْطِ »[(٤)] .

وقالَ الجُنيدُ : (الرِّضا : هوَ صِحَّةُ العلمِ الواصلِ إلى القلوبِ) .

= رحمه الله تعالىٰ ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٥٧) ، وعزاه إلى النوري رحمه الله تعالىٰ .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/١٠١١) ، وفيه تصريح بالسائل ؛ وهو جعفر بن سليمان الضبعي ، وهو في « التعرف » (ص١٢٠) وبعض النسخ دون سؤال بعض الحاضرين .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) .

(٣) رواه مسلم (٣٤) عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٦٨ـ٦٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٢٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/١٢١) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فإذا باشرَ القلبَ حقيقةُ العلمِ . . أدَّاهُ إلى الرِّضا ، وليسَ الرِّضا والمَحَبَّةُ كالخوفِ والرجاءِ ؛ فإنَّهُما[1] حالانِ لا يُفارِقانِ العبدَ في الدنيا والآخرةِ ؛ لأنَّهُ في الجنَّة لا يستغني عنِ الرِّضا والمَحَبَّةِ .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (الرِّضا : سكونُ القلبِ إلىٰ قديمِ اختيارِ اللهِ تعالىٰ للعبدِ أنَّهُ اختارَ لهُ الأفضلَ ، فيرضىٰ لهُ ؛ وهوَ تركُ السُّخْطِ)[2] .

وقالَ أبو ترابٍ : (ليسَ ينالُ الرِّضا مِنَ اللهِ مَنْ للدنيا في قلبِهِ مقدارٌ)[3] .

وقالَ سَرِيٌّ : (خمسٌ مِنْ أخلاقِ المُقرَّبينَ : الرِّضا عنِ اللهِ فيما تُحِبُّ النَّفْسُ وتكرهُ ، والحُبُّ لهُ بالتحبُّبِ إليهِ ، والحياءُ مِنَ اللهِ ، والأُنْسُ بهِ ، والوَحْشةُ ممَّا سواهُ)[4] .

وقالَ الفُضَيلُ : (الراضي لا يتمنَّىٰ فوقَ منزلتِهِ شيئاً)[5] .

وقالَ ابنُ سَمْعونٍ : (الرِّضا بالحقِّ ، والرِّضا لهُ ، والرِّضا عنهُ ؛ فالرِّضا بهِ مُدبِّراً ومُختاراً ، والرِّضا عنهُ قاسماً ومُعطِياً ، والرِّضا لهُ إلـٰهاً وربّاً)[6] .

---

(١) أي : الرضا والمحبة .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٥٧) .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٦/٤٠) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٥) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (١٦) ، والسلمي في « تفسيره » (٢٧٩/١) .

(٦) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٣٠) ، وقد قاله عندما سئل عن الرضا .

سُئِلَ أبو سعيدٍ : هل يجوزُ أنْ يكونَ العبدُ راضياً ساخطاً ؟ قالَ : نعم ، يجوزُ أنْ يكونَ راضياً عن ربِّهِ ، ساخطاً علىٰ نَفْسِهِ وعلىٰ كلِّ قاطعٍ يقطعُهُ عنِ اللهِ .

وقيلَ للحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ عليهِما : إنَّ أبا ذرٍّ يقولُ : الفقرُ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الغنىٰ ، والسُّقْمُ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الصحَّةِ .

قالَ : رَحِمَ اللهُ أبا ذرٍّ ، أمَّا أنا فأقولُ : مَنِ اتَّكلَ علىٰ حُسْنِ اختيارِ اللهِ لهُ . . لم يتمنَّ أنَّهُ في غيرِ الحالةِ التي اختارَ اللهُ لهُ[1] .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ[2] : (مَنْ جلسَ علىٰ بساطِ الرِّضا . . لم يَنَلْهُ مِنَ اللهِ مكروهٌ أبداً ، ومَنْ جلسَ علىٰ بساطِ السؤالِ . . لم يَرْضَ عنِ اللهِ في كلِّ حالٍ) .

وقالَ يحيىٰ : (يرجعُ الأمرُ كلُّهُ إلىٰ هـٰذَينِ الأصلَينِ : فِعْلٍ منهُ بكَ ، وفِعْلٍ منكَ لهُ ؛ فترضىٰ فيما عملَ ، وتُخلِصُ فيما تعملُ)[3] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الراضي : مَنْ لم يندمْ علىٰ فائتٍ مِنَ الدنيا ، ولم يتأسَّفْ عليها) .

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٤٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ٢٥٣) .

(٢) في (ج) : (وقال أيضاً) بدل (وقال علي رضي الله عنه) ، وفي (ي) : (وقال عيسىٰ عليه السلام) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٨٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٩/ ٦٥) ، وعزواه إلىٰ محمد بن سعيد المروزي ، وزادا : (فإذا أنتَ قد سعدتَ بهـٰذين . . فُزت في الدارَينِ) .

وقيلَ ليحيى بنِ مُعاذٍ : متىٰ يبلغُ العبدُ إلىٰ مقامِ الرِّضا ؟ قالَ : إذا أقامَ نَفْسَهُ علىٰ أربعةِ أصولٍ فيما يُعامِلُ بهِ ؛ يقولُ : إنْ أعطيتَني قَبِلتُ ، وإنْ منعتَني رَضِيتُ ، وإنْ تركْتَني عَبَدتُ ، وإنْ دعوتَني أَجبتُ[1] .

وقالَ الشِّبْليُّ رحمَهُ اللهُ بينَ يَدَيِ الجُنيدِ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، فقالَ الجُنيدُ : قولُكَ ذا ضِيقُ صدرٍ ، فقالَ : صدقتَ ، قالَ : فضِيقُ الصدرِ تركُ الرِّضا بالقضاءِ[2] .

وهٰذا إنَّما قالَهُ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ تنبيهاً منهُ علىٰ أصلِ الرِّضا ؛ وذلكَ أنَّ الرِّضا يحصلُ لانشراحِ القلبِ وانفساحِهِ ، وانشراحُ القلبِ مِنْ نورِ اليقينِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] .

فإذا تمكَّنَ النورُ مِنَ الباطنِ اتَّسَعَ الصدرُ ، وانفتحَتْ عينُ البصيرةِ ، وعاينَ حُسْنَ تدبيرِ اللهِ تعالىٰ ، فينتزعُ التَّسخُّطَ والتضجُّرَ ؛ لأنَّ انشراحَ الصدرِ يتضمَّنُ حلاوةَ الحُبِّ ، وفعلَ المحبوبِ بموقعِ الرِّضا عندَ المُحِبِّ الصادقِ ؛ لأنَّ المُحِبَّ يرىٰ أنَّ الفعلَ مِنَ المحبوبِ مرادُهُ واختيارُهُ ، فيَفْنىٰ في لذَّةِ رؤيةِ اختيارِ المحبوبِ عنِ اختيارِ نَفْسِهِ ، كما قيلَ[3] : [من البسيط]

. . . . وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ ٱلْمَحْبُوبُ مَحْبُوبُ

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (١٠/٦٦) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٤٥٦) .

(٣) عجز بيت لمهيار الديلمي في « ديوانه » (١/٢٤) ، وصدره : (أرضىٰ وأسخطُ أو أرضىٰ تلوُّنَهُ) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب الحادي والستون

في ذكر الأحوال وشرحها

[قولهم في المحبة]

(١٤٢) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ الشيخُ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو طالبٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَريمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الفَرَبْريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ البُخاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا سُليمانُ بنُ حَرْبٍ ، قالَ : حدَّثَنا شُعْبةُ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ ٱلْإِيمانِ[1] : مَنْ كَانَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي ٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ ٱللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ »[2] .

(١٤٣) ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو زُرْعةَ طاهرُ بنُ أبي الفضلِ إجازةً[3] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ إجازةً[4] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمٰنِ ،

(١) زاد في (د) : (في قلبه) .

(٢) صحيح البخاري (٢١) ، ورواه مسلم (٤٣) .

(٣) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (أ ، ب ، ح) .

(٤) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (أ ، ب ، هـ ، ح) .

قالَ : أخبرَنا أبو عُمَرَ بنُ حَيُّويَهْ ، قالَ : حدَّثني أبو عُبيدِ بنُ مُؤمَّلٍ ، عن أبيهِ قالَ : حدَّثنا بِشْرُ بنُ محمَّدٍ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الملكِ بنُ وَهْبٍ ، عن إبراهيمَ بنِ أبي عَبْلَةَ ، عنِ العِرْباضِ بنِ ساريةَ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدعو : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي ، وَأَهْلِي وَمَالِي ، وَمِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ »[1] .

فكأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طَلَبَ خالصَ الحُبِّ ، وخالصُ الحُبِّ : هوَ أنْ يُحِبَّ اللهَ تعالىٰ بكُلِّيَّتِهِ ، وذلكَ أنَّ العبدَ قد يكونُ في حالٍ قائماً بشروطِ حالِهِ بحُكْمِ العلمِ ، والجِبِلَّةُ تتقاضاهُ بضدِّ العلمِ ؛ مثلُ أنْ يكونَ راضياً والجِبِلَّةُ قد تكرهُ ، ويكونُ النَّظَرُ إلى الانقيادِ بالعلمِ لا إلى الاستعصاءِ بالجِبِلَّةِ ؛ فقد يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ بحُكْمِ الإيمانِ ، ويُحِبُّ الأهلَ والولدَ بحُكْمِ الطَّبْعِ .

وللمَحَبَّةِ وجوهٌ ، وبواعثُ المَحبَّةِ في الإنسانِ مُتنوِّعةٌ ؛ فمِنْها : مَحَبَّةُ الرُّوحِ ، ومَحَبَّةُ القلبِ ، ومَحَبَّةُ النَّفْسِ ، ومَحَبَّةُ العقلِ .

فقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وذِكْرُهُ الأهلَ والمالَ والماءَ البارِدَ . استئصالُ عُرُوقِ المَحبَّةِ بمَحَبَّةِ اللهِ تعالىٰ ، حتىٰ يكونَ حُبُّ اللهِ غالباً ، فيُحِبُّ اللهَ تعالىٰ بقلبِهِ ورُوحِهِ وكُلِّيَّتِهِ ، حتىٰ يكونَ حُبُّ اللهِ أغلبَ في

---

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (١٩٦٦) ، ورواه من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه أبو نعيم في « الحلية » (١/٢٢٦) ، وكذلك الترمذي (٣٤٩٠) ، والحاكم (٢/ ٤٣٣) ، إلا أنَّ فيهما : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « كانَ مِنْ دعاءِ داودَ يقولُ : اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ حبَّكَ وحبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، والعملَ الذي يُبلِّغُني حُبَّكَ ، اللَّهمَّ ؛ اجعلْ حبَّكَ أحبَّ إليَّ مِنْ نَفْسي وأهلي ، ومِنَ الماءِ البارِدِ » .

الطبعِ أيضاً والجِبِلَّةِ مِنْ حُبِّ الماءِ البارِدِ ، وهـٰذا يكونُ حُبّاً خاصّاً لخواصَّ ينغمرُ بهِ وبنورِهِ نارُ الطبعِ والجِبِلَّةِ ، وهـٰذا يكونُ حبَّ الذاتِ عن مُشاهَدةِ بعُكُوفِ الرُّوحِ وخُلُوصِهِ إلىٰ مواطنِ القُرْبِ .

قالَ الواسِطيُّ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] : (كما أنَّهُ بذاتِهِ يُحِبُّهُم كذلكَ يُحِبُّونَ ذاتَهُ ؛ فالهاءُ راجعةٌ إلى الذَّاتِ ، دونَ النُّعُوتِ والصِّفاتِ)[١] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الحُبُّ شرطُهُ : أنْ تلحقَهُ سَكَراتُ المَحَبَّةِ ، فإذا لم يكنْ ذلك لم يكنْ فيهِ حقيقةٌ)[٢] .

فإذاً : الحُبُّ حُبَّانِ : حُبٌّ عامٌّ ، وحُبٌّ خاصٌّ .

فالحُبُّ العامُّ : مُفسَّرٌ بامتثالِ الأمرِ ، وربَّما كانَ حُبّاً مِنْ مَعدِنِ العِلْمِ بالآلاءِ والنَّعْماءِ ، وهـٰذا الحُبُّ مُحرِّكُهُ مِنَ الصِّفاتِ[٣] .

وقد ذَكَرَ جمعٌ مِنَ المشايخِ الحُبَّ في المقاماتِ ، فيكونُ النَّظَرُ إلىٰ هـٰذا الحُبِّ العامِّ الذي يكونُ لكسبِ العبدِ فيهِ مدخلٌ .

وأمَّا الحبُّ الخاصُّ : فهوَ حبُّ الذاتِ عن مُطالَعةِ الرُّوحِ ، وهوَ الحبُّ الذي فيهِ السَّكَراتُ ؛ وهوَ الاصطناعُ مِنَ اللهِ الكريمِ لعبدِهِ واصطفاؤُهُ إيَّاهُ .

---

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ١٧٩) ، وعزاه إلىٰ أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه السلمي في « تفسيره » (١/ ١٧٩) ، وعزاه إلىٰ أبي الحسن السلامي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في (هـ ، ز ، ح) : (مخرجه) بدل (محركه) .

وهٰذا الحبُّ يكونُ مِنَ الأحوالِ ؛ لأنَّهُ مَحْضُ مَوْهِبةٍ ليسَ للكسبِ فيهِ مدخلٌ ، وهوَ مفهومٌ مِنْ قولِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ »[1] ؛ لأنَّهُ كلامٌ عن وِجْدانِ رُوحٍ تَلْتَذُّ بحبِّ الذاتِ .

وهٰذا الحبُّ روحٌ ، والحبُّ الذي يظهرُ مِنْ مُطالَعاتِ الصِّفاتِ ويَطلُعُ مِنْ مطالعِ الإيمانِ . . قالَبُ هٰذا الرُّوحِ .

ولمَّا صحَّتْ محبَّتُهُم هٰذهِ . . أَخْبـرَ اللهُ عنهُم بقولِهِ : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ؛ لأنَّ المُحِبَّ يَذِلُّ لمحبوبِهِ ولمحبوبِ محبوبِهِ ، ويُنشِدُ : [من الطويل]

لِعَيْـنٍ تُفَـدَّىٰ أَلْـفُ عَيْـنٍ وَتُتَّقَـىٰ وَيُكْـرَمُ أَلْـفٌ لِلْحَبِيـبِ ٱلْمُكَـرَّمِ

وهٰذا الحُبُّ الخاصُّ هوَ أصلُ الأحوالِ السَّنِيَّةِ ومُوجِبُها ، وهوَ في الأحوالِ كالتوبةِ في المقاماتِ ، فمَنْ صحَّتْ توبتُهُ على الكمالِ . . تحقَّقَ بسائرِ المقاماتِ ؛ مِنَ الزُّهْدِ والرِّضا والتوكُّلِ علىٰ ما شَرَحْناهُ أوَّلاً ، ومَنْ صحَّتْ مَحبَّتُهُ هٰذهِ . . تحقَّقَ بسائرِ الأحوالِ ؛ مِنَ الفناءِ والبقاءِ ، والصَّحْوِ والمَحْوِ ، وغيرِ ذلكَ .

والتوبةُ لهٰذا الحبِّ أيضاً بمثابةِ الجُثْمانِ ؛ لأنَّها مُشتمِلةٌ على الحبِّ العامِّ الذي هوَ لهٰذا الحبِّ كالجسدِ ، ومَنْ أُخِذَ في طريقِ المحبوبينَ ـ وهوَ طريقٌ خاصٌّ مِنْ طُرُقِ المَحبَّةِ ـ . . يتكمَّلُ فيهِ ويجتمعُ لهُ رُوحُ الحبِّ الخاصِّ معَ قالَبِ الحبِّ العامِّ الذي يشتملُ عليهِ التوبةُ النَّصُوحُ ، وعندَ ذلكَ لا يتقلَّبُ في

---

(١) سبق مسنداً في (٢/ ٥١٤ـ ٥١٥) .

أَطْوارِ المقاماتِ ؛ لأنَّ التَّقَلُّبَ في أَطْوارِ المقاماتِ ، والتَّرَقِّيَ مِنْ شيءٍ منها إلىٰ شيءٍ . . طريقُ المُحبِّينَ .

ومَنْ أُخِذَ في طريقِ المُجاهَدةِ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، ومِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورىٰ : ١٣] ؛ أَثْبتَ كَسْبَ الإنابةِ سبباً للهدايةِ ، وفي حالِ المحبوبِ صَرَّحَ بالاجتباءِ غيرَ مُعلَّلٍ بالكسبِ ؛ فقالَ : ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [الشورىٰ : ١٣] .

فمَنْ أُخِذَ في طريقِ المحبوبينَ . . يَطْوي بساطَ أَطْوارِ المقاماتِ ، ويندرجُ فيهِ صَفْوُها وخالصُها بأتمِّ وصفِها ، **والمقاماتُ لا تُقيِّدُهُ ولا تَحبِسُهُ** ، وهوَ يُقيِّدُها ويَحبِسُها بترقِّيهِ منها واستنزاعِهِ صَفْوَها وخالصَها ؛ لأنَّهُ حيثُ أَشْرقَتْ عليهِ أنوارُ الحبِّ الخاصِّ خَلَعَ ملابسَ صفاتِ النَّفْسِ ونعوتِها .

والمقاماتُ كلُّها مُصفِّيةٌ للنُّعُوتِ والصفاتِ النَّفْسانيَّةِ ؛ **الزُّهدُ يُصفِّيهِ** عنِ الرغبةِ ، **والتوكُّلُ يُصفِّيهِ** عن قِلَّةِ الاعتمادِ المُتولِّدِ مِنْ جهلِ النَّفْسِ ، **والرِّضا يُصفِّيهِ** عن ضَرَبانِ عِرْقِ المُنازَعةِ[1] ، **والمُنازَعةُ لبقاءِ جُمُودٍ في النَّفْسِ** ما أَشْرقَتْ عليها شموسُ المَحبَّةِ الخاصَّةِ ، فبَقِيَ ظُلْمتُها وجُمُودُها .

فمَنْ تَحَقَّقَ بالحُبِّ الخاصِّ . . لانتْ نَفْسُهُ وذهبَ جمودُها ، **فماذا يَنزِعُ الزهدُ منهُ** مِنَ الرغبةِ ورغبةُ الحبِّ أَحرقَتْ رغبتَهُ ؟! **وماذا يُصفِّي منهُ التوكُّلُ**

---

(١) **الضَّرَبان** : الحركة القوية .

ومُطالَعةُ الوكيلِ حَشَتْ بصيرتَهُ ؟! وماذا يُسكِّنُ فيهِ الرِّضا مِنْ عُرُوقِ المُنازَعةِ والمُنازَعةُ ممَّنْ لم يُسْلِمْ كُلِّيَّتَهُ ؟![1] .

قالَ الرُّوذْباريُّ : (ما لم تخرجْ مِنْ كُلِّيَّتِكَ لا تدخلُ في حَدِّ المَحَبَّةِ) .

وقالَ أبو يزيدَ : (مَنْ قَتَلَتْهُ مَحَبَّتُهُ فدِيَتُهُ رؤيتُهُ ، ومَنْ قتلَهُ عشقُهُ فدِيَتُهُ مُنادمتُهُ)[2] .

(١٤٤) ـ أخبرَنا بذلكَ أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ إجازةً[3] ، عن أبي عبدِ الرحمنِ[4] ، قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عَلُّويَهْ يقولُ : قالَ أبو يَزِيدَ ذلكَ[5] .

فإذاً : التَّقَلُّبُ في أَطْوارِ المقاماتِ لعوامِّ المُحبِّين ، وطَيُّ بساطِ الأَطْوارِ لخَواصِّ المُحبِّينَ ، وهمُ المحبوبونَ ، تخلَّفتْ عن هِمَمِهِمُ المقاماتُ ، وربَّما كانتِ المقاماتُ على مدارجِ طبقاتِ السماواتِ ، وهيَ مواطنُ مَنْ يتعثَّرُ في أَذْيالِ بقاياهُ .

قالَ بعضُ الكبارِ لإبراهيمَ الخَوَّاصِ : إلى ماذا أدَّى بكَ التصوُّفُ ؟

---

(١) على هامش (أ) دون تصحيح : (والمتحقِّق بالحب الخاص قد سلَّم كليته) ، ويجوز أن يضبط المثبت : بـ(لم تَسْلَمْ كليَّتُهُ) ، أو (لم تُسلِمْ. . .) .

(٢) كما قيل : من لم يَمُتْ لم يرَ اللهَ ، وكما قيل : مَنْ قتله محبَّتُهُ حَصَلَ له الوصال ، ومَنْ قتله العشقُ حَصَلَ له الاتِّصال . من هامش (ح) ، والمراد بالمنادمة هنا : المكالمة والمجالسة .

(٣) سقط التصريح بالإجازة في الموضعين في غالب النسخ .

(٤) زاد في (د) التصريح بالإجازة .

(٥) أورده أبو المعالي شيذله في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٢٦٧) .

فقالَ : إلى التوكُّلِ ، فقالَ : تسعىٰ في عِمْرانِ باطنِكَ !! أينَ أنتَ مِنَ الفناءِ في التوكُّلِ برؤيةِ الوكيلِ ؟!(١) .

فالنَّفْسُ إذا تحرَّكَتْ بصفتِها مُنفلِتةً مِنْ دائرةِ الزهدِ . . يَرُدُّها الزاهدُ إلى الدائرةِ بزهدِهِ ، والمُتوكِّلُ إذا تحرَّكَتْ نَفْسُهُ . . يَرُدُّها بتوكُّلِهِ ، والراضي يَرُدُّها برضاهُ .

وهٰذهِ الحركاتُ مِنَ النَّفْسِ بقايا وجوديَّةٌ تفتقرُ إلىٰ سياسةِ العِلْمِ ، وفي ذلكَ تَنَسُّمُ رَوْحِ القُربِ مِنْ بعيدٍ ؛ وهوَ أداءُ حَقِّ العُبُوديَّةِ مَبْلَغَ العلمِ(٢) ، وبحَسَبِهِ الاجتهادُ والكسبُ .

ومَنْ أُخِذَ في طريقِ الخاصِّ . . عَرَفَ طريقَ التخلُّصِ مِنَ البقايا بالتستُّرِ بأنوارِ فَضْلِ الحقِّ ، ومَنِ اكتسىٰ ملابسَ نُورِ القُرْبِ برُوحٍ دائمةِ العُكُوفِ ،

---

(١) رواه بنحوه القشيري في « الرسالة » (ص٤١١) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٠) ، وبعض الكبار : هو الحسين بن منصور الحلَّاج ، ويُعبِّر عنه الكلاباذي أحياناً في « التعرف » بـ (بعض الكبراء) أو (بعض الكبار) ، والخركوشي في « التهذيب » بـ (المذبوح) ، وقد قال السلمي في « طبقاته » (ص٣٠٧ـ ٣٠٨) : (والمشايخ في أمره مختلفون ، ردَّه أكثر المشايخ ونَفَوْهُ ، وأَبَوا أن يكون له قَدَمٌ في التصوُّف ، وقَبِلَهُ من جملتهم أبو العبَّاس بن عطاء ، وأبو عبد الله محمد بن خفيف ، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي ، وأَثْنَوْا عليه ، وصحَّحوا له حاله ، وحكوا عنه كلامه ، وجعلوه أحد المُحقِّقين ؛ حتىٰ قال محمَّد بن خفيف : الحسين بن منصور عالمٌ ربَّانيٌّ) ، ونقل هٰذا الكلامَ أيضاً ابنُ خميس في « مناقب الأبرار » (٢/ ٦٩٦) .

وقال المُناوي في « الكواكب الدُّرِّيَّة » (٢/ ٦٩) : (وقد اختلف فيه الناس ؛ ما بين مُكفِّرٍ له ، ومعتقدٍ ولايتَهُ ، وهم الجمهور ؛ ومنهم القشيري في « الرسالة » ، وابن الحاج في « المدخل » ، وغيرهما) .

(٢) في (أ ، د) : (بمبلغ العلم) .

مَحْمِيَّةٍ عنِ الطوارقِ والصُّرُوفِ . . لا يُزعِجُهُ طَلَبٌ ، ولا يُوحِشُهُ سَلَبٌ .

فالزُّهدُ والتوكُّلُ والرِّضا كائنٌ فيهِ وهوَ غيرُ كائنٍ فيها ؛ **علىٰ معنىٰ أنَّهُ** كيفَ تَقَلَّبَ كانَ زاهداً وإنْ رَغِبَ ؛ **لأنَّهُ** بالحقِّ لا بنَفْسِهِ ، **وإنْ رُئِيَ منهُ الالتفاتُ إلى الأسبابِ** . . فهوَ مُتوكِّلٌ ، **وإنْ وُجِدَ منهُ الكراهةُ** . . فهوَ راضٍ ؛ لأنَّ كراهتَهُ لنَفْسِهِ ـ ونَفْسُهُ للحقِّ ، وكراهتُهُ بالحقِّ ـ أُعِيدَتْ إليهِ نَفْسُهُ بدواعيها وصفاتِها مُطهَّرةً موهوبةً محمولةً ملطوفاً بها ، **صارَ عينُ الداءِ** دواءَهُ ، **وصُوَرُ الإعلالِ** شفاءَهُ ، ونابَ طَلَبُ اللهِ لهُ مَنابَ كلِّ طلبٍ مِنْ زهدٍ وتوكُّلٍ ورِضاً ، **وصارَ مطلوبُهُ مِنَ اللهِ** ينوبُ عن كلِّ مطلوبٍ مِنْ زهدٍ وتوكُّلٍ ورِضاً .

قالتْ رابعةُ : (**مُحِبُّ اللهِ لا يَسكُنُ حَنينُهُ وأَنينُهُ** حتىٰ يَسكُنَ معَ محبوبِهِ) .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ القُرَشيُّ : (**حقيقةُ المَحبَّةِ** : أنْ تَهَبَ كُلَّكَ لمَنْ أَحْببتَ ، ولا يبقىٰ لكَ منكَ شيءٌ)[١] .

وقالَ أبو الحسينِ الورَّاقُ : (**السُّرُورُ باللهِ** مِنْ شِدَّةِ المَحبَّةِ لهُ ، **والمَحبَّةُ في القلبِ** نارٌ تُحرِقُ كلَّ دَنَسٍ) .

وقالَ يحيىٰ بنُ مُعاذٍ : (**صبرُ المُحبِّينَ أَشَدُّ** مِنْ صبرِ الزاهدينَ ، واعجباً !! **كيفَ يصبرُ الإنسانُ عن حبيبِهِ** ؟!)[٢] .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٦٥٣) ، وأبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٥٦٧) ، وزاد : (فتذوبَ بذلك في طاعته ، ولسانُكَ في ذِكْرِه ، وقلبُك في تفكُّر جلاله وجماله ، وسِرُّك في مُؤانسته ومُشاهدته) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٤٤٠) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (١/ ٢٧٨) ، وزادا : وأنشد : (من الكامل)

الصبرُ يُحمَدُ في المواطنِ كُلِّها ... إلا عليكَ فإنَّهُ لا يُحمَدُ

وقالَ بعضُهُم : (مَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةَ اللهِ مِنْ غيرِ تَوَرُّعٍ عن محارمِهِ . . فهوَ كذَّابٌ ، ومَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةَ الجنَّةِ مِنْ غيرِ إنفاقِ مِلْكِهِ[1] . . فهوَ كذَّابٌ ، ومَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ غيرِ حُبِّ الفقراءِ . . فهوَ كذَّابٌ)[2] .

وكانتْ رابعةُ تُنشِدُ[3] : [من الكامل]

تَعْصِي ٱلْإِلَـٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَـٰذَا لَعَمْرِي فِي ٱلْفَعَالِ بَدِيعُ

لَـوْ كَـانَ حُبُّكَ صَـادِقاً لَأَطَعْتَـهُ ... إِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ[4]

وإذا كانَ الحبُّ للأحوالِ كالتوبةِ للمقاماتِ . . فَمَنِ ادَّعىٰ حالاً يُعتبَرُ حبُّهُ ، ومَنِ ادَّعىٰ مَحَبَّةً تُعتبَرُ توبتُهُ ؛ فإنَّ التوبةَ قالَبُ رُوحِ الحبِّ ، وهـٰذا الرُّوحُ قيامُهُ بهـٰذا القالَبِ ، والأحوالَ أَعْراضٌ قِوامُها بجوهرِ الرُّوحِ .

---

(١) في (د) : (ماله) بدل (ملكه) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٩٧) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٧٥) عن حاتم الأصم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روى البيتين البيهقي في « الشعب » (٤٩١) ، وأوردهما ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/ ١١٨) ، وليس البيتان ظاهري النسبة لها ؛ إذ يحتمل أنَّها قالتهما تمثُّلاً ، ورواهما البيهقي في « الشعب » (٤٩٢) من قول أبي العتاهية ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٦٩) من قول عبد الله بن المبارك ، ونُسبا أيضاً إلى الشافعي ومحمود الوراق وغيرهما ، وفي (هـ) : (تضمر) بدل (تظهر) ، وفي نسخة علىٰ هامش (د) : (في القياس) بدل (في الفعال) .

(٤) في هامش (ح) زيادة بيت دون إشارة تصحيح ؛ وهو :

فـي كـلِّ يـومٍ يَبْتـدِيـكَ بنعمـةٍ ... منـهُ وأنـتَ لشُكْـرِ ذاكَ مُضيـعُ

وقالَ سُمْنُونٌ : (ذَهَبَ المُحِبُّونَ للهِ بشرفِ الدنيا والآخرةِ ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ، فهم معَ اللهِ تعالىٰ)[١] .

وقالَ أبو يعقوبَ السُّوسيُّ : (لا تَصِحُّ المَحَبَّةُ حتىٰ يخرجَ مِنْ رُؤْيةِ المَحَبَّةِ إلىٰ رؤيةِ المحبوبِ بفناءِ علمِ المَحَبَّةِ ؛ مِنْ حيثُ كانَ لهُ المحبوبُ في الغيبِ ، ولم يكنْ هـٰذا بالمَحَبَّةِ ، فإذا خَرَجَ المُحِبُّ إلىٰ هـٰذهِ اللِّبْسةِ . . كانَ مُحِبّاً مِنْ غيرِ مَحَبَّةٍ)[٢] .

وسُئِلَ الجُنيدُ عنِ المَحَبَّةِ ، فقالَ : دخولُ صفاتِ المحبوبِ على البَدَلِ مِنْ صفاتِ المُحِبِّ[٣] .

قيلَ : هـٰذا علىٰ معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً »[٤] ؛ وذلكَ أنَّ المَحَبَّةَ إذا صَفَتْ وكَمَلَتْ لا تزالُ تَجذِبُ بوصفِها إلىٰ محبوبِها ، فإذا انتهتْ إلىٰ غايةِ جُهدِها . . وقفتْ والرابطةُ مُتأصِّلةٌ

---

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص٦٥٤) ، وأورده أبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٣٤٦) ، والحديث سبق تخريجه في (١/ ٢٧١ـ ٢٧٢) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٦٢ـ٦٣) ، وإلىٰ قوله : (بفناء علم المحبة) القشيري في « الرسالة » (ص٦٥٧) ، وفي (هـ) و« اللمع » : (النسبة) بدل (اللبسة) ، وفي « التهذيب » : (الخصلة) .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٥٢) ، وأبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٣١٨) ، وزاد بعده : (فيبلغ به الغايةَ التي لا مدىٰ وراءَها ، والنهايةَ التي لا مطلوبَ بعدَها ؛ وهو المحبوبُ) .

(٤) سبق تخريجه في (١/ ٣٢١) .

مُتأكِّدةٌ ، وكمالُ وصفِ المَحَبَّةِ أزالَ الموانعَ مِنَ المُحِبِّ ، وبكمالِ وصفِ المَحَبَّةِ تُجذَبُ صفاتُ المحبوبِ ؛ تَعطُّفاً على المُحِبِّ المُخلَّصِ مِنْ موانعَ قادحةٍ في صدقِ الحبِّ، ونظراً إلىٰ قصورِهِ بعدَ استنفادِ جُهدِهِ، فيعودُ المُحِبُّ بعوائدِ اكتسابِ الصفاتِ مِنَ المحبوبِ ، فيقولُ عندَ ذلكَ[1] : [من الرمل]

أَنَا مَنْ أَهْوَىٰ وَمَنْ أَهْوَىٰ أَنَا ... نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ ... وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

وهٰذا الذي عَبَّرْنا عنهُ حقيقةُ قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ ٱللهِ »[2] ؛ لأنَّهُ بنزاهةِ النَّفْسِ وكمالِ التزكيةِ يستعدُّ للمَحبَّةِ ، والمَحبَّةُ مَوْهِبةٌ غيرُ مُعلَّلةٍ بالتزكيةِ ، ولٰكنَّ سُنَّةَ اللهِ جاريةٌ أنْ يُزكِّيَ نفوسَ أَحِبَّائِهِ بحُسْنِ توفيقِهِ وتأييدِهِ ، وإذا مَنَحَ نزاهةَ النَّفْسِ وطهارتَها ، ثمَّ جَذَبَ رُوحَهُ بجاذبِ المَحبَّةِ . . خَلَعَ عليهِ خِلَعَ الصفاتِ والأخلاقِ ، ويكونُ ذلكَ عندَهُ رُتْبةً في الوصولِ .

فتارةً ينبعثُ الشوقُ مِنْ باطنِهِ إلىٰ ما وراءَ ذلكَ ؛ لكونِ عظيمِ أمرِ اللهِ غيرَ مُتناهٍ ، وتارةً يتسلَّىٰ بما مُنِحَ ، فيكونُ ذلكَ وصولَهُ الذي يُسكِّنُ نيرانَ شوقِهِ ، وبباعثِ الشوقِ تستقرُّ الصفاتُ الموهوبةُ المُحقِّقةُ رُتْبَةَ الوصولِ عندَ المُحِبِّ ، ولولا باعثُ الشوقِ رجعَ القَهْقَرىٰ ، وظهرتْ صفاتُ نَفْسِهِ الحائلةُ بينَ المرءِ وقلبِهِ .

---

(١) البيتان للحلاج في « ديوانه » (ص٣٤٢ـ٣٤٣) ، وللإمام الغزالي في « مشكاة الأنوار » (ص٥٧ـ٥٨) فصل نفيس في تأويل هٰذين البيتين وأمثالهما من العبارات الموهمة .

(٢) أورده الغزالي في « المقصد الأسنىٰ » (ص٣٠٢) ، والرازي في « تفسيره » (٧/ ٥٨) ، وقال الغماري في « الغنية » (٢/ ٨٧٠) : (لم أجده) .

ومَنْ ظَنَّ أَنَّ الوصولَ غيرُ ما ذَكَرْناهُ ، أو تُخُيِّلَ لهُ غيرُ هـٰذا القَدْرِ . فهوَ مُتعرِّضٌ لمذهبِ النصارىٰ في اللَّاهُوتِ والنَّاسُوتِ .

وإشاراتُ الشُّيُوخِ في الاستغراقِ والفناءِ كلُّها عائدةٌ إلىٰ تحقيقِ مقامِ المَحَبَّةِ ؛ باستيلاءِ نورِ اليقينِ وخُلاصةِ الذِّكْرِ على القلبِ ، وتحقيقِ حقِّ اليقينِ بزوالِ اعوجاجِ البقايا ، وأَمْتِ اللَّوْثِ الوُجُوديِّ مِنْ بقاءِ صفاتِ النَّفْسِ[1] ، وإذا صحَّتِ المحبَّةُ ترتَّبتْ عليها الأحوالُ وتَبِعَتْها .

سُئِلَ الشِّبْليُّ عنِ المَحَبَّةِ ، فقالَ : كأسٌ لها وَهَجٌ إذا استقرَّ في الحواسِّ وسَكَنَ في النُّفُوسِ . . تلاشَتْ[2] .

وقيلَ : للمَحَبَّةِ ظاهرٌ وباطنٌ ؛ ظاهرُها : اتِّباعُ رِضا المحبوبِ ، وباطنُها : أنْ يكونَ مَفْتُوناً بالحبيبِ عن كلِّ شيءٍ ؛ فلا يبقىٰ فيهِ بقيةٌ لغيرِهِ ولا لنَفْسِهِ .

---

(١) في (ي) : (إماطة) بدل (أمت) ، والأَمْتُ في الأصل : الانخفاض والارتفاع ، أو الاختلاف في الشيء ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٧] ، واللَّوث : بمعنى الشائبة .

(٢) أورده أبو المعالي شيذله في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٤٤٦ ، ٤٤٨) ، وفيه زيادة ، وعبارته في الموضع الأوَّل : (المحبَّة : نارٌ حَشْوُها وَهَج ؛ إن بلغتْ إلى القلوب ثبتتْ واستقرَّتْ في الحواسِّ ، وإن وقفتْ مع النفوس تلاشتْ ، فهو بلاءٌ في بلاء ، أوَّلُهُ البلاء وآخره التلف والنوىٰ) ، وعبارته في الموضع الثاني : (المحبَّة : كأسٌ لها وَهَج ؛ إن استقرَّتْ في الحواسِّ قتلتْ ، وإن تمكَّنت في النفوس أَسْكَرتْ ، فهي سُكْرٌ في الظاهر ، صَحْوٌ في الباطن ، فأرواحُ المُحبِّين تلطَّفتْ بعضُها علىٰ بعض ، وتعطَّفتْ بعضُها علىٰ بعض ، فليس الكونُ ببالهم ، وكيف يخطرُ الكونُ ببالِ مَنْ عرف مُكوِّن الكون ؟!) .

فمِنَ الأحوالِ السَّنيَّةِ في المَحَبَّةِ :

الشوق

ولا يكونُ المُحِبُّ إلا مُشتاقاً أبداً ؛ لأنَّ أمرَ الحقِّ سُبْحانَهُ لا نهايةَ لهُ ؛ فما مِنْ حالٍ يبلغُها المُحِبُّ إلا ويعلمُ أنَّ وراءَ ذلكَ أَوْفىٰ منها وأَتَمَّ ، وأُنشِدَ : [من الكامل]

حُـزْنِـي كَحُسْنِـكَ لَا لِـذَا أَمَـدٌ يُنْهَـىٰ إِلَيْـهِ وَلَا لِـذَا أَمَـدُ

ثمَّ هـٰذا الشوقُ الحادثُ عندَهُ ليسَ كسبَهُ ، وإنَّما هوَ مَوْهِبَةٌ خصَّ اللهُ تعالىٰ بها المُحبِّينَ .

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحَوَاريِّ : دخلتُ علىٰ أبي سُلَيمانَ الدَّارانيِّ فرأيتُهُ يبكي ، فقلتُ : ما يُبكِيكَ رحمَكَ اللهُ ؟

قالَ : وَيْحَكَ يا أحمدُ !! إذا جَنَّ هـٰذا الليلُ ، [وافترشَ] أهلُ المَحبَّةِ أقدامَهُم ، وجَرَتْ دموعُهُم علىٰ خدودِهِم . أَشْرفَ الجليلُ جَلَّ جلالُهُ عليهِم وقالَ : بعَينِي مَنْ تَلَذَّذَ بكلامي ، واستراحَ إلىٰ مُناجاتي ، وإنِّي لَمُطَّلِعٌ عليهِم في خَلَواتِهِم ، أسمعُ أنينَهُم ، وأرىٰ بُكاءَهُم ، يا جبريلُ ؛ نادِ فيهِم : ما هـٰذا البكاءُ الذي أراهُ فيكُم ؟! هل خَبَّرَكُم مُخبِّرٌ أنَّ حبيباً يُعذِّبُ أحبابَهُ بالنارِ ؟! بل كيفَ يَجمُلُ بي أنْ أُعذِّبَ قوماً إذا جَنَّهُمُ الليلُ تملَّقُوا لي ؟! فبي حلفتُ ؛ إذا وَرَدُوا القيامةَ عليَّ أنْ أُسفِرَ لهُم عن وَجْهي ، وأُبيحَهُم رياضَ قُدْسي (١) .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص١٣٤ـ١٣٥) .

وهـٰذهِ أحوالُ قومٍ مِنَ المُحبِّينَ أُقِيموا مَقامَ الشوقِ .

والشوقُ مِنَ المَحَبَّةِ كالزهدِ مِنَ التوبةِ ؛ إذا استقرَّتِ التوبةُ ظهرَ الزهدُ ، وإذا استقرَّتِ المَحَبَّةُ ظهرَ الشوقُ .

قالَ الوَاسِطيُّ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه : ٨٤] ؛ قالَ[١] : (شوقاً واستهانةً بمَنْ وراءَهُ ، فقالَ : ﴿ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ [طه : ٨٤] ؛ مِنْ شوقِهِ إلىٰ مُكالَمةِ اللهِ ، ورمىٰ بالألواحِ ؛ لِمَا فاتَهُ مِنْ وقتِهِ)[٢] .

قالَ أبو عُثْمانَ : (الشوقُ ثمرةُ المَحبَّةِ ؛ مَنْ أَحَبَّ اللهَ اشتاقَ إلىٰ لقائِهِ)[٣] .

وقالَ أيضاً : (قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾ [العنكبوت : ٥] تعزيةٌ للمُشتاقِينَ ؛ مَعْناهُ : إنِّي أعلمُ أنَّ شوقَكُم إليَّ غالبٌ ، وإنِّي أجَّلتُ للقائِكُم أَجَلاً ، وعن قريبٍ يكونُ وصولُكُم إلىٰ مَنْ تشتاقونَ إليهِ)[٤] .

وقالَ ذو النُّونِ : (الشوقُ أَعْلى الدَّرَجاتِ ، وأَعْلى المقاماتِ ، فإذا بَلَغَها الإنسانُ استبطأَ الموتَ ؛ شَوْقاً إلىٰ ربِّهِ ، ورجاءً للقائِهِ والنظرِ إليهِ)[٥] .

---

(١) يعني : قال الواسطي : عَجِلَ موسىٰ لأجل الشوق لربِّهِ ، ولاستهانته [بما] سوى الله . من هامش (ح) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٤٤٧) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٠) إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧١) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٨) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ١١٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص٦٦٨) ، وزاد السلمي : (فطِيبُوا نَفْساً وتنعَّموا) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٦) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤٣١) .

وعندي : أنَّ الشوقَ الكائنَ في المُحبِّينَ إلىٰ رُتَبٍ يتوقَّعُونَها في الدنيا . . غيرُ الشوقِ الذي يكونُ يُتوقَّعُ ما بعدَ الموتِ ، واللهُ تعالىٰ يُكاشِفُ أهلَ وُدِّهِ بعطايا يجدونَها عِلْماً ، ويطلبونَها ذَوْقاً ؛ فلذلكَ يكونُ شوقُهُم ليصيرَ العلمُ ذَوْقاً ، وليسَ مِنْ ضرورةِ مقامِ الشوقِ استبطاءُ الموتِ ، وربَّما الأَصِحَّاءُ مِنَ المُحبِّينَ يستلذُّونَ الحياةَ للهِ تعالىٰ ، كما قالَ الخليلُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

فمَنْ كانتْ حياتُهُ للهِ تعالىٰ مَنَحَهُ الكريمُ لذَّةَ المُناجاةِ والمَحبَّةِ ؛ فتمتلئُ عينُهُ مِنَ النَّقْدِ[١] ، ثمَّ يُكاشِفُهُ مِنَ المِنَحِ والعطايا في الدنيا ما يتحقَّقُ بمقامِ الشوقِ مِنْ غيرِ الشوقِ إلىٰ ما بعدَ الموتِ .

وأنكرَ بعضُهُم مقامَ الشوقِ ، وقالَ : إنَّما يكونُ الشوقُ إلى الغائبِ ، ومتىٰ يَغِيبُ الحبيبُ عنِ الحبيبِ حتىٰ يشتاقَ إلى الحبيبِ ؟!

ولهٰذا سُئِلَ الأَنْطَاكيُّ عنِ الشوقِ ، فقالَ : إنَّما يشتاقُ الغائبُ ، وما غِبْتُ عنهُ منذُ وجدتُهُ[٢] .

وإنكارُ الشوقِ على الإطلاقِ لا أرىٰ لهُ وجهاً ؛ لأنَّ رُتَبَ العطايا والمِنَحِ مِنْ أَنْصِبةِ القُرْبِ إذا كانتْ غيرَ مُتناهِيةٍ . . كيفَ يُنكَرُ الشوقُ مِنَ المُحِبِّ ؟! فهوَ غيرُ غائبٍ وغيرُ مُشتاقٍ بالنسبةِ إلىٰ ما وَجَدَ ، ولٰكن يكونُ مُشتاقاً إلىٰ ما لم يجدْ مِنْ أَنْصِبةِ القُرْبِ ، فكيفَ يُمنَعُ حالُ الشوقِ والأمرُ هٰكذا ؟!

ووَجْهٌ آخَرُ ؛ أنَّ الإنسانَ لا بُدَّ لهُ مِنْ أمورٍ يَرُدُّها حُكْمُ الحالِ ؛ لموضعِ

---

(١) يُقال : ما زال فلان يَنقُدُ بصره إلى الشيء : إذا لم يَزَلْ ينظرُ إليه .

(٢) أورده دون نسبة الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/ ٥٠٦) .

بَشَرِيَّتِهِ وطبيعتِهِ ، وعدمِ وقوفِهِ على حدِّ العلمِ الذي يقتضيهِ حكمُ الحالِ ، ووجودُ هـٰذهِ الأمورِ مُثيرٌ لنارِ الشوقِ ، ولا نعني بالشوقِ إلا مُطالَبَةً تنبعثُ مِنَ الباطنِ إلى الأَوْلىٰ والأَعْلىٰ مِنْ أَنْصِبةِ القُرْبِ ، وهـٰذهِ المُطالَبَةُ كائنةٌ في المُحبِّينَ .

فالشوقُ إذاً : كائنٌ لا وجهَ لإنكارِهِ ، وقد قالَ قومٌ : (شوقُ المُشاهَدةِ واللِّقاءِ أَشَدُّ مِنْ شوقِ البُعْدِ والغَيْبوبةِ) ، فيكونُ في حالِ الغَيْبُوبةِ مُشتاقاً إلى اللِّقاءِ ، ويكونُ في حالِ اللِّقاءِ والمُشاهَدةِ مُشتاقاً إلىٰ زوائدَ ومَبارَّ مِنَ الحبيبِ وإفْضالِهِ ، وهـٰذا هوَ الذي أراهُ وأختارُهُ .

وقالَ فارسٌ : (قلوبُ المُشتاقِينَ مُنوَّرةٌ بنُورِ اللهِ ، فإذا تحرَّكتِ اشتياقاً أضاءَ النُّورُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ ، فيَعرِضُهُمُ اللهُ على الملائكةِ فيقولُ : هـٰؤلاءِ المُشتاقونَ إليَّ ، أُشهِدُكُم أنِّي إليهِم أَشْوقُ)[1] .

وقالَ أبو يزيدَ : (لو أنَّ اللهَ حَجَبَ أهلَ الجنَّةِ عن رُؤْيتِهِ . لاستغاثُوا مِنَ الجنَّةِ كما يستغيثُ أهلُ النارِ مِنَ النارِ)[2] .

وسُئِلَ ابنُ عطاءٍ عنِ الشوقِ ، فقالَ : احتراقُ الحَشَا[3] ، وتَلَهُّبُ القلوبِ ، وتَقَطُّعُ الأكبادِ مِنَ البُعْدِ بعدَ القُرْبِ[4] .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٦٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٤) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٦٦٧) .

(٣) الحشا : ما اشتملتْ عليه الضلوع .

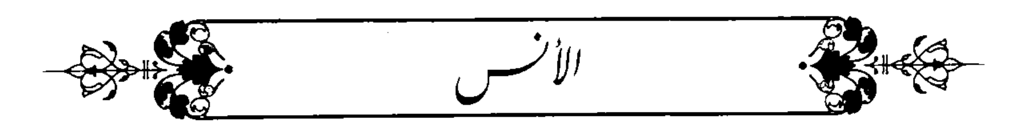
(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦٦٦) .

وسُئِلَ بعضُهُمْ : الشوقُ أَعْلىٰ أم المَحَبَّةُ ؟ فقالَ : المَحَبَّةُ ؛ لأنَّ الشوقَ يتولَّدُ منها(١) .

فلا مُشتاقَ إلا مِنْ غلبةِ الحبِّ ؛ فالحبُّ أصلٌ ، والشوقُ فرعٌ(٢) .

وقالَ النَّصْرَاباذيُّ : (للخَلْقِ كُلِّهِم مقامُ الشوقِ لا مقامُ الاشتياقِ ، ومَنْ دَخَلَ في حالِ الاشتياقِ هامَ فيهِ ؛ حتىٰ لا يُرىٰ لهُ أَثَرٌ ولا قَرارٌ)(٣) .

ومنها :



الأنس

وقد سُئِلَ الجُنيدُ عنِ الأُنْسِ ، فقالَ : ارتفاعُ الحِشْمةِ معَ وجودِ الهَيْبةِ(٤) .

وسُئِلَ ذو النُّونِ عنِ الأُنْسِ ، فقالَ: هوَ انبساطُ المُحِبِّ إلى المحبوبِ(٥) .

قيلَ : مَعْناهُ : قولُ الخليلِ : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، وقولُ موسىٰ : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] (٦) .

---

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦٦٦) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٦٦٦) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٦٦٥) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٥) ، وأبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٩٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٨١) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٥) .

(٦) انظر « التعرف » (ص١٢٥) .

وأُنشِدَ لرُوَيمٍ[1] : [من المنسرح]

شَغَلْتَ قَلْبِي بِمَا لَدَيْكَ فَلَا ... يَنْفَكُّ طُولَ ٱلْحَيَاةِ مِنْ فِكَرِي

آنَسْتَنِي مِنْكَ بِٱلْوِدَادِ فَقَدْ ... أَوْحَشْتَنِي مِنْ جَمِيعِ ذَا ٱلْبَشَرِ

ذِكْرُكَ لِي مُؤْنِسٌ يُعَارِضُنِي ... يُوعِدُنِي عَنْكَ مِنْكَ بِٱلظَّفَرِ

وَحَيْثُمَا كُنْتَ يَا مَدَىٰ هِمَمِي ... فَأَنْتَ مِنِّي بِمَوْضِعِ ٱلنَّظَرِ

ورُوِيَ أنَّ مُطرِّفَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ كَتَبَ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : (لِيَكُنْ أُنْسُكَ باللهِ ، وانقطاعُكَ إليهِ ؛ فإنَّ للهِ عباداً استأنسوا باللهِ ، فكانوا في وَحدتِهِم أَشَدَّ استئناساً مِنَ الناسِ في كَثْرتِهِم ، وأَوْحَشُ ما يكونُ الناسُ آنَسُ ما يكونونَ ، وآنَسُ ما يكونُ الناسُ أَوْحَشُ ما يكونونَ)[2] .

قالَ الوَاسِطيُّ : (لا يَصِلُ إلىٰ مَحَلِّ الأُنْسِ مَنْ لم يستوحشْ مِنَ الأكوانِ كلِّها) .

وقالَ أبو الحسينِ الورَّاقُ : (لا يكونُ الأُنْسُ باللهِ إلا ومعَهُ التعظيمُ ؛ لأنَّ كلَّ مَنِ استأنستَ بهِ سَقَطَ عن قلبِكَ تعظيمُهُ ، إلا اللهَ تعالىٰ ؛ فإنَّكَ لن تزيدَ بهِ أُنساً إلا ازددتَ منهُ هيبةً وتعظيماً)[3] .

---

(١) أورد الأبيات الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٥) ، وهي مشكوكة النسبة إلى الحلاج . انظر « ديوانه » (ص٤٥٧) .

(٢) رواه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٧) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٩٦) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٨٢) .

قالتْ رابعةُ : (كلُّ مُطيعٍ مُستأنِسٌ)[1] ، وأنشدتْ[2] : [من الكامل]

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي ٱلْفُؤَادِ مُحَدِّثِي وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَٱلْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي ٱلْفُؤَادِ أَنِيسِي

وقالَ مالكُ بنُ دينارٍ : (مَنْ لم يَأْنَسْ بمُحادَثةِ اللهِ عن مُحادَثةِ المخلوقينَ . . فقد قَلَّ علمُهُ ، وعَمِيَ قلبُهُ ، وضيَّعَ عُمُرَهُ)[3] .

قيلَ لبعضِهِم : مَنْ معَكَ في الدارِ ؟ قالَ : اللهُ تعالىٰ معي ، ولا يستوحشُ مَنْ أَنِسَ بربِّهِ .

وقالَ الخَرَّازُ : (الأُنْسُ : مُحادَثةُ الأرواحِ معَ المحبوبِ في مجالسِ القُرْبِ) .

ووَصَفَ بعضُ العارفينَ صفةَ أهلِ المَحبَّةِ الواصلينَ ؛ فقالَ : (جَدَّدَ لهُمُ الوُدَّ في كلِّ طَرْفةٍ بدوامِ الاتِّصالِ ، وآواهُم في كَنَفِهِ بحقائقِ السُّكُونِ إليهِ ، حتىٰ أَنَّتْ قلوبُهُم ، وحَنَّتْ أرواحُهُم شوقاً ، فكانَ الحُبُّ والشوقُ منهُم إشارةً مِنَ الحقِّ إليهِم عن حقيقةِ التوحيدِ ؛ وهوَ الوجودُ باللهِ ، فذَهَبَ مُناهُم ، وانقطعتْ آمالُهُم عندَهُ ؛ لِمَا بانَ منهُ لهُم .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٧٦) عن ذي النون المصري من قوله رحمه الله تعالىٰ ، ورواه البيهقي في « الشعب » (١٠٠١) عن ذي النون أنه وجده مكتوباً علىٰ حجر .

(٢) أورد البيتين الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/ ١١٨) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢/ ٤٣٢) .

(٣) رواه ابن حبان البستي في « روضة العقلاء » (ص٨٥) ، وأورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص٣٠٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٨) .

ولو أنَّ الحقَّ أَمَرَ جميعَ الأنبياءِ يسألونَ لهُم . . ما سألوهُ بعضَ ما أَعَدَّ لهُم في قديمِ وَحْدانيَّتِهِ ودوامِ أزليَّتِهِ ، وسابقِ علمِهِ ، فكانَ نصيبُهُم معرفتَهُم بهِ ، وإفراغَ هِمَمِهِم عليهِ[1] ، واجتماعَ أهوائِهِم فيهِ ، فصارَ يَحسُدُهُم مِنْ عبيدِهِ العُمُومُ ؛ أنْ رَفَعَ عن قلوبِهِم جميعَ الهُمُومِ) .

وأُنْشِدَ في مَعْناهُ[2] : [من البسيط]

كَـانَـتْ لِقَلْبِـيَ أَهْـوَاءٌ مُفَـرَّقَـةٌ فَٱسْتَجْمَعَتْ إِذْ رَأَتْكَ ٱلنَّفْسُ أَهْوَائِي

فَصَارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسُدُهُ وَصِرْتُ مَوْلَى ٱلْوَرَىٰ مُذْ صِرْتَ مَوْلَائِي

تَرَكْتُ لِلنَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَدِينَهُمُ شُغْلاً بِذِكْرِكَ يَا دِينِي وَدُنْيَائِي

وقد يكونُ مِنَ الأنسِ الأُنْسُ بطاعةِ اللهِ ، وذكرِهِ وتلاوةِ كلامِهِ ، وسائرِ أبوابِ القُرُباتِ ، وهـٰذا القَدْرُ مِنَ الأُنْسِ نعمةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ ومِنْحةٌ منهُ ، ولـٰكن ليسَ هوَ حالَ الأُنْسِ الذي يكونُ للمُحبِّينَ .

والأُنْسُ حالٌ شريفٌ يكونُ عندَ طهارةِ الباطنِ ، وكَنْسِهِ بصدقِ الزهدِ ، وكمالِ التقوىٰ ، وقَطْعِ الأسبابِ والعلائقِ ، ومَحْوِ الخواطرِ والهواجسِ .

وحقيقتُهُ عندي : كَنْسُ الوجودِ بثِقَلِ لائحِ العَظَمةِ ، وانتشارُ الرُّوحِ في ميادينِ الفُتُوحِ ، ولهُ استقلالٌ بنَفْسِهِ يشتملُ على القلبِ ، فيجمعُهُ بهِ عنِ الهيبةِ ، وفي الهيبةِ اجتماعُ الرُّوحِ ورُسُوبُهُ إلىٰ مَحَلِّ النَّفْسِ .

---

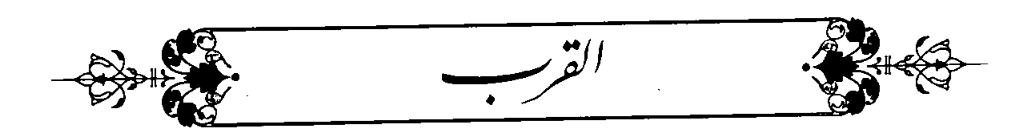
(١) في (ج ، هـ ، ح) : (له) بدل (عليه) .

(٢) أورد البيت الأول والثاني الأصبهاني في « الزهرة » (ص٩٧) ، وعزاهما إلىٰ بعض أهل عصره ، وأوردها كاملة أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٥٨/٢) ، وأبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٥٧٦) ، و(النفس) فاعل (استجمعت) .

وهـٰذا الذي وَصَفْناهُ مِنْ أُنْسِ الذَّاتِ وهيبةِ الذَّاتِ . . يكونُ في مقامِ البقاءِ بعدَ العبورِ علىٰ مَمَرِّ الفناءِ ، وهما غيرُ الأُنْسِ والهيبةِ اللَّذَينِ يذهبانِ بوجودِ الفناءِ ؛ لأنَّ الهيبةَ والأُنْسَ قبلَ الفناءِ ظَهَرا مِنْ مُطالَعةِ الصفاتِ مِنَ الجلالِ والجمالِ ؛ وذاكَ مقامُ التَّلْوينِ ، وما ذَكَرْناهُ بعدَ الفناءِ في مقامِ التمكينِ والبقاءِ . . مِنْ مُطالَعةِ الذَّاتِ .

ومِنَ الأُنْسِ خضوعُ النَّفْسِ المُطمئنَّةِ ، ومِنَ الهَيبةِ خُشُوعُها ، والخُضُوعُ والخُشُوعُ يتقاربانِ ويفترقانِ بفَرْقٍ لطيفٍ مُدرَكٍ بإيماءِ الرُّوحِ .

ومنها :



القرب

قالَ اللهُ تعالىٰ لنبيِّهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩] .

وقد وَرَدَ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ ٱلْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِي سُجُودِهِ »[١] .

فالساجدُ إذا أُذِيقَ طعمَ السجودِ يقرُبُ ؛ لأنَّهُ يسجدُ ويَطْوِي بسجودِهِ بساطَ الكونِ ما كانَ وما يكونُ ، ويسجدُ علىٰ طَرَفِ رداءِ العَظَمةِ ، فيَقرُبُ .

وقد وَرَدَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما يُشيِّدُ هـٰذا القولَ ؛ وهو قولُهُ عليهِ السلامُ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا سَجَدَ يُطَهِّرُ بِسُجُودِهِ مَا تَحْتَ جَبْهَتِهِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ »[٢] ؛ بإيماءٍ يُدرِكُهُ أربابُهُ .

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٥١ ، ٨٦٨٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

قالَ بعضُهُم : إنِّي لَأجدُ الحضورَ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ ، فأقولُ : (يا أللهُ) أو (يا ربِّ) ، فأجدُ ذلكَ أثقلَ عليَّ مِنَ الجبالِ ، قيلَ : ولِمَ ؟ قالَ : لأنَّ النداءَ يكونُ مِنْ وراءِ حجابٍ ، وهل رأيتَ جليساً يُنادي جليسَهُ ؟! وإنَّما هيَ إشاراتٌ ومُلاحَظاتٌ ومُناغاتٌ ومُلاطَفاتٌ .

وهٰذا الذي وصفَهُ مقامٌ عزيزٌ مُتحقِّقٌ فيهِ القُرْبُ ، ولٰكنَّهُ مُشعِرٌ بمحوٍ ، ومُؤذِنٌ بسُكْرٍ ، يكونُ ذلكَ لمَنْ غابتْ نَفْسُهُ في نورِ روحِهِ ؛ لغلبةِ سُكْرِهِ ، وقوَّةِ مَحْوِهِ ، فإذا صحا وأفاقَ يتخلَّصُ الرُّوحُ مِنَ النَّفْسِ ، والنَّفْسُ مِنَ الرُّوحِ ، ويعودُ كلٌّ مِنَ العبدِ إلىٰ محلِّهِ ومقامِهِ ، فيقولُ : (يا أللهُ) و(يا ربِّ) بلسانِ النَفْسِ المُطمئنَّةِ ، العائدةِ إلىٰ مقامِ حاجتِها ومَحَلِّ عُبُوديَّتِها .

والرُّوحُ يستقلُّ بفتوحِهِ وبكمالِ الحالِ عنِ الأقوالِ ، وهٰذا أَتَمُّ وأقربُ مِنَ الأوَّلِ ؛ لأنَّهُ وفَّىٰ حقَّ القُربِ باستقلالِ الرُّوحِ بالفتوحِ ، وأقامَ رَسْمَ العُبُوديَّةِ بعَودِ حُكْمِ النَّفْسِ إلىٰ مَحَلِّ الافتقارِ .

وحظُّ القُرْبِ لا يزالُ يتوفَّرُ للروحِ بإقامةِ رَسْمِ العُبُوديَّةِ مِنَ النَّفْسِ .

قالَ الجُنيدُ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ يَقرُبُ مِنْ قلوبِ عبادِهِ علىٰ حَسَبِ ما يرىٰ مِنْ قُرْبِ قلوبِ عبادِهِ منهُ ، فانظُرْ ماذا يَقرُبُ مِنْ قلبِكَ)[1] .

وقالَ أبو يعقوبَ السُّوسيُّ : (ما دامَ العبدُ يكونُ بالقُرْبِ . . لم يكنْ قريباً حتىٰ يَغِيبَ عنِ القُرْبِ بالقُرْبِ ، فإذا ذَهَبَ عن رُؤْيةِ القُرْبِ بالقُرْبِ . . فذلكَ قُرْبٌ)[2] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٥) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٨٥)، والسلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٠٣)، =

وقد قالَ قائلُهم[1] : [من مجزوء الرمل]

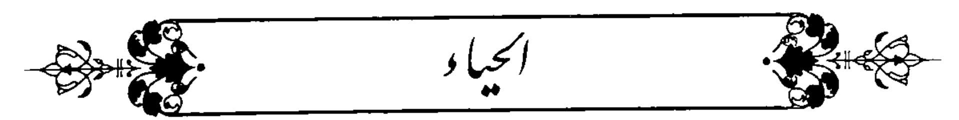
قَـدْ تَحَقَّقْتُـكَ فِـي ٱلسِّـرِّ فَنَـاجَـاكَ لِسَـانِـي
فَـٱجْتَمَعْنَـا لِمَعَـانٍ وَٱفْتَـرَقْنَـا لِمَعَـانِـي
إِنْ يَكُـنْ غَيَّبَـكَ ٱلتَّعْـ ـظِيـمُ عَـنْ لَحْـظِ عِيَـانِـي
فَلَقَـدْ صَيَّـرَكَ ٱلْـوَجْـ ـدُ مِـنَ ٱلْأَحْشَـاءِ دَانِـي

قالَ ذو النُّونِ : (ما ازدادَ أحدٌ مِنَ اللهِ قُرْبةً **إلا ازدادَ هيبةً**) .

وقالَ سهلٌ : (**أَدْنىٰ مقامٍ مِنْ مقاماتِ القُربِ** : الحياءُ)[2] .

وقالَ النَّصْراباذيُّ : (**باتِّباعِ السُّنَّةِ** تُنالُ المعرفةُ ، **وبأداءِ الفرائضِ** تُنالُ القُرْبةُ ، **وبالمُواظَبةِ على النوافلِ** تُنالُ المَحَبَّةُ)[3] .

ومنها :



الحياء

والحياءُ على الوصفِ العامِّ ، والوصفِ الخاصِّ .

فأمَّا الوصفُ العامُّ : فما أَمَرَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قولِهِ : « **ٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱللهِ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ** » ، قالوا : إنَّا نستحيي يا رسولَ اللهِ !!

= والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٥) .

(١) أورد الأبيات السلمي في « تفسيره » (٢/ ٣٠٢) ، ورواها الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/ ١١٥) ، وعزاها إلى الحلاج ، وأوردها أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٢٥٣) ، وعزواها إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٧١) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٧٦) دون نسبة .

قالَ : « لَيْسَ ذَٰلِكَ ، وَلَـٰكِنْ مَنِ ٱسْتَحْيَا مِنَ ٱللهِ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ . . فَلْيَحْفَظِ ٱلرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ ، وَٱلْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ ، وَلْيَذْكُرِ ٱلْمَوْتَ وَٱلْبِلَىٰ ، وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ ٱلدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ فَقَدِ ٱسْتَحْيَا مِنَ ٱللهِ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ »[1] .

وهـٰذا الحياءُ مِنَ المقاماتِ .

وأمَّا الحياءُ الخاصُّ : فمِنَ الأحوالِ ؛ وهوَ ما نُقِلَ عن عُثْمانَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (إنِّي لَأغتسلُ في البيتِ المُظلِمِ ، فأَنْطوِي حياءً مِنَ اللهِ)[2] .

(١٤٥) ـ **أخبرَنا** أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ إجازةً ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ قالَ : **سمعتُ** أبا العبَّاسِ البغداديَّ يقولُ : **سمعتُ** أحمدَ ابنَ صالحٍ يقولُ : **سمعتُ** محمَّدَ بنَ عَبْدُونٍ يقولُ : **سمعتُ** أبا العبَّاسِ المُؤدِّبَ يقولُ : قالَ لي سَرِيٌّ : (احْفَظْ عنِّي ما أقولُ لكَ : **إنَّ الحياءَ والأُنْسَ** يطوفانِ بالقلبِ ، **فإذا وَجَدا فيهِ الزهدَ والورَعَ حطَّا** ، **وإلا رَحَلا**)[3] .

والحياءُ : إطراقُ الرُّوحِ إجلالاً لعظيمِ الجلالِ ، **والأُنْسُ** : التذاذُ الرُّوحِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨) ، وأحمد (١/ ٣٨٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٦١) ، والحاكم (٤/ ٣٢٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروي عن غيره أيضاً . انظر « غنية العارف » (٢/ ٨٨٠) .

(٢) رواه بنحوه أحمد في « الزهد » (٦٦٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٥٦) ، ورواه بلفظ المؤلف ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٤/ ١١٣) ، وأحمد في « الزهد » (١١٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٦٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه من قوله .

(٣) رواه من طريق السلميِّ تلميذُهُ القشيري في « الرسالة » (ص٤٨٩) ، وفيه : (يطرقان القلب) بدل (يطوفان بالقلب) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٣) عن الجنيد عن خاله السري ، واللفظ فيه : (الشوق والوَله يُرفرفان على القلب ، فإن وجدا فيه الحياء والأنس . أَوْطنا ، وإلا رحلا ، احفظْ عنِّي هـٰذا الكلام يا غلامُ لا يُضيِّع) .

بكمالِ الجمالِ ، فإذا اجتمعا فهوَ الغايةُ في المُنىٰ ، والنهايةُ في العطاء .

قالَ بعضُ الحُكَماءِ : (مَنْ تكلَّمَ في الحياءِ ولا يستحيي مِنَ اللهِ فيما يتكلَّمُ بهِ . . فهوَ مُستدرَجٌ)[1] .

وقالَ ذو النُّونِ : (الحياءُ : وجودُ الهَيْبَةِ في القلبِ معَ حِشْمةِ ما سَبَقَ منكَ إلىٰ ربِّكَ)[2] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (العلمُ الأكبرُ : الهَيبةُ والحياءُ ، فإذا ذَهَبَ عنهُ الهيبةُ والحياءُ . . فلا خيرَ فيهِ)[3] .

وقالَ أبو سُلَيمانَ : (إنَّ العبادَ عَمِلُوا علىٰ أربعِ درجاتٍ : على الخوفِ ، والرجاءِ ، والتعظيمِ ، والحياءِ ، وأَشْرفُهُم منزلةً : مَنْ عَمِلَ على الحياءِ ؛ لِمَا أَيْقنَ أنَّ اللهَ تعالىٰ يراهُ علىٰ كلِّ حالٍ ، استحيا مِنْ حسناتِهِ أكثرَ ممَّا استحيا العاصُونَ مِنْ سيِّئاتِهِم)[4] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الغالبُ علىٰ قلوبِ المُستحيِينَ : الإجلالُ والتعظيمُ دائماً عندَ نَظَرِ اللهِ إليهم) .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٤٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٩) ، وعزواه إلىٰ أبي عثمان الحيري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٩) ، وفي « الشعب » : (خشية) بدل (حشمة) ، وفي « الرسالة » : (وحشة) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص٤٨٩) .

(٤) أورده بنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٤٤٥) ، وعزاه إلىٰ أبي أحمد القاضي رحمه الله تعالىٰ ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (٢/١٣٨) ، وعزاه إلىٰ إبراهيم الخواص رحمه الله تعالىٰ .

وأنشدَ شيخُنا شيخُ الإسلامِ أبو النَّجيبِ السُّهرُوَرْديُّ[1] : [من مجزوء الكامل]

أَشْتَــاقُــهُ فَــإِذَا بَــدَا ... أَطْـرَقْـتُ مِـنْ إِجْـلَالِـهِ

لَا خِيفَــةً بَــلْ هَيْبَــةً ... وَصِيَــانَــةً لِجَمَــالِـهِ[2]

اَلْمَــوْتُ فِــي إِدْبَــارِهِ ... وَٱلْعَيْــشُ فِــي إِقْبَــالِـهِ

وَأَصُــدُّ عَنْــهُ إِذَا بَــدَا ... وَأَرُومُ طَيْــفَ خَيَــالِـهِ

ومنها :

الاتصال[3]

قالَ النُّوريُّ : (الاتِّصالُ : مُكاشَفاتُ القلوبِ ، ومُشاهَداتُ الأسرارِ)[4] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الاتِّصالُ : وصولُ السِّرِّ إلىٰ مقامِ الذُّهُولِ)[5] .

وقالَ بعضُهُمْ : (الاتِّصالُ : أَلَّا يشهدَ العبدُ غيرَ خالقِهِ ، ولا يتَّصلَ بسِرِّهِ خاطرٌ لغيرِ صانعِهِ)[6] .

---

(١) الأبيات في « مرآة الزمان » (١٨/ ١٧٧) من شعر عبد الواحد بن نصر البَبَّغاء ، وعزا العميدي في « الإبانة عن سرقات المتنبي » (ص٤٥) البيتين الأوَّل والثاني إلىٰ معوج الرقي .

(٢) في (د) : (وصبابة بجماله) .

(٣) **الاتِّصال** : هو ملاحظة العبد عينَهُ متَّصلاً بالوجود الأَحَديِّ ، بقطع النظر عن تقيُّد وجوده بعينه ، وإسقاط إضافته إليه ، فيرى اتِّصالَ مدد الوجود ونَفَسِ الرحمـٰن إليه على الدوام بلا انقطاع ، حتىٰ يبقىٰ موجوداً به . من هامش (ح) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٧) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٧) ، وقال بعده : (معناه : أن يشغله تعظيم الله عن تعظيم سواه) .

(٦) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٧) ، وعزاه إلىٰ بعض الكبار ، ولعلَّ المراد به الحلاج .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (**حُرِّكُوا بالبلاءِ فتَحَرَّكُوا ، ولو سَكَنُوا اتَّصَلُوا**)[1] .

وقالَ يحيى بنُ مُعاذٍ الرازيُّ : (**العُمَّال أربعةٌ** : تائبٌ ، وزاهدٌ ، ومُشتاقٌ ، وواصلٌ ؛ **فالتائبُ** محجوبٌ بتوبتِهِ ، **والزاهدُ** محجوبٌ بزهدِهِ ، **والمُشتاقُ** محجوبٌ بحالِهِ ، **والواصلُ** لا يَحجُبُهُ عنِ الحقِّ شيءٌ) .

وقالَ أبو سعيدٍ القُرَشيُّ : (**الواصلُ** : الذي يَصِلُهُ اللهُ تعالىٰ ، فلا يُخشىٰ عليهِ القطعُ أبداً ، **والمُتَّصِلُ** : الذي بجُهْدِهِ يتَّصِلُ ، وكلَّما دنا انقطعَ) .

وكأنَّ هٰذا الذي ذَكَرَهُ حالُ المُرِيدِ والمُرادِ ؛ لكونِ أحدِهِما مُباداً بالكشوفِ ، وكونِ الآخَرِ مردوداً إلى الاجتهادِ .

وقالَ أبو يزيدَ : (**الواصلونَ في ثلاثةِ أحرفٍ** : همُّهُمُ اللهُ ، وشُغْلُهُم في اللهِ ، ورجوعُهُم إلى اللهِ) .

وقالَ السَّيَّاريُّ : (**الوصولُ مقامٌ جليلٌ** ؛ وذلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ إذا أَحَبَّ عبداً أن يُوصِلَهُ اختصرَ عليهِ الطريقَ ، وقَرَّبَ إليهِ البعيدَ) .

وقالَ الجُنيدُ : (**الواصلُ** : هوَ الحاصلُ عندَ ربِّهِ) .

وقالَ رُوَيمٌ : (**أهلُ الوصولِ** أَوْصلَ اللهُ إليهِم قلوبَهُم ؛ **فهم محفوظو القِوىٰ ، ممنوعونَ مِنَ الخلقِ أبداً**) .

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٢٨) .

وقالَ ذو النُّونِ : (ما رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إلا مِنَ الطريقِ ، وما وَصَلَ إليهِ أحدٌ فرَجَعَ عنهُ)[1] .

واعلَمْ : أنَّ الاتِّصالَ والمُواصَلةَ أشارَ إليهِ الشيوخُ ، وكلُّ مَنْ وَصَلَ إلىٰ صَفْوِ اليقينِ بطريقِ الذوقِ والوِجْدانِ . . فهوَ في رُتْبةٍ مِنَ الوصولِ ، ثمَّ يتفاوتونَ .

فمنهُم : مَنْ يَجِدُ اللهَ بطريقِ الأفعالِ ، وهوَ رُتْبةٌ في التَّجَلِّي ، فيَفْنىٰ فعلُهُ وفعلُ غيرِهِ ؛ لوقوفِهِ معَ فعلِ اللهِ ، ويخرجُ في هـٰذهِ الحالةِ مِنَ التدبيرِ والاختيارِ ، وهـٰذهِ رُتْبةٌ في الوصولِ .

ومنهُم : مَنْ يُوقَفُ في مقامِ الهَيبةِ والأُنْسِ بما يُكاشَفُ قلبُهُ بهِ مِنْ مُطالَعةِ الجلالِ والجمالِ ، وهـٰذا تَجَلٍّ بطريقِ الصفاتِ ، وهوَ رُتْبةٌ في الوصولِ .

ومنهُم : مَنْ يُرقَّىٰ إلىٰ مقامِ الفناءِ ، مُشتمِلاً علىٰ باطنِهِ أنوارُ اليقينِ والمُشاهَدةِ ، مُغيَّباً في شهودِهِ عن وجودِهِ ، وهـٰذا ضربٌ مِنْ تَجَلِّي الذاتِ لخواصِّ المُقرَّبينَ ، وهـٰذا رُتْبةٌ في الوصولِ .

وفوقَ هـٰذا حقُّ اليقينِ ، ويكونُ مِنْ ذلكَ في الدنيا للخواصِّ لُمَحٌ ؛ وهوَ سَرَيانُ نُورِ المُشاهَدةِ في كُلِّيَّةِ العبدِ ، حتىٰ يحظىٰ بهِ رُوحُهُ وقلبُهُ ونَفْسُهُ حتىٰ قالَبُهُ ، وهـٰذا مِنْ أَعْلىٰ رُتَبِ الوصولِ .

وإذا تحقَّقَتِ الحقائقُ يعلمُ العبدُ معَ هـٰذهِ الأحوالِ الشريفةِ أنَّهُ بعدُ في

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٦٧) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٦١) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٩) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

أوَّلِ المنزلِ ، فأينَ الوصولُ ؟! هيهاتَ !! منازلُ طريقِ الوصولِ لا تُقطَعُ أبدَ الآبادِ في عُمُرِ الآخرةِ الأبَديِّ ، فكيفَ في العُمُرِ القصيرِ الدُّنْياويِّ ؟!

ومنها :

القبض والبسط

وهما حالانِ شريفانِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

وقد تكلَّمَ فيهما الشيوخُ ، وأشاروا بإشاراتٍ هيَ علاماتُ القبضِ والبسطِ ، ولم أَجِدْ كَشْفاً عن حقيقتِهِما ؛ لأنَّهُمُ اكتفَوْا بالإشارةِ ، والإشارةُ تُقنِعُ الأهلَ .

وأحببتُ أنْ أُشبِعَ الكلامَ فيهِما ؛ لعلَّهَ يتشوَّفُ إلىٰ ذلكَ طالبٌ ويُحِبُّ بسطَ القولِ فيهِ .

واعلَمْ : أنَّ القبضَ والبسطَ لهُما مَوسِمٌ معلومٌ ووقتٌ محتومٌ ؛ لا يكونانِ قبلَهُ ، ولا يكونانِ بعدَهُ .

ووقتُهُما ومَوسِمُهُما : في أوائلِ حالِ المَحبَّةِ الخاصَّةِ ، لا في نهايتِها ، ولا قبلَ حالِ المَحبَّةِ الخاصَّةِ ، فمَنْ هوَ في مقامِ المَحبَّةِ العامَّةِ الثابتةِ بحُكمِ الإيمانِ . لا يكونُ لهُ قبضٌ ولا بسطٌ ، وإنَّما يكونُ لهُ خوفٌ ورجاءٌ .

وقد يجدُ شِبْهَ حالِ القبضِ وشِبْهَ حالِ البسطِ ويَظُنُّ ذلكَ قبضاً وبسطاً ، وليسَ هوَ ذلكَ ، وإنَّما هوَ هَمٌّ يَعْتريهِ فيَظُنُّهُ قبضاً ، واهتزازٌ نَفْسانيٌّ ونشاطٌ طبيعيٌّ فيظنُّهُ بسطاً ، والهمُّ والنشاطُ يَصدُرانِ مِنْ مَحلِّ النَّفْسِ ومِنْ جوهرِها ؛ لبقاءِ صفاتِها ، وما دامتْ صفةُ الأمَّاريَّةِ فيها بقيَّةٌ على النَّفْسِ . .

يكونُ منها الاهتزازُ والنشاطُ والهمُّ ، والهمُّ وَهَجُ [شاخوزِ] النَّفْسِ[1] ، والنشاطُ ارتفاعُ مَوْجِ النَّفْسِ عندَ تلاطُمِ بحرِ الطبعِ .

فإذا ارتقىٰ مِنْ حالِ المَحبَّةِ العامَّةِ إلىٰ أوائلِ المَحبَّةِ الخاصَّةِ . . يصيرُ ذا حالٍ ، وذا قلبٍ ، وذا نَفْسٍ لوَّامةٍ ، ويتناوبُ القبضُ والبسطُ فيهِ عندَ ذلكَ ؛ لأنَّهُ ارتقىٰ مِنْ رُتْبةِ الإيمانِ إلىٰ رُتْبةِ الإيقانِ وحالِ المَحبَّةِ الخاصَّةِ ، فيَقبِضُهُ الحقُّ تارةً ويَبسُطُهُ أُخرىٰ .

قالَ الواسطيُّ : (يَقبِضُكَ عمَّا لكَ ، ويَبسُطُكَ فيما لهُ)[2] .

وقالَ النُّوريُّ : (يَقبِضُكَ بإيَّاهُ ، ويَبسُطُكَ لإيَّاهُ)[3] .

واعلَمْ : أنَّ وجودَ القبضِ لظهورِ صفةِ النَّفْسِ وغَلَبتِها ، وظهورَ البسطِ لظهورِ صفةِ القلبِ وغَلَبتِهِ ، والنَّفْسُ ما دامتْ لوَّامةً فتارةً مغلوبةٌ ، وتارةً غالبةٌ ، والقبضُ والبسطُ باعتبارِ ذلكَ منها .

وصاحبُ القلبِ تحتَ حجابٍ نُورانيٍّ ؛ لوجودِ قلبِهِ ، كما أنَّ صاحبَ النَّفْسِ تحتَ حجابٍ ظُلْمانيٍّ ؛ لوجودِ نَفْسِهِ ، فإذا ارتقىٰ مِنَ القلبِ وخَرَجَ مِنْ حجابِهِ . . لا يُقيِّدُهُ الحالُ ولا يتصرَّفُ فيهِ ، فيخرجُ مِنْ تصرُّفِ القبضِ والبسطِ حينَئذٍ ، فلا يُقبَضُ ولا يُبسَطُ ما دامَ مُتخلِّصاً مِنَ الوجودِ النُّورانيِّ

---

(١) الوَهَجُ في الأصل : حرُّ النار ، وفي النسخ : (شاخور) بدل (شاخوز) ، والشاخوز : لعلَّهُ مأخوذٌ من الشَّخْز ؛ وهو الاضطراب ، والله تعالىٰ أعلم ، وقد فُسِّر في هامش (ح) بذلك .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٧٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٣) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٧٤) .

الذي هوَ القلبُ ، ومُتحقِّقاً بالقُرْبِ مِنْ غيرِ حجابِ النَّفْسِ والقلبِ .

فإذا عادَ إلى الوجودِ مِنَ الفناءِ والبقاءِ . . يعودُ إلى الوجودِ النُّورانيِّ الذي هوَ القلبُ ، فيعودُ القبضُ والبسطُ إليهِ عندَ ذلكَ ، **ومهما تَخَلَّصَ إلى الفناءِ والبقاءِ** . . فلا قبضَ ولا بسطَ .

قالَ فارسٌ : (**أوَّلاً القبضُ ، ثمَّ البسطُ ، ثمَّ لا قبضَ ولا بسطَ**)[1] ؛ لأنَّ القبضَ والبسطَ يقعانِ في الوجودِ ، **فأمَّا معَ الفناءِ والبقاءِ** فلا[2] .

ثمَّ إنَّ القبضَ قد يكونُ عقوبةَ الإفراطِ في البسطِ ؛ وذلكَ أنَّ الواردَ مِنَ اللهِ تعالىٰ يَرِدُ على القلبِ ، فيمتلئُ القلبُ منهُ رَوْحاً وفَرَحاً واستبشاراً ، فتسترقُ النَّفسُ السمعَ عندَ ذلكَ وتأخذُ بنصيبِها ، **فإذا وَصَلَ أثَرُ الواردِ إلى النَّفْسِ** . . طَغَتْ بطبعِها ، وأفْرطَتْ في البسطِ ، حتىٰ يُشاكِلُ البسطُ نشاطاً ، فيُقابَلُ بالقبضِ عقوبةً .

وكلُّ القبضِ إذا فُتِّشَ لا يكونُ إلا مِنْ حركةِ النَّفْسِ وظهورِها بصفتِها ، **ولو تأدَّبتِ النَّفْسُ وعَدَلَتْ** ، ولم تَجْرِ بالطُّغْيانِ تارةً وبالعِصْيانِ أُخْرىٰ . . ما وَجَدَ صاحبُ القلبِ القبضَ ، ودامَ رَوْحُهُ وأُنْسُهُ ، **ورعايةُ الاعتدالِ الذي يَسُدُّ بابَ القبضِ** . . مُتلقّىً مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] .

فواردُ الفَرَحِ ما دامَ موقوفاً على الرُّوحِ والقلبِ . . لا يَكْثُفُ ،

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٣) .

(٢) أي : فلا يقع القبض والبسط في الفناء والبقاء . من هامش (ح) .

ولا يستوجبُ صاحبُهُ القبضَ ، سيَّما إذا لَطُفَ الفرحُ بالواردِ بالإيواءِ إلى اللهِ تعالىٰ ، وإذا لم يَلتجِئْ بالإيواءِ إلى اللهِ . تطلَّعتِ النَّفْسُ وأخذتْ حظَّها مِنَ الفرحِ ، وهوَ الفَرَحُ بما أُوتِيَ الممنوعُ منهُ ، فمِنْ ذلكَ القبضُ في بعضِ الأحايينِ ، وهٰذا مِنْ أَلْطَفِ الذُّنُوبِ المُوجِبةِ للقبضِ ، وفي النَّفْسِ مِنْ حركاتِها وصفاتِها وَثَبَاتٌ مُتعدِّدةٌ مُوجِبةٌ للقبضِ .

ثمَّ الخوفُ والرجاءُ لا يَعدَمُهُما صاحبُ القبضِ والبسطِ ، ولا صاحبُ الأُنْسِ والهَيبةِ ؛ لأنَّهُما مِنْ ضرورةِ الإيمانِ ، فلا ينعدمانِ ، وأمَّا القبضُ والبسطُ فينعدمانِ عندَ صاحبِ الإيمانِ ؛ لنُقْصانِ الحظِّ مِنَ القلبِ ، وعندَ صاحبِ الفناءِ والبقاءِ والقُرْبِ ؛ لتخلُّصِهِ مِنَ القلبِ .

وقد يَرِدُ على الباطنِ قبضٌ وبسطٌ ولا يُعلَمُ سببُهُما ، ولا يخفىٰ سببُ القبضِ والبسطِ إلا علىٰ قليلِ الحظِّ مِنَ العلمِ الذي لم يُحكِمْ علمَ الحالِ ولا علمَ المقامِ ، ومَنْ أَحْكمَ علمَ الحالِ وعلمَ المقامِ . لا يخفىٰ عليهِ سببُ القبضِ والبسطِ ، وربَّما كما كانَ يشتبهُ عليهِ سببُ القبضِ والبسطِ . يشتبهُ عليهِ الهمُّ بالقبضِ والنشاطُ بالبسطِ ، وإنَّما علمُ ذلكَ لمَنِ استقامَ قلبُهُ .

ومَنْ عَدِمَ القبضَ والبسطَ وارتقىٰ منهُما . فنَفْسُهُ مُطمئِنَّةٌ ، لا ينقدحُ مِنْ جوهرِها نارٌ تُوجِبُ القبضَ ، ولا يتلاطمُ بحرُ طبعِها مِنْ أَهْوِيةِ الهوىٰ حتىٰ يظهرَ منهُ البسطُ[1] ، وربَّما صارَ لمثلِ هٰذا القبضُ والبسطُ في نَفْسِهِ لا مِنْ نَفْسِهِ ، تكونُ نَفْسُهُ المُطمئِنَّةُ بطبعِ القلبِ ، فيجري القبضُ والبسطُ في نَفْسِهِ

---

(١) قوله : (أهوية) كذا في النسخ ، وقد نقلت سابقاً في (١/ ٢٦٩) أنَّ قياسه (أهواء) ، وأنَّ (أهوية) جمع (هواء) .

المُطمئنَّةِ وما لقلبِهِ قبضٌ ولا بسطٌ ؛ لأنَّ القلبَ مُتحصِّنٌ بشُعاعِ نورِ الرُّوحِ ، مُستقِرٌّ في دَعَةِ القُرْبِ ، فلا قبضَ ولا بسطَ .

ومنها :

الفناء والبقاء

فقد قيلَ : الفناءُ : أنْ تَفْنىٰ عنهُ الحظوظُ ؛ فلا يكونُ لهُ في شيءٍ حظٌّ ؛ بل يفنىٰ عنِ الأشياءِ كلِّها شُغْلاً بمَنْ فَنِيَ بهِ[١] ، وقد قالَ عامرُ بنُ عبدِ اللهِ : (ما أُبالي امرأةً رأيتُ أم حائطاً)[٢] .

ويكونُ محفوظاً فيما للهِ عليهِ ، مصروفاً عن جميعِ المُخالَفاتِ .

والبقاءُ يَعقُبُهُ ؛ وهوَ أنْ يفنىٰ عمَّا لهُ ويبقىٰ بما للهِ[٣] .

وقيلَ : الباقي : أنْ تصيرَ الأشياءُ كلُّها لهُ شيئاً واحداً ؛ فتكونُ كلُّ حركاتِهِ في مُوافَقةِ الحقِّ دونَ مُخالَفتِهِ ، فيكونُ فانياً عنِ المُخالَفاتِ ، باقياً في المُوافَقاتِ[٤] .

وعندي : أنَّ هٰذا الذي ذَكَرَهُ هٰذا القائلُ هوَ مقامُ صِحَّةِ التوبةِ النَّصُوحِ ، وليسَ مِنَ الفناءِ والبقاءِ بشيءٍ .

ومِنَ الإشارةِ إلى الفناءِ : ما رُوِيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما

---

(١) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٢) .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (١٢٣٣) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٦٦) من كلام معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر « التعرف » (ص١٤٣) .

(٤) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٣) .

سَلَّمَ عليهِ إنسانٌ وهوَ في الطوافِ ، فلم يَرُدَّ عليهِ ، فشكاهُ إلىٰ بعضِ أصحابِهِ ، فقالَ لهُ : كُنَّا نتراءى اللهَ في ذلكَ المكانِ[1] .

وقيلَ : الفناءُ : هوَ الغَيبةُ عنِ الأشياءِ ، كما كانَ فناءُ موسىٰ عليهِ السلامُ حينَ تجلَّىٰ ربُّهُ للجبلِ[2] .

وقالَ الخَرَّازُ : (الفناءُ : هوَ التلاشي بالحقِّ ، والبقاءُ : هوَ الحضورُ معَ الحقِّ)[3] .

وقالَ الجُنيدُ : (الفناءُ : استعجامُ الكُلِّ عن أوصافِكَ ، واشتغالُ الكُلِّ منكَ بكُلِّيَّتِهِ)[4] .

وقالَ إبراهيمُ بنُ شيبانَ : (علمُ الفناءِ والبقاءِ يدورُ علىٰ إخلاصِ الوَحْدانيَّةِ وصحَّةِ العُبُوديَّةِ ، وما كانَ غيرَ هـٰذا فهوَ المغاليطُ والزَّنْدقةُ)[5] .

وسُئِلَ الخَرَّازُ : ما علامةُ الفاني ؟ قالَ : علامةُ مَنِ ادَّعى الفناءَ : ذهابُ حظِّهِ مِنَ الدنيا والآخرةِ إلا مِنَ اللهِ تعالىٰ[6] .

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « أدب النفس » (ص١٠٥) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٤) .

(٢) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٤) .

(٣) وقيل : إنَّ الخرَّازَ أوّلُ مَنْ تكلَّم في علم الفناء والبقاء . انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٢٨) ، و« مناقب الأبرار » (ص ٤٧٧) .

(٤) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٥) .

(٥) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٠٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٢٠٩) ، وبنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٦١) .

(٦) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٤) ، وزادا واللفظ للكلاباذي : (ثمَّ يبدو بادٍ من قدرة الله تعالىٰ فيُريه ذهابَ=

وقالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (أهلُ الفناءِ في الفناءِ صحَّتُهُم أنْ يصحبَهُم علمُ البقاءِ ، وأهلُ البقاءِ في البقاءِ صحَّتُهُم أنْ يصحبَهُم علمُ الفناءِ)[1] .

واعلَمْ : أنَّ أقاويلَ الشُّيُوخِ في الفناءِ والبقاءِ كثيرةٌ ؛ فبعضُها إشارةٌ إلىٰ فناءِ المُخالَفاتِ وبقاءِ المُوافَقاتِ ، وهٰذا تقتضيهِ التوبةُ النصوحُ ، فهوَ ثابتٌ بوصفِ التوبةِ .

وبعضُها يُشِيرُ : إلىٰ زوالِ الرَّغْبةِ والحِرْصِ والأملِ ، وهٰذا يقتضيهِ الزهدُ .

وبعضُها إشارةٌ : إلىٰ فناءِ الأوصافِ المذمومةِ وبقاءِ الأوصافِ المحمودةِ ، وهٰذا تقتضيهِ تزكيةُ النَّفْسِ .

وبعضُها إشارةٌ : إلىٰ حقيقةِ الفناءِ المُطلَقِ ، وكلُّ هٰذهِ الإشاراتِ فيها معنى الفناءِ مِنْ وجهٍ ، ولٰكنَّ الفناءَ المُطلَقَ هوَ ما يستولي مِنْ أمرِ الحقِّ سُبْحانَهُ وتعالىٰ على العبدِ ، فيَغلِبُ كونُ الحقِّ سُبْحانَهُ وتعالىٰ علىٰ كونِ العبدِ ، وهو ينقسمُ إلىٰ فناءٍ ظاهرٍ ، وفناءٍ باطنٍ .

فأمَّا الفناءُ الظاهرُ : فهوَ أنْ يتجلَّى الحقُّ سُبْحانَهُ وتعالىٰ بطريقِ الأفعالِ ، ويَسلُبَ عنِ العبدِ اختيارَهُ وإرادتَهُ ، فلا يرىٰ لنَفْسِهِ ولغيرِهِ فعلاً إلا بالحقِّ ، ثمَّ يأخذَهُ في المُعامَلةِ معَ اللهِ تعالىٰ بحَسَبِهِ ؛ حتىٰ سمعتُ أنَّ بعضَ مَنْ أُقِيمَ في هٰذا المقامِ مِنَ الفناءِ كانَ يبقىٰ أيَّاماً لا يتناولُ الطعامَ والشرابَ حتىٰ يتجرَّدَ

= حظِّهِ من الله تعالىٰ إجلالاً لله ، ثمَّ يبدو له بادٍ من الله تعالىٰ فيُريه ذهابَ حظِّهِ من رؤية ذهاب حظِّهِ ، ويبقىٰ رؤية ما كان من الله لله ، ويتفرَّد الواحد الصمد في أَحَديَّته ، فلا يكونُ لغير الله مع الله فناءٌ ولا بقاءٌ) .

(١) علم البقاء : علم الشرع ، وعلم الفناء : علم التوحيد . من هامش (ج) .

لـهُ فعـلُ اللهِ فيـهِ ، ويُقيِّضَ اللهُ تعـالـىٰ لـهُ مَنْ يُطعِمُـهُ ويَسْقِيـهِ كيـفَ شـاءَ وأَحَبَّ[١] ، وهـٰذا لَعَمْري فناءٌ ؛ لأنَّهُ فَنِيَ عن نَفْسِهِ وعنِ الغيرِ ؛ نَظَراً إلىٰ فعلِ اللهِ تعالىٰ بفناءِ فعلِ غيرِ اللهِ .

والفناءُ الباطنُ : أنْ يُكاشَفَ تارةً بالصفاتِ ، وتارةً بُمشاهَدةِ آثارِ عَظَمةِ الذاتِ ، فيستـولـي علـىٰ بـاطنِـهِ أمرُ الحقِّ ، حتىٰ لا يبقـىٰ لـهُ هـاجِسٌ ولا وَسْواسٌ .

وليسَ مِنْ ضرورةِ الفناءِ أنْ يغيبَ إحساسُهُ ، وقد يتَّفقُ غَيبةُ الإحساسِ لبعضِ الأشخاصِ ، وليسَ ذلكَ مِنْ ضرورةِ الفناءِ على الإطلاقِ .

وقد سألتُ الشيخَ أبا محمَّدِ بنَ عبدِ البَصْريَّ وقلتُ لهُ : هل يكونُ بقاءُ المُتخيَّلاتِ في السرِّ ووجودُ الوساوسِ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ ؟ وكانَ عندي أنَّ ذلكَ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ ، فقالَ لي : هـٰذا يكونُ في مقامِ الفناءِ ، ولم يذكرْ أنَّهُ هل هوَ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ أم لا .

ثمَّ ذَكَرَ حكايةَ مسلمِ بنِ يسارٍ أنَّهُ كانَ في الصلاةِ فوقعتْ أُسْطُوانةٌ في الجامعِ انزعجَ لهدَّتِها أهلُ الأسواقِ ، فدخلوا المسجدَ ، فرَأَوْهُ في الصلاةِ ولم يَحُسَّ بالأُسْطُوانةِ ووقوعِها[٢] .

فهـٰذا هوَ الاستغراقُ والفناءُ باطناً .

ثمَّ قد يتَّسعُ وعاؤُهُ ؛ حتىٰ لعلَّهُ يكونُ مُتحقِّقاً بالفناءِ ومَعْناهُ رُوحاً وقلباً ، ولا يغيبُ عن كلِّ ما يجري عليهِ مِنْ قولٍ وفعلٍ .

---

(١) انظر ما تقدم في (١/ ٤٤٦ـ ٤٥١) .

(٢) سبق تخريجها في (٢/ ١٧٣ـ ١٧٤) .

ويكونُ مِنْ أقسامِ الفناءِ : أنْ يكونَ في كلِّ فعلٍ وقولٍ مرجعُهُ إلى اللهِ سبحانَهُ ، وينتظرَ الإذنَ في كُلِّيَّاتِ أمورِهِ ؛ ليكونَ في الأشياءِ باللهِ لا بنَفْسِهِ .

فتاركُ الاختيارِ مُنتظِراً لفعل الحقِّ فانٍ ، وصاحبُ الانتظارِ لإذنِ الحقِّ في كُلِّيَّاتِ أمورِهِ . . راجعٌ إلى اللهِ سبحانَهُ بباطِنِهِ في جُزْئيَّاتِها فانٍ ، ومَنْ مَلَّكَهُ اللهُ اختيارَهُ وأَطْلقَهُ في التصرُّفِ ؛ يختارُ كيفَ شاءَ وأرادَ ، لا مُنتظِراً للفعلِ ، ولا مُنتظِراً للإذنِ . . هوَ باقٍ ، والباقي في مقامٍ لا يَحجُبُهُ الحقُّ عنِ الخلقِ ، ولا الخلقُ عنِ الحقِّ ، والفاني محجوبٌ بالحقِّ عنِ الخلقِ .

والفناءُ الظاهرُ لأربابِ القلوبِ والأحوالِ ، والفناءُ الباطنُ لمَنْ أُطلِقَ عن وَثاقِ الأحوالِ ، وصارَ باللهِ لا بالأحوالِ ، وخَرَجَ مِنَ القلبِ فصارَ معَ مُقلِّبِهِ لا معَ قلبِه ، طُوبىٰ لهُ ، طُوبىٰ لهُ[١] .

* * *

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

الباب الثاني والستون

في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال من اصطلاح الصوفية

(١٤٦) ـ أخبرَنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي ابنِ سَلْمانَ إجازةً[١] ، قالَ : أخبرَنا أبو الفضلِ حَمْدُ بنُ أحمدَ ، قالَ : أخبرَنا الحافظُ أبو نُعَيمٍ الأَصْفَهانيُّ ، قالَ : حدَّثَنا محمَّدُ بنُ إبراهيمَ ، قالَ : حدَّثَنا أبو مسلمٍ الكَشِّيُّ ، قالَ : حدَّثَنا مِسْوَرُ بنُ عيسىٰ ، قالَ : حدَّثَنا القاسمُ بنُ يحيىٰ ، قالَ : حدَّثَنا ياسينُ الزيَّاتُ ، عن أبي الزُّبيرِ ، عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ مِنْ مَعَادِنِ ٱلتَّقْوَىٰ تَعَلُّمَكَ إِلَىٰ مَا قَدْ عَلِمْتَ عِلْمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ ، وَٱلنَّقْصُ فِيمَا عَلِمْتَ قِلَّةُ ٱلزِّيَادَةِ فِيهِ ، وَإِنَّمَا يُزَهِّدُ ٱلرَّجُلَ فِي عِلْمِ مَا لَمْ يَعْلَمْ قِلَّةُ ٱلِٱنْتِفَاعِ بِمَا قَدْ عَلِمَ »[٢] .

فمشايخُ الصُّوفيَّةِ أَحْكموا أساسَ التقوىٰ ، وتعلَّموا العلمَ للهِ تعالىٰ ، وعَمِلُوا بما عَلِمُوا لمَوْضِعِ تقْواهُم ، فعلَّمَهُمُ اللهُ تعالىٰ ما لم يعلموا مِنْ

---

(١) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، ج ، هـ) .

(٢) رواه من طريق أبي مسلم الكشي أبو نعيم في « رياضة الأبدان » كما في « الغنية » (٢/ ٨٩١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٤٩٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٥٨٠) ، ومن طريق أبي نعيم تلميذُهُ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٤٣١) ، وانظر « العلل المتناهية » (١/ ٨٥ ـ ٨٦) .

غرائبَ العلومِ ودقيقِ الإشاراتِ ، واستنبطوا مِنْ كلامِ اللهِ تعالىٰ غرائبَ العلومِ وعجائبَ الأسرارِ ، وترَسَّخَ قَدَمُهُم في العلمِ .

قالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (**أوَّلُ الفهمِ لكلامِ اللهِ** : العَمَلُ بهِ ؛ لأنَّ فيهِ العلمَ والفهمَ والاستنباطَ ، **وأوَّلُ الفهمِ** : إلقاءُ السمعِ والمُشاهَدةِ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧])[١] .

وقالَ أبو بكرٍ الواسِطيُّ : (**الراسخونَ في العلمِ** : همُ الذينَ رسخوا بأرواحِهِم في غَيبِ الغَيبِ ، وفي سِرِّ السِّرِّ ، فعَرَّفَهُم ما عَرَّفَهُم ، وأرادَ منهُم مِنْ مُقتضى الآياتِ ما لم يُرِدْ مِنْ غيرِهِم ، وخاضوا بحرَ العلمِ بالفهمِ لطلبِ الزِّياداتِ ، فانكشفَ لهُم مِنْ مَذْخُورِ الخزائنِ والمخزونِ تحتَ كلِّ حرفٍ وآيةٍ مِنَ الفهمِ وعجائبِ النصِّ ، فاستخرجوا الدُّرَرَ والجواهرَ ، ونطقوا بالحِكْمةِ)[٢] .

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما رواهُ سُفْيانُ بنُ عُيَينةَ ، عنِ ابنِ جُرَيجٍ ، عن عطاءٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : « **إِنَّ مِنَ ٱلْعِلْمِ كَهَيْئَةِ ٱلْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا ٱلْعُلَمَاءُ بِٱللهِ ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَهْلُ ٱلْغِرَّةِ بِٱللهِ** »[٣] .

---

(١) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١١٣) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص١١٣) ، والسلمي في « تفسيره » (١/ ٨٧) .

(٣) رواه السلمي في « الأربعين في التصوف » (ص١٣) ، والديلمي في « الفردوس » (٨٠٢) ، **والغِرَّة** : الغفلة .

(١٤٧) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً[١] ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ إجازةً[٢] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ النَّصْراباذيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عائشةَ يقولُ : سمعتُ القُرَشيَّ يقولُ : (هيَ أسرارُ اللهِ تعالىٰ يُبدِيها إلىٰ أُمَناءِ أوليائِهِ وساداتِ النُّبَلاءِ مِنْ غيرِ سماعٍ ولا دراسةٍ ، وهيَ مِنَ الأسرارِ التي لم يُطلِعْ عليها إلا الخَواصَّ)[٣] .

وقالَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : (للعارفينَ خزائنُ أَوْدعُوها علوماً غريبةً وأنباءً عجيبةً ، يتكلَّمونَ فيها بلسانِ الأَبَدِيَّةِ ، ويُخبِرُونَ عنها بعبارةِ الأَزَلِيَّةِ ، وهوَ مِنَ العلمِ المجهولِ)[٤] .

فقولُهُ : (بلسانِ الأبديَّةِ) و(عبارةِ الأزليَّةِ) إشارةٌ إلىٰ أنَّهُم باللهِ يَنطِقُونَ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ علىٰ لسانِ نبيِّهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « بِي يَنْطِقُ »[٥] ، وهوَ العلمُ اللَّدُنِّيُّ الذي قالَ اللهُ تعالىٰ فيهِ في حقِّ الخَضِرِ عليهِ السلامُ : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

فمِمَّا تداولَتْهُ ألسنتُهُم مِنَ الكلماتِ تفهيماً مِنْ بعضِهِم للبعضِ ، وإشارةً منهُم إلىٰ أحوالٍ يجدونَها ، ومعاملاتٍ قلبيَّةٍ يعرفونَها . . قولُهُمْ :

---

(١) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ .

(٢) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ .

(٣) قوله : (هي) ؛ أي : العلوم التي هي كهيئة المكنون .

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٢٣٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٤٧) .

(٥) سبق تخريجه في (١/ ٣٢١) .

قيلَ : أصلُ الجمعِ والتفرقةِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ﴾ ، فهٰذا جمعٌ ، ثمَّ فرَّقَ فقالَ : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ جمعٌ ، ثمَّ فرَّقَ بقولِهِ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

والجمعُ أصلٌ ، والتفرقةُ فرعٌ ؛ فكلُّ جمعٍ بلا تفرقةٍ زندقةٌ ، وكلُّ تفرقةٍ بلا جمع تعطيلٌ(١) .

وقالَ الجُنيدُ : (القُرْبُ بالوجدِ جمعٌ ، وغَيْبَتُهُ في البَشَريَّةِ تفرقةٌ)(٢) .

وقيلَ : جَمَعَهُم في المعرفةِ ، وفَرَّقَهُم في الأحوالِ(٣) .

والجمعُ اتِّصالٌ لا يُشاهِدُ صاحبُهُ إلا الحقَّ ، فمتىٰ شاهدَ غيرَهُ فما جمعَ ، والتفرقةُ شهودٌ لمَنْ شاهدَ بالمُبايَنةِ(٤) .

وعباراتُهُم في ذلكَ كثيرةٌ .

والمقصودُ : أنَّهُم أشاروا بالجمعِ : إلىٰ تجريدِ التوحيدِ ، وأشاروا بالتفرقةِ : إلى الاكتسابِ ؛ فعلىٰ هٰذا : لا جَمْعَ إلا بتفرقةٍ .

ويقولونَ : (فلانٌ في عينِ الجمعِ) ؛ يعنونَ : استيلاءَ مُراقَبةِ الحقِّ علىٰ

---

(١) الكلام لأبي نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٣) .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص١٥٧) ، وأورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٠) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٠) عن الأبهري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) في (ب ، د ، هـ ، ي) : (لمن شاء) بدل (لمن شاهد) .

باطنِهِ ، فإذا عادَ إلىٰ شيءٍ مِنْ أعمالِهِ . . عادَ إلى التفرقةِ ؛ فصحَّةُ الجمعِ بالتفرقةِ ، وصحَّةُ التفرقةِ بالجمعِ ، وهٰذا يرجعُ حاصلُهُ : إلىٰ أنَّ الجمعَ مِنَ العلمِ باللهِ ، والتفرقةَ مِنَ العلمِ بأمرِ اللهِ ، ولا بُدَّ منهُما جميعاً .

قالَ المُزيِّنُ : (الجمعُ : عينُ الفناءِ باللهِ ، والتفرقةُ : العُبُوديَّةُ مُتَّصِلٌ بعضُها بالبعضِ)[1] .

وقد غَلِطَ قومٌ وادَّعَوْا أنَّهُم في عينِ الجمعِ ، وأشاروا إلىٰ صِرْفِ التوحيدِ ، وعطَّلوا الاكتسابَ ، فتَزَنْدَقُوا ، وإنَّما الجمعُ حُكْمُ الرُّوحِ ، والتفرقةُ حُكْمُ القالَبِ ، وما دامَ هٰذا التركيبُ باقياً فلا بُدَّ مِنَ الجمعِ والتفرقةِ .

وقالَ الواسطيُّ : (إذا نظرتَ إلىٰ نَفْسِكَ فرَّقتَ ، وإذا نظرتَ إلىٰ ربِّكَ جمعتَ ، وإذا كنتَ قائماً بغيرِكَ فأنتَ فانٍ بلا جمعٍ ولا تفرقةٍ)[2] .

وقيلَ : (جمعَهُم بذاتِهِ ، وفرَّقَهُم في صفاتِهِ) .

وقد يُرِيدونَ بالجمعِ والتفرقةِ : أنَّهُ إذا أَثْبتَ لنَفْسِهِ كَسْباً ونَظَراً إلىٰ أعمالِهِ . . فهوَ في التفرقةِ ، وإذا أَثْبتَ الأشياءَ بالحقِّ . . فهوَ في الجمعِ .

ومجموعُ الإشاراتِ تُنبِئُ : أنَّ الكونَ يُفرِّقُ ، والمُكوِّنَ يجمعُ ، فمَنْ أَفْردَ المُكوِّنَ جَمَعَ ، ومَنْ نَظَرَ إلى الكونِ فَرَّقَ ؛ فالتفرقةُ عبوديَّةٌ ، والجمعُ توحيدٌ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٧٩) .

(٢) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٢٨٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٨٠) ، وفيهما : (فأنت ميت) بدل (فأنت فان) .

فإذا أَثْبتَ طاعاتِهِ نَظَراً إلىٰ كسبِهِ . . فَرَّقَ ، وإذا أَثْبتَها باللهِ جَمَعَ ، وإذا تحقَّقَ بالفناءِ فهوَ جمعُ الجمعِ .

ويُمكِنُ أنْ يُقالَ : رؤيةُ الأفعالِ تفرقةٌ ، ورؤيةُ الصفاتِ جمعٌ ، ورؤيةُ الذَّاتِ جمعُ الجمعِ .

سُئِلَ بعضُهُم عن حالِ موسىٰ عليهِ السلامُ في وقتِ الكلامِ ، فقالَ : أُفْنِيَ موسىٰ عن موسىٰ ، فلم يكنْ لموسىٰ خبرٌ مِنْ موسىٰ ، ثمَّ كُلِّمَ ، فكانَ المُكلِّمُ والمُكلَّمُ هو ، وكيفَ كانَ يُطِيقُ موسىٰ حملَ الخطابِ وردَّ الجوابِ لولا بإِيَّاهُ سَمِعَ ؟!

معنىٰ هٰذا : أنَّ اللهَ تعالىٰ مَنَحَهُ قوَّةً ، بتلكَ القوَّةِ سمعَ ، ولولا تلكَ القوَّةُ ما قَدَرَ على السمعِ .

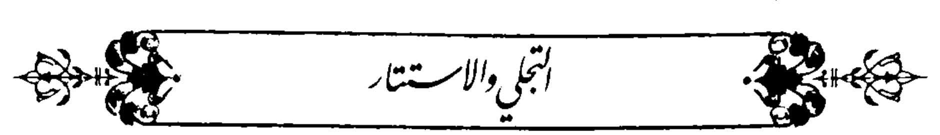
ثمَّ أَنْشَدَ القائلُ مُتمثِّلاً : [من الكامل]

وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا ٱنْدَمَلَ ٱلْهَوَىٰ ... بَـرْقٌ تَـأَلَّـقَ مَـوْهِنـاً لَمَعَـانُـهُ
يَبْـدُو كَحَـاشِيَـةِ ٱلـرِّدَاءِ وَدُونَـهُ ... صَعْـبُ ٱلـذُّرَا مُتَمَنِّـعٌ أَرْكَـانُـهُ
فَبَدَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحَ فَلَمْ يُطِقْ ... نَظَـراً إِلَيْـهِ وَرَدَّهُ أَشْجَـانُـهُ
فَٱلنَّارُ مَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ ... وَٱلْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ[1]

---

(١) أورده ابن خميس في « مناقب الأبرار » (٢/ ٧٠١) ، والمسؤول عن حال سيدنا موسىٰ عليه السلام : هو الحلَّاج الحسين بن منصور ، وعزا الأبيات أبو الفرج الأصفهاني في « مقاتل الطالبيين » (ص٤٨١) ، والقالي في « النوادر » (ص٢٠٥) إلىٰ محمد بن صالح بن عبد الله الطالبي ، ونُسبت إلى الحلاج أيضاً ، وهي في « ديوانه » (ص٥١٠ـ ٥١١) .

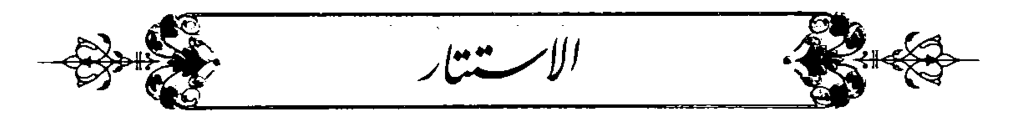
ومنها : قولُهُمْ :



قالَ الجُنيدُ : (إنَّما هوَ تأديبٌ وتهذيبٌ وتذويبٌ ؛ فالتأديبُ مَحَلُّ الاستتارِ ، وهوَ للعوامِّ ، والتهذيبُ للخواصِّ ؛ وهوَ التَّجَلِّي ، والتذويبُ للأولياءِ ؛ وهوَ المُشاهَدةُ)[1] .

وحاصلُ الإشاراتِ في الاستتارِ والتَّجَلِّي . . راجعٌ إلىٰ ظهورِ صفاتِ النَّفْسِ .

ومنها :



وهوَ إشارةٌ إلىٰ غَيبةِ صفاتِ النفسِ بكمالِ قوَّةِ صفاتِ القلبِ .

ومنها :



ثمَّ التَّجَلِّي قد يكونُ بطريقِ الأفعالِ ، وقد يكونُ بطريقِ الصفاتِ ، وقد يكونُ بطريقِ الذاتِ .

والحقُّ تعالىٰ أَبقىٰ على الخواصِّ موضعَ الاستتارِ ؛ رحمةً منهُ لهُم ولغيرِهِم ؛ فأمَّا لهُم : فلأنَّهُم بهِ يرجعونَ إلىٰ مصالحِ النُّفُوسِ ، وأمَّا

---

(١) وهـٰذه الثلاثة كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، والمعرفة والمكاشفة والمشاهدة . من هامش (ج) .

لغيرِهِم : فلأنَّهُ لولا مواضعُ الاستتارِ لم يُنتفَعْ بهِم ؛ لاستغراقِهِم في جمعِ الجمعِ ، وبُرُوزِهِم للهِ الواحدِ القهَّارِ .

قالَ بعضُهُم : (علامةُ تَجَلِّي الحقِّ للأسرارِ : هوَ ألَّا يشهدَ السِّرُّ ما يتسلَّطُ عليهِ التعبيرُ ويَحْويهِ الفهمُ ، فمَنْ عَبَّرَ أو فَهِمَ فهوَ صاحبُ خاطرِ استدلالٍ ، لا ناظرُ إجلالٍ)[١] .

وقالَ بعضُهُمُ : (التَّجَلِّي : رفعُ حَجْبةِ البشريَّةِ ، لا أنْ تتلوَّنَ ذاتُ الحقِّ عزَّ وجلَّ ، والاستتارُ : أنْ تكونَ البشريَّةُ حائلةً بينَكَ وبينَ شهودِ الغيبِ)[٢] .

ومنها :

التجريد والتفريد

إشارةٌ منهُم في التَّجْريدِ والتَّفْريدِ : أنَّ العبدَ يتجرَّدُ عنِ الأغراضِ فيما يفعلُهُ[٣] ؛ لا يأتي بما يأتي بهِ نَظَراً إلى الأعواضِ في الدنيا والآخرةِ ، بل ما كُوشِفَ بهِ مِنْ حقِّ العَظَمةِ يُؤدِّيهِ حَسْبَ جُهْدِهِ عُبُوديَّةً وانقياداً ، والتَّفْريدُ : ألَّا يرىٰ نَفْسَهُ فيما يأتي بهِ ، بل يرىٰ مِنَّةَ اللهِ عليهِ .

فالتَّجْريدُ ينفي الأغيارَ ، والتَّفْريدُ ينفي نَفْسَهُ واستغراقَهُ في رؤيةِ نعمةِ اللهِ عليهِ وغَيبتِهِ عن كَسْبِهِ .

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤١) ، وعزاه إلىٰ بعض الكبار ، ولعل المراد به : الحلّاج الحسين بن منصور ، وقوله : (فهو صاحب خاطر استدلال) ؛ أي : لا يشهد ما لا تمكن العبارة عنه ؛ لأنَّهُ لا يشهد إلا عظمته وحقيقته ، فيسقط ذلك عن تخيير ما شاهده في الحال . من هامش (ج) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١٤٢) .

(٣) في (أ ، د ، ح) : (الأعواض) .

ومنها :



الوجد والتواجد والوجود

فالوجدُ : ما يَرِدُ على الباطنِ مِنَ اللهِ يَكسِبُهُ فَرَحاً أو حُزْناً ، ويُغيِّرُهُ عن هيئتِهِ ، ويتطلَّعُ إلى اللهِ تعالىٰ ، وهوَ فُرْجةٌ يجدُها المغلوبُ عليهِ بصفاتِ نَفْسِهِ[1] ، ينظرُ منها إلى اللهِ تعالىٰ[2] .

والتواجدُ : استجلابُ الوَجْدِ بالتذكُّرِ والتفكُّرِ[3] .

والوجودُ : اتِّساعُ فُرْجةِ الوَجْدِ بالخروجِ إلىٰ فضاءِ الوِجْدانِ ، فلا وجدَ معَ الوِجْدانِ ، ولا خبرَ معَ العِيانِ ؛ فالوجدُ بعَرَضيَّةِ الزوالِ ، والوجودُ ثابتٌ ثبوتَ الجبالِ[4] ، وقد قيلَ[5] : [من البسيط]

قَدْ كَانَ يُطْرِبُنِي وَجْدِي فَأَفْقَدَنِي ... عَنْ رُؤْيَةِ ٱلْوَجْدِ مَنْ فِي ٱلْوَجْدِ مَوْجُودُ

وَٱلْوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ فِي ٱلْوَجْدِ رَاحَتُهُ ... وَٱلْوَجْدُ عِنْدَ حُضُورِ ٱلْحَقِّ مَفْقُودُ

---

(١) في (د ، و ، ز) : (فرحة) بدل (فرجة) .

(٢) قوله : (منها) ؛ أي : الفرجة .

(٣) فالتواجدُ بداية ، والوجود نهاية ، والوَجْد واسطة ؛ فهو كمَنْ شاهد البحر ، ثمَّ ركبه ، ثمَّ غَرِقَ فيه . من هامش (ج) .

(٤) المواجيد ثمرات الأوراد ؛ فمَنِ ازداد وظائفُهُ ، ازداد من الله تعالىٰ لطائفُهُ ، فمَنْ لا وِرْدَ له بظاهره ، لا وارد له في سرائره ، وكلُّ ما يتكلَّفُ العبدُ من المعاملات الظاهرة.. يُوجِبُ له حلاوةَ الطاعات ، وما يُنازِلُهُ من أحكام باطنه.. يُوجِبُ له المواجيدَ في المعاملات ، والمواجيدُ نتائجُ المنازلات . من هامش (ج) .

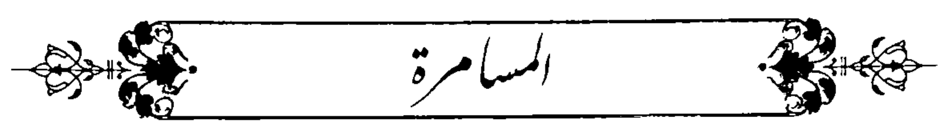
(٥) أورد البيتين الكلاباذي في « التعرف » (ص١٣٢) ، وعزاهما إلى الجنيد رحمه الله تعالىٰ ، ونُسبا إلى الحلَّاج كما في ذيل « ديوانه » (ص٤٣٥) ، وفي (ج) : (فغيَّبني) بدل (فأفقدني) ، وفي (ح): (فأقعدني) .

ومنها :



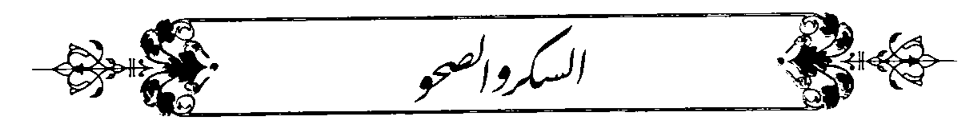
والغَلَبَةُ : وَجْدٌ مُتلاحِقٌ ؛ فالوَجْدُ كالبرقِ يبدو ، والغَلَبَةُ كتلاحقِ البرقِ وتواترِهِ يُغيِّبُ عنِ التمييزِ ؛ فالوَجْدُ ينطفئُ سريعاً ، والغَلَبَةُ تبقىٰ للأسرارِ مُذِيعاً .

ومنها :



وهيَ تفرُّدُ الأرواحِ بخَفِيِّ مُناجاتِها ولطيفِ مُناغاتِها في سِرِّ السِّرِّ ، يلطفُ إدراكُها للقلبِ ؛ لتفرُّدِ الرُّوحِ بها ، وتَلَزُّمِهِ بها دونَ القلبِ[1] .

ومنها :



فالسُّكرُ : استيلاءُ سُلْطانِ الحالِ .

والصحوُ : العَوْدُ إلىٰ ترتيبِ الأفعالِ ، وتهذيبِ الأقوالِ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ خَفيفٍ رحمةُ اللهِ عليهِ : (السُّكْرُ : غَلَيانُ القلبِ عندَ مُعارَضاتِ ذِكْرِ المحبوبِ)[2] .

وقالَ الواسطيُّ : (مقاماتُ الواجدينَ أربعةٌ : الذُّهُولُ[3] ، ثمَّ الحَيْرةُ ،

---

(١) في (ب ، هـ ، ح) : (وتلتذُّ) بدل (وتلزمه) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٤٦٤) ، وأورده أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٦/١٠) .

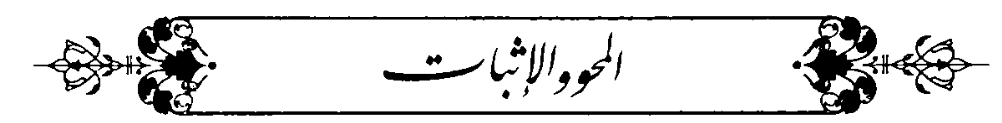
(٣) أي : الغفلة عمَّا سوى الله . من هامش (ح) .

ثمَّ السُّكْرُ ، ثمَّ الصَّحْوُ ، كمَنْ سَمِعَ بالبحرِ ، ثمَّ دنا منهُ ، ثمَّ دخلَ فيهِ ، ثمَّ أخذتْهُ الأمواجُ) .

فعلىٰ هٰذا : مَنْ بَقِيَ عليهِ أَثَرٌ مِنْ سَرَيانِ الحالِ فيهِ . . فعليهِ أَثَرٌ مِنَ السُّكْرِ ، ومَنْ عادَ كلُّ شيءٍ منهُ إلىٰ مُستقَرِّهِ . . فهوَ صاحٍ .

فالسُّكْرُ لأربابِ القلوبِ ، والصَّحْوُ للمُكاشَفِينَ بحقائقِ الغيوبِ .

ومنها :



المحو والإثبات

المَحْوُ : بإزالةِ أوصافِ النفوسِ ، **والإثباتُ** : بما أُدِيرَ عليهِم مِنْ آثارِ الحُبِّ الكؤوسُ[1] .

أوِ المَحْوُ : مَحْوُ رُسُومِ الأعمالِ بنظرِ الفناءِ إلىٰ نَفْسِهِ وما منهُ ، **والإثباتُ** : إثباتُها بما أَنْشأَ الحقُّ لهُ مِنَ الوجود بهِ ، فهوَ بالحقِّ لا بنَفْسِهِ ، بإثباتِ الحقِّ إيَّاهُ مُستأنِفاً بعدَ أنْ محاهُ عن أوصافِهِ .

قالَ ابنُ عطاءٍ : (يمحو أوصافَهُم ، ويُثبِتُ أسرارَهُم)[2] .

ومنها :

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

فعلمُ اليقينِ : ما كانَ مِنْ طريقِ النَّظَرِ والاستدلالِ .

وعينُ اليقينِ : ما كانَ مِنْ طريقِ الكُشُوفِ والنَّوالِ .

---

(١) في النسخ ما عدا (ب) : (كؤوس) ، والأنسب ما أثبت ، والله تعالىٰ أعلم .
(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ٣٣٧) .

وحقُّ اليقينِ : ما كانَ بتحقيقِ الانفصالِ عن لَوْثِ الصَّلْصالِ ، بوُرُودِ رائدِ الوِصالِ[١] .

قالَ فارسٌ : (علمُ اليقينِ لا اضطرابَ فيهِ ، وعينُ اليقينِ هوَ العلمُ الذي أَوْدعَهُ اللهُ الأسرارَ)[٢] .

والعلمُ إذا انفردَ مِنْ نعتِ اليقينِ كانَ عِلماً بشبهةٍ ، فإذا انضمَّ إليهِ اليقينُ كانَ علماً بلا شبهةٍ ، وحقُّ اليقينِ هوَ حقيقةُ ما يُشيرُ إليهِ علمُ اليقينِ وعينُ اليقينِ .

وقالَ الجُنيدُ : (حقُّ اليقينِ : ما يتحقَّقُ العبدُ بذلكَ ؛ وهوَ أَنْ يُشاهِدَ الغيوبَ كما يُشاهِدُ المَرْئيَّاتِ مُشاهَدةَ عِيانٍ ، ويحكمَ على الغيبِ ، فيُخبِرَ عنهُ بالصدقِ ، كما أَخبرَ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ قالَ لمَّا قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَاذَا أَبْقَيْتَ لِعِيَالِكَ ؟ » ، قالَ : اللهَ ورسولَهُ)[٣] .

وقالَ بعضُهُم : (علمُ اليقينِ : حالُ المعرفةِ ، وعينُ اليقينِ : حالُ الجمعِ ، وحقُّ اليقينِ : جمعُ الجمعِ بلسانِ التوحيدِ)[٤] .

وقيلَ : اليقينُ : اسمٌ ، ورسمٌ ، وعلمٌ ، وعينٌ ، وحقٌّ ؛ فالاسمُ والرَّسمُ للعوامِّ ، والعلمُ علمُ اليقينِ للأولياءِ ، وعينُ اليقينِ لخواصِّ الأولياءِ ، وحقُّ اليقينِ للأنبياءِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ ، وحقيقةُ حقِّ اليقينِ اختصَّ بهِ نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) في (ب ، هـ ، ز ، ح) : (زائد) بدل (رائد) .
(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٧) .
(٣) سبق تخريج الحديث في (٢/ ٣٦٧) .
(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٤١٧) دون الجملة الأخيرة .

ومنها :

الوقت

والمرادُ بالوقتِ : ما هوَ غالبٌ على العبدِ ، وأَغْلبُ ما على العبدِ وقتُهُ ؛ فإنَّهُ كالسيفِ يمضي الوقتُ بحكمِهِ ويقطعُ[1] .

وقد يُرادُ بالوقتِ : ما يَهجُمُ على العبدِ لا بكسبِهِ ، فيتصرَّفُ فيهِ فيكونُ بحكمِهِ ؛ يُقالُ : (فلانٌ بحكمِ الوقتِ) ؛ يعني : مأخوذاً عمَّا منهُ بما للحقِّ[2] .

---

(١) أي : فكما أنَّ السيفَ قاطعٌ فالوقتُ بما يُمضِيه الحقُّ ويُجْرِيه غالبٌ ، وقيل : السيفُ لَيِّنٌ مَسُّهُ ، قاطعٌ حَدُّهُ ، فمَنْ لاينَهُ سَلِمَ ، ومَنْ خاشنه اصطُلِمَ ، وهكذا الوقتُ ؛ مَنِ استسلم لحُكْمِهِ نجا ، ومَنْ عارضه بتَرْكِ الرضا انتكَسَ فتردَّىٰ ، وأُنشِدَ : [من الطويل]

وكالسيفِ إنْ لاينتَهُ لانَ مسُّهُ   وحدَّاهُ إنْ خاشنْتَهُ خَشِنانِ

ومَنْ ساعدَهُ الوقتُ فالوقتُ له وقتٌ ، ومَنْ ناكدَهُ الوقت فالوقتُ لهُ مقتٌ . من هامش (ج) .

(٢) قال أبو عليٍّ الدقَّاقُ : (الوقتُ : ما أنتَ به ؛ إن كنتَ بالدنيا فوقتُكَ الدنيا ، وإن كنت بالعُقْبىٰ فوقتُكَ العُقْبىٰ ، وإن كنتَ بالسُّرور فوقتُكَ سرورٌ ، وإن كنت بالحُزْنِ فوقتُكَ حزن) ؛ يريد بهٰذا : أنَّ الوقتَ ما كان غالباً على الإنسان ، و[قد] يعنون بالوقت : ما هو فيه من الزمان ؛ [فإنَّ قوماً قالوا : (الوقتُ : ما بين الزمانَين) ؛ يعني] : بينَ الماضي والمستقبل ، ويقولون : (الصوفيُّ ابن وقته) ؛ أي : مُشتغِلٌ بما هو أَوْلىٰ في الحال ، وقيل : (الفقير ما يهمُّهُ ماضي وقتِهِ وآتي وقتِهِ ، بل يهمُّهُ وقته الذي هو فيه) ، قال الشاعر : [من الخفيف]

ما مضىٰ فاتَ والمُؤمَّلُ غيبٌ   ولكَ الساعةُ التي أنتَ فيها

وقيل : الاشتغالُ بفوات وقتٍ ماضٍ . . تضييعُ وقتٍ ثانٍ ، وقد يريدون بالوقت : ما يُصادِفُهم من تصريف الحقِّ لهم دون ما يختارون لأنفسهم ؛ فيقولون : (فلانٌ بحُكْمِ الوقت) ؛ أي : إنَّهُ مُستسلِمٌ لما يبدو من الغيب من غير اختيارٍ . من هامش (ج) .

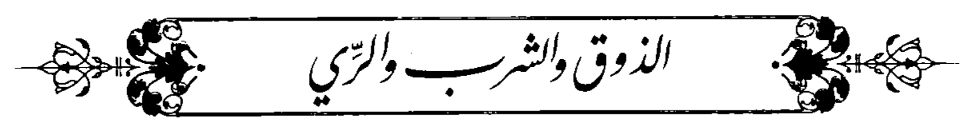
ومنها :

الغيبة والشهود

فالشُّهُودُ : هوَ الحضورُ وقتاً بنعتِ المُراقَبةِ ، ووقتاً بوصفِ المُشاهَدةِ ، فما دامَ العبدُ موصوفاً بالشُّهُودِ والرِّعايةِ . . فهوَ حاضرٌ ، فإذا فقدَ حالَ المُشاهَدةِ والمُراقَبةِ . . خَرَجَ مِنْ دائرةِ الحُضُورِ ، فهوَ غائبٌ .

وقد يعنونَ بالغَيبةِ : الغَيبةَ عنِ الأشياءِ بالحقِّ ؛ فيكونُ علىٰ هـٰذا المعنىٰ حاصلُ ذلكَ راجعاً إلىٰ مقامِ الفناءِ .

ومنها :



الذوق والشرب والرّي

فالذوقُ إيمانٌ ، والشُّربُ عِلْمٌ ، والرِّيُّ حالٌ .

فالذوقُ لأربابِ البَوَادِهِ والبَوَادِي ، والشُّرْبُ لأربابِ الطَّوَالعِ واللَّوَامعِ واللَّوَائحِ ، والرِّيُّ لأربابِ الأحوالِ ؛ وهيَ أنَّ الأحوالَ هيَ التي تستقرُّ ، فما لم يستقرَّ فليسَ بحالٍ ، وإنَّما هيَ لوامعُ وطوالعُ .

وقيلَ : **الحالُ لا تستقرُّ** ؛ لأنَّها تحولُ ، **فإذا استقرَّتْ** صارَتْ مقاماً .

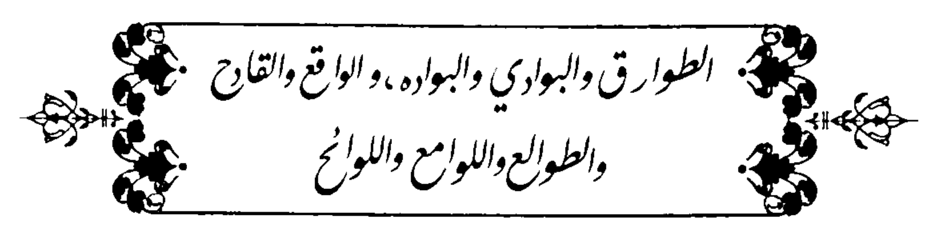
ومنها :

المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة

فالمُحاضَرةُ لأربابِ التلوينِ ، والمُشاهَدةُ لأربابِ التمكينِ ، والمُكاشَفةُ بينَهُما إلىٰ أنْ تستقرَّ المُشاهَدةُ .

فالمُحاضَرةُ لأهلِ العلمِ ، والمُكاشَفةُ لأهلِ العينِ ، والمُشاهَدةُ لأهلِ الحقِّ ؛ أي : حقِّ اليقينِ .

ومنها :



فهٰذهِ كلُّها ألفاظٌ مُتقارِبةُ المعنىٰ ، ويمكنُ بسطُ القولِ فيهِ[1] ، ويكونُ حاصلُ ذلكَ راجعاً إلىٰ معنىً واحدٍ يَكثُرُ بالعبارةِ ، فلا فائدةَ فيهِ .

والمقصودُ : أنَّ هٰذهِ الأسماءَ كلَّها مبادئُ الحالِ ومُقدِّماتُهُ ، وإذا صحَّ الحالُ استوعبَ هٰذهِ الأسماءَ كلَّها ومعانيَها .

ومنها :



فالتلوينُ لأربابِ القلوبِ ؛ لأنَّهُم تحتَ حُجُبِ القلوبِ ، وللقلوبِ تَخلُّصٌ إلى الصفاتِ ، وللصفاتِ تَعَدُّدٌ بتعدُّدِ جهاتِها ، فظهرَ لأربابِ القلوبِ بحَسَبِ تعدُّدِ الصفاتِ تلويناتٌ ، ولا تجاوزَ للقلوبِ وأربابِها عن عالَمِ الصفاتِ .

وأمَّا أربابُ التمكينِ فخَرَجُوا مِنْ مشائمِ الأحوالِ ، وخَرَقُوا حُجُبَ القلوبِ ، وباشرَ أرواحَهُم سُطُوعُ نورِ الذَّاتِ ، فارتفعَ التلوينُ ؛ لعدمِ التغيُّرِ في الذاتِ ؛ إذ جلَّ ذاتُهُ عن حلولِ الحوادثِ والتغيُّراتِ ، فلمَّا خَلَصُوا إلىٰ مواطنِ القُرْبِ ، واحْتَظَوْا مِنْ أَنْصِبةِ تَجَلِّي الذَّاتِ . ارتفعَ عنهُمُ التلوينُ .

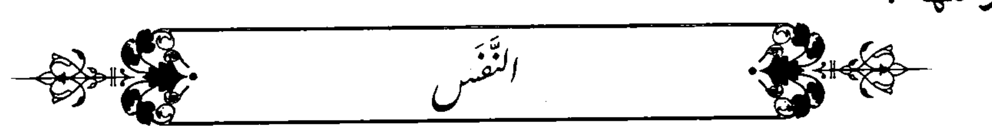
---

(١) في (هـ ، ح) ونسخة علىٰ هامش (ج) : (فيها) ، وعلى المثبت فالضمير راجع إلى (المعنىٰ) .

فالتلوينُ حينَئذٍ يكونُ في نفوسِهِم ؛ لأنَّها في مَحَلِّ القلوبِ لموضعِ طهارتِها وقُدْسِها ، والتلوينُ الواقعُ في النُّفُوسِ لا يُخرِجُ صاحبَهُ عن حالِ التمكينِ ؛ لأنَّ جريانَ التلوينِ في النَّفْسِ لبقاءِ رَسْمِ الإنسانيَّةِ ، وثبوتَ القدمِ في التمكينِ كشفُ حقِّ الحقيقةِ .

وليسَ المَعْنيُّ بالتمكينِ أَلَّا يكونَ للعبدِ تغيُّرٌ ؛ فإنَّهُ بشرٌ ، وإنَّما نعني بهِ أنَّ ما كُوشِفَ بهِ مِنَ الحقيقةِ لا يتوارىٰ عنهُ أبداً ، ولا يتناقصُ بل يزيدُ ، وصاحبُ التلوينِ قد يتناقصُ الشيءُ في حقِّهِ عندَ ظهورِ صفاتِ نَفْسِهِ ، وتغيبُ عنهُ الحقيقةُ في بعضِ الأحوالِ ، ويكونُ ثبوتُهُ علىٰ مُستقَرِّ الإيمانِ ، وتلوينُهُ في زوائدِ الأحوالِ .

ومنها :



ويُقالُ : النَّفَسُ للمُنتهي ، والوقتُ للمُبتدِئِ ، والحالُ للمُتوسِّطِ ؛ فكأنَّهُ إشارةٌ منهُم إلىٰ أنَّ المُبتدِئَ يَطرُقُهُ مِنَ اللهِ طارقٌ لا يستقرُّ ، والمُتوسِّطَ صاحبُ حالٍ غالبٌ حالُهُ عليهِ ، والمُنتهيَ صاحبُ نَفَسٍ مُتمكِّنٌ مِنَ الحالِ ؛ لا يتناوبُ عليهِ الحالُ بالغَيبةِ والحُضُورِ ، بل تكونُ المواجيدُ مقرونةً بأنفاسِهِ ، مُقيمةً لا تتناوبُ عليهِ .

وهٰذهِ كلُّها أحوالٌ لأربابِها ، ولهُم منها ذوقٌ وشُرْبٌ ، والله يَنفعُ ببركتِهِم ، آمينَ[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثالث والستون

في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

(١٤٨) ـ حدَّثَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : أخبرَنا الشريفُ أبو طالبِ الحسينُ بنُ محمَّدٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَريمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالَتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ محمَّدُ بنُ المَكِّيِّ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ يُوسُفَ الفَرَبْريُّ ، قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ البُخاريُّ ، قالَ : حدَّثَنا الحُمَيديُّ ، قالَ : حدَّثَنا سُفْيانُ بنُ عُيَينَةَ ، قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ ، قالَ : أخبرَني محمَّدُ بنُ إبراهيمَ التَّيْميُّ : أنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمةَ بنَ وقَّاصٍ قالَ : سمعتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ على المِنْبَرِ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِٱلنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَىٰ ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ . فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا . فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »[1] .

---

(١) صحيح البخاري (١) ، ورواه غالب المُحدِّثين بروايات عديدة ، وللإمام السيوطي : « منتهى الآمال في شرح حديث إنَّما الأعمال » ، وللبرهان الكُوراني : « إعمال الفكر والرويات في بيان حديث إنَّما الأعمال بالنيَّات » .

قالَ الشيخُ رحمةُ اللهِ عليهِ : **النيّةُ أوّلُ العملِ** ، وبِحَسبِها يكونُ العملُ ، وأهمُّ ما للمُريدِ في ابتداءِ أمرِهِ في طريقِ القومِ : أنْ يدخلَ طريقَ الصُّوفيَّةِ ، ويتزيَّا بزيِّهِم ، ويُجالِسَ طائفتَهُم للهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ دخولَهُ في طريقِهِم هِجْرةُ حالِهِ ووقتِهِ .

وقد وَرَدَ : « ٱلْمُهَاجِرُ : مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ »[1] .

وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١٠٠] .

فالمُريدُ ينبغي أنْ يخرجَ إلىٰ طريقِ القومِ للهِ ؛ فإنَّهُ إنْ وَصَلَ إلىٰ نهاياتِ القومِ . فقد لَحِقَ بالمنزلِ ، وإنْ أَدْركَهُ الموتُ قبلَ الوصولِ إلىٰ نهاياتِ القومِ . فأَجْرُهُ على اللهِ ، وكلُّ مَنْ كانتْ بدايتُهُ أَحْكَمَ . كانتْ نهايتُهُ أَتَمَّ .

(١٤٩) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، عنِ ابنِ خَلَفٍ إجازةً ، عن أبي عبدِ الرحمـٰنِ ، عن أبي العبَّاسِ البغداديِّ ، عن جعفرٍ الخُلْديِّ قالَ : سمعتُ الجُنيدَ يقولُ : (**أكثرُ العوائقِ والحوائلِ والموانعِ مِنْ فسادِ الابتداءِ**) .

فالمُريدُ في أوّلِ سلوكِ هـٰذا الطريقِ يحتاجُ إلىٰ إحكامِ النِّيَّةِ ، وإحكامُ النِّيّةِ تنزيهُها مِنْ دواعي الهوىٰ وكلِّ ما كانَ للنَّفْسِ فيهِ حظٌّ عاجلٌ ، حتىٰ يكونَ خروجُهُ خالصاً للهِ تعالىٰ .

وكَتَبَ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : (**اعلَمْ يا عُمَرُ : أنَّ عونَ اللهِ للعبدِ بقَدْرِ النِّيّةِ ؛ فمَنْ تمَّتْ نيّتُهُ تمَّ عونُ اللهِ لهُ ، ومَنْ قَصرَتْ عنهُ**

---

(١) رواه البخاري (١٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

نيَّتُهُ قَصرَ عنهُ عونُ اللهِ بقَدْرِ ذلكَ)[1] .

وكَتَبَ بعضُ الصالحينَ إلىٰ أخيهِ : (أَخْلِصِ النِّيَّةَ في أعمالِكَ يَكْفِكَ قليلٌ مِنَ العملِ)[2] .

ومَنْ لم يهتدِ إلى النيةِ بنَفْسِهِ . . يصحبُ مَنْ يُعلِّمُهُ حُسْنَ النيةِ ؛ قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ : (أوَّلُ ما يُؤمَرُ بهِ المُريدُ المُبتدِئُ : التبرُّؤُ مِنَ الحركاتِ المذمومةِ ، ثمَّ التنقُّلُ إلى الحركاتِ المحمودةِ ، ثمَّ التفرُّدُ لأمرِ اللهِ ، ثمَّ التوقُّفُ في الرشادِ ، ثمَّ الثباتُ ، ثمَّ البيانُ ، ثمَّ القُربُ ، ثمَّ المُناجاةُ ، ثمَّ المُصافاةُ ، ثمَّ المُوالاةُ ، ويكونُ الرِّضا والتسليمُ مُرادَهُ ، والتفويضُ والتوكُّلُ حالَهُ ، ثمَّ يَمُنُّ اللهُ تعالىٰ بعدَ هـٰذا بالمعرفةِ ، فيكونُ مقامُهُ عندَ اللهِ مقامَ المُتبرِّئينَ مِنَ الحولِ والقوَّةِ ، وهـٰذا مقامُ حَمَلَةِ العرشِ ، وليسَ بعدَهُ مقامٌ)[3] .

هـٰذا مِنْ كلامِ سهلٍ جَمَعَ فيهِ ما في البدايةِ والنهايةِ .

ومتىٰ تمسَّكَ المُريدُ بالصدقِ والإخلاصِ . . بَلَغَ مبلغَ الرجالِ ، ولا يُحقِّقُ صدقَهُ وإخلاصَهُ كشيئَينِ ؛ متابعةِ أمرِ الشرعِ ، وقطعِ النَّظَرِ عنِ الخَلْقِ ؛ فكلُّ الآفاتِ التي دخلتْ علىٰ أهلِ البداياتِ لمَوضِعِ نَظَرِهِم إلى الخَلْقِ .

---

(1) رواه أحمد في « الزهد » (١٧٣٨) ، وأبو بكر الآجري في « أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز » (ص٧٠ـ٧٢) .

(2) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٤٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٩/ ٦١) .

(3) أورده أبو المعالي شيذله في « لوامع أنوار القلوب » (ص ١٣٨ـ ١٣٩) .

وبَلَغنا عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حديثٌ أنَّهُ قالَ : « لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ ٱلْمَرْءِ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱلنَّاسُ عِنْدَهُ كَٱلْأَبَاعِرِ ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَيَرَاهَا أَصْغَرَ صَاغِرٍ »[1] ؛ إشارةً إلىٰ قَطْعِ النَّظَرِ عنِ الخَلْقِ ، والخروجِ منهُم ، وتركِ التقيُّدِ بعاداتِهِم .

قالَ أحمدُ بنُ خِضْرُويَه : (مَنْ أَحَبَّ أنْ يكونَ اللهُ تعالىٰ معَهُ علىٰ كلِّ حالٍ . . فلْيَلْزَمِ الصدقَ ؛ فإنَّ اللهَ معَ الصادقينَ)[2] .

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلصِّدْقُ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ »[3] .

ولا بُدَّ للمُرِيدِ مِنَ الخروجِ مِنَ المالِ والجاهِ ، والخروجِ مِنَ الخَلْقِ بقطعِ النَّظَرِ إليهِم إلىٰ أنْ يُحكِمَ أساسَهُ ، فيعلمَ دقائقَ الهوىٰ وخفايا شهواتِ النَّفْسِ .

فأنفعُ شيءٍ للمُرِيدِ : معرفةُ النَّفْسِ ، ولا يقومُ بواجبِ حقِّ معرفةِ النَّفْسِ مَنْ لهُ في الدنيا حاجةٌ مِنْ طلبِ الفُضُولِ والزياداتِ ، أو عليهِ مِنَ الهوىٰ بقيَّةٌ .

---

(١) رواه بنحوه أبو داود في « الزهد » (٢٤٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥١٦) موقوفاً علىٰ سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، ورواه مرفوعاً (١٥١٥) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه ، وقال : (وهٰذا حديثٌ لا يصحُّ مرفوعاً ، وإنَّما الصحيح فيه أنَّهُ من قول أبي الدرداء) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٤٢) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٩١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٢ـ٤٨٣) .

(٣) رواه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٦٠٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قالَ زيدُ بنُ أَسْلمَ : (خَصْلتانِ هما كمالُ أمرِكَ : تُصبحُ ولا تَهُمُّ للهِ بمعصيةٍ ، وتُمسِي ولا تَهُمُّ للهِ بمعصيةٍ)[1] .

فإذا أَحْكمَ الزهدَ والتقوى انكشفتْ لهُ النَّفْسُ ، وخرجتْ مِنْ حُجُبِها ، وعلمَ طريقَ حَرَكَتِها ، وخَفِيَّ شهوتِها ، ودسائسَها وتلبيساتِها ، ومَنْ تمسَّكَ بالصدقِ فقد تمسَّكَ بالعُرْوةِ الوُثْقىٰ .

قالَ ذو النُّونِ : (للهِ تعالىٰ في أرضِهِ سيفٌ ما وُضِعَ علىٰ شيءٍ إلَّا قَطَعَ ؛ وهوَ الصدقُ)[2] .

ونُقِلَ في معنى الصدقِ : أنَّ عابداً مِنْ بني إسرائيلَ راودتْهُ مَلِكَةٌ عن نَفْسِهِ ، فقالَ : اجعلوا لي ماءً في الخلاءِ أتنظَّفْ بهِ ، ثمَّ صَعِدَ أَعْلىٰ موضعٍ في القصرِ ، فرمى بنَفْسِهِ ، فأَوْحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ مَلَكِ الهواءِ : أنِ الزَمْ عبدي ، قالَ : فلَزِمَهُ ووضعَهُ على الأرضِ وضعاً رفيقاً ، فقيلَ لإبليسَ : أَلَا أَغْوَيتَهُ ؟ فقالَ : ليسَ لي سلطانٌ علىٰ مَنْ خالفَ هواهُ ، وبَذَلَ نَفْسَهُ للهِ عزَّ وجلَّ[3] .

وينبغي للمُرِيدِ أنْ تكونَ لهُ في كلِّ شيءٍ نيَّةٌ للهِ تعالىٰ ؛ حتىٰ في أكلِهِ وشُرْبِهِ وملبوسِهِ ؛ فلا يَلبَسُ إلا للهِ ، ولا يأكلُ إلا للهِ ، ولا يشربُ إلا للهِ ،

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/ ٢٨٧) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٤٤) ، وفي النسخ ما عدا (ب ، ج ، هـ) : (تهتم) بدل (تهم) في كلا الموضعين .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٢٢-٢٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٣٩٥) ، وأورده الخركوشي في « التهذيب » (ص١٨٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٤٨٦) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢/ ٢٧٣) .

ولا ينامُ إلا للهِ ؛ لأنَّ هـٰذهِ كلَّها أَرْفاقٌ أَدْخَلَها على النَّفْسِ ، فإذا كانتْ للهِ لا تستعصي النَّفْسُ ، وتُجيبُ إلىٰ ما يُرادُ منها مِنَ المعاملةِ للهِ والإخلاصِ ، وإذا دَخَلَ في شيءٍ مِنْ رِفْقِ النَّفْسِ لا للهِ ولا بنيَّةٍ صالحةٍ . . صارَ ذلكَ وَبالاً عليهِ .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : « مَنْ تَطَيَّبَ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ جاءَ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ ٱلْمِسْكِ ٱلْأَذْفَرِ ، وَمَنْ تَطَيَّبَ لِغَيْرِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ جاءَ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ وَرِيحُهُ أَنْتَنُ مِنَ ٱلْجِيفَةِ »[1] .

وقيلَ : كانَ أنسٌ يقولُ : (طَيِّبُوا كَفِّي بمسكٍ ؛ فإنَّ ثابتاً يُصافِحُني ، ويُقبِّلُ يدي) .

وقد كانوا يُحسِّنونَ اللِّباسَ للصلاةِ مُتقرِّبينَ بذلكَ إلى اللهِ بنيَّتِهم .

فالمُرِيدُ ينبغي أنْ يتفقَّدَ جميعَ أقوالِهِ وأفعالِهِ وأحوالِهِ ، ولا يُسامِحَ نَفْسَهُ أنْ يتحرَّكَ بحركةٍ أو يتكلَّمَ بكلمةٍ إلا للهِ تعالىٰ[2] ، وقد رَأَيْنا في أصحابِ شيخِنا مَنْ كانَ ينوي عندَ كلِّ لُقْمةٍ ، ويقولُ بلسانِهِ أيضاً : (آكُلُ هـٰذهِ اللُّقْمةَ للهِ تعالىٰ) .

ولا ينفعُ القولُ إذا لم تكنِ النيةُ في القلبِ ؛ لأنَّ النيةَ عملُ القلبِ ، وإنَّما اللِّسانُ تَرْجُمانٌ ، فما لم تشتملْ عليها عزيمةُ القلبِ للهِ . . لا يكونُ نيَّةً .

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٧٩٣٣) مرسلاً عن إسحاق بن أبي طلحة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) قوله : (يتحرك . . . يتكلم) ضبط في بعض النسخ بالتاء ، وضبط في بعضها الآخر بالوجهين ، ومرجع الضمير علىٰ كلٍّ واضحٌ .

ونادىٰ رجلٌ امرأتَهُ وكانَ يُسرِّحُ شَعَرَهُ ؛ فقالَ : هاتِ المِدْرىٰ[1] ، أرادَ المِيلَ ليُفرِّقَ شَعَرَهُ ، فقالتْ لهُ امرأتُهُ : أجيءُ بالمِرْآةِ ؟ فسَكَتَ ، ثمَّ قالَ : نعم ، فقالَ لهُ مَنْ سمعَهُ : سَكَتَّ وتوقَّفتَ عنِ المِرْآةِ ثمَّ قلتَ : نعم !! فقالَ : إنِّي قلتُ لها : (هاتِ المِدْرىٰ) بنيَّةٍ ، فلمَّا قالتْ : (المِرْآةِ) لم يكنْ لي في المِرْآةِ نيَّةٌ ، فوقفتُ حتىٰ هَيَّأَ اللهُ عزَّ وجلَّ لي نيَّةً ، فقلتُ : نعم[2] .

فكلُّ مُبتدِئٍ لا يُحكِمُ أساسَ بدايتِهِ بمُهاجَرةِ الأُلَّافِ والأصدقاءِ والمعارفِ ، ولا يتمسَّكُ بالوَحْدةِ . . لا تستقرُّ بدايتُهُ ، وقد قيلَ : مِنْ قِلَّةِ الصدقِ : كثرةُ الخُلَطاءِ[3] ، وأنفعُ ما لهُ : لزومُ الصمتِ ، وألَّا يطرقَ سمعَهُ كلامُ الناسِ ؛ فإنَّ باطنَهُ يتغيَّرُ ويتأثَّرُ بالأقوالِ المختلفةِ .

وكلُّ مَنْ لا يعلمُ كمالَ زهدِهِ في الدنيا ، وتمسُّكَهُ بحقائقِ التقوىٰ . . لا يعرفُهُ أبداً ؛ فإنَّ معرفتَهُ لهُ لا تُنتِجُ عليهِ خيراً ، وبواطنُ أهلِ الابتداءِ كالشمعِ يقبلُ كلَّ نقشٍ .

وربَّما استضرَّ المُبتدِئُ بمُجرَّدِ النَّظَرِ إلى الناسِ ، ويستضرُّ بفُضُولِ النَّظَرِ أيضاً وفُضُولِ المشيِ ، فيقفُ مِنَ الأشياءِ كلِّها على الضرورةِ ، فينظرُ

---

(١) المِدْرىٰ : قرن من عظم كانوا يمتشطون به .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٣٥٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩/ ٤٩) .

(٣) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٢٤) عن السري السقطي رحمه الله تعالىٰ ، وفي (ج) و« الحلية » : (الخطأ) بدل (الخلطاء) .

ضرورةً ؛ حتىٰ لو مشىٰ في بعضِ الطُّرُقِ يجتهدُ أنْ يكونَ نَظَرُهُ إلى الطريقِ الذي يسلكُهُ لا يلتفتُ يَمْنةً ولا يَسْرةً ، ثمَّ يتَّقِيَ موضعَ نَظَرِ الناسِ إليهِ وإحساسِهِم منهُ بالرِّعايةِ والاحترازِ ؛ فإنَّ علمَ الناسِ منهُ بذلكَ أَضَرُّ عليهِ مِنْ فعلِهِ .

ولا يستحقرُ فُضُولَ المشيِ ؛ فإنَّ كلَّ شيءٍ مِنْ قولٍ وفعلٍ ونظرٍ وسماعٍ خَرَجَ عن حدِّ الضرورةِ . . جَرَّ إلى الفُضُولِ ، ثمَّ يَجُرُّ إلىٰ تضييعِ الأصولِ .

قالَ سُفْيانُ : (إنَّما حُرِمُوا الوصولَ ، بتضييعِ الأصولِ)[1] .

فكلُّ مَنْ لا يتمسَّكُ بالضرورةِ في القولِ والفعلِ . . لا يقدرُ أنْ يقفَ علىٰ قَدْرِ الحاجةِ مِنَ الطعامِ والشرابِ والنومِ ، ومتىٰ تعدَّى الضرورةَ تداعتْ عزائمُ قلبِهِ ، وانحلَّتْ شيئاً فشيئاً .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (مَنْ لم يعبدِ اللهَ اختياراً . . يعبدِ الخلقَ اضطراراً) .

وينفتحُ على العبدِ أبوابُ الرُّخَصِ والاتِّساعِ ، ويَهلِكُ معَ الهالكينَ .

ولا ينبغي للمبتدِئِ أنْ يعرفَ أحداً مِنْ أربابِ الدنيا ؛ فإنَّ معرفتَهُ لهُم سمٌّ قاتلٌ ، وقد وَرَدَ : (الدنيا مبغوضةُ اللهِ ، مَنْ تمسَّكَ بحبلٍ منها قادتْهُ إلى النارِ)[2] ، وما حَبْلٌ مِنْ حبالِها إلَّا كأبنائِها والطَّالبينَ لها والمُحبِّينَ ، فمَنْ

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/ ٢٦٤) ، وعزاه إلىٰ سفيان الثوري وغيره رحمهم الله تعالىٰ ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣١٦) ، وعزاه إلىٰ أحمد بن أبي الورد الصوفي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) روى الثعلبي في « الكشف والبيان » (٩/ ٢٦١) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : « السماحُ شجرةٌ في الجنَّةِ ، أغصانُها في الدنيا ، مَنْ تعلَّقَ بغصنٍ=

عَرَفَهُمُ انجذبَ إليها شاءَ أم أبىٰ .

ويحترزُ المُبتدِئُ مِنْ مُجالَسةِ الفقراءِ الذينَ لا يقولونَ بقيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ؛ فإنَّهُ يدخلُ عليهِ منهُم شرٌّ ممَّا يدخلُ عليهِ مِنْ مُجالَسةِ أبناءِ الدنيا ، وربَّما يُشِيرُونَ إلىٰ أنَّ الأعمالَ شُغْلُ المُتعبِّدينَ ، وأنَّ أربابَ الأحوالِ ارتقَوا مِنْ ذلكَ ، وينبغي للفقيرِ أنْ يختصرَ على الفرائضِ وصومِ رمضانَ فحَسْبُ .

ولا ينبغي أنْ يدخلَ هـٰذا الكلامُ سمعَهُ رأساً ؛ فإنَّا جَرَّبْنا ومارسْنا الأمورَ كلَّها ، وجالسْنا الفقراءَ والصالحينَ ، ورَأَيْنا أنَّ الذينَ يقولونَ هـٰذا القولَ ، ويَرَونَ الفرائضَ دونَ الزياداتِ والنوافلِ . . تحتَ القصورِ ، معَ كونِهِم أصحَّاءَ في أحوالِهِم .

فعلى العبدِ : التَّمسُّكُ بكلِّ فريضةٍ وفضيلةٍ ؛ فبذلكَ تثبتُ قدمُهُ في بدايتِهِ .

ويُراعي يومَ الجمعةِ خاصَّةً ، ويجعلُهُ للهِ تعالىٰ خالصاً لا يَمزُجُهُ بشيءٍ مِنْ أحوالِ نَفْسِهِ ومآربِها ، ويُبكِّرُ إلى الجامعِ قبلَ طلوعِ الشمسِ بعدَ الغُسْلِ للجمعةِ ، وإنِ اغتسلَ قريباً مِنْ وقتِ الصلاةِ إذا أَمْكنَهُ ذلكَ . . فحَسَنٌ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ ٱغْتَسِلْ لِلْجُمُعَةِ وَلَوِ ٱشْتَرَيْتَ ٱلْمَاءَ بِعَشَائِكَ »[1] ، وما مِنْ نبيٍّ إلَّا وقد أمرَهُ اللهُ تعالىٰ أنْ يغتسلَ

= مِنْ أغصانِها . . قادتْهُ إلى الجنةِ ، والبخلُ شجرةٌ في النارِ ، أغصانُها في الدنيا ، مَنْ تعلَّقَ بغصنٍ مِنْ أغصانِها . . قادتْهُ إلى النار » .

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (٨٣٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « يا أبا هريرةَ ؛ اغتسِلْ في كلِّ جمعةٍ ولو صارَ أنْ تشتريَ الماءَ بقوتِ يومِكَ » ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (٢/ ٧٤) .

للجمعةِ ؛ فإنَّ غُسْلَ الجمعةِ كفَّارةٌ للذنوبِ ما بينَ الجمعتَينِ[1] .

ويشتغلُ ويخدمُ بالصلاةِ والتضرُّعِ والدعاءِ والتلاوةِ وأنواعِ الأذكارِ مِنْ غيرِ فُتُورٍ إلىٰ أنْ يُصلِّيَ الجمعةَ ، ويجلسُ مُعتكِفاً في الجامعِ إلىٰ أنْ يُصلِّيَ الفرضَ مِنْ صلاةِ العصرِ ، وبقيَّةُ النهارِ يشغلُهُ بالتسبيحِ والاستغفارِ والصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ يجدُ بركةَ ذلكَ في جميعِ أُسْبُوعِهِ .

وقد كانَ مِنَ الصادقينَ مَنْ يضبطُ أحوالَهُ وأقوالَهُ وأفعالَهُ جميعَ الأُسْبُوعِ حتىٰ يَجِدَ ثمرةَ ذلكَ يومَ الجمعةِ ؛ لأنَّهُ يومُ المَزِيدِ لكلِّ صادقٍ ، ويكونُ ما يجدُهُ يومَ الجمعةِ مِحَكّاً يعتبرُ بهِ سائرَ الأُسْبُوعِ الذي مضىٰ[2] ؛ فإنَّهُ إذا كانَ الأُسْبُوعُ سليماً يكونُ يومُ الجمعةِ فيهِ مزيدُ الأنوارِ والبركاتِ ، وما يجدُ في يومِ الجمعةِ مِنَ الظُّلْمةِ وسآمةِ النَّفْسِ وقِلَّةِ الانشراحِ . . فلِمَا ضَيَّعَ في الأُسْبُوعِ ، يعرفُ ذلكَ ويعتبرُهُ .

ويتَّقي جدّاً أنْ يَلْبَسَ للناسِ الرفيعَ مِنَ الثيابِ ، أو ثيابَ المُتقشِّفينَ ليُرىٰ بعينِ الزهدِ ؛ ففي لُبْسِ الرفيعِ للناسِ هوىً ، وفي لُبْسِ الخَشِنِ رياءٌ ، فلا يَلْبَسُ إلا للهِ .

بَلَغَنا أنَّ سُفْيانَ لَبِسَ القميصَ مقلوباً ، ولم يعلمْ بذلكَ حتى ارتفعَ النهارُ ونبَّهَهُ علىٰ ذلكَ بعضُ الناسِ ، فهَمَّ أنْ يخلعَهُ ويُغيِّرَهُ ، ثمَّ أَمْسكَ وقالَ :

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤/ ١٦١) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وأحمد (٣/ ٨١) ، وابن حبان (٢٧٧٨) ، والحاكم (١/ ٢٨٣) عن سيدينا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما .

(٢) في نسخة علىٰ هامش (ح) : (محكماً) بدل (محكاً) .

لا ، لَبِسْتُهُ بنيَّةٍ للهِ ، فلا أُغيِّرُهُ فألبَسُهُ بنيَّةٍ للناسِ[1] .

فليَعْلَمِ العبدُ ذلكَ ويَعتبِرْهُ .

ولا بُدَّ للمُبتدِئِ أنْ يكونَ لهُ حظٌّ مِنْ تلاوةِ القرآنِ ومِنْ حفظِهِ ؛ فيحفظُ مِنَ القرآنِ مِنَ السبعِ إلى الجميعِ إلىٰ أقلَّ أو أكثرَ كيفَما أَمْكنَ ، ولا يُصْغِي إلىٰ قولِ مَنْ يقولُ : مُلازَمةُ ذِكْرٍ واحدٍ أفضلُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ ؛ فإنَّهُ يجدُ بالقرآنِ وتلاوتِهِ في الصلاةِ وفي غيرِ الصلاةِ جميعَ ما يتمنَّىٰ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما اختارَ مِنَ المشايخِ بعضُهُم أنْ يُدِيمَ المُرِيدُ ذِكْراً واحداً ؛ ليجتمعَ الهَمُّ .

ومَنْ لازمَ التلاوةَ في الخَلْوةِ ، وتمسَّكَ بالوَحْدةِ . تُفِيدُهُ التلاوةُ والصلاةُ أَوْفىٰ ممَّا يُفِيدُهُ الذِّكْرُ الواحدُ ، فإذا سَئِمَ في بعضِ الأحايينِ يُصانِعُ النَّفْسَ على الذِّكْرِ مُصانعةً ، وينزلُ مِنَ التلاوةِ إلى الذِّكْرِ ؛ فإنَّهُ أَخَفُّ على النَّفْسِ .

وينبغي أنْ يعلمَ أنَّ الاعتبارَ بالقلبِ ؛ فكلُّ عملٍ مِنْ تلاوةٍ وصلاةٍ وذكرٍ لا يجمعُ فيهِ بينَ القلبِ واللِّسانِ . . لا يُعتدُّ بهِ كلَّ الاعتدادِ ؛ فإنَّهُ عملٌ ناقصٌ .

ولا يحقرُ الوساوسَ وحديثَ النَّفْسِ ؛ فإنَّهُ مُضِرٌّ وداءٌ عُضالٌ ، بل يُطالِبُ نَفْسَهُ أنْ يُصيِّرَ في تلاوتِهِ معنى القرآنِ مكانَ حديثِ النَّفْسِ مِنْ باطنِهِ ، كما أنَّ التلاوةَ على اللسانِ مشغولٌ لسانُهُ بالتلاوةِ ولا يمزجُهُ كلامٌ آخرُ . هكذا يكونُ معنى القرآنِ في القلبِ لا يمزجُهُ حديثُ النَّفْسِ .

وإنْ كانَ أَعْجميّاً لا يعرفُ معنى القرآنِ . . تكونُ المُراقَبةُ حِلْيةَ باطنِهِ ،

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٢٤٧) .

فيُشغِلُ باطنَهُ بمُطالَعةِ نَظَرِ اللهِ إليهِ مكانَ حديثِ النَّفْسِ ؛ فإنَّ بالدوامِ علىٰ ذلكَ يصيرُ مِنْ أربابِ المُشاهَدةِ .

قالَ مالكٌ : (قلوبُ الصِّدِّيقِينَ إذا سمعتِ القرآنَ طَرِبتْ إلى الآخرةِ)[1] .

فليتمسَّكِ المُريدُ بهٰذهِ الأصولِ ، ويستعينَ بدوامِ الافتقارِ إلى اللهِ ؛ فبذلكَ ثباتُ قَدَمِهِ .

قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحمَهُ اللهُ : (علىٰ قَدْرِ لزومِ الالتجاءِ والافتقارِ يعرفُ البلاءَ ، وعلىٰ قَدْرِ معرفتِهِ بالبلاءِ يكونُ افتقارُهُ إلى اللهِ)[2] .

فدوامُ الافتقارِ إلى اللهِ أصلُ كلِّ خيرٍ ، ومفتاحُ كلِّ علمٍ دقيقٍ في طريقِ القومِ ، وهٰذا الافتقارُ معَ الأنفاسِ لا يستبدُّ بحركةٍ ، ولا يستقلُّ بكلمةٍ دونَ اللهِ تعالىٰ ودونَ الافتقارِ إلى اللهِ تعالىٰ فيها ، وكلُّ كلمةٍ وحركةٍ خَلَتْ عن مُراجعةِ اللهِ والافتقارِ إليهِ فيها . . لا تُعقِبُ خيراً قطعاً ، عَلِمْنا ذلكَ وتَحَقَّقْناهُ .

وقالَ سهلٌ : (مَنِ انتقلَ مِنْ نَفَسٍ إلىٰ نَفَسٍ مِنْ غيرِ ذِكْرٍ . . فقد ضيَّعَ حالَهُ ، وأَدْنىٰ ما يدخلُ علىٰ مَنْ ضيَّعَ حالَهُ : دخولُهُ فيما لا يعنيهِ وتركُهُ ما يعنيهِ)[3] .

وبَلَغَنا أنَّ حسَّانَ بنَ سِنانٍ قالَ ذاتَ يومٍ : لمَنْ هٰذهِ الدارُ ؟ ثمَّ رَجَعَ إلىٰ

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٨٧٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٨) .

(٢) تفسير التستري (ص٦٩) بنحوه ، ورواه بنحوه أيضاً أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ١٩٩) .

(٣) أورده ابن الحاج في « المدخل » (١/ ٢١) .

نَفْسِهِ وقالَ : ما لي وهٰذا السؤالَ ؟! وهل هٰذهِ إلا كلمةٌ لا تعنيني ؟! وهل هٰذا إلا لاستيلاءِ نَفْسي وقِلَّةِ أدبِها ؟! وآلىٰ علىٰ نَفْسِهِ أنْ يصومَ سنةً كفَّارةً لهٰذهِ الكلمةِ[1] .

فبالصدقِ نالُوا ما نالُوا ، وبقُوَّةِ العزائمِ عزائمِ الرجالِ بَلَغُوا ما بَلَغُوا .

(١٥٠) ـ أخبرَنا أبو زُرْعةَ إجازةً ، قالَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ خَلَفٍ إجازةً[2] ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ ، قالَ : سمعتُ منصوراً يقولُ : سمعتُ أبا عمرٍو الأَنْماطيَّ يقولُ : سمعتُ الجُنيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (لو أَقْبلَ صادقٌ على اللهِ ألفَ سنةٍ ، ثمَّ أَعْرضَ عنهُ لحظةً . . لكانَ ما فاتَهُ مِنَ اللهِ أكثرَ ممَّا نالَهُ)[3] .

وهٰذهِ الجملةُ يحتاجُ المُبتدِئُ أنْ يُحكِمَها ، والمنتهي عالمٌ بها عاملٌ بحقائقِها ؛ فالمُبتدِئُ صادقٌ ، والمُنتهي صِدِّيقٌ .

قالَ أبو سعيدٍ عبدُ اللهِ القُرَشيُّ : (الصادقُ : الذي ظاهرُهُ مستقيمٌ ، وباطنُهُ يميلُ أحياناً إلىٰ حظِّ النَّفْسِ ، وعلامتُهُ : أنْ يجدَ الحلاوةَ في بعضِ الطاعةِ ولا يجدَ في بعضٍ ، وإذا اشتغلَ بالذِّكْرِ ثَوَّرَ الرُّوحَ ، وإذا اشتغلَ بحظوظِ النَّفْسِ يُحجَبُ عنِ الأذكارِ)[4] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١١٥) ، ومن طريق ابن أبي الدنيا البيهقي في « الشعب » (٤٧٣١) .

(٢) سقط التصريح بالإجازة في كلا الموضعين من بعض النسخ .

(٣) طبقات السلمي (ص١٦١) ، ورواه من طريقه القشيري في « رسالته » (ص١٥٥) ، وفيهما : (ألفَ ألفِ) بدل (ألف) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١/ ١٩٠) ، وفي (أ ، و ، ز ، ح) : (نوَّر) بدل =

والصِّدِّيقُ : الذي استقامَ ظاهِرُهُ وباطنُهُ ، يعبدُ اللهَ تعالىٰ بتلوينِ الأحوالِ ، لا يَحجُبُهُ عنِ اللهِ وعنِ الأذكارِ أكلٌ ولا نومٌ ولا شُربٌ ولا طعامٌ ، **والصِّدِّيقُ** يُريدُ نَفْسَهُ للهِ ، **وأقربُ الأحوالِ إلى النُّبُوَّةِ** : الصِّدِّيقيَّةُ ، وقالَ أبو يزيدَ رحمةُ اللهِ عليهِ : (**آخِرُ نهاياتِ الصِّدِّيقِينَ أوَّلُ** درجاتِ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهِم)[1] .

واعلَمْ : أنَّ أربابَ النهاياتِ استقامَتْ بواطنُهُم وظواهِرُهُم للهِ ، وأرواحُهُم خَلَصَتْ عن ظُلْمةِ النُّفُوسِ ، ووَطِئتْ بساطَ القُرْبِ ، ونفوسُهُم مُنقادةٌ مِطْواعةٌ مُصالِحةٌ معَ القلوبِ ، مُجيبةٌ إلىٰ كلِّ ما تُجيبُ إليهِ القلوبُ ، أرواحُهُم مُتعلِّقةٌ بالمقامِ الأَعْلى ، انطفأتْ فيهِم نيرانُ الهوىٰ ، وتَخَمَّرَ في بواطِنِهِم صريحُ العلمِ ، وانكشفَتْ لهُمُ الآخرةُ ، كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حقِّ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ مَيِّتٍ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ . فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ** » رَضِيَ اللهُ عنهُ[2] ؛ **إشارةً منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ** إلىٰ ما كُوشِفَ بهِ مِنْ صريحِ العلمِ الذي لا يَصِلُ إليهِ عوامُّ المؤمنينَ إلا بعدَ الموتِ ؛ حيثُ يُقالُ : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ : ٢٢] .

= (ثوَّر) ، وفي (ب ، د) : (تنوَّر) .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص٧٦) .

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٦٢) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٣/ ١٢٧) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤٨٩٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٥٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : « مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ إلىٰ عتيقٍ مِنَ النارِ . . فلينظرْ إلىٰ أبي بكرٍ » .

فأربابُ النهاياتِ ماتتْ أَهْوِيَتُهُم ، وخَلَصَتْ أرواحُهُم .

قالَ يحيى بنُ مُعاذٍ وقد سُئِلَ عن وصفِ العارفِ ، فقالَ : رجلٌ معَهُم بائنٌ منهُم ، وقالَ مرَّةً : عبدٌ كانَ فبانَ(١) .

فأربابُ النهاياتِ هم عندَ اللهِ بحقيقتِهِم ، مُعوَّقينَ بتوقيتِ الأجلِ ، جعلَهُمُ اللهُ تعالىٰ مِنْ جنودِهِ في خَلْقِهِ ، بِهِم يُهدَىٰ وبهِم يُرشَدُ وبهِم يُجذَبُ أهلُ الإرادةِ ، كلامُهُم دواءٌ ، ونَظَرُهُم دواءٌ(٢) ، ظاهرُهُم محفوظٌ بالحُكْمِ ، وباطنُهُم معمورٌ بالعلمِ .

قالَ ذو النُّونِ : (علامةُ العارفِ ثلاثةٌ : لا يُطفِئُ نورُ معرفتِهِ نورَ ورعِهِ ، ولا يعتقدُ باطناً مِنَ العلمِ ينقضُ عليهِ ظاهراً مِنَ الحُكْمِ ، ولا تحملُهُ كثرةُ نِعَمِ اللهِ وكرامتُهُ علىٰ هَتْكِ أستارِ محارمِ اللهِ)(٣) .

فأربابُ النهاياتِ كلَّما ازدادوا نعمةً ازدادوا عُبُوديَّةً ، وكلَّما ازدادوا دُنْيا ازدادوا قُرْباً ، وكلَّما ازدادوا جاهاً ورِفْعةً ازدادوا تواضعاً وذِلَّةً ؛ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وكلَّما تناولوا شهوةً مِنْ شهواتِ النُّفُوسِ . . استخرجتْ منهُم شُكْراً

---

(١) أوردهما أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٥٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٤٦) .

(٢) في (ي) : (شفاء) بدل (دواء) ، والذي أُرجِّحه أنَّ أصل الكلمة (رَوَاء) بالراء ، ثم تصحَّفت إلى الدال ؛ أي : نظرُهُم مُرْوٍ للمريدين الطالبين المُتعطِّشين إلى المعرفة ، وهو أبلغ وأقرب ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٤٦) ، والشارعي في « مرشد الزوار » (١/ ٣٧٩) .

صافياً ، يتناولونَ الشهواتِ تارةً رِفْقاً بالنُّفُوسِ ؛ لأنَّها معَهُم كالطفلِ الذي يُلطَّفُ بالشيءِ ، ويُهدىٰ لهُ الشيءُ ؛ لأنَّهُ مقهورٌ تحتَ السياسةِ ، مرحومٌ ملطوفٌ بهِ ، وتارةً يمنعونَ نُفُوسَهُمُ الشهواتِ تَأَسِّياً بالأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهِم واختيارِهِمُ التقلُّلَ مِنَ الشهواتِ الدُّنْيويَّةِ .

قالَ يحيى بنُ مُعاذٍ : (الدُّنْيا عروسٌ ، ومَنْ يَطلُبُها ماشِطَتُها ، والزاهدُ فيها يُسخِّمُ وجهَها ، ويَنتِفُ شَعرَها ، ويُخرِّقُ ثوبَها ، والعارفُ باللهِ مُشتغِلٌ بسيِّدِهِ ، ولا يلتفتُ إليها)[1] .

واعلَمْ : أنَّ المُنتهيَ معَ كمالِ حالِهِ لا يستغني أيضاً عن سياسةِ النَّفْسِ ومَنْعِها مِنَ الشهواتِ ، وأَخْذِ الحظِّ مِنْ زيادةِ الصيامِ والقيامِ وأنواعِ البِرِّ .

وقد غَلِطَ في هـٰذا خَلْقٌ ، وظنُّوا أنَّ المُنتهيَ استغنىٰ عنِ الزياداتِ والنوافلِ ، ولا يَضُرُّهُ الاسترسالُ في تناولِ المَلاذِّ والشهواتِ .

وهـٰذا خطأٌ ، لا مِنْ حيثُ إنَّهُ يَحجُبُ العارفَ عن معرفتِهِ ، ولـٰكنْ يُوقِفُ عن مقامِ المَزيدِ .

فقومٌ لمَّا رَأَوْا أنَّ هـٰذهِ الأشياءَ لا تُؤثِّرُ فيهِم قَسْوةً ولا تُورِثُهُم حَجْبةً . . رَكَنُوا إليها واسترسلوا فيها ، وقَنَعُوا بأداءِ الفرائضِ ، واتَّسعوا في المَآكلِ والمشاربِ ، وهـٰذا الانبساطُ منهُم بقيَّةٌ مِنْ سُكْرِ الأحوالِ ، وتقيُّدٌ بنورِ الحالِ ، وعدمُ التخلُّصِ بالكُلِّيَّةِ إلىٰ نورِ الحقِ .

ومَنْ تَخَلَّصَ مِنْ نورِ الحالِ إلىٰ نورِ الحقِّ . . يذهبُ عنهُ بقايا السُّكْرِ ،

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٥٣ ـ ٥٤) ، وأورده بلفظه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦١ ، ٧٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٣٣٩) .

ويُوقِفُ نَفْسَهُ مقامَ العبيدِ ، كآحادِ عوامِّ المؤمنينَ ؛ يتقرَّبُ بالصلاةِ والصومِ وأنواعِ البِرِّ حتى بإماطةِ الأذى عنِ الطريقِ .

ولا يستكبرُ ولا يستنكفُ أنْ يعودَ في صُوَرِ عوامِّ المؤمنينَ مِنْ إظهارِ الإرادةِ مِنْ كلِّ بِرٍّ وصِلةٍ ؛ فيتناولُ الشهواتِ وقتاً ؛ رِفْقاً بالنَّفْسِ المُطهَّرةِ المُزكَّاةِ المُنقادةِ المِطْواعةِ ؛ لأنَّها أَسيرتُهُ ، ويمنعُها الشهواتِ وقتاً ؛ لأنَّ في ذلكَ صلاحَها .

واعْتبِرْ هـٰذا سواءً بحالِ الصبيِّ ؛ فإنَّهُ إنْ جاوزَ حدَّ الاعتدالِ مِنْ إعطاءِ المُرادِ وقتاً ومَنْعِهِ وقتاً . . فَسَدَ طبعُهُ[1] ؛ لأنَّ الجِبِلَّةَ لا بُدَّ مِنْ قَمْعِها بسياسةِ العلمِ ، وما دامتِ الجِبِلَّةُ باقيةً لا بُدَّ مِنْ سياسةِ العلمِ ، وهـٰذا بابٌ غامضٌ دَخَلَ في النِّهاياتِ على المُنتهِينَ مِنْ ذلكَ دواخلُ ، ووَقَعَ الرُّكُونُ ، وانسدَّ بهِ بابُ المَزيدِ .

فالمُنتهي مَلَكَ ناصيةَ الاختيارِ في الأَخْذِ والتركِ ، ولا بُدَّ لهُ مِنْ أخذٍ وتركٍ في الأعمالِ والحُظُوظِ .

ففي الأعمالِ لا بُدَّ لهُ مِنْ أَخْذٍ وتَرْكٍ ؛ فتارةً يأتي بالأعمالِ كآحادِ الصادقينَ ، وتارةً يتركُ زيادةَ الأعمالِ رِفْقاً بالنَّفْسِ ، وتارةً يأخذُ الحظوظَ والشهواتِ رِفْقاً بالنَّفْسِ ، وتارةً يتركُها تفقُّداً للنَّفْسِ بِحُسْنِ السياسةِ ، فيكونُ في ذلكَ كلِّهِ مُختاراً .

فمَنْ ساكنَ تَرْكَ الحُظُوظِ بالكُلِّيَّةِ . . فهوَ زاهدٌ تاركٌ بالكُلِّيَّةِ ، ومَن

---

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ) : (انفسد) ، وقد سبق التعليق على هـٰذه الكلمة في (١/ ٣٩١) .

استرسلَ في أخذِها فهوَ راغبٌ بالكُلِّيَّةِ ، والمُنتهي شَمِلَ الطَّرَفَينِ ؛ فإنَّهُ على غايةِ الاعتدالِ ، واقفٌ على الصراطِ بينَ الإفراطِ والتفريطِ .

فمَنْ رُدَّتْ إليهِ الأقسامُ في النهايةِ ، فأَخَذَها زاهداً في الزُّهدِ . . فهوَ تحتَ قَهْرِ الحالِ مِنْ تركِ الاختيارِ ، وتاركُ الاختيارِ الواقفُ معَ فعلِ اللهِ . . مُقيَّدٌ بالحالِ ، وكما أنَّ الزاهدَ مُقيَّدٌ بالتركِ تاركُ الاختيارِ . . فكذلكَ الزاهدُ في الزهدِ ، الآخِذُ مِنَ الدُّنيا ما سِيقَ إليهِ لرؤيتِهِ فعلَ اللهِ . . مُقيَّدٌ بالأخذِ .

وإذا استقرَّتِ النهايةُ لا يتقيَّدُ بالأخذِ ولا بالتركِ ، بل يتركُ وقتاً واختيارُهُ مِنِ اختيارِ اللهِ تعالىٰ ، ويأخذُ وقتاً واختيارُهُ مِنِ اختيارِ اللهِ ، وهكذا صومُهُ النافلةَ ، وصلاتُهُ النافلةَ ؛ يأتي بها وقتاً ويسمحُ للنَّفْسِ وقتاً ؛ لأنَّهُ مختارٌ صحيحٌ في الاختيارِ في الحالَينِ ، وهـٰذا هوَ الصحيحُ ونهايةُ النهايةِ ، وكلُّ حالٍ تستقرُّ وتستقيمُ يُشاكِلُ حالَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وهكذا كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ يقومُ مِنَ الليلِ ولا يقومُ الليلَ كلَّهُ ، ويصومُ مِنَ الشهرِ ولا يصومُ الشهرَ كلَّهُ غيرَ رمضانَ[1] ، ويتناولُ الشهواتِ .

ولمَّا قالَ الرجلُ : إنَّني عزمتُ ألَّا آكلَ اللحمَ . . قالَ : « لَا ، كُلِ ٱللَّحْمَ ؛ فَإِنِّي آكُلُ ٱللَّحْمَ وَأُحِبُّهُ ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ . . لَأَطْعَمَنِي »[2] ، وهـٰذا يَدُلُّكَ على أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ

---

(١) روىٰ مسلم (٧٤٦) وغيره عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها أنها قالت ضمن حديث طويل : (ولا أعلمُ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قرأ القرآنَ كلَّهُ في ليلة ، ولا صلَّىٰ ليلةً إلى الصبح ، ولا صامَ شهراً غيرَ رمضان) .

(٢) المثبت غريب باللفظ الذي ذكره المؤلف . انظر « غنية العارف » (٢/ ٩٢٢_٩٢٣) .

مُختاراً في ذلكَ ؛ إنْ شاءَ أكَلَ وإنْ شاءَ لم يأكلْ ، وكانَ يتركُ الأكلَ اختياراً ، ويأكلُ اختياراً .

وقد دخلتِ الفِتْنةُ علىٰ قومٍ كلَّما قِيلَ لهُم : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَعَلَ كذا . . يقولونَ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُشرِّعاً ، وهـٰذا إذا قالوهُ علىٰ معنىٰ : أنَّهُ لا يلزمُهُمُ التأسِّي بهِ . . جهلٌ محضٌ ؛ فإنَّ الرُّخْصةَ الوقوفُ علىٰ حدِّ قولِهِ ، والعزيمةَ التأسِّي بفعلِهِ ، وقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأربابِ الرُّخَصِ ، وفعلُهُ لأربابِ العزائمِ .

ثمَّ إنَّ المُنتهيَ يُحاكي حالَهُ حالَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في دعاءِ رسولِ الله الخَلْقَ إلى الحقِّ ؛ فكلُّ ما كانَ يعتمدُهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ينبغي أنْ يعتمدَهُ ، فكانَ قيامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وصيامُهُ الزائدُ لا يخلو : إمَّا أنْ كانَ ليُقتدىٰ بهِ ، وإمَّا أنْ كانَ لمَزِيدٍ كانَ يجدُهُ بذلكَ ؛ فإنْ كانَ ليُقتدىٰ بهِ فالمُنتهي أيضاً مُقتدىً بهِ ، فينبغي أنْ يأتيَ بمثلِ ذلكَ .

والصحيحُ الحقُّ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يفعلْ ذلكَ لمُجرَّدِ الاقتداءِ ، بل كانَ يجدُ بذلكَ زيادةً ؛ وهوَ ما ذَكَرْناهُ مِنْ تهذيبِ الجِبِلَّةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ خطاباً لهُ : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] ؛ لأنَّ لهُ بذلكَ استمداداً مِنَ الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ ، وقرعَ بابِ الكريمِ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُفتقِرٌ إلى الزيادةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، غيرُ مُستغنٍ عن ذلكَ .

ثمَّ في ذلكَ سِرٌّ غريبٌ[1] ؛ وذلكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) في نسخة علىٰ هامش (د) : (عجيب) .

برابطةِ جِنْسيَّةِ النَّفْسِ كانَ يدعو الخلقَ إلى الحقِّ ، ولولا رابطةُ الجِنْسيَّةِ ما وصلوا إليهِ ولا انتفعوا بهِ ، وبينَ نَفْسِهِ الطاهرةِ ونُفُوسِ الأتباعِ رابطةُ التأنيفِ[1] ، كما بينَ رُوحِهِ وأرواحِهِم رابطةُ التأليفِ ، ورابطةُ التأنيفِ : أنَّ النُّفُوسَ أَلِفَتْ آنِفاً كما أنَّ الأرواحَ أَلِفَتْ أوَّلاً ، ولكلِّ رُوحٍ معَ نَفْسِهِ تأليفٌ خاصٌّ ، والسُّكُونُ والتأليفُ والامتزاجُ واقعٌ بينَ الأرواحِ والنفوسِ .

فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُدِيمُ العملَ ؛ لتصفيةِ نَفْسِهِ ونفوسِ الأتباعِ ، فما احتاجَتْ إليهِ نَفْسُهُ مِنْ ذلكَ نالَ ، وما فَضَلَ مِنْ ذلكَ وصلَ إلىٰ نفوسِ الأُمَّةِ ، وهٰكذا المُنتهي معَ الأصحابِ والأتباعِ علىٰ هٰذا المعنىٰ .

فلا يتخلَّفُ عنِ الزياداتِ والنوافلِ ، ولا يسترسلُ في الشهواتِ واللَّذَّاتِ . . إلا بدَلالةِ مَحْضِ النَّفْسِ ، ولا يُعطِي الاعتدالَ حقَّهُ مِنْ ذلكَ إلا بتأييدِ اللهِ تعالىٰ ونورِ الحِكْمةِ .

وكلُّ مَنْ يحتاجُ إلىٰ صحَّةِ الجَلْوةِ للغيرِ . . لا بُدَّ لهُ مِنْ خَلْوةٍ صحيحةٍ بالحقِّ ، حتىٰ تكونَ جَلْوتُهُ في حمايةِ خَلْوتِهِ .

ومَنْ يتراءىٰ لهُ أنَّ أوقاتَهُ كلَّها خَلْوةٌ ، وأنَّهُ لا يَحجُبُهُ شيءٌ ، وأنَّ أوقاتَهُ باللهِ وللهِ ، ولا يرىٰ نُقْصاناً ؛ لأنَّ اللهَ ما فَطَّنَهُ لحقيقةِ المَزِيدِ . . فهوَ صحيحٌ في حالِهِ ، غيرَ أنَّهُ تحتَ قُصُورٍ ؛ لأنَّهُ ما نُبِّهَ لسياسةِ الجِبِلَّةِ ، وما عُرِّفَ سِرَّ تمليكِ الاختيارِ ، وما وُقِّفَ مِنَ البيانِ على البيضاءِ النَّقِيَّةِ .

وقد نُقِلتْ عنِ المشايخِ كلماتٌ فيها موضعُ الاشتباهِ ؛ فقد يسمعُها

---

(١) في بعض النسخ : (التأليف) ، وكذلك في الموضع الآتي .

الإنسانُ ويبني عليها ، والأَوْلىٰ : أنْ يفتقرَ العبدُ إلى اللهِ تعالىٰ في كلِّ كلمةٍ يسمعُها ، حتىٰ يُسمِعَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ ذلكَ الصوابَ .

نُقِلَ عن بعضِهِم أَنَّهُ سُئِلَ عن كمالِ المعرفةِ ، فقالَ : إذا اجتمعَتِ المُتفرِّقاتُ ، واستوتِ الأحوالُ والأماكنُ ، وسقطتْ رؤيةُ التمييزِ[1] .

فمثلُ هـٰذا القولِ يُوهِمُ أَلَّا يبقىٰ تمييزٌ بينَ الجَلْوةِ والخَلْوةِ ، وبينَ القيامِ بصُوَرِ الأعمالِ وبينَ تركِها ، ولم يُفهَمْ منهُ إلا ذلكَ[2] ، ولا يُفهَمُ منهُ أنَّ القائلَ أرادَ بذلكَ معنىً خاصّاً ؛ يعني : أنَّ حظَّ المعرفةِ لا يتغيَّرُ بحالٍ مِنَ الأحوالِ .

وهـٰذا صحيحٌ ؛ أنَّ حظَّ المعرفةِ لا يتغيَّرُ بحالٍ ولا يفتقرُ إلى التمييزِ ، وتستوي الأحوالُ فيهِ ، ولـٰكنَّ حظَّ المَزِيدِ يتغيَّرُ ويحتاجُ إلى التمييزِ ، وليسَ في هـٰذا الكلامِ وأمثالِهِ ما يُنافي ما ذَكَرْناهُ .

قيلَ لمحمَّدِ بنِ الفضلِ : حاجةُ العارفينَ إلىٰ ماذا ؟ قالَ : حاجتُهُم إلى الخَصْلةِ التي كَمَلَتْ بها المحاسنُ كلُّها ؛ أَلَا وهيَ الاستقامةُ[3] .

فكلُّ مَنْ كانَ أَتَمَّ معرفةً كانَ أَتَمَّ استقامةً ، فاستقامةُ أربابِ النهاياتِ على التمامِ .

---

(١) رواه أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٦٢) عن عبد الرحمـٰن الفارسي رحمه الله تعالىٰ ، وعلَّق عليه أبو نصر فقال : (معنىٰ ذلك : أن يكون وقتُ العبد وقتاً واحداً بلا تغيير ، ويكونَ العبد في جميع أحواله بالله ولله ، مأخوذاً عمَّا سوى الله ، فعند ذلك يكونُ هـٰذا حالَهُ) .

(٢) سقطت لفظة (إلا) من بعض النسخ .

(٣) أورده أبو نصر السرَّاج في « اللمع » (ص٥٨) .

والعبدُ في الابتداءِ مأخوذٌ في الأعمالِ ، محجوبٌ بها عنِ الأحوالِ ، وفي التوسُّطِ محظوظٌ بالأحوالِ ؛ فقد يُحجَبُ عنِ الأعمالِ ، وفي الانتهاءِ لا تَحجُبُهُ الأعمالُ عنِ الأحوالِ ، ولا الأحوالُ عنِ الأعمالِ ، وذلكَ هوَ الفضلُ العظيمُ .

سُئِلَ الجُنيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ عنِ النهايةِ ، فقالَ : هيَ الرجوعُ إلى البدايةِ .

وقد فَسَّرَ بعضُهُم قولَ الجُنيدَ فقالَ : (معناهُ : أنَّهُ كانَ في ابتداءِ أمرِهِ في جهلٍ ، ثمَّ وصلَ إلى المعرفةِ ، ثمَّ رُدَّ إلى التَّحَيُّرِ والجهلِ ، وهوَ كالطُّفُوليَّةِ ؛ يكونُ جهلٌ ، ثمَّ علمٌ ، ثمَّ جهلٌ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل : ٧٠]) .

وقالَ بعضُهُم : (أَعْرَفُ الخَلْقِ باللهِ أَشَدُّهُم تَحَيُّراً فيهِ)[١] .

ويجوزُ أنْ يكونَ معنىٰ ذلكَ ما ذَكَرْناهُ : أنَّهُ يُبادَأُ بالأعمالِ ثمَّ يُرقَّىٰ إلى الأحوالِ ، ثمَّ يُجمَعُ لهُ بينَ الأعمالِ والأحوالِ ، وهٰذا يكونُ للمُنتهي المُرادِ المأخوذِ في طريقِ المحبوبينَ ، يَنجذِبُ رُوحُهُ إلى الحضرةِ الإلٰهيَّةِ ، فيستتبعُ القلبَ ، والقلبُ يستتبعُ النَّفْسَ ، والنَّفْسُ تستتبعُ القالَبَ ، فيكونُ بكُلِّيَّتِهِ قائماً باللهِ ، ساجداً بينَ يَدَيِ اللهِ تعالىٰ ، كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي »[٢] ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥] .

---

(١) رواه السلمي في « الطبقات » (ص٣٨٠) عن أبي يعقوب النهرجوري رحمه الله تعالىٰ ، والقشيري في « الرسالة » (ص٦٤٢) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ٣٨) .

والظِّلالُ : القوالبُ تسجدُ لسجودِ الأَرْواحِ ، وعندَ ذلكَ يَسْري رُوحُ المَحَبَّةِ في جميعِ أجزائِهِم وأبعاضِهِم ، فيتلذَّذونَ ويتنعَّمونَ بذِكْرِ اللهِ وتلاوةِ كلامِهِ مَحبَّةً ووُدّاً ، فيُحِبُّهُمُ اللهُ ، ويُحبِّبُهُم إلىٰ خَلْقِهِ ؛ نعمةً منهُ عليهم وفضلاً ؛ علىٰ ما :

(١٥١) ـ أخبرَنا شيخُنا شيخُ الإسلامِ ضياءُ الدِّينِ أبو النَّجيبِ السُّهْرُوَرْديُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو طالبٍ الزَّيْنَبيُّ ، قالَ : أخبرَتْنا كَريمةُ المَرْوَزِيَّةُ ، قالتْ : أخبرَنا أبو الهيثمِ الكُشْمِيهَنيُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الفِرَبْريُّ ، قالَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ البُخَاريُّ ، قالَ : حدَّثَني إسحاقُ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الصمدِ ، قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ دينارٍ ، عن أبيهِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً نَادَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي ٱلسَّمَاءِ : إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ ، وَيُوضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولُ فِي ٱلْأَرْضِ »[1] .

واللهُ أعلمُ بأحوالِ العبادِ ، وباللهِ العونُ والعصمةُ والتوفيقُ ، وإليهِ انتهاءُ الطريقِ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدِنا ونبيِّنا محمَّدٍ وآلِهِ الطيِّبينَ الطاهِرينَ الأبرارِ ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ المُعِينُ .

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٨٥) ، ورواه مسلم (٢٦٣٧) ، وقولُهُ : (فأحِبَّهُ) الفتح هو الرواية ، والضم أفصح منه . انظر « شرح الأشموني على الألفية » (٣/ ٨٩٧) .



خواتيم النسخ الخطية وبعض السماعات والإجازات

خاتمة النسخة (أ)

تمَّ كتاب « عوارف المعارف » بحمد الله وحُسْن توفيقه ، وصلَّى الله علىٰ خير خلقه محمَّد وآله أجمعين ، في يوم السبت وقت صلاة العصر شهر جمادى الثاني سنة سبع وسبعين وست مئة .

كتبه : إسماعيل بن سالار بن زكي بن سالار الكازروني ، حامداً ومُصلِّياً .

خاتمة النسخة (ب)

[تمَّ] ما حرَّره العبد الفقير الضعيف إلىٰ عفو الله تعالىٰ ؛ محمَّد بن يوسف بن عبد الرحمـٰن الحوراني[1] .

وكان الفراغ من كتاب « عوارف المعارف » ، يوم الأربعاء تاسع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين وست مئة من الهجرة النبوية ، أحسن الله تقضِّيَها ، والحمد لله رب العالمين .

خاتمة النسخة (ج)

لله الحمدُ في جميع الأطوار ، ثمَّ الصَّلَواتُ للنبي المختار .

وكُتِبَ بعد هـٰذه الخاتمة خاتمةٌ مُفصَّلة للكتاب ؛ وإليك نصُّها :

---

(١) كذا رسمت ، ويحتمل أنَّها (الخوزاني) ، والله تعالىٰ أعلم .

(الحمدُ لله المعين ، والصلاةُ والسلام علىٰ خير خلقه النبيِّ الأمين ، وسيدِ الأنبياءِ والمرسلين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، سيَّما الخلفاءِ الراشدين ، والغُزاة والمستشهدين ، والتابعينَ وتبَعِ التابعين ، والعلماءِ المجتهدينِ ، وأهلِ طاعةِ اللهِ من أهل السماوات وأهلِ الأرَضين ، والشكرُ للهِ تعالىٰ وتقدَّس علىٰ إتمام كتابةِ « عوارف المعارف » ، [كان] ابتداؤها في مسجد سيد الرسل ، وهادي السُّبل ، عليه الصلاة والسلام ، وانتهاؤُها في البلد الحرام ـ لا زال مكانُهُ مأمنَ الأنام ـ والمسجد والمقام .

وقد كُتِبَ لجناب الشيخ الأعلم ، أكرم المشايخ من الأمم ، نزيلِ الحَرَمَينِ الشريفين ، مُدرِّس المسجدين المُنِيفَينِ ، مَطَافِ طوائف طرائف ، حكم مهبط وفود لطائف ، كرم روضة دار السلام سعادتَينِ ، حدقةِ حديقةِ أنوارِ رئاستَينِ ، حلَّال مُشكِلات أحكامٍ شرعيٍّ ، شافع معضلات أصليٍّ وفرعي ، قانون شفاء قلوب أولياء ، مشكاة نجاة كروب غُرَباء وصُلَحاء ، شهاب الطريقة والشريعة والحقيقة والدين ، أبي المكارم الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحوم افتخار الأكابر في عصره ، الخواجه شيخ محمد بن الصدر الأعظم الأكرم الأطهار أشراف العجم ، الخواجه أحمد الدشتي الكيلاني ، أبقاه الله في الأمن والأماني ، في عين عِرْفان المعاني ، ورَحِمَ أسلافه ، وكثَّر أولاده وأخلافه ، ورَحِمَ كاتبه وقارئه ، ولجميع المؤمنين ، وصلى الله علىٰ خير النبيِّين ، وأصحابِهِ وأولاده أجمعين ، آمينَ ربَّ العالمين) .

ثمَّ نُقِلَ أبياتٌ لمحمَّد بن فضل الله بن محمود ؛ وهي[1] :

كتبتُ بعونِ اللهِ ذي الفضلِ والعُلا ... عوارفَ شيخي قدَّس اللهُ سرَّهُ

إمامِ الهدىٰ شيخِ الشيوخِ وقُطْبِهِم ... شهابٍ لدِينِ اللهِ قد فاقَ عصرَهُ

بكشفٍ وإيقانٍ وزُهْدٍ وحكمةٍ ... وعلمٍ وعِرْفانٍ وأَعْطاهُ نَشْرَهُ

وأَجْرىٰ ينابيعَ العلومِ بنُطْقِهِ ... وطَهَّرَ مَجْراهُ وأَوسَعَ صدرَهُ

تصدَّىٰ بعونِ اللهِ سبعينَ حَجَّةً ... لإرشادِ خَلْقِ اللهِ عَمَّرَ عُمْرَهُ

وأحكمَ بُنْيانَ السُّلُوكِ مُمهِّداً ... قواعدَ عِرْفانٍ وشيَّدَ قصرَهُ

فأصبحَ أصحابُ التصوُّفِ كاشفاً ... بما أوضحَ الشيخُ المُكاشِفُ سرَّهُ

أفاضَ عليهِ الحقُّ شُؤْبُوبَ رحمةٍ ... وفي الجنَّةِ المأوىٰ تُكامِلَ أجرَهُ

فيا ربِّ وفِّقْني لما كنتُ نامقاً ... ويا ربِّ أَلْهِمْني وعلِّمْنِ فَسْرَهُ

ويا ربِّ غُفراناً لمَنْ كانَ سائلاً ... لزَلَّةِ هٰذا العبدِ إذْ طالَ شعرُهُ

وكانَ فراغي منهُ شعبانَ نصفَهُ ... لعامِ ثلاثينَ ثمانيَ أَزْرَهُ[2]

يُزادُ عليهِ سبعُ ماءٍ مُكمَّلاً ... لهجرةِ خيرِ الخَلْقِ إذ تابعَ أَمرَهُ

عليهِ سلامُ اللهِ ما حجَّ بيتَهُ ... عليهِ صلاةُ اللهِ ما زارَ قبرَهُ

ثمَّ كُتب بعدُ وصفٌ بسيط للنسخة المقابلة عليها النسخة (ج) ، والتي قُرئت على المؤلف ، كما كُتب تأريخ وتوثيق لهٰذه المقابلة ، وإليك صورة هٰذا المكتوب :

---

(١) والظاهر : أنَّ هٰذه الأبيات قد قيلت بسبب كتابة ونسخ « عوارف المعارف » ، ولعلَّ الناسخ أتىٰ بها ؛ لما فيها من مدح الكتاب ومؤلفه رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في نسخة على الهامش : (وفي نصفِ شعبانٍ تصادفَ ختمُهُ) بدل الشطر الأول .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعدَ حمد الله تعالىٰ علىٰ نَعْمائه وإفضالِهِ ، والصلاةِ والسلامِ علىٰ محمَّد وآله . . قابلتُ هٰذا الكتاب المُسمَّىٰ بـ « عوارف المعارف » للشيخ العالم العامل الربَّاني ، الإمام الكامل المُكمَّل الرَّحْماني ، شهاب المِلَّة والدِّين أبي عبد الله عمرَ السُّهْرُوردي ، قدَّس الله روحه ، بنسخةٍ مأخوذةٍ من أُمِّ النسخ المقروءةِ علىٰ مُصنِّفها مراراً ، وفيها خطُّهُ الشريف تكْراراً ، وهٰذه صورةُ كتابته :

(قَرَأَ عليَّ هٰذا الكتابَ : الولدُ الصالح العالم الزاهد العارف ، نجم المِلَّة والدين ثابت بن تاوان[1] ، قراءةَ مَنْ تفهَّم ما فيهِ من المعاني والإشارات والغرائب التي يختصُّ بمعرفتها مَنْ سَلَكَ طريقَ مشايخ الصوفيَّة ، واللهُ تعالىٰ يزيدُهُ تأييداً وتوفيقاً .

وسمعَ الكتابَ جميعَهُ بقراءته جماعةٌ من الصالحين المقيمين بالرباط الذي أَمَرَ ببنائه بالمَرْزُبانيَّة خليفةُ الله تعالى الإمامُ أبو العبَّاس الناصرُ لدين الله تعالىٰ أميرُ المؤمنين ، شيَّد الله تعالىٰ به قواعدَ الدين ، ونَصَرَ به أحزاب المؤمنين .

وكتب : عمر بن محمَّد السُّهْرُوردي ، وصلى الله علىٰ محمَّد وآله) .

وقد [قرأه] بعده مشايخ الصوفيَّة [نيِّفاً] وعشرين مرَّة ، وعليها إجازاتٌ

(١) وهو من أجلِّ تلاميذ المؤلف . انظر ما تقدم في (١/ ٣٧) .

مُتعدِّدة ؛ إمَّا [مكتوبة] في زمان حياة مُصنِّفه رحمه الله ، وإمَّا بعد مُضِيِّ سبيله إلىٰ رحمة ربه الغفور .

والكتابُ المُقابَلُ به موقوفٌ على الرباط المبارك المبنيِّ بمحروسة دمشق حماها الله جنبَ الجامع الأمويِّ المُسمَّىٰ بالسُّمَيساطيَّة ، وقابلته مع مولانا الشيخ العالم الفاضل ، الناسك السالك العارف ، مُفِيدِ الطالبين ، علاءِ المِلَّة والدين ، محمود عرب الخراساني ، متَّع الله المسلمين بدوام أنفاسه ، مقابلةً مشفوعة بالاحتياط والتحفُّظ والتحقيقِ ، إلا ما زاغ البصر ، وما وقع عليه النظر ، والمرجوُّ من الله تعالىٰ أن يكون سعيُهُ مشكوراً ، وذنبُهُ مغفوراً .

وكتب : أقلُّ المساكين محمَّدُ بن إسحاقَ بن أبي العبَّاس بن إسحاقَ الأبرقو هي مولداً بمدينة دمشق بالمقام المذكور ، وصلَّى الله علىٰ خير خلقه محمَّدٍ وآله وصحبِهِ وسلَّم من العرب ، من الربع الثاني لسنةِ ثمانٍ وستين وسبعِ مئةٍ .

ونحنُ قابلنا ما كتبنا ونقلنا من هٰذه النسخة بالحرمين الشريفين ـ دامت حرمتُهُما ـ بهٰذه النسخة المباركة الموصوفة المشهورة بغاية الاحتياط ، تقبَّل الله من المتقين الواقفين المحتسبين أجرَ الله تعالىٰ إليهم ، وأقبل برحمته الواسعة عليهم . . في رجب الأصب سنة أربع وخمسين وستِّ مئة (. . .) علىٰ يد المُصنِّف رحمه الله تعالىٰ .

ثم ذُكِرَ بعدَ ذلك أبياتٌ في مدح كتاب « العوارف » ومؤلِّفِهِ الإمام السُّهْرُوردي ، أصابها بعض الخلل في تركيبها ووزنها ؛ وهي :

يـــا أخَ الإنصـــافِ إنْ لـــجَّ على الخُلْـفِ المخــالِـفْ

صــانَــكَ اللهُ أَبِــنْ لــي هــل رأتْ مُقلــةُ طــارِفْ

كشهـــابِ الــدِّيــنِ حَبْــراً بــالطــريــقِ الحــقِّ عــارِفْ

أو بيـــانـــاً ظـــلَّ للحـــقِّ علـــى البــاطــلِ قــاذفْ

مِـــنْ علــومِ القــوم أَشفَــىٰ مِـــنْ عـــوارفَ للمعـــارفْ

وصــفُ شهــابِ الـديـنِ قـد حيَّـرَ [وصـفَ] كـلِّ واصـفْ

ـ أودعَ عَـــــرْفَ ســــرِّهِ عــــوارفَ المعـــــارفِ

ففـــاحَ نَشْـــرُ رَوْحِـــهِ لـــرَوْحِ كـــلِّ واصـــفِ

ـ [إذا ما] التقينا والعيونُ نواظرٌ وألسُنُنـا حـربٌ وأعينُنـا سِلْـمُ

وتحتَ مجاري الدمعِ منَّا مودَّةٌ تطلَّعُ سرّاً حيثُ لا يبلغُ الوهمُ

خاتمة النسخة (د)

فرغ من كتابته : العبد الضعيف الراجي إلىٰ رحمة الله ؛ محمَّد بن عبد الله بن محمَّد (. . .) ، ثمَّ السورباني ، يوم الأربعاء [سابع] صفر سنة ست وخمسين وست مئة بمدينة دمشق [حماها] الله ، بالمدرسة العادلية ، رحم الله بانيها .

خاتمة النسخة (هـ)

[وقع الفراغ] من كتابة [هـٰذا] الكتاب بعون الله وحسن توفيقه ، علىٰ يد العبد الفقير الحقير الذليل ، المُقِرِّ بذنبه ، المحتاجِ إلىٰ رحمة الله وكرمه

وفضله وعفوه ، أبي (. . .) خلف بن أبي زيد بن الحسين الصباغي الكاشغري ، في غرة المُحرَّم ظهير يوم الخميس ، في خانقاه سعيد السعداء ، سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله أجمعين .

خاتمة النسخة (و)

وقع الفراغ من تحريره : العبد الضعيف المذنب الراجي إلىٰ رحمة الله تعالىٰ وغفرانه ؛ محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن عمر بن الحسن (. . .) الدامري ، في يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ، سنة أربع وسبعين وست مئة ، عمَّتْ بركته ، ورزقنا قدره ، وأصلِحِ اللهمَّ أحواله ، واجعل مرضاته مآله ، بحقِّ المصطفىٰ وآله .

أموتُ ويبقىٰ كلُّ ما قد كتبتُهُ ... فيا ليتَ مَنْ يقرا خُطُوطي دعا ليَا

[لعلَّ إلٰهي يعفو] عنِّي بفضلِهِ ... ويغفرُ زلَّاتي وسوءَ فعاليَا

خاتمة النسخة (ز)

تمَّ كتاب « عوارف المعارف » بحمد الله ومَنِّه وحسن توفيقه ، وصلَّى الله علىٰ خير خلقه محمَّد نبيِّهِ وصَفِيِّهِ وآله وسلَّم .

فرغ من تحريره : يومَ الجمعة وقت الضحىٰ في السادس والعشرين من شهر الله المبارك ذي الحجَّة ، سنة ثلاث وسبع مئة .

نَجَزَ حامداً لله ومُصلّياً ومُستغفِراً ، والحمدُ حقَّ حمده ، والصلاة علىٰ نبيِّه محمَّد وآله أجمعين .

خاتمة النسخة (ح)

وقع الفراغ من تسويد « عوارف المعارف » صنعةِ الإمام العالم الكامل الفاضل البارع المُحقِّق ، قُطْب الإسلام والمسلمين ، شهاب المِلَّة والحقِّ والدِّين ، أبي عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله السُّهْرُوَرْدي البكري ، رضي الله عنه وأرضاه ، يوم الاثنين وقت الظهر ، في يوم عرفة من شهر رمضان المبارك[1] ، في تاريخ سنة ست وستين وثمان مئة ، علىٰ يد أضعف العباد [وأحقرهم] ، المُقِرِّ بذنبه ، المحتاج إلىٰ رحمة ربِّهِ وكرمه وفضله وعفوه ، يعقوب بن بدر بن مصطفى بن خضر بن ميكائيل الشهير بميكائلي في نواحية عنقري ، غفر الله له ولهم ولأسلافهم ولجميع المؤمنين ، آمين يا ربَّ العالمين ، بحقِّ محمَّد وآله أجمعين ، اللهمَّ ؛ انفعه به في الدنيا والآخرة .

فرحم الله عبداً نظرها أو قرأها ، ووقف عليها علىٰ خطاء أو تصحيف أو تحريف غيَّرهُ وردَّهُ إلى الصواب والدعاء بالخير ، ورحم الله عبداً قال : آمينا .

أموتُ ويبقىٰ كلُّ ما [قد] كتبتُهُ … فيا ليتَ مَنْ يقرا كتابي دعا ليَا

لعلَّ إلـٰهي يعفو [عنِّي] خطيئتي … ويغفرُ [لي] ذنبي وسوءَ فعاليَا

---

(١) كذا في الأصل .

خاتمة النسخة (ي)

[تمَّ هـٰذا] الكتاب المُسمَّىٰ بـ « عوارف المعارف » يوم الخميس وقت الضحىٰ في السادس من شهر مُحرَّم الحرام سنة ألف ومئة وخمسة وعشرين ، بيد [العبد] الضعيف النحيف الراجي إلىٰ رحمة الله وشفاعة النبيِّ الحجازي ، أحمد بن عبد النبي عرف [بترك] الغوري ، غفر الله له ولوالديه ولأستاذه وأجداده وأحبَّائه ، وأحسن الله له ولهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، آمين ربَّ العالمين .

❁ ❁ ❁

سماع النسخة (ب)

قرأت جميع هٰذا الكتاب على الشيخ الإمام العالم الحافظ بقيَّة السلف علاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد (. . .) القونوي ، وهو قرأه على الشيخ نجم الدين عمرو الروزبهاني البقلي ، وهو قرأه على المُصنِّف رحمه الله .

فسمعه عليه جماعةٌ ؛ منهم : الشيخ الإمام العالم العامل الكامل ، بقيَّة السلف ، أنموذج الخلف ، شرف الدين محمود بن علاء الدين علي بن فخر الدين إبراهيم القيصري شيخ السَّادة الصوفية بخانقاه خابور ظاهر دمشق المحروسة ، وولداه عبد الملك وعبد الله ، وابن عمِّهما محمَّد بن علاء الدين علي بن محمَّد بن علي بن إبراهيم القيصري ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمَّد بن أحمد التبريزي ، وعلاء الدين علي بن محمَّد بن أبي بكر (. . .) ، والشيخ علاء الدين علي بن منصور بن علي الخواجي ، والشيخ شمس الدين محمَّد بن أبي بكر بن أحمد الشِّيرازي ، والشيخ الإمام العالم العلامة جامع الفضائل محيي الدين أبي زكريَّا يحيى بن محمَّد بن سليمان الشيبي ، والشيخ الإمام العلامة الفاضل زين الدين عمر بن عبد الرحمٰن بن محمَّد المارداني ، والشيخ شرف الدين الذهبي ، والشيخ جلال الدين محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الخوارزمي ، كلُّهُم سمعوا جميع الكتاب ، إلا الشيخ شرف الدين الذهبي ؛ فإنَّهُ سمع أكثره وفاته منه مواضع .

وكانت قراءته في مجالس ، آخرها يوم الأحد سابع غرة محرم ، سنة أربع وستين وسبع مئة ، وأجاز الشيخ المذكور أيّده الله تعالىٰ لهم روايتَهُ بشرائطه المعتبرة عند أئمة النظر .

وكتبه : محمَّد بن منصور بن محمَّد (. . .) ، صحَّحه وكمَّل كتبه العبد الفقير علي بن أحمد بن (. . .) القونوي ، عفا الله تعالىٰ عنه .

سماعات النسخة (هـ)

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عن التابعين ، وقدَّس أرواحَ المشايخ إلىٰ يوم الدين .

وبعد :

ـ فقد سمعَ بقراءته جميعَ هـٰذا الكتاب ـ وهو « عوارف المعارف » تصنيفُ الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله السُّهرُورديِّ ، قدَّسَ الله سرَّهُ ـ : على الشيخ الإمام الأوحد القدوة العارف شرف الدين أبي عبد الله محمَّد بن الحجَّاج بن محمَّد الكاشغريِّ الختني رحمه الله قال : قال : أخبرنا شيخ الشيوخ علاء الدين أبو المعالي علي بن إسماعيل القونويُّ الشافعيُّ بقراءتي عليه وهو يسمع ، أخبرنا الشيخ الجليل الأصيل بدرُ الدين المعروفُ بابن الخلال الدمشقيِّ سماعاً عليه ، قال : أنبأنا المُصنِّفُ قدَّسَ الله سرَّهُ .

(ح) وبإجازته من الشيخ الإمام الحُجَّة صدر الدين أبي المجامع إبراهيم ، ابن قطب الواصلين سعد الدين محمَّد بن المُؤيَّد الحمُّويي

الجوينيّ ، قال : أخبرنا بقراءتي سماعاً ـ وهو من أول الكتاب إلى الباب الحادي والثلاثين ، ومن الباب الستين إلىٰ آخر الكتاب ـ وبقراءة الشيخ عماد الدين محمَّد بن أحمد بن الخطيب الجاجرمي ـ من الباب الحادي والثلاثين إلى الباب الستين ـ . الشيخُ النسيب شهاب الدين مسعود بن عبد الرحمـٰن المستوفي الإسفرايينيُّ ، أخبرنا سماعاً بجميعه المُصنِّفُ حُجَّةُ الإسلام شهاب الدين السُّهْرُورديُّ ، في شوَّال سنة ست عشرة وست مئة .

وصحَّ لي وثَبَتَ في مجالس بالقدس الشريف بزاوية الأقصىٰ ، آخر ذلك شهر جمادى الأولىٰ من سنة أربعين وسبع مئة ، وأجاز بسؤالي جميعَ ما يجوز له وعنه روايته بشرطه .

وكتب : أحمد بن محمَّد بن محمَّد البخاريُّ النجاريُّ ، حامداً لله ومُصلِّياً ومسلِّماً ، وصلَّى الله علىٰ محمَّد وآله وصحبه وسلم .

ـ وسمعتُ جميعه أيضاً : على الشيخ الإمام الحافظ شيخ المُحدِّثين وعُمْدتِهم ، شمس الدين أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمَّد بن الخطيب أبي يحيىٰ عبد الرحيم بن محمَّد بن إسماعيل بن نُباتة الفارقي ثمَّ المصري الشافعي ، بقراءة الشيخ الإمام العلامة سديد الدين أبي الحسن علي بن محمَّد بن أبي الحسن خطيب بلدة سَلَماس ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام القدوة قطب الدين أبو بكر محمَّد بن الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن علي بن محمَّد بن الحسن بن عبد الله بن القسطلاني التَّوْزَري الشافعي ، في شهور سنة إحدىٰ وثمانين وست مئة ، بالجامع العتيق بمصر المحروسة ،

قال : أخبرنا الشيخ الإمام مرشد الخلق إلى الحقِّ شهاب الدين أبو عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عَمُّويه ـ واسمه : عبد الله ـ بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيق رضيَ اللهُ عنهُ قراءةً عليه وأنا أسمع بمكَّة تجاه الكعبة المُكرَّمة[1] ، زادها الله شرفاً وكرامة ، في ذي الحجَّة من سنة ست وعشرين وست مئة .

وصحَّ وثَبَتَ في مجالسَ في العشر الأخير من رمضان سنة أربعين وسبع مئة بالخانقاه العزيزة المعروفة بالسُّمَيساطية حول الجامع الأموي بدمشق ، وأجاز وسمع آخرون ذُكِرَ أسماؤهم علىٰ نسخة السُّمَيساطية ، وبها كانت القراءة .

وكتب : أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد البخاري حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً .

ـ وقرأتُ جميع هـٰذا الكتاب ـ وهو « عوارف المعارف » ـ : علىٰ شيخي الإمام العارف بالله والمرشد إليه ، شيخ الوقت نادرة الوجود ، علاء الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين يوسف بن إسحاق الحرَّاني المَلَطي المعروف بالمصري ، قدَّس الله سرَّهُ العزيز ونوَّر ضريحه ؛ وذلك حين رحلتي لقصده إلىٰ مَلَطْية بالروم ، فأمرني أن أقرأه عليه بحضور جماعة جمَّة من أصحابه ، وذلك ما بين الظهر والعصر ، وأخبرني أنَّهُ قرأ بعضه وأجازه ببعضه الشيخُ الإمام مرشد الخلق إلى الحق ولي الدين علاء الدولة أحمد بن

---

(١) جاءت الكلمة مطموسة ، ويحتمل أن تكون : (المعظمة) أو (المشرفة) أو نحوهما .

محمَّد بن أحمد السِّمْناني الخراساني رحمة الله عليه ، قال : أخبرنا بجميعه رشيد الدين محمَّد ابن أبي القاسم المقرئ البغدادي إجازةً ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام العارف بالله شهاب الدين أبو عمرو[1] عمر السُّهْرُوردي المصنف سماعاً عليه .

وصحَّ وثَبَتَ في مجالسَ تجمعها مباحثُ وأحوال ، وذلك في شهور سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وأجاز الشيخ لي ولمن سمع جميعَ ما يجوز له وعنه روايتُهُ بشرطه .

وكتب : أحمد بن أبي محمَّد بن محمَّد بن محمَّد رحمه الله ، حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه .

ـ وسمعتُ جميع كتاب « العوارف » أيضاً : على الشيخ الإمام المُعمَّر الخطيب صدر الدين أبي الفتح محمَّد بن الحافظ شرف الدين [أبي] عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان بن موسى بن إسماعيل بن عيسى بن عبد الله بن مكي سبط القاضي الخشَّاب المَيْدومي البكري الشافعي رحمه الله تعالىٰ . . بقراءاتٍ مختلفة ، قيل له : أخبرك الشيخ الإمام قطب الدين أبو بكر محمَّد بن أحمد بن القسطلاني التَّوْزَري الشافعي قراءةً عليه وأنت تسمعُ ، قال : أخبرنا الشيخ شهاب الدين المُصنِّف سماعاً عليه في ذي الحجَّة من سنة ست وعشرين وسبع مئة بمكَّة شرَّفها الله تعالىٰ .

وسمع من هٰذه القراءات : ولدي محمَّد ـ عُرف بصدقة ـ من أوَّل

---

(١) كذا في النسخة ، والمشهور : أنَّهُ يكنىٰ بـ (أبي حفص) ، وقيل : (أبو عبد الله) ، وانظر ما سبق في ترجمته (١/ ١٨) .

الكتاب إلىٰ آخر الباب الثاني عشر في شرح حرمة المشايخ ، ومن أوَّل الحادي والعشرين في شرح حال المُتجرِّد والمُتأهِّل من الصوفيَّة وصحَّة مقاصدهم إلىٰ آخر الباب الرابع والعشرين في السماع ترفُّعاً واستغناءً ، ومن قوله : (ومِنْ أخلاق الصوفيَّة القناعة) من الباب الثلاثين في تفاصيل أخلاق الصوفيَّة إلىٰ آخر الباب الخامس والأربعين في ذكر فضل قيام الليل .

وصحَّ وثَبَتَ في شهور سنة اثنين وخمسين وسبع مئة بالقدس الشريف .

وأجاز وكتب : أحمد بن محمَّد بن محمَّد رحمه الله .

ـ وسمعتُ أيضاً وولدي محمد ـ عُرِفَ بصدقة ـ وأبو بكر حضوراً في الثالثة من عمره : على الشيخ الرُّحْلة المسند المُعمَّر صدر الدين أبي الفتح بن الحافظ أبي عبد الله بن إبراهيم بن أبي القاسم الشافعي من كتاب « العوارف » الباب الحادي عشر والثاني عشر والثلاثة التي بعدهما ، والحادي والستون إلىٰ آخر الكتاب ، بقراءة المُحدِّث الحسيب الحافظ شمس الدين الحسيني .

وصحَّ وثبت في مجلسين ، آخرُهُما يوم الجمعة خامس عشر رمضان المُعظَّم من سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بسكن ابن حديدة من حارة المغاربة بالقدس الشريف .

وكتب : أحمد بن أبي محمَّد بن أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد رحمه الله ، حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم .

❁ ❁ ❁

إجازات النسخة (أ) بالخرقة الشريفة

أجزتُ ولد العالم الفاضل الكامل مولود بن محمود أعزَّهُ الله بطاعته ، للشيخ العالم الواصل الفاضل الكامل صفي الدين محمَّد بن الشيخ السعيد الشهيد عبد المجيد . . أن يروي عنِّي جميع ما يجوز لي روايتُهُ علىٰ شروط أئمَّة النقل ، وتلفَّظت له بالإجازة وبإلباس خرقة المشايخ .

وإنِّي **لبستها وأجزته** من فريد عصره وخير الأُولى الواصلين ، سلطان أعاظم المشايخ المُحقِّقين ، عزِّ الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج الفاروثي ، **وهو أخذها** عن فريد عصره أفضل العلماء المتبحرين ، قامع بدعة المبتدعين ، سلطان المشايخ المُحقِّقين ، شهاب الدين عمر بن محمَّد بن عبد الله السُّهْرُوردي ، **وهو أخذها** عن عمِّهِ سلطان مشايخ عصره ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السُّهْرُوردي ، **عن** عمِّه القاضي الفاضل الكامل المُتديِّن وجيه الدين عمر بن محمَّد السُّهْرُوردي ، **عن** أخي فرج الزَّنْجاني ، **عن** أبي العباس بن خفيف ، **عن** رُوَيم بن محمَّد ، **عن** أبي القاسم الجنيد ، **عن** السري ، **عن** المعروف الكرخي ، **عن** داود الطائي ، **عن** حبيب العجمي ، **عن** الحسن البصري ، **عن** أمير المؤمنين ، وقطب الواصلين ، والمجتهدين المُحقِّقين ؛ علي بن

أبي طالب ، عن خاتَم النبيِّين ، ورسول رب العالمين ، محمَّد المصطفىٰ وعلى الغُرِّ الطاهرين أجمعين .

كتبه : أعجز وأفقر خلق الله تعالىٰ عبد الصمد بن عبد السلام بن عبد المجيد بن عمر رحمه الله ، حامداً مُصلِّياً مُسلِّماً .

❁ ❁ ❁

إجازات النسخة (هـ) بالخرقة الشريفة

ـ وقرأتُ على الشيخ الإمام العالم بقيَّة السلف قطب الدين أبي بكر محمَّد بن الإمام العالم جمال الدين محمَّد بن الإمام جلال الدين أبي العزِّ مكرم الأنصاري الخزرجي رحمه الله تعالىٰ . . حديثَ أم خالد الذي في الباب الثاني عشر في شرح حُرْمة المشايخ من هـٰذا الكتاب ، قلت : كذا خبرك الشيخ الإمام المُحدِّث رضي الدين أبو أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الطبري الشافعي قراءةً عليه وأنت تسمع ، قال : أخبرنا الإمام ضياء الدين محمَّد بن عمر بن محمَّد القسطلاني قراءةً عليه وأنا أسمع .

(ح) قال الشيخ قطب الدين : وأخبرنا إجازةً الشيخ قطب الدين أبو بكر محمَّد بن أحمد بن القسطلاني [التَّوْزَري الشافعي](١) ، قال : أخبرنا الإمام الحُجَّة شهاب الدين أبو حفص عمر ابن عبد الله بن محمَّد السُّهْرُوردي قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو زرعة ، عن أبيه الحافظ أبي الفضل المقدسي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الأديب بنيسابور ، أخبرنا الحاكم أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الحافظ ، أخبرنا [أحمد] بن إسحاق ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البصري ، أخبرنا أبو الوليد ، حدَّثنا إسحاق بن سعيد ، أخبرنا أبي ، حدَّثتني أم خالد بنت خالد قالت : أُتي النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : « مَنْ تَرَونَ أكسو هـٰذهِ ؟ » ، فسكت القوم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه

(١) ما بين المعقوفين لحق غير واضح في هامش (هـ) .

وسلَّمَ : « ائتوني بأمِّ خالدٍ » ، قالت : فأتي بي فألبسنيها بيده ، قال : « أَبْلي وأَخْلِقِي » يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلىٰ عَلَمٍ في الخميصة أصفرَ وأحمرَ ويقول : « يا أمَّ خالدٍ ؛ هـٰذا سَنَا » ، قال الشيخ شهاب الدِّين : والسَّنا بلسان الحبشة : الحَسَن[١] ، وسمع هـٰذا الحديثَ بقراءتي ولدي محمد عُرِفَ بصدقة .

ـ ثمَّ إنَّ الشيخ قطب الدين ابن المكرم رحمه الله تعالىٰ أَلْبسَ ولدي بعد سماع هـٰذا الحديث الخرقةَ المنسوبة إلى المشايخ رحمة الله عليهم ، وهي له علىٰ سبيل التبرك (. . .) ، وقال عندما ألبسه إيَّاها : يا بُنيَّ ؛ ألبسَني هـٰذه الخرقةَ شيخي عماد السلف وعمدة الخلف عزُّ الدين بن عبد العزيز المنوفي رحمه الله تعالىٰ ، وهو لبسها من شيخه أبي الفتح الواسطي ، وهو لبسها من شيخه الإمام محيي الدين أحمد بن أبي الحسن علي بن محمَّد بن علي بن ثابت الرفاعي ، وهو لبسها من علي بن القارئ الواسطي ، وهو لبسها من [أبي] الفضل بن كامخ[٢] ، وهو لبسها من غلام بن تُرْكان ، وهو لبسها من الشيخ [أبي علي الرُّوذْباري][٣] ، وهو لبسها من علي العجمي ، وهو من الشِّبْلي ، وهو من الجنيد ، وهو صحب بها سَرِيّاً السَّقَطي ، وهو صحب بها أبا محفوظ الكرخي ، وهو صحب بها داود الطائي ، وهو صحب بها حبيباً العجمي ، وهو صحب بها الحسن البصري ، وهو صحب بها أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ، وهو صحب النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

---

(١) سبق هـٰذا الحديث مسنداً من طريق المؤلف في (١/ ٣٣٣ـ ٣٣٥) .

(٢) جاء في النسخة قبل علي العجمي الآتي ، والمثبت من « طبقات الأولياء » (ص٩٤) وغيره .

(٣) رسمها في النسخة : (علي بن البارباري) .

وصحَّ هٰذا الإلباسُ بهٰذا السند في العشر الأخير من شهر رجب الفرد من سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكتب : أحمد بن أبي محمَّد بن محمَّد رحمه الله النجَّاري ، حامداً لله ومُصلِّياً ومُسلِّماً ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم .

ـ وألبس ولديَّ محمَّد صدقة وأبا بكر خرقةَ التصوف ـ وهي لمحمَّد الخرقة الأصليَّة ـ . الشيخُ الإمام الرُّحلة المسند صدر الدين محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي القاسم المَيْدومي الخطيب ؛ وذلك يوم الجمعة سادس وعشرين شهر المُحرَّم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأخبرهما أنَّهُ لبسها من الشيخ تاج الدين أبي الهدىٰ أحمد بن محمَّد بن أبي الحسن العبَّاسي ، وهو لبسها من سفير الخلافة الباذَرَائي[1] ، وهو لبسها من شيخ الشيوخ شهاب الدين أبي حفص عمر ابن عبد الله السُّهْرَوردي .

وأخبرهما أنَّهُ صحب بها قطب الدين أبا بكر محمَّد بن أحمد بن القسطلاني ، قال : ألبسني شيخي مرشد الوقت شهاب الدين عمر ابن عبد الله السُّهرُوردي طاقيةً بعثها لي من بغداد ، وأجاز لي لبسها ، ثمَّ إنِّي لبستها من يده المباركة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المُعظَّمة سنة ست

---

(١) كذا في النسخة وكثير من المصادر والمراجع ، والمشهورُ : أنَّهُ بالدال المهملة نسبة إلىٰ (بادَرَايا) قرية من أعمال واسط ، وسفير الخلافة البادرائي : هو الإمام الفقيه نجم الدين أبو محمَّد عبد الله بن أبي الوفاء محمَّد البغدادي البادرائي الشافعي ، وممَّا قاله فيه السراج الوراق بعد إصلاحه بين صاحب الشام الملك الناصر وصاحب مصر :

بكَ التأمَ الإسلامُ بعدَ شتاتِهِ ... وجرَّد نحوَ الكفرِ حدَّ شَبَاتِهِ
هُدِينا بنجمِ الدِّينِ والأمرُ مشكلٌ ... فكانتْ نجومُ الليلِ في كلماتِهِ

انظر « نجم المهتدي » (٢/ ٤٧ـ٤٨) .

وعشرين وست مئة ، قال : ألبسني عمِّي شيخ الإسلام إمام الحرمين ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله السَّهْرُوردي ، وهو لبسها من عم أبيه القاضي وجيه الدين المُلقَّب بـ (عمُّويه) السُّهْرُوردي ، وهو لبسها من أخي فرج الزَّنْجاني ، وهو لبسها من أبي العبَّاس النَّهاوَنْدي ، وهو لبسها من مِمْشاذ الدِّينَوَري ، وهو لبسها من أبي عبد الله محمد بن خَفيف الشِّيرازي ، وهو لبسها من رُوَيم بن محمَّد ، وهو لبسها من أبي القاسم الجنيد بن محمَّد بن الجنيد البغدادي ، وهو صحب خاله أبا الحسن سري بن المُغلِّس السَّقَطي ، وهو صحب أبا محفوظ معروفاً الكرخي ، وهو صحب داود الطائي ، وهو صحب حبيباً العجمي ، وهو صحب أبا سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، وهو صحب أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ، وهو صحب سيِّدنا محمَّداً صلَّى الله عليه وسلَّم وكرَّم .

وللشيخ ضياء الدين نسبة أخرىٰ ؛ وهو أنَّهُ صحب بها أحمد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي ، وهو صحب بها أبا بكر النسَّاج ، وهو صحب بها عمرو بن محمَّد بن يوسف الزُّجَاجي ، وهو صحب بها الشِّبْلي ، وهو صحب بها الجنيد .

وللشيخ شهاب الدين نسبة أخرىٰ ؛ وهي أنَّهُ صحب بها أبا محمَّد عبد القادر بن أبي صالح الجِيلي ، وهو من أبي سعيد بن المبارك المخزومي ، وهو من أبي الحسن علي بن محمَّد القرشي الهَكَّاري ، وهو من أبي الفرج الطُّرْطُوشي ، وهو من أبي الفضل عبد الواحد التميمي ، وهو من الشِّبْلي ، وهو من الجنيد .

وأصل خرقة ولدي أبي بكر : فإنَّهُ لبسها من الشيخ العارف شرف الدين أبي عبد الله محمَّد بن الحجَّاج بن محمَّد الكاشغري الجانداري ، وهو لبسها من أبي المجامع صدر الدين إبراهيم بن محمَّد بن المُؤيَّد الحَمُّويي الجُويني ، وهو لبسها من والده شيخ الإسلام قدوة الأنام سعد الدين سلام الله عليه ، وهو لبسها من يد ابن عمِّ أبيه شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن في المسجد الأقصىٰ ، وهو لبسها من يد أبيه شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر ، وهو لبسها من يد جدِّهِ جمال السُّنَّة معين الدين أبي عبد الله محمَّد بن حمُّويه ، وله نسبتان ؛ نسبة الصحبة ونسبة الخرقة ؛ أمَّا نسبة الصحبة : فمع الخضر عليه السلام ، وأمَّا نسبة الخرقة : فإنَّهُ لبسها من يد شيخ الإسلام أبي علي الفضل بن محمد الفارْمَذي ، وهو لبسها من يد أبي القاسم عبد الله بن علي الكُركاني الطُّوسي ، وهو لبسها من يد أبي القاسم منصور بن خلف المغربي ، وهو لبسها من يد أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي ، ونقل أن الشيخ أبا القاسم الكُركاني صحب أبا عثمان ولبس الخرقة منه ، وهو لبسها من يد أبي عمرو محمَّد بن إبراهيم الزُّجَاجي النيسابوري ، وهو لبسها من يد سيِّد الطائفة الجنيد .

فهٰذه النسبة ألبسه إيَّاها ، بارك اللهُ له فيها ، ورزقه الاجتناب عمَّا يُنافيها ؛ وذلك في شهور سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، بزاوية الشيخ تقي الدين بالقدس الشريف ، والحمد لله وحده ، وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه الطيِّبين الطاهرين ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين .

❁ ❁ ❁



الفهارس العامّة

فهرس الآيات القرآنية

سورة الأنفال

سورة التوبة

❁ ❁ ❁

فهرس أطراف الأحاديث (١)

(١) رمزنا بـ (م) إلى الحديث المسند.

❁ ❁ ❁

فهرس الآثار والأقوال [1]

(١) رمزنا بـ (م) إلى الأثر أو القول المسند.

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
ـ طيبوا كفي بمسك	أنس بن مالك	٢/ ٥٧٣
ـ الظالم الذي يجزع من البلاء (في تفسير: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِۦ...﴾)	ـ	١/ ٢٧٦
ـ الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا (في تفسير: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِۦ...﴾)	ابن عطاء	١/ ٢٧٨
ـ الظالم الزاهد والمقتصد العارف (في تفسير: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِۦ...﴾)	ـ	١/ ٢٧٦
ـ الظالم صاحب الأقوال (في تفسير: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِۦ...﴾)	أحمد بن عاصم الأنطاكي	١/ ٢٧٧
ـ الظالم يذكر الله بلسانه (في تفسير: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِۦ...﴾)	ذو النون المصري	١/ ٢٧٦
ـ الظالم يعبد الله على الغفلة (في تفسير: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِۦ...﴾)	ـ	١/ ٢٧٦
ـ الظاهرة العوافي والغنىٰ (في تفسير: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾)	ـ	٢/ ٥٠١
ـ ظهر من بعض الصوفية وجد	ـ	١/ ٥٠٤
ـ العارف فني تدبيره في تدبير الحق	أبو سعيد الخراز	١/ ٤٤٧
ـ العاقل: من دبر أمر الدنيا بالقناعة	أبو بكر المراغي	٢/ ٧٨
ـ العبادة حرفة وحانوتها الخلوة	شقيق البلخي	٢/ ٢٠٥
ـ العبد يصل بطاعته إلى الجنة	أبو علي الدقاق	٢/ ١٠٨
ـ عجبت لهذه الآية	خالد الربعي	٢/ ١٥٥
ـ العدالة خليفة المحبة	ـ	٢/ ٩٣
ـ عرفنا من طوى أربعين يوماً	أبو طالب المكي	١/ ٥٨٨
ـ عظم خلقك لأنك لم ترض بالاخلاق	الحلاج	٢/ ١٧
ـ عظم خلقه حيث صغرت الأكوان	الحلاج	٢/ ١٣
ـ العظيم هو الله ومن أخلاقه	أبو سعيد القرشي	٢/ ١٧

❁ ❁ ❁

فهرس القصص والمنامات والوصايا

القصة أو المنام أو الوصية	الجزء والصفحة
ـ رؤيا بعض الفقراء دخول الجنة وانحطاط رتبته بسبب لبسه أكثر من قميص	٢/ ٢٥٠، ٢٥١
ـ رؤيا ممشاذ الدينوري رسول الله ﷺ في المنام	١/ ٤٩٢
ـ رويم وتأديب بعض الجواري له في شرب الماء	٢/ ٢٢٠
ـ الزاهد خليفة وطيه في كل شهر على لوزة	١/ ٥٨٥
ـ السري السقطي والعقرب الذي لدغه	٢/ ١١١، ٤٩٣
ـ السري السقطي ومعاتبته في مد رجله في المحراب	٢/ ١١٠
ـ السرية التي ظنت الفرار من الزحف وقول الرسول لهم: بل أنتم العكارون	١/ ٣٧٠
ـ سفيان الثوري مع رابعة العدوية	٢/ ٥١٠
ـ سفيان الثوري وبعده عن التكلف والتصنع مع إخوانه وضيوفه	٢/ ٢٤٤
ـ سفيان الثوري وحرمانه من قيام الليل بسبب سوء ظنه	٢/ ٢٩١
ـ سفيان الثوري ونيته في لبس الثياب	٢/ ٢٤٧، ٥٧٦
ـ سليمان الخواص وامتناعه من لقاء إبراهيم بن أدهم	٢/ ٣٧٢
ـ سهل التستري وتواجده في آخر عمره	١/ ٥٢٥
ـ سهل التستري وتواجده وإنكار تلميذه ابن سالم ذلك	١/ ٥٢٥
ـ سهل التستري وسؤاله عن بعض أهل البطالة والغفلة	١/ ٣٠٤
ـ سيدتنا أسماء ووصفها لبعض الصحابة	١/ ٥١٥
ـ سيدتنا أم خالد وإلباس النبي ﷺ إياها الخرقة	١/ ٣٣٣، ٣٣٥
ـ سيدتنا أم رومان ونهي سيدنا أبي بكر لها عن التمايل في الصلاة	٢/ ١٥٦
ـ سيدتنا حفصة مع أبيها سيدنا عمر بن الحطاب	٢/ ٢٠٤
ـ سيدتنا عائشة وإكرامها للوفد الذي جاءها	١/ ٤٢٢
ـ سيدتنا عائشة والعيش على التمر والماء في عهد رسول الله ﷺ	٢/ ٢٠٤
ـ سيدتنا عائشة وفضيلة الخل	٢/ ٢٣٨
ـ سيدتنا عائشة وفقدها رسول الله ﷺ في بعض الليالي	٢/ ٣٨
ـ سيدنا إبراهيم عليه السلام واستعفافه عن السؤال أثناء إلقائه في النار	١/ ٤٣١
ـ سيدنا ابن عمر وإنكاره صنيع بعض المتواجدين	١/ ٥١٥، ٥١٦
ـ سيدنا أبو الدرداء مع صاحبه الذي ابتلي بالكبائر	٢/ ٣٩٠

❁ ❁ ❁

فهرس الأشعار

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
الهمزة المكسورة				
تركت للناس	ودنيائي	البسيط	-	٢/ ٥٣٣
فصار يحسدني	مولائي	البسيط	-	٢/ ٥٣٣
كانت لقلبي	أهوائي	البسيط	-	٢/ ٥٣٣
الباء المضمومة				
إذا قلت	ذنب	الطويل	-	٢/ ٤٨٠
شربنا	نصيب	الطويل	-	١/ ٥٢٣
أرضىٰ وأسخط	محبوب	البسيط	مهيار الديلمي	٢/ ٥١٣
أتوب إليك	الذنوب	الوافر	مجنون ليلىٰ	١/ ٤٨٥
فأما من	أتوب	الوافر	مجنون ليلىٰ	١/ ٤٨٥
إن تأملتكم	قلوب	الخفيف	-	١/ ١٨٧
التاء المكسورة	ألا رب عزت	الطويل	أنشده الخواص	٢/ ٤٩٤
إذا ما مددت	فشلت	الطويل	أنشده الخواص	٢/ ٤٩٤
سأصبر جهدي	قلت	الطويل	أنشده الخواص	٢/ ٤٩٤
صبرت علىٰ	فعزت	الطويل	أنشده الخواص	٢/ ٤٩٤
وجرعتها المكروه	شمأزت	الطويل	أنشده الخواص	٢/ ٤٩٤
الحاء المكسورة	إذا نطقت مليح	الطويل	أنشده ابن عطاء	٢/ ١١٢
الدال المضمومة				
قد كان يطربني	موجود	البسيط	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٢/ ٥٥٩
والوجد يطرب	مفقود	البسيط	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٢/ ٥٥٩

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
حزني كحسنك	أمد	الكامل	-	٢/ ٥٢٦
وإذا صفا	الواحد	الكامل	-	٢/ ٣٧٦
		الدال المفتوحة		
وجليس الخير	وحده	مجزوء الرمل	نسب إلى أبي العتاهية وابن طاهر	٢/ ٣٨٤
وحدة الإنسان	عنده	مجزوء الرمل	نسب إلى أبي العتاهية وابن طاهر	٢/ ٣٨٤
		الدال المكسورة		
إلا مسارعةً	الأبد	البسيط	-	١/ ٢٥٥
فمطلب القوم	الصمد	البسيط	-	١/ ٢٥٥
فهم رهائن	العدد	البسيط	-	١/ ٢٥٥
قوم همومهم	أحد	البسيط	-	١/ ١٨٧
ما إن تنازعهم	والولد	البسيط	-	١/ ٢٥٥
ولا للبس	بلد	البسيط	-	١/ ٢٥٥
		الراء المفتوحة		
إن صوت	ضرا	الخفيف	ذو النون المصري	٢/ ٤٩٣
صابر الصبر	صبرا	الخفيف	ذو النون المصري	٢/ ٤٩٣
ولا خير	يكدرا	الطويل	النابغة الجعدي	١/ ٤٩١
ولا خير	أصدرا	الطويل	النابغة الجعدي	١/ ٤٩١
		الراء المكسورة		
إذا شئت	العسر	الطويل	علي الجرجاني	١/ ٤٣٣
فإن فعلت	العذر	الطويل	علي الجرجاني	١/ ٤٣٤
فسل نفسك	اليسر	الطويل	علي الجرجاني	١/ ٤٣٤
تضوع أرواح	بالدار	البسيط	الشريف الرضي	١/ ٥٣٩
لا ينطقون	بإكثار	البسيط	العرندس الكلابي	٢/ ٤٤
من تلق	الساري	البسيط	العرندس الكلابي	٢/ ٤٤

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
هينون لينون	أيسار	البسيط	العرندس الكلابي	٢/ ٤٤
أوليتني نعماً	بأسرها	الكامل	-	٢/ ٥٠٠
فلأشكرنك ما	قبرها	الكامل	-	٢/ ٥٠٠
انستني منك	البشر	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٢/ ٥٣١
ذكرك لي	بالظفر	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٢/ ٥٣١
شغلت قلبي	فكري	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٢/ ٥٣١
وحيثما كنت	النظر	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٢/ ٥٣١
السين المفتوحة				
تجرعت من	إحتسى	الطويل	سمنون	٢/ ٤٩٥
تدرعت صبري	أسى	الطويل	سمنون	٢/ ٤٩٥
خطوب لو	ملمسا	الطويل	سمنون	٢/ ٤٩٥
فكم غمرة	أكؤسا	الطويل	سمنون	٢/ ٤٩٥
السين المكسورة				
إني جعلتك	جلوسي	الكامل	رابعة العدوية	١/ ٤٧٦
فالجسم مني	أنيسي	الكامل	رابعة العدوية	١/ ٤٧٦ـ ٢/ ٥٣٢
ولقد جعلتك	جلوسي	الكامل	-	٢/ ٥٣٢
العين المضمومة				
تعصي الإله	بديع	الكامل	متنازع النسبة	٢/ ٥٢٢
لو كان حبك	مطيع	الكامل	متنازع النسبة	٢/ ٥٢٢
كيف يزهو	ضجيعه	مجزوء الرمل	ابن الرومي	٢/ ٣٦
العين المفتوحة				
أحرى الملابس	خلعا	البسيط	متنازع النسبة	٢/ ٤٩٩
الدهر لي	ومستمعا	البسيط	متنازع النسبة	٢/ ٤٩٩
فقر وصبر	الجمعا	البسيط	متنازع النسبة	٢/ ٤٩٩
قالوا غدا	جرعا	البسيط	متنازع النسبة	٢/ ٤٩٩

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إن يكن غيبك	عياني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٢/ ٥٣٦
فاجتمعنا	لمعاني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٢/ ٥٣٦
فلقد صيرك	داني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٢/ ٥٣٦
قد تحققتك	لساني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٢/ ٥٣٦

❁ ❁ ❁

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

ـ الإبانة الكبرى، للإمام المحدث أبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري البغدادي (ت٣٨٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الراية، الرياض، السعودية.

ـ الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنىً، للإمام الأديب البلاغي الكاتب أبي سعد محمد بن أحمد العميدي (ت٤٣٣هـ)، شرح وتحقيق إبراهيم الدسوقي، طبع سنة (١٩٦١هـ) لدى دار المعارف، القاهرة، مصر.

ـ الإبانة عن طرق القاصدين، للإمام الأصولي المتكلم المفسر النظار أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت٤٠٦هـ)، تحقيق محمد علاء الدين زينو، ط١، (٢٠١٨م)، دار ضياء الشام، دمشق، سورية.

ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، للإمام الفقيه أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت١١٥٦هـ)، طبع سنة (١٣١٦هـ) لدى المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للإمام القارئ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد البناء الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، ط٣، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الإتقان في علوم القرآن، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) لدى الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

ـ الآحاد والمثاني، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق باسم الجوابرة، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، دار الراية، الرياض، السعودية.

- **إحكام الدلالة على تحرير الرسالة**، للإمام قاضي القضاة شيخ الإسلام زين الدين أبي يحيى زكريا ابن محمد **الأنصاري** (ت٩٢٦هـ)، تصحيح إبراهيم عبد الغفار الدسوقي، وهو مطبوع بهامش «نتائج الأفكار القدسية» للعروسي، ط١، (١٢٩٠هـ، ١٨٧٠م)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- **إحياء علوم الدين**، للإمام المجدد حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم **أبي حامد** محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته**، للإمام الفقيه المحدث **أبي بكر** محمد بن الحسين **الآجري** البغدادي (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله عيلان، ط٢، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **الاختيار لتعليل المختار**، للإمام الفقيه المحدث المحرر مجد الدين أبي الفضل عبد الله بن محمود ابن مودود **الموصلي** (ت٦٨٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأحمد برهوم وعبد اللطيف حرز الله، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، دار الرسالة العالمية، دمشق، سورية.

- **أخلاق النبي وآدابه**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف **بأبي الشيخ الأصبهاني** (ت٣٦٩هـ)، تحقيق صالح الونيان، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار المسلم، الرياض، السعودية.

- **الإخوان**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **آداب الصحبة**، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية **أبي عبد الرحمن** محمد بن الحسين النيسابوري **السلمي** (ت٤١٢هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- **أدب الإملاء والاستملاء**، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ **أبي سعد** عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي **السمعاني** (ت٥٦٢هـ)، تحقيق ماكس فايسفايلر، ط١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **أدب الدين والدنيا**، للإمام الفقيه القاضي المفسر الأديب **أبي الحسن علي بن محمد الماوردي** (ت٤٥٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **الأدب الصغير والأدب الكبير**، للإمام الأديب الكاتب **عبد الله بن المقفع** (ت١٤٢هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **الأدب المفرد**، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- **أدب النفس**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي المعروف **بالحكيم الترمذي** (ت٣٢٠هـ)، تحقيق أحمد السايح، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

- **الأربعين في التصوف**، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية **أبي عبد الرحمن** محمد بن الحسين الأزدي **السلمي** (ت٤١٢هـ)، ط٢، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند.

- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، للإمام المقرئ الحافظ المتفنن **شهاب الدين أبي العباس** أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٩٠٥هـ ـ ١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.

- **الأسامي والكنى**، للإمام الحافظ القاضي **أبي أحمد** محمد بن محمد النيسابوري المعروف **بالحاكم الكبير** (ت٣٧٨هـ)، تحقيق يوسف الدخيل، ط١، (١٩٩٤م)، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

- **أسباب نزول القرآن**، للإمام المفسر النحوي اللغوي الفقيه المتفنن أبي الحسن علي بن أحمد **الواحدي** النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، تحقيق كمال زغلول، ط١، (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم **ابن الأثير الجزري** (ت٦٣٠هـ)، طبع سنة (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **الأسماء والصفات**، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- اصطناع المعروف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، للعلامة الفقيه أبي بكر عثمان بن محمد شطا المشهور بالبكري الدمياطي (ت١٣١٠هـ)، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط٢، (١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الأعلام، للأستاذ البحاثة خير الدين بن محمود الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، (٢٠٠٢م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- إكمال الإكمال، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- الأم، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

- الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي الحسين محمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن سمعون الواعظ (ت٣٨٧هـ)، تحقيق عامر صبري، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي القاسم عبد الملك بن محمد ابن بشران البغدادي (ت٤٣٠هـ)، تحقيق أحمد بن سليمان، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

ـ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبيدي المقريزي (ت٨٤٥)، تحقيق محمد النميسي، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الإمتاع والمؤانسة، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ)، ط١، (١٤٢٤هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

ـ أمثال الحديث، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بـأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ط٢، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

ـ الأموال، للإمام الحافظ أبي أحمد حميد بن مخلد ابن زنجويه الخراساني (ت٢٥١هـ)، تحقيق شاكر فياض، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، من منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية.

ـ الأموال، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق سيد رجب، ط١، (١٤٢٨هـ ـ٢٠٠٧م)، دار الهدي النبوي، مصر. دار الفضيلة، السعودية.

ـ الأنساب، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن المعلمي وآخرين، ط١، (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

ـ الأولياء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد السعيد زغلول، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ـ البداية والنهاية، للإمام الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، طبع سنة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الهجرة، الرياض، السعودية.

- **البديع في نقد الشعر**، للإمام المؤرخ البلاغي الأديب مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة ابن منقذ الكناني (ت٥٨٤)، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

- **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت٢٥٥هـ)، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- **البرهان في أصول الفقه**، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٣٩٩هـ)، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، قطر.

- **البرهان في علوم القرآن**، للإمام الفقيه الأصولي المحدث النقاد المتفنن بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- **بستان العارفين**، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط٦، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- **البصائر والذخائر**، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق وداد القاضي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.

- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، للإمام المحدث المؤرخ كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم العقيلي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق سهيل زكار، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للإمام المفسر الحافظ النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط٢، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- بيان تذلل الفقراء، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق نصر الله ورجوادى ومحمد سورى، طبع سنة (١٣٨٨هـ)، وهو صادر ضمن «مجموعة آثار أبي عبد الرحمن السلمي»، من منشورات مؤسسة وهشي حكمت وفلسفة، طهران، إيران، ومؤسسة مطالعات إسلامي دانش اه آزاد، برلين، ألمانيا.

- البيان في مذهب الإمام الشافعي، للإمام الفقيه الأصولي أبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني (ت٥٥٨هـ)، تحقيق قاسم النوري، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، ط١، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

- تاريخ ابن الوردي، للإمام الفقيه القاضي المؤرخ الشاعر الأديب زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر ابن الوردي المعري الكندي (ت٧٤٩هـ)، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ إربل، المسمى: «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل»، للإمام المؤرخ الأديب المبارك بن أحمد بن المبارك ابن المستوفي اللخمي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق سامي الصقار، طبع سنة (١٩٨٠م) لدى دار الرشيد، بغداد، العراق.

- تاريخ أصبهان، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- تاريخ الخلفاء، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط٢، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- التاريخ الكبير، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، للإمام المؤرخ قاضي القضاة مجير الدين أبي اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي (ت٩٢٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط١، (١٤٣١هـ - ٢٠١١م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- تاريخ بغداد، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ دنيسر، للعلامة الطبيب أبي حفص عمر بن الخضر المعروف بن اللمش الدنيسري التركي (ت٦٤٠هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو العمروي، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- تاريخ مساجد بغداد وآثارها، للباحث محمود شكري الآلوسي، تهذيب محمد بهجة الأثري، طبع سنة (١٣٤٦هـ)، مطبعة دار السلام، بغداد، العراق.

- تاريخ نيسابور، للإمام الحافظ الناقد أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، مكتبة ابن سينا، طهران، إيران.

- تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري، للإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت٢٣٣هـ)، تحقيق أحمد نور سيف، ط١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية.

ـ تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق عبد الله الغماري، طبع سنة (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م) لدى المطبعة الإسلامية، القاهرة، مصر.

ـ التبصرة، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، طبع سنة (١٩٦٧م) لدى المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تحرير ألفاظ التنبيه، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق عبد الغني الدقر، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار القلم، دمشق، سورية.

ـ تحفة الأحوذي، للعلامة المتفنن أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تحفة المحتاج في شرح المنهاج، للإمام الفقيه المفتي المحقق المتفنن شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، طبع سنة (١٣٥٧هـ ـ ١٩٨٣م) لدى المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد، لشيخ الأزهر العلامة الفقيه المتكلم أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد الباجوري (ت١٢٧٦هـ)، تحقيق الدكتور علي جمعة، ط١، (١٤٢٢هـ)، دار السلام، القاهرة، مصر.

ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للإمام المحدث الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، تحقيق عبد الله السعد، ط١، (١٤١٤هـ)، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية.

ـ التدوين في أخبار قزوين، للإمام الفقيه المحقق المحدث المتفنن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت٦٢٣هـ)، طبع سنة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **التذكرة الحمدونية**، للإمام الأديب المؤرخ بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي (ت٥٦٢هـ)، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك**، للإمام الحافظ أبي حفص عمر بن أحمد ابن شاهين البغدادي (ت٣٨٥هـ)، تحقيق محمد حسن إسماعيل، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **الترغيب والترهيب**، للإمام المحدث المفسر قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد القرشي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق أيمن شعبان، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الحديث، القاهرة، مصر.

- **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، لإمام الأدب النحوي المؤرخ المتفنن صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الدمشقي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق السيد الشرقاوي، ط١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- **التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم**، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق بسام الجابي، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الجفان والجابي، ليماصول، قبرص. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- **التعرف لمذهب أهل التصوف**، للإمام الصوفي أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت٣٨٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **التعريفات**، للإمام الأصولي المتكلم المحقق المتفنن السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد الجرجاني الحسيني (ت٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.

- **تعظيم قدر الصلاة**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت٢٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، (١٤٠٦هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- تفسير ابن أبي حاتم، المسمى: «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين»، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية.

- تفسير البغوي، المسمى: «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للإمام الفقيه المفتي المفسر محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط٤، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- تفسير البيضاوي، المسمى: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للإمام القاضي المفسر الأصولي المتكلم ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق محمد المرعشلي، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- تفسير التستري، للإمام الصوفي العارف بالله أبي محمد سهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣هـ)، جمع أبي بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الخازن، المسمى: «لباب التأويل في معاني التنزيل»، للإمام المفسر علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيحي المعروف بـالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الرازي، المسمى: «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، للإمام المجدد المتكلم المفسر الأصولي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط١، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- تفسير السلمي، المسمى: «حقائق التفسير»، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير السمرقندي، المسمى: «بحر العلوم»، لإمام الهدى الفقيه المفسر المتكلم أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الطبري، المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام المجتهد المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- تفسير القرطبي، المسمى: «الجامع لأحكام القرآن»، للإمام الفقيه المفسر المتفنن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- تفسير الواحدي، المسمى: «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، طبع سنة (١٩٨٣م) لدى دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت٦٢٩هـ)، تحقيق كمال الحوت، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التكملة لوفيات النقلة، للإمام الحافظ الفقيه المؤرخ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- التكملة والذيل على درة الغواص، أو: «التكملة فيما يلحن فيه العامة»، للإمام الأديب اللغوي أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي قرني، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، وهو مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- تلبيس إبليس، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، طبع سنة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) لدى وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

- تنبيه الغافلين، لإمام الهدى الفقيه المفسر المتكلم أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق السيد العربي، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر.

- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، للإمام المحدث نور الدين علي بن محمد بن علي ابن عراق الكناني (ت٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الغماري، ط١، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمع الإمام اللغوي الأديب المحدث المتفنن مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزابادي (ت٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التهجد وقيام الليل، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصلح الحارثي، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- تهذيب الأسرار، للإمام العارف الصوفي أبي سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي (ت٤٠٧هـ)، تحقيق بسام بارود، طبع سنة (١٩٩٩م) لدى المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق مصطفى عطا، طبع سنة (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- التواضع والخمول، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق محمد عطا، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التوبيخ والتنبيه، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بـأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان، القاهرة، مصر.

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط١، (١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- الثقات، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- جامع الأحاديث، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق ثلة من الباحثين بإشراف العلامة الدكتور علي جمعة، طبع على نفقة الدكتور حسن عباس زكي.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام المحدث اللغوي الأديب مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون، ط١، (١٣٨٩هـ)، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، دمشق، سورية.

- جامع الشروح والحواشي، للباحث السيد عبد الله محمد بن علي الحبشي الحضرمي، طبع في المركز الثقافي سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، أبوظبي، الإمارات.

- جامع بيان العلم وفضله، للإمام الفقيه الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

- الجامع لشعب الإيمان، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.

- الجامع، للإمام الحافظ الفقيه أبي عروة معمر بن راشد الأزدي (ت١٥٣هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ)، من منشورات المجلس العلمي، باكستان، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- الجرح والتعديل، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١، (١٢٧١هـ - ١٩٥٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- جمل من أنساب الأشراف، للإمام المؤرخ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- جمهرة الأمثال، للإمام اللغوي الأديب الشاعر أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، لبنان.

- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق إبراهيم عبد المجيد، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- الجوع، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- حاشية ابن عابدين، المسماة: «رد المحتار على الدر المختار»، للإمام الفقيه الأصولي المحقق المتفنن السيد محمد أمين بن عمر ابن عابدين أفندي الدمشقي (ت١٢٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، طبعة خاصة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، المسماة: «كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه»، للإمام الفقيه المحدث المفسر نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي السندي (ت١١٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الشافعي، للإمام القاضي الفقيه المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الحاوي للفتاوي، للإمام المفسر الحافظ النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية الصادرة سنة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، بيروت، لبنان.

- حسن الظن بالله، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مخلص محمد، ط١ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- حقائق عن التصوف، للعلامة الصوفي المربي السيد عبد القادر عيسى (ت١٤١٢هـ)، طبع سنة (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الحلم، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد عطا، ط١، (١٤١٣هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي الصادرة سنة (١٣٥٧هـ)، لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، للعلامة المؤرخ كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الصابوني المعروف بـابن الفوطي المروزي الشيباني (ت٧٢٣هـ)، تحقيق مصطفى جواد، طبع سنة (١٣٥١هـ) لدى المكتبة العربية، بغداد، العراق.

- حياة الحيوان الكبرى، للإمام الفقيه الأديب المتفنن كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى الدميري (ت٨٠٨هـ)، ط١، (١٢٨٤هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- خاص الخاص، للإمام المؤرخ اللغوي الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق حسن الأمين، طبع سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- خطط الشام، للأديب الكاتب المؤرخ محمد بن عبد الرزاق كرد علي (ت١٣٧٢هـ)، ط٣، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، مكتبة النوري، دمشق، سورية.

- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الآثار الإسلامية، بربلي، سريلانكا.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ الفقيه النحوي البلاغي المتفنن جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ط١، (١٤٣٣هـ - ٢٠١١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- درة الغواص في أوهام الخواص، للإمام الأديب الشاعر أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري (ت٥١٦هـ)، تحقيق عرفات مطرجي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الدعاء، للإمام القاضي الفقيه المحدث أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي (ت٣٣٠هـ)، تحقيق عمرو عبد المنعم، ط١، (١٤١٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر. مكتبة العلم، جدة، السعودية.

- الدعوات الكبير، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق بدر البدر، ط١، (٢٠٠٩م)، دار غراس، الكويت.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دار الريان، القاهرة، مصر.

- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، للإمام محمد ابن علان البكري الصديقي (ت١٠٥٧هـ)، تحقيق خليل شيحا، ط٤، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- **ديوان ابن الرومي**، للشاعر العباسي الكبير أبي الحسن علي بن العباس بن جريج **ابن الرومي** (ت٢٨٣هـ)، تحقيق حسين نصار، ط٣، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- **ديوان ابن الزيات**، للوزير الأديب محمد بن عبد الملك **الزيات** (ت٢٣٢هـ)، شرح وتحقيق جميل سعيد، من منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

- **ديوان ابن الفارض**، للشاعر الصوفي سلطان العاشقين شرف الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن **ابن الفارض** الحموي المصري (ت٦٣٢هـ)، طبع سنة (١٩٦٢م) لدى دار صادر، بيروت، لبنان.

- **ديوان الجرجاني**، للإمام القاضي الأديب **أبي الحسن** علي بن عبد العزيز **الجرجاني** (ت٣٩٢هـ)، تحقيق سميح صالح، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- **ديوان الحلاج**، للشاعر الصوفي الحسين بن منصور **الحلاج** (ت٣٠٩هـ)، جمع وتحقيق كامل الشيبي، ط٢، منشورات الجمل.

- **ديوان الحماسة**، للشاعر العباسي الكبير **أبي تمام** حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ)، ومعه: «**شرح ديوان الحماسة**» للإمام **الخطيب التبريزي** (ت٥٠٢هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع سنة (١٣٥٨هـ) لدى المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

- **ديوان الشبلي**، للإمام الصوفي العارف الزاهد أبي بكر جعفر بن يونس **الشبلي** (ت٣٣٤هـ)، جمع وتحقيق كامل الشيبي، ط١، (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م)، دار التضامن، بغداد، العراق.

- **ديوان الشريف الرضي**، للشاعر الأديب البلاغي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي البغدادي المعروف **بالشريف الرضي** (ت٤٠٦هـ)، شرح وتحقيق محمود حلاوي، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

- **ديوان العباس بن الأحنف**، لشاعر الغزل العباسي أبي الفضل **العباس بن الأحنف** اليمامي (ت١٩٢هـ)، تحقيق عاتكة الخزرجي، ط١، (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

ـ **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، للإمام قاضي القضاة المؤرخ الكبير ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد **ابن خلدون الإشبيلي** (ت٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، ط٢، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ **ديوان النابغة الجعدي**، للصحابي الجليل الشاعر قيس بن عبد الله **النابغة الجعدي** العامري (ت نحو ٥٠هـ)، جمع وشرح وتحقيق واضح الصمد، ط١، (١٩٩٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ **ديوان مجنون ليلى**، للشاعر الأموي العذري قيس بن الملوح العامري المعروف بـ**مجنون ليلى** (ت٦٨هـ)، برواية أبي بكر الوالبي، تحقيق يسرى عبد الغني، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **ديوان مهيار الديلمي**، للشاعر العباسي أبي الحسين **مهيار** بن مرزويه الفارسي **الديلمي** (ت٤٢٨هـ)، تحقيق أحمد نسيم، ط١، (١٣٤٤هـ ـ ١٣٢٥م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

ـ **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ**الراغب الأصفهاني** (ت٥٠٢هـ)، تحقيق أبي زيد العجمي، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

ـ **ذكر الأقران ورواياتهم عن بعضهم بعضاً**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف **بأبي الشيخ الأصبهاني** (ت٣٦٩هـ)، تحقيق مسعد السعدني، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات**، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية **أبي عبد الرحمن** محمد بن الحسين الأزدي **السلمي** (ت٤١٢هـ)، تحقيق محمود الطناحي، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ **ذم الدنيا**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ـ **ذم الغيبة والنميمة**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق بشير عيون، ط١، (١٤١٣هـ)، مكتبة دار البيان، دمشق، سورية. مكتبة المؤيد، الرياض، السعودية.

- **ذم الملاهي**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عمرو سليم، ط١، (١٤١٦هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر. مكتبة العلم، جدة، السعودية.

- **ذم الهوى**، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق خالد العلمي، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- **ذيل الروضتين**، المسمى: «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، للإمام الفقيه المحدث المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بابن أبي شامة (ت٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **ذيل تاريخ بغداد**، للحافظ المؤرخ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

- **الرحلة في طلب الحديث**، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، ط١، (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، الناشر أمين دمج، بيروت، لبنان.

- **الرد على المنطقيين**، المسمى: «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان»، للعلامة الشيخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، طبع سنة (١٩٧٦م) لدى دار ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

- **الرد على من يحب السماع**، للإمام القاضي الفقيه أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري (ت٤٥٠هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

ـ رسالة الفقر في مخالفة النفس والقهر، للإمام الفقيه المفسر المتفنن شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السهروردي البكري الصديقي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق عبد اللطيف المحيمد، ط١، (١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م)، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان.

ـ الرسالة القشيرية، للإمام الصوفي الأصولي المتكلم الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ الرضا عن الله بقضائه، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق ضياء الحسن السلفي، ط١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

ـ الرقة والبكاء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط٣، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام النحوي المؤرخ المتبحر أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق عمر السلامي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ روض الرياحين في حكايا الصالحين، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق عدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، ط٢، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

ـ روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الأطعاني البسطامي (ت٨٠٦هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (٢٠٠٤م)، مكتبة دارة الكرز، القاهرة، مصر.

ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دمشق، سورية. عمان، الأردن.

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد حمزة ومحمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الزهد الكبير، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط٣، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الزهد والرقائق، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع سنة (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، طبعة مصورة عن طبعة المجلس العلمي في الهند لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الزهد وصفة الزاهدين، للإمام المؤرخ المحدث أبي سعيد أحمد بن ابن الأعرابي البصري (ت٣٤٠هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي السري هناد بن السري (ت٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار المشكاة، القاهرة، مصر.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي (ت١٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- الزهد، للإمام المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق محمد شاهين، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- زهر الآداب وثمر الألباب، للإمام الأديب الناقد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، تحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام المحدث المؤرخ شمس الدين محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

- سراج الملوك، للإمام الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- السنة، المسمى: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق أحمد الغامدي، ط٨ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- السنة، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- السنة، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- سنن الدارقطني، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- سنن الدارمي، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، السعودية.

- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- السنن الكبرى، وفي ذيله «الجوهر النقي»، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، ط١، (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- السنن، للإمام الحافظ المفسر أبي عثمان سعيد بن منصور الخراساني (ت٢٢٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

- سير أعلام النبلاء، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، للإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت٢١٤هـ)، تحقيق أحمد عبيد، ط٦، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام المؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الدمشقي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية، وبيروت، لبنان.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، للإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الأشموني (ت نحو ٩٠٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- شرح التسهيل، لإمام العربية جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

- **شرح الزرقاني على مختصر خليل**، للإمام المحدث الفقيه المتفنن عبد الباقي بن يوسف **الزرقاني** (ت١٠٩٩هـ)، تحقيق عبد السلام أمين، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **شرح السنة**، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، ط٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

- **شرح الشفا**، للإمام الفقيه المحدث المتفنن نور الدين أبي الحسن علي بن سلطان محمد المعروف بـ**ملا علي القاري** (ت١٠١٤هـ)، تحقيق عبد الله الخليلي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **شرح الفاسي على الرائية الشريشية**، للعلامة الفقيه المحدث العارف أبي العباس أحمد بن يوسف **الفاسي** (ت١٠٢١هـ)، طبع سنة (١٣١٦هـ) لدى المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.

- **شرح المفصل**، للإمام النحوي اللغوي موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن **يعيش** الموصلي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق إميل يعقوب، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **شرح درة الغواص في أوهام الخواص**، للإمام المفسر الفقيه الأديب المتفنن **شهاب الدين** أحمد بن محمد بن عمر **الخفاجي** المصري (ت١٠٦٩هـ)، وهو صادر ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي قرني، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- **شرح مشكل الآثار**، للإمام الحافظ محدث الديار المصرية وفقيهها أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي **الطحاوي** المصري (ت٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **شرح مقامات الحريري**، للإمام الأديب **أبي العباس** أحمد بن عبد المؤمن القيسي **الشريشي** (ت٦١٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) لدى المكتبة العصرية، القاهرة، مصر.

- **الشريعة**، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي **الآجري** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل **عياض** بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبده كوشك، ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الفيحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

- **الشكر**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق بدر البدر، ط٣، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، الكويت.

- **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن **الترمذي** (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سيد الجليمي، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، السعودية.

- **الصبر والثواب عليه**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **صحيح ابن خزيمة**، المسمى: «مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه ﷺ، من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار»، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق **ابن خزيمة** النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق محمد الأعظمي، ط٣، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- **صحيح البخاري**، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، طبعة مصورة عن الطبعة السلطانية اليونينية، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان. دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **صحيح مسلم**، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، للإمام الحافظ أبي الحسين **مسلم** بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر، وتم اعتماد ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **الصداقة والصديق**، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف **أبي حيان** علي بن محمد **التوحيدي** (ت نحو ٤٠٠ هـ)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان. دمشق، سورية.

- **صفة الصفوة**، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمود فاخوري ومحمد قلعه جي، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- **صفة النار**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** البغدادي القرشي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- **صفوة التصوف**، للإمام الحافظ الرحالة المؤرخ أبي الفضل **محمد بن طاهر المقدسي** الشيباني المعروف **بابن القيسراني** (ت٥٠٧هـ)، تحقيق أبو علي النظيف، ط١، (٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **صلاة الوتر**، أو: «مختصر قيام الليل»، للإمام الحافظ أبي عبد الله **محمد بن نصر** بن الحجاج **المروزي** (ت٢٩٤هـ)، اختصار العلامة المقريزي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، حديث أكاديمي فيصل آباد، باكستان.

- **الصمت وآداب اللسان**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- **الضعفاء الكبير**، للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو **العقيلي** (ت٣٢٢هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الطب النبوي، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الأولياء، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق نور الدين شريبه، ط٢، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الشافعية الكبرى، للإمام الأصولي قاضي القضاة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الشافعية، للإمام الأصولي الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق كمال الحوت، ط١، (٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعية، للإمام الفقيه المؤرخ تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة الأسدي (ت٨٥١هـ)، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، (١٤٠٧هـ)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعيين، للإمام الحافظ المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم عمر ومحمد زينهم محمد عزب، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الصوفية، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شريبة، ط٣، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ الطبقات الكبرى، المسمى: «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»، للإمام الرباني المربي الفقيه المحدث أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، طبع سنة (١٣١٧هـ) لدى المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.

- الطبقات الكبرى، للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الطهور، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق مشهور سلمان، ك١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الصحابة، جدة، السعودية. مكتبة التابعين، القاهرة، مصر.

- طوق الحمامة، للإمام الفقيه الأديب الفيلسوف أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي القرطبي (ت٤٥٦هـ)، ط٢، (١٩٨٧م)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان.

- العبر في خبر من غبر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العزلة والانفراد، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مسعد السعدني، ط١، (٢٠٠٥م)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- العزلة، للإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد ابن الخطاب الخطابي (ت٣٨٨هـ)، ط٢، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

- العظمة، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

- العقد الفريد، للإمام الأديب الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق مفيد قميحة وعبد المجيد الترحيني، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق أيمن الأزهري وسيد مهنا، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العقل وفضله، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- العقوبات، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- علل الحديث، للإمام الحافظ النقاد أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف سعد الحميد وخالد الجريسي، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، مطابع الجريسي، السعودية.

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق، ط٢، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.

- العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب في مشيخة شهدة، للشيخة الجليلة المسندة الفقيهة فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد الكاتبة الدينورية البغدادية (ت٥٧٤هـ)، تحقيق فوزي عبد المطلب، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- عمل اليوم والليلة، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق فاروق حمادة، ط٢، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- عمل اليوم والليلة، للإمام المحدث الرحالة أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري (ت٣٦٤هـ)، تحقيق كوثر البرني، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

- عيون الأخبار، للإمام اللغوي الأديب المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، (١٩٩٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للإمام الفقيه المفسر برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف بتاج القراء (ت بعد ٥٣٥ هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان.

ـ غريب الحديث، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق حسين محمد محمد شرف، ومراجعة عبد السلام هارون، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر.

ـ غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف، للعلامة المحدث السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (ت١٣٨٠هـ)، تحقيق أديب الكمداني ومحمد المصطفى، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، وهو مطبوع مع «عوارف المعارف»، المكتبة المكية، مكة المكرمة، السعودية.

ـ الغيلانيات، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق حلمي عبد الهادي، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.

ـ فتاوى ابن الصلاح، للإمام المحدث الفقيه المفتي تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق موفق عبد القادر، ط١، (١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، ودار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ الفتاوى الحديثية، للإمام الفقيه المفتي المحدث المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق أحمد عناية، ط١، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

ـ فتاوى الرملي، للإمام الفقيه المفتي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت٩٥٧هـ)، ط١، (١٣٠٨هـ ـ ١٨٨٨م)، طبعة مصورة لدى المكتبة الإسلامية عن المطبعة الميمنية بمصر، ديار بكر، تركيا.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

ـ الفتوحات المكية، للشيخ الأكبر سلطان العارفين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي الحاتمي الطائي (ت٦٣٨هـ)، طبعة مصورة لدى دار صادر عن دار الكتب العربية الكبرى بالقاهرة، بيروت، لبنان.

- الفردوس بمأثور الخطاب، للإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي (ت٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد زغلول، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الفروق، المسمى، «أنوار البروق في أنواء الفروق»، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت٦٨٤هـ)، تحقيق محمد سراج وعلي جمعة، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- فضائل الأوقات، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عدنان القيسي، ط١، (١٤١٠هـ)، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

- فضائل القرآن، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

- الفلاكة والمفلوكون، للعلامة المتفنن أحمد بن علي الدلجي (ت٨٣٨هـ)، طبع سنة (١٣٢٢هـ) لدى مطبعة الشعب، مصر.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للعلامة الشريف المحدث المسند محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني (ت١٣٨٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط٢، (١٩٨٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- الفوائد، للإمام الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله البجلي الرازي (ت٤١٤هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- القناعة والتعفف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، للإمام الزاهد العارف شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت٣٨٦هـ)، تحقيق محمود الرضواني، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

ـ الكامل في التاريخ، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عمر تدمري، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ الكامل في اللغة والأدب، لإمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المبرد البصري (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد الدالي، ط٢، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام اللغوي النحوي المفسر جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣، (١٤٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمحدث الشام الإمام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي (ت١١٦٢هـ)، ط١، (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للإمام المؤرخ مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة التركي (ت١٠٦٧هـ)، بعناية محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للإمام الحافظ المفسر أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق ثلة من الباحثين، ط١، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)، دار التفسير، جدة، السعودية.

ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للإمام المحدث علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان المتقي الهندي المدني (ت٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط٥، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، للإمام المؤرخ موفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم **سبط ابن العجمي** (ت٨٨٤هـ)، ط١، (١٤١٧هـ)، دار القلم، حلب، سورية.

ـ **الكنى والأسماء**، للحافظ المؤرخ الوراق أبي بشر محمد بن أحمد **الدولابي** (ت٣١٠هـ)، تحقيق نظر الفاريابي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للإمام المتبحر المتفنن زين الدين **محمد عبد الرؤوف** بن تاج العارفين الحدادي **المناوي** (ت١٠٣١هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط٣، (٢٠١٢م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ **اللباب في تهذيب الأنساب**، للإمام النسابة المؤرخ الأديب عز الدين أبي الحسن علي بن محمد **ابن الأثير الجزري** (ت٦٣٠هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ **لسان الميزان**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

ـ **اللطائف والظرائف**، للإمام الأديب اللغوي الناقد **أبي منصور** عبد الملك بن محمد **الثعالبي** (ت٤٢٩هـ)، دار المناهل، بيروت، لبنان.

ـ **اللمع**، للإمام الصوفي الزاهد **أبي نصر** عبد الله بن علي **السراج الطوسي** (ت٣٧٨هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود وطه سرور، ط١، (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر. مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

ـ **لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب**، للإمام القاضي الفقيه الأديب **أبي المعالي** عزيزي بن عبد الملك الجيلي المعروف **بشيذله** (ت٤٩٤هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- المتفق والمفترق، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمد صادق الحامدي، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، دار القادري، دمشق، سورية.

- المجالسة وجواهر العلم، للإمام الفقيه المحدث أبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق مشهور آل سلمان، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق محمود زايد، ط١، (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م)، دار الوعي، حلب، سورية.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط١، (١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- المجموع شرح المهذب، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق وتكميل محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

- محاسبة النفس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم وعبد الله الشرقاوي، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق عمر الطباع، ط١، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام النحوي المفسر أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الغرناطي الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام محمد، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، طبع سنة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، ضمن «تاريخ بغداد» (ج: ١٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المخلصيات، للإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن المخلص البغدادي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل جرار، ط١، (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م)، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

- مداراة الناس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- المدخل إلى علم السنن، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٧م)، دار اليسر، القاهرة، مصر.

- المدخل، للإمام الفقيه الصوفي الزاهد أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج العبدري (ت٧٣٧هـ)، دار التراث، القاهرة، مصر.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، طبع سنة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) لدى دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، للإمام المؤرخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م)، دار الرسالة، دمشق، سورية.

- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، للإمام الفقيه الواعظ موفق الدين أبي محمد بن عبد الرحمن الشارعي (ت٦١٥هـ)، ط١، (١٤١٥هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للإمام الفقيه المحدث المتفنن نور الدين أبي الحسن علي بن سلطان محمد المعروف بـملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- المستخرج، للإمام الحافظ أبي عوانة يعقوب بن إسحاق النيسابوري الإسفرايني (ت٣١٦هـ)، تحقيق أيمن الدمشقي، ط١، (١٤١٩هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ الناقد أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ط١، (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- المستفاد من تاريخ بغداد، للإمام المؤرخ أبي الحسن أحمد بن أيبك الحسامي المعروف بـابن الدمياطي (ت٧٤٩هـ)، وهو ملحق بـ «تاريخ بغداد»، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المستقصى في أمثال العرب، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٢، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مسند ابن الجعد، أو «الجعديات»، للإمام المحدث أبي الحسن علي بن الجعد الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، بجمع تلميذه الإمام الحافظ أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت٣١٧هـ)، وتحقيق عبد المهدي بن عبد الهادي، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، مكتبة الفلاح، الكويت.

- مسند أبي يعلى، للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق حسين أسد، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.

- مسند إسحاق بن راهويه، للإمام سيد الحفاظ أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه الحنظلي (ت٢٣٨هـ)، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الإمام أحمد، للإمام المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، طبع سنة (١٣١٣هـ) لدى المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

- مسند البزار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط١، بدأت سنة (١٩٨٨م) وانتهت سنة (٢٠٠٩م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مسند الشهاب، المسمى: «شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية» للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مسند الطيالسي، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق محمد التركي، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

- مشكاة الأنوار، للإمام المتكلم حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق أبو العلا عفيفي، طبع سنة (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م) لدى الدار القومية، القاهرة، مصر.

- مشيخة السهروردي، لإمام الصوفية المحدث الفقيه العارف شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد القرشي البكري السهروردي (ت٦٣٢هـ) برواية تلميذيه؛ الإمام عماد الدين أبي الفضل محمد بن محمد الشِيرازي، والإمام شهاب الدين أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي، وتخريج الإمام الحسن بن محمد ابن جرويه الشيباني الموصلي، وتحقيق عامر صبري، صدر سنة (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، ضمن مجلة الأحمدية، العدد: (١٠).

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للإمام اللغوي أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، ط٥، (١٩٢٢م)، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر.

- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.

- معاني القرآن، للإمام النحوي اللغوي أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء الديلمي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، ط٣، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، طبعة مصورة لدى دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- معجم ابن الأعرابي، للإمام الحافظ أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي البصري (ت٣٤٠هـ)، تحقيق عبد المحسن الحسيني، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.

- معجم الأدباء، المسمى: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

- معجم البلدان، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، بعناية المستشرق وستنفيلد، ط٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، لعلي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار العقبة، قيصرى، تركيا.

- معجم الشيوخ الكبير، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية.

- معجم الشيوخ، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق وفاء تقي الدين، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- معجم الشيوخ، للإمام تاج الدين قاضي القضاة الفقيه المحدث المؤرخ المتكلم عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تخريج الإمام ابن سعد الصالحي، تحقيق بشار عواد معروف ورائد العنبكي ومصطفى الأعظمي، ط١، (٢٠٠٤م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- معجم الصحابة، للإمام الحافظ القاضي الفقيه أبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي (ت٣٥١هـ)، تحقيق صلاح المصراتي، ط١، (١٤١٨هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

- معجم المؤلفين، للأستاذ البحاثة عمر بن رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ)، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- المعرفة والتاريخ، للإمام الحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- المعين في طبقات المحدثين، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق همام سعيد، ط١، (١٤٠٤هـ)، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- المغازي، للإمام القاضي المؤرخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، ط٣، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الأعلمي، بيروت، لبنان.

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المغني عن حمل الأسفار، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن إبراهيم العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، ط١ (١٤٢٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- مفيد العلوم ومبيد الغموم، المنسوب للإمام أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ)، طبع سنة (١٤١٨هـ) لدى المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- مقاتل الطالبيين، للإمام الأديب أبي الفرج علي بن الحسين القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (ت٣٥٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام المجدد حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، بإشراف اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المقفى الكبير، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبيدي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، ط٢، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أيمن البحيري، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

- مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، للإمام الفقيه الحسين بن نصر ابن خميس الكعبي الموصلي الجهني (ت٥٥٢هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات.

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، للإمام المؤرخ الحافظ تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني العراقي (ت٦٤١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا، ط١، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **منهاج الطالبين وعمدة المفتين**، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد محمد طاهر شعبان، ط١، (١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٥م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **الموضوعات**، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق نور الدين بوياجيلار، ط١، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

- **الموطأ**، لإمام دار الهجرة المجتهد أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **الناسخ والمنسوخ**، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق محمد المديفر، طبع سنة (١٤١٨هـ) لدى مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، (١٤١٥هـ)، دار ابن كثير، دمشق، سورية.

- **نثر الدر**، للوزير المؤرخ الأديب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي الرازي (ت٤٢١هـ)، تحقيق خالد محفوظ، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، للإمام القاضي الفقيه فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم القرشي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق بلال محمد حاتم السقا، ط١، (١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- **النجم الوهاج في شرح المنهاج**، للإمام الفقيه الأديب المتفنن كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت٨٠٨هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله المصري (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، مصر.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للإمام النحوي الأديب المؤرخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، للإمام المؤرخ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ابن دقماق العلائي (ت٨٠٩هـ)، تحقيق سمير طبارة، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- نزهة الحفاظ، للإمام الحافظ أبي موسى محمد بن عمر الأصبهاني المديني (ت٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرضا عبد المحسن، ط١، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، أو: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، للباحث المؤرخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني الطالبي (ت١٣٤١هـ)، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- النفقة على العيال، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق نجم خلف، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- النكت والعيون، للإمام القاضي الفقيه المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نهاية المرام في دراية الكلام، للإمام المتكلم ضياء الدين أبي القاسم عمر بن الحسين الطبري المعروف بخطيب الري (ت٥٥٠هـ)، تحقيق عبد القادر علي، ط١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نهاية المطلب في دراية المذهب، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام اللغوي مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق توفيق التكلة، ط١، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- هدية العارفين، للعلامة الباحث إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبعة مصورة عن نشرة وكالة المعارف الجليلة بإستنبول (١٩٥١م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الوافي بالوفيات، لإمام الأدب النحوي المؤرخ المتفنن صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الدمشقي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط١، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- الورع، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد الحمود، ط١، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، الدار السلفية، الكويت.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، للإمام القاضي المؤرخ الأديب أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- اليقين، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق ياسين السواس، ط١، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

❁ ❁ ❁

محتوى الكتاب

محتوى الجزء الأول

❁ ❁ ❁

محتوى الجزء الثاني

❁ ❁ ❁

❁ ❁ ❁

* * *